



في هذا المجلد :

صفحة

| | |
|---|-----|
| دعوه الحق | 1 |
| دراسات اسلامية : | |
| ملاحظات سريعة حول الكون العقلي الاسلامي | 4 |
| في الجمعيات الاسلامية المعاصرة | 10 |
| مفهوم البرية الاسلامية | 15 |
| عقيدة الاسلام في القرب | 17 |
| الحض في الاسلام | 22 |
| اجاهان محالان | |
| اخبار زبيلات : | |
| نظرة في معهد الادب والعلوم | 28 |
| غروب الشمس منقسم | 32 |
| عود الى القوس | 38 |
| الغريب بين الفارسية | 42 |
| مقبل اللغة العربية في بلدان المغرب العربي | 49 |
| بحسب والتفسير | 60 |
| الوجود وتكسر | 67 |
| من صبح « النسيب » في النحو العربي | 71 |
| ديوان الطلبة : | |
| دم الفروية غسان | 75 |
| في لائحرون | 78 |
| كلمات طفيل | 80 |
| انجبار | 82 |
| عند سلم الجروج | 83 |
| دراسات مغربية : | |
| مؤلفات علماء عرب افرى في المكاتب المغربية | 84 |
| احكامات قراوب القرنين الثامن والعاشر | 85 |
| وسائق اندلسية | 92 |
| ابو اسحاق ابراهيم النابلي من خلال احواله | 97 |
| من روائع سكر : | |
| هاملت | 108 |
| معرض الكتب : | |
| الاسال البغدادي المارة | 116 |
| ادب وفكر : | |
| في اجواء البرية | 118 |



ثم العبد ودمه قاعده

رحما
عموم الأوقاف
ون الإسلامية
المغربية

كلمة العدد

دعوة الحق في سنتها الحادية عشرة

تدخل « دعوة الحق » بهذا العدد سنتها الحادية عشرة ، وهي أشد إيمانا مما مضى بالرسالة المثلى التي اضطلعت بعينها الثقيل من أول يوم ، وأكثر تطلعا ، في عقدها الثاني ، لتحقيق مكاسب كثيرة لمستقبل الثقافة وقضية الفكر في هذه البلاد بنفس العزيمة الصادقة ، والإرادة المصممة التي تغمر أسرة تحريرها ، وكتابها الأوفياء لمواصلة السير قدما في السبيل القويم الذي انتهجته ، والعمل على إبراز إنتاج مغربي أصيل ، يسائر مدنا التقدمي في ربوعنا الخضر ، ويتطور نحو الجودة والتركيز والإصالة ، ويواكب نهضة الأمة المغربية العريقة في مسيرتها العلمية ، ووثباتها الثقافية والاجتماعية ، وانطلاقاتها نحو التبلور الناضج ، والاكتمال السريع ...

لقد سلخت « دعوة الحق » من عمرها عقدا كاملا وهي تواكب نهضتنا الثقافية المباركة ، وترعى حركة الفكر التقدمية التي تلاقحت في مناخها الآراء ، وساعدت على خلق جو ثقافي ملائم ، تفتحت فيه الامكانيات وتحققت معه أحلام المواهب كما ساعد على تشجيع إبراز الطاقات الكامنة على الظهور .

وان مما يشحذ العزائم ، ويهدي الى شرف الغرض ، ونبل الغاية ، اننا تلقينا في اثناء عطلة المجلة الصيفية المعتادة ، كثيرا من المراسلات والمكاتبات سواء من الداخل أو الخارج ، وكلها اشادة وتنويه ، وتهنئة وتقدير بفوز جهادنا ، ونجاح « دعوتنا » واكبار للعبء الفادح الذي ننهض به في سبيل التعريف بالثقافة ، وتقديم الإنتاج المغربي الذي يتسم بالإصالة ، ويجمع بين نبل العاطفة ، وسمو الفكرة .

كما نوهت الاذاعة والتلفزة في بعض مناهجها الادبية بالدور الذي قامت به « دعوة الحق » خلال عقدها الاول ، في خدمة قضايا الفكر والثقافة ، والدعوة للفكرة الاسلامية ، والدفاع عن قيمها ومثلها .

العدد الأول
السنة الحادية عشرة
شعبان 1387
نوفمبر 1967

ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الاوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تنقي بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
مأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

يدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف -
الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط

تليفون 308.10 - 327.03 - الرباط

ثانيا : لاحظت بعض الرسائل على المجلة بانها بقيت مغلقة على نفسها ، وذلك بمحافظتها على كتابها القدامى الذين الفهم جمهور القراء ، فلم تشجع ذوي الكفايات الجدد من الشباب ، ولم تفسح لهم اسباب الاتصال والظهور ، ولم تقدم انتاجهم لجمهور القراء ، ولم تطعم مواد المجلة بعناصر حيوية جديدة تعطيها نكهة التجدد والاستمرار ...

— وأي ضير في أن تحافظ مجلة متفتحة ، كدعوة الحق ، على أسرة وفيه لها مقام معلوم ، ومكانة علمية مرموقة موموقة تعتبر لب اللباب فيما عند المغرب من كتاب .

والمجلات الراقية الملتزمة في انحاء الدنيا لابد لها من أن تتوفر على أسرة دائمة من كتابها تعتمد عليهم ، وتحافظ على أجود عناصرهم ، وتقدم انتاجهم لقرائها في أطباق شهية كاشهى ما يقدم بين يدي نجوى موادها ... ولم تكن دعوة الحق على شكلها المعهود ، وموضوعاتها الجادة الملتزمة الا لتوفرها على أجود ما في المغرب من علماء ومفكرين وكتاب ...

ومع هذا فلم تكن في يوم من الايام نقف حجر عثرة لنحجب كل موهبة عن التفتح والعطاء ، بل اننا نأخذ بضبع كل كاتب صاعد ، ونرحب بباكورة انتاجه ، ونمد له يد العون والمؤازرة ، ونمهد له سبل الاتصال بجمهور القراء ، بل لا يخلو أي عدد من أعدادنا من كتاب جدد نعلم أن الناس يرضون ، مسبقا ، عن انتاجهم فنقدمه للقراء ، ونتمنى لهم مخلصين أن يبارك الله خطواتهم في مستقبلهم الواعد .

ثالثا : وهناك ملاحظة ثالثة تقول :

ان المجلة لفرط ما يحشر فيها من مواد قوية ، وما تدرجه من موضوعات دسمة قد تشق على القارئ الذي قد يجدها احيانا عسيرة الهضم .

من أجل ذلك يرى بعض هؤلاء المقترحين أن تنوع ابواب المجلة ، وتطعم ببعض المواد والنقل ، لارتشاء رغبة القارئ واستمالة ، ولاستزادة شوقه واقباله .

— ان دعوة الحق وان كانت مرصودة على طبقة خاصة من الذين الفوا الجلد والصبر على قراءة الكتب الجادة ذات المستوى العالي الذي يتطلب الاناة وطول النفس فهي مفتوحة امام كل المثقفين الجيدين الذين يقبلون على قراءتها ، لما تشتمل عليه من ابواب متنوعة ، وأطباق شهية ، تبتدىء من الدراسات الاسلامية الى باب الابحاث والمقالات ، فرياض الشعر في ديوانه ثم الى الدراسات التاريخية ودراسة القضايا الفكرية التي تشغل الرأي العام المعاصر ... مما يجعل موضوعاتها في متناول كل الذين يرغبون في اشباع رغباتهم الفكرية عن طريق قراءة مجلة محترمة جادة ... كدعوة الحق.

ولعلنا قد وفقنا الى ما قصدنا اليه ، بفضل رعاية المسؤولين وعنايتهم بقضايا الفكر وخدمة الادب ، وحماس المثقفين بقداسة رسالتهم الخالدة الذين نسترشد بأرائهم الفيرة ، ونستفيد من توجيهاتهم السديدة ...

فان استنارة المرء برأي أخيه ، من عزم الامور ، وحزم التدبير .

دعوى الحق

ولم تخف بعض هذه الرسائل ملاحظاتها البناءة ، وانتقاداتها الهادفة ، في بعض ما تراه يحقق خطوات أخرى جديدة للمجلة يتسنى معها أن تؤدي دورها الكامل في بناء صرح سامق لثقافتنا الاسلامية والعربية .

ويمكننا أن نجمل تلك الملاحظات فيما يلي :

اولا : يلاحظ بعض السادة الادباء على المجلة في حسن نية ، وكامل اخلاص وموضوعية ، انها تخلت عن خطتها التي درجت عليها فيما يتعلق بالنقد عموما ، او على الاقل فيما كانت المجلة تدرجه في باب « قرات العدد الماضي » او « العدد الماضي في الميزان » مدعمين وجهة نظرهم هذه بان كل حركة فكرية لا تتفتح براعمها ، ولا تنمو افنانها الا في جو نقدي منعش تتبارى فيه الآراء الخصبة ، وتتلاقح معه النظريات والافكار ، لان النقد وسيط بين المنتج وجمهور القراء تربطهما لحمة النتائج ، وتصلهما وشائج الآثار الفكرية والادبية ، بل ان بعض الرسائل تقول بان النقد في مجلتنا بات يشكو ندرة وضمورا ، وضعفا وهزالا ...

— والحق أننا لا نكون مبالغين او مغالين اذا قلنا بان مجلتنا ، كما لا يخفى على المتتبع المنصف قد ساعدت في اعوامها الاخيرة على خلق جو نقدي استقطب نخبة من رجالات الفكر في المشرق والمغرب ، والتقى عنده مجموعة من الكتاب والمفكرين ..

فقد دأبت المجلة منذ نشأتها على تشجيع كل نقد بناء يتميز بالصبغة العلمية ، ويقوم على التحري والمقابلة ، والتحليل والموازنة ، وسبر غور الفكرة التي يرمي اليها الكاتب او الشاعر ، كل ذلك مساهمة منها في العمل على ربط الاتصال بين الكتاب المثقفين ، وخلق حركة ثقافية شاملة تخرج بنا من الضمور الفكري الى باحات المناقشات الواعية لابرار الطاقات الفكرية ، وما تكنه من ملكات ذهنية ، وتضاريس شعورية .

لقد رحبنا في احد اعدادنا الماضية بالنقد الباني ، والمناقشة الهادفة ، كما رجونا من حملة الاقلام في هذه البلاد ، ورجال الفكر فيها أن يمتد أفقهم ، ويرحب صدرهم لتحمل النقد الذي يقوم على الدرس والتجديد والتجويد ، ويخلو طبعاً من التجريح والتلويح ، والخصومات العنيفة ، والتبجح بالعلم ، والمباهات بالعمل ، والشعور المفرط بالتجني والصلف والاستعلاء الذي يندرج في نطاق الاغراض والاهواء الشخصية

اذ ان لكل انسان عيبا !!

واي الناس تصفو مشاربه ؟!

والكمال لله وحده .

لقد شهدت الاعوام الاخيرة في مجلتنا حركة نقدية واعية بلغت حدا دل على أن كتابنا في الاعم الاغلب يعرفون للنقد قيمته ، ويراعون للرأي حرمة ، ولكن بعضهم كان يطفئ به القلم ، ويشتط في الاحكام ، ويتجاوز الحدود المرسومة المعلومة التي تواضع على وضعها النقاد ، مما دعا هيئة تحرير المجلة الى أن تضع حدا لبعض الانحرافات في النقود التي تصل اليها ، لا لاننا نكره النقد أو نفرق منه ، ولا مراعاة لمن يؤثرون السلامة والعافية من بعض الكتاب الذين لم تتسع صدورهم للاخذ والرد ، والمطالبة والحوار ، بل لاننا احوج ما نكون في حياتنا الثقافية ، والظروف التي تجتازها بلادنا في الحقل العلمي بخطى حثيثة ، واهتمام متزايد الى دراسات باتية ، ومقالات تقسم بالابداع والجدة ، والطرافة والابتكار ...

ما يوجد عليه أمر العالم اليوم ، امام تقنية عملاقة ، غير مقيدة بوازع روح قوي .

ومن خلال وجهات العمل هذه ، من اجل إبراز المفاهيم الدينية ، وتقريبها الى الازهان ، يحاول المرء تبين أهمية التأثير الإيجابي الذي يحدثه ذلك على عقول الناس عموماً ، فيجد - كما اسلفنا - ان هذا التأثير لا يحقق القدر من التفغل العقلي المراد منه ، بل ان الشقة تزداد بعداً - بعض الاحيان - بين ما يراد من تقريب مفاهيم صحيحة للدين الى عموم الناس ، وبين ما هو حاصل فعلاً في هذا الميدان من نتائج عملية ؛ ولكي نبلور جوانب الموضوع ، علينا ان نركز الكلام في طبقتين من طبقات المجتمع ، يتخذان - في العادة - كمحور للتوجيه الديني والخلقي ؛ وينصب عليهما بالتبعية لذلك المجهود التوجيهي الذي يأخذ به المجتمع ضمن الفلسفة او الرسالة التي يؤمن بها ، وهذا على اعتبار ان كليهما يشكل الهيكل الانساني الاساسي الذي تقوم به بنية المجتمع في الحاضر وفي المستقبل . وهذان العنصران الاجتماعيان اللذان نريد ان نركز الموضوع حولهما ، هما (1) سواد الناس او العوام (2) عنصر الناشئة والشباب الذي يكون الجيل الجديد .

اما سواد الناس فيجب التمييز في شأنهم بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة ، فهناك فرق كبير في الاحوال الفكرية والتكوين العقلي السائد عند العموم هنا وهناك تجب مراعاته واعتباره ، ذلك انه اذا كان افراد العموم في البلدان المتقدمة ، تتراوح مستوياتهم الفكرية بين الامية التي هي ذات انتشار محدود نسبياً ، وبين حالة شبه الامية ، بين التعلم ، حالة شبه التعلم ، فان العموم في البلدان المتأخرة ، تختلف حالته عن هذه الحالة التي ذكرنا اختلافنا بينها . اذ ان حالة الامية الضاربة اطنابها في العالم المتخلف ، تستغرق - فعلياً - السواد الاعظم من الناس ، ولا يتبقى من وراء ذلك في الكثير من الاحيان الا ما نسميه بالنخبة التي استطاعت لسبب او لآخر : ان تحصل على تطور عقلي حقيقي يرفعها عن مستوى التفكير المتخلف ، الذي يسود المجتمع ؛ وعموم الناس هؤلاء يشكلون الجزء الاضخم من الهيكل الانساني للمجتمع ، يقوم بهم ، ويعتمد عليهم بدرجة اولى ، فلذا يعتبرون اساس المجتمع الحاضر ، وحقيقته الكبرى . اما العنصر الآخر ، عنصر الناشئة والشباب ، فهو المؤهل مبدئياً ، لان يصبح متعلماً وان كانت الصعوبات الكثيرة التي تلاقيها الاقطار النامية في آسيا وغيرها لا تسمح

هذه الناحية روح عدم الاكثريات وتفاهة النظرة التي له عن الامر من اساسه ؛ القضية هذه لا يلحظها احد بقدر ما يلحظها رجال الدين انفسهم ؛ وهم يكررون من الحديث عنها بلهجة تنم - بحق - عما يرونه في هذا الامر من أهمية كبيرة توجب الالتفات اليه ، اكثر ما يجب الالتفات الى شيء والعناية به ؛ وقد لانجد عند البعض من الفياري على الدين ما يفعله ، اكثر من ان يستمر في الشكوى والاستمادة من الزمان واهله . بينما ترى آخرين اكثر واقعية وايجابية ، يشعرون بان الامر يتطلب مواجهة مستمرة ، تقوم على مضاعفة الجهد للتعريف بروح الدين وتعاليمه لدى النشء والكبار على السواء . وقد يذهب البعض من هؤلاء ابعد من ذلك ، فاذا بك تجدهم قد يعمدون الى تناول المذاهب والافكار اللادينية الحديثة محاولين نقضها وتفنيد أسسها على ضوء المبادئ الدينية ، والقيم السليمة التي يقوم عليها العقل والمنطق الخلقي المرتكز على الامتزاج بين الاعتبارات المادية والروحية على السواء ؛ وقد يسلك بعض الفياري على الدين من انعلماء طريقة اكثر اتصالاً بمعطيات العصر والمفاهيم السائدة فيه . تقودهم رغبة ملحة في التوفيق بين الدين والعلم والحضارة ، لاقناع اولئك الذين يرون الفرق شاسعاً بين علم ودين - يذهب مثل هؤلاء الفياري على الدين مذهب الموفق بين نظرية علمية ، وآية قرآنية ، بين قول نبوي ماثور ، وبين ظواهر علمية او احوال تقنية واقعة اليوم ؛ وقد شاعت هذه الطريقة في بعض تفاسير القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية الاخرى . الا انه وجد في عدة احيان من يعترض عليها ، ولا يرى فيها نفس الجدوى التي ينتظرها منها اصحابها . بل ذكر كذلك - في معرض الحديث عن هذه الطريقة - انها تؤدي في كثير من الاحيان الى تمحل لا مبرر له ، وتنسب في جعل مقاصد الآي الشريفة وكأنها خاضعة لاعتبارات انعلم وتقريراته ، وهي اعتبارات ومقررات غير ثابتة في الكثير من الاحيان ، ومعرضة للتعديل والتجريح ، بشكل غير محدد ، مضافا الى ذلك ، ان القرآن هو كتاب هداية وتنوير قبل كل شيء . عنايته متركزة حول المبادئ والمثاليات التي يجب ان تقوم عليها حياة انسانية سليمة وامينة ومتوازنة ، وما هو وارد من آيات في الطبيعة وعلم الحياة وغيره ، فالمراد به التمثيل ، لا الاستقصاء . اما الاجتهاد بجزئياته الاستقصائية فهو متروك في كل شيء للبشر سواء في امور دينهم او دنياهم ، شرط ان يكونوا مهتدين بهدي سليم كهدي الدين ، والا انحرفت بهم نتائج اجتهاداتهم الى مهاو خلقية وحضارية ، مثل

ملاحظات سريعة ،

حول أحوال النكوب العقلي الإسلامي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

للمؤلف: المرحوم البرجالي

عصرنا الحاضر ، عصر امتحان القيم بدرجة أولى ، ويقوم الحوار اليوم على اشد ما يكون بين القيم الثقافية والحضارية على صعيد العالم اجمع ؛ واخشى ما تخشاه امة واعية في الوقت الحاضر ، ان ينتزع من ابنائها الاقتناع العقلي بقيمهم التي يقوم عليها وجود الترابط بينهم كامة من الاساس ، وبقدر ما يخاف من ذلك ، بقدر ما يزداد الحرص في المجتمعات الإسلامية على حماية القيم في عقلية الناشئة وعموم الناس ، عن طريق التوجيه والتوعية المستمرة ، لكن الا يحق لنا ان نعنى من اجل انجاح ذلك - نعنى بتحسين اساليبنا في هذا المضمار وجعلها اكثر علمية وموضوعية .

محاسنه ، والرد على خصومه ، الى غير ذلك مما تخوض فيه اقلام عديدة بالشرق العربي والمغرب العربي ، وتختص به بعض الدوريات الشهرية تحفل بالكثير من هذا القليل ؛ ووجود مجالات لنشر المعرفة الدينية هكذا بين عموم الناس في الاقطار العربية والإسلامية ، هو وجه ايجابي لقضية الدعوة الدينية في عصرنا الحاضر ، واداة لا يستهان بها لخدمة هذه القضية ، وتقريبها من الاذهان ، بقدر ما يمكن ؛ غير اننا نجد - من وجهة اخرى - ان القائمين على الترويج للفكر الديني ، والمعنيين بانتشاره والتمكين له ، هم شديدو الشكوى - كما يلحظ - من حالة ازدياد الجهل بروح الدين وتعاليمه ومقتضياته بين الناس وبالاخص منهم الاجيال الجديدة التي تجد ان البعض منها لا يجهل شيئا اكثر مما يجهل في الدين ، تسوده من

لا يستطيع احد منا ان يدعي ان المواضيع الدينية لا تطرق بكثرة واطناب ، فيما ينشر على الناس من كتب وصحف ودوريات ، وفيما يلقي اليهم عن طريق السمع من احاديث ومحاضرات وندوات . فالموضوع الديني - كما نلاحظ جميعا - له مجال واسع في دنيا التوجيه والاعلام سواء ذلك بمشرق او بمغرب ، وان كان هذا التاكيد لا يعني بالضرورة ان الباحث الديني او الناشر الديني لا يجدان نفس الصعوبات المادية والتنظيمية التي يجدها الكتاب والناشرون في مجالات اخرى من مجالات الكتابة والنشر ؛ فالمصاعب في مثل هذه الميادين هي قدر مشاع لا تقصده عندما نشير الى الامكانيات الموجودة التي تتوفر امام سبل الاشعاع الثقافي ، بما فيها السبل المتيسرة لنشر المعرفة الدينية والدعوة الى الدين والتبشير به ، وابرار

عقلياتهم الدينية المتخلفة - الا اذا تصورنا امكانية تطويرهم سريعا كذلك من الناحية العقلية العامة ، التي توجه اذهانهم ومشاعرهم في شتى آفاق الحياة ، فالجهل كل لا يتجزأ ، اذا كان جهلا علميا واجتماعيا وغيره ، فهو مرتبط كذلك بالجهل الديني ارتباطا عضويا لا يقبل انفصاما ، وما دام الامر كذلك ، فالفضية ستبقى دائما ماثلة امامنا بكل خصائصها وملابساتها المتمثلة في هذه المفاهيم التي لعامة الناس من علاقتهم بالدين ، وكيف ان هذه المفاهيم تمتزج بالبلبل الطبيعي العادي عند العامة الى احتضان الخرافة ، والتشبع بها كسند فكري يسلي ويمتع ، بل وينقذ من المآزق عند الاقتضاء ، ولو انقذا خيالها .

على انه اذا كان سواد الناس في الاقطار الاسلامية متأثرين بأحوال عقلية من هذا القبيل ، تؤثر في مفاهيمهم عن الدين تأثيرا سيئا الى حد ما ، فان علينا ان نضع في حسابنا كذلك ان هؤلاء العوام هم اساس الحياة الدينية الحية النشطة في الاقطار الاسلامية . فهم مظهر اقامة الشعائر في مختلف المجتمعات الاسلامية ، وعن طريق ارتباطهم الشعوري - العقائدي بالدين ينفى للفكرة الدينية وجودها المستمر في حياة الناس بالعالم الاسلامي ، بصرف النظر عن انحراف الفكر الديني عند الناس او استقامته . المهم في الامر ان الوجود العقائدي والشعائري الاسلامي يتمظهر - الى حد كبير - في هذه الكتل من العوام التي تمثل من خلالها هذا الوجود الاسلامي على مسرح الحياة اليومية الدائمة . ومن هنا نأخذ القضية صبغتها المهمة - الى اقصى درجات الاهمية في هذا المضمار ؛ فالناس العاديون في الاقطار الاسلامية هم مادة الاسلام الانسانية الرئيسية ، هم مظهره الانساني القاسم ، والصورة التي تكرر الوجود الديني المستمر ، وهم في نفس الوقت صورة منحرفة عن الدين في عدة احيان ، ويعطون عن العقائد والشعائر امثلة قد ياباها العالمون بالدين ، وقد ياباها حتى انصاف او ارباع العالمين بالدين . والتشبعين ببعض قيمه ومثالياته الصحيحة . وهذه حالة نأخذ باهتمام جميع المفكرين الاسلاميين الواعين بالبلاد الاسلامية ، اذ ان الامر هنا في تقدير مثل هؤلاء ، يتعلق بقضية الاسلام لا في الاقطار الاسلامية الخالصة فقط ، بل يتعلق ايضا بمستقبل الانتشار الاسلامي في المجتمعات الاخرى التي لا تنتسب حاليا الى الاسلام ؛ ان التبشير الاسلامي في حاجة دائمة الى اعطاء المثال لغير المسلمين عن الحياة الاسلامية القائمة ذاتها . ومن ثم يجب ان تكون هذه الحياة الاسلامية

القائمة ، ممثلة لبعض روح الاسلام الصحيح ، لكي تكون اداة اغراء وجذب للاسلام ، لا سببا لتفجير آخرين منه ، خاصة وان مستلزمات الدعوة لايجزىء فيها ان نجتذب الى الاسلام ، مجرد بسطاء العقول او الباحثين عن مجرد الطمانينة الروحية او غير هؤلاء او اولئك ، ممن يمكن ان يعتنقوا الاسلام ، بل ان روح الدعوة لاتفرق بين مثل هؤلاء البسطاء ، وبين اصحاب الذهنيات المترفعة من العقلانيين والعلميين والمتفلسفين وغيرهم ممن يعنيها - بموجب روح الدعوة - ان نجذبهم ، اذا كان من الممكن اجتذابهم - ؛ لكن . يجب قبل ذلك ان تكون المجتمعات الاسلامية من الناحية العقائدية على الاقل - في مستوى قد يثير عناية العلميين والعقلانيين ، ويحملهم على الاهتمام ، مجرد الاهتمام بالفكرة الاسلامية . من خلال ما يبدو منها - واقعيًا - على سعيد الحياة الجماعية الاسلامية .

كل هذه المقتضيات تضع امامنا في الاعتبار اهمية تهذيب الفكرة الاسلامية القائمة في عقلية عموم الناس بالعالم الاسلامي ، باعتبار ذلك امرا حيويا يتعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية والروحية للجماعات الاسلامية ، وايضا على اعتبار ان الامر ، بمس قضية الاسلام كحقيقة حية ونزاعة بطبيعتها الى تحقيق مزيد من الازدهار والتوسع .

لكن المشكلة في الامر ، تبقى ممثلة في السؤال التالي : كيف يمكن تهذيب هذه الجماهير ، وهل يجزىء في ذلك وعظها . وان كان الوعظ له وظيفته التي لا تنكر في ايقاظ شعور المسلم ، واثارة حماسه ، الحق ان تهذيب الفكرة الاسلامية عند عوام المسلمين ، تحف به مصاعب ، كما تتوافر له امكانيات ، وان كانت ذات مظهر سلبي . وهذه الامكانيات السلبية تتجلى في كون هؤلاء العوام هم اسلس قيادا لموحيات التوجيه اكثر من المتعلمين ؛ فالعوام - بحكم عدم احتكاكهم بالتيارات الفكرية الداعية للحيرة والرب ، يكونون عادة في غير حاجة الى اخذ ورد جدلي في شؤون الدين والروح . الا ان سلاسة قيادهم من ناحية فكرية على هذا النحو ، تجعل تأثيرهم بالدين تأثرا غير واع ، ومستعدا للتوقف دائما في نقطة واحدة ، لا يبرحها ، ويمكن من اجتهاد في النظر ، وتفتح في الفكر على اقل ما يكون عليه الاجتهاد والتفتح بالنسبة لانسان غير متعلم بقدر كاف .

وذلك ما يخلق اشد المصاعب التي اشرنا اليها في علاقة العوام بالدين ، واستفادتهم منه الاستفادة التي

الاعتقادية سواء منها ما كان دينيا صرفا ، او ممتزجا
بالافكار الدينية على نحو او غيره .

والافراد من عوام الناس في مجتمعاتنا الاسلامية،
يتلقون عادة منذ الصغر ، بذور وعي ديني يستقونه من
محيط الاسرة والمسجد والحفلات الدينية والمظاهرات
الموسمية كرمضان وغيره ؛ كما يتشبعون بالكثير من
هذا القبيل ، يستمدونه من مسموعاتهم من حكم واقوال
وسواها . ومن مشاهداتهم المختلفة لعمليات الوضوء

واخراج الزكاة وما الى ذلك من مؤثرات عقلية
ووجدانية . تأتي الى الفرد من عالمه المباشر الذي ينشأ
فيه وترعرع تحت تأثير اجوانه . وكل هذه المؤثرات
هي في حد ذاتها مؤثرات عميقة ، وشديدة المفعول بقدر
كبير ؛ وينشأ عنها في الغالب تجذر قوي للفكرة الدينية
في اذهان الافراد ، ممتزجة هكذا بمشاعرهم كأقوى ما
يكون الامتزاج ؛ ومن ذلك نرى صورة المسلم العادي ،
كما نعهدها في شتى المجتمعات الاسلامية : شخص
متمسك بدينه عادة تمسك الضنين بماله علم ، غيره .

الا ان العضلة مع ذلك - تبقى قائمة - نتيجة الانفصام
الموجود بين اسلامية المسلم ، وبين سلوكه الواقعي في
ميدان الحياة ، ومفاهيمه عن الناس والمعاملات ،
والمستقبل والحياة والعالم عموما . اننا لانذهب الى
وصف ذلك . والاتيان بالامثلة عنه . لان صورة المسلم
العادي عندنا هي في الغالب - صورة اي مسلم عادي
في المجتمعات الاسلامية الاخرى بالشرق او بافريقيا
او بغيرها . صورة شخص يعيش في كثير من الحالات
على الاوهام ، وتسود عقليته قيم فكرية تقعد به غالبا
عن تصور اساس صحيح دائما يستجيب به واجابته
الدينية والزمنية ، وتتحكم فيه الطقوسية بدرجة
كبيرة . وغالبا ما تكون هذه الطقوسية مجردة من
محتواها المعنوي الايجابي ، ومتخذة عوض ذلك ، شكلا
احداثيا لا تعرف بالضبط مصادره وقواعده
الصحيحة . فالاحتذاء او الاتباع ، يتم بدون ميل الى
التعرف على مصدر الشيء المحتذى ، هل له استمداد
من اصل عقائدي سليم ، ام يعود فقط الى ينابيع
خرافية ، قد تكون مناقضة للاصل الديني ، بل وربما
مهدمة له ، بشكل او بغيره .

صورة انسان من هذا الطراز من عوام الناس في
الاقطار الاسلامية ، هي صورة نموذجية كما اشرنا ،
لا تتخلف الا في حالات نادرة جدا ، اذا قسنا هذه
الحالات النادرة بضخامة الكتل الانسانية من سواد
الناس في العالم الاسلامي ؛ وليس منتظرا لهذه الكتل
الهائلة من الناس ان يتطوروا سريعا - من ناحية

دائما بجعله متعلما الى حد الثقافة العميقة الناضجة ؛
وعلى كل ، فالناشئة تعتبر في العادة - الاساس
المستقبلي للمجتمع ، لانها تشكل البديل الرئيسي
لجيل الكهول والشيوخ . اي اجيل الآخذ في الزوال .
ولهذا فان اكبر آمال التنمية الحديثة تقوم عليها
اساسا ، باعتبار انها تعد مؤهلة - جسميا وفكريا -
لتحمل اعباء التنمية ، وتفهم مقتضياتها اكثر مما
يتفهمه الجيل الآخذ في الانقراض . وتعتبر التربية في
شتى ميادينها من مقومات التنمية الحديثة . بل عليها
ترتكز من حيث المبدأ عمليات الانماء والتطوير
الاقتصادي والاجتماعي وغيره ؛ وليس هناك ما يخرج
التربية الدينية عن هذا النطاق . اذ ان التربية الدينية
هي مظهر من مظاهر التربية العامة التي يتلقاها الفرد ،
وعن طريقها يحصل على حالة التوازن المنشود عند
الكثيرين ، اي التوازن بين القيم المادية والقيم الروحية
بكل ما تحمله كلمة « الروحية » من معنى . فالتربية
الدينية داخلية حتما في عموم التربية العامة للمجتمع ،
التي تعد بدورها اهم مقوم لعملية الانماء في أي مجتمع
ينشد الانماء بمفهوم شامل ومتوازن ومتكامل .

* * *

ويراودنا السؤال من جديد : هل تؤدي عمليات
التوجيه الديني دورا حقيقيا وفعالا . يضمن لسواد
الناس صلة حية بالفكر الديني . ويجعل من الفكرة
الدينية قوة معنوية صحيحة ، تساهم في تقويم
تربيتهم الاجتماعية وغيرها . وتشارك - بقدر ما -
في اعدادهم لعملية الانماء المنشود ؟

واذا كانت الفاعلية هذه موجودة . فما حدودها
والمظاهر التي تدل عليها ؟

ان بذور الوعي الديني التي يتلقاها الناس في
مجتمع اسلامي ، ليس لها مصدر واحد تتأتى منه ،
فمصادرها كثيرة متنوعة . وهذه المصادر اما غير
مباشرة ، كالايجاء الديني الذي يفرضه المظهر الديني
العام في المجتمع . واما مباشرة على صعيد الخلية
الاجتماعية ، كالتوجيه مثلا - الذي يتلقاه الافراد
عن بعضهم البعض ، داخل المحيط العائلي ، او ضمن
حالة الصداقة وغيرها ، او بالتوجيه الذي يقوم به
المعنون برعاية المجتمع ومراقبة كيانه العقائدي -
الحضاري كمصادر التوجيه الرسمية التي ينيط
المجتمع بعهدتها الحفاظ على مقوماته الفكرية
والروحية . والمصادر من هذا النوع ، تستمد موضوع
التوجيه ، الذي تقوم به من فلسفة المجتمع وقيمه

جدا في مجال التهذيب العام ، والتوجيه على مختلف
الأوجه ، التي ينصرف إليها التوجيه ، الوجه
الاقتصادي والوجه الاجتماعي وغيره .

ان الغاية من بث الروح الدينية ، يجب ان تكون
من بعض جوانبها غاية عملية ، مثل ما ينتظر من تكوين
الطفل في المدرسة اهدافا عملية ايضا ، اما الرمي البعيد
من كل ذلك ، فهو صهر العقلية الشعبية في الاقطار
الاسلامية على اساس اسلامي ، غير ان هذا التعبير
« تكوين عقلية اسلامية » سيبقى مجرد تعبير مثالي ،
اي سيبقى دالا على مثالية متسامية بقدر ما يعبر
تحصيلها في الواقع ، الا اذا اصبحت المفاهيم الاسلامية
داخلة في صميم التفكير اليومي عند الافراد العاديين :
وهذا لا يتم - كما اسلفنا - الا اذا روعيت في تكوين
هذه العقلية الاسلامية عند الناس ، مقتضيات
البيداغوجية التي تتبع توجيه الصفار ، وتكوين عقليتهم
على الاسس التي ينشدها المجتمع ، مستمدا اياها من
واقعه ، وضروراته الحياتية ؛ اما غير هذا فهو محدث
دائما هذه الحلة من الانغماس الموجود بين المادية الدينية كما
يعتقها الفرد المسلم بعواطفه وبعض ميوله ، وبين
السلوك اليومي الذي يأخذ به نفس هذا الفرد ،
مستوحيا اياه من واقعه المعاش . ومن جملة القضايا
التي يواجه بها هذا الواقع المعاش . ولا يلتمس حلا
لها الا على ضوء مصالح عارضة قد لا تكون متفقة مع
المبدأ السليم . وقد يكون الحافز اليها مجرد صفات
تتحكم فيها الفرائز غير المراقبة اكثر مما يتحكم فيها
شيء آخر .

* * *

واذا كان علينا ان نأخذ « احتياطات بيداغوجية »
في تربية العوام من ناحية دينية ، فان علينا - بنفس
القدر - ان نتخذ احتياطات كذلك في زرع بذور الفكرة
الدينية عند افراد الجيل الناشئ . واقتصد بذلك ،
هؤلاء الذين بلغوا درجة من النضج والرشد ، حولها
لهم تجاوزهم سن المراهقة ، والقدر من التعلم الابتدائي
والثانوي الذي حصلوا عليه ؛ ان مثل هؤلاء - وان
يكونوا قد تجاوزوا دور المراهقة الفسيولوجية -
فانهم ، بولوجهم سن الشباب ، ووقوعهم في عنفوانه ،
يكونون عادة في حالة طور مراهقة عقلية ، شديدة التأثير
على نفوسهم وافكارهم ونظرتهم الى كل شيء ،
وبالاخص نظرتهم الى القيم المعنوية ، التي تتيه فيها

اذهانهم كل التيه ، دون ان يستمروا على شيء ثابت
نسبيا الا بعد ان يصلوا الى درجة النضج العميق
الشامل . ومن الملاحظ ان التربية التقليدية ، كانت
تنزع بطبيعتها الى اقامة سدود المعاكسة ضد هؤلاء ،
باعتبارهم متنطعين ، او منحرفين او ما هو في معنى
هذه الاوصاف ؛ وكان النظر الى الشبيبة هكذا ، نظرا
سطحيا - ولا شك - يكتفي باستبانة الامور وعواملها ،
من ملاحظة الظواهر الخارجية ؛ ومن بين اهم
التحولات في النظرة الى الانسان ، والتحول الذي
يفرض الآن ضرورة التفغل الى اعماق السلوك
الانساني . بما فيه طبعا سلوك الناشئة ، وما يتسم به
سلوكها هذا من عقلية متقلبة ، يجب ان تفهم حق
الفهم ، حتى يستطيع ادراك التيارات النفسية
والمؤثرات البيئية ، المحيطة بها . ومن ثم يمكن ان
يحاط بهذه التيارات والمؤثرات ، على نحو يمكن من
الاخذ بزمام الشباب وتطعيم عقليته بما يعينها على
ادراك موقف صحيح ومعقول من الحياة ؛ ومن هذه
الوجهة من النظر . يمكننا ان نتناول موضوع العلاقة
بين الشبيبة والقيم المعنوية الثابتة التي يجب ان تأخذ
بها اساسا ، ومن أهمها وفي طبيعتها القيم الدينية .
ففي هذا الميدان ، كما في غيره من ميادين التكوين
الفكري الاساسي للانسان ، انسان الجيل الناشئ ،
يتحتم دائما ان نجتنب الحملات الصاخبة على
الانحراف الذي قد نلاحظه ، متلافين مجرد الاعتماد
على النقد السلبي الذي قد لا يفيد في مثل هذه الامور ،
الا بشيء ضئيل جدا ، وربما لا يفيد اطلاقا ؛ وقد
يكون اجدى من ذلك - على العكس - الاسلوب المعتمد
على دراسة هادئة وموضوعية لـ « المشاكل الاعتقادية
والروحية » عند النشء وتصور صيغ المعالجة على
ضوء مثل هذه الدراسات الهادئة الموضوعية ، التي
لا تغفل من الحساب ، والمعضلات الناشئة عن مفارقات
العصر ، وتصادم القيم عند انسان هذا العصر ، وبذلك
يمكن التوصل في شأن الناشئة الى حلول جدية تقيها
بقدر ما ، مزلق هذه المفارقات ، والتصادم الذي
تفرضه بين القيم ؛ ولا نحتاج الى التاكيد على ان
صاحب الدعوة : المناط به مثل هذا العبء ، يجب ان
يكون في مستوى الاضطلاع به من المام بالدراسات
السيكولوجية والاجتماعية وما يتصل بها ، ومن
احاطة له - ولو نسبية - بقضايا العصر ومشاكله الى
جانب الثقافة الدينية الاساسية .

سلا : المهدي البرجالي

تضمن تطوره العقلي والاجتماعي على اساسه . ذلك ان سطحية العقلية الدينية عند العوام ، تفقد الدين في عالمهم الذهني بعضا من ديناميته وحيويته وتبقيه بالنسبة اليهم محصورا في دائرة غير فعالة الا بقدر محدود جدا .

فاذا ما استعملت الوسائل المألوفة في ايقاظ الوعي الديني عند مثل هؤلاء ، لم تستطع تلك الوسائل ان تتغلغل فيهم التغلغل الكافي ، لما اشرنا اليه آنفا ؛ وهكذا تبقى المواضيع الدينية التي تقترح على العوام تدور في جو عقليتهم دون ان تنفذ اليها النفوذ الفعال الذي يستهدف من وراء اقتراح هذه المواضيع .

* * *

لا ابتغي من التعرض لهذه المشاكل التوجيهية في حياة المسلمين الحاضرة ، اقتراح كذا او كذا من السبل الاكثر صلاحية والتي يجب احتذاؤها في هذا المجال ؛ فالواقع ان القضية هي على اعلى مستوى من الشعب ، نظرا لكونها تمس عموم الحياة الفكرية في مجتمعات مترامية الاطراف ضمن العالم الاسلامي الفسيح . مضافا الى هذا ان هذه الظاهرة الفكرية الدينية ، تتداخل عواملها مع مركب من العوامل النفسية والاجتماعية المختلفة . الامر الذي يلزم عنه استبعاد فكرة المعالجة - بالمفهوم البسيط للكلمة - الذي يعني وجود داء والبحث له عن دواء ؛ ان الاحوال الفكرية الدينية عند عامة المسلمين في عصرنا قد نشأت ونمت بذورها ببطء تحت تاثير القرون الطويلة التي مرت على العالم الاسلامي خصوصا في قرون الانحطاط ، وما لابسها من تراجع في المد الفكري الاسلامي بما فيه الفكر الديني كذلك ، وهذا امر يجب اقامة الاعتبار له عند محاولة تقويم الفكر الديني عند المسلمين ، والنظر الى الموضوع هكذا بما يجب فيه من موضوعية وواقعية ! ولا يفهم هذا ان قرونا مقبلة (اذا شاء الله) هي التي تستطيع ان تنهي حالة الجمود الفكري الديني عند سواد الناس في دنيا الاسلام ، ان المقصود فقط ، ان ينظر الى الامر على حقيقته ، كما هي ، وان يعتبر تغييره داخلا في عموم التغيير الفكري الذي يجب ان يمس الانسان المعادي في شتى المجتمعات الاسلامية ؛ اما كيف يمكن حدوث هذا التغيير الفكري العام ، فمرد ذلك مجموع حركة التطور الثقافي والاجتماعي القائمة الآن في شتى اطراف المحيط الاسلامي بالعالم ؛ وحركة التطور هاته التي نشير اليها هي ذات نطاق شامل ، وتتحكم فيها الاغراض الدنيوية الصرفة بقدر كبير ، غير ان الفكر الديني يجب ان يكون له دوره الاساسي في هذا المعنى

بصفته عاملا مؤثرا في تيار التطور الجاري تياره في المجتمعات الاسلامية ؛ ومتاثرا ايضا بهذا التطور في حدود الملازمة بين المصالح الدينية والدنيوية للمسلمين .

ان مراعاة مختلف هذه المقتضيات ، تضع على المعنيين بالاقناع الديني في عالم اليوم - جملة من الابعاء الدقيقة ، قد تكون في مستوى اعباء الباحثين عن مكنونات الذرة او سر المادة ؛ ان الاقناع الديني مهمة معقدة ، تتطلب استيعابا كبيرا وشاملا لنفسية العوام الذين يراد لهم تشبع عميق بروح الدين واهدافه ، رغم ما يتسمون به من سطحية تفكير ، وجمود في التصور والادراك ؛ (والاقناع هنا لا يقصد منه اقامة الحجة والاثبات بالدلائل ، وانما يراد به فقط مساعدة العقلية العامة الضيقة على التشبع بقدر كاف بمقتضيات الروح الدينية الفعالة الواعية المتفتحة) .

فالمنعنى بالاقناع الديني بالنسبة للعوام ؛ هو كالمعلم الابتدائي في فصل تحضير يحاول ان يجعل عقولا قاصرة جدا تدرك التجريدات الرياضية ادراك الذي يلمس الاشياء باليد ، ويتحسسها بالدوق او بالشم . ان هذا المعلم لا يعدو ان يكون معلم هجاء ابجدي وارقام تتعلق بالوحدات والعشرات ، ولكن مهمته - مع ذلك - قد تكون - من بعض الوجوه - أشد تعقيدا من مهمة هؤلاء الذين يدرسون فروعا عالية من المعرفة . فالعبرة هنا بالمعلم الذي يراد صياغة فكره من البداية ، والمعلم هنا صعب المراس ، سواء بالنسبة لتلميذ التحضيري او للرجل العامي الذي يراد له ان يتكيف تكيفا مرنا ومتفتحا في مضمار الدين وما يتعلق به .

ولنبقى في نطاق الفصل التحضيري فنرى ان المتصدر لاقناع العامة دينيا ، قد يكون من الانسب له ، ان يراعي في مبادراته الاقناعية نفس الاسس السيكولوجية والتعليمية التي تراعى في مثل هذا الفصل . فليكن لذلك اقل تجريدا ، واكثر التصاقا باهتمامات الناس ، وقضاياهم الروحية والمادية الملحة . والاسلام من مميزاته الكبرى التي ينفرد بها عن اي دين آخر ، انه - كما يقال عنه دائما - دين ودينا . فالمادة الدينية المستمدة من الاسلام يمكن ان تنطبق من حيث المبدأ ، على مختلف اهتمامات سواد الناس ، وما يشغل اذهانهم ، واي أسلوب من هذا القبيل ، لابد ان يساعد تصويره على تقريب المفهوم الديني من العامة . والاهم من ذلك ، جعله أداة فعالة

الفلسفات العقلية التي تعتمد على المنطق والتاريخ والاجتماع والاضاع القانونية التي يمكن بواسطتها للانسان ان يسعى في الخير له ولغيره ، ولكننا رغم ذلك لا نستطيع ان نفصلها عن النقطة الاولى في روحها وفي اهدافها .

ففي النقطة الثانية يجب على الانسان ان يستحضر القانون الديني الذي يوجب عليه ان يحب لآخيه ما يحب لنفسه . ومن هنا نجد ان النقطة الاولى لم يكن من ورائها نفع للذي دفعنا الى الايمان بها ، وانما النفع فيها راجع للبشر انفسهم ، وعجيب لمن يجد النفع في طريق ثم ينحرف عنها الى طريق اخرى قد تجر عليه الويل والتبور .

واساس الارتباط بين النقطة الاولى والثانية ، انما يظهر في العمل والجزاء .

فالله تبارك وتعالى ارسل رسله ثم اقتضت حكمته العميقة ان ينسخ بعض الاديان ويعوضها بأديان اخرى الى ان ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم مصدقا لمن جاء من قبله ، ثم قدم اليه تشريعات عامة تهتم بالعميقة من جهة وبالنظم الاجتماعية والمعاملات العامة من جهة اخرى ، وطلب من الناس ان يؤمنوا بها وان يتبعوها وراى ان خلاص البشرية لا يكون الا على يدها .

وجعل الله تبارك وتعالى تطبيق هذه الشرائع مرتبطا بالنية والفصد ، فاذا كان القصد حسنا ولم تكن النتائج منسجمة معه لم يكن الانسان مسؤولا عما حدث ، وفي هذا رفع للانسان واعزاز لكرامته لانه لا يعاقب على ما اظهر ، وانما يعاقب على ما ابطن . وبذلك يرتفع الامر من العقاب الى الثواب ايضا فلا يكون الثواب على ما ظهر وانما يكون على ضمير الانسان ونيته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هجر اليه » .

وبهذا القانون الديني لا يمكن للانسان ان يطفى او يتجبر ولا يمكنه ان يماري وينافق ويخاتل لانه يعلم ان في الوجود الاها لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السماء .

وقد نجد بعض الناس لا يابهون بهذا القانون لانهم كلما ذكروه عقبوا عليه بأنه مناف لاسس الخلقية المثالية التي تفرض على البشر ان يفعلوا الخير لذاته من غير انتظار الجزاء .

وانا ارى ان امر الله تبارك وتعالى للعباد بفعل الخير ونهيه عن ارتكاب الآثام لا يستفيد منه الا البشر ولا يجني ثمراته الا المجتمعات .

والفرد حين يعمل الخير او يجتنب الشر يمثل جانبين : الجانب الاجتماعي ، والجانب الذاتي الانتفاعي فاما الجانب الاجتماعي فهو ما نرمي اليه من مساندة العمل الخيري ومن المطالبة به . واما الجانب الذاتي فهو امر يتعلق بحياة ذلك الفرد الذي يعمل الخير او يبتعد عن الشر ، فانه ان عمل الخير رجاء في الجنة او عمل الخير خوفا من النار او عمل الخير من اجل الخير فان الغاية الاجتماعية لا تتغير لان المجتمع استفاد على كل حال من عمل الفرد .

فالاعتبارات الدافعة الى فعل الخير بالنسبة الى الجزاء اعتبارات ذاتية محضة قد تكون صالحة لتقدير درجات الفرد عند الله فقط ، ولكن الغاية لا تتغير لان الخير مرغوب فيه لذاته ووسائل الترغيب والترهيب تختلف باختلاف النفوس ، فاذا ارتفع الباعث في نفس المؤمن حتى بلغ الى درجة سامية تجعل الطاعة لاجل الطاعة ، والخير لاجل الخير ، كان عند الله من المقربين .

وقد روي عن علي بن ابي طالب انه قال : « ان لله رجلا يعبدونه عبادة العبيد - اي خوفا من عقابه - ورجلا يعبدونه عبادة التجار - اي املا في جنته - ورجلا يعبدونه عبادة الاحرار - اي متحررين من قيود الثواب والعقاب وانما يعبدونه حبا فيه .

وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » بان المراد بحقيقة التقوى تنزيه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة (1) .

وقد تنبه بعض المتصوفة لذلك حين حاولوا ان يجعلوا الطاعة لله طاعة ناتجة عن الحب لا عن الرجاء والخوف ، وذاع في هذا الشأن قول رابعة العدوية في ابياتها الشهيرة :

(1) سورة آل عمران الآية 102 ، وهذا التأويل وجه من وجوه التفسير ذكره ابو السعود في الجزء الاول من تفسيره صفحة 257

مفهوم التربية الإسلامية

لأستاذ محمد عبدالعزيز الدباغ

الانسان اذن مسؤول امام نفسه وامام الاجيال المقبلة التي تنتظر ما يقوم به الفرد والجماعات في هذا العصر حتى لا يجد السبيل مظلما والطريق مقفلا .

ومن المعلوم اننا نحن الذين نكون الاجيال المقبلة فاذا عشنا في اضطراب وقلق وشك وارتياب ، فقد نجعل هؤلاء الذين سنمنحهم ثقافتنا وتربيتنا في اضطراب وقلق ايضا ، ونكون نحن مسؤولين عن شقائنا وتمهيد للشقاء لهم .

لهذا ارى من الضروري ان نبحث عن أسس فلسفية نبني عليها انجاسنا . وهذه الاسس لا تكون مبنية على اوهام ، انما يجب ان تكون مبنية على أسس الفطرة الانسانية التي جبل الانسان عليها والتي يركن اليها كلما شعر بعجز ، الا وهي فطرة الايمان بقوة اسمى وملكوت اعلى .

وان هذه الفطرة هي التي تجعل الانسان خائعا لهذه القوة العليا ، ولكنها في الوقت نفسه تترك له حق التفكير في تحقيق رغبات غرائزه وفق ما يتفق مع مصلحة الانسان كنوع ومجموعة افراد تتكون منهم المجتمعات .

فكيان الانسان يركز على نقطتين :

النقطة الاولى : نقطة الضعف امام القوة الهائلة التي يشعر بها كلما حزبه امر أو مسه سوء أو اضطربت احواله او لم يستطع ان يأتي بتعليل ارضي يحيط به ، انها قوة الله في النفس .

اما النقطة الثانية فهي نقطة بشرية تربط بينه وبين البشر جميعا ، وهذه يمكن ان تدخل في اطار

مدلول التربية في حد ذاته مدلول يقتضي الدراسة العميقة المتواصلة التي لا تعرف الكلل ولا الملل لانه مدلول مرتبط بوجود الانسان منذ نشأته على البسيطة ولا ينتهي الا بانتهاء الحياة ؛ وقد دفع كثيرا من الفلاسفة الى البحث عن حقيقته والى البحث عن مرجعه وهل يتصل بالعقل أو بالفطرة ، وبلغ آخر هل يتصل بالوراثة أو بالبيئة .

ونحن وان كنا لا ننكر اثر الوراثة في تهذيب النفس وفي التأثير ببعض الفرائز ، فاننا لا نستطيع باي حال من الاحوال ان ننكر فضل التربية التي بها نستطيع ان نقوم النفس من أخطائها وان نمهد لها الطريق الرشيد .

وحيث ان العقل احيانا قد يكون عاجزا وحده عن معرفة الخطة الرشيدة ، فقد يسر الله لعباده طريق الوحي فارسل رسله وكتبه لتكون هداية للناس وارشادا لهم تبين لهم ما صلح وتنهاهم عن المضار وأنداك أصبح الانسان عالما بطريق الهداية فلم يبق له الا البحث والتفكير والتأمل فيما جعل الله بين يديه ، به يسترشد وعلى نهجه يسير ، فمن لم يفكر ولم يتأمل ضل سواء السبيل .

وهنا أصبح الانسان مسؤولا عن التفكير والتأمل والبحث عن الطريق التي تمهد له الطاعة وتمهد له السعادة وتيسر له الاطمئنان في الحياة ، بل أصبح من الضروري ان يبحث عن كنه هاته الحقيقة التي منحت له ليهتدي الى أعماقها ويسترشد بمغزاها الحي الثابت .

تربط بين المسلم وأخيه كيفما كان جنسه وإنما كان موطنه . ان الفكرة الموحدة دين سماوي لم يوجه للعرب وحدهم وإنما وجهه للانسان على اختلاف اجناسه وطبقاته .

ولما اطمأن المسلمون الى دين الله ، وشاعت اللغة العربية في الاصقاع الاسلامية ، وارتبطت علوم المسلمين بعلوم غيرهم ، وسهر خلفاء الاسلام على حماية العلم ، تكونت آنذاك حضارة عربية اسلامية لا تمثل جنسا ولكنها في الحقيقة تمثل فكرة وتمثل لفظة وتمثل ديننا .

فالحضارة العربية الاسلامية هي وليدة هذه الثقافة التي ارتبطت بغيرها من الثقافات ، ولم تكن ابدا وليدة جنس بعينه ، وبهذه الظاهرة في التربية الاسلامية نستطيع ان نخلق الاضطرابات التعصبية التي تفرق بين الاخ وأخيه وبين المتساكنين في ارض واحدة او في جوار واحد .

ويجب ان نعلم ان الحضارة العربية الاسلامية تتصل بالفكرة ، وان مساندة العرب لغيرهم من المسلمين او مساندة المسلمين من غير العرب للجنس العربي . لم يكن الفضل فيها راجعا الا للتسامح الديني الذي محا العصبية وكون وحدة جديدة كانت هي العنصر الاول في مفهوم التربية الاسلامية والحضارة العربية .

ولم يكن مفهوم التربية الاسلامية مرتبطا بالمظاهر التعبدية الظاهرة فقط ، وإنما هو في الحقيقة مرتبط ايضا بالجانب التعبدى العام الذي يقيد الفرد في جميع أعماله بطاعة الله وباستحضار جلاله وتصور ثوابه وعقابه .

الخلاص في العمل عبادة .

عدم اذية الناس عبادة .

القيام بالواجب عبادة .

تربية النشء تربية صالحة عبادة .

كل عمل يقوم به الفرد أو تقوم به الجماعة وليس فيه ضرر فهو عبادة .

ليس هذا المفهوم للتربية الاسلامية يعد اسمى ما تطمح اليه البشرية في هذا العصر المليء بكثير من الاضطرابات .

والانسان يحس بهذا المفهوم العظيم للتربية الاسلامية كلما اطلع على الاصول العامة التي ينبني عليها الاسلام . ونظرة تأملية في كتاب الله وفي احاديث الرسول تشعرنا بهذه الظاهرة الجليلة التي تعد انقاذا للبشرية من الضلال والدمار .

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ايضا : « وقد تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا بعده ، كتاب الله وسنة رسوله . الا هل بلغت اللهم فاشهد . »

لقد بلغ الرسول اذن الى البشر ما يجب عليهم ان يطلعوا عليه وان يعملوا به ، فالمسؤولية الآن مقتصرة عليهم ، يجب ان يعوها وان يتحملوها بكل نزاهة واخلاص وعزم وهمة .

فلننظر مثلا الى آيات الاحكام في القرآن ، نجد فرقا واضحا بينها وبين القوانين الوضعية .

فالقوانين الوضعية تنص على القانون دون ان تعلمه او توجهه ، وما على الفرد الا الطاعة والا كان عرضة للعقاب . اما الاحكام القرآنية فغالبا ما تأتي ومع تعليل الهي او توجيه يجب للانسان في الخير او يخوفه من الله او يرغبه في رحمته ، وبذلك يكون العنصر الایماني في التطبيق اقوى من العنصر الفرضي الالزامي . ولتوضيح ذلك نذكر ما يأتي :

لقد جعل الله امر الطلاق بيد الرجل ، وللرجل في الطلاق الرجعي ان يراجع زوجته دون اذنها ودون ولي او سداق جديد ، اذ يكفي ان يشهد على نفسه الارجاع فيتم ذلك شرعا .

هذا الحق واضح الدلالة ويمكن لكل رجل ان يستفيد منه دون ان يجد عارضا أرضيا ، ولكن الله تبارك وتعالى حين جعل هذا الحكم بيد الرجل خشي ان يستغل في حيف او ظلم ولا يمكن لمن يتعهد تطبيق الشريعة في الارض ان يعلم نية الرجل حين ارجاعه لزوجته وهل يقصد بها اضرازا كاطالة عدتها مثلا او انما يريد الاصلاح .

ولما كان هذا الامر متعذرا لم يجعل الله تنفيذه خاليا من التوجيه الديني ومن التوجيه التربوي ، بل ذكر الله المسلم بدينه وبأن الله يعلم السر وما يخفى ، فاذا كان الرجل يرجو من وراء تطبيق هذا الحكم

كلهم يعبدون من خوف نار
ويرون النجاة حظا جزيلا
او بان يسكنوا الجنان فيضحوا
في رياض ويشربوا السلسيلا
ليس لي في الجنان والنار رأي
انا لا ابتغي بحبي بديلا

لا شك ان هذا التفاوت انما هو راجع الى
درجات العبادة لا الى الاثر الذي تخلفه في المجتمعات
لان الاثر في الحقيقة واحد ، فاني اذا انفت من ان اكون
لصا مثلا خوفا من الفضيحة او حبا في السلامة او لانني
قدرت ما في هذا العمل الدنيء من الاضرار الاجتماعية
فان النتيجة بالنسبة الى المجتمع لا تتغير لان الابتعاد
عن السرقة قد حصل بالفعل .

قد يكون الخير من اجل الخير ضروريا بالنسبة
الى الذي يخاف من العقوبات الارضية ، بحيث كلما
وجد الفرصة سانحة له ارتكب الاثم لانه يأمن من
العقاب ، اما اذا كانت هذه الرقابة التي يجعلها الانسان
على نفسه رقابة دائمة ، فليس لديه اي فرصة للانغلات
من قبضتها لانه يؤمن بها ويجعلها داخلة في عقيدته
وفلسفته . ولذلك كان الايمان بالله ، وكان الايمان
بالغيب ، وكان الايمان بالجنة والنار ، خلاصا للعباد
من الجرائم ومن الظلم والتسلط والفساد .

لهذا نغزو ما نراه من تعفن في تربية بعض الافراد
في مجتمعنا الى انحلال هذه العاطفة الدينية من انفسهم
ومن اعمالهم .

ولا يكفي في اذكاء هذه العاطفة ان ندعو اليها ،
وانما يجب ان يكون هناك منهج تربوي هادف يتولى
تربية الفرد منذ طفولته الى ان يتحمل مسؤوليته في
الحياة .

وهذا المنهج لا تنفرد به المدرسة ، بل يعم جميع
طبقات المجتمع ، ويتولى البيت قسطا منه كبيرا ، لان
البيت يمثل الحلقة الاولى في تربية الطفل وتوجيهه .

وهناك وسائل عملية كثيرة نستطيع بها ان نرفع
من المستوى الخلقي للأسر ، فنستغل مثلا الاجهزة
الفنية العامة التي أصبحت تلعب دورا كبيرا في هذا
العصر ، ونجعلها مدارس عملية توجه وترشد وتربي
وتقوم مقام المصلحين خصوصا بعد ان أصبحت كثير
من الأسر تملك اجهزة التلفزيون والاذاعة ويتيسر لها

(1) سورة الحجرات 13 .

التوجه الى قاعات السينما ومشاهدة كثير من الافلام
وقراءة عدد من الصحف ، فاذا استطعنا ان نجعل هذه
الوسائل خاضعة لمنهج تربوي موحد يرفع من مستوى
الاسرة ، وحققنا لهذا المنهج وجودا في المناهج
الدراسية ، امكنا ان نكون جيلا صالحا يتحمل
المسؤولية باعتزاز ويطبق عمليا ما التزم به دينيا
وخلقيا واجتماعيا ، لان التطبيق هو اساس التربية ،
ولهذا كان الاسلام يحرص كل الحرص على ان يكون
المسلم متصفا بأحسن الصفات . قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة
الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

هذه الوصايا النبوية تعد من اسس التربية
الاسلامية التي تطلب من الانسان ان يكون نزيها بعيدا
عن النفاق والرياء ، بعيدا عن كل الشرور في السر
والعلانية ، فيحسن النية للحق والعلانية للخلق .

ومن العلوم ان التقوى اجهاد للنفس على الالتزام
باطاعة والابتعاد عن المعصية ، وحرص على الايمان
بالفضيلة والتحاى بها ، وهي حفظ للنفس من الانسياق
مع أهوائها وتدريب لها على الصالحات .

ولا تتجلى التقوى الا مع تربية الارادة الانسانية
وتقوية عزيمة الفرد حتى لا يظل لعبة في يد هواه .
وهذا ما يفهم من قول البوصيري رحمه الله :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تطفمه ينقطع

ولما كان للتقوى هذا الفضل كانت هي شعار
التفاضل البشري عند الله . قال تعالى : « يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ان الله
عليم خبير . « (1) وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجة الوداع : « كلکم لادم وادم من تراب
اکرمکم عند الله اتقاکم وليس لعربي على عجمي فضل
الا بالتقوى » .

ما اعظم هذا المفهوم في التربية التي جاء بها
الاسلام ، فمن بعد التفاضل بالقبائل العربية رغم
تقاربها العرقي أصبحنا نرى العربي الذي كان يضيق
قلبه على ان يحمل شعورا موحدًا مع جنسه يتسع
لهذا التسامح المطلق الذي لا يعترف بحدود التعصب
الجنسي وانما يجعل اللقاء بين البشر فكرة قيمة

مختبرية الاسلام في المغرب

للاستاذ : الحسن السائح

(5)

وتحرك تاريخ المغرب الحديث بفعالية الاسلام ونشاط وعيه في النفوس وكانت الحركات الوطنية تعتمد على البعث الاسلامي باعتباره طريق الخلاص وموقد جذوة الشخصية المغربية الاصيلية ، لان المغربي لا يعمل الا في اطار اسلامي سليم .

ولا يجحد تطور المفهوم الاسلامي في الاحزاب الوطنية التي اقتبست عن الحركة السلفية اساليبها الوعظية ومناهجها الدراسية وكانت هذه الحركة القوية تعبر عن النشاط الاسلامي الخلاق وتشحن النفوس بعزة الشخصية الاسلامية وتحدى الاستعمار الفكري، كما كان زعماء الفكر الاسلامي يلوحون بذلك اليوم الذي يتاح للمغرب ان يقود نفسه ليرجع الى اسس حضارته غير منحرف عنها الى حضارة الغرب ، وكان الاستقلال فرصة لهذه التجربة الجديدة . واذا كان المغرب متمسكا باسلامه فان حاجته اكيدة الى اعطاء مفهوم للاسلام السلفي حتى تنقلب عن المتناقضات الفكرية بين الواقع والامل وحتى لا يبتعد بعضنا عن الواقع لينتظر اليوم الذي لا نعمل له اليوم ولا ينسلخ آخرون عن الامل ليسلموا بالواقع دون ان يكافحوا ليوم انتصار الاسلام .

ان تيار الفكر الماركسي يفزو العالم الاسلامي لتحويل بناء القد عن الاسس الروحية الاسلامية الى الاسس الماركسية ويعوض على العالم الاسلامي اوضاع التاريخ المغربي الذي تولد عن صراع الطبقات بل يذهب بعيدا حين يقارن بين الاسلام والكنيسة التي ساندت

لقد نسج تاريخ المغرب الحديث من لحمية العروبة والاسلام . ولا تكاد تلوح في الافق الدولي احداث الا ويظهر المغرب مدى استجابته لفكرة العروبة والاسلام . وليس معنى هذا ان المغرب لا يعرف التيارات الغربية او لا يتأثر بها مطلقا . ولكنه كشعب اصيل لا يقتبس منها الا ما يوافق اسس ثقافته اسلامية ويخضعها لمقاييس دقيقة من النقد دون ان يسير وراء الشعارات المزيفة . والمغربي فطرة خارقة على النقد الفطري الذي يميز به ما يساير اصالته او يبعده عنها .

وفد رحل المغربي منذ قرون الى ارض الرجل الغربي . وكتب الرحالون مات التأليف عن ارتساماتهم وأرائهم في الحضارة الغربية ، وكادوا ان يتفقوا على مادية الغرب ومطامعه . ويحسدونه في نفس الوقت على نشاطه وتنظيمه . . . وحملوا منذ قرون تقارير الى بلادهم عن حضارة الغرب ومزايا تمدنه وادركوا منذ قرون ان قوة الرجل الغربي في تنظيمه وتقنيته ، وضعفه وتكالبه المادي ومطامعه غير المشروعة وانحرافات الكنيسة .

ولذلك بادروا بدعوة المغرب الى ان يعبيء قواه لمقاومة المتطلعين الى ارضه وخيراته ، ووقفت الدبلوماسية المغربية تراوغ الرجل الغربي وتلقي في الماء الكدر فتاتا ليتصارع الطامعون ، واعترف الغرب بهاء الدبلوماسية المغربية فلم يجدوا غير القوة بديلا ، وهذا ما كان ينقص المغرب او ما لم يستطع ان يعاجل بتنظيمه .

الاضرار بالمرأة ، فليعلم بأن الله سينتقم منه يوم
الجزاء . قال تعالى : « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن
فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا
تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم
نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزواً واذكروا نعمة الله
عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ،
واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم . » (1)

فنحن نلاحظ أن أساس التربية الإسلامية مرتبط
أقوى الارتباط بعلم الله الشامل العام .

أن الله بكل شيء عليم أساس تربوي يدفع
الإنسان إلى تطبيق روح التشريع وإلى عدم الاكتفاء
بالظواهر اللفظية التي يمكن أن يكون مدلولها بالنسبة
إلى الرائي والملاحظين واضحاً موافقاً ولكنه بالنسبة
إلى التنفيذ الشخصي يكون الفرد فيها آثماً لأن القصد
سيء وفيه تبديل لكلمات الله وتزييف للحق الذي
بني الدين على أساسه .

أن هذا العلم الشامل الذي يجعله الله رقابة
دقيقة على أفعال العباد ، يجعل المؤمن يتوخى الحق

في أعماله والعدل في تصرفاته ، وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا بشر وأنه يأتيني
الخصم فلعل بعضكم يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه
صدق فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم
فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها . » (2)

وهذا الأمر الأخير تهديد للمدعي الجائر لئلا
ينساق مع شهوة التغلب دون أن يتدبر روح العدل
في المعاملات البشرية ، فهو قد يستطيع أن يخدع
الحكام والقضاة ، ولكنه لا يستطيع أن يخدع الحاكم
الأكبر والعدل الجبار ، فهو له دائماً بالمرصاد .

هكذا نتيقن مرة أخرى بأن التربية الإسلامية
ترتكز على تشريع يفيد البشر جميعاً ، وترتكز في
تطبيقه على مقدار العلاقة بين الفرد والله ، فمن جعل
الله متجلباً في نفسه كل حين كان أقرب الناس إلى
الخير وأبعدهم عن الشر .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

(1) سورة البقرة 231 .

(2) هداية الباري لترتيب أحاديث البخاري ج 1 صفحة 223 ، ذكره البخاري في كتاب المظالم وروته أم سلمة .

الشخص في الإسلام

للمعيد محمد عزيز الجبالي

« 3 »

في العدد السابق من دعوة الحق ، أبدينا تساؤلات وتحفظات يوردها البعض ليعارض وجود « شخصية اسلامية » ، فحللنا مفهوم « التعالي » ومفهوم « الوحي » واليوم نقدم تحليلا للحاد لنرى هل الايمان يعارض ، حقا ، الحرية البشرية .

فكرة الاحاد

مشكل : الاحاد .

الحواس ، ولا تصل الى ادراك حقيقته العقول ، لانها حقيقة متعالية . والقرآن يقر بأن امكانية الشك والانكار ضرورية لامتحان الانسان . والسماح له بالحياة والتعبير عن حريته الكلية . وليس رفض « المطلق » الا تأكيداً لحرية المرء ، تلك الحرية التي يرتضيها الاسلام : « وقل : الحق من ربك . فمن شاء فليؤمن ! ومن شاء فليكفر ! » (9:18)

وهل من حرية اذا لم يكن بمستطاع المرء ان يرفض كل فكرة قطعية نعتفية يسلم بها لانها مسيطرة للعادات السائدة ؟ فالقرآن يوبخ كل امعة : « ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على امة . وانا على انارهم مقتدون » (23: 43) . ويضيف القرآن . ساخرا من التقليد والمقلدين : « قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا . » (5: 104) « ... بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ! » (26: 74) . فلاسلام ، اذ يمقت التقليد ، يمقت « الايمان » الذي يسرله العماء الفكري . ان وظيفة الوحي ان يبلور تجاربنا ، ويذكر الحداثيات والدوقيات ، ويعقلن ما هو من طبيعة البرهنة العقلية : « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من

يؤمن المسلم بوجود الله . وتلك تجربة ذاتية . فمن حيث انها شخصية . لا شيء يثبت لنا ان تجربة المنكر لوجود الله غير حقيقية . ليست هي ، كذلك ، تجربة شخصية يحياها الملحد ، ذاتيا وبصدق ؟ اذا كان الله موجودا ، فهو موجود بالنسبة للجميع . فكيف جاز حصول انكاره ؟ لقد اكد القرآن ان الله قد شاء ان يكون خافيا عن البعض ، وجليا بوضوح للآخرين : « هو الاول ، والاخر ، والظاهر ، والباطن » (3: 57) .

فالله هو « الاول » ، اي منبع كل الموجودات (والملحد أحدها) . وعن مشيئته تعالى تصدر كذلك الاراء والتجارب (كالشك في وجود الله) ، والله هو « الظاهر » ، اي بآثاره الدالة على وجوده (وهل الكفر الا مظهر لعمليات تفكير شخص يفكر ؟) . فالملحد ليس بمسؤول عن الحاده ، لان الله « باطن » ، لا تحيط به

الطبقة وحاربت التقدم العلمي باعتباره دينا يؤخر الشعوب .

كما تتقارب الكنيسة من اليهودية ذلك التقارب الذي يبريء اليهود من دم المسيح لمواجهة كل قوة جديدة روحية او مادية ، كل هذه الاحداث تؤثر على الثقافة الاسلامية في المغرب بوسائلها الدعائية .

والواقع ان المكاسب الاسلامية تفرضها مرونة الاسلام وقوته على تخطي الجزئيات الى وعي الحقيقة ذاتها .

فالتطور الفكري في الكنيسة يلتقي دائما مع الاهداف الاسلامية مما يدل على قوة الاسلام وصلاحيته وفهمه العميق لمشاكل الانسان وشمولية ربطه في قوة بين مختلف مظاهر الحياة ومركزتها في اساس كوني عام . وهذا سر قوته رغم ركود العالم الاسلامي وتفاعس المفكرين عن اداء رسالتهم التوجيهية .

والمغرب كقطر مسلم يتصدى لاداء رسالته الاسلامية في تحليل الاسلام وشرحه او في تبليغه لدعوته في انحاء القارة الافريقية والاسيوية والاوربية بتجاربه الحديثة التي لم يستد عودها بعد .

ولم يكن المغرب بعيدا عن موقفه من صراع فكري العروبة والاسلامية بعد الاستقلال . فالعروبة لم تفهم طيلة تاريخه الا على اساس حركتها الاسلامية، ولم يكن مفهوم العروبة ذا صبغة جنسية او سلالية ، وانما كان مفهومها يمتزج دائما بالاسلام ، فلم يعرف المغاربة الا العرب الذين حملوا الى ارضهم الاسلام ولذلك بقي الفكر المغربي لا يستطيع ان يفصل بين العروبة والاسلام ، وهو يدخل عامل اللغة وحده في مفهوم العروبة معتمدا على ما جاء في تعاليم الاسلام من ان من تكلم العربية فهو عربي ، واذا كانت المصالح الاقتصادية والتاريخ المشترك والاهداف المشتركة كذلك عناصر تدخل في تدعيم الفكرة فان المغرب ليزداد اتصالا بالعروبة والاسلامية كما فهمها طيلة تاريخه .

كما ان سكان المغرب ينتمون جميعا الى ارومة من جزيرة العرب وردت الاولى من اليمن في التاريخ العريق وتكلم اللغة البربرية ذات الاصل العربي القديم ثم وردت الثانية بعد ظهور الاسلام تحمل الدين الجديد ، وعاشا معا في المغرب يخدمان الفكر والثقافة ويناضلان من اجل وحدة البلاد ، وتبدو وحدتهما اقوى ما تكون كلما تكتلا لصد المغير والمستعمر ، فالاسلام دينهما والمالكية مذهبهما واللغة العربية وسيلة التعبير عندهما معا .

ويبدو نشاط المغرب في حركة النشر والدعوات المبدئية في المجلات والصحف اليومية ، ومن الحق ان نذكر ان مجلة دعوة الحق حملت امانة تبليغ الدعوة الاسلامية وتحليل الاسلام وقوة المغرب على اداء رسالته في جراحة وتفهم واقتحام للميدان ، كما ان مجلة البيئة رغم قصر عمرها ادت رسالتها فأحسن الاداء ، اما على الصعيد التربوي فالتعليم المغربي بصفة عامة وجامعة القرويين بصفة خاصة وما اسفر عنه الاستقلال من تطور عميق في مناهجها الدراسية لدليل على القوة التي يتزود بها المغربي المسلم ليؤدي رسالته الاسلامية التي هي رسالة انسانية سليمة ، كما لا يمكن ان نتجاهل دور التلفزيون والاذاعة وانتهما في تبسيط المفاهيم الاسلامية وتلقين الجماعة المسلمة المبادئ الاسلامية القادرة وحدها على توعية عقليتنا المغربية ، والسمو بوجداننا الصادق لتحقيق عالم الاسلام الذي نصبو اليه .

وليس من شك ان شخصية جلالة الملك الحسن الثاني لما تتصف به من عمق فكري والتزام ديني واطلاع واسع على فلسفة الاسلام وفلسفة الغرب مما يجعل المغرب يحتل قيادة الفكر الاسلامي المعاصر ، ويجعل علماء الاسلام المغاربة يعملون بثقة ومسؤولية لاداء الرسالة الاسلامية وتحقيق العالم الاسلامي المنتظر .

الرباط : الحسن السائح

بلى ! وهو الخلاق العليم » (36 : 79 الى 81) .

فوجود الله يتطابق والمعنى الذي نعطيه لحياتنا عند ما نعرف كيف تكون انفسنا : انه السلام ، والرحمة ، والحكمة : « عالم الغيب والشهادة » . هو الرحمان الرحيم . هو الله الذي لا اله الا هو ، الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن (. . .) هو الله الخالق ، الباري ، المصور ، له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما في السماوات والارض ، وهو العزيز الحكيم » (49 : 22 الى 24) .

قد تبلغ بعض المراثيات حدا من الضالة او الصفر حتى لا يقدر البصر على ان يراها . فهل ننكر ، مثلا ، وجود الجراثيم لمجرد غيبتها عن الحقل البصري ؟ ان بعض الآلات ، لقوة حركتها تترأى لنا كأنها جامدة . فمثلا ، يقل ، عند الركاب . الاحساس بسير الطائرة الفائسة بفدر ما تزداد سرعتها . فسرعة الحركة لا تنفي وجود الحركة ، بل على العكس ، تؤكد تزايدها ، لانها تخرج عن نطاق ادراكنا المباشر . فوجود الجرثوم ، او الحركة ، او السرعة . موجود بالقوة وبالفعل ، ولكنه منعدم النسبة لمستوى عتبات ادراكنا الحسية . ففي محاولة ادراك وجود الله داخل تلك العتبات . تناقض منطقي ونعسف على الحواس لا مبرر له .

ان ما تؤكد « الشهادة » ليس هو وجود الله ، لانه وجود غير محسوس ، وتلك خاصيته الصميمة : انه وجود لا كالوجودات . فلم يرد المتكلمون اخضاعه لعقل بتمنطق ، ولعلم يفرق في كيف والكم ؟

فاما ان ينبثق الايمان بوجود الله ، عن الوجدان ، عن القلب ، تلك المضغة ذات المنطق الخاص والمنهج الخاص ، والا تجمد مفهومنا لكيثونة الله ، ولم يعد الله الجوهر الاكبر ، جوهر كل الموجودات . فغلطة المتكلمين الكبرى في كونهم لم يعوا هذا الفرق ، فانت مناقشاتهم غير ذي خصب ، وبدون حرارة .

تكتفي الشهادة بأن تنفي تعدد الالهة ، لتثبت وحدانية وجود الله . فالشهادة (في صيغتها التقريرية ،

بوصفها « نطقا باللسان » طبقا لقواعد صوتية ولغوية) تخضع لمنطق المحسوسات : تنفي التعدد حتى لا يحصل تناقض في الاستنتاجات ، والوجود الاسمي يتمتع بالكمال ، ولا كمال مع التعدد . اذن : « لا اله الا الله » . ففي الشهادة تكامل بين نفي واثبات ، بين « نعم » ثقيل الوزن ، و « لا » صارمة .

ومن جهة اخرى : ان ما تؤكد « الشهادة » لا ينال كامل الاعتبار الا لان المرء يتمتع بإمكانية النفي . فالاعتراف والنكران جانبان لنفس الفعالية التي يتعرف بها الانسان على ذاته وهو يعي الاشياء . وادراك شيء ما يكون ، اما مباشرة ، او بواسطة ، واضحا ، او غامضا ، تاما او ناقصا . لكن ، مهما يكن الامر ، ليس باستطاعة المعرفة ان تدعي انها تصل الى استيعاب الشيء المعروف استيعابا شاملا تاما ، اذ كثيرا ما يتبقى مجال ممكن للتأويلات الخاطئة ، وللمعرفة الناقصة : هكذا تتعرض حقيقة كل اثبات الى درجة ما من الشك ان قليلا او كثيرا ، لكنها واقعية ، ولو على صعيد الحقائق العلمية : « انا عرضنا الامانة على السماوات ، والارض ، والجبال ، فابين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان . . . » (33 : 72) .

ليعبر الانسان عن الحرية ، ابي الا ان يتحمل « الامانة » : تقبلها بعزم قوي ، فالتزم واصبح مسؤولا ، اصبح مسلما . (1) فلو ان الانسان امتنع عن قبول « الامانة » ، عن طوعية وحرية ، لكان الرفض ، هو ايضا ، نوعا من الاختيار والحرية بالرغم من كونه ، من الناحية الدينية ، « جحودا » و « كفرا » .

من الممكن لمعارض ان يسأل : اليس الالحاد مظهرا للفضاء والقدر ، تلك القوة القاهرة التي لا مفر من ربقتها الفاشمة . والتي تسد كل منفذ امام الحرية ؟

نعم ، هناك مفهوم « قضاء وقدر » في الاسلام ، الا انه لا يتعارض مع الحرية الانسانية ، اكثر مما تتعارض هذه مع مختلف القوانين الدستورية التي تسيّر المنشآت ، ومع المراسيم الجديدة التي تصدر في كل

(1) من بين معاني لفظة « اسلام » ، الخضوع : الاستسلام لله ، واحترام الوعود مع الله ومع الآخرين ،

والخضوع للمبادئ الاخلاقية والقوانين الطبيعية .
بدل الجذر (س . ل . م .) على الخضوع وعلى السلامة (صحة الفكر والجسم) ، وعلى السلام والمسالة . كل تلك المعاني ، في واقعها ، ترمي الى الانسجام والتناسق مع الذات ، ومع الله ، ومع الآخرين ، ومع الكون .

ليس من ادلة علمية على وجود الله ، او نكرانه ، ولا يمكن ذلك . فالعلم ، على مستوانا ، لا يطعم في اكثر من معرفة العالم (الذي هو موضوع العلم) . ان النسبية تسيطر على مجموع قدرات العلم ، فلا تترك له اي مجال ولا اية طاقة لينزع الى المطلق . يتخذ الباحثون الكون بمجموعه (نعني الطبيعة والانسان) موضوعا لدراستهم . لكن الانسان والعالم كلاهما يمثل معضلة في نطاق ذاته ، وفي علاقات كل منهما بالآخر : الانسان ، والعالم لا يحملان تفسيرهما في ذاتهما ، بل يتضحان معا ، ويتجليان الواحد بالآخر .

من هنا ، نستنتج ان من كان لا يستطيع الاقل ، فبالاخرى انه عاجز عن الوصول الى الاكثر . وامام هذا العجز المركب المربك ، ماذا يتبقى للانسان لتهدئة قلقه الميتافيزيقي والفكري اذا لم يكن يعترف بان الله هو « الذي خلق السماوات والارض . وجعل الظلمات والنور » ؟ (1 : 6) .

يجتهد العلم ، ما وسعه الاجتهاد ، ليبرهن على صلاحيته الخاصة ، ولكن طبيعته الوظيفية تمنعه من ان يبرهن على ما هو اجنبي عنه . فالعلم ، اذن ، محاصر في ميادين خاصة . بالرغم من تعدد جوانبها ، لا تستطيع ارواء ظمئنا الميتافيزيقي ، ولا شحن ذهنتنا بالسكينة ، ولا اباداة القلق من وجداننا . فاني لهذا العلم ان ينفذ الى استكنائه المطلق فيثبت او ينفي وجود الله ؟ .

يدعو الاسلام الى التأمل والحدس واستعمال النظر كي يصل الانسان الى ان يمارس التجربة الباطنية لوجود الله .

« الذي خلقكم والذين من قبلكم ، لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الارض فراشا ، والسماء بناء ، وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم . فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون » (2 : 21 و 22) .
وبضيف القرآن : « وفي الارض آيات للموقنين ، وفي انفسكم . افلا تبصرون ؟ » (51 : 21) .

ان هذا النوع من التأمل الذي يدعو له القرآن تأمل خاص . فهو ، وان حض على المشاهدة ، يعتمد عدم مخاطبة العقل المنطقي ، لان المعقولة مكتسبة ، بوصفها حصيلة لتجربيات ، كما ان العقلانية ، هي ايضا ، صناعة مكتسبة ، فاني لهما حق التشريع في ميدان اصيـل

كميدان الصميمية ؟ الحب لا يعترف بأي منطق ، ولن يستطيع احد ان ينكر وجوده (باسم المنطق) ، والايمان هو ايضا ، حب يحيا ، وليس معادلة رياضية او قضية منطقية : انه كالحب ، يعاش من الداخل ، في تجربة شخصية فذة ، تجربة مساهمة ، ما دام ليس فكرة مجردة يلزم ادراكها . فيجب ان نحس ونحب ما نريد ادراكه ، قبل العمليتين الاساسيتين لكل تفكير مفهومي : التجريد ، والتعميم .

ان نقطة البداية . في الحب وفي الايمان ، هي الاستبطان : الشهادة المنبثقة من اعماق الكائن البشري . اننا نبني معارفنا التاريخية على شهادات الغير ، فلم لا يجوز لنا ان نؤسس اللاهوتيات على شهادات حية نعيشها ، مباشرة ، او نشاهدها مجسدة في سلوك وحياة الآخرين ؟ الحب لا يحتاج الى برهنة ليقنع بأنه يحب ، فالمحبيب هو الذي قد يتشكك في حب محبيه ، فيطالب بحجج على صدق الحب . والمؤمنون يحبون الله ، والله لا يحتاج الى برهنة ليقنع : « او ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ؟ » (29 : 10) . فالتعائير الدينية لا ترمي الى البرهنة على وجود حب وايمان ، ولكنها تفديهما اللحظات الممتازة التي يشعر فيها المحبون بحضور المحبوب ، بمتعة الاقتراب والحوار .

من ذا الذي يستطيع ان ينكر (باسم العقلانية) ، وجود « الحنين الى الوطن » ؟ انه شعور مشترك يتور ، هو ايضا ، على التمنطق ، فلا يشك في وجوده الا من لا وطن له . كذلك الحنين الى الله . فالله وطن المؤمنين : « الذين اذا أصابتهم مصيبة ، قالوا : انا لله وانا اليه راجعون » (3 : 153) .

فالذي لم يمارس ، مباشرة ، تجربة الايمان ، لن يؤمن ، ابدا ، ولكنه كذلك ، لن يستطيع البرهنة على ان الايمان عبث او ليس واقعا معاشا .

ومن جانب آخر ، اذا لم يحي المرء وجود الله ، من باطنه ، ومن خلال تفاعله مع آيات صنعه تعالى ، لا بد من ان تجابهه معضلات ميتافيزيقية ، فتلاحقه وتصارعه ، ويضطر للاجابة على مثل هذا السؤال :

« من يحيي العظام وهي رميم ؟ (36 : 78) .
ويعقب القرآن السؤال بالجواب الاتي :

« يحييها الذي انشأها اول مرة ، وهو بكل خلق عليم (...) . او ليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهن ؟

هناك تآني بين وجودات في الزمان (1) ، لا في الإبدية والخلود ، وهناك أحداث تتتابع الى ما لا نهاية له ، ولكن على ايقاعات مختلفة . فاذا كان من صفات الله الخلود ، فالكائن البشري يتحرك في منظار لامنته ، منظار الـ « ما - بعد » ، أي « الآخرة » حيث تتمتع الارواح ، هي ايضا ، بالخلود . فالموت ليس الا حدا ظاهرا . ويتحلى الله بالقدم . لكن الانسان ، وان كان حادثا في تاريخ التكوين ، قد اكتسب قبسا من الإبدية لانه خلقه فيض مباشر من روح الله القديم :
« واذا قال ربك للملائكة »

اني خالق بشرا من طين .

فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي ،

فقعوا له ساجدين .

فسجد الملائكة كلهم اجمعون » (38 : 76) (2) .

فالآية تدل على ان الله يتحدث عن الانسان ولما يخلقه بعد : فاذا سوّيته . انه موجود « بالقوة » ، في علم الله وتصميماته ، على صعيد « القدم » ، واما وجوده « بالفعل » ، الوجود المحدث ، فسينم بعد ان ينفخ الله فيه من روحه .

اذن طبيعتنا مزدوجة : ابدية وخلود ، بالجواهر ؛ وحداث متناه ، بالوجود الادمي .
وهذه الازدواجية لهي مصدر عطشنا الروحي وتوقنا الى التعالي ، الى تجاوز دنيوية الوجود واستتبار يتابع الوجدان الديني ، وغير الديني . ان الناس يشعرون باندفاع قوي نحو تجاوز الذات ، نحو ملا فراغ الوجدان واذابة اليأس ، والقنوط ، والقلق ، والكآبة ، في رؤية باسمة تجعلهم يأملون ، ويستأنسون بالذي لا حزب له ، ولا عصبية ، ولا جنس : ذلك الذي كان ، وسيبقى ، لا يؤثر في جوهره مؤثر ، والذي جعل بين الناس التساوي الكامل . وكانهم « أسنان المشط » ، كما جاء في حديث نبوي (3) .

لقد اعز الله الجنس البشري لانه ابدعه بنفخ من روحه . و « النفخ من الروح » الالهية ينفي حلول الله في آية ذات بشرية ، ويصون تنزيهه ، وفي نفس الوقت ، يصعد بالانسان الى الاتصال الروحاني بالله . فلا تجسيد للالوهية في الانسان ، في اي انسان ، ولا هجران وانفصام عن الخالق : انه لنفخ تكرم به الله على البشر عامة ، ليظهر افضليتهم على باقي الكائنات .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

1 انظر تآني في القاموس الفلسفي لكلية الاداب ، جامعة محمد الخامس بالرباط .
2 انظر ، كذلك : 32 : 9 .
3 المرشد في الدين الاسلامي ، ج : 4 ، ص : 22 .

عدد من اعداد « الجريدة الرسمية » لتنظم ، وتقنن ، وتعقلن الحياة المعشرية .

نفس الشيء بالنسبة لبينة تعترف بأن الله هو خالق الكون والمهيمن على مصيره ومصير جميع الناس . فإله ، اما طاغية تعمه قدرته القصوى ، فيتصرف دون اعتبار أي قانون سلوكي ، مرة « يشرق » واخرى « يغرب » ، كما يشاء له استبداده المطلق ، واما انه رب مدبر ، يلعب دوره دون اقتعة ، حسب نوااميس تسمح لكل مخلوق بأن يمارس الحرية والمسؤولية ، بكامل الممارسة .

فإله ، في الاسلام ، « يقدر » و « يقضي » ، طبقا لتدبير محكم مسبق ، والى حتمية حكمة طبيعية فرضها في تسيير الكون : « فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا » (35 : 43) . انها سنة ذات شمول واستمرار ، مما يجعلها قانونا يطمئن له العلم والعقلانية : « سنة الله التي خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (48 : 23) . فالفرق واضح بين إله يضع تصميمات محكمة ، ويدبر الكون على ضوئها ، وبين إله (فاطوم) عند الرومان : ذلك القدر الاعمى الفاشم ، أي المحضية الجبرية المتطرفة الهوجاء .

* * *

الدين معطى وجداني لا يعارض المنطق ، وان كان لا يتجلى عن قياس ، أو استنتاج ، أو استقرار . انه معطى يتوقف في مستوى القيم العاطفية التي ينطلق منها الشعور بالذات حيث يتعرف كل فرد على انيته واناه ، ويؤكد وجودهما . فلم نركز اثبات الذات ، بهذه الطريقة التي لا تخضع لمقولات المنطق (أو المناطق) . (1) دون أن نرى في ذلك حرجا ، ونرفضها اذا أريد الاعتماد عليها في احقاق التجربة الوجدانية لوجود الله ؟

فالأخريات ، والماورائيات ، والعلويات ، حقائق لا تمنطق بالطرق العادية . انها من صنف الحقائق التي تحيا ولا تعرض مموضعة ، مثلها كممثل بعض الحالات الوجدانية العميقة ، بل مثلها كممثل الحياة ، سواء بسواء : ان الحياة تشبه البحر المحيط ، في المد والجزر ، وفي صراع أمواجه الألا - منقطع ، ولكنه يستحيل علينا ان نحدد أية موجة لنجعل منها « الموجة النموذج » ، مهما تشابهت مع أخواتها ، فكثرة الامواج ، وسرعة تجدها تجلوان

كل موجة ك « وحدة - في - ذاتها » . ان البحر ، وهو يزار موجا ، يبهنا بقوته وشبابه المدهشين .

الواقع ان الحياة لا تسري ، عمليا ، الا في قللة القلة من البشر : من ورائنا أكثرية « كانت » ولم تعد تؤثر الا بنقل موتها ؛ ومن أمامنا أولئك الذين « (لما يوجدوا بعد) و (نسى-يوجدون) و (سوف-يوجدون) » تم يوجدون ... أما « الحاضر » فليس فيه الا السائرون توا الى مصير ذي باين ، أولهما مفتوح على موت حتمي يحمله كل حي في صميمية الحياة ، وباب منلق يمكن المنطق والعلم ان يسمياه ب « الألا - ندري » أو بسر الاسرار ، أو بمملكة الفموض . وباتي الدين ، دون ان يناقض العلم والمنطق ، فيعطي فروضا يسكن اليها وجدان بعضنا . وكثيرا ما تكون في تلك السكينة سعادة القوم الذين ءامنوا فيزيحون حمل الفموض الثقيل .

العلم يلاحظ ، ويحكمي ، ويصف ؛ والاخلاق تامر ، وتنهى ؛ أما الدين فيجمع بين وظيفتيهما . ويفتح مجالا واسعا لايحات يمكن للعالم وللأخلاقي وغيرهما ان يستغلوها لمصلحتهم ولمصلحة الجميع . هذا مطمح الدين ، انه سبيل الى الله ، على طريق الحرية : « لا اكراه في الدين » (2 : 256) . فلو ان الاسلام بني على الاكراه لتناقض وطبيعة الدين : كل مغامرة روحية وعاطفية لا تتم الا بالعطاء والتجاوب بين التجربة الداخلية والأعمال ، أي بالنية الحسنة : « وانما الأعمال بالنيات » (حديث) .

عند الكثرة الكثيرة من الافراد يتقبل الواحد ذاته بطريقة عفوية ، فيتحدث عن « أنا - ه » ، وعن ال « نحن » كمسلمات لا يتسرب اليها شك ، كمعطيات أولية من باب « السماء فوقنا » ، دون تساؤل عن كيف يتجلى الانسان فينا ، ولا كيف نعني ذاتنا . انهم يقنعون بتجربتهم العفوية .

* * * 1851

اعتراض آخر :

جاء في حديث رواه البخاري وقد أشرنا اليه سابقا ان الله « خلق آدم على صورته » . فيما ان الإله لا متناه ، في حين ان الكائن البشري متناه ، كيف يجوز ان يكون الثاني على صورة الاول ؟

[1] لقد اضطررنا لاستعمال كلمة (مناطق) ، كجمل « المنطقة » ، إذ عجزت المفكر المعاصر عدة انواع من المنطق .

واحد ، ومنبت واحد ، وتذكيرهم دائما بأن أية محاولة للخروج عن هذا القانون العام سيقابل بأنه خروج عن القانون الطبيعي للانسان ، وصروف عن جادة الصواب ومناقضة للحقيقة التي منها انحدروا ، وللغاية التي اليها صائرون .

ومن ثمة تجنب الاسلام كل المضاعفات والمضايقات والمتناقضات التي تصيب المجتمع من جراء وجود مجتمع تميز فيه الاتجاهات والاضاع على اساس الفوارق المالية والمادية ، وبذلك قضى على كل الكوارث الاجتماعية التي غالبا ما تتولد عن شعور خلا يافيه بعدم احتلالها المركز اللائق بها ، في الوقت الذي تحاول فيه خلايا أخرى اشعار تلك بعجزها عن تغيير ما تجده من الالمبالاة ومن اللاتقدير .

وحين ارسى الاسلام قواعد هذا المبدأ الاساسي لقيام علاقات بشرية بناءة وبين مختلف خلاياه ، اعتمد الاسلام لتحبيب الحياة الى مختلف هذه الخلايا ، ما تزخر به هي نفسها من تدافع وتناقض بين البانية منها والمحطمة ، وبين الموجبة منها والسالبة .

وكانت يقظة الضمير التي فرضها الاسلام على معتنقيه ، حين ربط عجلتهم اليومية بواجب الحياة ، وذلك بفرضه اتصالهم به في كل اعمالهم ، ما حقر منها وما جل ، وحين حفلت طقوسه - اي الاسلام - ، وخسة الصلاة باقتلاع عقول الناس واقدامهم من الارض للبعود بها في سباحات رائعة ، الى اجواء بعيدة عن الفحشاء والمنكر ، وفي هذه الاجواء يقيم الانسان لنفسه عدالة ضميرية ، ومن هذه الزاوية يتمكن الاسلام من ايجاد مسؤولية جماعية ، واشتراكية عامة ، في نضاي الذهن والروح البشريين قبل ايجادهما في تطور المجتمع .

وليس معنى هذا ان الاشتراكية الاسلامية التي سنحاول التحدث عنها فيما بعد لا تعير القضايا التقنية والآلية . والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية كل الاهتمام اللازم ، لا . وانما نريد ان نقول ان الاسلام ربط تلك التقنية والآلية ، وهذه المشاكل بضمير الانسان نفسه .

ومن غير شك ان دعاة الاشتراكية الحديثة انفسهم لولا يقظة الضمير التي اجتاحت نفوسهم بما تشربته من شعور بعدم الرضى بالاضاع الاجتماعية التي كانت تحيط بهم ، ولولا ما بلفته ارواحهم من الحساسية وشعور بمسؤولية القيام بعمل حاسم للتخفيف من شعار المظالم الاجتماعية ، ما دام لا يمكن القضاء عليها نهائيا ، اقول لولا ذلك لما امكنهم ان ينادوا بفكرة الاشتراكية هذه . فيقظة الضمير في دعائها ، وشعورهم

سيتم في غير اطار الاسلام ، لان الملاحظ ان الفوارق الاجتماعية الناشئة عن الاوضاع الاقتصادية في بلد ما ، ستظل رغم كل هذه المذاهب الاقتصادية التي من صنع البشر قائمة وان اختلفت حدتها وضراوتها تبعا لما حققته هذه البلاد من رفاهية ورفع في مستوى الحياة للطبقات الكادحة التي ظلت على الدوام كبش الضحية في كل الحركات والانتفاضات التي استهدفت او تستهدف حياة ارغد وعيشا اسعد .

واذا كنا نقول ان الاسلام هو وحده الكفيل بتحقيق ما ظل يتوخاه الناس من تعادلة في المداخل والمصروفات لكل الخلايا التي يتكون منها المجتمع البشري ، فلان تعاقب هذه المذاهب الاقتصادية ، وتعاونها ، اثبت انها غير جديرة بتحقيق ما علق عليها اسحابها والدعاة لها من آمال . اما الاسلام فقد فكر - وهو من صنع الله خالق البشر وموجده والفاهم لاسرار عقليته ونفسيته - في كل الضروريات التي يحتاج اليها في حدود من حرية البحث . والتنقيب ، ضمن قوقعة واسعة . وبوتقة فسيحة من حرية الراي وحرية العقيدة . وصيانة الضمير وصيانة كل الفرض . ذلك ان الاسلام قبل ان يضع للانسان منهاجا او مذهبا اكد في بقين بان على الانسان نفسه ان يؤمن اولا بانسانيته . وثانيا بقيمة الحياة . وان يحرص على ما يحقق تلك الانسانية . ويحفظ هذه الحياة ، ثم بعد هذا سلحه بسلاح من يقظة ضمير . ووعي للاحداث . وسير مع الحقيقة التاريخية والزمنية .

ولابيات انسانية الانسان سلك الاسلام طريقا عكسا في الظاهر . وان كان هو في الواقع الطريق الطبيعي لابيات حفيظة هذه الانسانية . وهذا المسلك هو نفيه البات القاطع للنظام الطبقي والتميز الاجتماعي القائم على غير الفضائل التي تستهدف الصالح العام ، وغير الاخلاق التي تتوخى العمل من اجل المجموع .

وبالقضاء على اللامساواة في الحقوق والواجبات ابعد عن الانسان الفقير والضعيف والمخدول الوهم الخاطيء الذي شاعت غطرسة الاقطاع غرسه في ذهنه ودماعه الوهم القائل بأنه دونها فهما للاوضاع ، واقل منها تقديرا للامور ، وأنه لن يجارها الا في حدوده الضيقة . . وفي نفس الوقت حطم الاسلام بقضائه على اللامساواة صنم الالهية البشرية الزائفة التي اقامها اولئك المنكرون لانسانيته حين توهموا انهم اعظم خطرا عند الله من اولئك الذين اعتبروهم - مفاطرة منهم لانفسهم - انهم دونهم وجعل الاسلام ذلك عن طريق مجابتهم بحقيقة بسيطة وهي انهم من اصل

اتجاهات ومجالات

للاستاذ عبد الكريم التواتي

يوجد حاليا تحت الطبع كتاب « الاشتراكية الاسلامية ، والمذاهب الاقتصادية الحديثة » للاستاذ السيد عبد الكريم التواتي .
وقد اخترنا لقرائنا الكرام فصلا من هذا الكتاب الذي نرجو ان يكون لبنة جديدة في هرم تراثنا الثقافي الحديث .

ونحن نعتقد بأن الثغرة التي منها اوتوا انما هي عدم تفكيرهم - وحتى الساعة - في ربط الاحداث بخالق الاحداث وربها على عكس ما فعله الاسلام - كما سنرى - حين عالج القضايا الانسانية في كل مجالاتها ومعطياتها ...

ونحاول في هذا الفصل قبل المضي في دراسة جوانب الاشتراكية الاسلامية ان نقوم بمقارنة موجزة لاتجاهات ومجالات الاشتراكية الاسلامية والمذاهب الاقتصادية الحديثة ، وخاصة الاشتراكية التي تعتبر اليوم في نظر اكبر الشعوب العالمية المعاصرة ارقى ما وصله التفكير البشري في ميدان علم النفس والاقتصاد السياسي ...

تتفق معنا الاشتراكية الماركسية على ان المظالم الاجتماعية تتميز بوجود طبقات اجتماعية متناحرة ، ونكاد هذه الاشتراكية تحصر مهمتها في ايجاد حلول لخصوص هذه المظالم ، ولكنها تحصر الحلول في خصوص المشاكل الاقتصادية لان - في زعمها - « حل مشكلة هذه المظالم الاجتماعية سيظل كامنا في الظروف الاقتصادية التي تكون هي نفسها في مرحلة الاعداد او الامكان . ولكن ليس حقيقيا ان حلا من هذا النوع

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قرآن كريم
(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) قرآن كريم

راينا من دراستنا ان المذاهب الاقتصادية التي عرفها الانسان او يحاول ان يعرفها ، انما كانت في غايتها وهدفها تسعى لشيء واحد وهو سعادة البشر ، وراينا انها كانت في عمومها تنبثق من ارادة واحدة هي ضرورة البشر للحياة وحيرته ازاء متناقضاتها . او بتعبير ادق ازاء المشاكل الاقتصادية التي ظل الانسان يتخبط فيها آمادا وقرونا دون ان يهتدي حتى الان لمعرفة المخرج من هذا المازق الحرج الذي يأخذ بخناقه ، وفي وطأة شديدة توشك ان تفقده ايمانه بالحياة .

وجاءته هذه الحيرة واصابته تلك الشدة حين تنكب اولئك المشتغلون بالاقتصاد ودراسة مشاكله عن جادة الصواب ، رغم ما يتبجحون به من واقعية وربط للاحداث ببعضها ، اذ لم يخرجوا بعد من دراساتهم الاكاديمية وانما ظلوا في قوقعتها يطوفون .

فليست الاشتراكية الإسلامية صراعا بين الطبقات ، لانه لا طبقات في مجتمع اسلامي حقيقي ، وهي لا تسعى لـ « تعليمك وسائل الانتاج للشعب » والسعي لتثبيت ديكتاتورية الطبقة العاملة (1) ، لان الاسلام القائم على مبدأ الشورى في دقائق الامور وعظيمها ، جليها وحقيقتها ، والمبني على ان الناس متساوون في الحقوق والواجبات ، وان لهم كامل الحرية في الراي والتعبير والعمل ، اقول ان الاسلام الذي له ذلك يتنافى واى مظهر من مظاهر الديكتاتورية ، واى نوع من انواعها .

وليست الاشتراكية الإسلامية ايضا « إلغاء الملكية الخاصة مصدر كل ظلم وجور ولعل حيف في المجتمع » ، لان الاسلام صان الملكية الفردية في حدود عدم عرقلتها المصالح العامة ووجود الجماعة ، فاذا تعارضا كانت المصلحة العامة ووجود الجماعة هما الغالبتين ، فكل هذه المفاهيم للاشتراكية الحديثة هي روح الاسلام باعتبار جوانبها المفيدة .

واذا كانت هذه الاشتراكية الحديثة لما تستفر بعد على مفهوم واضح ، وكانت في كل مفاهيمها ومعطياتها التي نسبت اليها تحمل في طياتها عوامل فنانها فان سدنيتها والقيمين عليها ما ينفكون يشذبون ويرقسون تعاريفها بين آونة وأخرى ، ولكنهم كلما حاولوا التطبيق تبينت لهم نقائص اضطروا معها للعودة من جديد الى المفهوم الاول الذي وضعوه علما على اشتراكيته يحذفون منه عبارات وبضيفون أخرى محاولين بذلك الوصول الى اشتراكية اجتماعية عالمية، اعني الى الاشتراكية الإسلامية .

واذا كان التعصب الديني الاعمى الذي صاحب الحملات الصليبية واعقبها ، واذا كن الجهل المتعمد للإسلام او غير المتعمد ، واذا كان عدم قيام الدول الإسلامية بواجبها التبشيري قد حال دون وقوف العالم غير الإسلامي على هذه الاشتراكية المشوذة ، والتي يحتضنها الإسلام وحده ، ويدعو اليها ، ويبشر بها ، ولا يسعى الا لها ، فان الوقت قد حان لتقوم الدول الإسلامية بدورها فتقف العالم كله على ما ظل ينشده من سعادة ورخاء تحت ظلال نظام اقتصادي واجتماعي يكفل للجميع العيش الارغد ، والحياة الافضل ، والمستقبل الاضمن . خاصة والإسلام صريح في

نشدانه الشمولية الانسانية ، ومعارضته للقوميات الضيقة ، والسيادات القومية . ونحن نعلم ان الاشتراكية العلمية الحديثة - كما رأينا فيما مضى - تؤكد بأنه لا يمكن لها ان تعيش أو ترى النور عمليا وتطبيقيا ضمن مناطق عالمية خاصة لان « زوال السيادة القومية هو الشرط الاساسي والضروري لتحقيق الاشتراكية (2) » .

على أن هناك فروقا جوهرية بين الاشتراكية الإسلامية وبين غيرها من الاشتراكيات الحديثة ، ذلك ان الاشتراكيات الوضعية التي أصبحت الشعار الذي ينادي به عالم اليوم ، وخاصة الطبقات السفيلة والكادحة فيه ، ليست نظاما او مذهبا او تشريعا وضعت خطوطه وبنوده مسبقا . وروعي في وضعها كل المعطيات الاجتماعية في مختلف الادوار التاريخية ، وانما كانت مظهرا تاريخيا . أدت اليه ظروف خاصة ، وكونته اعتبارات أوجدها تصور المجتمع عبر مراحل التاريخة بينما الاشتراكية الإسلامية ، وضعت منذ البداية كاساس للحياة في كل مرافقها ، وانحائها ، وابعادها . وهيأت لكل شيء في عناية ونصميم ، الحلول التي قد تعتبر حتمية ونهائية ، شريطة فهمها في ابعادها العميقة التي تستهدف اولا وقبل كل شيء الرفاهية والازدهار الاقتصادي والروحيين معا .

وفرق آخر بين الاشتراكييتين : الاشتراكية التاريخية . والاشتراكية الالهية وهو انه في الوقت الذي نحتم فيه الاولى أن تكون الطبقات العاملة : العمال والاجراء او البروليتاريون هي وحدها المدعوة لتدعيم الثورة الاشتراكية (3) ، اذا بالثانية تدعو جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الإدراكية - ولا اقول الطبقة اذ لا طبقية في الإسلام - الى الاسهام في المحافظة على النظام الاقتصادي بوصفه رسالة لا يمكن للانسان ان يحيا حياة كريمة بدونها .

وفرق ثالث ، وهو انه في الوقت الذي ترى الانظمة الاقتصادية الحديثة في طبقة ملاكي الارض « طبقة طفيلية كاحقر ما تكون الطفيليات » فهي اذن طبقة ، للجذور الرجعية فيها عمق بل أعماق ، وهي بالتالي عدوة طبيعية للاشتراكية الظافرة اذا بالإسلام او اشتراكيته - كما سنرى في الفصل الذي سنعقده للاصلاح الفلاحي في الإسلام - لا تعطي اية طبقة من الطبقات الخمس : ملاكي الارض ، الراسماليين ،

(1) المرجع السابق صفحة 11 .

(2) المرجع السابق صفحة 14 .

(3) نفس المرجع صفحة 49 .

بمسؤولياتهم تجاه الاوضاع ، وایمانهم المنبعث من تلك
اليقظة والذي دفعهم الى الايمان بان عليهم رسالة نحو
الاخرين ، تشكلت في الدعوة الى هذا المذهب او ذاك ،
اقول ان هذا هو نفسه الشيء الذي استهدفه الاسلام
منذ البداية ، لانه اذا شعرت كل الخلايا بمكانها ، وما
فيها من طاقة ، وعرفت دورها في الحركة العامة العليا ،
وامنت بان حياتها نفسها تتوقف على مدى مساهمتها
لهذه الحركة ، وقيامها بواجبها في الحدود العامة لها ،
وامنت في الوقت نفسه بوحدة الغاية والمصير والهدف ،
فان كل الازمات الاقتصادية ، وما ينشأ عنها من مشاكل
اجتماعية تنحل تلقائيا وتمحي لنفسها وبنفسها .

وقلنا ان عمل الاسلام - بالنظر الى المذاهب
الاقتصادية - كان عكسيا من حيث ان المذاهب
الاقتصادية كما راينا كانت مجرد - او هذا ما اراده لها
اصحابها - حتمية تاريخية تحققت تبعا للتطورات
العقلية للبشر ، بحيث ان طور الاقنن والرق ، يمكن ان
يعتبر البداية لطور الاقطاع ، كما ان هذا بداية لطور
الراسمالية وهكذا دواليك حتى وصل الانسان الى
الاشتراكية بعد اجتيازه طورى البورجوازية والفردية
الفوضوية .

وهذا التسلسل التاريخي لهذه المذاهب ، يبين
بوضوح انها من صنع البشر بينما الاسلام توصل او
قرر منذ البدو هذه الاشتراكية او احسن ما فيها ،
بالاضافة الى احسن ما فى الراسمالية والفوضوية ايضا
من فكرة الانسان التي يعتبرها انسان العالم المتحضر
فى اوربا وامريكا المرهم السحري لكل الادواء التي تعانيتها
مجتمعاته التي لما تعرف طريقها للخلاص بعد .

فالاسلام اذن اراد ان يريح الانسان من كل هذا
العناء ، وهذه الآلام ، وان يريح الانسان كل هذه المعارك
التي استنزفت كثيرا من قواه ، وكلفته كثيرا من الدماء
والضحايا .

واذا كانت الحتمية التاريخية التي يؤمن بها
الماديون واصحاب هذه المذاهب الحديثة ستستمر فى
حركتها الدينامية وبدون هواده ، ويدل على هذا ما
تشبهه التجارب العملية لهذه المذاهب من تناقض على
نفسها ، وما تحمله فى طياتها من بذور فسادها وعدم
صلاحيتها المطلقة لما يتطلع اليه الانسان فان هذه
الحتمية هي التي ستضطر الانسان الى التوقف قليلا
- ولا اقول الرجوع القهقري - لاستكناه الحقائق

الاسلامية فى ميادين الحياة كلها . ويومئذ سيوقن
ويؤمن بان عليه فقط - لتحقيق ما يصبو اليه - ان
يفهم الاسلام فى ابعاده العميقة ، وفى دائرة ما يدعو اليه
من : ايمان بالانسان ، وحرص على الحياة ، ومن يقظة
للضمير ، ثم ما يدعو اليه كل ذلك ويستلزمه من المضي
فى سبيل التقدم نحو الكمال المطلق حيث لا حدود ولا
سدود ولا عراقل ولا قيود .

ونقول للذين سيعرضون بان الحياة فى تطور
مستمر وتحول دائم ، وان هذا التحول والتطور يمس
كل الاشياء ، بما فى ذلك الانظمة الاجتماعية والاقتصادية
الشيء الذي قد يظهر الاسلام بدوره وكأنه حتمية
تاريخية وفقط لفترة ما من الحياة ، وبذلك يفقد
المعطيات الخلاقة التي تتطلبها التحول الدائم والتطور
المستمر ، نقول لهؤلاء : ادرسوا الاسلام اولا ، وحاولوا
استكناه حقائقه ، وحاولوا اخضاعه كمجموعة واحدة
لمشاكل الانسان والحياة ، وبذلك فقط . وحينئذ ،
سوف تتقنوا بان الاسلام - وهو من صنع الله كما قلنا
سابقا - انما كان لاجل تأكيد هذا التطور وذلك
الاستمرار . مع اعتبارية واحدة ، وهي ان يؤخذ الاسلام
عند دراسته فى مفاهيمه العليا التي يظل القرآن اولا ،
والسنة النبوية الصحيحة نائبا - عند عرضه على محك
النقد والتمحيص - الاطار العام والهيكل الخاص ،
للاستنتاجات والدراسات . وان يكونا - أي القرآن
والحديث - هما وحدهما مناط الاهتمام ومصدر
القوانين والكليات .

وانطلاقا من هذه الزاوية فلن تكون الاشتراكية
الاسلامية اشتراكية انتزاعية فكرية ايضوية محضه
« تدعو الناس عامة الى ترك النظام السائد المفعم بالمظالم
والاخذ بنظام جديد صالح (1) » . ولا اشتراكية علمية
قائمة « على ان تحول المجتمع من طور الى طور انما ينبع
من النزاع بين تطور القوى المنتجة وبين الشكل الحقوقي
الشرعي الذي تستثمر بموجبه (2) » . ولكنها - أي
الاشتراكية الاسلامية - هما معا ، وشيء آخر وهو ما
يفرضه الاسلام من وجوب توفر جميع الخلايا على
يقظة ضمير حية تراقب الدينامية الاشتراكية ، كل فى
محيطه الخاص ، ومن زاويته الخاصة وعلى هذا الاساس
الذي يصفه محمد عليه السلام فى كلمته : « كلكم راع
وكل راع مسؤول عن راعيته » ، وكلمته الاخرى :
« انك على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبلك » .

(1) هذه هي الاشتراكية لبورجان ورامبير ترجمة عيتاني صفحة 9 .

(2) المرجع السابق صفحة 9 .

المال نهائي تماما » . وهكذا تكون الماركسية في الوقت الذي تزعم فيه أنها تسير مع الحقيقة التاريخية التي يوجد فيها الإنسان إذا هي تفلق أفق التفكير وتناقض التفتح الذهني والإمكانية العقلية اللذين تفرضهما كل نظرية جدلية في العلم ، ذلك أن الماركسيين يقولون أن المادية الجدلية « تقدم لنا تفسيراً عن كل شيء ، وأنها المفتاح الذي يفتح جميع الأبواب مع أنها تعلم أن المفتاح الذي يفتح جميع الأبواب مفتاح مزيف بالضرورة كما قيل منذ قديم (1) » .

ويذهب (لينين) إلى القول الاتي : « اننا لا نستطيع أن نحذف أية مقدمة أساسية ، ولا أي جزء جوهرية ، من هذه الفلسفة الماركسية ، التي صبت قطعة واحدة من الفولاذ دون أن نبتعد عن الحقيقة الموضوعية ودون أن نقع في الخداع البورجوازي الرجعي (2) » .

ويصدر مثل هذا القول من لينين ثم لا يرى أتباعه أن يصرحوا بأن النظرية الماركسية تتجاوز نفسها وأن تكن « المرحلة المتجاوزة لا توجد منعزلة في ذاتها ولكنها تستمر من خلال نفسها في ذاتها ... » أي « أنه لا تتجاوز دون نفي » .

وكي يتوجوا هذا التناقض الذي بلغ مداه يحاول بعضهم أن ينكر حتى الأساس الذي قامت عليه فكرة المذهب ، وهي المادية الصرفة ينتحل لماديتها روحانية فقد جاء على لسان أحد قاداتها (برد باييف) وهو يحاضر في الاممية بجنيف سنة 1947 هاتان العبارتان : « إذا كانت المادية ممكنة فلأنها تنقل الصفات الروحية إلى المادية ذاتها » و « اني أرى في الماركسية أيضاً ، رغم تصريحات الماديين عنصراً مثالياً قوياً جداً » . وليزيد عبارته تأكيداً وإيضاحاً كتب : « أن المادية ليست علماً بل عقيدة (3) » .

وبعد ، أفلا ينبغي - وقد تجلّى بكل وضوح تهافت هذه المذاهب الاقتصادية الأرضية كلها ، وكشف بعضها عما في البعض الآخر من تناقضات ومفارقات ، وأخذ بعض أصحابها ينادون بوجوب البحث « عن تركيب

يستمد روحه من الرأسمالية ومن الاشتراكية (4) » ، - أن تعود الإنسانية - وهي تبحث لها عن طريق يرشدها إلى الحق والخير والجمال والحب والأزدهار - إلى نظام سماوي ومذهب إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا هذا ما نرجوه ونتمناه لخير الإنسانية وصالحها مخلصين .

هذا ونحب أن نشير إلى أنه قبل الشيوعية والاشتراكية الحديثتين كانت هناك شيوعية قديمة « كان أعضاؤها يعملون في مزرعة جماعية ، غربي البحر الميت ويضعون محاصيلها وكل مكاسبهم في بيت مال مشترك ، ومحظور على أي منهم أن يمتلك لنفسه بيتاً أو فراشاً ، وكانوا يؤمنون بالسلام ويطردون من صفوفهم كل من يصنع أو يساهم في صنع شيء من أدوات الحرب (5) » .

و « الصين تلك كانت تمارس تجربة هائلة بداها الامبراطور (وودي) وأعاد تطبيقها الامبراطور (وانج مانج) . وتنظم هذه التجربة إلغاء الرق ، وتأميم الأرض الزراعية تأمياً كاملاً شاملاً ، وتأميم الملح ، والحديد والمناجم . وثبتت الأسعار (6) » .

كما كانت هناك اشتراكية النبي يحيى عليه السلام أن صرح التعبير ، فقد نقل عنه بعض من سمعوه كما حدث هذا البعض بذلك السيد المسيح عليه السلام بأنه كان يقول : « من له توبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا (7) » . فالاشتراكية حلم من أحلام البشر : قديمة قدم وجوده على هذه الأرض ، وليست فكرة جديدة انبثقت من التقدم الحضاري لإنسان هذا العصر ، وانما كانت امتداداً لمحاولات آبائنا الأولين ، وكانت الديانات السماوية - وهذا ما قد نراه فيما سيأتي - تعمل لفاية واحدة هي اشتراكية الإلهية يحفظ فيها للروح بجانب المادة ما يحفظهما معا ويضمن لهما السلام والإيمان والطمأنينة . وهذا ما لا يتأتى إلا عندما يطمئن الإنسان إلى هذا الدين الإسلامي الذي قال عنه القرآن : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

فاس : عبد الكريم التواتي

- (1) هذه هي الديالكتيكية لبول فولكييه ، ترجمة نيسير شيخ الأرض صفحة 83 - 84 .
- (2) نفس المرجع قبله صفحة 106 .
- (3) المرجع السابق صفحة 113 .
- (4) هذه هي الرأسمالية لفرنسوا بيرو صفحة 148 .
- (5) معاً على الطريق ، محمد ، والمسيح : لخالد محمد خالد صفحة 44 .
- (6) المرجع قبله صفحة 41 .
- (7) المرجع قبله صفحة 56 .

فهذه الحتمية التاريخية التي تقررها الاشتراكية المادية تلك المنبثقة عن الصراع الطبقي وشعور العمال بانحطاط مستواهم المعاشي ، وعدم تلبية ضرورياتهم الذي يدفعهم الى الثورة ، امور منعدمة بتاتا في الاشتراكية السماوية .

واذا كانت الاشتراكية المادية تضع من بين اهدافها وحدة العالم عن طريق ايجاد التقسيم العالمي للعمل ، وترى ان هذه الوحدة أساس لتقدم الانسانية وانتصارها هي نفسها ، فان الاسلام وضع هذه الوحدة اساسا للحياة نفسها ، وحدة المنحدر ووحدة المصير ووحدة الهدف : (ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلکم من ادام وادام من تراب) .

ثم اذا كان الانسان انسان العصر الحديث لم يؤمن بضرورة تحطيم الاطر القومية الضيقة كشرط اساسي لان يحيا الانسان حياة العزة والكرامة ، لم يؤمن بهذا الا بعد ان لمس بيده ، وبفضل الاكتشافات الآلية ، هذه الضرورة ؛ فان الاسلام وضع هذه الوطنية العالمية من بين اهم اهدافه الاساسية ، ففي القرآن نقرأ هذه الآية (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين (1) الخ) . قال في تفسير المنار تعليقا على هذه الآية بعد ان اورد آراء المفسرين سواء « ان الناس امة واحدة لابد لهم ان يعيشوا تحت نظام واحد ، يكفل لهم ما يحتاجون اليه مدة بقائهم في هذه الحياة الدنيا ، ويضمن لهم ما به يسعدون في الحياة الآخرة ولا يمكنهم في هذه الوحدة ومع تلك الوصلة اللازمة بمقتضى الضرورة ان يتفقوا على تحديد ذلك النظام مع اختلاف الفطر ، وتفاوت العقول ، وحرمانهم من الالهام الهادي لكل منهم الى ما يجب عليه لصاحبه ، لما كانوا كذلك كان من لطف الله ورحمته بهم ان يرسل اليهم مبشرين ومنذرين (2) ... » .

وقبل ان اختم هذا الفصل أحب ان لا يفوتني اثبات هذا التناقض السافر في المذهب الماركسي ، وهو تناقض ناتج عن جدلهم الخاص ومنطق ديباليكتيكيتهنم الهيكلية ، ذلك ان الماركسية في الوقت الذي تؤكد فيه بأنها انطلقت من المادية التاريخية التي يكونها صراع الطبقات ، ومن « الضرورة الاقتصادية التي تدفع هذا التاريخ دائما الى الامام » . اذا بها تنتهي - في رأي الماركسيين - الى هذا القول « ان مذهب مؤلف رأس

الاجراء ، المزارعين الاحرار ، واصحاب الصناعات اليدوية والمهن الحرة ، اي حقوق خاصة ، وانما تنظر الى الجميع من زاوية الافيد للمجموع ، والانفع للبشرية كلها .

وفرق رابع وهو انه بينما الاشتراكية الحديثة تؤكد بانها حتمية تاريخية كما يسميها اصحابها ، وقد ادى اليها التنازع الطبقي بينها وبين الرأسمالية على فضل القيمة اي الكسب المتوقع او المقدر من الرأسمالي الذي يعمل ابدا وسرمدا للحصول عليه من وراء مشروعاته الرأسمالية ، اي في الوقت الذي يعمل فيه الرأسمالي على رفع هذا الفضل تسعى الطبقة الكادحة مدفوعة بما يتطلبه رفع مستواها المعاشي الى التنقيص من ذلك الفضل او القضاء عليه نهائيا ، اذا بالاشتراكية الاسلامية التي تضمن مسبقا المستوى المعاشي اللائق والكرام لكل الخلايا التي يتكون منها المجتمع ، بل وتلتزم توفيرها ما يحتاج اليه الكل من الضمان الاجتماعي ، ومن تكافؤ الفرص واسناد الامور الى ذوي الكفاءة - كما سيمر بنا فيما بعد - لا تؤمن بالحتمية التاريخية الا في حدود الزمنية الطبقة التي تلازم الوجود الانساني على هذه الارض ، وبالتالي لا يمكن ان يتصور فيها اي نزاع طبقي، لان البطالة التي تنشأ غالبا عن الاحتدام الطبقي حول الارباح ، لا وجود لها في اطار الاشتراكية الاسلامية ، اذ العمل لجميع القادرين عليه مضمون ومكفول .

ومن المؤكد انه متى انعدمت البطالة ينعدم اهم اسباب الحروب المدمرة تلك التي تأتي على الاخضر واليابس ، وعلى رأس المال الثابت : الادوات والمنشآت والمواد الأولية ، وعلى رأس المال المتغير : اجور اليد العاملة . وانعدمت ايضا بانعدام البطالة الاحتكارات في الاسواق العالمية ، لان الاشتراكية الاسلامية تعتبر العالم وحدة متماسكة ووطنا واحدا لا اوطانا متعددة . والدولة الاسلامية في اساسها ايضا اشتراكية فلن تعمل على الجأ نضال العمال او تحطيم تكفلهم ، لان مهمة هذه الدولة هي الاستجابة لضرورات مجتمعنا بجميع قطاعاته ، والعمل على توفير كل اسباب الرخاء والازدهار ، فليست الجماعات العالمية في حاجة الى تكوين تكتلات نقابية او احزاب سياسية تهدف الى الثورة على الدولة ، لان الدولة هي دولتهم ، ومن اعماقهم انبثقت ، ولاهدافهم تسعى ، وحسب ارائهم تسير .

(1) سورة البقرة الآية 213 .

(2) تفسير المنار الجزء الثاني صفحة 282 مطبعة دار المنار .

حرف الميم :

520 في ص 469 ، ع ل بعنوان ما يلحن فيه العامة ، قال : عدة كتب اشهر من الفها المازني والثعلب الخ ، والصواب ثعلب بدون ال .

521 في المكان نفسه ترجمة موجزة للامام ابي منصور الماتريدي عنوانها بما تريدي مجردا من اداة التعريف على عادته ، وقال فيها كان معاصرا لالشعري والطهاوي ، ولا شك ان المراد الطحاوي بالحاء ، ولكنه تصحف عيله بالهاء من اعتماده على الترجمة .

522 في نفس الصفحة . ع نى تعريف بابن ماجة الامام المحدث المعروف قال فيه : احد الصحاح الستة ، وضبط الحاء بالتشديد ، وهو لا يصح سواء اريد به الشخص وكتابه السنن الذي هو حقا احد الكتب الستة ، المعتمدة في الحديث النبوي ، فلو قال احد اصحاب الصحاح الستة بكسر الصاد وفتح الحاء مخففة لاصاب الهدفين من التعريف بالتشخيص وكتابته ، فيكون لفظ الصحاح حينئذ جمع صحيح مرادا به سنن ابن ماجة ، واما الصحاح بتشديد الحاء فلا وجه له .

523 في ص 471 ، ع ل تحت عنوان مارنيا اعداد التعريف ببلدة مغنية الجزائرية التي سبق له ذكرها في حرف اللام باسم لالمرنية ، ولاحظنا عليه انها بالعين لا بالراء ، وقد جعل سكانها هناك 4000 نسمة . وهنا ارتفع بهم الى 43000 . والعدد الاول اقرب الى الصواب

524 وفيها ع نى تعريف بماريت باشا الاثري الفرنسي ، قال فيه : اكتشف مدافن السقارة ، والصواب استكشف فان اكتشف لا تتعدى لانها بمعنى تنسف ، وسقارة بدون ال لانها معرفة بالعلمية .

525 في ص 475 . ع ل تعريف باليزيدي امام اهل العربية والادب ، عنوانه كما يلي : مبارك (يحيى بن مبارك بن المعرة المقرئ العدوي اليزيدي) وضبط المعرة بفتح الميم والعين وتشديد الراء مبالغة في تسجيل الخطأ ، والمقرئ بفتح الميم ، والعدوي بسكون الدال . . وهذه الاوصاف كلها على ما فيها من طول بقطع النظر من اخطائها لا تعرف الامام اليزيدي الذي هو احد القراء السبعة ، وعليه فوصفه بالمقرئ يجب ضبطه باسم الميم ، واما المعرة الذي جعله اسما لجده اليزيدي فهو من معرات المنجد ، وصوابه المفيرة بميم مضمومة فمين معجمة فياء ساكنة ، وهو اسم عربي متداول ، اما

المعرة فلا نعلم ان احدا سمي به باستثناء قرية الشاعر ابي العلاء . ثم العدوي هو بفتح الدال نسبة الى بني عدى ، وكان اليزيدي نازلا فيهم ، كما ان نسبه اليزيدي هو الى يزيد بن منصور خال المهدي ، وكان يؤدب ولده فعرف به . ولو ان المنجد ترجم لليزيدي في حرف الياء واقتصر على وصفه هذا مع ذكر اسمه يحيى بن المبارك وبقية المعلومات التي اثبتتها عنه لكان ابلغ في التعريف به من هذه الاوصاف العديدة مع ذكره في حرف الميم باسم ابيه مبارك فان احدا لا يعرفه بهذا الاسم .

526 وفي الصفحة نفسها ع نى باسم المتأولة بفتح الميم والتاء وكسر الواو التي بعد الالف ثم لام خفيفة مفتوحة ، ذكر طائفة من الشيعة قال انهم سموا بذلك لمواالاتهم لعلي بن ابي طالب (ض) ولم يتأت لسي مراجعة هذا الموضوع ، ولكني ارى ان هذا الاسم ان كان ما ذكره حقيقة يجب ان يكون الموالية بميم مضمومة فواو وبعدها الف فلام فياء على ما تعطيه قواعد اللغة .

527 في ص 478 . ع ل ترجمة للخليفة العباسي المتوكل تحامل المنجد فيها عليه فوصفه بأنه كان متقلبا يتبع الهوى وانه اضطهد المعتزلة والمسيحيين ، ولم يذكر له حسنة واحدة ، مع انه احيا السنة وامات البدعة ورفع محنة القول بخلق القرآن ، وكان جوادا كريما مغربا للعلماء والادباء ، محبا للعميران كثير الأثار ، وزلته الوحيدة انه كان مبغضا لعلي وبنيه ، ولولاها لكان من احسن العباسيين سيرة .

528 في نفس العمود تعريف بشيخ القراء المصريين محمد بن احمد بن عبد الله متولى قال فيه : له عدة مؤلفات في القراءات منها بديعة الفرد في أسانيد الائمة الاربعة عشر وهي بديعة الفرر بالعين جمع غرة وبها تصح السجعة .

529 في الصفحة نفسها ع نى تعريف بكتاب المجتبى وهو السنن الصغرى للنسائي الذي يعد احد الكتب الستة في الحديث ، ضبط فيه اسم النسائي بكسر النون كانه نسبة الى النساء وهو بفتحها نسبة الى نساء بالفتح والقصر مدينة بخراسان .

530 في ص 479 ، ع نى تعريف بمجنون ليلي ، قيس بن الملوح ، جعل فيه اسم والده المولع بواو قبل اللام وعين اخرة توها انه من الولوع وهو الملوح على وزن معظم اي المغير بالشمس او السفر .

نظرة في مَجْد الآداب والعلوم

أحمد عبد الشاكتون

« 19 »

حرف السلام :

من العجلان ، وهذا خطأ ، فان العجلان بالفتح لا غير ،
واما لقطة فهو بضم اللام مع فتح القاف او سكونها : ما
يلتقط من اللقن ، وهو المراد هنا ، وبضبط المنجد : المرة
من لفظ وهو غير مراد .

(516) في نفس الصفحة ع نى كلمة عن لمطة
القبيلة المغربية المعروفة ، ضبطها بضم اللام وهي بالفتح
كما في معجم البلدان ، ويفهم من كلام المنجد انها منسوبة
الى الدرق اللطية التي اشتهرت بها ، على خلاف ما
يعطيه كلام ياقوت من ان هذه الدرق هي المنسوبة الى
القبيلة ، وهو المعروف . فينبغي ان يصحح ما في المنجد
على معجم البلدان .

(517) في ص 462 . ع نى تعريف بابن لهيعة
العامه المسند المشهور جعله ابن لهيعة بياء موحدة بعد
الهاء وسكون الهاء وفتح الباء وهو خطأ فظيع صوابه
فتح اللام وكسر الهاء بعدها بياء مثناة .

(518) في ص 467 ، ع ل كلمة تعريف بمملكة
ليبيا ، جاء فيها ما يلي : واهم مدنها زوارا . . . برقا ،
والصواب زوارة وبرقة بالتاء ، فيهما ، واملنا نبهنا على
برقة فيما سبق واما زوارة فتقدمت له في حرف الزاي
على الصواب .

(519) في ص 468 ، ع نى ترجمة لابن ليون
التجبي من علماء الاندلس ، معروف ، جعله ابن لئون
بهمزة بدل الباء .

(511) في ص 457 ، ع ل كلمة عن لالا مغنية
بلدة بالجزائر ، جعلها لالا مريئة بالراء بدل الفين ، وذلك
من خطأ الترجمة عن النطق الفرنسي .

(512) في ص 458 . ع ل ترجمة لاحد اباطرة
بيزنطيا لاون الثالث الايصوري كما عرفه هو وجعل
تاريخ ولايته (417 - 440) ثم قال : انقذ القسطنطينية
من وثبات مسلمة بن عبد الملك . ولا يخفى ان التاريخ
الذي ذكره له سابق على ظهور الاسلام ، فكيف ينقذ
القسطنطينية ممن ذكر في عهد الامويين لا .

(513) في ص 460 . ع نى ، قال تحت عنوان
لسان الدين : اطلب الخطيب . ثم اتى بعده يليه بعنوان
لسان الدين ابن الخطيب ، وترجمه ترجمة موجزة جدا .
فتحصل من ذلك انه ذكر ترجمة ابن الخطيب في حرف
الخاء واحال عليها هنا لما ذكر لقب لسان الدين ، وهذا
منهاج سليم ، ولكن الترجمة لسان الدين ابن الخطيب
عقب ذلك ولو باختصار تدل على اختلال المنهاج ان لم
تدل على عدم تحقيق شخصية المترجم .

(514) في العمود نفسه ذكر لعب الكرة وغيره ،
و ضبط لفظ لعب بضم اللام وهو بفتحها او كسرهما لا
غير ، كما في المنجد نفسه .

(515) في ص 461 ، ع ل تعريف بكتاب لقطة
العجلان ضبطه بفتح اللام وسكون القاف وضم العين

جعله المنجد فيها ابن المدير بياء ساكنة بعد الدال ، اسم فاعل من الإدارة وهو خطأ فادح .

(547) وفي نفس العمود تعريف بقبيلة مذحج اليمنية ضبط اسمها بفتح الحاء وهو بفتح الميم وكسر الحاء ، وقال : جدها الأعلى مالك بن ودد ، والواقع أن مالك هو اسم مذحج فليس جدا أعلى ولا أدنى بل أبا . أما ودد فهو أدد بهمزة مضمومة بعدها دال مفتوحة فدال ءاخرا .

(548) وفيه أيضا كلمة عن المرابطين المعروفين بالملثمين من ملوك المغرب ، قال فيها أنهم من الصنهاجة والصواب حذف ال ، فصنهاجة اسم علم معرف بدون اداة ، نه قال عن دولتهم : مؤسسها يحيى بن إبراهيم الجدلي ، وهو الجدالي بالجيـم المصرية فـدال بعدها الف

(549) في ص 491 ، ع ل ترجمة لعبد الواحد المراكشي المؤرخ صاحب كتاب المعجب ، جاء فيها أنه نعلم على ابن زهر ، وهذا قول ينافي التحقيق فإنه ان كان لقيه وهو صغير كما ذكر ذلك في كتابه المعجب ، لم يلزم من لقيه له أنه تعلم عليه وهي عبارة لا تقال إلا إذا كان ملازما له حتى يتخرج به ، والشخص الذي ذكره في المعجب على أنه استأذه ويصح أن يقال أنه تعلم عليه هو أبو جعفر الحميري . . على أن الفريب في ترجمة المنجد لعبد الواحد المراكشي هو قوله : « له نبوغ المغرب في

الادب العربي » والمعجب في أخبار المغرب . فما هو هذا « النبوغ » المعتدى عليه حتى في اسمه ، الذي نحلّه إياه ، ومن أين وصله هذا الصدى ؟ ؟

(550) في ص 492 ، ع ل ترجمة للشيخ مرعى المقدسي صاحب كتاب انشاء مرعى المسمى بديع الانشاء وغيره من الكتب ، ضبط اسمه فيها بكسر الميم والمعروف الفتح ، وضبط المقدس بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال مع الكسر ، والنسبة إلى المقدس كما نبهنا عليه سابقا ، فهي بفتح فسكون مع كسر الدال وتخفيفهما .

(551) في العمود نفسه ترجمة للعلامة المرغيتي صاحب نظم المقنع وغيره . جعله فيها المرغيطي بالطاء ، وذلك من خطأ الترجمة وسمى كتابه المقنع في علم أبى مقرر : سماه المقنع في علم المقرع ، وهو خطأ كذلك سوابه ما بيناه .

(552) في الصفحة ذاتها ع نى ترجمة لمرداس بن ادية الخارجي سماه فيها مرواس بن ودية . وضبطه بفتح الميم وكسر واو ودية ، والصواب كسر ميم مرداس وضم همزة ادية مع فتح داله ونشديد يائه على صورة المصفر .

طنجة : عبد الله كنون



(531) في ص 480 ، ع ل ترجمة لابن تغري بردى المؤرخ المصري ، ضبط فيها تغري بردى بضم اولهما معا ، والمعروف فيها الفتح ، وحقق الاستاذ الزركلي في الاعلام ان نطق الاسم الثاني بجيء بين الفتح والكسر يعني لاوله .

(532) في نفس الصفحة بين العمودين ترجمة بعنوان ابي محجن عبد الله ثم اخرى تليها باسم ابي محجن الثقفي ، وهما شخص واحد فكان يجب ان تدمج الترجمتان احدهما في الاخرى تحت اسم ابي محجن الثقفي ، وهو الصحابي الفارس الشجاع ، ولا بأس بالاشارة الى الخلاف في اسمه بين عبد الله وعمرو بن حبيب بالتصغير وان كان المنجد لم يذكر هذا الاسم الثاني .

(533) في ص 480 ، ع نى تعريف بكتاب المحرر للرافعي في فقه الشافعية . ضبطه بكسر الراء على صيغة اسم الفاعل ، وهو بفتحها على صيغة اسم المفعول لانه حرر ونقح .

(534) في نفس العمود تعريف لكتاب المحكم لابن سيده اللغوي ضبطه بضم الميم وفتح الحاء ونشديد الكاف على وزن معظم توهمنا انه من التحكيم وهو بسكون الحاء وتخفيف الكاف من الاحكام والانتقال ، وقال انه مخطوط في القاهرة مقتصر على ما اشير اليه في مقدمة القاهرة كنونس واستنبول على ما اشير اليه في مقدمة محقيقه ، وقد طبع منه مجلدان .

(535) وفيه ايضا ذكر للمحمل انه كان يحتفل به في القاهرة عند ارسال كسوة الكعبة المشرفة ، ضبطه بفتح الميمين على وزن معمل وهو بكسر الثانية وزان مجلس .

(536) وفيه كذلك ترجمة صغيرة للنبي (ص) تحت اسمه محمد . جاء فيها : تزوج من خديجة فزرق منها فاطمة مقتصر علىها ، ومعلوم ان اولاده عليه السلام سبعة كلهم من خديجة الابراهيم فهو من مارية القبطية .

(537) في ص 482 ، ع نى ترجمة للشاعر ابي الشيص الخزاعي جعله فيها ابا الشص بحذف الياء التي بعد الشين وتشديد الصاد وشتان بين الشيص والشص

(538) في ص 483 ، ع نى ترجمة لمحمد بن ابي بكر الصديق سماه فيها محمد بن ابي بكر القرشي ، وهو كذلك لا يتعرف كما يتعرف بلقب ابيه . وقال : كان من قتلة عثمان ، والجزم بهذه الصورة في القضية ليس من التحقيق ، وقد علم انه انصرف عنه لما قال

له عثمان لو رءاك ابوك لم يرض هذا المقام منك . ثم قال : اوفده علي حاكما على مصر لكنه لم يقو على عمر (كذا) ابن العاص الحاكم فيها من قبل معاوية وقتل . وهذا الكلام يعيد انه لما ورد مصر وجد عمرو بن العاص حاكما عليها من قبل معاوية ، وليس كذلك ، فان عمرا كان ابعد عن ولاية مصر زمن عثمان ، ولما ولى على الخلافة كان على مصر قيس بن سعد بن عباد فاستوحى على منه فولى عليها محمد بن ابي بكر ، فلم يزل بها الى ان جرت وقعة صفين . وبعث معاوية عمرو بن العاص الى مصر فحارب محمد بن ابي بكر حتى قتله .

(539) في ص 485 ، ع نى كلمة عن مخا وهو اسم مرفأ باليمن ضبطه بضم الميم وهو بفتحها .

(540) في ص 486 ، ع ل كلمة عن مختصر الشيخ خليل الجندي في الفقه المالكي ، سماه فيها خليل سليل بن اسحاق ولا محل لكلمة سليل هنا مع ذكر ابن ، فهو ابن اسحاق ولسيله لا سليل ابنه . . وذكر المنجد بعض شروح المختصر ولكنها ليست من التداول ولا من المطبوع الذي يدرس ويستعمل كالحطاب والمواق والخرشي والزرقاني والدردير فلو اشار اليها لكان اكثر فائدة .

(541) في العمود نفسه ذكر مختصر المرئسي المشهور في فقه الشافعية وضبط المرئي بفتح الميم وهو بضمها وفتح الزاي .

(542) وفيه ايضا كلمة عن الكتب المؤلفة في المختلف والمؤتلف من اسماء الرجال ضبط فيها الكلمتين معا بفتح اللام وهي بالكسر فيها اسم فاعل لا اسم مفعول .

(543) وفي الصفحة المذكورة . ع نى ترجمة لابي مخنف الازدى ضبط اسمه فيها بفتح الميم وهو بكسرها مع فتح النون .

(544) في ص 487 ، ع ل ترجمة لاحمد بن المدبر من ولادة العباسيين ، ضبط المدبر فيها بكسر الباء وهو بفتحها مع التشديد ، اسم مفعول من التدبير المعروف في احكام الرقيق .

(545) في ص 489 ، ع ل كلمة عن كتاب المدونة الذي هو من امهات المذهب المالكي قال فيها : الفه الامام مالك ، وهو خطأ فهو من تأليف سحنون الذي قال المنجد انه رواه عن ابي القاسم .

(546) في هذه الصفحة ، ع نى ترجمة لابراهيم ابن المدبر الشاعر اخي احمد بن المدبر المذكور آنفا ،

فلا تتركني بالوعيد كأنني
الى الناس مطلي به القار اجرب
السادس موافقة من كقوله
تقول وقد عاليت بالكور فوقها

ايسقى فلا يروى الي ابن احمر
السابع موافقة عند كقوله
ام لا سبيل الى الشباب وذكره
اشهى الي من الرحيق السلسل

الثامن : التوكيد ، وهي الزائدة . اثبت ذلك الفراء
مستدلا بقراءة بعضهم (أفئدة من الناس تهوى اليهم)
بفتح الواو ، وخرجت على تضمين تهوى معنى تميل .. اهـ

وقال ابن منظور في لسان العرب : وتكون (الى)
بمعنى (مع) كقوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم الى
أموالكم) معناه مع أموالكم . وكقولهم : الذود الى الذود
ابل . وقال الله عز وجل (من انصاري الى الله) أي مع
الله . وقال عز وجل (واذا خلوا الى شياطينهم) اهـ .
فظهر ان استعماله (لالى) بمعنى (مع) صحيح
مستقيم ، وان انتقاد المعترض سقيم .

9 — قال المعترض : وقال (ورنقت صفو زلاله
المعين مما يسوء كل طالب علم) فمن هنا للبيان والتفسير
فكيف يكون الزلال المعين مما يسوء كل طالب ؟ واذا
عدناها للتعليل يكون ترنيق الصفو بسبب ما يسوء
كل طالب علم ، وهو غير مراد الكاتب ، فالصواب :
وذلك مما يسوء كل طالب علم (على الابتداء والاختار .

اقول : لم أقصد (بمن) بيانا ولا تعليل . وانما قصدت
ان ترنيق الصفو مما يسوء كل طالب علم ، الخ . فهي
هنا للتبعيض ، والمبتدا محذوف : التقدير : وهو أي
الترنيق ، مما يسوء ، الخ . وهكذا يفهم اولوا الالباب
أجمعون

10 — قال المعترض : وقال في الكاف التي سماها
استعمارية (وهذا الاستعمال دخيل لا تعرفه العرب)
اراد : لم تعرفه العرب) والا فان العرب عارفة به ،
فالمراد نفي الماضي لا المستقبل . جاء في الصحاح (لا)
حرف نفي لقولك : يفعل ، ولم يقع الفعل ، اذا قال :
هو يفعل غدا ، قلب : لا يفعل غدا ، ولا تنفي الماضي
الا اذا كررت ، أو عوض عن تكرارها ، وليس هذا
موضع الجدل ، لان الفعل في الجملة المنقودة مضارع
جعلته (لا) للاستقبال ، مع ان المراد نفي معرفة العرب
قديمها . اهـ

اقول : من الشائع الذائع في كتب النحاة ، وعلى
السنتهم : العرب لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك
فهل معناه : لن تبدأ ولن تقف ؟ ، بل المراد أنه ليس من
عادتها ولا من شأنها ان تفعل ذلك ، فالمعنى غير مقيد
بالخي ، ولو قلنا : لم تبدأ ولم تقف لم يحصل المراد .
وكلام الصحاح قد ساء فهم المعترض له ، فان قوله :
الا يفعل غدا ، لا يدل على ان (لا) هي التي عينت الفعل
للاستقبال ، بل القرينة (غدا) هي التي عينته له . قال
ابن بونا في الفيته :

واجعل في الاستقبال الامر واقعا
وقل به والحال فيما ضارعا

قال الناظم نفسه في شرح هذا البيت : أي المضارع
ولو نفي (بلا) خلافا لمن خصصها بالمستقبل ، ومن
وروده مع (لا) للحال قوله تعالى (والله أخرجكم من بطون
أمهاتكم لا تعلمون شيئا) اهـ .

فهذه حكاية حال ماضية ، وهي تحكي بالمضارع
كما رايت شاهده في كتاب الله ، ولكن فهم المعترض
منحصر في دائرة ضيقة لانه لم يأت البيوت من أبوابها .

وقال ابن منظور في لسان العرب في الكلام على
(لا) ما نصه : قال الليث : العرب تطرح (لا) وهي منوية
كقولك : والله لا أضربك . تريد : والله لا أضربك ،
وأنشد :

وآليت آسى على هالك
واسأل نائحة مالهـا (اهـ)

فقول الليث وهو من أئمة اللغة : والعرب تطرح
(لا) هو كقولنا أنا (لا تعرفه العرب) الا ان الفعل في
كلامه مثبت ، وهو في كلامي منفي (بلا) ، وقد تقدم أن
(لا) لا تعينه للاستقبال فبطل كلام المعترض .

وقال ابن منظور ايضا : التهذيب : قال الفراء :
والعرب تجعل (لا) صلة اذا اتصلت بجحد قبلها . وقال
الشاعر :

ما كان يرضى رسول الله دينهم
والا طيبان أبو بكر ولا عمر . اهـ

ومثل هذا في أقوال أئمة اللغة كثير .

وقوله (والا فان العرب عارفة به) من أعجب
العجب ، هل يستطيع أن يأتينا بدليل على ان العرب
كانت تعرف الكاف الاستعمارية وتستعملها في كلامها ؟
فانا اتحداه ان يأتي بشاهد واحد عن العرب ، بل لا
يستطيع ان يأتي بدليل من كلام المولدين الذين جاءوا

تقويم اللسانين مستقيم

وَقَدَّعَلْتُ فِي تَعْدِيلِكِ عَنِ الْعَدَالَةِ

لِلدُّوْرِ تَقِي الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ

« 3 »

7 — قال المعترض : وقال : (فان من كان عالما بالنحو في أي لغة كانت يتخذه مصباحا) وهذا التعبير كان أولى من غيره بتقويم اللسانين ، فان مراده : من كان عالما بنحو لغة من اللغات يتخذه مصباحا ، (أي) هذا الاستعمال الغريب ، وظن ان الضمير في (كان) يعود الى اللغة ، فألحق به تاء التأنيث . مع ان الفعل ينبغي ان يكون للعلم المفهوم من اسم الفاعل . وبيان ذلك من كان عالما بنحو لغة كائنا ما كان هذا العلم بالنحو ، فاذا اراد اللغة وجب تقديمها فيقال (من كان عالما بلغة أي لغة كانت) فالفعل الذي يأتي بعد (أي) يعود ضميره الى الاسم الذي قبلها ، وهذه أدنى مراتب الصحة او دنياها . اهـ .

اقول :

قولي : في (أي) لغة كانت — جار ومجرور . في محل نصب متعلق بمحذوف حال من النحو . وكانت فعل تام . وفاعله ضمير مستتر جوازا ، تقديره : هي ، يعود على اللغة . وهذه الجملة في محل جر صفة للغة ، وهذا كلام مستقيم لا اشكال فيه .

وما قدره وزعم اني اردته باطل لم ارده .

وقوله (فاذا اراد اللغة وجب تقديمها فيقال : من كان عالما بلغة أي لغة كانت) انا لم ارد العلم باللغة ، وانما اردت العلم بنحوها ، ولو اردت العلم بها لما وجب تقديم الموصوف مذكورا ، فقد تقدم ما يشفي العليل ، ويروي الغليل في جواز حذف الموصوف واقامة الصفة

8 — قال المعترض : وقال (ينتفع أهل الارض بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك ، فكيف نصل الى غير ذلك) بالجملة ، وهي لا تحتاج الى (الى) التي هي منتهى لابتداء الغاية . فلو قال (من ضوئها ودفئها الى غير ذلك لصح التعبير ، فالصواب : العطف (وغير ذلك) فتكون الجملة (بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك) اهـ .

اقول : ومن قال ان (الى) محسورة في انتهاء الغاية . ولو درست كتابا من كتب النحو المتوسطة لعرفت ان لها معاني أخرى غير انتهاء الغاية فدونك ما قاله الاشموني في شرحه لالفية ابن مالك في معاني (الى) .

قال الاشموني : واما (الى) فلها ثمانية معان : الاول انتهاء الغاية مطلقا كما تقدم . الثاني المصاحبة نحو (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) . الثالث ، التبيين ، وهي المبينة لفاعلية مجرورها بعدما يفيد حبا او بغضا من فعل تعجب او اسم تفضيل نحو (رب السجن احب الي) . الرابع موافقة اللام نحو (والامر اليك) ، وقيل لانتهاء الغاية ، أي منتهى اليك . الخامس موافقة في ، نحو (ليجمعنكم الى يوم القيامة) وقوله :

على أن ابن منظور في لسان العرب قال ما نصه :
والعديد : الكثرة . اهـ . وإذا كان العديد هو الكثرة ، فلتكن
العديدة كذلك ، وعلى ذلك أقول : لو كان اعتراض هذا
المعارض كله مثل هذين الاعتراضين الآخرين لتلقيته بكل
سرور ، ولكن أكثره كان الباعث عليه القصور وسوء
الفهم ، أو إرادة السوء والغش المتعمد للقراء .

وأما قوله : ان (أمثلة) جمع قلة ، فقد نقدم
الكلام عليه مستوفى في الجواب عن النقد الثالث .

13 - قال المعارض : نعود الى الكاف الاستعمارية
التي جرب استعمالها في قول القائل (فلان كوزير لا
ينبغي له ان يتعاطى التجارة) لانه استعمال دخيل ، مع
انه ذكر من معاني الكاف (التعليل) فإذا قلنا : فلان لانه
وزير لا ينبغي ان يتعاطى التجارة ، كان المراد مضمونا
والمعنى واضحا . اهـ .

أقول : انني لا احسن استعمال هذه الكاف ، والله
الحمد . لان طبعي يابها كما يابها طبع كل كاتب تعزف نفسه
من استعمال الالفاظ الدخيلة الاستعمارية التي غزت
لغة الضاد ، وافقدتها جمالها وفصاحتها ، وأنا لا
اعتقد أن المعارض يجهل هذا ، ولكنه ركب رأسه وحاد
عن سواء السبيل بقصد أن يهدم ما بنيته من صروح
الإصلاح فهدم نفسه كما قال المتنبي :

وكم من مريد ضره ضر نفسه
وهاد اليه الجيش أهدي وما هدى

وزعمه أن الكاف الاستعمارية تؤول على أنها
للتعليل زعم غليل ، فقولنا : فلان كوزير لا يجوز له أن
يتعاطى التجارة ، لا يفهم منه أحد أن الكاف للتعليل إلا
إذا كان فهمه غليلا ، فاسمع ايها المعارض ما يقوله ابن
هشام في المغني :

(الكاف المفردة) جارة وغيرها ، والجارة حرف
واسم ، والحرف له خمسة معان : أحدها التشبيه نحو :
زيد كالأسد . والثاني : التعليل ، أثبت ذلك قوم ونفاه
الاثرون ، وتفيد بعضهم جوازه ، بأن تكون الكاف
مكتوفة بما ، كحكاية سيويه ، كما أنه لا يعلم ، فتجاوز
الله عنه . والحق جوازه في المجردة من ما نحو : وي
كانه لا يفلح الكافرون) أي أعجب لعدم فلاحهم ، وفي
المقرونة بما الزائدة كما في المثال ، وبما المصدرية
نحو : (كما أرسلنا فيكم) الآية . قال الاخفش : أي لاجل
إرسالنا فيكم رسولا منكم فاذكروني ، وهو ظاهر في
قوله تعالى (واذكروه كما هداكم) وأجاب بعضهم بأنه
من وضع الخاص موضع العام ، اذ الذكر والهداية

يشاركان في أمر واحد ، وهو الاحسان . فهذا في الأصل
بمنزلة (وأحسن كما أحسن الله اليك) والكاف للتشبيه
ثم عدل عن ذلك للاعلام بخصوصية المطلوب .

وما ذكرناه في الآية من أن ما مصدرية ، قاله
جماعة وهو الظاهر . وزعم الزمخشري وابن عطية
وغيرهما أنها كافة ، وفيه إخراج الكاف عما ثبت لها
من عمل الجر لغير مقتض ، واختلف في نحو قوله :

وطرفك إما جئنا فاجبسنه
كما يحسبوا ان الهوى حيث تنظر

فقال الفارسي : الأصل ، كيما ، فحذف الياء .
وقال ابن مالك : هذا تكلف ، بل هي كاف التعليل ،
وما الكافة ، ونصب الفعل بها لتشبهها بكي في المعنى .
وزعم أبو محمد الأسود في كتابه المسمى (بنزهة الأديب)،
أن أبا علي حرف هذا البيت ، وأن الصواب فيه :

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا
لكي يحسبوا - البيت

شرح الغامض على بعض القراء من كلام المغني .

قوله (جارة وغيرها) أي الكاف المفردة ، منها
كاف جارة ، ومنها كاف غير جارة .

قوله (كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه) المعنى :
تجاوز الله عنه ، لأنه لا يعلم ، أي غفر له لعدم علمه ،
أن ما فعله ذنب .

قوله (كما في المثال) يعني المتقدم من حكاية سيويه ،
وهو (كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه) ، فالكاف للتعليل ،
وما زائدة ، والمصدر المؤول من أن وما بعدها فاعمل
لفعل محذوف تقديره : ثبت ، هكذا أعربه الأمير في
حاشيته على المغني والتقدير : لثبوت عدم علمه سامحه
الله فتجاوز عنه ، والذي حملة على هذا التكلف أن ما
بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها . ولو اعتبرنا الفاء زائدة لم
نحتج الى هذا التقدير كله ، فيكون الجار والجرور
متعلقا بما بعده ، وهو تجاوز .

قوله (قال الاخفش : أي لاجل إرسالنا) الخ ،
فيه أعمال ما بعد الفاء فيما قبلها ، وقد سكت عنه الأمير ،
وهذا يدل على ما رجحته أنا في أعراب المثال المتقدم .

قوله (وقال بعضهم) الخ . يعني أن بعضهم جعل
الكاف في (كما أرسلنا) للتشبيه كما في (وأحسن كما
أحسن الله اليك) لا للتعليل . ومراده بالخاص إرسال
الله الرسول ، وذكر الناس لله وشكرهم له يشملهم

أقول : صدق المعترض ، فإن المعين هو الذي تراه العين ، كما قال البيضاوي ، وهو الماء الجاري ، ولكن أكثر الماء الجاري ، وهو البحر يكون صافيا على الدوام ولا يتكدس ، فإن قيل : أن البحر غير جار . نقول : بلى ، بدليل قول النبي (ص) في الدعاء الذي كان يقوله إذا رأى قرية : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أظللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب البحار وما جرين ، ورب الرياح وما ذرين ، الحديث ، وإذا علمت أن ثلاثة أرباع الأرض يغطيها البحر ، وأن الانهار في أغلب الاوقات صافية ، وكذلك العيون جارية ، ولا تكدس الا عند نزول الامطار وسيلان الاودية تعلم أن الجريان يلزم الصفاء ، والتعبير باللازم وارادة الملزوم شائع في كلام البلغاء . والقرينة لا تبقى شكاً في اني اريد الصافي . وكذلك قول الشاعر :

ان حمامنا الذي نحن فيه
اي ماء بهه وأية نار
قد نزلنا به على ابن معين
ورويننا به صحيح البخار

قوله (على ابن معين) فيه تورية ، فالمقصود هو الماء المعين الصافي في الحمام ، والمعنى الذي ورى به هو الاشارة الى الامام الحافظ ائمة الجرح والتعديل يحيى بن معين . وفي قوله صحيح البخاري تورية اخرى ، فان المقصود بخار الحمام ، والتورية بصحيح الامام الحافظ امير المؤمنين في الحديث ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري . ومن المعلوم أن ماء الحمام غير جار ، ولكنه عبر باللازم واراد الملزوم . والمناقشة في مثل هذه الصغائر من الشطط . والتماس العيوب للبراء .

12 - قال المعترض : وقال (وستأتي في هذه المقالات ان شاء الله امثلة عديدة توضح ذلك) اراد بعديدة (كثيرة) مع أن العديدة هي المعدودة ، قليلة كانت أو كثيرة ، واستعمل (امثلة) جمع القلة مع ارادته الكثرة ، فالصواب مثل كثيرة . الخ .

أقول : صدق المعترض في قوله : ان العديدة ، يراد به المعدودة ، سواء اكانت قليلة ام كثيرة ، الا ان القرينة التي فهم بها هو الكثرة كافية لجعل القاريء يفهم الكثرة . واستعمال اللفظ في احد مدلوليه مع القرينة الصارفة عن ارادة الدلول الآخر شائع في كلام البلغاء جار على الاصول ، لا سبيل الى انكاره فلا يعد عيباً ولا خطأ .

بعد العرب ، ولا يجده أبداً قبل هذا الزمان النحس . زمان الاستعمار المادي والسياسي واللغوي . والذي يؤسفني ان هذا المعترض يعلم يقيناً أن هذه الكاف هي ترجمة (Comme) بالفرنسية ، و (As) بالانكليزية ، و (Als) بالجرمانية ، وأن هذه الكلمات تأتي في هذه اللغات قبل الحال ، وقد تأتي قبل غيرها ، وتأتي للتشبيه ايضاً ، فاستعملها المترجمون استعمالاً فاسداً ، وهو يعلم فساده ، ويجادل بالباطل عمداً ليفطم غيره ويخسه حقه ، وينصب لنفسه عرشاً يجلس عليه ، ولم يدر أن من رام أن يرتفع بالباطل خفضه الحق ، ولو أنه لم يجادل الا فيها لا يعرفه ، وقصر عنه فهمه لهان الخطب وما أحسن ما قال ذو الاصبع العدواني

الله يعلمني والله يعلمكم
والله يجزيكم عني ويجزيني
قوله (ولا تنفي الماضي الا اذا كررت) باطل ، فقد جاء الفعل الماضي في كلام العرب منفياً (بلا) غير متكررة ، قال الشاعر :

ردوا فوالله لاذنناكم أبداً
ما دام في مائنا ورد لورد

قال العلامة المحقق احمد بن امين العلوي الشنقيطي في الدرر اللوامع شرح شواهد همع الهوامع للسيوطي بعد ايراد البيت المتقدم : استشهد به على تعيين الماضي المنفي (بلا) للاستقبال .

ذنناكم ، كففناكم ، وهو بالذال لا بالزاي . ولم اعثر على قائله . اهـ

واستشهد به ايضاً على ذلك ابن بونا في حاشية الفيته . واعلم ايها القارئ الكريم أن المضارع في كلام العرب يأتي بمعنى الماضي في مواضع ، وأن يأتي للحال وللإستقبال بشروط وقرائن ذكرها السيوطي في همع الهوامع شرح جمع الجوامع له ، وذكرها ابن بونا في الفيته . واظن أن المعترض لم يسمع بهذين الكتابين . فضلاً عن أن يدرسهما ، وحسبه ما كتبه القسيس (انسطاس الكرملتي) والقسيس بلوت الفرنسي ، فبهما يصول ويجول ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

11 - قال المعترض : وقال (بين غث وسمين ، وكدر ومعين) ظاناً أن المعين هو الصافي والرائق مع انه الجاري ، وقد يكون الجاري رائقاً او كدراً بحسب أرضه وجريته ومنبعه وعينه وما يحدث فيه . اهـ

من نطفة) (خلق الانسان من سلالة) (ولقد خلقناكم)
(خلق الجان من مارج) .

وليس الخلق هو الابداع الا لله . ولهذا قال في
الفصل بينه تعالى وبين غيره (امن يخلق كمن لا يخلق
افلا تذكرون) واما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله
تعالى لغيره في بعض الاحوال كعميسى حيث قال :
(واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني) والخلق لا
يستعمل في كافة الناس الا على وجهين : احدهما في
معنى التقدير ، كقول الشاعر :

ولانت تفري ما خلقت وبعمـ

فمن القوم يخلق ثم لا يفري

والثاني في الكذب نحو قوله (وتخلقون افكا) اهـ.

اقول : وينقل هذا الكلام يقال : قطعت جھيزة
قول كل خطيب ، ودارت الدائرة على المعترض .

قال المعترض : واحتججه بان الابداع والانشاء
خاص بالله تعالى ، وكذلك الخالق ، وهذا احتجاج
غريب ، فالله تعالى الحي ، وعلى قوله لا يجوز ان
نقول (احياء مآثر العرب وراثهم) الخ.

اقول : انا ما احتججت قط بان استعمال الابداع
والانشاء خاص بالله تعالى ، وكذلك الاحياء ، فهذا
افتراء علي ، وانما قلت : ان استعمال الخلق ، هو

الخاص بالله تعالى ، فليراجع كلامي ، يعلم انه يقولني
ما لم اقله ، ثم يرد ما تقوله علي ، بل الذي ارتضيه
وادعو اليه هو استعمال الابداع والانشاء ، وترك
استعمال الخلق فيما يفعله غير الله تعالى ، فيقال ، فلان
احدث ، او اوجد نهضة ادبية في قومه ، وكذلك فلان
احيي سنة النبي (ص) ، ومآثر السلف الصالح ، وفي
الحديث من احيي سنة من سنتي قد أميتت بعدي فله
اجر مائة شهيد ، وفي كتب الحديث : احياء الموات
ومن احيا ارضا مواتا فهي له .

اما قوله (ينبغي ان نلن البديع الهمداني) فهو في
غاية السخافة ، فنحن لسنا بصدد لعن أحد ، وانما نحن
بصدد اختيار العبارات الصحيحة ونبذ العبارات
الفاسدة ، فأين يذهب بك ايها المعترض ؟

قوله (ولنا مع الدكتور موعد آخر ان شاء الله)
تقدم الجواب عنه في آية الانفال ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح) الآية ، ولولا الحياء والبقاء لانشدته :

ان عادت العترب عدنا لها
وكانت النعل لها حاضره

كتب في مكناس بالمغرب .

الدكتور تقي الدين الهلالي



الإحسان، فالإرسال إحسان من الله الى عباده، والذكر والشكر إحسان منهم في طاعته وعبادته ، وبذلك يشبه قوله تعالى في سورة القصص (77) واحسن كما احسن الله اليك) .

قوله (وطرفك) الخ . هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة، قاله السيوطي في حاشيته على المغني . والمعنى : ان المحبوبة قالت للشاعر - بزعمه : ان جئتنا فاجبس طرفك عني ، وانظر الى غيري ليظن الناس انني لست محبوبتك ، وان محبوبتك حيث تنظر ، وبذلك ييقس حبنا مستورا .

فهكذا تستعمل كاف التعليل ايها المعترض .

قوله (ثم انه لما عاب على القائل قوله لم يذكر له القول الصحيح ، فلنحسب ان القول المذكور دخيل ، فما وجه الصواب ؟ فالبراعة ليست في التخطئة وحدها ، بل فيها وفي ذكر الوجه الصحيح انتهت .

اقول : انا لا اعامل الكتاب كما يعامل معلم الانشاء في المدرسة الابتدائية تلايذه كما تفعله انت ، ثم ان الكاف الاستعمارية تستعمل ضروبا من الاستعمال الفاسد، وقد نقلت عن الائمة معاني الكاف، واستعمالها بأمثلة موضحة من كلام العرب ، لا تبقي لبسا ولا ابهاما، فاذا راعوا تلك القواعد ، وتجنبوا الكاف الاستعمارية التي لا معنى لها . ولا ينطبق عليها كلام الائمة ، فليختاروا ما شاعوا من العبارات ، لان باب التعبير واسع ، وضروب القول كثيرة ، ومن تجنب الخطأ ادرك الصواب . فقولهم مثلا : حضر فلان المؤتمر كمراتب ، فاسد ، لانه من باب تشبيه الشيء بنفسه ، ولا يصح ان تكون الكاف للتعليل ، كما زعم المعترض ، اذ ينبغي ان يقال : ليراقب ، بلام التعليل ، لان استعمال القرآن والمثال الذي حكاه سيبويه كل ذلك يابى ان نقول : حضرت المؤتمر كمراتب ، ويراد بذلك : لاني مراقب .

14 - قال المعترض : ونعود ايضا الى جذبة قول القائل (يجب علينا ان نسعى لخلق نهضة ثقافية) الخ.. اقول في رده : الذي منع استعمال الخلق بمعنى الإيجاد والانشاء ، وخصه بنفسه سبحانه هو الله . والقرآن اكبر حجة في اللغة العربية على المؤمن به والكافر به . قال تعالى في سورة النحل (17) آمن يخلق كمن لا يخلق، أفلا تذكرون) فالذي يخلق هو الله، والذي لا يخلق هو غير الله ، فمن زعم ان غير الله يخلق ، وكان ينتسب الى الاسلام فقد كذب القرآن ، وان كان لا ينتسب الى الاسلام ، فهو جاهل باللغة العربية ، فهما خطئا خسف .

وقال تعالى في سورة النحل (20) والذين يدعون من دون الله ، لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير احياء ، وما يشعرون ايان يبعثون) .

ومن المعلوم ان الالهة التي اتخذوها من دون الله ، منها من يعقل كاللائكة وعيسى وامه ، والصالحين ، ومنها تماثيلهم التي يزعمون ان ارواحهم لا تفارقها ، وهي الاصنام والاوثان . وقوله تعالى أموات غير احياء يصدق على جميع ذلك ، فمن كان مآله الموت فهو ميت ، كما قال تعالى في سورة الزمر (30) انك ميت وانهم ميتون) .

وقال تعالى في سورة الفرقان (3) واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) .

وقال تعالى في سورة فاطر (3) هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض ، لا اله الا هو فأنسى تؤفكون) .

فهذه الآيات ناطقة بان الخلق لا يسند الى غير الله البتة ، لا فعلا ولا اسما ، معرفا او نكرة . وقال تعالى في سورة لقمان (11) هذا خلق الله ، فاروني ماذا خلق الذين من دونه، بل الظالمون في ضلال مبين) فالخلق لا يسند الى غير الله تعالى الا اذا كان بمعنى التقدير كما في البيت الذي أنشدته من قبل ، وهو قول الشاعر :

ولانت تفري ما خلقت وبعـ

ض القوم يخلق ثم لا يفري

او بمعنى الكذب كقوله تعالى في سورة العنكبوت (17) انها تعبدون من دون الله اوثانا ، وتخلقون افكا)

واما قوله تعالى في سورة آل عمران حكاية من عيسى عليه السلام (49) اني اخلق لكم من الطين كهية الطير ، فانفخ فيه فيكون طائرا باذن الله) . كتبت ما تقدم قبل ان اراجع غريب القرآن للراغب ، فوجدت كلامه مطابقا لما قلته ، ولما كنت اريد ان قوله ولله الحمد .

قال الراغب : الخلق : اصله التقدير المستقيم ، ويستعمل في ابداع الشيء من غير اصل ولا احتذاء ، قال (لخلق السموات والارض) اي ابدعها ، بدلالة قوله (بديع السموات والارض) ويستعمل في ايجاد الشيء نحو قوله (خلقم من نفس واحدة) (وخلق الانسان

للهجرة : « وقال انظري أنت الاخرى حتى لا تقولى (1) »
فالتعبير كان شائعا في أسلوب العلماء بمصر قبل القرن
العاشر للهجرة .

ونعى الهلالي المحترم على الكتاب قولهم « اعتنق
فلان الدين » وقصره على الاسلام مع ان التعبير عند
الكتاب عام ، فمنهم من يقول : « اعتنق هذا الرجل
الاسلام » و « اعتنق فلان النصرانية بعد الوثنية »
والاستاذ الهلالي على حق واضح في ان لا حاجة بالكتاب
العربي ان يقول : « اعتنق فلان الاسلام » بدلا من
« اسلم » الا انه خرج الى ان قال : « والعرب لا تقول
ابدا اعتنق الاسلام او اعتنق النصرانية او اعتنق
الفكرة ، وانما تقول : اسلم وتنصر واعتقد كذا وكذا »
ثم قال : « لا يقال ان اعتناق الاسلام استعارة لانا نقول
ليس كل استعارة مستحسنة » وقصره ثانية على
الاسلام ، قال ذلك بعد نقله من لسان العرب ما يفيد
ان الاعتناق في الحرب وانه جائز في المودة كالتعاقب .

وقد ذكرنا اصابته شاكلة الصواب في ذكر الاسلام
اما انكاره استعارة « الاعتناق » لغير الاسلام فمن باب
تجبر الواسع والتشدد على الكتاب ، فقد ورد في بعض
كتب اللغة وهو المصباح المنير ما يفيد ان الاعتناق أحيانا
يعنى « التمسك الشديد » فقد جاء في أخبار فارس
الاسلام في أيام الردة وأيام القادسية وأيام صفين مالك
ابن الحارث الاشتهر الفخعي أنه أصابته ضربة في قتال
بني حذيفة حين ارتدوا « فعاد معتنقا رقبة فرسه .
فاجتمع حوله أصحابه بيبكون (2) » ثم ان الهلالي —
اطال الله بقاءه — لا أحسبه يصر على منع الكتاب من
استعمال استعارة استعمالها الاديب الكبير ابن بدرون
في شرحه للعقيدة البسامة للشاعر الاندلسي المشهور ابن
عبدون قبل عصور كثيرة (3) . فقد ذكر في شرحه
استعارة « اعتناق الدين » . والشرح المذكور كتاب
ادبي مشهور قد أثر في أسلوب الكتاب .

واورد الاستاذ الهلالي الجليل قولاً نقله صاحب
لسان العرب ونصه « ومنه الحديث : اني وهبت
لخالتي غلاما فقلت لها : لا تسلميه حجاما ولا صائغا
ولا قصابا . اي لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع »
وقال بعده : « والعجب من ابن منظور كيف وقع في خطأ
عامي وهو تعديته اعطى الى المفعول الثاني باللام وهو
متعد بنفسه الى مفعولين يقال : اعطاه الله علما . قال

الخضري في حاشيته على ابن عقيل ما يفيد ان تأنيث
« اي » مع المؤنث شاذ كقول الشاعر « بأي كتاب ام
بأية سنة ... » ومن عادة الهلالي المحترم ان يرجع في
الاستشهاد الى لسان العرب وغيره ، وهذا كتاب الصحاح
لنجوهري من أمهات كتب اللغة او من « أماتها » على ما يدعي
لغويون ، ففيه ما هذا النص « تقول : مررت برجل
اي رجل وايماء رجل . وما زائدة . وتقول : اي امرأة
جاءتك واية امرأة جاءتك ومررت بجارية اي جارية ،
واية جارية . كل ذلك جائز » فدعوى الخضري والشذوذ
ساقطة ، وللكتاب الحق في استعمال « في آية مناسبة ،
واية انباء واية لحظة » . ذلك على حساب جواز هذا
التعبير المترجم من اللغات الاعجمية ، فليس استعمال
« اي » على هذا الوجه مسروفا في لغة فصحاء الأمة
وانما هو كما قلت من التعبيرات المترجمة .

ومع ما قدمت ينبغي لي ان لا انسى الاشارة
الى ان استعمال « اي » الذي أوضحه الهلالي الجليل هو
اللغة الفصيحة العالمية لانها لغة القرآن الكريم وهي
اصح وأحرى بالاقتفاء والاقتداء .

ثم جذب — حفظه الله — قول الكتاب « نسي
صديقي وعده ونسيت أنا الآخر » او « نسي هو الآخر »
وذكر ان استعمال « الآخر » هنا خطأ محض والصواب :
« ونسيت أنا ايضا » . وقد اصاب — ايده الله تعالى —
في كون استعمال « الآخر » غلطا محضا . وجزاه الله
خييرا الا ان اضافته ايضا الى العبارة لا يحتاج اليها
قال تعالى : « نسوا الله فنسيهم » ولم يقل « فنسيهم
ايضا » فليس في المعنى ما يستوجب الاشارة الى التكرار
لاختلاف الفاعلين . ومن المتأخرين من يقول « ونسيتانا
كذلك » وليس ذلك بغلط .

واستطرد الهلالي الجليل على عادته في افادة
القراء وامتناعهم بالفوائد الفرائد قال : « وهذا
الاستعمال موجود في اللغة العامية المصرية بابدال
الهمزة راء ، يقولون مثلا : نسيت أنا راخر . والظاهر
ان أول من ارتكب هذا الخطأ عامة الكتاب المصريين لانه
موجود في لغتهم العامية فاستعملوه في الفصحى .. »

ويسمح لي الهلالي الجليل بأن أقول ان شيوع هذا
التعبير أقدم زما مما ظن ، فقد جاء في الاقوال التي
نقلها الشعراني الزاهد المشهور من رجال القرن العاشر

(1) طبقات الصوفية للشعراني « ج 2 ص 159 »

(2) لباب الاداب ، تأليف الامير اسامة بن منقذ الكنانى الشيزري « ص 188 طبعة المطبعة الرحمانية »

(3) شرح قصيدة ابن عبدون « ص 19 » .

عود إلى القواميس

دكتور: صاحب الإضاء

857هـ = 1452م فتح السلطان محمد بن مراد العثمانية قسطنطينية ، المعروفة باستانبول . مع أن مؤلف القاموس - رحمة الله عليه - توفي بزبد ليلة العشرين من شوال سنة 817هـ أي سنة 1414 الميلادية . وفاته وقعت قبل عبور العثمانيين بأربعين سنة . فلذلك يستحيل أن تكون إشارة الفيروزآبادي إلى انقراض اليونانيين مرادا بهما ذكره الهلالي الجليل ، ولا أزيد على ذلك شيئا سوى أن اليونانيين كانوا في عصر مؤلف القاموس منبثين في سواحل آسية الغربية وسواحل أوربة الشرقية الجنوبية ، إلا أنهم ما كانوا يسمون بهذا الاسم « اليونانيين » عند التسمية العامة المصطلح عليها في الدول الإسلامية والدول النصرانية ولذلك ظنهم منقرضين .

ثم ورد علي الجزء السادس والجزء السابع المزدوجان من « دعوة الحق » - جعلها الله تعالى - منارا للمسلمين في العالمين ومرشدة لطلاب العلم واليقين ، وفيهما القسم الثالث من « تقويم اللسان » وفيه كما هو معهود فوائد بارعة واستطرادات ممتعة كما فيه ما يستحق المفاوضة ، فأول ما انتقده العالم الجليل الهلالي على الكتاب قولهم « يمكن أن يجيء في أية لحظة » وما أشبهه من تأنيثهم « أيا » وأورد قول

ورد علي عدد التقويم الثاني - أعني تقويم اللسانين - وأنا مريض فقراته باستمتاع وانتفاع ، ولو كنت معافى لزاد استمتاعي وانتفاعي فبارك الله تعالى الاستاذ الجليل العالم النبيل تقي الدين الهلالي ومد في عمره ، وأنا راج منه أن لا يتسخط ما ذكرته له في هذه المجلة المباركة فهو العالم بأن غاية النقد والتعقيب خدمة لغة العرب الكريمة : لغة التنزيل الكريم ، التي نأمل لها من التقدم - كما يقول الناس - والترقي والانتفاع وطول الباع . و « التطور » ما لكبريات اللغات في العالمين ، التي كانت بالاضافة (1) إلى العربية في عصورها الزاهرة من صغرياتها .

ولم أتذكر شيئا يستحق التعقيب مما ذكره العالم الجليل الهلالي في تقويمه الثاني سوى احتجازه للفيروزآبادي مؤلف القاموس في ذكره « انقراض اليونان » في قاموسه ، ونقض قوله - أعني قول صاحب القاموس - : « واليونانيون جيل انقرضوا » بأن الاتراك العثمانيين فتحوا بلادهم فعددهم منقرضين ، أو كما قال الهلالي - حفظه الله - فذلك الاحتجاج غير صحيح لأن الاتراك العثمانيين لم يعبروا البحر عبرة الفتح لما يسمونه « روم إيلي » وما يليه من بلاد العرب واليونان إلا بعد سنة 856هـ = 1452م. وفي سنة

[1] يغلط ناس من الكتاب المترجمين في استعمال « بالاضافة الى كذا » ويأتون بها بمعنى « زيادة على كذا » والسحيح أنها بمعنى « بالنسبة الى كذا » فإدنى مراتب الصحة أن يقال « مضافا الى كذا » وبإضافته الى كذا » وقد حدثت في مقالتي غلطات مطبعية منها « وقد اعرب ... ما » والاصل « عما » ومنها « للثمار الى غير ذلك » والاصل « وغير ذلك » ومنها « وان اشاعت » والاصل « وان شاعت » من الثلاثي .

تقديم العاطف الذاتي « لا » قبل ايراد ما يعطف عليه ، ولكن هذا من تعابير المتكلمين كما ذكرت وهو من التعابير الشائعة عندهم لا عند الفصحاء .

ويقول في الصفحة — 29 — : « ومن لا يعرف القرآن لا يمكن ان يعرف اللغة العربية معرفة تمكنه من ناصيتها » . اراد « لا يمكنه » وبهذا الحذف جعل موضع الامكان وموقعه مجهولين ، وذلك غير فصيح ولا مليح ، ثم انه شبه اللغة العربية بالعدو الذي يناصي ، قال تعالى : « لنسفعا بالناسية » فالسفع بالناسية والاخذ بها والتمكن منها تدل على العداء والكراهية والقهر والاذلال . ولا نريدها للغة العربية العزيزة . فهذه الكناية البغيضة الى محبي العربية وان لم يرد حقيقتها الاستاذ الدكتور الهلالي ، وانما اراد التبحر فيها وبلوغ اطوارها والاعمال بالنيات .

ويقول « ومجلة الضياء ثمانية مجلدات » بتذكير « المجلدة » والمعروف عند الفصحاء القدماء التانيث ، جاء في بعض الكتب في قول بعضهم « مجلدة حمراء مربعة (1) » وانثا العماد الاسفهاني الكاتب الشاعر (2) وقال ياقوت الحموي : « وهو مجلدة ضخمة تحتوي على عشرين كراسة (3) » والادلة والشواهد كثيرة الا ان الدكتور الهلالي جاري كتاب العصر في تذكير هذا المسمى ولذلك رجوت منه ان لا يقسو عليهم .

ويقول في مقالته — ص 2 — ويسئ الى ادب اللغة العربية بل والى اللغة نفسها « هكذا بالمعاقبة بين حرفي العطف « بل » والواو . ولا يجوز الجمع بينهما عند الفصحاء كما لا يجوز الجمع بين الواو والفاء ، ولكن ناسا من المتأخرين غير الفصحاء استعملوا هذا التركيب . والاستاذ الدكتور الهلالي — حفظه الله — يدعو الى استعمال الفصيح . فلا حق له في استعماله .

هنا أقف القلم عاجزا فاني مريض اكاد اكون حرضا او من الهالكين ، وارجو من القراء ان يبسطوا عذري . في نشر مثل هذا المبحث الذي لا يخلو من جفاف واعتذر الى الاستاذ الدكتور الهلالي من كل ما يرى فيه تقصيرا في مجادلتني اياه فغايتنا واحدة هي خدمة العربية كما ذكرت في صدر المبحث والله تعالى الموفق للانجاح والافلاح .

العراق : قارئ

فارجو من الدكتور الهلالي ان يكون واسع الصدر لتقبل الاصطلاحات كما هو واسع العلم وان يتساهل على الكتاب في كل ما يحتمل التجوز والانتساع والحذف والايصال ، والاستعارة ولاسيما الاستعارة القديمة الاستعمال كاعتناق الدين الذي قدمت الكلام عليه في هذه المقالة ، وله — ايده الله — ان يتشدد عليهم في استعمالهم ما يحدث الابهام والابهام وقلب المعاني وسوء التعبير ، وما يشعر باساءة النقل والترجمة من اللغات الاعجمية ، ونحن الذين نعني باللغة العربية ونقددها — أنا وهو والآخرين — معرضون ابدا للغفلة والزلة والوهم فيها نكتب فضلا عما نتكلم به ، ولكن في مسطورات الكتاب من الغلط ما لا يمكننا السكوت عليه ، وهذا هو الذي حدا الدكتور الهلالي على نشر هذه الفرائد اللغوية . فمن يتشدد بفاظ الناس عليه . فهذا المقال الثالث للاستاذ الدكتور ورد فيه — ص 27 — قوله « فقسّموا الجهل الى قسمين » فمن من الفصحاء القدامى من عدى « قسم » ثلاثيا و « قسم » مضعفا بحرف الجر « الى » لا انه من تعابير النحاة وأشباههم ، وهم على تثبيتهم قواعد النحو — رحمهم الله تعالى — من أكثر العلماء تجوزا وميلا الى ركة التعبير . فالألوف في كلام الفصحاء « قسموا الجهل قسمين » بغير حرف جر وادنى مراتب الصحة « قسموه على قسمين » الا ترى ان صبيان المدارس يقول بعضهم لبعض « قسم عشرين على خمسة » ؟

وهو يقول أيضا في الصفحة — 28 — « وقد ارتقى الكتاب من ذلك الى خطأ آخر » فكيف الانحطاط الى الخطأ الآخر ارتقاء ؟ . ويقول في الصفحة نفسها « فيقولون كتاب مبسط يعني انه ألف بلغة سهلة غير معقدة » فالام والى من ؟ اسند الفعل « يعني » ؟ فهم ضباب والظاهر ان المراد « يعنون » يقصدون ، ولكن الكاتب لكثرة استعمال « يعني » على هذه الصورة من الاسناد يغفل عن توجيه الاسناد سهوا لا جهلا ، فالجملة شب احيانا كتابة لا شعورية — كما يقول القوم اليوم — ويقول في الصفحة — 29 — « لا ليدنيوا بالاسلام بل ليمكنوا من الفصاحة » وهذا من تعابير المتكلمين أعني اصحاب علم الكلام ، وهو مقلوب وأصله « لممكنوا من الفصاحة لا ليدنيوا بالاسلام » فلا يجوز

(1) كتاب اخبار الحلاج « ص 7 » .

(2) خريدة القصر « ج 1 ص 48 قسم العراق »

(3) معجم الادباء : « 2 : 56 طبعة مرغليوث الاولى »

تعالى : انا اعطيناك الكوثر . ولكن لكل سيف نبوة ولكل جواد كبوة والكمال لله .»

فأقول : ان ابن منظور — رحمة الله عليه — كان ناقلا ، فلا يأخذ بقول غيره . ثم ان تعديّة اعطى على النحو الذي نقله ليس بخطأ عامي ، كما ذكر الهلالي الجليل ، ولا بخطأ خاصي وانما هو صحيح غير فصيح ، ويعرف بالرجوع الى الاصل . فالاصل « عطا فلان الى الشيء يعطو اليه عطا » قال الشاعر وهو الشاهد النحوي المشهور « كأن ظبية تعطو الى وارق السلم (1) » ثم قيل « عطا يعطوه » ثم قيل في التعديّة الثانية « اعطاه شيئا يعطيه اياه » ، والاصل « اعطاه الى الشيء » على ما ذكرت آنفا ، ثم احدثت اللام محل « الى » قياسا « فقيل « اعطاه للشيء » فخيف الالتباس ونقلوا اللام الى غير صاحبها فقيل « اعطاه له » كما جاء في منقول صاحب لسان العرب ، وشاهده قول الشاعر من شعر العصر الاموي :

احجاج لا تعط العصاة منهاهم

ولا الله يعطي للعصاة منها (2) وقد استعمل الشاعر الوجهين ، اما المتأخرون فقد استعملوه كثيرا لما نقرأ في وفيات ابن خلكان (3) وغيرها ، كانتقاء ابن الخشاب البغدادي لمقامات الحريري (4) ، وشرح البسامة المتقدم ذكره (5) ، والمنظّم لابي الفرج ابن الجوزي في قول بعض الشعراء « بعشر السذي اعطيته لابن حيوس » .

واستعمال اللام مع مفعول اعطى الثاني اهون من استعمال الاستاذ الهلالي الجليل اللام مكان الباء في قوله : « ولم يصرح قط باللفظ المخصص لهذا الحدث (6) » .

فان الفصحاء قالوا « خصصت الشيء بكذا تخصيصا فهو مخصص به » لا مخصص له ، وغير الفصحاء كابن بطوطة الرحالة الكبير يستعملون ذلك كقوله : « وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين (7) » ومذهب الهلالي العالم الجليل الدعوة الى استعمال الفصح .

وتطرق العالم الفاضل الى تخطئة من يستعمل « نكران الذات » بمعنى الايثار الصحيح المليح ، ثم قال : « وضد الايثار هو الاستئثار ويسميه جهال الكتاب « انانية » نسبة فاسدة ، الى لفظ أنا وهو ايضا من الترجمة الفاسدة ... » واختيار الاستاذ وصف « جهال الكتاب » لا يوائم مقامه وهديسه ، فالانانية اصبحت من المصطلحات العربية العامة التي لا ينبغي وصف مستعملها بالجاهل ، فقد شاعت في العالم الاسلامي قبل عصر « ابن كمال باشا » وذكرها هو في رسالته النقدية المشهورة ، وليست نسبتها فاسدة بعد ان صارت اصطلاحا ولا مشاحة في الاصطلاح بعد شيوعه . ألم يقل هو في مقالته هذه : وهذا التعبير ايضا من استعمار لغة الاجانب (8) فالاستعمار كلمة رحمانية قرآنية « واستعمركم فيها » ولكن الاستاذ الهلالي جاري اهل العصر في استعماله للمكروه . فزيادة النون في « الانانية » كزيادتها في « الرهبانية » بفتح الراء نسبة الى الراهب . وزيادة النون في الكلم العربية من مستحبات العرب ولا سيما المنسوب اليه منها ، كالبراني والجواني والشعراني والليثاني ، والمنظراني والروحاني والنفساني ، والمصادر كالشكران والكفران والعرفان والجولان والغليان والغثيان والعشيان ، فلننون فائدة موسيقية بارعة ولذلك اتخذت تنوينا ، بل اضافة العرب اياها الى الصفات كالرحمان والعطشان . وحديث النون طويل .

- (1) الكامل في الادب للمبرد « ج 1 ص 58 طبعة الدلجموني »
- (2) مصارع العشاق « ص 201 » وكتاب الاغانى « ج 16 ص 26 » .
- (3) الوفيات ج 2 ص 114 طبعة طهران .
- (4) ص 10
- (5) شرح القصيدة المذكورة « ص 12 » .
- (6) دعوة الحق ، في المقالة نفسها « ص 20 » .
- (7) رحلة ابن بطوطة « ج 18 طبعة مصر » .
- (8) ص 27 من المجلة .

للأحياء والاموات ، فزنة كفتة عربية ، فهي فعلة للمفعول ، كالشربة والمضفة والقمة . وقالت الفارسية أنا صاحبة الكفته ، فهي اسم مفعول من كفتن ، أو كوفتن ، والتاريخ يشهد لي بأنني صاحبة الكوفته أو الكفته ، كما أنني صاحبة الكباب الذي تسموه الطباهجة كذلك . وأنا صاحبة الطباهجة ايضا . وهل دار بخلد احدنا ، ان كلمة « رصيد » المستعملة في المصارف غير عربية ؟ نعم انها معربة عن الإيطالية التي سبقتها بينوكها Residus وسألني استاذي في الإنجليزية ، بكلية آداب القاهرة - وأنا طالب بها - المستر Astbury عن معنى كلمة « تطوان » ، فقلت له انها تطاوين ، فيكون معناها بالإنجليزية مدينة الشاي Tea town وحاول اللغويون لكلمة الثور اشتقاقا عربيا ، مع انها يونانية الاصل . وقال بعض مؤرخي العصر الاسماعيلي ان حرطاني ، اسلمها حرطاني ، والتمست لكلمة شريف الإنجليزية Sheriff اصلا عربيا مع انه Scirgerefa في الإنجليزية القديمة السكسونية . وربما ياتي زمان يأتي فيه مدع ان كلمة قهرمان عربية ، لما فيها من القهر ، كما قال الفرس في عدة كلمات حاولوا انضاعها للغتهم . وقد يقول عربي عن اخلاص او غيباء كلمة Gaseosa الإسبانية عربية ، فهي فاروزة ، بمعنى القارورة . مع انها مأخوذة من الفاز ، فهي في أصلها من فقه اللغة نفس الكلمة الإنجليزية Gaseous التي اشتقت كما اشتق غيرها من اليونانية Chaos . وفهمنا لأول ما سمعنا الحياة (البوهيمية) انها البهيمية . وتعرض معنى (الخلاق) الى معنى (الاخلاق) عندهم . وغير هذه الامثلة التي تفوق المئات ، مما يتعرض للخداع اللغوي المجرد الذي لا نحمل مسؤوليته ، او الذي يشوبه التعصب او الجهل او التملق . فيجب ان نحتاط من هذا كله وغير هذا كله ، بتلك البقطة وذلك الوعي المدرك للظروف والملابسات ، زيادة على العلم الراسخ ...

2 - قد يقال ان الكلمة معربة من الفارسية ، وتكون هذه غير أصيلة في فارسيها ، بل يكون أصلها عندنا أو يونانيا ، ثم تفرست فيما بعد ، اذن فالعبرة هذه ان يكون العرب اخذوها وقد تفرست ، يعني نأوها عن الفارسية فعربوها ، كما حصل في كلمة «وانة ومثل كلمة القصر - في البناء - فهي لاتينية ، تربت واخذتها الإسبانية Alcazar التي اخذها الاسبان فالفرس ، فاعتبرت في لغتهم عربية ، مع فارسية الاصل . ولعل من هذا كلمة اقليد ، التي

تعتبر معربة من كليلد الفارسية ، مع ان هذه في أصلها يونانية ، وكلمة ابريز وطاجن وكافور وكيمياء وكورة ، فجميع هذه يونانية الاصل وكلمة سكر وباذنجان الهنديتي الاصل ، وكشكول الآرامية الاصل . وهناك اخرى تتوقف فيها ، مثل رزق التي يقال انها مأخوذة من الفارسية ، روزك ، وهي في الآرامية روزيكا ، بالكاف الفارسية فيها .

3 - في النظر الى كون الكلمة معربة ، لا بد ان نلتمس قرابة المعاني بين الكلمات المعربة وبين اصولها، ان لم يمكن التماس المعاني نفسها في نفس الاصول ، وهذا يبدو واضحا للناس ، وان شذ منهم من يعتمد على اجراس الكلمة ، لأول ما يعتمد ، ومن هذا كلمة طرة الكتاب ، فالطرة في العربية الاولى معروفة بمعنى الحياة الحسنة والجمال وحاشية الشيء عموما ، وقال الليث الطرة طرة الثوب ، وهي شبه علمين يخاطان بجاني البرد على حاشيته ، وقال الجوهري الطرة كفة الثوب ، وهي جانبه الذي لا هذب له ، والطرة من الشعر . سميت بذلك لانها مقطوعة من جملته ، لان الطر من معانيه القطع والقص ومنه طر شاربه اي قصه والطرة الناصية ، الى غير ذلك من المعاني المذكورة في معاجم اللغة الاولى . اما الطرة التي نغنيها ، فهي معرب طفره ، واصلا علامة تذييل بها المناشير ، كما في معجم الشيخ رشيد عطية . ولعل استعمال الطرة في المعنى المقصود بطرة الكتاب ، كان من المغاربة ففي اساس البلاغة هذه العبارة « وسمعت المغاربة الدرر على الطر ، وهي حواشي الكتب » . وهذا الاستعمال وان كان قريبا مما نغنيه الا انه لا يدلنا على انه عربي النشأة ، فكثيرا ما يحتال اصحاب اللغة على ان يقاربوا بين المحدث وبين القديم ، فالسينما ارادوا ان يسموها « سيما » ، والجنرال اراد بعض الاساتيد الكبار من المصريين او اقترح ان نسميه « الجرار » . ومن المتأخرين من اراد ان يجعل « الاهواز » عربية فهي الاحواز . كما قال السابقون في « آبادان » انها عبادان ، نسبة الى عباد ، وخرجوا من ذلك بنتيجة عجيبية ، وهي ان من علامة النسب في العربية الالف والنون ، وبهذا تكون عبادان عبادي . وكان عوامنا يسمون التلفزيون طير ابقار (بنطق القاف كافا فارسية) . وسمعت من بعض نساءنا من يقول فلان في المقعد (اي المقعد) . والمناسبة في هذا كله معقولة ، وان جاءت قضاء وقدرنا وبدون قصد للتعريب في بعضها . وفي الشرق قالوا لمجفف الشمس المعروف ، قمر الدين ، وفي السودان (ينطقون هذه القاف كافا فارسية كذلك) مع انه

العرب عن الفارسيين

للأستاذ محمد بن نأويت

وصوت الماء والوسع في الاماء والحباب ، وتمعرف
الخنجرة والخنجر (بالفتح) والخنجور (بالضم) في
غزارة اللين من الابل ، كما قال الاصمعي . وقال
الليث تلميذ الخليل الخنجرة من الحديد والخنجر
بفتح اوله وكسره السكين .

هذا ما في المادة ، ولا يعرف منها فعل ولا غيره
من المشتقات ، كما تنتفي القرابة اللغوية فيما بينها ،
ولهذا لا نجد لها ذكرا في معجم مقاييس اللغة ، لابن
فارس مثلا . فهل يعني الليث أن الكلمة عربية في
اصلها ؟ هذا ما لا يمكن البت فيه . . . وثاني الفارسية ،
فتقول ان الكلمة مركبة من خون ، دم ، وكر (بالكاف
الفارسية) للدلالة على محدث الشيء ، فيكون هنا
مسيلا (للدم) فهي من ادوات الفاعلية ، المعروفة في
العرف الفارسي ، مثل هنكر ، وزركر ، وتوانكر ، او
اسم آلة ، فأصلها خنجر (بالجيم الفارسية) . وهو
سكين له حدان ، كما يقول شمس الدين سامي في
معجمه التركي . وهذا النوع كان معروفا عند الفرس
وبه طعن عمر رضي الله عنه ، وهو القائل : المرء مقتول
بما قتل به ، ان سيفا فسياف ، وان خنجرا فخنجر .
اما كون احدي بنيتة توافق بناء الآلة في العربية ، فلا يدل على
كونها في الاصل منها ، كما لا يدل استعمال عمر لها على
ذلك . سمعت استاذنا حفظه الله ، سيدي العباس
بناني ، يقول ان « الكفتة » عربية مستدلا على ذلك ،
بقوله تعالى : « ألم نجعل الارض كفانا احياء وامواتا » ،
لما فيها من جمع وضم ، كما هو لهذه الارض الجامعة

اذكر اني تناولت هذا الموضوع بما نشر على
صفحات هذه المجلة اواخر سنة 1959 او اوائل سنة
1960 . وذكرت لذلك شواهد من الشعر الجاهلي .
وها انا اعود الى نفس الموضوع بتناول اشمل وبمعرفة
اوسع ، وان كنت في الواقع لا اجهل ان التعرض
للمعربات يقتضي من صحبه ، ولا اقول صاحبه ،
تضلعا في عشرات اللغات واللهجات القديمة ، ساميها
وحاميها على السواء ، الى جانب التضلع في تاريخ تلك
اللغات واللهجات كذلك . وهذا لا يقوى عليه الا
الجماعات الممتازة في علمها ، الدأبة في عملها ، وهو
ما كانت تقوم به ، وما زالت تقوم ، المجامع اللغوية
في البلاد العربية .

ولهذا فلا ندعي لما نقوله في هذه المعربات كلمته
النهائية ، وكل ما نقوله اننا عكفنا على هذا الدرس واننا
بما لدينا من معلومات ضئيلة او غير ضئيلة استطعنا ،
في قرارة انفسنا ، ان نصل الى هذه النتائج التي
استرحنا اليها ، ولو الى حين . . .

وقبل ان ناتي بمعرباتنا عن الفارسية ، لابد ان
ننبه الى اشياء تعترض الباحث او المهتم بالموضوع :

1 - مسألة الاشتقاق نركن اليها ركونا متيقظا
واعيا مدركا للظروف والملاسات غير متمحك ولا
متعصب ، والا فان الباحث يحيد عن مهمته . مثلا
نجد كلمة خنجر ، تتجاوزها العربية والفارسية ،
فالعربية تعرف الخجر ، في شدة الاكل والجبن والنتن

لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي والخفي منها ، وجمعهم لما شذ وتفرق ، ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال ... » الى ان قال : « واول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر ... وقيل بل اشار عليه به الهرمان لما رآه يبعث البعث بغير ديوان ... »

والآن نتقل الى امثلة المعربات من الفارسية ، مرتبينها على حرف المعجم :

* * *

الاجر . معرب بالكاف عن الفارسية ، وفيه لغات اجر بالتشديد والتخفيف ، واجر . قال سيبويه في الكتاب « الفوه بعاقول » ، وله زئات اخرى .

الازاد ، معرب آزاد ، وهو ضرب من التمر ، وقد جاء عنهم في الشعر :

يفارس فيه الزاد والاعرافا
والنابجسي مسدفا اسدافا

قال ابن دريد في الجمهرة ، الزاد يعني الازاد ، ولا شك في ان ارد فارسي بمعنى الحر في الاصل (.

اشوب . معرب عن آشوب الفارسية ، قال سيبويه ومثل ذلك تغييرهم الحركة الي في زور ، يفتح فسكون ، واشوب . فيقولون زور ، بضم الاول) واشوب . وهو في جمعة الاشائب الاخلاط من الناس ، قال الاخفش بن شريك :

فسوارسها من تغلب ابنة وائل
حماة كمساة ليس فيهم اشائب

وقال النابغة الذبياني :

ونعت له بالنصر اذ قيل قد غدت
كتائب من غسان غير اشائب

وقالوا انه جمع اشابة . وعلى كل حال فاشوب . معرب اشوب ، كما نص عليه سيبويه في الكتاب ، ثم الجواب في المعرب .

ابريسم ، وهو الحرير ، معرب أبرشم ، قال الترمذ :

امسا اعتمت ذرى الاجبال
بالقز والابريسم الهلال

ابريق ، معرب عن آبره ، وهو في اصله الفقهي ، طريق الماء ، او صب الماء على هيئة ، فيكون مركبا . اسم ومادة اصلية من رهيدن او رهادن - ره ، عدي بن زيد العبادي :

ودعا بالصبوح يوما فجاءت
قينة فني يمينها ابريق
وقيل هو ابريه ، في الاصل .

ابزار ، معرب افزار او اوزار
الأترج ، معرب أترنج او ترنج .
اجاص ، معرب انجاص .

الاخوان ، او الخوان ، بضم اوله وكسره ، معرب خوان ، بفتح اوله مفخما ودون ذكر الواو ، قال الشاعر :

كثير الى جنب الخوان ابتراكه

اخور . معرب آخور ، وهو مأوى الدواب .
الارندج . وهو الجلد الاسود كما قال صاحب القاموس : او الذي يدبغ بالعفص حتى يسود ، ويقال له اليرندج كذلك ، وهو معرب رنده الفارسي ، قال الاعشى :

عليه ديابوؤ تسربيل تحته
ارندج اسكاف يخالط عظملا

الاسيد ، وهو ذكر البراذين ، معرب اسب ، بزيادة الدال ، عربيه طرفة ، في قوله يخاطب عبد القيس :
خذوا حذرکم اهل المشقر والصف

عبيد اسبد والفرس يجزى من القرض
الاسبانج ، معرب اسفانج . وهو بقل يشبه السلق ، بسلق ورقه ويوكل .

الاسبيداج او اسفيداج ، وهو الرصاص الابيض ، معرب سفيدانك ، وهذا في اصله مركب من سفيد الفارسية ، وآنك العبرانية

الاستاذ ، معرب استاذ ، وهو في اصله الماهر في اي شئ ، ففي كتاب حبيب السير ، المؤلف بالفارسية في القرن السابع ، يذكر ماهرا في الرمي بالمنجنيق ، بالوصف (استاذ) استادن - است ، بمعنى الوقوف والقيام على الشئ

الاستار ، بمعنى الاربعة ، معرب جهار ، قال جرير :

ان الفرزدق والبعيث وأمه
وابا الفرزدق شر ما استار

الاستبرق . معرب استبره ، وهو الديباج الفليظ ، ويقال ان اصله استفوه ، والواقع ان الحروف الثلاثة حلت محل V في الاصل .

الاسطوانة ، معرب استون ، بمعنى الدعامة والقوائم .

الكائن الحي ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . ومثله في عاميتنا كلمة خرابي الاسبانية وسيروب الفرنسية وطريقا الاسبانية وطوياف الفرنسية وطرسانة التركية ، مع أن الجميع عربي الاصل .

ولهذا فإن العائشين الذين يعيشون الفارسية الآن ، ومنهم الفرس أنفسهم ، ربما لا يرون فيما يذكر لهم من معربات ما نراه نحن ، أو رآه اللغويون قبلنا بنحو ألف سنة أو يزيد ، مما نقل عن الخليل أو سيبويه أو الاسمعي والليث والكسائي ثم عن الجاحظ أو ابن قتيبة وأبي علي الفارسي وأبي الفتح بن جني وأبي منصور الثعالبي وأبي بكر بن دريد وأبي إبراهيم الفارابي وأبي منصور الهروي وأبي الحسين بن فارس وأبي نصر الجوهري ، وجل هؤلاء فرس في بيتهم ولغتهم ، وعمدة في علمهم .

وأخيرا ، وكان يجب أن يقدم أولا ، فقد ارادوا أن يفرقوا بين الدخيل والمغرب ، فجعلوا الدخيل مابقي على حاله . أو شبهه من هذه الحال ، وبذلك يكون ما زال اجنبيا عن العربية ، فهو دخيل فيها ، أما المغرب فقد اتخذ له حلة العربية ولو بقبوله لاداة التعريف ، والحق غالبيا بأوزانها المعروفة في العربية وهي اصيلة فيها ، أو قدمت قدما مكنها من العروبة . ولهذا نجدهم يلحقون اوزانا طارئة بأوزان أخرى ، غير عربية في الاصل ، ولكنها قدمت فيها ، والامثلة على ذلك كثيرة ، نجدها في كتاب سيبويه ، خصوصا فيما ذكره في « باب ما اعرب من الإجمية » حيث يذكر أن دينار الحقوه بدباس وديباج ، وأن رستاق الحقوه بقرطاس ، ثم نجد ذلك في الخصائص لابن جني ، خصوصا في باب أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . وقد اقترح — كما قيل لي — على المجمع اللغوي ، أن يستبدلوا بكلمة « جمر ك » كلمة « ديوانة » مع أن الاثنين غير عربي في أصله ، إلا أن الديوانة أو الديوان أقدم في العربية من الجمر ك واشيع حتى في غير البلاد الناطقة بالضاد . ولعله من الطريف أن نذكر ما ذكره ابن خلدون ، في مقدمته ، عن استعمال كلمة الديوان ، وتطورها في الفارسية ، ثم انتقالها الى العربية قال : « ويقال أن أصل هذه التسمية أن كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم ، كأنهم يحدثون ، فقال ديوانه ، أي مجانين ، بلغة الفرس ، فسمي موضعهم بذلك ، وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقل ديوان ، ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات ، وقيل أنه اسم للشياطين بالفارسية ، ثم سمي الكتاب بذلك

سمي باسم المدينة التي يعمل بها ، وهي امردين . وسمى الانجليز الخضر غيلان Gay land . ولم يرحب آبائنا الطيبون بلقافة التبغ التي سماها لهم الاسبان باسم Cigarro فسموه هم « كارو » (بالكاف الفارسية) ، واستنكفوا من أن يحلوه بهذه « السيادة » . كان هذا منهم تلقائيا وقد عربوا تعريبهم هم ، كما عرب السابقون « قفره » ، فقالوا طرة في الكتاب بعد ما كانت طفره في المناشير ، وكانت تمد فيقال لها طراء ، ونسب اليها الطفرائي المعروف . قبل أن ابن ميادة سمع بالكمشري فقال : مالهم قائلهم الله ، يقولون الاكم اثرى ؟ ليست والله باثرى ولا كرامة . لانه فهمها اكم ، مرتفعات + اثرى . من الشراء .

4 — لا بد أن يكون المغرب جادا في تعريبه ، ويشتهر له هذا التعريب ، بأن يستعمله غيره ، أما أن كان هازلا في هذا الاستعمال فلا ، ومثال ذلك أن الشاعر العدوي أراد أن يضحك . فقال :

أنا العربي الباك

يريد « باك » ، بالباء الفارسية ، ومعناها الطاهر والخالص ، ومنه الباكستان المعروفة لنا الآن . ذكر الجواليقي عن ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني أن رؤبة بن العجاج والفصحاء ، كالاعشى وغيره ، ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية ، لتستطرف ، ولكن لا يستعملون المستطرف ولا يصرفونه ، ولا يشتقون منه الافعال ، ولا يرمون بالاصلي ويستعملون المستطرف ، وربما ضحكوا منه ، ونحو هذا « شوكلو » لشاعر عبد الرحمن الناصر . الذي أراد Suculo الاسبانية ، كما هو في القصة التي اوردها المقري في كتابه النفح .

5 — لا يعتمد على المعاجم الفارسية ، خصوصا الحديثة منها ، في الحكم على كون الكلمة معربة منها ، ولا أن زنتها كذلك تلك الزنة التي عربت منها العربية . لان العربية هذه غزت الفارسية غزوا ساحقا ، فإن الآلاف من الكلمات العربية دخلت الفارسية ، دخول المنتصر المحتل ، بصفة نهائية ، ومئات أخرى تعربت ثم عادت الى الفارسية ، وقد لبست الملابس العربية وتجلت بحللها القشيبية ، فحافظت « على أثوابها الجدد » ولم ترد بها بدلا ، من تلك الاثواب العتيقة . فاستقرت في فارسيها بطابعها المتعرب ، شأننا أنفسنا وقد عدنا الى وطننا فاحتفظنا بملابسنا ، التي ارتديناها ، على خلعتنا للملابس التي درجنا عليها ، وارتضينا الجديد علينا ، فكنا هكذا ، سنة الله في خلقه . ومنه اللغة

البخت ، فارسية بمعنى الحظ والجمل كذلك ،
حينما تضم ، كما في القاموس ، معرب بخت .
البد ، بمعنى الصنم ، معرب بت .
البذرة ، بمعنى الخفارة (في الطريق المخوف)
معرب بدراه .
البدج ، وهو ولد الضأن ، معرب بجه بالجيم
الفارسية ، قال الراجز :
قد هلكت جارتنا مع الهمج
وان تجع تاكل عتودا أو بدج
البربط ، وهي آلة طرب تشبه صدر البيط ،
والكلمة مؤلفة من بر ، صدر ، وبط .
البرسام ، وهو علة الصدر ، فهو فارسي ، مؤلف
من بر ، صدر ، وسام ، علة ، كما هي في سراسم .
البردج ، معرب برده ، وهو السبي ، قال
العجاج : كما رأيت في الملأ البردجا
البرق ، معرب بره ، وهو الحمل .
البرند ، وهو جوهر السيف وماؤه ، معرب
برنده ، من بریدن - بر ، في أصله من فقه اللغة .
البرنامج ، مركب من بر + نامه .
البريد ، معرب بريده دم ، وهو في أصله
مستعمل للبطالة المنقطعة للرباط ، ثم الرسول ، ثم
المسافة المعروفة الخ .
البزماورد ، ويدعى الزماورد ، وهو طعام من
البيض واللحم ، أو الرقاق الملفوف باللحم ، أو ما يدعى
بقلمة القاضي ، مأخوذ بزم + آورد .
البيستان ، معرب بوستان ، وأصله في فقه اللغة
بو + ستان ، أي حوز الرائحة ، من ستانیدن ستان ،
فقال الأعشى :
يهب الجلة الجراجر كالبيستان تحنو لدردق أطفال
البط ، معرب بت ، وهو معروف ، سواء
به عند العرب صفار الاوز وكباره ، كما قال ابن جني .
بفداد ، معرب باغ + داد ، أو بغ + دان ،
اختلفوا فقالوا ان بغ صنم وداد عطية من دادا - ده ،
ان باغ الحديقة ، وفيه لغات ، منها بفدان ، فتكون
ان هذه تدل على المكان ، كما هي في شمع دان ، وميدان ،
قال الشاعر أنشدته الكسائي :

باليلة خرس الدجاج طويلة
ببفدان ما كادت عن الصبح تنجلي
وانما تعرضنا لهذا العلم وتركنا غيره لما فيه
من الاشتقاق .
البلاس ، معرب بلاس ، بالباء الفارسية ، وهو
السمح الذي يجعل فيه الطعام عند أهل مكة ، والكساء
من شعر ، قال الراجز لامراته في المعنى الاول :
الا يكن شيخك ذا غراس
فهو عظيم الكيس والبلاس
البلور ، معرب بلور بضمين وتخفيف .
اللم ، وهو احد اوتار العود أو الوتر الغليظ
منها .
البنجكية ، نسبة الى بنج بالتاء الفارسية
بمعنى خمسة ، وهو ان يكون خمسة رماه في موضع
يرمون بخمس نشابات .
البند ، وهو العلم الكبير من بندن ، المستعملة
قدما في الفارسية ، وحات محلها بس - بند ، يربط
للقائد ويكون مع كل بند عشرة آلاف رجل ، قال الشاعر :
ملبسة سبائبا وبندا
تحت ظلال راية وبندا
البندق ، معرب فنده .
البنفسج ، معرب بنفشه ، قال مالك بن
الريب التميمي :
عجبت لعطار اتانا يسومنا
بجبانة الديرين دهن البنفسج
البنيقة ، معرب بنيكه ، وهي ما يزداد في نحر
القميص لتوسيعه .
البهرج ، معرب نبهره ، وهو الباطل والذي
لا نفع فيه ، كما يدل عليه الاصل الفارسي ، قال العجاج :
وكان ما اهتمص الجحاف بهرجا
البهرمان ، وهو لون احمر ، ونحوه البهرم ،
ويطلق على العصفر ، وهو في الحمرة دون الارجوان ،
والزعفران ، معرب ، بهرام .
البيدق ، معرب بياده ، بالباء الفارسية ،
بمعنى راجل ، قال الفرزدق :

الاسكرجة ، بمعنى مقرب الخيل ، معرب سكره ، ويقال سكرجق وهو اناء صغير يوكل فيه ، ويوضع فيه الكوامخ ونحوها من المخللات ، وقال انس (ض) « ما أكل نبي الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق » .

الاسوار ، معرب سوار ، وهو الفارس في الاصل ، واستعمل للرامي ، جمع على اساور واسورة ، قال الشاعر :

ووتر الاساور القياسا
صدغية تنتزع الانفاسا

وقال الآخر :

اقدم اخانهم على الاساورة
ولا تهالكك رجل نادرة

الاسرب ، معرب سرب ، وهو الرصاص والآنك ، كما في القاموس المحيط .
الاشنان ، وهو الحرض تفصل به الايدي بعد الاكل
كفاسول من النبات .

الاشوب (تودع هنا الكلمة السابقة)

الاصبهذ ، معرب اسبهذ ، بمعنى قائد
العسكر ، ويقال له الصبهذ ، قال الجواليقي وهو في
الدليم كالامير في العرب ، قال جرير :

اذا افتخروا عدوا الصبهذ منهم
وكسرى وآل الهرمزان وقيصرا

الافريز ، معرب افراز من افروختن افراز ،
بمعنى الارتفاع في أصله .

الالوة ، وهو العود ، معرب لوه

الانجر ، وهو مرساة السفينة ، معرب لنكرة
بالكاف الفارسية

الايارج ، معرب اياره ، وهو معجون مسهل
يعرف بالدواء الالهي ، كما في القاموس .

الاندرارود ، سراويل مشمراتبان كما في
القاموس ، قالت أم الدرداء : زارنا سلمان من المدائن
الى الشام ماشيا وعليه كساء واندرارود (معرب
اندرور ، اي داخلي)

الاهليلج ، وهو ثمر معروف ، كما يقول صاحب
القاموس ، معرب اهليله .

الاىوان ، بمعنى مشارف الدار ، وهو اىوان
الفارسي بمعنى القصر ، ويبدو ان أصله اللغوي كان
جمع ايو بمعنى الغرفة فهو الغرف (القصور)

البابونج ، معرب بابونه ، وهي النورة
المعروفة بصفرتها المكلفة بالبياض .

الباج ، معرب با ، قالوا ان من تكلم به
عثمان بن عفان ، ومعنى الباج النوع ، وبها اي ألوان
الاطعمة .

البادزهر ، مركبا من باد ، ضد ، وزهر ، سم ،
وهو اسم لحجر الدجالين .

الباذق ، معرب باده ، وهو نوع من الاشربة
والخمور .

البارة ، بمعنى القصعة ، معرب باره ، بالباء
الفارسية .

البارجاه ، وهو موضع الاذن عن السلطان ، وقد
تكلم به الحجاج ، فقال لجند الاصمعي علي بن اصمغ :
قد سميتك سعيدا ووليتك البارجاه ، اي جعلتك بواب
السلطان ، وهو معرب باركاه ، بالكاف الفارسية
بمعنى قصر الملك .

البارياء ، وهي الحصير المنسوج ، معرب
بوريا ، وهي البارية والبورية والبارى والبورى ، قال
الحجاج : كالخص اذ جلله البارى

الباز ، بمعنى الصقر ، معرب باز .

الباشق ، معرب باشه ، وهو طائر اصفر
من العقاب .

الباطية ، وهو اناء واسع الاعلى ضيق الاسفل ،
وهو الناجود ، كما في الصحاح ، قال : قربواعد اوباطية
فبذا ادركت حاجتيه .

البالة ، وهي الجراب ، معرب باله ، قال ابو
ذؤيب :

فأقسم ما ان بالة لطمية

يفوح بيباب الفارسيين بابها

البالفاء ، بمعنى الاكارع ، معرب بابيه ،
بالباء الفارسية .

البالاني ، معرب بالاني ، بالباء الفارسية ، وهو
الحمارة كما في القاموس .

مستقبل اللغة العربية في بلدان المغرب العربي

أو التنمية الاقتصادية وعلاقتها بازدهار اللغة وانتشارها

لأستاذ محمد علي الدين المشوي
مدير المركز الوطني للتعريب

مقعدا لائقا كعنصر اساسي في حياتنا القومية باعتبارنا مغاربة مسلمين . ومن هنا يتبين لنا ان الموضوع الذي نحن بصددده ليس بالسهل ولا باليسير ، نظرا لما له من جوانب متعددة تقتضي من الباحث ان يكون ضاربا بسهم وافر في فقه اللغة وتاريخ نشأة اللغات وتطورها بصفة عامة كما يتطلب منه ذلك ان يكون ملما بعلم الاجتماع والشؤون الاقتصادية على السواء ؛ وبما ان مخاطبكم هذا بعيد عن ان يحظى بهذه المنزلة الرفيعة من العلم والمعرفة ، فانه سيقصر على ان يقدم لكم جملة من الملاحظات في موضوع هذا البحث ، وهي ملاحظات لا تعدو ان تكون نتيجة تجارب واستنتاجات شخصية ، لرجل سبق له ان زاول مهنة التدريس مدة من الزمن قبل ان تناط به مهام ادارية اخرى في ميدان التربية والتعليم دونها جهود ومشاكل متعددة .

وتمهيدا لما في نيتي ان اقوله في هذا البحث الذي يرجع جملة الى مستقبل اللغة العربية في بلاد المغرب العربي ، ارتأيت ان اتحدث لكم قبل كل شيء عن الوضع اللغوي في هذه البلاد مع مناقشة هذا الوضع على ضوء ما نتحسه من تيارات فكرية واختيارات لغوية يعتقد المتمسكون بها - هنا وهناك - انها كفيلة بحل هذا المشكل اللغوي العويص ؛ ثم سأطرق بعد ذلك الى ذكر الاسباب التي تدعو الى ضرورة الاعتماد على اللغة العربية وحدها في الادارة والمؤسسات التعليمية على اختلاف درجاتها ، وتشير ايضا باستخدام العربية في محاربة الامية وتعليم الكبار .

هذا الموضوع الذي اخترته لاتحدث فيه ، هذه المرة ، الى قراء مجلة « دعوة الحق » الفراء ، واعني به « مستقبل اللغة العربية في بلدان المغرب العربي الكبير » كان من الامكان ان يعوض بعنوان آخر يؤدي تماما ما نقصد اليه ، هو « التنمية الاقتصادية وعلاقتها بازدهار اللغة وانتشارها » ، وهو بالضبط موضوع البحث الذي سبق لي ان اعددت في نطاق ندوة وزارة التربية الوطنية التي انعقدت ، كما تعلمون ، بالجزائر العاصمة منذ بضعة شهور . فاحسب ان اشرككم في هذا العمل الذي كان على ما اعتقد ، مفيدا الى حد بعيد ، حيث كانت الغاية منه هي تحديد الخطوات التي ينبغي ان نجتازها قبل ان تصبح اللغة العربية ، لفتنا القومية ، لغة علم ولغة عمل في آن واحد .

ويظهر ان هذه الغاية المثلى لا يمكن ان تتحقق حتى نتبين في شيء من الوضوح العقبات التي تقف اليوم حجر عثرة في وجه انتشار اللغة العربية الفصيحة ، ونعمل قولاً وفعلاً على ازالتها من الطريق ، مع الاخذ بعين الاعتبار العوامل المختلفة التي كان لها اثر بليغ في هذه اللغة ايام ازدهار الحضارة الاسلامية ؛ فجعلت منها بطريق مباشرة او غير مباشرة لغة حية طيعة ، تؤدي وظيفتها على احسن وجه مستطاع ، لا في المعاهد التربوية والدواوين الحكومية ، بل كذلك في المجتمعات العربية الاسلامية على اختلاف طبقاتها وتقدمها في العلم والمعرفة

فالمسألة اذن تكمن في البحث عن الوسائل التي تعيد للغة العربية جدتها ونضارتها وتبوثها في المجتمع

منعتك ميراث الملوك وتاجهم
وانت للدرعي بيدق في البياذق
يريد انه ياخذ سلاح الملوك وهو راجل يعدو
بين يديه .

البزار ، معرب بازيار ، الذي يحمل الباز ،
والاكار ، مثل البازدار ، قال الكميت :

كأن سوابقها في الفبار
سقور تعارض بيزارها

البيرستان ، مركب من بيمار ، مريض ، وأصل
اشتقاقه بي ، بدون + مار ، عقل ، فهو أحمق ، وأطلق
على المريض مطلقا ، وستان للمكان وأصله الحوز ، من
ستانيدن - ستان ، وقد اختصرت فصارت مارستان ،
كما فعل في بهرج ، معرب نهره .

التابل ، معرب تبل ، وهو من ابازير الطعام .
الطابق ، معرب تابه ، مقلاة .

التبان ، معرب تنبان ، وهو السروال القصير .
التجاورة ، معرب تاجور أو تاج بر ، قال عدي بن
زيد :

بعد بني تبع تجاورة
قد اطمأنت بها مرازيها

التاخيخ والتخت ، معرب تخت وتخته ، وهو في
الأصل اللوح ثم صار يستعمل للعرش والسرير .

التخريص وهو بنية الثوب أو الدرع ، معرب
تيريز ، كما في القاموس ويقال بالبدال ، قال الشاعر :

قوافي أمثالا يوسعن جلده
كما زدت في عرض القميص الرخارصا

التباشير ، معرب تباشير ، أي مثل اللبن ،
والمراد بها بياض الصبح ، كما في العربية تباشير الصبح

التخم ، واحد تخوم الأرض بمعنى حدودها ،
قال قيس بن صرمة بن أبي أنس الأنصاري :

يا بني التخوم لا تظلموها
إن ظلم التخوم ذو عقال

التدرج ، وهو الدارج ، معرب تدور .
الترهات ، فوجدك راه ، بمعنى طريق صغيرة
والمراد بها الإباقييل .

التنور ، معرب نور ، وبين هذا في معجم
« اختري كبير » التركي ، بأن عين الكلمة ، وهي
الواو في الفارسية أبدلت تاء وتقدمت فاءها ، عند
تعريبها ، (فهي عفور في الوزن) .

التوت ، معرب تود ، وهو الفرساد .

التوتياء ، حجر يكتحل به ، معرب توتيا .

التير ، وهو الجذع الذي يوضع في وسط
البيت ويلقى عليه أطراف الحشب ، معرب ، تير .
جادة الطريق : معرب جاده ، وهي العظيمة
المفتوحة من الطرق .

الجاموس ، معرب كاوميش ، (كاو : بقرة ،
وميش : نجدة) .

الجام ، معرب جام .

الجربان ، معرب كريبان بالكاف الفارسية ،
وهو جيب الدرع ، قال جرير :

إذا قيل هذا البين راجعت عبرة
لها بجربان البنيقة واكف
الجرداب ، معرب كرداب ، بالكاف الفارسية ،
بمعنى دوامة الماء ، كرد + آب .

الجردبان ، معرب كرده بان ، بالكاف الفارسية ،
أي حافظ الرغبة ، لأنه الذي يضع شماله على شيء
يكون على الخوان ، كيلا يتناوله غيره ، أنشد الفراء :

إذا ما كنت في قوم شهاوى
فلا تجعل شمالك جردبانا
الجرزق ، معرب كرده بالكاف الفارسية ،
للخبز الغليظ .

الجرم ، معرب كرم ، بالكاف الفارسية ، وهو
الحر ، ضد البرد .

الجرموق ، وهو الخف الصغير يلبس فوق
الخف ، معرب سرموزه .

الجل ، معرب كل ، بالكاف الفارسية ، وهو
الورد .

الجلاب ، معرب كلاب ، بالكاف الفارسية كذلك ،
وهو ماء الورد ، في حديث عائشة « كان إذا اغتسل من
الجنابة دعا بشيء كالجلاب » .

(يتبع)

تطوان : محمد بن تاويت

العامة من حركة ونشاط ، لاضطررنا الى احداث محيط اجنبي ، المفروض في اعضائه ان يتكلموا تلك اللغة ، وذلك المحيط او ما يسميه بعضهم بالمناخ اللغوي هو الذي يدعم عادة اللغة السائدة ويعمل على نشرها وازدهارها؛ اذن لو سلمنا جدلا بذلك لكننا - معاذ الله - كالذي يسعى في فرنسا اجيال هذا المغرب العربي مرة اخرى فرنسا لا تتم الا باستقدام جاليات اجنبية لمدة يعلم الله مداها ومنتهاتها .

اما الازدواجية التي يفكر فيها بعضهم ، كحل وسط لمعالجة مشاكلنا اللغوية ، فقد تصح بالنسبة لشعب صغير او ضعيف وفي نطاق محدود كما وقع ذلك بالنسبة الينا في عهود الاستعمار العاضية . يضاف الى ذلك « ان الابحاث النفسية واللغوية دلت كلها على ان الولد الذي يزاوئ اكثر من لغته القومية ، وهو دون العاشرة ، تضعف طاقته الاستيعابية ؛ فتتفرط قواه ، ولا يعود قادرا على حصرها . ذلك انه يتأرجح بين لغتين ؛ ولغة الام كما اسلفنا لا تقبل ضرة تحت سقف بيتها - واحدة يتكلمها بصورة تلقائية ، وواحدة يتكلمها بجهد في اللسان والفكر مما يضع عليه وقتا كبيرا ، ويجعله يتذبذب بينهما ... وهكذا يتوزع الولد بين امتين ، بين تاريخين ، بين عبقريتين . اذ لكل لسان عبقرية خاصة . »

يستنتج مما تقدم انه اذا كنا نريد لشعوبنا الالتحاق بركب الدول المتقدمة ماديا ، والاسهام بنصيبها هي الاخرى في عملية الخلق والابتكار ، فلا بد من ان نقر اللغة العربية الفصيحة كاداة ثقافة وادب وعمل- ، في المدرسة والادارة والمجتمع؛ ذلك ان اللغة تنمو بالممارسة والاستعمال ، واللغويون يعلمون حق العلم « ان اللغة بنت الالتزام ، لا تتطور الا بتطويرنا اياها ، فاذا كنا لا نرج بانفسنا في مثل هذه الحاجة ، كي نشعر بضرورة البحث عن الكلمات لا نرى كيف نستطيع ان نزود اللغة العربية بمصطلحات نحن بأمس الحاجة اليها . على ان المصطلحات العلمية لا تكون وحدها ببيان اللغة العربية ؛ هي جزء بسيط من هيكلها الضخم ، ومن هنا ياتي خطأ اولئك الذين يقولون بوجوب استخدام اللغة الفرنسية في التعليم والادارة ما دامت لغتنا فقيرة الى تلك المصطلحات ؛ فالذي يفني اللغة بصورة عامة ، ليست هي المصطلحات وحدها بل المفاهيم الحضارية التي وضعت من اجلها تلك المصطلحات ، وهي مفاهيم لا تنشأ وتتفرع الا عن مجتمع يعج بالحياة النشيطة الخلاقة . فالمفروض في الذين يعملون داخل هذا المجتمع الحي انهم يكتسبون بحكم النشاط الذي يزاوئونه ، وعن

ثالثا : وهناك اللغة الفرنسية التي لا تزال حية ترزق ، في ثلاثة اقطار من بلدان المغرب العربي على الاقل ؛ ذلك ان طائفة كبرى من المواطنين يتحدثون بها ، اما لضعفهم في اللغة الام او لتفضيلهم اياها على لغتهم الاصلية ، لانهم درجوا عليها منذ الصغر ، او هم يلجأون اليها لانها تتوفر على المصطلحات التي تمكنهم من التعبير عما تطفح به قلوبهم من خواطر واحاسيس ؛ ولا غرابة في ذلك ، فقد تمكن الفرنسيون من احلالها مكانا مرموقا في بلادنا ، وفي كثير من البلاد الافريقية الاخرى ، محاولين طمس معالم اللغة العربية من هذه البلاد خاصة ، حتى اصبحت الفرنسية لغة التفاهم ولغة الشؤون العامة ولغة الادارة ولغة الحضارة بوجه عام ، مما يعزل حنين طائفة من ابناء هذا الوطن العربي الى تلك اللغة التي لا نجد فيها عيبا سوى ان اهلها كانوا يعملون ، ما وسعهم العمل، لتركيزها مكان لغتنا الاصلية؛ فضعفت العربية تبعا لذلك بانكماشها على نفسها ، وراحت تعيش على هامش الحياة اليومية ، لاستفيد الا بقدر قليل مما تحمله الحياة العصرية في طيها من مفاهيم وتجدها معها من مصطلحات تستعمل للتعبير بدقة عن تلك المفاهيم . والى هذا الصراع افضى على ارض بلادنا تلاقي اللغة الاجنبية بلغتنا العربية ؛ فكانت معركة المصير ، مصير لغة اصيلة ، استطاعت ان تقف في وجه اللسان الدخيل ، فكتب لها البقاء ، وذلك ما عبر عنه احد الفلاسفة بقوله : « عند ما تتلاقى لغتان تحت سقف واحد ، اي على لسان شعب واحد ، لا يبقى هذا التلاقي باردا ، بل تلتحم اللغتان في معركة حامية الوطيس . وماذا يحصل بعد ذلك ؟ تطفئ لغة المستعمر على لغة المستعمر حتى اذا اشتد وعي الامة المستعمرة وانتفضت في سبيل حريتها ، عادت لغة المستعمر القومية الى سالف مجدها وطردت لغة المستعمر ، والا كانت الغلبة لهذه ، ولا يطول التساوي بين اللغتين الا في الشعوب الصغيرة ؛ ان امة قوية الساعد لا ترضى الا لغة ام لها . » ومن هنا يظهر خطأ اولئك الذين يريدون الاعتماد ، مرة اخرى على اللغة الاجنبية لتسيير معاهدنا الدراسية في انتظار ان تستقيم اللغة العربية على قدميها ، وتصبح من الفنى في المفردات والمصطلحات العلمية ، ما يجعلها قادرة على استيعاب المفاهيم التي حملتها الينا الحضارة العصرية ؛ ولم يلفظوا الى انه عند ما تتم الغلبة للغة الشعب الذي كان مستعمرا ، فان لغة المستعمر تضعف شيئا فشيئا وتتقلص ظلها ، بتقلص الجاليات التي كانت تتكلم لغة الحاكمين ؛ لو فرضنا انه في الامكان اقرار اللغة الفرنسية من جديد لغة للتخاطب والتدريس وما تتطلبه الحياة

واستقصاء لهذا البحث ، سأجدي مضطرا الى اثار فكرة عزيزة علي ، هي التي تقول بان تطور البلاد من الوجهة الاقتصادية والصناعية يؤدي بالضرورة الى خلق عقلية صناعية هي التي تعمل عادة على تطوير اللغة ، بعد تعليمها بما تحتاج اليه من مصطلحات علمية وتراكيب فنية تجعلها قادرة على مسايرة الحضارة العصرية ، ثم اختتم حديثي هذا بالكلام عن الوسائل الفنية المختلفة التي من شأنها ان تعين اللغة العربية على القيام بوظيفتها خير قيام كأداة عمل في مجتمع متطور صاعد ، شأنها في ذلك شأن اللغات الاجنبية الاخرى .

* * *

اذا عدنا الى الواقع اللغوي الذي نعيشه اليوم ، بعد ما سلخت بلاد المغرب العربي الكبير ، عدة اعوام من حياتها في الاستقلال ، نلاحظ ان كل بلد من هذه البلدان يتحمل بصفة عامة اعباء لغات ثلاث :

اولا : اللغة العربية الفصحى التي نستخدمها في حياتنا الدينية واليومية ، كما نستعملها اداة لتبليغ بعض المواد الدراسية كالفقه والتوحيد والجغرافية والتاريخ ، ولكنها ليست في الوقت الحاضر من المرونة والفنى بحيث نستطيع الاعتماد عليها في تلقين المواد العلمية والتكنولوجية على الخصوص ؛ ولعل هذا هو السبب الذي جعل شبابنا يرمونها بالعم ، ويرون انها ليست قادرة على مسايرة الحضارة العصرية ، ومما لا شك فيه ان الامة الراقية لا تكون لغتها راقية في ناحية دون ناحية ، لا تكون لغتها راقية جزئية كأن تكون - وهو الواقع الذي نحياه في مدارسنا ومعاهدنا بالمغرب العربي - لغة الادب والشعر والدين ، ولا تكون لغة باقي العلوم ؛ وقد عبر عن هذه الحقيقة بكل دقة وضبط الاستاذ كمال الحاج ، أحد علماء اللغة العربية الكبار في هذا العصر ، فقال : « اللغة التي لا تعبر الا عن بعض احوال الامة كأن تكون لغة القلب ، ولا تكون لغة العقل هي لغة عوراء تظل عرضة للزوال » . ومن ثم نفهم لماذا كانت الشعوب الحاكمة تسارع دائما الى فرض لغتها على الشعوب المحكومة ، ولا تسمح لها بتدريس المواد العلمية خاصة بلغتها الاصلية ، لانها وسيلة لبعث الشعور فيها ، والتحقق بوجودها في الحياة ، الا ان يكون ذلك بواسطة لغة الحاكم ، ؛ وتلك طريقة ترمي بوضوح الى اضعاف روح الامة والقضاء على عفافها القومي ، لذلك نرى الشعب الكامل - ولنا اسوة حسنة في الامم المستعمرة - يحرص على الا تمارس طبقاته عدة لغات مختلفة .

ثانيا : ونجد بازاء هذه اللغة الفصيحة ، على سوء حظها ، لهجة تدعى باللغة العامية ؛ والمعروف ان العامية تولدت عن اللغة الفصيحة ، وواكبتها منذ ان انتقلت اللغة الفصحى مع العرب الفاتحين الى اقطار اخرى حيث استقرت تبعا لاستيلاء الفاتحين عليها ؛ وبهذا المعنى يتضح لنا ان اللغة العامية نتيجة اتصال العرب بغيرهم من الاقوام ، والاتصال حاصل بالطبع في كل عصر ؛ واللهجة العامية دليل على ان الناس ، عند ما لا يستطيعون تحمل ضوابط نحوية ثقيلة كالتي حملتها الينا اللغة الفصيحة يتحررون منها نسبيا ؛ ومن ثم تنشأ اللغة العامية التي يعتمدون عليها كلفة تخاطب ومعاملات . وليس من عار من ان توجد لغة عربية عامية بازاء لغة عربية فصيحة ما دام الاتصال حاصلا ، على كل حال ، بين اللغات في كل عصر ، وما دمنا نعلم ان العملية التي تتولد بمقتضاها هذه العامية عن الفصحى ترجع في الواقع الى ثنائية العقل والحس الذي يتميز به الانسان ، او الى قدرة هذا الاخير على التجريد ، بعدما يتمكن من الاخذ باسباب الحضارة والتقدم ؛ تلك الثنائية بين الحس والعقل هي التي يتحدث عنها الفيلسوف اللغوي كمال الحاج بقوله ، في مكان ازدواجية اللغة ، فيقول : « الثنائية بين العقل والحس ، تقصد بين الوجدان المنطقي والوجدان العاطفي ، هي عينها التي نجدتها في اللغة بين العامية والفصحى . ثم ان الازدواجية في اللغة ليست وقفا على العربية وحدها ، اذ في كل لغة لسان عامي واسان فصيح ، بل الازدواجية دليل من دلائل التحضر الانساني ، والهمج وحدهم لا يزاوون الازدواجية في لغتهم ؛ ذلك ان الشعب الذي تكون له نظرات ما ورائية ودواوين علمية يفرض على لغته المكتوبة (المنطقية) المتفجرة عن العقل ان تختلف عن لغته المحكية (الذاتية) النابضة من القلب . والشعوب الضاربة في المدينة تسمو بالتجريد ، وهذا يتطلب ... سعة شق بين العقل والحس ؛ هذه الشعوب لا تكتب كما تحكي ولا تحكي كما تكتب .

ونظرا لانتشار اللغة العامية وسهولتها بالنسبة للعامية ، فانه يبدو لبعضهم ان اللغة الفصحى مرادفة للتعقد ، اذا قورنت باللغة العامية المتداولة بين الناس ؛ ومن ثم يتقدمون باقتراح غريب غايته التخلص من الفصحى رجاء تيسير اللغة العربية ؛ ولم يعلموا - سامحهم الله - انهم لو نبذوا اللغة الفصحى او استبدلوها بالعامية لنشأت عامية جديدة تختلف عن العامية الاولى التي تبوات مقعد الفصحى . فهم اذن يخلطون ما بين الحذف والتيسير ، لذلك لا يمكن لارائهم الباطلة ان تسترعي انتباهنا .

فقط تنمية ثقافتهم الخاصة بل تعمل على رفع مستواهم المعاشي وتعطي معنى في اعيانهم للحياة . يضاف الى ذلك ان تركيز شبكة متعددة الحلقات لتعليم الكبار في كل من بلدان المغرب العربي معناه ايضا ارساء محيط عربي اللغة والزواج - وهو ما سميناه بالمناخ اللغوي - من شأنه ان ينزل اللغة الى الشارع ، ويعين على نشر العربية في كل جهة من الجهات .

* * *

يقول بعض اللغويين ان اللغة رهينة بالوضع السياسية ، فمتى كانت الامة عظيمة متحدة زاد الاقبال على لغتها وآدابها ؛ فالمشكلة الاولى ، في نظرهم ، هي مشكلة سياسية ؛ ويضرب على ذلك مثلا بان اللغة العربية انتصرت على اللغة الفارسية لان الله كتب الغلبة للمسلمين ، بعدما خضعت الدولة الفارسية لسلطتهم ؛ وهذه نظرية لا تعبر ، في الواقع ، الا عن جانب من الحقيقة ؛ اذ لو كان الامر كذلك ، بمعنى ان السياسة هي كل شيء فيما يخص انتشار اللغة وازدهارها لاستطاعت حكومات المغرب العربي اليوم ان تركز لغتها في كل مكان ، بعدما اجلت عن اراضيها الحاكمين الاجانب ؛ ولكن القضية ليست سياسية ، بل لها علاقة وثيقة بالنمو الاقتصادي ، وتقدم المجتمع الذي يعتمد هذه اللغة او تلك في حياته اليومية ؛ ويرى بعض المتخصصين في علمي الاجتماع والاقتصاد ان التطور الاقتصادي في بلد ما ، له علاقة مباشرة بالتطور الاجتماعي والفكري في ذلك البلد ؛ فهناك نمو وتقدم من الوجهة الاقتصادية والمادية كلما ازدهرت الحياة الفكرية . كما يلاحظ ايضا ان تقدم الجماعات من الناحية الفكرية والعقلية في احدى الجهات ، تعبير في الواقع عن تطور ملحوظ في احوالها من الوجهة الاقتصادية والعمرانية .

والذين يعودون الى التاريخ ، يلتمسون منه الاسباب التي دعت الى انتشار اللغة العربية ، في الاقطار التي بسط المسلمون عليها نفوذهم ، يلاحظون ان هذا الانتشار كان دائما متمشيا جنباً الى جنب مع التطور الاقتصادي في تلك البلاد ، بحيث كلما ازدهرت الحياة الاقتصادية فيها ، واکبها ايضا تقدم ثقافي وبالعكس ، وترتب عن ذلك زيادة في الدخل الفردي بالنسبة للسكان عموماً . لنا دليل على ذلك في التقدم الاقتصادي الذي كانت تتمتع به بلاد المغرب العربي خلال القرون الوسطى وقبلها ، نظراً لما كان يوجد بها من ضروب الحرف والمهن ، كالنجارة والحياكة والخياطة

البلاد حتى نجعل من العربية لغة التعليم في جميع مراحلها . اجل ، ان الوضع الطبيعي للتعليم في كل مكان هو ان لا يكون الا بلغة الامة ، اذ في ذلك تركيز لاستقلالها وتجسيم لشخصيتها بحيث هو الذي يجعلها محررة من كل تبعية للغير ؛ يضاف الى ذلك ان تعريب التعليم العالي قبل غيره بمواده الادبية والعلمية والتكنولوجية على الخصوص واجب ؛ وضروري ان يسبق تعريب التعليم الثانوي والابتدائي . التعريب في بلادنا لكي لا تتعرض معاهدنا الى نوع من التدهور والاضطراب يجب ان يشرع فيه من اعلى وينحدر بالدرج حسب مخطط واضح الى اسفل ؛ فان اضطربنا الى تدريس المواد العلمية والتقنية بالفرنسية او بآية لغة اجنبية اخرى ، وجب الا يتعدى هذا النظام مدة محدودة من الزمن ، واثناء ذلك يمهّد لتدريس تلك المواد بالعربية ، وكلما تخرج فوج من طلبة التعليم العالي طولبوا بتبليغ ما اكتسبوه من علوم عن طريق اللغة الاجنبية بواسطة العربية اثناء ممارستهم لعملية التدريس في المعاهد الثانوية ؛ وهكذا يكون تعريب التعليم الثانوي تصاعدياً لصعوبة المواد ، فنبداً مثلاً بتعريب الفلسفة والتاريخ والجغرافية ، ثم تنتقل الى تعريب العلوم الطبيعية ومنها الى الكيمياء ، والفيزياء والرياضيات وهي آخر المطاف . وهكذا لا يمضي وقت طويل حتى تتعرب المدارس الثانوية ، حسب مخطط عمودي بالنسبة لمواد الدراسة ؛ وبما ان المدارس الثانوية تعتبر بالنسبة للبلاد النامية كلها مصدراً للاطر المتوسطة عموماً ولعلمي المدارس الابتدائية على الخصوص ، فمن الجائز ان نقول ، والحالة هذه ، ان كل متخرج منها برسم التدريس يكون بحكم تكوينه العربي قادراً على تبليغ المواد المقررة في المرحلة الابتدائية بلغة عربية صحيحة ، وبالتالي يمكن القول كذلك ان كل تلميذ استطاع الانتقال الى مدرسة ثانوية يمكن اعتباره تلميذاً مغرباً في طريق اتمام دراسته الثانوية والعالية . وهكذا نسلم حلقة التعريب بصورة لا يتسرب اليها شك او عيب فيما يرجع للمستوى الذي يتعين المحافظة عليه بكل وسيلة ممكنة .

وكما ان التعليم لازم بالنسبة للصغار والاحداث لا ينبغي فيهم المهارات ويزودهم بالاسلحة الضرورية يمكنهم من ان يصنعوا حياتهم ، فذلك الامر بالنسبة للكبار ؛ وقد يكون هؤلاء من القدرة على الانتاج بحيث يمكن ان يكتسبوا ثروتهم من العمل ، لكن الخبرة تفيدنا في انهم حتى لو لم يكن على جانب كبير من الذكاء والبصر لا يمكنهم من ان يكتسبوا ثروتهم من العمل ، ولذلك عدت محاربة الامة عملية ضرورية لنسبة للشعوب المتخلفة ؛ فهي لا تتوفر على الكبار

طريق اللغة التي يتكلمونها طبعاً ، جملة من الافكار والمفاهيم المتصلة باعمالهم مهما كانت تلك الاعمال متنوعة معقدة ، والافكار ، كما تعلمون ، تضيق دائماً بوعاء العقل الذي يحملها ، فلا بد ان تتنفس ، وهكذا تخلق اللغة المعبرة عما يكمن في النفوس ، بما يقتضيه ذلك المجتمع المتقدم من دقة في التعبير ووضوح في التفكير .

وكذلك نستطيع ان نستخلص من تاريخ الامم والشعوب ان هذا التطور ، اعني تطور اللغة ونموها ، مرتبط الى حد بعيد بتقدم هذا البلد او ذاك من الناحية الاقتصادية والصناعية بمعناها الضيق المحدود او الشامل ، واقبال الشعوب على المساهمة مساهمة فعالة في مختلف الاعمال العمرانية التي تعتبر سببا رئيسيا في تقدم تلك البلاد ، تقدما بواها ، فيما بعد ، مكانا مرموقا في ميدان التصنيع والتكنيك .

* * *

لكن قبل ان اتعرض في شيء من الاسهاب للحديث عن العوامل الاقتصادية والنفسية التي اومات اليها أنفأ ، والتي كانت بالفعل سببا في تطوير اللغات عموما واللغة العربية بوجه خاص ، ايام ازدهار الحضارة الاسلامية ، يجب ان اثبت في هذا المكان ان قضية استعمال اللغة العربية في الادارة والمعاهد التعليمية على اختلاف مستوياتها ، وتسخيرها كأداة للتخاطب في المجتمع المغربي من اقصاه الى اقصاه ، لا يتطلب اكثر من الايمان بمستقبل هذه اللغة ، كما انه لا يقتضي اكثر من اتخاذ طائفة من التدابير الادارية والفنية التي قد تعيد الى العربية اعتبارها ، وتمكن الشعوب المغربية على الاقل من ان تتعرب عقليا .

وغني عن البيان ان الوسائل متوفرة لتعريب الادارة ، فذلك لا يتطلب اكثر من استعمال جملة من المصطلحات ، وتوجد كلها في المعاجم والموسوعات المتعددة التي تتوفر عليها المكاتب والادارات ، فان كان هناك من الموظفين والمستخدمين من لا يحسن استعمال اللغة العربية ، فما عليه الا ان يشمر عن ساق الجد ، ويعمل على اكتساب ذلك الحد الأدنى من المفردات والقواعد الذي يمكنه من الاعتماد على اللغة العربية شيئا فشيئا ، اثناء القيام بعمله اليومي . ولقد عرف العرب الفاتحون ، بعد اختلاطهم بالحضارة اليونانية والفارسية ، كيف يمدون لفتهم ، عن طريق الاقتباس والتعريب ، بما تحتاج اليه من كلمات واسماء لمسميات كانت جديدة بالنسبة اليهم ؛ فآخذوا عن حضارة اليونان ، وهي

حضارة جبارة كثيرا من المفردات ، فقالوا على سبيل المثال : الاناليطيقا (التحليل Analytique) والديالكتيقي (الجدل Dialectique) ، والطوبيقي (الموضوع Topique) ، والسوفسطيقي (المغالطة Sophisme) ، وارتماطيقي (الحساب Arithmétique) وارمانوطيقا (التناغم Harmonie) ، والميتافيزيقي (ما بعد الطبيعة Métaphysique) الى غير ذلك من الالفاظ والكلمات التي مكنتهم من استيعاب حضارة لا قبل لهم بها ، واستثمارها كاحسن ما يكون الاستثمار وليس غريبا ان يقتبس العرب من غيرهم ، بل الغريب ان نظل مكتوفي الايدي امام لغة اجنبية كالفرنسية والاسبانية والاطالية ، من الممكن ان نستفيد منها عن الطريقة التي سنها لنا العرب منذ عدة قرون ؛ وهؤلاء الاوربيون انفسهم الذين بهرتنا حضارتهم لم يقدموا عند احتكاكهم بحضارة العرب على الاخذ بما كان ينقصهم من تراكيب ومفردات ؟ بل ، لقد عرفوا هم الاخرين كيف يشتقون من العربية كلمات والفاظا دخلت في صلب اللغة الفرنسية بلا استئذان ، اذكر منها على سبيل الاشارة فحسب كلمة Algèbre (من الجبر) و Abricot (من البرقوق) و Alcool (من الكحول) و Amiral (امير البحر) و Arsenal (دار الصناعة) و Charabia (من عربية) و Carafe (من غراف) و Camphre (من كافور) و Divan (من ديوان) و Zéro (من صفر) و Chiffon (من شف) و Girafe (من زرافة) و Jupe (من جبة) و Mascarade (من مسخرة) و Macabre (من مقابر) و Minaret و Mesquin و Mosquée و Récif و Sucre وغيرها يدل ذلك على ما للحضارة العربية من اثر عميق في الثقافات الاوربية .

يستخلص من هذا كله ان اولئك العرب الفاتحين الذين لم يحملوا معهم بعد مفادرتهم لجزيرة فقيرة محدودة المواد ، سوى ايمانهم بالله واعتمادهم باللغة العربية في كل ما يرتبط بحياتهم الخاصة والعامة قدموا لنا مثلا حيا في ان التشرب والتلاصق والتزاوج ، وبكلمة واحدة اعطونا الدليل على ان الاخذ والعطاء قانون يسري في جميع الاحوال بين اللغات . فلم لا نتكل على الله ، والحالة ما ذكر ، فنقرر ان العربية ستصبح ابتداء من هذا التاريخ اداة للعمل في سائر مرافق الادارة المغربية ؟ الا ان قرارا كهذا مع ما فيه من قدرة على تحويل لمعنوية شعوبنا ، وحملها على الايمان بصلاحية اللغة العربية لا يكفي لتصحيح الاوضاع اللغوية في هذه

على ما يستعملونه من ادوات ، او يقومون به من حركات تتصل بالاعمال التي يزاولونها يوميا ؛ وبذلك يستطيعون تطوير هذه اللغة كما سبق ان فعل اجدادنا في البلدان التي فتحوها حيث كانت اللغة العربية ايام ازدهار الحضارة الاسلامية لغة طيبة ، وكانت لغة علم وصناعة وعمل ، شأن ما هي عليه اليوم في بعض البلاد العربية المتقدمة كسوريا مثلا ، التي اصبحت فيها اللغة العربية تؤدي رسالتها بنجاح في المعاهد العلمية على اختلاف درجاتها وفي غيرها من القطاعات الحيوية الاخرى .

هذه العقلية الصناعية التي هي خليفة بان تدفع التقدم الصناعي الى الامام ، وتحقق بالتالي تطوير البلاد من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية لا تكفي مع ذلك لتركيز اللغة في البلاد ، ولو تكاثفت على ذلك جهود من يعمل بالمدرسة والادارة ، حتى تصبحها جملة من التدابير اللغوية والفنية ، هي تدابير خليفة بان تساعد على احياء هذه اللغة والعمل على ازدهارها ؛ من ذلك ايجاد المصطلحات وتبسيط النحو العربي ، وتسهيل الحروف المطبعية ، ووضع الكتب المدرسية الصالحة ، واعداد المعلم الكفاء مع اعادة النظر في المناهج الدراسية وسلوك طريقة جديدة في تعليم اللغة العربية ، مستمدة من دراسة موضوعية لسكولوجية الطفل المغربي . هذا وابدأ الى القول بان ذلك كله لا يمكن ان يتم الا في اطار مصلحة خاصة مهمتها مواصلة البحث في قضية اللغة العربية واعداد العدة لتحقيق عملية التعريب في بلاد المغرب العربي على اوسع نطاق .

عند هذا الحد من الحديث يخيل الي انه يجدر بنا ان نتوقف قليلا ، فنعرض لقضية المصطلحات في شيء من التفصيل ، حتى لا يظن انه يكفي لحشد الكتب والمعاجم ، وبما اكثرها ، بشتى المفردات والتراكيب العلمية والفنية لتصبح اللغة العربية حية قائمة الذات ؛ ذلك ان عددا لا بأس به ممن يهتمون بقضايا اللغة العربية في هذه البلاد ، يعتقدون ان فقر اللغة العربية وعدم تمكنها من مسابقة حركة التقدم العمراني في الوقت الحاضر - هذا بالنسبة لسكان المغرب العربي على الاقل - يرجعان الى افتقار العربية للمفردات الصالحة للتعبير عن مفاهيم الحضارة العربية ؛ وهذا قول مردود ، لا يعتمد على اساس صحيح ، اذ لو كان الامر كذلك ، لكفى المتكلمين بالعربية وجود هذه المعاجم والكتب التي ملئت بشتى المفردات والتراكيب ، ليستطيعوا التعبير عن كل ما يروج في خواطرهم من افكار ومفاهيم ، تتصل بهذا المجتمع الحي المتطور الذي نحياه او الذي نميش

تخضع كما يخضع غيرها من الوان النشاط الانساني الى عوامل الزمان والتطور والحاجة . فعند ما تتقدم الصناعة والزراعة وتنتشر التعاونيات ، ويزدهر العلم والثقافة والتربية ، بالاعتماد على اللغة العربية في التعليم والادارة معا ، اذ ذلك يرتفع مستوى المواطنين ماديا ومعنويا ، وتتضاعف حتما قدرة اللغة على التعبير ؛ فيزكو محصولها من الالفاظ والمعاني ؛ واذا ذلك - اذ ذلك فقط - يكون في مستطاع القطاعات الخلاقة التي يؤلفها الصناع والمزارعون والفنيون وارباب الحرف والصنائع والمهن على اختلافها وتنوعها ان تمد اللغة بامدادات من اسماء الآلات والادوات وحركاتها ، وبكل الالفاظ المعبرة عن الحضارة والعلم والآداب والفنون ووسائلها وقدراتها . هذا مع العلم ان اقحام اللغة في مجتمع مصنع لا يكفي لانماها ، بل نعتقد ان تطوير اللغة لا يتم بحسب ما سبقت الاشارة اليه الا اذا شمر المحترفون على سواعدهم ، وحملوا انفسهم على المساهمة في المجهود الصناعي بصورة تدفعهم الى الخلق والابتكار ؛ فلا سبيل الى ان ننكر مثلا ان الضمير المهني الذي طبع نشاط العامل الاوربي هو الذي كان سببا في التقدم الباهر الذي حققته الدول الاوربية في جميع مجالات الحياة ابتداء من عصر نهضتها . والتاريخ يعلمنا ان الذين يقبلون على اعمالهم بكامل الرغبة والشوق ممن وهبهم الله هذا الضمير الحي المتيقظ ، هم الذين يهندون من حين لحين الى اختراعات قد تنتقل ثمرتها الى كافة شعوب الارض ؛ وهذا ما اهتدى اليه بالفعل ذلك العامل المستنير المسمى دوني بابان، (Denis Papin) حينما لفت نظره غطاء القدر ، وهو يتحرك في علو وهبوط ، نتيجة تصاعد قوة البخار ؛ نعم ، قد يكون الحادث المذكور بسيطا في حد ذاته بالنسبة للبعض ، ولكنه على اي حال كان نقطة انطلاق ابتداء منها تطوّر العالم بأسره تطورا مدهشا . نحن لا ننكر ان مئات الآلاف من الاشخاص من الذين درجوا على وجه الارض مل «دوني بابان» ، سبق لهم بالتأكيد ان شاهدوا ذلك الحادث البسيط ، المتصل بغطاء القدر المتحرك بسبب قوة البخار ؛ ولكن من المؤكد ايضا انه لم يتفطن واحد منهم من قبل الى استغلال تلك الظاهرة الطبيعية حتى جاء القرن السابع عشر ، فكان ذلك من حظ عامل بسيط ، له ضمير متوقد ، وارادة تستطيع ان تهز الجبال .

نستفيد من هذا ان الواجب المقدس يفرض على طرفين منا وخاصة اولئك الذين يعملون في القطاعات الصناعية ان يتقنوا اعمالهم كلها ، مستغلين كل وسيلة ارفع من انتاجهم ، مستخدمين اللغة العربية للدلالة

والبناء والوراقة والتوليد والفناء والطب الى ما هنالك من الصنائع ، التي عرفناها عند ابن خلدون بصنائع بسيطة وصنائع مركبة ؛ وكان الناس في دائرة تلك الحياة البسيطة يعبرون عن مدركاتهم المحدودة بكلمات واسماء دقيقة واضحة ؛ وليس من شك في ان ازدهار الصناعات المحلية في ذلك العصر كما نتصورها من بعيد ، في مدينة القيروان وتلمسان وفاس مثلا كان يواكبه ازدهار مماثل في الثقافة بالنسبة لافراد المجتمع بوجه عام ؛ فلما تدهورت الحالة الاقتصادية في تلك المدن على الخصوص لاسباب لا سبيل الى ذكرها في هذا المقام لحق الحياة الفكرية نوع التحجر والركود .

هذا ويلاحظ من جهة اخرى ان الدول التي سبقتنا بمراحل في طريق النمو والازدهار الاقتصادي ، كروسيا والولايات المتحدة الامريكية وانكلترا وفرنسا تتمتع هي ايضا بازدهار في حياتها الاجتماعية والفكرية ؛ والذي يدعو الى الانتباه هو ان اثر هذا التطور لم ينحصر في الحياة المادية بالنسبة لتلك الدول ، بل انتقل مفعوله الى اللغات التي تتحدث بها ؛ فاصبحت لكل دولة من هذه الدول لغة طيبة مرنة استطاعت ان تستوعب مفاهيم الحضارة العصرية بدون عناء ؛ فكان اللغة - والحالة هذه - ثمرة بيولوجية لما يجري عادة في سائر المجتمعات التي طرأت على حياتها تحولات عميقة كانت في الواقع قاعدة لانطلاق تلك المجتمعات في طريق التقدم والرفي ، لا فرق في ذلك بين تقدمها في الوجهة المادية او الفكرية ؛ ومعنى ذلك ان هذا التطور المادي او الاقتصادي ، يتمشى مع التطور الفكري والفنوي جنباً الى جنب ، بمعنى ان اللغة - وهي وعاء كل حركة فكرية بالطبع - تكون متقدمة راقية متى ما كان المجتمع الذي ينتسب اليها راقياً متقدماً ، والحياة الاقتصادية في نمو مستمر بالنسبة لذلك المجتمع ، كما انها تكون متأخرة فقيرة كلما تقهقر الوسط الاجتماعي الذي هو مبعث تلك اللغة ، او كان مجتمعاً فقيراً محدود المواد بصفة عامة .

واذا كان الامر كذلك فيتعين على المسؤولين في البلاد النامية عموماً ، وفي بلاد المغرب العربي على الخصوص ، ان يعطوا الاسبقية لكل ما من شأنه ان يشجع على تحقيق نهضة اقتصادية ، تدفع بعجلة التطور في هذه البلاد الى الامام ؛ وذلك بتركيز وحدات صناعية في كل مكان ، لان الصناعة من شأنها ان تلزم على صاحبها ربها يفوق ما يستخلصه الفلاح عادة من مراولة زراعة الارض ؛ وهناك فائدة اخرى تجنيها

البلاد من ازدهار الصناعات فيها ، هي ازدياد دخل المشتغلين بها ، وفي ذلك نمو اجتماعي شامل بالنسبة للافراد والجماعات ، فضلاً عن ان توفر الارباح المتولدة عن تصنيع البلاد يعتبر في آخر الامر ، وسيلة في يد الحكومات تتمكن بها من الحصول على الآلات العصرية الضرورية لتطوير الفلاحة نفسها ، تطويراً يزداد معه دخل الفلاحين انفسهم ؛ وفي ذلك كله تقدم محسوس من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية .

ولعل هذا ما حمل الاستاذ كاهان (Cohen) في حديث له عن الاسباب التي اخرجت المجتمع الاسلامي على القول : ان التطور الاقتصادي بالنسبة للجماعات شيء ضروري لا بد منه ، اذا كنا نسعى حقيقة الى نشر الثقافة في المجتمع كنتيجة طبيعية حتمية ؛ ومن ثم ينتقل الاستاذ كاهان الى الكلام عن آفة اجتماعية اصاب بها المسلمون ، فكانت من اكبر العوائق التي حالت دون تقدم البلاد الاسلامية وتطورها مع الزمان ، تلك هي انقسام المجتمع الاسلامي الى طبقتين : طبقة الاغنياء الذين بيدهم كل شيء ، وطبقة الفقراء التي تعاني ما تعاني من الفقر والحرمان ؛ ويعتقد الاستاذ كاهان ان نظاماً كهذا سائر لا محالة الى الفشل ، لانه يحرم المجتمع المتخلف من مشاركة طائفة كبرى من المواطنين في عملية التنمية الاقتصادية التي يجب ان تبقى هدفنا الاسمي ؛ هذا النظام لا يساعد على ارتفاع الدخل القومي ، كما انه يؤدي بالطبع الى تعطيل الحركة الفكرية بصفة عامة في البلاد ؛ لهذا يرى السيد كاهان ورفقاؤه ممن كان لهم نصيب في بحث هذا الموضوع ان تركيز نظام ديمقراطي في البلاد المتخلفة يحمل في طيه بذور النمو والتقدم الاقتصادي والاجتماعي على حد سواء .

هذا ويرى بعضهم بناء على الملاحظات السابقة ان تركيز الصناعات في البلاد العربية والبلاد المتخلفة بوجه عام لا يساعد فقط على بعث نهضة اقتصادية فيها تكون بمثابة نقطة انطلاق وتحرر من كل تبعية ، بل هي في نفس الوقت خير وسيلة لتنمية لغة الوطن ، واغنائها بما هي في حاجة اليه من مفردات ومصطلحات فنية وعلمية خليقة بان تجعل هذه اللغة وسيلة فعالة للتعبير عن مفاهيم الحضارة التي اصبحت من مميزات اللغات الاوروبية الحية .

ذلك ان اقحام اللغة العربية في العمل والمصنع والورش والشارع ، وحمل العمال والصناع والمزارعين على استخدامها يتيح لها طبعاً فرصة التكيف والنمو ، طبقاً لمتطلبات الحياة الاجتماعية باعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية وثمره بيولوجية لحياة الفرد - كما اسلفت -

اولا : ان نبشر على اوسع نطاق بضرورة الترجمة لان هذه الطريقة تضع بين ايدي الناس طائفة من الالفاظ تتفاعل فيما بينها على محك الذوق السليم الجماعي ؛ فاما ان تقبل او ترفض ، ثم تدخل المجامع بعد ذلك .

ثانيا : ان نعطي دروس العلوم والفنون والصناعة باللغة العربية في المدارس والمعاهد والجامعات ، واستعمال اللغة العربية في التعليم كاستعمالها في المعاهد والاوراش والصانع ينزلها منزلة الحاجة والضرورة ، فنعمل اذ ذاك على ايجاد المصطلحات ونضعها بين ايدي الناس ليقولوا فيها قولهم الفصل .

ثالثا : ان نبشر على اوسع نطاق بالرجوع الى صاحب العمل المختص لناخذ عنه المصطلحات العائدة الى هذا العمل ذاته ؛ ومن احق من الحداد بوضع المصطلحات الخاصة به ؟ ومن احق من الطبيب او المحامي او المعلم او التاجر بوضع المصطلحات الخاصة بكل واحد منهم ؟ ان الذي لا يعيش العمل لا يكون قادرا على وضع المصطلحات الخاصة .

وبهذا تصبح المجامع قادرة على ان تنزل الى الشارع . وتفتح العمل والمصنع والحقل والنقاط الكلمات العربية الجديدة وكأنها حصلت على بطاقة جواز نحوها حق الاستقرار في الكتب والاذهان واقتحام الحياة الاجتماعية بدون استئذان .

هذا ومن طريق استكمال النقص الذي تعانيه اللغة العربية جمع المصطلحات الخاصة بالتعليم الابتدائي في معجم صغير مصور ، تشترك في وضعه بلدان المغرب العربي الاربعة ، ليكون بمثابة رصيد لغوي اساسي بالنسبة لعموم التلاميذ ، وهذا ما شرعنا منذ شهور في تحقيقه ، من خصائصه ان تتوفر فيه الدقة ويسر الاستعمال كان يرتب ترتيبا الفبايا كما هو الحال في المعاجم الغربية ؛ وعند وضع هذا المعجم يمكن الاعتماد على الخبراء في كل حقل لاختيار الالفاظ والكلمات الشائعة ؛ لكن بما ان الاعتماد على الخبراء يتضمن عنصرا شخصيا وهو الذي يحمل الكاتب على استعمال هذه الكلمة دون اخرى ، وقد تكون صالحة وقد لا تكون صالحة لصفار التلاميذ ، فنحن بحاجة الى مقياس تربوي ، وهو مقياس اكثر موضوعية ؛ لنعتمد عليه جانب اعتمادنا على رأي الخبراء . وقضية اخرى تدبر بالانتباه في هذا المضمار هي ان هذا الحد الأدنى من المفردات التي يجب ان يتضمنها المعجم الصغير ينبغي ان تؤخذ من القرآن الكريم وكتب الحديث واسماء

الاعلام في البلاد الاسلامية والعربية وبلاد المغرب العربي كما يجب ان تشتمل على الفاظ من الكتب الادبية والمجلات والجرائد ؛ يضاف الى ذلك كله كلمات من العامية التي يمكن الحاقها بالفصحى لعدة اعتبارات ؛ وحينئذ فقط يصبح من الميسور الحصول على قائمة بالكلمات الاساسية في اللغة العربية .

هذا القاموس يكون بالطبع له فوائد عديدة ؛ فهو يسهل تعلم اللغة العربية ويمكن من تعليم الطفل والراشد على السواء بالاعتماد على اهم المفردات واكثرها شيوعا ، كما انه يساعد المؤلفين على كتابة كتبهم مستعملين الالفاظ الدالة على مفاهيم الحضارة العصرية ؛ فيستعين بها الاطفال ، بما اشتملت عليه من قدر ادنى في العلوم والمعرفة ، على المضى في الطريق دون ان تعرضهم اية صعوبة لغوية ؛ والمعلمون يذكرون بهذه المناسبة ان كثيرا من المشاكل الحساسة مثلا يصعب حلها بالنسبة للتلاميذ لا لصعوبتها الفنية فقط ، بل لصعوبة اللفظة التي كتبت بها كذلك ، او قل انهم لا يفهمون المشكلة بسبب ضعف مستواهم اللغوي ...

يتبين من هذا كله ان المعجم المدرسي اداة ضرورية لضبط اللغة الاساسية ، وتزويد الصفار بحصيلة من المفردات تعينهم على متابعة دراستهم بنجاح في الصفوف الثانوية . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يتعين على المتعلمين في اللغة ان يعيدوا النظر في النحو العربي ؛ فهو وان كان يمتاز بالدقة الا انه يحتوي على كثير من الشذوذ في القواعد ، كما تشتمل كتبه على فصول في فقه اللغة وقواعد الاشتقاق والعلل النحوية ، الشيء الذي يجعل دراستها صعبة على المبتدئين ؛ وبالتالي فهي فصول تعتبر عائقا في طريق تعميم اللغة العربية والاقبال عليها من طرف الصفار ، لذلك اصبح من اللازم دعوة قادة الفكر في البلاد العربية والمغرب العربي بالخصوص الى تجديد النحو تجديدا يعيد اليه جذته ووضوحه ؛ لكن حذار ان يفهم من هذا العمل الجماعي الرامي الى اصلاح النحو مجرد اختصار للقواعد او حذف ما لا يحتاج اليه صفار المتعلمين ؛ فاللغة العربية ليست من الصعوبة والتعقيد بحيث يستحيل على الاجانب التحدث بها ، وعلى المواطنين ادراكها بعد دراستها لمدة معينة ؛ انما يعقدها ما يكتنف تعليمها من غموض وعقم في المناهج واعوجاج في الطرق المستعملة في تدريسها ؛ ولذلك نلاحظ اخطاء عديدة في المطبوعات الرسمية والرسائل والاعلانات التجارية المحررة باللغة العربية وحتى في الكتابات الصادرة عن بعض المعاهد العلمية ؛ ذكر بهذه المناسبة الاستاذ وديع خوري في

وحدات صناعية في البلاد يمهّد السبيل لنمو اللغة بخلق المفردات التي يستعملها الصناع عادة أثناء مزاولة صناعتهم . وفي ذلك يستطرد الأستاذ كمال الحاج موضحا الفكرة السابقة بقوله : « العقل أولا ، ثم القول ثانيا ، او اذا شئت - وهو الاصح في اعتقادنا - الفعل والقول متعاصران . وهذا يعني ان وضع المصطلحات قضية تشترك فيها الامة كلها ، وقد حصرناها حتى الان في المجامع اللغوية التي يقف عملها عند حد التفتيش في صفحات الكتب والرجوع الى القديم ؛ لكن القضية اوسع بكثير من التفتيش في الكتب والتسجيل والاطلاع الكافي في اللغات الحية . القضية قضية استعمال قبل كل شيء وفوق كل شيء ، والاستعمال هو وحده المعيار الذي تفرض به الحياة عنفوانها الصارم ؛ ان للاستعمال سلطانا قاهرا ، ذلك ان الاستعمال دليل على ان اللفظة قد انبثقت دفعة من عنفوان الحياة ، والحياة هي المؤتمنة على الذوق السليم .

جدير بنا - طبعا - ان نأتمن هيئة موقرة من ذوي الكفاءة والاختصاص على وضع المفردات التي تفتقر اليها اللغة العربية ؛ لكن لا ننسى - كما يقول كمال الحاج في مكان آخر من كتابه القيم في فلسفة اللغة : « ان ازمة المصطلحات في اللغة العربية لا تحلها المجامع وحدها ؛ بل هي مرتبطة الى حد بعيد بتقدم المجتمع الذي نعيش فيه من الناحية الاقتصادية والفكرية ؛ اللغة توابك حتما ذلك التقدم كما سبقت الإشارة الى ذلك ، وهي وعاء لتقدمنا الفكري ، تملو اذا نما وتنخفض كلما اعتراه ضعف او فتور ؛ والسبب في فشل اللغويين عندنا هو الاعتقاد الراسخ في اذهانهم ان وضع المصطلحات امر لغوي بحث في حين ان اللغة هي قضية فلسفية » . ويتبسط الفيلسوف اللغوي الشهير في الحديث عن المجامع اللغوية فيقول : « ولعل ان الفرق الكبير بين مجامع اللغة في البلاد العربية والمجامع اللغوية في الغرب ، يقوم على ان مجامعنا استنتاجية ومجامعهم استقرائية ؛ فمجامعنا تفرض على الناس ما تصطلح هي على وضعه ، ومجامعهم تثبت في المعاجم ، ما يدور أولا على السنة الناس ، فيقره الاستعمال . عملنا هابط من السماء وعملهم صاعد من اعماق الحياة » ؛ ولله دره اذ يقول متمما بأسلوبه الواضح هذه الصفحة اللامعة حورا مستقبل اللغة العربية : « والفرق عظيم بين ان نفرض على الناس الفاظا قد تكون محنطة وان يمدنا المجتمع بالفاظ حية كتب لها البقاء . المصطلح لا يخبرك بصور اعتبارية واذا كنا نريد للفتنا الحياة المديدة وان تجارة سواها في ركب المدنية يجب :

بازائه . لكن القضية لا تتعلق في الواقع بكمية هذه المفردات بقدر ما تتعلق بقدرتنا نحن على استحضار هذه الكلمات وترويجها في الوسط الفقير الذي نعيش فيه ، وبكلمة اوضح يمكن القول بأن ما دام المحيط الذي يتقلب فيه الطفل المغربي - كالبيت مثلا - يشكو فقرا في الاثاث وادوات ومقومات الحياة المادية التي يزخر بها عادة بيت الطفل الاوربي الذي ينتسب الى وسط متحضر راق ، فان هذا الطفل المغربي سيظل فقيرا كذلك من حيث الالفاظ والكلمات التي تنطق بمعالسم الحياة المادية ، لانه لا يجد الفرصة لاستعمالها في البيت ولا في الشارع ؛ ومعلوم ان توفر الادوات التي ترتكز عليها الحياة البيئية في مجتمع متقدم دليل قاطع على تقدم البلاد التي ينتمي اليها ذلك المجتمع من الوجهة الاقتصادية ؛ فكلما توفرت الاشياء والادوات التي تشير اليها الكلمات الجديدة اصبحت هذه الكلمات حية رانجة بحكم الضرورة والحاجة الى استعمالها ، وفي ذلك يقول الفيلسوف كمال يوسف الحاج : « هذا الولد لا يفكر في الابريق قبل ان يلفظ باسمه دفعة واحدة دون ترو ، فتاني الكلمة هي الاخرى امتدادا طبيعيا للاحساس بالشيء . وهكذا يتضح لنا التساند الذي يقوم بين العين والاذن ، لا فاصل بينهما اطلاقا ، واما اذا نطق بالكلمة في حالة غياب الشيء الذي تدل عليه فانها لا تتجاوب مع الاحساس في الغالب ؛ في هذا المضمار لا يحصل اتفاق بين الفكر والعقل ، بل يبقى الذهن بعيدا عن العمل » ، وهكذا تضعيف فرصة استعمال الكلمة مع الريح الرابع .

يبقى علينا ان نقول ان هذه المصطلحات التي يهتم بوضعها عادة ذوو الاختصاص والخبرة في العلم والتربية ، لا يجوز لهؤلاء ان يفرضوها فرضا على الذين يستعملونها ، وحتى لو ارادوا ذلك فانهم لا يستطيعون . فالمصطلحات - كما تقدم - تخلق حية في بؤرة الحياة العملية ، ومنها تنطلق للدلالة على الآلات والادوات والحركات التي تطبع المجتمعات المتطورة ؛ واما فرضها على الذين يحتاجون اليها بمجرد حشرها في قاموس او معجم ، فذلك ما لا يقبله العقل ولا المنطق . وهنا يتعين الاستشهاد بما كتبه في الموضوع الفيلسوف اللغوي السابق حيث يقول : « المصطلحات يضعها من يزاوّل معانيها ، والا بقيت في حكم الملمات ، لان الداعي اليها مفقود . فمتى وجد الفيلسوف وجدت معه المصطلحات الفلسفية ، ومتى وجد العالم وجدت معه المصطلحات العلمية ، ومتى وجد الاقتصادي وجدت معه المصطلحات الاقتصادية » ، ومن اجل ذلك تقرر فيما سبق من القول ان تركيز

طريقة لا نعلم ان هناك من يجادل في اصالتها وفعاليتها، وباختصار يجب ان نكسب اللغة بطريقة لا شعورية ، على نحو ما يتعلم به الاطفال اللغة العامية ، مطبقين قواعدها بصفة عفوية . على هذه الطريقة يجب ان تلقن العربية وعلى هذا النحو تصبح اداة صافية المشرب صالحة للاستعمال في كل زمان ومكان .

* * *

تلك هي باختصار الخطوات التي يجدر اتباعها ، بحسب ما نعتقد ، لكي نحافظ على تراثنا العربي الاصيل في هذا الوعاء اللغوي الممتاز ، واذا كان مستقبل هذه اللغة منوطا بما بذلناه وما زلنا نبذله من جهد لحياتها واجراء ماء جديد في شرايينها ، فان معركة المصير المشترك بالنسبة لدول المغرب العربي مربوطة اولا وقبل كل شيء بقدرة هذه الدول على الاندماج في عملية تصنيع موفق شامل ، وهذا معناه ان مستقبل اللغة العربية في هذه البلاد منوط الى حد كبير بما تسعر عنه جهود وزراء الاقتصاد الوطني لدول المغرب العربي من اعمال ايجابية ، لا من قرارات تسجل على الورق

فحسب ، فمتى استطاعوا تركيز المشروعات الاقتصادية الضخمة التي تتطلب الخبرة العلمية والعمل الفني والكفاءة الاختصاصية بناء على تجهيزات آلية في كل جهة من جهات هذه البلاد ، ومتى استطاعوا تمبئة العاملين للخروج من التخلف الذي نحن فيه ، وارساء قواعد شبكة اقتصادية وصناعية متكاملة الحلقات ، اطمأنت نفوسنا على مصير اللغة العربية وآمنت انها باللغة - ان شاء الله - هدفها الاسمى ، وفي ذلك اليوم الاغر ستمكن اللغة القومية من ان تفرض نفسها فرضا في كل مكان ، دون ان يخشى عليها من مزاحمة اجنبية او ضغط لغوي غريب ، ان غاية ما يثير العجب في هذه اللغة ، هو انها برغم عوامل المقاومة والضغط التي تعرضت لها في الماضي القريب والبعيد ، فانها لم تمت ولن تموت ابدا ، لكنها لن تستطيع متابعة رسالتها في شتى مناجي التفكير والانتاج ، وفاء بحاجات الحياة المتطورة ، حتى نعيد اليها اولا ذلك النفوذ التي كانت تتمتع به ، يوم كان اهلها يحملون مشعل الحضارة والتقدم في الشرق والغرب .

الرباط : محمد محي الدين المشرفي

مصادر البحث

بالعربية :

- 1 — كمال يوسف الحاج : فلسفة اللغة ، بيروت 1965
- 2 — مجلة التربية الوطنية : عدد خاص باسبوع التعريب 1964 .
- 3 — اللسان العربي : العدد الاول ، يونيو 1964 .
- 4 — اللسان العربي : العدد الثالث ، غشت 1965 .
- 5 — اللسان العربي : العدد الرابع ، غشت 1966 .
- 6 — احمد الاخضر : الطريقة المعيارية للطباعة العربية . 1962 .
- 7 — اللغة العربية من خلال الصحف والمجلات : معهد الدراسات والابحاث العربية ، الرباط .

بالفرنسية :

- 8 — Classicisme et déclin culturel dans l'Histoire de l'Islam. Ed. Besson et Chantemerle, 1957 - Paris
- 9 — محمد محي الدين المشرفي : Problèmes d'arabisation

مجلة التربية اللبنانية متحدثا عن هذا الضعف المتفشى في كل مكان ان المرحوم نخلة زريق ، وهو من ابرز معلمي اللغة العربية لما توفي نقشوا على ضريحه العبارة التالية : « هنا يرقد المعلم نخلة زريق ، توفي عن ستون (كذا) عاما . فما ان قراها احد الظرفاء حتى كتب في اسفلها : « اتقوا الله يا قوم في رجل خدم العربية اربعين عاما ! » .

كل هذا دليل على عقم الطرق المعتمدة لحد الان في تعليم اللغة العربية وتقريبها من اذهان المتعلمين .

قلت ما قلت لا ذكر المهتمين بمصير العربية في المغرب العربي ، انه جاء الوقت لتعبئة الجهود قصد احلال هذه اللغة مكانها في المجتمع كأداة للتعبير عن متطلبات الحياة جملة ؛ وليس ذلك معناه اننا بحاجة الى استعمال اللغة التي كانت رائجة في عصر الزمخشري او سبويه ، انما نحن بحاجة الى لغة ميسرة بسيطة ، لا هي بالفصحى المعقدة ولا هي بالعامية الدارجة ؛ نحن بحاجة الى لغة حية طيبة ، تكون لغة التخاطب بيننا ولغة التدريس والمناقشة في مختلف المواضيع العلمية والفنية ، دون ما نلجأ فجأة الى العودة للعامية ، او استخدام الفاظ من اللغة الفرنسية ؛ نريد عربية واضحة مستمدة من محيط مغرب تعريبا صحيحا ، او كما قال احد الادباء المعاصرين : نريد تعريبا لا لغو فيه ولا تأثيم . ومن اجل ذلك لا يجمل بنا ان نتعصب في استعمال الفصحى بمناسبة وبغير مناسبة ، فنجلب على انفسنا سخرة الناس ؛ لان الفصحى مهما اشتدت رغبتنا الى استعمالها الا انها لا تزال مستعملة في نطاق ضيق ؛ وعندما نريد ان نستخدمها دون ان نمهد للاسباب الدائمة الى انتشارها كثيرا ما تكون سببا في جلب سخرة الناس ؛ وكما يلذ لي بهذه المناسبة ان اسوق للقارئ الكريم حكاية طريفة في الموضوع نقلتها له عن مجلة الفكر من مقال للاستاذ الهادي حمو ، قال : « درس رجل بالازهر وعاد الى بلاده ، وكان معجبا باللغة العربية الى درجة انه آلى على نفسه الا يستعمل الا الفصحى في مخاطبة الناس . واتفق يوما ان كان في نزهة وحده ، فلم يعبا بجنب حتى سقط فيه ؛ فجعل يستغيث المارة ؛ فانظر عليه رجل سقاء كان قد سمع استغاثته ، فقال الرجل : « يا هذا اربطني ربطا وثيقا واجذبني جذبا رقيقا ، ولا تدع الحائط يلطمني ! . فأجابه السقاء ، والله يا ... ما انت خارج منه حتى تتعلم تحكي زي الناس ... »

هذه القصة ان دلت على شيء فانما تدل على ضرورة التبشير باللغة العربية على اوسع نطاق ، واتخاذ

الاسباب اللازمة التي تمهد السبيل لتبسيطها . واذا كان تطوير اللغة العربية امرا واجبا ، فواجب ايضا ان نعمل على تبسيط الحروف الطباعية ، اذ من المشاكل التي تقف في طريق العربية كتابتها كون الطباعة الحديثة لم تقو لحد الان على شكلها ؛ ومن ثم جاءت صعوبة قراءتها اذا ما قورنت باللغات الاخرى كالفرنسية او الانكليزية مثلا ؛ وهذا ما حمل الاستاذ ماسنيون على القول ان الرجل يقرأ الجملة الفرنسية ليفهمها بينما يتحتم عليه ان يفهم معنى الجملة العربية قبل ان يهتدي لقراءتها قراءة صحيحة ، وذلك لعمري عائق كبير في طريق انتشار اللغة للعربية ؛ فلو كان الحرف العربي يبقى على حالة واحدة بالنسبة لعمل الطباعة سواء كان في اول الكلمة او في وسطها او في آخرها لسهل على المنضد الطباعي عمله ، ولاستطعننا ترويج الكتاب العربي نظرا لتخفيض تكاليف اخراجه .

والواقع ان المتخصصين في الدول العربية حاولوا غير ما مرة ان يجدوا حلا لمشكلة الكتابة العربية ، ومن بين هؤلاء صديقي الاستاذ احمد الاخضر الذي اهتدى بفضل الله وعونه بعد عمل شاق طويل ، الى العثور على طريقة مبتكرة تتضمن اختصار الكتابة العربية بما يعود بالنفع على الطباعة والآلة الكاتبة في نفس الوقت .

وقد حظي هذا المشروع القيم بعناية منظمة اليونسكو ، ومجامع اللغة العربية واعضاؤها المحترمين ، على انه يشخص خطوة تاريخية هامة لجعل لفتنا في مستوى اللغات التي تكتب وتطبع وتعلم بسهولة ؛ ولم يبق على دول المغرب العربي التي يهملها الامر قبل كل شيء وبعد كل شيء ، الا ان تتبناه وتعتمده حتى يخرج باذن الله الى حيز التنفيذ ؛ فالمشروع كفيل بتوفير الاسباب كلها لانتشار العربية كي تحتل مكانتها في السوق الادبية والعلمية .

نحن في حاجة الى ان نمهد الاسباب كلها لتعليم العربية بصورة تدفع الاحداث الى اكتسابها في رغبة وشوق ، واللغة تكتسب اذا وجدت البيئة الصالحة لتدريسها ، وخلقت الظروف التي مهدت سبيل اقتباسها للعرب في القديم ، حتى كانوا يتحدثون بها دون معرفة نحو او صرف ؛ فعلى المعلمين اذن ان يتشبثوا بالاكثر من القراءة والحفظ ، حفظ ما تيسر من المحفوظات الثرية والشعرية التي من شأنها ان تطلق لسان المتعلمين باللسان الفصيح ، محاولين الاقتباس ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، من الطرق المستعملة اليوم في تدريس اللغات الحية كالتي يعتمدونها مثلا في معهد ميشيفان بالولايات المتحدة الامريكية ، وهي

والشعر ليس الا الوجه الجميل للحقيقة ، او هو الحقيقة كما تلوح لخيال الشاعر وتمتزج بعواطفه .
 فعندما يضع العالم الجغرافي - مثلا - خارطة للارض ،
 يتحدد فيها معالمها بدقة ، يجيء الشاعر ليتغنى بجمال
 الارض ، ويحول جداولها وجبالها ومروجها قطعاً من
 البيان الساحر . نعم يبيع الشاعر لنفسه ان يغير من
 نظام الكائنات فيخلق للحقيقة ابعاداً جديدة ، وحينئذ
 فهو لا يعمل شيئاً لا نعلمه نحن بمعنى من المعاني ، وانما
 ينطلق من التجارب الانسانية ، التي لا تخلو منها حياة
 كل واحد منا ، في كثير من لحظات حياته ، بل في مرات
 من كل يوم من ايامه ، فكثيراً ما ينظر الواحد منا الى
 بقعة جميلة من الارض امامه فيحاور نفسه قائلاً مثلاً: حبذا
 لو شق مجرى لنهر في ذلك الموضع ، وغرست انواع
 من الزهر في الموضع الآخر ، ونهضت ربوة هنا ،
 وانخفض منحدر هناك ، واصطفت اشجار باسقات
 وارفة الظلال في ذلك الممر . او هو يتخيل انه اصبح
 في رمشة عين من ذوي الثراء العريض ، فظفر بفائدة
 مشرقة القوام ، صبوحة الوجه ، يسعى بين يديها
 الخدم ، وتحفها الوصائف ، واسكنها قصراً عالي
 الترفات ، مترع الجنبات بالافراح والمسررات . او هو
 ينظر الى زوجته الجميلة الفقيرة فيتخيل ذلك القدر
 مزداناً بأبهى الحلل ، وذلك الجيد مطوقاً بأروع القلائد ،
 وتلك المعاصم محاطة بأثمن الاساور ، والشعر احتفلت
 به الماشطات ، والانامل رطبها النعيم ، والشفيتين
 نداهما الترف ، ثم اذا هو يفيق من حلمه الجميل ،
 ليعود الى الواقع القاسي الصامد . احلام كهذه كثيراً
 ما نشغلنا عما حولنا ، وكما منا من استطاع ان يحيل
 الحلم الى واقع ، فخلق جنات من الارض ، والفي نفسه
 وقد ظفر بالفائدة الحسنة ، والمفاني الفخاء ، او رأى
 زوجته الجميلة الفقيرة تلك ، وقد اصاب حظاً من
 عز ، ونالت قسطاً من نخوة وبسطة ومتاع ، ولكن
 ان الحلم الجميل ؟ لقد مات عندما استحال الى
 واقع ، فاصبح ذكرى تعاود صاحبها مقرونة
 بالحسرات !! فاجمل امانينا واحلامنا ما بقي ممتنعاً
 عن التحقيق ، فسبحانك يا الهي ، وما اعجب ما صنعت
 بخلقك !!

وما نفعله او يفعله الشعر احياناً من اعادة
 ترتيب الكائنات ، او خلق كائنات جديدة مركبة من
 عناصر قديمة ، او تجسيم الآمال الحائرة العذاب ، ان
 هو الا تطور لما نفعله في حياتنا كل يوم ، لا عن طريق
 الحلم فقط ، وانما حتى عن طريق تصرفاتنا العملية .
 فنصور سيدة البيت عندما تمل من نظام بيتها فتقلبه

راساً على عقب ، فتنتقل هذه المنضدة الى ذلك الركن ،
 وتجيء بألة التلفزة الى هذه الزاوية ، وتغير اتجاه
 سرير النوم ، وتستبدل الستائر البيضاء بالستائر
 الحمراء ، او تصورها وقد رمت بهذا الاثاث كله الى
 الخارج ، واقتنت اثاثاً جديداً ، مع ان الاول ليس به
 من عيب الا ان العين اعتادت النظر اليه ، فلا بد من
 اجالة يد التغيير دفعا للرتابة ، وجلباً للتنوع ، كذلك
 الذي يقتني مائة نوع من اربطة العنق ، وخمسين
 صنفاً من القمصان ، مع انه لا يحتاج الى كل هذا
 العدد ، وانما هو حب التجديد . ولو نحن ذهبنا
 نستقصي الامثلة على هذا النحو ، لوصلنا الى حد
 الاملال ، في الوقت الذي نحدث فيه عن حب التجديد
 والتغيير . . . والشعر يفعل نفس الشيء الذي نفعله
 نحن في حياتنا الواقعية ، مع تطويره ليناسب ما للشعر
 من طبيعة مجلوبة على الاشراق والسمو ، فهو قد
 ينقل معنى الجريمة من حضيض الرذيلة الذي اعتاد
 الناس ان يضعوها فيه ، الى سماء الفضيلة التي يراها
 لائقة به ، تماماً كما تفعل تلك المرأة عندما تنقل المائدة
 من موضع الى آخر ، وهو يعتمد الى المنظر الطبيعي
 يصفه ، فيجعل زهوره اشد بياضاً مما هي ، وأشجاره
 اشد خضرة مما هي ، وقد يتفنن فيضيف اليه راعياً
 ينفخ في شبابته ، وحسناء بدوية تحمل جرتها ، ويشق
 الارض ليطالع منها دوحة عظيمة يملؤها بالبلابل
 الصداحة الطروب . وكل هذه الاضافات انما هي
 عملية نقل اشياء من مكان الى آخر ، فهو يحول بخياله
 بقاع الارض ، ليلتقط ما يروقه من معالم تتم جمال
 المنظر الذي يصفه ، كما تجول تلك السيدة الاسواق
 لتلتقط أحسن الاثاث لمنزلها الجميل . وقد لا يلذ
 للسيدة ان تؤثث بيتها الا بأفخم الاثاث ، او قد تكون
 اميل الى البساطة فتكتفي بالاثاث البسيط الجميل ،
 وكذلك الشاعر ، اما ان يؤثث قصيدته باسماء الذهب
 والآليء والمرمر والقصور وما الى ذلك ، واما ان
 يؤثثها باسماء الشفق والفسق والظلال والنسمات
 وهلم جرا . وقد يلذ لهذه السيدة - كما قد يلذ لنا
 جميعاً - ان تسمي اشياء بغير اسمائها الحقيقية ،
 فهي - مثلاً - قد تسمي آلة التلفزة (صندوق
 الضجيج) وحجرة زوجها التي ينفرد فيها بكتبه
 واوراقه (بيت الاعزب) على سبيل التعريض والمداخلة
 فقط ، كما قد تطلق على خادمتها النشيطة الدؤوب
 (النحلة) وعلى زوجها اسماً من اسماء التدليل ،
 تماماً كما يفعل الشاعر عندما يقول عن شجرة عامرة
 بالبلابل انها جوقة من المطربين ، وعن الجدول الرقراق
 انه سيف ممدود ، وعن الراعي النافخ في الناي انه

للأستاذ :
عبدعلي الوزاني

نحن والشعر

الهاما من خالقه الذي فطره على قوة الخلق والتكوين .
كل هذا والشاعر قابع تحت ظل شجرة ، او منزو في ركن ،
او مستلق على قفاه لا يفعل شيئا الا انه يحلم ، فيتجسم
حلمه في كلمات ... فانت لا تشعر بالارض مادت تحت
قدميك ، ولا بالسموات تنهار فوق راسك ، ولا
بالحرائق تلتهب من حولك ، في الوقت الذي تكون فيه
الدنيا من حولك قد تغيرت ، وذهبت معالم وجاءت
معالم اخرى ، بفعل شيء بسيط ، يداعب ويناجي
ويهمس ، انه الكلمة !!

ولا تحسبن ان هذا الذي نقوله ضرب من
الخيال المحض ، فلو كان كذلك ما شعرنا به ولا استقر
في اعماقنا ، وقلب مفاهيمنا راسا على عقب ، وجعلنا
ننظر الى الدنيا وهي في شكل جديد ، فلا حقيقة أشد
ظهورا من نفس الانسان في صلتها بالعالم الخارجي ،
ولا حقيقة لهذا العالم الا من خلال الزاوية التي ينظر
منها الانسان اليه . والحرارة والبرودة ، والضوء
والظلام ، والارتفاع والانخفاض ، والقرب والبعد ،
والجمال والقبح ، والخير والشر ، والحلال والحرام ،
كلها كامنة في المنظار الذي ينظر به الانسان الى الظواهر
التي تحيط به ، وكل ما خطر ببال الانسان او خياله .
اما انه كان او هو كائن ، او سيكون (1) . وعلى هذا
الاساس نفس جميع الخرافات والاساطير والمعتقدات
التي آمنت بها جميع شعوب الارض .

الشعر هو احد تلك الفنون الجميلة التي نسلها
قياد انفسنا ، ونخاي بينها وبين هذه الانفس لتفعل
بها ما تشاء ، فاذا بلغت الكلمات الشعرية من السحر
شأوا بعيدا كنا على استعداد للتنازل عن جزء كبير من
مقاييسنا التي تكونت عندنا من قبل ، حيث يتمكن
الشاعر من نقلنا معه الى جوه انخاص ، الذي قد لا
نرضاه لانفسنا الا في اللحظات التي نهب خلالها قلوبنا
للقصيد قدر ما نستطيع .

فنحن نقاد للشاعر المبدع معصوبي الاعين ،
مكتوفي الايدي - ولو الى حين - لياخذنا معه الى
دنيا فتونه ، فنجد انفسنا مغمورين في روائعه من
فرع الراس الى اخمص القدم . ومع ذلك فليس
الشاعر ماردا من مردة الجن ، ولا ابليسا من ابالسة
الشياطين الذين تمتلئ بهم الخرافات والاساطير ، اذ
يتسلطون على الناس بقوتهم الخارقة للعادة ، ويضربون
البحر لينشق نصفين ، او يمدون سبابتهم الى الجبال
فتندك وتنهار ، او يرسلون من افواههم لهبا من نار
يلتهم كل شيء . كلا ليس الشاعر واحدا من هؤلاء ،
وانما هو انسان مثلي ومثلك ومثل الآخرين ، الا انه
يملك شيئا صغيرا جميلا رشيقا قد يهزأ بقوة كل جن
ومارد ، يملك الكلمة !! فهو بها لا يشق البحر ويدك
الجبل ويحرق الكائنات ، كما يفعل المردة والشياطين
- وهم من خلقه - فحسب ، ولكنه يستطيع ان يذهب
بهذا العالم كله ويأتي بعوالم اخرى اجمل واروع ،

(1) (الطاقة الانسانية) ل احمد حسين .

شاء ، دون ان نملك له ردا ولا دفعا ، لانه يتحول الى طيف من نور عندما يمارس عمله الساحر . وبالرغم من المفاتيح التي يملكها ذلك اللص الظريف الشريف ، او ذاك الشاعر فهو قد لا يستعملها بعنف ، وفي كثير من الجلبة ، بل هو يؤثر التسلسل الحذر ، والانسياب الخفيف ، لانه تخلص له لذة المفامرة ، او لان طبيعة عمله قد تقتضي ذلك . الا تراه كيف يغافل تلك الحسناء ، ليسرق منها التفاتة جيد بارعة ، او رفة رمش ساحرة ، او رنة ضحكة ناعمة الا تراه كيف يلامس الجوانب الرقيقة الخفيفة من الاشياء ، ويؤثر ان يعرض علينا اشباحها واطيافها حائما حولها ، ينتظر منها حركة عفوية ، او اشارة تلقائية ؟ انظر اليه كيف يصف الشمس خيوطا ارجوانية تزخرف صفحة الافق ، والزهرة علاها الشحوب كعاشقة ولهى ، والغناء رق وشف كانه المعنى الجميل في الخيال التائه ، فاذا هو عبر عن الاشياء دون ان يتلطف في ملاستها ولا ان ياتبها من جوانبها الرقيقة الشفوف ، كان شعره غليظا سرعان ما تمجه الاذواق وتعرض عنه الاسماع .

الى هذا الحد يقع الامتزاج بين ما هو للشاعر وما هو للناس ، وعلاوة على ذلك فاللفة التي يعبر بها فيها من الناس الشيء الكثير ، واصوات الحياة من حوله تحمل اليه اصداء هي من صميم هؤلاء الناس ، واحتفاؤهم به واكبارهم اياه يمد خيطا رفيعا بين نفسه ونفوسهم ، فيوحي اليه ويفجر طاقته الروحية ، وازورارهم عنه يتير فيه السخط والحنق فيجيب رد فعله شيئا من آثارهم ، بل ان مجرد رغبته في ان يقول شعرا لا بد ان يتأثر بكونه شاعرا بوجود جماعة من البشر يمكن ان يساق اليها عذب الحديث ، وان ترتل على مسامعها انغام القصيد . واخيرا فان الشعر نفسه يحمل في تضاعيفه اصنافا من ردود الافعال ، تسرها تلك التحديات التي غالبا ما تواجه الشاعر من طرف الناس المحيطين به ، كأن يضعوا المراقيل في طريقه ، ويخلوا عليه بالثناء ، ويقتصدوا في شأنه بالسجيع ، ويسبوا به الظن ، فلا يستطيع انتزاع اعجاب منهم الا بعد جهد مرير . وقد تكون اجمل اعمال الشاعر ، هي تلك التي رافقت فترة النضال من اجل اثبات الشخصية .

وانطلاقا من هذه الحقيقة ، حقيقة الاتصال العميق بين مشاعر الشاعر ومشاعر الجماعة التي تنتمي اليها ، اجدنا احيانا كثيرة نصاحبه في بعض هذه ، فياخذنا معه الى دنيا من السحر والفتنة ، وكنتنا اذ نفتح ابصارنا وبصائرنا على روائعها نحدث

انفسنا قائلين : متى سبق لنا ان شاهدنا هذه الصورة ، وان لمحتنا ذلك الطيف ، وان عاقدنا تلك الخاطرة ، واحتضنا ذلك المعنى ؟ ان نعم هذا البيت ليس غريبا علينا ، وان تقابل تلك البدائع ليس اجنبيا عنا ، وان تلك الاخيلة البديعة ليست بعيدة عن بعض ما نجد بين اضلعنا ، كيف امكن ان نقضي فترة ليست بالقصيرة من اعمارنا دون ان نفطن الى هذه الحقيقة ، حقيقة انطواء قلوبنا واخيلتنا على كثير من معاني الشعر ، الى ان جاء هذا الشاعر فنبهنا اليها ؟ والغريب في الامر ، ان هذه الاشياء التي نلغفيها في عمله الشعري قد تكون لم يسبق لنا ان وجدناها في عمل شاعر آخر ، فكيف وجدنا شيئا منها في انفسنا مع ذلك ؟ هل دخل بيننا وبين انفسنا فسمع نجوى ضمائرنا ، والتقط هواجس قلوبنا ، وتلا من صفحات قلوبنا ؟ ثم نحن نعد اخيرا الى هذه القاعدة المقررة في الكتب لنقول : انه توارد الخوطر . ولكن هل نستريح عندما نصل الى هذا الحد من التأمل ؟ الجواب بالنفي ، فما ان يشتمل علينا سلطان عمل شعري آخر من النوع الرائع ، حتى تبدأ شكوكنا من جديد ، وهكذا دواليك . قد تكون تلك الخواطر والتجارب التي عالجها الشاعر ، ووجدنا لها شبيها في نفوسنا ، راجعة الى بعض تجاربنا في الحياة ، او الى قراءات او مشاهدات مضى عليها زمن ليس بالقصير ، ولكن آثارها بقيت راسبة في اعماقنا ، الى ان حركها عمل شعري يمت اليها بصلة ما ، وقد لا تكون شيئا من ذلك مطلقا ، وانما هي ارث تسرب اليها من تجارب اسلافنا الاقدمين ، وهذا امر اقره العلم الحديث ، فكل واحد منا يحمل خصائص الجنس الذي ينتمي اليه ، وتتمثل فيها جميع مراحل التطور التي عرفها هذا الجنس في تاريخه الطويل ، ولا ينطبق هذا على الانسان فقط ، بل على جميع خلايا الكائنات الحية . وعلى هذا الاساس فقد تكون الخاطرة التي تهز وجداني قد تسربت الي من احد اجدادي القدماء ، وقد تكون الفكرة التي ساورتني هي احدى بقايا عقل موغل في القدم ، وهذه قضية كثر الحديث عنها في كتب الباحثين .

ولكن بالرغم من هذا ، فليس مما يحط من قدر الشاعر في نظرنا ان نجد عنده شيئا ليس غريبا عنا ، فلم يخطر ببالنا قط ، ان نستعين بالوجه الجميل لانه يحتوي على عينين وانف وفم ووجنتين كوجوهنا ، ولا ان نهزأ بالبحيرة لان بها ماء كماء الانابيب التي تمتد داخل بيوتنا ، ولا ان نسخر بالموسيقى لانها تمت بصلة الى بعض ما نترنم به في لحظات انبساطنا ، لم يخطر لنا ذلك ببال ابدا ، ذلك لاننا نتمسك الاتقان في

شاعر الرياض . ولا يظن احد اني اجعل عمل الشاعر الذي الفنا ان نحيطه بهالة من القداسة ، حتى لنرفعه احيانا الى مقام الاشياء الخارقة للعادة ، قرين عمل تلك السيدة في تصرفاتها داخل بيتها ، واني اضع ترتيب الشاعر للاشياء الى جانب ما تفعله تلك السيدة بأثاث بيتها ، فانا لم ارد بهذا المثال الذي ضربته الا شيئا واحدا ، وهو التدليل على ان من الخطأ نظرنا الى الشاعر بكثير من الاستغراب ، عندما يعمد الى الاشياء فيغير من نظامها المألوف ، او يضيف اليها ما من شأنه ان يصل بها الى صورتها المثالية ، لاننا في حياتنا العادية نفعل نفس الشيء ، دون ان يخطر ببال اي واحد منا انه اني عملا غريبا او خرج عن العادة المألوفة . وها نحن راينا من خلال ذلك المثال ان الشاعر اذ يضعنا امام عمله الشعري يكون قد اخذ بعض عاداتنا المشتركة فتسامى بها وخلع عليها حلل الفن وشملها بالتهذيب ، حتى لتبدو لنا من خلال نصوصه وكأنها من الاعمال المدهشة . فالشعر من هذه الناحية ان هو الا احد الاشياء الثمينة في حياتنا ، والتي ترتد في اصلها الى عناصر عادية بسيطة ، قد لا نعيها ادنى اهتمام . فالعطر النفيس الذي نشتره بأغلى الاثمان ، يعود الى تلك الزهرات التي ندوسها بالاقدام ، او نفرکها بين الاصابع ، والفنا ان نشاهدها بين حين وآخر . والثياب الثمينة الزاهية ، مردها الى بعض مواد الطبيعة ، التي قد لا يخطر ببالنا ان نقف عندها لنأملها مليا . وقل مثل هذا بالنسبة لكل الظواهر المحتلة مكان الصدارة في هذه الحياة ، ويمكنك ان تضيف اليها ايضا ما يتمثل في الشعر من جمال رائع في تناوله للاشياء ، فان هو الا بعض طبائع الناس بعد ان سما بها الطبع القوي ، والخيال الخصب ، والدوق السليم ، والوجدان الحي . وبناء على هذا يمكن ان نساير الشعر في نصوصه الممتازة ، الى آفاقه المشرقة العالية ، ثم نعود به الى التجارب الحياتية البسيطة التي ينطلق منها ، نرده الى احلام اليقظة التي تستغرق جانباً كبيراً من حياتنا ، والى كثير من اساليب عيشنا المختلفة ، وردود افعالنا حيال بواعث الحياة ومؤثراتها المتعددة ، فنحن نحجب فنحيط من نهوى بهالة من نور ، ونخليها ملكة متوجة على عرش الجمال ، او حورية سابحة فوق السحب ، وقد تحجبها عنا جدران سمكية من عتيق التقاليد ، ولكننا نستطيع بمخيلتنا ان نفتح فيها كوة نلمحها من خلالها . ونحن قد نكره فنتخيل اعداءنا الالاء وقد نزل بهم الهم ، واحاطهم الويل ، وتخطفهم الشيطان . ونحن قد نتمنى مفرطين في التمني ، فنتصور التراب ذهباً ، والقرش الابيض كنزاً ، والكوخ الحفير قصراً ،

الا ان الشعر يمتاز - من بين ما يمتاز به - ان يعمد الى احلامنا تلك ، مضافة اليها احلام الشاعر المبدع ، فيضع لها قالباً من اللفظ الجميل ، ويهبها كيانا ويحيطها بسياج من الموسيقى والبيان ، ليتمكن الرجوع اليها مرات ومرات ، ولولا ذلك لصارت الى التلاشي والعدم ، تماماً كما يحدث لاحلامنا نحن الذين لسنا شعراء ، اذ سرعان ما تتبدد وتلاشي ، بعد ان تكون قد اخذت منا اوقاتها تقصر او تطول ، ولكن دون جدوى . في حين ان الشاعر بما اوتي من مهارة وقدرة ، يستطيع ان يستغلها ويكون منها شيئا رائعا لا سبيل الى تلاشيها او اضمحلاله . فنحن عندما نرسل آهاتنا وانائنا وصيحات فرحنا تضيع في الهواء ، ولكنها بالنسبة الى الشاعر تتجمع ذبذباتها في الفاظ حية معبرة ، ونحن عندما نبكي تنزلق دموعنا ليدركها الجفاف حيناً او بعد حين ، اما بالنسبة الى الشاعر فهي تنعقد لآليء في ديباجة شعره الجميل . ونحن قد نصاب بمأساة تكوي منا القلوب وتمزق الابدان ، ثم لا شيء نستفيد منها الا المرارة والالم الممض ، فاذا هي اصابت الشاعر او احب الناس اليه ، حول المأساة الى مهرجان شعري كبير ، فيا له من ساحر ماكر لا يشق له غبار !! ونحن عندما نتملى شعره نعجب لصوره الشعرية البديعة القسامات ، مع انها من بعض احلامنا . ألم يسبق لنا ان تخيلنا القول ذا الرؤوس السبعة ، والسمة التي نصفها الاعلى آدمي ، كما تخيلنا الملائكة تطير بأجنحة عجيبة ، والشيطان مخلوقا بشع الخلقة ذا قرنين منكرين ، والمرأة حية رقطاء تنفث السم الزعاف ، وغيرها من الصور الخيالية التي عملت فيها الاسطورة والتربية وما ملأ به الكبار اخیلتنا ونحن صفار ؟ اليس لهذه الرؤى علاقة بالصور الممتازة التي يركبها خيال الشاعر ؟ وأخيراً يأتي مبدع الشعر ليصول علينا بشعره الذي هو بضعة منا ، مزهوا كالطاووس ، يسير بيننا الهوينى تيهاً ودلالاً ، وقد ينظر الينا من برجه العاجي وكأنه يتفضل علينا بنظراته المتعالية ، فيا له من لص محتال !! يتسلل الى نفوسنا ليسرق ماتيتها الكثيرة في غفلة منا ، لاننا منهمكون في شؤون دنيانا المستبعدة القاسية ، ولكن يجب الاعتراف بانه لص ظريف سريع الخطى ، رشيق الحركات ، بارع اللمسات ، وهو لص شريف ، ما يلبث ان يعيد الينا بضاعتنا بعد ان يكون قد قضى لبائته منها ، ويعيدها بعد ان يكون قد باركها فاينعت وزكت ، وكأنه يرشونا لتجاوز عن فعلته تلك ، وما دمنا لم نستطع ان نصنع منها شيئاً فهو بها أولى ، وكأنما الطبيعة حسبت حسابها له . الحقيقة ، فاعطته مفاتيح نفوس الناس ليلجها .

يحمل التراب ، والآخر يرفع الاخشاب ، وآخرون يتولون وضع هذا كله في موضعه المناسب ليصمد البناء ، بيد ان هؤلاء لا يذكرون ولا يشار اليهم عندما ينسب هذا البناء الى المهندس الذي وضع التصميم ، أو المقاول المشرف على عملية البناء ، مع ان اثرهم موجود في كل شبر منه . ونحن لا ننزع الشاعر في هذا الامر ، لاننا نعلم مقدما انه لم يقم بعمل يخطر علينا ان نساهم فيه ، فالمجال واسع ويمكن لكل من انس من نفسه الاستعداد ان يلج به ، والشاعر نفسه يكون مستعدا للاخذ عنا والاستماع الينا اذا نحن استطعنا ان نجاريه في مضماره ، والمشاعر الانسانية قدر مشاع بين الناس جميعا ، اذ هي الناحية التي تمررت على ميل الانسان الى اقتسام مناطق النفوذ ، فلم يكن في امكان احد ان يعلن بقوة : هنا تبدا مشاعري!! كما يقول هنا تبدا ارضي وممتلكاتي ... ولعل شيوع هذه المشاعر بقية من شيوعية الارض وشيوعية الجنس ، التي سادت فجر الحياة البشرية . واذا كان الشاعر قد استحق ان يختم على عمله الشعري باسمه وحده ، فلانه قد بذل جهدا (فنيا) لم نستطع نحن ان نبذله لافتقارنا الى الوسائل التي تيسرت له . واقيد الجهد بأنه فني ، لاننا في الحقيقة قد نبذل جهودا في معاناة العواطف ثم التعبير عنها ، ولكنها جهود فطرية اكثر منها مكتسبة ، ومن ثم فهي ليست فنية . فنحن - مثلا - نشيد الاناشيد الحماسية في كثير من مواقفنا الوطنية ، تلك التي وضعها لنا شاعرنا ، وتصدر عنا كلمات العطف والشفقة اذا نحن مررنا ببيتيم في اسمال بالية ، ونسكب في آذان حبيباتنا ما نكنه لهن من شوق وحنين ، ولكن كل هذا قد يكون من خامات العمل الفني ، دون ان يكون هو العمل الفني نفسه ، فلا يرفعنا الى مقام الفنانين ، وانما يتركنا في المستوى العادي لأكثريه الناس . بينما الشاعر يفعل نفس ما نفعله نحن - مع وجود الفارق - اي انه يقوم بردود افعال مختلفة امام شتى المؤثرات التي تحيط به ، ويزيد علينا بقدرته على ان يستمد منها آثارا جميلة معبرة عن عمق في التجربة ، وذلك هو سر هيمنة الشاعر على العمل الشعري ، وقبولنا لهذه الهيمنة ، بالرغم من مساهمتنا غير المباشرة في جزء مهم من محتويات عمله ، بمقتضى كونه واحدا منا ، يحمل في نفسه كثيرا من طبائنا ، وياخذ مادته حيانا من نتائج معاناتنا ، بل نحن لا نكتفي بذلك ، وانما نحيطه بمظاهر التكريم والاعجاب ، ونحله من انفسنا مكانا عاليا ، ولا نذكره الا هفت نحوه قلوبنا ، واكتحلت خفيته ما قينا ، ولا غرو ، اليس بلبنا الفريد ، وصفوة

ما رزقناه من استعداد لحب الفن والهيام بأسرار الجمال ؟ الا تنساب اعماله في حياتنا العاطفية فتشيع فيها الانس ، وتتوهج في خيالنا فتغمسه بمونقسات الاماني ؟ الا يصبح شعره رسولا بين المحبين ، وعزاء للمعذبين ، وثناء للمحرومين ، وضميرا للشعوب ، واملا للاجيال ؟ ها هنا تبدو لنا عظمة العاطفة الانسانية عندما تصادف انسانا شغوبا بالكلمة ، آخذا في صعود مراقبي الفن ، مرورا بالادباء والشعراء الصغار ، الى كبارهم ونبغائهم ، الى ان تتوهج على قمة الجهود البشرية ، موصولة الاسباب بأسرار الخلود ، مضافة الى المعالم الكبرى في تاريخ الانسانية الطويل ، مشرقة كالشمس على جغرافية الفكر الانساني على اختلاف العصور ، حتى لتصبح دولة داخل الدول ، وامبراطورية داخل الامبراطوريات ، دائما تعود اليها الانسانية لتجد فيها مجالا لتجريب عبقريتها ، وصدى لما يهزها من خطوب واحداث ، وهنا ينقلب الشعر رائدا عظيما يحث الخطى نحو مثل عليا وقيم خالده ، فإين منه تلك المشاعر المشتركة بين الناس ، والتي اليها يرجع ما للشعر من قوة عندما يتراجع عن مكانه الممتاز ، وينحل الى العناصر الاولية التي يتركب منها ، فيرتد الى حياة الناس في مسراتهم واحزانهم ، شأنه شأن طائر خلق في مجتمع الطير ، فيه كل ما في بني جنسه من خصائص ومميزات ، ولكن الطبيعة لم تلبث ان اخذته بكثير من الاعداد الخاص ، قوة في الجناحين ، وصلابة في الجسم ، وحدة في المخالب ، وحصانة ضد عوارض الجو ، فارتفع يخلق مع الطيور في مجالها المحدود ، ولكنه استطاع التفوق عليها في الطيران ، عروجا الى اعلى ، صامدا امام تقلبات الطبيعة الهوج ، على حين انها تقوض اجنحتها ، وتطاردها لتعود الى اوكارها تحتمي بها في وجل الضعيف واضطراب المهزوم . ولكن هذا الطائر الغلاب لو تصورنا امتيازاته تولت عنه ، لعاد القهقري الى حيث يوجد غيره من الطيور ، كما اننا لو تخيلنا امكان تمرد الكلمة على الشاعر واعتدال عواطفه وانطفاء ومضات فكره الحادة ، لعاد الى حيث يزحف ملايين الناس ، غامسة اقدامها في الوحل ، مضطربة في طريق الحياة السلطاني الطويل . وكما يخلق ذلك الطائر الجبار ما شاء له التحليق ، واخيرا يعود الى جذع شجرة ، او ثقب في جبل ، كغيره من الطيور ، يخلق الشاعر العظيم في آفاقه البعيدة المترامية الاطراف ، فيصنع اعماله العظيمة الرائعة ، ليعود بها اخيرا الى بسطاء الناس ليعرضها عليهم ، منتظرا اقبالهم عليها ، معجبين بها ، حتى ولو كانت في اساسها من ابتكار خيالهم الشعبي

بها الصبية ويتقاذفونها في نشوة ومراح . ولو افترضنا ان انسانا متحضرا وفد على هذه الارض ، فسيعرف كيف ينتفع بمنجم الذهب فيها ، فهو يفرزه عن المعادن المستعملة به ، وينفض عنه طبقات التراب ، ليبسود مشرقا صافيا ، وكم من احلام تساوره حينئذ وهو ينتظر انيه مجاوا ياخذ بريقه بالابصار ، حنى تزين اطراف العذارى ، ونفائس تبهرج اركان البيوت ، ونقودا ثمينة تحقق غوالي الاماني وتصنع المعجزات ! . وحالنا نحن مع الشاعر ، كحال اولئك القوم مع ذلك الانسان الراقي ، اذ يعمد الى التجارب الانسانية واللغة المتداولة فيكشف عن معدنها النفيس وينفي عنها الطفيليات العالقة بها ، فننظر فاذا باشياء كثيرة احسنها ، واجريناها على السنتنا ، وازدانت بها اخيلتنا تتحول بمعجزة الى شيء فاتن رائع . وكما ان اولئك القوم المتأخرين قد يتقدمون يوما ويدركون قيمة الذهب ، فيشترون ذهبهم المصوغ باثمان باهظة ، كذلك الشأن فيما يتعلق بنا نحن ، حيث نأخذ عواطفنا ونظراتنا من الشاعر مصوغة في شكلها الجميل ، في مقابل ما ننقده اياه من ثمن !! وليس من الضروري ان يكون هذا الثمن ماديا ، فهو قد يكون - مثلا - تصفيقا تلتهب به اكفنا ، تقاطع به ما ينشدنا من رواثه ، كما قد يكون اشتغالا بشعره دراسة وتحليلا ، او جريا وراء آثاره ، نهفو اليها في لهفة وشدة شوق .

لقد راينا حتى الآن ان الشعر يضم كثيرا من التجارب الانسانية العامة ، الى جانب التجارب الخاصة بالشاعر ، والمتأثرة بالاولى الى حد بعيد ، ولكن الشاعر اذ ينتهي من ابداع عمله الشعري ، ويدفع به اليما ، يخرج وعليه اسم صاحبه وحده ، وكأن كل ومضة من ومضاته ، وكل خلجة من خلجاته ، هي ملك له وحده ، وكل النقاد والدارسين ، لا يذكرون هذا العمل الشعري الا مقرونا به فقط ، على حين ان نسبة ماثوية منه قد تقل وقد تكثر ، هي من معطيات الكيان الانساني العام . فجميع الناس يعانون التجارب النفسية ، وتكلفهم احيانا كثيرة آلاما واحزانا ، وتؤثر تأثيرا عميقا في مصائرهم واتجاهات حياتهم ، فاذا ظهر بينهم شاعر استفاد من تلك التجارب التي عاناها الناس ، عن طريق اتحادها بتجاربه الخاصة ، هذه التي تكون عادة أعمق من الاولى ، ومزج بين الجميع مزجا بارعا ذكيا ، يصعب عليك معه ان تميز بين ما هو للجماعة وما هو للفرد ، وان شئت مثلا محسوسا لهذه القضية ، فعليك ان تنظر الى ذلك البناء الجاري امامك ، الا ترى انه يتعاون على رفعه عشرات العمال ، هذا يحمل الحجارة ، وذا :

كل شيء ، والشعر الرائع شيء متقن ، كله نظام وتناسق ، على حين ان تجاربنا وعواطفنا نحن مشوشة مضطربة . ويمكننا ان نزيد المسألة وضوحا بنظرنا الى وجوه الناس ، فالوجوه الدميعة لم تكن على هذه الصفة لافتقارها غالبا الى اية شية من شيات الجمال ، فقد تجد العينين الجذابتين اللتين تذهب جاذبيتهم لانهما تحت جبهة بشعة ، او فوق انف ذميم ، بينما وجه آخر به انف جميل ، ولكن يذهب جماله لانه تحت عينين منكرتين ، ولو انك خالفت بين هذه الملامح ، فنقلت كلا منها الى ما يناسبه في وجه من الوجوه ، لزال البشاعة وحل محلها الجمال والوسامة ، وهذا بالفعل ما تفعله الطبيعة عندما تراعي التناسق بين ملامح الوجوه الجميلة . نفس الشيء يحدث بالنسبة للشعر ، من حيث قياسه الى ما هو مشاع بين الناس من خامات شعرية كالكلمات والعواطف والتجارب الروحية ، فنحن عندما لا نكون شعراء ، لا نقدر على وصل كلماتنا بذلك السلك الذهبي الذي يسمونه الاسلوب ، وانما نضم بعضها الى بعض كيفما اتفق ، وحيانا عن طريق القسر والتعسف ، تماما كما يحدث عندما توضع عيان جميلتان تحت جبهة بشعة ، او يوضع فم عذب الثنايا وسط عارضين منكرين . اما عواطفنا وتجاربنا الروحية - متى لم تكن شعراء ايضا - فهي هابطة صاعدة ، ممتزجة بطحالب نفوسنا ونفائياتها ، ولو اننا جسمناها لكنت غرفة تجاورت فيها هذه الاشياء : كتاب شعر ، مكنسة ، زجاجة عطر ، علبة سردين صدئة ، موسى للحلاقة ، منفضة مليئة باعقاب السجائر . كذلك نفوسنا : احساس نبيل يختفي في مثل سرعة الطيف ، ليحل محله تصميم للانتقام من عدو لدود ، اعجاب بتلك الوردة الزاهية على فنتها ، يعقبه حين التفكير في وسيلة نفوز عن طريقها بمغرم مادي ، تملي من ابيات شعرية رائعة في ديوان شعر ، نتخلص منه سريعا لنذهب بعيدا وراء شيء لا يمت الى الشعر بصلة ، وهكذا تستمر تجاربنا النفسية الى ما لا نهاية . اما في الشعر فتلك التجارب تكون قد صفت مما قد يكون عالقا بها من الاحساسات غير المرغوب فيها ، فاحتفظ منها بالاعمق والسامي والامثل ، ولا اقصد بالسامي والامثل معناهما الخلقوي ، وانما اقصد معناهما الفني الصرف . فمعدن الذهب اذا وجد عند قوم لا يعرفون للذهب قيمة ، يمتزج في ارضهم بالحصى والتراب ، ويجرف ويهرس بالفؤوس ، ليكون اديما تطؤه الاقدام ، او احجارا تقام فوقها البيوت ، او وقودا يتوهج جمرات يستدفأ بها في الشتاء ، ويطبخ عليها الطعام ، او قطعاً لامعة يعبث

الوجود وتكسره : (١)

بقلم الدكتور حسين نصر
استاذ الفلسفة بجامعة طهران
تغريب الدكتور عبد اللطيف السعداني

الفلاسفة المعاصرين في الغرب الى ان يجعلوا اساس
فلسفتهم الوجود الجزئي والارتباطي Existence
او « الظهور » بدلا من الوجود الكلي « Etre »
ناسين ان كلمة الوجود الجزئي في اللغات الاوربية يعني
Existence مشتقة من الاصل اللاتيني
« Ex-Stäre » التي هي بمعنى : موجود مبنى على
اصل غير نفسه .

لقد عرف الوجود في الحكمة اللدنية التي سماها
Leibnitz « Philosophia perennis » بالتعنين
الاول الذي لا اسم له ولا رسم لذات الباري تعالى ، كما
عرف بمبدأ ومنشأ جميع صفات واسماء العالم (4)
ونحن نقصر بحثنا في هذه المقالة المختصرة على المقولة
الثانية لانها اقرب الى موضوع الفلسفة ، ولكن يجب ان
نذكر ان للحقيقة في الحكمة اللادنية والعرفان وجود
وذاوات وراء كل نوع تجل . وظهور ووراء الكون
والظهور معا .

لو بلغ الانسان مقام الكشف والشهود لاصبح
تعريف الوجود من اسهل الامور . غير ان ذلك محال
بدون التوسط بهذا المقام ، فليس للعقل (2) - وهو
الوسيلة الوحيدة لمعرفة الوجود من حيث هو وجود -
مفهوم اوضح من مفهوم الوجود (3) اذ ان اصل العقل
والوجود واحد . اما عند ما يمنح الكشف والشهود
مكانهما للعقل الاستدلالي فان كلمة الوجود تصبح
« اكثر الكلمات غموضا » . تتضح هذه القاعدة جيدا في
الحكمة اللدنية والفلسفة الجديدة ؛ فقد كانت الحكمة
اللدنية سواء في الشرق او في الغرب مبنية على العقل
الكل ولذلك بقيت مصنوعة من التعقيد والابهام حول
مفهوم الوجود . ولكن الفلسفة الغربية الجديدة منذ
عصر دكارث الى بداية هذا القرن كانت تتبع احد انواع
الاساليب المحدود بالاستدلال يعني Rationalisme
وعلى ذلك كانت تقع دائما في صعوبة ادراك معنى
الوجود . ويبلغ عدم هذا المفهوم درجة دفعت بعض

- (1) تكسر يعني Paratization فكما ان العدسة تظهر نور الشعاع منكسرا فان العالم ايضا يكسر الوجود
المطلق في تشتت الوجود المقيد .
- (2) المقصود بالعقل هنا هو العقل الكل او العقل القدسي وآله عند العرفاء هي عين القلب ، فبالاستفادة
من هذه الآلة يمكن مشاهدة الحقائق مباشرة . العقل الكلي Intellect فعال ويحصل مباشرة على
العلم والمعرفة . اما العقل الجزئي Raison فمفعول ومتكسر وليست له طريقة مستقيمة للحصول
على العلم . فطريقة العقل الكل توائم الاشراق والشهود . وطريقة العقل الجز هي الاستدلال والبرهان .
لقد كان غلط الفلسفة الجديدة منذ عصر دكارث الى اليوم هو : اولا في المعرفة Intellect والا Raison
مما جعل اتباعها لا يستطيعون فهم العرفان والحكمة الدوقية .
- (3) ان للوجود جهتين : احدهما مفهوم الوجود الذي هو اكثر الامور بدها للهم . وثانيهما حقيقة الوجود ،
والوصول اليها في غاية الصعوبة ، ولا يمكن مطلقا ان يزعم فهم ادراكها كما يقول الملى هادي البزواني في
منظومته :

مفهومه من اعرف الاشياء وكنهه في غايبة الخفاء
ان ما وراء الوجود او العماء هو في الحقيقة جهة من الحقيقة ليس لها اي نوع تعين في حين ان الوجود
هو تعين حقيقة بالنسبة لتجليه او تعد بذلك جهة شخصية للالوهية .

F. Shuon : « Les stations de la sagesse », Paris, La Barque du Soleil, 1958, p. 30

كالاساطير والخرافات التي قد يجعلها الشعراء من وسائل بيانهم . وهو - اي الشاعر - لا يعود الى الناس على هذا النحو فحسب ، ولكنه يعود على نحو آخر ، وهو التصاقه بالارض التي يزحفون فوقها ، ليلتقط مادته من صميم الحياة ، ثم يخلق بها من جديد ، كما يفعل ذلك الطائر عندما يترك الاجواء العليا ويهبط الى الارض ، باحثا عن غذائه الذي ما ان يتزود منه حتى يرتفع مرة اخرى الى فضاءه الرحيب . وقد يكون من المفارقات العجيبة ان ذلك الشاعر الممتاز على بقية الناس ، صاحب المملكة السماوية الواسعة الارزاء ، يتخلى عن عليائه ويحل بيننا نحن الناس العاديين ، ليستمع الى اغنية تترنم بها فتاة بدوية ، او مطارحات تبادلها في جلسة ودية ، او ينظر مسحورا الى نبات غرسناه بايدينا ، او باقة ورد قطفناه بأصابعنا ونسقتناه بأذواقنا ، او ما الى ذلك من عادات حياتنا التي قد لا يخطر لنا على بال ان تكون مصدر الهام للشاعر المبتكر . وهناك عدد كبير من شؤون الحياة العادية ، تنصل به من قريب او بعيد ، دون ان يدور بخلدنا انه ذو خطر ، الى ان يجيء الشاعر المبدع ، فيجد فيه ينبوع فتنة وسحر . كيف ذلك ؟ هل نحن ذوو قلوب غلف ، واذان صم ، وعيون عمي ؟ لماذا سلخنا سنوات وسنوات من اعمارنا ننظر الى تلك الشجرة ، وذلك الجدار ، وهاتيك المفاني ، ونستمع الى ذلك الطائر ينقر شرفة بيتنا ، والخرير صادرا عن غدير قريتنا ، من غير ان نحسب ان لهذا علاقة بالشعر ، وانه مادة صالحة للشعراء ؟ اتكون مهابط الوحي الشعري على مقربة منا ، وعن يميننا وشمالنا ونحن عنها غافلون ، ثم ياتي اخيرا انسان فيزيل الغشاوة عن أعيننا لنرى اننا كنا شبه اموات قبل ان تمسنا عصاه السحرية ؟ سيبقى سر ذلك عند الشاعر الذي ربما كان هو الآخر لا يدري من امر نفسه شيئا ، سوى انه خلق هكذا ، طرازا خاصا من الناس ، يقترب منهم حتى ليشم رائحة عرقهم ، ويبتعد عنهم حتى ليبعد مئات الفراسخ والاميال ، خاضعا في ذلك لقوة لا يعرف لها مصدرا . ولامر ما شاءت الطبيعة الا تركب العين الشعرية في وجوه جميع الناس ، بمعنى ان تجعل منهم اناس يعيشون للشعر ، فماذا يحدث لو كنا جميعا ننظر الى مظاهر الحياة كشعراء ؟ لنتصور وضعنا الاجتماعي مع هذه الحالة ، لنتخذ من الاسرة الواحدة مجالا لتطبيق هذا الامر المفترض . هب

- مثلاً - ان جميع افراد اسرتي - بما فيهم انا وزوجتي واولادي - شعراء (1) ، فكيف ينعكس ذلك على حياتنا المشتركة ؟ الكل يعلم ان الشاعر الذي نذر نفسه لفنه واعطاه زمام امره ، كلف بالجمال في اسمى معانيه ، شغوف بالكمال يطلبه بكل عصب من اعصابه ، متبرم بكثير من الاوضاع المستقرة من حوله ، وانه تصدر عنه احيانا تصرفات غريبة ، وقد يعتاد عادات شاذة ، وتستبد به نزوات حادة ، متأثرا في ذلك كله بالطبيعة النفسية المفقورة عليها ، الامر الذي قد يضر بالناس المحيطين به ، فلا يستطيعون التوفيق بينه وبين مقتضيات الحياة العائلية المشتركة ، فاما ان يقطعوا الاسباب التي تصلهم به ان كان ذلك في الامكان ، واما ان يتحملاه متأسين بكونهم يؤدون واجبا لامتهم ، اذ يحيطون برعايتهم شاعرا من شعرائها الافذاذ . فاذا كان جميع افراد اسرتي شعراء ، كان لكل واحد منا نزواته واحواله المتناقضة وحمقاته ايضا ، وبذلك لا نستطيع ان نعيش مجتمعين تحت سقف واحد يوما واحدا ، في جو هاديء جميل ، اذ ان كل واحد منا سوف لا يحتمل الآخر ، وهكذا نفهم انه لكسي يكون انسان ما شاعرا يهب حياته لهذا الفن الجميل ، لا بد من وجود اناس عاديين من حوله وعاديين جدا ، يقدمون له الرعاية الكافية ، لينصرف الى آفاقه العلوية ، وبعيش في ملكوت الشعر وادعا رضي الخاطر مطمئن البال . وقد لا يجد الشاعر ممن حوله رعاية على الاطلاق ، فهم يحاربونه ويناصبونه العداء ، ويفسدون عليه جوه الجميل ، ولكن هذا كله قد يحتمل الا ان يكون الكل شاعرا . فاذا نحن خرجنا من محيط الاسرة الى المجتمع الكبير ، لنجده بقدرة قادر ، مكونا من الشعراء فقط ، تصورتنا مدى الحماسة التي ارتكبتها عندما ذهب بنا الخيال بعيدا فافترضنا هذا الافتراض القريب !!

واذن يكون الخير كل الخير في الوضع السلي اقرته الطبيعة التي لا تخطيء ابدا ، وهو ان تبقى القدرة الشعرية مقصورة على افراد معدودين في كل بيئة ومجتمع ، على حين ان الآخرين ينصرفون الى شؤون دنياهم الكثيرة ، دون ان يمنهم ذلك من ان يحلموا احلاما شعرية جميلة في بعض لحظات حياتهم .

فاس : عبد العلي الوزاني

(1) اقصد بالشعراء اولئك الذين وهبوا حياتهم للشعر ، لا من يقولون الشعر في بعض الاحيان .

درجة الاعيان الثابتة عن بعضها البعض . الخلقة يعني تصور امكان ظهور تعيين الممكنات في العقل الكل وبالتالي ايجادها . العلم في رأى العرفاء هو مجموعة من المراتب ينجلي الوجود في كل منها بدرجة معينة كما اشار ابن العربي الى ذلك في فصوص الحكم « جميع الممكنات في الحقيقة عدم . ولا وجود غير وجود الله تعالى الذي ظهر بصورة الاحوال ، المختلفة الناتجة عن الممكنات مثلما هي في نفسها ، يعني في تعيينات ذاتها » . فكل الموجودات تشترك في الوجود وهي بدونها عدم صرف . كل ذرة في عالم الخلق مظهر من وجوده استقرت في مكان وزمان واسترفت شرطين ، هما الصورة والكمية .

ان للرحمة الالهية الفريدة حسب قول العرفاء فيض يحتضن كل شيء حتى العدم الذي هو في الظاهر ضد لها . يقول مولانا (جلال الدين الرومي) في ديوانه مشنوى معنوى :

نحن العدم الذي هو مظهر الوجود
وانت الوجود المطلق لوجودنا
كينونتنا وتكوينها من عطائك
ووجودنا كله من ايجادك
لقد جعلت العدم يعشقك
وبذلك عرفته لذة الوجود
لم نكن ، ولم نطمح لان نكون
فعطفك هو الذي سمع صمتنا

بعد هذه الجولة المختصرة في تعريف الوجود نرى اننا وصلنا الى هذه النتيجة وهي ان الموجودات كلها ترتبط من حيث الوجود ومن حيث الصفات بالوجود المطلق ، لذلك لا يمكن تعريف الوجود بنسبته الى شيء خارج عنه ، فالوجود من جهة هو التعيين الاول للحقيقة المطلقة وهو من جهة اخرى نور يكون باشراف على مثل الامكانات ، يعني الاعيان الثابتة ، الاشكال والاجسام التي تشكل العالم . ان الوجود سلم بين العدم والوجود فهو من حيث كونه بعيد عن الوجود المطلق ليس الا حلما وخيالا ولكنه في نفس الوقت يتصف بالواقعية من حيث كونه لا شيء غير الوجود . وحدة الموجودات اى ذلك الترابط الذي يشبه الخيوط التي تجمع عناصر العالم كلها مع بعضها هي مشتقة بذاتها من وحدة الوجود لان

الموجودات كلها تشبه دوائر متحدة المركز ، كل موجود يرتبط مباشرة بالمركز كما ان جميع الاعداد ترتبط بالعدد « واحد » من غير ان تنشأ عن بعضها ، فمائة هي مجموع تسعين وعشرة غير ان لها في نفس الوقت صفات وخصوصيات ليست لـ تسعين ولا لـ عشرة ؛ ومجموع هذه الخصوصيات هي ماهية المائة ، وتكونت مائة من جهة اخرى من تكرار الواحد الذي يشبه في توليد الاعداد الوجود في ايجاد الاشياء . ان سائر الاعداد تتفق في انها تركبت من العدد واحد وتباين في ان كلا منها له خصوصيات تنحصر فيه وكذلك الامر في سائر الموجودات تتفق من حيث الوجود وتختلف من حيث الماهية .

قسم الحكماء احكام الوجود الى احكام ايجابية واحكام سلبية . موضوع الاحكام الايجابية هو الوحدة والكثر والعلة والمعلول والقوة والعقل والجوهر والعرض والعلة الاربعة والمقولات العشرة . وهذه الاحكام هي جوانب من الوجود يمكن معرفة الممكنات بواسطتها . والاحكام السلبية هي عدم تعريف الوجود كون الوجود بسيط وعدم كونه مركبا وكون الوجود كلا وعدم كونه جزءا وقس على هذا .

فتركيب هذين المسلكين يعني طريق الاحكام الايجابية والسلبية ينسج العلم الكامل بالوجود . الوجود من جهة هو ما وراء العالم الظاهر « ولا شيء خارج عنه اصلا » (1) . ومن جهة اخرى ؛ منه تتبع جميع صفات العالم واليه تعود (2) . ان معنى الخلقة في القرآن المجيد هي اعطاء الوجود ورسم الاعيان الثابتة في اللوح المحفوظ كما يقول الشيخ محمود الشبستري في « كلشن راز » :

وما ان نفخ قاف قدرته من روحه في القلم
حتى انطبعت آلاف الاشكال على لوح العدم
تلك القدرة التي اظهرت الكونيين
من الكاف والنون في لمح البصر
ان التاويل العرفاني لكلام القرآن المجيد الذي يقول بان الله ظهر في العالم باسمائه ، هو ان الوجود ظهر في صفاته . ورد العدم - في الخلق من العدم الذي هو من اصول اغلب الاديان - بمعنى عالم الاحدية او اقل اثنين ذات البارئ تعالى التي لم تتشخص فيها بعد

جعل الصوفية والعرفاء معنى « لا اله الا الله » هي وحدة الوجود . يقولون : لا وجود غير الوجود المطلق . راجع الفصل الاول من فصوص الحكم ، وتنزيل الارواح لعزير النسفي . لا يمكن عد هذه الصفات امرا ذهنيا فقط لان مكانها في الوجود وفي سلسلة المراتب اكثر واقعية من طبيعتنا وهي تعين طبيعتنا بالدرجة التي نجعل فيها انفسنا مثل الوجود المطلق . قابليتنا لهذه الصفات هي بالقدر الذي لنا من الصفات » .

F Schuon : « Sentiers de Gnose », Paris, La Colombe, 1957, p. 115,

ان الفكر الانساني الذي هو انعكاس انفعال العقل الكل يميل بالطبيعة الى تجزئة تجاربه وتركيبها ، فعندما يحس الانسان شيئا معتدل الحرارة ، ينطبع بالفطرة في فكره تصور الحرارة والبرودة اللذان يكون مجموعهما اعتدال الحرارة . وعلى هذا النحو عاين الحكماء والقديماء ان لكل شيء « شيء » اعطى بواسطته الواقعية وحال دون ان يكون معدوما « على اعتبار ان كل وجود طارد للعدم » كما ان له محدودية تميزه عن الاشياء الاخرى . ذلك « الشيء » في اصطلاح الفلسفة الاسلامية هو « الوجود » وتلك المحدودية هي « الماهية » ، علاوة على ذلك فقد جعلوا الوجود المطلق هو ما وراء كل الموجودات . واعتبروا الوجود الجزئي وظهور الموجودات فقط بالنسبة الى الوجود المطلق . لقد كان هؤلاء الحكماء يدركون تماما بان الموجودات من حيث هي موجودات غارقة في بحر الوجود ، لذلك فقد وضعوا تعريفات للوجود على هذا النحو : « الوجود : ما به يمكن ان يخبر عنه » او : « الوجود : ما ياتر الكل » او « امكان الخبر عن الشيء وجوده » .

يجب ان لا نفعل ان المقصود ب « وجود » الاشياء هو فقط بالنسبة الى الوجود المطلق . ويعترض الفيلسوف الفرنسي باسكال Pascal في احدي مؤلفاته بأنه لا يمكن تعريف الوجود المطلق لان هذا التعريف متوقف على استعمال كلمة « وجود » التي تشمل هي نفسها هذا الموضوع الذي نريد تعريفه ويؤدي حسب اصطلاح القديماء الى الدور وحيث ان الدور سيتلزم تقدم الشيء على نفسه فهو باطل . والجواب على ذلك يجب الرجوع الى النسبة بين الوجود الكل والوجود الجزء .

ان بناء بعض اللغات مثل اللغة العربية يوضح الحقيقة العرفانية لاستفراق الموجودات في الوجود . فكل الاشياء في اللغة العربية تنضوي نسبيا تحت الوجود ولا يحتاج في تعريف شيء الى كلمة « الوجود » (1) ويمكن تعريف اي صفة بكلمة « الوجود » وذلك من حيث ان الوجود مبدا كل صفات العالم . فالمراد في

الحقيقة من جملة « الجبل ابيض » هي ان الوجود له صفة البياض ففعل الوجود اذن اما ان يقيد معنى الوجود او ان يقيد معنى صفة من الصفات (2) ، كما ان الوجود المطلق موجود وله في الوقت نفسه اتباع يعني النور والعلم وغيرهما . ان اثبات الوجود المطلق عن طريق الموجودات المستفرقة فيه امر عديم الجدوى، كما قال بعض الحكماء :

« اثبات الوجود المطلق عن طريق الموجودات غير ممكن لا من حيث عدم الاستطاعة فحسب بل من حيث ان الوجود في كل مكان ولا يمكن وجود غيره » (3) .

ان النسبة بين الوجود الكلي *Etre Being* والوجود الجزئي *Existence* في اللغة العربية واللغة الفارسية واضحة . فكلمة الوجود في هاتين اللغتين تفيد معنى الوجود من حيث هو وجود كما اتباع الوجود هم النور والعلم وغيرهما ؛ كما يقال ايضا الشيء الفلاني موجود ، فالموجودات باسرها تستترك في الوجود . والماهية هي التي تشخص الموجودات عن بعضها، وهذه في الحقيقة هي المثل الافلاطونية او الاعيان الثابتة لدى العرفاء . وهي ايضا معنى الصورة والهيولي ان المادة هي المحدودية والصورة هي الرابطة التي تربط الموجود بالوجود الكلي . الوجود والماهية هما بابا وجود العالم ، والممكنات تقع بينهما وبين الكل ؛ وراء احدهما واجب الوجود ، ووراء الاخرى العدم المطلق .

لقد اطلق كل مذهب من مذاهب الحكمة اللدنية اصطلاحا خاصا لتعدد الوجود ، فمثلا يتحدث الـ Taoist الصيني عن يين Yin ويانك Yang ويتحدث البرهمان عن بوروشا Purusha وبراكيرتي Prakriti ويتحدث المزدكيون عن الخير والشر ويتحدث الاشراقيون عن النور والظلمة ويتحدث عرفاء الاسلام عن تجلي الوجود والعدم . غير ان اهل هذه الاصطلاحات حقيقة واحدة لا غير .

فجميع الممكنات تكونت من سلسلة من المراتب بتبدىء بالمادة الاولى وتنتهي الى الوجود الكلي :

- 1) فمثلا معنى « موجود » ظاهر في تعريف « الانسان حيوان ناطق » من غير استعمال كلمة « موجود » .
- 2) اذا كان مقصود الوجود « شيء » فمفاد كان تام واذا كان صفة من صفات موجود فمفاد كان ناقص .
- 3) يقول الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي : « رايت اسماءا صغيرة تمتص ثدي امها وتسألهما لقد سمعنا كثيرا من الماء فاين هو ؟ ارينا اياه ؟ فاجابت السمكة الام : اروني غير الماء حتى اريكم الماء » يقول احد العرفاء المعاصرين :

ان الحبيب اقرب مني الى
فلمن ابوح : واعجبا ان الحبيب
واعجب من ذلك اني بعيد عنه
جنبسي وانسا مهجور

مرصيف النسبة في النحو العربي

لأستاذ عبدالقادر زطامة

عليها رغم كثرتها وشهرتها . واستعمالها منذ العصور الأولى ..

وهذا ابن مالك يختم باب « النسب » بهذا البيت الشهير ..

وغير ما اسلفته مقصرا
على الذي ينقل منه اقتصرا

بعد ان تعد قاعدة المنسوب بالياء .. وأشار الى ما يستغنى بالصيغة عن الياء ..

كبزاز — ونجار — وعواج — وعطار .
في النسبة الى بيع البز ، والنجارة ، وصناعة العاج ، وبيع العطر .

وقد لفت نظري أن سيبويه عقد في « الكتاب » بابا سماه هكذا « باب الإضافة وهو باب النسبة » مشتملا على عدة فصول ، من جملتها فصل فيه إشارة الى أسماء فيها النسبة بالالف والنون .. مثل :

جماني — لطويل الجمة .
الحياني — لطويل اللحية .
الرقباني — لغليظ الرقبة .
كما ذكر اثناء الباب : الروحاني ، والرياني ، في النسبة الى الروح ، والرب .

في كتب التاريخ والجغرافيا . وفي معاجم الرجال وطبقاتهم . بالإضافة الى كتب أخرى تعنى بموضوعات التراث الإسلامي في الفلسفة والمنطق والطب والصيدلة وغيرها .. يجد الباحث نفسه ازاء كلمات وضعت موضع النسبة الى عدة أشياء فيها الاعلام ، من بقاع ، وقبائل ، وأجناس .. وفيها غير الاعلام من حرف واعضاء واسماء الذوات واسماء المعاني وغيرها من كل ما تصح النسبة اليه ..

ورغم أن النحاة قديما وحديثا عقدوا في كتبهم المطولة والمختصرة بابا سموه باب « النسبة » أو « النسب » ورغم أنهم جعلوا هذا يدور حول الحاق الياء المشددة بآخر الاسم المنسوب ... لتظهر عليها علامات الأعراب .. مع بعض التغيرات اللاحقة لبعض الصيغ ، المقصور والمنقوص والمدود .. والمحذوف بمحض إرادته ...

ورغم أنهم جعلوا المنسوب في قوة الاسم المشتق أعطوه صلاحية اسم المفعول في العمل .. ! برفع ثب عن الفاعل ...!

فان هذا كله ليس الا قاعدة للأسماء التي نسبت بهذه الوسيلة وهي الحاق الياء المشددة .. اما أسماء الأخرى التي نسبت فعلا بصيغة أخرى ... بطريقة أخرى .. واستعملت فعلا في كتب التراث الإسلامي منذ العصور القديمة ... فان النحاة يسمون بها مر الكرام ... ويعتبرونها شاذة تحفظ ولا يقاس

وجود العالم هو الظهور الكلي للوجود المطلق ، وعلم الموجودات يؤول الى علم الوجود لان كل الاشياء غارقة في بحر الوجود .

ان قولة دكارت المشهورة « انا افكر فانا موجود » توضح جيدا ابهام مفهوم الوجود في الفلسفة الجديدة لان كفة تجربة الفكر في هذه الجملة ارجح من معرفة الوجود . ولكن لا مجال لترديد او شك في الحكمة اللدنية، حيث ان الوجود هو المركز الذي يمكن بواسطته معرفة كل الاشياء .

وبنفس الدرجة التي ينساق معها العقل الاستدلالي بذاته ابدا الى الشك ، فان الذوق والشهود، ينتهيان الى اليقين ، لان العالم او العلم يصبح واحدا مع المعلوم او الوجود في العقل الكل او عقل العالم القدسي ويكون اليقين حسيلة هذا الاتحاد بين العلم والوجود .

فكما ان هدف العلوم القديمة هو اظهار وحدة الموجودات والعلم بناحية من الوجود فان غاية الحكمة اللدنية هي معرفة الوجود من حيث هو وجود ثم الاتحاد به وعندما يصبح الاتحاد بين العلم والوجود ميسرا فلن تعترض تعريف الوجود اية صعوبة . واذ ذاك يمكن القول بأن « الوجود هو ما هو موجود » من دون أن ينتج عن ذلك تكرار عقيم .

غير اننا ما دمنا لم نصل الى هذا العلم الرفيع بالوجود فليس امامنا طريق غير ان نعرف الوجود : بانه مبدأ أصل الموجودات ، فنعرف الوجود المطلق عن طريق وجود العالم والصفات الدنيوية التي هي لا شيء غير تكسر الوجود وتجليه على لوح العدم .

فاس : الدكتور عبد اللطيف السعداني



- 10 — عرباني : منسوب الى العربية فهو
عرباني اللغة
- 11 — شهباني منسوب الى الشهوة وامراة
شهبانية

(ب) مجموعة لصفات الانسان الخلقية

نذكر منها على سبيل المثال :

- 1 — الشعراني : كثير الشعر
 - 2 — اللحياني : عظيم اللحية
 - 3 — الجماني : طويل الجمرة
 - 4 — الرقباني : غليظ الرقبة
 - 5 — انفاني : عظيم الانف
 - 6 — املواني : شاب ناعم وامراة املوانية
 - 7 — انفخاني : رجل انفخان وانفخاني امتلا سمنا
 - 8 — صدراني : كبير الصدر
 - 9 — خوطائية : فتاة خوطانية منسوبة الى الخوط
 - 10 — شعشعاني : الشعشعان الطويل
- الخفيف الجسم ، والشعشعاني الطويل العنق .

(ج) مجموعة النسبة الى البقاع والاجناس والمهن

- 1 بهراني : منسوب الى بهراء من احياء اليمن
ويقال فيه ايضا بهراوي على الصيغة المشهورة
- 2 صنعاني : منسوب الى صنعاء
- 3 الهندواني : سيف هندواني منسوب الى الهند
- 4 منبجاني : منسوب الى « منبج » بالشام ،
قال ابن سيدة كساء منبجاني منسوب الى منبج
على غير قياس !
- 5 العبراني : العبرانية اللغة الاسرائيلية ،
والعبراني والعبري : اليهودي
- 6 البحراني : منسوب الى البحرين
- 7 اسكندراني : منسوب الى الاسكندرية .
- 8 الديراني : منسوب الى الدير .
- 9 الصيدلاني : منسوب الى الصيدلة . وهو
الصيدلي ايضا

- 10 الطوراني : نسبة الى الطور بمعنى الجبل
وقد اخذت الكلمة مدلولاً جديداً شهيراً .
- 11 الفاكهاني : بائع الفاكهة ومنسوب اليها .
- (د) مجموعة منسوبات شتى :

- 1 الجواني : نسبة الى الجو بمعنى باطن الشيء .
 - 2 البراني : نسبة الى البر بمعنى خارج الشيء
ومنه : « من اصلح جوانيه . اصلح الله برانيه » وهو
من كلام سلمان الفارسي ...
 - وقد اخذت كلمة « البراني » معنى الشيء الخارجي
وقد ذكر الزمخشري في « اساس البلاغة »
 - « افتح الباب البراني » واستعملها في المعنى
الحقيقي قبل ان يذكر المجازات ..
 - والاستعمال المغربي جار على ذلك فيقولون الباب
البراني . ويعنون الخارجي ويصفون الطاريء على
البيت او المدينة بالبراني
 - 3 نوراني : منسوب الى النور .
 - 4 روحاني : منسوب الى الروح . ولسيوبه وغيره
من النحويين واللغويين كلام طويل في مدلول
الروحاني .
 - 5 نفساني : منسوب الى النفس وقد سبق
ان نقلنا عن « التصريح » .
 - 6 الفوقاني : نسبة الى فوق .
 - 7 سفلاني : نسبة الى سفلى .
 - 8 تحتاني : نسبة الى تحت
 - 9 ارنباني : منسوب الى الارنب يقال خز ارنباني
يعني شبيه بلون الارنب في الدكنة
 - 10 بحراني : دم باحر . ودم احمر باحر . وبحراني
شديد الحمرة .
 - 11 سمساني : منسوب الى السمسمة الحب
الدهني المعروف
 - 12 جسداني : منسوب الى الجسد
 - 13 جسماني : منسوب الى الجسم .
 - 14 صوفاني : كبش صوفاني كثير الصوف .
- هذه بعض الكلمات التي وجدتها في مناسبات
شتى لمراجعة قاموس الفيروز بادى ، وتاج العروس

وهذا عمل يحتاج الى زمان وفراغ ... ورغم ان الاستقرار التام لم يكن متيسرا ... فقد حصلت على مجموعة من هذه المنسويات من خلال اوقات ... ومراجعات

(أ) مجموعة اصفات الانسان الخلقية

(1) — البلتعي ، والبلتعي : فالبلتعي الرجل اللسن الفصيح ، والبلتعي : المتظرف المتكيس وليس عنده شيء ...!!

(2) — البيذراني : رجل بيذراني كثير الكلام مهذار

(3) — خالصي وخلصاني : يستوي فيه الواحد والجماعة (4) (بمعنى المختار من الاصدقاء) .

(4) — رجل رباني والجمع الربانيون . والكلمة مذكورة في القرآن الكريم بصيغة الجمع ... وقد وردت في الآثار بصيغة الجمع وصيغة المفرد ، ومعناها شهير معروف ..

(5) — رجل قنعاني وقنعان : قال الشيخ مرتضى في (تاج العروس) وما يستدرك عليه (صاحب القاموس) رجل قنعاني بالضم كقنعان

والقنعاني هو الذي يرضى الناس برأيه وشهادته وحكمه ويقتنعون بكلامه

ونص صاحب القاموس على أن قنعان ، يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ...! ويظهر أن القنعاني كذلك

(6) — كلماني : يفتح اللام وتسكينه ... مع صيغ اخرى في القاموس ... الفصيح الكثير الكلام

(7و8) — منظراني ، مخبراني : رجل مخبراني منظراني ذو مخبر ومنظر . نص على ذلك الشيخ مرتضى في مادتي نظر ، وخبر من « التاج »

(9) — وحداني : الرجل الوجداني المفارق للجماعة المنفرد بنفسه ... قال الشيخ مرتضى : منسوب الى الوحدة . الانفراد بزيادة الالف والنون للمبالغة!!

وقد دفعني هذا الى مزيد من البحث عن هذه الصيغة في كتب النحو المطولة .. لاسيما وقد تزامم امام السمع والبصر عدد من الكلمات نسبت بهذه الطريقة .

لكنني كنت اخرج من مراجعة كتب النحو والصرف بنتيجة واحدة ...! وهي انهم يعددون المنسويات بالالف والنون .. ويعتقون عليها بانها نسبة شاذة ...! فهذا العلامة رضي الدين الاستربادي في شرحه المفيد على شافية ابن الحاجب يقول :

وقد يلحق ياء النسب اسماء ابعاض الجسد للدلالة على عظمها . اما مبنية على فعال كأناني للعظيم الانف ...! او مزيدا في آخرها الف ونون كلحياني ورقباني وجماني لطويل الجمة .. وليس البنآن بالقياس ...! بل هما مسموعان (1) ...!

والاشموني في شرح الالفية يشير الى هذه النسبة اشارة عابرة ذاكرا منها بعض الامثلة « الشاذة » (2) .

والشيخ خالد الازهري في « التصريح » يشير في آخر باب النسب الى الشواذ وهي تسعة اقسام...! ويجعل هذه النسبة في القسم الثاني قائلا :

« والثاني بالزيادة فقط كقولهم مروزي بزيادة الزاي نسبة الى مرو — ورباني — وفوقاني — وسفلاني — وتحتاني — نسبة الى الرب . وفوق — وسفل — وتحت قتاله طاهر بن احمد القزويني » (3)

وعبارات النحاة والصرفيين الآخرين لا تخرج عن هذا النطاق من كون النسبة بالالف والنون مسموعة شاذة .

واذن فالنحاة من سيبويه الى من دونه يعتبرون هذه الصيغة اعني النسبة بالالف والنون شاذة تحفظ ولا يقاس عليها ..

وحيث ان هذا كله لم يكن كافيا لاقناعي بطبي البحث والاعتماد على قول النحاة القدامى والمحدثين فقد اتجهت الى المعاجم اللغوية لاخذ رأيها ومذهبها في الموضوع ..

والمعاجم اللغوية تحتاج الى استقرار مواد اللغة مادة مادة ليتمكن استخراج المنسويات بالالف والنون ..

- (1) الرضى على الشافية — القاهرة 1926م ص 90.
- (2) الاشموني ج 4 ص 192
- (3) التصريح ج 2 ص 337 .
- (4) انظر تاج العروس ج 4 ص 390

دم العروبة غال ...

للشاعر: محمد الحلوي

فصارعوها وصدوا عنهم النوبيا
كؤسه وسقتنا صابها نغبيا
بمثلها بين من عاشوا ومن ذهبيا!
للعرب فاغرة فاها الذي احتجبا
وانما مزقت ارواحنا اربيا
فما استطاعوا لها صدا ولا غلبيا
وآمنّا شرها يصبح لها خطبا
فلا خلاف ولا دعوى ولا شغبيا
اهواءها همها ان تلقى الخطبا
ان لا حياة به الا لمن نهبا
ولا مبادئ يرعاها ولا ادبيا
الكبرى ولا الشرق من ايمانه اقتربا
جفاه ضاعت قواه واستحال هبا
امجادهم ومشوا في ظلها حقبيا؟
في كل نصر وكان القلب والعصبا؟
تهز ايديهم الاجراس والطلبيا؟
يخذله ما ساق من جند وما جلبيا

خطب! ولا كخطوب هزت العربيا
ومحنة جرعتنا العار مترعة
تلك الفجيعة لم ترزء عروتنا
مشت بها عجلات الدهر مرصدة
وصوبتها سهامها لم تصب هدفيا
قد داهمتهم وهم لاهون في دعة
ومن ينم بجوار النار مفتبطا
صهيون في صمتها تبني ووحدتها
والعرب تحيا على الامجاد راكبة
في عالم حيواني شريعتيه
فلا وفاء ولا اخلاق يكبرها
لا الغرب اعطته اخلاقا حضارته
والشرق قوته في دينه فاذا
فكيف اغفل قومي قوة خلقت
وكيف ينسون ديننا كان رائدهم
وكيف ساروا فرادى والعدى كتل
ومن يحارب بلا دين يباركه

* * *

للشيخ المرتضى الزبيدي ولاشك عندي أن هناك عددا
أكبر منها قد نسب بهذه الطريقة : طريقة الالف والنون .
وليس مما تطمئن اليه النفس ويرضى عنه الذوق
اللغوي أن تكون هذه الطريقة شاذة غريبة عن الاستعمال
العربي!

وليس مما تطمئن اليه النفس ويرضى عنه الذوق
اللغوي أن « ينفي » النحاة والصرفيون من كتبهم
المطولة والمختصرة هذه الصيغة في « النسبة » بينما
نجد المواد اللغوية في المعاجم تقدم لنا كثيرا من الاسماء
نسبت بها!

— فإذا كانت هناك « النسبة » بالياء المشددة
— وهناك النسبة بصيغ فعال ، وفاعل ، ومفعول
وغيرها
— فلتكن هناك نسبة بالالف والنون ...

والذوق اللغوي مستعينا بالقواعد الأساسية هو
الذي يستطيع أن يستفيد من هذه الطرق كلها ويستعمل
كلا منها في المكان المناسب ...

فاس — عبد القادر زمامة



او ان يعرب قد خارت عزائمها

وضيقت رشدها من هول ما ارتكبا

* * *

كانت مصابا وكانت غصة وشجى
الشر كشر عن انيابه شرها
والعرب تصرخ في الدنيا مجلجلة
كفى بكاء! فان النصر مرتهم
وفي الخطوب لمن يمني بها عبر
متى سترفع ايدينا مشاعلها ؟
اني ارى الفجر قد لاحت بشائره

ونكسة وقضاء مبرما كتبنا
والعرب مزق عن اطماعه الحجبنا
كانما تسمع الموتى او النصبنا
بوحدة تصلح الوضع الذي اتقلبنا
اجدى واثمن مما ضاع او ذهبنا
وينصف الدهر من أعدائه العربا ؟
وموعد العرب من دقاته اقتربا

محمد الطوي



ومن وضاعة دنيانا وختنها
وان ترى لبني صهيون الويسة
وان ترى الاسد من ابناء يعرب في
اسد اذا زارت في اسرها انخلمت
كانوا - ومن سينكر - احرارا اذا ظلموا
ولا يطيب لهم عيش اذا هضمت
لم يعرفوا الذل الا في قصائدهم
ولم يرق دمهم الا على شرف
شمائل عرييات توارثها

* * *

ان يسحب المسخ فيها ذيله عجا!
خفاقة تتحدى هامها الشهبا
ايدي القروود تعاني الاسر والسفبا
قلوبهم وانثنوا من بأسها رهبا
يستصرخون الرماح الشمر والقضبا
لهم حقوق ولا يخشون من وثبا
اهاجيا لاعاديهم ولا الغضبا
ديست كرامته او مبتلى نكبا
ابناء يعرب اما حرة وابا

فكيف تطمع صهيون وشيعتها
ومن لهم ان يردوا الاسد جامحة
ومن لهم ان يهدوا الشم راسخة
الفرب يعلم انا امة كتبت
واننا لم نهن يوما لطاغية
ونحن من عجموا الاحداث واقتحموا
فلم يزدنا اقتحام الهول يفجعنا
مفاخر حبها - لو لم تكن عربا -

ومن يساندهم ان يقهروا العربا ؟
او يوقفوا السيل هدارا ومصطخبا ؟
اطوادها تنطح الاجواء والسحبا ؟
في صفحة المجد ما قد ارقق الكتبا
ولا ضعفنا فلم ندرك لنا طلبا
اهوالها وامتطوا تيارها اللجبا
الا اقتدارا على تذليل ما صعبا
بين الشعوب لامست وحدها نسبا !

* * *

عدمت قومي ان لم يثأروا لدم
دم سقى أرضها العطش فما ظلمت
دم العروبة غال لا كفاء له
بكت فلسطين يوم الروع فتيتها
يا يومها وفوى العدوان ترتع في
وقد ايحت مجالى الوحي وانتهكت
واطبقوا كانسياب السيل يجرف ما
واصبحوا وامانيهم تعللهم
كانما القدر الاعلى تحركه

جرى على عتبات القدس وانسكبا
من بعد وروى القيعان والهضبا
ولو شروه بما في ارضهم ذهبها
وعاركت وحدها الاهوال والكربا
احشائها وتصب الموت واللهبا !
واصبحت بين ايدي المعتدى سلبا
يلقى فلم يتركوا سينا ولا نقبا
ان يدخلوا مصر او ان يفتحوا حلبا
آمالهم فيلبى كل ما طلبا

فاستساغت مني اذن
اذ سمعت الصمت تحنا (م)
ورأيت اللطف فنا
قائم الذات جليسا
لحنها هذا الخفيسا
نا وتنفيمنا شجيسا

* * *

واثارت بيد يها
قلت : لو كنت خليا
حبذا لو كنت منها
فأرى الكون جميلا
وأرى « لانخرون » العذ (م)
ارتضيه لي مصيفا
حيث الفيهما اما
فهو يلقاهما وتلقا (م)
ويظل الحب حبا
أو أرى « كيوييد » يرمي
فيصيب السهم شخصا
ويشير العشق فيه
يا ترى ، يشفيه حب ؟
هل يرى فيه سعيدا ؟

* * *

كل هذا وأنا في
أرقب المشهد خلوا
كيف لا أشجى وحبي
لم يكن إلا سريسا
هادفا بنتى « نوارا »
ممزول أبدا قصيا
فأعانيه شجيسا
ظل في « تطوان » حيا ؟
وشريفنا أبويسا
فلذتي أنس عنيسا

* * *

سددن - ربي - خطاها
واحما - ربي - وصنها
واحبا عمرا زكيا
كن نصيرا ووليا

لانخرون 3 - 9 1967 عبد الله العمراني

(3) نسبة الى : Don Quijote بطل قصة Cervantes الشهيرة .

في لأنخرون

للشاعر عبدالله العمراني

بينما أغمدو مليا
منظرا يخلب لبيا
منظرا يستلفت الحـ (م)
قد يتيح النهى عجزا
ان يكن ايقظ ميتا
اذ رات عيني شهيا
ويشير الحـ لبيا
سـ ويستدعيه : هيا !
قد يعبر اللـ عيا
فلكم اقبر حيا ؛

* * *

غادة قدت من البـ (م)
وغدا حـها يـمو
وسرى في الناس يقزو
واذا ما القلب سرعا (م)
فاندحار المرء في هـ (م)
ر جمالا والثريا
في سما الحب سنيا
كل مقـدام كـيا
ن ما اضحى « طابوريا » (1)
لذي الوغى بات حريا

* * *

وقفت تجذب صبا
وهي في روعتها كالز (م)
وهو منها في لحام
قد احاطته بأيـد
ثم راحت في حـان
بأظا فيـر حـان
نحوها جذبا حصيا (2)
هـرة الفضـة رـيا
يجعل الجسمين شـيا
بضـة بيضاء ري
تنقر الجسم الفتيا
كسيت لونا بهيا

- (*) Lanjaron بلدة تقع جنوبي غرناطة ، وتبعد عنها نحو 40 كيلو مترا .
(1) من « الطابور الخامس » وهو الاصطلاح الذي اطلق في الحرب الاهلية الاسبانية على دعاة الهزيمة .
(2) متعقلا قامت به ذات حصة اي ذات عقل وراي .

فيها ظلال من هجير النار فيها العطر اشهى من رحيق الدالية
فيها فناء الدار والام التي فتحت له الاحضان ولهى باكية
تثتمه تتلوه آية شوقها في قبلة في غمغمات حانية
في ضمة كالظل يكبر في جنين الامسيات الشاعرات الغافية
لكن تطول به الطريق وتكبر الاشباح في ليل الرمال الدامية
وتطل من كل الدروب محاجر الاغوال تلهث جائعات ضارية
وتموت في عينيه آلاف الرؤى الخضراء تغرب في بحار شاتية
لكن شئارائعا يندق في شفثيه كالاعصار احلى قافية
ازهى من الانغام في الاعراس اخلد من زغاريد الطيور الحاكية
يتوغل الاسوار ، يكسر كل جدران الزمان ، يطير روحا سامية
حتى يفوس الى قراري ، يزرع الامواج في شطآن ثلح ساجية
حتى أعود أنا حروفا في النداء ، أنا حريق في الجراح الشاكية
فأنا هو الصوت الجريح أنا لكل الساديين التائمين الراوية
أنا لن أموت ولو تداعى الزحف وانتكست لنا رايات أرضي الباقية
سأظل احفر في الجماجم ، أزرع الازهار شائكات غاوية
سأظل أغرس في العيون براعم الاحقاد سوداء العطور الداوية
حتى يموت الموت فينا . نهجر القبر الكبير الى الحياة الثانية
نمشي الى الساح العريض لنغزل الفجر الجميل من الدماء الغالية

شفشاون : عبد الكريم الطبال

كلمات طفل

للشاعر عبد الكريم الطبال

من احر الافق الجريح ، من القلاع المسييات ، من البروج الهاوية
من ضفة الاطلال ، من كهف الرماد ، من المراكب في البحار الصادية
عبر النداء الي احمر كالجروح يؤجني ، يدوي دوي الساقية
يندق في وجهي حصى ، في ناظري شوك ، وفي حرقى نواح الساقية
فالثلج في الكلمات يسقط في مهاوي الصوت كالاوراق نارا عاوية
والصمت في الاحداق يرحل عبر افق موحش لم تستحم به شادية
والعنكبوت وكل جدرانى التي في الكهف تهوي مثل دمع السارية
فانا لهيب للجمار انا صدى للصوت تحرقنى الحروف النارية
فانا غبار للحوافر في دروب الموت تعلقني رياح عاتية
فانا رشاش الجرح في كلمات طفل سادر عبر الخيام النائية
قدماه تحترقان في الرمل الخصب ، وافقه انهار نار جارية
تيهان يزرع في الطريق دمعه حمراء كالدم في الجراح القانية
النار في اذنيه تصرخ كالابالس في الجحيم . كما البحار الراغبة
والحزن في عينه يكبر كلما طافت به رؤيا الديار الغالية
والحق في القلب الصغير يطل كالصفصاف يعلو في سماء الرايبة
فاذا هفا بالناظرين الى بعيد هاله طوفان سحب داجية
واذا التوى خلف الديار راي الدخان يموج في الاجواء ريحا صارية
عيناه تنتظران ان تلد الرمال الماء في دوحات ورد زاهية

غداً ستلتئم الجروح

للشاعر محمد الميموني

يا قومي اندلعت بالنار والغضب
لموعد النصر تملأ الفضاء صدى
التل يا ملتقى ألوية عقدت
انا بنو أمة تسيل مهجتها
أبر « خالد » في اليرموك وانخفضت
سل (بور سعيد) وسل عنا جزائرننا
.. باننا أمة سيوفها لمعت
فما دها جيف في القعر مهملّة
صهيون يا ذنبا بالامس هشمت رأ
اذا صبغت دروب القدس من دمي الـ
غدا ستلتئم الجروح في وطني

حناجر ومشت جحافل العرب
وتقرش الدرب بالرصاص واللهب
لتمحو الذل عن جبينك العربي
أو تنجز العهد منذ سالف الحقب
امام « طارق » هوج « الابيض » اللجب
سل البطولات من بناتها ؟ تجب ..
شموس نصر على الدنيا ولم تغب
عبر الزمان تثير الليث . واعجبي ! .
سه فكيف أراع اليوم بالذنب
مسفوح فالبذل شيمتي وشأن أبي
ويزهر الدم في سيناء والنقب

محمد الميموني

للشاعر: مفدي زكرياء



واضناه تألمه فناحنا
فضاق بحملها ذرعا فباحنا
ودمع الصب يفضحه افتضاحنا
واي متيم كتم الجراحنا ؟ ...

* * *

ويصرعني ... فأحسبه مزاحنا ؟؟
فأكتمها ... واصطنع انشراحنا ؟
مشوق ... لا عتاب ولا جناحنا
يذق حبا ... ولم يهو الملاحنا
واخلد للسكنة فاستراحنا
فتى في الحب قد مرن الكفاحنا
يرى في سمك الماء القراحنا
وحاذر ان تذيب به الصلاحنا
وفي حبي ارى الشرف الصراحنا
وفي حبي جعلت دمي مباحنا
حيارى ، واغنم القدر المتاحنا
ارى الدنيا بلا حب براحنا

مفدي زكرياء

اضربه توجمه فصاحنا
واحرقه الهوى بشواظ نار
فتى فضحته ادمعه غزارا
تبرحه جراح داميات

الى م الحب يلهيني فالهوا ؟
الى م الذكريات يرعن قلبي
لنعلم كل كائنة بانسي
وليس بشاعر في الناس من لم
وليس بسيد من عاش سال
فجر يا حب ، او فارحم فاني
وجرعني السموم فان قلبي
واشعل شمعدانك في فؤادي
غرامي فيك ايماني وديني
اينفصني العذول يبيح عرضي
فخل ذوي الغباوة في دناهم
ولا تحفل بما قالوا ... فاني

الهجري (11 م) او قربه ، وكاهل برنو ، وسفى ،
وقد اسلموا طوعا ، كما يفهم من كلام ابن خلدون .

وربما تقاتل بعض سلاطين هذه البلاد مع بعضهم
ا فيحرك) سلطان لغيره ، ويغير على بلاده ، ويسبى
ما تيسر له منهم ، وهم مسلمون ! ويبيع السبي وهو
حر مسلم !

قال : وهذا مستفيض عندهم فى بلادهم : يغير
اهل كشن على كنو ! وكذا غيرهم . والسنتهم واحدة
ولفتهم متحدة ، وحالاتهم متقاربة ، لا يفرق بعضهم
عن بعض ! » .

وتبلغ نسخه سبع نسخ .

5 - والى جانب مؤلفات ورسائل احمد بابا ،
يوجد حوالي 30 مؤلفا للشيخ المختار الكنتي التنبكتي
دفينن ازواد (1143 - 1226 هـ 1729 / 30 -
1820 / 1 م) .

و 13 مؤلفا لولده محمد (ت - 1241 هـ 1828 م)
و 9 لحفيده احمد البكاي (ت - 1282 هـ
1865 / 6 م)

ورسالة واحدة للمختار بن محمد (ت 1296 هـ
1878 م)

6 - ولبعض هذه المؤلفات قيمة كبيرة فى
الكشف عن اتجاهات خاصة فى التفكير الاسلامي فى
هذه المنطقة وما يجاورها على عهد مؤلفيها :

(ا) مثل كتاب (جذوة الانوار) للمختار
الكنتي . وموضوعه الرد على عالمين من شنقيط احدهما
مال له ابن بونا الذي اعلن بكفر من يقطع بقول الاولياء
عسالحين ! وثانيهما ابن حب الله الذي يتهمه المختار
بالتكذيب بالظن فى الامام مالك ابن انس ، لانه زعم ان
الامام مالكا انما ياتي بالاقتوال الظنية كسائر المجتهدين
جميع الائمة ! وهذا ما يراه الكنتي غير صحيح !

وابن بونا هذا هو المختار بن بون الجكني ، كان
في سنة 1208 هـ 1794 م ترجمه احمد بن الامين
شنقيطى فى (الوسيط ، فى تراجم ادباء شنقيط) ص
284 . القاهرة 1378 هـ 1958 م .

ووصفه بتاج العلماء ، وذكر انه كان يشدد
على المختار الكنتي ، ثم رجع عن ذلك وصارت
بعض مكاتبات .

وابن حب الله هو محمد المجيدري بن حبيب
الله ، ترجمه ايضا فى الوسيط (ص 214 - 216) فقال
عنه : هو العالم الوحيد ، الذي ما له من نديد ! وانه
اتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ونال
الحظوة عنده ، ورحل الى المشرق واكرمه امير مصر .

قال : ويكفيه ان الصالح سيدي احمد بن ادريس
الفاسي تلميذه ، وهو نزيل مكة وعسير من بلاد تهامة ،
ومؤسس الطريقة الادريسية الشهيرة وكان داعية
للعمل بالقرآن والحديث ونبذ التقليد المذهبي
(1173 - 1253 هـ 1759 - 1837 م) (راجع عنه
محمد زبارة فى (نيل الوطر) ج 1 ص 223 - 227
القاهرة 1348 .

وذكر فى (الوسيط) ان المجيدري كان من اعظم
تلامذة ابن بون ثم وقعت بينهما وحشة شديدة !
(ص 215)

وحلاه الشيخ حمدون ابن الحاج الفاسي
(1174 - 1232 هـ 1760 / 1 - 1817 م) فى احد
دواوينه الشعرية بالمجتهد على الاطلاق ! واورد بعض
مساجلات جرت بينهما (راجع مخطوط الخزنة العامة
بالرباط رقم د 383)

وانشدني له صديقي العالم الداعية الشيخ محمد
سالم بن الهادي المجلسي الاداري من شنقيط
(موريطانيا) فى احدى زياراته للرباط ، قوله - ينفي عن
نفسه تهمة الابتداع التي وجهها له انصار التقليد .
ومنه يتبين اتجاهه الفكري فى حصر القداسة الدينية
فى الوحي الالهى وحده - :

لو كنت بدعييا لما كان الصواب
عندي الاحاديث الصحاح والكتاب
وذكر لي ان له تاليفا فى انفقه سماه (زهر
الافنان) مخطوط فى شنقيط (موريطانيا) ولا شك
ان الاطلاع على هذا الكتاب سيفيد فى التعرف على
اتجاهه فى الاجتهاد .

(ب) - ومثل كتاب (فتح القدوس فى الرد
على ابي عبد الله محمد اكسوس) لاحمد البكاي بن
محمد ابن المختار الكنتي ، وهو مجلد ضخيم فى الرد
على الطريقة التجانية ، وفيه يندد مؤلفه بالتقليد
ودعوى انقطاع الاجتهاد ، وبعد ذلك صدا عن الكتاب
والسنة !

7 - وتتجاوز نسخ مؤلفات هذه الاسرة وحدها
مائة نسخة .

مؤلفات علماء غرب إفريقيا في المكتبات المغربية للأستاذ محمد إبراهيم اللتاني

نقدم في هذا العدد نص المحاضرة القيمة التي القاها فضيلة الاستاذ السيد محمد ابراهيم اللتاني ممثل جامعة محمد الخامس المغربية بمؤتمر الدراسات الشرقية الدولي السابع والعشرين الذي انعقد بجامعة آن آربر ميشيفان بالولايات المتحدة يوم 17 غشت 1967 في لجنة الشرق الأدنى والعالم الاسلامي .

قد عثر - فيما يبدو ! على مخطوط ل احمد بابا في مكتبة المتحف البريطاني !! (ص 161)

فها هو باحث كدود ! آخر يقف بالفعل على حوالي 30 كتابا ورسالة ل احمد بابا ! وبعضها في نسخ عديدة ، تبلغ في مجموعها مائة نسخة !

3 - ومن بينها (كفاية المحتاج) في اختصار (نيل الابتهاج) بالذيل على الديباج ، وقد ختمها بالترجمة لنفسه ، وذكر اسماء مؤلفاته ، وتبلغ نسخها 11 نسخة ، بعضها منقول من خط المؤلف مباشرة وبعضها منه بواسطة .

4 - ومن بينها (معراج الصعود) الذي يتضمن - على صغر حجمه - معلومات مهمة عن تاريخ القبائل السودانية وصلتها بالاسلام :

فاهل برنو ، وكانو ، وكشن ، ومالي ، وكوبر ، وسفى ، مسلمون وجل فلان ، وبعض زكراك ، اسلمه ا بدون استيلاء احد عليهم ، ومنهم من هم قدماء في الاسلام ، كاهل مالي ، اسلموا في القرن الخامس

1 - في المكتبات المغربية ازيد من مائة مؤلف ، لحوالي خمسة عشر مؤلفا من افريقيا الغربية (السودان المغربي) . وبعضها مما لا تكاد تخلو منه مكتبة مغربية ، وبعضها تتمدد نسخه في المكتبة الواحدة .

وتبلغ هذه المؤلفات في مجموعها حوالي ثلاثمائة نسخة .

* * *

2 - ومما يعطي لهذه القائمة قيمة خاصة ما ورد في كتاب (افريقيا تحت اضواء جديدة) للاستاذ بازل دافيدسن المنشور سنة 1959 والذي عربه جمل محمد احمد من اديس ابابا سنة 1961 وطبعت ترجمته ببيروت - قوله عن احمد بابا (963 - 1036 هـ 1556 - 1667 م) : الذي لا نعرف على التحقيق ان كانت اثاره ضاعت ام هي في مكان لم تصل اليه يد بعد ! ثم يعقب في تعليق بأسفل الصحيفة قائلا : قيل لنا - ونحن نعد هذا الكتاب للطبع - : ان باحثا كدودا !

ما يصور مبلغ الحرص على سلامة النسخة من التحريف ، واسناد كل عمل لمن يستطيع القيام به ، والمستوى الثقافي الممتاز الذي يمكن صاحبه من ان يقوم بشكل اربعة اجزاء من (الحكم) على ما به من غريب .

5 - كما يوضح ان الثقافة اللغوية والادبية العالية استمرت الى هذا العهد في هذا الوسط مسيرة للثقافة الفقهية المعتادة .

* * *

ولا شك ان في المكتبات الشخصية المنتشرة انتشارا كبيرا في مختلف مدن المغرب وقراه ، وبواديه وجباله وصحاريه عددا عديدا من المؤلفات التي لم نستطع التعرف عليها .

وخصوصا في المناطق الصحراوية المجاورة لافريقيا الغربية ، والتي كانت بها مراكز علمية مهمة ، وظلت مغربية عدة قرون الى مطلع هذا القرن الجاري، مثل موريطانيا ، والساقية الحمراء ، وتوات والقنادسة والساورة ، وغيرها .

14 - كما اننا قد نكون اغفلنا كثيرا من المخطوطات التي خيل الينا في مؤلفيها انهم من احدى هذه المناطق وقد يكون بعضهم من غرب افريقيا لا من شمالها !

* * *

15 - ويرجع انتشار هذه المؤلفات السودانية بالمغرب الى اسباب عديدة :

1 - منها مبايعة الرئيس ابي العلاء ادريس سلطان مملكة برنو سنة 990 هـ 1582 م ، الملك المغربي احمد المنصور السعدي ، ثم غزو جيش هذا الاخير مملكة مالي وما انضاف اليها وضمها للمغرب سنة 999 هـ 1591 م ونقله بعض علمائها الى مراكش مثل الشيخ احمد بابا الذي تتلمذ له كثير من المغاربة واعترفوا بفضلته وتهافتوا على انتساخ كثير من مؤلفاته

وخصوصا (نيل الابتهاج ، بالذيل على الديباج ، ابن فرحون) في طبقات الفقهاء المالكية ، الذي خدم خزانة احمد المنصور ، المشتملة على الطم والرم ، كتب العلم ! - حسب تعبيره -

وتشتمل قائمتنا على وصف عشر نسخ مخطوطة احدهما من مبيضة المؤلف ، واخرى من مبيضة

المؤلف التي كان اعطاها للمؤرخ المغربي الشهير احمد ابن القاضي (960 - 1025 هـ - 1616 م) واجازه ، واوصاه ان لا يمكن احدا من الانتساخ منها ! لانه في المخرجة زاد وغير ، فالاعتماد على المخرجة .

ونسخة ثالثة نسخت من نسخة كتبت من اول نسخة منها بخط المؤلف .

وقد طبع (نيل الابتهاج) على الحجر بفاس ، ثم طبع بالقاهرة ، واصبح مرجعا اساسيا من مراجع الثقافة الاسلامية التي لاغنى عنها لباحث في تراجم الرجال .

2 - ومنها رابطة الطريقة الصوفية ، مثل طريقة الشيخ المختار الكنتي التنبكتي القادرية التي انتشرت في المغرب باسم الطريقة المختارية والكننية ، والتي انتسب اليها بعض الملوك والوزراء والعلماء بالمغرب وكانت لها زوايا بمراكش وفاس ومكناس والرباط وءازمور وغيرها .

وكان في بعض هذه الزوايا مكتبات علمية ، مما ساعد على انتشار مؤلفات الشيخ المختار وولده وحفيده ، وبعض مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي الذي نجده موصوفا في مخطوطة من مخطوطات تفسيره (ضياء التاويل) بانه (مختاري) مشربا .

ومثل الطريقة التيجانية التي اسسها بفاس الشيخ احمد التيجاني (1150 - 1230 هـ 1737 - 1815 م) وانتشرت في اقطار افريقيا انتشارا كبيرا . والف فيها كثير من الافارقة ، كما الف في الرد عليها آخرون .

3 - على ان بعض مؤلفات غرب افريقيا لم تصل الى المغرب من السودان ، وانما جاءت من الشرق العربي ، الذي هاجر اليه مؤلفوها والفوها هناك ، مثل (بهجة الآفاق) لمحمد الكشناوي الذي الفها بمكة المكرمة وتوفى بعد في القاهرة ، ومثل (كطف الثمر) لصالح الفلاني الذي الفه بالمدينة المنورة ، بعد ما طلب العلم في الغرب الاسلامي مثل تامكروت ومراكش وغيرهما .

ءان ادبر - ميشيفان (الولايات المتحدة)
17 غشت 1967 .

محمد ابراهيم الكتاني

الى جانب الكتب الدراسية من متون وشروح
وتعليق .

* * *

10 - وهي تشتمل في عمومها على معلومات
مفيدة جدا فيما يتعلق بالنواحي الفكرية والعلمية
والاجتماعية والخلقية في عهد تأليفها . كما انها مفيدة
بوجه خاص فيما يتعلق بميدان الصلات الفكرية بين
غرب افريقيا وشمالها ، وبينه وبين الشرق العربي .

11 - وتوجد بالمكتبات المغربية - الى جانب
هذه المؤلفات التي ألفها مؤلفون سودانيون - من غرب
افريقيا - مؤلفات نسخها فقط نسخا من غرب افريقيا
مثل رسالة ابن ابي زيد القيرواني ، التي نسخها احمد
ابن دنيسل الفلاني سنة 995 هـ 1587 م لامير المومنين
ابي عبد الله محمد بن امير المومنين اسكى داود بن
امير المومنين اسكى الحاج محمد .

ومثل الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج ،
والشفا للقاضي عياض وعليهما سند كاتبهما احمد بن
دنيسل الفلاني السابق الذكر .

ومثل المجلدات العشر الاخيرة من كتاب
(الحكم) في اللغة لابن سيدة الاندلسي كتبت في
تمبكتو في اواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر
الميلادي ، وغير ذلك .

12 - فهذه الكتب - وان كانت لمؤلفين غير
سودانيين - فانها تفيد في معرفة بعض الاتجاهات
الفكرية والثقافية في الوسط الذي كتبت فيه ، ومعرفة
مستواه الثقافي ، وما اشبه ذلك .

فمجلدات (الحكم) - مثلا - تدل على انه :

1 - كانت يتمبكتو وقت كتابتها - نسخة اخرى
- على الاقل - من الحكم ومنها انتسخت هذه النسخة .

2 - وكتاب (الحكم) ليس كتاب لغة عادي تتجه
اليه عناية من له ثقافة لغوية وادبية متوسطة ، ولكنه
من المعاجم العربية انكبرى التي لا يهتم بالاستفادة
منها الا من لهم ثقافة لغوية وادبية عالية .

3 - ثم ان هذه الاجزاء وحدها بخط اربعة نسخا
مختلفين ، وذلك يدل على مبلغ انتشار العلم والثقافة
وازدهار حرفة النسخة تبعا لذلك .

4 - ثم ان اربعة من هذه المجلدات العشرة كتها
شخصان ، وقام بشكلها الكامل شخص آخر ، وذلك

8 - وتشتمل القائمة ايضا على مؤلفات :

للسوداني ؟ شارح المختصر (مختصر خليل) .
ولمحمد بابا بن محمد الامين بن حبيب بن المختار
التنبكتي (ت 1014 هـ 1605 / 6 م) .

ولاحمد بن محمد بن احمد السوداني قاضي
تنبكتو (ت 1044 هـ 1634 / 5 م)

ولمحمد بن محمد الفلاني الكشناوي (ت 1154 هـ
1741 / 2 م)

ولصالح الفلاني (ت 1218 هـ 1803 م)

ولمحمد عبد الله النعاني البرتلي الولاتي المتوفى
سنة 1220 هـ 1805 م)

ولاحمد الفتوي بن القاضي ابي بكر بن ابراهيم
التنبكتاوي (زار مدينة فاس في طريقه للحج ، واخذ
عن علمائها عام 1224 هـ 1809 م)

ولعبد الله بن فودي الفلاني (1179 - 1245 هـ
1765 / 6 - 1829 م)

ولسلطان نيجريا محمد بلو بن المصلح المجاهد
عثمان بن فودي (1196 - 1253 هـ - 1782 - 1837 م)

ولعمر الفتوي التيجاني المجاهد الشهير
(1203 - 1280 هـ 1788 - 1864 م)

ولمحمد بن عبد الكريم الميلى التلمساني ثم
التواني دفينها نزيل برنو وتمبكتو المتوفى سنة
909 هـ 1502 / 3 م) وهو مغربي كما ترى ولكننا
تساهلنا في عده سودانيا لصلته القوية بالسودان
وتأثيره العظيم هناك

9 - وهذه المؤلفات تتناول على العموم مختلف
الموضوعات التي تناولها المؤلفون المسلمون في العصور
المتأخرة ، قبل اتصالهم باوروبا .

كتفسير القرآن ، وشرح الحديث النبوي .
وروايته ، والسيرة النبوية ، والفقه عبادات ومعاملات
والنوازل والتصوف ، والعقائد ، والوعظ ، والتاريخ ،
والتراجم ، والمناقب ، والنحو ، واللغة ، والافاق
والاسماء (سر الحرف) والاوراد والاذكار والدعوات ،
والسياسة ، والنظم الاسلامية ، والطرق الصوفية ،
والجدل والمناظرة ، والرد على المبتدعة وانكار المظالم
وغير ذلك .

وصرت حليف الحزن مما كتمته
ومثل ضلوعي مثل كي بجمرة
واللقب ما بين الجوانح زفرة
ودمعي على الخدين يجري كمزنة
ولم استطع صبرا وكيف يصح لي
وقد هتكت من ديننا كل حرمة
وشاركنا الاعداء في قطر غربنا
وقد اخذوا جل البلاد البهية
وقد اربعبت تلك السواحل منهم
وصاروا يؤدون الخراج كجزية
وانتم شغلتم بالتعلل والمنى
بلغتم مراد النفس من كل لذة
واسعفتكم الشيطان مما اراده
وملتم الى نهج الطباع الخسيسة
فهذا هوان واحتقار وذلة
وعار شنيع ثم قلة حيلة
فصرت اذا ادعو وارغب راجيا
ولي في الذي ارجوه اصدق لهجة
واندب اهل الجدد والعزم قائلا
عليكم بنصر الدين يا خيرامة
وقوموا بجدد للعداة لقد طفوا
عليهم من القهار اعظم لعنة
... ولم يقنعوا بما سبوا في بلادكم
واخوانكم في حال تلك القضية
فقصة اصيلا عرفتم جميعها
وما فعل الاعداء من شر غدره
واضحت على الاسلام تبكي رسومها
كذا سكن قد صاروا في ارض غربة
مساجدها تبكي على فقد اهلها
كان لم يكن فيها مردد سورة
صوامعها قد عطلت عن اذانها
كان لم يكن فيها اذان مصوت
مجالس اهل العلم يا صاح بدلت
بتلييس رهبان ورجس الاخسة
والقصيدة على طولها تسير في هذا النسق
المؤثر .

ولا تقل آثار احمد بن عبد الله بن ابي محلي
المنوفى عام 1022 \ 1614) في ميدان الادب القومي
آثار ابن يحش التازي ، ولو انه لم يؤلف في
جهاد كتابا خاصا ولم يجمع له ديوان - فيما
عرف - . وانك لتجد في اثناء مؤلفاته من ذلك الشيء
نثير مما يدل على غيرة وطنية قوية ولو ان فكرة

المهدية والفاطمية قد خامرت عقله وطففت على قلمه
احيانا . ففي كتابه (الاصيل) يستطرد في الباب
الاول ذكر احوال المغرب المؤسفة بعد موت احمد المنصور
الذهبي ويتفجع قائلا : « ... ولما ضجت الاقطار ،
وغلت في كل ناحية من الغرب الاسعار ، والفتن فيه
مع الوباء منذ سنين لا تنفك عنه كموج الزخار ،
والمسكين ضائع ، وانعكست الرؤوس فاعتلى السخيف ،
وتدلى الشريف ، ومات الحق واضمحلت رسومه ،
وقام سوق الباطل في كل بلد وهاجت سمومه ، والبحر
بافلاك الكفرة ملآن ، والبر بسواحله في غاية الدل من
عبدة الصليان (...) هنالك سالت دموع القلم على خد
الطروس ، فاسود وجه البيض من شدة البأس وكثرة
البوس ، في يوم عصيب عبوس ، قمطرير يشيب
الرؤوس ، وقد انهدم الصبر بين يدي الجور وصالت
التيوس ... » .

وبينما ابن ابي محلي يؤلف كتاب (سلسبيل
الحقيقة والحق) اواخر عام 1019 \ 1610 اذ بلغه
خبر سقوط مدينة العرائش في يد الاسبان ، فقطع
ما كان يكتب عن ارزاق الائمة والقضاة والمفتين ، وكتب
صفحات وطنية رائعة نثرية وشعرية :

« ... ولما وصلت الى هذا المحل من هذه
الفصول ، وقد ورد علينا خبر مهول ... وان العرائش
من الساحل قد اخذها الكفار وهم على اثر ذلك بجيش
يجيش يريدون استئصال الاسلام ، واقتناء الحرائر
بنات الاعلام ، وابناء الكرام ، واذلال كل ملك بالغرب ،
وجعل الذلة والصفار بالغرب ، على اهله بالتمام .
ارقني ما سمعت ، واقلقني لما رايت من شتات
الكلمة ، خوفا ولهفا على كل مسلمة ، ان يطا فراشها
الاغلف ، ويتخذ بعلمها عبدا اجلف ، ولدها يبكى ،
وحال زوجها تبكي . فانا لله وانا اليه راجعون ان صح
هذا النبأ العظيم ، والى الله تعالى وحده الضراعة في
كشف البلوى عن هذا الاقليم . هنالك تنفست الصعداء
بهذه العجالة ، لعل بني النجدة من المومنين يستيقظون
لوعي المقالة ، خصوصا منهم من كان ذا سلطان ، كيف
لا يغضب لله تعالى عن حزب الشيطان . فواها على
الدين ، ان لم يتداركه بعزته على يد هؤلاء المؤيدين :

لئن صح ما قد قيل ما عيش عائش
اذا اخذ الكفار ثغر العرائش
فيا معشر الاسلام من بعد عزكم
عليكم اخاف الدل لا من مناوش
فاين ملوك الغرب من كل ضارب
سيف ورام في جيوش الابارش

القومية المغربية

انعكاسات في أدب القرنين العاشر والحادي عشر

للمؤلف: محمد محجي

« 3 »

في مختلف جهات القطر ، لا يختص بدن أصابهم شرر الاحتلال وشره ، بل ربما كان انتاج العلماء والادباء المقيمين في الداخل كتايلالت وجزولة وتازا وفاس او فر واغزر . ثم هو ليس ادبا اجوف خياليا يكتفي بالتفجع والتشكي والبكاء على الدمن . وانما هو ادب حي صادق يساير الواقع ويقترن بالعمل ، اذ كثيرا ما كان اولئك الكتاب من رجال السيف والقلم معا . يجبرون الرسائل والخطب وينشؤون القصائد والموشحات والازجال ، ثم لا يترددون في الخروج الى ميادين الكفاح متى دعاهم الواجب . وسبقت الاشارة الى انقطاع الاساتذة والطلبة عن الدراسة في غير الفصل المطير للتفرغ الى الرباط والقتال في سبيل الله ...

ومن اقدم رواد القومية المغربية محمد بن عبد الكريم بن يحيى التازي ؛ المتوفي حوالي عام 920 / 1514) وهو اديب كبير وصوفي عارف ، الف كتابا في الحض على الجهاد ، وقف عليه ابن عسكر مؤلف دوحة الناشر - ص 54 - وقال انه : « مما ينبغي ان يتناول باليد ، ويكتب دون المداد باللجين » . وله ديوان شعر يحتوي على موشحات وقصائد كثيرة . ومن احسن آثاره القومية تأنية عجيبة يتفجع فيها على سقوط الثغور المغربية في يد العدو ويدعو الى الجهاد لتحريرها . وهي تقع في 168 بيتا ، يقول في مطلعها :

ابى القلب ان يساو ومن لي بسلو
ونومي جفا من اجل ما ناب مقلتي

اذا كانت المواقف السياسية والحرية التي اتخذتها الدولة والشعب في المغرب خلال القرنين الهجريين العاشر والحادي عشر (16 - 17 م) قد برهنت عن وعي قومي كما راينا ، فان الادب بدوره لم يخل في هذه الفترة من شواهد رائعة في هذا المضمار . وبادر الى القول بانني اقصد بالادب القومي كل ما قيل أو كتب للتعبير عن عواطف ناطقة بحب هذا البلد الطيب ، او لاثارة حماس الجمهور وايقاد الحمية الوطنية فيه ليدافع المغير الاجنبي المحتل ؛ سواء كان ذلك الاثر شعرا او نثرا ، رسائل او خطبا او كتباً مستقلة او استطرادات في فصول من كتب ، ولو اصطبغت بصبغة تفسيرية او حديثة او فقهية ...

واذا كنا سنكتفي هنا باستعراض نماذج موجزة من هذا الادب القومي ، فلا بد من الاشارة - ولو اشارة خاطفة - الى بعض مميزاته وخصائصه . فهو قبل كل شيء ادب يصطبغ بصبغة دينية ، يدعو الى الجهاد ومجادة العدو والكافر ، والى نصرة المسلمين والذود عن حرمانهم وبلادهم . ولا يقصد بالعدو والكافر - تلويحا وتصريحا - غير البرتغال والاسبان الذين كانوا يحتلون عددا مهما من الثغور المغربية ، كما لا تعني كلمة المسلمين وبلادهم - هنا - غير المغرب الاقصى وساكنيه خاصة . ويمتاز الادب القومي المغربي بنظرة الشمول ، الى حرارة العاطفة وصدق التعبير ، فهو - خلافا لما يزعمه المتكبرون للقومية المغربية - صادر عن جميع الطبقات الواعية

طاعة من اوجب الله طاعته من الامراء ، وزاحمتهم
بالتضريب في البوادي بضروب الاهواء . وكان يكفيك
لو قبلت النصيحة ان تسمع لامير المسلمين بقاعدة
ملك المغرب مدينة مراكش . فالتاس كلهم او جلهم
في السمع له والاعانة بحسب الامكان ، طلبا لاستبقاء
الامان ، وتسكين الاحوال ، والحذر من تفاقم الاهوال .
وانت تريد بوهك النازغ ، وطمعك الفارغ ، ان تشبها ،
وتثير في المسلمين شبها ، ثم لا طائل يعلو لك منها ، ولا
مذاق يحلو لك بها . . . فباعد فضول الفتن والتمطي
اليها ، واتق النار التي توقد بين يديها . . . »

وهي رسالة طويلة تنتهي بقصيدة في نفس
الموضوع من 29 بيتا . وللتمترتي رسائل اخرى غير
هذه الى الثائر التهارتي كلها تستهدف ارشاده الى
الصواب وتجنب البلاد شرور الفتن والحروب .

وانشد التمنارتي في عيد المولد عام 1033 بين
يدي استاذة يحيى الحاحي المستبد اذ ذاك بحكم

ترودانت وبعض بلاد سوس والاطلس الكبير قصيدة
مطلعها :

الا ايها الروح اليماني تجددا
وبل حشاي والفؤاد الموقدا
وجر بكشبان اللوا وتلاعها
وقاعاتها الذيل الرطيب المرندا
وبعد ان يتخلص الى مدح الرسول الكريم
يخاطبه بقوله :

. . . فيا خير موصول ويا خير واصل
ويا خير ما مول جدا وتوددا
تدارك بلاد الغرب منك بهمة
فقد صار منها الشمل شلوا مبدا
تمعدت الاهواء وامتد شؤمها
وبالمصطفى ينحل ما قد تعقدا

- يتبع -
الرباط - محمد حجي



سهام المنايا والخزايا غنيمة
لفرسان حرب كالاسود النوايش
من اهل الجبال والوطا ومدائن
وعرب ضوار باللقا والتناوش
... وطفل يصيح بالنفير هلم لي
بكل جواد ضيفم في التهارش
وكل عقاب افتخ ذي مخالب
كانياب غول في صقور نواهش
كهول وشيب شيبتهم وقائع
ودونهم الشبان مثل الاراقش
وكل عقاب افتخ ذي مخالب
نسيب حسيب مدهش غير داهش
اريب اديت مقدم ومقدم
على كل جيش بالصناديد عائش
... وكل كريم بربري مبربر
كليت الثرى عند اشتباه الهوائش
عريض طويل رمحه ونجاده
ومسدل شعر خلفه كالمناوش
من ابطال تل صائل فوق صاهل
وبحر على بحر من الهول جائش
... فيا معشر الاسلام عار عليكم
تذلون بعد العز خوف الخشائش
الا همة تعلو على كل همة
تفك عرابا قلبها كالاحابش
... فللم يوم آخذ كل ثاره
به الاندلس من حمير الفواحش
... لحا الله عيشا دونهم لمرايط
وذى شرف مستضعف في البشائش
يخوضون بحرا من دماء فلا ترى
سوى راغب في الموت لا في القشائش
يريد رضا الله من طلب العلى
على همة من فوق بان وعارش
اذا احجم اللاهون عنها تقدموا
اليها احتسابا لا طلاب المعايش
والقصيدة من خمسين بيتا كلها دعوة الى افتكاك
الثغور المحتلة واستنهاض لهمم كل سكان القطر في
السهول والجبال . وله في هذا الشأن غيرها كثير .
اما في سوس فنجد من بين علمائها اديبا خلف
آثارا قومية عدة ، هو عبد الرحمن التمرتي المتوفى
عام 1070 / 1660 ، كان يعيش في ترودانت اثناء

المقود العصبية التي تلت وفاة احمد المنصور ، وقد
انتهت اليه رئاسة العلم بمدينة وبلاد جزولة كلها .
وحدث أن قام في تزيت ثائر دجال هو محمد بن عبد
القادر التهرتي ، حاول استغلال الفوضى المنتشرة اذ
ذاك بالمغرب فادعى المهدي وراح يجمع الفوغاء من حوله
ليستبد بالجنوب ، فوقف في وجهه التمرتي كاحسن
ما يقف عالم وطني واع ، وجرد قلمه لدحض اباطيل
الدجال وزجره عن غيه ، سالكا في ذلك سبيلي
الترغيب والترهيب . ولحسن الحظ نجد بعض
المراسلات المتبادلة بين الرجلين مثبتة في صدر ديوان
التمرتي ، وفي احداها يقول مخاطبا التهرتي :
« ... فانك منذ نزلت هذا القطر نصبت للاطماع
حبالتك ، ولا اراها الا تقتنصك ، وحددت شوكة
اطماعك الفارغة ، ولا اراها الا تقتصرصك . ولا يحملك
حروف هجائك ، الى مضايق حروب هيجائك ...
وهلا اتعظت بصاحب هوالك احمد بن عبد الله (1) الذي
بلغ غبار جرانه وفتكه عنان السماء ، وهول بما هولت
به من الفاطمية والمهدية وخواص الاسماء ، قد لعبت
به عقبان جو القطر الذي طمعت أن تدبر ملكه ، وأن
تدبر في الامور فلكه (...) ثم ان انتهيت فلك السلامة ،
وانتفت عنك اللامة ، والا فانظر اي سماء تظلك ، واي
ارض تغلك ، فان القطر بأمرانه سيرميك بجبله وفضائه ،
موشك ان ينزل بك كرية قضائه ، فتشتت عنك حيلة
معيشتك ، وتتلون عليك أيام عيشتك . فلو كنت
صادقا فيما قلت ، وتبتعت صريح ما نقلت ، لكفاك مع
فهمه . ثم كأنك لم تعلم ما انزل الله في حفظ النظام ،
الذي به صلاح الدين وصلاح الانام ، من قوله عز وجل :
(يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم) وقول الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا) وقوله عز وجل : (ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المومنين نوله ما تولى ونصله جنهم) الى غيرها من
آيات الفاضحة لك ايها التهرتي . ومن قوله صلى الله
عليه وسلم فيما روينا من صحيح الاحاديث
(اطع الامير ولو كان عبدا حبشيا كأن رأسه زينة .
ومن خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، مات ميتة
جاهلية . اذا رايتهم من ولا تكم شيئا تكرهونه فاكره
عمله ولا تنزع يدا من طاعته) ... وهذه النصوص
القرآنية والنبوية كلها ايها التهرتي اضعمتها ، وانتحل
لها تمويهات اهواء فاطعتها ، وبوشك أن تواجهك
بالعقاب ، وتخطبك بضرب الرقاب ، اذا نكبت بها عن

(1) الاشارة الى ابن ابي محلى المتقدم ، فانه ادعى ثلاث سنوات لكن عاقبته كانت القتل والصلب
المهدية وتغلب على زيدان السعدي وملك مراكش نحو
عام 1022 / 1614 .

عمدا ، واوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا ، وتقبلوا شيمه الطاهرة عدلا وفضلا وبأسا وندي ، فكانوا بالنهار اسدا ، وبالليل ركعا سجدا ، سيوفا على من اعتدى ، (53 : 1) ونجوما لمن اهتدى ، حتى علت فروع ملتته صعدا ، واصبح بناؤها مديدا مخلدا . والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يتصل سرمدنا ، والصنع الذي يتوالى مثنى وموحدا . كما جمع للملكم ما تفرق من الالقاب ، على توالي الاحقاب ، يجعل سيفكم سفاحا ، وعلمكم منصورا ، ورايكم رشيدا ، وعزمكم مؤيدا - فانا كتبناه اليكم - كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف اودا ، وعزا (1) يملا ائدة الكفر كمدا ، وجعلكم ممن هيا له من امره رشدا (2) ، ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد (به) (3) في كتابه العزيز (4) والله اصدق موعدا - من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا زائد - بفضل الله سبحانه - الا استطلاع سعودكم في آفاق العنابة ، واعتقاد جميل صنع الله لكم في البداية والنهاية ، والعلم بأن ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآية ، واجرى جياذ السعد في ميدان لا يحد بفاية ، وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية . ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفًا ، وبسدل عليه من العصمة سجفا ، تقاسمه (5) الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفًا ونصفًا ، ونعقد بين ابقاء مسرته وبين الشكر لله حلفًا ، ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى ، (53 : ب) ونأمل من امدادته ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى ، وتروى غلغلة النفوس وتشفى .

والى هذا - وصل الله سعدكم ، ووالى نصركم وعضدكم - فاننا من لدن صدر عن اخيكم أبى الفضل ما صدر ، من الانقياد لخدع الآمال ، والاغترار بموارد الال ، وفال رايه في اقتحام الاحوال ، وتورط في هوة حار فيها حيرة اهل الكلام في الاحوال ، وناصب من امركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال،

ومن ذا يزاحم الاطواد ، ويزحزح الجبال ؟؟ !! اخلف الظن منا في وفائه ، واضمر عملا استأثر عنا باخفائه ، واستعان من عدو الدين بمعين قلما يورى لمن استنصر به زند ، ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند . وان الطاغية اعانه وانجده ، وراى انه سهم - على المسلمين - سده، وغضب للفتنة جرده . فسخر له الفلك ، وامل أن يستخدم بسببه ذلك الملك (6) ، فأورده الهلك ، والظلم الحلك . علما أن طرف سعادته كاب ، وسحاب آماله غير ذات انسكاب ، وقدم عزمه لم يستقر من السداد في غرز ركاب . فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بفضل نياتها ، وغايات الامور تظهر في بداياتها . وعوائد الله تعالى - فيمن نازع قدرته - لا تجهل ، ومن غالب امر الله خاب منه الممول .

فبينما نحن نرتقب خسارة تلك الصفقة المعقودة ، (54 : 1) وخمود تلك الشعلة الموقودة ، وصلنا كتابكم بشرح الصدور وبشرح الاخبار ، ويهدي طرف المسرات على اكف الاستبشار ، ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار ، عن الود الواضح وضوح النهار ، والتحقق بخلوصنا الذي يعلمه عالم الاسرار . فأعاد في الافادة وأبدى ، وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى . فعلمنا منهم مآل من رام أن يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويشير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام (7) ، هيهات ، تلك قلادة الله تعالى التي ما كان يتركها بغير نظام . ولم يدر انكم نصبتم له من الحزم حباله لا يفلتها قنيص ، وسددتم له من السعد سهمًا ماله عنه محيص ، فيما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد في مطاره ، حائلا بينه وبين اوطاره ، فما كان الا التسمية والارسال، ثم الامساك والقتال . ثم الاقتيات والاستعمال . فيا له من زجر استنطق لسان الوجود فجذله ، واستنصر بالبحر فخذله ، وصارع القدر فجذله لما جد له !! .

وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ، ومناسب الى نصبه (8) غير سعيدة ، واثار غمرته من الكفار ، خدام الماء وأولياء النار ،

1 في نسخ الريحانة (وعزما) وهو مناسب كذلك .

2 اقتباسا من قوله تعالى : « اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهىء لنا من امرنا رشدا » . سورة الكهف ، آية : 10 .

3 زيادة في نسخ الريحانة .

4 زيادة في نسخ الريحانة .

5 في نسخ الريحانة « فقاسمه » .

6 في نسخ الريحانة « وامل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك » .

القتام : الغبار .

7 في نسخ الريحانة (نسبة)

العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة وفاس في منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)

لوزير لسان الدين ابن الخطيب
تحقيق الدكتور محمد كمال شيانة

(5)

(الوثيقة السادسة)

(1 : 52) ، وكتب اليه - رحمه الله - في قضية اخيه المذكور ، وقد اشتهر انه ركب البحر (من اسبانيا) يرسم للحاق ببعض الجبال (في المغرب) ، فظهر عليه الاسطول المأمور بالترصد له ابامر السلطان ابي عنان ، واخذ الجفن بالمذكور وبمن معه ، ولم يصح الخبر ، فاستدرك (ابو الحجاج يوسف سلطان غرناطة) الامر ، وامسك الكتاب :

« المقام الذي شهد الليل والنهار باتصال سعادته ، وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته ، وتعود الظفر بمن يناوئه فاطرد - والحمد لله - جريان عادته ، فوليه متحقق لافادته ، وعدوه مرتقب لابادته ، وحلل الصنائع الالهية تضفو على اعطاف مجادته ، مقام محل اخينا الذي سهم سعده صائب ، وامل من كاده خاسر خائب ، وسير الفلك المدار في مرضاته دائب ، وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف المعجائب ، فسيان شاهد منه في عصمة الله وغائب . السلطان (الكذا) امير المؤمنين ابو عنان ، بن السلطان ابي الحسن ، بن السلطان ابي سعيد ، بن السلطان ابي يوسف يعقوب ، بن عبد الحق . وقاه الله تعالى مسدد السهم ، ماضي العزم ، تجسل سعوده عن تصوير الوهم ، ولا زال (52 : ب) مرهوب

الحد ممثّل الرسم ، موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعود القسم ، فائزا بقلج الخصام عند لدد الخصم . معظم قدره ، وملتزم بره ، المبتهج بما يسنيه الله تعالى له من اعتزاز نصره ، واظهار امره ، فلان (السلطان ابو الحجاج يوسف) .

سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم السعيد ، ومثابكم التي حازت في الفخر الامد البعيد (1) ، وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد (2) ورحمة الله تعالى وبركانه .

اما بعد حمد الله تعالى الذي فسح للكم الرفيع في العز مدى ، وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على اعدائه يوما وغدا ، وحرس سواء علانه ، بشهب من قدره وقضائه ، فمن يستمع الان يجد له شهابا رسدا (3) ، وجعل نجح اعماله وحسن مآله قياسا مطردا ، قرب مرید ضره ضر نفسه وهاد اليه الجيش اهدي وما هدى . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذي ملأ الكون نورا وهدي ، وأحيا مراسم الحق وقد صارت طرائق قدا (4) ، اعلى الانام يدا ، واشرفهم محتدا ، الذي - بجاهه - نلبس اثواب السعادة جددا ، ونظفر بالنعيم الذي لا ينقطع ابدا . والرضا عن آله واصحابه الذين رفعوا لسماء سنته

(1) في نسخ الريحانة (يخص مقامكم الاعلى ، ومثابكم الفضلى ، التي حازت . . الخ)

(2) زيادة في نسخ الريحانة فقط .

(3) اقتباسا من قوله تعالى : « وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الان يجد له شهابا رسدا » سورة الجن آية : 9 .

(4) اقتباسا من قوله تعالى : « وانا منا الصالحون ، ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قدا » . سورة الجن آية : 11

الذي كرمت الفاظه ومعانيه ، والسعد الذي عذبت مجنيه ، والصنع الذي يجمع للاسلام شتى امانيه - فانا كتبناه اليكم - كتب الله لكم سعدا راياته منشورة ، وصنائع كتائب عناية الله لديه محشودة مشهورة ، ومجدا آياته مؤرخة مسطورة ، وقضاياه ذائعة مشهورة من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والتشيع فيكم قوى سببه ، لاحب مذهبه ، والاعتداد بكم - في سبيل الله - صريح نسبه ، جديرا أن يتسنى به للاسلام مطلبه ، ويتحصل للدين الحنيف اربه .

والى هذا - وصل الله سعدكم ، ووالى تاييدكم وعضدكم - فانا ورد علينا كتابكم الكريم الانباء الباهر السناء ، السافر عن محيا المودة والولاء . تعرفون بما انتهى اليه حال من عاندكم من التضييق على جهاته ، واخذكم عليه طرق (١: 56) منجاته ، وانكم اقمتم تلقاء الحصص ، وجرعتموه الفصص ، وان الخائن الذي دلاه بانفرور . وقدح زناد هذه الشرور ، ورام شق عصا الامة بعد سكون الامور واشراق النور ، يعقوب بن ابي عياد ، اورطه الله في جبال مكيدته التي نصبها ، واشرقه ما كلفه النبي غضبها . وامكن منه يد قدرتم التي عودها التمكين ، وعرفها العز المكين ، وحذا له بما جحد من عفوك الذي البستموه ، وحلمكم الذي اوليتموه . فاطفتم بجدول السيف زر شره ، وحسمتم بعلاج اليد سبب شره ، وانفذتم فيه حكم الله - سبحانه - بمقتضى امره ، وانه لما استفهم عن شأنه واسباب خذلانه ، ختم عار قوله (١) بعار لسانه ، وزعم ان هذه الفعلة التي ارتكبها ، والدرة التي حلبها ، انما كانت باشارة من جهتنا اعتمدنا ، ورام امدها .

وان مقامكم الذي اقامه الله قسطاس حق ، وعقلكم الذي لا يلتبس لديه باطل بحق ، انحى على هذه الدعوى الحنيئة بالتكذيب ، ولم يعدها من الممكن البعيد ، فضلا عن الممكن القريب ، واضرب عن - قول العدو في الحبيب ، فاستوفينا ما فسرتم ، وحصلنا ما قررتم ، فمابلنا نعم الله عليكم بشكره وحمده ، وسألناه لكم مزيد فده . ومعلوم ان مقامكم محفوف من الله بعناية ملابسها (5: ٢ب) لا تخلق ، مكنوف برعاية انوارها تتألق . وانه سبحانه - قد اختاركم وهو اعلم باختياره ، وقلدكم بانه ولا يفتات عليه في مقداره . فالعجب مما خفيت بصيرته هذه الدلائل والشواهد ، وغابت عنه هذه

القواعد . زادكم الله من فضله ، وحكم للمككم باعتلاء محله . ونحن نصل شكركم على التعريف ، ثم على رخص ما آفاه ذلك الخبيث من الكلام السخيف ، بين يدي الرعب المخيف والجبن المطيف . ومقامكم اصل عقلا ، واشهر فضلا ، من ان يصفى الى كلام يقوم البرهان على بطلانه ، ويشهد الحسن بخساره قائله وخذلانه ، فالدعاوي اذا وقعت من بريء الجانب ، واضح المذهب ، لا تقبل عن (2) غير دليل يعضدها ، او شهادة تؤيدها ، فكيف بها اذا صدرت عن ناكث غادر ، مسارع الى شق الامة مبادر ؟؟ مسلوب العدالة ، يستنجد خدع النفس الختالة ، ويشاهد في السيف مجرى جريانه لمسالة .

ونحن نكل الامر الى علمكم بسيرتنا وسيرة سلفنا ، في اجتناب هذه الشبهات ، والاعراض عن شيم بوارق الترهات ، والتحفظ عن مداخلة الفتن مهما وقعت بتلك الجهات . ولا دليل أرجع ، ولا برهان اوضح ، مما شهده كثير من خدامكم الذين بين يديكم ، حسبما يقررون لديكم ، من ان (١: 57) والدكم - محل ابينا السلطان الواجب علينا حقه ، الواضحة في البر والتشيع لدينا طرفه - لما طلب منا الاعانة على ما كان بسبيله ، وصرف الى الانجاد في الاجفان وغيرها وجه تأميله ، قابلنا طلبه بالاعذار ، وامسكنا عن الركض في ذلك المضمار ، حذرا ان تكون بيننا وبين تلك الجهة تره تتعقب عند الهدنة ، او مداخلة في شىء من اسباب الفتنة .

هذا ، وحقوقه تحجنا بالسنة فصيحة ، وتجادلنا بأدلة صريحة . ولكن اخترنا الوقف مذهبنا ، ولم نترك للحجة علينا سببا . والحال في جهتكم عندنا الان اعظم ، والسبيل - بحمد الله - اقوم ، فانكم زدت في البر وأربيت ، وعدتم في الفضل وأبديت . وما حمل أخاكم على ارتكاب الخطر الذي قلما نجاراكيه ، واقتحام البحر المحيط الذي لا تبين مذهبها ، ولا تهدى السارين كواكيه ، وتقيل يد العدو الكافر وهو العمل الذي لا تمحى مثالبه ، الا لما يش من مداخلتنا في امره الذي ابرمه ، واعانتة على ما يمه . وبعد ان سدت عليه المسالك القريبة من مرمى امله ، ولم يجد فينا طمعا لقبول قوله ولا عمله . فانفرد بغائله ضميره ، ولم يطلع غير طائفته على تدبيره .

في نسخة الريحانة (وختم عار فعله) ولعله انسب في نسخ الريحانة (من) بدل (عن) ولعله اوفق .

تحكمت فيهم اطراف العوالي وصدور السفار ، وتحصل منهم من تخطاه الحمام في قبضة الاسار ، فعجبنا من تيسير هذا المرام ، (54 : ب) واخمد الله لهذا الضرام ، وقلنا : تكييف لا يحصل في الاوهام ، وتسديد لا تستطيع اصابتة السهام . كلما قدح الخلاف زندا اطفأ سعدكم شعلته ، او اظهر الشتات الما ابرا يمن طائرهم علته . ما ذاك الا لنية صدقت معاملتها في جنب الله تعالى وصحت ، واسترسلت بركتها وسحت ، وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلهم وتمت ، واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التي همت (1) .

فنحن نهنيكم بمنح الله ومننه ، ونسأله ان يلبسكم من اعتنائه اوفى جننه . فاملنا ان تطرد آمالكم ، وتنجح - في مرضاة الله - اعمالكم ، فمقامكم هو العمدة (2) التي يدفع العدو بسلاحها ، وتبليج ظلمات كفره بانوار صباحها ، وتنام العيون الساهرة تحت ظلال صفاحها . وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود ، وبافاننا تطلع منه السعود ؟؟ !! فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلت واكتفت ، وديمه بساحة الود قد وكفت . الله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ، ولا يعدمكم عناية وسعادة . وهو سبحانه يعلي مقامكم ، وينصر اعلامكم ، ويهني الاسلام ايامكم ، والسلام (الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته) (3) .

(الوثيقة السابعة)

(54 : ب) « وكتب (ت) عنه جوابا عن التعريف

بالقبض على المذكور - بعد هذا - بما نصه (4) :

المقام الذي يبدي الفضل (55 : 1) ويعيده ، ويحق الحق ويشيده ، ويزيح الباطل ويبيده ، ويسوغ

الطول وبفيدة ، فلا يشرب للزهرات جيده ، ولا يخلص وده الاصيل جديده (5) ، ولا ينفق عنده من القول والعمل الا ما ظهر صدقه وبان تسديده . مقام محل اخينا الذي برهان وده لا يعارض بالشبهات ، واصيل اعتقاده لا يستنزل بالترهات ، وشمس فضله باهرة الآيات ، وجياد مجده مستولية على الفايات . السلطان (الكذا) ابو عنان بن (فلان) ، السلطان ابي الحسن (ابن (فلان)) (السلطان ابي سعيد) بن (فلان) (السلطان ابي يوسف يعقوب) . ابقاه الله يعطي الامور بعقله الرصين حقوقها ، ويحرس ارجاء المودة في الله ان تعتد الا لا في الكاذبة طروقها ، وينحني على غراس السعيات فيتبع عروقها . معظم مقامه الحقيق بالتعظيم منصبا وشيما ، وموقر ملكه توقيرا دائما ملتزما ، المثني على فضله ثناء متمما ، الداعي الى الله في صلة بقاءه يرفع الاسلام علما ، ويعمر من ربع المجد معلما ، الامير (فلان) (السلطان ابو الحجاج يوسف) .

سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى واخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله مظهر الحق ومعليه ، الذي يحكم آياته وينسخ ما يلقي الشيطان ويمليه ، حتى يروق وجه اليقين لمجتيه ، ويفوز بحسن العقبي حزبه ومتولييه . والصلاة والسلام (6) على (55 : ب) سيدنا ومولانا محمد نبيه الذي جمع الفضل فيه ، واتخذ الخلق من مهاوي التلف بتلافيه ، فثبت ما كان الضلال ينفيه ، وحصت قوادم الباطل وخوافيه . والرضا عن آله واصحابه وقرباته وذويه ، الذين كانوا نجوم ناديه ، وبروق غواديه ، وسيوفه على اعادييه . والدعاء لمقامكم الاسمي حرس الله اكناف معاليه ، وعرفه مقدم الفتح وتاليه ، وابقاءه لفخر يبنيه ، وامل للدين يسنيه ، بالنصر

(1) في نسخ الريحانة (اهتم) .

(2) في نسخ الريحانة (العدة) بدل « العمدة » فلعل

(3) تنمة السلام زيادة وردت في نسخ الريحانة فقط .

(4) هذه الرسالة من السلطان يوسف الاول الى ابي

كسابقاتها لنفس الموضوع - وهي كما يتضح من من مضمونها تنفيذ للسعاية والمكيدة التي دبرها ابن ابي عباد ضد السلطان ابي الحجاج في شأن هرب الامير ابي الفضل ، وهذا يتمشى مع الواقع الذي يراه معظم مؤرخي العصور كما ذكرنا - من ان السلطان يوسف الاول بريء من جريمة لحاق ابي الفضل بأرض النصرى ، حيث لا مصلحة لسلطان غرناطة في ذلك ، بالإضافة الى ان الدولة بغرناطة كانت تجتاز يومئذ نفس الظروف التي تقاسيها منذ تأسيسها تجاه جيرانها الاسبان الذين كانوا لها بالمرصاد ، يأملون ان يتوجوا بها حروب الاسترداد .

(5) في نسخ الريحانة (ولا يخلق من وده الاصيل

(6) زيادة في « الريحانة » دون « الكناسة » .

أبو إسحاق إبراهيم النادلي من خلال أقواله

١٣١١ هـ

١٨٩٤ م

١٢٤٢ هـ

١٨٢٦ م

للأستاذ مصطفى الغزالي

بقوله : إبراهيم النادلي شيخ الفضلا ، بعصرنا لدى
الرباط وسلا .

ما شئت من علم ومن معارف
ومن جلالة خلت عن كلف
ومن دؤوب وعكوف بالعلـى
ومن تعاطي وانقطاع كـلا
قد ختم الدهر به الكـمـالا
بشفره قلم يبن مثـالا

حقا فلقد كانت احاطة هذا الاستاذ الكبير الواسعة
للفنون المتداولة - اذذاك بين اوساطه العالمية ، وقدرته
على التصرف في معلوماتها الغزيرة رغم اختلاف الواجه
والنظرات ، واستطاعته لتبليغها بألوان رصيد مكتنز من
القول شرعي وعقلي ، والافاضة فيها بأسهاب غني
بالمراجع الهامة . والمصادر المختلفة ، ومليء بالالتفاتات
التاريخية والادبية ، واستطرادات المتكاثرة المفيدة ، من
العوامل الجذابة والدواعي المرغبة والبواعث الدافعة
لعدد كثير من جهابذة علماء البلد ونجباء طلبتها لحلقة
دروسه العامرة امثال ابي حامد البطاوري والاحمد بن
البناني ، وجسوس ، والمهدي متجنوش ، واخيه محمد،
والشريفين محمد ابن الحسين ، واخيه الغازي والد
ابي المحاسن المدني ، ومحمد بريش ، والهاشمي
الحجوي ، وزين العابدين البناني واخيه فتح الله ،
ومحمد بن قاسم اقديرة ، ومحمد الرندي ، وعبد
الرحمان بريطل ، وعبد الرحمان لباريس ، والجيلاني
ابن ابراهيم ، ومحمد عمر دينية ، وبنعيسى بن مسعود،

ان من الشخصيات المغربية الفذة ذات المواهب
النادرة المثل ، التي اتسعت جوانبها واستطالت
طاقاتها ، وتسمنت اسمى مكانة علمية - اواخر القرن
الماضي - بمدينة الرباط ، وتربعت كرسي مشيخته
ماستحقاق وكفاية كاملة ، وامتازت بمشاركتها الفعالة
في جميع الفنون المتداولة في ذلك العهد تأليفا ومناظرة
وتدريسا ، واتصفت من بين معاصريها بقوة العارضة
وسرعة الادراك ، وسعة الاطلاع ، معززة بذهنية حادة
لالتهام المعارف انى وجدت ، والتقاطها من الافواه
والكتب بنهم زائد مع تباين موضوعاتها ، وامتلاكها
بحافظة مقتدرة على الاكتناز حتى اكتمال الغاية ، حاديا
نشاط غريب يحفه الجد المثمر ويفغره الانكباب المستمر،
ورائدها حب العلم للنشر ، ونصرة الحق ، واعلاء كلمة
الله ، لا يضيئها اجهاد ولا تفريها رغبات عابرة عن
طلباتها المشروعة ، ولا تلهيها مشاغل الحياة ومشاكلها
العديدة عن هدفها المأمول ، ولا يقعد بها عن العمل
سغب او عزاء ، ولا يطوف حواليلها فتور او سأم
- الحجة الدراكة ابا اسحاق ابراهيم ابن محمد بن عبد
تقادر النادلي - ذلكم الرجل النفاة النصوص المقدام ،
سروف عن المظاهر الخادعة والمطامح الزائفة ، والزاهد
السعي وراء الرغائب وعلو المناصب ، خاتمة العلماء
نائل وشيخ الاقران المبرزين الذي انتهت اليه رئاسة
في المعقول والمنقول في الفروع والاصول بالرباط وسلا
عبر عن ذلك جهنة الاخبار ومؤرخ العدوتين محمد
علي الدكالي في ارجوزته التاريخية « اتحاف اشرف
بعض اخبار الرباط وسلا » لدى الكلام على ترجمته

جزائه ، وينصر عزمكم على اصدقاء دين الله واعدائه ،
والسلام (الكريم المبارك العميم يخصصكم ورحمة الله
وبركاته) . (1)

حققه
د . محمد كمال شبانه

فالذي عملتم في رفض هذا القول هو اللائق
بدينكم ، وصدق يقينكم ، فمثلكم لا يرتاب في اجابته
واوليائه ، ولا يلتبس (57 : ب) لديه مذاهب التشيع
لعلائه . وتعريفكم عندنا مقابل بشكر مقامكم الرفيع
وثنائه ، على اتصال الدهر وتوالي آثائه . الله تعالى
يعرفكم عوارف اعتنائه ، ويجزيكم عن الاسلام خير

(1) تنمة السلام زيادة في نسخ « الريحانة » ، ساقطة من نسخة « الكناسة » .

قبول الهدية

استوفد عبد الملك بن مروان عاملبلغه انه قبل هدية ، فقال له اقبلت
هدية . قال : يا امير المؤمنين :

« بلادك عامرة ، ورعيتك راضية . فقال : اجب عما تسأل
عنه . قال : نعم . فقال عبد الملك اما والله لان كنت قبلت الهدية
كافأت صاحبها بأن وليته من عملنا ما لم تكن لتوليه لولا هديته ، انك
للثيم !! »

وان كنت قبلتها ولم تعوضه منها انك لخائن حسود ، وان كنت
اعطيته مثل ما اخذت واطمعت في شعبك رعيتك وعرضتها لخليفتك
لانك لاحق . وما من اتي شيئا لا يخلو فيه من حمق او لؤم او خيانة
حقيق بأن لا يقر على عمل .

هيئة الارض واقاليمها ، ورسالة في البوصلة التي يستعملها البحارة لمعرفة اتجاهات الطرق البحرية . و « فلاند النحر في علم البحر » كما هو موجود عنوانه بتقييد المؤلف في التعريف بنفسه ، والمعروف بعدد من النسخ باسم « زينة النحر في علوم البحر » ذكر فيه كثيرا من الالفاظ الاجنبية المستعملة لدى مستخدمي السفن ورؤسائها ذوي الخبرة ، كما عبر في خاتمته عن ذلك بقوله : « ان هذه الالفاظ كلها او جلها بلغة العجم ممن تلقيناه من بعض رؤساء البحر ممن سافر فيه او خدم دهرًا طويلا » وهو كتيب صغير مكتوب بعبارات مبسطة تقرب من الدارجة ، وله رجز مطول كموسوعة موجزة في عدة فنون ، ورغم الجدية والوقار والدؤوب على العمل باستمرار التي كانت تتسم به حياة المترجم ، لم ينسقط ما لنفسه عليه من حق الترويح والاستجمام ، فلقد كان ولوعا بالموسيقى الاندلسية منذ صباه يندوف طبعها ويتلذذ بسماعها من ارباب الفن وهواته المجيدين ويتقنها علما وعملا حتى صار يحاور مهرتها ويفهمهم ب ذلك ، كما عبر في كتابه « اغاني السقا ومناني الموسيقى » الذي خصصه في طبوع هذه الموسيقى الاربعة والعشرين بقوله : « لما زهزت البلوغ عرفت طبوع الفناء عند « الذكاريين » من رصد ومزوم ، وماية ، ورمل الماية ، وما يستعمل في كل طبع منها ، وذلك بالرباط اولا قبل سفري لطلب العلم بفاس ، فصرت احاور مهرته واغالبهم فيه ، فكان لذلك اذا جاء سيدي عمر بن المكي بن سيدي المعطي بن الصالح صاحب « الذخيرة » من ابي الجعد ، ونزل بدارنا بالرباط دعاني حتى اجلسني بين يديه ، وانا صغير ، وكان يجب الطرب جدا ، وبمجرد نزوله يحضر له تلميذه جدنا للام القاضي السيد صالح الحكموي اهل الموسيقى من اصحاب العود والرباب ونحوهم ، فانه كان من تمام قرى الضيف واکرامه ، وزاد فقال : « لما جئت للرباط (اى بعد انتهاء دراسته من فاس) لم نجد فيه من يتقن « رصد الذيل » فلما سمعته مني شيخ الصنعة الفقيه السيد محمد الرطل ، ولا اعلم منه بالموسيقى بالرباط ، وكان يلازمي كثيرا في علم التعديل زمنا طويلا ، فاذا ببعض الايام صرت اترنم بعض صنائعه ، فتعجب وقال لي يا فقيه انت تحسن هذا العلم ؟ وهذه نفمة رصد الذيل ، فقلت له نعم ، احسن اكثر من هذا ، ثم اخذ يلح علي في تعلم رصد الذيل لفقده بالرباط ، فصرت اعلمه منه ما تيسر هو شريف سيدي المكي الفيككي الرباطي ، وكانست منه في الموسيقى رخيمة حسنة ، وبعد ذلك ذكر حفظه عن « سماع » نفحات اهل المغرب بالموسيقى اندلسية وميزتها الخاصة وبراعة توقيعها الحسن ،

الذي لا يوجد مثله - كما عبر عن ذلك - في اى قطر حتى في اوربا وتركيا ، فقال : « سماع اهل المغرب بالموسيقى لم ار حسن صنيعه الا بالمغرب ، خصوصا بفاس وتطوان ، وكيف لا وذلك بقية من بقايا الطرب الاندلسي ، الذي لم يوجد مثله في الدنيا الى الان ! حتى عند النصارى ، مع انهم اهل طرب وآلات عجيبة ، فاني سمعت نفحات اهل اصطنبول وغيره ، ونفحات النصارى فلم اجد واحدة تقارب ميزان الموسيقى بالمغرب ، ولعل اصل وصولها للاندلس من الفرس لا من اليونان » . ويزيدنا المترجم تعرفا على تذوقه بالطرب الاندلسي ودرايته الكبرى بفنه ، ومعرفته الكاملة بصنائع اربابه بقوله : « آخر المحسنين لضرب العود شيخنا السيد الحاج حدو بنجلون شيخ جمعة الموسيقى بفاس ، فانه كان اجلهم صوتا وضربا وسنا ، ولضرب الرباب شيخنا الشريف سيدي رشيد الجملي وهو من تلامذة بنجلون لكنه كان احلى صوتا منه ، وله فيه ترنيمات اذا صاح بها تدهل العقول ... ! ثم سيدي الغالي في الكمنجة ، ثم الشيخ الصبان في ضرب العود ، ثم لضرب القانون القاسم ابن عسيلة الرباطي ، كان يضرب به مرارا امامي ، وأوتاره نحو سبعين ، كان يسويه بحلقات في اصابعه ، وكان يأخذها حال غريب ويهتز براسه ، وقل من يحسن ضربه اليوم » .

نعم لم تكن هذه الحياة المرحاة المفعمة بالوان جميلة من انواع السرور والغبطة - التي كان يختلسها من اوقاته العامرة - يحيها بين اقوام - بعيدين عن اهتماماته العديدة - ذابهم الطرب والمرح الدائم وفراغ البال ان تكون مانعة له - ابدا - من الانكباب المستمر الرتيب على اعماله العلمية وتكريس جهوده لاستخراج مفاهيم لنقول في مختلف الفنون - متشعبة رغبة في ادراك نصوصها المستعصية ، بل كانت تزيد هذه السويغات التي كان يقضيها معهم قوة وحيوية ونشاطا في الاستكثار من الاطلاع والزيادة في الاستفادة من ذوي العلم مشافهة او مراسلة مع المثابرة على ملازمة القاء الدروس على طلبته الكثر ما يقرب من الثلاثين سنة - كما نص على ذلك في تقييده - من صلاة الصبح الى مضي وقت العشاء في مجالس من خمسة الى ثمانية ، وكان يخصص بعض هذه المجالس لصفار الطلبة يختصر لهم فيها وفق مستواهم ما يلقيه على حاضري دروسه من بعض مشايخ البلد وكبار الطلبة ، ولهذا تجد ضمن مؤلفاته مختصرات لعدد من حواشيه وشروحه .

حقا ، فكما كان معلما كبيرا يراعي في تدريسه القدرة والمرحلة التدريجية للتحصيل ، ويعتني بسير

والشريفين العربي بن التهامي الوزاني ، وولده عبد الله ،
وبنعاشر الجزولي ومحمد الرطل الرباطي ، وغيرهم
كثير ، وهذه الدروس كانت تزدهم فيها كثرة الآراء ،
وعدد عديد من الانتقال لا ترى فيها طابع الارتجال او
تشديدا واختصارا يرمي للاختلال ، وكان يجول مترجما
بعينه الفاحصتين في هذه الحلقة ويصول - بصوته
الجوهري - بالاقوال ، وممبلا راسه ذات اليمين
وذات الشمال ، كأنه يستكنه الحاضرين عما يمليه عليهم
بسرعة من معارف دون تعلم وتوقف املاء كأنه يتلوها
من كتاب امامه ، وقد اكتسب هذا الوسع في الاطلاع
والطلاقة في الالتقاء وشدة الاستحضار بفصل تهيئتها
وتحضيرها في غالب الاحوال وفق اعتماده على مطالعات
تستغرق زمنا من الفراغ الذي كان يتخلل اوقاتها ليستخلص
منها شروحا وحواشي عما كان يدرسه من متون ، وبذلك
انتج ما يربو على مائة وعشرين تأليفا جلتها لم يتم . وقد
عرفنا بنفسه في تقييد عشر عليه المؤرخ الاديب ابو جندار
وأثبتته في تاريخه . ولقد افادني وجود هذا التقييد فائدة
جلي بالاضافة الى ما دونه في بعض كتبه - عرضا - من
ارتسامات طريفة وذكريات مقتضية عن حياته الحافلة ،
مع استثنائي بما كتبه - عن هذه الشخصية الكبيرة
المغمورة - مؤرخو الرباط المحمدون ابن علي الدكالي .
ابن علي دينية ، ابو جندار في تشجيعي على كتابة ترجمته
ولو بمقال موجز ، مع ان مقامه العلمي ومكانته العالية
نحتاج لتأليف خاص تبرز فيه معالمه الضائعة القيمة ،
ويوضح بعض مواقف الجريئة في نصرة الحق ، ومبلغ
شجاعته الادبية في مختلف الميادين . وبين ما غمض
علينا كثيرا من جانب هام من ترجمته ، وهو تطلعه
لتعليم العلوم الحديثة . وتشوفه الكبير لما عليه الغرب
من رقي وتقدم ، ويكشف عن نتائج سفرياته في الشرق
العربي ، وبلاد تركيا وتعاليقه الخاصة عن ذلك ، والامل
وطيد في تحقيق هذا التأليف باكتشاف محتويات
رسائله ومكاتبته العديدة ، وما سجله في مجموعات
دفاتره . فلقد كان نشيطا في هذا الباب ، لا يدع شيئا
يذهب نتيجة الاهمال والنسيان ، بل تجد معلومات عن
حياته او غيرها مثبتة على طرر بعض المؤلفات بخط يده
او مقحمة في بعض كتبه دعت اليها أدنى المناسبات .
هذا وقد ذكر في هذا التقييد الذي خصصه
للتعريف بنفسه انه لازم الدراسة بفاس نحو خمسة
عشر سنة تلمذ فيها على مشايخ القرويين وأخذ عنهم
سائر العلوم الشرعية والادبية ، وكان لا يترك اوقات
العطل تذهب في اللهو والنزه كعادة الطلبة ، بل يفتنم
فراغها لتحصيل العلوم الفلكية وفن الموسيقى ، وأشار
الى هذا ايضا في كتابه « اغاني السقا » فقال : « لما

سافرت الى فاس شمريت عن الجد جهدي في تحصيل
العلم من ربابه ، فكنت اذا فرغت من قراءة العلوم
الشرعية ودخلت شهور « العواشر » واستراحة الطلبة
من القراءة اتجرد لتحصيل علوم الفلسفة كالحساب
والهيئة والموسيقى ليلا ونهارا حتى لا يمضي زمان في
البطالة » ولم يففل كذلك ذكر دراسته بمكناس ومراكش
والرباط بعض الفنون كالتعديل والطب ، وسجل فيه
رحلته للشرف اولها سنة 1278 - 1862 ، والثانية
سنة (1284 - 1868) واستفادته الكثيرة من رجالته
فقد اخذ عن علماء مصر وبلاد الشام والحرمين ، ودرس
الفقه هناك على المذاهب الاربعة ، ثم جال ببعض البلدان
الاوربية كاسبانيا واستقر بها مدة شاهد عن كتب
تطورات العلوم الحديثة ، وقد اتصل اثناءها ببعض
علمائها قصد الافادة . وعرج على جبل طارق فدرس فيه
علم الجدول وسر الحروف - كما قال - على شيخه
الحسني التهامي . وذكر في هذا التقييد ايضا جل
أسماء تأليفه . وقائمة كبرى من أساتذته الذين تلمذ
عنهم في بلاد المشرق والمغرب ، ومما يلفت النظر في
مجموعة هذه التأليف اهتمامه الكبير - زيادة على علوم
التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة والتاريخ -
بفنون الحساب والفلك ، فقد كتب فيها عدة كتب
كتحفة الاحباب في علم الحساب ، وشرح الكرة في علم
التوقيت ، وحاشية علي ابن الشاطر في علم الجيب ،
وشرح روضة الازهار في علم التوقيت ، وحاشية علي
المنهاج في علم التعديل ، وحاشية علي الرخامة في
التوقيت ، وحواش على شرح التفاحة في علم المساحة ،
واخرى على اقليدس في الهندسة ، وشرح القنوع في
التوقيت ، والمعقب في شرح سلم المنطق ، وحسان
الحقائق في الدرج والرقائق ، وقد اختصر عدة كتب
تاريخية ككتاب « اقوم المسالك في احوال الممالك » لخبر
الدين التونسي و « صفوة من انتشر من رجال القرن
الحادي عشر » لمحمد الصغير الافراني و « جذوة
الاقتباس في حل من الاعلام بمدينة فاس » لاحمد بن
محمد بن القاضي ، وكتاب « نيل الابتهاج بتطريز الديباج »
لاحمد بابا بن احمد التنبكي السوداني و « تذكرة
الانطاكي » في الطب ، وكتاب « الحايك » في الموسيقى ،
وقد الف بعض الكتب في المذاهب الاربعة كحاشيته على
نظم الزبير لابن وسلان في الفقه الشافعي ، واخرى على
رسالة ابي شجاع فيه ايضا ، ودليل الطالب في الفقه
الحنفي ، كما له كتابات عن تاريخ بعض الدول اسلاميا
كبنو امية والعباسيين والعثمانيين ، وله رسائل فر
التعريف بمشاهير بعض رجالات العراق والاكرا
والحجاز وبلاد الشام والفرس ، كما له رسالة في علم

العلم والتطلع الى المعارف ، لا يطلب جزاء ولا رغبة في احراز شهرة ، ولا يفريه لذلك بارق مطمع ، ولا يفويه عن تحقيق مهامه المشروعة تقرب لجاه لسمعة ، او تملق لسلطة لادراك نفوذ ، تقوده عزيمة فولاذية لا يثنى عنها العمل الدائب مكيد خصومه من مشايخ البلد المعاصرين ، ولا يصده عن أهدافه العامولة ما يضعون في طريقه من أشواك وعراقيل ، ولا يحيد به عن وجهته المقصودة - التي وهب لاجلها حياته وكرس لها جهوده ، وهي القيام بمهمة التدريس - مضايقات ومعاكسات قاضي مدينته - حينذاك - عبد الرحمان لبريري (1293 هـ 1877 م) ولافت في ساعده ولا أضعفه عن السير الحثيث - لما خلق له - الى النهاية ، تسلطه عليه بصرامة للحيلولة بينه وبين هذه المهمة السامية ، ومنعه من القيام بالمراسيم الدينية ، هو وجماعة من علماء مدينة الرباط ، فلم يمثل - طبعا - لاوامره ، احتفاظا بكرامته وثقة بنفسه الوثابة ، وثابر على التدريس اعتزازا باقتداره وكفايته العلمية ، ولم يعبا بتعاليم من اراد التشهير به ، فسجنه قاصدا بذلك - كما قال محمد بن علي دينية - اهماله وتنقيصه ، ولكن الله ابقى الا ان يتم نوره ... »

والى قارئ العزيز فحوى هذه القصة كما رواها محمد ابو جندار في تاريخه لدى ترجمة هذا القاضي العادل المستبد فقال: « انتهت اليه الرياسة في وقته ، فلم يكن له ثاب في اسمه وسمته غير انه بلغت به الصرامة مبلغها أفضى الى التسلط على كثير من معاصريه من علماء الرباط ومدرسيه كالشيخ ابي بكر البناني ، والقاضي ابي العباس دينية ، والسيد المكي بوجندار ، والسيد الطاهر بربطل ، والسيد عبد القادر بوعياذ . والسيد المعطي الفربي ، والسيد الهاشمي الضريير ، وجماعة آخرهم ابو اسحاق التادلي فقد امتحنه بالسجن ، طالما حال بينه وبين التدريس بكنية اولئك الجماعة ، ان كانوا يأتون بظواهر مخزنية ، فيتظاهرون بها بده في سبيل ما هم بصدد من القيام بالمراسيم الدينية » .

علاوة على هذه الاعمال الجليلة التي كان يقوم بها ياديين التعليم ، وما تتطلبه من مطالعات مختلفة ، اجعت لتحضير الدروس ، مع دوام اتصالاته بأهل بالمكتبة اجابة واسئلة في العالم الاسلامي وغيره ، قضيه من وقت في تخريج تأليفه العديدة ، كل ذلك جعله بعيدا عن مجتمع أمته ، التي عاش بينها ، معها أحداثها ، ووقائعها خيرا او شرا ، ولا كان في بيته - غالب الايام - لتحقيق غايات مآربه

العلمية - صادا له عن الاستطلاع والبحث عما يمس حقوقها من هضم واجحاف ، المؤدي للضرر في معاشها ، والداعي لفقد الآمال ، وضياح الثقة من الناس ، والرامي لخلق حياة التدمير والفوضى في اوساطها المدقعة ، نعم فلقد كان يدرك اتم الادراك كعالم مسلم ما تفرضه عليه واجباته الدينية من القيام المتعين على أمثاله للدفاع عن هذه الحقوق والذود عن حوزتها عما قد يصيبها من الوهن ، فما طرق سمعه قضية المكوس ، وهي ترتيب اداءات على جميع المبيعات الداخلية والخارجية من ابواب المدن والقرى ، حتى غضب وثار وتغيرت احواله ، ولم يستطع ان يخفي ما يعتلج صدره عنها من شجون ، وما فتى يدي رايه الصريح في ضررها وعواقبها الوخيمة على طبقات الشعب الفقيرة ، ويوالي الكلام في شأنها ويكرره مع الخاصة والعامة مدة سني وضعها حتى صار بعد لدى الناس كالمجدوب ! ، وقد قدم لاهل البلاد المولى الحسن كتابا كنصيحة يذكره فيها بالمضار التي تنجم بسببها ، ويرجوه اعادة النظر بعين العناية ومراعاة واجب الرعاية في اسقاط هذا الامر الجلل ، وأشار الى هذه النصيحة ابو عبد الله محمد دينية في تاريخه بما نصه : « وكتب للسلطان مولانا الحسن قدس مرقده ، وبلى بمنزلة الرحمة مع هذه ، نصيحة يحثه فيها على الاهتمام بأمور المسلمين والاسلام والنظر اليهم بعين الشفقة والرحمة الى الضعفاء والارامل والايام » ولم يعتمد على تقديم هذه النصيحة - في طلب ازالة هذا الكابوس الثقيل الجاثم على الابواب - فقط ، بل رأى وسيلة اخرى قد تكون اجدى تبليغا واضمن اثارا لهذا المطلب المشروع ، وهي اغتنامه للصدقة المكيمة التي كانت تربطه مع البيت البركاشي بيت الرياسة والكياسة . وعلى رأسه المندوب المفوض بطنجة للحكومة المغربية لدى الدول الاجنبية - حينذاك - محمد برকাশ وولده الحاج محمد الامين المحنك ، فقد اتخذهما كوساطة لما لهما من دالة ووجاهة ومحل ثقة ، وموضع مكانة لدى ولي الامر عاهل البلاد ، لتبلغه استنكار الامة لقضية المكوس والمصار الناجمة عنها التي تلحق بالضعفاء اكثر من غيرهم . ولعل هذه الرسوم التي فرض اداؤها على الابواب في تلك الظروف أوجبها تخليص من دين نتج عن ضرب النقود الفضية الحسنية الواقع الاتفاق عليها بباريس عام 1298 هـ - 1881 م ، وندع المترجم يروي لنا بقلمه طرفا من عمله الجليل عن هذه القضية ، ومتابعته في رفعها ما يزيد على الست سنوات ، مما وجد مكتوب بخطه على ظهر نسخة من شرح محمد ابن قاسم جسوس على الرسالة للقشيري نقله ابو جندار في تاريخه طبق تعبيره فقال : « وفي ليلة 27

الفهري لما يليق بحالك من معرفة الاهم فالاهم » ولا ريب ان هذه النصيحة اللاذعة الوقع المرة السمع الكبير الدلالة مع قلة اللفظ ، التي تلقاها هذا التلميذ الذابه الالامع الذكاء ، الحاد الشعور من استاذ المهيب الوقور ، كان لها اثر عميق في نفسه الشاعرة ، المتسمة بدقة : لحساسية ورقة الوجدان ، وطبعاً لم يستطع الزمان ان يمحو مفعولها من ذاكرته الواعية ، ولا ان يقضي على رواسبها الكامنة في عقله الباطن ، ولا ان يزيل ما علق بقلبه النابض الدافق بالحياة من تأثيرها البعيد في تكوين شخصيته ، وتركيزها لامل مكانة وارفع مستوى ، تكلم الشخصية التي صارت تعد - بعد ذلك - من رجال الرباط وافذاذه المتفوقين علماً وأدباً في عهد ماضينا القريب ، وكان المترجم لا يقتصر - لارشاد تلاميذه ونصحهم وانارة الطريق امامهم لتوضيح ما يفيدهم في مستقبل حياتهم العلمية - على مثل هذه المناسبات فحسب، بل لقد كان يختص بالعناية والرعاية الكاملة من توسم فيه النبوغ والافتقار وسمو الملكة منهم ، فيعقد معهم مجالس خارج حلقات الدروس للمناقشة والذاكرة كي يزودهم بطرائف من النقول تكتنز عديداً من الآراء والنظرات تعلو عن مستويات تلك الحلقات ، رغبة منه في توطيد تمكثهم على أسس متينة قوية ، ورسوخهم للتخريج على أكمل وجه ، وبفضل هذا تكونت نخبة من امثال العلماء الكبار - كما سبق - احيث مع لم العلم بمدينة الرباط ، وازدهرت بها ميادينه ، وارتكزت دعائمه التي كادت ان تسقط ويندرس بقاياها ، ويندثر اثرها بهذه المدينة ، وكنت لا تجد بعدها من يحكي لك عن مآثر امجادها خبراً ، ولا من يحدثك عن اعمال اعلامها الفطاحل الذي هو بقيتهم المباركة ، لولا جهوده العظيمة التي صرفها باستمرار بلا هوادة ولا فتور ، في انهاض شأن التعليم ، وشدة اهتمامه بتعليمه اقدار طالبه ، ونمو مداركهم ، وتهيئتهم للانخراط في عالم العرفان ، ما يزيد على ربع قرن من الزمان ، وصدق - وايم الحق - ما قاله ابو عبد الله محمد بن علي دينية مفيد الكبر ، معبراً عن مدى قيمة هذا الدور الهام الذي كان يقوم به ، هذا المعلم المرشد والمربي الكبير في تاريخه « ولولاه لم يبق للعلم بالرباط اثر ، ولقيل : الله اكبر ، خربت خير ! » .

اجل فلقد خرج المترجم الى ميدان التعليم مبكراً تحذوه نفس ابية تمليء نشاطاً وحيوية امتلكتها جر ادبية نادرة للجهر بكلمة الحق والصدع بها امام الملا غير ملتفت للمغاب والعواقب . متحلياً بالجد الصار والدؤوب على العمل في افادة الفير وتوجيههم التوج الحسن واعلانهم لانتاج صوب الحياة الكريمة ، حيا

تلاميذه ، ويراقبهم في الاجتهاد ومواظبة الحضور حتى الوصول الى مرحلتهم النهائية ، كان كذلك مربياً يقظاً ، وموجهاً حازماً ، ومرشداً لهم - دوماً - قصد نجاحهم ، وناصحاً خبيراً ينبههم على عدم الخوض والجولان في ميادين المعرفة العميقة ذات الاتجاهات الفلسفية ، والمسائل المعقدة التي ترمي للتأويل ، وتدعو للتأمل الزائد وتوقف النظر ، قبل اتقان معدات المرحلة الاولى للتعليم واستكمال فهم قواعدها الضرورية . وبامرهم لرسوخ تمكثهم وتمتين تكوينهم على نهج صحيح - غير مبني على أسس واهية من الحذقة وسفسطة القول ، وتصيد اللقطات المتنافرة من الكتب ، وتزويد الفكر بالتفت من هنا وهناك ، لارتبطها بروابط بحث مدرّوس او هدف مأمول او تصميم علمي متنوع محدود المراسيم بعدم الاشتغال ببحوث لن يطبقها مستواهم ومعلومات لن تهضمها مداركهم ، والترامي على مطامع لمثل هذه المسائل العويصة الداعية للاستفسار والحيرة ، قبل نضج ملكتهم العلمية ، وأوجب عليهم تقديم الاهم فالاهم تجنباً لضرر صدمة النغور من المعرفة ، والبعد من التعلق بأهدافها ، مما يؤدي لتطبيقاتها الطلاق البات ، والرجوع الى الامية من جديد مع السخط المرير عن كل مكتوب ينم اليها بأدنى صلة تجذب اليها او يعرف على مضامينها ، واليك نموذجاً موجزاً من توجيهاته التربوية لقننه لاحد تلاميذه النجباء ابي العباس احمد بن قاسم جسوس (1331 هـ - 1914 م) لما ساله عن كلمة غامضة المعنى ، اشتهر عزوها للامام الغزالي وحرار في تفسير ميناها اكبر علماء الاسلام وغيرهم ، وتعددت ردود كثيرة حول ما يرمي اليه نصها من مفاهيم عن كنه هذا الكون العظيم اللانهائي ، وعن قدرة مبدعه الكامل الذات المنزه عن التجسيم ، الذي لا يحده زمان ولا مكان ، وتكاثرت الآراء المتعارضة عن المقصد الجلي من محتواها العميق وهي « ليس في الامكان ابداع مما كان ١٤٠٠ » فاجابه بجواب نقله برمته ابو جندار في تاريخه لخص فيه اجوبة السيوطي وبعض الاصوليين وما استفاده في الموضوع من شرح « المرشد العين » للشيخ الطيب بن كيران ، ثم اعطاه في الاخير خلاصة عن رايه ، وقال في الخاتمة موجهاً الكلام لسائله - الذي لا زال في الطور الاول من الدراسة ، وما فتىء ذهنه فتياً عن تحمل مثل هذه الدسامة الفكرية - بقولة قصيرة التعابير ، ولكن عريضة المدى في التنبيه والارشاد ، محذراً اياه من ان يتغالي في الطموح لمعالي العرفان ، وان يعود للبحث عن مثل هذه المسائل والتعلق بها قبل الاوان ، فقال : « اياك ان تعود للتعلق والبحث عن مثل هذا ، وانت لا زلت في حال البداية فانه يضرك ، بل يجب عليك ان ترجع

على المشايخ بها - كما كانت رحلتاه السابقتين - ، بل لدراسة مجتمعاتها وتفهم التطورات الحديثة التي طرأت عليها بالاحتكاك مع الاجنبي المباشر ، وتأثير ذلك على الاوضاع والمقومات ، والاجتماع مع الدعاة المصلحين وكبار علماء المسلمين ، قصد الاطلاع والافادة عن عوامل النهضة الاسلامية التي كانت تختمر هناك ، وتبادل الاراء معهم على اساس روابط الاخوة الدافعة لاعادة وحدة العالم الاسلامي وتوثيقها بالتعارف والتساوي بين الجميع ، وخلق التفاهم ليجاد وسائل البحث عن العلاج الناجع لانقاذ الموقف مع المسؤولين على زمام الامر . والقابضين على دفة الحكم ، وكانت - حقا هذه النصائح - التي وصفها ابو عبد الله دينية بأنها «اسلامية عجيبة» تجعل لمتتبع سيرته ودارس لون اخلاقه - وما عهد في اطوار حياته لدى الاستقرار والاستنتاج - من انصافه بالجد والرجولة الكاملة المترفعة عن سفساف القول ، والتبث باستمرار على العمل النافع والسعي الدائم لخير مصالح العباد ، والاهتمام بحقوق المسلمين بكامل الاخلاص اينما كانوا من وقوع غلبة الظن على ترجيح مبنائها من هذا القبيل . وعلى اساس معناها قد تكون اثبتت وجهة رحلته تطلعا لمدى مبلغ أثرها عن كذب في نفس هذا الخليفة الذي تشرئب اليه الاعناق في اغلبية الاقطار الاسلامية ، وكان - لا محالة - استهداف مقصده الرئيسي للعزم على زيارة هذه البلاد هو ملاقات اولياء امرها المسؤولين لتحقيق مسعاه الحميد ، لا رغبة في الترفيه على النفس ، ولا طلبا للتكريم واغداق النعم . ولا جولة اراد بها التملع الديوية ، وكيفما كان الحال فمن البديهي أن هذه النصائح كانت لفاية مشروعة كفعله ضد « المكوس » . ومن الممكن ان يكون رافقه في هذه الرحلة تلميذه نابغة الرباط وأديبها الكبير ابو حامد المكي البطاوري (1355 - 1936) حيث ذكر مترجموه أنه قصد بلاد الحجاز والشرق العربي في نفس هذه السنة ، كما كان قد رافقه - سابقا - في رحلته الثانية تلميذه الانجب المحقق المشارك ابو العباس احمد البناني (1340 - 1922) على ما ذكره ابو جندار . ترجمته ، ولقد كان اقتبال رجالات عاصمة الخلافة سمانية « الاستانة العظمى » للمترجم ، وعلى رأسهم خليفة عبد الحميد اقتبالا حارا اعقبته حفاوة كبيرة . على تقدير زائد لا اعتبار خاص . والى قارئني بجزارتسامات مقتضبة طريفة بقلمه مما قام به نحوه فتها ووزراؤه من الاكرام والاعتناء الكامل ، نظرا لالة العلمية التي كان يحتلها في الاوساط على اختلاف ارب والمذاهب ، ولشخصيته العظيمة الجذابة طنها ، الثابتة في مبادئها ، التي كان لا يرهبها جلال

المواقف ، ولا تدهشها روعة المظاهر ، ولا تغريها الابهة الزائفة ، ولا يلهيها بريق زينة الحياة الدنيا . . فعال : « وقد أنزلي السلطان عبد الحميد بقصر قرب قصره ، فما رأيت اعجب منه خصوصا في تزويق الحيطان بالذهب وفرش الحرير حتى طلبت الخروج منه لغيره . . . : فانزلي في اعجب منه بما لا يكيف تملاه الروائح الطيبة من العنبر والعود وروح العطر ، والفرش الحسان . وزرابي الاتراك في بساطه العجيب » . وزاد فقال : « وكان يرسل لي السلطان عبد الحميد مدة نزولي عنده في كل يوم مائتين كبيرتين ، كل مائدة مشتملة على ضروب من الاطعمة والحلاوي من طعامه الذي كان ياكل منه ، واحدة بكرة ، وأخرى بعد العصر . . وكان يرسل الي مره بعد مره بعض وزرائه الكبار من خاصة خاصته واهل سره الذين لا يذهبون لاحد ابدا . . . ؟ ! ويرسل بعض الملازمين له يجلسون معي ويقولون ان السلطان مسرور بقدمك اليه ، حتى قال لي بعض خواصه ان السلطان لا يقدر ان يرسلك . . . فصرت اتخوف حصره لي . واكثر عليه بالمراسلات ليسرحني وانا اتلوا في كل مرة قوله تعالى : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » تارة بلساني وتارة بقلبي عسى ان اخرج من الوعيد . . ! نعم لم نفر المترجم هذه الفمرات التكريمية - التي كانت تعمه بكرمها الحاتمي ، وتحبوه بحفاوتها البالغة ، ولا ادهشته روعة المقام ولا فخامته ذات الاشعة البراقة ، ولا انساه المحيط السائح في عديد من اللوان الترف الزاخر - بكل ما يدعو الى تحدير العقول وتنويمها عن المعقول . وترمي بمغرياتها المتنوعة الى ارتخاء النفوس واخماد مشاعرها الطيبة واترة النزعت لايقاظها من مكانتها - المحفوفة به من كل جانب من ذوي السلطة العثمانية ، ووليها الاكبر ، والتي كانت تعلو موجاتها العرمة الدالة على منتهى التقدير والاحترام وسط هذه المعالم التي عاش بينها في هذه العدة - من ان تحول بينه وبين الادلاء برأيه الصريح عن مضمون نصائحه ، ومراميها العالية في اصلاح المسلمين بالرجوع الى الهدى المستقيم ، وتبليغها مباشرة لعبد الحميد صاحب النفوذ الديني لدى الشرق العربي - آنذاك - واغلبية العالم الاسلامي وتقديمها له كواجب حتمي منوط به بصفته عالما مسلما غير عابئ بعناء الاسفار ولا مكابدة ركوب البحار ولا مشاق توالي الانتقال في الطور الاخير من سني حياته ، كما لم يفعله - ابدا - ولم يكن شاغلا له كثرة توارد وزراء الدولة عليه مرة بعد مرة في هذه الفترة القصيرة ، التي كان فيها ضيفا لدى الخليفة العثماني وحكومته زيادة على اجتماعاته مع الكبراء خاصة الخاصة - كما قال - الملازمين للخليفة - عن مهامه

رمضان عام 1302 طلب مني السلطان مولاي الحسن نصره الله واصلحه ، أن أحضر معهم بمسجده بالرباط على العادة عنده في تلك الليلة بواسطة قاضي الرباط - حينه - السيد احمد ملين ، فامتنعت واعتذرت له بأنني غير « صحيح » ونويت بأنني غير صحيح بما يفعلونه من المظالم كالمكوس . ثم بعد ذلك - اردت مصالحتهم ، فارسلت له مائنتين من « المخرقة » والحلاوي التي تصنع بالرباط على يد ولدنا السيد الحاج محمد بركاش اصلحه الله ، فقال لابد ان استاذنه في ذلك ، فأذن له ، وطلب مني ان اكتب بخط يدي بطاقة ارسلها مع المائنتين ففعلت ، ثم كتبت بطاقة اخاطب بها حاجبه السيد احمد بن موسى فقلت : وبعد : تصلك مائدتان من الحلواء لسادتنا الشرفاء اولاد سيدنا نصره الله ، فلما وصلت المائدتان فرح بهما السلطان . وصادفه الحال يريد الركوب للعيد مع القبائل بعد العصر ، فادخلهما داره قبل ذهابه ، وقد كان السيد احمد المذكور - قبل ذلك - طلب الاذن في زيارتنا فأذن له - عقب ارسال المائنتين - مع الحاج محمد بركاش ، ونزل قرب دارنا مع الحاج محمد المذكور . ووقف بباب البيت حتى استاذن عليه الحاج محمد فدخل ، وقبل يدي وترامي علي ، وهو خافض الراس ، ففرحت به ، واكرمته ، ثم جلس نحو نصف ساعة وهو ساكت ، وانا احادثه بكلام ليس طيب ، فلما اراد الانصراف ، قلت له زيارتكم عنده ان ترغبوا سيدنا نصره الله ، حتى يعطف الله قلبه لزوال المكس ، فأجاب عنه سريعا ، بأنه عازم على ازالته ، فقلت : بشرك الله بخير ، ثم خرج » وزاد فقال : وقد كنت قبل هذا التاريخ بنحو ست سنين لما زارنا بدارنا السيد محمد بركاش ، اغلظت له القول في المكس وقلت له المكس حرام نحو مرتين او ثلاث بحال عظيم ! حتى هم بالخروج من حينه ، ثم اعقبته بكلام لين حين تذكرت قوله تعالى : « فقولوا له قولنا لعله يتذكر او يخشى » وذلك بمحضر ولده الحاج محمد ، فأثر ذلك فيهما ، ثم بعد نحو سنة اراد ولده المذكور السفر من الرباط لفاس عند السلطان ، فأكدت عليه مرارا في ان يكلم السلطان في ازالة المكوس ان تلاقى معه ، ولا يقصر في ذلك فامتثل ، وقال له : الى متى تسود صحيفتك بأخذ المكوس ، وتعطيتها للناس ياكلونها ، ففضض السلطان لما سمع منه هذا الكلام ، وقام عجلا ، فقال الحاج محمد - حينذاك - قمت وقبلته واعتذرت اليه ، فعند ذلك سكن غضبه ، ووعدنا بازالة المكوس - ان قضى دين الفرنسيين الذي ترتب له من السكة » وفعلا في هذه السنة وفي بوعده المولى الحسن ، وهي سنة (1303 - 1885) وأمر برفع ما كان مرتبا على ابواب

المدن والقرى - من عطاء تدفعه العامة على انواع السلع وارسل مكتوبا لجميع عمال البلاد يامرهم بتنفيذ هذا الامر بقوله : « وبعد : فقد شرح الله صدرنا لرفع العطاء في سائر الابواب بالمدن والقرى عن كل ما يمر به عليها داخلا وخارجا . واصدرنا امرنا الشريف لامين المستفادات بانهاض المشتريين للابواب الجالسين للعبس بها . والمتصرفين في شؤونها لحال سبيلهم ، واعمال الحساب مع مشتريها المذكورين على ما تصرفوا فيه الى يوم الانهض ، وتوجيه القائمة بذلك لحضرتنا العالية بالله ، وغير الابواب من الاماكن المعطى فيها وعليها بقى على حالها حتى ننظر في امرها بحول الله ، واعلمناك لتكون على بال ، والسلام ، في ثاني ربيع الاول عام ثلاثة وثلاثمائة والف . » وقد نص على ورود هذا الامر المولوي في تسريح الابواب من المكس صاحب « الاستقصاء » في الجزء التاسع في « الخبر عن دولة المولى الحسن » . هذا ويظهر للمتأمل الباحث في فترة حياة المترجم الاخيرة بعد قضية المكوس وانفراج ازمته ، انها كانت مرحلة تكاد تبين اهتماماتها فيما كانت عليه احواله من قبل ، فقد تأقت نفسه الكبيرة الطموحة التعرف ببلاد الشرق العربي من جديد . على ضوء ما يروج فيه من حركات اصلاحية يسعى بها دعائها للتقدم والرفق كي تواكب أممه ركب الدول الغربية المتقدمة الذي اشتد تكالبها . وقوى جانب شرها للترامي على الامم المتأخرة ، وازداد تطلعه ايضا لزيارة تركيا مركز الخلافة العثمانية للقي مع الخليفة عبد الحميد ، ويطاقت ذات النفوذ الديني في العالم الاسلامي - آنذاك - وتقديم نصائح له ولاستكثه نيات رجالاته المقربين وقادته السياسيين ، ولم يساعد البحث - الان - على العثور على نسخة من هذه النصائح ، او ما يدعو لتوضيح محتوياتها ، ونص محمد بن علي دينية على انها « نصائح اسلامية عجيبة ! » وليس من البعيد - على ما استفدناه من وقفته المشرفة في قضية المكوس ، وما انطبع عليه امره - دوما - من نصرة الحق ، والعمل لاعلاء كلمة الله والوقوف بالمرصاد امام من يريد هتك حرمانها - ان تكون مرامي هذه النصائح تتعلق بما وقع من تدهور وانحطاط في الامم الاسلامية جمعاء بسبب مخالفتها أوامر الشريعة السمحة ، وتهاونها بما اقرت به تعاليم الاسلام الحق ، والاستكانة للذل والخنوع والاستسلام للاستعباد ، الذي جعلها فريسة سهلة تنتهش خيراتها بشره الامم الغربية المستعمرة ، وتبتز اطرافها شيئا فشيئا في استغلال فظيع ، واستقر رأيه على ان تكون هذه الرحلة الميمونة الثالثة رحلته لبلاد الشرق ، وفي ضمنها بلاد تركيا - اوائل عام 1304 - 1886 ، لا لاخت العلم والتعلم

والإرشاد - الذي كان لها أثر بعيد ملموس لا يمكن نكرانه في أحياء العلم وازدهاره بمدينة الرباط - ذكر اجتماعه التاريخي الهام الذي اجتمع فيه مع المصلح أفند الشهير الشيخ محمد عبده في مدينة بيروت - أثناء هذه الرحلة - وما لوحظ عليه في طريقة تدريسه على نمط علماء جامعتي الأزهر والقرويين آنذاك . . ؟ أنقل مضمون ذلك من مقدمة أمير البيان شكيب أرسلان على كتاب « البينات » لمؤلفه الأستاذ عبد القادر المغربي فقال : « من نحو خمس وثلاثين سنة قدم لاداء فريضة الحج أحد كبار علماء المغرب الأقصى بالشيخ (ابراهيم التادلي) فذكرت بعض الجرائد البيروتية يومئذ انه من أفذاذ الأفق المغربي ، لا بل ممن يندر نظيره بين المشرق والمغرب ، وبعد أن قفل من الحجاز زار المسجد الأقصى وقرا فيه درسا ثم قدم الى بيروت ، وكان أستاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده لا يزال فيها على اثر نفيه بسبب الحادثة العربية ، فلما بلغه ورود هذا العالم ذهب للسلام عليه ، وكنت معه في هذه الزيارة ، واتذكر انه كان معنا صديقي المبرور الأستاذ الشرتوني صاحب « أقرب الموارد » فدار بين الشيخين احاديث طويلة لم أفهم منها شيئا لحدثة سني ، وقلة الفتى يومئذ لللهجة المغربية ، ولكن استاذنا الامام أخبرنا بعد الانصراف بأن هذا الرجل عالم من كبار العلماء على نمط علماء الأزهر فكان الأزهر وجامع القرويين شيء واحد ، وانما اعجبه منه كلمة لا ازال أتذكرها ، وذلك ان الشيخ سأل (التادلي) من جملة ما سأله عن حالة العلم في المغرب هل يوجد اليوم هناك من اشتهر بالتأليف ؟ فأجابه التادلي : ليس العلم بكثرة التأليف ، وانما بالمدارسة والمتأنة ، ومع هذا فيوجد مؤلفون في الايام الاخيرة ، فأعجب قوله الشيخ محمد عبده ، وهو ان حياة العلم انما هي بالمدارسة ، ثم قيل ان الشيخ التادلي يريد ان يلقي درسا بعد صلاة الجمعة في الجامع العمري الكبير ، فاشربت الأعناق ، وفكر الأستاذ الامام انه لما كان (التادلي) من اكابر علماء المغرب مارا بالمشرق ، فلابد ان يتكلم في موضوع من مواضيع الاجتماع كاتحاد الأمة او وجوب العمل بعزائم الشريعة او ما اشبه ذلك كان موضوع درس (التادلي) الذي قضى فيه اكثر من ساعتين هو البسطة وما فيها من العلوم والفنون ، يرجع ذلك كله الى الباء وانحصار العلم في الباء مما فه كل من نال شهادة العالمية من الأزهر . . . ! »

بلى ليس في هذه الملاحظة التي ابداهها الأستاذ أم عبده المصلح الشهير حول المعاهد الاسلامية رى وما آلت اليه مناهج تعليمها في العصور الاخيرة عقم وسلبية ومدى اثرها المؤسف في مخرجها ولا

في تعاليق داعية الاسلام الامير المكافح من تأكيده لذلك ما يبعد عن الاقتناع بالنظرة الخاصة الباعثة على إبراز محاسن هذه الشخصية المفهورة ، واطهار محامدها المجهولة ، والبحث على قدر ما تسمح به المراجع التي في متناول يدي - عن الجوانب الايجابية فيها ، تلكسم الشخصية ذات العبقرية اللامعة ، والذكاء الوقاد ، والفكر المتسع الذي ضاق بنطاقه المحلي ، والتحليصة بأوجه النشاط العديدة وسط بيئتها العلمية ، او في مضمون كلامهما ما يدعوا الى التنقيص والخط من قيمته كعالم مفكر واع متوفر الاداة ، قد تميز عن اقرانه ، وتفوق عليهم في كثير من الميادين التي كانوا يخوضونها ، وجلى عنهم فيها بكفاية واقتدار ، ولكن لم تساعد الظروف كي يسابق زمنه ، ولم يكن هناك في وسطه ما يشجعه عن الانسلاخ من مميزات العتيقة ، والخروج عن جوائها - المقحم فيها - التي يصاحبها ويماسيها ، كما ساعدت بعض المصلحين في العالم الاسلامي ، وتهيأت لهم الاسباب الدافعة لتحويل نظراتهم عن السوء الى الامام ، وفاجأتهم الصدف الطيبة - على غرة - للالتقاء مع من يرشدهم ويوجههم التوجيه اللائق لخدمة الصالح العام ، وفق ما يقتضيه تطور الزمان في مسابرة احدثائه ، ويقودهم بحكمة وتجربة سابقة - لاستخدام الوسائل المعينة على انطلاق مواهبهم المكتوبة وتجربتها من رواسب بيئية للاسراع بها نحو اهداف سامية ، تتفق مع مفاهيم العصر الحديث فهو - حقا - دون ريب ولا معرة « عالم من كبار العلماء على نمط علماء الأزهر وجامع القرويين » كما قال الامام عبده ، وهل نريد منه ان يكون اكمل من الكبراء على هذا النمط ؟ ! وقد عاش في هذا المحيط الزاخر بالانتقال والفهم المتعارضة الراكدة المثقلة بردود عليها طابع مدرسة عهده ، قد تشرب معلومتها الكثيرة واخترنتها ذهنيته اللاقطه القويبة دهره كله ، كما انه ليست هناك أي مبالغة في حق مكانته الكبرى من بين معاصريه على ما ذكرته بعض الجرائد البيروتية - يومئذ - « انه من أفذاذ الأفق المغربي بل ممن يندر نظيره . . . » - طبعاً - يعني في اتساع المدارك ، وسعة الاطلاع ، وقوة الملكة ، فلقد كان ذاكرة فريدة واعية مقتدرة على الاكتناز نفاذة ، وذا استعداد كامل متفتح للاندماج في مدارج الاصلاح والتجديد ، والتطلع - بنهم وتفوق - الى ميادين العرفان على اختلاف مشارب اصحابها - دون تزمت او تعصب او جمود - او اعتبار ميول خاصة ، مما قد يكتسبه المرء من مجتمعه ، ويلبسه - دوماً - لتأثيرات بيئته ، لا يستطيع الفكك منه ، الا بعامل خارجي اقوى فعالية واشد تغلبا واغرى جاذبية ، ومن تتبع سيرة حياة

والعلمية وما تقتضيه تنمية معلومات طلبته الكثر ، وغيرهم بالمغرب ، والنظر فيما يصلح لهم من كتب دراسية مقروءة في تلك البلاد ، والعمل على تقريبها لآذانهم بما اعتادوا على فهمه لفائدة التحصيل والتخريج ، واليك صورة من كلامه تعبر عن جزء قليل من هذا الاهتمام بشؤون هؤلاء الطلبة ، والالتفات الى ما يفيد في مستقبلهم مما ذكره في خاتمة كتابه « الوافية بشرح الكافية » لابن الحاجب فقال : « ابتدأنا هذا الشرح على الكافية بالقسطنطينية العظمى المعروفة باصطنبول في اواسط ربيع الاول عام اربعة وثلاثمائة والف لما رايت اعتكاف اهلها وغيرهم كبفداد على قراءتها لحسن جمعها وترتيبها لضبط القواعد النحوية ، ولما رغبت في قراءة المغاربة لها ومطالعتها ، وخفت صعوبتها عليهم لعدم الفهم شرحها بالخلاصة المألوفة عندهم ، واشتغلت بشرحها كذلك حتى في ركوب البحر ... ! حين رجعت من المدينة المذكورة الى الرباط » وزاد فقال : « ثم رايت ان اردف هذا الشرح بمختصر جامع الخص فيه ما في كتب العوامل التي تقرأها صغار الطلبة ببفداد واصطنبول وغيرها ، وهي كالفلذكة الجامعة لعلم النحو اجمالا لا تفنيهم عن التحصيل » وكأنه يشير بعمله هذا من طريق اخرى الى نظرية من يقول بتوحيد برامج التعليم ، وفق منهاج عام يكتب مقروءة في العالم الاسلامي لا اقتصارا على ما نسميه بالعالم العربي فحسب كما يرى عدد من ارباب التعليم المختصين والعاملين لاجل هذا التوحيد ، ويتضح - بدهة - بأن هذه النظرية - المشار اليها - قد تكون ادعى للفائدة والتحصيل ، ووفق لتعميم التطبيق المشروع ، واكمل للمقصود في التبليغ ، واجدى في التأثير لنشر اللغة العربية بين الامم المسلمة كما وقع في سالف العهود وادى النتائج المطلوبة في تعريب كثير من الاقطار ، وما دام القرآن قد نزل بلسان عربي مبين ، يتلوه جميع المسلمين على اختلاف الاجناس وتباين لغاتهم ، ومنهم افواج كثيرة تحفظه عن ظهر قلب ، والقصد والغاية المثلى من هذه التلاوة والحفظ هو تاويل آياته ، وفهم معانيها حق الفهم من غير تحريف او تدبر موجه معتمد على ترجمة قد تكون بعيدة عن مفزى كلمه السامي ، وان هذا الفهم لا يتأتى ادراكه ، ولا يمكن الحصول عليه الا باتقان القواعد الضرورية من نحو ولفة ، وحفظ منتخبات من كلام العرب ، شعر ونثر طبق متون مقررة في برامج التعليم متفق عليها واخذت الموافقة من الجميع .

ومظاهر التكريم الذي لقيه في هذه البلدان من بعض شخصياتها وولاتها معبرا - بارتسامات طريفة خاطفة - عن فخامة مآدبهم وولائمهم المسعمة بالاسراف والتفاخر والتكاثر - حينذاك - فقال : « وقد استدعاني بعض اشياخنا بمكة المشرفة لوليمة عرس بعض اولاده فدخلت سرايا طويلة جدا مربعة ، وقد حفت من جميع جهاتها الاربع بطباسيل من النحاس لم تقدر على عددها لكثرتها ، وقد تقرب من نحو مائتين طبسيلا ليس في بعضها ما يشبه الاخر من ملاذ الاطعمة والحلاوي فجلسنا وسط البيت ، كل فرقة استقلت طائفة من الطباسيل ثم قمنا ، وكنت ظننت ان ذلك من ترتيب وضع موائد الهند ، اذ صاحب الوليمة هندي ، وغالب من حضر معنا من اهل الهند ، ويقرب من هذا جل اطعمة الحرمين الشريفين خصوصا ، اذا حل بينهم ضيف يضعون بين يديه مائدة كبيرة جدا من نحاس ونحوه حاوية نحو عشرين لونا من الطعام ، وهم في ذلك في زيادة الى الان ، واما اغنياؤهم فغالب ماكلهم كذلك ، وقد استدعاني بعض ولاة الاسكندرية عند الفروب برمضان وقد أحضر بعض العلماء فصار يحضر في ذلك الوقت نحو ثلاثين نوعا من الاطعمة ليس واحدا يشبه الاخر ، ولكن واحد بعد واحد ، وكذلك استدعاني بعض امراء مصر ففعل كذلك ولكن احضرها جملة في مائدة واحدة » ، ومما لاحظته - كما ترى - في هذه الرحلة ان الشرقيين يهتمون بكثرة المآكل وتنوعاتها في المآدب والولائم ، ولا يعتنون بذلك في الملابس والفرش كاعتناء المغاربة فقال : « ان اهل المغرب امتازوا خصوصا اهل فاس والرباط منهم بكثرة الملابس والفرش التي لا توجد لاهل المشرق ولا للنصارى وامرهم في ازدياد الى ان يتدارك الله الفقراء بالطفاه الخفية ... ! » .

ويلوح من هذه الفقرة الاخيرة ما يشعر بالمترجم نحو هذه الطبقة الفقيرة - التي لم يجد لاغائها وانتاؤها حولا ولا قوة - تلك الطبقة التي كانت تزدد تعاسة وفقرا بازدياد هذا التضخم في الترف والتنافس في انواع الملابس والتغالي في تكثير الفرش بحالة غير متفقة مع المستوى المعيشي لهذه الامة ، ولقد قادته - لهذه الالتفات الطيبة نحو جانب الفقراء - نزعة مؤمنة واعية تشير باستنكارها الضمني الى الرجاء في اصلاح هذه الحالة المزرية في تداركها بالكف عن الزيادة قبل الوقوع في الخصاصة المستدلة .

واخيرا يجب علي ان لا اهل في ترجمة حياة هذه الشخصية العظيمة المغمورة ذات الفعالية الكبير المندفعة بكثير من اهتماماتها الى مسلكي التوجيه

عملت - جهد المستطاع - فيما يمكن من عمل لا يقاظ
ضميره - لاداء هذا الواجب ، يدعو لتكريس أوقاته
الثينة في تجلية أعمالهم الجليلة المغمورة في بطون
الكتب ، التي يعلوها الفبار وتأكلها الأرضة - بما قدمت
من أمثلة بعض الصور ، قد توضح له عن معالم نيرة
لهذه الشخصية العظيمة ، التي كن لها الدور الكبير ،
والحظ الوفير في نهاض الحياة العلمية بمدينة الرباط
في عهد ماضينا القريب ، وفي إيجاد نخبة من العلماء
اعادوا مجده العلمي التليد ، وأحيوا ما كاد أن يندثر
من بقاياه لولا فضل جهوده واعتكافه الدائب على طلب
العلم وتدريسه ، حتى قضى نحبه في معتكفه بين الكتب
والمحابر ، موصيا دفنه به ، ووقف سائر كتبه على نفع
الطلبة ، محبة في موطن العلم وتقديرا لمكانة أهله
- وذهب - على قدم صدق مستحثا السير ، وهو في
عقود لا تتجاوز حدود السبعين ، ملبيا نداء العودة الى
المأمن المحتوم - رحمه الله - بعد ما استوفى عهده
وادی واجبه ، وأحسن في حمل الامانة ، وأرضى ربه ،
واراح ضميره واستراح على ما خلف وراءه من نخبة

طلبتة المفتية اثره ، وترك في انفس عارفيه والملازمين له
والباحثين عن سيرة حياته تساؤلا محيرا واستفهاما
يدعو للجواب عن ملازمة بيته كحاله بعد الرجوع من
رحلته الاخيرة هذه متزودا بأراء وافكار مشبعة بكثير
من الاهتمامات تتعلق بميادين الاصلاح محتاجة لزيادة
من التفسير والبيان ، ومتوقفة - طبعا - على من يقوم
بوسائل الايضاح وكيفية التطبيق ، وكان هذه الحالة
- غير العادية - التي عاشها المترجم في اواخر عمره ،
تعني ما حكاها شاعر مل دنياه ويئس من اهلها ونفص
كفيه منها ، بما قال :

نفضت كفي من الدنيا وقلت لها
اليك عني فما في الناس اغتبس
من كسر بيتي لي روض ومن كتبي
جليس صدق على الاسرار مؤتمن
ادري به ما جرى في الدهر من خبر
فعنده الحق مسطور ومختزن
وما مصابي سوى موتي ويدفنني
قوم وما لهم علم بما دفنوا

الرباط : مصطفى الفربي

التعاش بالجهالة

قال الشعبي : تعاش الناس زمانا بالدين حتى ذهب الدين ، وتعاشوا بالمروءة
حتى ذهبت المروءة ، ثم تعاشوا بالحياء حتى ذهب الحياء ثم تعاشوا بالرغبة
والرهبة ، وسيتعاشون بالجهالة زمانا طويلا .

المرجع - زيادة على هذا - وتأمل ما جريات احوالها ، وما تكن طلائع احداثها ، وسبر غور جنوحه لدواعي المرح ، رغم الجدييات المحظية به والفريق في بؤرها وامعن النظر في مغازي عزوفه عن المطامح الزائفة وعداوته لحياة « الفراغ » وحبه للدؤوب على العمل ، وشعوره النبيل في الدفاع عن حقوق العباد - بما سقته من خلال اقواله وبما استفدته من مترجميه في هذا المقال ، سيرى معي ما يعزز هذه النظرية ، وسيطلع على ما يبرر تأييدي لها وتأكيد ارجحيتها ، وسيعلم ان المترجم كان رجلا غير عادي في مداركه الفكرية ، او في تصرفاته العطفية ، ولا مطلق شخص حاطب ليس له مرمى في اختياراته اثناء اشتغاله بالمهام العلمية المتباينة ، فهو من الامائل الافذاذ الذين لم تستطع ان تجرهم عوامل البيئة وتجذبهم لحظيرتها الخاملة وتحشرهم في جماعتها المتأثرة ، تحت ضغط ائقال نقول المتأخرين ، وتدمجهم في اوساطها المقتنعة بوجاهة هذه الاقوال ، والمعرّفة بقدسية نظراتها عن غيرها ، وسيدرك - لا محالة - نتيجة واضحة ، ان هذا الرجل العظيم كان قد بلغ درجة « الاجتهاد » وصار حجة في تحقيقاته وفي ما أخذه ، ووصل لمستوى مكن في المعرفة ، خول له اللحاق بمقام العلماء المجتهدين في العلوم الاسلامية ايام العهد المجيدة ، كما اقر بذلك رجالات عصره ، واثبته مؤرخو حياته وسيتحقق - ايضا - قارئ العزيز بتفهم هذه المعلومات عن المترجم ، من انه كان واقفا في مفترق الطريقتين : طريقة التقليد ، وطريقة التجديد . فبقدر ما كان يحفظ من نقول مختلفة لتقدميه مع اختلافات اوجهها بفيضان زائد ، وتختزن كل ذلك ذاكرته القوية ، كان يستوعب كثيرا ما يسمع او يطلع عليه من آراء جديدة تنسم بالطرافة والصلاحية ، ويعيها قصد ارواء رغبة كامنة تكاد ان تنشق محاولة الظهور ، ولهذا ترى الشيخ محمد عبده في جلسة قصيرة اعجب بأفكاره النيرة المتحررة والبعيدة من مراسيم حلقة دروسه ، التي تستلزمها طبيعة تكوينه على طريقة التقليد ، لما سأل عن اشتغال المفاربة بالتأليف فأجابه بجواب - دله على اتجاهاته الفكرية غير المرتبطة بقيود - وهو قوله له : « ليس العلم بكثرة التأليف ، وانما بالدراسة والمثاقفة » ... حقيقة ان مجالسة اهل العلم والراي واستدامة المذاكرة معهم ، وكثرة مناقشتهم هي التي تبين على خبيثة الانسان ، والاطلاع على دخلته ، فيما قد تحمل من افكار ناضجة ، تملن عن مقدرته العلمية واهتماماته الثقافية العامة ، لا بكثرة التأليف المقتصرة على جمع النقول ، واحتطاب آراء الغير ، وكان المترجم كثيرا ما يتمثل قصد تأنيب من يستغرقون اوقاتهم في التأليف دون ان

يتركوا مجالا فسيحا من الفراغ يعقدون فيه الندوات لتبادل الافكار ولائارة المناقشة والمذاكرة فيما يقرأون ، بقولة شهيرة طالما ردد محتواها المنتقدون وهي : « انقل من هنا الى هنا ، وقل هذا كتابنا ... ! » نعم فالندوات معرض للآراء على اختلاف اصنافها الجيد منها والردىء ، وحضورها ضروري لهذا المعنى ، ما دامت مداولاتها تنبني على احتكاك الافكار ، واختبار كفايات اصحابها بانزله معيار ، لمعرفة صحيحها من الزائف من غير اشعار ، وهي ادعى باعث للزيادة في التحصيل وأمثل جو للتمكين ، واكبر عون في ارتفاع مستوى المتخلف ، ومما يزيد ايضا على ان المترجم كان يميل للتفتح ويجنح لما ينير الفكر ، وتوق نفسه الحيرى الوثابة لما يفيدها عن طرق الاصلاح والتجديد والبحث عما يحيطها علما بوسائل تقضي على الخمول والجمود ، الداعيين للاستقلال والاستعداد ، هو اختياره - آنذاك - لتلخيص كتاب « اقوم المسالك في معرفة المالك » لخير الدين التونسي الوزير الشهير الذي حنكته التجارب والمفاجآت القاسية ، ودرسته المناورات السياسية ، فزادته عرفانا بنيات الدول الغربية ، وتولى أعلى المناصب ببلده وبالعاصمة العثمانية ، والمرء - كما يقال - يدل عليه اختياره ، واليك ما قاله في وصف هذا الكتاب الشيخ محمد فاضل ابن عاشور في محاضراته « الحركة الادبية والفكرية في تونس » يعتبر هذا الكتاب العظيم من انفس آثار القلم العربي في القرن الماضي في السياسة والاجتماع ، فقد اشتمل على مادة علمية هامة جدا ، استوفت وصف النواحي عامة لكل دولة من الدول الاوربية العشرين التي فصل عليها الكتاب ، وجعل الدولة العثمانية من بينها كانه يقصد بذلك التنبيه الى المقارنة والمقاسة ، وافتتحه بمقدمة قيمة في اسباب تأخر العالم الاسلامي ووسائل نهضته ، وان ذلك يكون بالاقتباس من المعارف والنظم ، التي تحققت بها النهضة الاوربية والاتحاد بين اهل العلم والسياسة في تحقيق ذلك ، وبيان ما كان لانتشار المعارف في اوربا وخاصة في فرنسا من اثر في سعادة الامة » .

وبعد فاني ارجو ان اكون قد وفقت - على قدر الامكان - في نظر قارئ العزيز - في عرض هذه المعلومات التي استقيتها له من منابع شحيحة واستفدتها لاجله من مراجع قليلة هزيلة ، كما آمل ان اكون قد اثرت في نفس هذا القارئ الكريم ، حمية البحث والاطلاع ، وبعثت فيه الفيرة اللازمة للتنقيب والدراسة عن اعلام مجهولة ، ذات المواهب والكفايات النادرة والمآثر الخالدة ، وهم كثيرون يضيئون كالماسات في تاريخنا المجيد ، واود ان اكون ايضا قد

ارادا نسيانه ؛ ولكن هاملت رفض ان يخلع ملابس الحداد ؛ ونصحه كي يسلك سلوكا اكثر مرحا ، فلم ينتصح ، ولم يترك لهما فرصة لمعرفة السبب الحقيقي لحزنه الذي هو - حسب رايهما - نتيجة لوقوعه في حب جديد .

وبعد ذلك طرق مسمع هاملت خبر عجيب ، ذلك انه خلال ثلاث ليال متواليات ، رأى العسس المكلف بحراسة القصر شبعا من الاشباح ، ورآه حتى هوراشيو Horatio . اصدق اصدقاء هاملت ، فأتى يخبر الامير بذلك .

ظهر الشبح في منتصف الليل ، وكان لابسا من فرع راسه الى اخمص قدميه - بذلة حرية تشبه تماما بذلة الملك المتوفى ؛ وكان وجه الشبح عظيم الشبه بوجهه ايضا ؛ وكان يبدو على الشبح منظر الحزن والأسى ؛ وعندما طلب الحرس منزلته لم ينس بيتة شفة . وكان ذات مرة على وشك ان يتكلم لولا ان صاح ديك الصباح فاخفى عن الانظار .

سأل هاملت جنود الحراسة الليلة واحدا واحدا ، ومن اجاباتهم تأكد ان قصة الشبح كانت حقيقة ؛ ولذا عزم على ان يعس هو في الليلة التالية ، وان يراقب الشبح بنفسه ؛ فان كان شبح ابيه حقيقة ، فمن المؤكد انه يريد ان ينبئه خيرا ما ؛ وبذلك يصير قادرا على توضيح بعض الشكوك ، وتبديد او توكيد المخاوف التي كانت تساور عقله وتنفيذا لذلك العزم ، وفي الليلة التالية تقابل هاملت وهوراشيو وأحد الحرس امام الحصن ، وباتوا في حراستهم الليلية يقظين صامتين لا تكاد تسمع لهم ركزا .

كان كل شيء في الخارج هادئا ، اما في الداخل فكان مرح الملك والملكة يتجلى في العادب الفاخرة ، وفي كؤوس الخمر التي تشرب حتى الثمالة . وكانت اصوات الطرب والانغماس في الملذات تصل الى اذان هؤلاء الحراس اليقظين .

وكان وقوف الحراس الثلاثة منصتين وكان على رؤوسهم الطير ؛ غير ان هوراشيو لمس - فجأة - كتف هاملت ، وهمس في اذنه قائلا :

— « انظر يا سيدي ، انظر ، انه آت » .

لقد اتى الشبح مرة اخرى ، وعلى شكل انسان يشبه الملك المتوفى . وعندما رأى الامير هذا المخلوق الذي يشبه والده ، صاح في عجب ودهشة :

كان الامير الدنمركي الصغير « هاملت » واحدا من اولئك الذين يمتازون بالمرح والحيوية والنشاط ؛ فقد كان يمارس جميع انواع الرياضة والصيد ، ويتحدث عنها كأحد أبطالها .

ولكن مصيبة كبيرة حلت به لتعكر عليه صفو حياته : فقد مات والده - وهو الملك الطيب الحكيم - فجأة ، وبكيفية غامضة تثير الشك والتساؤل . وقد تأثر الامير الشاب المحب لوالده تأثرا بالغا نتيجة لهذا المصاب الاليم .

حيكت للامير قصة مفادها : ان الملك العجوز قد مات - وهو نائم في بستانه وقت الظهيرة - نتيجة للذغة افعى نفثت فيه سمها الزعاف هكذا وبمجرد ما وري جثمانه التراب ، تزوج كلوديوس Claudius (اخو الملك المتوفى وعم هاملت) بالملكة والدة الامير هاملت ، فصار كلوديوس ، الملك المتوج الحاكم بأمره .

لم يكن هاملت يحب من والدته ان تتزوج بمثل هذه السرعة ، بل لم يكن يريد ان تتزوج بتاتا ؛ وكان كلما ازداد تفكيره في هذا الامر ، ازداد حزنا وغما ، حتى صار بانسا كئيبا ، وتخلّى عن جميع العابه وتسلياته ، وصار يبدو عليه تماما انه لم يعد يحب حياة اللهو والمرح .

لم يكن هاملت يحب عمه - وهو ذلكم المخلوق المنحط الذي لا يستحق الاعتبار - مثلما كان يحب والده العادل الشريف . . . وصار يفكر في امر والدته التي سمحت لنفسها ان تتزوج رجلا مثل هذا ، مكان الملك الهرم . كان يحب والدته - كما هو واجب كل ابن بار - ولكن سلوكها هذا لم يعجبه البتة .

ثم خطرت لهاملت فكرة ، بل عرضت له شبهة تتلخص في ان كلوديوس تأمر على والده ، واغتاله لتستولى على العرش ، ويفتصب تاج الملك ؛ وان ادته كانت تعرف المؤامرة ووافقت عليها . ان هذه فكرة او الشبهة دفعت هاملت الى الاستفراق في تفكير ، وجعلته قاب قوسين او ادنى من الجنون .

لاحظ الملك الجديد (كلوديوس) ، كما لاحظت ان الامير كان دائم الاكتئاب ، بادي الشقاء ؛ ولم يبالهما قط ان سبب كآبته راجع الى انه قد ساء في جريمتها المشتركة الدنيئة ؛ ولذلك عملا طاقتهما لادخال السرور عليه .

لقد كرها ثياب الحداد السوداء التي كان يلبسها ، والتي كانت تذكرهما بموت الملك العجوز الذي

HAMLET

هملت

للأستاذ عبد الله العمراني

التفكير ، وعدم الثقيف اللازم الذي يجعلهم يدركون ويفهمون جيدا مسرحية تلقى عليها بالفصحى شعرا او نثرا .

2 - عامل داخلي كذلك يرجع الى اقدام هؤلاء على اقتحام عتبة المسارح واحتلال المقاعد الاولى ، دون التثبت من نوع الروايات التي تروقههم .

3 - عامل خارجي راجع للفرق التمثيلية التي عودت الجمهور على مشاهدة لون خاص من المسرحيات؛ مما جعله يعتقد ان التمثيل الجدي (التراجيدي) يكاد لا يدخل في عداد الفن المسرحي .

4 - عامل خارجي ايضا ويتمثل في هذه الموجة الكاسحة التي تفزو شباب العالم من اتباع «الجي-جي» وانصار «الخنافس» .

قد لا يعجب المرء من ان العمل الادبي او الفني تتفاوت فيه الافهام والاذواق ؛ ولكن يأخذ من العجب كل ماخذ اذا علم ان عملا فنيا انعقد الاجماع على روعته (مثل هملت) يتعرض لانتقاص بعض المشاهدين الاغرار ، ولا ينال رضاهم ، فكان مثلهم من أنشد الشاعر في حقهم :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ان هذا الموقف الشاذ من هؤلاء هو الذي دعاني لتلخيص هذه المسرحية الان ، فلعل من لم يعجب بها وهي تمثل على خشبة المسرح ، يقدرها حق قدرها وهي تنشر على صفحات هذه المجلة الفراء .

مسرحية من روائع الشاعر الانكليزي الطائر الصيت وليم شكسبير . قراتها في الماضي ، وحرصت على مشاهدة احدى الفرق المسرحية المغربية (فرقة المعمورة) وهي تقوم بتمثيلها على خشبة احد مسارح تطوان . وليس هدفي هنا ان اعلق على التمثيل والممثلين الذين ادوا ادوارهم في الغالب على خير ما يرام؛ وانما اريد التعقيب على بعض افراد الجمهور المتفرج الذين بدأوا يتسللون لواذا ، بل ان بعضهم ابدى تأفقه جهرة ، متممدا اسماع غيره عدم رضاه عن المسرحية او التمثيل ، ففادر القاعة غير مأسوف عليه .

لقد ذكرني هذا بما حدث منذ سنوات عند ما قامت فرقة مصرية بتمثيل احدى روائع شاعر العروبة احمد شوقي (مجنون ليلى) ؛ فلقد عابها بعض النظارة لا لشيء الا لانها فوق مستواهم الفكري ، او فوق ما كانوا ينتظرون .

ولعل من المؤسف ان كثيرا من النظارة وخاصة العوام منهم ينتظرون من المسرحية ما لا ينتظره الرجل المهذب المثقف ، وانهم لا يكادون يفقهون من التمثيل الا اضحاك الجمهور او انشاد المغنيات ، او ايقاع الرقصات ، فاذا اجتمعت هذه العناصر كلها كان ذلك منتهى الجمال والكمال . اما المسرحيات الجدية فليس لها في قاموس لهوهم ومزاحهم مكان .

واري ان لموقف هؤلاء عوامل أهمها :

1 - عامل داخلي يسأل عنه هذا الصنف من النظارة انفسهم ، ويتمثل في نقص التكوين وضحالة

ومع ذلك لم يكن يستطيع أن يحيط محبوبته علما
بخطبه ومتاعبه .

وكتب اليها - ذات مرة - رسالة غرامية عنيفة ،
فقرأها وأطلعت عليها والدها الذي سرعان ما قراها
- بدوره - على الملك والملكة ، فظنا حينئذ انهما قد
اكتشفا سبب جنون الامير ، واكتشفا علاجه في الوقت
نفسه .

وهكذا انخدع الخادعون . ولكن هاملت المسكين
كان لا يزال بائسا شقيا ؛ ولم يستطع أن يقنع نفسه
بان قصة الشبح كانت حقيقية . وعلى فرض انها
صحيحة فكيف يستطيع أن يقتل زوج امه ؟

ولام نفسه على جبنه وعدم نشاطه وابطائه في
الانتقام ؛ ومع ذلك تساءل : كيف يعرف ان الشبح الذي
راه وتحدث معه كان روح والده حقيقة ؟ اليس من
الممكن ان يكون ذلك شيطانا تمثل في صورة ابيه لغرض
من الاغراض الشريرة ؟ ومهما يكن من امر فمن الصعب
ان تقتل ملكا اعتاد ان يحيط نفسه دائما بحرس شديد ،
كما اعتادت الملكة الا تفارقه . . . ان افكارا مضادة
كهنه انعبت عقل هاملت وضميره ، وجعلته - احيانا -
بتعجب مما اذا كانت الحياة تستحق كل هذا الاهتمام .

واخيرا عزم عزما اكيدا على ان يبحث وليستنتج
ما اذا كان الملك والملكة هما اللذان دبرا خطة اغتيال
والده ، وهما اللذان قاما بتنفيذ المؤامرة . وسرعان
ما خطرت بباله طريقة للعمل :

كانت فرقة متجولة من الممثلين : قد أنت الى
المدينة ، وارادت ان تقوم بتمثيل احدى الروايات في
الحצר الملكي . لقد رأى هاملت أفراد هذه الفرقة من
قبل ، وتذكر ان احدى روايتها كانت تعالج جريمة قتل
منايعة . تتعلق بشخص « دوق » وبجن « الدوقة »
أرثيه . قال هاملت :

- « الان فقد عثرت على أهم طريقة عملية
لبيع بها اختبار ما اذا كان الزوجان مجرمين أم لا ؟ »

وهكذا انتحى هاملت ببعض الممثلين ناحية ،
« عما اذا كان يعرف رواية تدعى : « اغتيال
كونزاغو Gonzago » تلك الرواية التي يسم فيها
« يسمى كونزاكو في حقيقته بواسطة قريب له
أرملته فيما بعد . قال المثلون : انهم يعرفون
ويمكنهم تمثيلها اذا ما رغب الامير في ذلك .

قال هاملت :

- « في ليلة الغد تمثلونها امام الملك والملكة ؛
ولكن أريد منكم أن تزيدوا في اصلاحها وتحسينها بوضع
بضعة اسطر من تأليفي » .

وهكذا ادخل هاملت تغييرات على الرواية لتكون
مشابهة قدر الاستطاعة للجريمة الحالية ، جريمة اغتيال
والده ؛ فقد كان يعرف كيف تستطيع رواية جيدة ان
تثير مشاعر السامعين والنظارة ، وتذكر قصة سفاح
وكيف اعترف بجريمته النكراء عند ما رأى الجريمة
تمثل امامه مرة أخرى على خشبة المسرح .

وضمن هاملت قائلا :

- « الان وعند ما يرى الملك والملكة هذه
الرواية . ستظهر على وجهيهما امارات الاجرام اذا كانا
مجرمين حقا ، وسأكون قادرا على مراقبتهما وملاحظة
سلوكهما عن كثب » .

تم دعا هاملت الملك كلوديوس والملكة لمشاهدة
الرواية التي ستمثل في الليلة التالية . وبالطبع لم
يخبرهما عن موضوع التمثيلية ، نقبلا الدعوة بسرعة ،
لانهما ظنا ان هذا السلوك من الامير علامة تبشر اخيرا
بتحسن صحته .

وقبل ان يبدأ تشخيص الرواية على خشبة
المسرح ، ذهب هاملت الى صديقه الثقة هوراشيو
وانبأه خبر ما قد نظمه ، وسأله ان يمد له يد المساعدة ،
فيراقب ساوك الملك والملكة أثناء العرض المسرحي ،
وقال :

- « واذا لم يحركه المنظر حركة غريبة ، فان
الشبح ليس روح والدي ، واكون قد ظلمت كلوديوس
بالتفكير في انه مجرم مقتال » .

وعند ما اقتربت ساعة التمثيل ، دخل الملكان
ورجال الحاشية ، وجلسوا امام خشبة المسرح ؛
وجلس هاملت وهوراشيو في جانب مظلل حيث يمكنهما
ملاحظة الملك دون ان يظهر ذلك بطريقة مكشوفة .

وفي بداية الرواية ظهر « الدوق » كونزاكو
وزوجته وهما يتحدثان ، وأعلنت له زوجته في حديثها
انها لن تتزوج أبدا بغيره اذما مات . ثم قالت :

- « ان المرأة التي تتزوج زوجا ثانيا ، هي فقط
التي تكون قد أسهمت في قتل زوجها الاول » . وعند
سماع هذه الكلمات رأى هاملت والده وقد شحب
لونها ؛ فقد كان لبداية المسرحية تأثيرها الفعال في
الزوجين المجرمين ؛ بيد ان البقية كانت مزعجة لهما
اكثر من ذي قبل ؛ ذلك لان المنظر التالي كان يري الدوق

يشتبه فيهما ، بل وصل بهما التخمين الى اليقين بأن شيئاً أكثر من مجرد موت والده كان له التأثير البالغ في عقله . ولم يطل بهما الوقت كثيراً قبل ان يقترح عليهما سبب لجنونه :

فمن بين حاشية الملك كان يوجد رجل مشهور بخبرته وحكمته يدعى بولونيوس Polonius وكانت له ابنة جميلة هي أوفيليا Ophelia التي كان هاملت جد مفرم بها في الماضي . وكان والدها يشجع هذه الصداقة في السر ، لانه كان يأمل من هاملت ان بتزوج ابنته يوماً ما فتصبح بذلك اميرة .

لم يكن والدها متأكداً من حب هاملت لها ، لذلك امرها في مكر ودهاء الا تشجع الامير كثيراً ، والا تبادله الحب سريعاً ، ذلك ان الحب المتبادل بسرعة يموت بسرعة ، اما اذا اظهرت ازاءه قلة اكتراث في بعض الاحيان ، فلربما كان ذلك داعياً لهيامه بها وحبه اياها حباً جميلاً .

كانت أوفيليا ابنة جميلة تثق في حكمة والدها ، ولذلك عملت بنصيحته ؛ وبدا كأن النتيجة جاءت وفق ما اراده بولونيوس . فقد اتته واخبرته كيف ان هاملت قد اتاهها في ملابس رثة ، وحالة بائسة ، تلعو محياء نظرة حزينة .

وفي الحال ظن بولونيوس ان هاملت أصبح من التعاسة والشقاء بمكان ، لان أوفيليا لم تبادله حباً بحب ؛ واعتقد ان هذا هو السبب في جنون هاملت . ثم قال لأوفيليا :

— « يدل هذا على انه يحبك بشغف والى درجة العبادة ، وان برودة حبك قد سببت له الجنون » .

ثم ذهب الى الملك والملكة بهذا التاويل العجيب لسلوك الامير ، مؤملاً من وراء ذلك ان يوافقا على عقد قران الامير على أوفيليا ، فيحفظا لهاملت سعادته وهناءته .

وبينما الامر يجري على هذا النسق ، كان الامير ما يزال مستغرقاً في تأولاته ، وفي امر شبح والده له بالانتقام لقتله القاسية الشنيعة . وصار يفكر كيف يستطيع ان يضع خطة للانتقامه ، وبالرغم من انه كان يكره عمه كره العمى ، فقد تفرز بطبيعة الحال ، واشمأزت نفسه من عملية قتل انسان آخر .

وكان في بعض الاحيان ما يزال تراوده افكار حادة عن محبوبته أوفيليا ، ولذا اراد ان يسري عن نفسه ، فعزم على مداعبة تلك الافكار الحلوة من أجل التسلياً ؛

— « ايها الذي يشبه والدي ! ماذا يعني قدومك الينا ؟ انت والدي ؟ أم انت شخص آخر ؟ ؛ ماذا تريد منا ان تفعل ؟ » .

واجابة عن هذه الاسئلة اشارت « الروح » على هاملت ان ينتحي معها ناحية بعيدة عن رفيقه ... وهنا تدخل هوراشيو وسأل صديقه الحميم الا يتبع الشبح حتى لا يحدث له ما لا تحمد عقباه ، وحاول هوراشيو والمسكري ان يشيا هاملت عن عزمه بالقوة ، غير انه ابى ودفعهما جانباً واختفى عن نظريهما .

تبع هاملت الشبح الذي كان في الواقع شبح والده ؛ وسرعان ما اخبره بالحقيقة ، وهي انه قد مات مقتولاً :

— « لقد أشيع ان ثعباناً لدغني حينما كنت نائماً في البستان ؛ ولكن اعرف ايها الشاب النبيل ان الثعبان الذي لدغ والدك هو الذي يلبس تاجه الان » . ثم امر هاملت قتلها :

— « هذه هي القتلة الدنيئة غير الطبيعية التي عاناها والدك ، فهل لك في ان تنتقم له ؟ »

ولكن هاملت لم يكن ليقتل والدته التي شاركت في الجريمة ؛ فكان عليه ان يتركها لتقاسي آلام الحزن وتوبيخ الضمير من اجل خطاياها ... ثم اختفت روح الملك العجوز عن الانظار ، بعد ان طلب من ابنه الا ينسى اوامره ، وان يظل وفياً لعهوده .

وبعودة هاملت الى رفيقيه ، طلب منهما ان يحلفا ان لا يقولوا اي شيء عما حدث في تلك الليلة . ولم يخبرهما بما جرى بينه وبين الشبح من حديث ؛ ولكنه تدارك الامر فتكلم فقط مع هوراشيو صديقه المخلص ، اذ لم يستطع كتمان الحديث عنه .

ثم وضع هاملت خطة ليعمل على تنفيذها في المستقبل ، ذلك انه قرر ان يسلك في الظاهر مسلك الرجل المجنون ، فبهذه الطريقة — كما اعتقد — لا يمكن لعمله ان يشتبه في أمره ، او ان يحذر جانبه ؛ وبها ايضا سيكون قادراً على اخفاء مشاعره جيداً . وكان هوراشيو الشخص الوحيد الذي اطلعه على تفاصيل خطته .

وهكذا طبقاً للتصميم الموضوع اصبح كلام هاملت وسلوكه أغرب مما كانا عليه في الماضي ؛ وخاصة حينما كان يكون في حضرة الملك والملكة ، ومرت الاسابيع تلو الاخرى على موت والده ، ومع ذلك لم يظهر الامير أية علاقات للتحسن ، بل بالعكس أبدى امارات ازدياد الحالة سوءاً على سوء . حينئذ ازداد عمه والملكة في أمره حيرة وارباكاً ؛ غير انهما ظلا على اعتقادهما انه لم

ذلك ؛ ان عملها هذا يجعل نفس المستمعين للقصة يحمرّون خجلا من العار .

عند سماع هذه الكلمات أحست امكة العار وانسنا ، وتحققت الى اية درجة كانت شريرة دينة ؛ فسالت هاملت ان يكف عن التوقيع والتوقيع ، ولكن هذا كان لا يزال لديه الكثير من القول . لقد طلب منها ان تهجر زوجها حينما يبدو - وبدون انذار سابق - شبح الملك المعجوز مرة اخرى . وبما ان الملكة لم يسبق لها ان رأت ذلك الشبح ، فانها ظنت ولدها قد عاوده الجنون .

بيد ان هاملت رأت الشبح ، والشبح تكلم مع هاملت أمرا اياه ان يترك امه الان ، وان يتذكر ان الانتقام من الجاني لما تحدد طريقته بعد ؛ وحشه على الرافة بالملكة التي بدت وكأنها قد اثقل كاهلها الحزن وتائب الضمير . ثم اخفى التسبح ... وبعد ان طلب هاملت من والدته ان تستغفر لذنبها ، وبعد تحذيرها من الاستمرار في العيش مع كلوديوس ، تركها ظانا انها ستفعل مثل ما امر .

وفي هذه الاثناء كان الملك يضع خطة للتخلص من هاملت ، لانه تحقق من خطورته ، ولانه بدا يخشاه ؛ ولذا رأى نفيه من البلاد . ولكن الامير كان محبوبا من الشعب ، فكان من الصعب على الملك ان يجد مسوغا معقولا لنفيه ، واخيرا اهتدى الى العذر المطلوب ؛ لقد وجدته في قتل بولونيوس ؛ ولذا قال لنفسه يحاورها ويحاول اقناعها :

« سيعتقد الشعب اني ابعدت هاملت محافظة ليه من انتقام عائلة بولونيوس » .

وهكذا وضع كلوديوس الداهية خطة لارسال هاملت الى البلاط الملكي الانكليزي ، ولاغتياله بمجرد وصوله الى انكلترا . وتظاهر امام هاملت بأنه مرسله الى هناك في شأن من شؤون الدولة ، وذلك لان انكلترا هذا العصر كانت تابعة لدنمركة ؛ اما في الباطن الحقيقة ، فكان يريد الاجهاز على حياته ، ولذلك سل رسالة مختومة يحملها رجلان من الحاشية صاحبان للامير . كانت الرسالة موجهة الى ملك دنمارك تآمروا ان يقضي القضاء المبرم على حياة هاملت ، ورد ان تطأ قدماه التراب الانكليزي .

بهذه الطريقة اجبر هاملت على مغادرة وطنه فقط راسه ؛ ولكن برنامج الملك الاثيم لم يكن لينفذ ، كما كان يعرفه الامير عن شخصية عمه ، جعله في امره ، ويتهمه الغدر والخيانة ، وجعله منه

على حذر . تظاهر بأنه راغب في تنفيذ الامر الملكي ، وأبحر الى انكلترا مع الضابطيين اللذين عينهما عمه لمرافقته .

وعند ما بدا الثلاثة رحلتهم البحرية ؛ وفي الليل حيث كان رفيقاه نائمين ، وجد هاملت الطرد المقفل المحتوي على الرسالة المرسلة من كلوديوس الى ملك انكلترا ، وفيها قرا الامر الذي سيقتل بمقتضاه عندما يحل بأرض الانكليز . وسرعان ما وجد هاملت طريقة لانسداد خطة الملك الاجرامية ؛ فقد مسح - بمهارة - اسمه هو من الرسالة وأحل محله اسمي الضابطيين المرافقين له ؛ وبعدئذ ختم الرسالة بخاتم أبيه الذي كان معه ، ثم وضعها في المكان الذي وجدها فيه .

وفي اليوم التالي كانت سفينة الامير مطاردة من قبل لصوص البحر ، وهنا ابطأت السفينة في سيرها لدرجة أن هؤلاء لحقوا بها . وقد ابدى الامير شجاعة نادرة المثال ، اذ اقتحم سفينة القراصنة بمفرده ، واستطاع ان يجعلهم في شغل شاغل لدرجة ان سفينة الامير وجدت سبيلها الى الفرار فالتجاة .

وبقى هاملت مع القراصنة الذين عاملوه برأفة واحترام حينما علموا انه امير ؛ وكانهم املوا من وراء ذلك في مكافاة يكافئهم بها . وبناء على ذلك ابحروا صوب البر ، وانزلوا الامير على شاطئ اقرب ميناء من موانئ دنمركة . وهكذا نجا الامير من مؤامرة الملك ، وبقي لينجز ما سطر له في لوح القضاء والقدر .

وبمجرد ما وطئت قدمه ارض بلاده ، حرر رسالة الى عمه يخبره فيها أنه قد عاد الى دنمركة ، وأنه سيشرح له كل شيء عند ما يراه في اليوم التالي ... ولم يقل شيئا عن المؤامرة الدنيئة لانه عزم على التظاهر بأنه لم يعرف شيئا عنها اطلاقا .

وفي الوقت نفسه ارسل خطابا الى صديقه هوراشيو ، مخبرا اياه بكل ما حصل له ، وراجيا منه ان يقدم عليه بكل سرعة ممكنة . وحينما تقابلا اخبر هاملت صديقه بمغامرته وبخيانة الملك ايضا . وبينما كانا متجهين شطر المنزل رايا منظرا عجيبا ؛ فقد انميا حفارين للقبور وهما يحفران قبرا جديدا ؛ وعلما منهما ان القبر لامرأة توفيت منذ قليل . وبينما هم في حديثهم هذا كانت الجنازة تقترب منهم شيئا فشيئا .

وقد اعترتهم الدهشة حينما راوا موكب الجنازة يتألف من الملك والملكة ومن شخصيات اخرى بارزة في البلاط الملكي ؛ وحينما راوا جماعة الناحين تضم فيما بينها ليرتس Laertes اخا الحسناء اوفيليا

نائما في بستانه ، وان رجلا تسلل اليه وصب السم في اذنه وهو نائم .

وارتعدت فرائص الملك المذنب لدى المنظر ، وداخله الرعب والفرع ، فالتفت هاملت نحوه وفسر له المشهد قائلا :

« انه يسممه ليستولى على اراضيهِ ويستخلصها لنفسه . وفي المنظر التالي سنرى كيف انه سيكسب حب زوجة كوزاكو » .

امام هذا انخلع قلب كلوديوس من الهلع . وعند رؤية جريمته النكراء يعاد تمثيلها امام جميع رجال القصر ، لم يستطع تحمل البقاء لمتابعة المسرحية حتى نهايتها . ثم نهض وصاح :

« هاتوا ضوءا ما !! بعيدا !! »

وفر الملك والملكة من المقصورة وثوب الخزفي والمار يجللها . وظل رجال الحاشية يتساءلون في دهشة عما حدث حتى سبب هذا السلوك الغريب من الملك والملكة . ولكن هاملت وهوراشيو قد شاهدوا ما يكفي للتأكد من ان الشبح كان صادقا في حديثه ، وان قتل الملك كان في الحقيقة نتيجة مؤامرة مدبرة ، وحسب خطة موضوعة . وراى هاملت ان من واجبه الان ان ينتقم لموت ابيه .

في هذه اللحظة ياتيه رسول من الملكة - والدته - يعلن رغبتها في التحدث معه في الحال ، وعلى انفراد . ان الملك كلوديوس قد حرض الملكة جيرترود Gertrude لكي تبث وراءه ؛ اراد ان يستنتج مدى معرفة ربيبه بالامر ، فقد ظن ان الصدفة قد تكون عملت عملها ، فطابقت حوادث المسرحية جريمتها . وكان للمنظر الذي شهده الملك تأثيره ، فقد جلب الى بيت الملك جريمته وامام هذا الخطب الذي الم به ، جثا على ركبتيه في محاولة للدعاء والاستغفار .

ومر به هاملت في طريقه الى جناح والدته وهو على هذا الوضع ، ولم يكن يوجد اسهل من ان ينفذ هاملت انتقامه ، وياخذ بثأر ابيه في الحال ؛ ولكن جانب الضعف والتردد تغلب على جانب العزيمة في هاملت فاستبقى بذلك قاتل ابيه وقال :

« من الاحسن ان يقتل حينما يكون سكران او غضبان او حتى يكون في فراش النوم ، لا يستطيع ان اقتله كما هو الان » . وهكذا جعل الفرصة تغلبت من يده ؛ وتسلسل من الغرفة بهدوء .

وفي غضون انتظار الملكة قدوم ابنها ، أخفت وراء ستائر غرفتها بولونيوس النديم العجوز الماكر ، حتى يكون شاهدا على كل ما يفوه به هاملت . وحينما دخل هذا الاخير غرفتها شرعت توبخه وتعنفه على سلوكه فقالت :

« لقد اسأت الى والدك كثيرا جدا » . وبعد لحظة قضاها هاملت في التفكير في والده المحبوب المقتول ، اجاب في غضب :

« لا يا اماه ! انك انت التي اسأت الى والدي » قالت الملكة :

« ان هذا جواب تافه عديم الجدوى » . ففند ولدها كلامها قائلا :

« انه الجواب الذي يتطلبه سؤالك » .

لم يكن هاملت ينوي قتل والدته ؛ ولكنه كان عازما على ان يجعلها تعترف له بجريمتها ، ولذلك امسك برسفيها ليجعلها تجلس ؛ ولكنها ارتعبت وصاحت :

« ماذا ؟ هل تريد قتلي ؟ النجدة ! الفوث ! »

وامام هذا ، ظن الرجل العجوز المختفى وراء الستائر ان هاملت قصد قتل والدته ، لذلك ولخوفه الشديد ، وبدل ان يسعى لمساعدة الملكة ونجدها ، صار فقط ينادي مثلها :

« النجدة ! الفوث ! النجدة ! » .

حسب هاملت انه الملك ، ونظرا لانعدام فكرة الإبقاء لديه على حياة الملك بعد الذي حصل ، فقد ضرب برسفيه الستائر وجسم بولونيوس معا ، فقتله على الفور . لم ينزعج الامير كثيرا لفظته ، ولكن الملكة صاحت :

« اوه ! ما هذا العمل الطائش الملتخ بالدم ؟ » فأجاب هاملت :

« عمل ملتخ بالدم ! عمل رديء يشبه - أيتها

الام الطيبة - قتل الملك والتزوج باخيه ! » .

ثم صار هاملت المحق في غضبه ، يعنف والدته لما اقترفته من ذنب ، ولم يغفر لها جريمتها . واراها كيف انها كانت عديمة الفؤاد حينما نسيت هكذا بسرعة زوجها الطيب الميت، وتزوجت اخاه وقاتله بمجرد موته . ثم عقد مقارنة بين زوجها السابق وزوجها الحال مشيرا الى عدالة الاول وشرفه ، والى انحطاط الثاني ودناءته . وسألها كيف سمحت لنفسها ان تستبد بالاول الثاني : هل تملكها شيطان رجييم حتى فعلت ،

من الحياة الا دقائق معدودة تركت له كي ينفذ خطة اخذ
الثار ، التفت الى الملك ، وطعنه بالسيف المسموم
فقتله في الحال .

وعند ما رأى هاملت مصيره المحزن المحتوم ،
نادى صديقه المخلص هوراشيو الى جانبه ، وسأله ان
يعرف الناس بالقصة الحقيقية لاغتيال ابيه ، وان
يروى لهم خبر انتقامه له . كان هوراشيو قد قام
بحركة يفهم منها أنه كان يريد ان يشرب الخمر المسموم
وبذلك يرافق صديقه الى الدار الاخرة؛ ولكن حينما طلب
منه هاملت ذلك ، وعده ان يبقى على قيد الحياة ليقص
على العالم قصة هذه المأساة كلها .

وكان ما يزال لهاملت من نسم الحياة ما يكفي
لسماع وعد هوراشيو ، وبعد ان همس بهذه الكلمات :

- « الراحة هي السكون . » فاضت روحه
وخر صريعا .

وهكذا كانت نهاية امير دنمركة النبيل الشجاع ،
حزن عليه الشعب حزنا شديدا كما لو كان ملكا عظيما ؛
ثم حمل الى مقره الاخير على انغام موسيقى الجنود
الحزينة ، ووسط عويل الشعب ونواحه المتزايدة (1) .

تطوان : عبد الله العمراني

(1) عن : H G. Wyatt: Stories from Shakespeare - Oxford University Press, 1938

وخياً هاملت وهوراشيو نفسيهما وظلا يراقبان - غير مرئيين - القس وهو يقود مراسم الجنازة . وسرعان ما لاحظا ان القس ابنى ان يتم المراسم قائلاً : انه لا يستطيع ذلك نظراً لان المرأة الميتة قد قضت نحبها مختارة ، وانتحرت طائعة غير مكرهة : كما سمعنا ليرتس يلوم القس على هذا التصرف . وعندما اخذت الملكة تنشر الزهور على القبر ، سمعها تقول :

- « كنت آمل فيك ان تكوني زوجة لابنسي هاملت ، وكنت اود ان ازينك في حفلة زفافك ، لا في اثناء دفنك » .

وبسماع هذا ، فهم هاملت - وقد اخذ منه الرعب كل مأخذ - ان المرأة المتوفاة هي معشوقته اوفيليا ؛ وانها - ولا ريب - قد قتلت نفسها ؛ لذلك تملكه الحزن وتوبيخ الضمير ، وبرؤيته ليرتس يقفر هابطاً الى قبر اخته ، اسرع هو وقفز الى القبر بجانبه . لقد شقيت اوفيليا بسلوك محبوبها الغريب ؛ وحينما سمعت ان محبوبها هو قاتل ابيه ، تملكها الاسى وفقدت رشدها ، ثم افرقت نفسها . ظن ليرتس ان هاملت كان المسؤول عن كل ما حصل ، وانه يستحق اللوم والتقريع والمقاومة ؛ ولذلك حاول ان يقاومه في قبر اوفيليا المسكينة ؛ ولكن الاتباع فرقوا بينهما ، فذهب هاملت مع هوراشيو معلناً شجته وحزنه ، ومنادياً بأنه قد احب اوفيليا لدرجة تفوق حب اي اخ لها .

ما زال الملك الطالح مصمماً على التخلص من ابن اخيه . وبما انه رأى هاملت قد نجا من مؤامراته الاولى فانه دبر مؤامرة اخرى ، مقرراً ان يستفيد من غضب ليرتس على سافك دم ابيه بولونيوس : فلعلم الملك بأن كلا من هاملت وليرتس لاعب سيف ماهر ، عمل على تنظيم مباراة بينهما بالسيف . لقد كان ليرتس يتمتع بشهرة كاحسن لاعبي السيف ؛ فحضره الملك على استعمال سيف حاد مستدق النهاية (وقد كان ذلك ممنوعاً في المباريات) وحته على تسميم نهاية السيف حتى اذا حصل لهاملت اي خدش هلك ومات في الحين .

ارسلت دعوة للنزال الى هاملت الذي ظن ان ليرتس يريد لها مباراة ودية ، ولذا قبل هاملت النزال ، واعتبر الدعوة عربون صداقة وحسن نية .

هذه هي الخطة الخبيثة التي نظمها الملك ، فقد كان يرى ان الامير اذا مات في هذه المباراة السيفية ، فان موته سيبدو طبيعياً او من قبيل المصادفة ، ومن ثم لا يقع اللوم على اي كان ، ولكن مشروعه الواضح المعالم اذا لم ينجح ، فانه قرر الا يترك الفرصة السانحة

تقلت من يده ، لذلك وضع قدحين من الخمر فوق مائدة قريبة منه في الموضع الذي اقيمت فيه المباراة ؛ وفي احد القدحين وضع سمناً ناعماً . وقد قدر انه سيشرب نخب نجاح هاملت في فترة الاستراحة بين الشوطين ، ويفوت اليه القدح المسموم كي يجيب على النخب .

وقبل ان تبدأ المباراة اكد هاملت صداقة ليرتس ؛ واخذ كل منهما سيفه الكليل وبدأ المباراة . وكانت المعركة اول الامر في صالح الامير ، وحينما وقفا للراحة - بين الشوطين - شرب الملك نخب نجاح هاملت . ولكن هذا لم يشرب ، وقال انه سيفعل عندما ينتهي اللعيب .

وفي الشوط الثاني تحمس ليرتس في اللعيب وحمل وطيس المباراة ، فأصبحت المباراة مثيرة للغاية . وتطلع الملك الى طعنة مميتة تنشب في جسم هاملت ، وظل يرقبها بشغف عظيم لدرجة انه لم يعد يلاحظ الملكة التي كانت بجانبه . ويبدو انها كانت عطشى فأرادت ان تطفئ ظمأها وأخذت قدحاً من الخمر لتحتسيه . ولم ير الملك انها تشرب من القدح المسموم في هذه اللحظة وخز ليرتس جلد هاملت وخزعة مفاجئة ، ففقد هذا الأخير مزاجه عندما عرف ان ليرتس كان مستعملاً سيفاً مدبباً حاداً ، لا سيفاً كليلاً كما كان مقرراً ؛ واطبق عليه وضيق عليه الخناق . وفي اثناء العراك امسك هاملت سلاح ليرتس (الذي كان هذا قد سمم نهايته المدببة بنفسه) وجرحه به صرخ الملك : « ان فرقوا بينهما » . وفي الوقت نفسه رثيت الملكة وهي تسقط فجأة ، وتصرخ انها قد سممت . لقد اثرت جرعة الخمر المميتة اثرها فماتت الملكة في التو . رأى هاملت الخيانة والغدر يحيطان به احاطة السوار بالمعصم ، فأمر الاعوان ان يلقوا الابواب حتى لا يهرب احد ، وصاح قائلاً :

- « اوه ! دناءة ! خيانة ! فتشوا عن الخونة ! » وبمجرد ما اتم هذه الكلمات ، خر ليرتس صريعاً الى الارض ؛ متأثراً بضربة السيف المسمومة التي كاليها له هاملت ، وقال :

- « اجل ، انها خيانة بالنسبة الي ، فانا فريسة الغدر يا هاملت ، وانك مقتول لا محالة ؛ ولا يوجد في العالم دواء يشفيك - الملك ، الملك هو اللوم . » وهكذا لفظ أنفاسه الاخيرة وهو يطلب العفو والمسامحة .

وبعد ان رأى الامير - رأى العين - مؤامرة الملك الدنسة التي دبرها لقتله ، وبعد ان تيقن ان ليس اماه

يتقاعس تكبرا عن عمل مكلف به وهو من صميم واجبه،
فالجزائر تقول: « اذا انا امير وانت امير اشكون
يسوق هاذوا الحمير » والسودان تقول: « ابوك
امير وابوي امير مين يسوق الحمير » وفلسطين تقول:
« انت شيخ وانا شيخ ومين بيوقد النار » ، والكويت
تقول: « انا مير وانت مير من يسوق الحمير » والمغرب
اتطوان) يقول: « انا مير وانت مير شكون ينداه هاذ
الحمير » ، وفاس تقول: « انا امير وانت امير واشكون
يسوق هذا الحمير » وقبائل نجد تقول: « الى صرت
امير وانت امير من يسرح بالحمير » .

وهذا مثل عراقي آخر: « اواعدك بالوعد
واسقيك يا كمون » يضرب لكل ما لا يصح من المواعيد.
تقول تونس: « عيش بالمني ياكمون » والسودان:
« ابشر يا كمون بالروى » وسورية: « بتوعدني
وبتبعدي بسقيك ياكمون » وفلسطين: « بالوعد
نسقيك ياكمون » ، ومصر: « سأسقيك بالوعد
ياكمون » ولبنان « بسقيك بالوعد ياكمون » والمغرب
« دبا نسقيك الكمون » أو « غدا نسقيك الكمون » ،
ونجد تقول: « فلان كمونة تعيش على الطل » ، ومثل
نجد هذا يوضح سر المثل ، فان مما عرف لدى

الفلاحين انه يكفي لنمو الكمون أن تشمله قطرات الندى
في الليل أو يشابهه وانه ليس بحاجة الى سقي حقيقي..

وهذا مثل عراقي ثالث: « البيت بيت ابونا
والناس يعاركونا » يضرب لمانع صاحب الحق من
التصرف في حقه ، تقول الجزائر: « الدار دار ابونا
والكلاب طردونا » وسورية تقول: « البيت بيت ابونا
والكلاب صاحونا » ، وفلسطين تقول: « البيت بيت
ابونا واجوا الغرب يطحونا » ، والكويت: « البيت بيت
ابونا والقوم خائقونا » ، ولبنان: « البيت بيت ابونا
والغرب ييقاتلوننا » ، ومصر: « البيت بيت ابونا
والغرب ييطردونا » ، والمغرب: « الدار دار ابونا
والكلاب ييطاردونا » ونجد: « الدار دار ابونا والقوم
قردونا » (هيسبريس 1947 - 1955) .

وهكذا سار الاستاذ عبد الرحمن التكريتي في
كتابه « الامثال البغدادية المقارنة » مرتباً لها على
الحروف الهجائية ، ونحن في انتظار المجلد الثاني نرف
للمجمع العلمي العراقي تقديرنا لمساعدته على نشر
مثل هذه الكتب التي تظل الرباط القوي الذي يجمع
بين التفكير العربي في الشرق والغرب متمنين للعميد
التكريتي المزيد من العون والتوفيق .

الرباط - أبو سعد

فارغ ومشغول

قال عبد الله بن سليمان لابي العيلاء: اعذرني فاني مشغول ، قال: اذا فرغت
لم احتج اليك ، وما اصنع بك فارغاً ، وانشد:
ولا تعتذر بالشفغل عنا فانما تناط بك الأمهال ما اتصل الشغل



الأمثال البغدادية المقارنة

تأليف الأستاذ عبد الرحمن التكريتي
تعليق أبو سعد

بالرباط التي زودته هي الاخرى بما هو في حاجة اليه تقديرا لعلمه واكبارا لطموحه ، فان من المعروف لدى الكثير قيام الناس بالتأليف في الامثال المحلية التي تروج بين ظهرانيها ، لكن المؤلف هذا قام - كما فعل بعض الاساتذة امثال محمد الفاسي والشيخ داود - بالمقارنات والمفارقات بين الامثال في مختلف البلاد العربية ، وهذا كان يستحق ان يسدى اليه العون اللازم وكان يستحق ان ترضى استشاراته اتم ارضاء .

والعميد التكريتي ينتسب الى تكريت مسقط راس البطل الاسلامي العظيم صلاح الدين الايوبي ، بل مسقط راس كثير من الابطال الذين انجبتهم ارض الرافدين في الماضي والحاضر . تكريت التي نحفظ لها بذكرى لاتبليها الايام بما تضمه من رجال افذاذ، وما تمتاز به من شمم واباء ... وقد تدرج عبدالرحمن في المناصب العسكرية حتى امسى عميدا ، وقد انصرف اخيرا الى خدمة العلم وهذه احدى طلائعه الادبية تصل الينا في المغرب ولاجل ان نأخذ صورة عن الجهود الذي يبذله الاستاذ التكريتي تقدم بين ايديكم ما استدعاه منه مثل عراقي واحد من تحقيق لتعرف الداب والصبر الذي تحلى به الرجل من اجل ان يقرأ العربية هذا التراث

هذا مثل عراقي يقول : آني امير وانت امير مينيوسوك الحمير » ، آني بالعراقية معناها ، ومينو : معناها من . والمثل يضرب كما لا يخفى لمن

زارنا صباح يوم 28 - 2 - 66 العميد عبد الرحمن التكريتي ليطلعني على مشروعه حول اصدار كتابه المذكور الذي يتناول الامثال العراقية مقارنة مع امثال احد عشر قطرا عربيا وكان تقدم الي قبل هذا يطلب مؤلفات عن « الامثال المغربية » ، وقد لمست فيه منذ اللقاء الاول عزما ماضيا نحو تحقيق هذه الرغبة برهن لي عنها ذلك الحرص الشديد منه على ان يقدم للقراء العرب ما يزيد في ايمانهم بأن مشاعرنا واحاسيسنا واحدة ليس عن طريق ارسال الكلام على عواهنه ، ولكن عن طريق هذا الذي نسميه « مثلا » ، وعن هذا القول الذي نردده بيننا كلما طرأ حادث او عنت سائحة ، فلقد عرف الناس جميعا ان هناك طائفة مهمة من الامثال العربية تتحد سواء على اطراف المحيط او على اطراف الخليج ، وهذا يعني ان الحاسة العربية واحدة وان الشعور واحد . لقد جمع في هذا الكتاب حوالي اربعة آلاف مثل من عيون القول وصائب الكلام ، وبصرف النظر عما تحتوي عليه من فوائد لغوية ونوازع انسانية فانها تعطي صورة صادقة عن المحيط الذي نعيشه وعن البيئة التي تؤينا هنا او هناك . ولما كنت اعرف عن طائفة مهمة من اخواننا الاساتذة في المغرب ممن عنوا بأمر الامثال من امثال الاساتذة عبد السلام بن سودة وعبد القادر زمامة والشيخ محمد داود والاستاذ محمد الفاسي ، هذا الى ما عرف لصاحب الوسيط عن امثال شنجيط ، وعرف لويستير مارك واحمد الصبيحي الخ .. اقول لما كنت اعرف ذلك توسلت الى الخزانة العامة

الاولى ، كنت معلما ، وقد أصبت في الجبهة ، وأصبح من الصعب علي ان اتكلم طويلا . والمعلمون الذين يستطيعون ان يتكلموا طويلا ، في العادة ، يسيطرون بأصواتهم على الاطفال ، ولكنهم يتعبون بسرعة . اما انا فلم يكن ذلك باستطاعتي حتى كان علي ان اختار: اما ان اترك هذه الحرفة ، واما ان ابحث عن وسائل تقنية ، لا اكون بحاجة معها الى ان اصرخ . وحينئذ تخيلت بعض الطرق ، ففكرت مثلا بان لا دروس بعد الآن ، ولم اعط بعدها درسا قط »

هذه بداية القصة ، التي اختتمت منذ شهور ب وفاة فريني ، وكان ختامها النجاح الكبير ، نجاحا جعل المعلم البسيط ، الذي انتصر على عجزه ، وخرج منه بطريقة فذة في التربية ، يترك العالم راضيا عن نفسه وعن مهنته . لقد بدا « فريني » صراعه وجهاده ، لاكتشاف طرق جديدة ، حوالي 1920 ، ولكن الجهود المضنية للعثور على هذه الطرق ، لم تكن الا احدى العراقيل ، اما العراقيل الاخرى ، فهي التي تقف في وجه كل جديد ، وفي وجه كل اكتشاف . انها القوى المتمسكة بالطرق التقليدية في التربية ، وما كان اكثر هؤلاء ، من رجال التعليم ، والكنيسة ، والهيئات المجتمعية ، لا سيما حوالي 1932 في فرنسا، وبعد ان شق « فريني » بمساعدة زوجته التي كانت معلمة بجانبه ، أشواطا في طرقه التربوية ، فقد قامت في وجهه ، قوى مختلفة تضم كبار الشخصيات ، في ذلك الوقت ، وهو يقول عما لاقاه في تلك الفترة :

« ... لقد انتقدوا طرقنا ، وانتقدوا القطع التي كنا نقدمها للاطفال ، وكان لكل ذلك ضجة كبيرة ... »

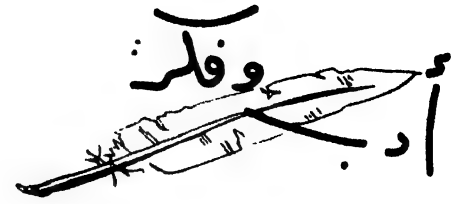
ولم يستطع « فريني » امام الضغط المتزايد ، والضجة العارمة ، الا ان يقدم استقالته ، من التعليم الحكومي) ، واسس مدرسته الخاصة ، وقد بناها بجانبه زوجته ، شيئا فشيئا ، يتايئا مدة ثلاث سنوات . وبذلك امكن للمدرسة ان تحوز اعتراف الرسمي ، وتصبح من اكبر المؤسسات التعليمية في فرنسا ، كما انضم الى المدرسة اعضاء من عددهم يتزايد باستمرار ، يقصدون المدرسة لنامون طرقها وموادها ، ليعودوا الى « مدارسهم ادية » يطبقون ما راوا .

ويتحدث « فريني » عن عيوب الطرق التي كانت سائدة - ولا تزال في البلاد المتخلفة - فيقول :

« ... اننا نجعل الطفل يجلس ، ويشبك يديه الفترة التي تلقى عليه اثناءها خطابا ، ونقصد من

ذلك ان نجعله يحصل شيئا ، والحقيقة ان الطفل لا يحصل من ذلك شيئا ، ولكنه يقرأ كل يوم كتابا ، وينسخ ما في هذه الكتب ، ونظلم نامل النتيجة . اننا بهذا العمل ، نعلمه كيف يكتب ، بدون اخطاء تقريبا ، وكيف يقرأ تقريبا بدون اخطاء ، وكيف يحسب ، اما في نطاق الثقافة الحقة ، فهو صفر او اقل من صفر ! »

ومقابل هذه الطرق التقليدية العقيمة ، تبدو مبادئ طريقة « فريني » ، انها تهدف لا الى « التحصيل » وحشو الدماغ ، بل الى التثقيف ، ولا تعتنق النظري ، بل تعتمد التجربة . ويقول « فريني » « في يوم من الايام ، خطر لي ان اضع المطبعة بين ايدي الاطفال ، ولم اكن على علم سابق بما قد ينتج عن هذا ، اذا ما اثار اهتمامهم . لكن ، بدلا من ان نطبع قطعاً للبالغين ، قمنا بطبع قطع اتى بها الاطفال انفسهم . وكانت النتائج باهرة . وبعد ذلك قمنا بتنظيم المراسلات مع مدارس اخرى ، وكانت النتائج افضل . وقد انطلقت من هذه النقطة ، كل تقنياتنا الحالية . ولا شك في ان هذا يستدعي تغييرا جذريا في المدرسة التقليدية ، وخاصة ما يعرف بالنظام . فبدلا من ان يأتي المعلم الى الفصل ويأمر الاطفال ، بفتح كتاب ، واجراء تمرين او عدة تمارين ، فان مدرسة فريني تقوم بحديث خاص مع الاطفال ، ثم يقوم هؤلاء بالاشتغال في القطع الحرة ، التي هياوها بانفسهم . وهذه الطريقة تتطلب اعدادا خاصا للمعلمين ، يجعلهم يقضون فترة تدريب من شهر الى شهرين ، قبل اخذ الفصل . وبالرغم من ان الدراسة عند فريني ، تعتمد على هذه الطريقة الحرة ، فان الاطفال يتابعون برنامجا محددا ، ويؤدون امتحانا كفيهم من اطفال المدارس الاخرى . ويعطي فريني بعض الامثلة ، لزيادة ايضاح الفارق بين مدرسته والمدارس التقليدية . فيأخذ مثلا درسا في الجغرافيا « حسب الطريقة التقليدية ، هناك الكتاب المدرسي الذي يقدم لنا : الجزيرة هي جزء من الارض محاط بالماء من جميع الجهات ... » ويرى فريني ان هذا لا فائدة منه ، ويعرض طريقته الخاصة في مثل هذه الحال : « فقبل التعريف ، نطلق من القاعدة : فعندنا اقياس جيدة ، تجمع الوثائق اللازمة . ولدى كل طفل مخطط للعمل . فاذا كنا ندرس « الرون » مثلا ، فان الاطفال لا يرددون جميعا نفس الدرس على هذا النهر ، بل اننا نقسم العمل . فواحد يدرس الرون الى بحيرة « لي مان » . (ولدينا ايضا كراسة ، مأخوذة من مكتبتنا التي تضم اكثر من 600 جزء تتعلق بالبحيرة) . ويقوم طفل آخر بدراسة



في أجواء التربية

للأستاذ مبارك ربيع

المتحمسين للجانب العملي في التربية ، قد يعطونه مرتبة مساوية للجانب النظري . ولكن ، فيما يبدو ، ليس هناك من نظري في « عملية » هي التربية . وماذا لو تصفحنا وثائق بعض المربين المعاصرين ، ومن مذكراتهم على الخصوص ؟ فذلك كفيل بأن يزيد في توضيح هذا الجانب الهام في التربية وهو الجانب العملي ، وكفيل بأن يدفعنا ، وحتى من هم على احتكاك دائم بميدان التربية ، الى أن نعيد النظر في مناهجنا ، ونأخذ عملية التربية بمزيد من الجد ، لخلق أجيال في مستوى القرن العشرين ونتجت ما يقع في مدارسنا باستمرار من قبر المواهب ، وقتل للعبقريات ، والبدأ الذي يجب ان نعتقه ، والكفيل باعطاء حسن النتائج ، هو فتح المجال للتجارب التربوية ، وترك هذا التقيد المتطرف بشكليات ، لا اثر لها ولا خطر . واقدام هنا تلخيصا لمقال مطول بعنوان « ثورة في التربية » (1) ويتناول بالحديث الطريقة التربوية التي اتبعها في مدارسه Célestin Freinet الذي توفي أخيرا عن 75 سنة . وقد ظل « فريني » يسير المدرسة التي اشتهرت باسمه منذ 1935 وقد اعتمد المقال على احاديث هذا المعلم المسجلة . وليس من احد يحسن الكلام عن طريقة او نظرية كصاحبها ، خصوصا وان طريقة هذا المربي ، وما تعتمد من مبادئ قد اثرت في مدارس فرنسا الحالية الى حد كبير ، ومما جاء في احاديث « فريني » هذه : « بعد الحرب العالمية

الامة برجالها . ولكن الرجال الذين تقوم بهم الامة لا يثبتون كالفقاع ، بالرغم من أن ولادتهم في غالب الاحيان ، تخضع لقرب من ظروف الفقاع . الرجال الذين تقوم بهم الامة ، ثمرة تربية حية ، ترسم اهدافا ، وتسعى لتحقيقها . ولن استعرض هنا نظريات تربوية ، ففي بلدنا نهضة متجهة نحو « استيعاب » تاريخ النظريات التربوية ، وقد يبلغ الامر ببعض الافراد ، خاصة ممن يحيون في خضم حياة التدريس ، ان يحفظوا تلك النظريات وتاريخها ، عن ظهر قلب ! وفي معاهدنا التربوية ، ومناهجها ، لاتزال الاهمية تعطى للنظري في الميدان التربوي اكثر مما تعطى للجانب العملي . فالطالب النجيب في معهد تربوي ، والمعلم والاستاذ الناجحان في عملهما ، هم الافراد « المثقفون » في ميدان النظريات التربوي ، والذين يستطيعون ان يكتبوا عدة ساعات مقالات ، يقتبسون فيها من اقوال المربين ويلائمون بينها ، ويستنتجون في احسن الاحوال ، وليس من النادر ان تكون عمليات الملاءمة تلك ، والاستنتاجات ، بعامل المهارة اللغوية ، والذكاء المنظم ، منطقية مقبولة ومستساغة ، ولكن ليس من النادر ان ذلك الرواء الزائف ، اذا ما عرض على العمل ، والتجربة ، لا يبقى منه سوى تناقض واستحالة ، ولعمري باي منطق تنقاب « عملية » التربية الى ثقافة نظرية لفظية ؟ واين الاصاله والابتكار في التربية ، اذا اعتمدنا دائما الفصل بين النظري والعملي . ان اكبر

اما الرسالة الجامعية الثانية ، فهي التي تقدم بها الاستاذ احمد الياهوري حول « فن القصة في المغرب » . وقد تبين من عرض الاستاذ الياهوري ، ومن مناقشة الاساتذة ، ان الرسالة تتعرض للقصة المغربية منذ سنة 1914 . وبعد ان تقدم ، بعض المفاهيم المتعلقة بالفن القصصي ، تقسم القصة المغربية الى انواع: كالقصة المقامية ، والقصة (الاجتماعية) ، والقصة القومية ، والقصة الفلسفية ، والاقصص . . . وقد اعتمد صاحب الرسالة كلا من المنهجين النقدي والتاريخي ، ولكنه كما جاء في عرضه ، اهتم بالمنهج النقدي اكثر مما اهتم بالمنهج التاريخي . ويفهم من هذا ان الاستاذ الياهوري يركز على الروابط والعلاقات التي يظهرها النقد بين نماذجه ، اكثر مما يركز على تسلسلها التاريخي . وقد شارك في مناقشة هذه الرسالة الدكتورة : العميد محمد عزيز الجبابي (المشرف) والاستاذ امجد الطرابلسي ، والاستاذ البهيبي ، والاستاذ صالح الاشر ، وانتهت المناقشة بقبول الرسالة بميزة حسن .

اننا بهذه المناسبة نهنئ الاستاذين الجابري والياهوري ، كما نهنئ الكاية والجامعة وكل غيور على الثقافة في هذا البلد ، ونعتنم هذه الفرصة لنهمس بكلمة . في اذن كل من يتحمل مسؤولية ما في ميدان الجامعة او التعليم او الثقافة : ان ما نقدم حتى الآن من رسائل في حياتنا الادبية قليل جدا ، بل زهيد . لا يتناسب بنانا . مع النقص الذي يعانيه بلد متخلف في مضمار الاطر العالية . وان من السهل ان يقال ان حياة جامعتنا وكياننا قصيرة ، وان الامكانيات محدودة . نعم اننا نعرف هذا ونردده جميعا . ولكن الامكانيات تخلق سواء كانت معنوية تتعلق بجهود الطلبة والدارسين المرشحين لتقديم رسائل جامعية ، او كانت مادية تتعلق برجال الجامعة . وهنا نشير الى ما اعلن في مقدمة مناقشة الرسالتين السابقتين ، من سائل لا تزال تحت الدرس ، ومنها من طال بالمتبعين حياة الجامعة ، انتظاره . ان رسالة جامعية واحدة في السنة ، في مادة معينة ليست بالشيء الكثير . بل على الاصح اقل القليل . ومع ذلك فلو ان كل قسم في اقسام الدراسات العليا ، من ادب ، وفلسفة ، تاريخ ، وجغرافيا . . . امكنه ان يقدم رسالة واحدة في السنة لتمكن لمشكلة الاطر العليا ان تسير في طريق ان ، لان رسالة الدبلوم ليست الا عتبة ، لتحضير عادات الاعلى ، وهو ما نعانى منه كل النقص .

قد يكون من الصعوبات التي تعترض هذا بيل ، تهاون او تراخي اصحاب الدراسات (الطلبة)

عن انجازها بمجرد ما يتسلمون موضوع رسائلهم . اذا كان هذا فان واجب الفيورين ، ان يقيدوا زمينا مدة انجاز الرسالة . وهنا قد يقوم اعتراض ، وطالما قام هذا الاعتراض في امثال هذه المواقف . المترض يقول : اننا نريد الجودة ، ونريد رفع المستوى الثقافي . ويقول ايضا : ان المستوى العام للتعليم قد انحط كثيرا . نعم هذا صحيح ، وكلنا نردده علنا وفي سرنا . ولكن علاج الموقف ، وفي التعليم العالي خاصة ، لن يكون ابدا ، باطالة سنوات الدراسة ، لان كل سنة تمضي ، تفوت على بلدنا طاقات ، اولى به ان يشرع في استغلالها . ليس علاج المستوى في التعليم العالي باطالة سنوات الدراسة ، ونحن جميعا نعرف ، من تجارب بعض الامم (الصغيرة في مظهرها ، والتي اعطت مثالا واضحا ، في العزم على نشر التراث وتكوين الاطر الصحيحة) ، ان المنخرط في التعليم العالي ، بمجرد دخول الكلية يسجل في قسمين للدراسة كالادب واللغات الحية مثلا ، وبذلك يهيء اجازتين بدلا من اجازة واحدة ، او على الاقل يتعين عليه عند انتهاء اجازة ، ان يحصل على شهادات معينة في الاجازة الاخرى . ان كل الدول الناهضة تعاني من انخفاض المستوى . وحتى الراقية نسبيا . لكن العلاج بالنسبة لنا هو في تركيز الدراسة ، لا في تمديد السنوات . وحري بالقسم اذا كان يشغل عشر ساعات مثلا ويكلفه ذلك اضافة سنة ان يشتغل ضعف ذلك! بالاضافة الى الدراسات المركزة ، والتوجيه الصحيح ، طيلة السنة .

ان ما نرجوه لجامعتنا هو الازدهار ، وان تكون السنة الدراسية القادمة سنة الرسائل الجامعية ، لا سنة رسالة او رسالتين . وان ما نقترحه لهو الاختيار بين ساعات مضاعفة في اليوم وجهد متواصل من جانب الطلبة والاساتذة ، وريح سنوات تستغل فيها الطاقات ، لخدمة البلاد ، او العكس الذي يؤدي الى العجز سنوات ، وترك كثير من الحرية للاستاذ والطالب على السواء . وان هذا السير المتريث لايسد حاجتنا الى الاطر العليا .

السريالية في نصف قرن

باكتمال سنة 1967 يكون نصف قرن بالضبط قد مضى منذ ظهرت الى الوجود الحركة السريالية . وبهذه المناسبة ظهرت ، عدة دراسات ومقالات عن هذه الحركة التي اثرت في القرن العشرين ابلغ التأثير ، وطبعته بطابعها في كل مجالاته . ولا تقارن بالسريالية في هذا المضمار ، الا الحركة الرومانسية ، عند ظهورها ، والتي كانت قد تجاوزت في عصرها الميادين الاستيقية

« ليون » .. الخ .. وهكذا يقومون بالعمل بأنفسهم، بما بين أيديهم من الوثائق . فلا نسألهم ، ولا نعطيهم ملخصات . وعندما ينتهي الاطفال على هذا النحو من دراسة « الرون » يقوم كل منهم بالقاء عرض حول الموضوع ... » وبهذه الطريقة يهيا الاطفال رغم العمل الحر ، الى الامتحان المطلوب منهم ، وبهذا تكون مدرسة فريني قد حققت هدفها المزدوج ، وهو تربية الاطفال على البحث وعلى الاعتماد على أنفسهم من جهة ، وثقيفهم من جهة أخرى .

ومن جملة ما يقوم به الاطفال في مدرسة فريني ان عروضهم او المحاضرات التي يلقونها ، لا تقف عند حدود مدرستهم ، وعلى اترابهم من تلاميذ الفصل بل انهم يقومون بالقاء محاضرات في مدارس أخرى ، فيتجولون كاي محاضر من الكبار . ومما يذكره فريني في احاديثه هذه ، ان رئيس اكااديمية فرسوفيا قد زار مدرسته ، واقام بضعة ايام ، فطلب منه فريني ان يختبر احد الاطفال ، وكان رئيس الاكااديمية ، مختصا في التاريخ ، وقد حدث ذلك سنة 1960 . ويذكر فريني ان هذا المختص الكبير ، لم يخف دهشته من تصور صمود طفل ، لاسئلته . وبما ان الطفل كان قد القى عرضا حول مصر ، فقد رجا فريني من الرئيس ان تكون اسئلته في هذا الموضوع بالذات . وكانت النتيجة ان المناقشة بين الطفل ورئيس الاكااديمية دارت كما تدور بين ندين ، وكان هذا الطفل قد توجه الى « نيس » حيث القى عدة محاضرات في المدرسة العادية ، وقد تحدث مدة ساعة ، وامامه عدد ضخم من الوثائق ، كما اجاب على عدة أسئلة ، وقد اقترح ان يستمر بعد ذلك في حديثه عن مصر ، اذا كان المستمعون ما يزالون على استعداد لذلك . اما عمر هذا الطفل فهو 13 سنة ، وكان قد نجح لتوه في الشهادة الابتدائية .. وقد ادرك ابواه اهمية تعليمنا ، ولم يريدوا ان يضعوه في ثانوية للتعليم العام ، في « فانس » ، لانهم عرفوا ما يحدث في تلك الثانوية ، فسيشتركون خمسة عشر دفترا ، وكتبا ، ويجب عليه ان ينسخ ما في تلك الكتب ... فعمد ابواه الى ان جعلاه يتلقى دروسا بالمراسلة ، وبدأ الطفل ياتي الى مدرستنا بين الحين والحين ، ولم يكن هذا احسن ما يمكن ، ولكنه كان افضل من ترك الطفل يضيع وقته .

ويضيف فريني « في مدرستنا ، اذا ما امكنك ان تسأل الاطفال فلن يكون لديهم ما يجيبون به كلمة كلمة ، عن ظهر قلب ، بل انهم يجيبونك بطريقة تدل على الذكاء ، لانهم يفكرون . » والتساؤل الكبير هو:

ما مصير هؤلاء الاطفال الذين يتكونون في مدرسة فريني، انهم يغادرون هذه المدرسة في سن 14 ، وهو سن ما زال خطيرا عليهم ، بالرغم مما يكونون قد اكتسبوه من دراستهم الاولى ، فهم قد اطلعوا على كثير من مشاكل الحياة ، وتعلموا الاعتماد على أنفسهم ، وتمرنوا على جهود البحث ، ومع ذلك فلا ندري كيف يمكنهم ان يتلاءموا مع المدارس (الثانويات) ، التي سيدخلونها ، وهي تتبع الطرق التقليدية ، العقيمة في غالب الاحيان بالرغم من جهود المخلصين من المعلمين والمعلمات ، ولكن فريني يرى ان مسؤولية العقم في هذه المدارس لا تقع على المعلمين والمعلمات بالذات ، « بل انهم سحاياء » ذلك ان مناهج التعليم عندما تجعل من مهمة المعلمين والمعلمات ، ان يدرسوا الاطفال ، اشياء لا يرغبون فيها ، وفي ظروف غير مساعدة ، تعتمد الالزام والقهر ، انما يعرضونهم لخطر عمل ، ولاعوص دور .

دراساتنا العليا

توجت السنة الدراسية هذا العام بكلية الاداب بالرباط بظاهرة طيبة ، لا يسمع كل غيور على الثقافة في هذا البلد ، الا ان يطرب لها ، ويطلب المزيد منها . تلك هي مناقشة رسالتين لنيل دبلوم الدراسات العليا . تقدم بالرسالة الاولى ، الاستاذ عابد الجابري ، حول موضوع : التاريخ والتاريخ في المغرب (منذ الاستقلال) على ضوء منهج ابن خلدون . وموضوع الرسالة بهذا الاعتبار يتضمن جانبين احدهما فلسفي والاخر تاريخي . فالجانب التاريخي هو الذي يتناول فيه صاحب الرسالة المؤلفات التاريخية (التاريخ والتاريخ) ، التي ظهرت في المغرب منذ استقلاله ، ويحاول ان يقوم بدراسة نقدية عنها ، وهذه العملية النقدية التي يمارسها المؤلف هي التي تدفعنا الى الجانب الثاني ، من الرسالة اعني الجانب الفلسفي . فالمؤلف يصطنع منهج ابن خلدون ، او هو يسير على « ضوء المنهج » . ومنهج ابن خلدون منهج نقدي ، وهو منهج فيلسوف قبل كل شيء ، كما ان صاحب الرسالة متخرج من قسم الفلسفة بالكلية ، وقد قدم الاستاذ الجابري عرضا موجزا ، لما جاء في رسالته ، بين فيه محاولته ، وشرح بعض الجوانب المنهجية في دراسته . ثم بدأت المناقشة . وقد شارك فيها كل من الدكتور : العميد محمد عزيز الحبابي (المشرف على الرسالة) ، والاستاذ نجيب بلدي ، والاستاذ البير نصري نادر وانتهت المناقشة بقبول دراسة الاستاذ الجابري بميزة مستحسن .

نشأ مولانا عظم الأوفاف والشؤون الإسلامية

صاحب الجلالة يضع الحجر الاساسي

لبناء مسجد الحسن الثاني بتطوان

تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله فوضع الحجر الاساسي لبناء مسجد جديد بمدينة تطوان ، وذلك يوم الجمعة 21 تننبر اثناء الرحلة الملكية الميمونة للشمال المغربي في الصيف الماضي .

وفد حضر هذا الحفل التدشيني الساده الوزراء ، وعلماء المدينة واعيانها الذين تقدموا للسلام على جلالة الملك نصره الله ، بينما كانت الجماهير الفقيرة تهتف بالدعاء ، وتصفق بالاكف ، وتحني مشاريع صاحب الجلالة الانمائية والعمرانية .

وقد قدم بهذه المناسبة الدينية احد المهندسين شروحا مفصلة لجلالة الملك عن تصاميم هذا المسجد الذي تبلغ مساحته 3 530 مترا مربعا ، وائر ذلك غادر جلالته المكان الذي يشيد فيه المسجد عائدا الى قصره العامر ، في رعاية الله وحفظه ، وسط هتافات الجماهير الشعبية الفقيرة التي كانت تدعو لسيدنا ولولي العهد سيدي محمد بالبقاء وطول العمر .

صاحب الجلالة يامر بتنظيم دروس حديثة

بالضريح الحسني

في نطاق الاستعداد للدروس المولوية التي يجيها سيدنا المنصور بالله بمناسبة شهر رمضان نظم استدعى معالي وزير الاوقاف والشؤون اسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش اجلة العلماء شخصيات الرموقة الى الحضور للضريح الحسني دور السعيد للاستماع الى سلسلة من الدروس نة التي سيلقيها ثلة من طلبة دار الحديث الحسنية شهر رجب وشعبان مساء كل خميس ابتداء الساعة الخامسة .

وكان يوم الخميس 19 - 10 - 67 اول موعد لالقاء اول درس بالضريح الحسني القاه الفقيه السيد محمد التائب خريج دار الحديث الحسنية في موضوع الحديث الشريف :

من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ... الحديث . وهذه الدروس تعتبر سنة حميدة سنها ملوكنا العلويون الذين كادوا ان ينفردوا بها بين ملوك الاسلام حيث يدعون اليها كبار العلماء من عموم المملكة فيفدون عليهم مزودين مكرمين .

فكان اذا اظلتهم الشهور الثلاثة صدرت المكتوبات السلطانية الى قضاة المملكة وعمال الاقاليم ليختاروا العلماء الاجلاء ويوجهوهم معززين الى الحضرة الشريفة محفوفين بكل عناية في الذهاب والاياب ، فاذا وصلوا الى الحضرة عينت لهم الدور التي ينزلون فيها ، والمراكب التي يستعملونها وتجرى عليهم النفقات الكافية .

وكانت المناقشة تجري اثناء تلك الدروس ، ولا سيما في العهد الحفيظي ... حيث كان النقاش يحتدم بين العلماء المحافظين والعلماء المجددين وكان السلطان يتدخل كثيرا لحسم الخلاف او لتوجيه المناقشة نحو الوجهة الصالحة .

ومولانا الحسن الثاني حفظه الله حريص كل الحرص على طبع دروسه المولوية بطابع المناقشة واضفاء روح البحث ومبادلة الآراء حولها ... وهذه الدروس ان دلت على شيء فانما تدل على الاهتمام البالغ ، والعناية الخاصة التي يوليها صاحب الجلالة اعزه الله لشؤون الدين ، وحرصه الاكيد على ان تستمر رسالة الاسلام وثقافته بهذه البلاد كأكبر ضامن لحفظ كيانها ، وتحقيق فلاحها .

وتجدر الإشارة الى ان الاذاعة تبأشر الان تسجيل هذه الدروس الدينية لتقدمها للمستمعين طيلة شهر رمضان المعظم .

في زورخ عام 1916 الشاعر الروماني « ترسيان تزارا » والذي جعل وضع بعض اهدافها بقوله : « لقد ادركنا اننا لا نستطيع ايقاف الحرب ، الا باستئصال جذورها ... » وجذور الحرب في الحقيقة هي جذور الحضارة والمدنية ، ومن هنا امتلات نفوس الداديين بالقتل لكل حضارة أو على الاصح الحضارة أو المدنية الحديثة ، ومن الاسر الحضارية التي كان ينبغي القضاء عليها كما يذكر تزارا : المنطق واللغة ... وكان هذا الانقلاب ، الذي دعي اليه في الشعر اولا ، يعني تغيرا اساسيا في النظرة الجمالية كلها ، أي تغييرا للعالم من اساسه . وفي فرنسا اذ ذلك كانت النظرة التي ما تزال سائدة رغم كل شيء ، هي نظرة « ابولنير » ، الذي كان ما يزال « الراس المفكر » . ووجدت الدادية معارضة من بعض الهيئات والمجلات ، ومع ذلك امكنا ان تتسرب ، فانضم اليها بعد ذلك اندري بروطن و ايلوار . ونشر كل منهما تباعا اعمال الفترة الجديدة التي تشكل انقلابا في حياتهما الادبية ، وتقلب رؤياهما المعهودة راسا على عقب . وبينما ساهم بروطن باعمال نشرة ، فان ايلوار نشر باقات شعرية ، وكل ذلك يتميز بروح الثورة الادبية الجديدة ، وان كانت معالمها لم تحدد بعد . وانضم الى الجماعة فيليب سوبو وهو متأثر الى حد بعيد باتجاه ابولنير ، وكان هذا الاخير ، هو الذي قام بتقديمه الى الداديين اذ ذلك : اراجون وايلوار .

وانضم آخرون الى هذه المجموعة من كبار السرياليين ، واسسوا في سنة 1919 مجلة *Littérature* واصبحت المجلة ، ميدان الانتاج السريالي من شعر ونثر . وكان من أهم ما نشر بها في النشر *Les champs magnétiques* التي حررها بروطن مع بعض من رفاقه ، وكانت ضربا جديدا من الكتابة النثرية ، يعتمد على الكتابة التلقائية ، التي لا يراقبها عقل أو منطق . ولم يلبث تزارا ان قدم الى باريس ، حاملا معه ضجته المعهودة ، فساهم مع الآخرين في الطريق الذي سلكته السريالية الى الآن : والذي اتضحت مبادئه واهدافه في « البيانات السريالية » . وعمت هذه الحركة كما هو معروف ميادين النحت والتصوير ، بل كما جاء في مقدمة هذا الحديث ، عمت سائر مرافق الحياة ، ولم يكن يشبه في ذلك الا حركة الرومانسية عند ظهورها .

الرباط - مبارك ربيع

(الجمالية) ، لتعم سائر مجالات النشاط البشري . والسريالية بدورها لم تقتصر على التأثير في طريقة التفكير ، بل تعدته الى التأثير المباشر ، في طريقة الحياة اليومية . ونقدم هنا عرضا موجزا ، لمقال (1) « جان روسلو Jean Rousselot » حول ملف السريالية في نصف قرن .

واذا كانت الرومانسية يمكن ان تظهر كمثالية متطرفة لا اكثر فان السريالية ما كانت لتكون اكثر من مثالية جديدة ايضا لو انها لم تعمل بطريقة عملية على حل الثنائية اللازمة ، التي تتضمنها كل مثالية . وهذا الراي الذي يقدمه روسلو يجد مصداقه ، في اعتبار السريالية أن الانسان انما هو حقيقة واحدة وحيدة . وان ما يعرض في كل الايديولوجيات ، من رد الانسان الى عالين احدهما ظاهري ، والآخر باطني ، انما هو تقسيم لما يجب الا ينقسم ، لما هو وحدة في اصله . فالانسان هو التحام حقيقته الباطنية والخارجية . هذه هي الوحدة التي ردتها السريالية الى الانسان وخرجت بذلك عن ثنائية محرجة .

واذا كان عمر السريالية الى الآن ، نصف قرن ، فان هذا الاسم ذاته بالرغم من انه مقارن للحركة ، لا يعرف على وجه التحقيق واضعه الاول . وان كانت دائرة الاختلاف لا تتعدى ثلة من رواد السريالية او ممن عرفوا بشدة الاتصال بها . ويعرض « موريس نادو » في تاريخه عن السريالية رسالة صادرة في شهر مارس 1917 ويبدو من صيغتها انها جواب عن خاطرة او احياء من المرسل اليه (بول ديرمي) جاء فيها :

« ... اعتقد أن المستحسن هو اتخاذ لفظ السريالية بدلا من *Surnaturalisme* (الفوق - طبيعية) ، الذي سبق ان استعملته . والسريالية لا توجد الى الآن في القواميس ، بينما سبق استعمال (الفوق - طبيعية) عند الفلاسفة . » على ان هذا اللفظ قد ينسب الى آخرين ، البير بيرو مثلا . وقد بدأت الارهاصات الممهدة لظهور الحركة السريالية في جبل بلاد اوربا : في فرنسا وايطاليا وروسيا ... واعمال الفترة ما بين 1910 - 1916 ، سواء في الشعر او في النثر امتازت جلها بطابع من القلق ، والعمل على الانفلات من قبضة الواقع ، والانغمار في التجريد . بيد ان الخطوة المباشرة ، كانت في قيام حركة « الدادية Dadaisme » التي اسسها

وفقمك الله واعانكم وسدد خطاكم والسلام عليكم
ورحمة الله تعالى وبركاته .

« وفد من العلماء بوزارة الاوقاف »

زار وفد من السادة العلماء بتقديمهم فضيلة
العميد السيد جواد الصفلي رئيس المجلس العلمي
لجامعة القرويين العامرة وزارة عموم الاوقاف
والشؤون الاسلامية ، وقد استقبلهم معالي الوزير
السيد الحاج احمد بركاش بمكتبه حيث دارت المذاكرة
خلال هذه الزيارة في شؤون دينية غايتها تنشيط حركة
التوجيه الاسلامي ، والبعث الروحي للقيم الاخلاقية .

وقد ختمت هذه الزيارة بالدعاء وطول البقاء
والنصر والتأييد لمولانا الامام امير المومنين الحسن
الثاني نصره الله الحارس الامين على مقدسات هذه
الامة .

تدشين مدرسة قرآنية علمية بارفود

توجهه سعادة الكاتب العام للشؤون الاسلامية
بوزارة عموم الاوقاف الاستاذ الحاج عبد الرحمن
الدكالي نيابة عن معالي وزير الاوقاف والشؤون
الاسلامية الى اقليم تافيلالت لتدشين مدرسة قرآنية
علمية بارفود .

وقد وجد في استقباله عامل الاقليم ورئيس
الدائرة وفضيلة القاضي وناظر الاحباس . ثم توجه
سيادته الى المدرسة حيث وجد بيباب
المدرسة جمهورا غفيرا من المواطنين الذي اظهر فرحا
وابتهاجا بتدشين هذه المدرسة العلمية القرآنية التي
حات اسم والده سيدنا المنصور بالله .

وتقدم الشريف مولاي مصطفى العلوي مدير
دار الحديث الحسنية الذي رافق سعادة الكاتب
العام في هذه الرحلة الى اقليم تافيلالت فالتقى كلمة
قصيرة قدم فيها الى الحاضرين الاستاذ السيد عبد
الرحمان الدكالي منوها بوطنيته ونشاطه العلمي ،
وعمله في ميدان الشؤون الاسلامية ، ثم تقدم الاستاذ
عبد الرحمان الدكالي فالتقى خطابا قيما استغرق حوالي
نصف ساعة اشاد فيه بالروح الوطنية والعلمية التي
يمتاز بهما سكان الاقليم ، كما ذكرهم بفضيلة العلم
وتعاطيه وعناية صاحب الجلالة الملك المعظم نصره الله
بنشره وفتح ابواب المدارس على اختلاف انواعها
ومستوياتها في وجه عموم المواطنين لا فرق بين غني
وفقر ، وسكان المدينة وسكان البادية ، ثم توجه

وان هذه الفطرة التي فطر الله عليها ابناء هذا
الشعب ، قد بلور معالمها ، واذكاها في نفوسهم ملوكنا
العلويون قدس الله ارواحهم في عرصات النعيم ، فكانوا
يولون عناية خاصة لهذا الجانب الديني العظيم .

ويرعون حملة القرآن بجميل رعايتهم ، وفائق
عنايتهم ، ويحضون رعايتهم على تعلم القرآن وتعليمه
والعمل بارشاده وتعاليمه ، مما تزخر به كتب التاريخ ،
ويسجله لهم بمداد الفخار والاعتزاز .

وها هو وارث سرهم ، وواسطة عقدهم ، امير
المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وابده يسير
على نهج اسلافه المنعمين ، ويضيف الى امجادهم امجادا
ستعطر ذكره الشريف على مر الاعوام والسنين وتبقى
نوره ساطعا الى يوم الدين . بما يؤثل من امجاد لهذه
البلاد ، لصالح دينها وديناها ، وعاجلها واجلها ، وما
هذه المدرسة التي تحمل اسم ولي عهده المحبوب سيدي
محمد الاحسنة من حسناته القر ، ويد من اياديه
البیض التي يثبت بها اركان الدين بهذه الديار ، ويعلي
لكتابه الكريم المنار ، وكان قدرة الله عز وجل قد
اختارنه نصره الله ليتولى على القرآن الذي ضمن الله
حفظه عندما قال عز من قائل : « انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون » .

ايها الاخوة المومنون ، في ساعة الخير هذه ، وفي
هذا الجمع الحافل الذي لا نشك ان الرحمة قد
غنيت به ، وملائكة الرحمان قد حفت به وذكره الله
فمن عنده ، نرفع اكف الضراعة والابتهال الى المولى
الكبير المتعال بان يحفظ امير المومنين مولانا الحسن
الثاني بما حفظ به كتابه المبين ، وان يقيه سندا
للاسلام والمسلمين ويجعله في كنف السبع المثاني
والقرآن العظيم ، ويمطر شآبيب رحمته وغفرانه على
الملك الصالح مولانا محمد الخامس رضي الله عنه ،
وان يحرس بعين رعايته ولطيف عنايته صاحب السمو
اللكي ولي العهد المحبوب وسائر الاسرة الملكية الكريمة
سمن على المسلمين بنصر من عنده يعيد اليهم عزهم
سولتهم ان ربي سمیع الدعاء .

وقبل الختام اتوجه اليكم معشر الاساتذة والطلبة
احضكم على الجد والاجتهاد والمواظبة الكاملة حتى
نوا عند حسن ظن امير المومنين بكم ، وتؤدوا الامانة
نائة على عاتقكم خير اداء ، والرسالة الخالدة التي
ب ان يورثها الآباء للابناء حتى تبقى كلمة الله عالية
جبة بهذا الوطن العزيز .

حضور معالي وزير الاوقاف في الموسم الديني

لدار زهيرو بطنجة

ترأس معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الإسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش يوم 15 - 9 - 67 حفلة دينية كبرى بمناسبة موسم دار زهيرو الذي يقام كل سنة في فحص طنجة .

وقد حضر هذا الحفل الديني الكبير الى جانب السيد الوزير عامل الاقليم مولاي الطاهر العلوي ، ورؤساء المجالس القروية والعلماء والاشراف والطلبة ، وجمهور غفير من المواطنين الذين احيوا هذا الموسم الديني بتلاوة الذكر الحكيم ، والترحم على روح فقيد العروبة والاسلام محمد الخامس طيب الله بالرحمة ثراه ، والدعاء لصاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني بالنصر والتأييد .

وقد كانت دار زهيرو بهذه المناسبة عبارة عن مجتمع ديني حافل عظيم اقيم لاحياء هذا الموسم القرآني .

ومعلوم انه توجد بدار زهيرو مدرسة ولي العهد سيدي محمد التي تخرج منها مجموعة من الطلبة يرتلون الذكر الحكيم بالقرآيات السبع .

وقد القى بهذه المناسبة السيد الوزير الحاج احمد بركاش كلمة تحدث فيها الى الطلبة وبلنهم عطف صاحب الجلالة الملك المعظم ، كما سلم اليهم منحة مولوية كريمة .

وقد جاء في خطاب الوزير :

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله واصحابه حضرات السادة المحترمين

ان خير ما يفتتح به هذا الحفل الكريم في هذه الدار التي اسست على تقوى من الله ورضوانه هو قبس من ذلك النور الذي اختارها الله لتكون مشرقا له ومركز اشعاع لتعاليمه ، ذلك القبس هو قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وبعد فان ازكى ساعة من عمر المومن ، واسعد لحظة في حياته لهي اللحظة التي يعيش فيها مع كتاب الله عز وجل يتلوه بلسانه ، ويتدبره بعقله ، ويفتح له

صدره ، وتسمو به روحه ، ذلكم ان هذا القرآن الذي اعجز الثقلين ان ياتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، جعله الله نبراسا يضيء لنا الحياة ، وتوكبا ذريا يبين لنا سواء السبيل ، ونورا يوضح لنا البر والخير والرشاد ، ويدلنا على طريق الفوز والسعادة في معاشنا ومعادنا ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما » .

وان من حمل هذا النور الى الناس كافة ، وارسله الله به رحمة للعالمين هو الذي عرف هذا القرآن اصدق تعريف عندما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم : ا فيه نسا من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ، هو حبل الله المتين . ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنه ، ولا تشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يصله الانقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عجل به اجر ، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم .

هذا ايها الاخوة المومنون هو كتاب الله عز وجل ، الذي نحتفي في هذا اليوم المبارك بحامليه من معلمين وطلبة ، فنحمد فيكم ايها الابرار هذا الخير الجزيل ، والفضل العظيم الذي خصكم الله به عندما يسركم لحفظ القرآن افضل كتاب على الاطلاق ، فكنتم بذلك صفوة الناس ، تنطبق عليكم وعلى امثالكم بشارة رسول الله ص القائل : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . والقائل في الحديث الشريف الذي اخرج الامام عن انس بن مالك رضي الله عنه : ان لله اهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله ؟ قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته .

وان من جميل عناية الله سبحانه بهذا الوطن ، شرح الله صدور ابنائه لحفظ كتابه المقدس من اشرفت شمس هداية الاسلام على ربوعه الطيبة ، فعرفوا على مر العصور والاحقاب بتفانيهم في القرآن الكريم ، يحفظونه حفظا متقنا ، ويتدارسون قراءاته ، ويعتنون بتجويده ، ويلقنونه لابنائهم منذ نعوم اظفارهم ، وريعان شبابهم .

وقد خصصت الوزارة مكافأة نقدية لكل واعظ مقترح .
وفيما يلي جدول توزيع الوعاظ في اقاليم المملكة :

| عدد الوعاظ المقترحين في كل عمالة | اسم العمالة أو الاقليم |
|--|---------------------------|
| 28 | عمالة مدينتي الرباط وسلا |
| 38 | عمالة اقليم القنيطرة |
| 48 | عمالة مدينة الدار البيضاء |
| 58 | عمالة اقليم الدار البيضاء |
| 28 | عمالة آسفي |
| 58 | عمالة اكادير |
| 18 | عمالة طرفاية |
| 58 | عمالة مراكش |
| 18 | عمالة اقليم ورزازات |
| 48 | عمالة قصر السوق |
| 28 | عمالة بني ملال |
| 38 | عمالة مكناس |
| 48 | عمالة فاس |
| 28 | عمالة تازا |
| 38 | عمالة اقليم وجدة |
| 38 | عمالة الناظور ومليلية |
| 38 | عمالة اقليم الحيمة |
| 18 | عمالة مدينة طنجة |
| 62 | عمالة تطوان |

الجيش ، اذ ان عقيدتهم تركز على انتظار ثورة عارمة يهلك فيها ثلثا سكان المعمور ، ولا ينجو فيها الا من اتبع معتقداتهم الى غير ذلك من الترهات والباطيل التي من شأنها ان تزعزع الناس عن عقائدهم .

وان بلادا يحرسها صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله ونصره ، لا يمكن ابدا ان تصبح مسرحا لبث هذه الدعايات المفرضة للنيل من ديننا الحنيف خصوصا وان البلاد الاسلامية الاخرى قد قضت نهائيا على هذه الهيات التبشيرية ، وطهرت منها البلاد ، وازالت اخطارها عن المسلمين ...

القسم الفلاحي

نتائج الجولة التفقدية التي اجريت من طرف رئيس قسمي الفلاحة والمنازعات بوزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية من 27 الى 29 سبتمبر 1967 بناحيتي الصويرة ومراكش ومن 23 اكتوبر الى 24 منه في ناحية الجديدة

(1) الصويرة

اولا :

وقع اجتماع بممثلي الزاوية الكراتية حيث درست خلاله عدة قضايا تتعلق بالخصوص :

1 - بكيفية انجاز عملية تحفيظ الاراضي الشاسعة المحبسة على حفدة الولي الصالح سيدي علي الكراتي فخطط برنامج لهذه الغاية بمحضر ممثلي الزاوية الكراتية ، والناظر والنائب المحلي

2 - بدراسة قضية الديون الفلاحية المتخلدة في ذمة بعض المكثرين ، فتعهد ممثلو الزاوية الكراتية بمد يد المساعدة للاجاس فيما يخص استخلاص هذه الديون .

3 - بقضية تشجير بقية اراضي الزاوية الكراتية التي لم يشملها لحد الآن هذا المشروع ، فالح المجتمعون على ضرورة استئناف هذه العملية .

ثانيا :

وقع الطواف صحبة مدير ادارة المياه والغابات على الاراضي الحبسية التي سيشملها التشجير ابتداء من سنة 1968 ، وذلك في نطاق التصميم الخماسي، والشئ الذي يبعث على الارتياح هو ان المدير المذكور ابدى رغبته واستعداده الكامل لتشجير مائتي هكتار

مقاومة حملات التضييل والتبشير

تشن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في هذه ايام حملة واسعة النطاق بوسائلها الخاصة ضد بعض المضويين الذين يبثون الشكوك ضد معتقدات الناس اعمين بانهم ينتسبون للمسيحية ، وهي منهم براء ..

والواقع ان اغلب هؤلاء خارج ومتمرد عن كل تأس المعروفة في العالم ، وان معتقداتهم تخالف جاء في الثورا والانجيل من تعاليم ، وان مبادئهم الاعتراف بالاوزاع القائمة في العالم .

فهؤلاء المفرضون الفوضويون يضمرون العداء الحكومات ، ويوصون مريديهم بعدم الانخراط في

وقد بلغ السيد الطنجي ابناء المرحوم السيد محمد المذكوري تقدير وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لعملهم الجليل ، وشكرهم على اريحياتهم وغيرتهم الدينية .

وختم الحفل الديني بالدعاء لصاحب الجلالة مولانا امير المؤمنين بالنصر والتأييد وطول العمر .

بمناسبة الاسراء والمعراج

وزعت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على خطباء المساجد في جميع اقاليم المملكة المغربية خطاباً في موضوع الاسراء والمعراج بمناسبة يوم السابع والعشرين من رجب الفرد الذي حلت فيه هذه الذكرى العظيمة التي سجلها سبحانه وتعالى في محكم كتابه فقال :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياته ، انه هو السميع البصير »

ولقد تضمنت الخطبة التي القيت بالمساجد الجامعة في جميع انحاء المملكة ابراز معاني هذه الذكرى العظيمة ، ولا سيما في الظروف التي تجتازها البلاد الاسلامية ، التي يجب على المسلمين ان يستوحوا منها قوة العزيمة ، وتطهير النفس لخوض الفترات في سبيل الحق ، ونيل الفضائل ، وتوحيد الكلمة ، والتشام الشمل .

تنظيم حملة الوعظ والارشاد الديني

لشهر رمضان المعظم

قررت الوزارة تنظيم حملة وعظ وارشاد في مختلف مساجد العمالات واقاليم المملكة خلال شهر رمضان المعظم تنفيذا للرغبة المولوية السامية ..

وقد استعانت الوزارة على تنظيم هذه الحملة بالسادة العلماء والسلطات المحلية والقضاة الشرعيين ونظار الاوقاف

كما وجهت الوزارة منشورا الى جميع السادة النظار قصد الاتصال في الموضوع ، بالسيد عاملاً الاقليم او المدينة لدراسة الترتيبات اللازمة لتعيين لجنة محلية تضم ممثلين عن رجال السلطة ، والقاضي الشرعي ، وعالمين يسند اليهما اختيار الوعاظ لاد مهمة الوعظ والارشاد طيلة شهر رمضان المقبل فمختلف مساجد المملكة .

بالدعاء الى الله في ان يحفظ مولانا الامام ويقر عينه بولي عهده ، ويصون امته من كل مكروه وكانت كلمات سعادته تقاطع بالتصفيقات الحارة والدعاء لمولانا الامام .

وقد عقد مع رجال السلطة وفضيلة القاضي والناظر اجتماعاً تناول فيه اهم الاعمال التي تضمن سير المدرسة ونجاحها ، وقد وجد من المسؤولين بهذا الاقليم كل تفهم واستعداد وعناية .

ثم طاف سعادته بمرافق المدرسة التي تضم عدة اقسام ومطبخاً وقاعة للاكل ، وقاعتين للنوم صحبة مدير المدرسة والسلطة المحلية .

تدشين مسجد جديد بناحية بولمان

كما توجه السيد مولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية بالرباط نيابة عن معالي الوزير الى آيت حمزة بدائرة بولمان لتدشين المسجد الجديد الذي بناه جماعة من المحسنين من سكان هذا الاقليم .

وقد رافق مدير دار الحديث في حفلة التدشين السيد مصطفى قميحة الكاتب العام للعمالة ورئيس الدائرة وناظر احباس صفرو وبعض الشخصيات ...

والقى في جموع المؤمنين خطاباً ضمنه آيات واحاديث عن اثر المسجد وفعاليته في تربية النفوس ، كما اوضح لهم الدور الذي قام به في العصور الاسلامية ثم بلغهم عناية حكومة صاحب الجلالة ورعايتها لشؤون الدين .

وقد اختتم هذا الحفل الديني بالدعاء لمولانا امير المؤمنين جلاله الحسن الثاني حفظه الله ونصره .

تدشين مسجد بقرية الكارة

في اقليم مدينة الدار البيضاء

انتدب معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الفقيه السيد محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد لينوب عنه في تدشين المسجد الذي شيده المرحوم القائد محمد المذكوري وابناؤه بقرية الكارة بقبيلة المداكرة باقليم الدار البيضاء .

وقام بالقاء خطبة الجمعة السيد محمد الطنجي بحضور رجال القضاء والسلطة المحلية والسيد ناظر الاوقاف لمدينة الدار البيضاء وجمهور غفير من المواطنين .

اما بناء دار فسوف لا يتجاوز مبلغ 6000 درهم
وان كراءها يقدر بـ 100 دراهم .

رابعا : تنفق المصاريف المخصصة لهذا المشروع
من المداخل الواردة من تطبيق مشروع التجزئة .

خامسا : ان تعاونية لالة ميمونة مستعدة
للمساهمة مع الاحباس في انجاز المشاريع الانفة الذكر.

مشروع التجزئة والبناء

بقريّة لالة ميمونة

بعد طواف اللجنة المشار اليها آنفا على جميع
اركان العرصة الحبسية الموجودة في وسط قرية
لالة ميمونة ووقوفها على المسجد والدكاكين المجاورة
له وبعد تجولها على سائر مرافق القرية المذكورة وبعد
المذاكرة مع رئيس التعاونيات السيد المعيزة قرر ماياتي:

اولا : تقع تجزئة العرصة بكاملها ثم يشرع في بيع
او كراء القطع الناتجة عن هذه العملية بواسطة السمرة
العينية .

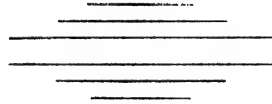
ثانيا : تبني حوانيت ودور للسكنى من مدخول
هذه التجزئة وعلى سبيل المثال فان بناء متجر لا يتطلب
اكثر من 1 500 درهم وان مبلغ كرائه يقدر بـ 20
درهما في الشهر .

اما ثمن بناء دار فيقدر بـ 5 000 درهم بينما
يقدر كراؤها بـ 80 درهما في الشهر .

ثالثا : يشيد مسجد فسيح داخل القطعة المذكورة
حيث ان المسجد الحالي العتيق اصبح غير كاف لايواء
سائر المصلين .

رابعا : يقع هدم الحوانيت المحاطة بالمسجد نظرا
لبشاعة منظرها حيث تظهر عبارة عن اكواخ خصوصا
وان موقعها يوجد في مدخل القرية النموذجية .

خامسا : ان هيئة التعاونيات مستعدة للمساهمة
مع الاحباس في انجاز المشاريع المشار اليها اعلاه .



رابعاً :

نظرا لتوفير جنان السفيناني على كمية هامة من الماء ، فان نظارة كبرى مراكز ستتابع غرس اشجار الزيتون والشمش في السنة المقبلة حيث من المقرر ان تفرس على الاقل في كل سنة الفين من الاشجار .

(3) الجديدة :

وقع الطواف على ارض شاسعة مشتملة على 360 هكتار تنوي الوزارة شراءها لاجل تشجيرها ابتداء من هذه السنة باشجار الكلبتوس .

كما وقع الطواف على ارض الرافعي المشتملة على 500 هكتار المفروسة منها مساحة 150 هكتارا والتي تنوي الوزارة الشروع في غرس ما بقي منها بدون تشجير ابتداء من هذه السنة وذلك بوسائل النظارة الخاصة من جهة ، وبمعاونة ادارة المياه والغابات من جهة أخرى .

في ميدان التنمية

مشروع التجزئة بمولاي بوسلهام

بعد الوقوف على عين المكان يوم الاثنين 11 شتنبر 1967 صجبة المهندس المعماري السيد احمد قبول وبحضور ناظر احباس وزان وشيخ القبيلة تقرر القيام بالاعمال الآتية :

اولا : وضع علامات حجرية على القطع التي وقع تخطيطها منذ سنة ، واكرت بواسطة السمرة العلنية بينما بقي الاداء معلقا في انتظار تطبيق هذه العملية والجدير بالملاحظة ان المبلغ الذي ارسدت به السمرة يقدر بـ 6 000 درهم .

ثانيا : الشروع في تجزئة بقية الاراضي حسب قطع تتراوح مساحاتها ما بين 200 مترا و 500 مترا مربع سيتخصص لبناء دور للاصطياف ، قصد اكرائه عن طريق السمرة العلنية قبل حلول موسم الصيف المقبل .

ثالثا : انشاء سوق عصري ودور للسكنى فوة بالتعاون مع ممثلي التعاونيات التابعة لقرية لاميون خصوصا وان البناء سوف لا يتطلب صوائر باهظة فعلى سبيل المثال سيكلف بناء متجر (4 م + 5 م) مبلغ 2000 درهما يقدر ثمن كرائه بـ 30 درهما في الشهر

في كل سنة من السنوات الخمس المقبلة بعد الحصول كتابة على موافقة الوزارة وايرام عقود في هذا المضمار .

وائناء هذا الطواف وقع الاختيار على الاراضي المجاورة للطريق الرئيسية المارة من الصويرة الى الدار البيضاء حيث سيقع الشروع في غرسها ابتداء من السنة المقبلة وهي الفترة الاولى من التصميم الخماسي ثم يلي هذا المشروع تشجير الاراضي المنحدرة والتي لا ترد نفعا لا على الاحباس ولا على الفلاحين القاطنين بها .

(2) مراكز

اولا :

لقد اسفر الاجتماع الذي انعقد في 29 - 9 - 67 مع مدير ادارة المياه والغابات بمراكز على النتائج الآتية :

1 - يقع تشجير عدة اراضي حبسية في نطاق التصميم الخماسي وسيشمل هذا المشروع في البداية تشجير مساحة 90 هكتارا من الارض الحبسية الشاسعة المسماة السفيناني والتي تبلغ مساحتها 250 هكتارا .

2 - بعد الطواف الذي سيقوم به سيادة المدير المذكور صجبة الناظر عبر الاراضي الحبسية الاخرى التابعة لضواحي مراكز سيقع تعيين القطع التي ستفرس في السنوات المقبلة .

3 - وفيما يخص انواع الاشجار التي سيقع عليها الاختيار فان هذا الامر مرتبط بنوع التربة وامكانيات السقي وجودة الدخل عند بيع الفلة .

ثانيا :

وقع الشروع منذ شهر سبتمبر 67 في بناء بشر جديدة وصهريج وسواقي عديدة في جنان امصنجي التابع لنظارة صفري مراكز ، هذا الجنان الذي يحتوي على 150 هكتارا والذي تم تشجيرها باشجار الزيتون والشمش والكلبتوس على غرار ما يشاهد في جنان اكدال الشهيرة .

ثالثا :

كلف الخبير الفلاحي التابع لنظارتي كبرى وصفري مراكز بتهييء 12 000 نقلة من الزيتون المخصصة لنظارة العرائش حيث ستفرسها هذه الاخيرة في مستهل سنة 1968 .

* « القراءة العربية لأقسام الشهادة الابتدائية »
ذلكم هو الكتاب المدرسي الذي قرره وزارة التربية
الوطنية استعماله في مدارسها، وهو من تأليف الاساتذة:
محمد محي الدين المشرفي ومحمد بن زيان، وبمشاركة
محمد بن عمرو الطمار، والجيلاني فاصلا .

وقد عمل المؤلفون ما وسعهم العمل بفضل الطبعة
الجديدة للكتاب على صيانة شاملة من حيث لفته
وشكله ومضمونه من كل العثرات والاطفاء .

والكتاب يحمل طابعاً مغرباً صرفاً وله صلة
وثيقة بالبيئة المغربية . ويساير واقع الحياة الحضارية
التي يجبها الأطفال المغاربة باعتبارهم ينتمون الى بلد
متحضر .

* الكاتبة الالمانية المعروفة الدكتورة ليكريست
هونكة . قامت بزيارة للمغرب ، واتصلت بمفكره
وكتابه ، وألقت عدة محاضرات . ويعد كتابها « شمس
الله تسطع من الغرب » اهم كتبها ، الذي أضفى عليها
شهرة كبيرة في الاوساط العربية وغير العربية . وقد
برجم هذا الكتاب الى اللغة العربية .

* اقام الشاعر المغربي كمال الزبدي معرضاً لرسومه
بتاعة العرض بفندق حسان .

* قدمت الى المغرب بعثة من الخبراء السوفييت
في علم الجيولوجيا ، برئاسة الدكتور دياكوف ، وقامت
سلسلة من الدراسات المتعلقة بالتنقيب عن البترول في
المغرب . كما ستقدم الى بلادنا بعثة أخرى من خبراء
طبقات الارض التشكيين . حيث سيقومون بدراسة
جيولوجية بمنطقة ورزازات .

* اصدرت المطابع الفرنسية اخيراً ترجمة لكتاب
جليزي بقلم المستر مارتن لينغ من كبار موظفي المتحف
ريطاني ، وموضوع الكتاب هو الشيخ أحمد العلوي ،
الجزائر . وقد اطلق المؤلف الانجليزي على كتابه
اسم : « مسلم من اولياء الله » .

* نظم مركز الدراسات والبحاث الاقتصادية
اجتماعية اجماعة تونس ، منذ خامس اكتوبر مناظرة
جغرافية المغرب العربي ، حيث شارك فيه علماء
افيون من المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وكذا علماء
رافيا الاجانب المخصصين في هذا الموضوع . وقد
المغرب في هذا المؤتمر الاستاذ اسماعيل العلوي .

* فجعت الاوساط الثقافية والادبية في تونس
ب وفاة الاستاذ احمد خير الدين ، الشاعر الذي واكب
النهضة الفكرية والادبية .

* صدرت عن « نادي القصة لابي القاسم الشابي »
بتونس ، الحلقة الرابعة من دوريتها القصصية .

* ستصدر مجموعة كبيرة من قصص الاطفال ،
عن الدار التونسية للنشر .

* فاز القاص التونسي محمد الصالح الجابري
بجائزة علي البلهوان بلدية العاصمة على قصته « يوم
من ايام زمرا » .

* نعت مدينة صفاقس بتونس ، المرحوم عبد
العزيز عشيّش ، مدير اذاعة صفاقس ، ورئيس نخبتها
الثقافية . وقد اذنه وزير الثقافة ، وتحدث عن حياته
وجهاده الفكري .

* تقرر احداث نخبة قومية للفنون الشعبية في
تونس ، تضم مختلف القطاعات التي يهملها الامر .

* قام الدكتور سيد حفني أحمد بتحقيق ديوان
الشاعر المخضرم حسان بن ثابت . وقدمه للنشر في
مشروع المكتبة العربية بالقاهرة .

* يصدر قريباً عن « دار المعارف » ، بالقاهرة
كتاب عن الشيخ حسن العطار ، اول رائد للاصلاح في
مصر ، في العهد الحديث .

* « آه ، يا ليل ، يا قمر » اسم المسرحية التي
افتتح بها مسرح الحكيم بالقاهرة موسمه المسرحي .

* قررت كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار
تنظيم مسابقة في التمثيل بين الفرق والجمعيات
المسرحية الهاوية في كافة أنحاء الجمهورية التونسية .

* « ابن غلبون - مؤرخ ليبيا » عنوان كتاب صدر
حديثاً في ليبيا ، وهو يتناول بالدراسة مؤرخاً عاش في
النصف الاول من القرن الثاني عشر .

* عن المعهد الجامعي الشرقي بنابلي ، صدرت
الكتب الاتية :

أنباء ثقافية

* زار المغرب عدد من الصحفيين الالمان يمثلون مختلف الصحف الالمانية الغربية .

* تحدثت الصحافة الادبية في فرنسا عن رواية جديدة للكاتب المغربي محمد خير الدين ، وهو من مواليد مدينة تافراوت باقليم سوس ، وعمره 26 سنة . وقد ذهب الى فرنسا منذ سنتين ، وهناك أصدر روايته بعنوان « اكادير » التي قامت بطبعها دار النشر « لوسوي » .

* سيؤسس في مدينة تطوان نادي ثقافي الذي أمر بتأسيسه جلالة الملك ، بمناسبة زيارته الى تطوان ، وباقي مدن الشمال .

* بمناسبة افتتاح السنة الدراسية الحالية اقام معالي وزير التربية الوطنية ، والفنون الجميلة ، ندوة صحفية ، عرض فيها سير التعليم في السنة الماضية ، عرضا طويلا ، كما قدم الخطوط العريضة لسياسة التعليم في هذه السنة . وقد كان لندوته صدى محمود في الاوساط التعليمية .

* زار المغرب السيد بول مارك هنري ، مدير عمليات برنامج الامم المتحدة للتنمية الاقتصادية .

* اصدر الكاتب الانجليزي روم لاندو ، كتابا جديدا عن المغرب ، ومن المعلوم ان هذا الكاتب ، الف عديدا من الكتب عن بلادنا .

* صدر عن وزارة الانباء كتاب « الترجمان الكبرى » ، في اخبار المعمور بحرا وبرا « لمؤرخ الدول العلوية وكاتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله وسفيره ابي القاسم الزياتي .

وقد قام بتحقيق الكتاب والتعليق عليه الاستاذ السيد عبد الكريم الفيلالي .

* مثل الاساذ الكبير عبد الله كنون المغرب ، في مؤتمر المستشرقين الاسبان الذي عقد بعاصمة الامويين الاندلسية . لازاحة الستار عن النصب التذكاري ، للفيلسوف ابن رشد . وقد ألقى الاستاذ كنون دراسة قيمة عن الجانب الفقهي من تراث ابن رشد الفكري ، هذا الجانب الذي أهمل . ولم يتناول بالدرس . حيث ان جميع الدراسات حول هذا الفيلسوف انصببت على تراثه الفلسفي . وقد افتتح المؤتمر بحضور عدد كبير من المفكرين والباحثين العرب . الى جانب عدد من المستشرقين الغربيين . وقد كان لمحاضرة الاستاذ كنون وقع كبير في نفوس المؤتمرين . وفي الصحافة الاسبانية ، واذاعاتها . حيث اعتبرت محاضراته كشفا جديدا قيما لجانب مهم من تفكير ابن رشد .

* يستعد الاستاذ الكبير السيد علال الفاسسي لطبع كتاب ، يضم تدخلاته في مداولات البرلمان .

* بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس جامعة محمد الخامس ، نظم مهرجان كبير ، شاركت فيه وفود جامعية من الخارج . وقد كان تأسيس هذه الجامعة بتاريخ 11 نوفمبر سنة 1957 . وبهذه المناسبة احتفل كذلك بتأسيس منظمة الجامعات الافريقية التي يرأسها رئيس جامعة محمد الخامس . الاستاذ محمد الفاسي . وذلك بالرباط .

* بدعوة من اتحاد الكتاب السوفيت ، قام استاذ عبد الكريم غلاب ، بزيارة الى روسيا .

* صدرت حلقة جديدة من كتاب « العلم » بعنوان : « معركتنا العربية في مواجهة الاستعمار والصهيونية » . وهو يعرض بتفصيل معركة 5 يونيو لانتزاع الارض السليبة . واصداء هذه المعركة في الشرق والغرب .

* احتفل في لبنان بذكرى وفاة الناقد اللبناني المفكر مارون عبود ، كما احتفل بالذكرى السادسة لمبايعة الاخل الصغير - بشارة الخوري بامارة الشعر في العالم العربي .

* « ثورة في عالم الانسان » عنوان كتاب جديد صدر في بيروت للمفكر ، والسياسي اللبناني كمال جنبلاط .

* استولت اسرائيل على مخطوطات البحر الميت الاثرية .

* توفيت القاصة الفلسطينية المعروفة السيدة سميرة عزام .

* صدرت عن دار الآداب في بيروت رواية « الشوارع العارية » للروائي الايطالي فاسكو براتوليني، الذي قام بترجمته الى العربية ادوار الخراط .

* « الظالمون » رواية من تأليف عبد الرزاق المطلبى . قدم لها الدكتور ماهر حسن فهمي ، وصدرت عن مديرية الثقافة العامة ببغداد .

* صدرت في منشورات عويدات ببيروت رواية « الفزة » للاديب الفرنسي اندريه مالرو ، ويصدر عن نفس الدار كتاب « الحياة والشباب » ، تأليف الدكتور اريك تريمر وترجمة محمد اديب العامري .

* صدر عن مركز المطبوعات في بيروت رواية « ضائعة في المدينة » ، وهي من تأليف سلوى هرمز ، « مظهر الملوحي » .

* وجهت نقابة الصحفيين العراقية ، مذكرة الى بس الوزراء ، تطالبه فيها بعودة الشاعر محمد مهدي جواهري الى بلاده ، ولقيت المذكرة استجابة تامة من الرئيس المذكور .

* شعر ابي زيد الطائي ، المتوفى حوالي سنة 41 رية ، جمعه وحققه الباحث العراقي الدكتور نوري ردي القيسي .

* « القزويني وشرح التلخيص » هي عنوان وحة التي نال بها وزير الثقافة العراقي الدكتور

احمد مطلوب درجة الدكتوراه ، بمرتبة الشرف الاولى من جامعة القاهرة . وصدرت حديثا عن منشورات مكتبة النهضة ببغداد .

* صدرت عن مديرية الثقافة العامة ببغداد مجموعة قصص بعنوان « رماد الليل » ، وهي من تأليف الاستاذ عامر رشيد السامرائي ، وتقديم عبد الله نيازي

* يعد الاستاذ كمال ابراهيم دراسة عن المؤرخ العراقي الكبير احمد عزت الاعظمي ، وذلك بمناسبة مرور احدى وثلاثين سنة على وفاته .

* صدرت عن دار المكتبة العصرية في بيروت الكتب التالية : « الغريب والبحر » ، شعر لمؤيد عبد عبد الواحد . ومسرحية « الكراكي » لنور الدين فارس . و « الجزء الثاني من المثنوى » للشاعر الابرائي الشهير جلال الدين الرومي ، الذي قام بترجمته وتحقيقه الدكتور محمد كفاي .

* للدكتور قسطنطين زريق ، صدر كتاب باسم « معنى النكبة مجددا » يعالج فيه اسباب النكبة ، مستخلصا العبرة من احداثها .

* « غرباء عن فلسطين » مجموعة شعرية صدرت منذ اسبوع للشاعر فؤاد خوري ، في لبنان .

* الشاعر السوري اسعد علي ، اصدر مجموعة شعرية عنوانها : « عاصفة » .

* كتاب « رسائل لصديق » لسفلانا ستالين ، ابنة ستالين ، الذي نشرته في امريكا ، احدث ضجة عنيفة في الصحافة العالمية .

* يحتفل الاتحاد السوفييتي احتفالا كبيرا ، بذكرى صدور كتاب « رأس المال » لكارل ماركس . بعد قيام الثورة السوفياتية ، الى اليوم طبع 165 مرة ؛ 18 لغة ، داخل الاتحاد السوفياتي ، ويبلغ عدد النسخ المتداولة في العالم خمسة ملايين نسخة .

* « واقع استعماري » كتاب جديد لمستشرق فرنسي يهودي الاصل ، سيصدر هذا الشهر .

* صدر للشاعر السوري نزار قباني كتاب جديد يضم قصيدته « هوامش على دفتر النكسة » .

« دراسة تاريخية واثريّة لشواهد القبور العربية المحفوظة في العهد النابولي » ، و « ملحق لشعر الراعي النميري » و « أسماء الأسماك في البلاد العربية » ، وحوض البحر الأبيض المتوسط » و « أبحاث عن ملكية الأرض عند السومريين » .

✽ سيصدر عن كمبردج في إنجلترا ، الكتابين : « كتاب تدبير الأمراض الحادة » لبقراط ، للمستشرق ليونس ، و « كتاب يشتمل على فصول من كتاب « الحيوان لارسطو » .

✽ احتفل بالذكرى السادسة بعد المائة لميلاد الشاعر الهندي رابندرانات طاغور .

✽ في لندن صدر كتاب عن حياة أميل البستاني ، وقام بتقديمه وزير الخارجية البريطانية جورج براون .

✽ على أثر العدوان الصهيوني ، قررت مؤسسة « أخبار اليوم » توقيف مجلة « المختار » التي تصدرها بالعريضة .

✽ سيصدر قريباً ديوان « الفلسطنيات » الذي يحتوي على مجموعة من القصائد لمختلف الشعراء العرب ، حول العدوان الصهيوني .

✽ « في مواجهة إسرائيل » كتاب جديد صدر لسامي منصور يشرح فيه أهداف إسرائيل الخارجية ، ويلقي الأضواء على الأسلحة التي تستخدمها لمحاربة السياسة العربية ، ويوضح علاقة إسرائيل بأمريكا ، وإنجلترا ، وألمانيا .

✽ يصدر مجلس الفنون والآداب بالعربية المتحدة قاموساً اقتصادياً بالعربية ، يفسر العبارات الاقتصادية

✽ فرغ الاستاذ أحمد حسن الزيات من كتاب عن « عبقرية الإسلام » ، كما ستصدر له طبعة جديدة من ترجمة « آلام فرتر » ، والطبعة الثانية من كتابه : « دفاع عن البلاغة » .

✽ يصدر قريباً في بغداد للدكتور يحيى الجبوري « ديوان النعمان بن بشير الأنصاري » من تحقيق على

مخطوطة بأيا صوفيا ، وفيه إضافات على النسخة المطبوعة في الهند من قبل المستشرق كرنكو .

✽ أصدر الأديب الأردني عيسى الناعوري رواية عن فلسطين بعنوان : « جراح جديدة » .

✽ « القضاة والولاة » عنوان كتاب أصدره الشيخ ممدوح القطب ، قاض عمان .

✽ نشرت دائرة الثقافة والفنون الأردنية مذكرات المسر نيوتس ، وعنوانها : « خمسون عاماً في فلسطين »

✽ « طفل يفني » عنوان مجموعة شعرية تصدر مع ديوانين آخرين للشاعر اللبناني سعيد عقل .

✽ « رحلة إلى الله » عنوان مجموعة قصصية ، صدرت في بيروت للاستاذ رياض شرارة .

✽ « في الأدب الصهيوني » عنوان كتاب استغرق خمس سنوات في البحث والعمل ، ألفه غسان كنفاني ، ويصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . وهذه أول مرة تنشر فيها مثل هذه الدراسة عن الأدب الصهيوني باللغة العربية .

✽ « الموت على الطاولة » عنوان لمجموعة قصائد تصدر قريباً عن دار المكشوف ، لنقولا قربان .

✽ الأديب اللبناني ميخائيل صوايا دفع إلى المطبعة ببيروت مجموعتين من قصصه القصيرة .

✽ الأديب فوزي سبا ، بدأ يعمل على تأليف معجم أدبي ، يجمع فيه أسماء الأدباء والشعراء اللبنانيين .

✽ يصدر عن دار الحياة في لبنان ديوان شعري لرئيس وزراء السودان ، محمد أحمد محجوب .

✽ « سجع الحمام في حكم الإمام » كتاب يشتمل على 1183 كلمة مأثورة للإمام علي بن أبي طالب ، ضبعه وشرحه وقدم له ، علي الجندي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ومحمد يوسف المحجوب ، وسيصدر قريباً .

✽ تستعد بنت الشاطيء لإصدار كتاب : « الأبعاد التاريخية لمعركتنا مع إسرائيل » .

* صدر للدكتور يحيى الجبوري كتاب بعنوان « الجاهلية » ، وهو يتناول بالدراسة حياة العرب قبل الاسلام .

* صدر مؤخرا الجزء الرابع من كتاب « رجال السيد بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجالية » الذي قام بتحقيقه السيدان محمد صادق بحر العلوم ، وحسين بحر العلوم .

* مسرحية جديدة باسم « الارنب الاسود » صدرت حديثا لمؤلفها الاستاذ عبد الله الطوخي .

* احتفل في القاهرة بالذكرى الثانية لوفاة الناقد الكبير المرحوم الدكتور محمد مندور ، تكلم فيه الدكتور طه حسين .

* وقع الاختيار مؤخرا على الاستاذ بول كودريك ، وهو من الشخصيات الفرنسية المعروفة في ميدان علم الفلك ، ينال جائزة كالينغا الخامسة عشرة ، الخاصة بتعميم العلوم .

* اصدر مؤخرا مكتب اداب شرق افريقيا في نيروبي ، وثيقة باللغة السواحلية بعنوان : « محو الامية في خدمة التنمية » .

* كما اصدرت اليونيسكو في هذه الايام مطبوعا بعنوان « التربية المهنية والتقنية » .

* صدر عن دار الرسالة الاسلامية في الكوفة بالعراق مجلة اسلامية جامعة باسم (الموعظة) والتي يرأس تحريرها الاسناذ الاديب كامل سلمان الجبوري وهي حافلة بالابحاث والموضوعات والقصائد بأقلام نخبة من الكتاب في اخراج جيد ، وقد انتهت المجلة سنتها الاولى وسيصدر قريبا العدد الاول السنة الثانية .

* سيصدر من منشورات دار الرسالة الاسلامية في الكوفة بالعراق كتاب « فضائل الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه » تأليف الكاتب العراقي كامل سلمان الجبوري معتمد الدار .

* اثار كتاب صدر مؤخرا في امريكا ، ضجة بسبب صورة على الغلاف . تمثل شرطيا ابيض ، يقوم بجلد جماعة من الزوج ، عنوان الكتاب « شيكاغو السوداء » ، وفيه صورة قاتمة عن الاحداث الدامية في سلسلة الصراع العنصري الامريكي .

* كتاب « مذكرات مالكوم ايكس » ، وهو زعيم الزوج المسلمين في امريكا سيصدر في هذه الايام . كما سيصدر للجنرال الفيتنامي نفوين فون كتاب باسم « حرب المقاومة الشعبية » .

* صدر عدد خاص من مجلة « البيدر » عن المؤرخ اللبناني عيسى اسكندر المعلوف ، بمناسبة مرور 98 عاما على ولادته . واحدى وعشرين سنة على وفاته .

صدر العدد الخامس من مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي . وقد اشتمل هذا العدد الحافل على دراسات وابحاث لغوية ، وعلى نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية وفعاليتها . وموسوعة المغرب العربي زيادة على الابحاث المختلفة . كما تضمن العدد نشاط المكتب الدائم للتعريب ، وعلى المعاجم التي تشتمل على المصطلحات الفكرية ، والرياضية ، وموسوعة الفقه الاسلامي ، ومعجم الفقه والقانون . والحقيقة ان العدد ضخم حافل اشتمل على ابحاث لغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي . وقد طبع من هذا العدد الذي اشتمل على 363 صفحة ، أربعة آلاف نسخة وزعت مجانا .

دعوة الحق

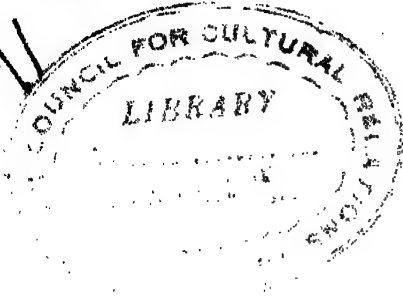
مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد :

| دعوة الحق | سجدة |
|---|------|
| • • • • • | 1 |
| سألوها التي كلمه سواء • • • • • | 4 |
| سرى ازويداد الاميرة للا حسناء | 6 |
| الإحسان نالكرى العاصره لجامعة محمد الخامس | |
| دراسات اسلامية : | |
| • • • • • | 11 |
| اسن رسد انقيسه • • • • • | 17 |
| من صمم الاوضاع الاسلاميه المعاصره • • • • • | 23 |
| حياته الشهيد عبد ربهيم • • • • • | 27 |
| القرآن يفسر بعضه بعضا • • • • • | 30 |
| البحر في الاسلام • • • • • | 33 |
| اندراسات الاسلاميه في فرنسا • • • • • | 36 |
| القرن الثانيه على خلافتها بوجه الاسلام • • • • • | 42 |
| لم يكن القرآن بلغه فرسي فحسب • • • • • | |
| انجذاب ودراسات : | |
| • • • • • | 46 |
| توسم انسان مستقيم • • • • • | 51 |
| تكرى موزن ميرزين سنه على وفاء الامير • • • • • | 54 |
| سحب ارسلان • • • • • | 61 |
| زفات من تاريخ التنكه في عاينها • • • • • | 65 |
| علي ابن أبي طالب الشاعر • • • • • | 68 |
| عظرات في مبادئ التحليل النفسي • • • • • | 68 |
| نظرة في كتاب معجم الادباء بعد طبع مصدر من مصادر • • • • • | |
| رسائل الخليله : | |
| • • • • • | 73 |
| • • • • • | 75 |
| • • • • • | 76 |
| • • • • • | 77 |
| • • • • • | 79 |
| دراسات مغربية : | |
| • • • • • | 83 |
| التاريخ المغربي بين أخطاء الحاضر وآمال المستقبل • • • • • | 84 |
| • • • • • | 9 |
| • • • • • | 9 |
| • • • • • | 101 |
| • • • • • | 104 |
| • • • • • | 107 |
| • • • • • | 112 |
| معرض الكتب : | |
| • • • • • | 118 |
| • • • • • | |
| • • • • • | 122 |

عالم
وم الأوقاف
الاسلاميه
فريه

كلمة العروة



تعالوا الى كلمة سواي

كان من اجمل المآثر ، واسمى المبرات التي سيحفظها الدهر خالدة ، ويسجلها في اسنى وابهى صفحات عصر عاهلنا الكريم ، هذه المآثرة التي تفضل صاحب الجلالة ، فامر باخراجها للناس ، ووضعها بين ايدي المومنين من ابناء رعيته ، وهي اصدار طبعة جميلة رائعة للمصحف الكريم (وهو ما كنا تحدثنا عنه في احد اعدتنا السالفة)

وقد تشرف السيد صاحب المعالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في الايام الاخيرة من شعبان ، وبمناسبة قرب بزوغ طلعة رمضان بتقديم اول نسخة جاهزة من هذا المصحف الكريم الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده .

وانه لمن دواعي اليمين والاقبال ان يقرن تقديم مصحف الحسن الثاني ، وابرازه الى الوجود في حلة رائعة تليق بكتاب الله تعالى الى الشعب المغربي النبيل والامة الاسلامية بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول الوحي على رسول المحبة والسلام .

ومن دواعي القبول والاخلاص - ايضا - ان يستقبل المسلمون مصحف الحسن الثاني في هذا الشهر المبارك الذي انزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة والذي تحدى كل انسان واعجز ، وابتدأت فيه بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، وهم يحتفلون بايامه احتفالا تفره البشاشة والطهر ، وتأتلق فيه المحبة والبهجة ، وتهب عليهم فيمنفحات من ريح الجنة وروحها ، فترطب القلوب الجافة ، والنفوس الواوية ، فلا يخرجون منه الا وهم وقد تزودوا بذخيرة من الخير ، وزاد من التقوى ، وعدة من الجلد والصبر للعمل والجهاد .

لقد اسدى سيد البلاد مولانا الحسن الثاني - حفظ الله زمانا اطلعه - الى شعبه الوفي ، والى الامة الاسلامية الكريمة مبرة جليلة تضاف الى سجل اعماله البواقي في سجل الخالدين ، وهي اصدار طبعة رائعة لكتاب الاسلام الخالد ، ومعجزته النادرة الذي كفل للامة الاسلامية من الحرية والعدالة والكرامة والمساواة ما جعلها خیر امة اخرجت للناس .

العدد الثاني
السنة الحادية عشرة
رمضان 1387
دجنبر 1967
ثمان العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الاوقاف والشؤون
الإسلامية بالملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
مأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

ندفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف -
الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط

تليفون 308.10 - 327.03 - الرباط



السيد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يعرض على مقام حضرة صاحب
الجلالة النسخة الاولى من مصحف الحسن الشريف الذي انجزته وزارته

ووهت الوحدة التماسكة ، واستبهمت المذاهب ، واستشرت الفرقة بين الاخوة ،
فمزقت اوطاننا ، وفرقت شعوبنا الى حالة تدعو الى الاشفاق والرثاء ، مما جعل
الحاجة تدعو الى بعث جديد ، ووعي رشيد ، يجتمع بهما الشمل ، ويلتئم معهما
الصدع ، ويطمئن بهما هذا العالم المضطرب ، ويستقر السلام المتارجح المهزوز .
وان اتحادا يكون مبعثه القرآن ، ومصدره رب العزة والجلال ، خليف به ان
يضم الشارد الى القطيع ، ويلحق القافلة بالركب العام ، ويدني الامة في دينها وديناها
على اتم وجه من الكمال .

وفي غمرة احتفالات المسلمين بشهر الصيام المعظم ، وفي جو عطر خاشع من
العبادة والطهر ، وبمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول الوحي على سيدنا
محمد عليه السلام ، وفي هذا الطرف العصيب الذي تجتازه الامة الاسلامية من فواجع
وقواصم ، ومحن شداد يقدم عاهل المملكة المغربية مولانا الحسن الثاني الى كافة
المسلمين في مشارق الارض ومقاربها الطبعة الرائعة من المصحف الكريم الذي رفع الله
به شان الامة العربية فاخرجها من الظلمات الى النور ، ومن الفرقة الى الوحدة
ومن الضلالة الى الهدى والرشاد ...

وان هذا التوافق ليحمل أكثر من معنى ، وتشير دلالاته الى ان النصر لا يقوم الا
على اسباب ومقتضيات ، وتكاليف واعباء ، وان ما يلوح في الافق من تباشير الفوز
والفلاح ، وتقريب مسافة الخلف بين الاقطاب والرؤساء ليحملنا على الاعتقاد باننا
قد بدأنا نأخذ الامر عدته ، وللجولة الثانية اعباءها وتكاليفها ، وان صاحب الجلالة
نصره الله كان موفقا الى ابعد مدى حينما أمر باصدار طبعة جميلة رائعة للمصحف
الكريم ، واخرجها للناس في وقتها المناسب وهو يقول حفظه الله :

تعالوا الى كلمة سواء ...

دعوت الحق

فقد جاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالتنزيل الى الامة الاسلامية دستورا كاملا تصلح عليه شؤون الفرد ، واحوال الجماعة ، ويحمل الى الارض الطمأنينة والسلام ، وينشر بتعاليمه السمحة المحبة بين الناس ، ويقضي على عوامل الانانية واسباب الاثرة ، ويفرس في النفس الانسانية خلق الايثار وحب الغير والمروءة وتتضمن دعوته الخالدة تكريم الانسان ، وتنظيم العمران لتحقيق اليمن والسعادة التي يطرز حواشيها النعيم ...

دعا القرآن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الى كلمة سواء ، وخطة واحدة ، وتصميم محكم ، وغاية جامعة ، تتحد في الوجهة والقبلة والغرض ، كما نادى العرب والناس كافة بنداات الالهية اججت العواطف ، وحركت العقول ، وبعثت في نفوس المؤمنين كل معاني الوحدة الفاضلة ، والمحبة والالفة والاخاء ، مما احدث ثورة رائعة في نفوس العرب كان لها المدى البعيد في تحويل مجرى الانسانية كلها ...

لقد وعى التاريخ عن ثورة القرآن ما لم يعه عن اي حدث آخر في الدنيا ، سواء في معارك التهذيب النفسي حينما وجد الناس يسودهم الهوى ، ويسوسهم الجهل ويقودهم الضلال ، فاصبحوا بهديه مثالا يحتذى ، وقرأنا هاديا يسير على قدميه ، او في معارك السلاح يوم تدفقت سيول العرب من منابعها ، وخاض ابناء الامة الوسطى ، ووراث الدعوة الكبرى بفتوحاتهم الاسلامية ارجاء المعمور ، او في عظمة الثورة القرآنية الفريدة في ميادين العقل والفكر ، حيث نشأت علوم اسلامية وعربية من أجل كتاب الله وخدمته ، وما زالت تلك العلوم تنمو في كنفه ، وتزداد العناية بها حتى اصبحت بعد ذلك علوما قائمة الذات ، شامخة البناء ...

فمنذ اشرقت الارض بنور ربها ، وهذا الكتاب المبين بين ايدينا يشع على جنبات العالم انوار الحق والقوة والعزم يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويحمل الى العالمين رسالة الاسلام الصامدة التامة الكاملة التي لا يلحقها ضعف الانسان وقصوره وتقصيره ، ولا يسبقها تطور العالم .

تبلجت في الافق المظلم تباشير الوعي المحمدي في الامة العربية لما تخلى العرب عن انانيتهم وعنجيتهم وابتعدوا عن شهوة الاباحية التي كانت تصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدفعهم الى ان يشترخوا الضلالة بالهدى ، ويشعروا بضرورة الوحدة الجامعة التي سرعان ما صدعوا بها ، وعملوا لها ، ودعوا اليها ، فصاغتها قلوبهم المتألفة ، ونفوسهم المتحدة ، كما وقفت الارواح الزكية خلفها تحميها ، وتذوذ عنها ، وتتمهدا بالري والسقيا ، فاستخلفهم الله في الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وبدلهم من بعد خوفهم امنا ، ومكنهم من السطوة والسلطة والسلطان ، وقال لهم :

((ولا تهنوا ولا تحزنوا ، واتم الاعلون ان كنتم مومنين))

لقد غرست هذه الوحدة الجامعة التي امر بها القرآن ، الوثام في النفوس ، وعملت على اقرار السلام بين الشعوب ، فكانت مصدر يمن ورخاء وسعادة العرب والمسلمين ، ارتفع بها شأنهم ، وسما بين الامم قدرهم ، فصدت عنهم الفوائيل ، وذابت عنهم عاديات الدهر ، وطهرت ارضهم من رجس المرجفين الذين ينفثون السموم الناقعة في المجتمعات ، ويعيثون في كل مكان ، ويختلون في كل جماعة ، ويفسدون في الارض .

لكن ... لما بعد المسلمون عن كتابهم ، واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات! ونسوا الله فانساهم انفسهم ! دب الوهن الى النفوس ، واستولى الضعف على القلوب،



حشد من المواطنين هرعوا الى القصر الملكي العامر بمجرد سماعهم بازدياد
سمو الاميرة الصغيرة للا حسناء

بقائه ، ويديم عليه من نعمه ازكاها ، ومن اياديه اجملها
واسماها ، ومن اردية عافيته اضفاها ، ويحفظه ذخرا
البلاد وملجئا ، وحصنا حصينا وسندا ، كما اسأله ان
يمد في عمر ولي عهده صاحب السمو الملكي الامير
سيدي محمد ، ويكلاه ويرعاه ويحرس ذرية الحسن
الثاني اجمعين ، حراسة لا تنقطع ولا تريم ، ويمهد
لهم السبل لما فيه رضاء والدهم العظيم ، ويحكم ما
بين الاسرة الملكية وبين الشعب المغربي من اوامر
المحبة المتبادلة ، وروابط الاخلاص الجامع المتين ،
والتعلق الواصل المكين ، انه باسعاف السائل قمين .

سادس عشر شعبان عام 1387 موافق 19 نونبر
1967 بنتنا اشرقت بطلعتها رحاب البيت المولوي
الشريف واقترن الفرح بازديادها بأفراح عيد الاستقلال
المعظم . فتوالت افراحنا ، واتصلت مسراتنا واعيادنا .

واني اذ ارفع لصاحب الجلالة الملك الهمام
الحسين الثاني بمناسبة هذا الحادث السعيد ، وهذا
الذي يملأ قلوبنا جميعا تفيض ابتهاجا
واسارا عبارات التهاني والتبريك ، اسأل المولى
جل جلالته ، ان يقر عين سيدنا بالاميرة الكريمة ، ويطل

فرحة الامة

بازدياد سمو الاميرة للاسماء

اشرفت رحاب القصر وجناته ، وطفحت الوجوه بالبشر والسرور ، حيث اضاء بيت مولانا الامام بحادث سعيد ، وهو ازدياد مولودة مباركة سمدت بها الايام ، واقتراها فم الزمان ...

وبهذه المناسبة السعيدة الميمونة انطلقت مواكب الافراح تهزج وتشدو ، واندفعت الجماهير الى رحاب المشور السعيد في فرحة غامرة ، وسرور متدفق لتبليغ صاحب الجلالة مشاعر ابتهاجها ، وآيات ولانها ومدى تعلقها بسدنة العالمة بالله ، وبالعرش العلوي الجيد .

كما تقاطرت الشخصيات والوفود على مديرية التشريرات الملكية ، ومختلف العملات لتسجيل تهانئها الحارة الى مقام حضرة صاحب الجلالة بهذا البلاد الميمون .

ومن يمن الطالع ، ان هذا الحادث السعيد قد اقترنت ايامه الفر البيض بالاعيداد الوطنية المجيدة التي خلدها الشعب المغربي بافراحه ومسراته .

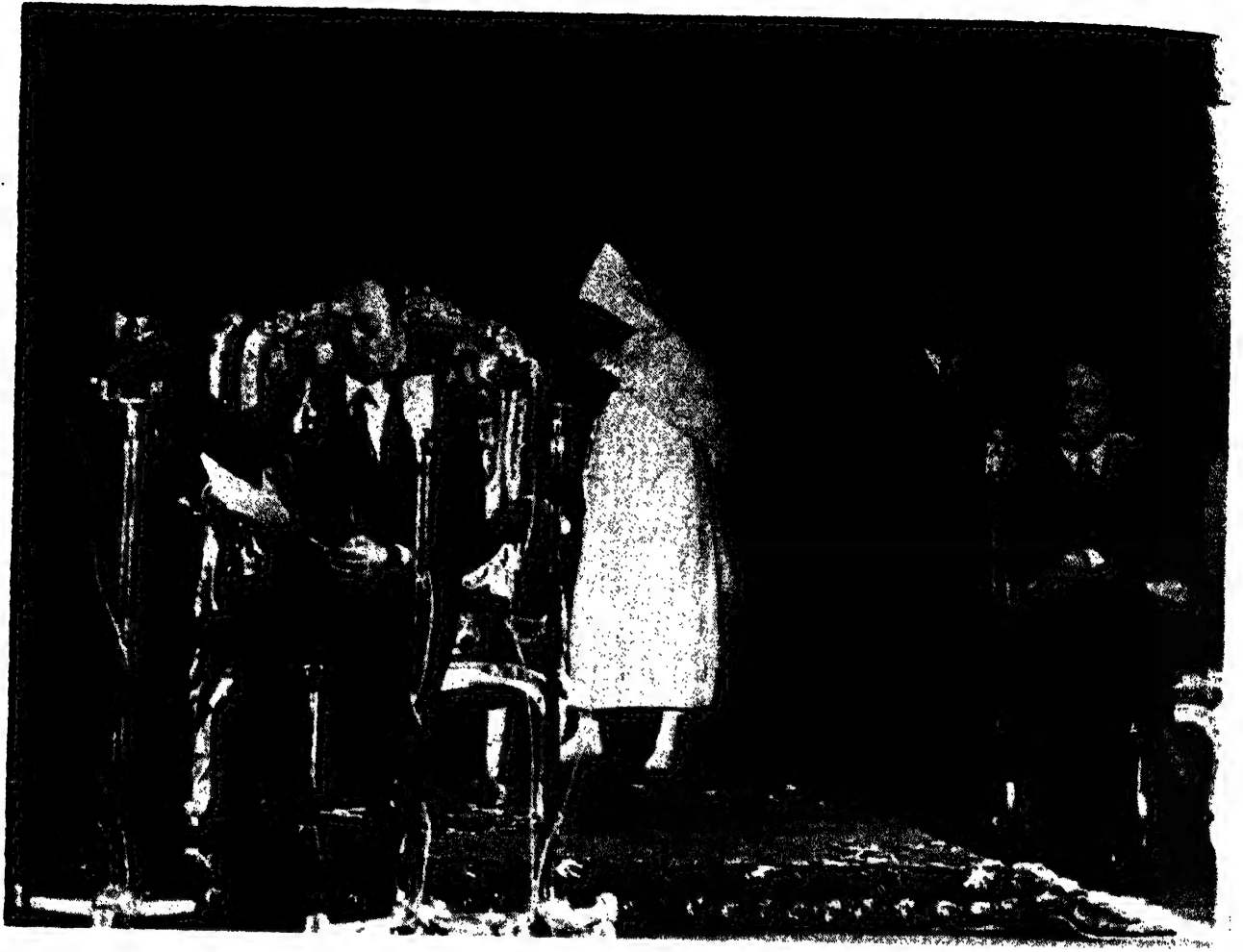
ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بصفة عامة ، ودعوة الحق بصفة خاصة ترفع الى مقام حضرة صاحب الجلالة امير المؤمنين ، وحامي حمى الملة والدين جلالة الحسن الثاني دام عزه ونصره وتأييده عبارات التبريك والتهانئ بازدياد هذا الحادث السعيد ، راجية من الله العلي القدير ان يحفظ مولانا الامام ، ويقر عينه بولي عهده سيدي محمد ، وباقلي اخوته ، ويحفظه في أسرته الكريمة وشعبه المخلص الوفي .

ويسعدنا ان نقدم الكلمة الرفيعة التي زف بها معالي الاستاذ الكبير الحاج امحمد ابا حنيني وزير الشؤون الادارية ، الامين العام للحكومة بشرى ازدياد الاميرة على امواج الاداعة والتلفزة وهذا نصها:

الحمد لله وحده

وبهجة وجورا ، وشاع فيها الامل المشرق الوضاء ، شيوخه فيها كلما زف اليها مثل هذه الانباء ، وخامرها شديد الرجاء ، في ان يهب الله للعاهل الساهر الامين وحامي حمى العرين من الامراء والاميرات ، من تتحف بعزائهم الامل ، ويترد على ايديهم صلاح الاحوال ، في ظل والدم الممدود ، وكنفه المقصود ، وها انا اليوم والمسرات تملأ الجوانح ، والبهجة تفعم القواد ، يشرفني اعظم ما يكون التشرير ، ان اعلن لاخواني المغاربة ، ان الله الرازق الوهاب ، حقق تلك الامنية الغالية ، وذلك الرجاء السني المعقود ، فوهب لسينا دام له النصر والتأييد ، في هذا اليوم المبارك الاغر ،

لقد شرفني مولاي صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني ادام الله له السؤدد والعز ، ووالى له النعم السابقة ، والايادي الجميلة ، فاصدر الي سامي امره ، منذ بضعة اشهر بأن احيط شعبه المخلص الوفي علما بأن بيته الكريم ، ستشرق رحابه المحروسة في شهر نونبر الجاري بطلعة امير او اميرة ، فكان للنبا السعيد الذي نلت شرف تقديمه ، وللبشرى التي حظيت بزفها الى اخواني المغاربة ، الاثر المتوقع الحميد في الافئدة والنفوس ، فطفحت القلوب فرحا وسرورا ،



خطاب صاحب الجلالة بمناسبة الاحتفال بالذكرى العاشرة
لجامعة محمد الخامس

آخر . يبعث في نفسنا سرور الاعتزاز الا وهو التقاء نخبة من رجال القارة الافريقية مهتمين بشؤون العلم والمعرفة والتكوين ، واعين بالمسؤوليات العظمى ، الملقاة على كواهلهم والواجبات التي تفرض عليهم اعداد الاجيال وتكوينها تكوينا يؤهلها ، خاصة في الظروف الراهنة ، التي لا تتراف بالتخلف ولا ترحمه ، تؤهلها للاضطلاع بما ينتظرها من تكاليف واعباء ، ويسعدنا الى جانب هذا كله ، ان نرحب مستبشرين متفانين بهذا اللقاء الجامعي الكبير الذي اتاح فرصة الاتصال بين شخصيات بارزة ، في مضمار الثقافة والتثقيف ، وفدت من جهات مختلفة ومكنها من التعارف والتآلف وتبادل الاراء ، ورسم الخطط ، التي نأمل ان تؤتي ثمارها غضة يانعة، وتهيئ لهذه القارة ولابنائها مستقبلا ، يكون في مستوى متطلبات عصر السرعة والتقنية والاكتشافات العلمية الباهرة للعقول وتحول الاشياء تحولا لا هوادة فيه ، من حال الى حال .

دمها . والتضحيات التي تحملها في سبيل نشر العلم ، في سبيل تثبيت العرفان داعيا له بالسدد والتوفيق .

شعور بالاعتزاز

حضرات السادة :

اننا لنعد من غرر الدهر ومحاسنه ، الايام التي نعد خلالها فوق تراب هذه الديار الحافلة بالفكر وفي رحاب هذا المعهد ، الذي اقام صرحه والمقدس ، على تقوى من الله ورضوان ، مؤتمركم الجليل . لرجال الفكر من ابناء قارتنا افريقية ، نسمة بلوغ بحلولكم في وطننا هذا ، الذي هو وطنكم ، وبمقامكم عليه ، في هذا الظرف القصير من ابحاث ودراسات ، عقب استنتاجات وافضت الى مقررات ونشر اقتران اجتماع مؤتمركم هذا ، بالذكرى مرور اربعين سنة على تأسيس جامعة محمد الخامس من مناسلة سرورنا ، وابتهاجنا ، فان هناك سببا

الاحتفال بالذكرى العاشرة بجامعة محمد الخامس

الاحتفال بميلاد جمعية الجامعات الإفريقية

شهدت جامعة محمد الخامس خلال شهر نونبر الماضي حدثين هامين وهما ميلاد جمعية الجامعات الإفريقية ، والاحتفال بمرور عشر سنوات على تأسيس جامعة محمد الخامس .

فقد احتفل رجال التعليم العالي الافارقة بميلاد جمعية الجامعات الإفريقية المنبثقة عن المؤتمر التأسيسي حيث حضر الى قاعة المحاضرات بكلية العلوم رجال الفكر من افريقية ومن مختلف انحاء العالم ، احتفالاً بميلاد جمعية الجامعات الإفريقية ، يشاركون في ذلك كبار رجال الدولة واساندة مختلف كليات جامعة محمد الخامس

وقد انتخب الاستاذ محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس رئيساً لجمعية الجامعات الإفريقية .

كما احتفلت جامعة محمد الخامس بالذكرى العاشرة لتأسيسها حيث حضر هذه الذكرى مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله مرفوقاً بصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله ومعالى الوزير المدير العام للديوان الملكي والوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة ووزير القصور الملكية وأعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الاول وعمداء الكليات وأعضاء المؤتمر التأسيسي لجمعية الجامعات الإفريقية وكبار الموظفين ورجال السلك الدبلوماسي ومختلف الشخصيات .

وان تشريف صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله بحضوره في الاحتفال بهذه الحدين المهمين لتعبير من جلالته عن تقديره لجهودات العاملين في التعليم الجامعي والمساعي التي تبذل في سبيل تحقيق الوحدة الإفريقية على مختلف المستويات .

وقد كانت الخطب التي القيت أمام حضرة صاحب الجلالة خلال الاحتفالين المذكورين كلها اشادة باهتمام جلالته بالعلم وتقديره لرجاله .

ثم القى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم في الاحتفال بالذكرى العاشرة لجامعة محمد الخامس خطاباً هاماً استهل به بكلمة مرتجلة هنا فيها الاستاذ محمد الفاسي عميد جامعة محمد الخامس بانتخابه رئيساً لجمعية الجامعات الإفريقية حيث قال جلالته :

الحمد لله وحده والصلاة على مولانا رسول الله
وءاله وصحبه .

حضرات السادة

نود قبل كل شيء أن اشكركم على انتخابكم
بالاجماع على الاستاذ محمد الفاسي كرئيس لجمعيتكم،

واننا لنرى في انتخابكم اياه ، تشريفاً وتكريماً للمغرب

وانني باسم المغرب وباسم جامعة محمد الخامس

وباسم التلامذة والطلبة ، الذين تخرجوا على ي

الاستاذ ، وانا واحد منهم ، اتقدم اليه ، بأحر التهاني

وبأطيب التمنيات ، شاكرين اياه على الجهودات التي



صورة من الاحتفال الذي اقيم بمناسبة ميلاد
جمعية الجامعات الافريقية

رغبة منه في استكمال معرفته وسد النقص المهيمن على نفسه ، حتى اذا بلغ شبابنا في الخارج ما يريدون وادركوا ما اليه يطمحون ، استطابوا المقام ، بديار غير ديارهم واطوان غير اوطانهم ، فترتب عن هجرانهم هذا لبلادهم ، حرمانها من مواهب وكفايات هي في امس الحاجة اليها . . واشد الرغبة في الاستفادة منها، ولذا فان على رؤساء جامعاتنا والمشرفين على تكوين الاجيال الناشئة ان يعيروا هذه الظاهرة ما هي قيمة به من انتباه واهتمام ويصرفوا قسطا كبيرا من جهودهم وحظا وافرا من تفكيرهم لرفع المستوى الثقافي لجامعاتنا ومعاهدنا لتستجيب للمتطلبات استجابة تكفل القضاء على الشعور بالنقص ، الذي يمتلج في صدور طلبتنا ، وتحجب اليهم البقاء في احضان اوطانهم ، والعمل لما فيه نفعها وصلاحها ، وخيرها وازدهارها .

دول غارتنا واولي الامر بها والقائمين على تكوين اطاراتها العليا الفنية منها على وجه الخصوص مجهود بالغ الاهمية ، لما تترامى اليه اطماحنا ورغائبنا من تحقيق الشراء الشامل لجميع الميادين المادية منها والمعنوية .

يد ان تكوين هذه الاطارات العليا بقرارتنا
التي يجب ان يكون تكويننا متينا صالحا لا يشعر
معاسبب الحصول عليه بنقص او حرمان بالنسبة
لامن الشباب المتخرجين من المعاهد العليا
الا حيث يظفرون بالمعرفة الوفيرة والتكوين
الذي . ذلك ان شبابنا الافريقي لا يرتاح تمام
الار لما يناله في معاهد بلاده من تكوين وثقيف
شع منه لما بين التكوينيين من فوارق وتفاوت فلا
يلس يهاجر وطنه موليا وجهه شطر المعاهد الاجنبية

ركب الحضارة يسير

حضرات السادة :

المسؤوليات الملقاة على عاتق الساهرين على معاهد ،
التكوين الموكولة اليهم عهدة تخريج الافواج الصالح ،
والاظهارات النافعة ان يبذلوا قصارى الجهود لتحقق
هذا الاكتفاء وضمن هذا الاستغناء .

امكانيات كبيرة

ان الاقطار الافريقية لغنية بامكانياتها ومقدرتها
الخفية منها والظاهرة ، وحرى بنا ونحن ننشد السير
قدما لبلوغ اسمى المقاصد وابعد الاهداف ان نحصر
كل الحرص ونجد كل الحد في تكوين وتوفير الاطارات
على اختلاف انواعها وتعدد وجوه اختصاصها لاستثمار
تلك الامكانيات والقدرات استثمارا ينهض باعبائه
ابناؤنا الافارقة دون احتياج الى مساعدة ويعمم الثراء
وينشر الرخاء ويشب باقطارنا الوثبة المطلوبة التي
يتعزز بها جانبها ويرتفع شأنها ، وتصبح بفضلها قارتنا
ذات الكلمة المسموعة في المحافل التي لا تقيم وزنا
للشعوب والاقطار ولا تكثرت لها وتحسب لها الف
حساب الا اذا اقترن ذكرها بما لها من امكانيات
التاثير في اسواق العالم وما تتوفر عليه من وسائل
الضغط على سير المعاملات ، وتملكه من اسباب
تصريف المبادلات .

معركة النماء

فاذا نحن جاوزنا طور التخلف بعد تكوين
الاطارات الصالحة الكافية واستثمار
الثروات وكسبنا معركة النماء وحققنا لاقطارنا ذلك
المستوى الذي تتأتى معه المفاخرة والمباهاة بالقياس الى
كثير من المستويات الداعية الى التقدير والاحترام
وجب علينا ان نطلب آئذ المزيد من المعرفة ونتطلع الى
مستوى اسمى ، ونطمح الى بلوغ غاية اسنى ، وذلك
لاعداد رجال البحث والتنقيب ، والاكتشاف وتخصر
جانب غير يسير من جهودنا وامكانياتنا قصد اسباب
هؤلاء الرجال بالوسائل الكفيلة بتسيير اعمالهم الخليفة
بمساعدهم على الانصراف الى مجال الابتكار والاداء
والتوليد والاختراع .

مقصد نبيل

وان من شأن ادراك هذا المقصد ان يضيف الى
وزن اقطارنا وزنا ويزيدها رفعة الى رفعة ويسر
الى مقام ملحوظ ومكان مرموق فالجهود المطلوبة

اقد سار ركب الحضارة سيره الحثيث وانطلق
عدد من الاقطار انطلاقا متواسلا سريعا يخطو كل يوم
خطوات ويشب حيناً بعد حين وثبات ، وبقيت اقطارنا
التي ابلت حقبة من الزمن احسن البلاء ، وساهمت
باشماعتها في التقدم والنماء ، متخلفة عن
الركب السائر والموكب الزاحف بحكم ما لابس حياتها
من ملابس ، وعرض لها من ظروف قاسيات تكدرات
حتى اصبحت الشقة شاسعة بعيدة بينها وبين
غيرها من الاقطار التي ادركت من التقدم والرفي الغاية
المثلى والدرجة القصوى ، وصار ازاما على اقطارنا
بعد ان وضعت الاغلال والآسار التي كانت تثقل كاهلها
وتقيد خطاها ، ان تسعى جاهدة جادة وتحث السير
وتطوي المراحل والاشواط وتختصر المسافات لا لراب
الصدع وتلافي النقص . واصلاح ما اضمحل واندر ،
وايجاد ما لم يكن يذكر ، واكتساب الوسائل اللازمة
للخلاص من ربكة التخلف فحسب ، بل لتجاوز هذا
الطور الى طور مسيطرة الموكب السيار بالافتنان في
شتى ميادين الاختراع والابتكار لبلوغ ابعد
غايات الرقي والازدهار .

افريقيا بعد الاستقلال

اقد واجهت الاقطار الافريقية غداة استرجاعها
للاستقلال مشاكل متعددة عويصة في طليعتها قلة
الاطارات الضرورية لتسيير شؤونها والاضطلاع
بمختلف المهام ، التي تفرضها عادة السيادة الكاملة ،
فكان من اهم اهدافها وأكد مبنياتها ومتطلباتها ان
تعد الافواج من ابنائها اعدادا يستطيعون بفضلهم ان
يتقلدوا زمام التدبير والتسيير . ويخلفوا من كان
مسندا اليهم امر هذه المهام من اطارات اجنبية ، وقد
خطت الاقطار الافريقية خطوات موفقة في هذا الميدان
بفضل ما اقامته من مؤسسات علمية ، ومعاهد تكوينية
وجامعات لتثقيف شبابها الظمان الى المعرفة المتطلع
الى الاسهام بالحظ الوافر والدور الفعال في النهضة
التي ينشدها لبلاده ويرجوها لحاضره ومستقبله ، الا
ان اقطارنا الافريقية لم تظفر بعد بمبتغاها ولم تفرز
بمنهاها ولم تبلغ لحد الان الدرجة التي يصح معها
الاكتفاء بالاطر الوطنية ويتسنى معها الاستغناء عن
المساعدة الفنية ، ولذا فان من أكد الواجبات ، واكبر

ابن رشد الفقيه

للاستاذ عبد الله كنون

انعقد يوم الاثنين 16 / 10 / 1967 باسبانيا كما هو معلوم مؤتمر الدراسات العربية الاسلامية الذي نظمه الهيئات الثقافية باسبانيا ، كمدرسة الابحاث اللغوية بمدريد ، ونظيرتها بفرنطة ، والجلس الاعلى للابحاث العلمية باسبانيا بالتعاون مع الادارة العامة للتعليم العام بوزارة التعليم الاسبانية ، ومعهد الدراسات الاسيوية في مدريد التابع للجمهورية العربية المتحدة ...

ويعنى هذا المؤتمر خاصة بالدراسات العربية والاسلامية المتعلقة بالتراث الفكري والادبي والفني في الاندلس والقرب .

وقد عقد المؤتمر في هذه الدورة السادسة التي عقدت جلساتها بنادي الصداقة ، في مدينة قرطبة ، التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ العرب والاسلام ، بمناسبة احياء ذكرى عالمها الكبير وفيلسوفها الفذ ابن الوليد ابن رشد الذي اقيم له يوم الاثنين 23 / 10 / 67 تمثال من الرخام في احدى ساحاتها العمومية ودشن في هذا المؤتمر .

وقد القى السيد قرمان رينا ، عمدة المدينة امام التمثال كلمة بليغة اشاد فيها بمكانة العالم الجليل ونفوذه الذي انتشر في كافة انحاء اوربا خلال القرون الوسطى .

وشارك في هذا المؤتمر نخبة كبيرة من المستشرقين الاسبان ، وبعض الباحثين من الافطار العربية كالدكتور حسين مؤنس الذي قدم موضوعا عن « الشعر الاندلسي في عصري الامارة ، والخلافة » وخالد الصوفي الذي كان بحثه بعنوان « لمحات من حياة ابن رشد » وعيسى الناعوري الذي كان بحثه عن « عناصر التفاعل والتكامل بين الثقافتين العربية والاسبانية » وغيرهم من العرب .

والبحث الذي قدمه فضيلة الاستاذ العلامة سيدي عبد الله كنون في هذا المؤتمر يتعلق بالناحية الفقهية من تراث ابن رشد التي لم يتناولها احد مع اشتهاار ابن رشد بانه الى جانب فلسفته وطبه كان فقيها مالكيا كجده الامام ابن رشد الكبير ...

وقد رجونا من الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون ان يمد مجلتنا بهذا البحث القيم فتفضل بارساله مشكورا ...

التحرير

اما ابن رشد الفقيه فقد بقي بمعزل من عناية الباحثين ، ولم تنل ثقافته الفقهية ما تستحقه من الوزن والتقدير ، حتى تنوسيت او كادت ، وصار وصف ابن رشد بالفقيه يغلب ان يدل على ان ابن رشد الجد لا على ابن رشد الحفيظ صاحبنا . وقد

ان الكتابة عن ابن رشد الفيلسوف كثيرة جدا ، ودراسات قيمة كتبها مختصون في المادة بحيث هذه الناحية من تفكيره وتراثه العلمي متميزة ناهيك بما كان لها قديما من اثر بين في توجيه الفكرية والعلمية في اوربا قبل عصر النهضة .

مساعي وجهود

ان مستقبل قارتنا لرهين بمساعيكم المتكاثفة ، وجهودكم المتضافرة ، ويقيننا ان المساعي التي ستقومون بها والجهود التي ستبذلونها ستكون لها هي اهل له من فوز ونجاح ، وسيكون لها ولا ريب احسن العواقب واجمل الاثار .

حضرات السادة :

ان المؤتمر الذي عقدتموه بعاصمة مملكتنا لعنوان على ما لاقطارنا وشعوبنا من حب خالص مكين للسير بها نحو ما نصبو اليه جميعا من غد مشرق سعيده ومستقبل حميد وعيش رغيد .

عناية باعمال المؤتمر

ولقد تتبعنا اعمالكم بعناية فائقة واهتمام كبير واننا لنعقد للمقررات التي اتخذتموها اوسع الامال ، ونتوقع ان تسفر عن الاصلاح والجدوى والفائدة التي لا ينحصر مفعولها في نطاق مجموعة بلادنا الافريقية وانما يمتد الى الانسانية جمعاء .

وان تلبيتكم للدعوة التي وجهناها لكم لعقد مؤتمركم التاريخي هذا في رحاب جامعتنا الحافلة بمختلف الطلبة الذين وفدوا اليها من جهات متعددة ولا سيما من الاقطار الافريقية لهي تقدير منكم لما نوليه من رعاية للتعليم العالي وعناية بشؤونه ونبديه من حرص على ان يؤدي الرسالة التي اقيم من اجلها .

ولئن كنا لم نبلغ بعد في هذا المضمار الشاؤ الذي يرضي جميع مطامحنا ويحقق سائر رغائبنا ويوفر لنا

الاطارات الكافية والعدد الكبير من العلماء والباحثين فاننا لا ننسى ما ادته جامعتنا الفتية من واجب وقامت به من دور فعال في مجال البحث العلمي والتكوين والاعداد على ان تفكيرنا موصول غير مقطوع فيما تدعو اليه الحاجة من تطوير لهذه المؤسسة وتحسين وتكميل حتى تصبح جامعة محمد الخامس مركزا من مراكز الاشعاع الفكري ومنهلا من مناهل الثقافة العيا تؤمه من كل حذب وصوب الافواج الظامئة الى العرفن الصحيح والاجيال المتعاقبة من الطلبة ، فتصدر عنه مزودة بأحسن زاد مسلحة بانفع عتاد مهياة لتحمل المسؤوليات واداء الواجبات .

حضرات السادة :

اننا لنعرب لكم من جديد عن ترحيبنا بكم وسرورنا بانعقاد هذا المؤتمر الجامعي في احضان جامعة محمد الخامس الذي نعداها جامعة لابنائكم مثلما نعد المركز الذي تم انشاؤه بمدينة طنجة برغبة منا مركزا مشاعا بين جميع الاطارات الافريقية العليا التي تختلف اليه لاستكمال تكوينها وثقافتها .

واملنا وطلبد ان يحالف جمعيتكم التوفيق والنجاح حتى تحقق ما رسمته لنفسها من اهداف وتبلغ ما ترمي اليه من اغراض كما نرجو ان يكون تأسيس هذه الجمعية عاملا على توثيق ما بين البلدان الافريقية من روابط وصلات وتمتين ما بينها من اواصر الصداقة والاخاء ، والله المسؤول ان يمد في عمر جامعتنا ويسدد خطاها ويديمها قبلة لطلاب العلم والعرفان ومنارا يهتدي بنوره من افتقد الجادة وضل سواء السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله .

مذهب مالك ولا ان تغلب عليه حتى في تولية مناصب الفتوى والقضاء . كما حصل ان تغلب هذا المذهب في اوائل ايام الخلافة الاموية بالاندلس على غيره من المذاهب لاصطناع الدولة له والتزامها به ، وكما حصل في المغرب ايام الادارسة الذين كانوا يأخذون ايضا بهذا المذهب .

ولعل الطريقة التعسفية التي كانوا يفرضون بها وجهة نظرهم هي التي جعلت الفقهاء وجماهير المتذهبيين ينفرون من دعوتهم ويتمسكون باتباع مالك رحمه الله ، فان احب شيء الى الانسان ما منعا ، كما يقول الشاعر ، واحراق الكتب لم يكن قط وسيلة لمنع انتشارها بل ربما كان سببا في مزيد الاقبال عليها وتداولها . والنظر الفقهي في ايام الموحدين لم يكن قاصرا عن دراسة اسباب الخلاف المذهبي والخلاف العالي ، بل كان متمكنا من ذلك اشد التمكن ، ومتعمقا في علم الاصول الذي به تعرف مدارك الائمة ، فليس من السهل صرفه عما يأخذ به حجة ودليل الى مجرد الرواية والسماع ، ويشرح هذا الموقف مناقشة جرت بين يوسف بن عبد المومن وأحد فقهاء اشبيلية ، ابي بكر بن الجدد ، فيما حكاه صاحب المعجب عنه قال :

« لما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب اول دخلة دخلتها عليه ، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس ، فقال لي يا ابا بكر انا انظر في هذه الاراء المتشعبة التي احدثت في دين الله . ارايت يا ابا بكر المسألة فيها اربعة اقوال او خمسة اقوال او اكثر من هذا . فاي هذه الاقوال هو الحق ؟ وايها يجب ان يأخذ بها المقلد ؟ فافتتحت ابين له ما اشكل عليه من ذلك . قال لي وقطع كلامي : يا ابا بكر ليس الا هذا وأشار الى المصحف او هذا وأشار الى كتاب سنن ابي داود ، وكان عن يمينه ، او السيف . » (2)

ان فرقة السلاح تمنع من حسن الاستماع ، ولذلك ظل الفقهاء على رأيهم ولو كانوا من المقربين الى الدولة كأبي بكر هذا وصاحبنا ابن رشد ، بل اننا نجد ابن رشد يقوم فعلا بتوضيح ما اشكل على الخليفة في كتاب عظيم النفع ، هو كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد الذي ذكر فيه اقوال فقهاء الامة من الصحابة والتابعين ومجتهدي الائمة مع بيان مستند كل من الكتاب والسنة والقياس واسباب الخلاف ووجوهه وعلة ومع الترجيح واعتماد الصحيح من النصوص

وقصدنا بالفقه السادج الفقه المجرد من الادلة ومدارك استنباط الاحكام وبأكبره علم التوحيد استنادا الى تسمية ابي حنيفة له بذلك في كتابه الفقه الاكبر ، وبأصغره علم الفروع . فان الموحدين قاموا بالدعوة للمذهب الاشعري في العقائد وروجوا له ، وانتقدوا ما كان عليه المغرب ودولة المرابطين من الاخذ بمقيدة السلف ، وسموهم المجسمين ، وسموا انفسهم الموحدين في مقابل ذلك ، ثم صاروا يدعون الى الاجتهاد والنظر في اصول الاحكام من الكتاب والسنة ، وينعون على الفقهاء تقليدهم والتزامهم لمذهب مالك حتى تورطوا في قضية الاحراق لكتب المذهب التي المعنا اليها .

ومن الاكيد ان ننبه على انهم لم يكونوا يهدفون الى احوال مذهب الظاهرية محل مذهب مالك ولا انهم كانوا يأخذون في انفسهم بهذا المذهب كما قال بذلك غير واحد من المؤرخين ، وقد ابطلنا ذلك بالدليل القاطع في كتابنا النبوغ المغربي ... وانما كانوا من اصحاب النظر ، والدليل المتمسكين بالمنطق والبرهان ، ولذلك اخذوا في العقائد بمذهب الاشعري ومالوا في الفقه الى احياء الاجتهاد .

على هذه الحالة عرفهم ابن رشد ، وبدافع من اهتمامهم بالعلوم النظرية والعقلية اتصلوا به ، اذ كان اماما فيها ومتفردا من بين اهل عصره باتقانها . وقد حدثنا عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب عن اول لقاء تم بين الخليفة يوسف بن عبد المومن وصاحبنا ابن رشد بتدبير من الفيلسوف ابي بكر بن طفيل ، وكان وزيرا ليوسف ، فلم تكن مذكرته معه الا في قضايا الفلسفة وراي اصحابها في قدم العالم ، وكان ان حمله بعد ذلك على تلخيص فلسفة ارسطو وشرح كتبه على ما هو معروف (1) .

اذن فابن رشد الفيلسوف هو الذي برز على منصة الدولة ، وهو الذي كان على صلة رسمية بالموحدين ، واما ابن رشد الفقيه فقد كان يشغل منصب القضاء ويفتي الناس فيما يعرض لهم من النوازل التي لا علاقة لها باحكام المنصب ، وهو بمقتضى ذلك فقيه مالكي على مذهب ابيه وجده ، ومذهب المغاربة والاندلسيين عموما ، اذ كانت نزعة الدولة الاجتهادية ، تلك التي تحدثنا عنها لم تستطع ان تهزم

(1) انظر كتاب المعجب للمراكشي ، ص 242 .

(2) المعجب للمراكشي ، ص 279 .

في المعرفة بأحكام الشريعة وسداد نظره في مسائلها .

وعليه اذا كانت الدراسات العديدة التي وضعت حوله قد اهتمت بفلسفته وحكمته ، وشرحت آراءه وما كان لها من تأثير على الحياة العقلية في العصور الوسطى بأوروبا ، وكذلك الناحية الطبية من تراثه وخاصة كتابه الكليات قد نالت حظها من البحث ، ولم يبق الا تراثه الفقهي غير مدروس ولا معتنى به ، فان الواجب يقضي علينا ان نلقي نظرة ولو خاطفة على عمل فيلسوفنا العظيم وطبيبنا النطاسي في ميدان الفقه والتشريع ، ونعرف قدر الامكان بجهد الكبير في هذا الصدد فنتم حلقا البحث في معارفه المتنوعة ، ونسد الفراغ الذي بقي في ترجمته من هذه الناحية .

ولاجل ان نحرر الموضوع جيدا ، لابد ان نلم بما كان عليه الوضع الفقهي بالمغرب والاندلس في عهد ابن رشد ، نتيجة لقيام دولة الموحدين ، لا سيما وهو قد كان على صلة متينة برجال هذه الدولة وعلى رأسهم الخليفان يوسف بن عبد المومن وابنه يعقوب المنصور .

نحن جميعا على علم بما كان للفقهاء في دولة المرابطين من نفوذ قوي وجاه عظيم ، ولا نشك في ان ذلك كان من وضع الشيء في محله ، واسناد الامر الى اهله ، فالدولة اسلامية ، واحق الناس بتولي مناصب الحكم والشورى فيها هم العلماء العارفون بأحكام الشرع ، المتفقهون في الدين ، تماما كما يتولى مناصب الحكم اليوم في اغلب الدول المدنية رجال القانون واساتذة الحقوق . وكانت الدولة المرابطية قد قامت على اساس مقاومة البرغواطيين ونحلتهم الضالة ، ونشر الدين الصحيح فلا غرو ان تلقى بزمام الامور الى الفقهاء وتبوءهم أعلى مقام .

فلما جاء الموحدون ، وكان امامهم المهدي بن تومرت صاحب دعوة وزعيم فرقة ، وقد لاقى الامر من معارضة الفقهاء ومناهضتهم له ، نهجت دولتهم سياسة اخرى من تقريب من قبل دعوتهم وابعاد الفقهاء عن مراكز المسؤولية . ومن ثم صار الفقه الساج ، اكبره واصغره ، لا ينطق لديهم بل صار يتعرض لمناوئتهم والتشريب عليه وعلى رجاله ، وما قضية احراق كتب الفقه المالكي وامهات دواوينه بخافية عن له اطلاع على تاريخهم . (3)

استشعرت ذلك حين كتبت عنوان هذه الكلمة وهممت تغييره لولا اني اعلم ان البساط يعين المراد .

والحق ان ابن رشد الجد كان اماما من ائمة الفقه المالكي ، يؤخذ بقوله فيه ويعتمد عليه في الفتوى والقضاء ، وكتاباه البيان والتحصيل ، والمقدمات ، من اعظم كتب المذهب واشهرها عند المالكية ، ولم يتردد الشيخ خليل الجندي صاحب المختصر المبين لما به الفتوى في مذهب مالك ، ان يجعله احد اربعة اقطاب ممن يعول على آرائهم في فقه هذا المذهب ، وهم اللخمي وابن يونس وابن رشد والمازري (1) فهو اذن صاحب مدرسة فقهية ما تزال معتمدة الى الان عند اتباع مالك في جميع العالم الاسلامي ، ولذلك لا غرو ان يقطي اسمه اذا وصف بالفقيه على اسم حفيده فلا يتبادر الى الذهن غيره كما لو كان هو الفقيه وحده .

الا اننا نعلم ان صاحبنا كان ايضا من ائمة الفقه واعلام المذهب ، وانه لا يقل كفاءة ولا ينزل مكانة عن جده في العلم بأحكام الشريعة وسائر المعارف الاسلامية ، ولقد وصفوه بأخص أوصاف جده من انه كان مفرغ الناس في الفتوى ، وان الدراية كانت أغلب عليه من الرواية ، فضلا عن كونه ولي قضاء الجماعة بقرطبة مثله ، وهو منصب عال يعطى لصاحبه الاشراف على سائر قضاة الاندلس ، وربما خوله حق تعيينهم . فنحن نرى انه في هذا المقام لم يكن بينه وبين جده فارق ما ، غير ان الجد كان منقطعا الى الدراسات الفقهية والنظر في احكام الشريعة فخالف ذلك التراث الطائلي الذي يعتز به الفقه المالكي ، والحفيد كان مشاركاً في العلوم العقلية والطبية ، فتوزعت اهتماماته وكان انتاجه في هذه اكثر واخصب ، وان لم يؤت انتاجه الفقهي من ضعف مادة او قلة في الجملة .

ولقد جاء في ترجمته عند ابن البار تبينا لمنهاج طلبه وميدان تخصصه : « انه درس الفقه والاصول وعلم الكلام .. ومال الى علوم الاوائل ، وكانت له فيها الامامة دون اهل عصره ، وكان يفرع الى فتياه في الطب ، كما يفرع الى فتياه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الاعراب والاداب » (2) فهو على هذه المشاركة الواسعة والانفراد من بين اهل عصره بالتقدم في العلوم الكونية ، كان الناس لا يستفنون عن فقهه وطلب فتواه في النوازل ، وما ذلك الا لما يعلمونه من رسوخ قدمه

- (1) ينظر مختصر خليل ، المقدمة ، ص 1 .
- (2) التكملة لابن البار ج 1 ، ص 269 .
- (3) ينظر كتاب المعجب للمراكشي ، ص 278 .

والشافعي وأبا حنيفة (1) . أما الحديث الثابت فهو ما أخرجه البخاري ومسلم (2) أو أحدهما . ومن الطريف أنه يعتمد كثيرا في الحديث على صحيح مسلم وهي طريقة المغاربة الذين يفضلون مسلما على البخاري من ناحية الرواية كما هو معروف .

وعلى ذكر الحديث فإن تصرفه فيه يدل على الخبرة والمهارة بخلاف ما قالوا عنه من أن الدراية أغلب عليه من الرواية كما سبق ، فنجد أنه يدقق في روايات حديث السجود على الجبهة والانف حتى يذكر انفراد أحدهما بذكر الجبهة فقط مؤيدا بذلك مالك ، ومستدركا على الحافظ أبي عمر بن عبد البر الذي اقتصر على روايات الجبهة والانف معا (3) . وكذلك نجده يرد على ابن عبد البر في تضعيفه لأحد الأحاديث بأنه وارد في صحيح مسلم (4) ، وهذا مع العلم بأن كتاب الاستذكار لابن عبد البر هو مصدره الأول في تحقيق المذاهب ونسبتها إلى أربابها (5) . وقد يبحث في الحديث الثابت من جهة المعنى اعتبارا بالحديث الضعيف (6) ، وذلك صيرورة منه إلى نقد المتن بعد صحة السند . والأمثلة على مشاركته في علم الحديث وأخذ به ، غير هذه كثيرة فلا نطيل بها .

وبنتفع ابن رشد بمعلوماته الطبية والطبيعية والفلكية في الترجيح والاختيار للأقوال والمذاهب ، وبناء الفقه على النظر العلمي الصحيح وذلك كما في تعقيبته على اختلاف الفقهاء في استمرار العادة الشهرية مع الحمل عند النساء حيث قال : « وسبب اختلافهم في ذلك هو الوقوف على ذلك بالتجربة واختلاط الأمرين ، فإنه مرة يكون الدم الذي تراه الحامل دم حيض ، وذلك إذا كانت قوة المرأة وافرة والجنين صغيرا ، وبذلك أمكن أن يكون حمل على حمل على ما حكاه يقرات وجالينوس وسائر الأطباء » إلى آخره (7)

وكتعليقه لاختلافهم في نجاسة عظام الميتة وشعرها بأن مرجعه إلى فقد الحس والنمو ، فمن قال ببقائهما فيهما لم يحكم بالنجاسة (8) ، وكرره على قول الخليل بن أحمد في الشفق بأنه لا يثبت بالقياس والتجربة (9) ، وكتوبله في مسألة تعجيل دفن الميت أن ذلك في غير المرضى بأمراض مخصوصة حتى لقد قال الأطباء أن المسكوتين لا ينبغي أن يدفنوا إلا بعد ثلاث (10) ، وهكذا أفادنا الحكم ، وكلمة المسكوتين أي الموتى بالسكتة القلبية .

ومسائله من هذا الباب كثيرة ، وتقدم منها قوله في نجاسة الأرواث . ومن الجدير بالذكر أنه يرى العمل بالحساب لاثبات اهلال الشهر ، ويقول أن سبب اختلاف العلماء في ذلك هو ترك اعتبار التجربة فيما سبيله التجربة والرجوع إلى الأخبار في ذلك . وأورد حديث صوموا لرؤية الهلال وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فاقدروا له ، وقال أن الجمهور أول قوله فاقدروا له بما ورد في رواية أخرى فأكملوا العدة ثلاثين ، وغيرهم يقول أن معنى التقدير له هو عده بالحساب (11)

واحسب أن هذه النظرة القصيرة قد أعطتنا من سمات فقه الرجل ما يجعلنا على علم بعلو مكانته بين الفقهاء وأنه صاحب نظر واستدلال إلى كونه صاحب نقد ورواية ، وأنه ينحو منحى التيسير والتسهيل أخذا بمبدأ الشريعة السمحة في نفي الحرج وترك التشديد ، وأنه أن لم يكن صاحب مدرسة في الفقه ، فإنما ذلك لتحرجه من أن يزيد في طين الخلاف بلة ، والا فهو قادر على أن يجتهد كاجتهاد جده في دائرة المذهب ، واجتهاد غيره من الفقهاء الكبار ، وتركه لذلك مما يدل على قوة تدينه وشدة تمسكه باتباع السلف والقُدوة الحسنة .

- (1) البداية ج 1 ، ص 59 .
- (2) البداية ج 1 ص 47 و 61 .
- (3) البداية ج 1 ، ص 139 .
- (4) البداية ج 1 ، ص 212 .
- (5) البداية ج 1 ، ص 88 .
- (6) البداية ج 1 ، ص 131 .
- (7) البداية ج 1 ، ص 53 .
- (8) البداية ج 1 ، ص 78 .
- (9) البداية ج 1 ، ص 96 .
- (10) البداية ج 1 ، ص 226 .
- (11) البداية ج 1 ، ص 284 .

بحيث لم يدع لقائل ما يقول في هذا الباب اعتراضا على هذا المذهب أو ذاك واستشكالا لمدرك حكم واستنباط فقه لم يرد فيه نص أو اضطربت الرواية المتعلقة به .

وهكذا اثبت ابن رشد انه لم يكن ضالعا مع الموحدين في موقفهم من مذهب الامام مالك ، وان شخصيته الفقهية كانت فوق المساومة ، وانه سواء اطلع على مناقشة الخليفة للفقهاء ابن الجدي أو لم يطلع عليها ، لم يهب ان يتصدى ارد ما كان الخلفاء الموحدون ومن على رايهم يوردونه على الفقهاء ويطعنون به في المذهب ، وشرح ما خفى عليهم من ذلك ، والدفاع عن ائمة الدين وعلماء الملة بعلم وتجرد تام .

واذا كنا قد سجلنا عدم نجاح الحملة الموحدة على الفقه المالكي ، فاننا لا ننكر تأثر هذا الفقه وحملته على الرغم من ثباتهم بروح الدعوة الموحدة القائلة بالرجوع الى الاصول واستنباط الاحكام من الكتاب والسنة فان الفقهاء في هذا المجال قد راجعوا خطتهم واخذوا بطريقة وسط بين الاعتماد على اقوال مقلديهم (بفتح اللام) فقط والاجتهاد المطلق ، وصاروا يتلمسون مدارك الاحكام وماخذ الاقوال التي تنسب لرجال المذهب من مصدريها العظميين الكتاب والسنة ، ويوجهونها ويصححون مستندها ان لم يكن ردا على الخصوم فطلب الاطمئنان حتى لا يتشوف احد الى ما وراء ذلك او تعلق بذهنه شبهة من الشبهات .

وازعم ان ابن رشد فضلا عن تأثره كغيره من الفقهاء بهذه الروح ، كان ايضا متأثرا بثقافته المنطقية ومرانه على الجدل ، في مقارنته للمذاهب وتخرجه للاقوال ، ولعل ذلك هو ما منعه ان يكون متعصبا لهذا المذهب أو ذاك ، فانه يناقش كل خلاف بروح رياضية نزيهة ، واذا رجح فقهها على فقه فانه لا يبدي اي تنطع في ذلك كما هي عادة فقهاء المذاهب ، والغالب ان يرى الخلافات المذهبية ناشئة من يسر الشريعة ومرونة قواعدها ، فيجملك تشعرا بالاطمئنان لكل المذاهب وتلاشي الخلاف فيما بينها تلاشي الضباب بفعل اشعة الشمس .

ولا يعني هذا تنازله عن مالكيته وعدم قيامه بفقه المذهب كما يطلب من أحد اقطابه ، كلا فانه اول ما يذكر مذهب امامه ، ويزيد بذكر اقوال اعلامه المشهورين

التي خالفوا فيها الامام ومداركها ولا يقول في مسألة من المسائل انه لا يعرف حكمها في المذهب كما يقول ذلك أحيانا فيما يتعلق ببعض المذاهب الأخرى ، مما يدل على تمكنه من معرفة مذهبه وتضلعه في فقهه . وهو يأخذ على المذهب مخالفته للاصول في بعض المسائل وربما يعلل ذلك بعدم بلوغ النص الى الامام او عدم صحته عنده . وكثيرا ما يلاحظ مخالفة المذهب للقواعد التي بنى عليها واتخذها أساسا للحكم وله في العمل الذي هو اصل من اصول مذهب الامام مالك أعني عمل أهل المدينة كلام ضمنه كتابه في أصول الفقه (1) ولعله هو الذي لخصه في كتاب بداية المجتهد عند الكلام على جمع الصلاة ورايه فيه وسط يقبل ويرد بحسب المقامات (2) .

فنرى من هذا انه لم يتخل عن مذهب الامام مالك وانه كان يأخذ بفقهه ويلتزم باجتهاده مع ما كان عليه من تسامح وسعة أفق ، وأكثر من ذلك انه لم يحاول ان يجعل له رأيا مخالفا لفقهاء المذهب ، ويوجد مدرسة جديدة فيه كما فعل جده ، ادركنا ذلك بالتتابع لكلامه ، ورايناه يصرح به في كتابه بداية المجتهد ، اثناء استعراضه للخلاف في نجاسة الاروات حين يقول :

« ولولا انه لا يجوز احداث قول لم يتقدم اليه احد في المشهور ، وان كانت مسألة فيها خلاف ، لقل ان ما ينتن منها ويستقذر بخلاف ما لا ينتن ولا يستقذر ، وبخاصة ما كان منها رائحته حسنة لاتفاقهم على اباحة العنبر ، وهو عند اكثر الناس فضلة من فضلات حيوان البحر ، وكذلك المسك ، وهو فضلة دم الحيوان الذي يوجد المسك فيه فيما يذكر » . (3)

وهذه ملاحظة صائبة منه وهي حرية ان تكون قولنا راجحا في المسألة لولا انه كما راينا يتحرج من احداث قول لم يسبق اليه .

وبالطبع انتقد ابن رشد المذاهب الأخرى في عدة مسائل . والزم اصحابها بمخالفتهم للقواعد التي اعتمدها كلما وقعت منهم هذه المخالفة ، وهو يعتني بذكر مذهب الظاهرية ولا يذكر امامه داود بل يقتصر على ذكر ابن حزم ، لا ادري اذلك للاعتزاز باندلسيت ام للاعتداد بقول العلماء لولا ابن حزم لما ذكر داود والجمهور عنده انما يعني الائمة الثلاثة : مالك

- (1) ذكره في بداية المجتهد ج 1 ، ص 102 .
- (2) البداية ج 1 ، ص 174 .
- (3) البداية ج 1 ، ص 81 .

من مسير الأوضاع الإسلامية المعاصرة: سجل التخلف الديني وحالة التخلف العالم في العالم الإسلامي

المؤلف: المصطفى الرحيمي

المسلمون - في عمومهم - واقعون في منطقة التخلف بالعالم ، منطقة العالم الثالث التي يعد سعيها الى محاربة التخلف وتصفيته من اهم قضايا العصر ، واكثرها تأثيرا على عالم المستقبل . والمراقب العادي في اوربا وسواها ، تجد عادة لديه بنور تفكير يوحى بإمكانية وجود صلة موضوعية بين هذا التخلف الشديد الذي عليه المسلمون ، والصفة الاسلامية التي هم بها متميزون . ومن الضرورات التي تفرض نفسها ان نعمل على ازالة هذا الوهم الذي يحدد نظرة كثير من الاجانب الى الاسلام والمسلمين .

العالم المعروف في عهدهم ؛ هذه نظرية يؤكد لها عدد من المسلمين الذين يتعرضون من جانب او آخر الى موضوع التخلف في البلدان الاسلامية محاولين بذلك ايجاد تعليل له يربط اسباب التخلف المادي بالتخلف الروحي في هذه المجتمعات المنتسبة الى الاسلام ؛ ومن ثم ، يخلصون في الاخير الى الاستنتاج الطبيعي ، المرتبط بهذه النظرية ، والذاهب الى ان الحل يكمن في حالة الرجوع الى يتابع الدين الثرة المعطاء ، والاعتراف منها بما يكفي لاصلاح المسلمين دينا ودنيا .

وعلى النقيض من هذه النظرية ، نظريات اخرى ياخذ بها الكثيرون في اوربا وغيرها ، وتذهب في تحليلها الاخير - حول الاسلام والدين عموما - الى استنتاجات فحواها ان علة تأخر المسلمين ، يكمن في عزلتهم الفكرية عن العالم ، وانطوائهم على روح غيبية تواكبة استسلامية ، لا مخرج لهم من تأثيرها الا بمراجعتهم لمواقفهم الاعتقادية من الاساس ، وتخلصهم

صلة الاسلام بمختلف المجتمعات التي تنتسب اليه ، او تقدمها على الصعيد الاجتماعي والفكري والاقتصادي وغيره . هذه الصلة تشكل موضوعا هو من المواضيع التي تتناقض فيها وجهات التصور عند الكثيرين سواء من المسلمين او من غيرهم . وكل ينظر اليها من زاوية تتناقض تماما الزاوية التي ينظر منها الآخر ؛ ووجهات الراي هاته ، هي اولا وجهة نظر الفيارى على الاسلام ، وهؤلاء يرددون في العادة ان سبب ما احاط بالمجتمعات الاسلامية من تدهور عام وتخلف ملحوظ في شتى الميادين ليس له من سبب آخر ، الا تنكبهم طريق دينهم ، وعزوفهم عن احتذاء هديه ، عكس ما كان عليه امر المسلمين الاول ، الذين كانوا لدينهم من المتبعين ، فقالوا من ذلك ان تمكنوا من اقامة مجتمع فاضل ، وبنوا حضارة لامعة الاناق ، وتولوا خلال فترة طويلة من الدهر ، الاخذ بمقاليد العلم والاخلاق والمدنية والقوة والمنعة ، في كل جنبات

الدينية وهو معارضته لدعوة الموحدين في اتجاهها العقدي كمعارضته لها في اتجاهها الفقهي ، ونحب ان نشير له باختصار توفية لحق الموضوع .

والحقيقة انه ليس معارضة بمعنى الكلمة ، ولكنه يؤول اليها ، فان التصدي للرد على الغزالي ونقد كتابه التهافت مع ما كان له من مقام عظيم في نفوس الموحدين واعتباره الاذن لزعيمهم المهدي بن تومرت بالقيام على المرابطين مع ما يدعى له من القراءة عليه والاخذ عنه ، لا يمكن ان يعد الا استمرارا للحرب التي شنها الفقهاء على الغزالي وكتبه في الدولة السابقة . وليس ذلك مما يرضى عنه الموحدون والمتعصبون للغزالي على العموم .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان نقد ابن رشد للاشاعة في قضية التشابه ودليل الوجود وغيرهما ومذهبهم هو مذهب الموحدين في العقيدة على ما قدمناه ، دعوا اليه والزموا الناس به وحاربوا المرابطين عليه هو ايضا من المجازفة في الخلاف على الدولة ، ويعتبر شجاعة ادبية يقل لها النظر في عصره .

ولعل ذلك مما وطد سمعته العلمية ، ورفع مقامه الديني عند الناس ، وان كان من الوجهة السياسية لا بد ان يخلف اثرا في نفوس رجال الدولة ، ويحسب له في المخالفات التي اخذت عليه عند امتحانه .

المهم ان الرجل كان يوجه ولا يوجه ، وكان اماما في الفقه ، كما كان اماما في الفلسفة ، واذا قلنا اماما في الفقه فان ذلك يعني اماما في الدين ، لان الفقه في الاسلام من الدين ، وكانت له غيرة على الحكمة والشريعة معا هي التي جعلته طول حياته يقف موقف الدفاع عنهما وذلك هو سر عظمته رحمه الله .

طنجة : عبد الله كنون

وذلك كله مع سعة الصدر وعدم التنطع كما نبهنا عليه سابقا . ويعجبني كلامه في مناقشة مذهب من يقول بكفر تارك الصلاة اعتمادا على ظاهر الاحاديث الواردة في ذلك ، فهو يخرجها على ان المراد من يتركها متعمدا مستحلا لذلك ، ومع ذلك فهو لا يرى قتله كفرا ولا حدا ، لانه لا يحل دمه الا باحدى الثلاث المنصوص عليها في الشرع ، وهذه ليست منها . واما مجرد الترك فلا يكون صاحبه كافرا الا باحدى الثلاث المنصوص عليها في الشرع ، وهذه ليست منها . واما مجرد الترك فلا يكون صاحبه كافرا الا على مذهب من يكفر بالذنوب يعني المعتزلة ، وهو قول لا يأخذ به اهل السنة . وهذه خلاصة كلامه ، ولولا طوله لنقلته فلينظر في محله (1) .

مع هذه اللمحة عن فقه ابن رشد وثقافته القانونية ، ينبغي ان تذكر فلسفته الالهية وموقفه من الشريعة بعام ، فان لهما علاقة متينة بالايمان والفكرة الدينية في الاسلام . وكتابه في هذا الغرض وهما فصل المقال ، فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، والكشف عن مناهج الادلة ، في عقائد الملة ، اشهر من ان يعرف بهما ، وعليهما وعلى كتابه تهافت التهافت قامت شهرته كفيلسوف اسلامي عظيم ، وفق لاول مرة وبنجاح كبير بين اغراض الفلسفة والدين ، ورد على القائلين بتناقضهما واثبت فكرا وعملا بسيرته التي لا يتطرق اليها الشك ان الفيلسوف يمكن ان يكون مؤمنا صادقا متمسكا بقواعد دينه لحد ان يصير قدوة فيه .

وهذا المقصد الذي انعم درسا وقتل بحثا ليس من موضوع كلمتنا هذه . ولكنه ينطوي على موقف نعتبره من تنمة الكلام على فقه ابن رشد وامامته

(1) البدايات ج 1 ، ص 91 .

الى اي حد يجب ان نذهب في الربط بين التخلف الديني عند المسلمين ، والتخلف الديني ، التسمون به كذلك ؟ وهل يعتمد هذا الربط ، اذا ذهبنا اليه ، على اسس موضوعية وذات تأثير جدي ؟ هنالك في الموضوع ملاحظات ، لابد من مراعاتها ، قبل كل شيء :
 وما تدل عليه يمكن للمرء ان يستخرج عددا من الحقائق التي قد تفسر الحالة المتساءل عنها ، وتعللها ان كان الحال يقتضي تعليلا وهذه الملاحظات هي (1) ان حالة التخلف الديني لا تختص بالمسلمين دون غيرهم ، بل تشمل مجتمعات كثيرة تتوزعها ثلاثة ديانات اساسية ، وهي الاسلام والبوذية والهندوسية ؛ وبعض هذه الاقطار المتخلفة تنتسب اساسا الى المسيحية ، اي تنتسب الى ديانة العالم الاوربي والامريكي المتقدم ، فهل اخرجها ذلك من اطار العالم الثالث (الحبشة مثلا) ؟ (2) بعض الشعوب المتخلفة تعتنق كتل منها تصغر او تكبر الديانة المسيحية على مذاهبها المختلفة ، وهذه الكتل ترتبط هكذا من جهتين ، من جهة الدين تنتسب الى ديانة العالم المتقدم الذي تسوده المسيحية بدرجة اولى ، ومن جهة الحالة الاجتماعية والاقتصادية ، فان هذه الكتل المشار اليها تعد بتخلفها ، وفقرها وجعلها جزءا عاديا من المجتمع الذي ترتبط به اساسا ، اي المجتمع المتخلف ؛ وبهذا نجد بكل بساطة ان انتسابها الى ديانة المتقدمين صناعيا واجتماعيا لم يؤثر اطلاقا على وضعيتها الدينية المتخلفة ، مثل ما هو الامر - حذوك النعل بالنعل - بالقياس للمواطنين المسلمين الذين ينتمون الى نفس القومية التي ينتمي اليها هؤلاء المسيحيون الشرقيون والافريقيون . (3) يلاحظ ان خريطة التقدم والتخلف في العالم ، يكاد يتحكم فيها - مظهرها - العامل الجغرافي اكثر من غيره ؛ ذلك اننا اذا لم نستطع استعمال مقياس الفوارق الدينية ، لتصنيف مناطق التخلف والتقدم في العالم ، على اساس ان هنالك تداخلا مفترضا بين احوال التخلف ومختلف الديانات الموجودة ، بحيث انك تجد مثلا دينا « متقدما » هو دين لمجتمعات متقدمة ودينا « متخلفا » هو دين جماعات متخلفة - اذا لم نستطع استعمال هذا المقياس ، مقياس الدين في هذا المجال ، فان هنالك مقياسا آخر ، هو المقياس الجغرافي الذي قد يظهر للبعض ، انه كاف لتصنيف اوضاع التقدم والتخلف في العالم ، واستخراج التعليقات التي تساعد على اثبات هذا التصنيف والاستشهاد له ؛ فالتقدم الحديث يكاد تنحصر منطقتاه في هذا الشريط الارضي الممتد شمالا على طول العالم الجديد ، الى الشمال ايضا ، عند شرقي اوربا ، وقد

تمتد منطقة التقدم هذه اكثر ، لتشمل في بعض الاعتبارات ، شمال آسيا التابع للسوفييت وتوقف عند حدود اليابان ، شمال الكرة الارضية ايضا ؛ اما المناطق الجنوبية الارضية : افريقيا بكاملها ، والمناطق الاهلة باسيا ، واكثرها جنوبي الموقع ، هذه المناطق تعتبر - بحق - مناطق التخلف بالعالم ، وكما نلاحظ ، فهذا التصنيف يرتبط بالاعتبارات الجغرافية ، وليس للعوامل الدينية فيه دخل ما ؛ ولا يعني قولنا هذا ايضا ان الاوضاع الجغرافية تصلح كمقياس صحيح ، لترتيب احوال التخلف والتقدم في العالم ، وان كان البعض يأخذون بهذا الرأي ، ذاهبين به احيانا مذاهب شتى في الاستنتاج ، والحكم على الاشياء ؛ اننا لانبغي هنا تعليل وجود التخلف او التقدم من ناحية جغرافية او غيرها ؛ لان التخلف والتقدم هما في الواقع حالتان معقدتان من حيث الاصول التي ترجعان اليها ، والعوامل التاريخية والاجتماعية والعقالية ، التي ساهمت في وجودهما ، بما جعل العالم هكذا منقسما الى عالم متقدم وآخر متأخر ، وفي بداية طريقه الى النمو والتطور . اما القضية التي تاخذ بوجهة النظر بالنسبة لموضوعنا هذا ، فهي - كما اسلفنا - علاقة الدين بوجود التخلف ، كما قد يحاول البعض ان يربط بينهما ؛ وقد راينا من استعراض بعض الملاحظات بهذا الصدد ان هذه العلاقة ليست علاقة موضوعية بالضرورة . وليس من مبرر واقعي - حسب الامثلة التي سقناها - يبرر الاعتقاد بوجود هذه العلاقة او اثباتها بصورة من الصور ، اما البرر النظري ، فيبدو اكثر استحالة ، اذا عرضنا موضوع التخلف على اساس النظر الديني السليم ؛ فالفكرة الاسلامية لا تناوي عمليات التطوير الاقتصادي والفكري والاجتماعي - وهذه اسس العمل الانمائي في اي قطر وفي اي ظرف - نقول : الفكرة الاسلامية لا تناوي مثل هذه العمليات اطلاقا ؛ بل تلح عليها بشدة ، الا اذا كان مفهوم التطوير ممتزجا بمعطيات ضارة بطبيعتها باسس الاخلاق الاجتماعية او التوازن الاجتماعي ، فحينئذ قد تتعرض الفكرة الدينية بالنقد لنسوع من التطور على هذا المستوى ، وليس هذا من قبيل التسبب في خلق التخلف ، الا اذا وضعنا لحالة التقدم ، صورة واحدة دائمة يعد الخروج عنها بأية صورة مدعاة الى التخلف ، وطبعيا ، فهذا افتراض فاسد من اساسه ؛ اذ ان المهم في امر التقدم او التخلف ليس هو التزام صورة معينة من الصور ، لا يجوز الخروج عنها الى صورة اخرى ؛ ان اي مجتمع ، المجتمع السدي ينجح في اعطاء فرص العلم والغذاء والاطمئنان لافراده

كان هؤلاء المتعصبون كثيرين ؛ فثمت جهل بعضهم بحقيقة الروح الإسلامية ، واغترارهم ببعض الظواهر السطحية في حياة المسلمين يخلصون منها الى تكوين استنتاجات خطيرة مبتسرة - لهذه الحالة من الجهل تاثير كبير في تكييف نظرة مثل هؤلاء الى الموضوع وصياغة رأيهم فيه ، لكن هناك اخيرا من بين هؤلاء الاجانب كذلك من له في الموضوع نظرة اكثر موضوعية ، وادل على اطلاق اعمق حول الموضوع ؛ ان مثل هؤلاء يبدو عليهم انهم يستطيعون التمييز في موضوع الاسلام والتقدم - بين تخلف المسلمين على حدة ، والعقيدة التي ينتسب اليها المسلمون على حدة كذلك ؛ وفي امكان مثل هؤلاء ، ان ينظروا الى حالة تخلف المسلمين على انها حالة منفصلة عن الاسلام ، وان القيم الاسلامية ليست مسؤولة عن وجود هذا التخلف ، بل توجد هي نفسها ضحية لهذا التخلف الذي حمل المسلمين على تحريفها ، وتجريدها من محتوياتها الايجابية واخضاعها لمفعول الجهل والعقد النفسية التي يزرع بها المجتمع الاسلامي عموما في المشرق والمغرب ؛ واذا كان هناك من بين الاجانب عن الاسلام من ينظر الى الموضوع هذه النظرة الأكثر تدقيقا ، والأكثر انطباقا على واقع الحال ، فانهم يلتقون بهذا - على نحو ما - مع الآراء التي يأخذ بها السلفيون من المسلمين المعاصرين ، الذين يرون ان الاسلام يكاد يكون الضحية الكبرى لما هو متغلغل في المسلمين من مظاهر التخريف والتهاافت الفكري الذي يسببه التخلف العام ، في مجتمع من المجتمع ، والذي تفذي آثاره السيئة مسالك المخرفين والمشعوذين والمقولين على الاسلام . ممن لاتحذوهم روح تثبت ديني ، او وازع علي . فاذا بهم يحمون على روح الاسلام ما ليس منها ، ويضاعفون من عوامل التخريفية التي تفسد النظرة الصائبة على عموم الناس في المجتمع المتخلف ؛ وتجعل الاحوال الدينية شديدة الامتزاج بحالة التخلف العام الموجودة في مثل هذا المجتمع ؛ والاستنتاج الذي تنتهي اليه الفكرة السلفية بهذا الخصوص هو ظاهر من سياق المقدمة التي ينطلق منها السلفيون ؛ يتلخص هذا الاستنتاج في وجوب تطهير عقول الناس من التأثير الخرافي الذي تخلفه مؤثرات الشعوذة الدينية ، والجهل بروح الاسلام ومقاصده العامة ، وهذا التطهير كفيل برد عموم الناس الى المورد الصافي للاسلام ، ويسهل بعد كل هذا تنقية عقول الناس من الجوانب الاخرى التي يظهر فيها اثر التخلف كالجوانب الاجتماعية والاقتصادية وما في حكمها .

من كثير من التقاليد الاعتقادية التي تقعد بهم عن مجاراة تيار الحياة السائر المتطور . وهذه النظرية - كما نرى - تناقض تماما - وبصورة متوازنة - فكرة تمثيل تخلف المسلمين ، بما يظهر عليهم من تنكب سبيل الدين السوي فهي - تقوم على اعتبار معاكس ، يذهب الى تعليل تأخر المسلمين بما يبدو عليهم من تمسك بتقاليد عقائدية ، قوامها الروح والعالم ما وراء المادي ؛ ومع ذلك ، فان الداهيين هذا المذهب ، في تقييم الاحوال الاسلامية من الاوربيين وغيرهم ، لاينطلقون في الواقع من نقطة واحدة ، فمنهم الآخذون بالجدلية العادية التاريخية ، وهؤلاء لا ينحصر تقديرهم للقضية في اطار الاسلام وحده ، او ينظرون الى الامر من زاوية الاوضاع الاسلامية بمفردها ، بل هم يضعون القضية على اوسع نطاق توضع فيه ، معتبرين ان الفكرة الدينية عموما - وبصرف النظر عن دين معين - من شأنها ان تحول دون الانطلاق الى آفاق التحرر العقلي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي الذي يجب ان يكون سبيل انسانية عقلانية وعلمانية ومتقدمة ؛ وليس لازما في موضوعنا هذا ، النظر في الامر مع هؤلاء الآخذين بالنظرية المادية التاريخية ؛ لان القضية تتخذ في اعتبارهم صبغة اعم من موضوع تخلف المسلمين ، ماديا وروحيا ؛ والنظرية عندهم نظرية كلية ، لها جانب سلبي كلي ، يقوم على رفض العقائدات الروحية اطلاقا ، ودون تقييد الراي بقرينة ما او اخضاعه لشرط او ظرف او غيره ؛ كما ان للقضية عندهم كذلك جانبا تعويضا كليا هو الآخر ، يعرض بدلا شاملا للعقائدات المرفوضة ، ويعرض هذا البديل على انه ذو كفاية تامة لاستيعاب مختلف الجوانب التي تعني الانسان في حياته ، وانه بذلك يعني عن غيره . فليس بعده من حاجة عقائدية تدعو المرء لهذا وذاك من العقائد ، ومن ثم ، فلا ضرورة للنظر في الامر - مع الجدليين الماديين حيث ان البون شاسع بينهم وبين الفكرة الما وراء مادية مبدئيا ؛ لكن يتبقى مع هذا ، النظر في الراي الذي يتخذه حول موضوع الاسلام والتقدم ، بعض ذوي الراي الثقافي والفكري باوربا سواء من المعاصرين او غيرهم ؛ ان الفرق بين مثل هؤلاء وغيرهم ، انهم ليسوا ماديين بالضرورة ولا ملحدبن كذلك بالضرورة ؛ فقد يوجد من بينهم من يقيم لمسيحيته اعتبارا يقل او يكثر ؛ لكن الراي الذي يعبرون عنه حول احوال المسلمين وعقيدتهم ، يقوم - كما تقدم - على القول بان هناك صلة ما بين اسلامية المسلمين ، وما يسود حياتهم من تخلف وازراية ؛ وليس ضرورة ان يكون هؤلاء متعصبون ضد الاسلام ، وان

ما يعلل الظواهر الملاحظة بصدد ما نحن فيه - تعليلا اكثر واقعية وموضوعية ؛ وليس الذي يعني في هذا المضمار المفاضلة بين التعليلات ، بقدر ما يعيننا اكثر ، التوصل الى حقيقة منطقية واكثر انطباقا على طبيعة الحالة الموجودة ؛ وطبعاً ، فان التوصل الى هذه الحقيقة ، لا يتم بمجرد انكار القول بأن الدين كان علة تاريخية في حدوث التخلف في العالم الاسلامي المتخلف ؛ انما هناك نقطة اكثر اهمية بهذا الشأن ، وتتعلق بالمستقبل ، وهذه النقطة هي : بصرف النظر عن الترابط - تاريخيا - بين الدين والتخلف ، فما ذا عن المستقبل ؟

ان المسلمين يدخلون الآن عصر التكنولوجيا ، بكل ابعاده المتشابكة ، فهل عليهم ان يتخففوا شيئاً من تراثهم الديني لكي يستطيعوا مسايرة العصر وما يقتضيه من تطور عقلي وعلمي بعيد المدى بقدر كبير ؟ وبعبارة اخرى : اذا كان المسلمون يسرون كبقية شعوب العالم الثالث في طريق التطور والانماء ، فهل يقف الدين بالنسبة اليهم كعبء يتحملونه في مسيرتهم الطويلة هذه ؟ وهل القيم الدينية في هذه الحالة شيء زائد لا يفيد في شيء ؟

ان الصفة الاسلامية للشعوب المتخلفة في العالم الاسلامي ، تفرض هنا اقامة بعض الفروق في البحث بين المسلمين وغير المسلمين . ان المسلمين المتخلفين ، يعانون حقيقة من حالتين مزدوجتين من التخلف التخلف في النطاق العقائدي الديني ، والتخلف العام في مضمار الحياة الاقتصادية وغيرها ، هاتان الحالتان من التخلف قد تربط بينهما - تاريخيا - فنتصور امكانية ان يكون احدهما علة في وجود الآخر ، ولكن ليس هناك - كما اسلفنا - ما يسند القول ان الفكرة الدينية - بصورتها السليمة - كانت علة وجود التخلف العام عند المسلمين ، بل العكس هو الصحيح ، لا نؤكد هذا بدافع التعصب الديني ، ولكنها حقيقة علمية تاريخية ملحوظة ، تظهر دلائلها من فحص التطورات البطيئة التي ادت الى نشوء حالة التخلف في المجتمعات الاسلامية خلال القرون السبعة الماضية ؛ اما وجه التشارك بين الدين والدنيا في موضوع محاربة التخلف وسعي المجتمعات الاسلامية من اجل تطوير نفسها بنفسها ، فيظهر ذلك في كون هذه المجتمعات عليها واجب العمل التطويري من هذا القبيل ، في كلا الميدانين: الديني وما يرتبط به من ملاسات عقلية وغيرها ، ثم ميدان الحياة المادية ، وما يتصل به من موضوعات

اقتصادية وسواها ؛ ان التخلف عند المسلمين ذا صفة شاملة ومتشعبة ، وبلاستنتاج من ذلك ، فان عملية التطوير المستهدفة تصفية هذا التخلف ، لابد ان تكون - بالضرورة - على نفس الدرجة من الشمول والتشعب ، فهل يمكن ان يفهم من هذا ان مهمة محاربة التخلف عند المسلمين اشد منها صعوبة عند غيرهم ؟ باعتبار ان هناك حالة ازدواج تخلفي عند المجتمعات الاسلامية ، تقضي - بالنتيجة - بذل مجهود مزدوج ايضا لامكانية تصفية هذا التخلف المزدوج ؟ ربما يظهر داع للاستنتاج على هذا النحو عند بعض الناس ، الذين قد يرون الامر من زاوية نظر غير مرنة ؛ لكن هل توجد القضية بالضرورة على هذه الصورة دون غيرها ، فلنحاول اذن ان نعيد النظر في الامر من هذا الجانب بالاختص ، فماذا نرى حينئذ ؟ ولكي نرى شيئاً يجب ان نلقي على انفسنا هذا السؤال : هل من اللازم ان يكون بين التخلف الديني ، والتخلف الدنيوي ، فارق في الجوهر والاساس حتى نعتبرهما - كما قد يظن - حالتين منفصلتين تماما ، تحتاج كل حالة الى مجهود خاص لمعالجتها ؟ وهل من ضرورة لوجود فارق من هذا المعنى بين الحالتين : حالة التخلف الديني ، وحالة التخلف الدنيوي ؟ ان الحقيقة التي لابد ان تبين لنا من التامل في الموضوع ، هي ان حالة التخلف ، ليس من الضروري احيانا ان تكون حالة واحدة ، وان كانت لها عوامل متعددة ، ووجه وصور مختلفة ، فالتخلف هو التخلف ، ينعكس - كما اسلفنا - على صعيد الحياة الدينية ، مثلما ينعكس على صعيد الحياة الدنيوية سواء بسواء ، فالتخلف الناشئ عن الانحراف في فهم روح الدين وموجباته الصحيحة ، يرتبط ارتباطا صميما بحالة التخلف الفكري العام، الناشئ عن انتشار الامية وعواقبها كسيطرة الخرافات والمواضعات غير المعقولة وغير ذلك كثير ؛ وهذا التخلف الفكري ، يتأثر في كثير من الحالات - ان لم يكن في كل الحالات - بحالة التخلف الاجتماعي ، وهذا متأثر بدوره بحالة التخلف الاقتصادي وهلم جرا ؛ ومن ثم ، فان الذي يظهر ، ان محاربة التخلف في ميدان ما من الميادين العديدة التي يتحقق فيها التخلف ، من شأنه ان يؤدي - بالنتيجة الى اضعاف حالة التخلف بمجموع عناصرها المتعددة ، مادية ومعنوية ، وذلك بمقايير نسبية تتفق مع قيمة الجهد المبذول في هذا السبيل ؛ حقا ، ان الاعمال المناوئة للتخلف تختلف فيما بينها ، بحسب التخلف القائم والصبغة التي يكتسيها ، فتجد مثلا اعمال انماء اقتصادي لتصفية حالة التخلف

بمجموعهم ، وبدون استثناء ، فيعد المجتمع بذلك مجتمعا متقدما ، خصوصا اذا كان ما يوفره لافراده من حاجيات آت من موارده هو ، ومن طاقته وانتاجه ، مضافا الى هذا ، وجود هذا المجتمع ، كعامل ابداع وانتاج وتفتح ، تفيد منه المجتمعات الاخرى الاقل منه تقدما ؛ ومثل هذه الحالة التي يتميز بها المجتمع المتقدم ، لا يهم في شأنها غالبا الا النتيجة ، فهي التي ينعكس عليها مظهر التقدم ، اما الوسيلة فهي تختلف بحسب النظريات السائدة في المجتمعات ، والمناهج المختلفة التي يحتذيها هذا المجتمع والآخر ؛ والفكرة الاسلامية تتركز عنايتها في النتيجة والوسيلة معا ؛ فهي اذ تعير اهتمامها لضرورة الحصول على التقدم ، تبدي حرصها في نفس الوقت على سلامة الطرق والوسائل المؤدية الى هذا التقدم ، هذه الوسائل والطرق التي يجب ان تكون سليمة - بحسب المفهوم الاخلاقي والاجتماعي للسلامة - لكي يمكن ان تؤدي الى تقدم سليم ومعقول ومتوازن . ومن ثم ، يبدو ان ربط حالة الدين بحالة التخلف عند المجتمعات المتدنية المتخلفة . مما لا يثبت امام المناقشة الموضوعية المحصنة ، الا اذا كان المجادل في مثل هذه المواضيع ، يرى الحقائق من زاوية ضيقة ، لا يريد مبارحتها للنظر الى الواجهة الاخرى للحقيقة المتناقش في شأنها . ولا ينكر ان الظاهرة موجودة على مستوى العالم الاسلامي كله . بل في مختلف المناطق الارضية التي توسم بشدة التمسك بالمبدأ الديني ، كما لا ينكر كذلك ان ملاحظة هذه الظاهرة ليس مؤديا بالضرورة الحكم على الفكر الديني ، والاعتقاد بانها مسؤولة عما يلاحظ من تخلف في المجتمعات المتدنية ، والا فمن الاصول البديهية المتعارف عليها في مضمار الفكر العلمي ، ان ملاحظة الظاهرة التي تلوح - ولو مع التكرار - لا يصح ان تؤدي دائما الى تاسيس قاعدة نهائية او حتى اصدار حكم بات ، الا اذا وقع استقراء مختلف العلل الكامنة وراء الظاهرة ، والملابسات المتزجة بها ، وثم كذلك استبعاد العناصر المضلة في فهم الظاهرة وتاويلها ، وامكن الحصول على ادراك صحيح وخال من الملابسات المشككة في شأنها ، ووقع كذلك تجربة المثيلات لها ان كانت قابلة للتكرار ، وحينذاك فقط يمكن الجزم بشيء في شأن تلك الظاهرة واعتبار ما يجوز ان يستنتج منها ، على انه امر بات وجازم ؛ فكيف يمكن اذن الجزم بهذه البساطة المتناهية في امر معقد وشائك كموضوع الصلة بين التخلف والدين ، بينما التخلف هو - كما اسلفنا - عبارة عن حالة معقدة الاسباب تنشأ كنتيجة لتفاعل عدد من العوامل البطيئة ، ليس

الدين واحدا منها ؛ وقد يعترض بالقول ، اليس من اهم العوامل في وجود التخلف العامل العقلي ، واليس الدين اقوى عامل عقلي مؤثر في المجتمعات الاسلامية ؟ فكيف لا ينسب اليه وجود التخلف عند المسلمين ؟ ونفس القول ، يصدق على حالة المجتمعات الشرقية الاخرى غير الاسلامية ؟

ان ترديد قول من هذا القبيل ، يقتضي ان القائلين به قد فحصوا الفكرة الدينية من اساسها الاصلي غير المتأثر بأية شائبة اخرى طارئة ، كما فحصوا جوهر العقلية المتخلفة عند المسلمين - ولنسبق الموضوع منحصر فيهم لا في عموم المعتنقين للديانات الاخرى - وكان من نتيجة فحصهم للعقلية المتخلفة ، السائدة عند المسلمين انهم استقصوا مختلف العناصر المكونة لها ، والمسببة لطبيعتها المتخلفة ، ثم لم يجدوا عنصرا عقليا مؤثرا في وجود التخلف عند المفحوصين الا العنصر الديني وما يتعلق به ! . مثل هذا النهج من تحليل الاشياء ، هو الذي يستطيع ان يجوز اطلاق احكام من هذا القبيل ، لكي لا تكون احكاما جزافية مبتسرة ؛ وتكون ذات تاصيل علمي قويم ؛ والملاحظ ان الذين يطالبون احكاما ترتبط بين الدين والتخلف في المجتمعات الاسلامية ، تجدهم في عدة احيان ، اما جزافيون في اطلاقاتهم هذه ، واما تنقصهم النزاهة العلمية الكافية التي تملئ عليهم التزام الثبوت والتحري خصوصا اذا كانوا قادرين عليه ؛ لكن هناك وجها من النظر في الموضوع ، اشرنا اليه من قبل ، ويبدو اكثر تعبيرا عن الحقيقة القائمة ، وان كان البعض من يربطون الدين بالتخلف ، لا يلتفتون الى هذا الوجه ، ولا يعيرونه اعتبارا ؛ ذلك اننا اذا امعنا النظر في ابعاد التخلف الموجود واوضاعه بالبلدان الاسلامية فلا شك اننا واجدون بكل بساطة ، ان الفكرة الدينية ، توجد هي نفسها ضحية التخلف الفكري المنتشر بين المسلمين ؛ ان القيم الدينية - وان كانت تظهر على صعيد المجتمعات الاسلامية ، موسومة بسمه التخلف ، فليست هي العامل المؤثر في وجود الحالة ، وانما هي - ككثير غيرها من المقومات الحضارية الاصلية عند المسلمين ، قد نالها من التخلف ما نالها ، فاذا هي نفسها متمظهرة بهذا المظهر المتخلف ، واذا هي صورة من عدة صور لا حصر لها تتضافر كلها على تشكيل الصورة الكبرى الشاملة ، لواقع التخلف في العالم الاسلامي الراهن .

هذه نظرة الى الموضوع ، قد تعلل جانباً منه ولو تعليلا جزئيا ، وربما تكون اقرب الى الواقعية من غيرها ، مع امكانية ان يوجد غيرها من وجوه النظر

حياة الشهداء عند ربهم

وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ،
بَلْ أحياء ، عند ربهم يرزقون .

للأستاذ محمد الطنجي

جميعا » ، كما تذكر الآية ، وعليه فان انتصار غزوة بدر الكبرى الحاسمة في تمكين الاسلام بعد ضعفه وبدئه غريبا ، جاء عقبها امتحان رفعة احد للمومنين وابتلاؤها لطائفة المجاهدين ، فتوفاهم الله شهداء ، مثالا لعظيم الوفاء انذي استحقوا به عند الله رفعة الجزاء بخلاف الحاجدين للآخرة وثوابها ، فكانوا مع المومنين كما تخاطب الآية المومنين : « ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون ، وترجون من الله ما لا يرجون » .

وهكذا كان رجاء المومنين الشهداء في ثواب الله عظيما ، وجزاؤهم من فضله كان جزيلًا جسيما « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أَمْواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . صدق الله العظيم .

تلك صورة رائعة من الرفعة والجزاء تنطبق على مر الدهور على شهداء الحق والواجب ، لا تخص عصرا دون سواه ، يستجليها العظماء المخلصون عند امتحانهم في الحق ، وصبرهم على البلوى ، وتحملهم لوسائل احراز النصر مهما اشتدت المعارك وادهمت الخطوب .

واذا كان سبب نزول الآية في هؤلاء الشهداء هو امتحان غزوة احد للمومنين ، فان عموم هذا الوصف شامل لمن شرفه الله بالشهادة في سبيله في كل وقت وحين . والمخاطب في الآية هو الرسول او هو كل سامع وهو اولى لورود نظيرها بالخطاب للعموم ، كما قال

هذه الآية الكريمة تتلى في القرآن العظيم مدى الدهر . وهي بشارة للموقنين ومزية للمجاهدين الخالدين . وحض وترغيب من رب العالمين على الاستماتة والاستشهاد في سبيل الله ونشر الدين ، ذلك ان مبادئ الفضائل في الوجود لا بد لها من انصار يعملون لحياتها في المجتمع . وتمكينها في نفوس اهله ، وان ايمان الشخص بالمبدأ ليسمو بنفسه ، حتى يجعله يستلذ القتل والموت في سبيله . ليحيى مبدؤه ، وتنتصر عقيدته . وهذا داب المومنين بالله سبحانه . وبعقيدة توحيده الخالدة في سبيل نصرة الدين ، خصوصا وهم يوقنون بان حياة الافراد محدودة بأجال لا تتعدها ، وان مبادئ الحق وشريعته حية خالدة ، ويعتقدون ان بذل الحياة الفانية في سبيل مبادئ الدين الخالدة هي غاية الايمان بها ، وشرف عظيم لمن يجود بالنفس في سبيلها سواء عند الله كما اخبرت الآية الكريمة او عند الناس بالذكر الجليل ، والوفاء والثناء الجزيل « والجود بالنفس اقصى غاية الجود » كما يقول الشاعر العربي .

ومن المعلوم ان عوامل الخير والشر تنتاب المجتمع البشري في مختلف الازمان ، واذا كان للباطل والشر اشياعه واحباره ، فللحق والايمان العظيم اعوانه وانصاره . ولهذا قد تكون الحرب سجالا بين الكافرين المبطلين والمومنين المحقين ، فيكون الانتصار والانكسار ، تحقيقا للابتلاء والامتحان ، ولكن العاقبة للمتقين ، « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم

الاقتصادي ، واعمال انماء اجتماعي لاقضاء بذور
التخلف الاجتماعي ، وهكذا ؛ غير ان وجود تجزئة
كهذه ، تصنف على اساسها احوال التخلف والانماء ،
بحسب صلتها بالمادة والانسان فردا ومجتمعاً - مثل
هذه التجزئة ، لا تمنع من ملاحظة التداخل الدقيق
القائم بين جميع احوال التخلف جميعها من جهة ، وبين
كافة صور الانماء كلها كذلك من جهة ثانية .

وكل هذا يقودنا الى موضوع التخلف الديني ،
وعلاقته بالتخلف الدنيوي عند المسلمين ، فالتخلف
الديني لا يشكل - كما اسلفنا - حالة مفردة ، وقائمة
على حدة ، يحتاج تقويمها الى مجهود انمائي خاص ،
قد يضاعف من مسؤوليات العمل الانمائي ويزيد من
تعقيدها ، وانما هو ، اي التخلف الديني ، مجرد صورة
منعكسة عن حالة التخلف العقلي العام عند المسلمين ؛
اذن فالعمل الانمائي في شأنها - ان هو الا جزء عادي
من عملية الانماء الفكري التي ترتبط بدورها بجميع
عمليات الانماء التي يجب ان تقوم في شتى المجتمعات
داخل المحيط العالمي الاسلامي ؛ بل ان عملية الانماء
الفكري الاسلامي - من شأنها ان تقوم كعامل مساعد -
عوض ان تقوم كعامل عيب في هذا المضمار ؛ فمن حظ
المجتمعات الاسلامية ان العقيدة التي تاخذ بها ، تنطوي
في مضمونها على حوافز قوية ضد التخلف ، بمختلف
اشكاله وعناصره ، فهي داعية الى العمل ، حائثة على
الكسب ، حاضة على الانتاج ، ممجدة للسعي واتخاذ
المبادرة وبذل الجهد امرة بالتعاون والتضافر ، مشيدة
بالعلم والتعلم والتبصر ، مادحة للتحصيل والتوفير
والتنظيم والتنسيق ، مشعرة بضرورة تحقيق القوة ،
ما كانت الحياة وناموس الاجتماع داعيا الى قوة ؛
والحفاظ على الصحة ، باعتبارها مقدرة للمرء على
ممارسة شؤون دينه ودنياه : المرء السليم - التنظيف -
النشاط ، الايجابي في استخدام مقدراته البدنية
والعقلية ، وكل هذا وغيره كثير مما تشعبه روح
العقيدة الاسلامية ، كما تؤكد النصوص المتواترة -
من شأنه ان يجعل من هذه العقيدة اداة مطواعا ،
لتحقيق حالة الانماء المادي والمعنوي في شتى المجالات ،
وهذا - كما نلاحظه جميعا - من بين الحفظ الجيدة
التي تتوافر لقضية الانماء والتطوير بالمجتمعات

الاسلامية ، اذ انها لاتعاني في طفرتها الانمائية ، نفس
الصعوبات الاعتقادية و « الطقوسية » التي تعاني منها
مجتمعات اخرى تتمسك بقيم دينية ، يعسر التوفيق
دائما بينها وبين مقتضيات التطوير المراد تحقيقه ، فاذا
تقرر هذا ، فلا بد ان يتقرر معه - بالنتيجة - الا معنى
اطلاقا للقول بامكانية وجود صعوبات امام التطور
الفكري في حظيرة المجتمعات الاسلامية ، نظرا لما لهذه
المجتمعات من ارتباطات روحية او ما في معناها ؛ ولا بد
ان يتقرر في مضمون ذلك ايضا ان التخلف الذي ينوء
تحت وطاته المسلمون ليس حتمية مفروضة ، غير
قابلة للالغاء الجذري ، لكن لماذا يبدو مظهر التخلف
شديدا اذن في حظيرة العالم الاسلامي ، ما دام انه
لا توجد عراقيل اعتقادية تحول دون الفائه ؟ وما دام
ان هناك عملا متواصلا ضد الاحوال المتخلفة في مختلف
بلدان المسلمين ؟ ان عمق ابعاد التخلف - عند المسلمين
هو في درجة نفس العمق الذي عليه حالة التخلف في
جميع اقطار العالم الثالث ؛ والتخلف القائم في مجموع
هذا العالم الثالث ، هو - كما ذكر - نتيجة تطور
تاريخي بعيد المدى ، يدخل بعمومه ، في حركة الحضارة
وتقلباتها بين الشرق والغرب ؛ فليس غريبا ان يؤول
امر الشرق (بالمفهوم الاكثر سعة لهذا التعبير) ان
يؤول الى بوار حضاري ، وقد كان الغرب كذلك ، على
درجة من التخلف يوم كانت دينامية الحضارة تكاد
تكون متركزة في الشرق ؛ غير اننا اذا تأملنا في اصول
التخلف الشرقي الحاضر ، وما يتسم به من مظهر
معقد يبدو به الان ، فاننا سنلاحظ ان مرجع ذلك ناشيء
عن تضافر عاملين كبيرين في هذا المجال : اولهما ان
ان التخلف الشرقي ، صادف تبلور كل الجهود
الحضارية الانسانية من فجر التاريخ وتكاملها على ايدي
الاوربيين المحدثين ، فصار الفارق بذلك ابعدا ما يكون
بين الشرق والغرب (ثانيها ، الاستعمار الذي استغل
وجود هذا الفارق ليصادر مقدرات الشعوب الشرقية ،
ويبقىها طويلا ضعيفة مهزوزة ، وقد عاشت هذه
الشعوب هكذا في مجرد صراع ضد الاستعمار ، ومن
ثم كان مبدا الخطورة في حالة تخلفها الراهن ؛ واذا كانت
مكافحة التخلف لاتعطي ثمارا سريعة الآن ، فلان الداء
كان ابعدا غورا من كل ما يتصور .

سلا - المهدي البرجالي

وجادوا بنفوسهم في سبيل حياة امتهم ، فاللهم تفمّد
الجميع برحمتك وتمعّم برضوانك ، واسكنهم فسيح
جنانك ، واجعلهم مع الذين انعمت عليهم من النبيّين
والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك
 رفيقاً .

وينبغي هنا في هذه الذكرى لبطل المغرب والاسلام
ان نلم المامة خاطفة ببعض ما اعد مولانا محمد
الخامس قدس الله روحه تناول فيه نواة فقط لهذه
الحركة المباركة التي اينعت واثمرت ثمرا شهيا ، ينعم
الان المغرب بأكله ، ويستظل بظلاله ، وتلك النواة في
نظرنا هي نوعية الشعب وتلقينه دروسا في تقويم
عقيدته وتعليم ناشئته ، فقد ادرك محمد الخامس
بالهام من الله ان القيم الخلقية والعلمية هي المقومات
الحافظات لكان الامّة ، سيما امة كونتها العقيدة
الاسلامية الطاهرة ، وادركت عزها التاريخي والحضاري
في ظل هذه العقيدة والشريعة الاسلامية العملية التي
تغلّلت في اعماق قلوب هذه الشعب منذ ازبد من ثلاثة
عشر قرنا من السنين .

اما قضية تقويم العقيدة فقد كانت توزعت ميول
الشعب المغربي واثرت في عقيدته اهواء من البدع
المحدثّة في الدين فنزعت طائفة من شيوخ العلم الى
اعلان سلفية طاهرة تعيد للاسلام نقاوته وطهارته في
وسط مالت به البدع المحدثّة في الدين وفرق من
المتصوفة الى الاوهام والخرافات ، وان كان بعضها
يساير السنة في مراميها فلقيت تلك الدعوة السلفية
من عظيم المغرب تشجيعا وتأيدا ، اعاد به المغاربة الى
رشدتهم في سبيل دعوة الحق وترك ما احدث في الدين ،
سلك محمد الخامس بفعله ذلك مسلك اسلافه
المقدسين امثال مولاي محمد بن عبد الله ، ومولاي
سايما ، ومن سلك سبيلهم ، وكان بجانب جلالته
دعاة مصلحون من السلفين امثال المرحومين اساتذة
الامة ومعارف المغرب : الشيخ ابي شعيب الدكالي
ومحمد بن العربي العلوي ، والمدني بن الحسني ، ومن
الاحياء الفقيه الحاج محمد غازي حفظه الله وغيرهم
الذين كانوا خير موجهين لنخبة شباب الامّة الى
الطريق المستقيم ، وانقذوا بهذه الدعوة السلفية
طائفة هامة من الزيف الخرافي باسم الدين ، ومن
الانحراف والالحاد فيه حيث قامت هذه النخبة بنشر
المبادئ الاسلامية على وجهها سواء في المجالات
والصحف او في المحاضرات والدروس في المساجد ، او
في مختلف الاوساط حتى تماسكت الحال واختطت
السلفية طريقها بين الطرق الاخرى وعرف الجمهور

المسلم معنى هذه الخطة الرشيدة ، التي رفضت
الجمود الذي خيم على المجتمع وبينت ما الصق بالدين
من الخرافات والبدع ، وحفظت كثيرا من العقول من
البحود ، حيث ادرك اصحابها ان الاسلام في اصله
ينبوع صاف ، وعقيدة طاهرة وشريعة كاملة سالحة
لكل زمان ومكان ، تكونت في ظلها حضارات ودول
وترعرعت فيها علوم وفلسفات كانت ولا زالت احدى
الحلقات العظيمة في حلقات التاريخ السياسي والعلمي
والحضاري في حياة البشرية جمعاء .

واما قضية تعليم الناشئة فقد وجه مولانا محمد
الخامس تفمّده الله برحمته عناية كبرى لهذه الناحية
وبذل فيها مجهودا كبيرا حتى اخذت تؤثي ثمارها
الشهية ، فعمل مستطاعه مع ادارة الحماية في اصلاح
التعليم الديني والتعليم العصري تسنده في الحاحه
مطالب قادة الوطنية ورجال التعليم في الميدانين حتى
تحسنت الوضعية نوعا ما رغم محاولات ادارة الحماية
لعرقلة كل الجهود في هذا الميدان ، كما وجه رحمه الله
عناية خاصة لتشجيع التعليم الحر ماديا ومعنويا مع
التنويه بالمساعدين له البانين لمدارسه والقائمين على
تربية الطلاب فيه من الاساتذة وغيرهم ، ينوه بهم حتى
في خطب العرش السنوية ، ومع الذهاب بنفسه من
غير ميعاد ازيارة بعض المدارس في مختلف الجهات
حتى عرفت هذه العناية في بطل المغرب العظيم ،
فصارت كل المدارس تسعى بكل جهد لتحسين وضعيتها
العلمية والمظهرية حتى يجدها مولانا اذا تفضل
بزيارتها على احسن الاحوال ، فتتال رضاه الابوي الذي
هو من أعز الآمال عند القائمين عليها ، وقد ضرب
قدس الله روحه المثل لشعبه بتعليم ابنائه تعليما
عصريا ذا مشرب ديني عربي حتى كان يحضر بنفسه
في كثير من الاحيان دروس الاساتذة المعلمين لابنائه في
المدرسة الخاصة .

النتيجة :

فما ذا كانت نتيجة تقويم اعوجاج العقيدة
والاهتمام بتعليم الشباب كانت النتيجة ان استرد
الشعب حماسه وحيوته ، وقوي ايمانه بنفسه وبحقه
في الحياة الكريمة ، ونظم اساتذة التعليم الديني
والعصري الاناشيد الاصلاحية والوطنية ، والبست
احتفالات عيد العرش صبغة دينية وشعبية هائلة ،
ينظر اليها علماء الدين نظر تقدير للامامة الاسلامية
التي يرجع اليها امر الحفاظ على الدين ومصالح
الدنيا حسبما يعتقدون ، ويبشون ، ذلك في تعليم

تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ، بل أحياء ، ولكن لا تشعرون . »

وإذا كنا في حياتنا الدنيا لا نشعر بها لكون تلك الحياة من عالم الآخرة فاننا نوقن بانها شرف مكانة عند الله ، ودرجات ممتازة في مقام رضوانه ، لانه سبحانه وصف ما عنده لبعض المومنين بقوله : « لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم . »

نعم قد ورد في احاديث نبوية بان ارواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ، وفي رواية حديث آخر انها في حواصل طير خضر تسرح من انهار الجنة حيث شاءت ثم تؤوي الى قناديل تحت العرش ، وفي رواية : ان ارواح الشهداء في صور طيور خضر معلقة في قناديل الجنة حتى يرجعها الله يوم القيامة ، وفي هذه الاحاديث شيء من الاضطراب حيث يقول الاخير بانها معلقة بينما يصرح الحديث السابق بانها تسرح حيث شاءت ، وهذا الاضطراب يدل على ان تلك الاحاديث مروية بالمعنى ، وان كل راو عبر عما فهمه ، ومهما يكن من امر فان لشهداء الحق والواجب والعقيدة الطاهرة مقام رفعة وشرف مكانة عند الله تعالى ، سجلتها لهم الاية الكريمة بأسلوب مشوق لنيلها ، وحاض على بلوغها، صحبته الفرحة والاستبشار، والامن والاستقرار ، وعدم الخوف في الحال والمآل .

وقد ذهب المفسرون الى عدة احتمالات في الاية نظر بعضهم الى حياة الشهرة بالذكر الحسن والثناء الجميل بعد موت الشهيد ، وذهب بعضهم الى انها حياة روحانية محضة ، كما ذهب البعض الى انها مثل حياتنا مادية صرفة يحيونها منذ الوفاء مما وصفه بعض المفسرين بانه لا يقول به عاقل ، يعني لان هذا القول مكابرة في الحسن حيث ان بعض الشهداء تحرق جنته ، او تفتقره السباع ، او الحيتان في البحر ، واعتمد الشيخ محمد عبده رحمه الله في هذه الحياة انها حياة غيبية ، تمتاز بها ارواح الشهداء على سائر ارواح الناس ، بها يرزقون وينعمون ، ولكننا لا نعرف حقيقتها ولا حقيقة الرزق الذي يكون بها ، ولا نبحث عن ذلك لانه من عالم الغيب الذي نؤمن به ونفوض الامر فيه الى الله تعالى .

وبعد فان تاريخ الامم هو تاريخ ابطالها ، لان حياة ضمير عظمائها هو حياة رجالها ، الذين هم اقطابها ، بجهودهم تسير دوايب تاريخ الامم ، وعلى نسبة اقدارهم ترتفع سوابق الهمم ، واعتمادا على حسيهم وشرف محتدهم تشرق شمس المعارف ،

وتضيء بدور التقدم والتطور العلمي والصناعي ، والرقمي الفكري ، حتى يكونوا كما يصف الشاعر العربي غيثا مدرارا ينتج ازهارا وثمارا

تحى بكم كل ارض تنزلون بها
كانكم في بقاع الارض امطار
وتشتهي العين فيكم منظرا حسنا
كانهم في عيون الناس اقمار

هذا وان النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا ، كما في حديث الرسول عليه السلام ، واننا ايها الاخوة المومنون نستجلى في هذه الكلمة عبرة للمتصرين ، من كفاح ابطال هذا البلد الامين ، فان اليوم يوم ذكرى لبطل خالد ، واول مجاهد ، وزعيم رائد ، يعتبر في حركة تحرير القارة الافريقية اعظم قائد ، هو المغفور له مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، ذلكم البطل الذي ضرب المثل بنفسه واسرته في سبيل تحرير امته ، وخطير بعرضه حفظا لكرامته وفي سبيل رعيته ، فاتخذته هذه الرعية وكثير من الدول الافريقية قدوة عظيمة للسعي في سبيل نيل الحرية ، والخلاص من سيطرة الدول الاستعمارية ، حيث برز في المغرب لميدان التحرير ابطال الفداء والتدبير ، فسارت الامة المغربية من وراء ملكها واهل الفداء فيها بكل اعجاب وتقدير ، تشد ازهرهم ، وتزود حركتهم وتبارك اعمالهم حتى توحدت صفوف الامة وراء القادة حول الاهداف الوطنية ، فادركت بفضل امامها المثالي العظيم وانصار الحق اعز امنية ، هي نعمة الاستقلال ، وتحطيم قيود العبودية .

وحق لامة يقودها امثال محمد الخامس ان تسعد بمساعييه وتحقق اغلى امانيه . وان توفيه ما يستحقه من تقدير ووفاء ، وتمجيد وثناء ، باقامة الذكريات وتلقين سيرته لعموم الناشئين والناشئات لا في خصوص المدارس ، ولكن في المدارس وفي مختلف الاندية والمجالس ، حتى تعتاد الامة باسرها سماع المبادئ والمثل التي كان يسعى عظيمها من اجلها ، وسماع اخلاق الاسلام وصفاء مبادئه السلفية التي كان يتدين بها ، فكانت لاعماله طابعا ومذهبا ، ولميوله واتجاهه منهلا ومشربا .

وفي هذه الذكرى نفسها تمجيد لقادة الوطنية المتفنين حوله ، فالقائد بجنده والعرش يعظم بقدر عظمة شعبه ، وفي هذه الذكرى ايضا تمجيد لشهداء الاستقلال الابرار وترحم عليهم وهم عند ربهم يرزقون في دار القرار ، فقد سقوا شجرة الحرية بدمائهم ،

القرآن

يفسر بعضه بعضا

للأستاذ الحاج أحمد التيجاني

ولا ولا بأس هنا من تفكير القارئ فيما جاء من التهافت في هذا الباب في جوهرة اللقاني إحدى امهات كتب التوحيد :

فخالق لعبده وما عمل

موفق لمن اراد ان يصل

ونسي هذا المؤلف ان القرآن الذي هو دستور الاسلام لحمته وسداه العمل والعمل يترتب عليه اثره : تقرا في اول سورة الاعراف : « والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » وهل تثقل الموازين بلا عمل ؟ « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » وهكذا تكرر لفظ العمل بما يفوق الثمانين مرة !! كما قرر ان العمل يترتب عليه اثره : « ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون » « وانما توفون اجوركم يوم القيامة » « يومئذ يصد الناس اشتاتا ليروا اعمالهم » « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » بل تجاوز العدل الالهي في هذا الباب الى اعلى واسمى ما يمكن ان يتصور فاذن للعبد المخلوق من ماء مهين ان يستنجزه وعده وهو سبحانه من الارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فقال : « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك » وقال في سورة الفرقان : « قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون

كلمة فشت وانطوت عليها الالسة ، لكن ويا للأسف ، على قدر ما تكرر على الالسة على قدر ما تنوسي تطبيقها وترويض القرائح على الاهتداء بهديها . معنى كون القرآن يفسر بعضه بعضا ان براعي في فهم الآية السياق الذي يتدرج فيه سابقه ولاحقه مع تفهم الحكم الذي جاءت لتقريره واستحضار ما عسى ان يكون للآية من اشباه ونظائر مبثوثة في مختلف السور لا ان تقتضب وتختزل وينظر فيها منفصلة مستقلة مقطوعة الرحم من المجموع الذي هي فيه كما هي الحال فيما جاء في سورة الصافات حكاية عن موقف سيدنا ابراهيم مع ابيه وقومه : « وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لايهه وقومه ماذا تعبدون ... الى قوله جل ذكره : انعبدون ماتنحتون **والله خلقكم وما تعملون** » تقدم لي ان كتبت عن هذه القصة فيما اكتبه من حين لآخر في مجلة دعوة الحق ، لذلك يكفيني في هذه المرة ان اقنع من القارئ الكريم ان يقرأ القصة من اولها ويتصور موقف سيدنا ابراهيم مع قومه ودعوته اياهم ليخرج بهم من ظلمة الشرك الى نور التوحيد فيرد المخلوق الى الخالق والخالق الى المخلوق ، فجاء اصحاب علم الكلام ونتفوا الفقرة الاخيرة من القصة التي هي : « والله خلقكم وما تعملون » واتخذوها اساسا لعقيدة كانت السبب في تراجع المجتمع الاسلامي بتعقيم غريزة العمل في الاسلام واخماد جذوته مع ان الاسلام في اصل مدلوله دين العزة والكرامة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وهل تعقل عزة بلا مال ولا عتاد ولا ..

واتخذوا المطايا لكل غرور حتى وقعت الواقعة وتجرع
عظيم المغرب واسرته الكريمة مرارة الابداء والنفسى
بكل جلد وصبر ، ففضب الشعب المغربي الوفى لامتهان
كرامته ، وثار مطالبا بحقه وارجاع صاحب امامته
واستمر الكفاح المريس حتى عاد قائد الامة العظيم
واسرته الوفية محفوفين بالنصر والتهلل والتكبير
بفضل جيش التحرير وابطال الفداء المغاوير ، فاشرق
فجر الحرية ونال المغاربة بفضل تعاون الملك والشعب
اعز امنية .

وهكذا كان اصلاح العقيدة والتربية الناشئة على
حب الوطن وامامه من اهم العوامل فى توحيد القلوب
والسعي للحصول على اعز مطلوب ، وكل المواطنين
يعلمون ان الاستقلال اخذ يستكمل فصوله بواسطة
المفاوضات حتى تحقق الكثير منها ، كما ان صروح
عهد الاستقلال الجديد اخذت تشق طريقها الى
التشييد طبق الامكانيات والوسائل المحدودة ، وفي
هذه الاثناء اختار الله لجواره ملكا همما ادى مهمته
فى حياة شعبه احسن اداء تاركا فيه خير خلف لخير
سلف نابغا من نبفاء البيت العلوي العريق فى المجد ، هو
امير المومنين مولانا الحسن الثانى حامي حمى الوطن
والدين الذى وجدت فيه الامة المغربية عزاءها الوحيد
على فقيدها وفقيد الاسلام والعروبة مولانا محمد
الخامس اسكنه الله فسيح جنانه وحفظ الله امير
المومنين الحالى ذخرا وسندا للاسلام ، وحقق فى عهده
كل امانى شعبه الوفى العظيم ، وكلا ولى عهده الامير
سيدي محمد ، وسائر افراد الاسرة الكريمة بعين
رعايته ووفق الجميع الشعب وعاله لكل خير وعزة
وازدهار انه سميع مجيب .

الرباط : محمد الطنجي

العقيدة الاسلامية من وجوب نصب امام للامة تتوفر
فيه شروط هذه الامانة العظمى ، ويلتف حوله
المسلمون حسبا جرت به تقاليد الخلافة الاسلامية
منذ الصدر الاول ، وان استقلت فيما بعد كل جهة
بامامها الخاص ، فتعددت الممالك الاسلامية بدل
توحيدها ، وينظر الى تلك الاحتفالات بالعرش المثقون
ثقافة عصرية نظرهم لرمز وحدة الامة الذى يجب ان
تتحذ حوله الصفوف لتحقيق الاهداف الوطنية العليا ،
وذلك ما اضطر ادارة الحماية الى الاعتراف بعيد
العرش واعتباره عيدا قوميا رغم معرفتها بخطورته من
الوجهة الدينية والسياسية فصار للعرش والجالس
عليه فى المغرب موسم قومي اتخذته المغاربة سوقا ادبية
تبارت فيه افكار الكتاب وتفتحت فيه قرائح الشعراء ،
وفى طليعة المهتمين عاهل المغرب العظيم ، فكان لخطاب
العرش السنوي دور هام وصدى بعيد المدى فى بيان
المنجزات التى تحققت داخل السنة ، ومحاولة لابرار
الخطوط الكبرى لسياسة هادفة للسنة المقبلة ، وصار
للشعب ذوق مرهف يتتبع به خطاب الملك وافكار
الكتاب وقصائد الحماس مما يزيد يقظة الشعب ويقوي
رغبته فى تحقيق السيادة القومية ، وتبلورت الحركة
بصفة جدية وعرف الملك رحمه الله ان وراءه شعبا
واعيا جادا فى انتزاع حقه ، مهما كان الثمن فتصلب
فى مواقفه ومطالبه الاستقلالية تسنده الحركة السياسية
بمطالبها فى عدة مراحل وحركة العمال الموحدة اذذاك
الجادة فى تحقيق المطامح العليا للوطن ، فضافت
الحماية ذرعا فى هذا المجال وسولت لها نفسها ان
الدواء الناجع لكبت الاحرار هو انتزاع اسدهم من
وسط عرينه ، فجنّد رجال الحماية صنائعهم واذنابهم
واغروا ذئابهم وكلابهم ، فحشدوا كتائب الزور ،

لا اعلم انها فوق خشبة !

قال الماهاني : مررت بمنجم قد صاب ، فقلت له : هل رايت هذا فى
نجمك وحكمك ؟ قال : قد كنت ارى لنفسى رفعة ، ولكن لم اعلم انها فوق
خشبة .

صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء
نعم اجر **العاملين** . قطبان اثنان لا ثالث لهما .

ارجع الآن بالقاريء الى الآيات التي تعود الكثير
الاستدلال بها مقتطفة متنوعة من السياق التي هي في
سلكه والكلام يحتاج الى توطئة

خلافا لما تعودناه من عهد الصغر ان فهم الكلمة
اللغوية يطلب من كتب اللغة والمعاجم بخلاف مفردات
القرآن وتراكيبه فان معناها يلتبس في داخل القرآن
نفسه وفي متسع افقه مع استحضار ما للآيات من
اشباه ونظائر تمت اليها بصلة رحم

مثلا كلمة **ظن** فان المتعارف في **الظن** انه الامر
الغير المقطوع به نفيًا وإثباتًا ، هذا حكم القاعدة اللغوية
فاذا انتقلنا بهذه المادة الى افاق القرآن وجدنا ان لها معاني
تختلف باختلاف مواقعها في شتى السور وان الذي
يعطيها المعنى المنشود هو موقعها من السياق التي هي
فيه وما ينضم في سلكه مما عسى ان يكون لها من
اشباه ونظائر في شتى السور وها نماذج من هذا
القبيل : « واستمعنوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا
على الخاشعين الذين يظنون انهم ملائكة ربهم . » فان
روح السياق يعطي للظن هنا معنى اليقين . ومثله
ما جاء في سورة يونس : « هو الذي يمسركم في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل
مكان وظنوا انهم احيط بهم » الخ ما وقع فيه الركاب
من الدهشة وعظيم الخطر يعطي للظن هنا معنى اليقين .
وفي معناه : « كلا اذا بلغت الترافي وقيل من راق **وظن**
انه الفرق والتفت الساق بالساق . » من وصلت به
الحال الى الاحتضار خرج لاشك من الظن ودخل في
مشهد اليقين . « واننا **ظننا** ان لن نعجز الله في
الارض ولن نعجزه هربا » يدل على ان معنى الظن هنا
ايضا اليقين ان الجن اتبعوا ذلك بقولهم : « وانا لما سمعنا
الهدى آمنّا به فادهم الى الايمان بالهدى يقينهم انهم
لن يعجزوا الله في الارض ولا في السماء : » يا معشر
الجن والاناس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض فانفذوا ! » فمستان بين موقع ظن

في هذه الايات وبين ما جاء مثلا في قوله تعالى : « ان
يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس » « ان **نظن** الا ظنا
وما نحن بمستيقنين . » والحاصل ان السياق وما
هنالك من اشباه ونظائر ماثلة في مختلف السور هو
الذي يعطي للآية المعنى المنشود .

الف الناس الاستدلال في كل مناسبة بقوله
تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » على ان المراد
بالكتاب القرآن يقصد به ان فيه كل شيء على وجه
الاحاطة والشمول وفاتهم ان البساط لا يساعد على
هذا التاويل وبيان ذلك ان آية ما فرطنا في الكتاب من
شيء جاءت مقحمة في عرض كلام قصد به الدواب والطيور
« وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا
امم امثالكم **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ثم الى ربهم
يحشرون » معناه اننا لم نهمل شيئا من مخلوقاتنا
حتى الدواب والطيور على اختلاف اجناسها واجرامها
مذكورة في كتاب الاحصاء المعروف عند الناس باللوح
المحفوظ ، نعم ان ذكر الدواب والطيور هنا قرينة
تمنع من حمل كلمة الكتاب على القرآن وترجح ان
المراد به كتاب الاحصاء وبذلك تتجاوب مع ما جاء
في نفس السورة : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا
هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا
يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس
الا في **كتاب مبين** » وحسب القرآن في هذا المعنى
ما جاء في سورة الاعراف : « ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه على علم » - « وبوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا
عليك **الكتاب تبيانا لكل شيء** وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين » يعني : ما تركنا في القرآن شيئا من
الاشياء المهمة المتكفلة بمصالح جميع المخلوقات
اولم يفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم .

يتبع

الرباط : الحاج احمد التيجاني

خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا » وجاء في آخر سورة تنزيل : « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نبوا من الجنة حيث نشاء فنعمم اجر العاملين »

من المعلوم من الدين بالضرورة ان محمدا لا يخالف ربه لذلك نراه يقول من جهته في هذا الباب : اعني الاشادة بالعمل قولا وفعلا : « اليوم الرهان ، وغدا السباق ، والجائزة الجنة » فقوله عليه السلام « والجائزة الجنة » دليل على ان العمل يترتب عليه أثره .

« لا يجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم » الطاعم النائم في الجهاد اقرب الى الله من الصائم القائم في سواه . « وابلغ من هذا كله قوله عليه السلام : « وقوف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر امام الحجر الاسود » كما جاء في الحديث القدسي : « دخل رجل الجنة فرآى عبده فوق درجته فقال يا رب هذا عبدي فما باله فوق درجتي » فيقول سبحانه : « هو عبدك جزيته بعمله وجزيتك بعملك »

ابعد ما سرد من الآيات والاحاديث التي لا محل فيها للاحتمال ولا للتاويل يبقى للعاقل ان يعير سمعه الما ما يورث عن اصحاب علم الكلام وفي مقدمتهم ابراهيم الانبائي الذي يقول فيما سماه الجوهرة :

فخالق لعبده وما عمل

موفق لمن اراد ان يصل

وخبادل لمن اراد بعده

ومنجز لمن اراد وعده

فوز السعيد عنده في الازل

كذا الشقي الخ ...

في حين ان صوادم الآيات ترفع اصواتها في عموم العالم الاسلامي من شرقه وغربه شماله وجنوبه : « ونودوا ان تلکم الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون - وانما توفون اجوركم يوم القيامة - وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى - وقال عز من قائل ابلاغاً في المذرة واظهاراً للمعدلة : «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فليتأمل اولوا الالباب الى موقع كلمة علي في هذه الآية كيف يتصور ان تكون للناس حجة على الله وهو من الارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » وهو الذي يقول ايضا:

« فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة واشتقت السماء فهي يومئذ واهية » نعم في هذه العبارة الرائعة اعني قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل - يتمثل العدل الالهي في اجلى مظاهره وغدت الآيات تردد صداه : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اثينا بها وكفى بنا حاسبين » . « يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين » معناه اذا كانت مشيئته من قبيل اللانهاية كذلك عدله كبقية صفاته من قبيل اللانهاية ، وهنا تلتقي المشيئة والعدالة في قوله جل ذكره في سورة يوسف : « وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين » معناه اذا كانت رحمته يصيب بها من يشاء فانه سبحانه لا يضيع اجر المحسنين ويترك احسانهم يذهب ادراج الرياح . اختتم هذا الفصل على وجه التلخيص فأقول:

ان تراجع امر المسلمين السبب الرئيسي فيه هو التزهيد في العمل وسلبه من الثمرة التي تترتب عليه اعني الجزاء عليه . ليس من اعجب العجب ان تروج مثل هذه العقيدة في الاسلام والحال ان كتابه جعل من العمل لحمته وسداه ونبيه عليه السلام يقول ما سمعه القراء وامهات الفقه قطبها يدور على العمل ايضا امثال صاحب المختصر خليل الذي يقول : « وملك السيد المبادر وان تنازعه قادرون فينبهم ويقول في باب الجهاد : « ومن ينجى بغير العدو وان على امرأة نعم وان على امرأة ! يا ليت اصحاب علم الكلام نفضوا ايديهم من تراب هذا القير وتركوا امثال هذه العقيدة المسيحية الذين يدينون بهذا المبدأ الاساسي عندهم وهو : ان الانسان لا ينال النجاة في الدار الاخرى بالعمل ولكن بمحض الفضل المعبر عنها :

وتفالوا في ذلك حتى قالوا في متن عقيدتهم : ملعون من يعتقد او يظن بان قداسة البابا يمكنه او يجب عليه ان يتصالح مع المتمدن وحرية التفكير (انظر الفصل الاخير من كناش السيلايوس

لم يبق بعد هذا الا ان اغلق باب الحوار في هذا الموضوع بقليلين مشفوعين بزلاجن وهما ان الله جعل الدخول للدار الفانية من باب العمل : « وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليياوكم ايكم احسن عملا » . والدخول الى دار الخلود كذلك من باب العمل : « وقالوا الحمد لله الذي

سبحانك ، لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت
العليم الحكيم .
قال :

يا آدم ! انبئهم بأسمائهم « (2 : 30) .

هكذا امتزجت انسانيتنا بنفخة الهة ، اذ نفخ
الله فيها من روحه ، ثم كرمها بالمعرفة ، واسبغ عليها
ثقلته الكاملة فخلفها على الارضين : فالبشر خلفاء الله
في الارض ، اي انه تعالى قد نصبهم فيها مبدعين
مسؤولين .

انتقاد هام يمكن ان يوجه لنا : ان الشخص ،
رغم استقلاله الذاتي ، ورغم فكر المبادرة ، والحرية ،
والاستعداد الفطري ، يبقى خاضعا لتصرفات الهة
غامضة ومطلقة . ألا يجوز في حق الله ، ان يطرح من
جديد كما يشاء ، حرية الانسان واستقلاله الذاتي
واستعداداته ؟

لو حصل هذا لعارض الحكمة الالهية التي
تعكسها قوانين الطبيعة . فالله بمحض ارادته ، هو
الذي قضى بأن تكون قوانين ، وقضى بأن يخضع لها
سير الكون ، « ولن تجد لسنة الله تبديلا » (33 : 62)
يترك الله للكائن البشري امكانية اتباع
استعداداته الطبيعية المحددة كما جبله عليها .
فالقوانين التي تتحكم في سير الكون « موضوعية » ،
ومحسوسة ، وان لم تكن شخصية . فليس في الاسلام
الاه لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، ولكنه الاله اوجد
ينسق كل ما في الكون ويدخل عليه انسجاما تاما . فلأن
هناك امكان توقع الظواهر الطبيعية يطلب ، من الكائن
البشري ان يتبنى العالم بالتكيف معه . وبما ان افعالنا
تعتمد كذلك على قواعد عقلية ودوافع قابلة للفهم
نرانا ملزمين بأن نتحمل مسؤوليتنا ازاءها .

انقد شاء الله ان يكون مدبرا ، وانعم على الكائن
البشري بالعقل الذي هو اظهار للتدبير الالهي وشهادة
عليه (عن كونه تعالى هو المدير الاعلى) . بحكم هاته
الصفة ، يخلق الله النظام ، في كل مكان ، بمعنى انه
يبدع الوحدة والانسجام مع التنوع اللانهائي .

يرتبط الشخص ، طبيعيا ، بجسمه ، والجسم
مرتبط ، حياتيا ، بالعالم ، والعالم في صيرورة . وان
الصيرورة لبعده من الابعاد المشتركة بين الكون
والانسان ، واداة وصل بين زمان الحدوث وبين
الابدية والخلود . لذا ، لا تناقض في علاقات الكائنات
(المحدثات) بارادة الله الحي الباقي . فلو كان تناقض
لما تعارف الناس على قواعد عامة ، ثابتة ، في سير
الظواهر الكونية ، اي لا انعدم « العلم » ، ولما تفاهم
الناس فيما بينهم ، لان التفاهم ينتج عن الاعتقاد
بقوانين اتسائية وطبيعية لها الشمول والاستقرار .
لا انسان بدون بيئات انسانية ، ولا بيئة بدون اطر
ثابتة داخلها يحصل التطور والرؤى عن انسانية
الانسان وعن الحياة .

القوانين التي تهيمن على سير العالم قوانين
موضوعية ، قابلة للدراك ، غير مشخصة ؛ ففي
الاسلام ، لا يوجد اله الماء ، او اله الشمس ، لكن اله
واحد يسبغ الانسجام والتناسق على مجموع الكون .

بما ان هناك امكانية توقع الظواهر الطبيعية ،
كان الانسان مطالبا بأن ينسجم معها وأن يتبنى العالم
بتكيفه معه . وأيضا ، بما ان افعالنا ترمي لان تصدر
عن قواعد عقلية ودوافع قابلة للفهم ، يلزمنا ان نكون
مسؤولين عنها ، خصوصا وان الله جعل من البشر
خلفاء له في الارض ، تميزا لهم عن بقية الكائنات ،
وحتى على الملائكة الذين سجدوا لآدم ، بأمر من الله :
« ام من يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ،
ويجعلكم خلفاء الارض ؟ » (27 : 26) (1) . انها سنة
تجذرت في الانسانية ، منذ البداية ، اذ ما خلق الله ابا
الادميين الا بعد ان قضى بتخليفه ، في الارض ، والهامه
منابع المعرفة ، وعلم آدم ما جهله الملائكة . فكاننا امام
رؤية كونية بروميشية :

« واذا قال ربك للملائكة :

اني جاعل في الارض خليفة (. . .)

وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ،
فقال :

انبؤوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين !
قالوا :

(1) انظر ، كذلك : (35 : 39) : « وهو الذي جعلكم خلائف في الارض » .

الشخص في الإسلام

للمعيد محمد عزيز الحجابي

- 4 -

محاولتنا السابقة (انظر : دعوة الحق ، الاعداد 8 ، و 9 ، 10 لسنة 1387 .
رمت الى تحديد مفهوم شخص في الاسلام ، من الجانب الانطولوجي (المعطيات
النشئية) ومن الجانب الاخلاقي . اي في علاقاته بالآخرين وبالعالم ، لنبرز ما
للشخص من حرية تركز عليها مسؤولياته . وبعد ان حددنا معنى التعالي ومعنى
الوحي ، ومفهوم الاحاد والايمان ، نتساءل اليوم عن موقف الشخص (الكائن
المتناهي) من الله (الكائن المطلق) .

موقف الشخص تجاه قدرة الله المطلقة

يترتب ، على ما سبق ، مشكل آخر :

ان الشخص ، رغم استقلاله الذاتي ، وحرية ،
وقدرته على المبادات ، ومواهبه ، يبقى تحت تصرف
مشيئة الله ، وهي مشيئة لا متناهية ، ومطلقة ،
وقديمة ، في حين ان الارادة الادمية (على المستوى
الدنيوي ، مستوى الوجود بالفعل) متناهية ، ونسبية ،
وحديثة . فطرنا المواجهة ، اذن غير متعادلين .

يجوز هذا الاعتراض من خلال رؤية مجردة :
فلا شيء بقادر على الحد من قدرة الله المطلقة . لقد
كان ممكنا له تعالى أن يطرح ، كلما شاء ، قضية حرية
الاشخاص واستقلالهم الذاتي ومواهبهم .

(1) انظر ، كذلك : 17 : 77 ؛ 62 : 35 و 43 .

لكن نظرة معمعة في القرآن والسنة تجعلنا
نسخلص ان ارادة الله ليست اعتباطية مخاذلة ، بل
حكيمة مدبرة : خلقت نظما ، وجعلت للكائنات اطرا
وغايات : فما خلق الله :

« السماوات والارض وما بينهما الا بالحق ،
واجل مسمى » (30 : 8) .

« والشمس تجري لمستقر لها » (36 : 38)
طبقا لقوانين طبيعية ، ابدعها الله عن ارادة وقدرة ،
واخضع لها سير الكون :

« وان تجد لسنة الله تبديلا » (33 : 62) (1) .

لقد أسبغ على الكون والكائن البشري كل
امكانيات تحقيق الاستعدادات الفطرية التي وهبها
اياها .

الدراسات الإسلامية في فرنسا

لأستاذ محمد زبير

الإسلامية عن كتب وأن يتحرروا بمجهودهم الخاص من عدوى الكراهية والتعصب . لكن الثورة العارمة ضد الاستعمار التي عاشتها آسيا وأفريقيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي أدت إلى انهيار الاستعمار الأوربي بصورة مسرحية كما هو معلوم . قضت على ذلك الشعور وعلى تلك الظروف البسيكولوجية ، فتحرر الأوربي بدوره في نظرتة إلى العالم الإسلامي . واندحرت كثير من الأفكار والنظريات الاستعمارية مع نهاية الاستعمار . واكتسب الأوربي وعيا جديدا وأدرك أنه كان نسحية أو هام وأكاذيب وخرافات ، ونظر حوالیه ، فوجد أن عددا من الدراسات والكتب التي كانت تحدثه عن العالم الإسلامي في حاجة إلى مراجعة وتحقيق ، فاندفع إلى البحث في جولة ثانية . بروح جديدة تتحرى أن تكون عادلة منصفة .

وهناك سبب ثالث لابد من الإشارة إليه لأنه مهمين بأن يدفعنا إلى نوع من التدبر والاعتبار وهو أن البحث العلمي لم يبق مجرد هواية أو عملا لا يهم الا طائفة الاساتذة والعلماء وحدهم . بل أصبح شأنا من الشؤون الاولى والاساسية التي تهتم بها الدولة ، علما منها بأن التقدم التقني والاقتصادي والحضاري رهن بالتوسع في البحث العلمي . وبالفعل فهناك ميزانية ضخمة تقدر بعشرات الملايير من الفرنك تخصص في كل بلد أوربي مهم للبحث العلمي . ولا أشير هنا بالطبع إلى الجهود المالي الهائل الذي تبذله دول عظمى مثل أمريكا والاتحاد السوفياتي ، فلنكتف هنا بذكر المثال الذي نعرف أكثر من

تعرف الدراسات الإسلامية في أوروبا ازدهارا ونوسعا مطردا في هذه الأيام . ولا شك أن ذلك يرجع إلى عدة أسباب . منها أن العالم الإسلامي أصبح يحتل مكانة مرموقة في العالم وصار له في الوزن الدولي ثقل أكثر من ذي قبل . فقد استقلت كل دوله تقريبا . وصارت تكون كتلة مهمة في المنظمات الدولية . واستطاعت بعض هذه الدول أن تحقق أشواطا في النماء الاقتصادي والحضارة مما جعلها تقارب المستوى الأوربي المتوسط . انصف إلى هذا أن العالم الإسلامي يمتاز بحيويته . خصوصا في الجهود الأخيرة . فهو يشغل الرأي العام العالمي باستمرار بما يجد فيه من أحداث ومشاكل مختلفة . فمن الثورة الاندونيسية إلى مشكلة كشمير ، إلى قضية فلسطين ، إلى المشاكل الناجمة عن استثمار البنرول في ايران وفي البلاد العربية . كل هذه مواضع تلفت الأنظار إلى العالم الإسلامي وتجعله نصب الاعين دائما وتدفع الباحثين — بالتالي — إلى استكشاف أسراره وتجلية غوامضه .

والسبب الثاني هو أن الأوربيين بدأوا يعرفون العالم الإسلامي بصورة أحسن . وكان يعوقهم عن اكتشاف حقيقة ذلك العالم حاجز كبير ، هو الاستعمار ، فقد خلق الاستعمار حالة نفسية خاصة أزاء العالم الإسلامي لدى الجماهير الأوربية اذ بث فيهم نوعا من الحقد والعنصرية ، ولم يفلت من هذا الشعور إلا القليل من الأوربيين الذين استطاعوا أن يعرفوا البلاد

من الارض خلقت الصلب ، فكان صافيا ،
فصنعت منه السيف ، والسهم ، والبندقية .
كذا الساطور ، صنعته لقطع ما في المرج من
اشجار عالية ،

وصنعت القفص لجبس الطيور الشاذية » .
الانسان

« انت جعلت الليل ، وانا صنعت الصباح .
انت خلقت الطين ، وانا صنعت الاقداح .
خلقت الصحاري ، والشعاب ، والجبال ،
وهيات الحداثق ، وكسوت الارض ورودا وازهارا
انا الذي استخرجت من الصلد زجاجة ،
وهيات لي من السم ترياقا » .

الشخصانية الاسلامية لا تجعل من الشخص
« مواندة » روحية ، بالرغم من اعتباره معطى اوليا .
انه كائن كلي ، ومادة حية ، أي فكر ينفخ في جسم ذي
عقل . فان يكن من فرقيبين الروح والشخص ، فانه
بمثابة الجزء من الكل ، او المحتوي من المحتوى .
فالشخصانية الاسلامية ، وان كانت مقتبسة من الدين ،
تمتنع عن الخضوع لاي اتجاه لاهوتي من شأنه ان
يضع ، قبلها ، افضلية للروح على الجسم . او للجسم
على الروح ، **فالعقيدة ، قبل كل شيء ، التزام** .
والالتزام المقصود هنا لا يتعلق بالطقس الروحي
فحسب ، بل يتعلق ، ايضا بالظروف المادية
والموضوعية التي تعيش فيها الامة ، والانسانية باجمعها .
فبين الانسان وباقي الكون تسود غاية تعمل لصالح
الانسان : فمن اجل الكائن البشري ، خلق الله العوالم ،
والاشياء ، والكائنات .

هل هذا اتجاه متالي ام مادي ؟

اتنا امام شيء آخر يأخذ من المادية والمثالية ،
على السواء ، فهو تركيب يتكامل فيه الاتجاهان . لولا
هذا التركيب لكان الاسلام روحانية تسبح في الفضاء ،
دون جذور في العالم .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

قد يكون الانتقاد السابق جائزا على مستوى
انبثاقه الخلق البدئي ، ولما يتشخص الكائن بعد : فلا
موهبة ، ولا استعداد فطري ، ولا حرية . وعلى
العكس من ذلك ، فبظهور الكائن البشري ، يتبدى
تاريخ الوعي لاجل تشخص الذات والاشياء ، قصد
ادماجها داخل أفق شخصي . على هذا المستوى ،
يقوم الله بدوره : ان احسن هدية وهبها للانسان هي
العقل ، وجعله شاملا بين جميع البشر . كثير من
الفلاسفة المسلمين (الفارابي وابن سينا ...)
يؤكدون ان اول ما خلق الله هي العلة الاولى المطلقة :
الفكر ، او العقل .

يتكون الشخص بفضل الفكر وهو يصنع عالمه ،
ويصنع العالم على مستواه بالاسهام في الخلق الالاهي ،
اذ يعمل على اكماله . فبفضل العقل ، يتعاون الانسان
مع الله ، ويصبح انسانا له كثافته الانطولوجية . انه
مخلوق ، ولكنه يساهم في كينونة العالم .

اننا في عالم نخلقه ، ولكن كل شيء في العالم يحتم
علينا ان نخلقه في حلة جديدة : نلاحظ العالم ، ثم
نفيره ، بل نلاحظه لنفيره . فكل نظرة نلقيها الى العالم
لهي بداية فعل جديد ، او نسق تتولد فيه افعال اخرى .
ان العالم حدث ، والانسان هو كذلك حدث ، وعن
علاقته الحدث الثاني بالاول ينتج حدث ثالث يمنعا
من ان يبقى متفرجين ، ويحتم علينا ان نكون عاملين :
نصنع ، ونصلح ، وننسق ، وننظم ما هو موجود لنجعل
منه شيئا كاملا .

تلك هي المهمة المجيدة للانسان ، اي « الامانة »
التي حملها الله اياها . كما يقول القرآن :
« انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال ، فابين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها
الانسان » (33 : 72) .

اجل ، الم يعلم الله آدم ، ابا البشر « الاسماء
كلها » (1) اي جميع اسرار الخلق التي كان الملائكة
انفسهم يجهلونها ؟ هذا ما تفهمه الشاعر ، محمد اقبال ،
وعبر عنه في حوار « بين الله والانسان » :

الله

« انا خلقت هذا الكون ، من طين وماء ،
فجعلت فيه ايران ، وبلاد التتار ، وزنبارا .

1 (سورة البقرة (2) ، الآية : 31 .

الاسلام . كما اني تركت جانباً دروس الكوليج دي فرانس والمدرسة العملية للدراسات العليا ومدرسة اللغات الشرقية ومتحف الانسان الخ ... فهناك برامج متسعة في ابوابها واتجاهاتها وفيها جزء كبير يتعلق بالعالم الاسلامي المعاصر . وربما عدت اليه في فرصة أخرى ، وانما الذي يجب أن يستثير انتباهنا الان هو هذا الاهتمام الذي لا زالت تحظى به الدراسات الاسلامية في مختلف ميادينها والذي يظهر انه في حالة تزايد مطرد . فماذا يعني ذلك بالنسبة لينا نحن ؟

انه يلفت نظرنا مرة أخرى الى القيمة الحقيقية التي تنطوي عليها الثقافة الاسلامية والتراث الاسلامي بالنسبة للاروبيين ، ويبين لنا في نفس الوقت أن دراسة تلك الثقافة وذلك التراث في تجدد مستمر ، تجدد يستمد قوته من مصدرين : التقدم في اكتشاف التراث والاطلاع عليه عن كُتب ، والتقدم في مناهج البحث والتحليل ، كما يدل على ذلك الفرق بين الطبعيتين الاولى والثانية من دائرة المعارف الاسلامية .

وهذا يتنافى مع الاعتقاد الذي يسود لدى كثير من المثقفين عندنا الذين يحملون الاقتناع بأننا نعرف كل شيء الان عن الثقافة الاسلامية والتراث الاسلامي ، واننا بعد الدراسات التي قام بها اساتذة الجيل السابق امثال طه حسين واحمد أمين والعتاد الخ ... اصبحنا في غنى عن العودة الى تلك المواضيع التي قيلت فيها الكلمة الاخيرة .

ولكن العلم لا يعرف الكلمة الاخيرة ، انه مرقاة لا تنتهي ادراجها ، ولذلك كان من الواجب علينا أن نعود الى تلك المواضيع التي يسود لدينا الاعتقاد اننا نعرفها والتي اطبقنا عليها الغطاء ظناً منا اننا نملك سرها بصورة نهائية ، وهذا ما فهمه الباحثون الاروبيون فأستطاعوا أن يقيموا الدليل على أن العودة للمواضيع المطروقة قد تأتي بأعظم الفائدة ، وفي بعض الكتب والدراسات التي صدرت في السنين الاخيرة اصدق برهان على ما اقول .

سلا : محمد أزنيير

للمظفر ابن الافطس الامير المعروف في عهد ملوك الطوائف ، ويقال ان كتابه هذا يشتمل على خمسين مجلداً متجاوزاً بذلك ضعف حجم كتاب الاغانى للاصبهاني وكذلك كتاب « ربحان الالباب » لابن الموعيني الذي لا زال هو ايضاً مخطوطاً (نسخة ، بمدريد ، وأخرى بليدن) . وكتاب الف باء ليوسف ابن الشيخ البلوي الذي ألفه لولده على شكل موسوعة يخص فيها المعارف التي كانت موجودة في زمانه .

وكل هذه كتب ادب بالمفهوم القديم الذي وضعناه والذي يهدف الى خلق الانسان المذهب ، الانسان الذي تكاملت فيه خصال العلم والعمل واستندت على مبادئ قوية . ولعل هذا المفهوم قريب مما يسمى عند الفرنسيين بالانسانيات L'humanisme أو Les humanités بحيث ان الادب كما كان يتصوره الجاحظ او ابن قتيبة او ابن عبد ربه او غيرهم كان له هدف انساني قبل كل شيء يرمي الى تطهير الروح وتصفية الاخلاق ، كما يرمي الى خدمة الانسان في حياته اليومية وفي علاقاته مع الناس بمختلف طبقاتهم ومشاربهم . فاذا عدنا الى كتاب ابن عبد ربه نجده مبوباً بطريقة عملية يستطيع أن يرتب فيها الاخبار والاشعار والحكم والنصائح حسب الموضوعات التي يحتاج اليها الانسان عادة . فهناك باب يتعلق بالسلطان وآخر بالحرب وثالث بالكرم ورابع بالوفود وخامس بمخاطبة الملوك الخ ... فالكتاب يضم الى جانب الاصول الاخلاقية كما تهتم بها الفلسفة . مجموعة من الفوائد المتعلقة باللباقة والمجاملة والسلوك الاجتماعي واكتساب عطف الكبراء والنجاح في المساعي الشخصية الخ ...

وهناك دروس متعددة لا يستطيع أن اقف عندها اجتناباً للتطويل مثل المحاضرات التي يقدمها الاستاذ كولان في الاصول اللغوية ، ودروس الاستاذ البستاني عن ابن الرومي ، والاستاذ عركون عن الغزالي . والدروس الخاصة بشرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري

هذه نظرة خاطفة وناقصة على برنامج الدراسات في السوربون ولم اذكر فيها الدروس المتعلقة بتاريخ

نظرة سطحية . ولعل تفكيره ينطوي على اتجاهات طريفة من شأنها أن تتفتح على آفاق غير معروفة ، ولعل نقده للفلسفة من شأنه أن يدفع بهذه الأخيرة الى البحث عن نفسها وفي نفسها . ومهما يكن ، فالجدير بالذكر هو هذه الاهمية التي لا زال الغزالي يتمتع بها في الدراسات الجامعية بأوروبا .

ومن المواضيع التي اشتغلت بها السوربون اثناء هذه السنة « الرحالون العرب فيما بين القرن الرابع والقرن السابع الهجري » ومساهمة العرب بصورة فعالة في اكتشاف العالم ووصف البلدان والمجتمعات شيء معروف ومسلم به ، لكن بقيت هناك الدراسة التفصيلية لهذه المساهمة لمعرفة اهميتها ووزنها بالميزان العالي الصحيح ، ورحالون من نوع المقدسي وابن جبير جديرون بكل تقدير لانهم ضموا الى الصفات العلمية الاصلية صفات ادبية جعلت من رحلاتهم اثارا شيقة ممتعة . ومن خلال ما كتبوا نستطيع ان نأخذ صورة طريفة حية عن العالم الاسلامي والمناخ الاجتماعي والانساني الذي كان يعيش فيه معاصروهم ، وهذا هو الموضوع الذي عالجه الاستاذ بلاشير المعروف كمؤرخ لامع للادب العربي ، وقد اشتغل كثيرا خلال حياته الجامعية بموضوع الجغرافيين العرب .

وقد نال الادب البحث حظه من الاهتمام لدى اساتذة الجامعة الباريسية ، فالاستاذ بيلا المسرروف بأطروحته الحاسمة عن الجاحظ وعصره انساق هذه السنة في دراسة الادب العربي باسبانيا ، وقد تميزت هذه الدراسة بكونها اثبتت قبل كل شيء على تحديد مفهوم كلمة الادب عند الكتاب العرب الاقدمين ، ومن دون شك ان المفهوم القديم يختلف كثيرا عن المفهوم الحديث ، فالادب يعني اليوم كل كتابة لها قيمة فنية ، مهما كان موضوعها وهدفها ، ومهما كانت الافكار التي تدافع عنها وليس مطلوبا من الاديب ان يكون مرشدا او مربيا في عصرنا . ويكفي ان يشير انتباهنا ويجذبنا بكيفية او بأخرى . لكن مفهوم الادب في القديم كان يختص اهدافا اخلاقية وسلوكية الى جانب الالتزامات الفنية ، فالاديب بهذا المعنى كان فكها ومؤدبا في آن واحد ، فهو يدعونا وهذا ، مثلا ، هو ما توخاه ابن عبد ربه الاندلسي حينما بطريقة مشوقة ومغرية الى اكتساب الاخلاق الحسنة ، كتب « العقد الفريد » وهو في ذلك مدين بالشيء الكثير لسلفه ابن قتيبة . ومن هذا القبيل كتاب الامالي لابن علي القالي ، وان كانت الرغبة في تلقين اللغة ابرز فيه ، وكتاب بهجة المجالس لابن عبد البر ، وكتاب المظفري

غيره وهو مثال المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا الذي يحتضن مئات العلماء للبحث في مختلف الميادين ، منها ما يتصل بالعلوم الانسانية من ادب وتاريخ وفلسفة وجغرافية الخ ... ومنها ما يتصل بالعلوم الوضعية من رياضيات وفيزياء وكيمياء وبيولوجيا ، ومنها ما له صبغة تطبيقية في الطب والصيدلة والبيطرة ومختلف الفنون التقنية التي تتصل بكل اصناف النشاط البشري ، وبفضل هذه التنظيمات وهذه الامكانيات المادية استطاع عدد من العلماء المستشرقين ان يكرسوا جهودهم واوقاتهم لدراسة العالم الاسلامي . غايه وحاضره ، بروح جديدة ومنهاج اقرب ما يكون الى الموضوعية العلمية ، واستطاعوا ان يحصلوا من دولهم على كل المساعدات والتشجيعات التي تمكنهم من التقدم في ابحاثهم .

وبفضل هذه العوامل وغيرها ظهر بالفعل تجديد في الدراسات الاسلامية في مختلف فروعها . ويكفي ان نلقي مثلا نظرة على بعض العناوين في برنامج الدراسات الاسلامية بالسوربون لسنة 1967 ، لتتأكد من ذلك ، فهناك درس عنوانه « الخلافة في مذهب المارودي » يقوم به الاستاذ لاووست المعروف بتخصصه في موضوع الفكر الاسلامي والمذاهب الاسلامية . واختياره للمارودي لا تخفى اهميته ، اذ هو العالم الاسلامي الكبير الذي تخصص في الابحاث الدستورية الاسلامية . وموضوع الخلافة . من جهة اخرى ، موضوع شائك اذ هو منحسب خاص بالاسلام ليس له شبيه فيما سبق من أنظمة الحكم ، سواء لدى اليونانيين ، او الرومانيين او الفارسيين الساسانيين ، وقد اختلفت الخلافة شكلا ومعنى بانتقالها من يد الخلفاء الراشدين . الى الامويين ، فالى العباسيين الخ ... فالموضوع مهم كما نرى لا من الوجهة التشريعية الدستورية ولا من الوجهة التاريخية ، ويدل على هذه الاهمية ان الموضوع شغل كبار علماء المسلمين في عصرنا وخاصة محمد عبده ورشيد رضا الذي ألف فيه كتابا معروفا .

وهناك موضوع آخر يدخل في تاريخ الفكر الاسلامي وهو « رد فعل الغزالي على الفلاسفة » ، وموقف الغزالي معروف بفضل كتابه « تهافت الفلاسفة » لكنه غير مدروس بالصورة المرضية ، وقد اختلف الناس في الغزالي سواء في الماضي او في الحاضر ، فمنهم من يجعله اعظم مفكر وغيلسوف اسلامي ، ومنهم من يتهمة بالرجعية والجهود ويرميه بكونه استغل نفوذه الروحي للقضاء على الفلسفة الاسلامية ، ولعل موقف الغزالي لم يكن يتسم بهذه الصلابة والتطرف الا بالنسبة لمن لهم

الروافض :

سرا ، وقد نالتهم ضربات كثيرة على حسابها محفوظة الحاكم بامرہ اللوہیة واستمر غیرہ بدعی هذه القدسیة فی تاریخهم ، وهم يؤولون جمیع الاوامر والنواہی تأویلا یخرجها بالکلیة عن جوهرها نحو قولهم بتناسخ ارواح انتمہم الی من یلیہم ، وینتظرون بعض من ماتوا من انتمہم وهم ینکرون صفات اللہ تعالی وانہ لا تدركہ العقول ولا تفہمہ الاباب وان الجنة معناها مجازی وان لا خلود فی النار .

وینتشر الاسماعیلیون فی اقطار عديدة وهي الهند و عمان ومسقط وزنجبار وإيران والعراق وسوریا وأفغانستان وقد استغلهم الإنکلیز ورفعوا قدر رئیسهم الملقب باغاخان حتی انه تراس فی احد الادوار جمیع مسلمي الهند ، وتکلم باسمهم وقال اغاخان السابق فی مذكراته بأنه یامر اتباعه بالتعاون مع الحکام ومسایرهم وهذا ما یسمى بالتقیة عندهم وعند أمثالهم .

وهم یخالفون اهل السنة فی اعیادهم وصلاتهم وسائر امورهم ، وعندهم من الکبائر انتقاد لای شخص من آل البيت او نسبة ای نقص الیه اذ هم فی نظرهم معصومون .

وهم یجمعون زکاة اموالهم ویرسلونها الی رئیسهم اغاخان ، وحين بلغ الخامسة والعشرين قدموا له وزنه من الفضة ، ولما بلغ الخمسين قدموا له وزنه من الذهب ، ولما بلغ الخامسة والسبعين قدموا له وزنه الماس فی صنادیق من البلاستیک .

اما بخصوص المصحف فعندهم مصحف ولكنهم يؤولون فی التفسیر المحکم والتشابه علی السواء کما یشاءون .

ولهم اذان مطول زادوا علی الاذان الماثور نحو قولهم : « أشهد أن لا اله الا الله العالم القادر الخالق . وأشهد أن محمدا رسول الله الناطق بالتنزیل والدلیل الی اوضح السبیل وأشهد أن علیا ولی الله ووصیه الناطق بحقائق التأویل والقائم من بعده بالحق المبين ونور الله المذل الی سواء السبیل . . » الی غیر ذلك من الزیادات ثم بعد النهایة یضیف اضافات أخرى . ثم یحضرون البخور والطیب ویصلون بامامة اکبرهم رکعتین فی الصبح ومثلهما فی المساء ، وهم اذا ذکر

والذين رفضوا الاعتدال فی الموقف من خلافة صاحبین لم یقفوا عند حد بل ساروا سیرا عدائیا فطاولوا علی الخلیفتین ابی بکر وعمر ثم اتخذوا من ذلك وسیلة لمهاجمة من تلاهم واعتقدوا بامامة متسلسلة من ذریة فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه وسلم زوجة علی بن ابی طالب ورفضوا الاعتراف بای خلیفة سواهم واستباحوا الخروج علیهم ، ولما یجدوا مجالا فی قلب الممالك الاسلامیة ذهبوا الی الاطراف فکونوا الامارات والدول التي اصبح لها شأن کبیر فی المشرق والمغرب ثم عظم شأنهم فزحفوا من الاطراف علی الداخل فاستولوا علی الممالك الاسلامیة بأكملها ، ثم انتفض السنیون وقلوبهم عن عروشهم فتناثر اشیاعهم یتواردون ویعتصمون فی المعازل الحصينة فاطلق علیهم القصاب الاسماعیلیة والدروز والنصیریة الذين استغلوا فی التقدیم والحديث ضد الجماعة الاسلامیة یفتکون بهم ویکیدون لهم حتی كانوا فی الازمنة الاخیره خیر عون للمستعمرین ، ولم یقتصر الامر علی هذه الفرق بل ظهرت الی جانبهم فرق أخرى کالاباضیة المنبثقة عن الخوارج والیزیدیة المنتظرة لیزید والبایة والقادیانیة التي روجها المستعمرون مما یجب تفهمها وتفهم عقائدها والیسک .

الاسماعیلیة : (1)

نسبة الی اسماعیل بن جعفر الصادق فهو السابع للامام علی کرم الله وجهه وهم شیعة متطرفون أخذوا من الصابئة ومن الفلاسفة وأولوا کل شیء الی سبعة ومضاعفاتها ، فالایام سبعة والعوالم السماویة سبعة والرسل المرعین سبعة وهم : آدم ونوح وإبراهیم وموسى وعیسی ومحمد ، والقائم (من الائمة) .

و یقررون أن عدد حروفهم من مضاعفات السبعة ای ثمانية وعشرين ، وان الاسس سبعة وهم : شیت وسام واسماعیل وهرون وشعمون وعلی ، واساس القائم الذي لا یمكن اذاعة اسمه حرصا علی سریة المعتقدات .

وایضا مجموع حروفهم ثمانية وعشرون ، والقائم هذا یعتقدون بان الا له او جزء منه یحل فیہ ویمكن ان یحدد التشریع او یزیده ، وعلی هذا الاساس ادعی

[1] معلومات هذه الرسمية استقيتها من كتاب اربع رسائل اسماعيلية للاستاذ عارف تامر الاسماعيلي، ومن خطط الشام لکرد علي ، ومن تاريخ جودت باشا وغيرهم ، ومن ظهر الاسلام للاستاذ احمد امين .

الفِرُّ والبائِةُ عَلَى خِلَافِهَا بِجَوْهَرِ الْإِسْلَامِ

للأستاذ إحسان الخمر

الاحزاب السياسية . المتربصون بالاسلام يستغلون الخلاف . الضفط
والتعقيب يوجد الجمعيات السرية . الباطنية والروافض وما تفرع عنهم ،
وسر بقائهم واستغلالهم . الاسماعيلية . النصيرية . الدروز . اليزيدية .
الاباضية . البابية والبهائية . القاديانية . كيفية اعادتهم الى حظيرة الاسلام
الصحيح .

الاحزاب السياسية الاولى :

بعد تحكيم يوم صفين انقسمت الجيوش الاسلامية
ثلاثة احزاب : شيعة علي ، الخارجون على علي ، جماعة
معاوية . وظل شيعة علي على ولائهم لذريته مع انقسامهم
الى فرق وظل الخوارج على عنادهم ثم انقسموا الى
فرق . اما جماعة معاوية فقد تباوروا الى اهل السنة
والجماعة الذين ساروا يتمسكون بجوهر الاسلام
وبمجموعه . وانما اختلف عنهم الشيعة والخوارج
بأنتمهم وانطوائهم على انفسهم حتى في العقيدة وجعل
الامامة من صلب العقيدة الدينية بأدلة واهية .

المتربصون للاسلام يستغلون الخلافات الحزبية :

انضوى تحت راية الاسلام عناصر تضرر له الشر
وهم اليهود والفرس والصابئة والسريان ممن كسدت

بضاعتهم الفلسفية فما كادت تقع الفتنة حتى استغلوها
بدقة وسهر وعمل متواصل وكلما اريد رتقها فتقوها .
فالتحكيم الذي يعتبر دائما وسيلة لحسم النزاع اعتبروه
كفرا وقابل بعضهم هذا بتطرف فاعلنوا تأليه علي فامر
بحرقهم . ولما اعتدل بعض ائمة آل البيت كزيد بن علي
وقال بتسوية خلافة ابي بكر وعمر رفضوا قوله وتركوه
فاطلق عليهم لقب الروافض وقد طوردوا من السنة
والشيعة (1) انفسهم فانطوا على انفسهم واتخذوا
التقية والسر في سلوكهم فلقبوا بالباطنية فلهذا
ولاعتقادهم بتسلسل ائمة الباطن يبتدعون تأويلا لباطن
القرآن والحديث وتركوا الظاهر واولوا كما يشاؤون
وقد توسعوا الى حد ابعدهم عن جوهر الاسلام بالكلية
مما حمل فقهاء السنة والشيعة المعتدلين على الافتاء
بكفرهم .

(1) الجعفرية واليزيدية لهم عقائد وتشريع جوهري اسلامي ، وقد أصبح يدرس في الازهر الشريف .

فخرجوا من عزلتهم معلنين كراهيتهم لاسم خوارج
واباضية .

اليزيديون :

نسبة ليزيد بن معاوية ، ويظهر أن بعض أتباع
واشباع الامويين نزلوا في جبال الهكارية من بلاد الاكراد
هربا من بطش العباسيين . وكان منهم رجل قدير
اسمه عدى بن مسافر الاموي اظهر من الورع ما احله
محل القداسة في تلك المنطقة . الا أنهم اندس بينهم من
ادخلوا عليهم بعض العقائد الباطلة التي سادت في عهد
الفرق ففمرتهم وأختلطت عقائدهم فتعهد لهم بعض
شيوخهم بالجنة دون عبادة وصوم واعتقدوا بالتناسخ
والحول وعبادة الشمس وتقديس الشيطان الذي
يرمزون له بالطاووس فاذا شتم أحد الناس على
مسمعهم الشيطان أو ابليس تشاجروا معه وقد يقتلونه .
ورأيهم فيه أنه امر بالسجود لغير سيده وأنه هو سيد
الموحدين ، وعلى هذا فهو يستحق على رأي شيوخهم
الاحترام لا اللعن ولأنه كان طاووس الملائكة رمزوا له
بالتاووس .

وقد انتقلوا الى جبل سنجار غربي الموصل ايضا
ولهم كتابان مقدسان وسما : (كتاب الجلوة) و (كتاب
مصحف رش) وهما من وضع شيوخهم ، وفيهما
طقوسهم ومعتقداتهم ، ولهم شيخ ولهم أمير من ذرية
الشيخ عدى يلقب بك ، ومقام الشيخ عدى هو مزارهم
الذي يحجون اليه ، وهو في بلدة ليلش من بلاد الهكارية .
وهم يقدسون جبل سنجار كجبل عرفات لاسباب يطول
شرحها .

ومع كل هذا فإن عندهم القرآن ويحفظون سورا
منه ويحفظه شيوخهم لابنائهم ابقاء على العلم فيهم ، الا
أنهم يلمسون منه كل ما يتعلق بالشيطان والبلش وذلك
بوضع شمع عليها زاعمين ان المسلمين زادوها في القرآن .
وهذا يدل على أنهم اسلام في الاصل وقد ضللهم من
اندسوا بينهم حتى ان الشيخ تقي الدين بن تيمية يشهد
للشيخ عدى بالصلاح ، وان طريقته سليمة ، وانما
ضللهم من اندسوا بينهم وسيطروا عليهم من الباطنية
الذين سيطروا على تلك الجبال فترى انها من معتقدات
الاسماءية ، والغالب ان كتبي الجلوة ورش وضعها في
ذاك العهد .

ولهم صلاة خاصة لا تشبه صلاة المسلمين ، وكذلك
الصوم وعدد من الاعياد كذلك . وهم يسيرون في
الزواج على تشريع خاص بهم . وكذلك في باقي الاحوال

يجمعون بين امرأتين في الزواج ، وقد نفى الامير شكيب
ارسلان عنهم دعوى الحلول الالهي ودافع عن تهمة
كفرهم الا ان تكتمهم والغازهم في كتبهم أساءت اليهم ولا
تزال . على ان في عاداتهم واتصالهم بالمسلمين ما يسهل
التفاهم معهم ، وهم يتقربون لاهل السنة ويتنورون
تدرجيا ، ولهم مواقف ضد الاستعمار اخلصوا فيها
فقرّبوا من المسلمين .

الاباضية :

هم فرقة من الخوارج انفصلوا عنهم واتبعوا عبد
الله بن اباض الحضرمي . وهم يسكنون في عمان
وزنجبار والجبل الاخضر في برقة (ليبيا) . وهم
معتدلون في عقيدتهم ، فهم يحترمون ابا بكر وعمر
ويخطئون عثمان وعلي . قال ابن بطوطة في رحلته عن
عاصمتهم نزوا « وهم اباضية المذهب ويصلون الجمعة
ظهرا اربعا فاذا فرغوا منها قرا الامام آيات من القرآن
ويتبر كلاما يشبه الخطبة يرضى فيه عن ابي بكر وعمر
ويسكت عن عثمان وعلي ، وهم اذا ارادوا ذكر علي
رضي الله عنه كفوا عنه فقالوا ذكر عن الرجل ويزنون
عن الشقي ابن ملجم ، ويقولون عنه العبد الصالح قاطع
الفتنة » .

ويرون ان مرتكب الكبيرة كافر بنعمة الله . ويرون
ان الخلافة عامة وليست مقيدة بقريش . ولهم رأي
انفردوا به فهم يقررون انه لا يجوز للمسلم ان يقوم
بالواجب الاسلامي نحو مسلم لا يقوم هو به ، وان يعامل
كعدو الى ان يتوب ويقوم بواجباته ، ولهم تشريعهم
الذي منه اباحة اكل الحمر الالهية ويقومون بواجباتهم
الدينية بورع ، ولهم امام ينتخبونه حين الضرورة الملحة
اذ عندهم ان الامامة سياسة لحاجات الوقت فاذا كان
الناس بخير فلا حاجة الى امام . وهم في العهد الاخير
يناوئون الاستعمار ويشورون باسم الامام ويرون انه
صاحب الحق الشرعي في البلاد لانه ينتخب انتخابا ولا
يعترفون بسلطانهم الوراثي ، ولقد كان لجوءهم لتلك
المذلق الذاتية سر احتفائهم بمذهبهم الا أنهم ايضا كانوا
يلزمون التقية حين تحكم البلاد دولة قوية كما كانت
الحالة حين مر بهم ابن بطوطة ، وكان يسيطر على البلاد
ملك هرمز السني .

ولكنهم بعد ذلك نهضوا مكونين دولة ذات
اسطول قوي استطاعت رد الاوربيين وانجاد الساحل
الاfrigي الى ان تفوقوا عليهم واستعمروهم ، وقد هبوا
اليوم يقارعون المستعمرين ويستنجدون العالم العربي

الامام علي سجدوا له ، اما من حيث الاخلاق فهم مثال الطاعة لانتمهم الى حد الموت مع الشجاعة التامة والكرم والبلد ، وكانوا يعرفون بالحشاشين وقد ضربوا امثلة خطيرة في الفداء . وعندهم مرشدون ممن بلفوا سن الاربعين فما فوق . اما من دونهم فهم رعاع جهلة .

النصيرية :

هم فرق باطنية ينسبون انفسهم الى نصير مولى امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ويلقبون انفسهم ايضا بالعلويين وهم يغالون بعلي كرم الله وجهه ، ويقولون انه لم يمت وانه يسكن السحاب ، فاذا مر بهم السحاب قالوا السلام عليك يا ابا الحسن ، ويقولون ان البرق ضحكته والرعد صوته ، ويقولون بالحلول ، فيقولون بالوهية هابيل ، ومنه حلت في شيت ثم انتقلت الى اسماعيل ثم الى موسى فميسى فمحمد ، ثم الى علي الى ان التف بالحلة وصعد الى السماء . ويقولون ان ارواح انتمهم (عقالهم) تصعد الى الكواكب ، ولذا فهم يسجدون للشمس حين الشروق وحين الغروب ويحترمون الكواكب وليس لهم جوامع ولا مساجد بل يجتمعون في بيوتهم ويعتقدون بالتقية اذ انهم يتظاهرون بالاسلام واذا اطلع احد على عقيدتهم قتلوه ، ويعتقدون بوجود الامام المتاله الى آخر الدوران ، وما حكاية سليمان مرشد مدعي الالوهية ببعيدة فقد شنع من عهد قريب . وهم يبيحون الخمر ولا غيره عندهم ، وكذلك هم يؤولون القرآن حسب أهوائهم ، وهم كالاسماعيلية في تعظيم آل البيت ، وقد وقعت عداوات بينهم وبين الاسماعيلية الا ان الاغاخان السابق يقول في مذكراته بانهم من الاسماعيلية وانهم من المفروض فيهم ان يكونوا من اتباعه الا انهم خارجون . وهم يختلفون عن الاسماعيلية ، ويظن كثيرون انهم فريق واحد . وهم يسكنون في المناطق الجبلية وراء الالاذقية وطرابلس الشام وحماة ، وقد تحصنوا في هذه الجبال . وقد انتشروا في سوريا في هذه الايام ، وهم يتمسكون بعقيدتهم رغم الضربات الكثيرة التي نزلت بهم من السلاطين والملوك والقواد .

الدروز :

هم جمعية كونها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله للقول بقوله فعظموه واكبروه وقد تغلب على دسائس ومكائيد كانت جارية في عهده فشمخ وتعالى وصار يوقع « الحاكم بأمره » بدلا من الحاكم بأمر الله ، وكان له من

اتباعه جواسيس قد يرون يستطلعون احوال الناس في بيوتهم فيخبرهم بذلك ، فقالوا انه يعلم بالمفبيات ايضا فالصقوا به ادعاء الالوهية فتربصوا به فقتله مجهولون واخفوا امره وقالوا انه عرج الى السماء وبطش من بعده باتباعه الذين كانوا يعظمونه ويقولون بتعاليمه فتواروا واتخذوا سرايب يجتمعون بها ثم هاجروا الى جبل لبنان فجبل الدروز فاندس بينهم داعيان من دعاة الباطنية ، احدهما محمد بن اسماعيل الدرزي الذي شملهم اسمه ، والثاني حمزة بن علي بن احمد ، وقد لقنهم عقيدة الاسماعيلية وصنف لهم درزي كتابا هو عقيدتهم ابان فيه فكرة تناسخ الارواح وهي ان روح آدم انتقلت الى شيت فشعيب فالى سليمان فالى المسيح فالى فيثاغورس الحكيم فالى محمد ، وان سلمان الفارسي هو همزة الوصل ، وان القرآن انما اوحى اليه وعنه اخذ محمد صلى الله عليه وسلم وعربه . وقد اولوا الاحكام فقرروا ان الصلاة هي الوفاء للاصدقاء ، وان الصوم هو صون اللسان فلا رمضان عندهم ولا عيد فطر ، ومن غرائب الاعتقاد تحريمهم اكل الملوخية لان الحاكم بأمره يكرهها ، وعندهم تفسير للقرآن لغزي لا يعرفه الا رؤساؤهم ويتكتمون فيه غاية التكتم ولهذا فهم طبقان عقل وجهال ، والعقال يضعون العمائم ويطلقون اللحى ، وهم درجات ايضا يتراسهم شيخ العقل ، والباقون جهال لا يعرفون شيئا ، ولهم زوايا لاجتماع العقال ، لا يدخلها غيرهم ، ويقومون اذكارهم فيها مع الحراسة التامة من الخارج ، واذا تسرب الى احد معتقدهم قتلوه ، الى ان كبسهم ابراهيم باشا واستولى على بعض كتبهم .

وكذلك النساء عاقلات وجاهلات ، ويقولون للعاقل جويده وللجاهلة غير جويده .

وهم يختلفون عن النصيرية والاسماعيلية ، بأن اخلاقهم عربية ، عندهم كرامة وعندهم غيرة ، ولكنهم في العقائد متقاربون . ان علي الاغاخان السابق يرى انهم اسماعيلية منشقون ، فهو يقول في مذكراته : « نجد الدروز في معقلهم ، جبل الدروز ، انهم في الحقيقة اسماعيليون ، لم يتبعوا اصلا افراد عاثتي في هجرتهم من مصر ، بل حافظوا على ذكرى جدي الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي في مصر واقاموا معتقداتهم على أسس شبيهة الى حد ما بأسس الاسماعيلية السوريين الذين هم اتباعي في الوقت الحاضر » . وهم يحملون على الاديان الثلاثة الا انهم يتخذون التقية تجاه القوة فيظهرون المودة لكل دين حين الاجتماع باتباعه .

على انهم في المعاملات والاحوال الشخصية يسرون بمقتضى الشريعة الاسلامية الا انهم لا

مقيد بل كل عهد بما يناسبه ، وان كثيرا من الاحكام
الاسلامية الاصولية يمكن ان تزول وتتغير .

وقرر غلام احمد ان الطاعة واجبة للحكومة المركزية
اذا كانت .

وقرر ايضا ان الجنة والنار ليسا مكانين ، انما هما
كيفية للانسان من السعادة والشقاء ، وقرر ايضا ان
القضاء والقدر مكيدة مجوسية .

وهم يقيمون الصلاة ولكن بأساليب تخالف اهل
السنة والجماعة ، ويدسون في دعوتهم افكارا الحادية
فاضطروا سائر المسلمين الى التبرؤ منهم والرد على
دعائهم الا ان الانكليز استفادوا دعوتهم استفلا دقيقا .

وبما ان اساليبهم في مظهرها اسلامية تندفق غيرة
وحسرة لما اصاب الاسلام والمسلمين ، وهي مفريفة
لمن لا يعرف طرق الدس الاحادية . ولهذا كانت
مقاومتهم على جانب الصعوبة لا سيما بعد انتشارها في
بريطانيا وامريكا حيث نجحت بعض النجاح وهم اظهروا
الاسلام بهذه الصورة المشوهة .

((كلمة ختامية توجيهية))

هذه هي الفرق الباقية في الاسلام وجميعها نشطة
تعمل وينضم اليهم الحاد وجفاء خريجي المدارس

التبشيرية مما يحتاج الى تضافر المسلمين وعملهم لنشر
عقائد الدين الاسلامي الصحيحة بأساليب تتفق وروح
العصر مع ايجاد تيار اسلامي عنيف يتغلب على التيار
الغربي ويرجعه بل ويبدده في ارضه ويظهر ارض الاسلام
من الضلالات والمفاسد التي جلبتها حضارة الغرب .

اما بالنسبة الى الفرق المذكورة في هذه الرسالة
فينبغي ان نفتح لها صدورنا وان نقلب الآية فلا نصمم
بالكفر والالحاد حتى ولا بالبدع بل يجب ان نعتبرهم
مسلمين نناقشهم ونباحثهم في الشؤون الاسلامية
مستشهدين بآيات القرآنية والاحاديث النبوية وان
نحب اليهم الرجوع الى هذه المراجع التي لا ينكرونها .
وان يجبروا ادبيا او قسريا على التعليم الابتدائي
الاسلامي في المدارس . وان نضبط عليهم ادبيا لدخول
المساجد وشهود المحاضرات في النوادي والمجتمعات ،
وان نصاحبهم ولا نظهر لهم اي نفور ولا نمكنهم من
الانطواء على بعضهم لان هذه الناحية اي الانطواء على
طائفتهم هي التي مكنت المدلسين من تضليلهم وافساد
عقيدتهم . والله الموفق للصواب .

نابلس - الاردن : احسان النمر

في البشر

قيل لابي العيئة : هل بقي في دهرنا من يلقي ؟ قال : نعم في البشر ! .

الشخصية والمعاملات ، وهم يختنون صبيانهم للمسلمين وفي نفس الوقت يعمدونهم كالتصاري ، ويعطون يوم الجمعة كليا فيزورون أحد المقامات مع الوليمة هناك .

وكذا هم حسب تشريعهم لهم محرمات كتحرير اكل الخص والملفوف والقرنايط وبعض الخضر . ولا يدخلون حماما ولا مرحاضا لانها مساكن الشياطين فلا يدنسونها .

ويحرمون النظر الى وجه المرأة الغير يزيديية . ويحرمون البصق على الارض رو على وجه انسان ، كما يحرمون التلفظ باسم الشيطان او ما يقاربه تقديسا لقامه . الى غير ذلك من الآداب التشريعية .

وعدهم لا يبلغ الاربعين الفا حسب الاحصاءات الاخيرة ، لانهم حصل عليهم اضطهادات كثيرة فهدم قبر الشيخ عدى واحرق . وقد سبوهم ونهبوه .

البائية والبهائية :

في سنة 1260 هـ اصيب التاجر علي محمد الشيرازي بمرض فجاء الى مقامات آل البيت رضي الله عنهم في كربلاء والنجف وغيرها ، وصار يجلس الى المجتهدين ثم سافر الى الحجاز فادى فريضة الحج . ولما عاد صار ينشر أفكارا تخالف الاسلام ثم ادعى ان المهدي المنتظر قريب الظهور وانه بابيه . وكان بعض المدلسين يترقب مثل هذا فاتبعوه ، وقد بلغوا ثمانية عشر ، فامتحنه المجتهدون وقرروا ان أقواله مخالفة للشرع فحبسته الحكومة اولا في قلعة ماكو في الشمال ونفوا بعض اتباعه خارج البلاد الى بغداد . واستمرت دعايته وقد كثر اتباعه ففقدوا مؤتمرا في صحراء بدشت اعلنوا فيه ما تأمروا عليه وهو ان الباب هو المهدي وان شريعته تنسخ الدين الاسلامي ، فثار عليهم المجتهدون وظهر ان لاتباعه ضلع في مقتل الشاه ناصر الدين ففتكت فيهم الحكومة الايرانية والشعب فقتلوا نحو (2500) منهم ثم قتلوا الباب نفسه وهو الذي سموا بالبائية نسبة لدعواه .

وكان بين اتباعه شخص بارز اسمه ميرزا حسين علي قد لقبوه بهاء الله فادعى ان الباب اوصى له وانه قد استولى على كتبه وانه هو مظهر الله الاكمل وان جميع الرسل السابقين كانت قضاياهم ناقصة ولهذا فهو ينسخها ، وقد اصدر تشريعا يوحد الاديان الثلاث اليهودية والنصرانية والاسلام . وكانت الدولة العثمانية قد نقلته من بغداد الى ادرنه ثم الى عكا، ونظرا

لمناصرة روسيا له لم تتمكن من القضاء عليه وعلى بدعته بل اكتفت بأن اخذت عليه العهد بأن لا يدعو الى نحلته في بلادها فوجه دعايته الى اوربا وامريكا فانتشرت وصار له بضعة آلاف من الاتباع في تلك البلاد ، وقد سموا البهائية نسبة اليه ، والفي اسم البائية .

وقد اظهر البهائيون عددا من الكتب التي يدعون انها منزلة وموحى بها واهمها الايقان المخطوط بقلم الرحمن . والالواح المباركة .

وقد اعلنوا توحيد الاديان الثلاثة باعجاز القرآن ودعوا الى محكمة عالمية ولفة عالمية وفرضوا صلاة وصوما وحجا باساليب تخالف الاسلام فلاقت قبولا في اوربا وامريكا ونمت حتى بولغ بعدد اتباعها .

وصار اتباعه يقولون له ياربنا . وقد فرض على اتباعه السلام والمسالة والاحتراف فهم على جانب من الهدوء ولزوم الحرفة . وهم يدفعون خمسة في المائة من مكاسبهم الى ربهم . وهو ينفق بسخاء كيف يشاء .

القاديانية :

نسبة لقاديان البلدة الصغيرة في بلاد الهند والتي ولد فيها غلام أحمد برويز وهو من بيت نجارة شسب ضعيفا فذهب الى زيارات مقامات آل البيت في العراق وقد جلس على حلقات المجتهدين هناك ثم سافر الى الحجاز حيث ادى فريضة الحج ثم عاد الى بلاده ايران يظهر النسك والعبادة ، وكان الجو مملوءا بالنازعات الدينية والمذهبية بسبب نشاط المبشرين المسيحيين ففاجأ الناس باخراج كتاب رد فيه على المبشرين وغيرهم فابتهج الناس به والتف كثيرون حوله وأصبح له اتباع ومريدون وقد أغراه هذا الاقبال فاعلن انه المسيح الموعود - معلنا ان عيسى عليه السلام قد مات . واعلن انه خاتم النبيين ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم المرشحين ، وصارت نشراته تنشر بسرعة ظاهرها الاسلام وباطنها الالحاد . وقد ظاهرت حكومة الهند الانكليزية وانتقل دعائه الى بريطانيا ، وقد اوجدوا جريدة باسم اسلاميك رفيو تنشر عقائدهم ودعايتهم ، وقد قبل دعوته جماعة من الانكليز وابتنوا جامعا في حي ووكنج بلندن ، وقد عرفوا بجماعة الاحمدية ، وقد ترجموا القرآن الى اللغتين الانكليزية والاوردوية ، وقد ألفوا عددا من الكتب التي تشرح دعوتهم باللغتين أيضا وقد اوجدوا لهم دعاة في العراق وسوريا وفلسطين ، وكان من دعايتهم ان تفسير القرآن يمكن ان يكون غير

كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » ومعناها بلفة خشم العصا . وهو بهذا الاستعمال ذاته في لهجتي حضرموت وانمار .

وسميت العصا منسأة « لانه يطرد بها ويؤخر (6) » ويقول الزمخشري انها « تقرا بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس » ولكنه لم يشر الى من يقرأها على هذا الشكل . وبيان قراءتها فيما علمت كما يلي :

أ - قراءة ابن مسعود : منسأته بكسر الميم والتاء مع عدم تخفيف الهمزة ومن سأتة مع جعل من حرف جر وتاء مكسورة وعدم تخفيف الهمزة (7) ويشرح الزمخشري هذا الوجه الاخير فيقول « ومن سأتة اي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لفتان (8) »

ب - قراءة ابي بن كعب : منسأته يوافق في ذلك قراءة ابن مسعود الاولى، منسته بخذف الهمزة تماما (9)
ج - قراءة بن جبير : منسأته ومن سأتة يوافق في ذلك قراءة ابن مسعود تماما .

ومن هذه القراءات تتضح لنا غرابتها ، وتظهر غرابتها اكثر في القراءة « من سأتة » التي يقول عنها ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري في كتبه « املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن : (10) » وقريء في الشاذ « من سأتة » بكسر التاء على أن « من » حرف جر ؛ وقد قيل غلط قارئها « ويزيد العكبري رادا على ابن جني فيقول : « وقال ابن جني سميت العصا سأة لانها تسوء ، فهي قلة والعين محذوفة وفيها بعد . »

4 مفردة « واق » في قوله تعالى : « اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا

من قبلهم كانوا هم اشد قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق » ومعناها مانع بلفة خشم . وهذه المفردة موجودة في الآية 21 من سورة غافر . ولقد كررها الحق سبحانه وتعالى بنفس الصيغة مرتين في سورة الرعد في الايتين 34 و 38 .

5 كلمة « مريج » الموجودة في الآية 5 من سورة في التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها : « بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج » ومعناها بلفة خشم مستتر .

ومعلوم أن اصل مرج « الخلط والمروج الاختلاط ، يقال مرج امرهم اختلط ومرج الخاتم في اصبعي فهو مارج (11) » وهو اصل مستمد ، كما لا يخفى ، من معناه في لغة خشم .

6 مفردة « صفت » الموجودة في الآية 4 من سورة التحريم التي جاء فيها : « ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » ومعناها بلهجة هذه القبيلة « مالت » وهي موجودة بنفس المعنى في قوله تعالى : « ولتصفي اليه افئدة الذين لا يومنون بالاخرة (12) » اي يميلون باسماهم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيه خلاف أما الجوهري (13) فيجعله من باب عدا ورضي ليس غير ، وأما المختار فيقول : صفا : مل ، وبابه عدا وسمما ، ورمى ، وصدى .

7 كلمة « سجرت (14) » « واذا البحار سجرت » كما وردت بنفس المعنى في قوله تعالى : « في الحميم ثم في النار يسجرون (15) » وفي قوله : « والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع (16) » ومعناها بلفة خشم جمعت .

6 الكشف الجزء الثالث صفحة 254

7 صفحة 76 -

8 الكشف الجزء الثالث صفحة 254

9 Arthur Jeffery صفحة 157

10 صفحة 196 من الجزء الثاني

11 المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني صفحة 465

12 الانعام الآية : 113

13 الصحاح ج 6 صفحة 2400

14 سورة التكويد الآية 81

15 سورة غافر الآية 72

16 سورة الطور الآية 6

لم يكن القرآن بلغز قرش فحسب...

الأستاذ الرامي النجاشي

(11)

لهجة قبيلة خثعم (1)

تنسب هذه القبيلة الى قطحان وهي كهلانية .
كانو يسكنون قديما في سروات اليمن والحجاز . وكان
لهم مكان مقدس يعبدون فيه صنمهم الذي كانوا
يسمونه بذي الخلصة ، وكانوا يظاهرون بهذا المكان
مكة المكرمة الى درجة انهم اطلقوا عليه في حقبة من
تاريخهم « الكعبة اليمنية » .

تتفرع خثعم عن اربع قبائل هي : كود وناهس
واكلب وشهران . ومعنى خثعم الضبع (2) شاركت
هذه القبيلة في القرآن الكريم بسبعة ألفاظ وزعت فيه
حسب البيان الآتي :

(1) مفردة : « تسيمون » في سورة النحل الآية
10 التي يقول فيه الله تبارك وتعالى : « هو الذي انزل
من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون »
ومعناها بلغة خثعم « ترعون » واعتقد ان الاصل القديم
الذي انحدرت منه هذه المفردة هو « السوم » الذي
اصاب شرحه العلامة الامام ابو القاسم الحسين بن
محمد المعروف بالراغب الاصبهاني حين قال : (3) « السوم

اصله الذهب في ابتفاء الشيء ، فهو لفظ لغوي مركب
من الذهب والابتفاء » .

ولقد تفرع من هذه المادة صيغ كثيرة موجودة
في القرآن الكريم كـ « الخيل المسومة » في الآية 14 من سورة
آل عمران . و « مسومة عند ربك » في هود والذاريات .
جاء في الصحاح (4) « والسوام والسائم بمعنى

وهو المال الراعي » .

(2) كلمة « شططا » في الآية 14 من سورة الكهف
التي جاء فيها : « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا
ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد
قلنا اذا شططا » ومعناها بلغة خثعم كذبا .

ولقد وردت ايضا بهذا المعنى في سورة الجن الآية
4 قال تعالى : « وانه كان يقول سفيها على الله شططا »
والاصل في ذلك كما جاء عند المحققين (5) الافراط في
البعد والشطط عموما : مجاوزة القدر في كل شيء وبه
ورد الحديث الشريف « لها مهر مثلها لا وكس ولا

شطط » .

(3) كلمة : « منساته » في سورة سبأ الآية 14 التي
جاء فيها : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا
دابة الارض تاكل منساته » فلما خر تبينت الجن ان لو

ورد الحديث الشريف « لها مهر مثلها لا وكس ولا

(1) الاعلام لخبر الدين الزركلي الجزء الثاني صفحة 344 والمراجع التي ينص عليها أسفل هذه الصفحة .

(2) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب صفحة 194 من الجزء الثالث الطبعة الثالثة .

(3) المفردات في غريب القرآن صفحة 250

(4) صفحة 1955 الجزء الخامس

من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين .

ومعناها بهذه اللفظة « لعن » ومن نزلت عليه لعنة الله فهو هالك لا محالة . وقال الراغب الاصفهاني: « الكبت : الرد بعنف وتذليل » وعزز تفسيره بقوله تعالى: « ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين » (24) .

6 - كلمة : «الخرطوم» اعتقد عدد كبير من المفسرين والمهتمين بلغة القرآن ان هذه اللفظة من لغة مذحج (25) وليس بعيد ان تكون هذه المفردة ظهرت اول ما ظهرت في مذحج بعد ان تسربت اليها من اللغة الآرامية او لعلها ثبتت وانتشرت في هذه القبيلة اكثر مما ثبتت وانتشرت في القبائل العربية الاخرى ، الامر الذي جعل هؤلاء المهتمين يحسبونها مذحجية ، وهي في الآرامية **ܫܪܬܘܡܐ** « Hartoûmo » بمعنى الانف (26) .

وتوجد هذه المفردة في الآية 16 من سورة القلم التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى: « سنسمه على الخرطوم » وفي كلمة الخرطوم ما فيها من الاستخفاف والاستهانة بالكافر المجرم .

اكادير - الراعي التهامي الهاشمي

ولا بد ان اشير الى ان هذه اللفظة لم ترد الا مرة واحدة في القرآن .

3 - لفظة « ظاهر » الآية 33 من سورة الرعد التي جاء فيها: « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضل الله فما له من هاد » ومعناها باغة مذحج « كاذب » والملاحظ ان الراغب الاصفهاني اغفل عن هذه اللفظة فلم يشر اليها في كتابه: « المفردات في غريب القرآن » .

4 - كلمة: « وصيد » الموجودة في الآية 18 من سورة الكهف التي جاء فيها: « وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » ومعنى الوصيد بلغة مذحج الفناء . وذهب كثير من المفسرين (23) ان معناها المقفلة وعزّزوا قولهم بالآية: « عليهم نار موصدة » .

5 - مفردة: « كبت » الكائنة في الآية 5 من سورة المجادلة التي يقول فيها سبحانه وتعالى: « ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من

- (23) منهم الراغب الاصفهاني « مفردات غريب القرآن صفحة 525 » والزمخشري (الكشف ج 11 صفحة 383) وغيرهما .
(24) نفس المصدر اعلاه صفحة 420 .
(25) ومن بينهم ابو القاسم ابن سلام .
(26) غرائب اللغة العربية صفحة 180 .

القبيلة الحادية عشرة « مذحج »

اتفق الجميع أصحاب المطولات اللغوية والجغرافيون والمؤرخون والنسابون على أن مسكن مذحج الاصلي هو اليمن (17) .

أما وزنها فعلى مسجد (18) واكد سيويه ان الميم من اصل الكلمة ، ومنهم من رأى أن دالها غير معجم .

اما سبب تسمية هذه القبيلة بمذحج فالمشهور عند العارفين بالنساب أن جدهم الاول مالك بن ادد بن زيد ازداد على أكمة كانت تعرف بمذحج فسمي باسمها .

ويظهر ان خلقا كبيرا منهم استوطن في عصر قديم حضرموت ويقول المؤرخون أن تلبيتهم في الجاهلية إذا حجوا ، كانت : « لبيك رب الشعري ، ورب اللات والعزى » .

وصنمهم المشهور هو يفوث المذكور ، مع أصنام جاهلية أخرى في الآية 23 من سورة نوح : « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يفوث ويعوق ونسرا » .

ويذكر بعض المفسرين ان يفوث كان على صورة اسد ، ويظهر ان عبادته بدأت من زمن نوح ، وبقي معبودا حتى ظهور الاسلام .

ومن الد اعداء هذه القبيلة أبناء عامر بن صعصعة الذين حاربوها محاربة لا هوادة فيها وقت ظهور الاسلام .

ولقد انتقل خلق كبير منهم في العهود الاسلامية الاولى الى البصرة حيث كان لهم فيها النفوذ القوي . شاركت هذه القبيلة في القرآن الكريم بستة الفاظ وزعت فيه على الشكل الآتي :

1 - مفردة : « رفث » الموجودة في الآية 187 من سورة البقرة . جاء فيها : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن ، علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن ، وابتنفوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل » الآية .

والرفث هو اللفظ الوحيد المستعمل في القرآن انكريم الدال على القبح في هذا المعنى ، وقد اتفق على هذا عدد كبير من المفسرين (19) وبينوا ان الحق سبحانه وتعالى استعمل لهذا المعنى في آيات أخرى كثيرة الفاظا مختارة ك : « افضى بعضكم الى بعض » (الآية 21 من سورة النساء) و « فلما تفشاها » (الآية 189 الاعراف) و « باشروهن » (الآية 187 من سورة البقرة) و « او لامستم النساء » (الآية 43 النساء) و « دخلتم بهن » (الآية 23 النساء) و « فاتوا حرثكم » (الآية 323 البقرة) و « من قبل ان تمسوهن » (الآية 227 البقرة) و « فما استمتعتم بهن » (الآية 24 النساء) و « لا تقربوهن » (222 البقرة) .

واعتقد ان الحق سبحانه وتعالى استعمل هذا اللفظ الخشن ، اللفظ الدال على القبح ، استهجانا لهم لما وجد منهم قبل الاباحة (20) ، وقد وردت هذه المفردة مرة أخرى في السورة نفسها الآية 197 . ومعناها بلفظة مذحج : جماع .

2 - كلمة : « مقيتا » الكائنة في سورة النساء الآية 80 التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « من يشفع شفاعا حسنة يكن له نصيب منها ومن ينشفع شفاعا سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا » ومعناها بلفظة مذحج مقتدرا . وقد اعطاها المفسري معاني أخرى (21) هي شهيد وحفيظ (22) واضاف وقيل مقتدرا » .

(17) الصحاح ج 1 صفحة 340 ، المنجد في اللغة صفحة 489 ، الاعلام الجزء الثامن صفحة 80 .

(18) باتفاق جميع الباحثين الا لويس معلوف الذي ضبطها بالفتح وهو خطأ شنيع ، اما ابن خلكان فقد ضبطها بالضم في الوفيات .

(19) ومن بينهم الراغب الاصبهاني الذي قال في كتابه المفردات في غريب القرآن : « الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه » صفحة 199 .

(20) الكشاف الجزء الاول صفحة 115 .

(21) الكشاف الجزء الاول صفحة 286 .

(22) وقد وردت نفس هذه المعاني في كتاب « المفردات في غريب القرآن » لابي القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصبهاني صفحة 414 .

المعراة عن شوائب الآفاق الدنيوية . وقوله عز وجل
(ولكم في القصاص حياة) أي يردع بالقصاص من
يريد الاقدام على القتل ، فيكون في ذلك حياة الناس .
وقال عز وجل (ومن احيائها فكانما احياء الناس جميعا)
أي من نجاها من الهلاك . وعلى هذا يكون قوله مخبرا
عن ابراهيم (ربي الذي يحيي ويميت ، قال : انا احيي
واميت) أي أعفو فيكون احياء . اهـ

فالحياة في اللغة تقيض الموت قال تعالى في سورة
الملك (2) الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم اياكم احسن
عملا) قال البيضاوي : قدرهما أو أوجد الحياة
وأزالها حسبما قدره ، وقدم الموت لقوله (وكنتم
امواتا فأحياكم . اهـ

وقال تعالى في سورة النجم (44) وأنه هو
امات واحيا) ومقابلة الموت بالحياة في الكتاب العزيز
جاءت في مواضع كثيرة .

ومن الاستعمال الفاسد قولهم : فلان اعتزل
الحياة السياسية . يريدون بذلك ، اعتزل السياسة ،
فيقحمون لفظ الحياة تقليدا للغات الأجنبية ، وليس
في اقحامه فائدة ، ولكنه يخدش وجه البلاغة العربية
ويمسخها . والحاصل ان الانسان ليس له الا
حياة واحدة . متى زالت مات ، فيجب على الاديب
ان ينزه كلامه من ذلك الاستعمال ، ولا يستعمل لفظ
الحياة الا في الموضع المناسب له كما جاء في كتاب الله ،
وفي لسان العرب ، سواء اراد الحقيقة أو المجاز .

ايضاح لكلام الراغب

قوله (او من كان ميتا) قال البيضاوي : مثل
به من هداه الله سبحانه وتعالى ، وأنقذه من الضلال ،
وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء ،
فيميز بين الحق والباطل ، والحق والمبطل . اهـ

اقول : شبه الله الضالين الذين لا يهتدون الى
الحق ، ولا يتمسكون به بالاموات . واهل الهدى
والاستقامة بالاحياء . فالمراد بالقوة العاملة العاقلة
في كلام الراغب التي تعمل عملا صالحا ، وتعقل الحق
وتميزه من الباطل .

قوله (وقد ناديت) البيت : يروى بعده :

ولو ناراً نفخت بها اضاءت
ولكن انت تنفخ في رماد

شبه الشاعر من يدعى الى النجدة وعمل الخير
والاحسان ولا يستجيب لذلك بالميت ، فنفى عنه

الحياة . وشبهه في البيت الثاني بالرماد الذي لم يبق
فيه شيء من النار . وشبه من يدعو الى فعل الخير
والاحسان بمن ينفخ في رماد ، راجيا ان يوقد منه نارا .
ومثل ذلك قولهم : فلان يضرب في حديد بارد ، قال
الشاعر بهجو رجلا اسمه سعيد ، ويصفه بالبخل :

هيئات تضرب في حديد بارد
ان كنت تطمع في نوال سعيد

والصواب ان يقال : الشؤون الاقتصادية ،
والشؤون السياسية ، والشؤون المنزلية ، والشؤون
الزوجية ، الخ . ويقال : اعتزل التمثيل ، بدلا من
قولهم : اعتزل الحياة التمثيلية ، وهجر الرياضة
البدنية ، بدلا من قولهم : اعتزل الحياة الرياضية .

17 - استعمالهم الامكانيات بمعنى الطاقة
والقدرة او الامكان ، وهذا اللفظ الدخيل ترجمة
فاسدة للكلمة الاجنبية (Possibilités)

ولا حاجة بهم الى هذا التعبير المستعار الركيك ، فان
فنون القول في لغة الضاد كثيرة طيبة لا ضيق فيها ،
فبدل ان يقول الشخص : ليس عندي امكانيات
للاقدام على هذا العمل ، يسعه ان يقول : لا استطيعه ،
لا طاقة لي به ، لا يمكنني ، لا سبيل اليه ، الى غير
ذلك من الكلمات الطيبة العربية الخالصة الاصيل ، فان
هذا المعنى موجود منذ وجد العرب والعجم ، وفي
لغتهم عبارات تفي به على احسن وجه ، فما بالنا نترك
جواهرنا مهمة ، ونستعير احجار الاجانب ، فمتى
نعبد للفتنا شبابها واصالتها وخواصها ، ان بقينا
نتكفف الاعجميين ، ونعرض عن كنوزنا وتراثنا ؟

قال ابن منظور في اللسان : قال ابو منصور :
ويقال : امكنني الامر يمكنني فهو ممكن ، ولا يقال : انا
امكنه ، بمعنى استطيعه . ويقال : لا يمكنك الصعود
الى هذا الجبل ، ولا يقال : انت تمكن الصعود اليه . اهـ

اقول : ومن كتاب هذا الزمان من يقول : امكن لي
ولا يمكن لي ، متوهما ان الفعل لازم فيعديه باللام ، وهو
خطأ .

18 - اجاب على

ومن الشائع في هذا الزمان قولهم : اجاب على
سؤاله ، ولا يمكنني الجواب عليه ، والصواب : تعدي
الفعل (بعن) فيقال : اجاب عن سؤاله .

قال في اللسان : والاجابة رجع الكلام ، تقول :
اجابه عن سؤاله . اهـ

تقوية السانين مستقيم وقد عدلت في تعديل عن العدالة للتوتقي الدين الزهلي

- 4 -

والرابعة عبارة عن ارتفاع الغم ، وبهذا النظر
قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

وعلى هذا قوله عز وجل : (ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم) أي هم
متلذذون لما روي في الاخبار الكثيرة في ارواح الشهداء

والخامسة : الحياة الاخرية الابدية ، وذلك
يتوصل اليه بالحياة التي هي العقل والعلم قال الله
تعالى (استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)
وقوله (ياليتني قدمت لحياتي) يعني بها الحياة
الاخرية الدائمة .

والسادسة : الحياة التي يوصف بها الباري ، فانه
اذا قيل فيه تعالى : هو حي ، فمعناه : لا يصح عليه
الموت ، وليس ذلك الا لله عز وجل .

والحياة باعتبار الدنيا والآخرة ضربان : الحياة
الدنيا والحياة الآخرة ، قال عز وجل (فاما من طفئ
وأثر الحياة الدنيا) وقال عز وجل (اشتروا الحياة
الدنيا بالآخرة) وقال تعالى (وما الحياة الدنيا في
الآخرة الا متاع) أي الاعراض الدنيوية ، وقال (ورضوا
بالحياة الدنيا واطمانوا بها) وقوله تعالى (ولتجدنهم
أحرص الناس على حياة) أي حياة الدنيا .

وقوله عز وجل : (واذا قال ابراهيم : رب ارني
كيف تحي الموتى) كان يطلب ان يريه الحياة الاخرية

16 - الحياة السياسية ، والحياة الثقافية ،
والحياة الاقتصادية ، وما أشبه ذلك من العبارات
الماخوذة من اللغات الاوربية بعد ترجمتها ترجمة
فاسدة قولهم : الحياة السياسية ، والحياة الفكرية ،
والحياة الاقتصادية ، والحياة الزوجية ، فيكون
للشخص الواحد أنواع من الحياة ، والحياة في كلام
العرب : واحدة ، وهي تقيض الموت ، كما في لسان
العرب والقاموس وغيرهما ، وتستعمل في المجاز على
النحو الذي ذكره الراغب في غريب القرآن حيث قال :

الحياة تستعمل على اوجه ، الاول للقوة النامية
الموجودة في النبات والحيوان ، ومنه قيل نبات حي قال
عز وجل (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها) وقال
تعالى (فاحيينا به بلدة ميتا) (وجعلنا من الماء كل
شيء حي) .

الثانية للقوة الحساسة ، وبه سمي الحيوان
حيوانا ، قال عز وجل (وما يستوي الاحياء ولا
الاموات) وقوله تعالى (الم نجعل الارض كفاتا احياء
وامواتا) وقوله تعالى (ان الذي احيانا لمحي الموتى انه
على كل شيء قدير) فقله : ان الذي احيانا ، اشارة
الى القوة النامية . وقوله : لمحي الموتى ، اشارة الى
القوة الحساسة .

الثالثة للقوة العاملة العاقلة كقوله تعالى : (او من
كان ميتا فاحييناه) وقول الشاعر :

وقد ناديت لو اسمعت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

اي ذا جماعة قوية ، شبه المتعاونون على امر
بالاقارب ، فاستعير لهم لفظ الاسرة بجامع التعاون
في كل .

21 - النشاطات

ومن ذلك استعمالهم النشاطات ، يريدون بها
الاعمال ، وهو ايضا مأخوذ من جهلة المترجمين لكلمة
Energy الانكليزية ، وقد اولى باستعماله عامة
الكتاب حتى الذين لا يعرفون شيئا من اللغات
الاجنبية . ومن سوء الحظ ان اكثر الخطباء والكتاب
صاروا يأخذون لغتهم من الصحف والمجلات والاذاعة ،
لا من الدراسة ، والقرآن وكلام العرب البلغاء ، كما
يجب ان يفعلوا ، وكما كان الناس يفعلون في زمان
شباب اللغة العربية . فالى الله المشتكى .

لفظ الاسرة بمعنى اهل البيت الواحد تنوع
وذاع حتى صار خطباء المساجد يستعملونه في خطبهم ،
وهذا ما حملني على كتابة هذه المقالات ، راجيا ان ينتفع
بها طالبوا الحق من المتكلمين والكتابين بلغة القرآن .

قال ابن منظور في اللسان : النشاط ضد الكسل ،
يكون ذلك في الانسان والدابة ، نشط نشاطا ، فهو
شييط ، ونشطه هو وانتشطه ، الاخيرة عن يعقوب
اليب : نشط الانسان يشط - نشاطا ، فهو نشيط
طيب النفس العمل ، والنعت ناشط ، وتنشط - الامر
نذا . وفي حديث عباد : بايعت رسول الله (ص) على
النشط والمكره . المنشط مفعول من النشاط ، وهو
الامر الذي تنشط له وتخف اليه وتؤثر فعله ، وهو
مصدر بمعنى النشاط . ا هـ

فقد رايت ان معنى النشاط ليس هو المعنى
الذي يقصدونه ، والنشاط مصدر لا يجمع . اذ
لا حاجة الى جمعه ، فانه يدل على القليل والكثير ، كما
قال تعالى في سورة الفرقان (14) لاتدعوا اليوم ثبورا
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) فلم يقل الله تعالى : لاتدعوا
ثبورا واحدا وادعوا ثبورات كثيرة ، لان الثبور مصدر
يدل على القليل والكثير ، فاذا اردنا الكثرة وصفناه
ولم نجعله .

قال ابن منظور في اللسان : وفي حديث الدعاء :
اعوذ بك من دعوة الثبور ، هو الهلاك ، وقد ثبر يثبر
ثبورا . وثبره الله اهلكه اهلاكا لا ينتعش . فمن ذلك
يدعو اهل النار : « وانبورا » فيقال لهم : « لا تدعوا
اليوم ثبورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا » . قال الفراء :
الثبور مصدر ، ولذلك قال ثبورا كثيرا ، لان المصادر

لا تجمع . الا ترى انك تقول : قدمت قعودا طويلا ،
وضربته ضربا كثيرا . ا هـ

وكذلك يقال في النشاط مثلا : هؤلاء العملية
يعملون بنشاط كثير . فلا حاجة الى جمع النشاط ،
ولو جمع لم يجمع على نشاطات ، بل على نشط
بضمتين ، كقذال وقذل .

22 - وصف الجمع بالمفرد

ومن ذلك وصفهم الجمع بالمفرد ، فيقولون
رايات بيضاء ، وابل حمراء ، والكتب الصفراء ،
والصواب : رايات بيض ، وابل حمر ، وصحائف صفراء .
قال الله تعالى في سورة فاطر (27) ومن الجبال جدد ،
بيض وحمر مختلف الوانها ، وغرايب سود . الجدد
جمع جدد ، بضم الجيم وفتح الدال ، وهي الطريق
في الجبل . والغريب : شديد السواد ، يقال : اسود
غريب ، بكسر الفين والباب ، واحمر قان ، وابيض
ناصع ، واخضر حانيء ، واصفر فاقع .

وقال تعالى في سورة المرسلات (33) كأنه جمالات
صفر) ولم يقل صفراء . وقال ابن عقيل عند قول ابن
مالك في الخلاصة :

(فعل لنحو أحمر وحمرا)

ما نصه : من امثلة جمع الكثرة : فعل ، وهو
مطرود في وصف يكون المذكر منه على افعال ، والمؤنث
منه على فعلاء نحو : احمر ، وحمر ، وحمراء ، وحمراء .
وقال الخصري في حاشيته : قوله (فعل لنحو)
الخ . اي بضم فسكون ، لكن يجب كسر فائه في جمع
ما عينه ياء ، كبيض في ابيض وبيضاء

23 - الرضوخ

ومن ذلك تعبيرهم عن الاذعان (بانرضوخ)
يقولون : هددته فرضخ له ، اي اذعن ، وهو من الاخطاء
الفاحشة ، لان معنى رضخ له اعطاه عطاء قليلا .

قال ابن منظور في اللسان : ورضخ له من ماله
يرضخ رضخا : اعطاه . ويقال : رضخت له من مالي
رضيخة وهو القليل . والرضيخة والرضاخة .
العطية . وقيل : الرضخ والرضيخة : العطية المقاربة .
وفي الحديث : امرت له برضخ . وفي حديث عمر :
امرنا لهم برضخ . الرضخ : العطية القليلة . ا هـ

24 - السابع والاخير

هذه ايضا عبارة مأخوذة من اللغات الاجنبية

وتجيء على بمعنى (عن) قال القحيف :
إذا رضيت علي بنو قشير
لعمري الله أعجبنى رضاها

قال ابن هشام في المغني بعد إيراد هذا البيت شاهداً على مجيء (على) بمعنى (عن) : ويحتمل أن رضي ضمن معنى عطف . وقال الكسائي : حمل على نقيضه وهو سخط . اهـ

وقال العيني والصبان مثل ما قال ابن هشام في تضمين رضي معنى عطف ، أي فلذلك عدي (بعلی) . والشاعر يضطر إلى مثل ذلك ، وأما النائر فله مندوحة عن استعمال النادر . وهؤلاء الكتاب الذين يستعملون (على) بعد (أجاب) جاهلون بالنحو ، لا يعرفون أنه يتعدى بعن ، وكيفما كان الأمر ، فإن هذا الاستعمال ليس من الأخطاء الفاحشة في النثر ، أما في الشعر فهو جائز لا يعاب .

19 - القيم الدينية والأخلاقية

ومن المعلوم أن القيم هنا جمع قيمة ، ولا معنى لاستعمالها هنا . قال ابن منظور في اللسان : والقيمة واحدة القيم ، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم . اهـ
وإذا قلنا : القيم الدينية أو القيم الأخلاقية ، يكون المعنى : الأيمان الدينية ، والأيمان الأخلاقية ، والدين والأخلاق لا تقويم فيهما ولا يبيع ولا شراء ، وهذا الاستعمال أيضاً مأخوذ من اللغات الأجنبية ، ولا ينبغي استعماله في العربية ، ولا حاجة إليه ، لأن استعمال الأخلاق ومكارم الأخلاق ، والتمسك بالدين ، وما أشبه ذلك يعني عنه ، وليس هذا من المخترعات حتى نبحت له عن اسم ونترجم اللفظ الأجنبى ونستعمله .

20 - الأسرة

ومن ذلك تعبيرهم عن أهل البيت الواحد (بالأسرة) ، وهو من استعمال جهلة المترجمين ترجموا به لفظ Family الإنكليزي وأخيه الفرنسي ، وكانوا يترجمون هذا اللفظ من قبل (بعائلة) فعاب ذلك عليهم النقاد ، لأن العائلة في اللغة العربية هي المرأة الفقيرة ، قال تعالى في سورة الضحى : (ووجدك عائلاً فأغنى) أي وجدك فقيراً فأغناك . وقال تعالى في سورة التوبة (28) وإن خفتم عيلة ، فسوف يغنيكم الله من فضلها (أي خفتم فقراً ، فانتقلوا إلى ترجمته (بأسرة) وهو انتقال من خطأ إلى خطأ آخر ، والعبارة الصحيحة هي : بيت أو أهل بيت ، قال تعالى

في سورة هود (73) رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) وقال تعالى في سورة الأحزاب (33) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويظهركم تطهيراً) فأهل البيت في آية هود : إبراهيم وسارة وزوجه ومن يكون معهما على سبيل التبعية ونحوها . والمراد بأهل البيت في آية الأحزاب النبي (ص) وأزواجه وأولاده والتابعون كالموالي .

وقال تعالى في سورة الذاريات (36) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) والمراد بالبيت هنا لوط وأهل بيته إلا امراته ، فإن الله استثناهما من الناجين وجعلها من الهالكين . أما معنى الأسرة فدونك ما قاله صاحب اللسان : وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأذنون ، لأنه يتقوى بهم . اهـ

وقال تعالى في سورة الدهر (28) نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) قال البيضاوي : أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب . اهـ فالأسر هو أحكام الربط وقوته ، ومن ذلك سميت عشيرة الرجل (أسرة) لأنه يتقوى بهم .

وقال الصبان في حاشيته على الإسموي عند قول ابن مالك في التنازع في العمل من الفيته :
واختار عكسا غيرهم ذا أسرة

ما نصه : ضبطه الشيخ خالد بفتح الهمزة ، وفسره الغزي : بالجماعة القوية ، لكن في القاموس : الأسرة بالضم : الدرع الحصينة ، ومن الرجل الرهط الأذنون . اهـ

وقال ابن منظور في اللسان : وفي الحديث : زنى رجل في أسرة من الناس . الأسرة : عشيرة الرجل وأهل بيته . اهـ

وقال في مجمع البحار : وفيه (أي في الحديث) زنى رجل في أسرة من الناس . الأسرة : عشيرة الرجل وأهل بيته ، لأنه يتقوى بهم . اهـ والمراد بأهل بيته هنا هو المراد بعشيرته الأقربين ، لا زوجته وأولاده فقط .

أما قولهم أسرة المدرسة ، يعنون المدير والمدرسين فيها ، وأسرة تحرير الصحيفة ، يعنون مؤسسها والمحررين فيها ، ورئيس التحرير فله وجه ، وهو مقصود ابن مالك بقوله المتقدم :

واختار عكسا غيرهم ذا أسره

ذكرى مرور عشرين سنة على وفاة أمير البيان :

شكيب أرسلان

الاستاذ

عبدالله الحارثي

المرحوم الاستاذ شكيب أرسلان - شخصية عالمية نادرة حسرت عن ساقها في سبيل بناء صرح النهضة وتأسيس بنود الجامعة في طماح ووثوب مملوئين حيوية ونشاطا لا يعتريهما عجز ولا ملل شخصية فذة خلقت لتبحث وتفتش وتلمس وتنقب - تسال الكتب والاسفار ، وتستشير الحوادث والخطوب بثاقب بصيرة والتهاب غيرة لتضع لنا مجموعات القيمة ، وموسوعات الخالدة التي عنيت عناية خاصة بحوادث الاستعمار ، وما جريات الانتدابات والحمايات فسجلت للحاضر من العالم الاسلامي - ما يحفزه للوقوف على اسباب تأخر المسلمين وتقدم غيرهم ، بعد انتصار غزواتهم العربية في عقر تلك القارات المسيحية خفاقة الريبة ، صحائف سندسية الحل ، ذهبية الارتسام قنمها (1) الفقيد الامين كحجرات اساسية يسير على ضوئها النشء الجديد ، ويستنير بمشعلها الشباب الناهض . ولا بدع فقد رسمت للشباب كاخته المنبعث من زاوية الاهمال - الخطة الحميدة ، والغاية الناجحة ، فهولاء جمهرة الكتاب والادباء واثقون كبير الثقة ان كتب الفتيه كانت وتكون ظافرة برضى القراء ، وأعجاب الشباب المتنور واثقون ايضا ان الشباب المثقف سيرى فيها نزعاته وآماله ومثله العليا جلية واضحة انصع الوضوح يتبين من دفين اسرارها ما يجعله يفامر منافسا سواء من الامم التي فاقتته في التقدم ، وبزته في الظفر . علاوة على ما اتصف به من علو الهمة ، وكريم الطبع وسعة الاخلاق ، وانشراح الصدر ، والاخلاص للعاملين ، وخدمة الاوفياء بماله

ان للشعوب الشاعرة لفايات ، وللامم المستيقظة امرامي بعيدة الاطراف ، نازحة الانحاء - تسعى في تحقيقها بكل ما يستطيع من وسائل وما يملك من قوة بيد ان لتلك الوسائل مقدمات واسبابا لها نتائج اولية في رصف السبيل ، وتعبيد المسلك الحافز الى استعمال المنتج منها ، وارى على رأسها اعداد نشء اولى يزود في بدء نشأته بتربية اخلاقية روحها الدين ووطنية مشتتلة جماعها الثبات وثقافة علمية منشأها المتانة والصحة من شأنها ان تضع الشباب المنتظر وضعا صالحا لاسعاد البلاد وتحقيق الاماني والامال .

اجل لقد استيقظ الشرق العربي الشقيق من سباته الطويل ، ورقاده العميق شاعرا بالخطر الماور ، والتهديد المحدث مندفعاً عن تعشق وهوى لميدان العمل في حدود الحكمة والمفاهمة المعززين بئراء رجال خلقوا وما خلقوا الا للدفاع عن كرامة البلاد ، وشرف ألبدا مستعدين كل اضطهاد وامتهان ، مستسهلين كداء العقبات وقاصي المجاهل اثناء حلقات شائكة حيث العسف ناشر جناحيه ، والمكر ممسك بالتلابيب مؤمنين ان الحركات الوطنية لا يخدمها شيء كالشدّة والعنف ولا يذكي حماسها ، ويضرم نيرانها مثل الجور والعسف لحد الانفجار كل ذلك وافطع كي يكونوا رمزا للحرية ، وقدوة للتضحية في الذود عن حوزة الوطن وعزة كيانه والوقوف في صفوف رسل العدالة وخدمة الانسانية ، ودعاة الحق وزعماء العباقرة ومحبي البلاد ولقد راينا هذا المثل الكامل والفجر لصادق متجليا بصورة واضحة في مؤبنا السعيد - امير البيان

(1) اشارة وتلميح في هذه الفقرات الى بعض تأليفه الخالدة .

قول الاشموني في تفسير (فاه الى في) اي مشافهة ، فيه نظر ، لان مشافهة مصدر ، والاولى ان يقدر اسم فاعل ، اي مشافها له .

وقوله (ارسلها معتركة) يعني ارسل الابل معتركة ، يزاحم بعضها بعضا . قال الصبان في حاشيته لو قال : معاركة كما قال ابن الخباز لكان احسن ، لان اسم فاعل العراك معارك لا معترك . ١ هـ
اقول : واحسن منهما جميعا ان يقال : معاركا بعضها بعضا ، لاننا اذا قلنا : معاركة ، بكسر الراء ، نسبنا العراك اليها كلها . والعراك لا يقع الا بين فريقين ، ولا يقع من فريق واحد .

وقال الصبان في بيان قوله (الجماء الفغير) اي الجماعة الجماء من الجموم وهو الكثرة . والفغير من الففر ، وهو الستر ، اي ساترين لكثرتهم وجه الارض . ١ هـ

وهذا آخر هذه الحلقة وموعدا الجزء التالي ان شاء الله .

مكناس : تقي الدين الهلالي

تقليدا بلا علم ولا هدى ، والصواب : السابغ وهو الاخير ، لاننا اذا قلنا : السابغ والاخير دل ذلك على اثنين ، لان العطف يقتضي المغايرة .

25 - لوحده وبمفرده

ومن ذلك قولهم : ذهب لوحده ، وقتلهم بمفرده ، وذلك من افحش الخطأ وأقبحه ، وابعده عن لغة العرب الفصحى ، فالصواب ان يقال : ذهب وحده ، وقتلهم وحده بفتح الدال منصوبا على الحال . قال ابن مالك في الالفية :

والحال ان عرف لفظا فاعتقد

تنكيره معنى كوحذك اجتهد

قال الاشموني : وكلمته فاه الى في ، وارسلها العراك ، وجاءوا الجماء الفغير ، فوحذك وفاه ، والعراك ، والجماء احوال ، وهي معرفة لفظا ، لكنها مؤولة بنكرة ، والتقدير : اجتهد منفردا ، وكلمته مشافهة ، وارسلها معتركة ، وجاءوا جميعا . وانما التزم تنكيره لئلا يتوهم كونه نعتا ، لان الغالب كونه مشتقا ، وصاحبه معرفة . ١ هـ

اكباد جائعة

كتبوا الى عمر بن عبد العزيز كي يأمر البيت بالكسوة المعتادة للكعبة ، كما كان يفعل من كان قبله ، فقال :

« اني رايت ان اجعل ذلك في اكباد جائعة فانها اولى بذلك من البيت » .

في افق النشر والاصلاح شرقا وغربا هو ايضا من اصدقاء الفقيد الذين خصهم بتأليف اسماءه : « اخاء اربعين سنة » سجل فيه ما دار بينه وبينهم من الاحاديث العلمية والاجتماعية والاضطرابات السياسية وحلوا الاسئلة والمذاكرات الممتعة ، ولا اصدق دلالة على هذه الصداقة الممتزجة بالشرابين والنافذة الى الاعماق من تجليها في الطرفين بأجلى وانصع صورة وقت مرور الامير الى الحجاز ومنعه من الدخول لمصر ففي ظرف انتقاله من القطار الى الباخرة حضرت شخصيات من علية المصريين للسلام عليه بيد ان رجال الشرطة حالوا بينه وبين اخوانه لحد الاكتفاء في التحية بالاشارة ، ولكن لحمة الصداقة الوشيحة ، والرابطة القلبية التي كانت الجامع الاقوى بين الفقيد الخالد والمرحوم الشيخ رشيد رضا - حفزت الراحل الكريم للايمان بالحرية التي تهواها حتى العجموات والبلبيور فاني بالانسان الناطق ليكسر قيود الضغط ليخرق قانون الضغط والاستعباد الجائر متراميا في عنق صديقه الحميم الاستاذ « رشيد رضا » وقد افقده حب الحرية الطبيعية وخالص الود والصداقة شعوره قائلا : (والقوة تحاول رده وصرفه) انه امام المسلمين فلا مناص من مباشرة .

وبنفس هذه السياسة ، وعين المعاملة يسام جناب الفقيد عند ما وطئت قدماه تراب المغرب الأقصى زائرا شبابه المتطلع لمثله سنة 1930 سنة الحادثة الكبرى - حادثة الظهير البربري - التي كان لقلمه فيها اليد البيضاء شرحا وتصويرا انارا الافكار وابان للعالم الاسلامي اجمع مدى غاية الاستعمار ونوايا الاحتلال السيئة كمأساة طرابلس المضطهدة ايضا . نعم حل بطنجة وكله شوق لزيارة عواصم المغرب ، وكبريات مدنه التي كم كان له من الشغف بذكر آثارها ، واستعراض قطورها ومؤسساتها الضخمة في كتبه ، ككتابه « الارتسامات اللطاف » المستغرق في الموضوع صفحات ، شيء يفوق الافراط والهيام ويبعث على الإعجاب ، ولكن أبت السياسة الا ان تقفه هناك مانعة - فضيلته من زيارة اصدقائه واخوانه - صارفة اياه عن مقصده السامي وممرماه الشريف ، فكم كان لاصدقائه الاعزاء ، واخوانه المغاربة الاوفياء من أشواق ولواعج لا يأتي عليها الحصر متطلعين لمشاهدة محياه الكريم ، والاستلذاذ باحاديثه الحلوة ، وطرائفه الممتعة ، نعم وقف الامير المرحوم امام الواقع متحملا هذا الاعتداء الخائن والتصرف القاسي مقتنعا

بكلمات نشرها على الشباب الطنجي ، ومن حضر من الاخوان هناك حيث الظرف ظرف تردد فيه على طنجة وفود من ابناء المغرب (او الداخلية كما يقولون) للحضور بمهرجانات تقام سابع عيد المولد النبوي (ببوعراقية) كلمات كلها نصائح غالية ، وارشادات لامعة - روحها الايمان - كان لها وقع حسن في نفوس الشباب المتعطش في طليعتها الحث على العلم ودراسته ، والاعراض عن السفساف وكل ما لا جدوى وراءه منقرا على الوتر الشاعر ، واقعا على الدواء الناجع لصلاح الامم والشعوب (العلم ايها الشباب العلم) .

كل ذلك بمبارته المتعارفة الرائقة ، واسلوبه السهل ، وبيانه الساحر الاخاذ الذي يستهوي القاريء ويملك عليه مشاعره بما يبعث فيه من نشاط ، ويخلق فيه من استعداد واندفاع لحب المطالعة والنزوع للاستفادة بانسراح . اسلوب سلس اكتسبه كما قال رحمة الله عليه من دراسة « مقدمة ابن خلدون » كما ان ما كان لقلم صديقه الشيخ رشيد رضا من السلاسة والسهولة هو نتيجة دراسة كتاب « احياء الفزالي » وطبيعي ان امثال هذه الكتب المتينة التعبير ، الشريفة الغاية لها سر خاص في تكوين دارسيها ، وتعويدهم التعابير الصحيحة . والتراكيب الواضحة وتخير الاسهل منها عطفًا على القاريء وسعيًا وراء الافهام المنشود من التحجير صادفين عن تراكيب الاعجاز الناشئة عن التقعر في التعبير واستعمال الزحشي والغريب .

فله انت ، واله جهادك المتماسك الذي لا ينساه لك شعبك خصوصا ، والعالم العربي عموما ، وقد بدا فجره الصادق يشع بانوار السعادة في سماء سوريا ولبنان التي فارقتها وهي تزرع تحت نير الاضطهاد والارهاق ، وعدت اليها (وعلم الحرية يرفرف في جوانبها المستقلة) .

وكم يدفني هذا لاستعراض قولة العجوز التي شاهدت « الخليفة عبد المومن الموحي » وقد رجع لمسقط رأسه اماما متوجا ، بعد ما فارقه شابا مملقا لا يجد في جيبه درهما يسلك به « وادي ابي رقرق » حتى اضار لقطعه سباحة : - هكذا يعود الغريب الى بسلاده - .

ففي ذمة الله ورواق رحمته ايها المجاهد ، الهمننا الله الصبر والثبات على المبدأ والعقيدة وعلى العهد الي الملتقى في عالم الخلود . (1)

الرباط : عبد الله الجراي

عالم من كبار العلماء على نمط علماء الازهر ، فكان الازهر وجامع القرويين شيء واحد . وانما اعجبه منه كلمة لا تزال تذكرها ، وذلك ان الشيخ محمد اسأل اتادلي ، من جملة ما ساله عن حالة العلم في المغرب : هل يوجد اليوم هناك من اشتهر بالتأليف ، فاجابه اتادلي : ليس العلم بكثرة التأليف ، ولكن بالمدرسة والمثاقفة ، ومع هذا فيوجد مؤلفون في الايام الاخيرة ، فاعجب قوله هذا - الشيخ محمد . وهو ان حياة العلم انما هي بالمدرسة .

ثم قيل ان الشيخ اتادلي يريد ان يلقي درساً بعد صلاة الجمعة في الجامع العمري الكبير فاشترأت الاعناق ، وفكر الاستاذ الامام انه لما كان اتادلي من اكابر علماء المغرب مارا بالشرق فلا بد من ان يتكلم في موضوع عال من مواضيع الاجتماع كاتحاد الامة او وجوب العمل بعزائم الشريعة او ما اشبه ذلك . فكان موضوع درس اتادلي الذي قضى فيه اكثر من ساعتين - هو البسطة وما فيها من العلوم والفنون . ومرجع ذلك كله الى الباء ، وانحصار العلم في الباء مما يعرفه كل من مال شهادة العالمية من الازهر . فلما خرجنا من الجامع قال لي الاستاذ - رحمه الله - انظر الى حالة الاسلام وحالة علمائه الذين ينبغي ان يوقفوه - يعني احدث تحول علماء المغرب الى المشرق وهو يعلم انحطاط الاسلام واتهار جوانبه ، فبدلاً من ان يحدث الناس بامر اجتماعي يعود بجمع شملهم او يفاظهم من غفلتهم يكون منه ان يحدثهم بالعلوم المنحصرة في الباء .

والحقيقة ان الذي ينقمه النشر الجديد ، والمتعلمون على النمط العصري من جمود علماء الدين الاسلامي هو انه بينما يكون عالم اوروبي اخترع آلة عظيمة الفائدة للمجتمع البشري - كالآلة التي اخترعها بعض الالمان في هذه الايام ينظر بها ما تحت الارض كانه فوق الارض - بتبحره في القوى الطبيعية .

يضيع العالم المسلم اطول من الوقت الذي قضاه الاوروبي في اختراعه ، وذلك في حفظ تعليقات لا طائل تحتها ، وتدقيقات ضاق العصر الحاضر عن سماعها ، وهي من الدروس التي كان عليها معول الاوروبيين في القرون الوسطى حذو القذة بالقذة ، فكاننا نحن الان حيث كانوا هم منذ خمسة قرون او ازيد .

هكذا كان الراحل الامين يعتام مختاراً للتثقيف والمصادقة رجالاً انجبتهم الايام وعجمت عودهم تحارب خطوبها ، ووهبوا من العقل والمعرفة والقيمة على مبادئ الدين وسنن الاسلام ما كان له الاثر الملموس في النهضة . فهذا الشيخ رشيد رضا واثاره الفياضة

وقلمه ونفسه ، ولا ادل على ذلك من بروره الزائد بالاستاذين المخلصين الحاج احمد بلافريخ، والحاج الحسن بوعباد - ايام كونهما بسويسرة - وقد انكسر المرض قوامهما ، وعم الالام جسمهما وساورتهما مخاطر مولى . لا سيما داء الاخير وقد صورته بلمنه على عمدة صحيفة « العلم » في عدد 82 لسنيتها الاولى . والامير في كل ذلك - مثال المرض الحنون لا يكاد يزاليهما طرفه عين ، خادما مساعداً ، ويتمثل في شخصه الراحل - حنون الامهات . وعاطفة الابهاء . ولا غرابة ان انطباع هذا الخلق السامي في شخصه المرحوم ، فله اسوة حسنة ومثل كاملة باستايد واصدقاء كانت لهم اليد البيضاء في تحرير الشرف العربي الشقيق واستقلاله احتك بجهادهم المتواصل مثافنا ومجالسا الى ان تكون تكويننا صالحا ، وخلق خلقا كريما أصبح من اجله آية الايات علما واخلاقا ووطنية وايما . ولا عجب في رجل ثافن الشيخ « جمال الدين الافغاني » وتلميذه الاستاذ « محمد عبده » واضعي نواة الإصلاح ، ومؤسسي صرح النهضة ، ونافخي روح الحياة في المجتمع العربي - ان يجني العالم العربي اليوم ثمرة جهاده الصادق وعصارة ابحاثه المفيدة ، ومن هيامه بآراء الامام عبده ، وشغفه بافكاره وتعزيزها ما حكاه عنه في مقدمة « البينات » للشيخ عبد القادر المغربي : ومما راقتني جدا من آيات « البينات » التنظير الذي بين مصر ومراكش . وقوله : انه مهما كان من الفرق بين هذين القطرين من جهة الرقي فان تماثلهما على اتمه في دراسة العلوم الاسلامية وطريقة فهمها وتحصيلها .

وقد اخطر ذلك على بالي قعة لا بأس من ايرادها هنا تعزيز الراي الاستاذ : منذ نحو خمس وثلاثين سنة قدم لاداء فريضة الحج احد كبار علماء المغرب الاقصى المدعو بالشيخ (ابراهيم اتادلي) فذكرت بعض الجرائد البيروتية يومئذ انه من افراد الافق المغربي لابل ممن يندر نظيره بين المشرق والمغرب ، وبعد ان قفل من الحجاز زار المسجد الاقصى وقرا فيه درسا ، ثم قدم الى بيروت - وكان استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده لا يزال فيها على اثر نفيه بسبب الحادثة العربية ، فلما بلغه ورود - هذا العالم المغربي ، ذهب للسلام عليه ، وكنت معه في هذه الزيارة ، واتذكر انه كان معنا صديقي المبرور الاستاذ الشرتوني صاحب « اقرب الموارد » فدار بين الشخصين احاديث طويلة لم افهم منها شيئا ، لحدثة سني ، وقلة الفتى يومئذ للهجة المغربية ، ولكن استاذنا الامام اخبرنا بعد الانصراف بان هذا الرجل

يا شيخ طه ، كاني بك تريدني على التحدث فيما انتهت اليه الحال بالاسلام والمسلمين بعد الذي اصابهم من اللد والهوان بفلسطين ، وعن مقدمات ما صرنا اليه من نتائج .

قلت : اجل يا فضيلة الشيخ . فان ابناء جيلنا الذين كتب عليهم ان يعيشوا هذا اللد والهوان قد غشيت افكارهم معلومات كاذبة شحنها الغرب بالاضاليل تمهيدا لما اوقعنا به من احابيل هي فيما يتصل بموقف ساكن الجنان السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان آخر الحصون التي دافع بها الاسلام عن وجوده العالمي ، وبعد انهياره تحت مؤامرات الغرب وريبته الصهيونية اضطرب هذا الوجود واخذ العرش الذي رفع سادته راية محمد صلى الله عليه وسلم 600 سنة بترنج تحت الجالسين عليه ابتداء من السلطان محمد رشاد حتى سقط مقضيا عليه هو والسلطان محمد وحيد الدين ثم زال نهائيا مع آخر سلاطين بني عثمان خلفاء المسلمين وملوك الزمان السلطان عبد المجيد خان سنة 1922 ميلادية .

قال الشيخ ، شيخ العرب :

كان ذلك سنة 1902 ميلادية ، نحن في اسطنبول عاصمة الخلافة الاسلامية وفي قلب قصر يلدز قصر السلطان خليفة المسلمين بالذات .

العبد الفقير ، والى جانبي الشيخ محمود الجيزاوي امام جامع العرب في دار السعادة ، واذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثاني ، ولما كانت مثل هذه المقابلة تخضع لاصول التشریفات المتبعة في القصر السلطاني ، فقد استقبلهم باديء ذي بدء تحسين باشا رئيس كتاب السلطان مستوضحا منهم غرضهم من هذه المقابلة ، وكان هؤلاء الثلاثة اليهود هم :

1 - مزارعي افندي ، مدير احد البنوك

2 - جاك - لا اعرف بقية اسمه

3 - ليون - لا اعرف بقية اسمه .

وعلى الرغم من ان هؤلاء الاشخاص اصرروا على انفراد بمولانا السلطان الا ان تحسين باشا اقنعهم باستحالة مثل هذا التصرف وان باستطاعتهم البوح بما يريدون اليه شخصيا وهو ينقله بالحرف الواحد الى صاحب الجلالة الخليفة الاعظم . فلم يجد اليهود الثلاثة بدا من قبول الامر الواقع والنزول عند رغبة تحسين باشا الذي استمع اليهم يقولون :

ان اليهود مستعدون بان يقوموا

اولا : بوفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية .

ثانيا : بناء اسطول لحماية ثغور الامبراطورية العثمانية .

ثالثا : تقديم قرض بخمسة وعشرين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لانعاش مالية الدولة . وذلك مقابل :

اولا : اباحة دخول اليهود الى فلسطين في أي يوم من ايام السنة للزيارة .

ثانيا : السماح لليهود بانشاء مستعمرة ينزل بها ابناء جلدتهم في قرب القدس الشريف اثناء وجودهم بفلسطين للزيارة .

وبالفعل فان رئيس الكتاب تحسين باشا نقل الى سيد القصر ما سمعه من اليهود الثلاثة وما لبث ان سمع من الجالس على عرش الخلافة الجواب التالي :

- تحسين ، قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلي :

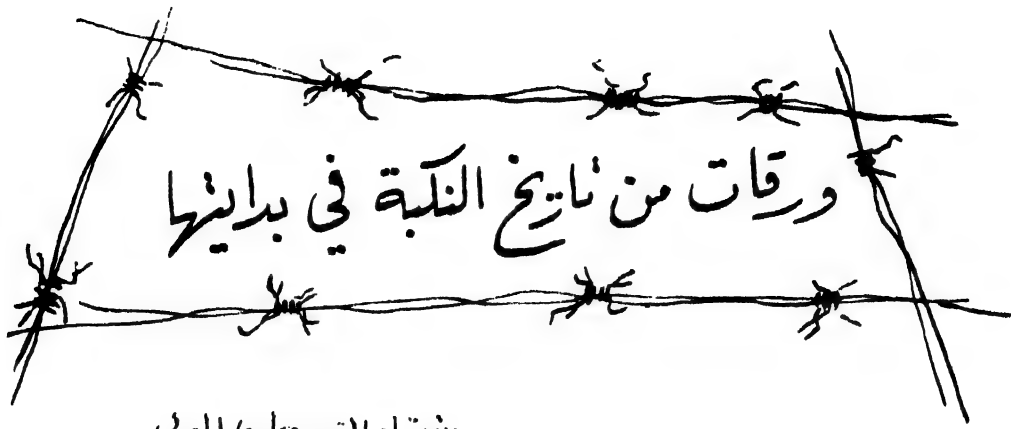
اولا - ان ديون الدولة ليست عارا عليها لان غيرها من الدول ، مثل فرنسا ، هي الاخرى مدينة وذلك لا يضيرها .

ثانيا ان بيت المقدس الشريف قد افتتحها للاسلام اول مرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولست مستعدا لان اتحمل في التاريخ وصمة بيعها لليهود .

ثالثا - ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العلية لا يمكن ان تحتمي وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام .

واخيرا ، مرهم ليخرجوا من عندي وان لا يحاولوا بعدها مقابلي والدخول الى هذا المكان . »

وتابع الشيخ ، شيخ العرب كلامه معي وقد اخذته الحمية الدينية وتملكته رغبة عميقة بتصحيح الوقائع التي اريد بها تشويه سمعة ساكن الجنان السلطان عبد الحميد الثاني ، تابع قائلا : « ثم انني علمت بأن السلطان عبد الحميد ، ارسل على التو الى ناظر الداخلية في عهده ممدوح باشا بأن يطلب بالشفرة الى رؤوف باشا متصرف القدس ليقوم هذا بالتحري عن اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس الشريف ، ولا يبقى في الارض المقدسة ايا من الطائفة



ورقات من تاريخ النوبة في بدايتها

لأستاذ الشيخ علي الولي

مختلف أجهزة الدولة العثمانية ما بين دينية وعسكرية وإدارية وسياسية ، مما أتاح له التنقل عبر البلدان التي كان يظلمها تاج بني عثمان في حينه ، كما هيأ له هذا التنقل الاطلاع على ألوان مختلفة من الشعوب بعاداتها وتقاليدها وأغراضها .

ورافق حفظه الله تطور الحضارة من ظلمات القرون الماضية الى المركبات الفضائية في العصر الحاضر ، فركب الجمل والحصان والبغل والحمار كما ركب القطار والسيارة والطيارة وتنقل بين البحار فوق البواخر التجارية والعنابر الحربية والغواصات وأنه اليوم يركن الى جهاز التليفزيون حيث تنقله الشاشة الزجاجية الى آخر تطورات الابداع البشري لتتركه يربط ما بينها وبين اخيلة الماضي التي تزدهم في خاطره بعد ان أصبحت هذه الاخيلة ملكا للتاريخ .. قال الشيخ :

- لقد كنت مفتش اسطول في العهد الحميدي ثم مفتش اسطول قبيل الانقلاب (1908) ثم مديرا للاستخبارات العربية مع دولة القائد احمد جمال باشا ، ثم رئيس المجلس الاداري بالاقواف الاسلامية بطرابلس الشام ، ثم ها انذا وبين يدي التسعين من عمري تجدني منعكفا في بيتي الملم من ذاكرتي ما ادونه من الحوادث والاحداث التي مرت بي في مختلف مراحل حياتي لتكون تحت تصرف الناس علمهم يجدون فيها عبرة او تذكرة مما ينفع اولي الالباب !

ثم اطرق الشيخ شيخ العرب صامتا لا يتكلم وكانني به قد عاد بفكره الى نصف قرن مضى ورده بضع عشرة سنة ، ثم رفع هامته وأردف يقول :

يوم الاثنين الواقع في 7 جمادى الثانية من سنة 1387 هجرية (11 يولييه 1967) زرت الشيخ علي شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام برفقة اخي فؤاد الولي استاذ التاريخ بكلية التربية والتعليم في المدينة المذكورة ، فتلقانا الشيخ علي بما فطر عليه من ادب اسلامي عريق مقبلا علينا مستندا الى عصاه يستعين بها على مساعدة كاهله بحمل السنوات التسعين التي ادركها عمره المديد ان شاء الله .

كانت هذه الزيارة بقصد الافادة من معلومات الشيخ علي شيخ العرب عن المدارس الدينية الاثرية في طرابلس الشام ، ذلك بأنه كان الى امد قريب مسؤولا عن هذه المدارس في دائرة الاوقاف الاسلامية في المدينة المذكورة ، لذا فانه من غير شك ، وبالإضافة الى ثقافته الشخصية ، يعرف الشيء الكثير عن هذه المدارس ، تاريخها وبانيها وواقفها والذين تناوبوا على نظارتها والتدريس فيها .

بيد ان الشيخ بارك الله له في صحته وعمره ، بادرنّا بالحديث عن ذكرياته التي علقت بذهنه الوقاد خلال خدماته السابقة في الوظائف الدينية والسياسية والعسكرية ، سواء في العهد العثماني ، ايام عبيد الحميد الثاني او اثناء حكم الاتحاد والترقي ايام محمد رشاد الخامس او في العهد الفرنسي وما تلاه بعد ذلك ، بعد زوال الانتداب عن سورية ولبنان على اثر الحرب العالمية الثانية (1929 - 1945) .

وشيخنا الفاضل الشيخ علي شيخ العرب ولد سنة 1879 وتدرج في اول عمره بالوظائف الحكومية في

وكان السلطان اراد افهام اليهودي الوقح بأن هذه الوقفة التاريخية التي تحمل خلع امير المؤمنين في لحظاتها الحاسمة انما هي صدى لتلك الوقفة التاريخية السابقة التي انكفأ فيها اليهود على اعقابهم مدمومين مدحورين امام صلابة السلطان في الدفاع عن حرم الله وبيته المقدس في فلسطين .

ولكم كانت كلمات السلطان المظلوم قوية وبلغية وهو يتلقى خلع ولايته من امرة المؤمنين على يد اثنتين احدهما نصراني يوناني ، والاخر يهودي صهيوني ، ومعهما ذلك المسلم الذي كان الى جانبهما كالطرطور في مؤخرة بردعة الحمار .

وكان ختام حديث السلطان الجريح قوله للذين اقتحموا عليه حرمة المقدسة :

« ان مجيئكم لتبليغ سلطان الدولة العثمانية ، وخليفة المسلمين ، قرار الخلع ، عمل سيندم عليه من ارسلكم به ! ... »

ودون ان يمد يده الى اليهود ليأخذ منه ورقة التبليغ ، طلب الى ياوره « علي جودت » (الذي ظهر انه كان من الاتحاديين فيما بعد) وامره بأخذ الورقة من اليهودي وان يتسلمها منه ثم يسلمها بعد ذلك لابنته عائشة سلطان (التي ما تزال تحتفظ بأوراق عبد الحميد ، وهي ما تزال على قيد الحياة وتقيم في تركيا بعد ان تركت سويسرا حيث كانت من قبل ، ولعائشة المذكورة كتاب على جانب عظيم من الاهمية عنوانه : « بابام عبد الحميد » (ابي عبد الحميد) .

هذه المحاولة التي قام بها اليهود لدى الباب العالي في دار السعادة بسطمبول ، لم تكن يومها سرا محجوبا عن المتتبعين للنشاط الصهيوني المسعور سواء في اوربا او في آسيا . فلقد اشارت اليه اقسام الكتاب وبعض الجرائد والمجلات مما كان يصدر في اواخر القرن الماضي واولل القرن الحالي ، من ذلك ما نشرته مجلة المشرق ، اذ قالت هذه المجلة الكاثوليكية الكبرى في الصفحة 1094 من المجلد الثاني الصادر سنة 1899 ما يلي :

« لما كان اللورد غوش الاسرائيلي سفيراً بالاستانة عرض على الحكومة السنية ان يجعل تلك النواحي (ملفاد ومواب في عبر الاردن) التي مساحتها نحو ستمائة اف هكتارا مستعمرة لليهود ، تحت نظارة الباب العالي ، يسوسونها كما يشاؤون ، بشرط ان يدفعوا لمولانا السلطان مبلغا عظيما من الدراهم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات .

غير ان الدولة السنية لم تلب دعاء غوش واغنياء اليهود ، فذهبت آمالهم ادراج الرياح ، وكانت غايتهم ان يمهّدوا الطريق لابناء جلدتهم لانشاء مملكة مستقلة بالاراضي المقدسة كما كانت قبل المسيح » ا.هـ ويظهر ان محاولة « غوش » التي اشارت اليها المشرق وهي سابقة على محاولة اليهود الثلاثة الذين اشار اليهم الشيخ شيخ العرب في مذكراته ، يظهر ان هذه المحاولة نبهت المسلمين ودار الخلافة العثمانية الى ما وراءها من الاخطار الجسام ، فبادرت جرائد الاستانة العلية الى توجيه انظار الحكومة والاهالي الى الاحتراز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكين هؤلاء اللصوص من التسلل الى فلسطين والقدس الشريف بالذات ، فنشرت جريدة « المعلومات » ونقلت عنها جريدة « ثمرات الفنون » في الصفحة 3 من عدد صفر سنة 1224 / سنة 1217 و 13 حزيران سنة 1899 ما يلي تحت عنوان : اليهود في سورية وفلسطين :

« ... لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة اقدس ، لان تلك الاقطار كانت مهدا لاعتلاء مجدهم في الازمنة الغابرة ... وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية الى مجد اسلافهم ، فقام الكثيرون منهم على المهاجرة الى انحاء القدس وتوطن فريق منهم في تلك الجهات وصار لهم قسم كبير من الاراضي وما زال الكثيرون يرغبون في الهجرة وشراء الاراضي ، وهذا مما يضر بصالح الدولة والامة معا . اذ تصبح القدس في يوم من الايام وهي بيد اليهود فقط (لقد اصبحت القدس فعلا بيد اليهود فقط بعد ثمانية وستين عاما من كلام الجريدة مع الاسف الشديد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) فينشأ من هذا مسائل جمة . ولا تخفى اهمية القدس الدينية لانها احد الحرمين الشريفين ! . وتتابع الجريدة قائلة :

وقد سمعنا ان الدولة شعرت بالخطر فاصدرت امرا الى متصرف القدس ، حظرت فيه بيع الاراضي الاميرية الى اولئك المهاجرين كما نصحت الاهالي بأن يحافظوا على اراضيهم ولا يبيعوها لليهود ! .. » ا.هـ .

واني لاخل هذه الكلمة كأنها اول صيحة بانذار المسلمين مما انتهوا اليه اخيرا . وهي صيحة تلتها الوف اكثر منها تحذيرا وتذكيرا وانذارا ، ولكن المسلمين تصامموا على الاصفاء اليها واغمضوا عيونهم عن النظر الى عواقبها فاصبحوا اليوم ينظرون الى قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك وهما في اسر اليهود وايديهم قاصرة عن الثأر لكرامة الامة

انيهودية غير الدين قدموا اليها بقصد الزيارة العابرة
وان لا يسمح لهم بالموكب فيها الا بمقدار هذه الزيارة .

ثم تابع الشيخ شيخ العرب حديثه المتهدج
برنة مثقلة الجرس بالام الذكريات ..

« وفي سنة 1908 نجح اليهود باخراج جمعية
الاتحاد والترقي الى ملعب اهوانهم السياسي وقد
كانت هذه الجمعية القناع الخارجي اندي نعمت به
جماعة الدونما المتظاهرين بالاسلام من يهود اسبانيا
الذين اتخذوا من مدينة سلانيك مقاما لهم بعد فرارهم
من محاكم التفتيش التي نصبها نصارى تلك البلاد
لخالفيهم في العقيدة الدينية سواء من المسلمين او من
اليهود ، ونزل السلطان عبد الحميد الثاني عند رغبة
طالبى الحريات الدستورية واعلن « المشروطة » .

بيد ان غاية اليهود لم تكن المشروطة بما فيها
من نص على الحريات العامة ، وانما كانت غايتها ازالة
عبد الحميد من طريقهم الموصل الى فلسطين بعد
ان تبين لهم ان هذا السلطان سيبقى وجوده حائلا دون
تحقيق اغراضهم العدوانية على الارض المقدسة ،
ولهذا فانهم تمكنوا من رشوة بعض رجال الدين
واوعزوا لهم بالخروج في الشوارع والمناداة بتطبيق
الشريعة الحمديدية ، وهو ما سمي يومئذ « بحركة
الارتجاع » قاصدين من وراء ذلك اخراج السلطان
ودفع الاتحاديين الى الثورة عليه والتخلص نهائيا منه
تمهيدا للتخلص من الاسلام نفسه فيما بعد ، وقد
انت هذه الحركة الارتجاعية اكلها الشهى بالنصر
اليهود ، مع الاسف ، وتم لاعداء الاسلام ما ارادوا ،
فقام الجيش بحركته الحاسمة متقدما نحو يلدز بخيله
ورجله طالبا ازالة العرش من تحت سيده الذي رفض
النزول عند مغريات اليهود لتحقيق مطامعهم في اولى
القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وفي 7 مارس
1919 تقدم الى رحاب القصر المنيف يلدز ثلاثة من
اعيان البلاد العثمانية وهم :

- 1 - عارف حكمت ، (ياور ، فريق بالبحرية)
 - 2 - مزارصي افندي قراصوه (اياه) عضو اعيان
 - 3 - ارستيدي باشا (رومي) وزير النافعة سابقا
- ثلاثة اعيان ، مسلم مأجور ، ويهودي حقود ،
ونصراني موكور .

دخل هؤلاء على السلطان الذي استقبلهم بما
عرف عنه من هبة ورجولة وكبرياء ، وكانت وقتهم
بين يدي مولاها على ابشع ما تكون قلة الادب وجفاف

ماء الوجه ، غير انهم امام عظمة عبد الحميد وقوة
شخصيته لم يسمحهم الا بالتظاهر باللباقة والاحتشام .

اما عارف حكمت ، فقد اخذ لمولاه التحية
الرسمية بكل ادب واحترام .

فقد تذكر هذا الضابط المسلم في ساعة من
ساعات يقظة الضمير انه في حضرة ولي امر المسلمين
الذين هو احد ضباطهم .

واما اليهودي القدر ، فقد مد يده بكل وقاحة
الى جلالة السلطان الاعظم وفيها وثيقة الخلع من
الولاية الشرعية .

بينما بقي ارستيدي الرومي ساكنا في وجوم
كانه من غير ابناء هذه الدنيا .

وهنا قطع السلطان الوقور حبل الصمت المهيّب
بلهجة الحاكم الواثق من نفسه موجها كلامه الى الذين
وقفوا باهتين بين يديه :

.. هل انتم من الاعيان ؟

فاجابوا : نعم .

تابع السلطان كلامه التقريعي اليهم :

- ومن عينكم بالاعيان ؟

فسكتوا جميعا ولم يحيروا جوابا .

عندها التفت السلطان كالجريح من خشاعهم
النور ، ووجه كلامه الى عارف حكمت قائلا :

انت ، الم تترب في هذا القصر يتيما (فقد كانت
ام عارف المذكور احدى الخاديات بالقصر السلطاني)
ثم ادخلت المدرسة البحرية العسكرية ، ثم ارسلت
الى اوروبا حتى تخرجت برتبة اركان حرب ؟ .

وتابع السلطان كلامه الى عارف بسخرية جديرة
بان تقتل من يتلقاها لو كان عنده مثقال ذرة من
كرامة .. فمهمتكم التي جئت لها لا بأس بها .

والتفت جلالته الى ارستيدي الرومي
(النصراني) قائلا :

« من جعلك مستشارا للمالية سابقا ، ثم وزيرا
لنافعة ، ثم عضوا في الاعيان ... قال ذلك بلهجة
كلها توبيخ وتبكيت .

وقال اخيرا لليهودي مزارصي كلاما ذكره فيه
يوم جاءه من سنوات ست يطلب السماح لليهود
باحتلال فلسطين مقابل ثمن يدفعونه لاميير المؤمنين .

الذي كان متمثلا بيقظة السلطان عبد الحميد وانتباهه الى اساليبهم المجدولة بالكر والخداع والتضليل ..

وباعلان الدستور (المشروطية) ثم زوال الحكم من يد السلطان عبد الحميد ، شرعت مصاريع ابواب فلسطين امام تدفق اليهود . وتفول مجلة الكلمة في عددها الصادر بتشرين سنة 1911 ص 422 التي نقلتها مجلة المشرق في المجلد 15 سنة 1912 ص 80 :

« ان الدستور العثماني ... فتح لليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود في تركيا ان اخذوا يظهرهم للملا ماذا يصنعون بهذه المساواة .

فقبل كل شيء انسلوا الى الوظائف العالية في المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر ان مديري دفعة جمعية تركيا الفتاة هم « يهود » .. وبوجه الاجمال فان اعلان الدستور في تركيا قد ملا قلوب بني اسرائيل اجمعين فرحا عظيما ، واخذوا بواسطة اعيانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الاتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحية في المملكة العثمانية ... ومما يؤكد هذه الحقيقة ان جريدة « التيمس » الانكليزية ، احدى الجرائد المشهورة بمملاتها لليهود رأت ان تذكر اليهود بالدور الذي لعبوه في تهيج النصراني ضد الاسلام .

على ان تظاهروهم بنياتهم اليهودية لم يلبث ان اهاج سكان فلسطين ولا سيما المسلمين ، ضد الدولة العثمانية وخصوصا ضد « تركيا الفتاة » التي احست من جراء استسلامها لليهود مكروهة في اكثر انحاء المملكة العثمانية ! ... » ا.هـ.

وفي معرض الحديث عن تأييد « جمعية الاتحاد والترقي » لليهود في بلوغ مآربهم داخل الحكومة العثمانية للوصول الى مآربهم داخل فلسطين منذ تلك الايام ، يقول عارف العارف في كتابه : « المفصل في تاريخ القدس » جزء اول ص 299 :

« اندس عدد غير قليل من الدوغة (الذي سبقت منا الاشارة الى اصلهم ومنشأهم) في حكومة الاتحاد والترقي امثال (جاويد بك) وزير المالية من « سلانيك » بساريا افندي وزير النافعة من رومانيا ، ونسيم مازلباخ وزير التجارة والزراعة وكان هذا ممثلا للجمعية الصهيونية ، وحسين جاهد (بالتشين) رئيس تحرير جريدة طنين التركية ، فتغلغل هؤلاء في ادارة الحكم حتى اصبحت كلمتهم هي العليا .. وعن طبتهم وغيرهم من رجال الاتحاد والترقي سنت

الحكومة قانونا يجيز للجمعيات ان تمتلك الاراضي في فلسطين ، وسنت ايضا قانونا آخر اجازت بموجبه بيع المزارع السلطانية (الجفنك) وكانت مسجلة باسم السلطان عبد الحميد وهي كثيرة) بالمزاد العلني . وعن طريق هاتين الجمعيتين تمكن الصهيونيون من شراء اراضي فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية الاولى ... » ا.هـ.

وقبل الانتهاء من تسجيل هذه الخاطرات عن البصمات الاولى لمخالب اليهود ونياتهم في زحفهم المتوحش نحو فلسطين نرى ان نرجع القلم الى ما سمعناه من الشيخ علي شيخ العرب عن ذكرياته خلال الحرب العالمية الاولى فيما يتصل بموضوعنا ، فهو يقول ، بارك الله له في صحته وعمره :

« سنة 1916 ، خلال الحرب العالمية الاولى ، كنت في جبهة بئر السبع مع القائد الالماني « فون كريس » وجاءت شكوى من اليهود بيافا على قائد المنطقة المرحوم حسن بك الجابي ، فارسلني الجنرال « فون كريس » الى يافا للتحقيق في شكوى اليهود على هذا القائد .

فذهبت ونزلت ضيفا عن السيد علي افندي المستقيم من اعيان يافا . وانهيت التحقيق مع مضفي ومع غيره عن حالة حسن بك الجابي ، وعلمت ان عداوة حسن بك الى اليهود اسبابها علمه بخيانتهم وتجسسهم لدولة انكلترا واعطائهم المعلومات للانكليز عن طريق شريف مكة من نواحي العقبة .

وذهبت مع حسن بك الجابي الى تل ابيب ، فوجدتها حيا مستجدا فيه كثير ممن جاء بعد سنة 1910 م اي بالفترة اربع سنوات قبل اعلان الحرب العمومية (سفربر) وتحقق عندي ان مجموع اليهود بفلسطين بعد ان كان في عهد عبد الحميد بين اربعين الى خمسين الفا اصبح الآن فوق الثمانين الفا .

وعدت الى بئر السبع وقدمت تقريرا الى « فون كريس » وكتبت في التقرير ان شكوى اليهود من حسن بك الجابي اسبابها احتقارهم لاسباب المعيشة . ولم اذكر « لفون كريس » شيئا عن تجسس اليهود واعمالهم الحقيقية ، وذلك بالاتفاق مع رئيس الاركان الحربية التركي (رشدي بك ثم باشا) الذي يعلم بأن القطاعات الالمانية عندها يهود يقومون باعمال التراجمة بين الالمان والاتراك ، والعرب وانهم يستغلون وظائفهم التي تمكنهم من الاطلاع على الاسرار للتجسس

وبدأت بكل شجاعة عملي ، فاصطدمت بالبداية بصعوبات خفية ، ولولا مساعدة شيخ الاسلام « جمال الدين افندي » (وكنت على صلة دائمة به) لفقدت كل امل بنجاح مساعي ، فان هذا « الشيخ » اخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور « هرتزل » الى الاعتبار السلطانية وتقدماته ، وكانت هذه التقديمات (الاقتراحات والعروض) باهرة ، واليك بيانها :

هرتزل يقول : ان الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في انحاء العالم بفلسطين ، ان يدفعوا الدين العثماني البالغ ، اذا لم تخني الذاكرة 22 مليون ليرة انكليزية ، ويتعهدون كذلك ، ببناء اسطول كامل للدفاع عن اراضي الدولة عليه .

وفي هذه الاثناء قبل ان يعقد للدولة التركية قرضا بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام ... ولكن هذه المحاولات حبطت ولم تنجح ! » (انتهى)

والذي كتبه مسيو كريسبي في هذه المذكرات هو في الواقع تنمة لما كان يبذله هرتزل شخصيا لمواجهة السلطان عبد الحميد والتقدم اليه بمقترحاته الخداعة توصلا الى تحقيق غايات اليهودية العالمية في الارض المقدسة . وها نحن تقدم للقارئ ما كتبه هرتزل نفسه في مذكراته التي طبعت بالالمانية في تل ابيب سنة 1924 ميلادية حول هذا الموضوع الذي اثاره مسيو كريسبي بعد الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) . قال هرتزل ، بعد فشل محاولاته الماكرة :

« بعث السلطان الي وساما عالي الدرجة ومع الوسام جواب مفزع في هذه العبارة :

« بلغوا الدكتور هرتزل الا يبذل بعد اليوم شيئا من المحاولة في هذا الامر (التوطن بفلسطين) فاني لست مستعدا لان اتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك شعبي روى ترابها بدمائه ، فليحفظ اليهود يملائينهم من الذهب ! .. » ا.هـ .

ان مذكرات هرتزل لا تحتل المناقشة فيما تضمنته من راي الدولة العثمانية وموقف السلطان عبد الحميد بالذات من محاولات اليهود ومشروعاتهم لاغتصاب فلسطين وتهويدها وتبديد سكانها وتدمير مقدساتها ! ..

واخيرا تمكن اليهود من غرز اظافر اطماعهم في قلب فلسطين بعد ان ازاحوا من دربهم العائق الرئيسي

والدين ، فياويلهم من حساب يوم عظيم يوم يسالهم رب المسجد عن قدسه وصخرته فيقولون كما قال الذين كفروا من قبل : « ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلاربنا واتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا . » ولن يفني هذا الجواب عند الله في شيء .. كما ان تفرقهم شيعة واحزابا ومذاهب لم يغن يوم الهول الاكبر في الدنيا من شيء . وهكذا خسر المسلمون دنياهم حين تركوا دينهم ، ثم خسروا دينهم حين نسوا اخراهم . والله الامر من قبل ومن بعد واليه عاقبة الامور .

ونعود الى حديث المحاولات اليهودية التي حدثنا عن بعضها الشيخ شيخ العرب فنقول : ان التاريخ حفظ لنا محاولة اخرى تلت تلك التي قام بها السفير اليهودي غوش وسبقت تلك التي قام بها اليهود الوقحين الثلاثة وعلى رأسهم مزارصي قراصوه افندي . وهذه المحاولة يحدثنا عنها الصحافي البريطاني « كريسبي » في جريدة « ايشام » (المساء) التركية كما نقلتها جريدة « المعرض الاسبوعي » البيروتية في عددها 926 السنة العاشرة في 2 غشت سنة 1922 ص 19) قالت الجريدة :

« ارسل المسير كريسبي » الى جريده (اقشام) التركية مقالا حول القضية الصهيونية بمناسبة الحوادث الاخيرة التي جرت بفلسطين ، ومما جاء في هذا الحديث بتاريخ 29 تشرين الاول سنة 1922 هذه الفقرات التي نقلها فيما يلي الى قراء المعرض والتي يشير فيها الكاتب الى حادث وقع له خلال سنتي 1900 - 1901 قال :

« ... كان الدكتور « هرتزل » في ذلك العهد رئيس تحرير القسم الادبي في جريدة (نيوفري) في فيينا ، فارادني ان اسعى له في مقابلة السلطان عبد الحميد بعد ان بسط لي بحزن شديد كيف ان غليوم الاول والبرنس دو بيلوف خدعاه لما رافقاهما في رحلته الامبراطورية الى فلسطين . فقد وعده هذا الاخير ان يقدمه الى السلطان . فلما وصلوا الى الاستانة اكتفى البرنس بان عرفه الى عزت باشا (العابد) الذي ما كاد يسمع بالفاية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات (سبق لهذا الشخص ان ارتشى بمبلغ مليون فرنك لاقتناع الدولة بالتنازل عن كريت دون حرب) .

وقد قبلت بان اهتم شخصيا بقضية الدكتور هيرتزل ومطالبه ، خصوصا وان هذه المطالب لم تكن تعاكس المساعي التي كنت اقوم بها يومئذ .

على بن أبي طالب الشاعر

للأستاذ أبي طالب زيان

ولقد شاء الرسول ، أن يصرف عليا عن رد هذا الفحش . أو أراد له التهيئة والاستعداد لما هو أكبر من ذلك ، أو أراد أن يتولى غيره ، ممن لا يكونون على هذه الامة ، فندب ، حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ..

وفي ظني ، أن هذه الحادثة التي جعلت النبي يؤثر الشعراء الثلاثة على علي ، لاتنقص من مقداره ، أو تقل من عزمه وتصميمه وأن لم يأذن له ابن عمه ، أو يأمره بما امر به اضرا به من القوالين الذين كانوا لسان صدق في دعوة الخلد ، ومحور ارتكاز للمشاكلة والرد والوضوح ..

والفرابة هنا مستبعدة ، اعتمادا على القرائن والادلة ، فليس يوجد من بني هاشم على الكثرة الكثيرة فيهم من لم يقل الشعر .. فقد اورد الرواة شعرا كثيرا وأن يكن متفرقا ، لأبي طالب والد علي نفسه ، كما اوردوا كذلك شعرا لأعمامه ، عبد الله وحزمة والعباس ، كما ذاع شعر لسفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن العباس ، وجعفر بن أبي طالب وابني علي : الحسن والحسين وزوجه فاطمة ابنة ابن عمه صاحب الدعوة ، حتى كان هذا التتبع الذي دفع ابن رشيق في « العمدة » الى أن يقول : « ليس من بني عبد المطلب رجلا ونساء من لم يقل الشعر حاشا النبي عليه السلام » .

واللصوق الذي آثره النبي ، والاستجابة الحبيبة

اجتمع في رهط النبي وآله ، ما لم يجتمع في غيرهم من سائر بطون العرب ، علما ووراة ، وحكمة وتجربة ، غير ادب تاهوا به وفخروا ، على من شافهم ، أو قعد لمنازلتهم بالكلم أو تصدى لهم بالبيان

اجتمع في علي بن أبي طالب وحده ، قرابة ومصاهرة للنبي عليه السلام ، واتفق له تربية وتنشئة وتعلم وقيادة وخلافة ، واجتمع في نفسه تهيو واستعداد ، لقول الشعر ، املتئها عليه ما عاش عليه من الغمرات المشبوبة ، والتعرض الشاكي بالقول والفعل لابن عمه ، الذي احتضنه منذ طفولته ورعاه ، تخفيفا من عيلة عمه ، أو حبا واعدادا لخلفه من بعده ، وأن يكن بعد الثلاثة الذين حملوا الامانة ، وقادوا الامة ، أبي بكر وعمر وعثمان .

لم يكن غريبا على علي ، أن يحس احساس الشعراء ، لكن ليس كالذين كانوا ينالون من الرسالة المحمدية ، أو يجرحون كيائها أو يشككون في صدقها حتى أن هذا الحس ، قد تعدى الى علم بعض الصحابة ، حين ذهبوا الى علي يرجونه في رد عاديات ، عبد الله بن الزبيرى ، وأبي سفيان بن الحارث ، وعمرو بن العاص في الحاهلية ...

ومما كان يؤكد هذا الاستعداد ، ويقر الذين ذهبوا الى علي يرجونه المنافحة والوقوف في هذا الميدان القولي ، قول علي نفسه ردا على هؤلاء الذين سفروا عنده ، لو أذن لي رسول الله ...

على حركة الجيوش العثمانية في جبهة سيناء ويرسلون ما يحصلون عليه من المعلومات الى الانكليز ... »

أما بعد ،

فلقد لعبت سيطا سبتموس سفير روس (الليبي الذي تزوج عريضة من حمص اسمها جوليا دمنة ثم اعتلى عرش روما على اثر انقلاب قام به ضد سلفه) في القضية اليهودية سنة 135 للميلاد فغادروا انقدس الشريف ولم يكونوا يدخلون هذا البلد الامين الا حينما يتوجهون الى حائط المبكى (البراق الشريف) ويدندونوا قائلين مع البكاء والتحجب والامل انيائس بالعبرانية :

« من اجل القصر الذي اصبح خاليا ، نبكي في اوحدة وننوح »

« ومن اجل القصر الذي هدم »

« ومن اجل عظمتنا الراحلة »

« ومن اجل رجالنا العظام المائتين »

« ومن اجل الحجارة الثمينة التي احرقت »

« ومن اجل ملوكنا الذين كرهوه »

« نتضرع اليك ، كن رحيما بصهيون »

« اجمع شمل ابناء اورشليم »

« عجل الينا يا مخلص صهيون »

« انزل رحمتك في قلب اورشليم »

« فلتكلل صهيون بالمجد والجمال »

« اعد الينا مملكة صهيون حالا »

« وامنح العزاء الى النائحين على اورشليم »

كان ذلك منذ سنة 125 بعد الميلاد ، ونحن اليوم في سنة 1967 بعد الميلاد . وانا لنجد دولا ب الدهر يدور حاملا في الخامس من شهره السادس القرار للتائمين ، والفرار لابناء فلسطين المستقرين ، واذا باليهود الذين تقرحت اجفانهم من طول البكاء يمسحون دموعهم بالخناجر التي ضرجوها بدماء المسلمين ، ويهرعون الى الحائط باهازيج النصر بعد ان كانوا لا يستطيعون بلوغه الا مسرلين بعار المذلة ،

بينما امتنا المسلمة في عريبتها واعجميها ، التي ما عرف بنوها على مر السنين بكاء ولا نواحا تتحول في مدى ايام قلائل الى اشباح ذليلة تضطرب على ابواب الامم تسأل هذا القائد وذاك الرئيس ان يعيد لها الارض السليبة بما فيها القدس الحبيبة كرم لعيون مبادئ الامم المتحدة والقوانين التي وضعت لاجارة المستضعفين من بغى المعتدين .

يا له من موقف ما كان لنا ان ننتهي اليه لو كنا صادقين . وانا اليوم لتساءل في لهفة جازعة :

— هل جفت دموع اليهود لتستفيض من عيون المسلمين الدموع . لقد جعل اليهود من اطلال سور بقي في هيكلهم الذي دنسوه يوم بنوه بالرديلة والخنا ، حائطا للبكاء طوال مدة بدأت سنة 125 ميلادية وانتهت في منتصف السنة 1967 ميلادية .

فهل رضي المسلمون ان يستحيل المسجد الأقصى الذي جبله بالطهر آبائهم واجداد كرام ، ان يستحيل انقاضا تغيت تحت حطامها كلمة الله الخالدة في اولى قبلتيه وثالث حرميه ؟ ! .

ايها المسلمون في مطالع الشمس من الارض ومقاربها ، تحت كل سماء وفوق كل تراب :

ان امجاد آبائكم في الايام الخالية ، وآمال ابنائكم في الايام الآتية ، كل هؤلاء واولئك ، في تطلع اليكم ومعها مقدسات تراثكم في فلسطين وللجميع نداء واحد صادر من اعماق الثرى الذي توسدته ارواح الضحايا من شهداء الاسلام وابطاله عبر الاجيال والقرون . انه نداء الشهيد المجهول . . من اجل الاسلام والمسلمين ، من اجل المقدسات في فلسطين

فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان
ورود المنايا ونيل المنى

بيروت - طه الولي

وقلب اذا استنطقته الفيو
ب امر عليها بواهي الدرر
ولست بامعة في الرجال
اسائل عن ذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الاصفرين
ابين مع ما مضى ما غبر

ويشهد الله على حادثة بعينها وقعت له ، او كان
يمكن ان يقع امثالها لغيره من الناس الذين يمتحنون في
دينهم او اخلاقهم او مدخراتهم من التراث ، الا ان ما
وقع فيه علي يصح ان يصاحبه الدليل الذي قاله ، او
دفع به الشبهة عن نفسه ، او على الاقل اثر الاحتفاظ
بدينه ، وهذه عصمة من الله ، لولاها لا نزلق في هذا
المازق ، لو لم يجد مخرجا ، او كان ضعيف الايمان ..

كان الخليفة يردد وهو شاعر ، هذا البيت الذي
تضمن الحفاظ والمفاخرة والثبات عند ما سوم ان يقر
بالكفر ، حتى يسير معه الذين خرجوا عليه الى الشام :

يا شاهد الله علي فاشهد
اني على دين النبي احمد
من شك في الله فاني مهتدي

وان جاز شك في نسبة شعر الى علي ، فلا يجوز
هذا الشك ، وقد اخطت به الحادثات وملكت على علي
الشاعر اقطار نفسه ، فلا يعود يرى الا هذا التنفيس
عن نفسه المكروبة التي اسبابها الجزع حين ودع شريكة
حياته ، ابنة صاحب الدعوة الكريمة :

ارى علل الدنيا على كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل
وان افتقادي فاطما بعد احمد
دليل على ان لا يدوم خليل

ومما لا يقبل النسبة الى غيره لوضوح المناسبة ،
وحصرها في علي ، التزام الرد الذي يجب به على
السؤال ، وهو معين بالملابسة ، محدود الجوانب ...
كتب اليه اخوه عقيل ، يسأله عن حاله ، طالبا منه
اطلاعه على ما يدور حوله ، او ينتويه ازاء ما هو فيه ...
لكن جراب علي الشاعر ، لا يريد فيه الشرح والاسهاب ،
او اطلاع الناس على ما هو فيه ، ويكفي ان يكون ...

فان تسألني : كيف انت ؟ فانني
جليد على عض الزمان صليب
عزيز علي ان ترى به كآبة
فيفرح واش او يساء حبيب

ومن شعر علي ، وتكفي فيه الدلائل والقرائن ، ولا
تذهب الى سواه مهما كن من تعة ، او غرض ، يبعد
الشاعر عن موضعه بين الصفوة المختارة التي تفتت
يوم أحد ، او فرحت يوم اجلاء بني النضير ..

ومناسبتان من مناسبات كثيرة ، تظهر اننا على
مكانة علي بين الشعراء ، وتطلعتنا على هذا النفس
المعطر الذي يستجيب لدواعي الساعة ، او يحلق عند
غرض كريم ..

وليس يدخل في باب النيابة عن الرد ، او يشعر
بهذا الشعور ، الا من يقصد او يطلب منه ولو من واقع
الحال ، التعبير عن الواقع المضروب ..

يذكر الرواة : ان دحيما الكلبى وفد على علي ،
وهو يومذاك امير المؤمنين وكانت وفادته بمثابة الاجتلاء
او الاختبار او المعرفة ، لا سيما ومعاوية يجد من يطريه
او يثني على فعاله وان كان ذلك في مجلس امير المؤمنين
نفسه ، وما زال دحيم يوسع في مدحه ، ويقلب في
سيرته بما يرضي معاوية ويسيء عليا ، حتى كان هذا
الخطر الذي حلق في سماءات ذلك المجلس :

صديقي عدوي داخل في عداوتي
واني لمن ود الصديق ودود
فلا تقربن مني - وانت صديقه -
فان الذي بين القلوب بعيد

والمناسبة الثانية ، لا تقل اثرا عن الاولى ان لم
تفقهها غرضا ، او تعلق عليها بمناسبتها التي قيلت فيها ،
وهي مناسبة لا شك ، تملى على القرائح ما تتفاخر به ،
او تبرز طواعية في الميدان ..

انشد علي والمسلمون ينقلون اللبن لبناء مسجد
النبي عليه السلام بالمدينة ، بعد ان وصف معركة ..
صفين .. وما كان فيها ، وما وقع بين رحاها من
ضحايا :

لا يستوي من يعمر المساجدا
يداب فيها راکما وساجدا
وقائما طورا ، وطورا قاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

ونظرة واحدة الى شعر علي ، تخرجنا من هذا
الشك الذي ران على شعره ، وضرب على عبقريته ،
ويعد به عن مواطن القوالين الذين يوحى اليهم . وان
كان بالحكمة والموعظة .. فشعر الشاعر يغلب عليه
اللفظ السهل ، والمعنى الذي يأخذ باللب ، والاسر
الذي يشيع في كلامه كله ، عدا ما جبل عليه طبع الشاعر

التي دفعت بالامام علي الى ان يلزمها بما عمرت به من الزهد والنسك وما اتسمت به من الورع ولزوم الحق والصدق والعدل ، تقف دون الانتظام في سلك الشعراء ، الذين يستقيدون لشيء طين الشعر ، او يملكونها الهوى والغرض ، او النزوع الى الافحاش ايا كان شأنه ، ومهما كان الغرض الذي تقود اليه .

على ان الاختلاف الذي اثير حول شاعرية علي ، والشكوك التي ضربت بجرائها على نسب بعض الابيات او القصائد التي قالها اليه ، لم تمنع من وقفات على بعض الابيات تأخذ المطالع اينما ولى وجهة نظره مرجع من المراجع ، او جرى باحث وراء هذه النبضات التي زاحمت جل القصيد في عهد الرسول او بعده الى ان ودع الشاعر الدنيا ، الا ان تكون هذه الحكم والامثال التي اختتم بها حياته ، او عايشها علي حب لها او اثار لمنفومها او فعلها في نفوس الصحابة والتابعين ، ومن عاش يؤيد الدعوة ، او يقف منها موقف العداء او المرتاب على السواء .. !!

وليس صحيحا ان يشك شاك في النسب ، او يذهب مذاهب في ابيات هي من صنع علي ، ومن فيض غريخته ، اذ ليس في الامكان اذا وازنا بين الملابس التي قيلت فيها الابيات ، او اذيعت فيها القصيدة ، ان نتردد لحظة في ان عليا هو الذي قال :

تلكم قريش تهنا لي لتقتلني
فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فن هلكت فرهن ذمتي لهم
بذات ودقين لا يعفو لها اثر

والباحث في هذا الخاطر الذي املى على علي هذين البيتين ، يجده واضحا ، ولا يمكن ان يتعداه ، اذا عرف ان هذا الشعر ، انما يعبر عن شعور صاحب الرسالة بعد ما هاجر الى المدينة ، او كما قل بعض الرواة في مكة نفسها عندما اجتمعت الآراء ، وعقدت النية على التخاص من محمد عليه السلام ، فكان علي الناطق وكان الشعور المحس ، وكان التعبير الذي يدور بخلد ابن عمه ، او كان هو هو ..

ومن المسلمات ، ما قاله الامام يوم « صفين » عندما سلم رايته للحضين بن المنذر ، وان لم يسلم من الاستبعاد ، او النسب الى غيره :

لمن راية سوداء يخفق ظلها
اذا قيل : قدمها حضين تقدما
ويوردها للطنن حتى يزيدها
حياض المنايا تقطر الموت والدماء

والغلبة في المناسبة ترتفع الى ان تقضي على كل كلام قد يراد به نفي الشاعرية عن علي ، او نقض هذا الذي عبر به الشاعر .. فهو يمتدح الحضين ، ويعبر عن مشاعر الصدق التي جعلته يسلمه الراية ، ويأتمنه اهلا لها ، في ميادين الطعن ، واحواض المنايا ، في يوم هو يومه الذي لا ينفك عنه ، او ينفصل عن دنياه او يند عن تاريخه في الجهاد ، او شرفه العسكري في ساحات القتال .

ومن المآثورات التي اجتمعت لعلي في خاصة امره ، ودخيلة نفسه ، استعدادا ودرسه قبل خوضه اية معركة من معارك الكلام ، سواء كانت كبيرة الاثر او صغيرة الاتجاه ، لعله ما يترتب على حكمه ، او يعقب رايه من اختلاف أو اتفاق ، او ما قد يسفر عن التعبير ان رأى هو توضيحا او خروجا الى الصعيد العام .. فكثيرا ما كان يسأل وكثيرا ما كان يجيب ، لكن بعد تهيو او اعمال ، الا ان تكون مسألة يختار فيها العقل ، او يقف دونها مشدود الطنب ، او منقذ الزناد ..

سئل الامام يوما في مسألة من هذه المسائل التي تحتاج الى اناة ، ولا تخضع لرأى من الآراء يلقي كما تلقى سائر الآراء ، فما كان منه وهو العليم بالرأي ، الملم بمشكلات الايام ، الا ان دخل بيته ، ثم خرج في رداء وحذاء بعلو وجهه الابتسام ، وتبين على اساريه امارات الجد ، فبادره احد الجلوس :

مالك يا امير المؤمنين ، انك ان سئلت عن مسألة كنت فيها كالسكة المحماة .. ؟ فقال علي : لم يكن بد من الدخول والخروج لاروض ذهني على ما اخترته جوابا ، وخفت من امر هو في ، فقد كنت حاقنا ولا راي لي في هذه الساعة ...

على ان ابن ابي طالب ، اراد الجواب الذي لا جواب بعده ، واراد تبصير جلسائه بما دار داخل نفسه او تحدث هو به اليها ، اراد الدل بما عنده من علم ، وما عليه من معرفة ، واراد الضرب على عوده الشاعر :

اذا المشكلات تصدين لي
كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت في مخيل الصـ
واب عمياء لا تجتليها الذكر

مقنعة بأمر الفيوب
وضعت عليها صحيح الفكر
لسانا كشقشة الارجبي
او كالحمام اليماني الذكر

نظرات في ميادين التحليل النفسي

لأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله

بين علم النفس والفلسفة :

بوسعنا أن نتحدث اليوم عن أسلوب جديد في المباحث النفسية المعاصرة : في مراميها ومناهجها وفي اللون الذي تسطبع به هذه المباحث في نظرتها إلى الإنسان .

وقد امتدت الصلات بين المباحث الفلسفية والنفسية حقبة من الزمن طويلة . إذ من المحقق أن البحوث النفسية تجتاز منذ خمسين سنة ثورة نظرية جذرية .

والبحوث النفسية ربببة الفلسفة بلا جدال باعتبارها منهجا للإنسان يتناول جوهره فيما يتصل بمعطياته الدفينة : والفلسفة قد حققت هذا الغرض بصورة كاملة إلى أن تضاعلت الوشائج التي تجمع بين الفلسفة وعلم النفس بفعل التعارض بين مذاهب الأولى على عهد النهضة الأوروبية . ولعل أبرز أحداث القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهور النظريات الإيجابية التجريبية والعدول عن الاستبطان والبحث في الأسباب والاصول . وقد تأثرت مباحث علم النفس كثيرا بهذا التيار فنشأ على غرار علوم الطبيعة ما يسميه العلماء البسيكوفيزياء والبسيكوفسيولوجيا وعلم النفس العددي Psychologie quantitative

وعلم النفس الذي ما زالت تشده وشائج متينة إلى الفلسفة ينأى بدوره عن الاتجاهات والنزعات النظرية ويهتم بالتجربة . وبرجسون ينسج على منوال الظواهريين

حين يقرر أن التجربة الداخلية يمكنها أن تتسم بالدقة والموضوعية : مثلها في ذلك مثل التجربة الخارجية . وبصورة أعم . فإن المباحث النفسية الحاضرة كلها تجريبية . وسواء كانت البحوث النفسية في الماضي استبطانية أو تجريبية فإنها كانت تعنى بالإنسان عموما ، على تقيض ما نقراه اليوم من كتابات تهتم به في مختلف ظواهره وحالاته ، في وجوده اليومي وباعتبار الوسط الذي يحيى فيه ، أي أنها تهتم باحلامه ورغائبه ومشاريعه والعلماء يرون في ذلك وسيلة للوصول إلى معرفة القواعد الأساسية التي تقرر مصير الإنسان .

وقد اتسعت ميادين المباحث النفسية في الآونة الأخيرة فشملت كثيرا من الميادين التي تأتت على البحوث الاستبطانية وأصبحت تعنى بسيكولوجية العمل وسيكولوجية الفن والطب السيكوسوماتي وعلم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي ...

المدرسة التحليلية :

والحديث عن المدرسة التحليلية يقودنا حتما إلى إثارة مبدأ اللاشعور الذي يرجع للمدرسة التحليلية الفضل في إبراز معالمه وتوضيح قواعده ، وإن كانت الكتابات الفلسفية قبل ظهور المدرسة التحليلية لا تخلو من إشارات متعددة إليه . ذلك أن برجسون قد أكد في كثير من مؤلفاته بأن دراسة اللاشعور والاشتغال بخبايا النفس الإنسانية من اختصاص المباحث النفسية التي

من ارساله اللفظ غير ذميم حتى ولو كان في معرض
الرد الذميم ..

والم تأمل في هذه الابيات التي قالها ، وقد ضاق
صدره ، يجده لا يتناول أحدا ، او يومئ ولو من بعيد
الى هذا الذي ضاق به على عادة الشعراء في عصره او
قبله اذا هم تعرضوا لمثل ما تعرض له علي ، او امتحنوا
بم امتحن به الشاعر :

لئن كنت محتاجا الى الحلم ، انني
الى الجهل في بعض الاحايين احوج
ولي فرس الخير ، بالخير ملجم
ولي فرس للشر ، بالشر مسرج
فمن شاء تقويمي فاني مقوم
ومن شاء تعويجي فاني معوج
وما كنت ارضى الجهل جدا ولا ابا
ولكنني ارضى به حين اخرج
فان قال بعض الناس فيه سماجة
لقد صدقوا ، والذل بالحر اسمج

ومن يعطي سيفه « فاطمة » تفصل عنه دمه يوم
أحد ، الا ان يكون زوجها علي ، ومن يصف لها نفسه ،
ويفاخر بها ويطمئنها غير هذا الذي يقول :

افاطم هالك السيف غير ذميم
فلست برعديد ، ولا بمليم

لعمرى لقد قاتلت في حب احمد
وطاعة رب بالعباد رحيم
وسيفي بكفي كالشهاب ، اهزه
اجز به من عاتق وحميم
فما زلت حتى فض ربي جموعهم
وحتى شفيننا نفس كل حليم

ولعلي شعر كثير ، اوحى اليه في مناسبات كثيرة ،
ومواقع شهدا وتآثر بها ، والواقع اننا نظلمه اذا نحن
جرينا على نهج الذين يشككون في شاعريته ، او يسلبونه
هذه الميزة المتفردة ، التي لقيت نفسا صافية مستجيبة ،
يزينها عقل راجح بصير ، واطلاع واسع ، وملازمة
لبلاغة النبوة ، وفهم لاسرار الرسالة ، وتربية قبل
ذلك في حجر سيد البلغاء .

واما ما شكك فيه بعض الرواة من شعر هو لغير
الشاعر ، فمن باب الظن والتحمين اللذين يذهبان
بالفضل ، ويعصفان بالكنوز ، ولا يستبقيان الا الريب
وان ارتفع الشك ، وزال ما الفته من اهواء ..

ومن يذهب الى التراث ، وينقب في المصادر
والامهات ، يهله ، ان يرى ديوانا من الشعر ، يسلك
عليها بين الشعراء ، ان لم يبرزهم بما اوتيه من حكمة
وسداد رأي وعبقريّة فذة ، تقدر على التعبير بالمنظوم ،
كما قدرت عليه بالمنثور ، الذي عد من جوامع الكلم .

القاهرة : ابوطالب زيان

الاستمتاع بالرزق

قال اعرابي : الرزق الواسع لمن لا يستمتع به ، بمنزلة الطعام

الموضوع على قبر .

والذي لا جدال فيه أن هناك تقاربا في وجهات النظر الظواهرية ومعطيات المذهب التحليلي والدراسات التي قام بها المحللون الأمريكيون والمباحث الأخيرة التي صدرت عن الجمعية الفرنسية للتحليل .

والتحليل النفسي يرى من جهة أخرى أن الفناج الفني يترسم غايات اجتماعية مثلى ويتوخى تقدير الآخرين ويشركهم في تذوق الاثر الفني ، اذ ان هذا الأخير يستثير المطامح اللاشعورية ويعمل على ارضائها ، هذا الى جانب اللذة التي تقترن بجمال الشكل على حد قول فرويد في كتابه « حياتي والتحليل النفسي » .

تجب الإشارة في الأخير الى الدراسات القيمة التي قام بها عدد من المحللين الى الآثار الفكرية على ضوء التحليل النفسي (انتصار البطل — التحليل النفسي ليفكتور هوجو — الرمزية الدينية — حكمة دون كيشوت ... وغيرها كثير) .

في هذه التأملات التي أدرجناها عن علائق التحليل بالفن وشؤون الفكر ، وما يتخللها من نظريات وجودية ما يؤكد ان باستطاعة التحليل اليوم ان يسهم في النقد الفني والسيكولوجية الجمالية وتحليل المفاهيم والقيم التي تنطوي عليها روح الفنان .

وفي السطور السالفة نظرة مختصرة الى مختلف الميادين الفكرية التي يمكن ان تطبق فيها بنجاح شتى المدارس التحليلية او التي امدتها بنظريات ومفاهيم جديدة .

كما ان بعض هذه العلوم التي نسميها علومًا انسانية والتي تهتم ، على نقيض العلوم البحتة ، بالقيم الانسانية قد تقبل بارتياح مبادئ التحليل النفسي في الوقت الذي تلجا بعضها الآخر في قبول هذه المكتسبات. ومما يبعث على الامل ان كثيرا من العلوم كعلم النفس وعلم الاجرام وعلم الاجتماع والظواهرية التي كانت — الى بضع سنين خلت — تتردد في اعتماد النظريات التحليلية قد تقبلتها واستفادت منها كثيرا مما سيساعد على ابتداء معرفة عملية للانسان ، تقوم على الثقافة والتقنية معا .

وقد يسر التحليل النفسي للطباء العثور على الاسباب النفسية التي تكمن وراء كثير من الادواء الجسمية .

كما فتح لعلماء النفس آفاق البحث في المأساة الانسانية وجعلهم ينصرفون عن الاشتغال بالوظائف والملكات الى البحث في حياة الاحياء وما تزخر به من عواطف ومشاعر ...

والصلة اليوم بين التحليل النفسي واللغة جد وثيقة . خاصة فيما يرجع لدراسة اللاشعور . وقد أدت المبادلات بين اللغويين والمحللين الى جلاء المفاهيم اللغوية واستكناه المعطيات النفسية التي تقوم وراءها .

والتحليل يدعو في ميدان الاخلاق الى اعتماد سلوك يقوم على احترام الوشائج التي تربط بين الانسان على اختلاف نواذعه وتباين مشاريعه من تعاون ونضام — وتسامح واخاء .. وقد اظهر لاملان سعادة الانسانية رهينة بتوحيد الجهود والامكانيات في الكفاح المقدس من اجل الحياة الكريمة وتنسيق الصلات القائمة بين الناس وتحقيق اسباب التراحم والصفاء لمكافحة الفقر والجهل والمرض . والتحليل بوصفه عملا تلتقي فيه شروط التجرد والموضوعية يسعى لنشر وتعميم النزعة العالمية قصد تطويع السلوك الانساني لحقيقة الكون . والشعور بالاثم ليس له ما يسوغه في نظره الا المساس بحرمة الشخصية الانسانية وقداستها ، بصرف النظر عن العوامل الخفية التي تملأ حياة كثير من الافراد والجماعات ولا تقوم على اساس منطقي سليم .

واضح ان التحليل النفسي بشتى مدارسه ، قد اصبح بعد مرور ازيد من ربع قرن على وفاة مؤسسه محط اهتمام الباحثين من كل فروع المعرفة بعد ان ظهرت فعاليتها في جلاء كثير من الجوانب التي يلفها الغموض في مختلف مضامير العلوم والاداب والفنون . ولقد اصاب برجسون كبذ الحقيقة حين اشار في كثير من كتاباته الى ان القرن العشرين سيحقق لعلوم اللاشعور من التطور ما نالته العلوم الفيزيائية والطبيعية منذ امد بعيد . ومباحث التحليلية قد بلغت في الآونة الأخيرة حدا من العمق والموضوعية يعتبر غنما ثميناً على الصعيدين الانساني .

الرباط : عبد الرحمن بنعبد الله

المراجع :

- E. d'Aster : La psychanalyse et son apport à la science de l'homme.
- A. Hesnard : L'œuvre de Freud.
- Alfred Adler : Connaissance de l'homme,

سيعمرها القرن العشرون وأن هذه المباحث ستحقق من المكاسب ما حظيت به العلوم الفيزيائية والطبيعية في القرون السالفة .

وبرجسون محق في تخميناته ، فقد جاء التحليل النفسي في مستهل هذا القرن ليميط اللثام عن البنية النفسية اللاشعورية في النفس الإنسانية فنشر فرويد سنة 1900 كتابه الشهير « علم الاحلام » ووضع بذلك قواعد التحليل النفسي معطيا لكلمة اللاشعور مضمونها الحقيقي . والحقيقة أن التحليل في الوقت الحاضر مفتوح ، أكثر من أي وقت مضى ، لمختلف النزعات والتيارات — فهو يسعى من جهة الى التوفيق بين النظريات الاساسية التي جاءت في كتابات فرويد وبين التطور الخلاق الذي تفرضه المعرفة العلمية ويمليه المنهج الذي سارت عليه العلوم الفيزيائية والطبيعية . والملاحظ أن آثار فرويد قد اتسع نطاقها بعد الحرب الكونية الأخيرة بصورة شملت معها كثيرا من الميادين كالفلسفة والفن والادب وعلم النفس العام وعلم النفس التطبيقي وعلم الاجتماعات ... والواقع أن التحليل النفسي ، بما حققه من مكاسب وخبرات ، قد أحدث في عالم المعرفة ثورة جذرية في العلوم الإنسانية كشفت النقاب عن واقع الوعي النفسي من الوجهة الأدبية والوجهة الاجتماعية ، كما تصدت لاعماق العقل الانساني بما ينطوي عليه من معطيات حيوانية خفية ومعطيات أخلاقية في غاية النبل والسمو .

وجب أن نشير الى نظريات التحليل بخصوص التربية حين تدين بصورة جلية مواقف الكبت التي يتخذها بعض المربين وآثارها الخفية والبارزة في نشوء الاعراض العصبية . وقد أكدت الدراسات الاكلينيكية في التحليل النفسي مدى أهمية الغرائز الاجتماعية في تحقيق الغايات والاهداف الفكرية والفنية بواسطة التصعيد حين تنجو من آثار القمع وتتجه الى غايات امثل .

وقد تبين من خلال الدراسات التجريبية التي أجريت على شذاذ المراهقين أن الامر لا يعدو أن يكون تكويننا عائليا جائرا وأن الاباء يتحملون مسؤولية خطيرة في الانحرافات التي تصيبهم . والجدير بالذكر أن السينما تلعب دورا أساسيا في نشوء هذه الاعراض بما تصوره من بطولات زائفة تقوم على الشدة والعنف وتعتمد وسائل الاثارة الجنسية في اطار بولييسي مشوق .

أما عن الجانب الاجتماعي فإن العلماء أذ يقررون أهمية المكاسب التي حققتها التحليل النفسي فيما يتصل

بمعرفة الانسان ، فانهم لا يتمالكون عن ابداء استيائهم من اغفال التحليل للوشائج الوثيقة التي تصل بين الفرد والمجموعات الإنسانية وسكوته عن الظواهر الاجتماعية التي لا تخفى أهميتها على أحد .

والى جانب ما ابتدعته مدرسة ليفي سترأوس Lévi-Strauss من نظريات اجتماعية جديدة وما نشره علماء الاجتماع من آراء تتعارض في معظمها مع مركب أوديب ، فإن الدكتور لاكاش يرى من الضروري أحداث مراكز للبحث والتكوين التحليلي للمتخصصين في العلوم الاجتماعية لتتأتى الاستفادة بصورة أوسع من النظريات التحليلية في ميدان العلوم الاجتماعية .

وعن الاجرام فإن التحليل النفسي قد عنى به أيضا الى جانب القضاء والمهتمين بشؤون الاجرام ، وقد انعقد في باريس سنة 1950 مؤتمر دولي للاجرام ضم عددا لا يستهان به من القضاة والمحليين وكذا المهتمين بشؤون الاجرام واطباء العقل لتبادل وجهات النظر ومقابلة آرائهم ونتائج أبحاثهم في الموضوع .

والذي يبعث على الاهتمام في دراسات هؤلاء الاخصائيين أن العدوانية الاجرامية التي كان يعتقد أنها تملك على المجرم حواسه ومشاعره لا تظهر الا ساعة القيام بالاجرام وأن حياة المجرم تكاد تخلو من ظواهر العدوان والسادية . ذلك أن وجوده اليومي يطبعه الهدوء والنظام ولا اثر لاصداء العمل العدواني الذي كثيرا ما يمارسه بانتظام .

والمحللون يأملون أن يمتد التحليل النفسي ، بصفة رسمية ، الى كل الاشخاص الذين تنعدم في حياتهم المسوغات الحقيقية للاجرام أو الذين تشكل حالاتهم الغازا مغلقة في مفاهيم القضاء والقضاة .

وإذا كنا قد عرضنا في بداية المقال الى الصلات التي تجمع بين الفلسفة وعلم النفس في مفهومه العام ، فإننا لا نرى مانعا من التعرض هنا للتحليل النفسي الظواهري الذي اسهم في اجلائه بنصيب وافر كل من الدكتور لاكاش والاستاذ لاكان وكثير غيرهما من الظواهريين وعلماء الجنس في البلاد الالمانية . وقد ألح الاستاذ لاكان بصورة خاصة على العلاقة الذاتية المزدوجة التي تتسم بها الحالات التحليلية وحالات التحويل Transfert وقد مكنته تجربته الواسعة من الاستفادة من البحوث التحليلية ، وهو يعتبر العصاب عرضا وجوديا ، معتمدا هذه النظرية في تطبيقاته العملية.

عن كل صاحب حسب الابواب الفقهية والاحكام الدينية ، وبذلك صار كتابه مصنفًا مسندًا في آن واحد . ولقد روى في هذا الكتاب عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف .

ان هذا المؤلف القيم والمحدث الشهير والحافظ المدقق يعد من المع أساتذة الاندلس في التوجيه الديني انه ابو عبد الرحمن بقي بن مخلد الاندلسي صاحب التفسير الجليل الذي وصفه ابن حزم بقوله : « انه الكتاب الذي اقطع قطعًا لا استثنى فيه أنه لم يؤلف في الاسلام مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري » .

ولد بقي بن مخلد في رمضان سنة احدى ومائتين 201 هـ وتوفي في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة 276 هـ .

وقد وقع عند طبع كتاب معجم الادباء تحريف في ذكر سنة ولادته حيث ذكر انه ولد سنة احدى وثمانين (1) . وهذا خطأ بين لا يخفى على القراء جر الناسخ اليه تشابه صورة (ثمانين) (بمائتين) وقد ذكر المسحج تراجم مختلفة لبقي بن مخلد نقلها من عدة كتب ، وفيه ذكر لسنة الولادة الحقيقية . ومع ذلك غفل عن تغيير الخطأ الذي وقع فيه النساخ .

(22) روى بقي بن مخلد عن طائفة كبيرة من العلماء بالمشرق فاخذ بالحجاز ومصر ودمشق وبغداد والبصرة والكوفة ، وتنقل بين ربوع هاته الاقاليم يتتبع العلم أنى وجده حتى لقب بالكنسة ، لانه كان لا يترك عالما يعرف صدقه وثقته وضبطه ، فلا يذهب للاخذ عنه ، وقد بلغ العلماء الذين روى عنهم مائتين وأربعة وثمانين رجلا .

وفي كتاب الحموي ذكر لطائفة من هؤلاء الاعلام اعتمد في ذكرهم على كتاب الحميدي فقال : (2) «وبقي

من حفاظ المحدثين وأئمة الدين والزهاد والصالحين ، رحل الى المشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة ، منهم الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، وأحمد بن إبراهيم الدورقي وخليفته بن خياط وجماعات أعلام يزيدون على المائتين » .

والناظر في كتاب الجذوة المطبوع بتصحيح الاستاذ ابن تاويت الطنجي يجد أنه سقط منه ذكر خليفة بن خياط ، ولعل ذلك إنما هو غفلة من الناسخ أو نسيان من المنضد الذي صفف حروف الكتاب عند الطبع ؛ فالحميدي على ما يظهر لا يفصل عن ذكر أبي عمر وخليفته بن خياط الشيباني ، لانه يعلم اثره الفعال في تكوين بقي الذي حمل كتبه الى بلاد الاندلس فأذاعها .

ان خليفة بن خياط ألف كتابا في الطبقات وكتابا في التاريخ ، ابتداء بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم الى سنة 232 هـ (3) ، وقد كان استاذًا ماهرا أخذ عنه رجال الحديث واعتمدوا عليه في كتبهم ، فممن ارتكزوا على روايته ، الإمام البخاري في صحيحه ، وفي تاريخه ، وبقي بن مخلد في كتبه العامة ، بل ان الخزائن العامة ببلاد المغرب تشتمل على نسخ نادرة من المخطوطات ، ومن بينها كتاب التاريخ لخليفة بن خياط برواية بقي ابن مخلد (4) . وهذا مما يدل دلالة واضحة على الارتباط المتين بين ابن مخلد واستاذه .

فورود اسمه في النص المأخوذ عن الجذوة دليل على ان الحميدي لم يفغله في تاريخه ، وأن عدم ذكره في النسخة المطبوعة إنما هو غفلة أو نسيان .

لهذا ارجو من الذين ستناح لهم الفرصة مرة أخرى لطبع كتاب الجذوة نظرا لاهميته ولقلة النسخ الموجودة منه ان لا يهملوا هاته الملاحظة ، وان يضيفوا

(1) معجم الادباء للحموي ، الجزء السابع ، صفحة 81 . اما الحميدي فلم يذكر زمن ولادته . اقرا ترجمته بقي بنفح الطيب ، الجزء الثالث ، صفحة 272 بالطبعة المنقحة من طرف الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد .

(2) معجم الادباء ، الجزء السابع ، صفحة 76 ، وكتاب الجذوة صفحة 177 .
(3) جاء في العدد الثالث من دعوة الحق ، السنة العاشرة ضمن الانباء الثقافية ما يأتي : « ستصدر وزارة الثقافة كتاب الطبقات للمؤرخ العباسي خليفة بن خياط وكتاب (تاريخ خليفة بن خياط) وقد حققه سهيل زكار المعيد في قسم التاريخ في جامعة دمشق ، وقد تمت طباعة التاريخ والجزء الاول من الطبقات تحت الطبع .

(4) ورد في العدد الثالث من السنة التاسعة من دعوة الحق وهو العدد الخاص بمنجزات وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في عشر سنوات من عهد الاستقلال ، ذكر لهذا الكتاب في قائمة لنوادير المخطوطات الحبسية ، وقالوا عنه هناك : « وهو من الفرائب التي لا يعرف لها وجود في مكان آخر .

نظرة في كتاب معجم الأدباء بعد طبع مصدر من مصادر

لأستاذ محمد بن عبد العزيز الربيع

- 5 -

وإذا كان المسلمون يعلمون حسانة القرآن ضد التزييف والتزوير نظرا لما كان قد قام به عثمان بن عفان رضي الله عنه من تضيق على جميع المدلسين حينما أرسل نسخا من المصحف الى مختلف الاقاليم فانهم يعلمون كذلك ان الحديث قد تسرب اليه الموضوع واندمج فيه الدخيل لذلك تصدوا لهذا الامر الجلل فالفوا الكتب المختلفة ليبينوا فيها ما صح من الحديث وما بطل واعتنوا بكيفية التدوين وبتراجم الرجال الذين روي الحديث عنهم ليكون في استطاعتنا معرفة حقيقتهم فيعيننا ذلك على التعديل والتجريح ، وسار المؤلفون في تدوين الحديث على طرق مختلفة ، منها طريقة التصنيف على الابواب الفقهية والاحكام الدينية من غير اعتبار للشخص الذي روى الحديث ، وكانت هاته الطريقة تدعو الى تكرار الاحاديث داخل المصنفات لتعدد معانيها واهدافها . ومنها طريقة المساند ، تلك الطريقة التي تذكر الصحابة وترتبهم حسب الحيثيات التي يختارها المؤلف ، واذا ذكر صحابي ذكر بازائه ما روى من الاحاديث .

واشتهرت الطريقتان معا في الشرق الى ان حاول الجمع بين الطريقتين مؤلف اندلسي اطلع على ما عند المشاركة في هذا الفن وتعمق في فهم الاحاديث بعد ان حفظ منها العدد الجم الكبير ، فالف كتابا في الحديث يعد من اشهر ما الف في تدوينه وضبطه والتحري فيه وسار فيه على طريقة المساند اولا ، فرتب التدوين حسب اسماء الصحابة ، ثم رتب الاحاديث التي رويت

1 (لما انتقل الاسلام الى بلاد الاندلس وتوطد امر المسلمين بهذه البلاد ارتبط فكر الاندلسيين بتعاليم الدين وارتبط لسانهم بلغة القرآن ، ولم يقتصر اهتمامهم على الجانب اللغوي والادبي والفني ، بل اهتمت طائفة كبيرة من علماء الاندلس بالدراسات الدينية فرحلوا الى الشرق ليجمعوا كتب الحديث ويرووا كتب القرآن والتفسير وينقلوا ما جمع في سيرة الرسول والصحابة ورجعوا الى بلاد الاندلس مطمئنين الى تعاليم الاسلام عاملين على شرحها وتحليلها واذاعتها بين الناس .

والذي يتتبع تاريخ الاندلس يجد ان التنافس الذي كان بين الدولة الاموية في الاندلس والدولة العباسية في الشرق قد احدث تنافسا عاما بين الاندلسيين والشرقيين ايضا ، ودفع رجال الاندلس الى البحث العلمي والى الجد في تغيير احوالهم من الجهل الى العلم ، ومن الخمول الى العمل ، ومن الاقتتار على ما عند الشرقيين الى الاجتهاد والانبساط .

ولقد كانت في تاريخ الثقافة الاسلامية جوانب هامة تسير جنبا الى جنب في جميع الاقاليم ، خصوصا بعد نهضة التدوين وازدهار حركة التأليف ؛ فقد اصبحت الاقاليم الاسلامية كلها تعمل من اجل تحصين الاسس التي ينبنى عليها الاسلام ، ويرتكز على فهمها الدين . فان القرآن والحديث نقطة الاستناد عند كل مسلم وكل دارس للتشريعات الاسلامية وتطورها .

وهو كوفي مولى للعبيسين توفي سنة 235 هـ وولد سنة 159 هـ (1) .

وانما دفعني الى الحديث عنه وجود تناقض بين كتاب الجدوة وبين النص المأخوذ منه الوارد في كتاب معجم الادباء (2) فقد جاء في كتاب الحموي انه **أبو بكر ابن عبد الله بن محمد بن ابي شيبه** بزيادة ابن بين ابي بكر وعبد الله ، فاوهم هذا النص ان عبد الله اب لابي بكر مع ان ابا بكر انما هو عبد الله نفسه ينعت بهذه الكنية ، وعليه فما يوجد في كتاب الجدوة اصوب واولى .

25) ليست الاختلافات المتقدمة في الحديث عن بقي مغلد جامعة لكل ما يوجد من فروق بين النص الاصلي الموجود في كتاب الجدوة وبين ما اخذ عنه في كتاب الحموي ، فان هناك اختلافات اخرى متعددة . قد يتوصل اليها القارئ بطبيعته ، وقد يكون الدافع اليها الاختصار الذي كان يدعو الحموي الى الاكتفاء بذكر بعض الاعلام دون تتبع جميع الاجزاء ، وقد يكون الدافع اليها التاويل الذي يتوصل اليه بعض القراء حين يجدون التشابه بين بعض الحروف فيؤدي ذلك الى اختيار قراءة ما يجعلونها ملائمة للاحرف وملائمة المعنى المقصود حسب تاويلهم .

ولا بأس ان اقدم جزءا من كتاب الجدوة للتبيين الفروق الموجودة بين هذا النص في كتاب الجدوة المطبوع وبين نظيره في كتاب المعجم .

قال الحميدي : « قال لنا ابو محمد علي بن احمد : « فمن مصنفات ابي عبد الرحمن بقي بن مخلد كتابه في تفسير القرآن ، فهو الكتاب الذي اقطع قطعاً لا استثنى فيه انه لم يؤلف في الاسلام مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره . ومنها في الحديث مصنفه (3) الكبير الذي رتبته على أسماء الصحابة رضي الله عنهم فروى فيه عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف ، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وابواب الاحكام ، فهو مصنف ومسند (4) ، وما اعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فيه (5) في الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل واربعة وثمانين رجلا (6) ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم اعلام مشاهير (7) ، ومنها مصنفه في فتاوي الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي اربى فيه على مصنف ابي بكر بن شيبه ، ومصنف عبد الرزاق بن همام ، ومصنف سعيد بن منصور . وغيرها (8) ، وانتظم علما عظيما لم يقع في شيء من هذه ، فصارت توافي هذا الامام الفاضل قواعد للاسلام لا نظير لها ، وكان متخيرا (9) ، لا يقلد احدا ، وكان ذا خاصة من احمد بن حنبل وجريا في مضمار ابي عبد الله البخاري وابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وابي عبد

(1) انظر ترجمته الموجزة بكتاب الاعلام للزركلي ، الجزء الرابع .

(2) معجم الادباء ، الجزء السابع ، صفحة 76 .

(3) في كتاب الجدوة قال : ومنها في الحديث مصنفه يجعل نقطتين على الهاء ، وهو خطأ ظاهر وقع من المصنف فقط .

(4) في كتاب الجدوة شكات لفظه مصنف ولفظة مسند بفتح ما قبل الآخر على صيغة اسم

المفعول باعتبار الضمير المخبر عنه عائدا على الكتاب ، واما في كتاب الحموي فقد شكلنا على صيغة اسم الفاعل باعتبار عودة الضمير على المؤلف نفسه وهو اولى لانه يناسب ما بعده من الضمائر .

(5) كذا في الجدوة ، واما في المعجم فلا وجود لهذا الجار والمجرور . وهو الصواب ليكون الكلام منسجما مع السياق العام ، وليكون في التعبير خفة وسلامة .

(6) في كتاب الحموي ذكر انه روى عن مائة واربعين وثمانين رجلا ، وأشار المصحح الى تصويب هذا الخطأ وما عند المصحح موافق لما في كتاب الجدوة .

(7) في كتاب المعجم ، قال : وسائرهم اعلام مشاهير على وزن مفاعيل بزيادة مد بين العين واللام وهو الموافق للصواب .

(8) اقتصر الحموي على ذكر مصنف ابن ابي شيبه

(9) في كتاب الحموي وكان بحرا ومصححه ذكر انه يوجد بنسخة اخرى ، وكان متخيرا ، وسنتحدث في التحليل عن الوجه الصحيح .

ذكر الاب احيانا ، فقد قالوا عن ابن حنبل انه **احمد ابن محمد بن حنبل**، ثم قالوا مرة أخرى **احمد بن حنبل** ومن المعلوم انه لا تناقض بين الصيقتين اذ هما معا لا يقصد بهما الا الامام المشهور .

اذا علمنا ذلك ، فان الاكتفاء بذكر احدي الصيقتين كاف في التعريف بابن حنبل ، وذلك ما وقع بالفعل في النسخة التي اعتمد عليها الاستاذ ابن تاويت في طبع جذوة المقتبس ، فقد اقتضت على ذكر احمد ابن حنبل ، ولكن الاستاذ ابن تاويت عقب على ذلك بتعقيب وجيز قال فيه : « وفي البقية احمد بن محمد ابن حنبل » من غير ان يشير لماذا عقب هذا التعقيب، وهل فعل ذلك شكا في صحة النسبة الاولى او اثارا لها على غيرها او ابرازا للفرق بين كتاب الجذوة وكتاب البقية او انما للفائدة .

وانا ارى ان هذا التعقيب من غير تبين سببه ، سيجعل القارئ في ارتياب وشك . فلا يعرف الاصول من الصيقتين . وسيحدث له ابهاما وتساؤلا في نفسه يدفعه الى البحث عن الرواية الصحيحة . مع ان كلا منهما صالح ، اما التي اوردت سم الاب فلانها سارت على الاتجاه الطبيعي في ذكر الانساب . واما التي حذفت الاسم فلكونها سارت على طريقة الاستغناء عن ذكر الاب والاكتفاء بذكر الجد . وهذا شيء يحصل كثيرا في التراجم العربية .

وعليه فلا فرق بين الصورتين رغم وقوع الاختلاف في الطبع ، ففي كتاب الجذوة حذف منه اسم الاب ، ولكنه في النص المأخوذ الموجود بكتاب الحموي قد ذكر .

وهذه الاشارة ضرورية للقارئ رغم انها لا تخفى على المهتمين بالدراسات الادبية وبدراسة رجال الحديث والفقه .

(24) ورد في كتاب الجذوة (3) اسم لاحد الائمة الذين روى عنهم بقي بن مخلد وهو الحافظ الشهير **ابو بكر عبد الله بن محمد بن ابي شيبة** وهو من رجال الحديث الذين كان لهم فضل ايام ازدهار التدوين فصنف وحفظ وروى واذا علمه بين الناس

الى الكتاب ما سقط منه ، وان يجمعوا مرة أخرى بين الاستاذ وتلميذه ، فانه من غير اللائق ان نترك خليفة ابن خياط بعيدا عن تلميذه وبينهما هذا الاتصال الروحي الذي يجب ان نعمل على تخليده تشجيعا للعلم واحياء للروابط الفاضلة ، وابقاء على ذكر عالم جليل في كتاب يعد من اشهر الكتب التي يعتمد عليها في تاريخ الاندلس ، فان وجوده في الكتاب سيحدث فضولا علميا في القارئ . يدفعهم الى البحث عن خليفة والتعرف على تاريخه . وفي ذلك فائدة كبرى ، وفرصة للاطلاع على حياة عالم لا يذكر في كتب التراجم الا باحسن الصفات ، ولا ينعت الا بافضل الالقاب ، فهو الذي يقولون عنه : « انه كان مستقيم الحديث من متيقظي رواته (1) » .

توفي خليفة بن خياط في سنة 240 هـ موافق 854 م (2) .

(23) لقد تقدم لنا ان بقي بن مخلد روى عن كثير من الاعلام ، ومن بينهم الامام احمد بن محمد بن حنبل الذي يعتبره كثير من المحدثين والمفسرين اقرب الى رجال الحديث من رجال الفقه .

وهو صاحب المسند الذي يحتوي على ما يقرب من اربعين الف حديث ، تكرر منها ما يقرب من عشرة آلاف .

وقد كان من اساطين السنة . في العراق في اواخر القرن الثاني واول القرن الثالث الهجري ، فقد ولد ونشأ ببغداد سنة 164 هـ . وجال في كثير من الاقاليم بحثا عن الحديث وحرس على تأليفه وتفسيره ، وعلى الاعتماد عليه ، وظل وفيما لاجتهاده الى ان توفي سنة 241 هـ ، وقد كان من اتقى الناس واكثرهم ورعا فاستفاد الكثيرون من اخلاقه وعلمه وشجاعته في مواجهة الظالم والتعدي .

ويعد استاذنا لأكبر رجال الحديث كالبخاري ومسلم وبقي بن مخلد الذي تحدث عنه الان .

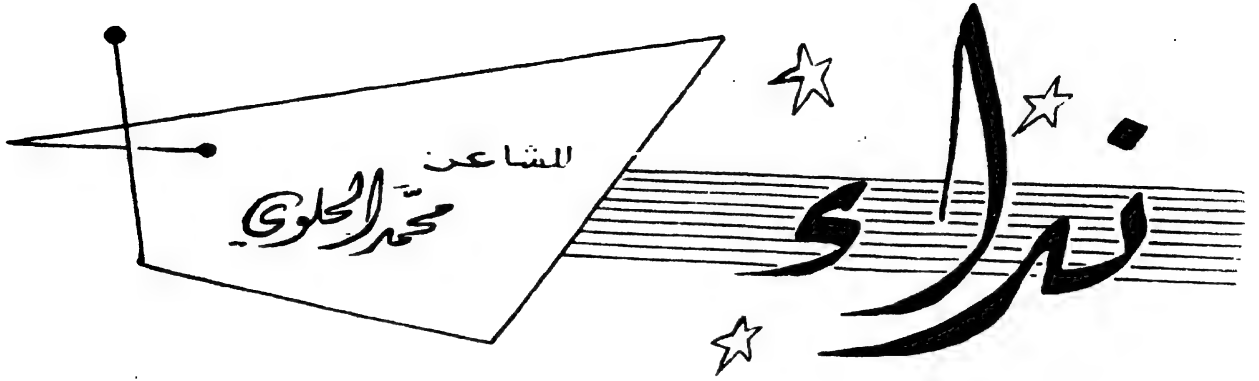
وجريا على العادة التي سار عليها كثير من المؤرخين والمترجمين للعلماء والادباء في الاستغناء عن

(1) كتاب الاعلام للزركلي ، الجزء الثاني .

(2) في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ، الجزء الثاني ، صفحة 14 ، اقوال متناقضة في ذكر زمن وفاته ، فقد قيل انه توفي سنة 230 هـ ، وقيل انه توفي سنة 240 هـ ، وقيل انه توفي سنة 246 هـ . ولكن اغلب الاقوال في الذكر عند المؤرخين انه توفي سنة 240 هـ .

(3) جذوة المقتبس ، صفحة 167 .

ويولاء الحسنة



اخي هناك على خطوط النار
الله خلف زنادك الرامي اذا
بدك الصناعات قلاع امتك التي
سلمت بدالك فصبتها نارا على
سائر بمدفعك الرهيب روائعها
واملا فم الدنيا بياضك مرعبا
انا حلفنا ان نطهر ارضنا
بانوار والشهداء نفسل عارنا
وبوحدة جبارة سنشبهها
سنديقهم كاس الحمام مريرة
والبقي ما لمعت بوارق نصره
انا بنوا الاحرار شعب لم يهن
(بيض الوجوه كريمة احبابنا
ان نابت الجلى فنحن رجالها
شدنا على اسس العدالة ملكنا

في دبابه تصلى العدا او مدفع
ضفطت يدك فلا تهن او تجزع
وقفت وراك في التحصنات اروع
سرطان عالمك المهيض الموجه
بي مجد يعرب مثلها لم يسمع
واسكب غناك غنوة في مسمعي
من رجس صهيون ومكر الجشع
واعيد ارض الوحي لا بالادمع
شعروا تدمر كل وغد مدعني
بسوى الهزيمة كاسها لم تتزعزع
الا لتوذن باقتراب المصارع
رغم الخطوب والعدا لم يركع
شم الانوف من الطراز الارفع
واذا دعا الداعي فاكرم من دعى
وعلى دعائم مثلها لم يرفع

* * *

كسرى وقيصر في جحافل تبع ؟
طلعت ذكاء على رقود هجع ؟
وضيائها فكانها لم تطلع ؟ !

ايدل من حشدوا العشود ودوخو
ايدل من طلوعوا على الدنيا كما
اتقيب تلك الشمس بعد بزوغها

الرحمن النسائي (1) رحمة الله عليهم . هذا آخر كلام أبي محمد (2) .

ان التعرض لهذه الاختلافات أصبح امرا ضروريا بالنسبة الى الدراسات الادبية والتاريخية والفقهية .

ويمكن ان نأخذ نقطة واحدة من هذه الفروق التي لاحظناها في هذا النص لنعرف سبب التأويل المرجح لصيغة على أخرى فقد تقدم لنا ان الحميدي في كتاب الجدوة ، قال عن بقي بن مخلد : « وكان متخيرا لا يقلد أحدا » في حين ان مصحح كتاب الحموي حين طبع الكتاب أثر ان يقول : « وكان بحرا لا يقلد أحدا » ونبه على انه يوجد في الاصل عوض لفظة بحر لفظة متخيسر .

ولم ادر لماذا رجح البحر على التخير ، ولعله فعل ذلك لكونه يربط بين سعة علمه وجواهر معرفته بالبحر الذي في أحشائه الدر كامن .

وقد ذكر الاستاذ أبو زهرة في كتابه عن ابن حزم الاصول التي اعتمد عليها هذا الامام في ثقافته وأرجعها الى الحديث وكتبه العامة ، ثم الى طائفة المتخيرين الذين لم يكونوا مقلدين لمذهب معين بل كانوا يجتهدون وعلى رأسهم بقي بن مخلد .

فالمختصرون اذن يمثلون طائفة من المجتهدين الذين لم يقتصروا على التقليد والتقليد بمذهب معين وهذا يفسر لنا اعجاب ابن حزم بكتب ابن مخلد ، لانه وجدها تمثل روح الحرية التي أصبح يدعو اليها في

مذهبه والتي دفعته الى التصريح بان التقليد حرام ولا يحل لأحد ان يأخذ بقول أحد من غير برهان (3) .

وان هؤلاء المتخيرين الذين كانوا لا يقلدون أحدا بعينه لم يكونوا أعداء للأئمة السابقين ، ولكنهم كانوا يرون ان مؤهلات الفكر يملكها كل انسان ، ولذا يجب على المسلم ان يتفهم كتاب الله وسنة رسوله ، وان يطلع على آراء الفقهاء المسلمين ليكون بذلك سليم الايمان قوي العقيدة ، وان يربط بين ما بلغ اليه المجتهدون وبين أصول التشريع ، فاذا اطمأن الى نتائجهم قبلها والا استخدم اجتهاده لفهم هاته الاصول بنفسه .

فالتخير اذن يمثل منهاجا اجتهاديا يجعل جميع الأئمة سواء ، ويدفع الفرد الى الاهتمام بكتاب الله وسنة رسوله ، ويجعل المسلم قوي الملاحظة ، كثير الاطلاع ، متين الحجة ، يرتبط بالله عن طريق التأمل والبحث عن المعرفة الصادقة ، ولا يقتصر على التقليد الاعمى الذي يفقد به الانسان حجة البرهان وسعة العلم .

اذا علمنا ذلك رأينا ان نسخة ابن ناويت كانت أسلم حينما نصت على ان ابن مخلد كان متخيرا لا يقلد أحدا ، وأنها كانت اصوب مما اتاره مصحح كتاب معجم الادباء حين قال عن بقي ، وكان بحرا لانه بفعله هذا كان قد غفل عن المقصود بالتخير ، ولم ينتبه الى حقيقة مقصوده ، والله اعلم .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

- 1) لم يذكر الحموي في سياق كلامه ابا عبد الرحمن النسائي .
- 2) النص الذي ذكرناه مأخوذ من كتاب الجدوة صفحة 167 ، ومقابله يوجد بكتاب معجم الادباء ، الجزء السابع ، صفحة 77 .
- 3) كتاب ابن حزم لمحمد أبي زهرة ، صفحة 275 .

زياره غافله و بريئه ،
مرفوعه

مرحبا بالحمامين ..

للشاعر مفدي زكرياء

لكما مهجتي الفدا ، وحياتي
واخطرا كالنسيم في امياتي
هائما بالجمال في الكائنات
شس وحيما مجنح الكلمات
ويصوغ الفنا من القبلات
مائسات طروبة ساحرات
ب الى (منيتي) الى صواتي
علوي . من السماء صفاتي !
سي ، فاني الامين في خلواتي .. !
والامان الامان من نزواتي .. !
وانعما في الفرام بالخطرات
لست ممن ييوح بالهمسات
انا في الحب صاحب المعجزات
للقاء ... تذكر املواتي ...

مفدي زكرياء

مرحبا بالحمامين ، واهلا
اشرقا كالصباح في (وكر جي)
واغمرا بالحنان قلبا مشوقا
شاعرا .. كالملاك ... يستلهم العيد
يعصر اللحن من شفاء العذارى
وقوافيه من قدود الصبايا
الامان الامان ... (هادية) القلب
عائقاني حماتي . فاني
وامرحا بالامان بين ذراع
واسكب الدفء والفتون بجسمي
واقنعا ، في الصبي ، بخلو الاماني
واهمسا - يا حماتي - فاني
واقراء الحب والصابية عني
واذا تم موعد . وافترقنا

ايذل ابناء الاسود ولم تنزل
قسما بروحك يا صلاح وزحفها
لنشنها حربا تدمر ما بنيت
ونعيد للحرم المطهر قدسه
لن يحتموا منا ولو ملكوا الفضل
لن نرهب النابال فوق رجالنا
علاقهم سيصير عند قدومنا
وشجاعهم لا يستطيع لقاءنا

* * *

اظفارهم مستونة لم تقلع ؟
وجهادها عصب الصليب ويوشع
احلامهم بيد الكرى من مطمع
ونزيع عنه يد المغير المقمع
فقضاء يعرب ما له من مدفع
ونسائنا ونكاله بالرضع
قزما تقهقره اشارة اصبع
الا بوجه في الحديد مقنع

الله اغير ان يعز عصابة
والله اكبر ان يمزق امة
هي فسحة القدر التي تزجي بهم
وهي النذير لامة لعبت بها
عشرون عاما واصلت ايامها
دابت تدغم جيشها ونظامها
وبنو العروبة سادرون كأنهم
نخر الخلاف صفوفهم فاستقبلوا
وتناكروا والخطب في بحرانه
وصحوا على هول المصاب كأنما

داست محارمه بغير تورع
هبت لتحمي قدس تلك الاربع
وتسوق ركبهم لأوخم مرتع
اهواؤها في صفها المتصدع
صهيون في ثكناتها والمصنع
وتعد عدتها ليوم مفزع
في مأمن وظلال واد ممرع !
في فرقة هول المصاب المفجع
كالسيل مندفعاً بأرض بلقع
هبوا على أصدائه من مضجع !

* * *

فعسى النوايب تجمع الشمل الذي
وتحية لك يا اخي من شاعر
يهدي قوافيه اليك وليته
لكنها أغلى واثمن ما يرى
والى اللقاء وفوق تفرك بسمة
في فرحة تحيي موات عروبتى

عصفت به وتعي الحوادث من تعي
خلف الخطوط بقلبه المتلذع
اهدى اليك قذائفها في مدفع !
في عالم متحلل متصنع
وعلى جبينك تاج نصر اروع
وترد انفاسي وتجري ادمعي

محمد الحلوي

السبوة

لشاعر محمد بن علي العلوي



وزنجية لونها كالظلام
تري انها خلقت للعلی
وتزعم ان البها حليقة
ومن عجب انها قد غدت
وقد حسبت انها بلغت
عراها الفرور فضحت به
وقد اسندت ظهرها للجدار
تحيط بها نظرات الصغار
وتشتد من حولها ضجة
ومنيها ان نرى وجهها
وان تنظر العين ما نمقت
فيا ليتها لثمت بالنقاب
ويا ليتها سترت قبها
تذكرني دمية (الكرنفال)
اذا ما دخلت لحجرتها
وتفتح لي حضنها كالفراب
وترغمني ان ادغدها
يلذ لها ان تمر يدي

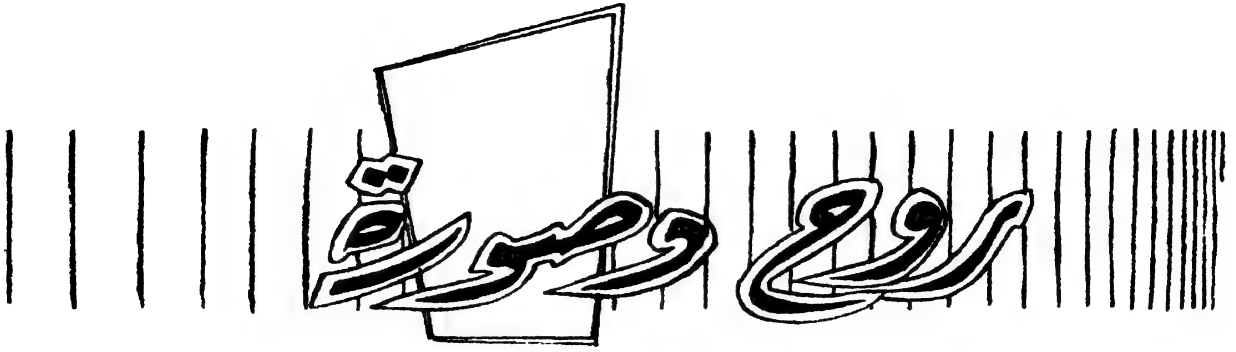
ترسيت الصدر في الفرفة
والمجد عاشت ولرفعة
وقد خصها الله بالحليقة
تري انها ربة الحكمة
بروعتها منتهى القمة
تباهي انسان بلا حشمة
كفعل العروسة في الحفلة
لتكتشف النور في الظلمة
فما تسمن من الضجة
وما قد علاه من الصفة
خطوط الوشام على الطلعة
وأخفت به طلعة العنزة
فكم ملأ القلب بالغممة
وما شوه الله للعبرة
أرى ظلمة الليل في الحجر
يمد الجناحين من ربوة
على رغم ما بي من العفة
على صدرها الصلب في رقة

امزات فارسي

للأستاذ عبد الكريم الطبال

الثلج ينبت في يدي ، يمتد أشجارا بلا ظل ولا زهر
يلتف كالاسوار في وجهي ، ويغلق كل أبوابي عن السر
فالنار في عيني تموت ، لان أرياح الصقيع تموج كالبحر
والصوت يغرب في فمي كالبرعم المسجون في أكمامه الصفرة
فانا اذا لم أشد في الثارات في زحف الى ساحاتنا الحمراء
لم أزرع البركان في مستنقع الاقزام ، لم اهتك عن الستر
فلان أوتاري بلا لحن . لان اناملي دوح بلا طير
لكن سأكسر كل أشجاري . لأزرع في يدي قيثارة الشعر
فلتصرخ البومات في الأشجار : يا ويلاه سوف يعود السحر
ليطير عشي في الرماد . لتسقط الاوراق ذاوية الى القبر
لتخر أسوار الجليد . لتكبر الافاق في غاباتها الخضراء
لتفيض من بين الانامل أنهر بيضاء في أرض من العطر
موشية بغريب أضواء بصبح في تلاوين الرؤى بكر
وليصمت الاحباب في عرس الدماء الى في ترتيلة الفجر
فانا وقيثاري سأمتشق اللهيب نضى في الساحات كالبدر

شفشاون : عبد الكريم الطبال



للأستاذ: علال الهاشمي الفيلالي

هي نجوى حقيقتي ورؤايا ! ..
في دمي النسك ، كي يغور هوايا
، واجتلي في السماء طيف هدايا
لفك الليل في سجون الحنايا
ثم ابدعتني شفيف السجايا
في فمي ، وارتعاشة في دمايا
اتراه يفيض بعد نهايا ؟
كيف زهو الضحى ، وسحر العشايا ؟
قد تلاشى لهائه في الخفايا
ام صدى الروح في شعور البرايا ! ؟

* * *

او انا انت لم تكوني سوايا .. !
وانا ظل طينة وخطايا .. !
وتذوي مثل الزهور منايا
انت معنى الخلود من دنيايا .. !
حشة ، في الحزن ، بين وادي الرزايا
والف الاحلام ملء هوايا
ماؤك العذب ما ارتوت شفتايا
هي لله في الضمير مرايا

رتلي - ربة الحياة - صلاة
واسكبي قدسي السنا ، واشيعي
وانشقي كالشذى من الله عطرا
كنت نورا في عالم الغيب ، حتى
فتلقيتني جنينا هميدا
انت نهر الحياة ! اضحى حراكا
كان يرغي في داخلي قبل علمي ! ..
اين نبع الحياة ... اين مداه .. ؟
زورق الفكر ... اين شطك منه
الرؤى .. ما الرؤى .. ؟ اطيغ غيوب

خالد انت ... ام انا في سماء ؟
نحن ظلان : انت ظل اليه
فامرحي قبل ان تميل بي الريح ،
وانزعي في ظلال حبك حينما
فلنسر في الهموم ، في الليل ، في الو
حيث اجنى قبل الشروق شعاعا
كل ما في الحياة انت ... ولولا
فيك - يا ابن الحياة - اسرار قدس

الرباط : علال الهاشمي الفيلالي

ويطربهما ان اداعبهما
فيا اخت ليل طويل الاسى
علام الحداد ؟ ومن ذا الذي
سئمتك يا جلد ما عزة
وعفت لاجلك كل السواد
ويا عمة الفاق قد اضممرت
صحبتك منذ الصبا مخلصا
وضحيت طول السنين فلم
وقضيت شرح الشباب ارى
لكم تبتغي النفس لو قدرت
لزمت الوفاء فكان الجزا
فشكرا لخالق هذا السورى
يفتح قوم عيون السورور
وافتح وقت الضحى مقلتي

وافصح باللمس عن لوعتي
ويا بنت عود من الارزة
فقدت من الاهل والاسرة ؟
رمته المقادير في وجهتي
ايامة النحاس والخسة
لك اليوم فرط القلى مهجتي
فما ذا استفدت من الصحبة ؟
الاق سوى الهم والمحنة
بجانبك الهم بالجملة
طلائك من غير ما رجعة
غبار الطباشير في المقلنة
على ما حانا من القسمة
* * *
على منظر الزهر في الجنة
ولست ارى غير ذي الفحمة

فاس : محمد بن علي العلوي

- لم افتح له -

قال سالم بن ابي الجعد :
اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم ، فاشتغلت بالعلم . فما مضى
علي سنة ، حتى جاءني الخليفة زائرا ، فلم افتح له .

وسائل الوصول إليها . هذا علاوة على كون هذه المخطوطات تختلط فيها الحقيقة بالأسطورة ، والواقع بالخيال ، الأمر الذي يكلف الباحث إحاطة تامة وشاملة بموضوعه ، وبطبيعة الأحداث والوقائع في تسلسلها التاريخي . وليس غرضنا هنا هو الإحاطة بالعوائق الكثيرة التي تقف في وجه الباحث ، وإنما اتينا ببعضها عرضاً ونحن بصدد تصور الجهد الكبير الذي يبذله كتاب التاريخ عندنا . أقول كتاب التاريخ ، ولا أقول (المؤرخون) بالمعنى الدقيق للكلمة ، لاعتقادي أن ليس كل من يكتب عن التاريخ يسمى (مؤرخاً) ما دام المؤرخ الحق هو ذلك الذي يكون له منهج في دراسة التاريخ . ونحن الآن نمر بمرحلة التجمع والحشد ، تجميع أكبر عدد ممكن من الحقائق والمعلومات التاريخية وحشدها والتقاطها من مظانها المختلفة ، فمن حديث عن مناهج التعليم في دولة مغربية ، إلى حديث عن أشهر مؤلفات حقبة معينة ، إلى آخر عن مسجد ما الخ . وما زال لم يوجد عندنا بعد ، ذلك المؤرخ الذي يأخذ بكل هذه الخيوط المتفرقة ، ليضمها في نسيج واحد . ومن الطبيعي أن نمر بهذا الطور الآن ، كمقدمة تتلوها نتائجها البعيدة المدى في المستقبل القريب أو البعيد ، فالمؤرخون لا يظهرون عادة إلا بعد انتهاء مرحلة التجمع تجميع المادة التاريخية ونقدها وتصحيحها ثم تقديمها إلى جمهور القراء كمراجع ميسرة يسهل تناولها والانتفاع بها على أوسع نطاق واشمل . خذ لذلك مثلاً ابن خلدون ، فهو لم يستطع أن يكتب كتابه العظيم في التاريخ ، إلا بعد أن سبقته مرحلة وضع الموسوعات الضخمة كتاريخ الطبري ، والكامل لابن الأثير وغيرهما وهؤلاء بدورهم ما كانوا ليعملوا عملهم العظيم ، لولا أن الذين سبقوهم وضعوا بين أيديهم اشتاتاً من الروايات والأخبار والأساطير ، بحيث تهيأ لهم أن يكونوا منها هياكل عظيمة للعصور التي أرخوها ، أي أنهم حولوها من معلومات متناثرة إلى سياق تاريخي مسلسل ، وبذلك استحقوا أن يحرزوا لقب مؤرخين (1) .

هذا وإن عندي شعوراً قوياً بأن مؤرخ المغرب يوجد جنباً في أحشاء هذه الأيام ، نظراً لتتابع الأبحاث التاريخية وتعدد جوانبها وخروج المخطوطات إلى وضوح النهار ، ونظراً لتطلع جبهة المثقفين إلى ذلك اليوم الذي تتحول فيه هذه المواد الخام إلى عمل منظم محكم التبويب ، فيه خلق وابتكار ، من حيث أسلوب التفكير

التاريخي الخاضع لمناهج البحث . فقد جرت العادة بأن يوجد المؤرخ عند ما تشتد الحاجة إليه ، وتتهيا المقدمات الضرورية لوجوده ، ويقوى تطلع الناس إليه وترقبهم لظهوره بين حين وآخر . وكل هذه العوامل موجودة عندنا الآن . هذا بالإضافة إلى البناء الضخم الذي أقامه الأجانب لتاريخ المغرب الحضاري ، على ما فيه من ثغرات وسموم لا يسلم منها عادة كل بحث يكتبه أجانب عن بلاد غير بلادهم ، تربطهم بها صلة ليس فيها تكافؤ ولا احترام ولا نزاهة ، هي صلة الغالب بالمغلوب ، والحاكم بالمحكوم ، والقوي بالضعيف ، والمستغل بمناطق النفوذ ، بحيث لم يسلم ما كتبوه من روح الدس والتآمر والتزييف ، مما تندس في تضاعيف الحقائق الكثيرة القائمة على منهج العلم ومقرراته ، فهذا العمل على علته كفيل بتقديم مساعدة قيمة لمؤرخ الغد .

ومن هنا يتضح لنا مدى العمل النافع المثر الذي تصدى له مثقفونا المعنيون بالمادة التاريخية ، وهو التهديد الفعال الإيجابي ليلاد المؤرخ المغربي المنتظر ، كما تمهد الأمطار لموسم الربيع . إلا أن مثل هذا العمل لا ينجو عادة من بعض العيوب والثغرات ، شأن سائر الأعمال الثقافية التي تأتي عقب الجفاف الفكري والنضوب الثقافي . إذ أنها أعمال رائدة ، لا تعتمد على سند من محاولات سابقة ، اللهم إلا تنفاً متفرقة هنا وهناك ، وليس من شأنها أن تقيم العثرات ، وتعصم من المزالق .

ولست أريد باعطاء نظرة موجزة عن هذه العيوب التنقيص من قيمة الجهود الكبيرة ، المبذول من طرف أولئك الرواد المعنيين بالتاريخ المغربي فقد اشدت بعملهم القيم في كلمات سابقة ، وإنما أريد التنبيه إليها عن حسن نية ، ومساهمة مني في إبراز نواحي النقص المتصلة بجانب من جوانب تطورنا الفكري الحالي . وهي عيوب تكاد تكون طبيعية — ولو في جزء منها على الأقل — إذا نحن نظرنا إلى الوسائل المحدودة التي يملكها من يتصدى لكتابة تاريخنا ، ولكنها قابلة للإصلاح اعتماداً على دروس التجربة ، وعلى ما يمكن أن يسفر عنه النقد البناء النزيه .

وملاحظتي الأولى هي أنني لا أرى واحداً انقطع لحقبة معينة من تاريخ بلادنا الفكري أو السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي فوقف كل جهوده عليها ، وإنما

(1) كان الأستاذ الجليل عبد الله كنون سابقاً لاوانه ، عندما وضع كتابه العظيم (النبوغ المغربي) الذي سيكون خير عون لمؤرخ المستقبل ، إذ وضع له علامات على الطريق ، وأزال منها الكثير من العقبات .

للحقيقة والتاريخ اذكر الاساتذة : المنوني وعبد العزيز بنعبد الله ومحمد ابراهيم الكتاني وعبد الله كنون وابن تاويت كاعلام بارزين ، ترتبط اسماءهم بهذه المرحلة من تاريخنا الفكري ، وستكون ابحاثهم نبراسا لمؤرخ المستقبل . حيث سيجد الطريق امامه معبدا ، فيبدأ من حيث انتهوا . منتفعا بفتوحاتهم التاريخية المظفرة ، وكلنا يعلم الصعوبات التي تواجه وتتحدى من يتصدى لكتابة تاريخ المغرب ، لعوامل شتى ، منها ندرة المصادر . فاعلمنا هو الذي عرف طريقه الى الطبع ، واكثرها ما زال مخطوطا يرقد في غياهب الظلام ، اما في المكتبات العامة . او في بعض المكتبات الخاصة ، هذه التي يوجد اكثرها بين ايدي شريحة ، تأبى ان تجود بشيء من نفائس ما تملكه من ذخائر الفكر المغربي . ولست أفهم كيف يجلس انسان تراثا ولا يتركه يتخذ طريقه الى ملايين المثقفين في المغرب والمشرق ، ليكون منهلا من مناهل المعرفة ، وليكشف عن جانب من جوانب العبقرية العلمية او الادبية للامة ، وانما يبقيه غارقا في الظلام ، نهبا للارضة ، عرضة للتلف ، مع انه ملك عام ، باعتبار انه صورة من صور الحياة العقلية للامة المغربية ، من حق كل مغربي ان يستفيد منها .

اضف الى ذلك ان فك طلاسم الخطوط القديمة بعد الجهد المضني للحصول على المصادر — يكلف الباحث كثيرا من التضحيات الجسام ، وكذا ما تزدحم به المخطوطات من اعلام يتوقف التعريف بهم على مراجعة عدد ضخم من المراجع ، وما اقلها واشقى

من اهم واجهات الفكر المغربي الحديث ، قسم الدراسات التاريخية الذي انصرفت اليه نخبة من مثقفينا البارزين ، ويكاد بعضهم يقف كل جهوده على هذه الناحية لا يتجاوزها ، وهو سعي مشكور ونافع وضروري في هذه المرحلة التي نجتازها من طورنا الفكري الحديث ، اذ اننا نلتمس الطريق الى شخصيتنا كمغاربة ، حتى لا تضيع وسط ركام من ثمار الثقافة الاتية من شرق وغرب ، فلم يكن استقلال المغرب الا اعادة الامور الى نصابها ، وفرصة لتتقية النفس المغربية من رواسب وضع متعفن ، حمل فيما حمل الينا الضياع في طريق غير طريقنا الطبيعي بصفتنا مجموعة من البشر لها كيان انتصب عملاقا عقودا من السنين ، ولكن اغارت عليه قوى عاتية اتخذته لها هدفا فشوهت معاله ، وكاد ان يتهاوى تحت ضرباتها القوية ، حتى استحال العملاق قزما يتقهقر في استحياء وتخاذل .

ولكن ها هو اليوم ينتفض وتعود اليه حيويته فيحاول الوقوف على رجليه وسط الاعاصير الهوج . اعاصير الثقافة العالية التي طوقت العالم ، وعرضت الشخصية القومية لكل امة صغيرة تبحث عن نفسها الى خطر شديد .

فلا يسعنا والحالة هذه ، الا ان نبارك هذه الجهود المثمرة التي نرى آثارها القيمة بارزة على صفحات مجلاتنا ، ولاسيما مجلة « دعوة الحق » التي تولي هذا الجانب قسما كبيرا من عنايتها . ووفاء

ان هناك بعض الدول أو الشخصيات التاريخية التي يتحمس لها المؤرخ ويعجب بها اعجابا كبيرا من شأنه ان يجعل حديثه عنها لا يسلم من بعض التحمس ، يمكنك ان تلمس ذلك عند بعض المؤرخين الذين تصدروا لتاريخ الدولة الاموية أو العباسية ، ودونك كتاب (قيام دولة المرابطين — صفحة مشرقة من تاريخ المغرب الأقصى) للدكتور محمد احمد محمود ، فقد اثنى مؤلفه بدولة المرابطين اشد اشد عظمة لا يكون كفاء لها في سموها وروعيتها الا عظمة المرابطين انفسهم وروعة نضالهم في المغرب والاندلس ، لاعلاء كلمة الاسلام ، ورد عادية المعتدين ، بل ان في عنوان الكتاب نفسه ما يشي بتحمس المؤرخ ، يظهر ذلك في عبارة (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب الأقصى) الموضوع مباشرة تحت عنوان الكتاب . ونفس الشيء نقوله بالنسبة الى كتاب (حياة محمد (ص)) لهيكل ، حيث بلغ اعجابه بصاحب الرسالة العظيم شأوا بعيدا جعل قلمه يدبج صفحات مشرقا تفيض اكبارا واجلالا للنبي الكريم . ولكن كلا من الرجلين لم يبلغ به التحمس الى حد الاخلال بالامانة العلمية والخروج عن مقتضى الموضوعية . وانت واجد هذا القدر من التحمس في كتابات الاجانب عن تواريخ بلادهم وامجادها وحضارتها واقرأ موسوعة ديرانت (قصة الحضارة) الواقعة في واحد وعشرين مجلدا ، وقف عند حديثه عن حضارة اليونان ، ثم عن حضارة عصر النهضة ، لتلمس مقدار ما ابداه من آيات الاعجاب . دون ان يترك ذلك يجره الى الخروج عن طبيعة التاريخ وحقائقه البارزة . فهذا النوع من التحمس لا ضرر منه . بشرط ان يكون معتدلا مقيدا بقيود الموضوعية والدقة العلمية . اما كتاب التاريخ عندنا ، فالحق ان فيهم من يكتب بهدوء أو بتحمس غير بالغ ، ولكن هناك آخرين يتجاوزون ما رسمته لهم قواعد كتابة التاريخ ، ويطلقون العنان لعواطفهم بشكل غير مقبول ، ولهذا الفريق اسوق هذه الملاحظة راجيا ان يتوبوا الى شيء من الاعتدال .

والى هنا اود ان اقف عند مسألة اعتقد ان من الواجبات اثارها في هذه المرحلة من تاريخنا بالذات ، تلك هي ان تاريخ المغرب الحديث لم يلق العناية الكافية او قل لم يلق عناية على الاطلاق ، من طرف المعنيين بتاريخنا . فجل ابحاثهم ان لم اقل كلها تتناول تاريخ المغرب القديم والوسيط ، وقل ان تتجه الى تاريخه مع انه حقبة مزدهمة بالاحداث ، حافلة بالوقائع ، عرف المغرب اثناءها شرا كثيرا وخيرا كثيرا ، وتعرضت فيها الارادة الوطنية لاختبار قاسي خرجت منه ظافرة بنعمة

للكشف عن صلة تاريخنا وحضارتنا المادية والمعنوية بتاريخ وحضارة أمم أو شعوب أخرى ربطتنا بها صلات قد تقوى وقد تضعف ، ولكنها على كل حال لم تتركنا دون ان تخلف فينا اثرا من آثارها ؟ لا يكفي ان نكتب فصلا عن تاريخ العلاقة بين المغرب وبين دولة ما ، فهذا لا يغني فتىلا عن رؤية هذه العلاقة في عمقها واتخاذها اساسا من اساس دراسة ورصد حقب من تاريخنا ، كان لهذه العلاقة اثر فيها وفي طبيعة احداثها ومجرياتها والذين كتبوا عن هذه العلاقات — مع احترامي لعلمهم — ادعواهم دعوة مخلص الى ان يحاولوا ايضاح آثارها على مختلف اوضاعنا قديما وحديثا . اما تركها لتظل ضمن اطارها الضيق ، دون ان تخرج عنه لتكون من أسس الدراسات التاريخية ، عندما نتناول بالحديث — مثلا — قيام دولة وسقوط أخرى ، او قيام بعض الفتن والقتال وما الى ذلك ، فبالرغم من اني لا افكر قيمة هذا العمل ، فاني في الواقع ارى انه يجب الانتفاع به في محاولة وضع ابعاد جديدة لتاريخنا عند ما يكتب ، سواء بالنسبة للسياسة أو الاقتصاد أو غيرها من نواحي الدراسة التاريخية . اريد من كتاب التاريخ عندنا ان يتبينوا الجسور التي عبرناها أو عبرها الغير البنا ، مضيفين هذا الجهد الى جهودهم الهادفة النافعة حتى لا تبقى علاقتنا بغيرنا باهتة غامضة . وانما تصبح ملموسة شديدة الوضوح .

وخامسة ، وهي ان الكتابات التاريخية عندنا . قسم كبير منها ينحو منحى انفعاليا مبالغا فيه احيانا كثيرة ، بدافع من حسن النية ، وامتلاء بامجاد تاريخنا الحضاري . حتى لربما يطلق الكاتب العنان لعواطفه ، فيتحول القلم الى مزمار ، والكلمات الى نشيد من اناشيد الحماسة الوطنية ، وهذا من شأنه ان يسيء الى الغرض الذي يتوخاه . ولو ان عمله هذا ترجم الى لغة اجنبية لكانت نتيجته على عكس ما توخاه الكاتب . فاذا شاء احد الحماسة فهناك قوالب لغوية أخرى خلقت لاداء مثل هذا الغرض من شعر وخطابة وليترك التاريخ الى ان تهدأ عواطفه ، ويتوب اليه رشده ، اذ ان التاريخ ليس منبرا للخطابة ، ولا عكاظ لالقاء القصائد وانما التاريخ حقائق ومستندات ، تعرض في هـدوء اعصاب وروية وتعقل ، ويعد عن الانفعالات .

واذا كنا قد اهبنا بكتاب التاريخ ان يلزم الموضوعية والدقة والتحري والبعد عن الحماس والخطابة ، فنحن لا نستطيع مطالبتة بأن يتجرد عن قدر معين من التحمس ، خصوصا في الموضوعات الحبيبة الى نفسه ، الاثيرة عنده ، مما يدخل ضمن تارخه القومي . فلاشك

كل باحثنا المعنيين بالتاريخ يوزعون جهودهم بين عهود قد تكون متباعدة ، على حين أن الحاجة ماسة الى التفرغ لكل حقبة على حدة ، قصد التوغل في اعماقها ، وقراءة جل أو كل ما كتب عنها ما بين مخطوط ومطبوع ، للاستفادة منه في تكوين هيكل لتلك الحقبة في ابعادها المختلفة . فنحن نرى أن من يكتب التاريخ عندنا — باستثناء البعض — تارة يعثر بمحض الصدفة على مخطوط قديم فينشره ، لينتقل بعد ذلك الى الحديث عن برج أو صومعة أو قبيلة ، ومن هذا الى ترجمة مقتضبة لعلم من اعلام الفكر المغربي ، وهكذا تتصل هذه الكتابات التي لاصلة بينها الا انها تنصب على التاريخ، اذ تعوزها الوحدة الموضوعية ، ولا سبيل الى انكار أن عملا من هذا القبيل ناتج عن مجهود يكون اجدى وانفع لو انه بذل في ناحية من النواحي لاعطائها حقها من التحليل والدرس . هذه واحدة .

اما الثانية فهي ان كتابة التاريخ عندنا تعوزها النظرة الواسعة ، والشمولية التي تعني رصد الظاهرة التاريخية حدثا كانت أو شخصية أو مظهر من مظاهر الحضارة ، مع ربط الصلة بينها وبين سائر المؤثرات التي عملت فيها من اجتماع وسياسة واقتصاد وفكر ، حتى تبدو في جذورها العميقة . وصلاتها المعقدة البعيدة المدى . قد نجد شيئا من هذا فيما ينشر على الناس من تاريخ المغرب الفكري والسياسي ، ولكنه يحتاج الى كثير من التوسع والاحاطة ، اما اخذ الظاهرة التاريخية كعنصر منعزل عن بقية العناصر المرتبطة بها كما هو واقع الا في حالات استثنائية شاذة ، فهذا فيه تشويه للتاريخ ، وقتل لروح الاصلية المتمثلة في اتصال الاحداث والوقائع والاشخاص وسائر المؤثرات الظاهرة والخفية وتجاوبها وتبادلها التأثير بكيفية شبيهة جدا بما يحدث بين ظهرانينا اليوم ، وبما سيحدث غدا وبعد غد والى ما شاء الله ، نعم قد تجد الباحث الذي لا يهمل هذا الجانب في بحثه أو مقاله ، بيد أن المراد هنا ليس هو مجرد التعرض للاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي رافقت ظاهرة من ظواهر التاريخ ، بل هو وضع الظاهرة في مكانها الطبيعي من تلك الاوضاع ، وعقد الصلة بينها برباط محكم حتى لتبدو الظاهرة في مكانها الطبيعي المقدور لها . واعتقد ان هذا ما يندر وجوده فيما ينشر علينا من ابحاث تاريخية ، وهذه ثانية .

واما الثالثة فهي أن النصوص غالبا ما تبقى جثثا هوامد ، فلا تستنطق لتهب اعماق ما عندها من اسرار فانت تجد عندنا البحث المزدهم بالنصوص والشواهد

الاتية من هنا وهناك ، ولكنها تبقى في سياقها شحيحة لا تفتح آفاقا للتأمل، ولا ابوابا الى الملاحظة والاستنتاج ذلك لان الكاتب يترك النصوص غارقة في صمتها العميق لا تفتح شفتيها لتحدث ، فجل كتاب التاريخ عندنا يهيمن بالنقول ووفرة المراجع لذاتها هيما كبيرا ، ويكدسونها بالعشرات ، حتى ليكتظ بها المقال او البحث ، وكثيرا ما تجد المقال مقتضبا ضيق الجوانب، ولكنه مشحون فوق طاقته بالنقول ، ومذبل بعشرات المراجع التي كانها يؤتى بها لتدل على مبلغ اطلاع الكاتب ، لا لتؤدي خدمة ضرورية للموضوع المطروق . فهذا الكلف الزائد بالحشد والتجمع لذاتها يعوق الباحث عن الوقفة الطويلة عند النص الواحد ، لتقليبه على مختلف وجوهه ، قصد استخلاص اقصى ما يمكن ان يعطيه من غوامض واسرار . فضيلة ان يتوفر الباحث على مراجع كثيرة متعلقة بموضوعه ، ولكن يחדش وجه هذه الفضيلة أن تحشر هذه المراجع حشرا من حيث لا داعي الى ذلك ، اما لضيق جوانب الموضوع ، حسب الحدود التي رسمها له الباحث ، واما لان الموضوع نفسه لا يتطلب كل هذا العمل . خصوصا اذا عرفنا ان بعض كتابنا يكون بعدد مسألة ، فاذا به يستطرد الى أخرى قد لا تكون لها علاقة بالاولى وذلك لاتخاذها مناسبة للزج بالصادر المتعلقة بها . الامر الذي يسيء الى الكتابة التاريخية باعتبارها ذات قواعد واصول . لعلك سائلني الان عن الامثلة المؤيدة لهذا الذي اقول ، ولكن الامثلة بلغت من الكثرة وسعة التداول ما يغني عن ايرادها .

ورابعة ، وهي أن التاريخ يكتب عندنا غالبا مفصولا أو يكاد عن مؤثراته الخارجية . فمن يقرأ ما كتب عن تاريخ المغرب الفكري والسياسي يخيل اليه ان المغرب معزولا عن التاريخ في البلاد العربية الاخرى وعن التاريخ في بعض دول أوروبا ، مع أن الواقع خلاف ذلك ، فلم تكن تطورات الاحداث في بلادنا الا متصلة باحداث وقعت في بلاد اجنبية ، قريبة أو بعيدة ، بحيث بادلتها التأثير ، وكان لها أصبع في صنعها ، فنحن لا نشذ عن عباد الله في تأثرهم بكل جماعة من البشر تربطنا بهم روابط من الفكر أو العقيدة أو السياسة أو الاقتصاد في حالة السلم وحالة الحرب ، في حالة التواصل وحالة التقاطع . وانما نحن كغيرنا من الناس ، اخذنا واعطينا ، وتركت المؤثرات الخارجية بصمات اصابعها على كل واجهات حضارتنا وتاريخنا ، بطرق واساليب مختلفة ، بكيفية مباشرة حيناً ، وبكيفية غير مباشرة احيانا . فأين هي الجهود المبذولة عندنا

فجاءت كتاباته نموذجا حسنا للشكل الذي احب ان يكتب به تاريخ بلادنا واقرا اذا شئت تلك الصفحات المشرقة التي تشع من كتاب (الفتنة الكبرى) للدكتور طه حسين ، وتاريخ سيرة سعد زغلول للمرحوم العقاد لتضع اصابعك على الاسلوب الحي المشرق ، الذي اعده خير معرض لاحداث التاريخ .

اما بعد ، فلا اخفي على القارئ اني مملوء اعجابا بهذه الفئة المخلصة من ابناء بلادي ، مكبر لها كل الاكبار ، لما تتجشمه من غوالي التضحيات ، في سبيل اظهار امجادنا وبطولاتنا وروائعنا التاريخية . فليس من السهل ان يترك الباحث الصفحات الناصعة البياض

الواضحة السطور ، الجميلة الطبع ، الى دفاتسر وكراسات وصحف قديمة تاكلت بمرور الزمن ، واكل الدهر عليها وشرب ... من اجل ان يحمل الينا اطرافا من احاديث اجدادنا الاقدمين ، وينشر علينا صورا من عبقرياتنا التليدة ، هذا مع قلة القراء ، وندرة وسائل النشر ، وانطباق الشفاه ، وصمتها القاتل عمن الاعتراف بالجميل ، وكم يكون جميلا ان يضيف الى حسناته تلك حسنة اخرى لا تقل عن سابقتها خيرا وبركة ، بان يجتهد حسب طاقته ليقدم الينا احسن ما يستطيع ، وما ذلك على همته بعزيز .

بقلم : عبد العلي الوزاني

الى وجه البخيل !!

لمست اعرابية كف ابياها فألفتها خسنة فقالت :

هذه كف أبي خسنها ضرب مسحاة ونقل بالزيبيل
فأجابها أبوها :

ويك لا تستنكري خسن يدي ليس من كد لعز بذليل
انما الذلة ان يمشي الفتى صاحب الذيل الى وجه البخيل

الاستقلال ، الامر الذي لفت نظر الاجانب ، فكتبوا عن هذه الحقبة عدة مجلدات ، من بينهم الاستاذ روم لاندو الذي اشتغل بتاريخ المغرب الحديث ، فافرد له بحوثا قيمة رغم ما ينقصها من عمق وشمول . ونذكر هنا بكل اعتزاز كتاب (المسألة المغربية) لمحمد خير فارس فهو قد القى أضواء على كثير من أحداث هذه المرحلة من تاريخنا الحديث .

فما الذي جعل باحثينا لا يولون هذه المرحلة الاهمية التي هي جديرة بها ؟ لعل مرد ذلك الى انهم فضلوا تناول المراحل البعيدة من تاريخنا على المرحلة الحديثة ، لكون هذه معاشة ووثائقها ميسرة ، فلا خوف عليها من ان يلغها الغموض ، ففي امكان الباحث تناولها وقتها شاء ، على حين ان الحقب القديمة يخشى عليها من ضياع قسم كبير من حقائقها ، نظرا لقلّة مصادرهما ، وصعوبة الحصول عليها ، ومشقة الانتفاع بها وهي على حالتها الحاضرة ما بين قليل مطبوع ، وكثير مخطوط . هذا علاوة على ما يخلفه القدم على الحقب القديمة من قداسة وجلال ، من شأنهما ان يثيرا خيال الباحث ، ويستدعيا اهتمامه المتزايد ، بينما الحقبة الحديثة ينتظر بها ان تصبح ماضيا بعيدا لتظهر بوضوح نتائجها البعيدة المدى في تاريخ المغرب . قد اكون مصيبا في هذا التعليل وقد اكون مخطئا . وسواء كان هذا او ذاك . فالشيء الذي لاشك فيه ان ورائنا مرحلة مهمة من تاريخنا . على حين انها حظيت باهتمام الاجانب ، وليس من مصلحة اجيالنا القادمة ان نستمر في اهمالنا اياها ذلك لاننا من شهود هذه المرحلة ، والذين يكتبون تاريخنا فيهم من عاشها طولا وعرضا وعمقا ، وبحكم ذلك فهو ملم بأسرارها ، التي ربما لا مصدر لها الا المشاهدة والمعاناة الحية ، وحرام ان تضيع تلك الحقائق بعد مرور عقود من السنين ، بانتهاء جيل المرحلة ، ودخول اجيال جديدة في حياة مغرب المستقبل تريد ان تعرفها ، فلا يتاح لها ذلك الا من خلال ما بين يديها من وثائق قد لا تكون كافية ، ولا مستوفية لكل عناصر الحقبة ونواحيها . وكم من حقائق تاريخية ضاعت علينا وعلى غيرنا ، لان المعاصرين لها لم يقوموا بتدوينها بوصفهم من الذين عاشوها وكانت لها اصداء قوية او ضعيفة في حياتهم ، فكان ان تعرضت لخطر شديد ، وقطع في شأنها بالظنون والتخمينات . وسوف لا تعذرنا الاجيال المقبلة اذا لم نقوم بهذا الواجب الان ، لان القدر كتب لنا ان نعيش في عصر العلم والطباعة ، ولان الحقبة التي نعيش اليوم فصلا من فصولها تعتبر من ادق حقب التاريخ المغربي . واذا لم

نكتبها فسيكتبها الاجانب ، كما كتبوا عما سبقها ، بل هم قد كتبوا عنها فعلا ولعلمهم بسبيل ان يزيدها درسا وبحثا ، وحينئذ لا يكون امام تلك الاجيال الا ان تعتمد كلية على المراجع الاجنبية ، ويكفي ان نتصور هذا ليدرك فداحة اهمال باحثينا لتاريخ المغرب الحديث . وما نحن نرى الان ان المشاركة الذين تصدوا لتاريخ المغرب القديم والوسيط ، كان جل اعتمادهم على المصادر الاجنبية لقلّة المراجع العربية ، فحملت بحوثهم بعض ما جاء فيها من عيوب ، بالرغم من الاحتياط الشديد والتحري الدقيق .

واخيرا يبدو من خلال ما قرأته من ابحاث تاريخية ان اكثر باحثينا لا يدخلون في اهتمامهم ان هناك قراء يجب ان يتخذ الكاتب وسائله للوصول الى نفوسهم وعقولهم لكسبهم واستمالتهم ، خصوصا اذا عرفنا ان شبابنا مفتون بحضارة الغرب وتاريخه ، الامر الذي يفرض فيما يفرضه محاولة جذب هذا الشباب وانتزاعه من احضان تاريخ الغرب ، ليلتفت الى تاريخ بلاده ضامنا اللذة العقلية والفنية معا ، وهذا يتطلب الاعتناء بالاسلوب عند كتابة التاريخ ، ليكون رشوة لذوق القارئ وتاليفا لقلبه ، اما الكتابة التاريخية عندنا ، فهي غالبا ما تتخذ اسلوبا جافا خاليا او يكاد من الرونق والمائية ، مع العلم بأن الباحثين يكاد الاجماع ينعقد بينهم على ان التاريخ مزيج من العلم والادب ، فلا هو بالادب الخالص ، ولا هو بالعلم الخالص ، وانما فيه من هذا وذاك ، وقد نص الكثيرون من الذين تعرضوا لهذا الموضوع ، على ان التاريخ لا يمكن ان يدرس بنفس الدقة العلمية التي تجري عليها التجارب العلمية داخل المختبرات ، ذلك لان التاريخ حقب ولت ومضت ، فلا نتعرف عليها الا بآثارها وهذه متشعبة الدلالة ، خاضعة لعوامل شتى قد تؤدي احيانا الى طمس حقائق التاريخ او تشويهها ، كما نصوا على ان الماضي البشري نفسه لم يكن ميتا ليعرض في صورة ميتة جافة ، وانما كان مليئا بالوان النشاط الروحي والدوافع العاطفية التي تستكن وراء الاحداث والاشخاص ، وليس من سبيل الى اعادة الماضي حيا نابضا كما كان الا بالجوء — عند الحديث عنه — الى الاسلوب الادبي الذي يحافظ للحقائق على موضوعيتها ، وفي الوقت نفسه يوصلها الى عقل القارئ ونفسه بكيفية محببة الى النفس ، تجعل من احداث التاريخ مصدر لذة عقلية وروحية في وقت واحد . وهنا لا يسعني الا ان انوه بما نشره الاستاذ عبد القادر الصحراوي من فصول في تاريخ المغرب ، تجمع بين الدقة العلمية وجمال الاداء

(2) والمكتبة العامة للكتب والمستندات بتطوان .

وفي كل واحدة منها :

(1) قسم خاص بالمطبوعات ، من كتب وصحف ودوريات بمختلف اللغات . ويلحق به قسم للبيبلوغرافيا المغربية .

(2) وقسم خاص بالكتب العربية المخطوطة . ويلحق به قسم حديث لحفظ ملفات الوثائق الادارية لبعض الوزارات .

6 — وتوجد في قسم المخطوطات بالرباط دفاتر تشتمل على مستندات رسمية تاريخية وهي مرتبة ضمن الكتب الخطية ، ويحمل كل واحد منها رقمه ضمن ارقام المخطوطات المتسلسلة . وتجعل له جاذبة خاصة به .

مثل بقية المخطوطات (1) ومنها ما زال لم يفهرس بعد .

7 — وفي الخزنة العامة مستندات تاريخية في ورقات منفردة وهي نسخ من رسائل رسمية وشبهها . ولم يتسع الوقت لفهرستها بعد .

8 — وبها مجموعة مهمة من الصور والخرائط التاريخية .

9 — ومن أهم المستندات التاريخية المغربية سجلات الاوقاف المسماة بالحوالات وهي تشتمل على بيان املاك المساجد والزوايا والمؤسسات الاحسانية .

وقد استخلص المؤرخ النسابة السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي المتوفى سنة 1363 هـ ، 1943 م من حوالات فاس مؤلفا ضخما في المؤسسات الاحسانية بفاس . وقفت عند اولاده على نسختين منه بخط مؤلفه .

وقد صور قسم المخطوطات بالخزنة العامة بالرباط على الشريط (الميكرو فيلم) ازيد من 60 مجلدا من هذه الحوالات .

وصور حوالي عشر مجلدات تتضمن وثائق اخرى .

(10) واما المكتبة العامة بتطوان . ففيها ايضا بعض المستندات التاريخية . والعمل جار لفهرستها (2) (11) كما وقع الشروع اخيرا في فهرسة وثائق القصر الملكي بالرباط .

(12) كما توجد كثير من الوثائق المتعلقة بتاريخ المغرب في خارج المغرب . في وثائق الدول التي كانت للمغرب معها علائق دبلوماسية ، وهي جل الدول المتحضرة ، في افريقيا ، وآسيا ، واوروبا ، والولايات المتحدة .

(13) وللمكتبة العامة بالرباط فرع في باريس باسم القسم التاريخي المغربي مهمته البحث عن الوثائق المغربية الموجودة في مختلف البلاد الاوربية ، ووضع فهرس لها وترتيب ما يوجد منها في كل بلد حسب العصور . ودراستها ونشرها بنصها العربي مصورا وبالحروف المطبعية مع ترجمتها الى لغة البلاد التي وجدت بها .

(14) وقد صدر منها لحد الان حوالي 18 مجلدا ضخما بعنوان مصادر تاريخ المغرب غير المطبوعة . وهي تتضمن بعض ما يوجد في البرتغال واسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولاندة عن العلاقات بين المغرب وهذه الدول .

(15) وفي هذا القسم بباريس صناديق كثيرة تتضمن عددا كبيرا من جذاذات فهرس كثير من الوثائق الموجودة في كثير من الدول .

(16) ولكن كثيرا من دول اخرى لا اثر للوثائق المغربية بها في هذا القسم ، مثل تركيا وامريكا ، وغيرها

(1) راجع الرجراجي وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزنة العامة برباط الفتح .

القسم الثاني ، الجزء الثاني ، مطبوعات افريقيا الشمالية بالرباط 1958 م ، رقم 2101 ، 2102 ، 2123 ، 2128 .

(2) راجع احمد الكتاسي ومصطفى الكوش : وثائق لدراسة تاريخ المغرب ، مراسلات مولاي الحسن الاول 1294 — 1311 هـ (1877 — 1894 م) (القسم الاول) المجموعة الاولى ، تتضمن 413 وثيقة . من 100 مطبعة منيرفا ، تطوان ، 1921 الكتاسي ومحمد الغازي الرويقي وثائق لدراسة تاريخ المغرب مراسلات وزراء مولاي الحسن الاول 1291 — 1308 هـ (1874 — 1891 م) المجموعة الاولى القسم الثاني ، يتضمن 308 وثيقة من 110 مطبعة المكتبة العامة بتطوان 1965 .

طبعةُ دور المحفوظات في المغرب ، وعلاقتها بدراسة تاريخ المغرب

يُسلم . محمد إبراهيم الكتاني

بعث اليُنا الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني محافظ قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط محاضرة كان قد قدمها لمؤتمر المستشرقين الدولي السابع والعشرين المنعقد في ان اربور . ميشيكان (الولايات المتحدة فيما بين 13 - 19 غشت 1967 عن طبعة دور المحفوظات في المغرب وعلاقتها بدراسة التاريخ المغربي .

وهي تنقسم الى : مكتبات قديمة ، ومكتبات حديثة .

*

4 — فالمكتبات القديمة توجد في المساجد والزوايا ، وهي اوقاف اسلامية بحيث لا يمكن بيعها أو تفويتها ، وانما يقتصر على الاستفادة منها والمحافظة عليها للأجيال المتعاقبة .

وهي كثيرة في المغرب ، مثل مكتبة جامع القرويين بفاس . ومكتبة الجامع الكبير بتازة ، ومكتبة الجامع الكبير بمكناس ، ومكتبة الجامع الكبير بوزان ، ومكتبة ابن يوسف بهراش ، ومكتبة المعهد الاسلامي بتارودانت .

ومكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت ، ومكتبة الزاوية الحمزاوية بآيت عيَاش ، ومكتبة تانغملت ، ومكتبة بزو ، وغيرها . وهي مكتبات للمخطوطات كما توجد بالمغرب مكتبات خاصة مثل : مكتبات القصور الملكية .

ومكتبات الانفراد من العلماء والباحثين .

5 — واما المكتبات الحديثة بالمغرب فاهمها .

(1) المكتبة العامة للكتب والمستندات بالرباط .

.. هذا هو العنوان الذي اقترح على ، واصطلاح

(دور المحفوظات) اصطلاح غير مستعمل بالمغرب . وانما يستعمل احيانا في بعض بلاد الشرق العربي ترجمة لكلمة (ارشيف) التي تترجم غالبا بالوثائق . ونحن نفضل ترجمتها بالمستندات لان الوثائق تستعمل في المغرب في الوثائق العدلية التي خصصها المغاربة بمؤلفات عديدة . وكان لها منذ عهد بعيد دور مهم جدا في الحياة الثقافية والاجتماعية بالمغرب .

1 — ومهما يكن ، فان المغرب ليست فيه — لحد الان — مؤسسة قومية لحفظ وثائق الدولة ومستنداتها التاريخية من مراسلات رسمية ، ومعاهدات وما اشبهها . وتنظيمها وفهرستها . على غرار ما هو موجود في كثير من الدول الحديثة .

2 — مع انه توجد بالمغرب ثروة مهمة جدا من المستندات التاريخية مفرقة في القصور الملكية ، وعند بعض الاسر التي سبق لبعض افرادها ان كانوا وزراء او سفراء او كتابا لبعض الملوك او الوزراء .

*

3 — وانما توجد في المغرب مكتبات لحفظ الكتب

الآلئين الا بقليل — بينها حوالي 150 تتصل بتاريخ المغرب (7) .

فقد أضيفت إليها — بعد الاستقلال — كثير من مخطوطات عدة مكتبات اهدتها مصلحة الاملاك المخزنية للخزانة العامة بالرباط .

واوقف السيد ابن عائش الكتبي بالرباط ازيد من ثلاثمائة مخطوط سلمها لقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط .

واسست بقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط جناحا بمخطوطات الاوقاف التي عثرت عليها في مكتبات الاوقاف (**) وخصوصا في مكتبة الزاوية الناصرية بتمامكروت التي تقع بوادي درعة على بعد نحو 400 كيلو متر جنوب مراكش حيث عثرت على حوالي 4000 مخطوط يكاد ما يتعلق منها بتاريخ المغرب يقارب المائة ، بينها بعض النوادر والفرائد اليتيمة (8)

وقد امر المرحوم محمد الخامس بنقل حوالي الف منها الى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط .

(25) ومن النوادر المتعلقة بتاريخ المغرب التي عثرت عليها بتمامكروت .

1 — المسند الصحيح الحسن . بذكر مآثر السلطان ابي الحسن (المريني) تأليف الخطيب ابن مرزوق (9) .

2 — والمجلد الاخير من (البيان المغرب) الخاص بتاريخ دولة الموحدين لابن عذاري المراكشي (10) .
ومن الفرائد اليتيمة :

1 — الاكسير . في فكك الاسير ، للسفير محمد ابن عثمان المكناسي المتوفى سنة 1214 هـ 1799 وهي رحلة عن سفارته لاسبانيا سنة 1193 هـ 1779 م (11)

(7) راجع ليفي بروفانسال : فهرسة أسماء الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة المدرسة العليا للغة العربية بعاصمة رباط الفتح (ص 124 — 62) (القسم الاول) .

وعبد الله الرجراجي وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الاقصى) القسم الثاني (1921 — 1953) الجزء الثاني ص 101 — 141 (مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية ، شارع بيارن رقم 22 الرباط 1958) .

(8) راجع عبد الله شقرون : اكتشاف مخطوطات عربية نادرة في المغرب . حديث مع الاستاذ ابراهيم الكتاني ، مجلة (الاذاعة الوطنية) الرباط ، العدد الثالث عشر . السنة الثانية (غشت) 1959 — ص 14 — 16 .

(9) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى رقم 166 الدار البيضاء 1960 م .
وزارة التهذيب الوطني : قائمة لنوادير المخطوطات العربية ، بمناسبة الذكرى المائة بعد الالف لجامعة القرويين بفاس . الرباط 1960 م ص 67 رقم 300 .

(10) راجع امبروسي هويسى مراندة : مقدمة الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذاري تطوان 1960 ص 8 — 9 .

وعبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى الدار البيضاء 1960 رقم 468 .
(11) راجع محمد ابراهيم الكتاني : الكتاب المغربي وقيمته . مجلة (البحث العلمي) العدد 4 و 5 السنة الثانية ، يناير — غشت 65 ص 11 .

ومحمد الفاسي : مقدمة (الاكسير) الرباط 1965 ص 11 و 12 و منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، مطبعة اكدال ، الرباط ، 1965 م .

وعبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى الطبعة الاولى تطوان 1950 رقم 1143 والطبعة الثانية الدار البيضاء 1965 رقم 1434 .

* الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني كان ضمن بعثة مؤلفة من موظفي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ووزارة التعليم حيث كلفت هذه اللجنة بالتوجه الى مكتبة الزاوية الناصرية بتمامكروت قصد كشف المخطوطات الموجودة بهذه الخزانة .

وقد اعطت وزارة الاوقاف كامل التسهيلات لهذه اللجنة الادارية وصرفت اموالا على هذه الكتب لجلبها الى الخزانة العامة بالرباط حيث عمل المسؤولون على تنظيمها وترتيبها وفهرستها قصد الاستفادة منها حاليا وللآجيال المقبلة !!
« دعوة الحق »

17) وأما الكتب المخطوطة في المكتبات المغربية المختلفة ، فإن لها على العموم صلة بالتاريخ المغربي من قريب أو بعيد ، حتى ولو كانت في موضوع غير تاريخي كما لا يخفى .

18) وإن ما اعتاده كثير من المؤلفين العرب في العصور المتأخرة من الاستطراد والخروج عن موضوع الكتاب الأصلي لادنى مناسبة — كما يقولون — جعلك تعثر على معلومات تاريخية صميمة ، في كتب بعيدة بعدا كبيرا عن موضوع التاريخ (3) .

19) وقد جرت عادة كثير من الناسخين والمجلدين أن يتركوا في أول الكتاب وآخره أوراقا بيضاء ، وكثيرا ما يكتب بعض مالكي الكتاب في هذه الأوراق البيضاء تقييد مختلفة ، وقد يكون من بينها معلومات تاريخية : من وفيات بعض الملوك والحكام أو الصالحين أو حدوث وباء أو حريق أو حرب أو ثورة أو ما أشبه ذلك بينما الكتاب قد يكون في موضوع بعيد اشد البعد عن التاريخ ، أما لاذكار أو الإمداح النبوية أو الطب أو الحساب أو غير ذلك (4) .

20) وأما الكتب التاريخية أو القريبة الصلة بالتاريخ فإن للمغرب منها ثروة مهمة تتناول تواريخ دوله ، والمحدثين ، والوزراء ، والكتاب ، وأهل بعض القرون ، وبعض المدن ، وبعض الأقاليم ، وبعض القبائل ، وبعض العائلات ، وبعض الطرق الصوفية ، وما أشبه ذلك (5) ويقارب عددها — فيما وصل إليه علمنا في الوقت الحاضر — الثلاثة آلاف كتاب وإذا استثنينا من هذا العدد ما يعتبر ضائعا وما وقع التساهل في عده من كتب التاريخ مع بعد صلته بها ، فإن العدد الباقي بعد ذلك يتجاوز الألف كتاب بكثير .

21) وقد ردد عبيد المستشرقين الروس كراتشكو فسكي — أكثر من مرة — قوله : أن التأليف التاريخي استمر منتعشا في المغرب ، ابتداء من القرن الخامس عشر حتى فاق المغرب في هذا بقية الاقطار العربية ، وظل هذا الفن يشغل اهتمام علمائه المحليين الى القرن العشرين ، كما أن نمط الرحلة التقليدي بقي حيا الى القرن التاسع عشر (6) .

والواقع أن نمط الرحلة التقليدي استمر هو الآخر الى القرن العشرين . وما يزال الى اليوم . 23) والظاهر أن ما أشار إليه من استمرار التأليف التاريخي منتعشا في المغرب يرجع بالآخر الى اعتزاز المغاربة القوي باستقلالهم السياسي الذي ظلوا متمتعين به طوال تاريخهم الإسلامي ، وتفانيهم في المحافظة عليه ، وتمسكهم الشديد بشخصيتهم الخاصة فلم يصبهم ما أصاب البلاد العربية الأخرى من جراء الحكم التركي . مما جعل الثقافة العربية تحافظ على ازدهارها في المغرب .

وهذا التعليل أقرب من التعليل الذي نقله كراتشكوفسكي (6) عن بروكلمان من أن الانقلابات العديدة في الحكومات قد عاونت كثيرا على إمدادهم — يعني علماء المغرب بالمادة اللازمة !

ولاشك أن كثرة ما ألفه المغاربة في الميادين التاريخية التي لا تتصل بميدان الانقلابات الحكومية تدل على ضعف التعليل الذي ذكره !

24) يناهز عدد المخطوطات العربية في قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط اليوم عشرة آلاف مخطوط . بعد أن كان على عهد الحماية لا يتجاوز

3) راجع محمد المنوني : المصادر الدفينة في تاريخ المغرب مجلة (البحث العلمي) التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس السنة الرابعة العدد العاشر يناير — أبريل 1967 من 9 — 19 . مطبعة الرسالة بالرباط .

4) راجع محمد إبراهيم الكتاني : جولة في المخطوطات العربية الإسبانية ، مجلة (دعوة الحق) ، الرباط ، السنة العاشرة ، العدد الثاني ، ديسمبر 1966م من 74 ، 75 . والعدد الخامس أبريل 67 ص 53 — 54 .

5) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، الطبعة الأولى 1369 هـ 1950 مطبوعات معهد مولاي الحسن ، المطبعة الحسنية ، تطوان المطبعة الثانية 1960 و 1965 دار الكتاب ، الدار البيضاء .

6) راجع اغبا طيوس يوليا نفنتش كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي تعريب صلاح الدين عثمان هاشم . ص 461 و ص 730 . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1963 و 1965 .

الخصوصية ، وحتى بعض المخطوطات الموجودة خارج المغرب (16) .

(28) وتجاوز اشربة المخطوطات في قسم المخطوطات بالخرانة العامة بالرباط الف مخطوط ، وبها نحو مائتي مخطوط في تاريخ المغرب . ومنها :

(29) 1 — المجلدان الرابع والخامس من كتاب الدر المنتخب المستحسن ، في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن ، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن الحاج السلمي المتوفى سنة 1316 هـ 1898 م (17) .

(2) المجلدات الستة التي ما زالت مخطوطة من كتاب الاعلام ، بمن حل مراكش واغامت من الاعلام . للقاضي عباس ابراهيم المراكشي — وقد سبق ان طبعت منه الاجزاء الخمسة الاولى — .

(3) الظل الوريف ، في محاربة الريف . للقاضي أحمد بن العياشي سكيرج ، المتوفى عام 1363 هـ 1944 م .

وهي معلومات عن ثورة التحرير الريفية بقيادة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله .

تلقاها المؤلف شفاها من احد قادة الثورة السيد محمد ازرقان الذي كان منفيا بمدينة الجديدة وكان المؤلف قاضيا بها .

(16) راجع محمد ابراهيم الكتاني : جولة في المخطوطات العربية باسبانيا ، مجلة (دعوة الحق) التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط . السنة التاسعة . العدد التاسع والعاشر . يوليو — غشت 1966 ص 82 — 87 ، السنة العاشرة العدد الاول — نوفمبر 1966 ص 64 . العدد الثاني ديسمبر 1966 ص 93 — 98 . العدد الثالث يناير 1967 ص 92 — 97 العدد الخامس ابريل 1967 ص 53 — 58 .

(17) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب رقم 542 . الدار البيضاء 1960 .

(18) راجع محمد الفاسي : الخزانة السلطانية وبعض نفائسها . مجلة (البحث العلمي) — الرباط — العدد الرابع والخامس ، السنة الثانية ، يناير — غشت 1965 م مطبعة الرسالة بالرباط ، ص 68 — 77 .

وراجع محمد ابراهيم الكتاني : العثور على خمس مخطوطات من (البيان المغرب) بمكتبة القصر الملكي بالرباط لم تكن معروفة من قبل . مجلة (تطوان) للابحاث المغربية الاندلسية ، منشورات الجامعة المغربية كلية الاداب ، معهد —ولاي الحسن للابحاث المغربية الاندلسية . العدد التاسع 1964 م ص 167 — 171 .

(19) راجع عبد الله كنون : المخطوطات العربية في تطوان . مجلة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية . القاهرة . المجلد الاول . الجزء الثاني نوفمبر 1955 ص 170 — 189 .

ويقع في حوالي مائة ورقة .

(30) ومن نشاط قسم المخطوطات بالخرانة العامة بالرباط قيامه بترتيب مخطوطات مكتبة القصر الملكي بالرباط وتنظيمها وفهرستها والتعرف على نفائسها وذخائرها .

وقد ناهز ما اتمنا — لحد الان — تسجيله وفهرسته التسعة الاف مخطوط ومن بينها — من المخطوطات المتعلقة بتاريخ المغرب . وكثير من النوادر والفرائد اليتيمة (18) .

(31) وفي قسم المخطوطات بالخرانة العامة بتطوان حوالي 900 مخطوط . ولم يشرع في فهرستها الا حديثا . ولا تخلو من بعض المخطوطات التاريخية ، ولكن ليس فيها ما له قيمة خارقة للعادة . (19)

(32) ومن اهم مراكز المخطوطات العربية بالمغرب مكتبة جامع القرويين بفاس . حيث يوجد ازيد من ثلاثة آلاف مخطوط . ولكن تقل بينها المخطوطات التاريخية وخصوصا المتعلقة بتاريخ المغرب . ومن بينها :

مجلدان ضخمان مشتملان على وثائق متعلقة باملاك المرابيع من بلاد جبر والساورة بارض البيض ، بتاريخ عام 1111 هـ 1699 م وهي من الاقاليم التي

2 — هداية الملك العلام الى بيت الله الحرام ،
لاحمد بن محمد بن داود بن يعزى ابن يوسف احزي
الجزولي الهشتوكي المتوفى سنة 1127 هـ 1715 م
وهي رحلته الاولى للحج من تغازي سنة 1096 هـ
1684 م (12) .

3 — رحلته الثانية للحج سنة 1121 هـ 1710 م
وهما معا مبيضة المؤلف بخطه (12) .

4 — رحلة الحج لعبد الله ابي مدين بن احمد بن
الصغير الدوعي الروداني المتوفى عام 1157 هـ 1744 م
وكان حجه عام 1152 هـ 1739 م . (13)

وجاور بالمدينة ثم حج ثانية ورجع عام 1155 هـ
1742 م وفيها معلومات طريفة مفيدة في تاريخ المغرب.
وكان ذهابهم عن طريق الصحراء ورجوعهم عن طريق
تازة وفاس ومكناس ومراكش .

5 — ورد الشهي العاطش ، وصولة الاسلام
بالعرائش وهي ارجوزة ليوسف بن محمد الشودري
التطواني ، تحتوي على نحو سبعين ومائة بيت ، نظمها
بمناسبة تحرير مدينة العرائش من الاحتلال الاجنبي
عام 1101 هـ 1689 م (14) .

وعثرت في مكتبة الجامع الاعظم بمدينة تازة على
1 — مجموعة من الاوراق المحتلطة تبين بعد ترتيبها
الذي تطلب وقتا طويلا انها تتضمن : حوالي عشرين
رسالة موحدية اغلبها من مؤلفات المهدي بن تومرت
(514 هـ) (1130) .

واذا كان اغلب ما في هذه المجموعة موجودا في
المجموعة المعروفة بكتاب (اعز ما يطلب) المطبوعة في
الجزائر سنة 1321 هـ 1903 م . فان فيها — مع ذلك ،
ومع ضياع بعض اوراقها — مخالفات مع النسخة
المطبوعة .

كما ان بها رسالتين موحديتين غير معروفتين :
احدهما بعنوان : رسالة امير المومنين ايداه الله الى
جزولة ، والثانية : الى جماعة اهل التوحيد .

وبها كذلك (كتاب الجهاد) الذي اكمله الخليفة
ابو يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن (580 —
594 هـ) 1180 — 1199 م وهو بتاريخ ربيع الاول
595 هـ (يناير 1199) .

ولا تعرف منه نسخة في مكان آخر .
وهذه اول مرة يعلن فيها عن العثور على هذه
المجموعة .

2 — مباحث الانوار ، من اخبار بعض الاخبار
تأليف احمد ابن يعقوب الولاوي نزيل مكناس المتوفى
سنة 1118 هـ 1706 م (15) .

وعثرت في المكتبة اليوسفية بهراكنش على مجلد
ضخم مختلط الاوراق ، لا اول له ولا آخر وبعد جهد
جهيد وجدته شرحا لبعض رسائل المهدي ابن تومرت .
ومؤلفه يسمى نفسه ابا بكر ؟

ويسمى المهدي بالمعصوم ! ويترضى عنه كلما
ذكره ، مما يدل على انه الف في عهد التحمس لوصف
ابن تومرت بالعصمة ! ويتجلى من كلام المؤلف اطلاعه
الواسع على كتب كبار المتكلمين والاصوليين من
الاشاعرة . وهو مفيد جدا في معرفة آراء الموحدين من
الكلامية والاصولية وخصوصا حول القياس والاجتهاد
الذين كثر الجدل بين المؤرخين المغاربة المعاصرين حول
موقف الموحدين منها ، وهو جدير بالدراسة المتعمقة .

26 ويوالي قسم المخطوطات بالخزانة العامة
بالرباط عنايته بتنمية عدد مخطوطاته وخصوصا
التاريخية منها ، وعلى الاخص المتعلقة بتاريخ المغرب .
27 ومن اهم اعمال قسم المخطوطات بالخزانة
العامة بالرباط قيامه بتصوير كل ما يستطيع التوصل
اليه من نواذر مخطوطات الاوقاف ومخطوطات المكتبات

(12) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى الدار البيضاء 1965 رقم 1617 ورقم 1486 .

(13) راجع عبد السلام ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الدار البيضاء 1965 رقم

(14) راجع محمد داود تاريخ تطوان ، المجلد الثاني ص 13 التعليق 1 تطوان 1384 هـ 1965 معهد مولاي الحسن للبحوث .

(15) راجع عبد السلام ابن سودة دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، الدار البيضاء 1960 رقم 856 .

العلّافات السّياسيّة بين مملكتيّ غرناطة وفاس في منتصف القرن الثامن الهجري

(الرابع عشر الميلادي) لوزير لسان الدين ابن الخطيب

- كتب الشفاعة -

تحقيق الدكتور محمد كمال شبانه

تقديم

من اكابر شيوخ ابن الخطيب - رحمه الله - واعلامهم . الامام العلامة قاضي القضاة بفاس . الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن علي القرشي المقرئ التلمساني ، وهو جد صاحب كتاب « نفح الطيب » اديب المغرب المشيخ احمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1024هـ)

ولد هذا الجد بتلمسان ، وبها نشأ ، ثم سكن فاس المربنية ، وبها اشتهر « عالما عاملا . ظريفا ، نبها . رابيا . نبلا . فهيمًا ، متيقظًا ، جزلا ، محصلا (1) » . رحل الى المشرق ، وقضى فريضة الحج ، وفي رحلته هذه التقى بالعلماء ، ثم عاد الى المغرب ، حيث انقطع لتبشير الثقافة بين طلابها . « فلما ولي ملك المغرب السلطان . محالف الصنع ، ونشيدة الملك ، واثير الله من بين القرابة والاخوة ، امير المؤمنين ابو عنان اجتدبه ، وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه ، وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقل بذلك اعظم الاستقلال ، وانفذ الحق ، والان الكلمة ، وآثر التسديد ، وحمل الكل . وخفض الجناح ، فحسنت عنه القالة ، واجبته الخاصة والعامة . حضرت بعض مجالسه للحكم فرايت من صبره على اللدد (2) ، وتأنيه للحجج ، ورفقه بالخصوم ما قضيت منه العجب » .

وما زال الشيخ يمارس قضاء الجماعة - على نحو ما راينا - حتى حيل بينه وبين المنصب ، ولم يكن هذا يعني عدم الاستفادة كلية من الرجل ؛ فقد بعثه السلطان ابو عنان الى معاصره بالاندلس . السلطان ابي الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر ، سابع ملوك بني الاحمر ، فوصل الى الحضرة بغرناطة في اواخر عصر هذا السلطان على الأرجح ، وقضى غرض الرسالة . واثناء منصرفه بدا له في مدينة مالقة ان ينبد الخدمة في المغرب ، وان يبقى بهذه المدينة منقطعًا للعبادة . بيد ان الرفاق سرعان ما خلوا بينه وبين ما اراد . ولحقوا بالسلطان المريني ، حيث انبأوه بما كان من امر سفيره الشيخ ، واوغرت الحاشية صدر ابي عنان تجاهه ، وكان صاحبنا قد « لحق بغرناطة فتذمم بمسجدها ، وجار بالانقطاع الى الله ، وتوعد من يجيره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه » وهنا ينهض تلميذه لسان الدين ابن الخطيب مدافعًا عنه ، مستشفعًا ابا الحجاج لدى ابي عنان ليصفح عن شيخه ، وبفقر له زلته . وصدرت في هذا الشأن مكاتبات سياسية بين بلاطي غرناطة وفاس ، تقدم اليوم منها ما عثرنا عليه في مخطوط ابن الخطيب ، « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » الاسكوريال 1712 - وهي ثلاث وثائق ، تدور في جملتها حول هذا المضمون ، وقد حمل بعضها - صحبة المستشفع له - كل من الشيخين : قاضي الجماعة ابي القاسم الحسني

1 (المقرئ : نفح الطيب ج 7 ص 132 .

2 (نفس المصدر ص 133 - 134 .

استمرت تحت حكم الدولة المغربية الى اوائل هذا القرن (رقم 40 — 779) . (20)

وليس لمخطوطات القرويين فهرس مطبوع باستثناء قائمة لا قيمة لها (21) .

33) وقد عرف المغرب في القرن 19 منذ عـرف المطبعة حركة نشيطة لطبع — مخطوطاته التاريخية ، واستمرت حركة النشر حتى في عهد الحماية على الرغم من محنة اللغة العربية والثقافية المغربية في هذا العهد البغيض . وما ان استعادت الامة استقلالها السليب حتى عرف نشر مخطوطات التاريخ المغربي نشاطا ملحوظا حيث تقوم المطبعة الملكية بنشر مجموعة من

نوادير مخطوطات مكتبة القصر الملكي التاريخية ، كما قام مركز البحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس بتعاون مع معهد مولاي الحسن بتطوان بنشر مجموعة مهمة من المخطوطات التاريخية المغربية وكثير منها مما عثرنا عليه اثناء البحث عن نوادر المخطوطات بعد استقلال المغرب ، * وهذا زيادة على نشره بعض المؤلفين او بعض دور النشر الخاصة .

وما يزال في كل من المكتبتين العامتين بالرباط وتطوان ومكتبة القصر الملكي وبعض مكنتات الاوقاف وفي بعض المكتبات الخاصة مخطوطات تاريخية عديدة تنتظر دورها للنشر هي الاخرى .

الرباط : محمد ابراهيم الكتاني

20) راجع العابد الفاسي : خزانة القرويين ونوادرها . مجلة معهد المخطوطات العربية — القاهرة — المجلد الخامس الجزء الاول . مايو 1959 ص 8 — 16 .

21) راجع برنامج يشتمل على بيان الكتب العربية الموجودة بخزانة جامع القرويين بعاصمة فاس . فاس بالمطبعة البلدية بدار المكنة سنة 1917 ويعرف بفهرس بل .

* وتتميمها للفائدة فقد عرفت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية هي الاخرى حركة نشيطة في بعث الثقافة الاسلامية بنشر امهات الكتب والمؤلفات . ونفائس المخطوطات التي تزخر بها المكتبات المغربية العامة منها والخاصة .

فقد اسدر قسم التاليف والنشر التابع لهذه الوزارة عدة مخطوطات ونفائس لامهات الكتب النادرة نذكر بعضها .

— « اربعون حديثا في اصطناع المعروف » . تأليف ابي محمد عبد القوي المنذري ، وشرح ابي زيد عبد الرحمان الثعالبي ، تعليق وتقديم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، والكتاب يقع في نحو 100 ص من الحجم المتوسط . انجز طبعه سنة 1962 .

— الجزء الاول من كتاب (مختصر العين) تأليف ابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي ، قوم نفسه وعلق على حواشيه وقدم له ، الاستاذان علال الفاسي ، ومحمد بن تاويت الطنجي ، والجزء في 80 صفحة من الجرم الكبير ، طبع سنة 1963 .

— كتاب (الاعلام بحدود قواعد الاسلام) ، تأليف ابي الفضل القاضي عياض اليعصبى رحمه الله ، الجزء الاول من كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك) لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تأليف ابي الفضل القاضي عياض اليعصبى السبتي رحمه الله ، تحقيق وتعليق وتقديم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي . طبع في حجم كبير 216 صفحة سنة 1965

وقد أصدرت الوزارة في هذه السنة الجزء الثاني من كتاب ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك . تصحيح وتعليق الاستاذ عبد القادر الصحراوي .

وقدم الجزء الثالث من هذا الكتاب للطبع وسيكون قريبا بين أيدي القراء .

— التمهيد ، لما في الموطن المعاني والاسانية ، تأليف الامام ابن عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي . « دعوة الحق »

ولما صدر فيما تقدم من التماس وصولهم ما لم يهيئه المقدار ، و صحبه الاختيار ، عزم الان - والله يسني توفيقه ، ويسهل طريقه - على قصد بابكم ، الكفيل بالامل الضمين لنجاح العمل ، ليجدد العهد بتعظيم مثابته ، وييث ما يعانیه بسبب تشتت شمله من كاتبه ، ويباشر الرعية بنفسه واثقا بتلبية المقام الكريم واجابته . ولم يزل منه هذا العزم معمل الركائب مفتوح الابواب ، لا سيما مع ما تقدم في شأنه من مخاطبة ذلك الجنب ، وكنا نكل الامر الى اختياره عند ورود الخطاب ، فيعتذر بما قرر من الامور الخاصة والاسباب . والان افصح بتغلب شوقه ووجده ، وارتفاع اعذاره واستقامة قصده ، وشرع في اللحاق بابكم الاعلى بفاية جده ، وطلب عنا ان نخاطبكم في شأنه ، ونستمر له من مقامكم سحائب احسانه . ونرغب منكم في تيسير امله ورغبته ، واسعاف قصده ونيل طلبته . ومقامكم غنى عن التنبيه على من اشهر بالخلوص له ولسلفه ، والدعاء الصالح في دياجى الليل وسدفه ، والثناء الكريم الذي يخجل الزهر حين مقتطفه .

فبادرنا الى اسعاف سوله ، وتيسير مأموله ، ونسهل سبيله ، وترجيح دليله ، اذ هذه الجهات الودية لا يختلف - كما ذكرنا - حكمها ، ولا يعفو في المودة رسمها . (45 : ب) وعرفنا مقامكم بذلك ليكون منه على علم مقرر ، وأصل محرر . ونحن - على ما بعلمه مقامكم من التعظيم الذي اسبابه مبرمة - من التسبيح الذي آتته محكمه ، والود الذي حله مطرزة معلمة - لا يمر يوم الا ولدنا عن مقامكم العلي سؤال ، وفي تسني آماله - بحول الله - آمال . وهو سبحانه يصل سعودكم ، ويحرس وجودكم . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب في الرابع وعشرين لرجب الفرد ، من عام اربعة وخمسين وسبعمائة (1) عرف الله بركنه .

« الوثيقة الثانية »

« المقام الذي يجب الشفاعة ويرعى الوسيلة ، وينجز العدة ويتم الفضيلة ، ويضفي مجده المنن الجزيلة ، ويعيي حمده المادح العريضة الطويلة ، مقام محل والدنا الذي كرم مجده ، ووضح سعده ، وصح في الله تعالى عقده ، وخلص في الاعمال الصالحة

قصده ، واعجز الالسنه حمده ، السلطان الكذا (أبو عنان فارس) ابن السلطان الكذا (ابي الحسن علي) ابن السلطان الكذا (عثمان) . ابقاه الله - سبحانه - لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها ، واخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها ، معظم سلطانه الكبير ، وممجد مقامه الشهير ، المتشيع لأبوت الرقيقة قولا باللسان واعتقادا بالضمير ، المعتمد منه بعد الله على الملجأ الاحمى والوالي النصير ، فلان (السلطان أبو الحجاج يوسف بن السلطان ابي الوليد اسماعيل ، بن فرج ، بن نصر) .

سلام كريم ، طيب برعميم ، يخص مقامكم الاعلى ، وأبوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله الذي جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاه خلاها ، وميز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها ، حمدا يكون كفؤا للنعم التي اولاهها واغادها ووالاهها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله الترقى من درجات الاختصاص ارفعها واعلاها ، الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها واجلاها ، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها . والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها ، وعسل ذكركم في الافواه (2) فما اعذب اوصافهم على اللسان واحلاها . والدعاء لمقام أبوتكم - حرس الله تعالى علاها - بالسعادة التي يقول الفتح : انا طلاع الثنايا وابن جلاها ، والصنائع التي تخرق المفاوز بركائبها المبشرات فتقلى فلاها ، فانا كتبنا اليكم - كتب الله تعالى لكم - عزة مشيدة البناء ، وحشد على اعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء ، وقلدكم من فلاند مكارم الاخلاق ما يشهد لذاتكم منه وبسابقة الاعتناء - من حمراء غرناطة - حرسها الله - والود باهر السناء ، مجدد على الاناء ، والتشيع رجب الدسيسة والفناء .

والى هذا - وصل الله تعالى سعدكم ، وحرس مجدكم - فاننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح ابي عبد الله المقرئ خار الله تعالى لناوله ، وبلغ الجميع من فضله العميم امله ، جوابا عما صدر عن مثابتنكم فيه من الإشارة الممتثلة ، والمأرب المعملة ، والقضايا غير المهملة ، نصادركم بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يرد ، وظلماها عن نهل قبولكم لا تجلى ولا تصد ، حسبما سنه الاب الكريم

(1) الموافق 19 يوليو 1353 م .

(2) عسل ذكركم : وجده الناس طيب المذاق ، واستعذبوا الحديث عنهم .

السبتي ، والشيخ الخطيب ابي البركات بن الحاج البلفيقي « متافهين (السلطان المريني) بالشفاعة في غرضه ، فانقشعت القمة ، وتنفست الكربة » ، وعفا أبو عنان عن الشيخ ، واكرم وفاده الرسولين (1) .

فيما يلي تقدم هذه الوثائق الثلاث :

« الوثيقة الاولى »

(43 : 1) ، ومما كتب في غرض الشفاعة (43 : ب) ، بسبب الفقيه الحذر ، الخطيب ابي عبد الله بن مرزوق ، الى السلطان المذكور (ابي عنان فارس المريني) بما نصه :

« المقام الذي ظلل فضله ممدودة ، وينابيع جوده مورودة ، وأبواب مثابته مقصودة ، وحركات اقباله مرصودة ، وكتائب نصره مؤيدة معصودة . وجواهر فخره على ترائب الزمان ونحره منسوقة منضودة . مقام محل اخينا الذي نصل الثناء على معاليه . ونقتنص نتيجة النصر من مقدمة وعده وتاليه ، ونردد مفصل حمده ونوالية ، على استمرار الدهر وتواليه ، ونوعد العدو الكافر به وبمن يواليه ، وننذر به بحلول الآثار العلوية عند شيم بوارق عواليه . السلطان الكذا (فارس) أبو عنان ، بن السلطان الكذا (ابي الحسن علي) بن السلطان الكذا (عثمان) . ابقاه الله مقصود الجناب واصلا لمتين الاسباب ، تحيي اسنة كتابه رسوم السنة والكتاب ، وتتكفل عزائمه للاسلام واهله بنيل الطلاب وبلوغ الارباب ، ولا زال سعده مقبل الشباب مفتاح الابواب ، وصنع الله له انيق الاثواب ، ومراقبته لله تعالى كفيلة بالزلفى وحسن المآب . معظم مثابته العالية وجادته السامية ، المعتد بعزائمه الماضية ، المثني على مكارمه الوافية وفواضله الكافية ، الداعي لملكه باتصال العز وتوالي العافية . الامير عبد الله يوسف ، بن امير المسلمين ابي الوليد اسماعيل . ابن فرج ، بن نصر .

سلام كريم ، (44 : 1) ، برعميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ومثابكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

اما بعد حمد الله ولي الحمد واهله ، والثناء عليه بمتواتر جوده ومترادف فضله ، الذي نمحض الود الخالص من اجله ، ونصل اليد على دفاع من حاد عن سبله ، ونخلص الضمائر لاعلاء دينه الحق وجمع

(1) نفس المصدر ص 134 .

شملة . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله ، خيرة انبيائه وخاتم رسله ، الذي نعول على جاهه في الامر كله ، ونأوى في الدنيا والاخرة الى ظله . ونجعل المودة في ابتغاء مرضاته وسيلة الى كريم محله . والرضا عن ءاله واصحابه وانصاره واحزابه واهله ، المقتدين به في قوله الكريم وفعله ، المهتدين بهديه في ظعنه وحله ، وعقده وحله ، المستمسكين بمتين حبله ، والدعاء لمقامكم الاعلى بنصر يمضي في الاعداء شبا نصله ، وصنع يتكفل للاسلام يسوق فرعه وثبات اصله - فانا كتبناه اليكم - كتب الله لكم سعدا تطلع به افق الاسلام كواكبه ، ونصرا تسطر في صحف الايام عجائبه ، وضعا الاهيا يعرف بالحاضر منه غائبه ، واعتناء تتيسر به آمال الدين الحنيف ومطالبه من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من التشيع لمقامكم عقائد بواطنها بالظواهر معضوذة ، واوقاتنا بما يرضي الله - عز وجل - مشهودة . وآمالنا بالاعتداد بكم ظلالة ممدودة ، (44 : ب) وجهاتنا بتأميل مقامكم ابواب المخاوف عنها مسدودة . ابقاكم الله بقاء يشرح صدر الاسلام . وتتهلل له وجوه الايام ، وحكم لملككم على أعدائه بثبات الاقدام ونصر الاعلام .

والى هذا ، فانا - بعد ان تقدم الواجب الاولى - والمهم الذي لا تؤثر على تقديمه قولا - من السؤال عن احوال ذاتكم السنية ، وتقرير التشيع الى تلكم المثابة السلطانية ، وبث ما عندنا من خلوص الضمير ومحاض النية - نعرفكم - عرفكم الله اسباب السعادة الابدية ، ونصر بعزماكم طائفة الامة المحمدية ، ونفع المسلمين بما لنا فيكم من المقاصد الودية - ان الشيخ الفقيه الخطيب الحاج ابا عبد الله بن مرزوق - وصل الله عزته ، ويسر وجهته - لما ورد علينا ، واستقر لدينا - وهو جملة من جمل الفضل ، والمستولى على امر الحصل . وفارس المنابر يروض صعابها ، ويفرع هضابها - قمنا جهد امكاننا بحقه ، وعرفنا له مزية سبقه ، واقتدينا بكم وببابكم الكريم في ترفيع قدره ، والمثابرة على بره ، وسوغنا لمستفيد العلم مورد افادته ، وشددنا عليه يد الاغتياب في ابدائه واعادته ؛ اذ هذا القطر المنقطع يتوفر فيه الاغتياب بحملة السيوف وحملة العلوم ، وهؤلاء قادة الجهاد المحتوم ، وهو للاء قادة ما للدين من الرسوم ، ومع ذلك فلم يقر له بتفريق شمله قرار ، ولا فارقة اليهم حنين ولا اذكار ، والاطوان (45 : 1) لا تفارقها الافكار ، والاولاد ثمرة الفؤاد ، وافلاذ الاكباد .

« الوثيقة الثالثة »

« ... والى هذا ، فاننا وقفنا على كتابكم الكريم في شأن الشيخ الصالح الفقيه الفاضل ابي عبد الله المقري ، وقفنا الله واياه لما يؤلف لديه ، وهدانا لما يقرب اليه ، وما بلغكم بتقاعدته بمالقة ، وما اشترتم به في امره ، فاستوفينا جميع ما قررتم ، واستوعبنا ما اجملتم في ذلك وفسرتم . واعلموا يا محل والدنا ، - امتعنا الله ببقائكم الذي في ضمنه اتصال السعادة ، وتعرف النعم المعادة - اننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور ، وتكليف جزل بما تفضلتم به وسرور ، تعرفنا انه تقاعد بمالقة عن صحبه ، واظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه ، وصرف الوجه الى التخلي مشفقاً من ذنبه ، واحتج بأن قصده ليس له سبب ، ولا تعين له في الدنيا ارب ، وانه عرض عليكم ان تسمحوا له فيما ذهب اليه ، وتقروه عليه ، فيجعل المدار ، ويمهد تحت اياتكم القرار . فلما بلغنا هذا الخير ، لم يخلق الله عندنا به مبالاة تعتبره ، - ولا اعدناه فيما يذكر ، فكيف فيما ينكر ، وقطعنا ان الامر فيه هين ، وان مثل هذا الفرض لا تلتفت اليه عين ؛ فان بابكم غنى من طبقات اولى الكمال ، ملئ بتوسيع الامال ، موفور الرجال ، معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال ، والصلحاء اولى المقامات والاحوال ، والادباء فرسان الروية والارتجال . ولم ينقص بفقدان الحصى اعداد الرمال ، ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المثال ، مع ما علم من اعانتكم على مثل هذه الاعمال ، واستمساكم باسعاف عرض من صرف وجهه الى ذي الجلال .

ولو علمنا ان شيئاً يهجس في خاطر من امسر مقامه ، لقابلناه بعلاج سقامه . ثم لم ينشب ان تلاحق بحضرتنا بارزا في طور التقلل والتخفيف ، خالطاً نفسه

باللغيف ، قد صار نكرة بعد العملية والتعريف ، وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر الا لصلاة يشهد جماعتها ، ودعوة للعباد يخاف اضاعتها . ثم تلاحق ارسالكم الجلة ، الذين تحق لمثلهم التجلة ، فحضروا لدينا ، وادوا المخاطبة الكريمة كما ذكر الينا ، وتكلمنا معهم في القضية ، وتنحلنا في الوجوه المرضية ، فلم نجد وجها اخلص من هذا الفرض ، ولا علاجاً يتكفل ببر المرض ، من ان كلفناهم الإقامة التي يتبرك يمين جوارها ، ويعمل على ايثارها ، بخلاف ما نخطب مقامكم بهذا الكتاب الذي مضمونه شفاعة يضمن حياؤكم احتسابها ، ويرعى انتمائها الى الخلوص وانتسابها ، ويعيدها قد اعملت الخطوة اثوابها .

ونقصدكم - ومثلكم من يقصد في المهمة ؛ فانتم المثل الذائع في عموم الحلم وعلو المهمة - في ان تصدروا له مكتوباً مكمل الفصول ، مقرر الفصول . بذهب الوجل ، ويرفع الخجل ، ويسوغ من مآربه لديكم الامل ، ويخلص النية ويرتب العمل ؛ حتى يظهر ما لنا عند ابوتكم من تكميل المقاصد ، جرياً على ما بذلتم من جميل العوائد . واذا تحصل ذلك كان - بفضل الله - اياه . واناخت بعفوة وعدكم الوفى ركابه ، ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه . وانتم ممن يرعى أمور المجد حق الرعاية ، ويجرى في معاملة الله تعالى على ما اسس من فضله البداية ، وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الاسلام والحماية . هذا ما عندنا اعجلنا به الاعلام ، واعملنا فيه الاقلام ، بعد ان اجهدنا الاختيار وتنحلنا الكلام ، وجوابكم بالخير كفيلاً ، ونظركم لنا للمسلمين كفيلاً . والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام .

جامعة القاهرة في : 18 \ 8 \ 1967 م

حققه

الدكتور محمد كمال شبانه

والجد ، والقيب الذي وضع منه في المكارم الرسم والحد ، ولم تصدر الخطاب حتى ظهر لنا من احواله صدق المخيلة . وتبلج صبح الزهادة والفضيلة ، وجود النفس الشحيحة بالعرض الادنى البخيلة ، وظهر تخليه عن هذه الدار . واختلاطه بالليف والعمار ، واقباله على مايعني امثاله من صلة الاوراد ومداومة الاستغفار، وكنا لما تعرفنا اقامته بما لقة لهذا الفرض الذي شهره ، والفضل الذي ابرزه العيان واظهره . امرنا ان يمتنى باحواله ، ويعان على فراغ باله ، ويجري عليه سيب من ديوان الاعشار الشرعية وصريح ماله ، قلنا: اما اتاك من غير مسالة مستند صحيح لاستدلاله ، ففر من ما لقه على ما تعرفنا لهذا السبب ، وقعد بحضرتنا مستور المنى والمنسب، وسكن بالمدرسة (1) بعض الاماكن المعددة لسكنى التسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب ، بحيث لم يتعرف وروده ووصوله الا ممن لا يؤبه بتعريفه ، ولم تتحقق زوائده واصوله لقلّة تصريفه .

ثم تلاحق ارسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعة وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعة . وقررنا ما تحققناه من امره . وانقباضه عن زيد الخلق وعمره ، واستقباله الوجهة التي من ولى وجهه شطرها فقد أثر اثيرا ، ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيرا وخيرا كثيرا، وسألنا منكم ان تبيحوه ذلك الفرض الذي رماه بعزمه، وقصر عليه اقصى همه ، فما اخلق مقامكم ان يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ، ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقي وقسمه ، ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعمله ، ويعول البريء على فضله ويشق المذنب بحلمه . فوصل الجواب الكريم بمجرد الامان وهو ارب من

اراب ، وفائدة من جراب . ووجه من وجوه عراب . فراينا ان المثل بعد جفاء ، والاعادة ليس بشقلها خفاء ، ولمجدكم بما ضمنا عنه وفاء وبادرنا الان الى العزم عليه في ارتحاله ، وان يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله ، وان يقتضي له ثمرة المقصد ، ويبلغ طية الاسعاف في الطريق ان قصد ؛ اذ كان الامان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلا ، والديق المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصلا . ولما مدت اليد في تسويغ حالة هديكم عليها ابدأ يحرض ، وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض . فكملاوا ابقاكم الله - ما لم تسعنا فيه مشاحنة

الكتاب ، والحقوا بالاصل حديث هذه الاباحة فهو اصح حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم ، وخلوا بينه وبين مراده من ترك الاسباب . وقصد غافر الذنب قابل التوب (2) باخلاص المتاب ، والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب، واظهروا عليه عناية الجناب، الذي تعلق به - اعلق الله به يداكم - من جناب ، ومعاذ الله ان تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الاراب (3) .

وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها احمد المناب ، ويقتضي خلاصها بالرغبة لا بالغلاب . وهما فلان وفلان (4) ، ولولا الاعذار لكان في هذا الفرض اعمال الركاب ، يسبق اعلام الكتاب ، وانتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل . ويربي (5) على التأمل ، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل ، وهو سبحانه يقيقكم لتأييد المجد الاتيل ، وائالة الرغد الجزيل . والسلام يخص مقامكم الاعلى، ومثابنتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب في الحادي والعشرين لجمادى الآخرة ، من عام سبعة وخمسين وسبعمائة (6) .

(1) من منشآت السلطان ابي الحجاج صاحب هذه الرسالة ، كان قد شيدها لتستعيد ماضي لدها في قرطبة الاموية ، وقد قصدتها الطلاب والعلماء من كافة الجهات ، وكانت تقع في درب ضيق يحاذي شارع الملكين الكاثوليكين بفرناطة ، بيد ان المبنى القديم قد ازيل منذ القرن الثامن عشر الميلادي، ولم يتبق منها الان - كما شاهدهت بنفسي - سوى محراب مسجد ذي النقوش والزخارف الخطية . اما بقية المبنى فقد حولته بلدية غرناطة الى مقر ادارة المهرجانات الموسيقية العالمية ، التي تقام بهذه المدينة في رحاب الحمراء من كل عام .

(2) اقتباسا من قوله تعالى : « غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير » . سورة غافر : آية 3 .

(3) الاراب : جمع ارب - بوزن سبب واسباب - وهو المطلب والبغية .

(4) لم يفصح عن اسم الرسولين ولكنه ذكرهما في « الاحاطة » على نحو ما فصلنا فيه القول عند التقديم يربسي : يزيد .

(6) لعل هناك خطأ من الناسخ في هذا التاريخ ؛ اذ المعروف والمشهور ان السلطان ابا الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر قد توفي في يوم عيد الفطر من عام 755 هـ !!! .

مؤلف نتيجة الاعتصار من دسائس الانتصار ، وكما الف الصحراوي كتابا في الرد على من قال شرف العلم أفضل من شرف النسب ، ورد المحدث أبو العلاء العراقي على ابن زكري في الحديث الذي رواه وهو من دخل هذا الدين فهو من العرب والحديث الذي أورده ابن زكري هو ما نصه .

« في رواية ابن عساكر عن أبي مسلمة بن عبد الرحمن : « يا أيها الناس إن الرب واحد . وإن الأب واحد ، وليست العربية من أحكم باب ولا أم ، وإنما هي اللسان . فمن تكلم بالعربية فهو عربي » ، أورده السيوطي في الجمع » .

على أن الدولة السعدية كانت تعتمد على هذه الطائفة في الحروب ، ولذلك فقد أخذوا يمتنعون عن التجنيد وجاء في التحفة القادرية ما يلي : (وأراد المتوكل على الله أن يغزو عمه (زيدان) صاحب مراكش وسوس فأمر اللطيين بتجهيز ثلاثة آلاف رجل للحركة فشق عليهم ذلك ، وطلبوا من القاضي ابن أبي النعيم أن يكلم السلطان المذكور في أعفائهم من ذلك ، وكانوا شيعة زيدان الذين أرحلوه إلى فاس . فأجابهم القاضي إلى ذلك وكلم السلطان فلم يقبل ، وذكره بنصرتهم لزيدان ولكنه أبى فأجابهم القاضي بما أجابه السلطان وحذرهم وخامة العاقبة ، فاتهموه بالميل إلى السلطان لأنه أندلسي . والاندلسيون من شيعة السلطان المذكور فاتفقوا على الغدر به ، وقد اغتالوه انتقاما منه . في ذي القعدة سنة 1032 فانتقم منهم السلطان بدوره حيث خرج إلى جبل لمطة وحارب اللطيين وأحرق وخرب جميع قراهم ومدائشهم وقطع جميع أشجارهم الخ ...

وهكذا استمر الصراع بين الطائفتين وسجله الشاعر أبو عمر عثمان اليوسي بقوله : .

هذا وقد كان بفاس فرقتان
ملتهم واحدة لا ملتان
قد لقبت أحدهما المهاجرين
أخراهما تدعى الحضور الفاخرين
وهذه تزعم وصف السؤدد
وتدعى المجد بلا مستند
وهذه دعوى بلا برهـان
كلتها كفارسي رهـان

لاحظ ابن خلدون ولكن الارتباط القبلي في العرف البربري لم يكن ارتباطا أساسه العزة بالتاريخ الماضي ولكن أساسه العزة بالعدد ، ولذلك لم يفكـروا في البحث عن أجداد أو اصطناع تاريخ واكتفوا بالتفاخر بقوة القبيلة وعددها ، ولم يجدوا غضضا بعد انتشار الإسلام في المغرب أن يأخذوا في ربط صلتهم النسبية بآل البيت للسبب الأنف الذكر ، كما فعل المهدي بن تومرت ، ولكن مع ذلك فقد بقيت القبيلة العربية في المغرب تبحث عن منفذ آخر لوجودها بعد سقوط الإدارة وحملة بني موسى ابن العافية ، وكان ذلك في البحث عن سيادة أدبية ولهذا فقد نشأ في المجتمع (طبقة الإشراف) أو طبقة (آل البيت) وكان لهؤلاء نفوذ قوي في المجتمع الذي ظل مخلصا لآل البيت ، واستطاع كثير من رؤسائه أن يكونوا طبقة خاصة . وحظوا بامتيازات مادية ، وأدبية ، كاستقاط المكوس والضرائب عن بعضهم ، وتكوين مراكز عديدة للأشرحة تضم (صناديق) لجميع العطايا والهبات ، وتخصيص بعض وظائف الدولة لهم ، وتكون (نقباء) يدافعون عن حقوقهم ويحتكمون اليهم وقد بلغ من اعتبار النسب إلى ضرورة رعايته في كثير من المناصب ، حتى أن أحد شرفاء العصر السعدي قال للمنصور السعدي الذي قدم أحد العلماء للصلاة ، إذ كان قدمه علمه فقد أخره نسبه (1) ، ولاشك أن هذا النظام استدعى تدوين النسب وتخصص كثير في هذا العلم لصيانتته حيث أخذ يختلط بمن يدخله من منتهزين أو بما يخرج منه من منتسبين ، وطبيعي أن تقابل هذه الطبقة من الإشراف ، طبقة من عامة الناس كما يسميهم علماء النسب ، وطبقة من ضعفاء النسب الذين كانوا يسمون في مدينة فاس بأوصاف خاصة كما أن من الطبيعي ألا تستمر الوية السلام مخيمة على هذا الجو.

ولذلك لا عجب أن يتصدى أحد علماء فاس وهو الشيخ ابن زكري لكتابة مؤلف يحلل دعاوي الإشراف وما خصوا به من مزايا ، واستطاع ابن زكري أن يعطي للإشراف قيمتهم الدينية وما يفرض لهم من احترام ، ولكنه زيف المبالغات والخصائص التي بالغ فيها بعضهم .

وقد ناصره العلامة السيد أحمد بن عبد السلام بناني المتوفى في (6 شعبان سنة 1234 هـ) بكتاب الوجد المغربي بنصرة العلامة ابن زكري ، كما رد عليه

(1) تقدم الإمام المنجور للإمامة بالمنصور فطلب اليحمدي تأخيرها عن الإمامة به ، فقال له المنصور قدمه علمه ، فأجابته : ولكن أخره نسبه ، (انظر نزهة الحادي للإفراني) .

مجتمع فاس في القرن الحادي عشر الهجري

لأستاذ حسن السايح

الاسباب الخفية لما يبدو على فريق من رضى وعلى آخر من حمية بناء على رأي المؤرخين القدماء لهذه الحقبة : ثم عن الاسباب الخفية التي تجعل هذا الزائر الغريب يلاحظ صراعا عنيفا بين اصناف من الناس يناقشون بعنف قضايا تبدو بسيطة ، كان يكون احدهم اساء في توجيه الخطاب الى غيره فلم يستعمل عن قصد او عن سهو كلمات الاحترام المعتادة ، وقد يستغرب هذا الزائر أن يرى دكاكين تتميز بعلامة خاصة وبطريقة ما في رفوف ابوابها ، الى غير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية .

قد يتساءل هذا الزائر عن الاسباب الخفية لهذا التمايز ، وهل ذلك يرجع لاسباب اقتصادية او لاسباب سياسية اذ ان نوعا (تمايزيا) خاصا يتجلى في هذا المجتمع بشكل واضح ، ولكن ليس كنظام الطبقات الخيرية الذي حلله كارل ماركس في كتبه ، ولا كنظام الطبقات عند الهنود الذي يفصل بين الطبقة والاخرى بسد منيع ، ولكنه نظام طبقي يتسامح احيانا حتى يكاد يختفي ، ويبدو حادا عنيفا آونة اخرى حتى تسيل له الدماء . لم يكن طبقيا اقتصاديا ، فقد نرى رجلا فقيرا ولكنه محترما ، ولم يكن سياسيا تولد عن تغلب جماعة ضد اخرى ، ولم يكن سلاليا بالمعنى العنصري الدقيق ، ولكنه نظام طبقي من نوع آخر سأحاول ان اعطيك صورة عن اسبابه الاولى انحدر عنها .

ولنرجع الى الماضي قليلا لنرى انه كان من الضروري ان تعتمد الدولة الرابطة ، والدولة الموحدة ، بنظام قبلي لتحقيق اهدافها السياسية كما

تعيش المجتمعات واجهتين حضاريتين ، الواجهة التي تبدو فيها الحضارة المادية الواضحة في العمران والفن والموسيقى ، واللغة ، والتطور التقني . والواجهة الخفية التي تستبطن العالم اللامرئي حيث تتفاعل علل التماسك الاجتماعي . واسباب ابـراز المواهب . وطريقة التعبير عنها مما يعطي شكلا واضحا للواجهة الحضارية مختلفا بحسب الزمان والمكان . وهكذا نجد مظهر الحضارة العمرانية وحيوية المجتمع باديا يشف عن العوامل الخفية التي تعطي لذلك المظهر صورته الحقيقية . وعندما نحاول استجلاء العلل والاسباب الحقيقية التي تكمن وراء المظهر الخارجي نعر على بوضوح ، اذا نحن احسنا التحليل وتوفرنا على العناصر الكاملة لذلك .

وسأحاول اعطاء صورة عن واجهة الحضارة المغربية في فاس في اوائل القرن الحادي عشر الهجري حيث نجد انفسنا امام مجتمع متماسك . معتر بشخصيته مؤمن باديولوجيته ، حريص على اقتفاء تقاليده ، سعيد بهكاسبه ، ولعل الرجل الغريب الذي يزور المدينة العتيقة يلاحظ في تداخل الازقة ، وتعانق المباني ، وتقسيم المياه . وتنظيم الحرف ، وما يتجلى به بعض السكان من رضا وقناعة ، مما يثير في نفسه البحث عن الاسباب الحقيقية لهذه القناعة وهذا الرضى البادي على بعض الوجوه ، ثم عن هاته الحمية والعصبية الذي تتجمل بها وجوه اخرى .

ولعالم الاجتماع ان يبحث عن كل جزء من هذه الاجزاء بالتفصيل والتدقيق ولكني سأحاول ان اظهر

نابغة فلسطين

في الشعر المغربي الحديث

للأستاذ محمد الرزق

الى فجيلة 5 يونيه المنصرم ، ولقد تعمدنا ، حتى لا نقطع حبل الاستعراض ، الا نبدي رأيا نراه أو حكمًا نصدره فيما تقدم من نموذج ، ولكننا عدنا في الاخير فذيلنا هذا الاستعراض الشعري بجملة ملاحظات وآراء ان لم تكن عين الصواب فلعلها اليه أقرب منها الى اي شيء آخر .

* * *

ان صفحات « الوطنية » في ديوان الشعر العربي صفحات فيها روعة ، وفيها جلال ، وفيها اشراق ، ونحن اذا عمدنا الى هذا الديوان الضخم نقلب صفحاته على توالي العصور ، بهرتنا قصائد تعج بحب الوطن ، وهو حب متوقد لا يخمد ، مزهر لا يذبل ، وشدهاتل اشعار بالتحرق والتشوق لارض طيبة ليس بهم أن تكون شحيحة أو معطاة ، وفي هذه الصفحات نقرأ الروائع التي تنضح دمعات ، وتتأود زفرات ، تلك التي سالت بها حنجرة الشاعر العربي في المشرق حين انقض على اوطانهم شر ، مظلّم ، أسود ، دعى مرة تتساروا ، وسمي أخرى حربا صليبية ، وتنفست عنها قريحة الشاعر العربي في المغرب يوم غير الناس في الاندلس ما بأنفسهم فغير الله — جل شأنه — ما بهم .. وانه لنتاج انساني ، تبهى ثناياه بصدق العاطفة ، وتشرق

أريد — أولا — ان أشيد بحسن اختيار اصدقاء المعتمد لموضوع مهرجان الشعر المغربي الثالث ، فكلنا نعيش فيفيض احساسا ودفق فكريا معركتنا القومية المحيرية وانها لمعركة يجب ان تستهلك كل طاقاتنا ، وتستأثر بكل اهتماماتنا ، واننا لدعوون الى خوضها بكل ما نملك من سلاح . وما نذكر من قوة .. والكلمة الشامخة القوية الا دفة سلاح مهيت ، يتوجب حمله في المعركة ، ولست احسب الا ان هذا الاحساس بقيمة الكلمة وخطورتها متى كانت طيبة ، صادقة ، خالصة هو الذي دفع باخواننا « اصدقاء المعتمد » الى اختيار فلسطين الجريحة ، السلبية . موضوع مهرجانهم الشعري الثالث ، وهو اختيار اذا كان يعكس معنى من المعاني فلن يكون هذا المعنى غير ايمان الجيل الجديد — شعرائنا بوجوب التزام الادب للمعركة العنيفة التي يخوضها الانسان العربي ببسالة ، لا يلين ولا يتخاذل ، من أجل حريته ، ومن أجل مصير ارضه الطيبة ، ومن أجل مصير معتقداته الروحية .

واريد — ثانية — ان اشير الى ان هذا الحديث لا يؤلف في جملته دراسة مركزة ، ولا يشكل في مجموعه بحثا مستقيضا ، وليس يعدو أن يكون استعراضا يتسم بحظ غير يسير من الايجاز لاسهامنا الشعري في مواكبة القضية الفلسطينية منذ حيكت خيوطها الاولى

كما يصف المكلائي ابا النعيم بقوله :

وقاضى الورى اودى شهيدا وانه

لفي داره دار النعيم بمعزل

وقد ألف ابن المثير كتابا في الرد على ابن زكري وانصاره سماه (نصره الشرفاء) ، وكل هذا يدل على مدى الصراع بين الذين اعتمدوا النسب ، والذين لا يعتمدونه .

وقد اقتضى ذلك ان يتخصص في كل أسرة من يؤرخ امجادها ليحافظ على شجرتها ولذلك نرى كتباً كثيرة تختص في تراجم اعيان القبيلة الواحدة ككتاب الحلل المدودة في مآثر بني سودة لسليمان الحوات ، والروضة المقصودة والحلل المدودة في ذكر بني سودة بل ان هذا الصراع العائلي الذي اقتضى قصر الحرف على طائفة دون أخرى أدى الى هذا المظهر من الشرف والمجد الذي يعتز به فريق من الناس ، وهذا الرضى وهذه القناعة التي يلجأ اليها الفريق الآخر ، مما لاحظته الاجنبي فلم يعرف اسبابه الحقيقية .

بل ورد ما هو أخص من هذا : وهو ما أخرجه ابن النجار عن أبي عمر عن النبي (ص) انه قال : من أسلم من فارس فهو قرشي ، وأخرج الديلمي عن أبي هريرة ، مرفوعاً ، من أسلم من فارس فهو من قریش هم اخوتنا وعصبتنا ، وقد جاء « سلمان منا أهل البيت » وهو فارسي . على أن أبا العلاء العراقي أيد ابن زكري في عدة مواقف واعترف بقيمة ما في كتابه من الآراء . وقد ألف ميارة كتاباً في نصره ابن زكري ، مما يدل على مدى نجاح فكرته وما أثارته من معارضة .

ولاشك انه كان لابن زكري مؤيدون من طبقة الشعب ، كما كان وراء معارضيه مؤيدون أيضاً من الاشراف واتباعهم ، وكانت الاهواء السياسية تستفيد من ذلك كثيراً ، وقد بلغت (الازمة) بين الشرفاء والبلديين نهايتها في أواخر العصر السعودي وكان من

ضحاياها أبو النعيم الغساني وجاء في كتاب التحفة القادرية لابن محمد عبد السلام بن محمد الخياط القادري ما نصه :

في أيام القاضي ابن أبي النعيم الغساني أراد الهبش من الاجناس غير الاسماعيلية والقحطانية ان يدخلوا معهم في حرفهم وتجارتهم الشريفة فمنعهم من ذلك ، وكان قد جرى العمل بفاس أن لا يحترف ولا يتجر في الحرف الفاضلة والتجارة الشريفة الا أهل الفضل والدين والروءة العالية من حضور فاس والاندلس الحنيفية خصوصاً بني اسماعيل وقحطان وبين يديهم رسوم قديمة أزيد من خمسمائة واقتناءات نحو الخمس والسبعة لعلماء قبل ابن أبي النعيم ، وخواتم وعلامات لعدد من أمراء المغرب وسلطينه ، وان هذا الامر جرى به العمل بفاس خلفاً عن سلف الى ان أراد هؤلاء الخروج عن طورهم والترقي من الحرف الخاملة الى الحرف العالية ، وانه لما تنازعت الطائفتان رفع الامر الى عبد الله المتوكل على الله ، ورأى أهل الاندلس يريدون نصره الاعيان وأهل الفضل من بني اسماعيل وقحطان كما رأى اللمطين يريدون نصره الهبش من الاجناس العجمية ، وخشى من ذلك الفتنة استدعى القاضي ابن أبي النعيم الغساني فحضر لشور فاس الجديد المرينية ، وحضر الرؤساء من الطائفتين ، فسمع كلام الفريقين فوجد بأيدي حضور فاس الرسوم المذكورة ولم يجد عند خصومهم شيئاً ففقدى لمنعهم مما ارادوا وامضى حكمه بذلك واستمر العمل عليه الى ان مات القاضي المذكور .

وقد ألف الشيخ ميارة وهو من المدافعين عن الطائفة الثانية كتاباً في الرد على أبي النعيم سماه نصيحة المغترين ووصف الغساني الذي ناصر الاشراف ضد البلديين أيضاً في تفصيله على نظم الفستائسي (بالظالم) .

الرباط : الحسن السائح

عائشه عيانا او عائشه سمعا ، والدليل على صحة هذا الرأي ان كثيرا من الشعراء العرب في مختلف اقطار العروبة وحتى في المهاجر الامريكية اعطوا نماذج رائعة يتضمنها ديوان النكبة ، ليس يمكن أن تضع بجانبها شعرا قاله شعراء عاشوا تجربة المأساة الاليمة عيانا وحسا .

ومهما يكن من امر فان الشعر العربي واكب نكبتنا في فلسطين منذ صدور الوعد المشؤوم الى قيام دولة الشر والبغي ، تناول هذا الشعر وعد بلفور محذرا العرب من ويلاته وشروره ، ووقف يندد بهجرة شذاذ الافاق الصهاينة الى ارض فلسطين مبينا خطورتها ونتائجها وثار على قرار التقسيم الظالم ، الجائر سنة 1947 . ثم خاض مع الجيوش العربية الباسلة ميادين الوغى يوم 15 ماي ، يصور ايمانها بالنصر وعزمها على الاستماتة في سبيل الظفر به ، ثم التفت الى بعض الحكام العرب . يومئذ . ليفضح تواطؤهم مع الاستعمار . ويكشف عن نواياهم الدنيئة ، وفاضت اعطاف هذا الشعر بمرارة الحسرة وعنف الالم بعد نكبة 1948 . ثم مضى يصور بؤس اللاجئين وضياعهم ويهيب بالعربي الى استئناف الحرب لآبادة العدو الظالم كذلك كان رصد الشعر العربي لنكبتنا في فلسطين ونصويره لها مرحلة بعد مرحلة ، وعكسها مشهدا بعد مشهد . ومن ثم استطاع صديقنا الاستاذ صالح الاشتر ان يستخلص في كتابه (في شعر النكبة) حكاية المأساة من جذورها الى اليوم من الشعر المعاصر (1).



هنالك جوانب من الشعر المغربي قديمه وحديثه جديرة بالنظر والتأمل . وتمينة بالبحث والدراسة ، وقد عالجت في احاديث لم ننشرها بعد جانبا من تلك الجوانب صورنا فيه الافاق الوطنية في شعرنا الحديث وليس من شك في ان هذا الشعر قد شهد تطورا وتجديدا سواء في المضمون او الشكل نتيجة لنمو الوعي السياسي والوطني وبلوغه درجة النضج لدى طليعة من الشباب سجل لها التاريخ انها كانت اول من ارتاد طريق الكفاح من أجل قضية وطننا ، ولقد تجلّى الميسم الوطني في شعرنا بشكل واضح على اثر محاولة

فرنسا تطبيق سياستها البربرية واصدارها ظهيرا بذلك سنة 1930 ، فكان هذا الحادث « باعنا قويا لنشاط فكري عظيم تنافس فيه الكتاب والخطباء والشعراء ، فنشرت عدة كتب وآلاف المقالات ونظمت القصائد التي يخطئها العد » (2) ، وازداد الطابع الوطني ظهورا في انتاجنا الشعري بعد ذلك بسنوات حينما سنت الحركة الوطنية سنة الاحتفال بعيد العرش ، وحفظت لنا « العرشيات » صورا من الكفاح الوطني ودور الشعر في اذكاء روح الثورة وتعبئة النفوس بالحماس للمطالبة بحق الشعب في حريته . ولقد استعرضت في احاديثي الأنفة الذكر نماذج يتغنى فيها أصحابها بوطنهم الخاص ، وأخرى يشدون فيها بوطنهم العام ، بالوطن العربي ، حين افراحه وحين اتراحه ، وكان لابد ان تأخذ نكبة الوطن السليب . فلسطين . حيزا من ذلك الاستعراض الشعري . بيد انه كان حيزا محدودا ، فلما دهمتنا نكبة 5 يونيو الماضي ارتعشت لها الوجدانان في المغرب كما ارتعشت لها في كل شبر من بلاد الاسلام والعروبة واذا بالصفحات التي كتبها المغاربة عن مأساة فلسطين يتكاثر عددها ، ويتضخم حجمها ... واذا كان ديوان النكبة الفلسطينية يضم بين دفتيه صرخات شعراء فلسطين وآخرين من اقطار عربية مختلفة ومن المهجر ، اذا كان ديوان النكبة قد سجل أصوات هؤلاء وصرخات أولئك فانه يؤسفنا ان يخلو هذا الديوان من اصواتنا ، من صرخاتنا ، من آهاتنا . من دموعنا ، والمسؤولية تقع على عواتقنا وليس على عواتق الذين عنوا بجمع شعر النكبة ، واذا كنا نبرر « جهل » اخواننا المشاركة بنتاجنا الشعري . مثلا . بالقاء التبعة على الاستعمار — أيام الاستعمار — لانه كان يحاول باستمرار . ان يقيم بيننا وبين اخواننا في الشرق حواجز وحوائل ليقطع ما بيننا من وسائل ويفصل ما بيننا من روابط . اذا كنا نبرر ذلك بهذا فيجب ان نعترف ، وقد مرت عشر سنوات ونيف ، على استقلالنا أننا ، اليوم ، نحن هم المسؤولون . دولة وافرادا . لا غيرنا . لاننا نحن المقصرون . دولة وافرادا ايضا في التعريف بانفسنا ، ادبيا وثقافيا ، لاشقائنا في الشرق العربي

تطوان — حسن الوراكلي

(1) دكتور صالح الاشتر ، « في شعر النكبة » مطبعة جامعة دمشق .

(2) عبد الله كنون ، « احاديث عن الادب المغربي الحديث » نشر معهد الدراسات العربية العالية

اعطافه بعمق التجربة والاحساس ، ومن هنا يمكن الرد على المفتريين على الشعر العربي بأنه كان — دائما — « بضاعة — تباع ، بائمان متفاوتة ، في بلاطات الحكام وعلى اعتاب وجوه الناس . ان الصفحات التي دعوتكم لقراءتها في ديوان شعرنا العربي كفيلة بأن تتفكم على سخف هذا الرأي ومحاولة بعض العاقين لتراث الاسلاف تعميم الحكم به على الآثار الشعرية العربية القديمة .

وبتلخيص : ان الآفاق الوطنية في شعرنا العربي هنا وهناك ، تقدم لنا حقيقة ليس من سبيل الى التشكك في صحتها وصحتها ، وهي ان جزءا غير يسير من الشعر العربي كان ، دوما ، غناء شديد الروعة بمفاتيح الوطن وجمال مسارحه حين السلم يظل الربوع والناس فاذا ما هوجم الوطن وروع الناس في ارواحهم وارضهم ومتاعهم وقف الشعراء يحمون القوم ويستنفرونهم للدفاع عن ديارهم ويستنهضون عزائمهم للذود عن بيضة البلاد ، فاذا ما حالهم نصر ، وسار في ركائبهم ظفر صور الشعراء ذلك وعكسوه ، واذا ما نكبوا بالهزيمة تدفق من مزامير الشعراء شدو حزين وكئيب ، يصور ابعاد الهزيمة ويعكس آثارها !

* * *

ولعلنا في غنى عن استعراض مشاهد نكبة العرب العظمى في فلسطين تلك التي نسجت أولى خيوطها القدرة حين صدور وعد بلفلورد وبلغت أهدافها وحقت آمالها سنة 1948 ، فلقد بات الحديث عنها وتصويرها من قبيل الكلام المعاد المكرر الذي تعرض عنه النفس وتعزف عن سماعه الأذن . على أنه تبغي الإشارة الى أن هذه المؤامرة الضخمة ، العنيفة ، القوية الباطشة التي ارادها الاستعمار ، وارادتها الصهيونية ضربة للامة العربية تمخضت عن شرارة يقظة عارمة هزت كيان الانسان العربي هذا عنيفا . وفتحت عيون الشعب العربي المغلوب على أمره ، المسلوب منه حقه على الواقع العفن الذي يحيياه والحقيقة البشعة التي يعيشها ، فاضطربت الثورات الدامية على الاستعمار ، تقض مضجعه وتلهب ظهره ، وتوالت الانتفاضات الشعبية على أذنايه وعملائه .

تجهز على انفسهم وتطوح بآمالهم ، هذا من وجه .. ومن آخر كان لمأساة فلسطين اثر جلي في الادب والشعر ، ففي رأي بعض الدارسين ان هذه المأساة التي دفعت الشعراء المعاصرين الى التطور والتجديد والحياة « (1) و « غلبت على الشعر المعاصر الاتجاه الالتزامي الهادف » (2) وبذلك منحت « الادب العربي ديوانا دمويا ضخما ، كتبت الحروب الصليبية صفحاته الاولى . وهو لا يزال الى اليوم في تضخم مستمر ، وكلما تضخم الديوان ازدادت ملحمة الدم العربية في فلسطين غنى واتساعا » (3) .

ولما كانت الامة العربية تجمعها وحدة اللغة ، واللغة — كما يقال بحق — وعاء للعقل والفكر ، وتجمعها وحدة التاريخ ، والتاريخ رصيد من الماضي المشترك يوحد الاحساس والشعور وينفخ الحماس في النفوس من أجل التشييد والبناء . وتجمعها وحدة الامال ، ومتى كانت الامال واحدة فلاهداف واحدة . والمستقبل ، لحظتها . باسم . والمصير مشرق برغم كل شيء . ومن هنا كانت الامة العربية في كل رجا من أرجاء رقعة الارض الممتدة ما بين الخليج العربي والمحيط الاطلسي امة واحدة ، واحدة ، اذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، يشارك بعضها بعضا الافراح على بعد المسافة ، ويشاطر بعضها بعضا الاتراح على تنائي الدار ، ومن أجل هذا كانت نكبة فلسطين ، مسرى النوى سلوات الله عليه وسلاماته وتربة حطين الخالدة : نكبة العربي : كل عربي ، في مشارق البقعة العربية ومغاربها . وتوكيدا لهذا نستطيع القول بأن هذه النكبة لم تستثر شعراء فلسطين فقط ، وانما استثارت الشعراء العرب في كل اقطار العروبة ، ووقف الجميع يواسي ويذكي نار المقاومة في النفوس ويزرع روح الثأر والتصميم على العودة في أعماقها . ولعلها مناسبة ، لا نتركها تفوتنا . للرد على زعم نقاد يرون ان الشعر الفلسطيني في المأساة كان اصدق عاطفة وأعمق احساسا من غيره ، وذلك لان شعراء فلسطين كانوا يصعدون عن تجارب عاشوها ويعبرون عن ويلات شاهدها ، والحق ان التجربة في الشعر ليس مفروضا ان تكون نابعة من الواقع . المعاش . المشاهد بقدر ما هو مفروض ان تكون صادرة من رؤية الشاعر الذاتية « للحدث » سواء

(1) دكتور صالح الاشر ، « مأساة فلسطين واثرها في الشعر المعاصر » مطبعة جامعة دمشق .

(2) انظر المصدر السابق .

(3) انظر المصدر السابق ص 7 .

استرداد الشمال الافريقي : ذلك انه حينما أسفرت ضربات الجرمان عن سقوط الامبراطورية في روما سنة خمسمائة ميلادية ، لم يجد المهاجمون صعوبة في وضع يدهم على بلدان ساحل الشمال الافريقي . هكذا - عن طريق اسبانيا - وثب الوندال بمعظم السواحل الممتد فيما بين طنجة وقرطاجنة بتونس ، وكونوا بها مملكة عرفت أوجها في أيام ملكهم (جزريك) . وزاد من خطورة هذه الدولة سيطرتها على كثير من جزر غرب المتوسط مثل سردينيا وميورقة وكورسيكا ، بل هددت روما نفسها ، مما أدى الى نقل عاصمة الامبراطورية الرومانية الى القسطنطينية . والواقع ان انتقال العاصمة على هذا النحو لم يكن يعني التخلي عن الشمال الافريقي ، فقد ظل اباطرة القسطنطينية متشبثين بدعواهم في هذا الشأن ، الى ان امكنتهم فرصة ضعف الوندال ، واستطاع (بليزاريوس) قائد الامبراطور البيزنطي (جاشيان) ان ينفذ بأسطوله الى شواطئ الشمال الافريقي ويعيدها الى حوزة بيزنطة عام ثلاثة وثلانين وخمسمائة ، بعد ان اقام بها الوندال مملكة عمرت قرنا كاملا ، على هذا النحو سقطت سبعة وبنجة عام اربعة وخمسين وخمسمائة بعد قرطاجنة بعام واحد . وذلك بالاضافة الى ما يجاور هذه السواحل من جزر . ومع ان الامبراطورية البيزنطية فقدت سبعة وبنجة مرة أخرى لصالح القوط باسبانيا فيما بين (616 - 625 ؟) ، فان مجموع باقي سواحل الشمال الافريقي بقي في حوزة البيزنطيين ، لم يتزحزحوا عنه الا بمجيء المسلمين ، والا بعد ان اضطرهم المسلمون الى ذلك بقوة بحرية مماثلة .

غير ان العامل البحري بالنسبة الى كل من البيزنطيين والقوط لم يكن له سند يقابله في المناطق الداخلية . فمع ان القوط كانوا يسطعنون اميرا (كونت) من المقاربة يحكم باسمهم ، فانهم لم يستطيعوا النفاذ الى قلب البلاد . ومع ان البيزنطيين اقاموا بصورة غامضة في شواطئ المغرب ، فان حكمهم ايضا ، اقتصر على بقاع محدودة . وهكذا افضى صراع بحري طويل الامد الى ايجاد وضعية أساسها السياسة والتجارة والحرب . أما داخلية البلاد فكانت موزعة بين عديد من التنظيمات وخاضعة لاشكال مختلفة من الحكم ، فقد يجتمع الناس على أساس من رابطة القبيلة كما كان الشأن بالنسبة الى تارودانت او بلاد السوس او جبال درن (الاطلس الكبير) او آسفي ، وهذا هو الشائع . كذلك كانوا يجتمعون على أساس من الشعور بالانتماء الى اقلية معينة كالرابطة اللاتينية المسيحية

التي كانت قائمة في مدينة ويلي عام خمسة وخمسين وستمائة ميلادية ، كذلك نجد نموذجا آخر من التنظيم يستند الى الزعامة الروحية ، كما تدل على ذلك حالة الكاهنة داهيا . واسم يكن الاتصال بين هذه الفئات منعزلا ، كما انها لم تكن منقطعة الصلات مع الدولتين القائمتين في الشواطئ ، فقد كانت التجارة وسيلة للاتصال ، كما انه في حكم المؤكد ان البيزنطيين كانوا يتعرضون لهجمات خاطفة من سكان الداخل ، ولعل سكان هذه التخوم كانوا يستفيدون من الخطة التي انتهجتها بيزنطة يومذاك القاضية بترضية القبائل المجاورة بالهدايا والاموال .

من كل ذلك نرى ان الظرف كان عصيبا بالنسبة الى الفاتحين المسلمين . فالقوة البحرية فتحت بابا جديدا للحرب . وفي ذات الوقت كانت المسالك البرية وعرة . يدل على ذلك ان الامبراطور البيزنطي ما ان رأى تقدم الفتوح العربية في شمال افريقية حتى قرر نقل عاصمته مؤقتا الى جنوب ايطاليا حتى يكون على مقربة من معارك جيشه مع العرب ، وحتى يتخذ الاجراءات التي يرتئها في اقرب الآجال . ولعل هذا ما يفسر طول المدة والوان الانتكاس التي واجهها العرب قبل ان يتمكنوا للاسلام بهذه الربوع .

ترى الى اي حد اثرت هذه الاوضاع على حركة الفتح العربي ؟

في بداية الامر كان واضحا ان العرب استطاعوا النفاذ الى قلب شبه جزيرة الشمال الافريقي ، وذلك بفضل طرقهم وقوانينهم الحرية الخاصة ، وساعدهم في ذلك ما قرره البطريق البيزنطي من الانفصال عن دولته لتكوين مملكة خاصة ، ومع ان حكام القسطنطينية امتنعوا من الاعتراف بهذا الانفصال فانهم لم يجدوا الوقت ملائما لعمال الحرب في القضاء عليه ، وذلك ليتقوا تشتيت الجهود وصرفها عن الخطر الاكبر الذي يمثل في الفاتحين المسلمين . وهكذا فضلت الامبراطورية ان تسلك على نحو غامض تجاه اقليمها المنفصل ، فوضعت قطائعها البحرية لحماية سواحلها واهابت برعاياها هناك الى المكافحة جنب البرابرة ضد المسلمين ، وأبقت مسألة التبعية أمرا مسكوتا عنه . وكان المخطط هو ان تقوم البحرية البيزنطية بالتصدي للمسلمين فتنزلهم ضربات خاطفة سريعة ترد بعدها الى البحر وتعتصم به ، وكانت هذه البحرية تختار لخطتها نقطا ساحلية سهلة تساعد في رسو السفن واقلعها على نحو عاجل . ومن ثم لا مصادفة في ان يقتل زهير بن قيس ، عامل الامويين في افريقيا ، من طرف بحارة

العامل البحرى وأثره في توجيه الفتوحات الإسلامية بالمغرب

للأستاذ عبد الحق حموش

يجدوا مزيدا من الصعاب أمام عدو له وسائل ، لم يألّفوها في حرب البحار . فإذا كان الفارس منهم أقدر على الانطلاق وممارسة القتال فوق تراب الأرض ، فإن وسائله لا تمكنه من دفع عدو ينقض عليه من البحر (1)

ومع أن هذا العنصر الجديد لم يسلب العرب كل فرصة للتقدم في فتوحاتهم ، إلا أنه كان عنصرا عرقل حركتهم تارة وحد منها أخرى . وحملهم الخسارة الثقيلة آنا آخر . فكان أن اقتنع الفاتحون بأن استيعاب الشمال الأفريقي رهين بركوب البحر .

لم تكن هذه الصعوبة التي واجهت الفتح مجرد حادث بالصدفة ، بل مبدءا له عراقته في سياسة الإمبراطورية الرومانية الشرقية وأساسا متينا ترتكز عليه في وجودها وفي الاحتفاظ بمستعمراتها المتوسطية عموما وشمال إفريقيا على الخصوص . لقد فطن ساستها - وقبل أن يكون للإسلام ذكر - إلى أن مصير الإمبراطورية وحظوظها متوقف على وجود هذه القوة البحرية ، فعملوا على تنميتها وتعهدوا . فاما من حيث أغراض الدفاع فقد عصمتها من امتداد هجمات القبائل المتبربرة (الجرمان) التي حطمت الإمبراطورية في المغرب . واما من حيث الهجوم فقد استطاعت

لا ينفصل الفتح العربي في المغرب عن الأحداث السياسية والصراعات الحربية التي كان البحر الأبيض المتوسط مسرحا لها خلال القرن السابع الميلادي . ومن ثم فإن وصف تلك الأحداث والصراعات يساعد إلى حد كبير في تبيان الصعوبات التي اصطدم بها الفتح وحظوظ النجاح التي كلته .

لقد انطلق الفاتحون من صحرائهم صوب الأراضي المجاورة ، وهي في معظمها أصلح ما تكون لحرب الفرسان والمشاة الذين كانوا قوام الجيش الإسلامي يومذاك . وقد ساعد على انتصارهم ، في أول الأمر ، أن ما اعترضهم من صعوبات ناشئة عن طبيعة الأرض وتضاريسها ، لم يكن شيئا ذا بال إزاء قوة عقيدتهم واثقائهم لوسائل الدفاع والمهاجمة في مثل تلك الظروف . يضاف إلى ذلك ما لقوا من عون بعض الأهالي ، وما انتهجوا إزاءهم من حسن المعاملة .

غير أن هذه العناصر الإيجابية سرعان ما تناقصت فعاليتها حينما أخذ الفاتحون يحتكون بشواطئ البحر المتوسط في سوريا ومصر وفي شمال إفريقيا . ذلك أن قوما ليست لهم سابقة في خوض البحار لأبد وأن

(1) كتب عمر إلى عمرو ابن العاص يقول : « صف لي البحر وراكبه » فأجابه عمرو : « هو خلق كبير يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء ، أن ركذ اقلق القلوب ، وأن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة » .

ونرى من هذه الكلمات ما كان يخالجه العرب من تهيب إزاء البحر .

الأدب النسوي في الأندلس

للمتأذ: محمد الكنعنصر الكرسوفي

- 12 -

مهجة بنت التيان القرطبية :

كان أبوها يبيع التين فنسب اليه - كما يبدو -
على غير قياس ، تهافتت على اللذات تهافتا سافرا ،
دفعها الى ذلك جمالها ، وتأديها على صاحبها ولادة بنت
المستكفى التي تولت تعليمها ، ورعت استعدادها المجوني
والادبي الى أن صارت شاعرة مهيبة الجانب في عالم
الشعر . ورغم تلك الصداقة المتينة التي ربطت بين
قلبيهما ، وما استنفذته ولادة من مجهودات شاقة في
سبيلها فان مهجة ما لبث أن استيقظت في رحاب نفسها
حب الهجاء والتلويت فقدفت صاحبها الحميمة بقولها:

ولادة قد صرت ولادة

من غير بعمل فضح الكاتم

حكمت لنا مريم لكنه

نخلة هذي (1)

ولسنا ندري على وجه التحقيق سبب هذا التنكر
الذي بدر من جانب مهجة لان كل المصادر التي تمكنا من
الاطلاع عليها لا تتعرض لبسط الدافع الى هذا الهجاء
واو باشارة خفية ، كما انها - يعني المصادر - لا تتصدى
لذكر حياتها وما نسجته قريحتها من اعمال شعرية الا
القليل الذي لا يجدي الباحث فتيلة . من ثم يصعب
علينا البث في هذا الامر وتعليقه سوى ان يكون من قبيل
الافتراضات الواهمة .

ومن شعرها :

لئن حلات عن ثفرها كل حائم
فما زال يحمي عن مطالبه الثفر
فذلك تحميه القواضب والقنا
وهذا حماءه من لواظها السحر

وأهدى لها يوما حبيب يهيم بها خوفا فكتبت اليه
وقد افحشت :

يا متحفا بالخوخ احبابه
اهلا به من مثلج للصدر
حكى ندي الفيد تفليكه
لكنه (2)

نزهون بنت القلاعي الفرناطية :

هذه شاعرة مرحة خفيفة الروح ، حلوة الحديث ،
مطيبة المحاضرة - عاشت في القرن الخامس الهجري -
ذات طبع ندي معطاء ، ونفس شفافة مضواع ، عرفت
بسرعة الجواب وحضور البديهة ، تسمى الى مجالس
الوزراء والامراء فتعبق جوها وتثير نشوة مسكرة
وروى انها كانت تقرا ذات يوم على ابي بكر
المخزومي الاعمى فدخل عليهما ابو بكر الكتندي فقال
مخاطبا المخزومي :

(1) انظر النفع ص 494 ، ج : 2 .

(2) نفس المصدر .

بيزنطة ، كما انه لا غرابة في ان حسان بن النعمان امر بتخريب قرطاجنة عند مافتحها ، فقد لاحظ ان معظم من حملوا السيف خلال معركتها كانوا بحارة بيزنطيين

استخلص عبد الملك بن مروان من هذا الوضع ضرورة مقاومة البيزنطيين بمثل الوسائل التي يتوفرون عليها ، حتى يتمكن من شغل سفنهم وابعادها عن مناطق القتال ، فأصدر امره الى حسان بن النعمان باقامة مصنع للسفن (دار الصناعة) في تونس واعانه على ذلك باهل الحرفة من الاقباط . وسيكون لهذا العمل اثره البالغ في التخفيف من مفاجآت الحرب ضد المسلمين . بل ان يتدءى موسى بن نصير ولايته في افريقية حتى يدفع بالاسطول الاسلامي في داخل المتوسط مهددا قواعد البيزنطيين فيه .

اما بالنسبة الى البربر فقد راوا في هذا التطور افولا نهائيا للحكم البيزنطي في بلادهم . وخلال ذلك تابع الفاتحون منافحة البربر في المناطق الداخلية ،

كسيلة في عموم الشمال الافريقي ، وداهيا في جبال الاوراس ، ورؤساء العشائر الآخرين ، ويوليان في شمال المغرب . ومع ان المعارك كانت ضارية فانها كانت تؤهل البربر لقبول الاسلام . والاساسي هنا اميران :

— اولهما ان وطاة البيزنطيين اخذت تخف كما لاحظته زهير بن قيس عقب مقتل كسيلة .

— ثانيهما ان الحزازة القبلية اخذت تعمل في وسط البربر انفسهم ، ففي اعقاب كل ردة يبطش الثوار بمن مدوا يد المعونة الى الفاتحين اول الامر .

وبتوطيد مركز المسلمين في سبتة وطنجة ضمنوا قاعدتين بحريتين لن تقلا خطورة عن تونس ، فهناك وجدوا القوارب التي حملتهم مع البربر الى ارض الاندلس .

فاس : عبد الحق حموش

« يكفرون الماء ، ويفلون السعر »

قال معاوية لصمصعة بن صوحان : صف لي الناس ، فقال : خلق الله الناس اطوارا : فطائفة السياسة ، وطائفة للفقه والسنة ، وطائفة البأس والنجدة ، وآخرون بين ذلك يكفرون الماء ، ويفلون السعر .

وخطب رجل يد شاعرنا وكان قبيحا بشعا فقالت
تنسفه في آماله وأحلامه وتعدد معايبه :

عذيري من عاشق انوك
سفيه الاشارة والمنزع
يروم الوصال بما لو اتى
يروم به الصفع لم يصفع
براس فقير الى كية
ووجه فقير الى برقع

ومن نوادر نزهون التي احتفظ لنا بها التاريخ أن
ابن قزمان الشاعر الزجاج جاء ليناظرها وكان يرتدي
قفارة صفراء وهي زي الفقهاء زمئذ ، وعند ما لمحتة
قالت له بصوت تتخلله نغمة من الدعابة والظرف .

— أنك اليوم كبقرة بني اسرائيل صفراء فاقع
لونها ، ولكنك لا تسر الناظرين .

فضحك من حضر وثار ابن قزمان واستشاط
غضبا فاخذ يسب فاندفع الحاضرون اليه وطرحوه في
بركة امام البستان .

أم العلاء بنت يوسف الحجازية :

شاعرة عاشق في القرن الخامس الهجري تعرف
بالحجازية نسبة الى بلدها وادي الحجازة .

من شعرها قولها :

كل ما يصدر عنكم حسن
وبعياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم
وبذكراكم تلذ الاذن
من يعيش دونكم في عمره
فهو في عين الاماني يغبين

وهام بها رجل كبير السن فطلب يدها ، وعند
ذاك كتبت اليه تقول :

الشيب لا يخدع فيه الصبي
بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن اجهل من في الوري
يبيت في الجهل كما يضحى
وقالت معتذرة :

افهم مطارح اقوالي وما حكمت
به الشواهد واعذرني ولا تلم

ولا تكلني الى عذر ا بينه
شر المذير ما يحتاج للكلم
وكل ما خلته من زلة فما
اصبحت في ثقة من ذلك الكرم

غاية المني :

جارية اندلسية ظريفة متأدبة قدمت الى المعتصم
ابن صمادح فرام امتحانها فقال لها :

— ما اسمك

قالت :

— غاية المني

فقال لها :

— اجيزي : اسألوا غاية المني
فأجازت

— من كسا جسمي الضنى
واراني مولها

سيقول الهوى اننا

والحكاية تروى رواية أخرى غير هذه التي مرت
بنا آنفا وهي أن غاية المني سيقت لابن صمادح فأمر بأن
يختبر ذكاءها الاستاذ ابن الفراء الخطيب ، ولما جلست
بين يديه قال لها :

— ما اسمك

فقالت :

— غاية المني

فقال :

— اجيزي :

سل هوى غاية المني من كسا جسمي الضنى
فقالت على الفور :

واراني متيما سيقول الهوى اننا

وعندما وصل خبرها لابن صمادح اشتراها

أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية :

بنت ملك ، أديبة قرضت الشعر ، لها يد طويلة
في فن الموشحات ، كلفت بفتى جميل يدعى السمار من
دانة قالت فيه مولدة :

يا معشر الناس الا فاعجبوا
مما جنته لوعة الحب

- لو كنت تبصر من تجالسه .

وصمت المخزومي برهة يفكر قليلا ، ولكنه لم يحرج جوابا ، وبسرعة فائقة أجابت نزهون :

لفدوت أخرس من خلاخله
البدر يطلع من أزرتيه
والفصن يمرح في غلائله

وارقة طبع هذه الشاعرة وخفة ظلها كلف
أصدقائها وعارفوها بمحادثتها ومراسلتها فكان أبو
بكر بن سعيد الوزير من الذين شغفوا بها ، وقد كتب
لها يوما يقول :

يا من له الف خل
من عاشق وصديق
أراك خليت للناس
س منزلا في الطريق
فأجابته فوراً :

حللت أبا بكر محلا منعتيه
سواك وهل غير الحبيب له صدي
وان كان لي كم من حبيب فأنما
يقدم أهل الحق حب أبي بكر

وفي أحد مجالس أبي بكر بن سعيد الوزير التي
كان يعقدها فتدار فيها مناقشات أدبية وعلمية تصدى
الشاعر أبو بكر المخزومي الهجاء الذي قيل فيه أنه إذا
مدح ضعف شعره لشاعرتنا نزهون فاشبعها قذفا من
غير ما تحفظ والوزير ينصت إلى ذلك .

ومما قاله منها شعرا :

على وجه نزهون من الحسن مسحة
وان كان قد أمسى من الضوء عاريا (1)
قواصد نزهون توارك غيرها
ومن قصد البحر استقل السواقيا (2)

ولكن نزهون ما كانت لترضى بالهوان والخنوع
فأنشأت تقول ردا عليه وثارا لكرامتها الجريئة المهانة :

قل للوضيع مقالا
يتلى إلى حين يحشمر

بيد أن المخزومي ليس بالشاعر اللين العريكة حتى
يستسلم لها ، ويعلن في مجلس الوزير هزيمته وفشله،
ولذلك رد عليها بقوله ممزقا عرضها :

ألا قل لنزهونة ما لها
تجر من التيه أذيالها
ولما رأى الوزير أن الأمر سوف يتفاقم ويزداد
حدة أقسم أن يكف عن السباب والقذح .

وتقول نزهون ردا على هجاء له فيها :

ان ما قلت حقاً
من بعض عهد كريم
فصار ذكرى ذميماً
يعزى إلى كل لوم
وصرت أقبح شيء
في صورة المخزومي

وسألها بعض ثقلاء الظل :

- ما على من أكل معك خمسانة سوط .

فقالت :

وذي شقوة لما رأيته رأيتني رأيت له
تمنيه يصلي معي حاجم الضرب
فقلت له كلها هنيئاً فأنما
خلقت إلى لبس المطارف والشرب

ونزهون لم تترك الفرصة تمر دون أن تسجل لنا
لقاء جميلاً - عطرته تصغير صيغة التعجب - في ليلة
... لأحد .. مع حبيبها بعيدين عن أعين الرقباء حيث
الجو الناعم واللحظة المجنحة والاحساس المذغدغ ، وها
هي تسمعنا قولها :

لله در الليالي ما أحسنها
وما أحسن منها ليلة الأحد

لو كنت حاضرتا فيها وقد غفلت
عين الرقيب فلم تنظر إلى أحد
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر
بل ريم خازمة في ساعدي أسد

(1) كذلك أورد البيت المقرئ في النفع ج 1 ص 90 ، ولكن في ج 2 ص 495 أثبت البيت هكذا :

وتحت الثياب العار أو كُنْ بادياً . -

(2) البيت أخذ من قول المتنبي بمدح كافور :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

لبثت هذه الشاعرة الرقيقة تعب من الحياة
حلاوتها الى أن دق ناقوس الخطر معلنا بالنهاية
المحتومة اذ حلت بابيها النكبة المعروفة ، فأصبحت من
جملة العبيد تباع في الاسواق ، واشتراها رجل من
اشبيلية ثم وهبها لابنه ، ولكنه لما أراد البناء بها امتنعت
وأعلنت عن نفسها وقالت له : لا يكون ذلك الا بموافقة
أبي وبعد هذا كتبت له أبياتا تحكي فيها قصتها في أسي :

اسمع كلامي واستمع لمقالي

فهي السلوك بدت من الاجياد

لا تنكروا اني سببت واننسي

بنت لملك من بني عبـاد

ملك عظيم قد تولى عصره

وكذا الزمان يؤول للفساد

لها اراد الله قرعة شملنا

واذاقنا طعم الاسى من زاد

قام النفاق على أبي في ملكه

فدنا الفراق ولم يكن بمـراد

فخرجت هاربة فحازني امرؤ

لم يأت في اعجاله بسـداد

اذ باعني بيع العبيد فضمني
من صائني الا من الانكـاد

وارادني لنكاح نجل طاهر
حسن الخلاق من بني الانجاد

ومضى اليك يسوم رأيك في الرضى
ولانت تنظر في طريق رشادي

فعساك يا ابتي تعرفني به
ان كان ممن يرتجى لوداد

وعسى رميكة الملوك بفضلها
تدعو لنا باليمن والاسعاد

وعندما وصلت الابيات الى أبيها وهو في غياهب
المنفى يجتر احزانه باغمات سر هو وأمها سرورا لا
سبيل الى تصويره اذ علما أنها ما تزال حية ترزق
فكتب اليها هذا البيت يبارك لها فيه زواجها :

بنيتي كوني به به بررة
فقد قضى الدهر باسعافه

(يتبع)

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

عليك باهل البيوتات ..

قال عمر بن عبد العزيز ، لاياس بن معاوية :

دلني على قوم من القراء اوليهم ، فقال ان القراء ضربان : ضرب يعملون للآخرة ، وأولئك لا يعملون لك
وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم ان مكنتهم منها؟ فقال ما اصنع ؟ قال : عليك باهل البيوتات الذين يستحيون
لانسابهم ويرجعون الى اعراقهم فولهم .

لولاه لم ينزل بيدر الدجى
من أفقه العلوي للترب
جسمي لمن أهواه لو أنه
فارقني تابعه قلبي

العابية جارية المعتضد :

شاعرة ظريفة ، كاتبة أدبية ، تحفظ رصيـدا
لابأس من اللغة ، أهداها للمعتضد والد المعتضد مجاهد
العامري . كان يميل إليها شديد الميل حتى ملكت عليه
شعوره وحسه ، وقد أرق المعتضد ليلة وحاول أن ينام
ولكن بدون جدوى فقال :

تنام ومدنفها يسهر

وتصبر عنه ولا يصبر

فأجابته على البديهة :

لئن دام هذا وهذا له

سيهلك وجدا ولا يشمر

اعتماد الرميكية جارية المعتضد :

ان الصدفـة قد تلعب في حياة الفرد دورا مهما
فتفرغه من السفح الى القمة في برهة زمنية قصيرة هي
في حساب الدهر ليست بذات أهمية ، غير انها في
حساب الانسان نبضات تمده بأسباب الحياة فتفرش
دربه زهورا وياسمين كما فرشته لشاعرتنا اعتماد
الرميكية بسبب سحر الكلمة وروعة الحرف ، وكيف
يا ترى استطاعت الكلمة أن تنقلها نقلة سريعة من
الحياة العادية الى الحياة البلاطية حيث النفوذ
والسلطة ؟ وذلك هو ما ساعرك به وشيكا .

ركب المعتضد هو وصديقه ابن عمار يوما زورقا
للنزهة في نهر اشبيلية ، واذا هما ينعمان بجو رائع
لطيف اذهب نسيم معذوب على النهر فأحدث على
صفحة المياه حبكا وتموجات دغدغت مشاعر الملك
الشاعر ، فنظر الى النهر وأطال التأمل فقال مخاطبا
صديقه ابن عمار في انشراح :

أجز يا ابن عمار :

صنع الريح من الماء زرد

غير أن ابن عمار الشاعر ارتج عليه فأخذ يعبث
بلحيته عادة من يريد أن يستوحي أو بتذكر شيئا ،
ورانت فترة صمت ليست بالطويلة حاول اثناءها ابن
عمار أن يمتح ذاكرته بدون أدنى جدوى واذا بصوت
ينبعث من جانب الوادي يهتف في عذوبة وحلاوة :
أي درع لقتال لو جمد

وعندما سمع المعتضد ذلك لم يملك نفسه من شدة
العجب ، وسرعان ما خف الى صاحب الصوت فتبينه
فاذا به فتاة جميلة من الفتيات الغسالات اسمها اعتماد
الرميكية .

واخيرا اشترها من مولاها رميـك بن حجاج ثم
تزوجها وأنجبت له اولادا .

ومهما يكن من شيء فمئذ أن عرف المعتضد اعتماد وهو
لا يهتم بشيء بقدر اهتمامه بها حتى أنه لقب نفسه
المعتضد كي يناسب لقبه اسمها وقد كان من قبل يعرف
بمحمد الظاهر ، وحبها لها وهيامه بها لم يقف الى هذا
الحد فقط بل انه كان يدفعه الى أن لا يعصى لها أمرا
كيفما كان نوعه ، ولذلك يحكى أنها اطلت يوما من
شرفة قصرها فلمحت الناس يمشون في الطين
ويدوسونه فاشتتت أن تفعل مثلهم ، وما كان من
المعتضد الا أن يخضع لأمرها ، اذ امر بسحق كمية من
الطيب في ساحة القصر وصب فيه ماء الورد وعجن كل ذلك
حتى أمسى كالطين ثم داسته مع جواربها وسمى ذلك
اليوم « يوم الطين » .

وظلت شاعرتنا تنعم بلين العيش ، وترفل في
حبوحة أعواما تلو أعوام الى أن حدثت الكارثة التي
هدمت سعادتها اذ خلع المعتضد وسجن بأغـمات فقالت
له يوما :

— يا سيدي لقد هنا هنا

فقال بحرقة حنظلية :

— قالت لقد هنا هنا

مولاي أين جاهدنا

قلت لها الهنا

صيرنا الى هنا

وبأغـمات توفيت شاعرتنا اعتماد الرميكية
حيث استأثرت رحمة الله بزوجه الملك المعتضد بن عباد
الشاعر .

بثينة بنت المعتضد بن عباد :

شاعرة درجت في بيئة تبرعت في رحابها الكلمة
المجنحة والحرف المنعم ، انها بنت ملك شاعر مطبوع ،
وبنت شاعرة ظريفة ، فلا محالة اذا اشرفت حب
الشعر من كانت برعما يتفتح للحياة ، وغذى ملكتها
الأدبية المحيط الشاعر الرغيد ، لذلك كست تعبيرها
رقة وجود ، وتكومت في ثناياه عاطفة ندية .

البوزوزي الفيجي ، وابن اخيه سيدي ابو القاسم بن ابي عبد الله سيدي محمد بن عبد الجبار ، النسب . وقد اخترت في هذه المناسبة الكلام عنهما ، اظهارا لما اعفاه الزمن من اثارهما العلمية والثقافية والادبية ، وتعريفا لاهل بلديهما الفيجية بما كنا نسمع عن هذين الشخصين الكريمين ، من حياة حافلة بالعلم والادب ، وشد الرحال للمشرق والمغرب ، لآخذ العلم وتعليمه ، وتنويعها بما لهما من تراث في هذا الميدان .

فاما ابو اسحاق ابراهيم ، فولد بفجيج حوالي عام 860 هجري ، وتلقى العلوم الاولية عن والده الامام الاشهر سيدي عبد الجبار ، بزاولتهما العلمية بفجيج ، وتلقى بزاولية الونشريسيين بالحمام بفجيج عن العالم الهمام سيدي محمد بن محمد الونشريسي ، وعن ابنه سيدي سليمان ، وتلقى عن فقهاء الزاوية الكبيرة بقصر بني سكون بفجيج ، وبخاصة عن شيخ الجماعة بها : الشيخ عبد الحق بن محمد الذي كان موته سببا في هجرة سيدي ابراهيم ، كما سيأتي في محله . وتلقى في معاهد قصر الودغريين بفجيج عن اولاد الولي الصالح ، القاضي سيدي محمد بن محمد الرشيد وغيرهم .

ثم رحل لكلية القرويين بفاس لدرس بها ، واخذ عاوما جملة عن علمائها ، كالشيخ ابن الحسن الصغير وابن غازي والونشريسي الذي هو من اقارب الونشريسيين الموجودين بفجيج .

ثم رحل مرارا لتلمسان واخذ عن جلة شيوخها ، كالامام السنوسي ، وابن مرزوق ، والعقباني ، والتنسي ، وكان يطيل المقام بتلمسان للتدريس بها ، وخصوصا في شهر رمضان من كل سنة ، وانتفع به في تلك الجهة خلق كثير . - ثم رحل الى الشرف خمس مرات للحج وزيارة الحرمين الشريفين ، واخذ في رحلته في مصر عن الامام السيوطي ، والبساطي ، وابي النجار الحنفي ، وبالمدينة المنورة عن السخاوي والاشموني وابي اسحاق ابراهيم اللقاني صاحب جوهره التوحيد ... وغيرهم وله عن الجميع اجزات ومناولات ومسللات ، واطلقوا له القول في الجميع ؛ وكلامه في نثره ونظمه يشهد بفزارة علمه ، وجودة فريحته ، وقوة ذكائه ، وسلاسة طبعه ، وعدوبة الفاظه

وتولى القضاء بفجيج وناحيته في ظروف ذكرها بنفسه ولم يذكر تاريخها ، وانما اشار اليها في مقدمته لنظم السوانية ؛ ولعل ذلك كان وقت شبابه المشرف

على كهولته قبيل عام 900 هـ وبشير فيها ايضا الى حياة والده سيدي عبد الجبار في ذلك الزمان ؛ والذي استلقت الانظار اليه بوجه خاص في زمانه ، هو انه مع ما كان عليه من القيام بدروس التربية ، وخطة القضاء وانكسب لانواع الانعام ، والاشتغال بالفلاحة ... ؛ كل ذلك لم يصده عن الخروج للصيد في مهامه الصحراء ، مما جعل اهل وقته يعيرون عليه ، لجهلهم بما له في تعاطي الصيد من المقاصد الحسنة ، والمنافع الحسنة والمعنوية . ينبغي لنا الاصفاء اليه رحمه الله بكل اهتمام ، ليحدثنا بنفسه عن الصيد واحسن طرقه ومحاسنه ، وردده (في نفس قصيدته) على الجاهلين لمنافعه .

قال رحمه الله : فلما الفت السياحة في البراري وقنص الوحوش في مهامه الصحاري ، والتفكر في مصنوعات الباري ، فلا قيل ولا قال ، ولا همج ولا ثقال ، ولا جم'م يسلب الهيبة كما قال : وطول جمام الماء في مستقره يغيره لونا وريحا ومطعما

كان مما اخترت الاصطياد به ، لنزاهته وطهارته ، ودرابته ونجابته : الصقر دون الكلب ، لحقارته وقدراته ، وقلة نباهته ، وسرعة اجابته ؛ وكنت اقول : «صقر وقور ، خير من كلب عقور » ، لا سيما وقد يدل على مقتنيه بنباحه ، في موضع يخاف فيه سوء صياحه ؛ فاطاق الفوغاء السنتهم ، وشن الجفافة غارتهم ، وسن الحفافة العراة اسنتهم ، فقلت على جهة التعريض ، وان كنت لا احسن القريض ، مستفتحاً بحمد الله ، ومستنجحاً بالصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا ونبينا ومولانا محمد ابن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه ابدا ما دام ملك عدد خلق الله :

يلوموني في الصيد والصيد جامع
لاشياء للانسان فيها منافع
فاولها كسب الحلال اتت به
نصوص كتاب الله وهي قواطع
فصحة جسم ثم صحة ناظر
واحكام اجراء السوابق رابع
وبعد عن الارذال مع صون همة
واغلاق باب القيل والقال سابع
وايضا لعرض المرء فيه سلامة
وحفظ لدينه وذلك تاسع

حياة الرحالين ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي وابن اخيه بلقاسم بن عبد الجبار

للاستاذ محمد بن عبد الحق الودغيري

نظمت كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة في شهر ماي الماضي موسما ثقافيا بمناسبة مهرجان اسبوعي الثقافة .
وقد شارك في هذا المهرجان الثقافي الحافل مثقفوا الغرب الشرقي من اساتذة ومعلمين عموما ومدينة فجيج الواحة الجميلة الهادئة خصوصا .
ويسرنا ان ندرج في هذا العدد محاضرة قيمة القيت بهذه المناسبة عن حياة الرحالين الشهيرين سيدي ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي ، وابن اخيه سيدي بلقاسم بن محمد بن عبد الجبار كان قد الفاها الاستاذ السيد محمد بن عبد الحق الودغيري مدير ثانوية العسنية

شروط اوصاف القاضي الكمالية حيث قال :

واستحسننت في حقه الجزاله
وشروطه التكليف والعداله

وتستحسن الجزالة او تكون من قبيل الواجب
في كل معلم ، وكل من يتصدى للتربية ، لتكون
بضاعته فائقة نافذة ، وحياته في مهنته سعيدة .
وبالجملة : فالثقافة تؤل الى الحداقة ، ثم تنمو بطريق
التكوين والاجتهاد ، الى ان تصير نبوغا ؛ ومن وصل
لهذه الدرجة صار من الذين نوه القراءان الكريم
بمقامهم في قوله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن
يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا
اولوا الالباب » . وبعد هذه المقدمة عن كلمة الثقافة
وما تبعها من المترادفات ، أتكلم بعون الله للسادة
الحاضرين عن عالين جليلين ، مثقفين حاذقين ،
شاعرين ناثرين ، وكل منهما رحالة مشهور ، وله في
العلم والثقافة اثر مشكور ... ؛ وهما : ابو اسحاق
سيدي ابراهيم بن عبد الجبار الودغيري اصلا ، ثم

ان كلمة الثقافة على ما قرره اللغويون ، ترادفها
الحداقة ، التي هي مشوبة بخفة الانتباه ، ومعناها :
النباهة والفظانة ، وكلمة الحداقة تدخل على الاعمال
الجليلة ، وتجمل بالصناعات الشريفة ؛ وفي اشتقاقها
ما يوضح ذلك وضوحا لا مزيد عليه ، - فاذا قلنا : ثقف
(بكسر القاف) يثقف (يفتحه او ضممه) ثقفا وثقافة ،
صار حاذقا خفيفا ، واذا قلنا : حذق (بكسر الذال)
حذقا (بسكونه) ، وحداقة ، كان ماهرا . فهو حاذق ،
جمع حذاق ، وحذق الكتاب تعلمه كله ، وحذق
العمل : مهر فيه ... وحذق الصبي القراءة ، مهر
فيه حفظا ورسمًا وتجويدا . - ومنه طبيب حاذق ،
اي ماهر . وحذق الصانع في صنفته ، مهر فيها وصار
متقنا لها . - ومن المختار لتفسير الثقافة والحداقة
ايضا ، ان تكون بمعنى الجزالة .. التي هي خفة
الانتباه ، وهذه الخصلة يحتاج اليها - ضرورة - من
يتولى الفصل بين الخصوم ، كالقاضي ومن في معناه ،
ليكون مقداما في تطبيق الاحكام وتنفيذها ، ولذلك
جعلها قاضي القضاة : الشيخ ابن عاصم رحمه الله من

كما هو ثابت في عقد حبسه النموذجي الاثري ، المكتوب في رق غزال ، وعليه ظهر الموافقة والتبوت من السلطان المقدس مولانا الحسن الاول رحمه الله ، وعلى هذا تكون وفاة سيدي ابراهيم في السودان حوالي عام 958 ، وفي عمره اذ ذاك نحو 98 ، وقد هدى الله لدين الاسلام على يديه خلق كثير من السوداين ، فكان هذا العمل من حكمة الله البالغة في هجرته رحمه ورضي عنه .

أبو القاسم

اما ابن اخيه سيدي ابو القاسم بن محمد بن عبد الجبار الرحالة ، الحاج ، المجاهد ، فقد كان مثله : قاضيا وكسابا ، وفلاحا وصيادا ، ورحالة محصلا للعلم ، نفاعا به اينما حل وارتحل .

وقد تلقى اولا عن والده سيدي ابي عبد الله محمد بن عبد الجبار بفجيج ، ثم رحل في حياة ابيه لزيارة الحرمين الشريفين ، ولقي في رحلته علماء بالقيروان والاسكندرية ، وفي الازهر ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وكذلك في القدس والشام ، واخذ عن شيوخ تلك البلدان ، غير انه لم يحضرنا في هذه الساعة من اخذ عنهم هناك ؛ ولما رجع من رحلته تصدر للتربية مع ابيه في زواياهم العلمية ، وكانت مجالسه بفجيج يضرب بها المثل .

ثم رحل الى تلمسان وأطال المكث فيها ، رغبة من سكانها ؛ ولذلك السبب عده الاتراك الحاكمون فيها في عدد العلماء الجزائريين الذين بلغوا درجة النبوغ ، كما ذكره الاستاذ احمد توفيق المدني في مؤلفه عن عهد محمد عثمان باشا داي الجزائري ، المطبوع في سنة 1356 هجرية صفحتي 76 - 78 ، حيث قال : ابو القاسم ابن ابي عبد الله بن عبد الجبار الفجيجي البرزوزي المتوفى (1021) ، تخرج عن ابن غازي والونشريسي والسنوسي وابن مرزوق ، وكان بحرا في العلم لا ساحل له ، مع صلاح وزهد وتقوى وورع ، ونفع بعلمه وصلاحه جمهورا عظيما من الامة . اهـ . ثم رحل الى زاوية تمكروت الناصرية بوادي درعة ، واخذ عن شيوخها واخذوا عنه ، واتى منها بكتب علمية نفيسة ؛ وكم من مرة شد الرحلة لمراكش وفاس للاخذ عن العلماء ، وكان يطيل المقام بالخصوص في القرويين للتدريس بها ، وممن اخذ عنه هناك : الشيخ عبد الواحد بن علي بن عاشر ناظم المرشد ، المتوفى

قال سيدي بلقاسم في تعليقه على القصيدة ، وعبد الحق هذا ... المفتوك به ، هو عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السكوني نسبا ، الفجيجي مسكنا ، احد الائمة القائمين بالعدل الدائم ، الصادعين بالحق الملائم ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، اجزل الله ثواب فتكته ، وافاض علينا من بركته ؛ ه تعليق سيدي بلقاسم

وفي اثناء حرارة موت شيخه المذكور ، قام بترحيله من ضريحه الذي دفن فيه اول مرة ودفنه في محل آخر ، وبني عليه ضريحا متواضعا لا زالت جدرانه قائمة لحد الان قرب ضريح سيدي بن هلو السكوني ، ثم بعد ذلك شد الرحيل وهجر من فجيج حوالي عام 920 ، وصحب معه اهلا وذرية ، وترك بمنزله بفجيج اهلا وذرية . وبينما هو في طريق هجرته مارا ببلاد توات ، اذ شاهد من اناس بها تعظيما ممقوتا لليهود القاطنين هناك بصفة ينكرها الشرع الكريم ، ويمجها العقل السليم ، وفي ذلك يقول ابن اخيه سيدي بلقاسم رحمه الله : وللناظم رحمه الله قصيدة لامية في معارضة اهل توات من بلاد الصحراء ، وفقههم العسوني التلمساني ، والرد عليهم حين صح عنده اكرامهم لليهود بها، وتعظيم قدرهم لديهم فيها ، وابطاحتهم اياهم من الامور ما منعهم منه الشرع العزيز، نظرا الى ما يصيبونه من دنياهم ، فجعلوا ذلك ثمن اخرهم ، ورضي بذلك اعلمهم واعلاهم ، كما رضي به اجهلهم وادناهم ، فعاتبهم على ذلك غاية العتاب ، وحذرهم على سوء المنقلب وشعر المئاب ، فلم يبق فيها رحمه الله ولم يدر ، ما يبيع عنهم وعن غيرهم غياهب الظلام والكدر . وصيرهم عبرة لمن اعتبر ، مع انه رحمه الله مستغرق الاوقات بالاسفار ، وقل بلد لم يطأه من سائر الاقطار ، انتهى تعليق سيدي بلقاسم .

غير انه لم يذكر اي محل كان فيه اليهود هناك ، لان توات قطر شاسع ، واليهود كانوا في نقطة قليلة منه فقط . - ثم واصل هجرته الى ان انتهى به السير في مدينة جنبي التي هي مملكة برنسو في ذلك الزمان . وهناك استأنف اعماله الصالحة من نشر العلم وتعاطي طرق الكسب الحلال ، وعاش هناك في السودان مايزيد على الثلاثين عاما . ثم توفي وترك ذرية مشهورة ، وله ضريح يزار ، رحمه الله رحمة واسعة .

اما تاريخ وفاته بالضبط فلم نعر على تحقيقه ، وقد قيل انه توفي قبل وفاة اخيه سيدي محمد بنحو العامين ، او بعده بعامين ، واخوه سيدي محمد الذي هو اصغر منه توفي بفجيج في رمضان عام 956 هجري ،

هنا انتهى القول وتم القصيد
بحول من يوتي الهدى ويرشد
وذاك في العاشر من شعبانا
سنة تسعمائة حبانا
واربعاً من بعدها ، نخلت
او زدت او قدمت او اخرت
الى آخرها ، وله رحمه الله قصيدة يرثي بها
بعض اهل الفضل ، الحائزين قصب السبق في العلم
والعمل والعدل في زمانه ، ذكرها سيدي بلقاسم رحمه
الله في شرح السلوانية .

سبب هجرته رحمه الله الى السودان

كان احد شيوخه وهو الشيخ عبد الحق السكوني
من فقهاء الزاوية الكبيرة ، قاضياً مبرزاً ، ومفتياً
مقصوداً ، فاعتدى عليه احد السفهاء فقتله بسبب فتيا
شرعية ضده ، ولا يخلو زمان ومكان من سفهاء يجرحهم
الحق لارتكاب مثل تلك الجريمة . . ؛ فغضب تلميذه
الرحالة سيدي ابراهيم لهذا العمل الشنيع ، وهجا
ذلك المفسد وعاتبه عتاباً حاراً بصيغة الجمع في قصيدة
نوه فيها بوجوب الهجرة الى الله ، والرحيل من جوار
من تغيرت بسببهم البلاد ، ولم يبق فيها من يردعهم عن
الفي والفساد ؛ وهذه ابيات منها :

تغيرت البلاد واحلوك الليل
وشب ضرام الشر وانهمر السيل
وعان الرحيل من بلاد تأمرت
بها المفسدون واستمر بها الهول
اتسكن ارض ليس ينهى سفيها
ولا يتقي فيها قصاص ولا عدل
ولا يامن الاخيار شر شرارها
على خطر يبقى بها من له الفضل
تعين فرضاً ان يهاجر عنهم
الى الله من له البصيرة والعقل
فتكتم بعبد الحق لا در دركم
على قوله للحق وهو له اهل
هنيئاً له نيل الشهادة منكم
وويل لكم من حاكم حكمه العدل
نهينا عن الرهبان من غير ديننا
فكيف بأهل الدين جاءكم الويل
فان يشكوكم خلق الى خلق مثلكم
فانا شكوناكم لمن ما له مثل

وفيه لاهل الفضل والدين عبرة
وتذكرة لها لديهم مواقع
ويورث طيب النفس والجود والسخا
ويألف منه الصبر من هو جازع
وينفي الهموم المهرمات عن الفتى
ويقمع وفد الشيب كي لا يسارع
ويورث عند الالتحام شجاعة
وفيه من السر الخفي بدائع
كرعي نظام وافتقار رعية
وحفظ جناب من عدو ينازع
وتدبير امر العيش والفتك بالعدا
وصيد اسود الانس والوحش تابع
اذ الحرب خدعة وكيد فربما
تحيل بالنقص الدهاة التبايع
فاظفرهم بكل عاد معاند
على غرة فدرجته الضراجع

عدد ابيات هذه القصيدة 214 وتشتمل هي
وشرحها على مشروعية الصيد من الكتاب والسنة .
ويوضحان ما في تعاطي الصيد من المنافع التي لا تحصى ،
مع تطبيقات مرتبطة بين الوقائع والآيات القرآنية ،
والاحاديث النبوية ، وفيها تصوير للملاحم وتديبر
الامور الحربية ، مما لا غنى للجندي وكل وطني غيور
عنها ، الى ما فيهما من الثقافات والآداب العالية
والنصائح الغالية ؛ يحتاج اليها كل معلم وطالب ،
ليتحلى بها في حياته العادية ، وحياته الفكرية ؛ على ان
قارئ القصيدة مع الشرح ، يحس كان احد المؤلفين
يتحدث اليه بلهجة صادقة تربوية مغناطيسية تنفذ الى
القلب ، ثم يشع منها ضوء على الفكر .

وفي عام 904 هـ تم مترجمنا سيدي ابراهيم
الفجيجي ، ارجوزته : « المفيدة » في العبادات والمقائد
والاخلاق ، قل من نسج على منوالها ، عدد ابياتها 817 ،
ابتدأها بقوله :

يقول راجي رحمة الففار
ابراهيم بن عابد الجبار
الحمد لله الذي بحمده
نيل مزيد فضله في وعده
وبعد فالقصد بهذا الرجز
نظم نفائس بلفظ موجز
من درر المفروض والمسنون
وما له يحتاج كل حين
وقال في خاتمتها :

في ربيع النبري عام 1165 هـ ، ونصها : الحمد لله ، لما ثبت العلم معقولا ومنقولا للامام الكبير ، الشيخ سيدي عبد الجبار بن احمد بن موسى البرزوزي الفجيجي رحمه الله ونفعنا به وبعلومه ، مصنف تفسير القرآن في اثني عشر جزءا ، ومختصر حياة الحيوان ، ولولاده الثلاثة : سيدي ابي اسحاق ابراهيم ناظم الارجوزتين ، احدهما في علم الدين تسمى مفيدة الولدان ، والاخرى في علم الصيد تسمى بروضة السلوان ، قل من نسج على منوالهما . وسيدي احمد القاضي ، واخيها سيدي محمد فتحا الجامع بين علم الشريعة ودرجة حقيقة الولاية . وابنه سيدي ابي القاسم ، ناظم مختصر الشيخ خليل بن اسحاق ، بأوجز لفظ وحسن اتساق ، وشارح روضة السلوان المنسوبة لعمه المذكور ، وكلامهم في ذلك يشهد بفزارة علمهم ، وعباراتهم فيه تشهد بحذاقتهم وجودة قريحتهم ، وان فهمهم الثاقب ، في العلم انفذ من السهم الصائب ، لله درهم . حسبما شهد لهم بذلك الائمة في كل الاقطار ، والعلماء بسائر الامصار ؛ هذا ، وان ما جمعه الوالد المذكور واولاده في صدر القرن العاشر ، من خزانة الكتب بدار العدة المشهورة ببلد فجيج ، من اجل خزائن المدن واكبرها ، وليس الخبر كالعيان : (حبس) على من ينتفع به من الذرية وغيرهم بالنظر فيها والاستنساخ منها ان كان اهلا لذلك ... الى آخر ما فيها .

غير انه بكل اسف لم يبق من الكتب في خزانة دار العدة ، سوى اوراق مبعثرة لا فائدة فيها . اما الكتب المهمة فقد لعبت ببعضها ايد مفرضة ، حتى وصلت لخزانات اوربا وغيرها ، ووزع الباقي منها بعض ذرية محبسيها - كما في علمكم - حتى لا يؤل امرها الى ما صار اليه ما فقد منها . (ولله الامر من قبل ومن بعد) . - ثم لنرجع لشرح السلوانية ، فقد استغرق فيه ابو القاسم ستة عشر عاما ، فقد قال في ختامه : وكان الفراغ من تعليقه عشية الاثنين سادس عشر ذي حجة الحرام عام 986 ، كما كن ابتداءه في حدود السبعين . ١ هـ

والمظنون انه اتمه بعد رجوعه من وقعة وادي المخازن المشهورة ، اذ قد حضرها من جملة العلماء التابعين لشيخ المشايخ سيدي يوسف الفاسي الفهري دفين القصر الكبير . ولم ياخذ شيئا من فيثها تبعا للعارف بالله سيدي يوسف المذكور ، الذي تورع عن الفياء لاسباب معلومة في محلها . -

وقبل الختام ايها الاخوان ، اهيب بكم جميعا ان توجهوا قليلا من عنايتكم ، وقليلا من كرمكم ، للتعاون على طبع شرح منظومة السلوانية ، ما دام سهل التناول . . ؛ احياء لتراث علماء بلدنا ، وقيام ببعض حقوقهم علينا ، وتنويعا بمكانتهم العلمية والادبية ، في وسط المثقفين من اهل مغربنا . وانتفاعا بثأرائهم الثمينة ؛ فانه شرح نفيس ينبغي لكل فرد منا ان يجعله ذخيرة لنفسه ولاجياله من بعده . واسم هذا الشرح هو : (الفريد ، في تقييد الشريد ، وتوصية الوكيد) ، وهو الذي قال عنه صاحب المنجد ، في زيادته الجديدة ، انه موجود في خزانة الكتب ببرلين ، ونسبه لسيدي ابراهيم غلطا منه ، ذكره في حرف الفاء عند ذكره لفجيج .

نعم ، هذا الشرح موجود بفجيج ، وفي برلين ، وفي باريز ، وفي الرباط ، وفي الجزائر . ولكن لم يهتد احد لطبعه لحد الآن ، وانما وقفنا على طبع القصيدة فقط ، اعتنى بطبعها وترجمتها ترجمة ملخصة للفرنسية : طبيب فرنسي من اساتذة كلية الجزائر ؛ كما ان نابغة المغرب السيد عبد الله كنون نقل من القصيدة مائة بيت وبيتين في الجزء الثالث من مؤلفه : « النبوغ المغربي » ، متع الله دولة الادب والثقافة بحياة سيدي عبد الله كنون واكثر من امثاله .

توفي ابو القاسم في عام 1021 هجري ، وعمره يناهز المائة سنة ، ودفن بضريح والده سيدي محمد بن عبد الجبار بالمسجد الجامع بقصر المعيز بفجيج ، رحم الله الجميع رحمة واسعة ، وجعلنا من المقتنين اثرهم في تحصيل الثقافة المغذية للقلوب والارواح ، المطبوعة بطابع المعقول ظاهرة على الالسنه والاشباح .

فجيج : محمد بن عبد الحق الودغيري

« والانعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق الانفس ، ان ربكم لرؤوف رحيم » الى آخر الآيات .

ان الاخبار المتواترة ، وقرائن الاحوال المتكاثرة ، تدل على ان فجيح هذا ، كان مؤسلا للخائفين ، وموردا مورودا للمتعلمين ، من اوساط القرن السادس الهجري الى آخر القرن الثاني عشر . باستثناء بعض الظروف الشاذة القليلة ، التي كان يظهر فيها بعض الفوضويين المعكرين للجو . ولكنه في مكان دون آخر ، ولا يكاد ينتشر شرهم حتى تذهب مخاوفهم ، - ولقد اثرت دروس التربية الدينية والوعظ والارشاد ، في سكان هذا البلد تأثيرا بليفا ولا يزال اثرها كامنا في نفوس اهله ، ظاهرا على اخلاقهم ، من تلك القرون حتى الآن . وليس الخبر كالعيان وبعبارة اخرى : والمشاهدة اقوى دليل واسطع برهان ، - وما ظنكم ببلد انتشر بين سكانه حفظ القراءان ، واتحدت فيه دراسة التفسير والحديث ، ودراسة الفقه ، ودراسة الاخلاق المؤسسة على منطوق وصريح الكتاب والسنة طوال قرون ، حتى كان بلد فجيح في تلك الاحقاب يزخر بالعلم النافع في جميع معاهده المتعددة ، وكان لا يحتاج الى غير علمائه في الامامة والفتيا والقضاء . وكانت البلدان الاخرى تحتاج الى علمائه . وبفضل انتشار العلم ومحاربة الامية بهذا البلد ، حصل فيه لاهله الاستقرار التام ، والاطمئنان على الانفس والاموال .

ذلك هو العهد الزاهر الذي عاش في بحبوحته ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الجبار ، وابن اخيه ابو القاسم ، وهما ايضا من جملة العلماء الذين يرجع اليهم الفضل في زمانهم في استقرار الامن وحسن التربية ، والثقافة العلمية في هذه الربوع .

وفي هذا الصدد لابد لنا من النظر الى وثيقة تاريخية انرية حاضرة معنا ، محررة بخط واسلوب وتوقيع العلامة الاجل ، قاضي الجماعة في زمانه ، سيدي محمد فتحا ابن ابراهيم بن عبد الجبار الودغيري ، التي نوه فيها بما كان لسيدي عبد الجبار واولاده من الباع الطويل في فنون العلم والتأليف ، وما كان لهم من الاعتناء بتخصيص خزانة كبرى جمعوا فيها الكتب النفيسة للانتفاع بها ، كما هو الشأن في خزانات كبريات المدن .. الخ . مؤرخة هذه الوثيقة

عام 1040 هجري ، والشريف الزاهد سيدي مولاي عبد الله بن علي بن طاهر العلوي المدغري ، كما اشار الى ذلك سيدي عبد الحفيظ الفاسي في مؤلفه : «رياض الجنة» ج 3 : ص 34 ، ويؤيد ذلك ما ذكره تلميذ ابن عاشر : الشيخ احمد ميارة في شرحه الكبير على نظم المرشد ، عند كلامه على معاني (لا اله الا الله) ، فاسمعوا معي للشيخ ميارة يقول : وهذا المعنى هو الذي عقد شيخ شيوخنا ، الامام الشهير ، الحافظ الكبير ، الولي الصالح ، الحاج الرحال ، سيدي ابو القاسم بن الامام الحافظ الاثير ، القاضي سيدي عبد الجبار بن احمد بن موسى البرزوزي الفجيحي رحمه الله بقوله :

فصل ومعنى لا اله الا
الله جل الرب نعم المولى
ما في الوجود من اله يعبد
بحق الا الله فرد صمد

الى آخر ما قرره في الثمانية الايات من المعاني ؛ وفي وصف الشيخ ميارة لسيدي بلقاسم بشيخ شيوخنا كاف لحقيقة ما نقلناه .

حاله في عامة حياته

كان ابو القاسم رحمه الله - على ما بلغنا بطريق التواتر - مثالا للزهد الحقيقي ، في مأكله ومشربه وملبسه ، كانه كان يمثل الحكمة العمرية : «اخشوشوا واخولقوا فان الحضارة لا تدوم » . زاهدا كذلك في الحظوظ النفسية ، متباعدة عن التظاهر ... حتى بالمقامات العلمية التي هو متصف بها ؛ وكان كثير الصدقة على المحتاجين ، وعلى الطلبة الوافدين لتلقي العلم عنه وعن غيره في زاويتهم ، اذ كانت نفقتهم جارية من داره سواء كان حاضرا ام غائبا ، وفي هذا المقام كان عاملا بقول الله سبحانه : « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

شعره

كان ابو القاسم مؤلفا بالنثر والنظم ، مثل نظمه لمختصر خليل ، وله اشعار حلوة سلسة في مقاصد شتى . منها شعر نظمته عن ظمن واقامة غنمهم وانعامهم في مواقع المراعي وبهجتها ، ورحلاتهم بها في الصيف والخريف والشتاء والربيع للمراكز المناسبة لكل فصل من فصول السنة ، مشيرا فيه للجمال الذي اودع الله في ذلك كله في آيات سورة النحل :

الاموال او هل هو في حاجة الى مجاملة الفقراء على حساب الاغنياء ، — كلا — ان الاسلام لم يحارب طبقة من الطبقات في مجتمعه وانه لم يجمال طبقة على حساب طبقة أخرى كما انه لم يرد تعطيل الاعمال وشل الحركة التجارية وانما هو تشريع عام صالح لكل زمان ومكان يهدف الى خير المجموع ، لانه جاء للعالمين كافة ولم يأت للفقراء بمفردهم كما انه لم يأت للأغنياء بمفردهم ولم يرد ان تطفى طبقة على طبقة ولذلك حرم الربا .

ولكن هل الاسلام وحده من بين الديانات الاخرى حرم الربا ؟ كلا فقد حرمت الديانات الاخرى الربا تحريما قاطعا . فالديانة النصرانية تحرم التعامل بالربا بين النصارى مع بعضهم وبين النصار وغيرهم . وهذا هو نص الانجيل في تحريم الربا (2) « وان اقرضتهم الذين ترجون ان تستردوا منهم فأي فضل لكم فلان الخطاة ايضا يقرضون الخطاة لكي تستردوا منهم المثل » .

ويقول المؤلف « بان الاجماع منعقد بين الكنائس جميعها على تحريم الربا » فلقد ثارت الكنائس حين اراد بعض المرابين استباحة الفائدة فلم ترض الكنيسة ولم تسمح بذلك . ولقد سجل الزعيم المسيحي (لوتر) موقفا خالدا حينما نادى بتحريم الفائدة وأعلنها حربا شعواء على المرابين حيث قال : « ان هناك اناسا لا تبالي ضمائرهم ان يبيعوا بضائعهم بالنسيئة في مقابل اثمان غالية تزيد على اثمانها ... بل هناك اناس لا يحبون ان يبيعوا شيئا بالنقد ويؤثرون ان يبيعوا سلعهم جميعا بالنسيئة . ان هذا التصرف مخالف لاوامر الله مخالفته للعقل والصواب » .

وعن تحريم الربا في الديانة اليهودية جاء في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج عدد (25) ما نصه : « ان اقرضت لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي » وفيه بعد ذلك « ان ارتهنت ثوب صاحبك فالى غروب الشمس ترده اليه .. لانه وحده غطاؤه ، هو ثوب لجلده .. في ماذا ينام ؟ » . وجاء في سفر التثنية بالاصحاح الثالث والعشرين : « لا تقرض اخاك الاسرائلي ربا ، ربا فضة او ربا طعام ، او ربا شيء مما يقرض بربا » .

وجاء في كتاب المقارنات والمقابلات بين احكام

ثم اخذ بعد ذلك يشرح كلمة ربا في اللغة وفي المفهوم وقد اعطى امثلة كثيرة من القرآن والاحاديث والاشعار ومن الكتب السماوية الاخرى واقوال بعض الائمة المسلمين المعاصرين للنبي (ص) وغير المعاصرين ففصل اولا مفهوم الربا في الجاهلية فقال : « روى مالك عن زيد بن اسلم في تفسيره آية آل عمران قال : كان الربا في الجاهلية ان يكون للرجل على الرجل حق الى اجل ، فاذا حل قال انتقضي ام تربى ، فاذا قضاه اخذ والا زاده في حقه وزاد الاخر في الاجل . ذكره الحافظ في الفتح » وهذا ما يعرف (بربا النسيئة) اي ان الدائن يؤخر دينه والمدين يزيده في المال وكلما أخزه زاد في المال حتى يصير المائة عنده الالفا مؤلفة .

واما ربا الفضل فتحريمه من باب سد الذرائع كما صرح به في حديث ابي سعيد الخدري (ض) عن النبي (ص) : لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فاني اخاف عليكم الرماء (1) فمنعهم من ربا الفضل لما يخافه عليهم من ربا النسيئة .

وقد شرح المؤلف — وبكيفية دقيقة ومقننة — الفرق بين ربا النسيئة و ربا الفضل . معتمدا في ذلك على النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة . مشيرا الى ان القرآن حرم الربا تحريما اشد ولهذا قال تعالى في سورة البقرة آية 278 — 279 : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » والاية الكريمة تشمل ربا النسيئة والفضل معا .

وجاء في كتاب (الكبائر) قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة . وقال « الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » .

وبعد ذلك تطرق الاستاذ خروفة الى اقوال بعض الفقهاء في الربا خصوصا اقوال الحنفية ، والشافعية والامامية . والمالكية والحنابلة ، ففصل قول انصار كل مذهب على حدة فخرج بنتيجة واحدة وهي ان جميع المذاهب تحرم الربا ثم تسأل المؤلف لماذا حرم الاسلام الربا ؟

« هل للاسلام عدا مع طائفة من اتباعه ، وبعبارة صريحة : هل الاسلام يحارب الاغنياء واصحاب رؤوس

(1) والرماء هو الربا . كما قال صاحب القاموس المحيط) .

(2) انجيل لوقا في الاصحاح السادس بالعدد 34 .



الربا والفائدة

في الشرائع الإسلامية واليهودية والمسيحية وعند الفلاسفة والاقتصاديين

تأليف علاء الدين خروفة
تقديم عبد الرحيم بن سلامة

الفائدة والربا يحتوي على 148 صفحة من الحجم المتوسط قسمها المؤلف الى ازيد من اربعين موضوعا درس من خلالها الربا والفائدة في الشرائع الإسلامية واليهودية والمسيحية وعند الفلاسفة والاقتصاديين ، وقد توصل سيادته الى نتيجة هامة واسباسية وهي ان جميع الديانات تحرم الربا والفائدة ولا تقبل المعاملات الربوية مهما كانت الظروف والاحوال .

وقد حاولت مرارا ان اعلق على هذا الكتاب القيم ولكن ظروف في العمل والتحصيل لم تسمح لي بدراسة هذا الكتاب دراسة عميقة حتى يكون التعليق ايضا في مستوى موضوعات الكتاب .

وقد رأيت من اللازم ان اقوم بواجبي نحو مؤلف هذا الكتاب ونحو قراء هذه المجلة الإسلامية الذائعة الصيت . فاقدم لهم في عرض وجيز ما تضمنه كتاب الربا والفائدة من معلومات مفيدة .

لقد استهل المؤلف كتابه بقوله : « ان الاسلام عقيدة وانظمة ... اجتماعية واقتصادية وسياسية ... لقد شرع الصلاة ليضمن بقاء الانسان على صلة دائمة بخالقه الاعلى ، وشرع الصيام لحكم كثيرة منها بدنية ومنها دينية ، وشرع الحج لنافع دينية ودنيوية واخروية ، وشرع الزكاة ليضمن تعاون الغني مع الفقير في سبيل تقدم المجتمع » .

الاستاذ علاء الدين خروفة من الباحثين الكبار الذين يهتمون بالموضوعات الإسلامية ولاسيما تلك التي تهم الاحوال الشخصية والقضايا المدنية في المعاملات الإسلامية .

ولقد شاعت الصدف ان اتعرف على هذا الانسان الذي يمتاز بدفاعه عن الاسلام ومحاربة كل الامراض التي تطفئ على المجتمعات الإسلامية ، والربا في نظره مرض وبيل وداء عضال لا يصيب مجتمعا من المجتمعات الا انهك قواه وفرق شمله وارهق اعضاءه .

لذلك تفرغ الاستاذ خروفة لدراسة « الربا والفائدة » في مختلف الشرائع والديانات ، وقد كانت حاصلة جهوده ، هذا الكتاب الذي نحن بحسب عرضه والتعليق عليه ، وكتابه هذا هو عبارة عن محاضرة القاها سيادته امام اعضاء جمعية الاقتصاديين العراقيين « فرع البصرة » . وقد نوهت الصحف بكتاب « الربا والفائدة » فقالت عنه صحيفة العهد الجديد العراقية « انه اول كتاب يقنع القارئ ويبعده عن المعاملات الربوية » ونظرا لكثرة التعليقات عن هذا الكتاب القيم كتبت لصديقي علاء الدين اطلب منه كتابه الربا والفائدة ، فلبى سيادته طلبي فبعث الي مشكورا مجموعة من مؤلفاته من ضمنها الجزء الاول والثاني من كتاب الاحوال الشخصية والكتاب الذي طلبته . وقد ذيل كل كتبه بعبارات مجاملة اشكره عليها ، وكتاب

أما الاستاذ عيسى عبده ابراهيم فيقول « لاكسب بالانتظار ، وان العلة في دفع الربا في القرون الوسطى — ثم في يومنا هذا — هي الانتظار ويعبرون عن ذلك بالانجليزية

وأخيرا تعرض الكاتب الى المضاربات التي تتخبط فيها الابناك والمصاريف وصناديق التوفير الوطنية والاجنبية ثم تسأل هل هذه المضاربات والفوائد التي تعود منها ، تعد من قبل الربا أم لا ؟ وبعد بحث دقيق قام به المؤلف والتعرض لاقوال الكثير من فقهاء الاسلام اكد الاستاذ خروفة بأن الفوائد التي تجنى من المعاملات المصرفية والبنكية هي ربا لا تختلف عن ربا النسيئة أو الفضل . وهنا ذكر موقف السيد رشيد رضا من الربا الذي ملخصه « أن الربا حرام نهى الله عنه في كتابه » ، ثم موقف الاستاذ الاكبر الشيخ محمد شلتوت شيخ الجامع الازهر رحمه الله من الربا والفائدة حيث عارض الفائدة ودعا الى الغائها عام 1950 ولكن ظروف بلاده — يقول المؤلف — جعلته يغير رأيه سنة 1960 بغير ما افقته به عام 1950 مستندا في ذلك على الادلة الشرعية وهذا جائز اجتهادا .



ولكن جمهور علماء المسلمين وفي مقدمتهم الاستاذ الجليل الشيخ محمد ابو زهرة والدكتور عبد الله درازة رحمه الله والاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج عارضوا الفائدة بشدة ودعوا الى الغائها لأنها لا تختلف عن الربا في شيء بل هي الربا عينها . وقد ادرج سيادة المؤلف اقوال كثيرة للسادة العلماء الكبار . ونحسن نكتفي هنا باجتهاد لجنة الفتوى التابعة للازهر الشريف

التي تضم معظم العلماء الاجلاء المذكورين ، فقد نصت اللجنة على (ان اخذ فائدة من راس المال المودع في بنك أو احد المصارف محرم لانه من الربا المحرم بالكتاب والسنة والاجماع) (5) . وهناك فتاوى أخرى في الموضوع لا يسع المقام لذكرها .

هذا هو رأي الاسلام الصحيح .. الاسلام الذي لا يحابي احدا ولا يجمال فئة قليلة على حساب فئة كثيرة ، اما الاقتصاديون الذين اباحوا الفائدة فلا شأن لنا بهم ويكفي اننا عرفنا الكثير منهم نددوا بالفائدة وذكرنا اسماء لامعة لمؤسسي الاقتصاد الذين لو علموا أن هناك منافع سيجنيها الاقتصادي من الفائدة لقرروها ولكن اغلبهم استنكروها . فهذا اللورد (بويداور) يقول « ان الفائدة سبب اصيل من اسباب الاضطراب الاقتصادي الراهن » ولكن هل من الممكن ان نعيش في مجتمع بلا ربا ؟ ان في استطاعة مجتمعنا الاسلامي ان يعيش بدون ربا اذا اتبع المسلمون تعاليم القرآن والسنة الخالدة من دون الالتجاء الى تأميم المصاريف أو الغاء البنوك أو القضاء على رؤوس الاموال كما يظن بعض الاقتصاديين ولعل الزكاة احسن دواء للقضاء على مرض ربا الفوائد حتى يستغني المحتاج عن الاقتراض بفوائد وليست الزكاة هي الدواء الوحيد بل هناك حلول كثيرة شرعها لنا لاسلام .

هذا هو كتاب « الربا والفائدة » لمؤلفه الاستاذ خروفة وهو كما راينا كتاب مهم جدا يجدر بك ايها القارئ الكريم ان تعمل على اقتنائه والاستفادة من معلوماته القيمة

فاس : عبد الرحيم بن سلامة

5) فتوى صدرت عن لجنة الازهر الشريف بتاريخ 16 — 10 — 1916 تحت رقم 650 ونشرت بالجدول العشري الاول بعدد 1172 .

المرافعات والمعاملات والحدود في شرح اليهود ونظائره من الشريعة الإسلامية الفراء تاليف محمد حافظ صبري ص 478 : « الربا محرم تحريما مطلقا بين اليهود وبعضهم فيما يقتضيه بعضهم من بعض . ومن تعامل به مقرضا كان أو مقترضا فجزاؤه الخروج عن ملة اليهود » .

وهكذا تحرم الديانة اليهودية الربا أيضا في كتابها المحرف ، ولكنها تحرمه على طريقتهم الخاصة — بين اليهودي واليهودي — وتبيحه بين اليهودي وغير اليهودي .

وجاء في الإصحاح (3) : « للاجنبي تقرض ربيا ، ولكن لاخيك لا تقرض ربيا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك » وأنها تفرقة ما أنزل الله بها من سلطان ولا أتى بها أنجيل أو تورا أو قرآن ، ولكنهم اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وينسبون خطأ مما ذكروا به ، ومن هنا انطلقوا فأكلوا الربا من غيرهم وملاءوا العالم ربا في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وتوسلوا بثنى الأساليب ، ولم يتورعوا عن سلوك كافة الطرق للحصول على المال ولذلك نعي القرآن الكريم عليهم حيث قال « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما » .

ولقد ذكر المؤلف أمثلة كثيرة عن المجالات الاقتصادية التي سيطر عليها اليهود في العالم منذ الأزمنة القديمة حتى الآن حتى صار الاقتصاد العالمي لقمة صائغة في أيديهم نظرا لخروجهم عن تعاليم الديانة اليهودية .

وبعد ذاك انتقل المؤلف إلى الربا عند الفلاسفة فتساءل هل هؤلاء نادوا هم أيضا بتحريمها فأتى بأقوال أهم الفلاسفة في الربا فذكر بأن (أرسطو) و (أفلاطون) و (سولون) و (سان توماس كان) وغيرهم كلهم نادوا بتحريم الربا . فأرسطو يقول « الأرض يمكن أن تخرج نباتا ، والدابة يمكن أن تلد دابة مثلها . ولكن كيف يتصور أن يلد الدرهم والدينار درهما آخر ... لقد خلقته الطبيعة عقيما ويجب أن يبقى كذلك » (4) .

ومن هنا نفذ المؤلف إلى موضوع آخر وهو سعر الفائدة في مختلف دول العالم : في أمريكا ، وإنجلترا ،

وفرنسا ، وفي البلدان الأخرى فقال « وليست البلاد العربية من حيث انتشار الربا — بأسعد حالا من سائر بلاد العالم وبأن جشع المرابين الشرقيين لا يقل عن جشع المرابين الغربيين » .

وينتهي المطاف بالاستاذ خروفا إلى الفائدة وظهورها وراي الاقتصاديين فيها فأتى بقول الاستاذ غانز الخوري في كتابه : « مقابلة بين الحقوق الرومانية والحقوق الإسلامية والفرنسية والانجليزية » ص 338 « كانت الحقوق الرومانية أول حقوق أقرت جواز الفائدة واعتبرتها مشروعنة ويسمونها Intérêt usure على أنها لم تكن واجبة في كل قرض بل كان يتفق عليها بين المقرض والمستقرض بعقد مستقل عن عقد القرض يتم بطريقة التعهد Stipulation ولا يكفي لوجوب الفائدة تراضي الطرفين حماية للمستقرض وحذر استبداد المقرض وظلمه » .

هذا عن ظهور الفائدة . أما عن رأي الاقتصادي فيها فيقول المؤلف : « لقد دعا إلى الفائدة وأيدها وتحمس لها كثير من علماء الاقتصاد من بينهم : (ميكافلي) (وبودان) (وسيرا وتوماس من) . (وهنري جورج) (ومولر) (والفرد مارشال) . (وفلين) . (وجون كوفنر) . (وريزلي ميتشل) . و (فالفريدو وبوهم وباروك) . ومن أئمة المذهب الطبيعي نذكر (كيناي) طبيب لويس الخامس عشر في مؤلفه « الجدول الاقتصادي » ومن أئمة المذهب الحر (ريكاردو . ومالتوس) . (وستيوارث ميل) (وجان باتست ساي) في كتبهم الاقتصادية .

وكان ممن عارض الفائدة واستنكرها : « اللورد كينز » الاقتصادي الشهير وكذلك (آدم سميث) الذي يسمونه (أبا الاقتصاد) (1723 — 1790) وراي هذا الأخير في ربيع الأرض أنه إذا تكاثرت في حساب الثروة العامة كان من قبيل الكسب بغير عمل وهو لا يمنع الربح من الديون ولكنه يحده ويستحسن الاقتلال من قيمته . أما العلامة (شارل جيد) فقد ذهب في كتابه الاقتصاد السياسي المقرر في بعض الكليات حتى الآن — إلى (أن تحريم الربا من الضروريات في العصور الغابرة والان) وقد كان لرأيه هذا أثر كبير في الأوساط الاقتصادية .

(3) نفس المرجع (أي الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج عدد 25) .

(4) راجع (قصة الملكية في العالم ، للدكتور علي عبد الواحد وافي وحسن شماتة ص 85) .

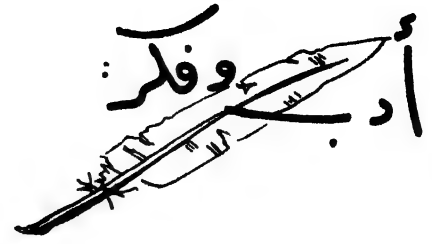
والتحليل يهدف الى بيان مظاهر الحياة المتناقضة من اقتصادية واجتماعية ، وهو بالطبع بمعناه الخاص ، من مميزات المجتمعات الشيوعية والاشتراكية ، ولكن بمعنى عام فان التحليل ظاهرة في كل ادب حي ، يهدف الى بلوغ نتائج ، واستخلاص العلام من معلوماتها وهو مرحلة من النضج الفكري ، تخرج بالادب من مجال العفوية البلاء ، او المجانية . وعندما ينظر كوزنتسوف على ضوء هذين الاتجاهين ، - النزعة الانسانية والتحليل - الى الادب ، يجد ان انتاج هذه السنة يتميز عن غيره من انتاجات قبله ، بظهور هذين الاتجاهين ظهورا لا تخطئه العين العابرة ، بله الناقدة والفاحصة ، ويحدد كوزنتسوف وظيفة هذين العاملين في الاكتمال الفني للعمل الادبي فيرى ان : « هذين الاتجاهين موجودان بوفرة في الادب المعاصر عامة ، وهما ما يضفي الحيوية على انتاجات هذه السنة .. »

والطيبة أي القصد الحسن ، واجتناب الاساءة الى الآخرين من أهم العناصر المكونة للنزعة الانسانية في الادب ، وهذا العنصر الانساني لا تخلو منه أعمال كثير من الكتاب الذين يعد ادبهم ضاربا في الانسانية امثال شولوخوف الذي يصور بطله في «مسير الانسان» طيبا الى اقصى حد وحيث تبدو هذه الطيبة ذات وظيفة اساسية في تطوير الاحداث التي تتقاذف البطل ، ويتنافى مفهوم الطيبة هنا مع الغفلة . فبطل شولوخوف في اتم درجات الوعي ، وطيته هذه تدفعه الى المغامرة في سبيل الآخرين ممن نكبتهم الحرب كما نكبته ، والى العمل على تخفيف الالام والمساهمة بكل الجهود المعنوية والمادية لنصرة العدالة . فهو ليس مجانيا ولا عبثا . وهناك دائما وراء كل تصرف أو سلوك تجسيم لطموح حار نحو فهم حقيقة الانسان والكون . وتثبيتها ، انها طيبة ايجابية فاعلة بناءة تنبع عن شعور بالمسؤولية التي يلقيها مفهوم « انسان » على كل من يحمله . وبهذا تختلف الطيبة الانسانية عند شولوخوف وفي الادب الحديث عامة ، عن نظيرتها التي خلفها العصر الروماني الذهبي كطيبة « الاحدب » او حتى طيبة « فالجان » عند فيكتور هيجو ، فتلك طيبة تنبعث عن - عنصر متافزيتي أو دافع لا شعوري ، فهي تستجدي الشفقة وتثير عواطف الرحمة . وطيبة الانسان الحديث تنبع مباشرة من معطيات الواقع وتستمر مرتبطة بهذا الواقع في خط أفقي يعمل على فهم هذا الواقع ، وتيسيره لسعادته وأمنه وسلامه ، فهي تقيض الاستكانة ومعادل القوة ، وصنو العدالة والمساواة . وتبعا لاختلاف بنية الطيبة في انسان اليوم ، تغير كذلك مفهوم البطولة .

والرؤية البطولية في ادب اليوم اتجاه جديد لم يظهر في ادب ما قبل الحرب الاخيرة ، او على احسن تقدير لم يظهر قبل القرن العشرين ، الا في قوالب هزلية : بطولة الفاشل ، حقا يمكن ان يستشف المتخصص من وراء قوالب السخرية والهزء ، مرارة تفيض عن شعور الكاتب الساخر بعمق المأساة الانسانية ، ومعارضة شرائط الواقع البشري ، لمطالب الكرامة والعدالة . ولكن هذا المضمون لا يستخلص الا بمجهود يخرق ضباب السخرية المكثف والذي قد يكون الداعي الى تكثيفه ضغط الظروف المجتمعة اكثر من الضرورات الفنية . فبطل اليوم ، يقف منذ الوهلة الاولى عاريا من الانتعة ، واول ما يواجهه فيه بطولته المخالفة لما عهدناه في عصور البطولات التاريخية ، انها بطولة فشل أو بطولة لا تأنف من ان يخالطها عنصر الفشل المؤقت ، الفشل الذي يخرق دكتته وقوته ، اشعاع الامل في غد سعيد ، وهذا يلتقي ايضا بمعنى الطيبة السابق ، فبطل اليوم بانسانيته ، يعي فشله أمام مختلف القوى المعارضة ، ولكن نظرته لحظة الفشل ، لا تخلو من معالم البسمة ، بسمة التفاؤل والامل ، بسمة الرجل الطيب ، الذي يعاود الكرة ويبدل الجهود من جديد لتحقيق الهدف النبيل ، وليس من قبيل الصدفة ان تظهر معالم هذه البطولة الانسانية في انتاج ادباء العصر الحديث على اختلاف مذاهبهم في الحياة أو اختلاف ظروف البيئة المحيطة التي ينتمون اليها ، وينتجون في ظلها ، فأبعاد التجربة البطولية عند شولوخوف تلتقي كل الالتقاء مع ابعادها عند همنجواي . فشيخ همنجواي يواجه فشله أمام البحر - والبحر هنا رمز لمختلف عوائق الانطلاق - بنفس المرارة والامل التي يواجه بها انسان شولوخوف مصائب الحرب ، وكل من البطالين في طيبوته البطولية يرنو الى المستقبل الى الغد أي انه يعاود التجربة .

ونعود الى حديث كوزنتسوف في مؤتمر الكتاب فاذا هو يعدد من مظاهر البطولة الجديدة ما يغير المفهوم التقليدي ، مفهوم البطولة (اليوم) يتضمن عدا الشجاعة ، التحمل ، وسمو النفس . وهذه التجربة البطولية بالنسبة للحرب ، تكتمل لدى الانسان المعاصر في مفهوم العالم « وكوزنتسوف في هذه العبارة يلح الى مفهوم العالم ، الذي أصبح في عصرنا ، قطعة واحدة متصلة ، يتأثر اقتصادها بأقل ما يحدث في أدناها .

ويأتي كوزنتسوف بعد ذلك الى « مظهر آخر للنزعة الانسانية في الادب المعاصر ، وهو تفاعل الكاتب مع بطله الذي هو أحد أفراد الشعب تسيطر



القيم الإنسانية في الأدب الحديث

للأستاذ ماريث بيج

معالمه وحده ، وإن الفائدة من هذا مهما تكن كبيرة على الأدب والادباء فهي لا تعدو أن تكون أضواء على جزء من عالم الأدب ، هو جزء العالم السوفييتي أو العالم الاشتراكي على أكبر تقدير ، وبالتالي فهي أضواء قاصرة ، بالرغم من كل ذلك فإن الاتجاه الذي اتخذته المؤتمر هذه السنة ، وتعدد المشارب المشاركة فيه ، والمشاكل التي تفتح عليها ، لا تدع مجالا لهذه الخاطرة ، فالمؤتمر لم يكن عديم الاتصال بالاداب المختلفة ، بل كانت مأخوذة بعين الاعتبار ، بالإضافة الى أن المؤتمر أبان عن القيم والمبادئ التي من شأنها أن تكون عاملا مشتركا بين كل الاداب والمهتمين بها . ويتجلى ذلك على سبيل المثال في الحديث الذي ساقه الاديب والناقد الروسي ميخائيل كوزنتسوف (1) ، وقد ركز في هذا الحديث — الذي كان له وقع طيب في نفوس المؤتمرين ، نظرا لما اتسم به من دقة وعمق ووضوح — على «اللزعة» الإنسانية والتحليل «Humanisme et analyse» ورأى أنهم القيمين اللتين ينطبع بهما الادب الحديث ، واللزعة الإنسانية هذه ، بما تتميز به من محبة للبشر على اختلاف الاجناس ، ومحاولة التعبير عن مشاكلهم ، ودفاع عن حياة السلم والمساواة ، وجدت ما يغذيها في ادب ما بعد الحرب العالمية الثانية التي اکتوى بنارها العالم اجمع ، ولاشك أن أسباب الاتصال القوية بين اجزاء العالم اليوم ، والشبح الذري الجاثم على رأس الإنسانية يهدد في كل مرة بالانقراض ، كل ذلك أيضا له اثره في نسج خيوط الاتجاه الإنساني في الادب الحديث .

لا شيء كالتجمعات الادبية والمؤتمرات يوضح المراحل التي قطعها الادب في مجال التعبير عن مواطن الانسان بل وقيمة هذا التعبير . ويرجع ذلك ولا شك الى جو النقاش الذي يسود خلال المؤتمرات . والاحتكاك الفكري . وبهذا الصدد نحاول أن نلقي بعض الاضواء ، على المناقشات التي دارت على هامش مؤتمر اتحاد الادباء السوفييت ، هذا المؤتمر الذي بلغت مناقشاته هذه السنة عمقا وتفتحا على مشاكل الادب لعلها لم تبلغها أي دورة من دوراته السابقة . ومما يلاحظ أن هذا المؤتمر كان في الحقيقة مجرد نقطة مركزية تدور حولها المناقشات ، والا فان المناقشات تعدت جدران قاعاته وحصلت الجلسات الرسمية . فمختلف المجلات العالمية كانت تسير ما يدور بواسطة مبعوثيها وبواسطة الوفود الأجنبية التي حضرت المؤتمر وفي الاتحاد السوفييتي نفسه لم تكن المناقشات الدائرة على الهامش ، خارج المؤتمر ، بأقل عمقا أو تفتحا على المشاكل مما يجري داخله . وقد شارك في خلق هذا الجو جبهة من النقاد الادباء على السواء . وتبدت بدون شك خلاصات حول كثير من القيم ، ومدى وعي الكتاب — لمسؤولياتهم ، ولقيمة الكلمة ، أو تغافلهم عن ذلك . وتطرقت الدراسات خلال المؤتمر أيضا الى جانب النقد ودوره في ازدهار الادب ، ورسالته .

وبالرغم من أن ما يتبادر الى الذهن أولا ، هو أن هذه الاضواء تساعد على فهم الادب السوفييتي ، وتبين

الادب الى نطاق التحليل المجتمعي والتاريخي وذلك ادلى به ان يتناول في حديث خاص .

اما عن نقطة التحليل والتركيب وهي النقطة التي تتصل اتصالا مباشرا بما قرره ميخائيل كوزنتسوف في كشفه عن القيمتين الاساسيتين للادب المعاصر . يرى ستاريكوف ان التحليل يعرض صعوبات جمة ولا يمكن للادب المعاصر ان يقف عند هذه القيمة وحدها بل لا يمكن لدارس الادب ان يتخذها القيمة الاساسية ما لم يرافقها التركيب *Synthèse* الذي يشكل القيمة الاساسية الحق ، التي تخرج بالادب من مهامه التحليل ومنعرجاته الغامضة الى الهدف المرسوم ، وقد يستدعي لفظ التركيب وقفة ، فاذا كان التحليل يرد الكل الى اجزائه وعناصره ، اي يقسم الظاهرة حسب منهج علمي محدد للكشف عن مكوناتها ، فان التركيب هو الرؤية الكلية المتكاملة للظاهرة من خلال عناصرها المحللة ، هذه الرؤية هي ما يعطي للظاهرة معناها . فالتحليل لا يكفي اذن لان الكشف عن المكونات والدقائق التي تتضمنها الظاهرة ، لابد ان تصحبه ضمنا او صراحة عملية تركيب ، اما اذا تخلت عنه هذه العملية فمعنى ذلك ان المحلل بعيد عن فهم الظاهرة المحللة ، ومهما يبلغ من عمق التحليل فلن تكون وراءه فائدة .

ويسير يوسف كرنبرك في نفس الاتجاه أي في اعطاء الاهمية الى عملية التركيب ، فهو يرى ان الوقوف عند التحليل في الادب لا يكفي اذ « يجب ان يستمر التحليل حتى يؤدي الى التركيب » بيد ان التركيب لا يجب على المؤلفين الادباء فحسب بل ان ذلك يقع على عاتق النقاد ايضا .

وفي الواقع ان مفهوم التركيب يتضح بصفة اكثر في عمل النقاد فالنقاد عندما يدرس الاثر الادبي اي

عندما ينتهي من دراسة التحليل الذي يقدمه المؤلف ، يكون عليه بالضرورة ان يقوم بعملية تركيب وبدون هذه العملية لا يمكنه قط ان يصدر حكما قيميا معقولا على الاثر الادبي ، ولكن يجب الانتباه ايضا الى عملية التركيب النقدية ان هي الا تركيز لعملية التأليف ، التي قد تكون ضمنية في العمل الادبي من جانب المؤلف .

وبصدد العلاقة بين التحليل والتركيب سواء عند النقاد او عند الكتاب يرى تشنكيز جوزستوف في كلمة له بعنوان : « جو الادب » ان العمل الادبي الاصيل يتضمن التركيب والتحليل بالضرورة . فالكتاب على هذا الاعتبار ليس « مجانيا » بل هو هادف في عمله ، واع له ومن هنا فعلى التركيب النقدية لا يمكن ان تعفي الكاتب من نفس العملية وهو يؤلف . وهو ما يؤكد ان العمليتين متلازمتين ومتكاملتين وهو ما اكده ايضا في الاخير الناقد « ليف باكنكو » الذي أجمل آراء سابقيه في قضايا التحليل والتركيب وراى « ان التحليل آخر الامر لا يتصور بدون تركيب (...) فالصورة الادبية الكاملة تنشأ ابتداء من التركيب » . فالتركيب هو شهادة الكاتب بمعرفة القوانين الموضوعية لعصره وهو لا يمكن ان يحصل الا بالتحليل المعق .

هكذا يمكن ان نخلص من دراسة هذا المؤتمر الادبي الى القيم المميزة للادب المعاصرة وهي النزعة الانسانية والتحليل والتركيب . والواقع ان القول بهذه الخصائص او القيم لا يعني ان التشرحيات السيكلوجية ، والتأملات الذاتية منعدمة في هذا الادب وهذا ما نبه اليه جوزستوف عندما تحدث عن الادباء الشباب ، ووجوب الاهتمام بما ينتجون وقد راى انهم ، يحاولون ان يخلقوا من جديد « عالم الافكار » في عصرنا ومن هنا كان اهتمامهم بالتحليلات السيكلوجية والتأملات الذاتية .

الرباط : م . ربيع

أفكاره وآماله على اهتمامات للاديب وتأخذ النصيب الاوفر منها » .

اما عن التحليل فيرمي الى تكوين « نظرة واقعية واضحة للاشياء » وهو تحليل معمق للكشف عن دقائق الواقعة « تحليل متاني ، لاشد أحداث الحياة تعقيدا ، ضمن مجموع الظروف النموذجية واستخلاص للنتائج الكلية » ومن اهم ما واجهه التحليل الادبي ، وتنافس المجتمعات القروية . وكما راينا ان ما يسوقه الناقد الروسي في هذا الحديث لا ينطبق على الادب السوفييتي وحده ، في المفاهيم البطولية الجديدة ، وكما قارنا بين رؤية اديبين نموذجيين ، من معسكرين مختلفين هما همنجواي وشولوخوف ، فكذلك لا تقتصر ظاهرة تحليل المجتمعات القروية على الاتحاد السوفييتي ، بل ان ادباء أمريكا اللاتينية وفي البلاد العربية انتبهوا الى بؤس الفلاح ، وتناقضات الحياة القروية فجاءت اعمالهم تشرىحا بأقوى المعاني لمجتمعات القرى رغم اختلاف البيئة ومناهج التحليل ، ومظهر التحليل هذا سواء كان قرويا أو حضريا ، يضع مشكلتين فرعيتين او على الاصح يتيح فرصة لتساؤل مزدوج : هل يقف دور التحليل في العمل الادبي على أداء الجانب الموضوعي أم له وظيفة فنية ما ؟ وما أهمية الكشف الذي يمكن أن يؤدي اليه هذا التحليل ؟

أما السؤال فلم يتطرق اليه حديث كوزنتسوف ، وربما لاح الجواب عنه ضمينا من بين السطور . وبالطبع لن نقول هذا الناقد ما لم يقل ، وعليه فيبدو لنا ، أن التحليل مهما يطغى في أعمال الادباء على اختلاف مشاربهم ومناهجهم ، فهو لا يعدو أن يكون وجهة نظر أدبية ، فهو لن يبلغ مرتبة التحليل السوسيولوجي الموضوعي الذي ينجز تحت تأثير المبدأ والغاية العلميين . فالاديب ليس عالما وحتى لو أن أمكن أن تزود فيه شخصية الاديب مع شخصية العالم ، فهو أثناء عمله الادبي لا يصدر الا عن الاديب ولا يرى قراؤه فيه الا هذا الجانب ، على أن هذا لا يقلل أبدا من قيمة الرؤية الأدبية بالنسبة الى الرؤية العلمية فبإمكان العمل الادبي عن طريق التحليل أن يؤدي الى أهم النتائج ، وبهذا كانت نتائجه تتفوق نتائج التحليل العلمي المقصود في أهميتها ، لان هذا التحليل الادبي قد يكون الملهم الى التحليل العلمي ، والهادي اليه . ويقودنا هذا الى السؤال الثاني الذي اثاره بالفعل كوزنتسوف وأجاب عليه وهو السؤال المتعلق بالقيمة الموضوعية للكشف الذي يؤدي اليه تحليل الاديب للمجتمع سواء كان قرويا أو حضريا . للإجابة على هذا

السؤال يستعير كوزنتسوف عبارة ناقد واديب آخر هو سرجي زاليكين الذي يقول فيها : « ان الاديب لا يكشف شيئا اذا اتخذنا كلمة اكتشاف بمعناها في اللغة العامة . ومهمة الكاتب ، تنحصر في أن يرى ما يوجد بل وان يرى ما هو معروف لكنه يظهره من وجهة نظره الخاصة ... » .

الاديب اذن ليس عالما ، ولعل النزعة العلمية عند بعض الكتاب ، هذه النزعة التي تجعلهم يكتبون عن مشاكل المجتمع بطرق التحليل العلمي ، متوخين الموضوعية فيما ينتهون اليه من كشوف ، قد تعرض ادبهم للجفاف ، وبالطبع لا ينطبق هذا القول على كتابة الادباء — المتنبئين الذين يسرون على طريقة جول فيرن أو ويلز ... فأمثال هذين يكتبون أساسا ، معتمدين على الخيال وليست عندهم الموضوعية العلمية ، وكشفهم ادبي بكل معنى الكلمة ... وبمثل هذه المناقشة ينتهي كوزنتسوف الى التأكيد على الخاصيتين الأساسيتين اللتين تميزان الادب الحديث وهما : التحليل والنزعة الإنسانية . انهما حسب تعبيره « الكلمات — المفاتيح » لهذا الادب .

وقد راجت في المؤتمر قضايا أخرى . وكان الناقد الروسي ديمتري ستاريكوف ممن عمقوا كثيرا من المفاهيم المتعلقة بالادب المعاصر كما القى اضاءا اضافية على ما اثاره زميله السابق فقد تناول نقطتين هامتين اولاهما عن الشروط الموضوعية التي تعلل تطور الادب ، والثانية عن علاقة التحليل بالتركيب . وبالنسبة للنقطة الاولى ، أي الشروط الموضوعية لتطور الادب يرى ستاريكوف اننا عندما نشاهد مرحلة جديدة في الادب ، أي اننا عند حدوث تطور في عالم الادب أو ظهور صور جديدة أو اختفاء ألوان قديمة ، كثيرا ما نقول في مثل هذه الحالات التعليل الظاهرة الأدبية . ان ذوق الجمهور قد تغير أو قد تطور فنطلب ظهور كفاءات جديدة في الادب . ويرى ستاريكوف أن هذا ليس صحيحا لان القول بذوق الجمهور كعلة في تطور الادب يغفل الاسباب الموضوعية لذلك التطور ، وذوق الجمهور بدوره ، ليس الا معلولا لنفس العلل التي عملت في تطور الادب ، أما الاسباب الحقيقية في نظر ستاريكوف فهي علل تاريخية وهو يقول : « ثمة شروط تاريخية موضوعية تحدد مفاهيم القيم الجمالية والايديولوجية ثم علل موضوعية هي التي تتطلب من الادب كفاءات جديدة مطابقة للمرحلة الجديدة من نمو البلد » وطبعا لن نناقش هنا فكرة الحتمية التاريخية التي ينبني عليها هذا القول ضمنا لان مناقشتها قد تخرج بنا من نطاق



صاحب الجلالة يشني على نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وجهودها
بمناسبة تقديم المصحف الشريف

مصطلحاته فيبرز في حلتة القشبية الاخاذة ، وذلك كله
تحت اشراف الكاتب العام لوزارة الشؤون الاسلامية
السيد عبد الرحمن بن ابن شعيب لدكالي ، شكر الله
اعمال هؤلاء وكل من عمل ويعمل تحت راية القرآن ،
انه مجزل العطاء والاحسان »

وهكذا اضيف هذا المصحف الكريم الى اعمال
سيدنا ومولانا الامام اعلى الله به منار الاسلام .

واننا لنرجو الله سبحانه ان ينفع بهذا العمل
الجليل صاحب الجلالة امير المؤمنين ، الحسن الثاني،
وان يطيل عمره ، ويبارك في حياته لنفع البلاد والعباد،
زاهرة ايامه ولياله ، بالمعالي والامجاد ، ويقر عينه
بصاحب السمو الملكي ، ولي العهد المحبوب المجدد ،
الامير الجليل سيدي محمد ، وسائر افراد أسرته
الملكية المجيدة ، وان يطر سحاب رحمة ورضوانه
على فقيد العروبة والاسلام ، وبطل التاريخ ، ومعجزة
الايام ، سيدنا ومولانا محمد الخامس رضى الله عنه
وارضاه ، وجعل جنة الفردوس مثواه .

ويوجد فهرس ابجدي لسور القرآن الكريم
ورقم ترتيبها في المصحف ، وقد كان الترتيب الابجدي
حسب النطق لا المادة .

فالهم دام له التوفيق والتأييد ان يعنى بكتاب الله في
عصره المجيد . فيكتب بخط مغربي اصيل على رواية
ورش . ويجلى بما يناسبه من التعطيم والتبجيل .
فعهد نصره الله الى وزيره في الاوقاف والشؤون
الاسلامية السيد الحاج احمد بن عبد الرحمن بركاش
ليقوم بهذه المهمة .

وهنا جدد معالي الوزير جميع الكفايات ، وبذل
اقصى الجهود في البحث عن امهر الخطاطين ، واجمل
النقوش المثبتة في الدواوين ، وعين العلماء الاكفاء ،
وفقهاء القرآن ، للعناية بمصحف الحسن الثاني عناية
تحقق كامل الاماني .

وكلف بالاشراف على الاعمال الفنية السيد
مصطفى الكوش رئيس قسم الخزانة والمستندات
بالوزارة ، كما اختير لكتابة المصحف الكريم السيد
احمد بن الحسين السوسي البهاوي ، وعين الفقهاء
والاسانذة : السيد عبد الله بن العباس الجراري
والسيد احمد الحناوي والسيد مبارك الخطاب الدكالي
والسيد محمد بن كبور العبدى والسيد محمد بريش
والسيد الحاج العربي بن محمد الحمري والسيد
الحاج المهدي المطاعي لتصحيح رسم المصحف ، وضبط

نشأته العظيم الأوفاف والشؤون الإسلامية

مصحف الحسن الثاني

تم طبع مصحف الحسن الثاني قبيل شهر رمضان المعظم ، وقد قدم معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش الى مقام حضرة صاحب الجلالة النسخة الاولى من المصحف المذكور .

ومصحف الحسن الثاني جاء في شكل جميل وخط مغربي رائع ، وقد كتبت على الغلاف العبارة الآتية :

قرآن كريم : طبع هذا المصحف الشريف بأمر مولانا امير المؤمنين ، وحامي حمى الدين جلاله ملك المغرب الحسن الثاني نصره الله عام 1387 ، وفي الصفحة التالية آية مكتوبة بحروف ذهبية وهي :

فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

وفي صفحة خاصة كتب الظهير الشريف الخاص بمصحف الحسن الثاني ، ونقله كله فيما يلي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نحن عبد الله المعتمد على الله امير المؤمنين ملك المغرب .

الطابع الشريف

نهدي اليك ايها المسلم الكريم حيثما كنت من مشارق الارض ومقاربها هذا المصحف الشريف راجين من الله جلت قدرته ان يجعله بين يديك نورا يهديك الى اقوم السبل في دينك واوضح المسالك الى آخرتك وشفاء لنفسك وطهرا لقلبك وقوة يشتد بها عزمك وتتمكن بها ارادتك ويعلو بفضلها شأنك بين الناس ومقامك بين الانام وتحل بها ارفع الدرجات وتبلغ معها اسنى ما تتوق اليه نفسك من مقاصد وغايات .

واملنا ايها المسلم الكريم ان يثيب الحق سبحانه وتعالى عملنا هذا اجزل الثواب ويلهمك كلما رتل هذا

الكتاب ترتيلا وتلوته تدبرا واستبصارا واحتسابا بالدعاء لنا بالهداية والتوفيق والتأييد فيما نحن مضطلعون به من مهام ومطوقون به من مسؤوليات عظام وما نقوم به دفاعا عن حوزة الملة والدين وصيانة لكرامة المسلمين وسعيا لصلاح شعبنا واعلاء كلمة امتنا .

ورجاؤنا اليك ايها المسلم الكريم ان تسأل الله كلما تناولت هذا المصحف الشريف ان يقر عيننا بولي عهدنا ويحقق ما ننيطه به من آمال ويغدق شتايب رحمته على فقيد العروبة والاسلام جلاله والدنا الملك المجاهد الصادق الامين محمد الخامس ويؤنه اعلى درجات عليين ويعز الاسلام والمسلمين ويؤلف قلوبهم اجمعين انه بالمومنين رءوف رحيم .

وختم المصحف بآية كريمة وهي :

« وتمت كلمات رب صدقا وعدلا » ، وتتميمها للفائدة فسنثبت كلمة في آخر المصحف تبين المراحل التي مر بها والسادة العلماء الذين عملوا على انجازه وهي كما يلي :

« الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات » وبهديه تخلص المقاصد والنيات ، والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين محمد بن عبد الله ورسوله ، وآله وصحبه اجمعين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

اما بعد ، فقد اراد الله سبحانه ان يضاعف الاجور ويخلد العمل المشكور على ممر الازمان والدهور لعبده الخاضع لعزه وسلطانه ، الفريد في عصره واوانه ، امير المؤمنين ، وحامي حمى الوطن والدين ، ورافع راية المسلمين ، الملك الصالح الموفق الامين ، المتمسك بالقرآن والسبع المثاني ، سيدنا ومولانا الحسن الثاني،

بتوقيت الامساك والافطار في شهر رمضان وأوقات الصلاة
للجالية المغربية المسلمة المقيمة بالخارج .

وقد وجهت الوزارة حصصا خاصة بتوقيت
بريطانيا و،ون وهولاندة وفرنسا وبروكسيل ومدرید
باسبانيا . وهكذا يمتد اهتمام الوزارة ونشاطها لا الى
المواطنين في الداخل فحسب بل ان عنايتها تشمل حتى
المواطنين العاملين في الاقطار الخارجية طبقا للتعاليم
الملكية السامية التي يشمل بها صاحب الجلالة الملك
المعظم رعاياه في الخارج أيضا . وحرصا على ابقاء
الروح الاسلامية في نفوس المواطنين النازحين عن
أوطانهم والذين يعملون في الخارج .

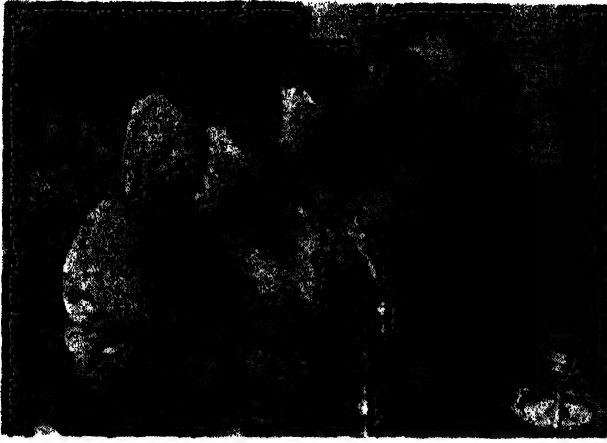
وقد كانت هاتان المناسبتان فرصة طيبة توجهت
فيها جموع من المومنين لصالح الدعوات واجر الابتهاالات
الى الكبير المتعال بأن يحفظ مولانا امير المومنين الذي
يواي لشؤون الدين كامل عنايته ويبقيه ذخرا للبلاد
والعباد .

حصص خاصة بشهر رمضان المعظم

للالخل والخلارج :

طبعت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية عدة
حصص خاصة بتوقيت المغرب بمناسبة شهر رمضان
المعظم ، كما طبعت هذه السنة عدة حصص خاصة





معالي الوزير في حفلة تدشين المسجد الذي بناه
الحسن السيد الحاج ميلود الشعبي

« دراسة قضايا الحج »

عقد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش اجتماعا بمقر وزارته حضره ممثلون عن وزارات الخارجية والداخلية والصحة والمالية والشؤون الادارية والاشغال العمومية ، وممثل عن كل من الشركة الجوية الملكية للطيران والشركة الوطنية للملاحة البحرية .

وقد خصص هذا الاجتماع لدراسة قضايا الحج ووضع الترتيبات اللازمة لضمان نقل حجاجنا الميامين في موسم الحج المقبل الى الديار المقدسة في احسن الظروف والاحوال ، تنفيذاً لتعليمات مولانا امير المومنين الذي يولي هذا الركن العظيم كامل عنايته ويشمل الحجاج بجميل رعايته .

تدشين مسجد بالقنيطرة

توجه معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش الى مدينة القنيطرة لتدشين المسجد الذي بناه المحسن السيد الحاج ميلود الشعبي حيث ادى به صلاة الجمعة بمعية رجال السلطة المحلية والقضاة ووسط جمهور غفير من المواطنين .



السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية محفوا بالسيد
العامل والسلطة المحلية في طريقه الى تدشين المسجد

اجتماعا حضره نخبة من العلماء وضعت خلاله الترتيبات النهائية لحملة الوعظ والارشاد التي اعتادت هذه الوزارة تنظيمها خلال هذا شهر المبارك من كل سنة نظرا لما يكتسيه من قدسية خاصة .

وفي نهاية هذا الاجتماع حض معاليه السادة العلماء على بذل قصارى جهودهم لانجاح هذه الحملة استجابة للواجب الديني والوطني الملقى على عاتقهم وتلبية لرغبة مولانا امير المومنين دام له النصر والتمكين الذي يحرص على ان يظل ابناء هذا الشعب الابي متمسكين بتعاليم دينهم الحنيف وشريعتهم المطهرة .

تدشين عدة مساجد بالملكة المغربية

انتدب معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد سعادة الكاتب العام بوزارته السيد عبد الرحمن الدكالي لينوب عنه في تدشين المسجد الذي شيده مكتب الاستغلالات الصناعية بالفوارات .

كما كلف سيادته ناظر الاوقاف بالدار البيضاء لينوب عنه في تدشين مسجد بن حمان الذي اعادت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بناءه من جديد .

تنظيم حملة الوعظ والارشاد

وفي نطاق الاستعدادات لشهر رمضان المبارك عقد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بمقر وزارته

* زار المغرب ، وفد عن الشبيبة الالمان . بهذه المناسبة اقام كاتب الدولة في الشبيبة والرياضة حفلة استقبال على شرفهم .

* ترأس الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، بمقر رئاسة الجامعة ، اجتماعا للجنة علم الزلازل ، التابعة للجنة الوطنية لليونسكو . وحضر الاجتماع ممثلون في هذا الاختصاص من مختلف المصالح المغربية .

* نظمت ممثلة منظمة التحرير الفلسطينية معرضا فنيا بالرباط ، شارك فيه رسامون مغاربة وفلسطينيون ، خصص ريعه لضحايا العدوان الاسرائيلي .

* اذن صاحب الجلالة الحسن الثاني ، بفتح الخزانة الملكية لجميع عموم الباحثين ، ليستفيدوا من كنوز مخطوطاتها ووثائقها ، وهذه مكرمة من مكارم جلالة الملك الذي يرعى الفكر ، والثقافة ، والبحث .

* خصص الاستاذ انور الجندي ، في كتابه « مفكرون وأدباء ، من خلال آثارهم » دراستين هامتين عن الاستاذين : عبد الله كنون ، وعبد العزيز بن عبد الله . والكتاب يضم 39 دراسة ، عن مختلف الشخصيات الفكرية في العالم العربي .

* في نطاق توسيع شبكة نفوذ اللغة العربية على الصعيد العالمي التي يدعو اليها المكتب الدائم للتعريب ، قام المستشرق الروسي الكبير كيغور ميناد جيل ، مراسل المكتب المذكور في موسكو بتأليف معجم فني بالعربية والروسية ، ضمنه كثيرا من المصطلحات التي عمل المكتب على نشرها بعد فراغ المجامع العلمية واللغوية من دراستها وفحصها وقرارها .

* غادرت المغرب الدكتورة هنكة مؤلفة « شمس الله تسطع على الغرب » بعد ان قضت في المغرب زهاء ثلاثة أسابيع ، زارت خلالها أهم المدن المغربية ، وتعرفت على رجالها المفكرين والأدباء . وقد حملت معها انطباعات ممتازة عن المغرب ، وجماله وحضارته .

* بمناسبة اعياد الاستقلال ، قدم مسرح محمد الخامس حفلات مسرحية ، وفلكلورية ، وغنائية ، احتفاء بهذه الذكرى الوطنية .

* بدعوة من جلالة الملك وحكومته زار المغرب السيد جورج وودز رئيس البنك الدولي للانشاء والتعمير .

* يقوم وزير التربية والتعليم بعقد عدة اجتماعات مع مختلف المسؤولين عن التعليم ، لتكوين « ملف التعليم » الذي ستمشى عليه سياسة التعليم في المستقبل ، بصورة مستقرة وثابتة .

* زار المغرب ثلاث صحفيين لبنانيين ، بمناسبة حفلات الاستقلال .

* بمناسبة زيارة رئيس جمهورية النيجر لبلادنا ، تلبية للدعوة الملكية ، عقدت بين المملكة المغربية ، وجمهورية النيجر ، عدة اتفاقيات ، من بينها اتفاقية ثقافية .

* قامت بزيارة للمغرب ، فرقة من الفولكلور البولوني ، في اطار اتفاقية فنية وثقافية بين المغرب وبولونيا .

* ستشرع كلية نانثير في فرنسا ، باعطاء دروس خاصة لتعليم اللهجة الدارجة المغربية ، وذلك لفائدة الطلبة الذين يتابعون الدراسة في فروع علمية واقتصادية واجتماعية .

* ابتدأ نشاط الموسم الثقافي والفني لاتحاد كتاب المغرب العربي ، بتنظيم معرض « الواح ونحت » للرسامين : محمد الادريسي ، واحمد بن ياسين ، ورشيد السبتي .

* سيشارك المغرب في الاسبوع العالمي للفن الذي ستعظمه جامعة كورنل اتيك في نيويورك .

* بدا القسم الفرنسي بالاذاعة المغربية بتقديم محاضرات جامعة السربون .

* بدعوة من جمعية قدماء طلبة القرويين ، افتتح الاستاذ علال الفاسي ، الموسم الثقافي للجمعية ، بمحاضرة بعنوان « الفقه الاسلامي لم يتأثر بالقانون الروماني » .

* تلقى الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، من منظمة اليونسكو ، دعوة لحضور اجتماع تنظمه



✽ تم تنظيم جديد لجمعية اصدقاء « المعتمد » بشفشاون ، حيث جدد انتخاب الشاعر عبد الكريم الطبال كاتباً عاماً للجمعية . أما بقية أعضاء الجمعية ، فهم : علي حمودان ، محمد الشحام ، محمد السفياني ، محمد احرميم ، الفالي الهبطي ، هشام قريش ، احمد المرفج ، محمد الحضري .

✽ عينت وزارة الانباء ، الاستاذ محمد المسفيوي ، مديراً لجريدة « الانباء » اليومية ، التي تصدر عن الوزارة المذكورة .

✽ تخرج في هذه السنة فوج جديد من مدرسة تكوين الاطارات بالقينطرة التابعة لوزارة الداخلية . وقد كان عدد المتخرجين في هذه السنة 37 . وقد انعم صاحب الجلالة على هذا الفوج اسم : « الحسن الاول » ، وذلك في حفل اقيم بالقصر الملكي - القى فيه جلالة الملك خطاباً سامياً في المتخرجين .

✽ نظم فرع جمعية « شباب النهضة الاسلامية » بالرباط ، والمحافظون على القرآن الكريم ، حفلاً دينياً ، بمناسبة ذكرى المعراج الشريف ، تحت شعار « يوم فلسطين » . وقد شاركت في هذا الحفل الاسلامي الكبير ، رابطة علماء المغرب ، والمتخرجون من دار الحديث الحسنية .

✽ ستقدم للطبع السيدة رفيقة الطبيعة مجموعة قصصية ، بتقديم الدكتور محمد عزيز الحبابي ، عميد كلية الاداب بالرباط .

✽ ترأس وزير التربية جلسة عمل ، حضرها مسؤولون من الوزارة ، وآخرون عن الهي الجامعي لدراسة مختلف المسائل المتعلقة بالهي الجامعي .

✽ عقد بكلية العلوم بالرباط ، المؤتمر التأسيسي لجمعية الجامعات الافريقية ، ابتداء من 11 الى 13 نوفمبر الماضي ، شاركت فيه وفود جامعية من مختلف الجامعات الافريقية . وقد انتخب الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، رئيساً لهذه الجمعية . وترأس جلالة الملك الجلسة الاختتامية للمؤتمر . وفي مساء اليوم الاخير من هذا المؤتمر ، احتفل في نفس الكلية ، بالذكرى العاشرة لتأسيس جامعة محمد الخامس ، تحدث فيها رئيس هذه الجامعة ، فاستعرض مراحل وتطور جامعتنا ، في مختلف كلياتها ، وما انجزت من اعمال ، وما حققت من نجاح في مضمار التعليم العالي ، والبحث العلمي . وانتهى الحفل بخطاب هام لصاحب الجلالة .

✽ افتتحت بتاريخ 13 نوفمبر المنصرم بعمالة الرباط المناظرة المغربية الالمانية حول تبادل الخبرات بين البلدين ، في مجالات الادارة .

✽ صدر بباريس للاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس كتاب باللغة الفرنسية عن « الاغاني الفاسية » .

✽ اصدر المستشرق الاسباني المعروف ، الدكتور خوان فرنيط ، استاذ بجامعة برشلونة ، كتاباً بالعربية ، بعنوان « الادب العربي » ، درس فيه ادبنا من الجاهلية الى العصر الحديث ، كمائناول بالدراسة عدة شخصيات ادبية مع ترجمات عن حياتهم .

✽ قام بزيارة الى المغرب ، الاستاذ جبران شامية ، صاحب دار للنشر ، واحد كتاب لبنان . وقد تعرف في زيارته على بعض رجال الفكر المغاربة ، وأجرى معهم حديثاً في مختلف النشاطات الادبية في العالم العربي ، وبالأخص في لبنان ، والمغرب .

* « الموت على الطاولة » مجموعة شعرية جديدة
لنتولا قربان صدرت مؤخرا ، وتضم مائة قصيدة .

* حاول الشاعر الفلسطيني ناجي عبد الفتاح
السعدي الانتحار ، حيثلقى نفسه الى البحر في محل
يدعى « الروشة » في بيروت . وقد انتشله رجال
الأطفائية ونقل الى المستشفى . واستفيد من التحقيق
الذي أجرى معه : أنه شاعر معروف ، وأن أزمة العدوان
الإسرائيلي أثرت في نفسه ، حتى دفعته الى الانتحار .

* صدر عن منظمة التحرير الفلسطينية ، في
سلسلة حقائق وأرقام دراسة عنوانها « الصحف
الإسرائيلية » ، وهي من تأليف سلوى حبيبي .

* صدرت في منشورات مجلة « البيدر »
بيروت ، كتاب من تأليف وليم صعب ، بعنوان
« الأدب الشعبي ولغته » .

* « شجرة الدفل » رواية الكاتبة اللبنانية أمل
نصر الله ، ظهرت عن دار « المكشوف » بيروت .

* في موسكو ، صدر كتاب مترجم الى اللغة
الروسية يضم مختارات شعرية لثلاثة شعراء ، هم :
شفيق معلوف ، وإيليا أبو ماضي ، وسعيد عقل .

* « النواعير » اسم كتاب ، صدر عن دار
« الرائد » في حلب ، وهو من تأليف الكاتب المهجري
جبران مسوح الذي يقيم في الأرجنتين .

* أصدرت مجلة « العمران » التي تصدر في حلب ،
مددا خاصا عن مدينة حلب .

* احتفل في حمص بالذكرى التأسيسية للكاتب
نظير زيتون .

* نعت دمشق الأستاذ المرحوم سعيد الفزى .

* صدرت في موسكو للقاضي العراقي غائب
طعمة فرحان ترجمة روايته بالروسية « النخلة
والجيران » .

* « تاريخ الطب العراقي » عنوان كتاب ، صدر
في بغداد ، من تأليف عبد الحميد العلوجي .

* يشغل الدكتور حكمت الأوسي ، والدكتورة
بتول سعيد ، على تأليف موسوعة أندلسية ضخمة
تتناول كل ما يتعلق بالفكر العربي في الأندلس .
وستشتمل الموسوعة على أجزاء تناول الاعلام
الأندلسية ، والكتب الأندلسية ، ثم الأماكن الأندلسية ،
مع ملحق للمصطلحات الأندلسية الخاصة بالتراث
العربي في الأندلس .

* الكتب الآتية صدرت في بغداد :

« شرارات » لموسى محمود الشانبر .
« بين القصر والصريفة » رواية لبهنام وديع أوغسطين
« عشر قصائد قديمة » للشاعر شاعر العاشور .
« مراقد الأئمة والأولياء في سامرا » للشيخ إبراهيم
السامرائي . « احتفالات الموالد النبوية في الأشعار
الأندلسية والمغربية والمهجربة » للدكتور محسن جمال
الدين . « الأيام الحاسمة قبل المعركة » لمحمود خطاب
« خسرناها معركة : فلنربحها حربا » لفصيل حسون .

* نعت القاهرة الخطاط المعروف محمد رضوان
على . بعد أن حصل في السنة الماضية على جائزة
الدولة التشجيعية في الخط العربي .

* كما نعت الامانة العامة لجامعة الدول العربية
بالقاهرة الأستاذ محمد حسن العشماوي ، وزير
المعارف سابقا ، والمشرف على ادارة الشؤون
الاجتماعية بالجامعة العربية .

* « التولد عند متكلمي الاسلام » عنوان
أطروحة ، نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس
الذي قدمها الأستاذ سامي نصر لطف .

* أصدرت لجنة النشر للمؤلفات التيمورية
بالقاهرة كتابا بعنوان : « اعلام الفكر الاسلامي الحديث »
وهو من تأليف المرحوم أحمد تيمور .

* هذه الكتب ، صدرت مؤخرا في الرياض :

« أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع »
و « ابن عربي موطن الحكم الأموي في نجد » و « كتاب
بلاد العرب ، وما فيها من المياه والجبال والآثار
والمعادن » وهو لأبي علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني
من أهل القرن الثامن الهجري .

* أصدر الشاعر الليبي عبد ربه كتابا بعنوان « رفيق في الميزان » ، كما صدرت في ليبيا الكتب الآتية: « رحلة الضياع » للشاعر الفزاني ، وديوان « فجر الذكريات » للشاعر محمد سعيد القشاش ، و « من ليالي السمير » للشاعر نفسه .

* زار بيروت الكاتب الجزائري المعروف ، كاتب ياسين ، تلبية لدعوة تلقاها ، من مركز التنسيق العربي للسينما والتلفزيون ، ليشارك في أعمال الطاولة المستديرة ، التي ينظمها المركز بالاشتراك مع منظمة اليونسكو .

* أصدرت الدار التونسية للنشر كتاب « العرب أمام قضية فلسطين » وهو من تأليف الاستاذ الشاذلي القليبي ، وزير التعليم التونسي ، والكتاب يتناول الموضوع بجدية ، من خلال وجهة النظر التونسية ، حيال قضية فلسطين ، التي باتت تشغل العالم العربي .

* بدأت الاكاديمية الفرنسية بتوزيع جوائزها السنوية لمؤلفي كتب التاريخ . وهكذا منحت الاكاديمية جائزتها الكبرى للمؤرخ ايميل كورناييرت على كتابه « المرافقة » . أما الجائزة الثانية ، فقد منحت للمؤرخ روبرت كريستون ، عن كتابه « عصر السيد تيير » .

* وضعت لوحة تذكارية أمام واجهة نزل دولاروز في كراكوفي ، وذلك تخليدا لذكرى اقامة انورى دوبلاك في هذه المدينة . قدمت هذه اللوحة من قبل اعضاء قسم كراكوفى في الجمعية البولونية للتعاون العلمي مع فرنسا ، ويرأسها البروفسور زيزي .

* ستصدر قريبا في باريس اول موسوعة عالمية ملونة ، اطلق عليها اسم « موسوعة الفا » ، وتمتاز هذه الموسوعة بسهولة استعمالها وشمولها لمعلومات ثقافية مفيدة .

* دار الريحاني في بيروت ، تهتم الان بترجمة مؤلفات فيلسوف الفريكة امين الريحاني ، التي نشرها بالانجليزية ، الى اللغة العربية .

* صدر في بيروت كتابان للدكتور انطوان غطاس كرم ، استاذ الادب العربي في الجامعة الامريكية ، وهما: « الادب العربي الحديث » و « مدخل الى دراسة الشعر العربي الحديث » .

بتمبكتو ، بتعاون مع حكومة مالي للخبراء ، حول استعمال المصادر المكتوبة المتعلقة بتاريخ افريقيا . وذلك في رابع دجبر من هذه السنة الى الثامن منه .

* تصدر للكاتبة الجزائرية آسيا جبار قصتها الرابعة ، بعنوان « القبرة الساذجة » . وقد سبق للكاتبة ان أصدرت ثلاث روايات : « العطش » و « القلقون » و « اطفال عالم جديد » . وتستعد الكاتبة لجمع مجموعة شعرية بعنوان « قصائد لجزائر سعيدة » .

* بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور عشر سنوات على تأسيس جامعة محمد الخامس الذي كان بتاريخ 11 و 12 و 13 ، مع انعقاد مؤتمر الجامعة الافريقية نسوق هذه المعلومات :

جامعة محمد الخامس تتوفر الان على معاهد وكليات مختلفة ، ككلية الحقوق التي تضم 2551 طالبا ، المدرسة المحمدية للمهندسين 270 طالبا ، كلية الاداب والعلوم الانسانية 1495 طالبا ، معهد العلوم الاجتماعية 439 طالبا ، المدرسة العليا للاساتذة 1506 طالبا ، كلية الطب 480 طالبا . ويوجد من الاساتذة بمختلف الكليات 332 .

* انعقدت بالرباط ابتداء من 13 نوفمبر مناظرة مغربية - المانية حول الادارة القروية . واشترك في هذا المؤتمر 25 شخصا ، من اطارات وزارة الداخلية . وقد ناقشت هذه المناظرة القضايا المتصلة بالسكنى ووسائل النهوض بها وتعاون السكان في التسيير المستقل للدوائر القروية .

* عقد وزير التعليم والفنون الجميلة بتاريخ 8 - 11 - 1967 ندوة حول التعليم العالي ، والحي الجامعي .

* سيؤسس بتونس في مدينة قابس ناد ادبي تحت اسم « ابن فرحان » .

* « الادب الشعبي في تونس » كتاب صدر عن الدار التونسية للنشر ، وهو من تأليف الدكتور الطاهر الخميري .

* افردت مجلة « الشباب » التونسية عددا خاصا منها بالعدوان الاسرائيلي .

للادب والصحافة . وتلاه نقيب المعلمين السابق عاطف كرم ، ثم جورج بيطار الذي تكلم باسم دير القمر .

* باشر الدكتور صلاح الدين اوزخان صاحب مجلة الهلال بانقرة ترجمة كتاب « فلسفة التاريخ العثماني » بجزاياه الى اللغة التركية ، وهو من تأليف العلامة اللبناني محمد جميل بيهيم . كما ان الدكتور ناظر زاده كرحاني الاستاذ في جامعة طهران استاذن الاستاذ بيهيم في ترجمة كتاب « فلسفة تاريخ محمد » .

* صدر في منشورات عويدات بيروت كتاب « المذاهب الادبية الكبرى في فرنسا » تأليف فيليب فان تيفيم ترجمة فريد انطونيوس . ويقع في 340 صفحة ، حجم كبير .

* وصل بيروت قادما من عمان الباحث الاردني عبد الله التل قائد بيت المقدس الاسبق وصاحب المؤلفات القومية المعروفة .

* « جبران حيا ومينا » مجموعة تشتمل على مختارات مما كتب ورسم جبران خليل جبران ، ومما قيل فيه قدم لها وعنى بتأليفها واخراجها الكاتب المهجري الشيخ حبيب مسعود ، صدرت طبعة جديدة منه باشراف لجنة جبران الوطنية في بشري . يقع الكتاب في 850 صفحة ، حجم كبير . الطبعة الاولى صدرت عام 1932 في سان باولو بالبرازيل .

* صدر عن دار ابن سينا في بيروت « كتابات عسكرية » لمؤلفه موتسي تونغ . ويقع الكتاب في 544 صفحة ، حجم كبير .

* « زوارق العبير » عنوان المجموعة الشعرية التي صدرت في بيروت للشاعر مصطفى الجوزو . وتقع في 200 صفحة .

* في الحفلة التي اقامتها الرابطة الادبية الشمالية في بلدان تولا لبنان تخليدا لذكرى الشاعر الياس ابو شبكة طالب الخطباء باقامة تمثال للشاعر الراحل . ولكن في نهاية الحفلة قالت ارملة الشاعر « قبل ان تقنعوا الحكومة لاقامة تمثال للشاعر أرجو لو تقنعوها بنجدة زوجته براتب ضئيل يساعدها على تأمين ما تسد به الرمق » .

* اصدرت الامم المتحدة الطبعة الاخيرة من كتاب احصاء السكان ، الذي جاء فيه ان عدد سكان العالم بلغ في منتصف السنة الماضية 3 ملايين و 365 مليون نسمة ، اي بزيادة 65 مليون نسمة على منتصف سنة 1965 ، ويعيش 72 في المائة من سكان العالم في البلدان المتخلفة . ويزداد عدد السكان في العالم بـ 167 000 في اليوم . وجاء في هذا الكتاب ، ان عدد سكان العالم ، سيرتفع الى الضعف في سنة 2005 ، اذا بقيت نسبة الزيادة الحالية . وتوقع الكتاب ان يرتفع عدد السكان بنسبة ضعفية في الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفياتي ، والصين ، بينما يرتفع بثلاثية اضعاف في الهند ، وأربعة اضعاف في البرازيل . واكبر بلدان العالم من حيث عدد السكان كما يلي :

الصين الشعبية 710 مليون نسمة
الهند 498 مليون نسمة
الاتحاد السوفياتي 233 مليون نسمة
الولايات المتحدة 197 مليون نسمة
اندونيسيا 107 مليون نسمة
الباكستان 105 مليون نسمة

* صدر في منشورات عويدات بيروت « تاريخ السينما في العالم » للكاتب الفرنسي جورج سادول وترجمة فايز كم نقش مع مقدمة وفصل عن السينما العربية اعدهما خصيصة المؤلف لهذه الطبعة . ومما يذكر ان جورج سادول قد توفي في الشهر الماضي .
* « مهاجر بريزبان » مسرحية الشاعر اللبناني باللغة الفرنسية جورج شحادة مثلت على مسرح « الكوميدي فرانسيز » بباريس ابتداء من 29 نوفمبر . وهي من اخراج جاك موكلير وبطولة لويس سينييه .

* « مصير فلسطين » عنوان كتاب صدر حديثا في بيروت بالانجليزية لامين الريحاني ، يضم مجموعة من المحاضرات كان فيلسوف الفريكة قد القاها دفاعا عن فلسطين في محافل وجامعات انجلترا وامريكا وكندا

* بمناسبة الذكرى الثامنة لوفاة فقيده القصة والصحافة كرم ملحم كرم ، زار وزيرا التربية والانباء ونقبا الصحافة والمحامين وعدد من الاصدقاء ضريح الفقيد في دير القمر ببلبنان . والقي وزير الانباء كلمة عدد فيها وجوه العطاء التي قدمها صاحب الذكرى

* كتاب « ادباء من الشرق والغرب » للكاتب الاردني عيسى الناعوري ترجم الى اللغة الروسية .

* تبدأ « دار عويدات » للنشر في بيروت ، بطباعة مذكرات الجنرال ديكول التي نقلها الى العربية الاستاذ عبد اللطيف شرارة . وقد تلقى صاحب الدار رسالة من دار النشر الفرنسية ، جاء فيها ان الجنرال ديكول ، قد اطلع شخصيا على مخطوطة الترجمة العربية ، ووافق على نشرها . والطريف في هذا الموضوع ان الجنرال طلب ايداعه خمسين نسخة من الكتاب حالما يصدر . وعلم ان المستشرق الفرنسي (تروبو) هو الذي اطلع على المخطوطة ، وهو الذي وافق على نشرها . ولن يمضي وقت طويل حتى تكون مذكرات ديكول بالعربية في المكتبات .

* وعن نفس الدار ، صدرت مؤخرا ترجمة عربية لكتاب « الفزاة » لمؤلفه اندريه مالرو ، وزير الثقافة الفرنسية . والكتاب نقله الى العربية الاستاذ فائز كم تقش .

* عين السيد حنا سابا من الجمهورية العربية المتحدة ، مساعدا للمدير العام للشؤون القانونية والتقنين الدولي في هيئة اليونسكو .

* اصدر الاستاذ كليتجارد ، كتابا مهما يتناول مشكلة التعليم في البلدان النامية .

* يقرر التاريخ القديم ان زلزالا ثار في القرن الخامس الميلادي ، فابتلع مدينة قديمة اسمها « ايرو هوليس » كانت واقعة في عرض البحر في الساحل الاغريقي . ولقد تقرر الان ان يتوجه الاستاذ جـون هول ، الاستاذ بجامعة ميامي ، على رأس بعثة آثار فيما تحت المياه بحثا عن هذه المدينة . وقد سبق للاستاذ هول ، ان اشترك في جهود بعثة مماثلة تمكنت من انقاذ مدينة اغريقية أخرى ، هي مدينة فيا . وكانت المياه ، قد ابتلعته .

* قررت اليونسكو ، ان يكون يوم 8 شتمبر ، « يوما عالميا » لتنشيط جهود العاملين في ميدان تعليم القراءة والكتابة .

* تملك مكتبة جامعة « سمرقند » اكبر مجموعة من نصوص الادب الشرقي القديم ، اذ لا يقل عدد مجلداتها عن 3000 مصنف ، تحمل أسماء أشهر الكتاب والشعراء والمفكرين في العالم الشرقي ، وبها ايضا عدد من المخطوطات الجميلة .

* سيصدر المكتب المركزي للاحصائيات بموسكو كتابا يضم معلومات هامة عن التحولات الثقافية التي تحققت خلال الخمسين سنة ، من حياة ثورة اكتوبر التي قامت سنة 1917 .

* افتتح في بيطروزا قودسك ، معرض كبير بمناسبة مائة عام مرت على ظهور اول جزء من كتاب « رأس المال » لكارل ماركس . ومن بين المعروضات توجد اول طبعة للكتاب بالفرنسية . ومن المعلوم ان فرنسا كانت هي البلد الثاني ، بعد روسيا ، التي ترجمت « رأس المال » وأظهرته في شكل اضاير ، استغرق نشرها ثلاث سنوات . وتحتوي الطبعة الفرنسية ، على رسالة وجهها ماركس الى الطابع الفرنسي « شانتر » .

* اصدرت اليونسكو مؤخرا نشرة بعنوان : « معلومات عن تنفيذ الاتفاقية الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة قيام نزاع مسلح » .

* جاء في العدد الاخير من مجلة « الهلال » المصرية ان بعض خطباء المساجد بالعربية المتحدة ، هاجموا « سارتر » في خطبهم الدينية .

* صدرت مؤخرا ببيروت الترجمة العربية لمذكرات زعيم الزنوج المسلمين في امريكا مالكولم اكس الذي اغتيل سنة 1965 . يروي هذا الزعيم ، كيف اكتشف الاسلام وهو في السجن ، وعرف ان اعتناقه لهذا الدين العظيم هو طريق التحرر .

* « حرب المقاومة الشعبية » عنوان كتاب الجنرال نيفوين فون جيب ، قائد التحرير الفيتنامي . ترجم هذا الكتاب الى العربية أخيرا ، وصدر في لبنان .

* تقام هذه الايام حركة أدبية كبرى في سويسرا ، تخليدا لاحد ادبائها الكبار الذي ناضل من اجل تحقيق افكاره ومبادئه في الحياة . انه الاديب بنجامي كونستان الذي تمكن من الجمع بين السياسة والادب ، وذلك بمناسبة الذكرى المثوية الثانية لميلاد هذا الكاتب .

* انتهى في بغداد خليل العطية وعبد الجبوري من جمع وتحقيق ديوان مسكين الدرامي .

* اعلنت نقابة الصحفيين معارضتها لقرار اتخذه جامعة بغداد مؤخرا باغلاق قسم الصحافة فيها . وقالت النقابة في مذكرة بعثت بها الى رئاسة الجامعة ان اغلاق هذا القسم الذي افتتح في جامعة بغداد عام 1964 يعتبر خروجاً على احكام نقابة الصحفيين .

* فرغ عبد الرزاق المطلبى من كتابه رواية جديدة عنوانها : « والشمس خلف الافق » رواية المطلبى الاولى عنوانها « الظامئون » صدرت في سلسلة القصة والمسرحية التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد العراقية .

* اقام الفنانون العراقيون معرضاً بعنوان « معرض المعركة » لمنفعة المجاهد الحربي . وذلك في قاعة المتحف الوطني الحديث في بغداد .

* « الحرمان في الادب العربي » كتاب جديد لسالم الدباغ يصدر قريباً في بغداد .

* صدر في النجف الاشرف كتاب « اخبار الظراف والمتماجنين » لابن الجوزي ، وقد قدم له وعلق عليه السيد محمد بحر العلوم . وهو من منشورات المكتبة الحيدرية في النجف . كما قام السيد محمد بحر العلوم بتحقيق كتاب النقود الاسلامية المسمى « شذور العقود في ذكر النقود » للمقريزي ، وقد صدر في 300 صفحة .

* القى الدكتور صبحي انور رشيد محاضرة في باعة المحاضرات ببنية المتحف ببغداد عنوانها « ابحاث جديدة عن الآلات الموسيقية في العراق القديم » .

* صدرت في بغداد الكتب التالية : القراءة وطرائف تعليم المبتدئين ، لمحمد مصطفى يحيى في 200 صفحة . عبث الليالي ، مجموعة شعرية، لنمر الريكاني في 80 صفحة . لو ينطق النابالم ، مجموعة شعرية ،

لمحمد علي الخفاجي . اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى ، لنجدة فتحي صفوة ، في 50 صفحة .

* انضم الدكتور حازم نسيبه الوزير الاردني المعروف الى اسرة الجامعة الاردنية ليحاضر في العلوم السياسية والادارة العامة في كلية الاقتصاد والتجارة .

* قدم صلاح ابو زيد وزير الاعلام الاردني مشروع اعلام عربي موحد في مؤتمر الاعلام العربي الذي عقد ببغداد بتونس يتألف من 15 مادة تعتمد على المنطق والاسلوب العلمي في مخاطبة العقل العربي والاجنبي ، وتعين على الوصول الى الغاية المشتركة التي تسعى الى تحقيقها الشعوب العربية .

* افتتح نائب رئيس وزراء الاردن احمد طوقان معرض رسوم الفنان توفيق السيد في قاعة امانة العاصمة في عمان .

* صرح الامير رعد بن زيد المدير العام لمؤسسة الشباب الاردنية اثر عودته من الاتحاد السوفياتي انه عقد عدة اجتماعات مع ممثلي وزارات الشباب هناك للتعاون معها في هذا المجال .

* القى محمود العابدي مدير دائرة الثقافة والفنون الاردنية محاضرة في مدرسة المشاة عن رسالة الاعلام .

* صدر في عمان كتاب « الملك عبد الله كما عرفته » لتيسير ظبيان .

* عاد الاديب الاردني يعقوب العودات المعروف بالبدوي المثلث الى عمان بعد زيارة لسورية ولبنان استغرقت شهراً اتصل خلالها بالاعلام الثقافية والادبية ، وقد اقيمت له عدة حفلات تكريمية .

* دعت دائرة الثقافة والفنون المواطنين لمشاهدة معرض رسوم الفنانين محمد البارودي وهاني الحوراني في قاعة المحاضرات بالكلية العلمية في عمان .

* كان الاديب الاردني عيسى الناعوري قد اهدى نسخة من كتابه الاخير « جراح جديدة » الى الملك

* منحت جمعية أصدقاء الكتاب في لبنان جائزة رئيس الجمهورية لهذا العام ، وقدرها خمسة الاف ليرة ، للاديب الباحث رثيف خوري تقديرا لمجموعة انتاجه الادبي . وتوجه وفد من الجمعية لزيارة الاديب طريح الفراش ، شفاه الله .

* نالت الشاعرة الفنانة لو غريب تنويها بدرجة امتياز في معرض «بينال» باريس قسم الحفر والرسم . ولور غريب هي اول امرأة في العالم العربي تنال هذا التنويه . وكانت واحدة من 3 فنانين عالميين منحوا هذا التنويه .

* اعترض الدكتور انيس صايغ المدير العام لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية على الحكم الفيابي الذي صدر بحقه عن محكمة استئناف الجراء في بيروت ، والقاضي بسجنه لمدة اسبوع ، وتغريمه الفليرة لنشر كتاب «الهاشميون والقضية الفلسطينية» في يونيو الماضي . وقد اصدرت المحكمة حكمها بعد ان اعتبرت ان في الكتاب « تهجما عنيفا على الملك الراحل حسين بن علي ، وعلى ولديه الملكين الراحلين عبد الله وفيصل » . وقالت المحكمة ان الدكتور صايغ « اتخذ من القضية الفلسطينية مادة للتهجم على بعض رجال الدين اللبنانيين الذي عاصروا احداث تلك القضية ، وهذا من شأنه اثاره النعرات الطائفية في البلاد » .

* صدر في شتوتفارت بالمانيا القرية مجموعة تضم مختارات قصصية لاثني عشر كاتبا لبنانيا واثني عشر كاتبا سوريا ، مع تعريف بالكتاب . ومن الذين ترجم لهم جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة ، توفيق يوسف عواد ، فؤاد الشايب ، الدكتور عبد السلام العجيلي ، خليل تقي الدين ، مارون عبود وغيرهم . وقد سميت المجموعة باسم قصة للدكتور عبد السلام العجيلي ، عنوانها : « حمامة الجامع » وتقع المجموعة في ما يقارب 400 صفحة .

* الكاتب الشاعر الدكتور فؤاد جبور حداد من « العروة الوثقى » في لندن قام بزيارة طويلة لاسبانيا ، زار خلالها الاثار العربية والاماكن الاثرية والمكتبات العامة .

* انتهى محمد خير الحلواني مدرس الادب العربي في ثانوية حلب الرسمية دراسته عن « سحيم

عبد بني الحسحاس » كما فرغ من تأليف كتاب آخر عنوانه « اعلام النحو » .

* في رسالة من المستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس الى الروائي السوري فاضل السباعي قال انه يتابع قراءة المقالات التي يكتبها ابو طالب زيان في الاعداد الاخيرة من « الاديب » ، وهي لم ترق له لما فيها من نيل بعض كبار كتاب العربية . والمستشرق جرمانوس يستغرب ان يعمل الكاتب في مقالاته الى اسلوب الحوار مع اولاده وزوجته ليتهم على امثال طه حسين واحمد حسن الزيات الذين قراهم واعجب بأدبهم ويعتبرهم من عباقرة الادب العربي المعاصر .

* يعكف الان في حلب عماد حاتم على ترجمة كتاب « الثيولوجيا اليونانية » للمؤلف الروسي الكسندر كول . وكان قد ترجم قبلا مسرحية « البقة » لفلاذيمير ماياكوفسكي التي نشرتها وزارة الثقافة السورية ، ومسرحيتي « التينين » لشفارتس و « المأساة المتفائلة » لفيشنفسكي اللتين يقوم باخراجهما الان المسرح القومي بدمشق .

* اعد الباحث السوري عدنان بن ذريل للطبع في دمشق كتابا عنوانه « الدراسة النفسية والبلاغة ، مع ضمیمة في تاريخ البلاغة العربية الحديثة » وقد قدم له الدكتور عمر موسى باشا الاستاذ في جامعة دمشق . ويقع في 250 صفحة تقريبا .

* تعقد في دمشق ندوة موضوعها « مسؤولية المثقف العربي امام القضية الفلسطينية » ، وقد دعي للمشاركة في هذه الندوة لفيف من المثقفين العرب وبعض كبار رجال الاستشراق من مؤيدي القضية الفلسطينية ، بينهم الفرنسيان جاك برك وفنسان مونتوي ، وستنشر مناقشات هذه الندوة وتذاع .

* قيد الطبع الان في بغداد كتاب « صالح بن عبد القدوس ، حياته وشعره » تأليف عبد الله الخطيب .

* « الهارب » عنوان القصة التي صدرت في بغداد لشاكر جابر ، وهي الحلقة الخامسة في سلسلة القصة والمسرحية التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد .

* مرت في الشهر الماضي 35 سنة على وفاة امير الشعراء أحمد شوقي .

* وافقت وزارة الثقافة بالقاهرة على طلب الدكتور يوسف ادريس المشرف على قطاع الدراما في مؤسسة المسرح انهاء اعارته ليتفرغ للصحافة .

* بلغ عدد طالبي التفرغ 114 فنانا واديبا هذا هو اكبر عدد يطلب التفرغ من يوم انشائه في مصر منذ 7 سنوات .

* تم اعداد مشروع تحويل مؤسسة فنون المسرح والموسيقى الى هيئة عامة ، لها الشخصية الاعتبارية على ان يكون مركزها القاهرة .

* يصدر المخرج المسرحي حسين جمعة في اوائل الشهر الجاري في القاهرة كتابا عن المسرح الفرنسي عنوانه « جاك كوبو والجمالية في المسرح » والكتاب هو الرسالة التي تقدم بها الى اكاديمية الفنون الجميلة في ميلانو .

* اول دراسة متكاملة عن نظرية ابن خلدون السياسية قدمها الباحث المصري الدكتور محمد محمود ربيع الى جامعة « لايدن » الهولندية حيث حصل على درجة الدكتوراه . سبق ان نشر عميد الادب العربي طه حسين عام 1917 رسالة عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

* « الزجاجات الفارغة » رواية طويلة للكاتب المصري امين يوسف غراب عن الحياة الفنية المسرحية قبل الثورة وبعدها ، وقد تعاقد مع احدى دور النشر في بيروت على طبعتها .

* عن اعلام الموسيقى العرب اخرج فكري بطرس بالقاهرة « اول الموسوعة الاولى عن اعلام الموسيقى والثناء العربي من المحيط الى الخليج » .

* طاب مجالس الفنون بالقاهرة من احمد نجيب هاشم السفير السابق في روما ترجمة كتاب « انهيار الدولة الرومانية وسقوطها » الذي يعد من اهم مصادر الادب العالمي .

* « دنيا الله » رواية نجيب محفوظ ستحولها مؤسسة السينما بالقاهرة الى فيلم اسندت بطولته

الى سميرة احمد واخرجه الى ابراهيم الصحن المخرج التلفزيوني . كما ان قصته « قصر الشوق » سيخرجها حسن الامام . ستمثل نادبة لطفي دور « زنوبة » العالمة مع يحيى شاهين وعبد المنعم ابراهيم وامال زايد . الفيلم سيناريو وحوار محمد مصطفى سامسي .

* صدرت في القاهرة الكتب التالية : انعام الروض ليوسف بدروس ، شعر مرسل في 195 صفحة حجم كبير . الدية في الشريعة الاسلامية لاحمد فتحي بهنسي . قصة حب للدكتور يوسف ادريس . فلسطين حبي لفرج صادق . خاتمة الطاف طبعة جديدة لعلي الجارم . دعايتهم نصف الحرب لمحمد احمد رمضان . قصائد من برتولد بريخت ترجمة وتقديم دكتور عبد الغفار مكاوي . ثورة الادب للدكتور لويس عوض . كتاب الوجود للسيد محمود او الفيض المنوفي في 319 صفحة . ذكريات وكلمات للدكتور عبد الحميد متولي . موسى بن نصير لابراهيم احمد العدوي . التنسيق الاقتصادي الصناعي للدول العربية للدكتور مبارك حجير في 360 صفحة ، حجم كبير . الفنان محمد حسن ل احمد احمد يوسف في 176 صفحة . علبة من الصفيح مجموعة قصص في 360 صفحة ، وسيدة في خدمتك مجموعة قصص في 258 صفحة، وهما لاحسان عبد القدوس . الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية للدكتور عز الدين اسماعيل في 416 صفحة ، حجم كبير . ابو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الدكتور كمال نشأت . الاساس الاجتماعي للثورة العراقية لرفعت السعيد في 260 صفحة . حكايات وشخصيات قصة رحلة لعبد المنعم شمس . قاموس الطب الفرعوني للدكتور حسن كمال باللغة الانجليزية 530 صفحة ، حجم كبير . جمال الدين الافغاني طبعة جديدة لعبد القادر المغربي . علي ابن الجهم ، حياته وشعره لعبد الرحمن الباشا 242 صفحة ، حجم كبير . الاخطل شاعر بني امية للدكتور السيد مصطفى غازي 266 صفحة ، حجم كبير . الاندلس والناصر لمحمد علي راضي . مع السمسمة مجموعة اشعار فكاهية لحسين طنطاوي . لو كان العالم ملكا لنا ، يعرض لحياة 5 من كبار الفنانين لسعد مكاوي . قصة البترول العراقي لعبد الوهاب السلوم . قضية التعريب في الجزائر لعثمان سعدي ، 112 صفحة . الامير الصفير لسانت اجزوييري ترجمة حمادة ابراهيم . ست البنات قصة لامين يوسف غراب . غرم سنوحي رواية ليوسف كما الدين

حسين عاهل الاردن . وقد تلقى من وزير البلاط الملكي اكرم زعيتر رسالة تدل على مدى تقدير العاهل الاردني لادب الناعوري وما ساهمت به روايته « جراح جديدة » في هز الروح الوطنية .

* افتتحت وزارة الزراعة والمياه السعودية اول حلقة دراسية في الاذاعة الريفية للبحث في طرق وساليب الاستفادة من الاذاعة في ارشاد المزارعين السعوديين ، وذلك بالاشتراك مع منظمة الاغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة .

* « دار الصحافة العربية للنشر والاعلان والتوزيع » اسم المكتب الذي كان الشاعر السعودي عبد السلام هاشم حافظ قد انشاه في القاهرة اثناء اقامته بها . واليوم يعود لمواصلة نشاط المكتب في مسقط رأسه بالمدينة المنورة كمطلق الى الهدف الثقافي الذي ينشده .

* قامت ادارة العلاقات العامة بمكتب الارامكو بالرياض بتسليم ادارة الشؤون العامة والنشر بوزارة المعارف السعودية مجموعة من الكتب والصور التي تمثل اعمال الشركة . وكانت ادارة الشؤون العامة قد طلبت تسليمها مجموعات من هذه الكتب والصور لارسالها الى البعثات التعليمية في الجزائر وحضرموت لاعطاء صورة واضحة عن تقدم صناعة الزيت في السعودية .

* قرر الرئيس العام لمدارس البنات في السعودية افتتاح معاهد اعداد معلمات جديدة في كل من : المجمعة وحائل والجبيل ، ومعهد فني بالمدينة المنورة .
* « الفنان والتمثال » مسرحية الكاتب الايطالي لويجي يراندالو نقلها الى العربية خليفة محمد التليسي وصدرت في سلسلة الكتاب الليبي في منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بليبيا . وتقع في 168 صفحة .

* اصدرت جريدة « الميدان » الليبية كتاب الشاعر الفلسطيني معين بسيسو « عطر الارض والناس في الشعر الليبي المعاصر » .

* صدر في تونس كتاب « شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب » حققه وقدم له وعلق عليه الشاعر الباحث العراقي هلال ناجي .

* يطبع الان في تونس كتاب « العمدة » تأليف عبد الله بن علي الهيتي وهو رسالة نفيسة في الخط العربي حققها على نسخة فريدة هلال ناجي .

* في سلسلة الكتب التي صدرت عن المطبعة الملكية بالمغرب ، صدر مؤخرا « جني زهرة الاس في مدينة فاس » لعلي الجزنائي بتحقيق وتقديم الاستاذ عبد الوهاب بن منصور . وهو من الكتب القيمة التي كتبت عن فاس منذ القرن السادس الهجري .

* تألفت في القاهرة « رابطة التأليف والترجمة » وقد انتخب الدكتور مظهر سعيد رئيسا لها ، والدكتور يحيى الخشاب ، وعبد الحليم الجندي ، والصاوي علي شعلان ، وكلاء للرئيس ، والسيدة سنية قراة امينة للصندوق . ومن اعضائها الشيخ محمد ابو زهرة ، والدكاترة مصطفى زيادة واحمد السيد واحمد الشرباسي وفتح الله بدران ومصطفى زيادة والشاعرة روية القليني والسيدة رقية الشاذلي والانسة زينب الحكيم . وستضم الرابطة اعضاء من خارج مصر . وقد رشح لعضوية اللجنة من حلب : الدكتور محمد يحيى الهاشمي والشاعر عبد الله يوركي وزهير طحان والدكتور صبري الاشتر وقاسم احمد .

* صدر في القاهرة « خريف مزدهر وعصارة قلب » ديوان شعر لحلمي عبد الجواد السباعي قدم له بقصيدة الشاعر صالح جودت . كما انتهى صاحب الديوان من تأليف كتاب عن « تاريخ الحركة المسرحية في مصر » .

* « شعر الصعاليك » عنوان رسالة الماجستير التي نوقشت في كلية اللغة العربية بالقاهرة وقدمها عبد الحليم حسن بكري .

* قصة توفيق الحكيم «يوميات نائب في الارياف» ستنتجها مديحة يسري في فيلم بالقاهرة .

* تقرر ندب الدكتور علي الراعي مستشارا لوزير الثقافة بالقاهرة لشؤون المسرح وعميدا للمعهد العالي للفنون المسرحية . (استقال من هذا المنصب الاخير) كما تقرر ندب محمود امين العالم رئيسا لمؤسسة فنون المسرح والموسيقى وندب احمد المصري مديرا عاما للمؤسسة . كما تقرر تعزيز المؤسسة بنقل نبيل الاافي اليها . كذلك تقرر ندب سعيد خطاب سكرتيرا عاما للمعاهد الفنية العليا .

خاص

بمناسبة مرور أربعة
عشر قرناً على نزول
القرآن الكريم

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

اباطة . مؤلفات شكسبير : عليل ، طبعة رابعة 172
صفحة ، وهاملت طبعة خامسة 144 صفحة ، ومكبث
طبعة رابعة 112 صفحة ، وهي من ترجمة خليل
مطران . ومكبث طبعة ثانية 260 صفحة ، ترجمة
محمد فريد أبو حديد .

أبو زيد . دم ابن يعقوب رواية لشوقي عبد الحكيم .
ابن السلطان وقصص أخرى للدكتور عبد الغفار مكاوي .
فلسطين وصراع القوى لمحمد عطا ، 160 صفحة .
لو كور بوييه حياته وأعماله للدكتور عرفان سامي 116
صفحة ، حجم كبير . ابن عمار طبعة جديدة لثروت

مهرجان الشعر الثالث

منذ ثلاث سنوات وجمعية أصدقاء المعتمد بشفتاوت تنظم مهرجانا شعريا
تدعو اليه رواد الحرف وأصحاب الكلمة في بلدنا ليعالجوا قضية من قضايانا
الشعرية الجديرة بالاهتمام والتقويم .
وفي هذه السنة ، لم يكن من الالتزام في شيء أن يكون موضوع المهرجان ظاهرة
شعرية معينة . لأن الظروف والملابسات التي كان يعاني منها العالم العربي في
الشرق فتردد أصدائها في شعاب المدينة الصغيرة بأقصى الشمال الغربي - كانت
تحتّم أن يكون موضوع المهرجان هو :
(الشعر في معركة فلسطين) عساه أن تستأثر بهذا الفخر الأدبي وتطلع على ما
في جعبة الشعراء والكتاب من دموع وتمرد وتقويم .

وجاء يوم 15 شتنبر 67 م ففتحت المدينة الصغيرة صدرها للرواد الكرام
الذين انثالوا عليها من مختلف المدن .

افتتح المهرجان بكلمة الجمعية ثم بعرض تاريخي عن قضية فلسطين القاه
الدكتور عبد السلام الهراس . تلا ذلك إنتاج الشعراء وبحوث الباحثين وأفلام
سينمائية حملها مندوب منظمة التحرير الفلسطينية ، وموسيقى تحكي النكبة
وتوحي بالعودة .

من بين الشعراء الذين ارتفعت أصواتهم بالانشاد السادة : عبد الرافع
الجوهري - أحمد الجوماري - محمد أبو بكر المريني - عبد الكريم الطبال - محمد
البقالي - واصف منصور - محمد بنميمون - عبد السلام الحضري - أحمد
التسوكي - عبد الواحد أخريف ، كما أقيمت قصائد أخرى نيابة عن أصحابها
الذين اعتذروا عن الحضور ، ونفرد منها بالذكر قصيدتي الشاعر محمد عزيز
الحبابي ، وقصيدة محمد الغربي .

ومن البحوث الشعرية التي حضر أصحابها ونولوا القاءها على الحاضرين
بحث للاستاذ حسن الوراكلي ، وبحث للاستاذ عبد القادر العافية ، وبحث
للاستاذ مصطفى بومنيديل .

وفي مساء يوم 17 شتنبر 1967 أنهى المهرجان بندوة ختامية تحت عنوان :
(الخطابة والعمق في شعر النكبة) شارك فيها شعراء وكتاب من السادة الحاضرين
وهكذا قضت المدينة الصغيرة ثلاثة أيام : عاشت خلالها بين مرارة النكبة
واشراق الحرف ، آملة أن تتحقق أحلام يافا ، والرملية ، وبئر السبع . فتلقتني
بالشعراء مرة أخرى وهم يتقلبون بين ربي فلسطين آمين مبتسمين ، ويفنون
للانتصار العربي ، واسترجاع الكرامة الانسانية من أيدي شذاذ الآفاق من أيدي
حثالة قدرة رصع اللؤم مفريقيها على مشهد من الأجيال الطويلة وهذه حقبة
التاريخ تشهد بذلك .

كلمة العروة

المنشأ المنشأ من التبر

اما « الكتاب » فهو القرآن ..

واما الامة فهي الامة الاسلامية ..

وقد عاشت هذه الامة قبل البعثة المحمدية في وثنية خرقاء ، وخرافة مضللة ، وجهالة عمياء ، فالعالم ، اذ ذاك ، كان متلبدا بسحب كثيفة من القلق والاضطراب ! والحيرة والفوضى ! وكان اعتماد الناس على وسائل الشر اكثر من اعتمادهم على وسائل الخير ..

وكانت الحاجة تدعو الى بعث جديد ، ووعي رشيد ، وحياة ونشور ، فانبعثت موجة هادئة من النور الهادي في خضم ذاك الزمان المضطرب فايقظ امة كانت سادرة في غلوائها ، تائهة في بيداها ، وبعث قبائل جامحة عاشت ربحا من الوقت في بحر لجي من ظلام الشرك يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ، فافتقر فم الزمان عسن ابتسامة عذبة اشرفت لها ارجاء الكون المغمر بالظلام والفوضى ، وملاته بانوار الحق والقوة والجمال ...

ولم يكن ذاك النور الهادي الا رسول الهداية الذي جاء لاصلاح اوضاع العالم المشرك ، وبيده « كتاب » مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، تندي له القلوب اليابسة ، وتستيقظ لروعته النفوس الوائبة ، ففتح الاعين العمي ، والآذان الصم ، والقلوب الغلف ، ثم دفع بالامة العربية وبابنائها وشبابها الى رابية المجد ، وقديسية الشرف ، وآفاق المعرفة .

في البداية حارت عقولهم في هذا « الكتاب » وطاشت افئدتهم لبلاغته ، وتدلهمت دونه احلامهم ، وهم الفصحاء اللسن الذين عرفوا بشموخ العربيين ، واباءة الضيم ، فحاربوه واستنفذوا ما عندهم من قوة في اخفاء ظهوره ، واطفاء نوره ، فما قدروا ، وابلسوا ، فما نسبوا !! .

العدد الثالث
السنة الحادية عشرة
شوال 1387
يناير 1968
ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالملكة المغربية

مجلة تحريرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308
الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
مأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .
ندفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط
**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الأوقاف -
الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلترزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الأوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - 327.03 - الرباط .

أن « كتاب » المسلمين الخالد الذي هو اثبت من الجبال رسوخا ، وأقوى من الشمس ثباتا ودواما ، يدعوننا — جميعا — الى اتخاذ كل الاسباب للتطور ، ومسايرة الركب العام ، لانه « كتاب » الاسلام العام الخالد الذي يدعو الى المحبة والعدل والسلام ، ويؤاخي بين مختلف الاجناس والثقافات والالوان ، وان له اليوم ، ولله الحمد ، في رقعة العالم الاسلامي التي تمتد من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادي ، وفرة من مصادر الثروة الطبيعية ، وفرة بشرية متزايدة تجعل قوته العددية يخشى بأسها ، وتنذر اعداءها وخصومها ومن في قلوبهم مرض بشر مستطير .

وظروفهم اليوم اشبه ما تكون بظروف الامس بكل ملايساتها ، فقد نزل الروح الامين ، في البلد الامين ، على الرسول الامين « بالكتاب » المبين ، وهو صلوات الله عليه في العصيب من الزمن ، وفي حالة الحزن والاسى ، وفي حالة الحرب والسلام ، والتعماء والالواء ، والشدة والرخاء ، فكانت آياته المبصرة افضل عدة للصبر ونصرة الحق ، وخير حافظ للنضال والجهاد .

ان المسلمين في الحالة الحاضرة مدعوون لاقامة وحدة متماسكة الوشائج ، وثيقة العرى ، مستمدة من كتابهم الذي ألف ، في الماضي ، بين قلوبهم ، فاصبحوا بنعمته اخوانا ، وقد كانوا من قبل على شفا جرف هار .

ان « كتابا » اسهم في خلق مجتمع فاضل ، وانبثقت منه امة ، أسست حضارة راقية ، لخليق بان يعيد لهذه الامة مجدها الضائع ، وعزها المفقود ، ما أن تمسكت « بالكتاب »

دعوى الحق

واتم الله نوره ، ولو كره الكافرون ..

واخيرا ، انصاعوا لامره ، ونزلوا على حكمه ، وعاشوا مع هذا « الكتاب » المبين في موسم الخير ، ومواكب النور ، ومنابع الهدى ، ومحافل الايمان ، لانه حمل اليهم رسالة الله ، وجعلهم خلفاء وملوكا ، وآتاهم من القوة والبأس وسعة السلطان ما لم يوت احدا من العالمين ...

خاضوا بايمانهم الصادق اعنف المعارك ، واشدها قسوة وضراوة ، فانتصروا . وواجهوا — ونورهم يسعى بين ايديهم — زخوف الجاهلية الجاحدة ، فقهروها ، وارجعوها ناكسة على الاعقاب ، موالية الادبار ذلك بانهم تمسكوا بما لم يضلوا بعده ، فهدوا الى الطيب من القول ، وهدوا الى صراط مستقيم .

شيدوا للحضارة الانسانية الزاهرة صرحا متينا ، واقاموا العالم العاثر من كبوته ، وايقظوه من سباته وغفوته ، لان « كتابهم » الخالد كون منهم امتن رابطة روحية تجمع بين الامم والافراد ، والاشتات والاضداد ..

كانت اعمالهم يغمرها جمال التقوى ، ويسودها الاخلاص والاحسان والايمان ونكران الذات ، ويجملها حب التضحية والفداء .. « فكتابهم » حبيب اليهم الايمان ، وزينه في قلوبهم ، وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان .

حضهم هذا « الكتاب » على النظر في خلق السماوات والارض ، وحثهم على التأمل في ملكوت الله ، وما خلق الله من شيء ، ونبههم الى ما في انفسهم ليصروا ، وشجعهم على اعمال الفكر ، واستعمال العقل لفتح مغاليق الكون ، فلم تكن امة الاسلام في تفتحها مهلة لعقولها ، ولا مقصرة في تفكيرها ، تعيش في جمود مطلق ، وخمود مميت ، غير آخذة باسباب البحث والخلق والابداع ، بل كان لها من مكان من القوى ، ومذخور الطاقات ما جعلها امة ملتزمة تنشئ حياة جديدة على اس من الخلق والدين ، وتبني صرح الحضارة الانسانية ، وتحمل مشكاة التقدم والحضارة والممران ..

هذه المعاني السامية الحافلة بالحركة والالتزام هي التي ضمنت لتلك الامة الاسلامية الوسطى حياة مستمرة دائمة التدفق والعطاء ، وحبها منابع ثرة يستريح اليها الحران واللاغب ، ويطمئن الى ظلها الوارف المطارد والشارد ..

واليوم ، وفي حاضر العالم الاسلامي ، هل من يقظة واعية تعيد لهذه الامة الاسلامية المخدرة مجدها الناهض ، وبطولتها الموروثة ، وعزها التقليد ؟

وهل من شروق جديد لفجر هذه الشعوب الاسلامية التي تخلت ، في تخاذل وتناكر وتدابير ، عن رسالتها المثلى ، فاستولت عليها المطاعم السود ، والاهواء الاثيمة ، فاصبحت مع العالم المتقدم الزاحف ، كنون الجمع حين تضاف !!

وما موقف العالم الاسلامي اليوم ازاء الحضارات الحديثة ؟ وما مدى مساهمته ومواكبته للتقدم العلمي والتطور التقني والقوة الحربية الرهيبة ؟



صاحب الجلالة يلقي درسه الجامع امام حشد من السفراء
والوزراء والعلماء

الدرس الديني الجامع الذي القاه صاحب الجلالة بالفرج الحسيني

كم من رجل لو أقسم على الله لأبره

نهي المعاصرة الدينية الجامعة التي القاهها سيد البلاد صاحب الجلالة أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده في شهر رمضان المعظم أمام علماء الإسلام في المشرق والمغرب الذين حضروا الدروس الدينية الرمضانية التي عقدت بالفرج الحسيني ، مساء يوم السبت 14 رمضان المعظم 1387 (16 دجنبر 1967) .
وقد تناول حفظه الله في درسه القيم شرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه « كم من رجل لو أقسم على الله لأبره » .
قال صاحب الجلالة أمير المؤمنين نصره الله وأيده :

وتعلقا بملة أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

التذكير من مهام الراعي

وقد تذكرت بهذه المناسبة مثلا عربيا عاما صوغه في قالب فصيح وهو يقول : (لا تتخل عن عادات ، يسبب لك تركها معادة) ، اذن فما علينا الا ان نحافظ على هذه العادة ، ونسهم معكم بنصيبنا لا كمفسر ولا كمحدث ولا كعالم ولا كاستاذ ، ولكن كراع عليه مسؤوليات الراعي ، ومسؤوليات الراعي — كما تعلمون — هي مسؤوليات جسام ومتعددة في انواعها وازمنتها وامكنتها ، ولما كانت هذه الرعاية تصادف شهر رمضان الذي هو شهر الصيام والامساك عن كل معصية ، وشهر الانابة الى الله تعالى — صارت رعايتنا — اعتبارا للزمان وللمكان في شكل تقديم بعض النظريات من شأنها ان تعزز جانب الدين في قلوبنا وثبتت عليه اقدامنا .

كم من رجل لو أقسم على الله لأبره

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(كم من رجل لو أقسم على الله لأبره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الصادق الأمين .

أما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ، رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث ، فاطر السماوات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين .

أيها السادة

أيها العلماء الافاضل

جردت العادة في نهاية دروس رمضان ان أتطفل على مائدتكم وما هو من اختصاصاتكم ، فنحن لسنا من الفقهاء ولا من محدثين ولا من المفسرين المتخصصين ، فسلما نرجو منكم التسامح ، كما أننا نطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على تفسير هذا الحديث وشرحه وتطبيقه تفسيراً وشرحاً وتطبيقاً يزيدنا إيماناً

تستلقت الانتظار الى اهمية بعض الاحداث الكبيرة
والظواهر الكونية العظيمة .

عيسى يحرق الافراد

اما معجزة عيسى عليه السلام فاننا نقرأ في
الانجيل ان الولاة — حينما يزور عيسى عليه السلام
بعض المدن والقرى — لا يشتكون من معجزاته كاحياء
الموتى وابراء المرضى بل يشتكون دائما من شيء
واحد موجود في تقاريرهم ، هو ان عيسى يحشد حوله
دائما اقواما واقواما ، وكلما خطب في الناس زاد عددهم
وتمردوا فكريا ، وصاروا متمردين على الحكم القائم ،
فمعجزته الحقيقية لم تكن منحصرة في الطب ، بل كانت
تحرير الافراد ، وكلنا يعلم ان البشرية لم تعرف قط
العدد العديد والجموع الكثيرة من الاسارى والعبيد كما
عرفتها ايام عيسى عليه السلام ، كانت روما مهيمنة
اذ ذاك على العالم كله ، وكلها دخلت قرية افسدتها
وجعلت اعزة اهلها اذلة واسترقت الجميع ، فجاء
عيسى عليه السلام بالمساواة بين القوي والضعيف ،
جاء عيسى بنفي الاستعباد ، الانسان حر ، فحرر
الرجال ، وحرر الرقاب ، وصار ينادي بالتحرووالحرية ،
الشيء الذي جمع عليه الآلاف والآلاف من البشر .

ويمكننا ان نقول في موسى وعيسى ان موسى
لم يكن له وطن ، وان عيسى كان لاجئا سياسيا في
جميع الاقطار التي حل بها ، مسألة الوطن مهمة جدا ،
الشيء الذي سيظهر ميزة اخرى تتعلق بالاسلام .

المعجزة الخالدة ...

اما الديانة الاسلامية فاعجاز القرآن هو معجزتها
الخالدة ، هو المعجزة التي تجعل من المستحيل ان
يترجم القرآن بنصه وفصه ومعانيه وبلاغته الى لغات
اخرى ، الا ان هناك معجزة اخرى تتمثل في الاعجاز
الذي نجده في القرآن ، فلو اخذنا (الاميين بالتفسير
المتعارف عليه لما كان في امكاننا ان نثبت ان النبي صلى
الله عليه وسلم ارسل الى الناس كافة ، فلا ننس انه
كان اذ ذاك الفرس ، والبنطيون ، وروما ،
وفيتاغورس ، واريستو ، والشعراء والفقهاء ،
والمهندسون ، والاطباء ، فكان الشرق ما عدا
الجزيرة العربية — كله يقرأ ويكتب فاذا نحن قلنا ان
النبي صلى الله عليه وسلم ارسل للاميين الذين لا
يعرفون الكتابة والقراءة ضيقنا نطاق رسالة النبي صلى
الله عليه وسلم .

فما هو التأويل اذن ؟

التأويل هو قول النبي صلى الله عليه وسلم
(انما بعثت لاتيهم مكارم الاخلاق)

فالامي ينقسم الى قسمين :

الامي من ناحية العقل والكتابة والقراءة ، والامي
من ناحية عدم تطبيق تلك القراءة والكتابة في سيرته وفي
معاملاته وفي مبادلاته وفي بيعه وشرائه ، وفي زواجه
وطلاقه ، فاذا نحن اطلقنا لفظة الامي فيمكن ان تكون
بمعنى الجاهل الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ويمكن ان يكون
الامي ايضا ذلك الرجل الذي يعرف القراءة والكتابة
ولكنه لا يطبقها حسب الشريعة والاخلاق ، فعلى هذا
التأويل يمكن تفسير قول الله تعالى (هو الذي بعث في
الاميين رسولا) بأن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
هي في الحقيقة رسالة للناس كافة .

قصر الامة على جزيرة العرب او قسم منها شيء
معروف ، والدليل على أن طرفا من جزيرة العرب لم
يكن اميا هو اليمن ، فقد ذكر الله سبأ في القرآن وضرب
بها المثل ، وان مدينة اليمن وحضارة اليمن وعلماء
اليمن لم يكن لياضاهيهم احد في زمانهم ، فالنقطة الاولى
هي تمايز بعض الرسالات السماوية على بعضها من
حيث الزمن ، وميزة رسالة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم جاءت لتعليم البشر وتربيته ، فظهر لنا فضل
رسالة سيدنا محمد عليه السلام من حيث الزمن .

هؤلاء الرسل ...

من هو موسى ؟

ومن هو عيسى ؟

ومن هو محمد ؟

كيف كانت حياتهم ؟ وكيف كانت مشاعرهم ؟ ماذا
عرفوا من الدنيا ؟ وماذا شهدوا منها ؟ وماذا
جربوا ؟ وماذا لم يكتسبوا من التجارب ؟

اما ما نعرف عن موسى فهو قليل ، فالتسوية
نفسها نرى فيها غموضا بين وقت ووقت . بين الوقت
الذي أخذه فرعون ورباه في بيته ، وبين وقت النبوة
والرسالة .

ولكن يمكننا ان نتبعه في وقت نبوته ، فنراه لا
يعرف شيئا عن الحالة المدنية ، عن حالة الاسرة ، ولا
عن الحالة التي يعرف فيها ضعف الرجل ، والتي

انتي وجدت هذا الحديث لطيفا في مبناه ، عظيما في معناه ، وجدته بابا مفتوحا وافقا فسيحا لا حد له ولا نهاية امام كل عبد مسلم ، وقبل ان اشرح هذا الحديث واطبقه على ديننا وعلى دنيانا وعلى المسلمين اجمعين ، اود بطريقة موضوعية — ان لم اقل بطريقة حديثة — ان اظهر فضل هذه الديانة ، ديانة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، على سائر الديانات الاخرى ، حتى يمكننا ان نقيس اعمالنا ومعاملاتنا بالديانة الاسلامية ، وحتى يمكننا ان نبشر انفسنا ويبشر بعضنا بعضا انه من الممكن ان يكون منا في كل زمن وفي كل وطن ذلك الرجل الذي اذا اتسم على الله ابره .

الاسلام مسك ختام الرسالات السماوية

انتي اطلمت في صحيح الامام مسلم على حديث لا احفظ نصه يشبه فيه النبي صلى الله عليه وسلم الديانات والرسائل ، يقول فيه عليه السلام ما معناه : مثل الديانات والرسائل كمثل بيت اقيم ولم تبق فيه الا لبنة ، وانا لبنة ذلك البيت : اللبنة العليا ، بيست القصيد ، واسطة العقد ، الخاتمة ، مسك ختام الرسالات والنبوءات ، فاذا نحن طبقنا هذا الحديث على تطور الانسانية وعلى تطور الديانات وجدنا ان الديانات السماوية وبالاخص التي نعرف عنها والتي ما زلنا نقرأ عنها هي رسالات ثلاث : رسالة موسى عليه السلام وما تبعها ، ورسالة عيسى عليه السلام وما تبعها ، ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الانبياء من حيث الزمان والمحل والرسول...

واذا اردنا ان ندخل في هذا الشرح بالتمحيص وجب علينا ان ننظر الى هذه الديانات من وجوه ثلاثة :

(1) زمانها

(2) مدلولها

(3) الرجل الذي دعا اليها .

اما عن الزمان فقد قيل — وانا مقتنع بذلك — في هذا المجلس ، وفي الكتب وفي مجالس اخرى ، ان لكل مرسل بديانة معجزات تناسب زمانه ، فمعجزة موسى كانت من جنس السحر لكثرة السحرة في عهده ، ومعجزة عيسى عليه السلام كانت من جنس الطب لانتشار الطب في زمانه ، فقد ابرا الاكمة والابرص

واحيى الموتى باذن الله ، ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن المعجز ، فقد خلق صلى الله عليه وسلم اميا فجاء بهذا القرآن الذي ليس له مثل ، والذي تحدى فصحاء العرب وبلغاءهم — وما أكثرهم في زمانه — ان ياتوا بسورة من مثله فمعجزوا .

انا اقدر هذه الاقوال كلها ، الا انني اعتقد انه من المستحسن ان ازيد بعض التفسيرات في هذا الباب :

كلنا يعلم ان موسى ازداد في مصر ايام الفراعنة ، وان الفراعنة كانوا على علم عميق ، وبالاخص الرهبان الذين كانوا يحيطون بهم ويفتونهم في امرهم ، والذين كانوا يسيرون حقيقة سياسة الدولة ، لم يكونوا على علم عميق بالسحر فقط ، بل كانوا بالاضافة الى ذلك على علم بجميع الرياضيات التي كانت معروفة اذ ذاك ، فلم تكن اذن العصا التي اوحى الله الى موسى ان يلقبها الا معجزة مناسبة .

كان موسى يعرف خواص الزئبق ، وانه اذا القى في الحرارة او وضع تحت الشمس اخذ يطول ويطول فيتحرك بالعصا ، فكانت معجزة موسى عليه السلام على حد فهم اهل زمانه .

ولا ننس ان البشرية كانت اذ ذاك في جهالة جهلاء فكانت تاخذها الخشية وتفر اذا امطرت عليها السماء بالضفادع ، لانها لم تكن اذ ذاك تعرف ان هذا شيء ممكن وعادي ، لان الضفادع تبيض في الاودية والانهار ، وحينما تمتص الشمس بخار الماء تاخذ معه ذلك البيض الذي يكون صغيرا جدا فينمو في السحاب ، واذا به ينزل يوما ما في صورة ضفادع ، شيء وقع ، اظهره الله في ذلك الوقت على يد موسى ليتمكن بذلك ان ينفذ الفكر البشري مما كان مخيا عليه من الجهل وعدم معرفة هذه الاسرار .

ومما هو معروف في بلاد الشرق وارض الكنانة — ان السماء تمطر بعض المرات ماء احمر ، لان الرياح لما تاتي تاخذ الماء والبخار ومعه شيء من الطين الاحمر فيتكون الماء عند اللقاء السحاب فينزل الماء كانه دم ، وكان من معجزة موسى عليه السلام انه طلب من الله ان تمطر السماء ماء احمر حتى يزد جربه فرعون وقوم فرعون ، لا السحرة ، ونحن نعلم اليوم علم اليقين ان سيدنا موسى عليه السلام كان من تلاميذ الرهبان قبل ان ياتيه الوحي ، فقد قرأ عليهم كثيرا ، واخذ عنهم كثيرا ، وبذلك تمكن من معرفة ما ينفع به شعب مصر ومن يحدق به من الشعوب الاخرى من الأشياء التي

(العين تسمع ، والقلب يخشع ، ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا على فراقك يا ابراهيم لحزونون) .

فقد ولده ، الشيء الذي لم يقع للآخرين ، وكان الله سبحانه وتعالى اراد ان يتوج هذا كله ، فجاءت قضية الافك ، فعزف صلى الله عليه وسلم ما للغيرة وما للشك في زوجته وفي حليلته من مصائب وآلام ولواعج وتكاليف على الفكر والجسد ، الى ان اتى الله سبحانه وتعالى بآيات البراءة التي طمأنته على عرضه وعلى عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهم جميعا .

هكذا نرى ان الرجل اي النبي صلى الله عليه وسلم من حيث هو عاش عيشتنا ، وتقلب في آلامنا . عرف جميع الانواع منها . عرف منها الجوع ، عرف منها الغربة ، والتفني ، عرف منها فقد الولد ، عرف منها التذف في عرضه ، عرف منها الشك ، عرف منها الارتياح ، عرف منها كل شيء وما ذلك الا ليربيه الله سبحانه وتعالى تربية كاملة ، لان المخلوق مخلوق وما نحن الا من لحم ودم ، وما قلبنا الا موطن للشك ولليقين والمحبة والكرهية ، نبذك مكنه الله من ان يعرف الداء فيبدلنا على الدواء ، والا لكنت ديانته ديانة نظرية ، ولكان نبيا نظريا ، ولكنت فردية ليس من ورائها شيء اذن كان صلى الله عليه وسلم موضوعا من حيث الزمن ، ومن حيث المعجزات ، ومن حيث الرجال ، فكانت معجزته اكمل المعجزات وانتهى واقول اصلحها .

وان نحن مثلنا الديانات بالعملة ، فالعملة الجارية ، العملة القوية العملة التي يمكن ان يتعامل بها في كل مكان وزمان وهي الذهب . هي النبي صلى الله عليه وسلم ، فرسالته من ذهب عملة قوية يتعامل بها عند جميع الاجناس ، وفي جميع الاماكن ، وفي جميع الازمنة .

قراءت عليكم في الاول بعض آيات لموسى وعيسى وسأرجع الى البعض منها بعد الشروع في تفسير الحديث .

الكم ... والكيف

الحديث في مبناه يعجبني جدا ، بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بلفظة « كم » ولم يذكر في هذا الحديث معنى الكيف ، فهذا استبشار عظيم ، (كم) كلكم أو الكثير منكم يمكن الله ان يبر قسمه ، ولكن لم يقل صلى الله عليه وسلم يشترط ان يكون فيك كذا وكذا حتى يبر الله قسمك .

موجود (الكم) هنا دون ان يكون مقرونا بالكيف هو الذي يفتح لنا جميعا : لرجل الشارع ، للقوي ، للضعيف ، وللمذنب ، وللطائع ، هذا الباب الذي يمكنه ان ينجي منه نفسه في ليله ونهاره ، في شغله وفي راحته ، قائلا : لعلي اكون من اولئك الذين اذا اقساموا على الله ابرهم ، ولكن مع ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر بعض الشروط لابد لنا نحن ان نذكر بعضها الذي هو من باب تحصيل الحاصل ، فالكلام جاء من فم النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالاسلام ، فمن الطبيعي ان هذا العبد في هذا المقام لا يكون الا مسلما ، امرنا بالايمان ، فمن الضروري ان نكون مؤمنين حتى ندخل في هذا القلب ، امرنا بالاحسان وهو الضمير المهني ، وسيأتي بتقريره بعد ، فلا بد لنا من الاحسان حتى لا نكون منافقين وندخل في اطار هذا الحديث امرنا ان نكون مسلمين ، ان نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وان نقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونحج البيت ، ونصوم رمضان ، امرنا ان نكون مؤمنين ، ان نؤمن بالله وملائكته ورسوله وكتبه ، وبما جاء به الحديث الذي نزل على فم جبريل الذي رواه مسلم والبخاري وغيرهما من رواة الحديث .

ما هو الاحسان

وامرنا بالاحسان ، فما هو الاحسان ؟ هو قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان : (ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك) ، معنى هذا ان الانسان في جميع اعماله ، وفي جميع حركاته وسكناته ، اذا هو تشخص وجود الروح الالهية والاعانة الالهية مطبقة عليه من فوقه ومن تحته ، من امامه ومن خلفه ، وعن شماله ويمينه ، ادى ما هو مناط به على احسن الوجوه والدليل على هذا هو ان لا يكون كذلك يصير من زمرة المنافقين الذين جاء فيهم كتاب الله بالوعيد الشديد ، والذين وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : (آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان) وبعبكس ذلك المؤمن ؟ انه هو الذي اذا حدث صدق ، واذا وعد وفى ، واذا أؤتمن ادى (الامانة) .

انها ليست شروطا كثيرة : الشهادة ، اربعة اركان : الايمان بالله والرسول والملائكة واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره ، وأن يكون فينا الاحسان حتى لا نكون من المنافقين ، وحتى نستحضر الله دائما

يعرف فيها كيف يحل المشكلة الخلقية أو العاطفية التي تعترى كل واحد من البشر ، وانما نجده يقول عند نهاية حياته ما قاله الشاعر فنسى موين وهو يدعو باسم موسى : (اللهم انك خلقتني قويا ووحيدا ، فتوفني اليك هادئا) ، ذلك لان الرسالة التي اعطاه الله اياها كانت رسالة زجر ، كانت رسالة تساوة ، كانت رسالة نذير لا رسالة بشير ، لانه كان في عراك دائم مع قومه ، كان يدعو عليهم بالسوء ، كان يقضي حياته كلها في تقويم اعوجاجهم .

ويمكننا ان نقول : ان رسالة موسى عليه السلام كانت رسالة سلبية ، لانها كانت تشتمل على النواهي، ولم يظفر موسى يوما من الايام بسرور كالذي ظفر به النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، ولم يرض عن رعيته ولا عن القوم الذين بعث فيهم ، فلنسمع الى موسى واله موسى يتكلمان ، في هذه النبذة التي وقفت شخصيا على ترجمتها من التوراة :

قال الله على لسان موسى :

(الى اي حين سيظل هذا الشعب يهزا بي ويسخر مني ؟ والى اي وقت سيبقى غير مؤمن بي رغم جميع النعم التي اسبقتها عليه ؟ انني ساسلط عليه الطاعون ، وساجعل منك امة اقوى واعظم منهم) .

هكذا عاش موسى عليه السلام في عراك مستمر مع شعبه ، وفي مناجاة مستمرة مع ربه ، هذا ما اعتقد .

عيسى روح الله وكلمته

اما سيدنا عيسى عليه السلام فمن هو ؟ سيدنا عيسى روح الله وكلمته ، سيدنا عيسى لا نعرف عن صباه شيئا ، ولا يمكننا ان ننسب الى حياته او الى تاريخه الا بعد ما نراه يلتقي مع جان باتيست ، ثم يشعر من نفسه انه مؤهل الى رسالة ، فيخلو بالجبل الاسابيع والاسابيع ، فيأتي الشيطان فيوسوس ، ويحاول ان يدحرجه وان يجعله في موطن الزلق فيأبى سيدنا عيسى ، ومن ثم يخرج عليه السلام ليدعو الى رسالته.

الصورة المخالفة

اننا اذا امعنا النظر في رسالة عيسى عليه السلام لا نجد انه غير منسكا من مناسك موسى ، بل زاد عليها الشيء القليل ، ولكن لم يغير من الديانة

اليهودية ، لانه كان أولا يهوديا ، فبماذا جاء اذن ؟ انه لم يجيء بمعتقدات جديدة . قاله موجود ، وملائكته موجودون ، ولكن رأى الله سبحانه وتعالى ممن الضروري ان يغير امام الناس شبح ذلك الاله المنتقم ، شبح ذلك الاله الذي لا يعمل الا والهلاك في يده . اراد الله سبحانه وتعالى ان يعطي للناس صورة مخالفة لما يظنون في الله ، فجاء عيسى بانه رب الرحمة ورب المغفرة ورب التوبة ، ويمكنني ان اقول هذا ، لان الانجيل ليس ما كتبه او قرأه عيسى فرواه عنه الناس مسترسلا متواصل كما هو الشأن في القرآن — لو كان ذلك ما كان في امكاني ان اقول شيئا في هذا الباب — ولكن بما ان عيسى كان يتكلم بالعبرانية وبعده ترجم الانجيل الى اللاتينية والعربية والانجليزية والفرنسية يمكنني اذن ان اقول بان صفة ذلك الاله ربما غالى فيها سيدنا عيسى حتى قال : (اذا ضحك احد على خدك الايمن فادر له خدك الايسر) وحتى قال وهذا اعتقد اخطر : (انظروا الى الطير في السماء ، فهي لا تبذر ولا تجهد ولا تجمع الحب في البيادر والحقول ، وانها يطعمها ربكم الاعلا ، فهل لستم اجل منها قدرا وارفع منها شأنا ؟)

حيى النبي (ص) حياة شعبه

اما النبي صلى الله عليه وسلم فقد اراده الله أن يعيش حياة شعبه وحياة أمته ، نعم عذب (ص) وهزىء به كما هزىء بالرسول من قبله ، ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يدع قط على شعبه ، وحينما جاءه جبريل وهو في الطائف قال له : (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) ، بل اراد الله سبحانه وتعالى ان يظهر لنا النبي صلى الله عليه وسلم في الحالات التي يمكننا ان نعيشها كلنا فرادى وجماعات ، فهو الذي اخرج من مكة واستعظم الامر واستكبره ، وحينما قال له ورقة ابن نوفل قبل ذلك سيخرجك قومك ، اجابه متعجبا : او مخرجي هم ؟ واستعظم الامر واستكبره ، وبكى صلى الله عليه وما زالت لوايع الحنين في صدره منذ فارق مكة وهو في المدينة الى ان اعتمر عمرة القضاء وحج حجة الوداع ، ومكث بمكة وتعرف عليها وطاف بالبيت وزار جميع المعاهد والاماكن التي كان يهواها ويحبها والتي تربى فيها .

الساء والساء

اذن عرف عليه الصلاة والسلام مفارقة البلد والاغتراب ، عرف الحزن من فقد أحد ابنائه وقال :

(لا تشغلوا أنفسكم بهم السؤال ما استطعتم ، وماذا سنسقى ؟ وماذا سيتيسر لنا الكساء ؟ ان عباد الاصنام هم الذين عن كل هذا يتساءلون ، الا ان اباكم الاعلا يعلم بانكم بحاجة الى الطعام والشراب والكساء بأنه اذا ابتلى بالخوف فهو لا يبتلى بالجوع ، واذا ابتلاه فالتجنى الى عدله ، وسيهبكم الله كل ذلك تفضلا ، ولا ترهتوا أنفسكم الاهتمام بالغد ، لان الغد سيفنى بما فيه ، ولكل يوم نصيبه من الفتنة ، ولكل يوم ما يكفيه من العذاب ، ونحن نروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يقول : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

ولنذلل العقبات ، وهذا ما وقع لي في هذا الشهر الكريم وأردت أن أذكر هذا الحديث اليوم بمناسبة رمضان ، حيث أن هذا الشعب أقسم على الله فأبره حينما قبل — منذ سنتين مضت — كل واحد منه ، كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، أن يتنازل عن الزائد في ثمن السكر ، وأن يتحمل جبايات وافرادا بناء سد وادي زيز الذي تم ولله الحمد مشروعه ، والذي سنشرع في العمل فيه في أوائل شهر شوال ان شاء الله (1) .

المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضا

فاليك ايها الشعب الكريم ارفع هذه البشرية ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو اصدق القائلين ما معناه : (ان لله شعبا لو اقسمت على الله لابرها) فاهنا بهذا الحديث وبهذه البشرية ، لانك اقسمت ، وما معنى القسم ؟ اقسمت وعملت ، اقسمت واهتديت فلم اقل شعبي العزيز لانك تشبثت فرادى بجميع اطراف الديانة الاسلامية ، فلم اقل ، انك صليت وانك زكيت ، او انك كذلك صمت او انك كذلك تجنبت المحرمات ، او انك كذلك اطعت الطاعات واتيت بها ، ولكن اقول : ان هناك تكافؤا ، ان هناك توازنا ، فاذا عصى واحد منا في ناحية احسن الآخر في تلك الناحية ، وهذه هي الشعوب والمؤمنون يشد بعضهم بعضا ، ما معنى يشد بعضهم بعضا ، يملأ المؤمن فراغ أخيه كلما وجد المؤمن فراغ أخيه من حسنة لم يأت بها فهو يعمر ذلك الفراغ حتى لا يبقى ذلك الجدار فيه ثغرات ، وحتى يبقى جدارا مرموصا لا ثغرة فيه ، فلنهنأ بهذا التكامل وهذا التكافؤ ولم تكن هذه هي البشرية الاولى ، ولا البشرية الوحيدة في بلادنا . وفي تاريخنا القديم والحديث من ان الله سبحانه وتعالى انصت الى قسم الابرار منا فأبرهم .

أخرجنا من ديارنا والرأس مرفوع

وما استقللنا ببعيد ، وما حالة منفي ابينا بعيدة ، وما حالة الاحتلال والقهر والغلبة التي عشناها . انت هنا والتي عشناها نحن هناك ببعيدة ، فلقد أخرجنا من ديارنا ولكن أخرجنا منها والرأس مرفوع ولله الحمد ، أخرجنا منها والقلب مليء بالايمان ، أخرجنا منها واليقين يخامرنا ليل نهار باننا سنرجع ، وما اقتبسنا ذلك كله

ثم قال عيسى والفرق بين : (انظروا الى الطير في السماء فهي لا تبذر ولا تحصد ولا تجمع الحب في الببادر والحقول ، وانما يطعمها ربكم الاعلا ، فهل لستم اجل منها قدرا وارفع شأننا ؟) فيقول النبي صلى الله عليه وسلم (لو انكم تولكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير ، تغدو خماسا ، وتروح بطانا) فمعنى التوكل في هذا الباب هو العمل ، واخذ الاحتياط وفرض جميع ما يمكن أن يقع ، ومن بعد التوكل على الله ، نها هي شريعة الامل ، وها هي شريعة الخمول ، ها هي شريعة الامل ، وها هي شريعة اليأس ، ها هو كلام الرحمة ، وها هو كلام الغلظة ، هنا ولنبلونكم بكذا وكذا رحمة وغلظة . وهنا يستظلون تجوبون الارض غلظة بلا رحمة .

ثم انظروا الى الطير رحمة بلا فائدة ، وما جمع الرحمة والفائدة الا قوله تعالى (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار) (وابتغ فيها آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا) . هذا هو الخير كل الخير .

ففيما يظهر اعتقد في ضميري انه من الناحية التفسيرية والاجمالية انني اتيت على بعض الجوانب من هذا الحديث ، وما واجبه من تفسير آتيت بآيات بينات واحاديث نبوية واستدلالات من التوراة والانجيل مع اني لست صاحب هذه المهنة ولا متعاطيا لها ، وقد اخترت هذا الحديث كما قلت لكم أولا لانه يفتح باب الرحمة ويفتح باب الامل ، ولانه يذكرنا بكتاب الله سبحانه وتعالى (ولئن شكرتم لازيدنكم) فلنا في يماننا وفي يسرانا جبل من الله سبحانه وتعالى وجبل من رسوله صلى الله عليه وسلم لنفتح الآفاق امامنا ،

(1) بدأ العمل في بناء سد زيز في تمام الساعة الثانية عشرة من نهار الجمعة 12 شوال 1387 (12 يناير 1968) عندما ضغط جلاله الملك الحسن الثاني على زر فجر به شحنة من المتفجرات في قم غيور .

في جميع ما نأتي وما نذر ، وحتى نكون متحلين بصفة الضمير المهني .

شمول الرسالة المحمدية

وقاعدة أخرى تركتها هي الأخرى نظرا لجسامتها:
حديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
المهاجر من هجر السيئات ، والمسلم من سلم الناس
من لسانه ويده ، وهذه الفقرة هي التي تهمني : المسلم
من سلم الناس من لسانه ويده .

أولا — نستبشر ، فالقرآن كما انه جاء للناس
كافة جاء الحديث وسنة النبي صلى الله عليه وسلم
للناس كافة ، كان في امكانه عليه السلام ان يقول المسلم
من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ولكنه قال : المسلم
من سلم الناس أي جميعهم من لسانه ويده .

الله .. الله .. يا اهل القلم

وانا اقول (ويده) تدخل فيها الكتابة ، فالمسلم
من سلم الناس من لسانه ويده ، وقلمه ، حيث ان
القلم يخط فيكذب فيبتول فيتعرض الى آفاق اجتماعية
او مصائب سياسية او الى فتن او الى المحصنات
او للمس بالمقدسات ، فالمسلم من سلم الناس من لسانه
ويده التي يدخل فيها القلم الذي يكتب ، القلم ، فالله
يا اهل القلم ، الله .. الله .. يا اهل الصحف ، اتقوا
الله حتى تكونوا مسلمين ، وان كنا نعينكم في بعض
الاحيان على هذه التقوى ببعض من الرقابة ، ولكن هذا
لا يكفي .

قواعد تكميلية

اذن هذه هي القواعد التي لابد منها . وهناك
قواعد تكميلية ، لان الله سبحانه وتعالى لم يغفل في
كتابه عن شيء ، ولانه اذا اردنا ان نستخرج من كل
آية ومن كل حديث ما يجب علينا ان نقوم به حتى نكون
مبشرين بالجنة ، وحتى نظفر برضا الله وحتى نظفر
بجوار النبي صلى الله عليه وسلم وحتى نظفر بالمغفرة ،
وحتى يتوب الله علينا — لوجدنا الشيء الكثير .

هذه بعض الاراء الموضوعية ، وهذه المسائل
التي جئتم بها كلها موضوعية ، وتدل على ان رسالة
النبي صلى الله عليه وسلم وافقت زمانها ومكانها ،
وجاءت للناس كافة الذين يقولون بالسحر والذين لا
يقولون به ، الذين يقولون بالطلب والذين لا يقولون به ،

ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مثل
الاحساسات التي لامته ، فعرف الداء فاهتدى الى
وزاد (من) التي هي للتبغيز حتى يأمل المؤمن والمسلم
الدواء ، كل هذه المسائل عرفناها بكيفية مجلة ، لان
مثل هذه الجوانب تقتضي بحثا دقيقا ومستطيلا .

لنرجع الى الكتب السماوية بما اننا ملزمون
بالايمان بها ، على الاقل نعرف ما فيها ، جاء من التوراة
— وهنا سترون عنصرا موضوعيا للفرق بين القرآن
وغيره :

ثم خاطب الله موسى ، وهارون بهذه العبارات :
« الى أي وقت سيظل هذا الجمع الخبيث يتهامس بي
ويقول علي ؟ انني سمعت الهمسات التي يقول بنوا
اسرائيل ويقذفونني بها ، فقل لهم : انني سأجعل منهم
بحق روحي التي هي كلمة الله شيئا مطابقا لصدى
صراخكم في آذاني ، فجتثكم جميعا ستهوى في تلك
الصحراء ، انتم الذين جرى احصاؤكم بتعداد من بلغ
منكم العشرين فما فوق ، وتقولتم علي الاتاويل ، فانكم
قطعا لن تدخلوا البلد الذي اقسمت باقراركم فيه ، ان
جتثكم ستسقط في الصحراء ، وسيبقى ابناؤكم فيها رعاة
طيلة أربعين سنة كاملة ليكفروا عن خطاياكم ولا ازيد)
الفرق أولا : جاء في القرآن حينما اراد الله
سبحانه وتعالى ان يظهر جلاله للمؤمنين وبيث فيهم
شيئا ما من الرعب والخوف قال لهم : « ولنبلوكم بشيء
من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات ، وبشر الصابرين » الى آخر الآية .

لنبلوكم من باب التجربة وليس من باب العقاب ،
وزاد « من » التي هي للتبغيز حتى يامن المؤمن والمسلم
بانه اذا ابتلى بالخوف فهو لا يبتلى بالجوع ، واذا ابتلاه
الله بالجوع فلا يبتليه بنقص في الاموال ، هذا هو الفرق
الاول .

اما الفرق الثاني فهو مهم جدا من باب المسؤولية
المدنية ، فالله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز
(ولا تزر وازرة وزر اخرى) .

وفيما قرأت عليكم من التوراة : (وتصبحوا
هشيماء) (ولقد قضيت أربعين يوما تجوبون البلد)
حتى قال (ان جثثكم) (وسيصبح ابناؤكم فيها رعاة
طيلة أربعين سنة كاملة ليكفروا عن خطاياكم) وهذه
مسألة موضوعية ، هذا قرآن وهذه توراة ،
والفرق بين ذلك وتلك ظاهر لمن اراد ان يكون مسلما .

اما الانجيل فقد قال فيه عيسى عليه السلام في
خطبته على الجبل :

الثانية فلا تحتاج الا الى علامة حتى يصبح الغني فقيرا
وحتى يصبح الكل فقيرا .

دعــــــــــــــــوات ...

اللهم ان كنت تعلم اننا حاولنا ابتغاء فضلك
ومحبة في كتابك وتعلقا بسنتك ، وقياماً بالواجب وان
كنا متطفلين عن هذا كله فان كنت تعلم يا رب اننا فعلناه
بحق وان هذا العمل ناتج عن نية صالحة فاغفر لنا
اللهم سوء التفسير ، واغفر لنا اللهم سوء التفكير ،
واغفر لنا اللهم ما لحنا في كلامك او في كلام رسولك ،
وما قلنا معوجا وما لم نقله مصيبين ، اللهم ان كنت تعلم
ان شعبك يصلي ويصوم ويزكي ويحج ويشهد ان لا اله
الا انت وان محمدا عبدك ورسولك اللهم فادم عليه نعمة
التآخي ، اللهم ادم علينا نعمة التآخي ، اللهم كف ايدي
المسلمين عن اخوانهم ، اللهم كف السنتهم واقلامهم عن
المسلمين ، اللهم ابذر في قلوبنا الرافة والرحمة ولا تبذر
في قلوبنا الشدة والغلظة ، اللهم انك تقول : (ولئن
شكرتم لازيدنكم) وانني اشكركم اللهم ، ان كل يوم بعد
يوم وآياتك تتوالى ، ونعمتك تنبسط على هذه البلاد
وعلى هذه الارض بكيفية تجعلنا عاجزين عن الشكر ،
فمنذ ثلاث سنوات مضت كنا يا رب قلقين فزعين من
حالة بعض الشبان ، من حالة بعض الناس الذين وصل
بهم الجهل لدينهم انهم ربما كانوا يتبحجون بأكل رمضان
اللهم اننا نشكرك على كوننا سمعنا ان الجل منهم
يصوم رمضان ، بل انهم في وقت معين في الليل
يخرجون صفا صفا للذهاب الى المطعم الجامعي حتى
يناولوا وسحورهم وحتى يصبحوا صائمين نائمين ، اللهم
زدنا وزدهم وزدهم ، اللهم قوهم ، اللهم رسخ ايمانهم ،
اللهم ثبت اقدامهم ، اللهم اجعلهم يؤمنون بدينك
وبرسولك قلبا وعقلا ، اللهم اجعلهم يتشبثون بهذا
الدين موضوعيا وعاطفيا ، لان العاطفة كما تعلم يا رب
تخون احيانا والعقل لا يخون ابدا ، فثبت عاطفتهم
بتعلقهم ، وثبت اقدامهم بان تجعل لهم هذا الدين سهلا
سلسلا كما انزلته على رسولك صلى الله عليه وسلم
وكما جاء به رسولك عليه الصلاة والسلام .

اللهم اننا بهذا الضريح ، وهذا الضريح هو
ضريح عزيز علينا لاسباب شتى ، فدفين هذا الضريح
هو سيدي محمد بن عبد الله سيفك وظلك ، كان
سيفك في الجهاد ، وظلك في الحديث وسنة نبيك ،
اللهم انك تعلم ان دفين هذا الضريح هو مولانا الحسن
الاول الذي كان عرشه على ظهر فرسه ، والذي كان
لا ينام مخافة ظلم او جور يقع على فرد او على جماعة

او على بلاده ، ودفين هذا الضريح هو سيدنا محمد
الخامس نور الله ضريحه ، وامطر عليه شآبيب رحمته
اللهم انفعنا ببركتهم ، اللهم اجعل حياتهم وسلوكهم
نبراسا لنا في حياتنا وسلوكنا ، وارحم اللهم والدفنا
واجزه عنا خير الجزاء واجعل الجنة مأواه ، اللهم انك
تعلم انه كان لا يغضب الا اذا انتهكت حرمانه فكن له
ولا تكن عليه يوم القيامة ، ولا تغضب عليه وارض عنه
يا الله يا ارحم الراحمين ، اللهم انه كان يحب كتابك
فاحبه على قدر محبته لك ، اللهم ان ذكرك كان احلي
شيء في فمه يقدمه على ذكر اولاده وعلى ذكر اجداده
 وآبائه ، اللهم اجعله من الصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، اللهم انك تعلم انه
كان ينصف الضعيف حتى يكون اماما عادلا فانظله اللهم
تحت ظلك كامام عادل يوم لا ظل الا ظلك ، اللهم انك
تعلم انه كان يضحى بكل ما في وسعه ليعيش الشعب ،
اللهم اجعل هذا الشعب كما اراد ، وفوق ما كان يريد ،
اللهم اجمع شمل العرب وعززهم بالمسلمين ، فاذا كانت
النكبة الحربية وقد وقعت على العرب فالتكبة الدينية
وقعت على المسلمين فلنطمئن اذن فلم نبق منذ اليوم
سبعين مليوناً من البشر ، بل اصبحنا نصف مليار من
المدافعين عن دين الله وملة رسوله ، ومسجده الاقصى
وعن ارضه المطهرة .

اللهم اعنا ، وثبت اقدامنا ، وامننا التواضع
الذي بواسطته ساخدم هذا البيت هذه الدار ، اللهم
انك قلت في ابليس (ابي واستكبر) اللهم اني اعوذ بك
من الاستكبار ، اللهم ان منصبي وسني وما أوتيت من
القدرة كل هذا من شأنه ان يطغى علي وأن يجعلني
اطغى ، اللهم فانزل في قلبي ذلك الميزان ، ذلك الميزان
الذي به يمكنني ان أفرق بين الحق والباطل ، اللهم
انزع من قلبي الاستكبار ، اللهم املأني بالتواضع ،
اللهم املأني بالتواضع ، اللهم اجعل شعبنا وأمتنا دائما
ناعمة في ظلال الخير والنفع والاسلام والهدى والسنة
النبوية ، اللهم كثر من عدد عامائنا ، اللهم عزز جانبهم ،
اللهم افتح اذهانهم واجعل كل واحد منهم حاملا لجميع
العلوم ، محيطا بجميع الفنون ، حتى يعلمو ويعلموا ،
وحتى لا يضيق افقهم ، وحتى لا يحسبوا انهم غرباء في
وطن غريب . فلم يكونوا غرباء ، ولن يكونوا غرباء .

علينا ان نقرب منهم وعليهم ان يوسعوا افكارهم
وان يقربوا منا ، ولنا اليقين بأن خطوات كهاته سيوطي
الله مسافتها لانها خطوات ترمي الى تعزيز كتاب الله
وتعزيز سنة الله .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام
على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وذكر الرجل الاول قضية البرور بوالديه ، المسألة واضحة البرور بالوالدين وصى به الله وجعل مكتاة الوالدين بعد مكانة الله ، وجعل لهما مقاما رفيعا ، ولكن المسألة كيفما كانت هي مسألة سلالة ، الولد يحب اباه وامه ، والام والاب يحبان ولدهما ، نعم البرور شيء والمحبة شيء ، ولكن المنبع السلالي طبيعي .

وقال الثاني يا رب انك تعلم انني كانت عندي مناسبة لارتكاب عمل محرم مع ابنة عمي ولكنني وقفت نفسي حتى لا آتي بتلك الفاحشة فاذا كنت تعلم انني فعلت هذا لوجهك ففرج عنا هذه الضائقة ، فحقيقة هذا الرجل انه تمكن من الفرصة ولم يرد استغلالها ، ولكن المسألة مسألة اخلاق وعفة ، فلذا فرج الله عنه اما الثالث فسأقرا قصته كما ورد بها نص الحديث ، وبعد ذلك اعيده باللغة الدارجة ليتمكن للجميع ان يستوعبه :

وقال الثالث يا الله ، انني استأجرت أجيرا بفرق ارز فلما قضى عمله قال اعطني حقي ، فعرضته عليه فرغب عنه ، فلم ازل ازعه حتى جمعت منه بقرا وراعيها ، فجاءني فقال اتق الله ، فقلت اذهب الى ذلك البقر وراعيها فخذ ، فقال اتق الله ولا نستهيء بي ، فقلت انني لا استهيء بك فخذ فآخذ ، فان كنت تعلم يا رب اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي ، ففرج الله وفتح عليهم الباب .

معنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى يريد ان يشغل المسلمون اليد العاملة ويريد الاشتراكية الاسلامية التي تغني الفقير ولا تفقر الغني .

فلو احتفظ ذلك الرجل بذلك القدر من الارز لما عصى ربه ، كان يؤدي له أجره اليومي ، ولكن لي اليقين انه فعل ذلك وحده لما فرج الله عنه ذلك ان في هذا الحديث حكمتين : الحكمة الاولى : عدم الاستغلال بالمال الذي لا يروج ، وترويج المال ، واستخدام اليد العاملة ، واعطاء الاجور ، فحينما بذر وحصد لم يبذر ويحصد وحده ، وحينما بذر وحصد المرة الثانية لم يبذر ولم يحصد وحده ، وبذلك شجع اليد العاملة ، واخيرا كان الرجل فقيرا فأصبح غنيا ، تلك هي الاشتراكية التي اقول لكم دائما انها اشتراكية الاسلام واشتراكية المغرب ، اشتراكيتهما ترمي الى اغناء الفقير لا الى افقار الغني ، بالطبع الطريقة الاولى اصعب وأمر من الطريقة الثانية ، فالطريقة الاولى يلزمها جهاد وكد وجهد عشرات السنين ، والاجيال من المواطنين ، اما

الا من مرآة من مشعل كان ينعكس ضوءه على شعبنا اي على أسرته الكبرى ثم على أسرته الصغرى ، فربكنا الطائفة مؤمنين ، ونزلنا الارض الاجنبية مؤمنين ، ورجعنا الى المغرب متواضعين حامدين الله شاكرين حتى يزيننا من نعمته ومن فضله ، وهكذا قطعت شعبي العزيز مراحل واشواطا ، ولعلي بك تقول : وكيف نقطع المحنة التي نجتازها كلنا شعبا مغربيا وشعوبا عربية واسلامية ؟ اقول فليسلم كل مسلم من يد المسلم ولسانه .

فليراقب الله كل مسؤول في عمله

هذا هو الشرط الاول ، ثم اقول : فليراقب الله كل مسؤول في عمله ، ولا يخط سياسة بكيفية جهارية ثم يهيب سياسة اخرى في السر ، فيكون الظاهر مخالفا للباطن .

كيف التخلص ؟ التخلص اننا نكون كاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمره الله بالرجوع الى المدينة بعد ما آمنوا بانهم سيدخلون مكة ، وقد كان هذا الموضوع هو الذي كنت اريد ان اطرقه في الحقيقة ، ولكن نظرا لتلابس المسائل السياسية ربما قد تخرج من فم عالم او مفسر ولا يمكن ان يتمشى معها الى النهاية لان السياسة لبست من شأنه ، اما انا فمن شأني متى بدأت اطرق الموضوع السياسي استنفذه ومؤتمر القمة على الابواب فكان من المخرج جدا ان اطرق هذا الموضوع ، لذا طلبت من فضيلة الشيخ ان ينوب عنا فيه جازاه الله خيرا ، فاذا نحن تحليلنا بهذا كله وتحلينا بما وجب من الفضائل اقسنا على الله فأبرنا .

حديث الفار

وهذا حديث لطيف جدا حيث اننا نذكر العمل الاقتصادي ووادي زيز والتحرر الاقتصادي والتنمية الاقتصادية ، حديث لطيف جدا رغم ما فيه من خشوع ورغم ما فيه من جبروت ورحمة الله نستقصي منه هذا الظرف الاخير .

كلكم يعلم ما وقع لاصحاب الفار ، كانوا سائرين فاذا هم التجأوا الى غار فاذا صخرة تنزل من الجبل فتحبسهم فيه فيطلبون من الله النجاة فلا تتحرك الصخرة ، فيأخذ كل واحد يذكر ويقدم بين يديه ما يعتبره شفاعا وما يعتبر ان من شأنه ان يخفف عليهم ما هم فيه من الكرب .



شارك الشعب مشاركة كبيرة وعظيمة في الاحتفال بليلة القدر وذكرى نزول القرآن ..
الذي دعا الى افامته صاحب الجلالة الملك المعظم
وهكذا تشكل موكب ديني كبير من مسجد سيدي الفندور وقصد الشور السعيد
حيث استقبله أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني
وفي الصورة الاستاذ علل الفاسي الذي تقدم الموكب الى جانب صاحب الجلالة ايده الله ونصره

صفونا كلمة الله وتشد ازونا واعتزازنا بمعز بيتنا
وبوطننا وبعبقريتنا الخاصة ، والله اسأل أن يعينكم
جميعا على ما أنتم بصدده ، وأن يعيننا جميعا حتى
تكون أعمالنا متكافئة متكاملة ، وحتى نقوم بهذا العبء
الذي هو ملقى على عاتق كل واحد منا كمواطن أولا
وكمسلم ثانيا .. وحتى يسد خطانا جميعا ويهديننا
سواء السبيل ويوحي إلينا من الأفكار والأعمال ما به
نسعد امتنا وشعبنا وضميرنا فوق كل شيء والسلام
عليكم ورحمة الله .

تنسأها الا وهي التشبث بالحق ان الحق يعلو ولايعلى
عليه واي حق أحق من كتاب الله وسنة رسوله ودينه
الحنيف .

فلهذا لا يسعني في هذا المجال الا أن أذكر حديثا
لجدي عليه الصلاة والسلام حيث قال « من سن سنة
حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة »
فلكم الاجر ولكم اجر من تبعكم في هذه السنة وجعلنا
أعواما وأعواما نلتقي في ليال مثل هذه الليالي المقدسة
ليالي دينية مع جميع طبقات شعبنا وأجياله وتوحد

كلمة صاحب الجلالة

خلال استقباله للمشاركين في الموكب الديني برئاسة السيد علال الفاسي

اورثنا كل فضل وكل خير ، وقد تفضلتم جلالتم ، وقتلتم في هذه الليلة أحسن ما يقال ، وكل ما نرجوه من جلالتم هو الدعاء الصالح وان تبارك أعمالنا في هذه السنة وان يجعلنا منسجمين دائما في أعمالنا ، مع الملك والشعب .

وقد رد صاحب الجلالة الملك المعظم على كلمة السيد علال الفاسي بهذه العبارات السامية :

« حينما طلب مني وزيرنا ورئيس حزب الاستقلال ان أقتبل التلبية الرياضية ووفدا عن الممثلين لهذه الحركة السياسية في ليلة القدر تساءلت واستبشرت ، وذلك لانني كنت دائما أحن الى لقاء جيلي لا على الصعيد الوطني فقط ، بل على الصعيد الديني ، ذلك الصعيد الذي يجب على كل فرد ان يستشقي منه مبادئ الفضيلة ومبادئ الخلق والسير والتحلي في الحياة بصفات شتى منها صفات العبودية الخاصة وصفات المواطنة الصادقة ... وانني بهذه المناسبة ليطلب لي أن أجدد لكم تهانئي الخاصة على هذه المبادرة وان أشجعكم على السير على هذا النهج وفي هذا السبيل الذي هو سبيل الله وطريق النجاح اذ عندما تشتد الازمات ويتغلب الدهر على بني الانسان لا نرى ملجا ولا قوة الا في اعانة الله لعباده الصالحين ، وقد مرت علينا جميعا فترات عرفنا فيها قوة الله وعرفنا فيها اعانته لعباده الصالحين المخلصين وقد اعطتنا اجيالكم والايال التي تتبعكم وعلى رأس جيلكم والدنا المعظم طيب الله ثراه اعطتنا هذه الايال دروسا لن

جرت احتفالات دينية رائعة عظيمة في جميع اقاليم المملكة في ليلة القدر ، وعرفت جميع مدن المغرب مهرجانات كبرى بمناسبة الذكرى الاربعمائة بعد الالف لنزول القرآن الكريم .

وقد عملت السلطات المحلية على تحضير المهرجان القرآني الخالد في جو حافل ، مليء بالخشوع حسب توجيهات مولانا أمير المؤمنين .

وتوجه المؤمنون في جميع مساجد المملكة بالدعاء الى الله ان يحفظ جلالة الملك ، ويطول عمره ، ويوفقه في مهامه الكبرى لخير الوطن والمواطنين .

وفي الرباط تميزت هذه الاحتفالات بالموكب الذي ترأسه الاستاذ السيد علال الفاسي ليلة القدر فقد تشكل موكب ديني كبير في مسجد سيدي الغندور وقصد المشور العامر .

وكان يتقدم هذا الموكب أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال برئاسة السيد علال الفاسي ، وتجمع هذا الموكب في ساحة قبة النصر بالقصر الملكي محفوا بأعضاء الكشفية الحسنية ، الذين كانوا يحملون المشاعل ، وتقدم السيد علال الفاسي والقى بين يدي جلالة العاهل الكريم كلمة التمس فيها من مولانا أمير المؤمنين صالح الدعاء بهذه المناسبة المباركة وقال : « لقد جئنا نقدم لجلالتم أطيب متمنياتنا ودعائنا الصالح في هذه الليلة المباركة بأن يحفظكم ويرعاكم للإسلام ، وهذه الليلة في الحقيقة هي ليلة الإسلام الخالد الذي



السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يقدم العلماء المسلمين الى مقام
حضرة صاحب الجلالة بمناسبة ذكرى ليلة القدر



صاحب الجلالة يتحدث الى الوفد الايراني

يحتفلان امضالاً عظيمًا بليلة القدر وذكرى نزول القرآن

احتفل المغرب احتفالاً عظيماً ملكاً وحكومة وشعباً بليلة القدر المباركة ، وذكرى مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم ، تخليداً لهذه الذكرى العظيمة ، وقد ترأس أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني بهذه المناسبة حفلاً دينياً بمسجد القصر الملكي العاصر ، أدى فيه جلالاته صلاة العشاء مع جماعة المؤمنين الذين أمموا المسجد ، والذين كان في مقدمتهم أعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الأول وأعضاء الديوان الملكي وضباط القيادة العامة للقوات المسلحة الملكية والسادة العلماء الاجلاء الذين وفدوا من مختلف الاقطار الاسلامية بدعوة من صاحب الجلالة أمير المؤمنين المنصور بالله .

ولقد أدى جلالة الملك المعظم صلاة العشاء ثم صلاة التراويح وعاد بعدها جلالاته الى القصر الملكي العاصر .

واتر ذلك توجهت مختلف الشخصيات الى مسجد اهل فاس حيث اقيم الاحتفال الكبير تخليداً لذكرى مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم . فحوالي الساعة التاسعة وصل جلالة الملك المعظم الى المسجد ليتراس هذا الاحتفال العظيم وقد كان في استقبال جلالاته وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وبعد ان دخل صاحب الجلالة أمير المؤمنين الى المسجد تلا الفقيه المقرئ السيد محمد الحياي آيات من الذكر الحكيم من سورة « حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين » .

ثم القى جلالة الملك المعظم خطابه السامي الموجه الى كافة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها والذي استمع اليه الشعب المغربي المسلم باذان صاعية اخذوا منه العبرة والموعظة الحسنة .

وبعد خطاب جلالة الملك تلا الحاضرون في المسجد التين الاخير من القرآن الكريم قراءة جماعية ، وانتهى الحفل الديني الكبير بدعاء ختم القرآن الكريم والدعاء لولانا الاسام والامة الاسلامية جمعاء الفاه فضيلة الشيخ العلامة الاستاذ الرحالي الفاروقي .. ثم عاد صاحب الجلالة الملك المعظم أمير المؤمنين الى القصر الملكي العاصر .

وهذا نص الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

ايها المسلمون

في مثل هذا الليلة المباركة السعيدة ، منذ أربعة عشر قرناً ، وصل الله الارض بالملا الاعلى ، فتنزلت الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر ، وبدا الحق سبحانه يوحى الى نبيه المصطفى المختار ، آيات قرآنه ، ومعجز بيانه ، مبشراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ، فكان هذا الحدث العظيم ، الذي تحتفل به الشعوب المؤمنة بالاسلام ، المظمنة بنسج البقين ، المتمسكة بهدي الكتاب المبين ، احتفالاً يصل

الحاضر بالماضي ، ويؤكد الدلالة على رسوخ العقيدة ، ويصدق قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » واذا كان احتفال المسلمين في مشارق الارض ومغاربها بهذه الذكرى ، يرمز الى بقاء هذه الصلة واستحكامها ، والى تمكن العقيدة الاسلامية من نفوس المسلمين الاوفياء لدينهم المخلصين للمبادئ السامية ، والقيم المثلى التي شرعها هذا الدين الحنيف ، والى خلود الذكر الحكيم ودوامه ابد الابدين ، فانه بالاضافة الى هذا كله برهان على ما للمسلمين كافة والمؤمنين اجمعين من ادراك لعظمة الحدث الذي فرق بين عهدين ، وفصل بين عصرين ، واقام بنيان الدنيا على اساس جديد ، وخلق من الامجاد ما هو مؤثر ومديد .

ويلات النكبة

وانتصارا على المحن والشدائد ، فان علينا ان نرجع الى انفسنا محاسبين ، ونتناول بالنقد والتمحيص ما ناتي من الامور وما نذر ، وما نبدى فيه ونعيد ، حتى لا يصدر عنا من الاعمال والاقوال ما يشين سلوكنا وتصرفاتنا من النقائص والعيوب التي ينكرها الاسلام ، ويدينها محكم التنزيل والفرقان ، فان من شان هذه النقائص والعيوب ، ان تعرضنا لصروف الدهر وغيره ، وفواجهه وازماته .

الطريق السوي

واننا لنستعيد بالله في هذه الليلة المباركة التي هي سلام حتى مطلع الفجر ، وفي هذا الاحتفال بأعظم حدث واسماء ، واجله واسناه ، من كل نعمة يتلوها بطر ، ومن كل جناه محفوف بمكرهه غير مقرون بتبصر وحسن نظر ، ولقد اوضح لنا الله في كتابه المبين ، الطريق السوي والنهج اللاب ، وان هذا طراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ... فالله اننا نعوذ بعزتك - ، لا اله الا انت - ان تضلنا ونسألك الهدي والتقى ، ونستهديك لارشاد امرنا ونستجيرك من شر نفوسنا .

اللهم لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم . اللهم ان عبادك الضالعين اليك المبتهلين الى كرمك وجودك وعظمتك وجلالك في هذه الليلة الغراء التي شرفتها وخلدتها وجعلتها خيرا من الف شهر ، يسألونك الصلاح والرشاد ، ويستوهبونك التوفيق والسداد ، والنصر ، والتمكين ، والهداية في المهتين ، غير ضالين ولا مضلين .

اللهم ان عبادك الذين امرتهم بالتوحيد يتوسلون اليك بسر قرآنك الكريم الذي يحتفلون اليوم في مشارق الارض ومغاربها بذكرى تنزيله ووحيه ان تنعم وانت خير من انعم وجاد بلم شعتم وجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم والتأليف بين قلوبهم وتطهير سرائرهم وتمتين عرى الايمان في نفوسهم وكشف بلواهم ، وازهاب الحزن عنهم ، فانك اللهم الملجأ والملاذ ، والمفرج عند الملمات الشداد ، ربنا اجعلنا من الذين قلت فيهم وقولك الحق : « ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة ، الا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » .

ثم كانت النكبة التي لم يكونوا لها متوقعين ، ولا لمصابها منتظرين ، فامتحنوا امتحانا غير يسير ، وانتهكت الحرمات المقدسة ، وحل بديارهم الشقاء والبلوى ، وضامهم من لا عهد له ولا ذمام ولا ضمير ، بعد ما اهدرت القيم المتواضع عليها ايما اهدار ، وداس المباديء المتفق عليها كل متغطرس جبار ، وها هم العرب كافة ، والمسلمون قاطبة يعانون من ويلات هذه النكبة ما يذيب القلوب كمدا ويفتت الاكباد لوعة والما لا نصير لهم الا الله اللطيف بعباده ، ولا ظهير لهم الا ان يتمسكوا بالعقيدة المثلى ، والايمان الصادق ، وياخذوا بالمباديء وينشئوا بالقيم التي جعلت منهم خيرا امة اخرجت للناس ، « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » .

اذا خلصت النيات وسلمت الطوايا

فاذا آمن المسلمون ، واتقوا وعملوا الصالحات ، واجتنبوا ما نهوا عنه ، وخلصت نياتهم ، وسلمت طواياهم . وصحت عزائمهم ، فان من يتق الله يجعل له من امره يسرا ، وان الله لا يخلف ما وعد به عباده العاملين للصالحات ، المؤمنين بما اوحى الى نبيه الامين من آيات بينات ، وسور محكمات ، فكلما اجتمعت كلمة المسلمين على التقوى ، وصفت قلوبهم ، واستهدفوا الخير والعمل الصالح ، كان الله من ورائهم ظهيرا ، ومعينا ونصيرا ، وبلغوا اسنى الدرجات ، واجمل المقاصد والغايات ، وكلما تفرقوا شيعا ، وذهبوا طرائق قدا ، وخذل بعضهم بعضا ، ونكروا للمباديء القويمة التي قام على دعائمها صرح نهضتهم المنيف ، وشامخ مجدهم التليد ، وجد العدو المتربص بهم الدوائر الى صفوفهم مدخلا ، والى قلوبهم سبيلا ، والى بعضهم على بعض ، واحداث بينهم العداوة والبغضاء ، والشقاء والشحناء ، واضعف قواهم ، وقل غرب عزائمهم ، وصرفهم عن المقاصد والاغراض ، التي تستهوى النفوس الابية ، والعقول المتبصرة .

النقد الذاتي

وتفاديا لا تساع الخرق ، ودرا للمكاره ، وحفظا للكيان ، وصونا للكرامة ، وامساكا للمقاييد والزماد ،

الدوى الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية

لقد نزل القرآن الكريم ، على النبي العظيم ،
فاشرق النور مبدا للظلام ، وانتصر العلم على الجهل ،
وتبين الرشيد من الغي ، والهدى من الضلال ، والعدل
من البغي ، وكان للدعوة الاسلامية التي اطاحت
بالاوضاع المدخولة ، وقومت الاعوجاج والزيغ ،
واستأصلت الفساد ، وقوضت اركان الطغيان ، كان
لها الدوى الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية الى ما
حولها ، والاثر البليغ الذي امتد الى اقطار واقطار ،
وسرى في شعوب وشعوب ، فانتشر الاسلام وشاع ،
وبنه شأن المسلمين ، وهبت ريحهم ، وطار صيتهم
وذاع ، فلم يلبث وجه المعمور بما كان لهذه الدعوة
السامية والرسالة الخالدة من مفعول ومضاعفات
وتحولات ، ان تبدلت ملامحه ، وتجددت سيماه
وتقاسيمه ، فبرزت الدنيا في ثوب غض قشيب ،
واهاب ناضر عجب ، ولم تمض الا اعوام معدودة على
اتمام الدعوة والتبليغ ، وكمال الوحي والتنزيل ، حتى
على الله كلمة الاسلام والمسلمين ، وفتح فتحه المبين ،
ومكن للمؤمنين في طول الارض وعرضها ، فخلفت
الدولة الاسلامية الناشئة دولا كان لها قبل انتشار
الاسلام شأن في الدنيا عظيم ، وجاه واسع ، وكلمة
مسموعة ، وامر نافذ مطاع ، فامتدت بامتداد الدعوة
المحمدية اسباب سلم اسلامية ، دعائمها امثل المبادئ ،
واسمى القيم ، وافضل المقاصد والاهداف ، وقامت
على تعاليم الدين الحنيف اركان حضارة ، اضاءت
بنورها ارجاء الشرق والغرب ، ووثبت بالانسانية
الوثبة الميمونة نحو الرقي والازدهار في مختلف الميادين ،
وسائر المجالات ، لارتكازها على العدل والحرية
والمساواة ولا تقطاع المسلمين على اختلاف اجناسهم ،
وتعدد انسابهم ، الى الاستيعاب والتفكير والابتكار
والتصنيف ، والتأليف والتعليم والتأقن والتثقيف .

في ظلال القرآن

ومضى على الانسانية ربح من الدهر سارت طواله في
ظلال القرآن ، وتحت راية الاسلام ، سيرا ثابتا موفقا ،
وخطت فيه خطوات رشيدة مسددة ، وافادت خلاله
الفوائد الصالحة الجمة وكسبت في اثنائه المكاسب
الجميلة الغزيرة ، بيد ان المسلمين اتى عليهم حين من
الدهر ، تداعت في نفوسهم فضائل الايمان ، وتضاءلت
في قلوبهم محاسن الاسلام ، وغابت عن اذهانهم وعقولهم
تلك المبادئ والقيم التي صلح بها اولهم ، فأخذ

ذلك البنيان الشامخ الذي اقامته الاجيال الصالحة ،
يتصدع شيئا فشيئا ، وينهار يوما بعد يوم ، وتفرقت
كلماتهم بعد اجتماع ، وتبدد شملهم بعد اتلاف
واحد ، وتقاسمتهم الاهواء ، فانقسموا ، وغلبت
عليهم الشهوات ، فغلبوا ، وتوانوا وتواكلوا ، ووهنوا
وضعفوا واستكانوا !! .

ضعف بعد قوة

فخفت صوتهم ، وخبا نورهم ، وتقلص سلطانهم ،
وادبرت دولتهم ، وانحسر ما كان لهم من جاه ومدود ،
ونفوذ محمود ، وانتقل ما كان لهم من شأن الى غيرهم ،
وغدا ما كان لهم من قول مسموع ، صادرا عن السنة
من ناصبهم العداء ، واخذوهم بالبأساء والضراء
حتى اهانهم من كان زمتا طويلا غفلا بين الامم غير
موسوم ، وخاملا غير ملحوظ ولا معلوم ، واصبحوا
فريسة لاطماع الطامعين ، ولقمة سائفة للغزاة
المتربصين ، وبقي امرهم على هذه الحال يعانون مرارة
التفريط والتقصير ، ويكابدون زمتا آلام العار
والشنار ، الى ان قبض الله للامة الاسلامية من
استثار هممها ، ودلها على الصراط المستقيم واهاب
بها الى سلوك النهج القويم ، ودعاها الى استقبال ما
استدبرته من امر ، وبعث في نفوسها الامل ، واعاد
اليها الثقة المفقودة ، وحرك في قلوبها الايمان بالحق
الضائع ، وذكرها بالواجب المفروض فتحررت حيتما
وجدت بقية من صلاح ، والفيت جذوة من عزم ،
واستقر نصيب من حب في فك الاغلال ، وحظ من رغبة
في التخلص من القيود والاصار ، فلم تلبث التضحيات
المبدولة هنا وهناك ، والمساغي الحميدة في هذا القطر
وذاك ، ان آتت ثمارها المنشودة ، واسفرت عن نتائجها
المحتومة ، الا ان الاستعمار لم يلق عصا التسيار ، ولم
يقنع من الغنيمة بالاياب ! فأخذ يتقنع كل يوم بقناع ،
ويتلون كل آونة بلون ، ويكتسي حسب الظروف
والاحوال كل حين بلباس ، وفات المسلمين الذين
استرجعوا ما سلبوا من حق ، واستعادوا ما فقدوا من
حرية ، ان يواجهوا هذه المعركة الجديدة بقلب واحد ،
وايمان جامع ، واتحاد شامل ، وعزيمة ماضية ، لا
سبيل الى تفتيتها ، وقوة شكيمة لا مجال لتشتيتها ،
فسلكوا الطريق الهين اليسير ، بدلا من سلوك النهج
المسير ، ولم يحكموا عقولهم وبصائرهم ، ولم ينظروا
في عواقب امورهم النظر البعيد على الرغم من محاولة
ايجاد تآلف بينهم وتضامن ، وأورث الخلاف بينهم
الضعف والاحقاد والاحن ، وخلف الحزازات ، واوغر
الصدور .



الكريم ، وانه ليجدر بالمسلمين في مثل هذه المناسبة ان يتخذوا منها وسيلة للرجوع الى القرآن وتفهم معانيه وتدبر اسرارها التي تكشف الايام على تعاقبها ما فيه من حكمة بالغة وخلق عظيم ، يا صاحب الجلالة ، يسرنا ان نتقدم لجلالتكم بالشكر الجزيل على دعوتكم الكريمة التي اتاحت لنا هذه الفرصة الثمينة ، ونرجو الله تعالى ان يعزكم بالاسلام وان يعز الاسلام بكم وان يجعلكم معدن خير وبركة للعالم الاسلامي ، وان يوفقكم واخوانكم من ملوك المسلمين والعرب ورؤسائهم وامرائهم الى تحقيق ما نصبو اليه وتصبو اليه الامة الاسلامية من عز ومجد ورفعة ، ونسال الله تعالى ان يعيد هذا اليوم على المسلمين ، وقد اشتدت شوكتهم وقوى بأسهم وعاد اليهم عزهم وسلطانهم ومقدساتهم وبلادهم التي روت تربتها بدماء الشهداء الابرار ، اسأل الله العظيم ان يحفظكم ويؤيدكم ، ويعزكم بالاسلام ويعز الاسلام بكم انه سميع مجيب والسلام عليكم .

« سيدي صاحب الجلالة ، ان مظهر العز العظيم الذي رايناه في مواكب جلالكم بمناسبة العيد ، هز اوتار قلوبنا وذكرنا بذلك المجد الاسلامي العظيم الذي كنا نتمتع به في ايام الخلافة الكبرى ، وان عنايتكم من جهة ثانية بخدمة القرآن كما خدمه والدكم العظيم ساكن الجنان محمدا الخامس رحمه الله كما خدمه آباؤكم واجدادكم من قبل من العائلة العلوية الكريمة التي لها في العلم وفي التفسير وفي الحديث مؤلفات لم يسبق ان راينا مثيلا الا في الصدر الاول من الاسلام وان ما قمتم به من جهة ثالثة من تقريب دعوة زعماء المسلمين والعرب الى مؤتمر القمة على مقربة من مؤتمر القرآن الذي اوجدتموه لهو خدمة عظيمة للاسلام لا ينساها لكم وسيسجلها التاريخ بأحرف من ذهب اسأل الله العظيم ان يحفظ هذا البيت النبوي العلوي الكريم وان يحفظ جلالتم ويثبت عرشكم ويحفظ ولي عهدكم ويحفظ جميع العائلة العلوية الكريمة » .

كلمة السيد الشيخ عبد الله غوشة قاضي القضاة بالملكة الاردنية الهاشمية

تم تناول الكلمة بعده الشيخ عبد الله غوشة قاضي القضاة بالملكة الاردنية الهاشمية :

وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد ، انها لمناسبة كريمة تلتقي هذه الوفود من مختلف الاقطار الاسلامية في رحابكم العامرة للاشتراك في الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن

تهنئة وفود العالم الاسلامي بعيد الفطر

ومغريه ، اتقدم بالشكر الجزيل الى جلالتم ان اتحتم
لنا هذه الفرصة السعيدة في تلك المناسبة الكريمة هي
مناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن
الكريم ، هذه السنة الحميدة التي سنتموها جلالتم
تنبه العالم الاسلامي الى انه لا يمكن ان يعود اليه مجده
ولا يمكن ان يعود اليه عزه وسيادته الا اذا اعاد للحياة
نظام القرآن وتم تطبيقه في كل نواحي حياته ، ادامكم
الله سبحانه وتعالى نصيرا للقرآن واعزكم الله ظهيرا
للاسلام والمسلمين ، وان العالم قد تفاعل خيرا بمبادرة
جلالتم ان اعلنتم دعوة مؤتمر القمة الى هذا البلد
العزیز من اجل تلك القضية العالمية ، العزیزة هي
قضية فلسطين ، قضية العرب والمسلمين ، وأن
المسلمين ليعلقون على جلالتم وعلى اصحاب الجلالة
والفخامة اخوانكم امالا كبيرة في ان تعيدوا للمسلمين
عزتهم باعادة القدس والمسجد الأقصى ومآثر الديار
الاسلامية نصركم الله ، وشكرا جزيلا لجلالتم .

كلمة رئيس الوفد اللبناني



ثم القى الاستاذ نديم الجسر أحد كبار علماء
لبنان الشقيق كلمة بين يدي جلالة العاهل ، قال فيها:

تهنئة وفود العالم الاسلامي

هنا مولانا امير المؤمنين بحلول عيد الفطر السعيد
السادة رؤساء الوفود الاسلامية الذين حضروا من
مختلف انحاء العالم الاسلامي بدعوة من جلالة الملك
المعظم للمشاركة في احتفالات المغرب بذكرى مرور 14
قرنا على نزول القرآن الكريم ، وقدمهم الى صاحب
الجلالة الملك المعظم السيد الحاج أحمد بركاش وزير
عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية .

كلمة رئيس وفد الاردن



وتقدم الاستاذ عبد الحميد السائح وزير
الشؤون الدينية والاماكن المقدسة في الاردن الشقيق
ورئيس الوفد الاردني بتهنئة العاهل الكريم ، قال فيها:
« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب
العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف الانبياء
 والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

سيدي ومولاي امير المؤمنين في هذه الديار ،
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، ايده الله ونصره ،
باسم وفود العالم الاسلامي عربيه وعجمه ، مشرقه

الان نتيجة محتومة منطقية كانت منتظرة لما قامت به الدول العربية من تنافر ومن تخاصم ومن تنابز بالالقباب .

دعونا الى جمع كلمة المسلمين حتى ينتصر بهم العرب

لذا كنا صرحنا في يوم من الايام اننا علينا ان نجرب ، وان نستعمل كوسيلة لتوحيد الصفوف ، واتحاد الجهود وسيلة سماوية مقدسة ، الا وهي جبل الله المتين ، ذلك الجبل الذي يصل الارض بالسماء والذي يصل قلب كل مسلم بقلب كل المسلمين في العالم بأسره والبقاع الاسلامية ، وكنا دعونا الى جمع شمل المسلمين ، حتى ينتصر بهم العرب وحتى ينتفع منهم العرب الذين يقف ما يقرب من ثمانين مليون من العرب امام مشكلة فلسطين ، لا اننا اذا عززنا جانبنا بالمسلمين كافة بعقباتهم المختلفة بتعاملهم الدولي ، بصداقاتهم ، باحلافهم ، ببطاقاتهم ، اصبح بجانب العرب نصف مليار من سكان هذا المعمور ، لذا ودون ان يرمي ندأونا هذا الى اي عمل سياسي وعسكري ، او ما يشابه حلقا او غير حل ، او ما يدخل فيما يعتبر مناورة او عملية او ما ائشبه ذلك ، نرى واجبا علينا لنرضي ضميرنا فنؤكد لكم ما يخالغ صدرنا من اماني غالية وامنيات قديمة ، الا وهي ان يجتمع المسلمون على سعيد واحد حتى يتضافروا ، ويتناقشوا وحتى يضعوا لتعاملهم في المستقبل اطارا ودستورا .

تعاليم الاسلام تقضي بان يكون المسلم طموحا

هناك بعض الناس يقولون ليس في الامكان ابداع مما كان ، ولكن هذه فلسفة مخالفة تماما لتعاليم الاسلام ، فتعاليم الاسلام ترمي قبل كل شيء الى ان يكون المسلم طموحا توافقا في نطاق الحكمة وفي نطاق امكانياته وفي نطاق وضع مخطط ووضع برنامج من شأنه ان يصل الى الاهداف بعد سنة او سنتين او ثلاث سنوات او عشر سنوات ، المهم هو ان نبدا ، بعمل ربما يظهر عملا سلبيا ولكن في الحقيقة هو عمل ايجابي ، الا وهو ان نستعمل الكنيسة حتى نظهر ما بين العرب وما بين المسلمين والعرب وما بين شعوبنا وقبائلنا ، فاذا نحن قمنا بهذا العمل التطهيري تمكنا اذ ذاك من ان نقيم بناءنا على اسس قوية راسخة ثابتة . ولا اريد ان تمر هذه الفرصة دون ان انوه بالخصوص بوجود كاتبة وعالمة ومفكرة

بذلك ، فאלله خير حافظ للقرآن ، وهو ارحم الراحمين ، ولكن جهادنا واجتهادنا هو العمل اليومي على ان يصير كتاب الله عملة خلقية واثسانية ، وقانونية ، ليتعامل بها جميع بني الانسان مسلمين كانوا او عربا ، واملنا في الله سبحانه وتعالى ان يحقق رجاءنا واملنا حيث ان النبي (صلم) قال : « ما اجتمعت امتي على ضلال » فاي هدي اهدي واحلى وافضل من هدي القرآن ، واي حق احق من كتاب الله ، فاذن من باب اولي واخرى ان يجتمع المسلمون على كتاب الله ، نعم كما يقول المثل العربي : (كل فرس كبوة ، ولكل سيف نبوة) ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد تعهد لنا ، وقد ترابط معنا نحن معشر المسلمين في كتاب الله العزيز حيث قال : « ان تنصروا الله ينصركم » ، ونصرة الله تختلف باختلاف الازمنة ، والامكان ، والاجيال ، والملابسات ، والظروف السياسية ، فنصرة الله ليست اليوم هي نصرة الامس ، ليست الجهاد ، ليست هي نصرة الحرب ، ولا نصرة السيف ، ولكن هي نصرة الدين الاسلامي وبكتاب الله ، الا وهو الاشعاع الروحي ، ذلك الاشعاع الذي لا يقف في وجهه لا مصفحات ولا دبابات ولا طائرات ، ولكن من شأنه ان يقهر كل عدو وكل قوة مادية او عسكرية كيفما كان نوعها وكيفما كانت كثرتها وشوكتها .

اننا لنرجو حضرات العلماء ان تعتبروا انكم فتمتم بريارة هذا البلد ، واخوانكم فيه ، لا استجابة ولا مجاملة ولكن قياما بالواجب حيث ان الله سبحانه وتعالى انعم عليكم بالعلم فأوجب عليكم تعليمه ونشره بين الناس ، وقمتم بواجبكم ، وادبتم امانتكم وجعلتمونا نشعر نحن سكان المغرب الاقصى ان لنا في بقاع الارض كلها اخوانا واشقاء يشدون عضدنا ، ويؤازروننا ويساندوننا ، ويعطون للالفاظ والمعاني مقاييس موحدة او يعطونها اطارا واحدا الا وهي مقاييس الفضيلة الاسلامية ، واطار القرآن العزيز ، لهذا اود ان احملكم رسالة من شعبي ، ومني ، رسالة آمل ان تلبقوها الى اصحاب الجلالة ، واصحاب الفخامة ، الملوك والرؤساء ، الذين هم آخذون بزمام امركم ، رسالة ود ، ورسالة صداقة ، رسالة دعاء ، منا لهم ، ولشعوبهم ، ولتذكروهم بما قلناه مرارا وتكرارا ، اننا قد جربنا عدة مسالك ، فمعناها المسالك السياسية فلم تمكنا الى يومنا هذا ، لم نمكنا من اي حل بل لم نمكنا من الخروج من الورطة التي يتخبط فيها العالم الاسلامي ، وبالاخص الدول العربية منذ سنين ، وليست المأساة الفلسطينية ، وليس احتلال القدس ثالث الحرمين ، واولى القبلتين ،

مواقف خطاب صاحب الجلالة على تحفة علماء الاسلام

.. تفضل صاحب الجلالة الملك العظيم فالقي
في وفود علماء المسلمين هذه الكلمة التوجيهية العظيمة:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول
الله وآله وصحبه .

لنخط الاحرف ، ولا لنرسم الرسوم ، رغم حداثة
سننا ، انما وضعه لنا في يدنا لأول مرة لنكتب ، بسم
الله الرحمن الرحيم ، ولم ندخل المدرسة الابتدائية ولا
الثانوية حتى قضينا في الكتاتيب القرائية ما يريد على
اربعة سنوات ، هذا الشيء هو الذي طبعنا به وجيلنا
عليه ، وجبل عليه آباؤنا واجدادنا والاجيال التي
سبقتنا في هذا البلد ، واننا لنأسف كل الاسف لما نراه
من الاجيال الصاعدة ، من الاجيال التي هي الان
الاجيال المسؤولة على دواليب الدولة في الادارة وفي
السياسة ، لنأسف كل الاسف لجهلها للقرآن ، لا
لنسيانها اياه ولكن لجهلها اياه حيث يرون في القرآن
محض مجمع للعبادات والنسك وللتعامل بين المبد
وربه في النطاق الضيق ، ولو نفذوا بابصارهم
وبصيرتهم ، ولو حللوه وحللوا سوره وتفصيله
ومجمله لوجدوا فيه فضيلة الفرد ، داخل بيته
والسلوك المستحسن للجماعة مع مواطنيها ، والتعامل
الصالح الخالص البناء للمجموعات البشرية كيفما
كانت الوانها او لغاتها او القارات التي يسكنون بها .

**جهادنا هو العمل على ان يصير كتاب الله
عملة خلقية وانسانية وقانونية**

واننا لنجد ونجتهد لا لنعيد لهذا الكتاب العزيز
مجده والتعامل به ، فالله سبحانه وتعالى قد تكفل

حضرات العلماء ، اننا باسم شعبنا المغربي العربي
المسلم ، نشكر لكم استجابتكم لدعوتنا لحضور احتفالنا
بذكرى نزول القرآن ، وبالاخص بذكرى مرور 14 قرنا
على نزوله على نبينا (صلم) ، وقد رأينا في حلولكم
بالمغرب جزرا للتاريخ ، فعادة كان المد التاريخي ، هو
ان يزور المغاربة المشرق ، حيث كانوا يشدون الرحال
الى حج بيت الله الحرام ، فينزلون ضيوفا وطلبة واساتذة على
اخوانهم بتونس ، بليبيا ، ببلاد الكنانة ، بالشام ، ببلاد
العربية السعودية ، وبالعراق ، وكانوا حينما يعودون
من سفرهم هذا يرجعون الى المغرب متحلين بحليتين:
علمهم ، وطابعهم المغربي ، والقرائح الخصبة التي
وجدوها عند اخوانهم في الشرق ، تلك القرائح التي
امكنها من ان تنجب بكل تواضع بعضا من العلماء ،
كان لهم الصيت الذائع في الدين والفقه والتفسير
والحديث .

ان احترامنا لمبادئ القرآن وتشبثنا بتعاليمه
ليس بالشيء الغريب ، حيث ان ابانا محمدا الخامس
رحمة الله عليه اول ما وضع في يدنا قلمنا ، وضعه لا

بلاغ وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية بمناسبة نزول القرآن

اصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية بلاغا جاء فيه :

بمناسبة ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم التي ستحل بنا ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر المبارك .

اصدر مولانا امير المؤمنين ادام الله نصره امره المطاع بان تحتفل الامة بهذه الذكرى المقدسة احتفالا جليلا يليق بقداسة ((القرآن)) معجزة الله الخالدة على مر العصور والازمان .

وتنفينا للامر الشريف اسماء الله، استدعت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الإسلامية نخبة من كبار العلماء من الاقطار الإسلامية الشقيقة ومن انحاء المملكة لحضور المهرجان الديني العظيم الذي سيحييه سيدنا المعتز بالله في ليلة القدر المباركة بمسجد اهل فاس تمجيدا لهذه الذكرى الخالدة واحتفاء بكتاب الله عز وجل .

كما وجهت الوزارة تعليماتها الى سائر النظارات بان يهيئوا المساجد ، ويجعلوها في حلة تتناسب وقداسة هذه الذكرى المباركة وينظموا بها دروسا في الموضوع .

وان وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية لتدعو المواطنين الكرام الى حضور هذه الاحتفالات الدينية ابتداء من صلاة الظهر ليوم 26 رمضان الى صلاة الفجر من يوم 27 منه لتلاوة القرآن الكريم الذي كان وسيبقى منبع الهداية والايمان لسائر المسلمين وتدبر معانيه والتضرع الى الله سبحانه بان يحفظ الاسلام بما حفظ به ذكره المبين ويمن على المسلمين بتحرير اولى القبليتين وثالث الحرمين وان يبقى امير المؤمنين جلالة مولانا الحسن الثاني الحارس الامين على مقدسات هذه الامة ذخرا للاسلام والمسلمين ويحفظه في سمو ولي عهده المحبوب الامير سيدي محمد وسائر افراد أسرته الكريمة .

قال الله تعالى : ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم)) . صدق الله العظيم .

الاية التي نفتخر بها ونعتز بها ، حيث ان الله سبحانه وتعالى جعلنا خير امة اخرجت للناس ، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونومن بالله .

والترتيب ، اظن ، حقيقي هو ان نومن بالله فننهى عن المنكر ونأمر بالمعروف .

حياكم الله وزادكم بسطة في العلم وزاد من وسائلكم للعمل البناء مع شعوبكم وطلبتكم ومجتمعكم، وشكرا لكم مرة اخرى على زيارتكم هذه ، ونسال الله سبحانه وتعالى ان يسدد خطانا ، وان يلهمنا سواء السبيل ، وان يجعلنا ذلك البناء المرصوص الصحيح ، الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وباطل البناء هو التهدم والتصدع ، فيجعل الله بناءنا غير باطل ، غير متصدع ، غير مهدم ، واعطى لكل واحد منا على قدر نيته ، وعلى قدر اخلاصه ، وعلى قدر ضميره وملاءمة اقواله لضميره وملاءمة افعاله لسلوكه، وفلسفته ، وايمانه بالله ، والسلام عليكم ورحمة الله .

عزيزة لدى كل مسلم وعربي تمتع بقراءة ما لتعاليم الاسلام تلك التعاليم التي جعلت من المرأة شقيقة الرجل في الاحكام ، وكلما كانت المرأة شقيقة الرجل في الاحكام الا وكانت من باب التبعية، شقيقته في الحقوق والواجبات ، فجزاك الله خيرا عن المرأة الاسلامية والمرأة العربية ، وجزاكم الله خيرا على ما قمتم به من دروس وعظ وارشاد وتوجيه ، وجمعنا الله في القريب سبحانه وتعالى في ظروف تكون اكثر ملائمة مع ما ننتظر من الله سبحانه وتعالى من ان يفرج كربتنا فيخفف احزاننا ، فاذا كان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وهذا اظن انه برنامج وضعه الله بشروطه وبشروط صحته ، بشروط ظرفيته وبشروط كيفيته وكمه ، فعلينا اذن ان نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ما هو محيط بنا من مكاره ، ومن سوء، ومن ضغائن ، ومؤامرات ، ومن الطبيعي ان نكون مخلقة وهدفا للاحقاد والمؤامرات ، لاننا بكل اعتزاز وبكل فخر يمكننا ان نلقيناها من اعلى الصوامع ان تلقى تلك



الله في عونهم حينما قال : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وبحفاظة المسلمين على القرآن احتفظوا على اصول دينهم واحتفظوا على مصدر هذا الدين ، فليس لاحد أن يجادل في اصول الدين الاسلامي لان الكتاب الذي هو مصدر الدين ما زال قائما بين ظهراننا بنصه نتلو آياته فناخذ منه العقيدة والحكم والموعظة ونستمد منه ما يقوي ايماننا وينير امامنا طريق المستقبل ويقدر ما ساهمت اللغة العربية في نشر القرآن واذاعته وحفظه بين العرب والمستعربين عمل القرآن على حفظ اللغة العربية من الانهيار والضياع ، فبقيت بفضل القرآن سليمة قوية قادرة على التعبير عن شؤون الفكر والثقافة والعلم والحضارة . ولم يحدث لها - بفضل القرآن ما حدث للغات قديمة اخرى كانت لغات ديانات ، ولكنها ضاعت وبادت لانه لم يكن لها كتاب سماوي نزل بلفظها يحفظها من الضياع ويحميها من الاندثار .

ففضل القرآن اذن على الاسلام والعروبة فضل عظيم فلولا القرآن لظل الاسلام دينا تتقاذفه الالهواء والشهوات ولظل عرضة للتغيير والتبديل والتحريف ولكان سببا في تضارب المسلمين واختلافهم لان كل فئة منهم يمكن أن تدين بدين وتسميه الاسلام ، اما الآن فان الناس مهما اختلفوا في الجزئيات فانهم يستطيعون أن يرجعوا الى الاصول التي يجدونها في القرآن الكريم وبذلك حفظت اصول الاسلام عن الضياع واللبس والاختلاف كما صمدت في وجه التحديات الاجنبية التي

طالما حاولت القضاء على الاسلام والمسلمين ولم يصدها عن ذلك الا وجود القرآن . اما فضل القرآن على اللغة العربية فهو حفظها من الضياع وبقاؤها حية متطورة في مختلف البلاد التي تعربت مهما يكن اصل سكانها . وفي وقتنا هذا ما تزال نجد اللغة العربية تستمد قوتها وتأورها وصمودها من القرآن نفسه . وقد غزت اللغة العربية بفضل القرآن - لغات حية اخرى لها تاريخ حافل في الادب والحضارة كاللغات الفارسية والتركية والاردية مثلا .

وللقرآن فضل كبير في نشأة الحضارة الاسلامية وتطورها ، فقد فتح آفاق المسلمين على العلم والعمل والاجتهاد والكد ، ولذلك كان المسلمون يحملون القرآن بيد ويعملون بيد حتى بنوا مجد الامة الاسلامية في ميادين العلم والحضارة لانهم لم يجدوا في القرآن ما يعارض نشاطهم وعملهم العلمي والحضاري والتقني . ونحن حينما نحتفل بذكر نزول القرآن يجب أن نستعيد في اذهاننا كل الاصول والمبادئ العقيدية والتشريعية والخلقية والتوجيهية التي اتى بها القرآن ، ولن يزيدنا ذلك الا تشبثا بالقرآن ومحافظة عليه ودراسة له وتلاوة لآياته لانه منهج لحضارة فكرية وعلمية نظرية وعملية ان تكون اساس نهضتنا الحضارية الجديدة . فالاحتفال لا ينبغي أن يكون للذكرى فقط ولكن للعمل كذلك .

وفقنا الله لنهتدي بهدي القرآن ولنعمل بتعاليمه ولنحفظه قولا وعملا فنحفظ بذلك كياننا وراثنا كأمة لها تراث حضاري عظيم .



منشور وزارة التربية الوطنية بمناسبة ذكرى نزول القرآن

بمناسبة ذكرى نزول القرآن وجه وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة منشورا لقراءته الى كافة المعاهد في مختلف جهات المغرب . وطالب الاساتذة بالتعليق عليه وابراز مفازيه لتلاميذهم وطلبتهم .
ويتضمن المنشور شرح مفزى الاحتفال بذكرى نزول القرآن ، وأهمية هذه الذكرى بالنسبة للعالم الاسلامي ، وابراز تعاليم القرآن الخالدة ، واثرها على التطور الفكري والحضاري .
وقد اهاب السيد وزير التربية الوطنية بمديري المدارس والمعاهد وجميع رجال التعليم ان يحرصوا على الاهتمام بالمنشور المذكور ، ويتلاوته وشرحه بعد عيد الفطر نظرا لكون الذكرى لا تقتصر على ليلة القدر بل تمتد السنة كلها .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها التلاميذ والطلبة

وتثبتا لعقيدة الاسلام بالجدل والحجة والبرهان . فكان القرآن بذلك خلاصة الرسالة المحمدية التي اراد الله ان تكون آخر الرسالات يحملها الى البشر آخر النبيين والرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ولذلك ايضا كان القرآن خلاصة الاديان السماوية جمع فيه الله تعالى كل ما اوحى به الى انبيائه من صادق تعاليمه ، وما استجد مما اوحى به الى نبيه الكريم محمد بن عبد الله .

يحتفل المسلمون في جميع انحاء الارض طول هذه السنة بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم فقد نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بثلاث عشر سنة وفي سنتنا هذه يكون قد مر على نزول الوحي أربعة عشر قرنا بالحساب الهجري.

بدا الوحي بنزول الآية الكريمة : « اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »

ومنذ نزول هذه الآية تتالى الوحي بالقرآن الى سيدنا محمد طوال مدة اقامته بمكة بعد ان هاجر الى المدينة حتى اكتملت سورة وآياته حينما نزلت الآية الكريمة « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وقد جمع الله في القرآن كل ما رضي به لامة الاسلام ، فكانت آياته المحكمات تنويرا للعقل والقلب بالعقيدة والايان بالله ، وتنظيما للمجتمع بالشريعة والقانون ، وتقويما للخلق بالحكمة والموعظة الحق ،

وقد نزل القرآن بلغة العرب وهي لغة قابلة للبقاء بما توفرت عليه من ثروة وفصاحة وسلامة ودقة في التعبير وبراعة في الاداء ، وقوة تأثير واثار تأدبي مكن ، فكانت بذلك لغة حية لم تقصر عن احتواء كل المعاني السامية التي تضمنها القرآن . واستطاع القرآن ان ينتقل اينما انتقل العرب والمسلمين فاتحين مبشرين ومنذرين . وقد بقي القرآن محفوظا باللغة العربية . وبقي كل ما تضمنه من هداية وتشريع وتنوير سليما لم يدخله تغيير ولا تحريف طوال القرون الاربعة عشر .

ان المسلمين اتعظوا بما حصل للديانات السابقة من تحريف وتزييف قام به اعداء الدين وانصاره على السواء . فحفظوا دينهم باحتفاظهم على قرآنهم ، وكان



صاحب الجلالة يوشح صدر الكاتبة العربية الكبيرة عائشة عبد الرحمن
بوسام الكفاءة الفكرية



صاحب الجلالة يوشح صدر العالم الاستاذ
السيد مصطفى احمد الزرقا



السيد نديم الجسر يتقبل وسام الكفاءة الفكرية من
صاحب الجلالة نصره الله

جلالة الملك

يقيم حفلة شاي كبرى على شرف العلم والعلماء

الله باستقبالهم واكدوا لجلالته ان العبارات السامية التي فاه بها عاهل المغرب العظيم ستكون درسا للمسلمين ونبراسا لهم في معالجة امورهم .

وبهذه المناسبة انعم صاحب الجلالة على ستة عشر عالما من علماء المسلمين بوسام الكفاءة الفكرية من درجات مختلفة اثناء حفلة الشاي التي اقامها على شرفهم بقصر الرياض وهؤلاء العلماء :

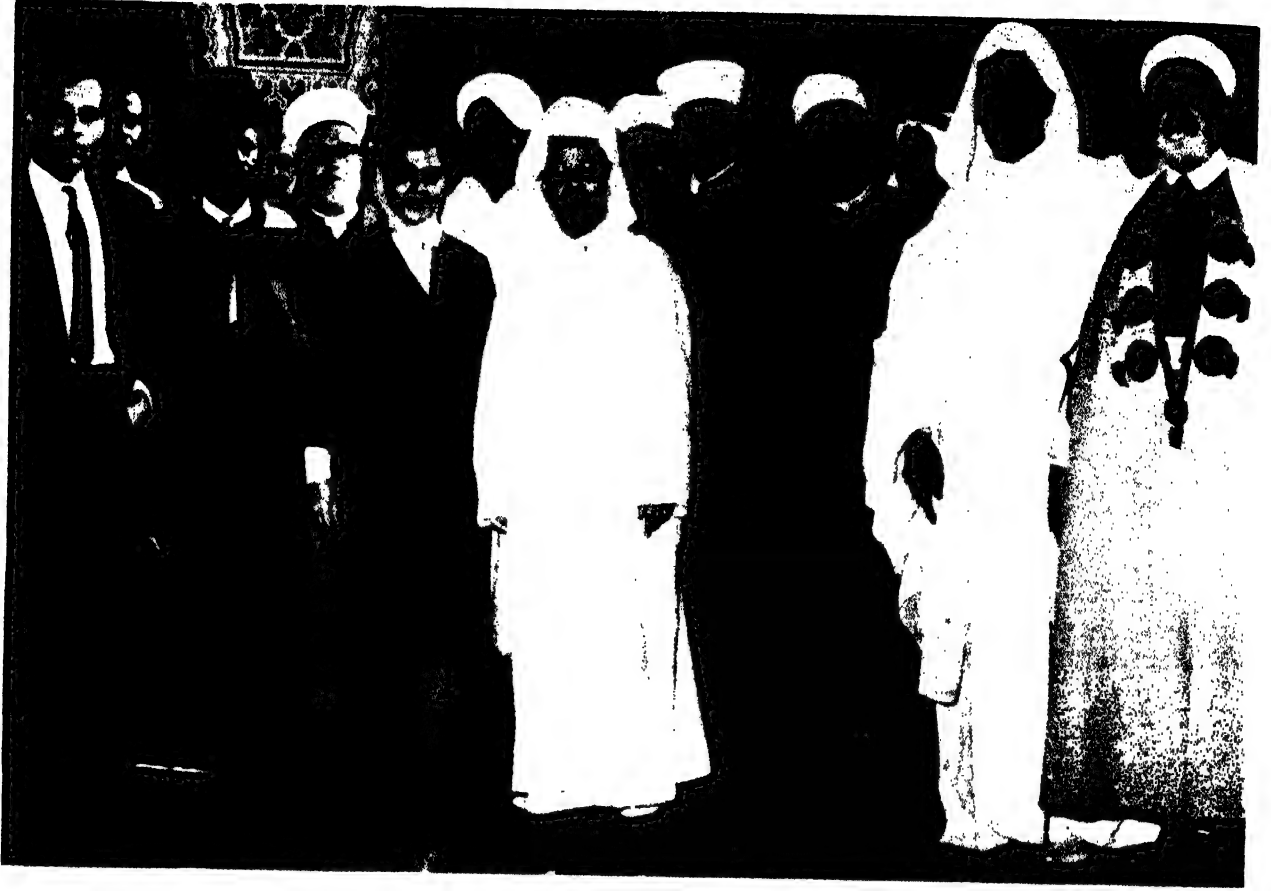
الدكتورة عائشة عبد الرحمن من الج . ع . م .
والشيخ عبد الحميد السائح من الملكة الاردنية الهاشمية ، والشيخ محمد أبو زهرة من الج . ع . م .
والشيخ الشاذلي بلقاضي من تونس ، والشيخ نديم الجسر من لبنان ، والشيخ مصطفى الزرقاء من الكويت ، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة من الملكة السعودية .
والشيخ ضياء الدين خان من الاتحاد السوفياتي ، والشيخ عباس مهاجراني من ايران .
والشيخ مصطفى التريكي من ليبيا ، والاستاذ محمد جمال الدين عبد الوهاب من باكستان والشيخ حياة الله الانصاري من الهند ، والشيخ مصطفى عبد القادر من السودان ، والشيخ ابراهيم موسى من التشاد .
والشيخ الشريف مكي حيدر من السينغال ، والشيخ محمد ابراهيم من النيجير .

وبعد هذه الحفلة استقبل صاحب الجلالة بقصر الضيافة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة من الملكة السعودية ، والشيخ مصطفى عبد القادر من السودان والشيخ مكي حيدر من دكار .

اقام صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني مساء ثاني عيد الفطر حفلة شاي كبرى بقصر دار الضيافة اكراما للعلماء المسلمين الذين حضروا الى بلادنا بدعوة كريمة من جلالته للمشاركة في الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم .

وحضر هذا الاحتفال السيد ادريس المحمدي المدير العام للديوان الملكي ، والسيد احمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة ، والفقير السيد محمد العمري وزير القصور الملكية ، واعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الاول الدكتور محمد بنهيمة وسفراء الدول الاسلامية وسفير الهند والاتحاد السوفياتي والجنرالات واعضاء الدواوين الملكية ورؤساء المجلس الاعلى ووكيل الدولة العام به وعمداء الكليات والمعاهد وعامل الرباط وسلا وعدد من العلماء ، وقد قدم وفد الاتحاد السوفياتي هدية رمزية لصاحب الجلالة هي عبارة عن مجموعة من المصاحف الاثرية .

وخلال هذا الاحتفال تجاذب مولانا امير المؤمنين اطراف الحديث مع العلماء المسلمين الذين اغتموا هذه الفرصة ليهنؤوا جلالته على اطلاعه الواسع بشؤون الدين وحسن بيانه وطول باعه وعظيم تدبره وكبير اهتمامه بالثقافة الاسلامية الصحيحة ، كما عبروا عن اعجابهم بالخطابين اللذين القاها جلالته سواء بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم او في صباح اليوم الثاني من ايام العيد حينما شرفهم حفظه



السادة العلماء في ضريح مولاي الحسن حيث ترحموا على روح الفقيد
مولانا محمد الخامس رضوان الله عليه



العلماء المسلمون منهمكون في البحث عن
كنوز ما تضمه الخزانة الملكية



العلماء المسلمون في مكتبة القصر
الملكي العامر

العلماء المسلمون يقومون بزيارة مكتبة القصر الملكي العامر

المقدس سيدي محمد بن عبد الرحمن نشر
الملوك العلويون على نفقتهم الخاصة
عشرات الكتب التي طرقت كل أبواب المعرفة سواء
كانت دينا أو أدبا أو علما أو فنا أو تاريخا .

وبعدما انتهى مؤرخ المملكة من تقديم هذه البيانات
اطلع السادة العلماء المسلمين على معرض الطبوعات
والمكتبة التي أعجبوا بها أيما إعجاب وأبدوا تقديرهم
للمجهودات التي بذلها الملوك العلويون في هذا الباب
والتي تضاعفت في عهد جلالة الملك الراحل محمد
الخامس قدس الله روحه وخلفه جلالة الملك المعظم
الحسن الثاني أيده الله ، ثم زار السادة العلماء قسم
المخطوطات وقدمت لهم نماذج من كتبها التي يرجع تاريخ
بعضها الى ألف سنة ، وفي النهاية شكر السادة العلماء
جلالة الملك المعظم على تفضله باطلاعهم على هذه
الخزانة النفيسة وأبدوا اهتمامهم بمحتوياتها
وآثر هذه الزيارة قام السادة العلماء بزيارة لضريح
مولاي الحسن حيث ترحموا على روح فقيد العروبة
والإسلام جلالة الملك الراحل محمد الخامس رحمه
الله وسجلوا أسماءهم في الدفتر الذهبي .

قام السادة العلماء المسلمون ضيوف صاحب
الجلالة يوم ثالث شوال بزيارة مكتبة القصر الملكي
العامر ، وكان في استقبالهم عند مدخل الخزانة الأستاذ
عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة المغربية ، والمكلف
بمهمة في الديوان الملكي .

وقد القى الأستاذ السيد عبد الوهاب بنمنصور
بهذه المناسبة كلمة عرف فيها بأصل الخزانات العلمية
الملكية بالمغرب منذ أقدم العصور ، شارحا الدور الذي
لعبته في نشر العلم والثقافة بالمملكة المغربية والعالم
الإسلامي ، كما أشار الى ما تحتوي عليه من ذخائر
ونفائس نادرة ، ثم بين ان المكتبة الملكية هي ورشة
عمل لان ترتيب كتبها وتنظيمها لم يتم بعد وان جلالة
الملك المعظم قرر حفظه الله بناء خزانة عصرية
مستوفية لجميع الشروط التي تعين الباحثين والمثقفين
في جميع انحاء العالم الاسلامي على البحث والمعرفة ،
وأبرز الأستاذ بن منصور الأيادي البيضاء التي للملك
الدولة العلوية على الحركة الفكرية في المغرب .
وانشئت المطبعة الملكية التي رأت النور منذ
مائة وخمسة أعوام فمنذ عهد جلالة السلطان



صورة تذكارية لبعض القراء صبة بعض اعضاء اللجنة التحكيمية

ومن اجل ذلك فرضت فترة تدريبية دامت اسبوعا كاملا ، وكانت فرصة بالنسبة لهذه النخبة حيث اتاحت لها التعرف على جماعة من اساتذة التجويد الذين لقنوهم دروسا نظرية وتطبيقية حيث تم ذلك بدار الحديث الحسنية .

اما فيما يتعلق بطريقة الاداء فقد لوحظ بان بعض القراء كانوا يفضلون طريقة معينة عن غيرها او يخلطون بين اساليب الاداء ، كانوا ينتقلون مثلا في آية واحدة من نفمة الى اخرى دون ان تكون الاذن قد استأنست بعد لسماع النفمة الاولى والانسياق معها ، زيادة على الخلط بين الطريقتين المغربية والشرقية . عند بعض القراء ومع تفضيل اللجنة للطريقة المغربية الصرف بصفتها مظهرا من مظاهر حضارتنا وتقاليدنا من الوان فنوننا فقد اعطت اللجنة الحرية في اختيار الطريقة التي يرتضونها حتى لا يكون هناك ما يمكن التعبير عنه او وضعه بالتحيز .

وقد مر الحفل في جو بهيج حيث حضره معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش الذي سلم بنفسه الجوائز للفائزين . وقد توجت اعمال هذا المهرجان الديني الاول بتأسيس رابطة للقراء بالمغرب ، وعينوا لها مكتبا تأسيسيا .

العلوي ، ومولاي الشريف بن علي ، وعبد الحميد الحساس . وقر رايها على استدعاء ثلاثين مقرئا للمشاركة في المهرجان النهائي .

ورأت اللجنة ان الشيء الذي ينقص هذه النخبة هو تطبيق مبادئ التجويد ، فقد اقترحت ان تنظم دورة تدريبية قصيره لصالح الثلاثين الناجحين في الجولة الاولى قبل التقدم للمباراة النهائية .

وفد اعتمدت اللجنة على ثلاثة عناصر اساسية هي :

اولا : توفير عنصر الصوت . ثانيا : الالمام بمبادئ التجويد وتطبيقها . ثالثا : طريقة الاداء .

ففيما يخص العنصر الاول : فالنخبة التي تقدمت امام الجمهور يوم عاشر رمضان المبارك كانت زبدة لجموعة من القراء الذين اختيروا من مختلف اقاليم المملكة ، ذلك ان اللجنة بالاضافة الى مسؤوليتها كهيئة ممثلة كانت في نفس الوقت لجنة للتوعية والتوجيه .

اما فيما يتعلق بالعنصر الثاني فقد كان اعضاء اللجنة يعتبرونه بمثابة الشرط الاساسي في الحكم على المشارك عملا بقول رسول الله (ص) : (من لم يجود القرآن آثم) ومن قبله عملا بقوله تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) .

كيف تتم مهرجان القرآن لاخيار المجودين

القرءان الكريم ان تتميز الذكرى السابعة لوفاة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه باقامة مهرجان للقرءان الكريم، ووقع الاختيار لدراسة الموضوع وتقديم مشروع لتنظيم المهرجان ، وبالفعل اجتمعت اللجنة ودرست الموضوع من جميع جوانبه الادارية والمالية والتقنية ورفعت مشروعا الى السيد الوزير الذي اتخذ في حقه الاجراءات اللازمة وامر بالتنفيذ . وهكذا تم الاتصال فورا ببعض الوزارات التي يهمها الامر ففيما يخص وزارة الاوقاف فقد عينت لجنة تحكيمية تتجول عبر اقاليم المملكة للاستماع الى كل من ترشحهم نظارات الاحباس والعمالات ورجال السلطات المحلية .

اما وزارة الداخلية فكان عليها - نظرا لضيق الوقت - ان تشعر المرشحين بتواريخ حلول اعضاء اللجنة بكل مركز من مراكز الامتحان وهي : مراكش والدار البيضاء ، وطنجة ، وفاس ، والرباط . وهكذا كانت كلما وصلت اللجنة الى تلك المراكز كانت تستمع الى مرشحي المنطقة والاقاليم المجاورة ، وقد استمعت اللجنة الى ثمانين مقرونا مباشرة ، كما استمعت الى اربعين مقرونا تكلفت عمالات الاقاليم النائبة جدا بقراءاتهم .

وبعد هذه المرحلة الاولى اجتمعت اللجنة التي اقترحتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والتي تتركب من السادة : عبد الله الجباري . وريلاي مصطفى

عاش الشعب المغربي يوم الثلاثاء عاشر رمضان الموافق 12 دجنبر 1967 يوما خالدا مع مهرجان القرءان الكريم ، لقد استمع الى 28 مقرونا من مختلف انحاء المملكة ، تلا كل منهم ما تيسر من آيات كتاب الله بطريقته الخاصة ، وتجويده الخاص ، واسلوبه الخاص ومسر اليوم الخالد الذي صادف ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم في جو من الخشوع والنورانية .

كيف تم تحضير هذا المهرجان الديني ؟ .

لقد قررت وزارتا الانباء والاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول



بعض اعضاء لجنة التحكيم الثقلية
اتناء امتحانها لاحد المرشحين من اقليمية طنجة المشار اليه بعلامة x



السيد نديم الجسر يتحدث الى السيد الوزير وبجانبهما علماء الاسلام



علماء المسلمين يتصفحون « مصحف الحسن الثاني » الذي اهدي اليهم يوم عيد الفطر
ويظهر في الصورة من اليمين السادة : ابو زهرة من ج.ع.م ، وعبد الحميد السائح من الاردن ،
والشاذلي بلقاسي من تونس

حفلة شاي بمنزل السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية على شرف علماء العالم الاسلامي



السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يقدم « مصحف الحسن الثاني »
الى السيد الانصاري من الهند ، والسيد عبد الفتاح ابو غدة من المملكة السعودية

استقبل معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد
بركاش بمنزله مساء يوم العيد اعضاء الوفود الاسلامية التي حضرت الى المغرب
بدعوة كريمة من مولانا صاحب الجلالة للاحتفال العظيم بذكرى نزول القرآن
الكريم على سيدنا محمد عليه السلام .

وقد دار الحديث بين اعضاء الوفود الاسلامية ومستقبلهم من رجال الثقافة
والعلم ورواد الحركة الفكرية بالمغرب في جو اسلامي خالص حول مغزى هذه
الذكرى ، وابدوا اعجابهم واندعاشهم مما راوه من جلال الملك ، وابهة
الاحتفال اثناء صلاة عيد الفطر المبارك مع مولانا صاحب الجلالة نصره الله وايده .

وقد وزع السيد الوزير على اعضاء الوفود نسخا من مصحف الحسن الثاني
الذي قامت بانجازه وطبعه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

حضرات الاساتذة الكرام .

بهم جنسية . قانونهم واحد هو شريعة الاسلام متعددة المذاهب متنوعة النزعات . وفلسفتهم هي الفكر الاسلامي المتفتح القابل لان ينظر ويدرس كل ما تصل اليه المعرفة او يتهدي اليه المفكرون من الشرق والغرب . وسلوكهم هو ما يقتضيه الخلق الفردي من اخاء ومحبة وتعاون على البر والتقوى .

ونظرة واحدة على هذه الحقب السعيدة من تاريخ المسلمين تعطي نتيجة حتمية هي ان هذه النهضة الثقافية الحضارية الفذة واكبت واعتمدت على عقيدة الاسلام ومبادئ القرآن . ومن الصعب اعتبار ان هذه المواقبة صدفة ، وان نجاح النهضة لم يكن بسبب ما اورثه الاسلام من عقيدته ومن دفع الى العمل ومن تفهيم للانسان معنى كونه خليفة الله في ارضه .

على ان احدا من المسلمين او غيرهم لم يزعم ان ما حدث من تقدم في هذه المنطقة بعد مجيء الاسلام كان صدفة او لم يكن من اثر الدين الجديد وما زرعه في قلوب معتنقيه من روح العمل والبناء .

فالمسلمون اذن نهضوا وبنوا مجدهم باسم الاسلام وبفضل ما علمهم القرآن .

ولكن حالة هذه المنطقة لم تدم على ما اراده لها الدين ، وسرعان ما توقف سير المسلمين ، واضطربت احوالهم واشتغلوا ببعضهم ، ولم تضر حقبة يسيرة حتى كان غيرهم قد احتل المكان الذي لهم . وذلك بفضل تخليه عن بعض التقاليد التي عاقته زمنا . وبفضل اكتشاف البخار الذي خرج بالاقتصاد الاوربي من الطور العائلي الى الطور الآلي .

وقد تطور الامر الى ان اصبح الاقتصاديون الجدد يبحثون عن الاسواق المستهلكة والمواد الأولية ، واستطاعوا بما وضعوه من خطط وما اعدوه من قوة ، ان يهاجموا المنطقة الاسلامية ويحتلوها ويحاولون تسخيرها لخدمتهم ، والابقاء على حالة التخلف التي وقعت فيها حتى لا تنهض من كبوتها ولا ان تتحجر من اغلالها .

وزاد من قوة الغرب ان انضمت اليه قارة جديدة هاجر اليها من ابنائها من بنى فيها اكبر دولة حديثة وهي امريكا .

وبما ان التخلف الاقتصادي والاجتماعي عم هذه المنطقة التي واكبت دخول الاسلام لها بالامس لنهوضها وازدهارها ، فقد حاول الغرب ان يفهم المسلمين ان هذا التخلف نتيجة لايمان المسلمين بالاسلام وتمسكهم

منذ اربعة عشر قرنا ، كان العرب في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، والبشرية كلها في خضوع للملوك ، وهيمنة لرجال الدين ، تعبدها الخرافة ، وتسيرها الاوهام ، وتقوم حضاراتها على عبادة غير الله ، حتى كان بعض الاحرار يجدون في الجزيرة العربية ملجأ يأوون اليه ومع ما هو عليه من التخلف ، لان فيه حرية لا مزاحم عليها ، حرية الاوابد في الفلاة ، والطير في السماء .

وكانت الارستوقراطية التجارية القرشية في مكة تمثل القيادة الوحيدة للعرب ، واليد القوية في تسييرهم وتوجيههم ، وطبعاً فقد كان يهمها ان يبقى المجتمع العربي قائماً على فاسد التقاليد وباطل الاعتقادات لانها تستفيد من حالة الشعب ، وتشعر بالاستعلاء ما دام في غيبوبة بعيدا عن كل معارضة او اندفاع للتحرير .

وفي هذا الجو الخانق انبثق نور من السماء ، اضاءت له ارجاء الجزيرة وشع على البسيطة كلها ، وتزلزلت له اركان القصور في الشام وفارس وبيزنطة ، وهوت به الاصنام العربية بما لها من طقوس ، وما وراءها من اوهام . وسرعان ما تبدلت الارض غير الارض والعرب غير العرب .

ذلك ان محمدا (ص) بعث للناس كافة ، وانزل عليه قرآن كريم ، فيه تذكير بالفطرة وتوجيه للعمل الصالح ، وبث لروح الايمان في وعي وبقظة .

لقد هدى هذا القرآن للتي هي اقوم واصلح الله به القلوب والعقول ، وجمع به بين شئنا القبائل ، ومختلف الآراء ، والانظار ، ووحد غايات الناس في الحياة : « وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

وكانت النتيجة ان قامت في البلاد العربية دولة اسلامية فذة ، لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، مدت سلطانها الى سائر هذه البقعة الافريقية الاسيوية والى جوانب من اوربا ، ولم يكن سلطانها قائماً على السيف وحده ، ولا رسالتها معتمدة على غير ما فيها من دواعي القبول او قابلية استجابة ذوي الفطرة السليمة لها ، عاش العلم في رحابها معززا مكروما ، والحرية في البحث وفي التعبير عن الافكار العلمية مضمونة محمية فاصبح الناس في هذه الارض اخوانا يتلقبون في ارض الاسلام كيف شاؤوا ، لا تحصرهم حدود ، ولا تضيق

الوسائل العلمية لبعث احاديث

للمؤتاد الكبير علال الفاسي

انطلقت يوم السبت 28 رمضان المعظم في الساعة العادية عشرة صباحا بكلية الآداب بالرباط ندوة حضرها كل ضيوف الغرب من العلماء المسلمين الذين حضروا الاحتفال الرائع الذي اقيم بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم . وحضر هذه الندوة كل من معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش ومعالي وزير التعليم الاستاذ السيد عبد الهادي بوطالب والاستاذ السيد محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس وجمع غفير من العلماء المغاربة ومتفقيه

واسنهل هذه الندوة التي اقيمت تحت شعار « العودة الى القرآن » الاستاذ السيد محمد الفاسي بكلمة افتتاحية وبعده تناول الكلمة الاستاذ السيد عبد السلام الفاسي رئيس جامعة القرويين ثم قدم الاستاذ الكبير السيد علال الفاسي عرضا قيما كان موضوع مناقشة خصبة ومنتجة وايجابية . وقد اوضح الاستاذ علال الفاسي في عرضه وجود المسلمين في الوقت الحاضر امام عدة تيارات ، قوام بعضها ، العلم ، وقوام بعضها الحضارة ، ونحن لا يمكن ان نتعد عن العلم ولا عن الحضارة ، لان القرآن نفسه يحض على العلم . والتخلف الوجود في العالم الاسلامي تخلف طاريء ، ويمكن للمسلمين ان يأخذوا بأسباب العلم وان يجتازوا عصر البخار الى عصر الذرة دون ان يعتمدوا عن القرآن السذي لا يتنافى العمل به مع عصر العلم والحضارة وخلص من ذلك الى وضع السؤال المطروح للمناقشة وهو : « ما هي الوسائل العلمية التي تمكن المسلمين من العودة الى القرآن الكريم » وقد اجاب كثيرون عن هذا السؤال ، فرأى الاستاذ السيد ناصر الكتاني ان العودة الى القرآن تكون بتصحيح المناهج المدرسية لتربية النشء على تلقين القرآن ومبادئه ، وفي التربية الخلقية ، ثم تحدثت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) حديثا مستفيضا عن مثالية القرآن التي لم يعد احد يعرفها وخاصة في الاجيال التي تعرضت للاستعمار الفكري ، الاستعمار الذي زيف تاريخ الاسلام حتى مضى المسلمون يلتمسون فكرهم فيما اتى به الغرب فيأخذون مثلا حقوق الانسان وحقوق المرأة من قوانين الامم المتحدة ، مع ان القرآن اتى بها منذ اربعة عشر قرنا . وتحدثت عن الاتجاه الذي سنه الرئيس علال في العودة الى الشريعة في كتابيه القيمين : دفاع عن الشريعة ومقاصد الشريعة . وقالت اننا لا نقيم حواجز بين الشباب والتيارات المعاصرة ، ولكننا يجب ان نضع امامهم مثالية القرآن ليفهموا انه حرر الانسان والفكر والعقيد فوحرر المرأة فادركت حرية العلم والفضيلة والعفة . وتحدثت عن التجربة الذاتية في فهم القرآن فقالت انها فهمت من القرآن ان العقل هو مناط انسانية الانسان . وتحدثت بعد ذلك عن دور البيت والمدرسة والجامعة وعن المكتبة والعلم والدرس في تقديم مثالية القرآن لشبابنا الذين لا نريد منهم ان ينقطعوا عن الثقافة الغريبة ولكننا نريد ان نساخهم بالمعرفة القرآنية . فشبابنا اليوم عقولهم مشدودة الى الغرب وفلوبهم مشدودة الى العقيدة وهم مزقون بين شقي الرحا .

ثم تحدث الاستاذ السيد عبد الحميد السائح وزير الشؤون الاسلامية والامان المقدسة بالملكة الهاشمية الاردنية فقال :

ان السبيل هو ان تبنى دولة اسلامية الحكم بالقرآن وان تتعهد بتكوين مجتمع يضع الحلول الاسلامية المتطورة وتفسير المناهج والقوانين المعمول بها الى المناهج الاسلامية وتحدث بعد ذلك الاستاذ ابو بكر الفادري فلخص كلمته في ان رجال الفكر الاسلامي يجب ان يخرجوا بنقطة التقاء يقتنعون بها ويعملون على اقناع المسؤولين في العالم الاسلامي وركز رايه على تغيير المناهج المدرسية ووسائل الاعلام التي يجب ان توجه توجيهها اسلاميا ، وقال اننا يجب ان نبدأ بانفسنا في تنفيذ مبادئ القرآن . وقد تحدث بعد ذلك كثير من المشاركين فأبدوا آرائهم في موضوع العودة الى القرآن منهم الدكتور عباس مهاجراني من ايران والاساتذة الاجلاء مصطفى عبد القادر من السودان ومصطفى التركي من ليبيا والدكتور الحبابي ، والشاذلي بن الفاسي من تونس وعبد الواحد الطلوي وعبد الله غوشه قاضي القضاة بالملكة الاردنية وابراهيم الكتاني والرحالي الفاروقي ومحمد العبدلاوي والشيخ مفتي ضياء الدين بابا خاتوس من الاتحاد السوفيتي والشيخ نديم الجسر من لبنان وادريس الكتاني

وختم السيد وزير التربية الوطنية الندوة فشكر الرئيس علال الفاسي على كلمته المركزة القيمة التي تنشد هدفا ساميا وان هذا الاجتماع يمكن ان يكون بداية اجتماعات اخرى ، وهذا الاجتماع ليس ندوة انتكاسية ولا انتكاسية وانما نريدها نهضة شاملة ... وهذا نص العرض الذي القاه الاستاذ السيد علال الفاسي الذي كان متعلق النقاش بين العلماء المسلمين :

ذكرى نزول القرآن

وتحفيره في تاريخه

للمؤلف: عبد الله كنون

تكذيبك ومحاجتك ، لان ذلك تصديقك وتركية دعواك للرسالة ، بله تسهيل الامر عليك وعلى المؤمنين بعدم الزامهم بالتكاليف الشاقة دفعة واحدة .

(2) وقد نشأ عن نزول القرآن بهذه الصفة ، علوم ومباحث واسعة تسمى علوم القرآن لابد للمفسر ان يلم بها ، والا عميت عليه الانباء في معرفة معاني الآي الكريمة واسرار التنزيل .

فمنها العلم بأسباب النزول ، وذلك ان القرآن منه ما نزل ابتداء ، بياناً للناس ومنه ما نزل بسبب ما جواباً عن سؤال أو حكماً في قضية مثلاً على ما مر آنفاً فيحتاج المفسر لمعرفة هذا السبب ، وقد عنى به العلماء شديداً العناية وأغردوه بالتأليف العديدة .

ومنها معرفة المكي والمدني أي ما نزل منه قبل الهجرة والنبي (ص) مقيم بمكة وما نزل بعدها والنبي مقيم بالمدينة ، ويحتاج إليه لمعرفة المتقدم من المتأخر وترتب على ذلك أحكام ، فضلاً عن التفرقة بين طبيعة الدعوة في الفترتين ، ولا تقل عناية العلماء بهذا البحث عن سابقه .

ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ، فان بعض الأحكام التي تقررت في أول الإسلام انها كانت مؤقتة للتدرج في التشريع ثم نسخت بعد ذلك ، ويجب العلم بها لما تتضمنه من حكم كالتيسير على الأمة ، ولما أن الجاهل بذلك ربما يؤدي الى الوقوع في المحذور ، فقد روى عن علي (ض) انه قال لقاض اتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا . قال هلكت وأهلك (2) .

ان ذكرى أي حادث تقتضي أولاً وبالذات التعرض لتاريخ ذلك الحادث ، وتحديد زمن وقوعه ليطابق وقت الذكرى الحادث المذكور ، لا من حيث الظروف الزمنية التي وقع فيها فحسب ، بل ومن حيث الاحوال والملابسات التي صاحبت وارتبطت به ، فان آية ذكرى انما يراد بها التأمل والاعتبار ، ولا بد من توفير الاسباب المادية والمعنوية التي تعين على تحقيق هذا الغرض المتوخى من الذكرى .

(1) ونزول القرآن الكريم على النبي (ص) هو باتفاق المسلمين كان منجماً أي مغزياً بحسب الوقائع التي تقتضي نزول ما ينزل منه ، اما جواباً عن سؤال وجه إليه (ص) أو حكماً في قضية عرضت عليه ، أو رداً على زعم من مزاعم المشركين في مسائل الاعتقاد والبعث والجزاء ، أو نقضاً لمطعن من مطاعن اليهود والنصارى في الرسالة الحميدة والدين الاسلامي ، أو بياناً علماً للناس جميعاً في الدعوة الى الله ، وحقائق الإيمان ، وأصول التشريع ، وأحوال المعاد ، مما اضطلع الرسول الاكرم بتبليغه الى الخلق مدة الرسالة لهدايتهم الى الدين القويم .

وهذا الامر قد أفصح به القرآن في معرض الرد على الكفار الذين انتقدوا عدم نزوله مرة واحدة « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك (1) » أي أنزلناه كذلك منجماً لتثبيت فؤادك بالوحي المتتابع الذي تتجدد به صلتك بالسماء ، ويستمر امدادها لك بالعون ، فيطمئن المؤمنون الى عناية الله بك ، ورعايته لك ، ويرتدع الكفار عن

(1) سورة الفرقان ، الآية 32 .

(2) الاتقان للسيوطي 2 ص 20 .

المسلمين لتعاليم الاسلام الذي يأمرهم بالاخذ بوسائل العلم والعدل والقوة .

ان الفراغ الذي حدث في تطبيق الاسلام شريعة وخلقا على ما استجد من الاحداث التي تتعدد كل يوم، كون فجوة بين المسلمين وبين ما وصل اليه اجدادهم حينما كانوا لا يتركون مجالا للفراغ . ويعملون دائما بمقتضى تعاليم دينهم ، وهذه الفجوة الفكرية الدينية، لم يقع ان امتلات بما امتلات به افكار الغرب اثناء انبعائه لان الصدفة لم تجعل المسلمين يكتشفون البخار ، ولا يمكن ان تمتلئ بنفس تلك الافكار او بما تطورت اليه بمقتضى تطور الاقتصاد والتقنية واكتشاف الكهرباء او الذرة ، لان المسألة ليست مسألة تبني الافكار بقدر ما هي مسابقة تطور العلم والتقنية ، وانفجار في معمماتها .

ولكن التفوق في هذه الميادين متوقف على باعث فكري ومذهبي ، لا شك في ذلك ، وذلك ما يستوجب من المسلمين تجديد الرباط المتين بينهم وبين تلك التعاليم التي سقطوا منذ تخلوا عنها حتى يتمكنوا من العبور على تلك الفجوة الى ما قبل الوقوف، ثم العبور منه بما له من محرك قوي الى عهد الذرة ، دون حاجة الى المرور بمراحل البخار والكهرباء .

فالمسألة اذن هي العودة الى الاخذ بتعاليم القرآن والاهتداء بهديه ، لانه وحده الذي يعرفنا ما ذا يجب ان نأخذ وما ذا يجب ان نذر .

والمسألة المترتبة على ذلك هي :

ما هي الوسائل العلمية التي تمكن المسلمين من اقامة بعث اسلامي يجعلهم يستأنفون في جو قرآني السير في خط التقدم الحقيقي ليواكبوا ركب الحضارة ويخلصوا الى الطليعة حيث أراد الله منهم أن يكونوا .

ذلك هو الموضوع الذي يخرج من تحقيق المناط الذي حاولت ان أقوم به ، وذلك ما ادع لحضرات الاساتذة الاجلة ان يعالجوه عسى ان نخرج من الحوار حوله بفكرة ان نحن اخذنا بها وعملنا لها دخلنا صراط الله الواضح البين .

وشكرا .

الرباط - علال الفاسي

به ، وانه لا سبيل الى انهاضهم من جديد الا اذا تخلوا عن دينهم ، واعتنقوا تعاليم الغرب كما هي . واثار ذلك عمليا في نفوس بعض قادة المسلمين الذين لم يعرفوا الاسلام ولا تاريخ المسلمين . مع ان التخلف في العالم الاسلامي حينما يبحث بدقة يظهر انه لم يواكب عهد التمسك بالدين واقتفاء تعاليم القرآن وانما واكب مرحلة وقف فيها النمو الديني في نفوس اجيال من المسلمين ، كما واكب تحول نظام الحكم الاسلامي المبني على الشورى والعدل والاحسان الى انظمة انشأتها سيطرة بعض الاذكىء على الشعوب وتسخيرها لمصلحتهم . وجاء التقدم التجاري في الغرب وما اعقبه من حملات استعمارية ، فلم يعط المسلمين فرصة التدبر في امرهم وتطويع احوالهم بكيفية طبيعية مترتبة على مدى وعيهم وادراكهم للذين كانا في بداية النزوع

ولقد جرب المسلمون للخروج مما هم فيه اليوم ، نظريات وافكارا مستمدة من الغرب شرقية وغربية فلم يفدهم ذلك شيئا كبيرا ، الامر الذي جعل ثلة صالحة من علمائهم وذوي الراي فيهم يقتنعون بان التخلف الاقتصادي والاجتماعي في بلاد المسلمين انما هو نتيجة التخلف الثقافي والديني ، وان ترك المسلمين الاخذ بتعاليم الاسلام التي تحت على الدرس والمعرفة وجعل الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها انى وجدها هو الذي اورث المسلمين هذه الحالة التي هم عليها ، فهم قد جعلوا القرآن عضيض ، حافظوا على بعض جوانبه الظاهرية واهملوا جوانبه المهمة التي لا بد منها للبقاء في خط التقدم الذي اراده الاسلام لمعتنقيه .

وهؤلاء المفكرون يجدون في آيتين من كتاب الله ما يعطيهم الحجة لما يقولون : قال تعالى : (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) . وقال : (ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى ، قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) .

واذن فمهما تكن الاسباب التي يستخرجها الباحث الاجتماعي من نقاط الضعف الموجودة في العالم الاسلامي فانها ترد الى اصل اصيل هو اهمال

ويتساءل العلامة الزركشي عن السر في هذا النزول ، ويجيب عن ذلك بقوله : « فان قيل ما السر في انزاله جملة الى السماء ؟ قيل فيه تفخيم لامره وأمر من نزل عليه وذلك باعلان سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لاشرف الامم ، قريناه اليهم لتنزله عليهم » (3) .

على اننا يمكن أن نقول في حكمة ذلك انه لاطلاع الملائكة وجميع المؤمنين بالغيب على احاطة علم الله تعالى في الازل بواقع الاشياء كما تقع غيبا لا يزال ، خلافا لمن نفى عمله بذلك من الفلاسفة والمعتزلة ، وقال انما يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات ، فهو برهان يطمئن اليه المؤمن ، ويتأيد بممارسة السيرة ودراسة القرآن .

(5) وكان اول ما نزل هو قوله تعالى (اقرا باسم ربك) (4) كما تفيدته السنة الصحيحة ، ففي البخاري عن عائشة قالت : اول ما بدىء به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حيب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى اهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرا ، قال ما انا بقارئ ، قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا ، قلت ما انا بقارئ ، فاخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، فرجع بها رسول الله (ص) يرجف فؤاده « الحديث (5) .

لكن جاء في صحيح مسلم عن جابر : اول ما نزل من القرآن سورة المدثر (6) ، وهذا محمول عند العلماء على

أن اخاك ابن مسعود يقول من يتم الحول يصب ليلة للقدر فقال رحمه الله أراد أن لا يتكل الناس اما انه قد علم انها في رمضان وانها في العشر الاواخر ، وانها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لا يستثني انها ليلة سبع وعشرين بالعلامة التي اخبرهم بها النبي (ص) (1) وحينئذ فموافقتها هو يوم 16 من غشت السنة .

(4) هذا تاريخ نزول القرآن بمعنى مبدا نزوله ، مأخوذا من القرآن نفسه ، وهو أحد المعنيين اللذين حمل العلماء عليهما الآيات الواردة في ذلك .

والمعنى الثاني أن نزوله كان جملة واحدة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجما في مدة الرسالة التي تتراوح بين عشرين سنة وخمسين وعشرين سنة على الخلاف فيها . وهو قول أكثر المفسرين ، وتؤيده الرواية الصحيحة عن ابن عباس قال انزل القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة .. أخرجه الحاكم في المستدرک ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، وأخرجه النسائي بلفظ فصل القرآن من الذكر ، فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي (ص) قال البدر الزركشي واسناده صحيح ، (2) .

ومعلوم أن هذا لا يقال من قبل الراي فحكمه الرفع الى النبي (ص) .

وهذا النزول الغيبي أن كان ما يحمل على القول به هو ابقاء الآيات الواردة في نزول القرآن على ظاهرها من نزوله جملة واحدة ، فانه لا يعارض نزوله الحسي في التاريخ المذكور أي ابتداء نزوله على النبي (ص) مفرقا ، بل أن الرواية نفسها تشير الى ذلك وتبين المراد به فهما اذن نزولان ، غيبي وحسي ، وتاريخهما واحد .

(1) صحيح مسلم ج 2 ص 126 .

(2) البرهان ج ل ص 229 .

(3) المصدر السابق ج ل ص 230 و الجملة الاخيرة وردت فيه هكذا ولقد صرفناه اليهم لينزله عليهم ، وقد صححناه من الاتقان .

(4) سورة العلق الآية (1) .

(5) البخاري ج ل ص 3 ، وقوله فغطني أي ضمني الى صدره قصد الاستئناس وازالة الرعب ، وانتهت رواية البخاري الى قوله وربك الاكرم ، ولكن رواية مسلم تنتهي الى قوله ما لم يعلم .

(6) ج ل ص 66 .

الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، على القول المعتمد ، وذلك يوافق 20 غشت سنة 570 م فان رمضان الذي انزل عليه فيه كان سنة احدى وأربعين من ميلاده ، وهي توافق سنة 610 م .

فيكون قد مر على نزول القرآن الآن بالتاريخ الهجري أربع عشرة مائة سنة بزيادة ثلاث عشرة سنة على عامنا هذا الذي هو عام 1387 وذلك بالنظر لكون مدة الرسالة ثلاثا وعشرين سنة ، ثلاث عشرة بمكة قبل الهجرة ، وعشرا بالمدينة بعدها . وهو قول الجمهور الذي عليه المعول (6) .

وبالنظر لقول أنس أنه (ص) مكث بمكة بعد الرسالة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، يكون قد مر على هذه الذكرى ثلاث عشرة مائة وسبع وسبعون سنة فقط . ولكنه قول انفرد به أنس (7) ، وقال العلماء انه مبني على الغاء السنوات الثلاث التي فتر فيها الوحي .

وتم قول ثالث بأنه (ص) مكث بمكة خمس عشرة سنة بعد البعثة (8) ، فيكون الآن قد مر على نزول القرآن عامان اثنان وأربعة عشر قرنا ، وتام ضبط هذا التاريخ يحملنا على تعيين يوم النزول أيضا من رمضان فلا يبقى مشاعا بين أيام الشهر كله . وقد اشتهر أنه كان يوم الاثنين لسبع عشرة خلت منه ، رواه ابن سعد (9) وأخذ به غير واحد وهو يخالف ما صرح به الآية الكريمة من نزوله في ليلة القدر ، الا اننا نعلم ان هذه الليلة قد اختلف فيها هي الاخرى ، ومن جملة الاقوال فيها انها منتقلة بين ليالي رمضان ، فيحتمل أن تكون في ذلك العام صادفت اليوم المذكور ، وهو يوافق 6 غشت 610 م لكن الصحيح والذي عليه المعول ان ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين ، لما في البخاري من قوله (ص) التمسوها في العشر الاواخر (10) ، ولما في مسلم من أن أبي بن كعب قيل له

وقد اهتمت الامة بهذا الفرع من علوم القرآن اشد الاهتمام ، وخصته كتب الاصول بدراسات قيمة ، وأما الذين ألفوا فيه على انفراد فهم خلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين .

وهكذا نرى عمليا أن القرآن نزل مغرقا ، وفي أوقات متباعدة ، وأن تاريخه هو تاريخ الرسالة ، ومدته هي مدتها أو قريبا من ذلك ، وأنه لا يصح أن يقال ان القرآن أي المصحف نزل في تاريخ كذا لتاريخ معين لا يمتد من تاريخ البعثة الى ما قبل وفاة النبي (ص) بتقليل .

(3) نعم هناك مبدا النزول أي أول يوم نزل فيه شيء من القرآن ، وهذا هو الذي يعطينا تاريخ الذكرى ، لانه يعتبر كيوم الولادة الذي يحتفل به سنويا كثير من الناس .

ولقد صرح القرآن بأن نزوله كان في رمضان ، وفي ليلة القدر منه على الخصوص كما قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) (2) وقال (انا أنزلناه في ليلة القدر) (3) .

واكد ذلك بالنسبة الى الليلة المذكورة قوله في الآية الاخرى (انا أنزلناه في ليلة مباركة) (4) . واذا نن فقد تحدد نزول القرآن بشهر معين ، وليلة مسماة منه ، ولكن بقي تحديد السنة التي منها هذا الشهر ، وان لم يتوقف عليها غرض الذكرى ، الا في عدد ما مر عليها من السنين .

ومن السهل أن نقول انها السنة الاولى للبعثة ، ضرورة ان النزول كان مقرونا بهذه (5) .

وبعثة النبي (ص) كانت في القول المشهور الذي يأخذ به الجمهور ، بعد مرور أربعين سنة على ميلاده الشريف . وبما أن ميلاده كان في ربيع الاول من عام

- (1) سورة العلق الآية 1 .
- (2) سورة البقرة الآية 185 .
- (3) سورة القدر الآية 1 .
- (4) سورة الدخان الآية 2 .
- (5) انظر الزرقاني على المواهب ج . ل ص 207 .
- (6) المصدر السابق ج . ل ص 208 .
- (7) طبقات ابن سعد ج . ل ص 190 .
- (8) البرهان للزركشي ج . ل ص 232 .
- (9) الطبقات ج . ل ص 192 .
- (10) البخاري ج . ل . ص 252 .

اتباعها ملة واحدة ، وان اعتبرهم التعداد الرسمي كذلك . وها هي ذي الصين الشيوعية تتبرا من الدين وتنشر الاحاد كزيميلتها روسيا ، بل انها لتتحمس للنينية اكثر من قوم لينين .

وليس بخاف ان التعداد الرسمي لاتباع الاديان في العالم يصدر من جهات غير مالوفة على الحقيقة في هذا الصدد ، فيقطع النظر عما بيناه من عدم انطباق الخبر على الواقع في أمر المسيحية ، نجد ان عدد المسلمين يكون دائما اقل مما هو في الحقيقة ، لان تلك الجهات تتعمد ذلك قصد التهوين من شأن الاسلام والفت في عضد اتباعه ، والرفع من معنويات المسيحيين واطهارهم بمظهر التفوق في كل شيء حتى في عددهم ، والا فان آخر احصاء نشر في هذه السنة وهو يجعل عدد المسلمين اربعمائة مليون ، في حين يجعل المسيحيين ثمانمائة مليون ، هو مما يكذبه الواقع تكذبا قاطعا ، فان عدد المسلمين في باكستان واندونيسيا والهند والصين وتركيا وايران والافغان والتركستان ، هو وحده اكثر من اربعمائة مليون ، فإين بقية المسلمين في آسيا وهم العرب ، وفي افريقيا ومنهم عرب كالمصريين والافارقة الشماليين ، وغير عرب كأهل الاقطار الافريقية الاخرى ؟ وإين مسلموا اروبا المنتشرون بكثرة في روسيا ويوغوسلافيا وبولونيا وفلندا والباينا وغيرها من دول اروبا ؟ وإين مسلمو الفلبين والامريكتين ؟

على اننا ننزلنا باعتبار هذه الاديان المخالفة للاسلام اديانا حقيقية ، جريا على ما يقضي به العرف والقانون ، واما اذا نظرنا اليها بنظر الاسلام وهو النظر الصحيح ، الذي يتوافق مع مراد الرسول (ص) في حديثه الآنف الذكر فانها اديان محرقة عن وضعها الالهي ، او اديان وثنية لا اعتداد بها في مفهوم الدين الحق ، ولن يكون لمعتنقها صلة او سبب يربطهم برسل الله عليهم الصلاة والسلام حتى يقال انهم سيكونون من اتباعهم يوم القيامة ، فان الرسل اول من يتبرا منهم في ذلك الموقف الهائل على ما جاء في القرآن « اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب (3) » وقال تعالى في آية اخرى خاصة بالمسيح عليه السلام (واذا قال الله يا عيسى

فمن هنا كان القرآن معجزة الرسالة الخاتمة (اولا) لان البشرية بما حققت من تطور في ميدان العلم والمعرفة ، أصبحت تتطلب معجزة من قبيل ما تأخذ به من دلائل العقل وقضايا المنطق ، لا ما يستهوي الحس ويمتلك البصر فقط ، (وثانيا) لان استمرار الرسالة المحمدية بحكم ختميتها يقتضي استمرار معجزتها المؤيدة لها ، ولا يمكن ان تكون المعجزة المحسوسة مستمرة والا صارت أمرا عاديا ، فلم يكن بد من المعجزة العقلية الباقية ببقاء الدعوة ، وقد كانت هي القرآن .

وهذا المعنى هو ما عبر عنه الحديث الشريف المخرج في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله (ص) ما من الانبياء نبي الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله الي ، فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة (1).

وقد زاد الحديث على اصل المعنى شيئا آخر ، وهو رجاؤه (ص) ان يكون اكثر الانبياء اتباعا يوم القيامة . ورجاء النبي محقق قطعا ، فاما بالنسبة الى الانبياء السابقين الذين انقضت ديانتهم ، فذلك مسلم ، لان المؤمنين بهم كانوا قلة كما نطقت به الآية الكريمة في حق نوح عليه السلام ، اذ يقول (وما آمن معه الا قليل) (2) . ولان تعاقب الانبياء الواحد تلو الآخر يجعل اتباع كل نبي بحكم قصر المدة التي بينه وبين الذي يليه عددا قليلا . واما بالنسبة الى الاديان الباقية ، فاليهودية امرها لا خفاء به ، والمسيحية وان كان التعداد الرسمي لاتباعها يفوق تعداد المسلمين ، الا ان واقعها ليس كذلك ، فان اكثر المسيحيين اليوم ملحدون ، هذا في البلاد غير الشيوعية ، واما في هذه البلاد فمن الذي يقول ان سكانها مسيحيون ؟ واما قبل اليوم فان المسيحيين كانوا قلة ، ولم يكثر سكان اروبا الا بعد عصر النهضة وتقدم الطب والعناية بالمواليد وتدبير الصحة ، ولكن صلب ذلك انتشار الاحاد ، فلم يكن كل سكانها دائما من المتدينين .

بقيت الاديان الشرقية من بوذية وغيرها ، والقول فيها مثل القول في المسيحية فانها لم يكثر اتباعها الا في العصور المتأخرة ، وقد غشا فيهم الاحاد نشوا ظاهرا على انها في الحقيقة اديان متعددة وليس

(1) البخاري ج 4 ص 183 .

(2) سورة هود الآية 40 .

(3) سورة البقرة الآية 166 .

ترجعون فيه الى الله (الآية 3) أخرجه النسائي وابن مردويه والطبري عن ابن عباس (4) ، وهذا يرشدنا الى ان ثمرة المعرفة هي التقوى التي تعني حسن السلوك ومحاسبة النفس ، فالعلم في الاسلام ليس غاية في ذاته ، ولكنه وسيلة الى تركية النفس ونفع العباد حتى يكون الانسان خليقا بهذا المنصب الرفيع الذي اهل له منذ وجود اول فرد منه ، وهو خلافة الله في أرضه ، المقضية لاعلاء منار شريعته الكفيلة بسعادة الدارين .



(6) والقرآن معجزة الاسلام الباقية على مر الزمن تقيم له الحجة على البشر ، وتؤيد دعوته بها تأييد به الدعوات التي سبقته من الامور الخارقة للعادة . الا ان تلك الخوارق قد انقضت بانقضاء مدتها ، والقرآن ما يزال ولن يزال قائما بالحجة ناهضا بالدليل الى ان يرث الارض ومن عليها ، وذلك لان الاسلام هو آخر الاديان ورسوله هو خاتم الرسل ، فلئن كانت رسالة السماء فيها مضى من الاحقاب تتأيد بمعجزات الرسل الذين كان بعضهم يأتي في اعقاب بعض معلماء مرشدا ومشعرا مجددا ، لان الانسانية كانت ما تزال في طور النمو لم تبلغ رشدها العقلي بعد ، فانها بعد البعثة المحمدية قد دخلت في سن الاكتمال والنضج الفكري ، ولم تبق بحاجة الى من يحضنها ويرعاها ، ويشمل لها المعقول بالمحسوس والغائب بالحاضر ، ولكن عليها ان تستعمل فكرها وتجعل النظر في آيات الله وملكوته ، في خلقها ونفسها ، لتعرف الحق بالدليل العقلي القاطع ، وتصل الى اليقين بالحجة والبرهان الذي لا يقبل النقض . وهذا هو ما جاء به القرآن ، ودعا اليه القرآن ، ففي كل عصر ، وفي كل جيل ، يقوم القرآن بالمهمة التي كانت تقوم بها المعجزة المحسوسة لتصديق الرسل ، ولكنه معجزة معقولة تخاطب الضمير والوجدان ، وتستثير الانسان لتحكيم عقله والاعتبار بما نصب الله عز وجل في الكون من آيات بينات ، وشواهد واضحات ، على وجوده والوحيته ووحدانيته وصدق رسوله فيها أخبر به عنه من احوال المعاد ، وما دعا اليه من عبادته والعمل بشريعته التي تحقق للخلق السعادة الابدية ، وتكفل للناس ما يصبون اليه من طمأنينة نفس وراحة بال .

ما بعد فترة الوحي التي تلت النزول الاول ، (1) والروايات المختلفة الالفاظ للحديث عند البخاري وعند مسلم نفسه تؤيد ذلك ، ونورده هنا رواية البخاري لوضوحها واختصارها ، وهي عندهما معا من طريق ابن شهاب الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر ان النبي (ص) قال وهو يحدث عن فترة الوحي بينما انا امشي ، اذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصري فاذا الملك الذي جااني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني ، زاد مسلم فذكروني ، فأنزل الله تعالى « يا ايها المدثر ، قم فأنذر ، الى قوله والرجز فاهجر ، » فحمى الوحي وتتابع (2) .

فبان بهذا ان الاولوية الحقيقية هي التي في حديث عائشة ، وان التي في حديث جابر انها هي اولوية اضافية ، لان الحديث عن فترة الوحي لا يكون الا بعد وحي سابق زيادة على ان مضمون الآيات المفتتح بها سورة المدثر وافتتاحها هذا ، مما يؤذن بسبق خطاب اقرأ على خطاب يا ايها المدثر .

ومما ينبغي تسجيله بعد تحقيق تاريخ النزول واول ما نزل ، مما تضمنه حديث عائشة ، ان مكان النزول الاول هو غار حراء ، وبذلك نكون قد تعرفنا الطرفين الزماني والمكاني لنزول القرآن الكريم اول ما نزل .

والامر الرائع في اول القرآن نزولا هو هذا الخطاب الالهي السامي المتضمن لطلب القراءة من النبي (ص) ولفت نظره الى التفكير في خلق الانسان والاشادة بالعلم ، مما يدل على ان خاصية الدعوة الاسلامية هي المعرفة ، ومن ثم قال كثير من علمائنا انها اول الواجبات على المكلف ، وقال آخرون ان اول الواجبات النظر الموصل الى المعرفة وناهيك بهذا ، على ان الحض على العلم والتنويه به وبأهله مما طفع به القرآن الكريم والسنة النبوية حتى اصبح معلوما من الدين بالضرورة .

واذا كان اول ما نزل هو قوله تعالى ، اقرأ باسم ربك ، كما ثبت لدينا بالدليل القاطع فان آخر ما نزل على الراجح والمعتمد هو قوله تعالى (واتقوا يوما

- (1) البرهان للزركشي ج 1 ص 206 .
- (2) صحيح البخاري ج 1 ص 4 .
- (3) سورة البقرة الآية 281 .
- (4) الاتقان للسيوطي ج 1 ص 27 .

والمنكر والبقي ، يعظكم لعلكم تذكرون ، وأوفوا بعهده الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا (1) .

وتأتي العقدة التي حارت عقول المفكرين في حلها وهي ما بعد الموت أو الحياة الآخرة فاذا بالقرآن يكشف عنها الستار ، ويعطي عنها بيانات مذهشة مصحوبة بالادلة والحجج الواضحة التي تجعل الغيب واقعا ، والتخيل محسوسا ، وتوحي بالايان العميق بالبحث والحساب والجزاء مما خلت منه حتى الكتب السماوية الموجودة بأيدي المؤمنين بها ، متذعرا بذلك الى ايجاد وازع ديني عند كل فرد فرد يحجزه عن اقتراف الاثم وارتكاب العدوان لانه يعلم انه مسؤول عن كل ما قدم ، وانه لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وان الآخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) (2) .

هكذا هدى القرآن البشر من الضلال ، وانار لهم سبيل الحياة الطيبة الراضية المرضية في الدنيا

- (1) سورة النحل الآية 90 — 91 .
- (2) سورة غافر الآية 39 — 40 .
- (3) سورة البقرة الآية 185 .
- (4) سورة القدر الآية 1 — 5 .
- (5) سورة آل عمران الآية 53 .

والآخرة فاي خير عظيم هذا الذي انزل في ليلة القدر من شهر رمضان ، واي ذكرى تعادل هذه الذكرى التي اتاحت للبشر ان يسعدوا سعادة لا شقاء بعدها أبدا .

ان شهر رمضان يشرف بوقوع هذا العطاء الكريم فيه (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) (3) وان ليلة القدر التي فضل بها شهر رمضان غيره من الشهور ، ليثقل وزنها بهذه الكرامة التي خصت بها حتى لا توازيها ليلة من ليالي الدهر (انا انزلناه في ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر) (4) .

وليست هذه الذكرى مما يفي بحقها كلمة قصيرة مثل هذه ، ولكن استشعار عظمة المذکور الذي هو في الحقيقة منزل القرآن ، والاستغراق في سباحات جماله وجلاله ، والتعرض لنفحاته القدسية ، والحضور بالقلب والقلب ساعة الذكرى ، لا تستفاد من الكلمات قصيرة كانت أو طويلة ، وانما تستفاد من الايمان بالقرآن والعمل برسالة القرآن (ربنا آما بما انزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين) (5) .

طنجة : عبد الله كنون



الدهريين (قتل الانسان ما اكثره ، من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره) الآية (4) .

ثم عرف المؤمنين بالله عز وجل تعريفا يحصل معه الاطمئنان ، وتنقضي عنه الوسوس فدلهم على صفاته وافعاله ولم يشغلهم بماهيته وذاته ، علما بقصورهم عن ادراك حقيقته ، وكيف يحيط الفاني بالباقي ؟ (لا تتركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير) (5) .

ومع ان نعمة المعرفة به عز وجل هي اعظم النعم ، وهي التي تقطعت دونها اعناق الفلاسفة منذ القدم ، فان القرآن لم يكتف بهداية البشر الى هذه النعمة ، بل زاد ففضل عليهم بالارشاد الى كيفية شكرها الواجب ، وذلك بان دلهم على طريقة عبادته تعالى والتقرب اليه وطلب مرضاته ، وهي ايضا الطريق التي ضل فيها من لا يحصى عددا من الحكماء المتألهين (الم ، ذلك الكتاب لا ريب ، فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون ، اولئك على هدى من ربهم ، واولئك هم المفلحون) (6) .

وكان من اعظم مقاصد القرآن ان شرع للناس ما ينظّمون به احوالهم المعاشية ويضبطون به امور الحياة الدنيا من قوانين واحكام غبرت في وجه كل ما وضع من طرف البشر في هذا العدد لانها صانت مصالح الفرد والجماعة ، وحمت حقوق الناس جملة وتفصيلا ، وكان رائدها تحقيق العدالة الاجتماعية والحرص على المساواة بين عباد الله ، فانها لم تقم للانسان ميزانا الا ميزان التقوى اي الاستقامة (يا ايها الناس انما خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (7) .

كما وضع القرآن دستور الاخلاق والسلوك الحسن ، والمعاملة الطيبة للناس (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء

ابن مريم آنت قلت للناس اتخذوني وامى الهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي ان اتول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلتة فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك آنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبد الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت آنت الرقيب عليهم ، وآننت على كل شيء شهيد) (1) .

فخلص من هذا ان نبينا (ص) هو كما قال : اكثر الانبياء اتباعا يوم القيامة ، وذلك منسجم مع كون رسالته دائمة مستمرة ببقاء الزمن ، لانها خاتمة الرسالات ، ولذلك كانت معجزتها باقية دائمة وهي القرآن .

* * *

(7) وذكرى نزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان ، ذكرى عظيمة بل هي اعظم الذكريات على الإطلاق ، لان القرآن كتاب الله اي رسالته الخالدة الى البشر التي اخرجتهم من الظلمات الى النور ، واستنقذتهم من الضلال الى الهدى ، وضمنت لهم سعادة الدنيا والاخرة ان هم عملوا بها ولم يتخذوها وراءهم ظهريا .

كان الناس يهيمنون في اودية الجهل بالله ، فمنهم من يجعل معه الها آخر ، ومنهم عبدة اصنام ومنهم من يقول انها هي ارحام تدفع وارض تبلع ، وما يهلكنا الا الدهر ، فجاء القرآن بالتوحيد مزيفا عقيدة الشرك ، ومسفها عقول الوثنيين ، ورد على الدهريين بما ابطال دعواهم والزهم الحجة على وجود الله ، هاك مثلا قوله في الرد على النصارى الذين يزعمون الوهية المسيح وامه (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وامه صديقة كانا ياكلان الطعام) (2) وقوله في الرد على عبدة الاصنام (اتعبدون ما تحتون ، والله خلقكم وما تعلمون) (3) ، وقوله في الرد على

- (1) سورة المائدة الآية 116 — 117 .
- (2) سورة المائدة الآية 75 .
- (3) سورة الصافات الآية 95 — 96 .
- (4) سورة عبس الآية 17 — 19 .
- (5) سورة الانعام الآية 103 .
- (6) سورة البقرة الآية 1 — 5 .
- (7) سورة الحجرات الآية 13 .

الذكرى ، احياء لقلوبهم ، وتنبيه لها يجب عليهم ، وتذكير لهم بما يحيط بهم ، ومن يتربصون بهم الدوائر .. وليس لهؤلاء الاعداء غاية الا ان يافل نجم الاسلام ، ويذهب من القلوب ، وتتفرق جموع المسلمين ، الى فرق ، لياكلوا كل واحدة منفردة عن اخواتها .. ثم يتوالى اخذهم للمسلمين من نواصيههم ، واحدة بعد الاخرى .

تلك امانيتهم ، وهي امانتي الشيطان .. ولكن علينا نحن المسلمين ، ان نتأزر وان نتضافر ، وان في احياء هذه الذكرى ، تضافرا في القول ، وتذكيرا بالوحدة ، وان وراء هذا القول العمل على جمع المسلمين في وحدة جامعة ، على اعلى ما يتصور من التوحيد الممكن .

هذه اشارة الى الثمرة التي يجنيها المسلمون من احياء هذه الذكرى المباركة .

على ان هذه الذكرى فيها تنبيه الى ما اتي به القرآن ، واحكام الاسلام من خير للانسانية كلها .. ولكي نعرف ما اهداه القرآن ، والاسلام للانسانية ، يجب ان نرجع الى الوراثة قليلا . لان القصر المشيد في ارض ، لا تعرف روعته الا اذا عرفت الارض التي بني عليها .. لقد كان العالم قبيل النبوة ، يموج في شر مستطير ، تتخطف الدول الضعفاء في الارض ، فكل دولة تصاول الاخرى من غير باعث من فضيلة ، انها هي الاطماع التي تسيرها .. وضعفاء كل دولة ، مأكولون لاتوبائها ، لا ضابط ينظم العلاقات بين الطبقات ، بل قويا ، يأكل ضعيفها .. ولا حاكم ينظم بين الدول ، بل كان العالم في مريخ من الشر .. حتى صاح « محمد » صلى الله تعالى عليه وسلم ، بصوت رهيب عميق ، يقول : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكمم لعلمكم تذكرون » .. يردد بذلك آي القرآن الكريم .

ولم يكتف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالنداء العميق يردد ، بل اخذ الطريق الى العمل ، وجعل من الضعفاء قوة .. جعلها تحمل الاتواء على العدل ، ان لم يكن بالاختيار فبالاضطرار .. وتجاوبت اصداء اعماله في الارض كلها ، فبث فيها النور .. ومعاني العدل . واثار لهم سبيل العلم ، لان مطلعه كان العلم ، فأول نداء كان وجهه القرآن كان : « اقرأ باسم

ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق .. اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم .. » ذلك كان الاسلام فتحا جديدا في الانسانية ، انتفع به اولياؤه ، وقبس من احكامه اعداؤه ، وتغذى بالمعرفة من المسلمين اولياؤهم واعدائهم على السواء .. فكان عصر النهضة في اوربا احدى الثمرات لاحتكاك الصليبيين بالمسلمين ، وكانت مساجد قرطبة ، ومدارسها تعج بابناء الفرنجة الذين تغذوا من لسان العلم الاسلامي ، ثم نكروا امر المسلمين . وكان لهم منهم ابشع الجرائم الانسانية .

ان الاسلام كان ثورة على كل ظلم في الارض . واحياء لحقوق المظلومين وحمايتهم ، وانه لا يزال كتاب الله تعالى قائما كما أنزله الله . يدعو الانسانية كلها الى ان تاوى في ظلاله الوارفة ... ويدعو المسلمين الى هجره فهو انسهم وفيه قوتهم ، وفي اتباعه عزتهم . ولا يزال النبي يأمرهم ويدعوهم اليه . فهو يقول : « تركت فيكم ما ان اخذتهم به ، لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنته » .. وعسى ان تكون في هذه الذكرى عودة اليه بعد طول ابتعاد ، وبعد ان ذاقوا ذل الاغتراب .. وهو يدعو الانسانية اليه ليزيلوا احقادهم ، ويطفئوا نيرانهم . فانهم ان عادوا اليه ، عادت القضب الى اجفانها . وانتقدت الخليقة من شرها ، والتقى ابناء آدم على محبة من الله ورضوانه ، ان خضعوا للقرآن واحكامه . وعندئذ يحق لابن الارض ان يقول انى اقمتم العدل فيها وهذا القرآن مفتوح يهدي للتي هي اقوم . اللهم اهدنا ووفقنا للعمل بالقرآن ونشر لوائه بين العالمين . فلا صلاح للانسانية الا به ، فان تركوه يستمر الشر في غلوائه ، والله ارحم بعباده .

فاذا كانت هذه الذكرى . فيها هذه المعاني فان احياءها جماعيا في حفل تاريخي جامع اعلان لحقائقها . ومن واجبا ان نتقدم بالتقدير للذين عملوا على اقامة ذلك الحفل الجامع ، فنعلن تقديرنا لشعب المغرب الكريم ، ولملكه التقى ابن التقى الذي استطاع ان يؤنس في هذا الحفل المبارك المسلمين بعضهم ببعض . وان يؤنسهم بالقرآن ، كلام الله تعالى الذي هو حبله الممدود الى يوم القيامة .

المغرب الاقصى : محمد ابو زهرة

صالح الإنسانية في العمل بإحكام القرآن

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أدلى صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة ، لمجلة «دعوة الحق» بالحديث التالي ، بمناسبة احتفالات المغرب بذكرى مرور 14 قرناً على نزول القرآن الكريم ، وقد كان فضيلته على رأس الوفد المصري الذي لبى دعوة صاحب الجلالة ، للمشاركة في هذه المناسبة الدينية الجليلة : قال فضيلته :



« مضى بحلول شهر رمضان المبارك هذا العام ، أربعة عشر قرناً على نزول القرآن ، وانبثاق الدعوة الإسلامية ، وذلك لأننا في العام السابع والثمانين بعد ثلاثمائة والف ، وذلك التاريخ يبتدىء من عام هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .. والهجرة كانت بعد ابتداء نزول القرآن ، والبعث المحمدي بثلاث عشرة سنة .

وان هذه الذكرى ، أحيائها واجب على جماعة المسلمين ، في مشارق الأرض ومغاربها ، لان أحياءها أحياء لانفسهم .. اذ أنه يذكرهم باجتماعهم منذ عبس التاريخ ، في أربعة عشر قرناً .. كان الاسلام في أولها ، غرض الاهاب ، خصب الجناب ، يغذي الإنسانية كلها ، ويظللها بنوره ، ويمدها بفيض خيرها ..

واذا كان المسلمون قد تفرقوا دولا وديلات ، واحزاباً وطوائف .. كل حزب بما لديهم فرحون .. ومنهم من تناسى تلك الوحدة الجامعة ، والغاية الكريمة المؤلفة ، فان أحياء هذه الذكرى في مؤتمرات جامعة

الشعوب الإسلامية من مشرق الأرض الى مغربها ، طريق معبد لاعادة الوحدة كما ابتدأت ، وتذكير المسلمين لما يجمعهم ، لينفوا ما يفرقهم .. ولذلك نقرر ونكرر القول في هذا ، ونعيده ، ان أحياء المسلمين لهذه

الصحيحة — وتدفع الى النظر في ملكوت السموات والارض — وتشرح صدرها للمناظرة والمحاكمة حتى يظهر الحق وينكشف النور ، ويتيهأ جو الفطرة التي فطر الله الناس عليها — فالقرآن ترجمة عما في الكون من كمال وجمال وفوائد وخواص — وكلمة الله في الارض انزله ليعبر ببلغته وببلاغته عن قوته ومعجزته ثم عن رحمة الله بهذا الانسان ، ثم عن اقامة الدليل على وجود الله من هذا الكون الذي اودعه الله ما شاء من الآيات والشواهد ، ثم عن الاتصال بالكون والتعرف عليه عن طريق الدراسة والرحلة والعادة والتجربة — وشهادة على ان خالق هذا الكون اكبر واعظم ، واجمل من هذا الكون كله ، ولذلك استحق خضوع الكون لسلطانه ، فليس بين القرآن والعلم أي مسافة بل القرآن هو مصدر الاتصال بالكون وهو الدلالة على ما في هذا الكون كما يعلم ذلك علماء الكون .

وما أحوج العالم الذي أصبح يئن ويضج تحت وطأة الحالة السيئة المؤلمة التي يواجهها في مختلف أرجاء الارض — الى تجربة نظام اسلامي وتطبيقه تطبيقا ساميا ، لاتقاذ مصيره ومصيره من الوقوع في فوضى عامة لا قرار لها او في حرب منكرة لا بقاء معها. وذلك ما جعل بعض المفكرين ، يغيرون نظرهم في الانظمة السائدة ، ويعتقدون انها عاجزة عن معالجة المشاكل بعدل وسلام ، ويتهمونها باشغال نار الحرب ويخلق المشاكل ووضع العراقيل امام الشعوب الزاحفة نحو التحرر المادي ، والتقدم الثقافي ، الشيء الذي ادى الى فتن داخلية ، وحروب دامية .

وما قضية فلسطين واطوارها الا مأساة الحياة الدنيا — وما قصة اليمن ، وقبرس وكشمير ، وغير ذلك الا مرآة تنعكس فيها هذه المشاكل الطويلة العريضة — وما التسارع الى التجارب النووية والتنافس في صنعها وبذل الاموال الطائلة في سبيلها الا شيء ينذر بالويل والثبور وشقاء المعمر .

والمنظمة العالمية التي تدين بميثاق حقوق الانسان ، وتقرير مصيره تتدحرج بين هذه المشاكل وتتخبط في امواجها — فهي تتألم مرة بعوامل انسانية، وتتأثر اخرى بعناصر سياسية لا صلة لها بالحق والعدل — وهي في امتحان دائم مع ضميرها ومسؤولياتها .

ولعل الشيء الذي اخر هذه التجربة هو ما عليه المسلمون من التخلف الفكري والمادي — وما آل اليه

والمطامح — ودين الوحدة والتوحيد لانه ينشد الوحدة بين سائر القوى الموجودة في هذا الكون ، وليس بين الطبيعة البشرية فحسب . فلا حرج ان كان لا يقبل التفريق والتبعض ولا يدع ان كان دين الوحدة والتوحيد — توحيد الله ، وتوحيد العبادة لله ، وتوحيد سائر الاديان في دين الله ، وتوحيد الرسل في التبشير بدين الله ، وفي اقامة ذلك الدين الواحد . « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » والتوحيد بين العادة والعبادة حتى ان النشاط العادي يعتبر عبادة من العبادات ، وما احسن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الاعمال بالنيات — والتوحيد بين القيم الروحية والقيم المادية وبين عمل الدنيا وعمل الآخرة — والربط بين السماء والارض وما بينهما في حكم النظر والاستفادة « او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله منه شيء » « وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون »

وعن هذه الوحدة الكبرى تصدر تشريعات الاسلام وتوجيهاته ونوصياته . وحدوده وفرائضه ونظرياته . فالانسان والحياة والكون والوحدة متكاملة متضامنة . بموجب مسدورها عن ارادة واحدة مطلقة شاملة « انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » وبمقتضى ذلك النظام الساري في مجموع الكائنات التي يكمل بعضها بعضا بحكم التعرف اليها والتعامل معها .

ومن ثم كانت العلوم الكونية التي يتعرف اليها الانسان تساعده على ازدهار حياته وتقوية وجوده ونفوذه . اذ كل ما يتعرف اليه الانسان في هذه الحياة يؤهله لاستحقاق الخلافة عن الله في ارضه ، ويوسع آفاق حياته . ويفجر طاقات افكاره . ومن ثم كان للعالم عناية بهذه الموسوعة الاسلامية الكبرى فدرسها دراسة دقيقة وعميقة حتى استفاد منها في سمو شخصيته ونمو نهضته ثم قدرها حق قدرها ومد يده الى ترجمتها وان كان قد ينقصها في بعض الاحيان ، اكتشاف المعاني عن طريق طبيعتها ، واعتبار السياق في فهم نصوصها .

ولقد مر على وجود هذه المدرسة اطوار واحداث وقرون واجيال وما تزال تستقبل الاجيال المتلاحقة بفلسفة حكميتها، ومنطق هدايتها وكمال موعظتها تتدعوا الى معرفة الله وتبين طريق المعرفة — ومناهج الحياة

دعوة إلى التوحيد والتجديد والثقة بالنفس .

بإستاذة الرحالة الفاروقية

انها لا تقبل التبعية في الايمان والتجربة في العمل —
فاما ان يؤخذ وحدها ككلامه لانه وحدة لا تتجزأ . ودعوة
لا تتفرق — واما ان يترك وحدها ككلامه فلا تتحرك
الحياة بجادتها ، بل تتراعى في افق غير افقها . وتتعرض
في طريق غير طريقها — واما ان يؤخذ البعض ويترك
البعض فلا ولا لان الحياة بذلك تعود حياة مقتضية او
حياة مفتضة ، لا تسلم من التناقض والافات . ولا
تصبحها سعادة الحياة ، وسعادة الممات . واسوا
من هذا ما اذا كانت الحياة تنسب الى نظامها . ولكنها
لا تكتسب من بابها ، فان ظاهرها وباطنها لا يلتقيان .
وان صاحبها وطالبها لا ينتصران ، « افتومنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا
خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد
العذاب » « قل هل ننبئكم بالاخرين اعمالا الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون ، انهم يحسنون
صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت
اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » .

وسر ذلك ان القرآن دين التجدد والتجديد . لانه
نشأ بعد ما قطعت البشرية أشواطاً ومراحل في الحياة
البدائية ، وفي الحياة النظامية ، فهو جامع شرات
الكتب السماوية وختم الانظمة الشرائعية — تلك
الانظمة التي اختلفت مناهجها ، وتعددت مناسكها ،
كما قال جل وعلا « لكل امة جعلنا منسكاً هم ناسكوه .
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » وهذا الاختلاف كان
نتيجة — لمقابلة الطبائع والمصالح ، ومراعاة الحاجات

يتراءى في آفاق العقول ، ويتغلغل في اعماق
القلوب ، ان مدرسة القرآن الكريم نهضت بالمسلمين
الاولين ، نظراً ، وعملًا ، وادبًا ، فاضطلعوا بالمهام
والمسؤوليات وادركوا معنى الحقوق والواجبات ،
وتركوا من العظائم والآثام والصالحات — وحافظت
على توازنهم وتماسكهم بتربيتهم على الايمان الصادق ،
والعمل الناطق ، والسلوك القيم — ومن شأن الايمان
بالله ان يثبت المزية الخلقية التي توضح جانب الانسانية
اكثر ما توضحها مزية الناطقية .

هذه المدرسة نهضت بقلوبهم ، وحافظت على
اخلاقهم ، وجعلت منهم رجالاً وابطالا يدفعون العار
ويحمون الجار « محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار » كما جعلتهم وسطاً في عقائدهم
وعباداتهم ومعاملتهم « وكذلك جعلناكم امة وسطاً
لتكونوا شهداء على الناس » اي بما يرضاه الله منكم
وبما يراه الناس فيكم من سمو في الاخلاق ، ونهوض
في الاعمال ، ووجود في الافاق ، اذ لا يشهد على الناس
الا افضل الناس — والمدرسة هذه تمس الحاجة الى
من يتبصر في حقائقها ، ويتحقق ببصائرها ليصل الى
الغاية والهدف « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر
فلنفسه ومن عمى فعليها . »

وانما كانت كذلك لانها تنطق عن الله ولا تنطق
عن الهوى ، فهي منهج واضح للتربية والهداية ،
ودستور قائم للحكم والعمل ، الا ان نظامها لا يقاس
بنظام البشر — وشرعها لا يوزن بشرع البشر ، كما

من وحي القرآن الكريم

للعلميد محمد عزيز الحبالي

في الندوة التي انطلقت يوم السبت 28 رمضان العظيم بكلية الآداب بالرباط ، بين مجموعة من المتخصصين في الإسلاميات أتوا من مختلف العالم الإسلامي ، تقدم الاستاذ الجليل السيد علال الفاسي بعرض كان موضوع مناقشات الندوة .

وتتلخص الفكرة الأساسية التي راج حولها الحوار في :
« ما هي الوسائل العلمية لبعث إسلامي ؟ »
والصفحات التي تلي ، مجمل لتدخل أخينا الاستاذ محمد عزيز الحبالي .

مستقبلنا

علينا ان نستخلص ، من تطور الفكر الإسلامي ، عناصر جديدة تتناسب ومواقف جديدة . ان العقائد الموجودة في عالم يتغير باستمرار لا يمكن تصورها الا في صيرورة .

فاذا كان من اللازم علينا ان نتكيف في كل يوم مع ثقافتنا وفلسفات أخرى ، من اجل كل ما يتصل بحياتنا المادية ، واذا كان مصير كل منا يوجد مرتبطا بمصير شعب بكامله تتساكن فيه مختلف العقائد والجنسيات ، بله مصير قارة او قارات ، فكيف يتأتى الاستمرار على ايقاع بطيء في نطاق الفكر والفكرولوجيات ؟

* * *

كان المفكرون ينطلقون من الله لمعرفة العالم ، وقد آن الوقت لننطلق من العالم نحو الله ، مع الآخرين . وعوضا عن مشاهدة الله والزهد ، يجب ان

ان لكل عصر واقعه وحقائقه ، كما يقول القرآن :
« لكل اجل كتاب » (13 ، 38) ولن يحقق الانسان ذاته ، بأصالة وصدق ، الا عند ما ينجح في اتخاذ

وبات من الواضح الآن أن المخرج والخلاص للمجتمع الاسلامي هو الرجوع الى الاخذ بتربية القرآن ونهضته وتعاليمه ، والى اصلاح المدارس وتحسين برامجها ومناهجها وتكوين المعلمين والمشرفين عليها تكوينا يقوم على اساس التربية الاسلامية والسيرة النبوية حتى يتأتى للنشء ان يتربى في أحضانها وأن يصعد على سلمها — وينهض نهضة صالحة شاملة تكون ان شاء الله نبراسا يستضيء بها العالم ، والله الموفق .

مراكش : الرحالي الفاروقي

أمرهم — من التحلل من عهود الاسلام ، والتحرر من دين الاخلاق — وذلك راجع فيها ، اعتقد — الى انهم ابتعدوا عما عندهم وحاولوا ان يأخذوا ما عند غيرهم ولكنهم لم يستطيعوا مضغه ولا هضمه فظلوا بدون طائل — والعادة أن الانسان لا يتمكن من الشيء فضل تمكن الا اذا زاوله بملكته وطبيعته ، ولذلك برع المسلمون من قبل في علوم الفلك والطب والطبيعة عند ما نقلوا هذه العلوم الى لسانهم ولغتهم .

صرت منهم في عافية

كان عروة بن الزبير قضى شطر عمره بالمدينة ، ثم هاجه رأي في سكنى العتيق فتجهز اليه ، واتخذ به قصرا ، فقبل له : لم تركت الناس وحديثهم ومناقلتهم قال : لاني رأيت الناس قلوبهم لاهية ، ومجالسهم لاغية ، والفاحشة فيهم ناشية ، فحفت عليهم الداهية ، فتجنببت عنهم ناحية ، وصرت منهم في عافية .

« اقرا باسم ربك الذي خلق »

خلق الانسان من علق ،

اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ،

علم الانسان ما لم يعلم . »

هذه اولى الآيات التي انزلت على محمد وهو بفار حراء ، وفي « العلق » اشارة الى النشأة الاولى للكائن البشري ، ولفت نظر الى علم الاحياء (البيولوجيا والفيزيولوجيا) . حقا ، قبل معرفة « فرائض الطهارة » و« مناسك الحج » ، مثلا ، يجب ان نتعرف على الانسان ، هذا الكائن الذي خلق « من علق » ثم أصبح احسن المخلوقات واعزها على الخالق . فالمسلم مدعو الى تعلم العلوم « الشرعية » والعلوم « الحكيمية » ، لان الاسلام يتبنى كل المعارف ، الم يخلقه الله « الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ؟

فاذا قاومت الدين بعض الاكتشافات ، جاز الاعتراض بعدم اختصاص العلم للجافة على الاسئلة التي يطرحها الدين . العلم مبني على الملاحظة والتحليل ، والاستنتاج ، في حين أن الدين يعاني ، باطنيا : تجربة يحياها المؤمن مباشرة . فالخلاف يظهر عند ما نحاول مقابلة ما نلاحظه بما نعاينه . وفي الواقع ، يوجد العلم ، لان ظواهر الاشياء والكائنات لا تختلط بماهيتها . فاستحالة هذا المزج : بين الظواهر والماهيات ، لتتيح لنا العلم ، كما تتيح لنا الميتافيزيقا والديانة . تلك ثلاثة ميادين للنشاط الفكري الانساني تتواجد ، من غير ان تتداخل .

* * *

لقد احل الاسلام « فكرة الامة » محل العصبة القبلية : فالامة معشر شمولي حيث اكرام الضيف ، وقول الحق ، وحماية الضعفاء واللاجئين ، كلها مبادئ اساسية . هذا هو اتجاه الشخصانية الاسلامية كما

تحدده ، او على الاقل تلخصه ، الآية القرآنية الآتية :

« من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه :

من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض ،

فكانما قتل الناس جميعا ،

ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا » (7 : 32) .

ونجد صدى هذه الآية يتردد في حديثين ، من جملة احاديث كثيرة ، يستخلصان مبادئ الاخلاقية الاسلامية ومفهوم الانسانية والانسان في الاسلام .

« لا يؤمن احدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » .

« من فرج على مؤمن كربة من كرب الدنيا ، فرج الله عليه كربة من كرب الآخرة » .

(و . . .) « الله في عون العبد ، ما دام العبد في عون أخيه » .

ذلك شعار السلوك الامثل للمسلم في الحياة ، يفترض الحكمة الشهيرة : « أعن نفسك ، يعنك الله » .

* * *

يقول المثل : « لو انصف القاضي لاستراح الناس » ، ونظن انه من الممكن ان يقال : « لو انصف الناس لاستراح القاضي » . ومعنى « انصف الناس » هو احترامهم للحقيقة وللواقع . وسينصف المسلمون عند ما يتناولون القرن العشرين ، فلا يحكمون على منجزاته الحضارية وعلى تياراته الفكرية الا بعد دراستها بجدية واثقان ، فتبقى استنتاجاتهم ملاصقة للواقع ، مقدسة للحقيقة ، اذذاك سنكون قد بنينا مستقبلا على اسس اخلاقية الاسلام يتبنى مكتسبات الحضارة المعاصرة .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

تكون شهداء على آثار خلقه تعالى : فلنخرج من انطواء الذات لنعمل ، ولنصير افرادا ذوي فعالية ، اي ليكون كل واحد منا انسانا بكل ابعاد الانسانية ، وأن نقيم العمل من جديد . **فبالعمل ، وفي العمل ، يلتقي الانسان بالانسان ، وتنشأ علاقات مع الله ، اذ العمل واسطة بين الناس ، وواسطة بين الانسانية والتعالى .**

فما الحقيقة ؟

هل الحقيقة في عالم المثل ، أم في عالم العرف والعادات ؟

اذا اعتبرها المسلم كهدف يجب ان يحقق ويكتسب ، صار حاملا لحقيقة غير مجردة . فالعمل ، كقيمة محسوسة ، يرد الانسان الى نفسه ، ويدخله في التاريخ ، هكذا يصير المسلم شاهدا على وجود الحقيقة الانسانية والصدق والاصالة ، مما يستلزم حسن التدبير ، ومعرفة افضل السبل لاستعمال تعاليم القرآن والسنة . انها عملية مزدوجة: تشذيب وتطهير .

الحقيقة في اساسها ليست واحدة ، فهي عند المسلمين غيرها عند سواهم (على اختلاف صور الالحاد والحلوية ...) وان لم تكن الحقيقة سوى فترة من فترات صيرورة دياكتيكية ، فهي ، مع ذلك ، ليست ذاتية محضا ، او موضوع مشاهدة ، وليست توكلا او تعاليا مطلقا . ان حقيقة مجردة تجريدا صرفا ، وغير مستندة على اي نطاق محسوس ، ودون صلة بالواقع الحي المعاصر ، لا يستحق ان يطلق عليها اسم حقيقة ، لانها بعيدة عن المعاملات ، (اي كل الفعاليات التي تكون القسط الاوفر من الفقه) . **فحقيقة الوحي شيء ، اما تبرير كل شيء بالوحي فشيء آخر .**

باستطاعتنا ان نبعد النظر في شرح كل آية او كل حديث ، دون ان نشك في الحقيقة الالهية والقيمة الجوهرية للقرآن ، او بعض ما جاء في السنة . فعلى من يريد شرح نص ديني ان يكون مفسرا ، وفي نفس الوقت فيلسوفا ، لان دور الفقيه اليوم ، كدور المحدث ، لم يعد منحصر في الشرح فحسب ، فهو مطالب ايضا بالبحث عن التكيف المناسب . فبدلا من البحث الحرفي الجامد ، يجب ان يحصل تأمل واع للنصوص ، وفحص دقيق للتاريخ الواقعي ، كما يعاينه

الاسلام اليوم وكما تعانیه الاتجاهات الموازية له (1) . **هناك خاصية للوحي ، كما ان هناك خاصية للتأمل في الوحي ، واتصال الخاصيتين وتفاعلهما هما اللذان اخصبا الفكر الاسلامي ، في عصوره المجيدة (مثل عصر المعتزلة ، وعصر ابن رشد) .**

لا يكون الوحي كشفا وهداية الا بقدر ما ينسجم ومستوانا حيث يتانسن بالحوار مع تأملنا وبحشنا على ان نتقدم ونتفتح ، وهذا لا يتأتى اذا انزلت التعاليم جاهزة ومكتملة ، بكيفية نهائية . فالشرط الضروري لتحقيق فعالية تستهدف اصلاحا حقيقيا هو قابلية الدين للتأني والتكيف المستديم . وكذلك الجهود التي لا تبذل الا لمواجهة حقائق الساعة ، من اجل الفاعلية فحسب ، لا يتمخض عنها الا تطور مصطنع . **فتصافر التوق الى الحقيقة مع التجند من اجل الفعالية هو الطريق المبدع الذي يؤدي الى تجديد اصل .** هذا الطريق يقود الى معرفة دينية ، ولكنها معرفة تكافح من اجل سعادة مادية ، في هاته الدنيا : ايها يحفز الاهتمام بالتكيف المستمر مع الواقع الحالي الذي يستتير ، بدوره ، من نور الحقيقة . وسيبقى التراث الاسلامي الاصلي السامد الذي يسمح للتقاليد المكتسبة بالازدهار والتفتح نحو المستقبل ، كلما انطلقنا من تعريف المسلم بأنه « من سلم الناس من لسانه ويده » (حديث) .

بهذا ، سيسترجع الاسلام قدرة التوتر نحو شموليته البدئية ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، سيروي غليل ظلما المسلمين الى المثل الاعلى المزدوج ، اي الحصول على خيرات الدنيا وجزاء الآخرة معا (2) . انه بحث واقعي عن الحقيقة ، ببغطة وحماس . هكذا سينتقد عالم الفيبيات دون ان يكون عائقا عن تحقيق حاجيات الفكر ، والعلم ، والعمل .

اذا لم يحصل توافق تام بين العلم والمعتقدات الدينية ، فذلك لا ينتج عن اكتشافات علمية خاصة ، ما دام الاسلام لا يتناقض معها ، بل يتبناها ويستفيها .

- (1) طبعاً ، الامر لا يتعلق هنا بموضات واذواق عابرة ، لحقبة معينة ...
- (2) هذا المثل الاعلى هو ما يلخصه الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

امره ، اقرارا منهم بأن له من السلطان على العقول والافئدة ، ما لا يعرفون له شيئا الا في اخذة السحر ونفوذ الكهانة وأسر السحر .

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . »

* * *

والتاريخ لم يمهّد قبل الاسلام ، ان يكون « كتاب » معجزة نبي من الانبياء الاولين ، ولعله اذ يتأمل في سر المعجزة ، يلحظ ان معجزات الانبياء كانت تسير تدرج البشرية في مراحل تطورها من قديمها الاسطوري الى عصر الانسان : موسى عليه السلام تلقى رسالته وقد آن للبشرية ان تجاوز عصر السحر ، فكانت معجزته سحرا يقلب أفانين السحرة في زمنه ، ليؤمن القوم ان معجزته ليست في طاقة البشر ، ويصدقوا بنبوته ، ومن ثم يتبعونه وهو يهديهم الى مرحلة جديدة ، لكن قومه سرعان ما نكصوا على اعقابهم ، وزيفوا كلمات رسالته واستبدلوا بعبادة الخالق ، عجلا من ذهب !

ومن بعده تلقى عيسى عليه السلام رسالته وقد آن للبشرية ان تنتقل من عصر عبادة الابطال البديل لعصر تعدد الآلهة .. وكانت البطولة حينذاك تقتصر بالخوارق ، فجاءت معجزة المسيح الخارقة ، لكي يؤمن الناس بنبوته المؤيدة بما يجاوز مألوف الخوارق البطولية ، ومن ثم يتبعونه وهو يقودهم هاديا الى عصر التوحيد .

لكن معجزة المسيح الخارقة ، ما لبثت ان التبتت على قومه ، فقال اكثرهم بألوهيته ، وهو الذي جاء لينسخ برسالته عصر الشرك وعبادة الابطال ويدعو الى عبادة الخالق وحده .

ومضت ستة قرون على مبعث المسيح ، أنهكت البشرية خلالها بالصراع المذهبي بين القائلين بلاهوتية المسيح والقائلين بناسوتيته ، وأن للمقيدة الدينية ان تتحرر من كل شائبة تمس التوحيد الذي هو جوهر الدين كله ، فاصطفى الله سبحانه محمد بن عبد الله خاتما للرسل والانبياء ، بشرا سويا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ..

وضع اراده لها متهموها - نذر تحول مرتقب ، وتعبيرا عن قلق جانح تجاه الاوضاع التي كانت تسود العالم كله في القرن السادس الميلادي ، وتطلعا الى نور ينسخ ظلمات ليل طال ..

* * *

ثم لما بزغ النور في ليلة القدر ، عجب الناس ان يكون المصطفى بشرا مثلهم ، ابن امرأة من قريش تأكل القديد ..

واستغربوا ان ينزل عليه الوحي من السماء في تلك البقعة المنزلة من غار حراء بظاهر مكة ، عاصمة الوثنية العربية ، وأنه لبشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، وتجاوز عليه اعراض البشرية مثلما تجوز على كل البشر !

* * *

وعلى مدى تلك القرون الطوال ، ما يزال التاريخ كلما استرجع ذكرى تلك المعجزة ، خشع مبهورا يتعجب كيف تهيا لبشر امي أن يواجه الدنيا بدين جديد يحطم جيروت الوثنية ويتحدى عتو الارستقراطية ، ومعجزته الكبرى كتاب ، كلمته الاولى « اقرا » .

كتاب عربي مبين ، لم يأت بلفظ لا يعرفه العرب ، ولا اضاف حرفا لم يمهده في حروف هجائهم . لكنه ما كاد يتلو كلمات منه ، حتى بدأ تحول حاسم وخطير ، في حياة العرب وحياة الانسانية جميعا !

ولقد فرض الكتاب اعجازه من اول المبعث ، فمئذ تلا المصطفى عليه الصلاة والسلام ما تلقى من كلمات ربه تعالى ، ادركت قريش ما لهذا القرآن من اعجاز لا يملك اي عربي ، يجد حسن لفته وذوقه الاصيل ، الا التسليم بأنه ليس في طاقة بشر . ومن هنا كان حرص طواغيت الوثنية على ان يحولوا بين العرب وبين سماع هذا القرآن ، فكانوا اذا اهل الموسم وأن وفود القبائل للحج ، ترصدوا لها عند مداخل مكة ، ليحذروا كل وافد من الاصغاء لما جاء به محمد من كلام لم يدروا به يصفوه !

قالوا هو شعر ، وقالوا هو سحر ، وقالوا هو كهانة ! وقد عرفوا الشعر رجزه وقصيده ، والسحر وتمتمته ورقاه ، والكهانة وزمزمته ، وما جهلوا ان القرآن ليس شيئا من هذا كله ، فكانت حيرتهم في



المعجزة

للكتورة "عائشة عبدالرحمن" بنت الشاطئ *

والديانة الموسوية قد آل أمرها الى عصابات من يهود ، صرفت كلمات الله عن مواضعها ، ونسيت رب موسى ، سبحانه وتعالى ، فعكفت على وثنها الذهبي المعبود ، لا تخشع لرب سواه .

والوثنية تمارس سحرها العتيق في صميم الجزيرة العربية ، فتغشي ابصار العرب وبصائرهم ، وتعطل عقولهم وضمائرهم ، فهم على اوثانهم التي خلقوها بأيديهم ، عاكفون ..

* * *

في تلك الظلمة الفاشية ، كان حتما ان يبرز نور فجر جديد ..

فجر تطلعت اليه ارهاصات ملات جزيرة العرب بمشيرة برسول آن مبعثه ..

تحدث بها الكهان من عرب والرهبان من نصارى والاحبار من يهود ، واتجهت روافدها من هنا ومن هناك وهناك ، فتركزت حول البيت العتيق : مثابة حج العرب من قديم الزمان ، واقدم بيت عبد فيه الله على الارض .

ارهاصات ، ان يتهمها المحدثون ويحملوها على مخترعات السمار ومنحولات الرواة ، فاللذي لا شك فيه ان التاريخ ارفع سمعه لها ، ولح فيها - على اي

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » سورة الاسراء

على مدى اربعة عشر قرنا من الزمان .

وكلما دار عام القمر دورته وهل هلال شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وقف التاريخ خاشعا مبهورا يرنو الى ليلة القدر ويطوي اليها الاماد ، كي يستجلي سر المعجزة التي بدا بها عصر جديد للانسان ..

قبل ان يبرز نورها الاسنى ، كانت الظلمة قد اثبتت ونشرت لفاعها الاسود على هذه الارض .

دولة الرومان ، معقل المسيحية ، تترنح تحت معاول الصراع المذهبي ، بعد ان انهكها الصراع الحربي مع الفرس ، تنازعا على مناطق النفوذ والسلطان .

ودولة الفرس ، معقل الجوسية ، تصلى نارها المعبودة ، وقد سطع لهبها في معابد الجوس واحتدم اوارها في المعارك الحربية .

(*) من مقدمة كتاب فن « الاعجاز البياني للقرآن الكريم » يصدر قريبا بمشيرة الله تعالى .

التعليم القرآني

المُؤَدِّدُ ضَا اللّٰهُ اِبْرَاهِيْمُ الْإِلَغِي

نقط البحث : فرض التعلم في الاسلام — امكنة التعليم القرآني — اولا المساجد —
ثانيا الكتاتيب — ثالثا المدارس العلمية — نظم التعليم القرآني — مناهجه وطرقه —
الطريقة التطبيقية — احترام المعلم — مكافأة التلاميذ ...

السير والاعخبار والقصص .. لذلك عظم اقبال المسلمين على هذه العلوم في مختلف العصور وقتل اقبالهم على غيرها في بعض العصور .. لهم في ذلك منشآت تعليمية ومناهج وطرق تختلف باختلاف الاقطار والازمان ..

امكنة التعليم القرآني :

اولا — المسجد — الجامع :

اول ما عرف المسلمون الاولون التعلم — او التعليم — عرفوه في المسجد النبوي بالمدينة المنورة في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه — ثم في المساجد التي تأسست وانتشرت مع الاسلام .. اذ كان الرسول (صلعم) يعلم اصحابه ، وهم يعلم بعضهم بعضا ، في رحاب المسجد وفيهم الصغير والكبير .. ثم انتشرت هذه الطريقة في كل مكان ، فكل من اراد علما ، او اراد ان يبيت علما ، فانه يقصد المسجد حيث يجد من يأخذ منه ، او عنه ، ثم لم يلبث ان تصدر لذلك افراد معروفون تفرغوا له واصبحوا معلمين ، يتحلق الطلبة حولهم في اوقات مخصوصة وبكيفية معلومة (انظر كتاب المساجد الكبرى لاحمد عطية) .

ان القرآن هو اصل التعليم الصحيح في الاسلام فهو الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات ..

ابن خلدون

من المعلوم ان الاسلام فرض على اتباعه طلب العلم ، وتعلم القراءة والكتابة وفرائض دينهم وضرورات حياتهم ومعاشهم ، اذ ان اول آية نزلت : اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم — تفرض ذلك كما فرضته آيات اخرى واحاديث نبوية : — وقل رب زدني علما — هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون — طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة — اطلب العلم ولو بالعين — اطلب العلم من المهد الى اللحد — بل قيل ان لفظة العلم اكثر الالفاظ تكررا في القرآن الكريم بعد لفظة الجلالة « الله » .

وهذه النصوص وان كانت تعم في معنى العلم الذي امرت المسلمين بطلبه والبحث عنه .. الا ان علماء الدين كثيرا ما صرفوه الى العلوم الدينية والى العلوم التي تعين عليها والى الادوات التي لا يحصل التعلم الا بها كعلوم اللغة والخط والحساب والفلك وما اليها من

حسما لاي جدل او شبهة في بشريته ، واتقاء لتورط المسلمين في اتخاذه مع الله الها ، وتنقية لجوهر الدين من كل رواسب عصور تعدد الالهة وعبادة الابطال .

وكانت المعجزة الشاهدة على نبوة هذا البشر الرسول ، قرآنا عربيا مبينا يعيى العرب ان يأتوا بمثله ، ليصدقوا بنبوته ويتبعوه وهو يقودهم هاديا على الطريق المستقيم الى عصر الانسان الذي لا يقر بعبودية لغير خالقه .

* * *

واذ جاء الاسلام مصدقا لما بين يديه من رسالات الله ، ومنقيا لجوهر الدين الحق من كل شائبة ، اختدت به الاديان ايلانا بان الانسانية شارفت مرحلة رشدتها وصارت اهلا لاحتمال امانة انسانيته وتكاليف وجودها الحر ، مهتدية بهذا الكتاب المعجز الذي اعيى العرب ان يأتوا بسورة من مثله، وقد نزل بلغتهم وكانت في عز اصالتها ونقاها ، لم تشبها عجمة ولم تختلط بغيرها من اللسن .

ولقد تحداهم القرآن الكريم ان يأتوا بمثله فعجزوا . وجاءت آيات التحدي والمعاجزة في العهد المكي الذي نزلت فيه سبع وثمانون سورة . وبعدها في مستهل العهد المدني نزلت آية البقرة تحسم القضية بقوله تعالى :

« وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي اعدت للكافرين . »

وآمن العرب ، ودخل الناس في دين الله افواجا . ومات محمد صلى الله عليه وسلم كما يموت كل البشر « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

وانتهت قضية الاعجاز من مجال اثبات النبوة لبشر رسول ، لتظل مطروحة على الاجيال المتعاقبة ، التماسا لسر المعجزة ..

وبقى هذا القرآن ، كتاب الدين كله ، وآية التاريخ الكبرى ، والمنار الذي يهدي الانسانية في عروجها على مراقي تطورها ، وسعيها الدائب لتحقيق وجودها الامثل .

اي تكريم للبشرية ان يصطفى بشر منها نبيا رسولا ؟ !

واي مجد للبيان ، الذي هو خاصية الانسان ، ان يكون « الكتاب » آية نبوة ومعجزة رسول ؟ !

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . صدق الله العظيم .

الرباط : الدكتورة عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطيء)

« فما دامت قلوبنا في صفاء ، وافئدتنا متجهة نحو التعاليم الالهية ، وما دمنا متعاضدين ومتضامنين فالله معنا ، وسيرشدنا ويساندنا » .

جلالة الحسن الثاني

بنت ولدت داخل القصور — ولو كانت من الرقيق — لا تحسن الكتابة والقراءة الا نادرا ، وربما وجد في نساء القصر من تحفظ القرآن بالروايات كحفصة بنتت السلطان المولى عبد الرحمن ، وكان في نساء القصر من تقوم بتعليم بنات القصر الكيبريات اللاتي فاتهن التعلم زمن الصغر عند المؤدب الراتب كالاميرة خنائة الشهيرة التي كانت تعلم نساء القصر في عهد المولى اسماعيل ، واذا لم توجد اختير معلم ضرير ، استمر العمل على ذلك داخل القصر الى ان نفي محمد الخامس سنة 1953 حيث انه — رضوان الله عليه — كان أنشأ معهدا داخل المشور بجوار قصره لتعليم ابنائه الذكور وابناء افراد حاشيته ، ومعهد آخر لتعليم بناته وبعض بنات شعبه ، ولما رجع من منفاه واعلن الاستقلال اخذ الامراء والاميرات يتابعون دروسهم في المدارس العامة مع افراد الشعب .. غير ان نية الملك الهمام الحسن الثاني حفظه الله متجهة الى الاحتفاظ بالتقليد القديم المناسب بمقام الامراء .

ثالثا : المدارس العلمية

كذلك تأسس بجانب المساجد امكنة اخرى للتعليم القرآني وما اليه .. تعرف بالمدارس ، فاذا كان الباعث على تأسيس الكتاتيب هو ابعاد لفظ الصبيان عن المساجد فان نفس السبب هو الباعث على تأسيس المدارس لكن بالنسبة الى ضجيج الكبار، اذ ان الاطفال عند ما يكبرون يغادرون الكتاتيب ويلتحقون بحلقات الدروس التي تعقد برحاب المساجد .. على نحو ما قاله الامام الشافعي عن نفسه : كنت يتيها في حجر ابي فدفعني الى الكتاب ، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد .. وقال ابو بكر بن العربي عن اهل الاندلس : ان الصغير منهم اذا عقل بعثوه الى المكتب واذا حنق ما قدر ما قدر له خرج الى المسجد (احكام القرآن لابن العربي) وكانت اصوات هذه الافواج المتواردة من الكتاتيب تتردد في جنبات المساجد مع اصوات المقرئين والعلماء الحاضرين ، في اوقات وامكنة متقاربة ، فتحدث ضجيجا يتنافى مع وقار المسجد ، فاتضحت صعوبة احتمال المسجد لشؤون العبادة ولشؤون التعليم في آن واحد .. فأحدثت المدارس خارج المساجد، فانتقل اليها بعض العلماء مع طلابهم وخاصة الذين يهتمون بدراسات معينة على اسلوب مغاير ، مثل المواد التي تحتاج الى ادوات ، او التي تعتمد على الحوار او الانشاد .. بالاضافة الى ان اكثر المدارس تتوفر على اقسام داخلية لا يواء الطلبة واحيانا لسكنى الاساتذة ، وغير ذلك من المرافق اللازمة لجموع الطلبة

وترهيبا حتى لا يتراخوا في هذا الواجب الاجتماعي المقدس ، ففي كتاب الاستقصا للناصرى ان السلطان المولى عبد الرحمن تقدم الى عماله بالاقاليم ان يلزموا كل مدشر بتأسيس كتاب قرآني ومسجد دينسي والقيام بمؤونة الفقهاء الذين يقومون بالتعليم فيها ، وان يعتبر كل من قصر في ذلك مذنبا تجب معاقبته — بناء على ما تقرر عند الفقهاء من أن ذلك داخل في فروض الكفاية التي يتحتم على جماعة المسلمين القيام بها والا اثموا جميعا — فكان ذلك من جملة الاسباب التي ساعدت على انتشار الكتاتيب القرآنية في كل مكان يغدو اليه الصبيان ويروحون من دون عناء ولا كبير كلفة ، وهي تقوم بالدور الاول في تعليم الاطفال التعليم الاول .

وكانت روح المساواة سائدة في الكتاتيب .. لا فرق بين ابناء الاغنياء . وابناء الفقراء في الاعم الغالب، لان نظام الطبقات قلما يلوح في النظم الاسلامية، وكذلك البنون والبنات ، فانهم احيانا يختلطون في الكتاتيب ولكن في الاعمار الصغيرة ، واما اذا تجاوزوا العشرة فانهم يفصلون ، كل على حدة ، البنات في جانب والذكور في جانب ، او لكل من الجنسين كتاب خاص .. وقد ادركنا نحن ، بعض الكتاتيب الخاصة للبنات في بعض المدن المغربية وكانت تسمى « دار المعلمة » تعلم اعمال الابرة والقراءة .

كما كان بعض ذوي البيوتات الكبيرة كانوا يفضلون احضار المعلم الى بيوتهم لتلقين اولادهم — وخاصة البنات — القرآن وضرورات الدين ، خوفا من اضرار الاختلاط .. وكذا ارباب السلطان فانهم قلما يوجهون اولادهم الى الكتاتيب العامة ، بل يخصصون في قصورهم جناحا يقوم فيه المعلم بتأديب اولادهم (لذلك كان معلم اولاد الملوك يسمى بالمؤدب) وتهيئتهم للهمام الجسام التي تنتظرهم على منهج خاص يليق بهم ، وكانت وظيفة هذا « المؤدب » جذابة للغاية لا يصل اليها الا العلماء المشهود لهم بالكفاءة والمقدرة في شؤون التعليم .

من ذلك ما ذكره ابن زيدان في كتابه النظم الادارية من ان القصور السلطانية بالمغرب لم تكن تخلو من استاذ خير نزيه لا شغل له الا تعليم بنات القصر القراءة والكتابة والضروري من علوم الدين ، وان كل شريفة تتعلم لابد لها من داية تراقبها داخل المكتب ، ولا يشاركهن في المكتب ذكر ولو كان شقيقهن ، واذا بلغت البنات العاشرة احتجبت ولم يبق لها سبيل للخروج الى المكتب ولا رؤية المؤدب ، ولم تكن توجد

فمن ثم كان المسجد هو النواة الاولى للتعليم القرآني في الاسلام ، بجانب اقامة الصلوات وانواع العبادات التي أسست لها ، وايضا بجانب الاعمال الاجتماعية الاخرى التي كان المسجد مركزا لها في مختلف البقاع الاسلامية كالتضاء وعقد الاجتماعات العامة واستقبال الوفود وبعث البعث والاعلان عن الاوامر والقرارات السلطانية وغير ذلك مما له مساس بالحياة العامة وبالمجتمع (نفس المصدر) .

اشتهرت بذلك عدة مساجد في انحاء العالم الاسلامي ، وخاصة الدور الهام الذي لعبته في التعليم القرآني وما اليه — ولاشك ان في مقدمتها المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ويحج اليها المسلمون .. ثم المسجد الاموي بدمشق والجامع الازهر بالقاهرة وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس ، وجامع قرطبة ، ونجف الاشرف ، وزاوية جغبوب ، وغيرها شرقا وغربا .. وكان التعليم فيها حرا الى ابعد الحدود لا يتقيد بوقت ولا بسن ولا بمنهاج الا ما سنه المعلم لنفسه ولطلابه ، قلما يتدخل احد في توجيهه او تقييده ، الا اذا كانت هناك ضرورة تقضي بتدخل ذوي السلطان خوفا مما يثير الراي العام او يخل بالنظام القائم .. ظل الامر كذلك الى ان جاءت النهضة الحديثة فأصبحت تخضع لنظم التعليم الحديث ولكن بمقدار ..

ثانيا : الكتاب .. او المسجد

لما كان المسجد مكانا عاما يجتمع فيه الكبير والصغير للعبادة والتعليم وللشؤون العامة ، كان من الاليق وادعى الى الاحترام ابعاد كل ما من شأنه ان يمس بحرمة وان يحدث فيه اللغط والضجيج ، لذلك أسرع المسلمون الاولون الى اتخاذ امكنة خاصة بجانب المسجد — او خارجه بعيدا عنه — يعلم فيها الصبيان على حدة بمعزل عن الكبار .. عرفت باسم الكتاب في الشرق وباسم المسجد في المغرب (وهو اختصار من المسجد او مشتق من كلمة السيادة كما ان الكتاب مشتق من التكتيب أي تعليم الكتابة) يعلم فيها الصبيان عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يروى : « جنبوا المساجد صبيانكم وسفهاكم » وعللوا ذلك بان الصبيان لا يتحفظون مما لا يليق بحرمة المساجد (فجر الاسلام لاحمد امين) .

فكان الكتاب الاسلامي اول مؤسسة تربوية خاصة بتعليم الاطفال في الاسلام ، نشأ بعد المسجد او مع المسجد ، وعم سائر البقاع الاسلامية ، وظل المكان الرئيسي لتعليم الصغار طوال القرون الاولى والاخيرة

واول كتاب عرف في التاريخ الاسلامي هو الذي كان بجانب مسجد الرسول بالمدينة ، اذ ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرق بعض الاسرى العارفين للقراءة والكتابة مقابل ان يعلم الواحد منهم اثني عشر صبيا من ابناء المسلمين (نور اليقين للخضري وكذلك سيرة ابن هشام) كما روى ان أم سلمة ، احدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم — ارسلت الى معلم الكتاب ان يرسل اليها بعض الصبيان ليساعدوها في بعض شؤونها (كتاب التربية الاسلامية لاحمد شلبي) .

ثم ازداد عدد الكتاتيب القرآنية وانتشرت .. ولم يمر قرن من الزمان حتى بلغت من السعة والعناية درجة عالية أشبه ما تكون بمدارس نظامية ، مثل ما حدثوا عن كتاب المعلم أبي القاسم البلخي الذي كان يعلم به نحو ثلاثة آلاف تلميذ ، ينتقل بين اقسامها على دابة (المصدر الآنف الذكر) وما زالت الكتاتيب تزداد حتى أصبح بكل قرية كتاب بل أحيانا أكثر من كتاب ، ذكر الرحالة ابن حوقل في كتابه (المسالك والممالك) انه عد في مدينة باليرمو بصقلية — يوم كانت مسلمة — ثلاثمائة كتاب ..

وكان هذا هو الشأن في بلاد المغرب ، حيث انه بمجرد ان تم الفتح الاسلامي لهذه البلاد رتب الولاة الفقهاء والقراء .. يعلمون النشء تعاليم الدين والقرآن الكريم .. مثلما فعله القائد موسى بن نصير الذي رتب الفقهاء والقراء وأسس الكتاتيب والمساجد .. على ما قرره ابن خلدون وغيره من المؤرخين .

وقد عد كثير من المؤرخين المغاربة الكتاتيب التي تتوفر عليها المدن المغربية التي يؤرخونها مثل عدد الكتاتيب التي ذكر صاحب القرطاس أن مدينة فاس تتوفر عليها في وقته .. ومثل ما ذكره صاحب المعجب من أن مدينة مراكش كانت في عهده تزخر بالكتاتيب القرآنية وقال ان ابناء الخلفاء الموحدين كانت لهم كتاتيب خاصة داخل قصورهم وانه هو نفسه كان احد التلامذة مع اولاد المنصور ..

وكانت العادة المتبعة في حواضر المغرب وقراه ان اهل الحي هم القائمون على تأسيس الكتاتيب لاولادهم والساھرون على عمارتها وترتيب المعلمين بها .. واذا تراخوا في ذلك عدوا مقصرين ومهملين لشؤون دينهم ، وربما نالتهن السلطة بالعقاب والوعيد ، ومما يدل على ذلك تلك الاوامر السلطانية التي كانت تصدر من حين لآخر في هذا الشأن ترغيبا للناس

فكان هذا من الحوافز على التفكير واغتنام أيام الصغر .. غير أن ذلك مصحوب أيضا بارهاق الطفل .. فتأتي النتائج أحيانا عكسية ، إذ يكثر نفور الأطفال من التعلم وتسوء حالتهم الصحية وينقطعون .. فإذا كانت الأقلية المكدودة تصل إلى الهدف فإن الأكثرية يعثرها ما يسبب لها البطء أو الانقطاع ..

وأما التوقيت اليومي فإنه يبتدىء غالبا من الفجر أو من الشروق وينتهي بغروب الشمس أو بعد صلاة العشاء ، لا يتخلل ذلك إلا استراحة الزوال نحو ساعة ونصف .. والتوقيت الأسبوعي يبتدىء في الغالب من ظهر يوم الجمعة وينتهي قبل ظهر يوم الخميس ، فلا تستغرق العطلة الأسبوعية إلا نحو يوم .. ولا وجود للعطلة السنوية — الصيفية — ولا لغيرها — باستثناء عطل الأعياد الثلاثة الدينية — نحو عشرة أيام في كل عيد ، لذلك سميت بالعواشر في الاصطلاح المغربي .. وإذا جمعنا أيام العطل الأسبوعية والسنوية نجدها نحو شهرين ونصف طول السنة كلها ، وهي قدر طفيف بالنسبة إلى ما تتطلبه الأجسام الصغيرة والعقول الطرية من أسباب النشاط والمرح ، أضف إلى ذلك انعدام الاستراحة خلال ساعات الصباح وساعات المساء ، أيضا فإن كثيرا من المعلمين يمنعون الأطفال من ممارسة أنواع اللعب .. يرونها منافية للاداب وعائقا عن الحفظ والتحصيل .. ولاشك أن هذا رأي خاطيء يصدم أصول التربية الصحيحة التي نادى بها علماء التربية في كل عصر .. وحتى علماء التربية الإسلامية أدركوا هذه الحقيقة ونصحوا المعلمين بالسماح للأطفال باللعب ترويحيا بعد انقضاء ساعات الدرس ، فهذا الربيع الفيلسوف الغزالي يقول في كتابه الأحياء : أن منع الصبي من اللعب وارهاقه بالتعلم دائما يميئ قلبه ويبطل ذكائه وينقص عليه العيش » وكذلك العبدري فإنه يحذ بشدة ضرورة الألعاب والترويح عن الطفل .. ولكن مثل هذه النصائح قلما تسمع وتنبع ، وإنما تعيش في بطون الكتب .

وأيضا شدة العقاب .. فإن كثيرا من معلمي الكتاتيب القرآنية معروفون بالفظاظة وجفاء الطبع ، قلما يعرفون من وسائل التعليم إلا التهريب والتهديد ، والزجر والقهر إلى أبعد الحدود ، فترى الطفل بين أيديهم يرتعد ، ولا يدري متى ينزل عليه العقاب ، لأنه لا دنى سبب ، والمعقوبة هي الضرب وقلما يستعمل غيره ، فهو يشتد على الأطفال المهملين لواجباتهم وعلى المعاندين .. ويخف على الآخرين ، وبالحرى لا ينجو منه أحد — والعصا أو المجلدة هي أداة الضرب على

المأثور : اطلب العلم من المهد إلى اللحد — أي أن المرء لا يقتيد بزمن في تعليمه ، لا عند البدء ولا عند الختم ، فالمدار على الاستطاعة أولا وأخيرا .. من هنا كان صعبا تحديد السن التي كان يجب على الطفل فيها الالتحاق بالكتاب .. فكان كل أب يتصرف حسب ما يرى ، قد يحمل ابنه على التعلم وهو دون الثالثة أو في الرابعة كما في حالة الأمين بن هرون الرشيد الذي أجلسوه للمؤدب وهو في الرابعة أو يترك في البيت يلهو ويلعب في غفلة من ذويه إلى أن يتجاوز السابعة إلا أن الأعم الغالب في كثير من الأقطار الإسلامية هو السن السادسة الخامسة أو بعدها بقليل (كتاب مبادئ التربية الإسلامية لاسماء فهمي) .

على أن علماء التربية المسلمين انتقدوا هذه الفوضى وبحثوا الأمر من الناحية التربوية ، فهذا العبدري من علماء التربية القدماء ينتقد في كتابه (المدخل لعلوم الشريعة) الآباء الذين يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب في سن مبكرة ، قائلا أن السلف لم يكونوا يرسلون أبناءهم إلى الكتاب إلا في السن السابعة التي يكفون فيها بتعليم الصبي الصلاة والفضائل الخلقية ، وزاد يقول أن الأطفال لا ينتفعون بالتعلم في سن مبكرة .. فحذر المعلمين من عناء تعليمهم ناصحا لهم بأن الآباء إنما يرسلونهم إليهم للتخلص من متاعبهم في البيت وليس الغرض تعليمهم — ولاشك أن هذا الرأي يتفق مع البحوث التربوية الحديثة التي أثبتت أن التفكير في تعليم الطفل يؤثر في قواه العقلية ..

كذلك لم تكن هناك مدة محدودة ينتهي إليها الطفل في الكتاب ، فقد يكث فيه إلى العشرين من عمره . وقد يغادره قبل العشر ، فالمقياس هو نجابته واجتهاده في تحصيل ما يلقنه ، مثل ما حكى عن الإمام الشافعي أنه دخل الكتاب في سن مبكرة فاستظهر القرآن والأحاديث وهو دون العشر ، ثم غادره إلى المسجد وهو ابن عشر (تاريخ التربية الإسلامية لأحمد شلبي) وكذلك ابن سينا فلقد أنهى تعليم الكتاب وهو ابن عشر — ولوحظ أنهم كانوا يتباهون بالتفكير في التعليم وسرعة التحصيل والحفظ ، اغتناما لزمن الصغر ، والمقل طري مرن ، وتسابقا مع عامل الزمن وقبل حدوث المواقف .. حتى لا يفوتهم التعليم في إبانته ، كما يقول المثل : التعلم في الصغر كالنقش على الحجر ، أو كما قال الشاعر :

أراني أنسى ما تعلمت في الكبر
ولست بناس ما تعلمت في الصغر

القرويين الذي احاطوه بمجموعة من المدارس ما زالت ماثلة للعيان شهادة بالفن المعماري الاندلسي الرائع ، وكذلك بمراكش والرباط وسلا ومكناس وغيرها ، يقول صاحب الاستقصا : وبالجمله فان آثار بني مرين الباقية تشهد بما كان لهم من فضل على تأسيس المدارس العلمية وعلى عمارتها ..

ويظهر أن ملوك بني الأحمر بغرناطة تشبهوا بالمرينيين في هذا السبيل ، بدليل المدرسة العربية المعروفة بغرناطة بطرازها المريني التي شيدها يوسف الاول من ملوك بني الأحمر ، قال عنها مؤرخ اسباني « تقليد للمدارس المرينية » وقال لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الاحاطة : أن الذي أحدث المدرسة بغرناطة هو رضوان الحاجب من وزراء بني نصر ..

وتخطيط المدرسة في الأعم الغالب يسير وفق تخطيط المساجد بحيث تتوفر على أمكنة العبادة والطهارة ، وتزيد باستعدادها الكامل للدراسات المستمرة ولسكنى الطلبة المنقطعين لطلب العلم ولسكنى بعض الاساتذة أن اقتضى الحال ، مما صرح معه أن تعد في نفس الوقت اقساما داخلية .. وأغلبها يأتي من حيث الهندسة والزخرفة آية في الجمال تستهوي النفس وتجذب الانتظار وتحببها الى الطلبة وأهل العلم ذلك في المدارس المرينية الماثلة للعيان ، كالمدرسة الصباحية التي بناها أبو الحسن المريني بفاس والمدرسة العنانية التي بناها ابنه أبو عنان ذات الساعة الأثرية العجيبة القائمة على أبوابها ..

وتلك صفحة زاهية مشرقة في تاريخ التعليم القرآني بالمغرب .. وددت لو اتسع المقام لذكر مئات المدارس العلمية المبنية في قبائل المغرب شمالا وجنوبا التي يلتحق بها الاطفال بعد استظهار القرآن ..

نظم التعليم القرآني

فيما يخص التعليم الاولي بالكتاتيب القرآنية .. فإن الباحث تواجهه صعوبات عند محاولة تحديد النظم الدراسية ومواد الدراسة في مختلف مراحل التعليم القرآني ، نظرا لتطاول المهود وتقدم الأزمان ، ولامتداد الرقعة الإسلامية شرقا وغربا ، مما جعل التقارب جد عسير ، والتشابه فقط هو الممكن في هذا الصدد .

أما فيما يرجع لزمن التعلم فانه كان عند عموم المسلمين : من المهد الى اللحد — على حد التعبير

الا أن تأسيس هذه المدارس قد تأخر نسبيا ، إذ انه لم يعرف في العالم الإسلامي الا في اواسط القرن الخامس الهجري ، حيث تأسست أول مدرسة من ذلك النوع ببغداد حوالي 457 هـ الموافق 1065 م — على يد الوزير نظام الملك في الدولة السلجوقية ونسبت اليه وعرفت بالمدرسة النظامية وكانت غاية في الجمال والكمال ، وأسس هو نفسه مدارس أخرى في أرجاء مملكته .. وقيل أن ناحية نيسابور عرفت تأسيس المدارس قبل بغداد (انظر تاريخ الجامعات الإسلامية لغنية) .

واقتنى الملوك والأمراء اثر نظام الملك لما رأوا من فائدة مدارسه ، فظهرت مدارس كثيرة على غرارها شرقا وغربا ولا سيما ببلاد الشام ومصر .. تنافس الأمراء والأثرياء في عمارتها وتوقيف الأملاك عليها ، فقد ذكر المقريزي أنه كان في القاهرة وحدها 63 مدرسة وذكر ابن جبير أنه وجد ببغداد 30 مدرسة ..

وكذلك الملوك المغاربة فأنهم اقتنوا اثر المشاركة سريعا في ذلك المضمار .. إذ أن يوسف بن تاشفين أسس في نفس القرن الخامس الهجري مدرسة الصابرين بفاس .. وبعده أسس الموحدون جملة مدارس نموذجية لتدريس العلوم الضرورية لتسيير شؤون الدولة ، كمدرسة تعليم فن الملاحة التي أسسها عبد المومن الموحي بالرباط (مكان مدرسة الودايا الحالية) والمدرسة الادارية التي أسسها كذلك عبد المومن بالعاصمة مراكش لتخريج الموظفين ، وقد ذكر صاحب الحل الموشية أن طلبة هذه المدرسة المنيفين على بضعة آلاف كلهم في عمر واحد كانهم أبناء ليلة واحدة ، وأن عبد المومن استدعى بعض علماء الاندلس للإشراف عليها .. وكذلك المدرسة الملكية الخاصة بتعليم الأمراء الموحدين .. ومدارس أخرى أسسها الموحدون في أرجاء مملكتهم الواسعة — لا نطيل بذكرها — (انظر كتاب العلوم والفنون في عهد الموحدين لمحمد المنوني) يضاف الى ذلك البيت المعروف عندهم ببيت الطلبة بالعاصمة الذي كان موعدا للبحث والمناظرة على ما ذكره المقري ..

ولكن العصر المريني هو ازهى عصور تأسيس المدارس العلمية بالمغرب ، إذ أن أول سلاطينهم يعقوب ابن عبد الحق المريني بنى عدة مدارس في انحاء المملكة ووقف عليها الاوقاف وأجرى على الطلبة والاساتذة المرتبات ، واقتنى اثره بنوه في ذلك ، فاستكروا من بناء المدارس العلمية وأجروا عليها الارزاق وعمروها بالكراسي العلمية والاوقاف .. ولا سيما ازاء جامع

وأما علماء التربية المسلمون فانهم بدورهم يرون التنوع في المنهج القرآني ، فان القابسي — من علماء التربية — يوصي بضرورة تعليم القرآن والصلاة والحساب والشعر والنحو والعربية — ويرى ابن سينا البدء بحروف الهجاء والقرآن ثم الشعر ثم مكارم الاخلاق ، وكذلك ابن مسكويه يوصي بمبادئ الحساب وقواعد اللغة — وكان ابن سينا يرى أيضا أن يكون مع الصبي في المكتب صبية حسنة آدابهم مرضية اخلاقهم ، لان الصبي عن الصبي القن ، وهو عنه آخذ ، وبه آتس — لان التقليد من أقوى واسرع العوامل في التربية وخصوصا في مرحلة الطفولة .. وقد عقد ابن عبد ربه فصلا في الموضوع من كتابه العقد الفريد ، وعنه نقلنا العبارات الآتية الذكر .

فصح لنا مما استعرضناه ان المنهج القرآني لم يكن يخرج عن المواد الآتية : الكتابة والقراءة ، الخط ، القرآن الكريم ، الحديث الشريف ، اركان الايمان ، قواعد الاسلام ، الحلال والحرام ، الاخلاق الحميدة ، الحساب ، الشعر ، اللغة ، الاخبار والقصاص والمغازي .

واذا تعلق الامر بتربية اولاد الخلفاء والامراء والقواد اضيفت مواد أخرى تقتضيها المهام التي تنتظرهم كالفرسية ، والرمية ، والسباحة ، والخطابة ، والملاحم ، وآداب المجالسة والمخالطة .. ليكتسبوا النجارب ويتدربوا على تحمل المسؤوليات .. من ذلك ما كتب به عمر بن الخطاب الى عمال الامصار « علموا اولادكم السباحة والفرسية ، ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر » — ومن احسن المناهج التربوية التي كانت تصلح لتربية الامراء ما وصى به هرون الرشيد مؤدب ولده الامين « ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمره قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك امير المؤمنين ، اقرئه القرآن ، وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام ، وامنعه من الضحك الا في وقته ، وخذه بتعظيم بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه .. الخ » .

الطريقة التطبيقية :

وأما الطريقة التطبيقية التي كانوا يسلكونها في تلقين تلك المواد فهي أيضا تختلف وتباين .. فبعضهم سبل الى الاخذ بطريقة التدرج فيها شيئا فشيئا ، يلقي منها على التلميذ ما هو اوفق لسنه واقترب الى طبعه

ويؤخر ما هو ادعى الى الجهد والى الطاقة العقلية اذ ان نظام الانتقال من فصل الى فصل .. او من قسم الى قسم ، غير معهود في النظام الاسلامي العتيق .. وانما كان كل تلميذ يتدرج بمفرده او مع بعض اقرانه حسب اجتهاد كل واحد وتوجيه المعلم او الاب .. فهذه طريقة التدرج التي بينها ابن خلدون في مقدمته بقوله : اعلم ان تلقين العلوم انما يكون مفيدا اذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا ، يلقي الى المتعلم اولا مسائل كل باب وتشرح له على سبيل الاجمال ، ثم يرجع اليها ثانيا فيرفع فيها تلك الرتبة ويستوفي الشرح والبيان ، ثم يعود اليها ثالثا فلا يترك عويصا ولا مغلقا الى ان يستولى على ملكته .. وكذلك الغزالي فانه ينصح بان يؤجل الطالب عويص المسائل الى ان يتقدم في العلوم ثم يختار علما يتبحر فيه ، اي يتخصص

على ان كثيرا من المعلمين لم يكونوا يراعون هذا التدرج — ولو جزئيا — بل كانوا يلقيون على المتعلم بادىء ذي بدء المسائل العويصة ، يطلبونه بطلها وفهمها وهو غير قادر ، حاسبين انهم بذلك يآخذونه بالحزم وسرعة المران ، في حين انهم يلقيون الحسب في ارض غير مهيأة فتضيع جهودهم ويخسر متعلموهم ، لذلك عاب عليهم ابن خلدون بقوله : انهم يخلطون على المتعلم بما يلقيه من غايات الفنون قبل مبادئها ، فان قبول العلم والاستعداد لفهمه ينشأ تدريجيا فالمتعلم يكون اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج الى ان تتم ملكته في التحصيل — ثم يقرر ابن خلدون ان القرآن هو اصل التعليم الصحيح في الاسلام فهو الذي يبنى عليه ما يحل بعد من الملكات ..

وفصل ابن خلدون طريقة كل قطر في ذلك : بأن مذهب اهل المغرب هو الاقتصار على تعليم القرآن ، فلا يدرس الولد معه شيئا من الحديث او الفقه او الشعر او الادب .. يتركون ذلك الى ان يحقظ القرآن او ينقطع دونه .. وأما اهل الاندلس فيبدأون بتعليم القرآن ولا يقتصرون عليه ، بل يخلطونه برواية الشعر والترسل — يعني النثر الفني — ودراسة قواعد اللغة وتجويد الخط وكتابة الانشاء ، وفي تونس وما اليها يخلطون تعليم القرآن بالحديث وقوانين العلوم ، الا ان عنايتهم بالقرآن والخط أكثر .. يشبههم في ذلك اهل المشرق غير ان هؤلاء يفردون الخط بمعلم خاص ، يتعلمونه كما يتعلمون سائر الصنائع .. ومثل هذا سجله ابن بطوطة في رحلته اذ قال : ومعلم الخط عند المشاركة غير معلم القرآن ، معلم الخط لا يعلم غيره.

أطراف الأصابع أو أسفل القدمين بعد شد الوثاق بآلة
« الفلقة » المعروفة .

ولقد تعرض علماء التربية المسلمون لهذا النوع
من العقاب القاسي — المنفر — فاستكروه واعتبروه
مخافيا لاصول التربية — استنكره ابن سينا والغزالي
والعبدري وابن خلدون ، وغيرهم ، ذاهبين الى ان
اللين انفع وسائل التأديب ، وأنه اذا لم يكن من العقاب
بد فليكن بالطريقة التي وصى بها هرون الرشيد مؤدب
ولده الامين حيث قال له « لا تدع ساعة تمر به دون
أن يفتنم فائدة ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا
تمعن في مساحته فيستحلى الفراغ ، وقومه ما
استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة »
وقد قالوا ان الشدة هذه هي التانيب او المنع من
اللعب .. وقال ابن خلدون « ان من كانت تربيته بالعصف
والقهر ذهب نشاطه وذل وصار حميلا على غيره
وانطبع على الكذب والخبث وفسدت معاني الانسانية
فيه » .. والغزالي ينصح المعلمين بان يصلحوا عيوب
الاطفال أحيانا بالتغاضي عنها والتغافل حتى لا يفضح
الطفل امام زملائه لأول مرة ، واذا عاد ينبغي أن يعاتب
سرا ويخطر ، واذا احسن ولو مرة يكرم ويمدح بين
النفس .. الى أن قال : ان المعلم كالطبيب لو عالـج
جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم (احياء علوم
الدين) وبذلك كانت التربية الاسلامية تتمشى — ولو
نظريا — مع روح التربية الصحيحة فيما يرجع لترغيب
التلاميذ وترهيبهم .

منهج التعليم القرآني .. وطرقه

يتضح من استعراض تطورات هذا النوع من
التعليم عبر الاجيال والقرون ان الهدف الاسمى منه
هو التكوين الديني الخلقي بجانب ما أمكن من المعارف
التي تمت اليه .. حسب ما يتراءى من المناهج المخططة
او المتعارف عليها — على الاصح — الراجعة الى
التعليم الاول القرآني — فنبادر الى القول بانه ليس
هناك برنامج متفق عليه في أطراف العالم الاسلامي ..
باستثناء شيئين اثنين فان معظم الاقطار لا تكاد
تختلف حولهما ، وهما تعليم القراءة والكتابة وتلقين ما
تيسر من القرآن .. فهذا القدر يمكن أن يقال انه مشترك
بين سائر الكتابات القرآنية في العالم الاسلامي ، ومنه
يتبين علة تسميته بالتعليم القرآني ، لان الصبي لابد
معه أن يحفظ ما تيسر من القرآن ، امثالاً لقوله تعالى :
فاقرعوا ما تيسر من القرآن .. أوضح ذلك ابن خلدون
في فصل عقده في مقدمته تحت العنوان : « تعليم الولدان
واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه » قال فيه

ان تعليم القرآن شعار الدين درج عليه المسلمون في
جميع الامصار ليسبق الى القلوب ويؤدي الى رسوخ
الايمان — وقال الدكتور احمد شلبي في كتابه المذكور
— تاريخ التربية الاسلامية — ان منهاج الكتاب مبني
على القرآن مما جعل وجوده متوقفا على وجود حفظة
القرآن الكريم في الاوساط الاسلامية .

ومع ذلك .. فان كثيرا من الكتابات القرآنية ،
وبالاخص في العهود الاولى ثم في عهد النهضة الحالية
— لا تكفي بتعليم القراءة والكتابة ويتلقين الآيات
الكريمة .. بل تضيف الى ذلك مواد أخرى .. حسب ما
قرره احمد شلبي .. من أن القرآن هو نقطة الارتكاز
في الدراسة الاولى وان مواد أخرى تتبعه ، تكثر وتقل
حسب مقدرة المعلمين وهمة الآباء ..

ونستخلص من الوصايا التي كان بعض الآباء
يوجهونها مع اولادهم الى المعلمين انهم كانوا يرغبون في
ان يتعلموا الحساب مع الكتابة ، فهذا ابن التمام
يقول للمعلم « علمه الحساب قبل الكتاب (الكتابة) فان
الحساب اكسب من الكتاب » وانهم كانوا يرغبون في
ان يروا الاشعار الفصيحة لانها تنمي فيهم ملكة اللغة
وتكسبهم الطباع العربية الاصلية من فصاحة ومروءة
وكرم وعزة النفس ، قال هشام بن عبد الملك لمؤدب
ولده « اول ما اوصيك به أن تأخذ بكتاب الله ثم روه
من الشعر احسنه » كما يوصونهم بان يرووه من كلام
الرسول ومن الخطب العربية ومن الاخبار والمغازي ،
قال عمرو بن عتبة لمؤدب اولاده « علمهم كتاب الله ،
وروهم من الحديث اشرفه ومن الشعر اعفه ، وعلمهم
سنن الحكماء والخطب والمغازي » كما كانوا يوصونهم
بتقويم الاخلاق وغرس الفضائل والاخذ بالقدوة الحسنة
وكان مما قاله عمرو بن عتبة للمعلم « ليكن اول اصلاحك
لولدك اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة
بك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح
عندهم ما تركت » وقال هشام بن
عبد الملك « ان ابن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني ،
وقد وليتك تأديبه فعليك بتقوى الله ، واد الامانة »
ومن النصائح المشهورة قول عبد الملك بن مروان لمؤدب
ولده « علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، واحملهم
على الاخلاق الجيلة ، وروهم الشعر ينجدوا ويشجعوا
وجالس بهم اشراف الناس واهل العلم ، وجنبهم
السفلة والخدم ، ومرهم فليستاكوا عرضا ، وليبصوا
الماء مصا ولا يعبوه عبا ، واضربهم على الكذب ،
وجنبهم شتم الاعراض ، واحملهم على صلة الرحم ،
واعلم ان الادب اولى بالعلم من النسب »

يكون شخصا محترما ، فلما سألت عن السبب قال :
ان المسلمين يقدسون المعلم ، يتبركون بسببته ،
ويعلمون بسلهه ، فاردت أن انعم بهذا التقديس
قال الاب : فعذرتة ، وقلت له : يا للعجب جئت لتعلمهم
شيئا فاذا بهم علموك أشياء .

مكافاة التلاميذ :

وعلى أي حال فان التعليم القرآني كان ميسورا -
لا يحتاج الى عظيم كلفة ، بل هو مجاني محض ، لا
يكلف العائلة كبير عناء ، بل ان بعض الكتاتيب كانت
تكفل أبناء الفقراء واليتام وتقوم بنفقاتهم ، على ما
ذكره الجهر شتاني في كتابه الوزراء من أن يحيى بن
خالد البرمكي أسس كتاتيب لآبناء اليتام ووقف عليها
ما يكفي لحاجتهم ..

وكان كذلك نجباء التلاميذ يشجعون بالمكافآت
والجوائز المادية والأدبية ، ذكر أحمد شلبي أن المكافآت
والجوائز المالية كانت منتشرة جدا .. فكثيرا ما كان
مؤسسوا الكتاتيب والمدارس يجعلون لمكافاة التلاميذ
حصيلة في أوقافهم .. فكانت توزع على من حفظ كذا ..
أو ختم كذا .. أو أحسن علم كذا .. حسب شرط الحبس
— كما كانت توزع من حين لآخر جوائز سنوية
سلطانية على نجباء الطلبة والتلاميذ .. أو من أرباب
الخير والاحسان .

كما أن العائلة كانت تكرم ولدها النجيب تشجيعا
له وتنويها .. وتقيم حفلة عمومية يحضرها استاذ
وزملاؤه واصدقاء العائلة كلما وصل الى درجة معلومة
في التحصيل ، كختم القرآن ، أو تخرج ، أو عودة ..
من ذلك ما شاع في بعض الاوساط كمظهر لتكريم النجباء
أن يركب المحتفل به على حصان وهو يرتدي إبهى الحلل
ويحيط به اخوانه واقربانه ، ويسير الموكب في الأزقة
وسط التهليل والزغاريد ، وتنتشر عليه الأزهار ..
وأحيانا الدراهم .. جاء في كتاب الاغانى لأبي الفرج
الاصبهاني أن علي بن جلبة لما حقق بعض ما يحفقه
الصبيان حمل على دابة ونثر عليه اللوز ..

ومن ذلك أيضا الحفلة المعروفة في بعض
الأوساط المغربية « بالختم » وفي فاس تسمى
« حبيينا » لانهم ينشدون فيها قصيدة : حبيينا ، حبيينا ،
مولاي محمد .. وهي حفلة تقام للطفل عند ختم القرآن ..
— كله أو بعضه — وطريقتها اقلية حفل كبير في دار
الطفل يدهى اليه المعلم والتلاميذ والاصدقاء وأهل

الإجر في هذا الشأن لا يتعارض بالضرورة مع مرضاة
الله ولا مع الاخلاص في أداء الواجب الديني
— الاجتماعي — فالمعلم مهما سميت نفسه وبلغ الزهد
في أعراض الدنيا ، فلا بد له من مكسب يفي بحاجاته
وضرورات أهله .. فكلما كان له أجر ثابت معلوم كان
أصون له وأشرف من الخروج الى السوق والبحث عن
أسباب الرزق .. ويزداد شرفا اذا كان هذا الإجر يأتيه
من مؤسسات عمومية كبيت المال (خزانة الدولة)
والأوقاف .. لذلك كثرت الأوقاف في الاسلام على أمكنة
التعليم سواء الكتاتيب والمساجد والمدارس ، يوزع
ربعا على المعلمين والمتعلمين والقائمين عليها .. واذا
قصرت ولم تكف أخذت بقية النفقات من بيت المال
(الحضارة الإسلامية لم ت) ومن أمثلة ذلك ما حكاه ابن
بطوطة في رحلته من أن ملك ايدج بالشرق كان يقسم
خراج بلاده اثلاثا ويجعل الثلث في نفقة التعليم ..

وأجمالا .. فان من مميزات المعلم القرآني انه كان
سامي المهمة عالي المكانة .. الى درجة تقديس الأطفال
وأفراد العائلة آياه .. يروون في حقه الحديث المنسوب
الى الرسول صلى الله عليه وسلم « من علمك حرفا
من القرآن فهو سيدك وسيد أولادك وتلاميذك الى يوم
القيامة » .. ولما قال شوقي بيته المشهور الانف الذكر
لم يبق أحد في المشرق والمغرب الا وحفظه لانه عبر عن
شعورهم نحو المعلم أصدق تعبير .. وجاء في كتاب
بيان العلم وفضله لابن عبد البر أن هرون الرشيد سأل
جلساء يوما : من هو أكرم الناس خدما .. فقالوا :
انت ، وهب الله لك خير الخدم من عرب وعجم ، فقال :
لا ، أكرم الناس خدما الكسائي ، يخدمه ابناي الأمين
والمأمون ، فقد أشرفت عليهما بالأمس ، وقد خرج
الكسائي من المكتب ، فتسابقا الى نعليه ، كل منهما
يريد أن يقدمها اليه .. فهذا أكرم الناس خدما .. وفي
نفس الكتاب حكاية أخرى تدل على مدى تقديس أهل
الاندلس للمعلم ، وهي أنه لما توفي أبو سائب معلم
بقرطبة أغلقت الأسواق يوم موته وكسر نعشه تبركا
بأعواده ، وكان تلاميذه زهاء أربعمئة فكسروا الواحهم
وأقلامهم ومحابرهم حزنا عليه ، وأقاموا على ذلك عاما
كاملا .. ومما يدل على ما كان من عظيم احترام المعلم
عند المغاربة ما جاء في مجلة افريقيا التي كانت تصدر
بطنجة بقلم الاب يوحنا تحت عنوان « العادات المتأصلة
بالمغرب » ما نصه : « أعرف شخصا مسيحيا من عرب
لبنان قضى في تعليم أولاد السلطان عبد الحفيظ نحو
ثلاث سنين ، كان يعلمهم خلالها اللغات الأجنبية ، وفي
يوم من الأيام أصبح بالعمامة والسلهام ، وتصنع أن

وهناك رواية تشير الى أن بعض المشاركة ربما اخروا تلقين القرآن الى أن يحقق التلميذ الخُسط والحساب والعربية .. وهي ما كتبه أبو بكر بن العربي في احكام القرآن : « وللقوم في التعليم سيرة بديعة وهي أن الصغير منهم اذا عقل بعثوه الى المكتب فيتعلم الخط والحساب والعربية ، فاذا حقق ذلك خرج الى القرىء فيلقنه القرآن سماعا ، أو في مصحف ، فيحفظ منه كل ربع حزب أو نصفه أو حزبا » — ويزيد ابن جبير هذه النقطة وضوحا بقوله « وتعلم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها انما هو تلقين (سماعا) فتزيتها لكتاب الله عن ابتدال الصبيان له بالاثبات والمحو في الألواح ..

وذلك انه بالبلاد المغربية والاندرلسية شاعت عادة تعلم الكتابة والقراءة في الألواح الخشبية التي تحى ثم تكتب من جديد ، وكذلك كتابة حصص القرآن على اللوحة فاذا حفظت محيت بالماء ، ثم تكتب حصص أخرى وهكذا ، فرأى المشاركة أن محو القرآن بتلك الطريقة منافي لحرمة القرآن .

وما زالت طريقة الألواح هذه (بصلصالها وصماغها وأقلامها القصيبة) هي المتبعة في كتاتيب المغرب ، وإن أصبح بعض المعلمين يعوضونها بالمصاحف ، إلا أن الأكثر يفضل الألواح على المصاحف لأن حرمة المصاحف اعظم واشد ، زيادة على أن استعمال اللوح ادعى الى سرعة الحفظ والى التدرب على الكتابة وتجويد الخط ..

والقرآن مقرون دائما بالحفظ والاستظهار ، لا يكتفي معه بالفهم والسرد ، بل أن حفظه هو الأهم .. ولا سيما بالنسبة للصغير الذي ينطبع على قلبه ولسانه سريعا ، ولا ينساه مدى الحياة ما دام يكرره ويعاوده.. ومن ثمة كان الحفظ من أهم شروط التعلم عند المسلمين الاولين الذين عرفوا بغزارة الحفظ وقوة الذاكرة ، حتى انهم كانوا يعيبون الاتكال على الأوراق قال شاعرهم :

استودع العلم قرطاسا فضيعه

ويش مستودع العلم القراطيس

وقال آخر :

ليس بعلم ما حوى القمطر

ما العلم إلا ما حواه الصدر

احترام المعلم :

ومما يتصل بطرق التعليم القرآني وبآدابه أن المعلم كان يتمتع باحترام زائد في الأوساط الإسلامية ..

وبصفة خاصة عند تلامذته الذين كانوا يبجلونه اعظم تبجيل .. ولكي تكون تعاليمه أفيده وتربيته أوقع في النفوس كان يتحتم عليه أن يبدأ بنفسه ، ويصلح عيوبها ويقوم اعوجاجها ، والا كان تأثيره في الأطفال عكسيا ، يروم اصلاحهم فيفسدهم ، قال ابن المقفع في كتابه الادب الصغير « على من نصب نفسه معلما أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والرأي واللفظ ، ليكون تعليمه بسيرته ابلغ من تعليمه بلسانه » .. وفي مثل هذا المعلم قال شوقي بيته السائر :

تم للمعلم وفه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

ارابت اشرف أو أجل من الذي

يبني وينشء انفسا وعقولا

فاذا توفر هذا الشرط في المعلم كان حريا أن يؤثر في تلامذته تأثيرا روحيا ونفسيا يسمو به وبهم الى مرتبة الابوة الروحية ، لذلك شاع في الأوساط الإسلامية اعتبار المعلم المثالي ابا روحيا ، على الأطفال أن يطيعوه ويبجلوه كآبائهم سواء بسواء ، بل أن بعضهم يقول أن الأب الروحي أحق بالطاعة والامثال — كما أن على المعلم أن يعطف على تلامذته كأولاده من صلبه أو أكثر ، وأن يكون تعليمه وتربيته اياهم خالصة لوجه الله الكريم لا يبغي من ورائه جزاء ولا شكورا..

لذلك عالج علماء التربية المسلمون قبول الاجر عن التعليم ، هل هو جائز أم لا ، أجاز ذلك الغزالي في تعليم المواد غير الدينية ، ومنعه أكثر العلماء اطلاقا ، لكونه واجبا اجتماعيا ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فيها يروى : اعطوهم ولا تؤاجروهم فتخرجوهم .. ورضوا فقط قبول الهدايا والصلوات التي يتطوع بها الآباء عند العطلة الأسبوعية أو بمناسبة الأعياد وحفلات الختم .. ولا تدخل تحت شرط (مفتاح السعادة لزادة) لذلك كان أكثر المعلمين في الصدر الأول يكسبون قوتهم من الطرق الأخرى ولا ينقطعون للتعليم إلا نادرا.. ونكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون أن بعض الأمراء لما أحدثوا مدارس نظامية وفرضوا الاجور للمعلمين ، انكر ذلك بعض العلماء واقاموا ماتما وقالوا « كان أرباب الهم يشتغلون بالعلم لشرفه ، ثم تشوف اليه الاخساء وأصبح حرفة »..

على أن هذا تشدد في الدين ، حملت عليه الفيرة وخوف تسرب الماديات اليه .. وقد أفتى بخلافه كثير من الفقهاء ، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : أحق ما أخذتم عليه الاجر كتاب الله .. إذ أن قبول

المركز الدينية الإسلامية بالاتحاد السوفياتي

للمفتي ضياء الدين خان ايشان باباخان
رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى



ولد الاستاذ السيد مفتي ضياء الدين خان ابن الرحوم المفتي ايشان بابا خان بطشقند سنة 1908 ، وتربى تربية اسلامية على يد والده الذي كان من العلماء الافداد ، كما تلقى بعض المبادئ الاولى في العلوم على جده الرحوم الذي كان من كبار المدرسين والمشايع في الطريقة النقشبندية .

وبرجع نسبه الى سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
ترعرع السيد مفتي ضياء الدين رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى في بيت علم ودين ، حيث حفظ القرآن الكريم ، وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، ثم درس علوم الآلة بطشقند في مدرسة براق خان لدى مدرس عالم بالنحو والصرف والفقه ، وقد انتقل اليوم طلبة هذه المدرسة الى بخارى بعد ان صارت نظارة دينية للمسلمين بآسيا الوسطى ، كما درس علوم الحديث لدى استاذ من بلاد الشام كان قد اجازه شيخ الاسلام محمد بن ابي شعيب الدكالي المغربي بمكة المكرمة ...

وقد انتخب الاستاذ مفتي ضياء الدين خان قاضيا لجمهورية اوزبكستان سنة 1943 ، وفي هذه السنة سافر الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج عن طريق القاهرة التي اقام بها اكثر من شهرين تلقى خلالها دروسا مع طلبة الازهر في التفسير وفنون الحديث والعلوم الانسانية

وانثناء اقامته بالمدينة المنورة اجازته الاستاذ الحافظ حسن شاعر ، وقال له :
« انت ولدي ، وتلميذي بطشقند ، بارك الله فيك »
وقد انتخب سنة 1948 نائبا عن والده الراحل الذي كان متضلعا في مختلف العلوم بالعربية والتركية والفارسية

وقد رجونا من فضيلة الاستاذ السيد ضياء الدين انثناء اقامته بالمغرب بمناسبة الاحتفال بالذكرى الرابعة عشرة لنزول القرآن ان يمد مجلتنا بمعلومات عن الاسلام والمسلمين بآسيا الوسطى فتفضل سيادته بهذا الحديث القيم :

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانه وتعالى على ان من علي وجعلني من الملبين
للدعوة صاحب الجلالة المعظم .

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي ،
لولا ان هدانا الله .

اما بعد ،

وقد اسعدتني هذه المؤتمرات والمناظرات من
ضمن هذه الذكرى الجليلة الفريدة في بابها في هذا
العصر المرير بانظار الاعداء للقرآن والدين الاسلامي ؛
وكان الآخذ بالدين كالحقايض على الجمر كما ورد في
الحديث ، فضلا عن حمايته والذب عنه رغم هذه
التصادمات الداخلية والخارجية .

وانني اردت ان اوضح حياة المسلمين بالاتحاد
السوفياتي عموما ، وحياة المسلمين بآسيا الوسطى
خصوصا ، بمناسبة حضورني لاجياء ذكرى مرور
اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم في الرباط
عاصمة المغرب المزدهر .

« ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا
وقال انني من المسلمين » . ويسرني جدا ، وزميلي ،
ان نشارك في الاحتفال بذكرى نزول القرآن الكريم ،
في المغرب ، مع من وفد اليه من شتى اقطار العالم
العربي والاسلامي بدعوة موجهة الينا من امير المؤمنين ،
الداعي الى الله ، جلالة الملك المعظم الحسن الثاني
نصره الله وورعاه مع أسرته الكريمة ، واشكر الله

وأصحاب الفقيه وبعض الامراء والحاشية .. كما أن
الاطعمة توزع على أضرحة الصالحين وعلى
السجون ..

وقال ابن زيدان — وهو من الامراء — انه هو
نفسه لما ختم القرآن في صفره ذهب بلوحه الى
السلطان مولاي الحسن الاول يطلب منه الختم — على
العادة — قائلا « وكان لوجي مكتوبا بخط المعلم » فأنكر
ذلك السلطان وقال « هذا غش لا ينبغي ، لماذا لا تكتبون
الواحكم بأيديكم ، فسألوم الفقيه » .. قال : ونفذ لي
ما ادفعه للفقيه ..

وهذا تقليد نبيل ، وكم له من مثيل ، في هذه
الديار ، وفي سائر الاقطار ، حيال التعليم القرآني الذي
نرجو أن يعود اليه مجده الغابر بفضل عناية أمير
المؤمنين مولانا الحسن الثاني ناصر الملة والدين وباعث
الامجاد ، وملحق الاحفاد بالاجداد ..

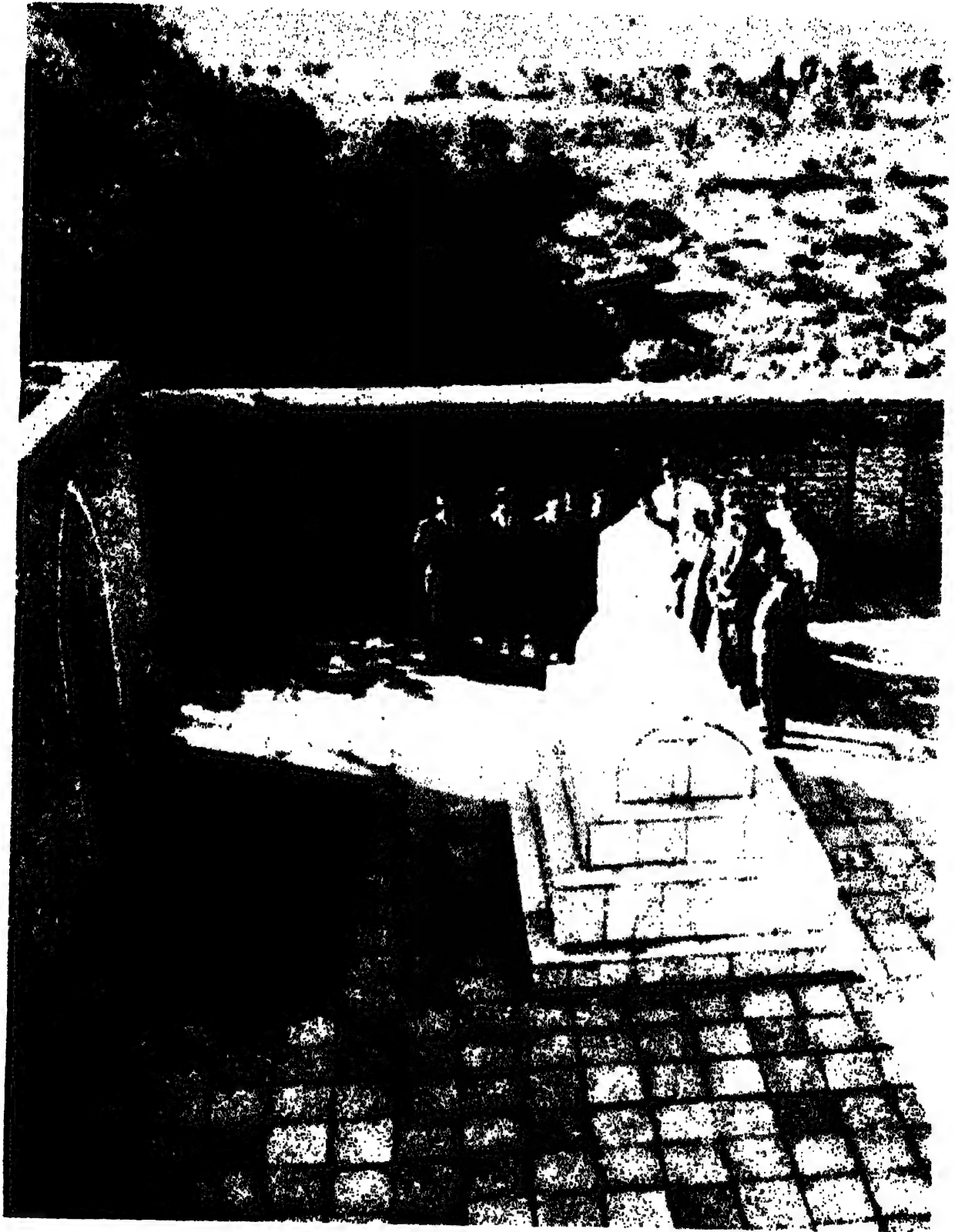
الرباط — رضا الله ابراهيم اللفي

الخير ، وتقدم لهم الاطعمة والمشروبات تحت انفسام
الموسيقى وزغاريد النساء ، والولد في وسط الدار في
افخر ثيابه وحوله التلاميذ وبين يديه لوحته مزخرفة
بالوان زاهية يتلقى الهدايا والتهانى .. وفي النهاية يقدم
الامم للمعلم هدية ثمينة ويحرر التلاميذ مدة تختلف
حسب مركزه الاجتماعي ، وربما أركبوا الطفل على
فرس وطاقوا به في الشوارع لزيارة بعض الاضرحة
وحوله الطبول والمزامير ..

ونذكر ابن زيدان في كتاب نظم الدولة .. ان هذه
العادة تتبع أيضا في كتاتيب القصور السلطانية بالمغرب
قائلا : ان الولد اذا ختم القرآن انعم السلطان على
الفقيه بصلة جزيلة ، ورفع الولد لوحته على منصة
وسط القصر ، ويأتي جميع من بالقصر بالهدايا الثمينة
يضعونها على اللوح نقودا وثيابا ، ويقدم الجميع للفقيه
وتنصب موائد الكسكس في الكتاب وقوارير الزهر
والورد ومحابر الطيب ، يحضر ذلك جميع الطلبة

« ففي اطار ديننا الاسلامي السميع سنصوغ كل عمل وكل اصلاح ، لان
المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة أما
المكاسب الروحية فليست لها حدود لانها هي الوجود » .

جلالة الحسن الثاني



ضريح الامام محمد بن اسماعيل البخاري خارج سمرقند

ففي الاتحاد السوفياتي ست جمهوريات ؛ والمقاطعات التي يسكن فيها المسلمون هي جمهورية اوزبكستان ، وفازايشان ، تافيكستان ، فيرغيزستان وتركمانيستان واذربيجان .

والمقاطعات التي تضم اكثر المواطنين المسلمين هي الشارستان وباشقرية ودافغال ، كما ان هناك مناطق اسلامية تضم خليطا من المسلمين وغير المسلمين ، والمقاطعات التي تؤلف المسلمين فيها اغلبية السكان هي القرم وشمال القوقاز وشركس وانبكوش ، ويوجد هناك من المساجد الكبيرة والمساجد الصغيرة كما يعيش في الاتحاد السوفياتي عدد لا بأس به من العرب والاكراد في شتى البلاد ...

وفي هذه الجمهوريات والمقاطعات والمناطق مراكز دينية مستقلة ومنفصلة عن الحكومة ، يعني انها لا تتدخل في شؤونها الداخلية ولا تمونها بنفود ، بل بترعات المسلمين الذين تعودوا منذ زمن بعيد اخراج الصدقات ، الفريضة والنافلة ، للعلماء والائمة بعد تأميم الاوقاف من قبل الحكومة السوفياتية ، واصدرت توصيات وارشادات عن هذه المراكز الدينية لجميع المسلمين ، هناك تقديم المساعدات لاحياء الدين الاسلامي واقامة شعائره في ارجاء الاتحاد السوفياتي في صناديق المساجد التي تتبع مركزا من المراكز الدينية كما هو معروف للوفود الكرام الذين شاهدوا بام اعينهم حين زيارتهم بدعوة من بعض هذه المراكز الدينية او بدعوة من الحكومة السوفياتية .

وفيما يلي تقسيم المراكز الدينية الاسلامية :

المركز الديني الاسلامي الاول والقديم ، هو مركز النظارة الدينية للمسلمين في بلاد سيبيريا والقسم الاوربي وما يتبعه من انشاريه والباشقيريه ومن يقطن في المدائن الاوربية في موسكو ولينفراد وكوركي ولينوبيا واسطانيا وغيرها من البلاد في القسم الاوربي ، وهذا المركز الديني الاسلامي في عاصمة باشقيريه في بلدة اوقار رئيس المركز الملقب بمعنى شاكر جلال الدين ابي شيخ الاسلام .

والمركز الثاني للدين الاسلامي هو بآسيا الوسطى ، هناك خمس جمهوريات اوزبكستان ونافيكستان وفاراغستان وفرغزستان وتوركمانيستان المسمى النظارة الدينية للمسلمين بآسيا الوسطى او ما وراء النهر اوتركيستان باسم هذه الثلاث تضم خمس جمهوريات المذكورة انفا ، والمركز الديني الاسلامي في عاصمة اوزبكستان طشقند معناها بالعربية مدينة

الاحجار لاجل جريان انهارها المشهورة جيحون وسيمون وفرجيف وكاكيطاووس الاحجار من الجبال المحيطة بها واسمها القديم فاح باللغة الفولية ، وبدلها العرب لما فتحوا هذه البلاد سنة خمس وخمسين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة تحت قيادة سعيد بن عثمان رضى الله عنه والتصحيح باسم شاشن ، وهؤلاء العلماء القدامى الذين خرجوا منها ينسبون بالشاش مثله الامام الكبير محمد بن اسماعيل القفال الشاش صاحب محاسن الشريعة وولده ابو القاسم الشاش صاحب التهذيب ونظام الدين الشاش صاحب اصول الشاش وابو الهيثم كلبا بن سعيد الشاش صاحب المسند في مجلدين ، والمشهور بمحدث ما وراء النهر ، ومن اولياء الله المشهورين عبيد الله خواجة اضرار الطاشكندي من خلفاء بهاء الدين السمرقندي وخواجه زين الدين الشاش ابي شهاب الدين السهرودي وشيخ خاوند ظهور الطاشكندي ابي شيخ عمر الفاغستاني قرية من قرى طاشكند ، وقد انجبت كثيرا من العلماء والفقهاء مثل صاحب صحاح الجوهرى الشاكلي ، وهذه ايضا قرية من قرى طاشكند والحافظ محمد كوهه كي هي قرية من قرى طاشكند ... وجمهورية اوزبكستان تضم كثيرا من البلاد الاسلامية التاريخية ، مثلا سمرقند ونجارا وفرغانة وترمد ونسف وخوارزم وفيها قبوه ومرغان وغيرها من البلاد الملوثة المثبتة في التاريخ بأثرها وعلماؤها وصناعاتها وزراعتها وفواكهها وجلودها وقطنها وحريرها ؛ والقاطنون فيها تسعون في المائة مسلمون متمسكون بالديانة الاسلامية على مذهب الحنفي اسما ، والعاملون بالكتاب والسنة رسميا بدستور المركز الديني الموقع في انتخاب قادتها ، وابو العبد اشرف عليها .

والمركز الثالث الادارة الروحانية للمسلمين فيما وراء القوقاز باذربيجان ، وفي المناطق في جورجيا وارمينية ، والمذهب الشائع في هذا المركز شيعي جعفري ، وفي البلاد التابعة لها كثير من السنين ، وللشيعة شيخ الاسلام ، ولاهل السنة مفتي الاسلام ، والادارة الروحانية في عاصمة اذربيجان هذه باكو .

والمركز الرابع الادارة الدينية الاسلامية للمسلمين في مقاطعات داغستان وانبكوش وجيعن وقرم تار واستين وقباردي وغيرها من المناطق الصغيرة الاخرى التابعة لهذه الادارة الاسلامية ، ومركزها في مقاطعات داغستان في بلدة نبجورخان شورا الذي خرج منها الشيخ عبد القادر شامل المجاهد الكبير .

مركز المصحف الشريف بالمغرب

للمؤتاد محمد المنوي

اولية المصحف الشريف بالمغرب - ملوك ورؤساء ينتسخون المصحف
أو يسهرون على كتابته - مقاربة خطاطون مصحفيون - انشاء
خزائن للمصاحف - وقف الهبتي - بضعة مصاحف نموذجية.

المصاحف الكريمة - الى الحرم النبوي الشريف ، وفي
هذا يقول الزياتي في « البستان » في سياق حوادث
عام 1155 هـ :

« ولما سافر الركب النبوي وجه معه السلطان
المولى عبد الله ثلاثة وعشرين مصحفا - بين كبير
وصغير - كلها محلاة بالذهب ، منبثة بالدر والياقوت ،
ومن جعلتها « المصحف الكبير العقباني » ، الذي كان
الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني ، وهو مصحف
عقبة بن نافع الفهري ، نسخه بالقبروان من المصحف
العثماني ، فوقع هذا المصحف بيد الاشراف
الزيدانيين يتداولونه بينهم (2) ، الى ان بلغ الى السلطان
المولى عبد الله المذكور ، فغربه من المغرب الى المشرق ،
ورجع الدر الى صدقه ، والابرز الى معدنه .

من الطبيعي ان تكون عناية المغرب بالمصحف
الشريف ، اولى مظاهر استقرار الاسلام بهذه البلاد ،
وقد كان في دعاء الامام الفاتح : ادريس الثاني بعد بناء
مدينة فاس : « اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه
المدينة مباهاة ولا مغاخرة ، ولا سمعة ولا مكابرة ، وانما
اردت بنائها ان تعبد بها ويتلى بها كتابك (1) ... » ،
ويظهر ان من اوائل المصاحف التي عرفت بالمغرب :
« مصحف عقبة بن نافع الفهري » ،
الفاتح الاول لهذه البلاد ، وقد استمر متداولاً بالمغرب
الى ان صار للسعديين ، حيث ورد ذكره ايام ابي
العباس احمد المنصور ، بمناسبة اخذ البيعة لولي
عنده محمد الشيخ الملقب بالمامون ، ثم جاء ذكره ايام
السلطان العلوي المولى عبد الله بن السلطان المولى
اسماعيل ، لما بعث به هدية - ضمن مجموعة من

(1) « روض القرطاس » ط . ف ، 1305 هـ - ص 29 ، و « زهرة الاس » ط المطبعة الملكية بالرباط -

ص 26 .

(2) عبارة « الاستقصا » في ترجمة السلطان المولى عبد الله : « وبقي متداولاً بين اهل المغرب الى ان وقع
بيد الاشراف السعديين » - ط . دار الكتاب ، ج 7 ص 159 .

وتشرف ايضا على المدرسة الدينية في بلدة بخارا وترسل بعثة من الحريصين منها الى الجوامع الاسلامية في الخارج ، وترسل كل عام من الحجاج عددا لا بأس به الى الحج ، وترسل بعثات من الائمة والقراء واهل الصلاح من المسلمين للتجول في البلاد العربية والاسلامية ، وتدعو من البلاد العربية والاسلامية وفودا للتعازف مع اخواتهم المسلمين في الاتحاد السوفياتي والاتصال بهم عن كتب .

ولديها من النشرات : القرآن الكريم ، والاثار الاسلامية ، والتقويم الهجري ، والفتاوي ، ورسائل في سرد البدع ، والخرافات الدخيلة على الدين الاسلامي .

ولديها في المكتبة الجامعة اكثر من خمس وعشرين الف مجلد ، من كتب التفسير ، والحديث والتواريخ ، والفقه ، والادبيات العربية والفارسية والتركية ، والسير ، والشريعة ، وطبقات العلماء في الحديث ، والفقه والادب ، وكثير من اللغات العربية والفارسية والتركية المحلية ، ولها صندوق في بنك الدولة ، لا حق لاحد ان ياخذ شيئا منه الا بعد توقيع العبد المفتي للمسلمين بآسيا الوسطى وفازاغستان ، ولها ميزانية كل سنة تعين من قبل المفتي والنواب والمرشدين لهذه النظارة الدينية للمسلمين بآسيا الوسطى وفازاغستان .

وانا سعيد جدا بان اكتب الى المجلة الفراء ، دعوة الحق ، جملا كثيرة ولكن الاحسن ، ما قل ودل ، واني اعتقد انه ينشر من لدن النظارة الدينية للمسلمين بآسيا الوسطى وفازاغستان مجلة دينية عن قريب وتفسير المبادلة من النشرات بين ادارة « دعوة الحق » وادارة التحرير لدى النظارة الدينية بطشقند ، فيلتف حولها ما يقر به العيون ، ويثلج به الصدور ان شاء الله . داعيا من المولى الكريم جل عزه ، ان يكلل خدمات دعوة الحق بالنجاح والقائمين على اعمالها بالصحة والعافية من كل شر وبلاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

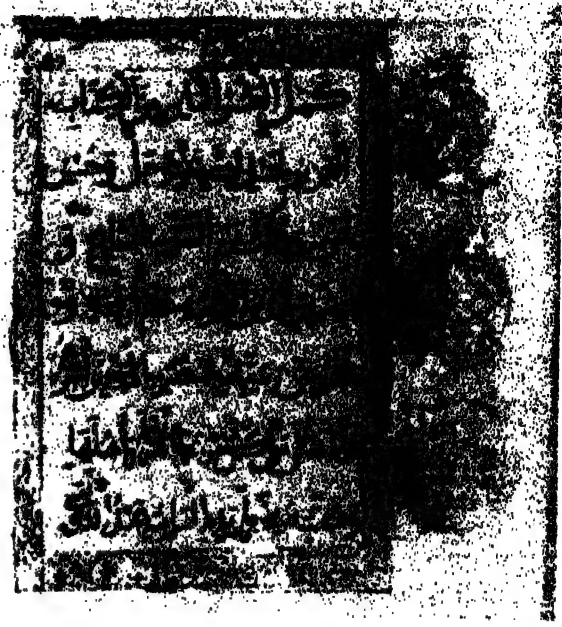
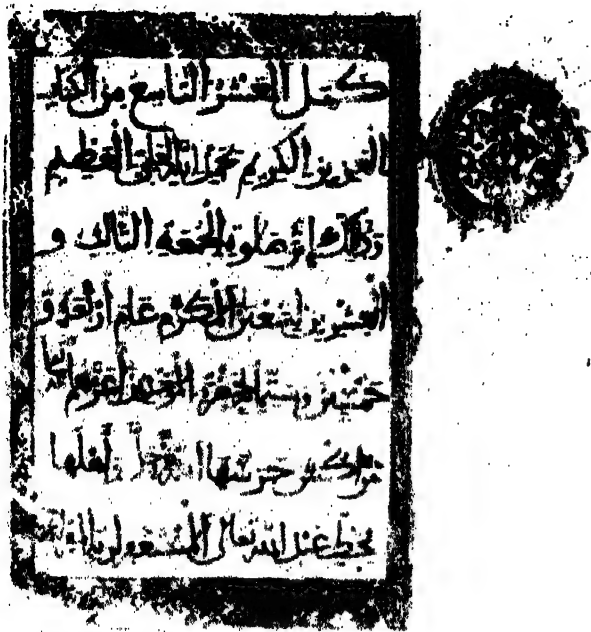
ضيفكم المخلص رئيس المسلمين بآسيا الوسطى وفازاغستان ، المفتي ، ضياء الدين خان ايشان بابا خان

واما حياة المسلمين بآسيا الوسطى : ففيها النظارة الدينية الاسلامية التي اشرف عليها حالا ، والله الامر من قبل ومن بعد ، فله الحمد ، فهم فيها من التمسك بالدين ، ومن ممارسة شعائرهم في البلاد والقرى بلا تدخل ولا خلل من الحكومة الحالية ، وفيها من المساجد ما يزدهر معه المسلمون اكثر من خمسة آلاف او ستة آلاف في طشقند وسمرقند وبخارا وفرغانة ، ويقومون صلاة الجمعة والعيدين بعشرات الآلاف من المسلمين والمسلمات والشباب ، ويؤذن المؤذن بالمنارات القديمة البناء ، ويؤدي المسلمون المراسم الدينية ، والحفلات في الختان ، وعقد النكاح ، وعقيقة الموالد خصوصا ، ويعتنون في الميلاد النبوي بالمساجد والبيوت تبركا بقراءة مولد البرنجي الجعفري ؛ وعقد النكاح يعقد من قبل امام الحي بعد تسجيل العروسة والعريس في سجل الحكومة ، ويصدق صداقهن على قدر الخطيب او والده ، بل الغلالة في المهور شائعة في اكثر بلاد ما وراء النهر .

وفي كل البلاد عدة مساجد جامعة لاقامة الجمعة والعيدين ، واما المساجد الصغرى فكثيرة في خارج البلدة المركزية وقراها ، والاحكام الشخصية تشرف عليها دار الافتاء او نائب المفتي في البلاد الشاسعة . وبناء المساجد وتجديدها وترميمها من قبل المسلمين يتم بعد ما يشرف عليها المفتي او نائبه لصلاحية المكان ، واخذ الاتفاق من المسلمين القاطنين او البعيدين من المكان ، وائمة المساجد على قدر وسعهم وغيرتهم يرشدون المسلمين بالوعاظ الحسنة في كل المحافل والمساجد .

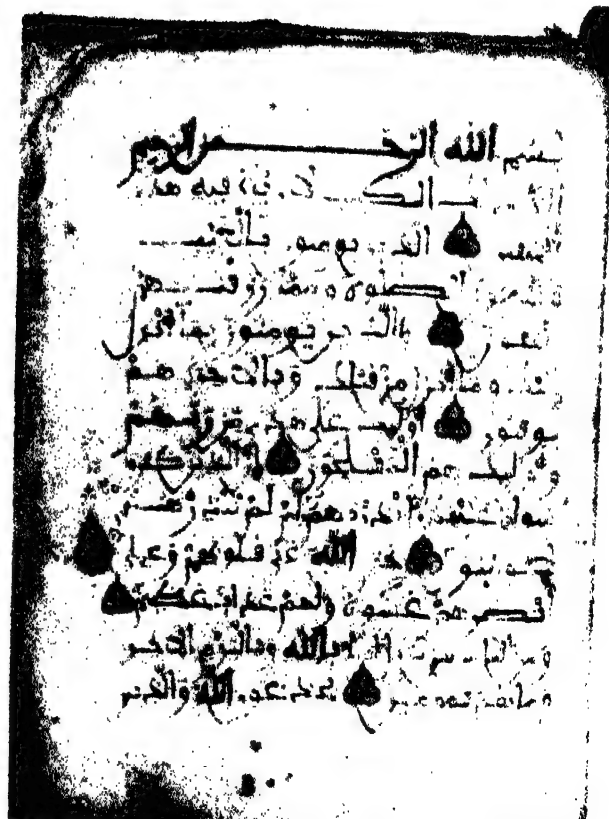
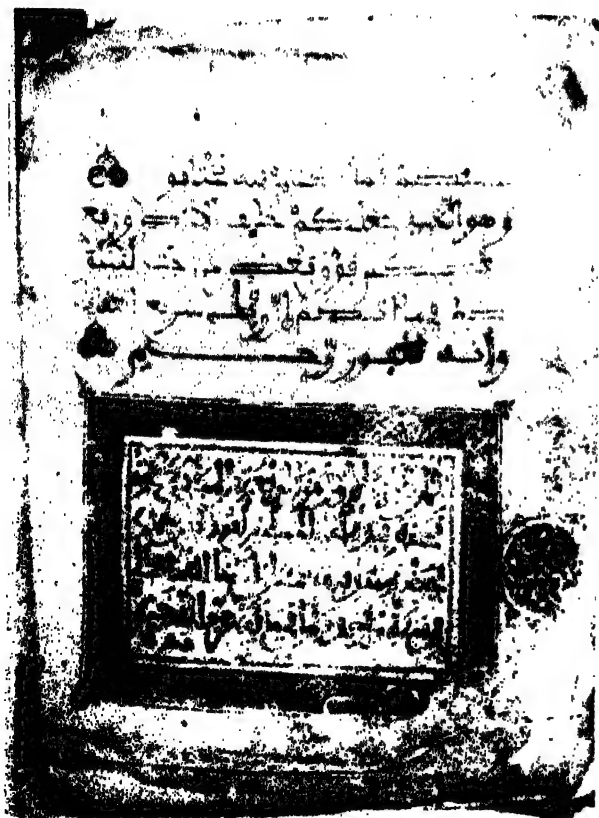
واما وظائف النظارة الدينية الاسلامية للمسلمين بآسيا الوسطى التي اشرف عليها فهي تخدم مصالح المسلمين وما ذكر من المراسم الدينية والاحكام الشخصية ، ولديها من الموظفين ما يبلغ عددهم اكثر من ستمائة موظف ديني من النواب والقضاة والمفتشين والائمة الكبار والمتصدين في المساجد لترميم والنظافة ، وراتبهم تعد كلها من قبل النظارة الدينية على قدر وظائفهم .

ولديها ايضا قسم للعلاقات بالمنظمة الاسلامية العربية والاسلامية للمسلمين بالاتحاد السوفياتي وادارة هيئة التحرير .



خاتمة العشر التاسع من ربيعة المرتضى الوحدى
مجلة هبريس ، سنة 1954 م ، 3 - 4

خاتمة العشر الثاني من ربيعة المرتضى الوحدى
خ . ع ، ج 658



صفحة من ربيعة ابي زيان : الجزء الاول
خ . ع ، د 1330

صفحة من ربيعة ابي زيان : الجزء الاول
خ . ع ، د 1330

قال الشيخ السنائي : وقد وقفت عليه حين
أمر السلطان المولى عبد الله بتوجيهه الى الحجرة
النوبية ، وظهر لي ان تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظر ،
لبعد ما بينهما (3) .

وقد اشتهر أيام الموحدين وأواسط دولة
المرينيين « المصحف العثماني » ، الذي يقال : انه أحد
المصاحف التي بعث بها الخليفة الثالث ، عثمان بن
عفان - رضوان الله عليه - الى الامصار ، وكان بجامع
قرطبة من الاندلس ، ثم نقله الخليفة الموحي عبد
المومن بن علي الى مدينة مراكش عام 552 هـ / 1158 م ،
حيث استمر عند الموحدين موضوع تجلة واحترام ، الى
ان صار أواخر أيامهم لبني عبد الواد بتلمسان ، ثم
استخلصه منهم أبو الحسن المريني (4) .
ووهب الناصري (5) ، فذكر انه غرق في نكسة
الاسطول المريني عام 750 هـ / 1349 م ، والواقع انه

بقي على قيد الوجود الى أواخر أيام أبي عنان وبعدها ،
حسب شهادة شاهد عيان ، وهو أبو اسحاق
النميري (6) ، الذي يذكر عن موكب لابي عنان عام
758 هـ / 1357 م : انه تقدم بين يديه قبتان : الاولى
فيها مصحف الخليفة عثمان بن عفان ، الذي هو
اعظم ذخائر المغرب ، واشرف ما استقر بقصره المعجب
المغرب ، ويؤخذ من « المسند الصحيح الحسن » (7) :
ان وجود هذه الذخيرة استمر حتى أيام أبي فارس :
عبد العزيز المريني الاول 767 - 774 هـ /
1366 - 1372 م ، فقد أكد هذا المصدر : « ان
المصحف العثماني » استمر بقاؤه في دار أبي الحسن
المريني وعلى ملك اولاده وفي خزائهم ، يجرون فيه
على المعتاد » ، ومعلوم ان ابن مرزوق كان يشتغل
بتأليف المسند الصحيح الحسن أيام أبي فارس
المذكور (8) ، ثم ها هو ابن خلدون يؤكد استمرار هذا

(3) « الاستقصا » في دولة الموحدين - ج 2 ص 130 ، هذا ويوجد بمعهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة
فيلم لمصحف شريف بخط مغربي ، كتبه خديج بن معاوية بن سلمة الانصاري سنة 47 هـ بمدينة
القيروان ، برسم الامير عقبة بن نافع الفهري « فهرس المخطوطات المصورة » ج 1 ص 1 - 2 ، فان
كان هذا هو مصور المصحف المغربي الذي نتحدث عنه فستظهر - جليا - حقيقة ملاحظة السنائي ،
ويتبين انه يعني ان تاريخ كتابته (47 هـ) سابق على تاريخ بناء القيروان الواقع عام 50 هـ حسب
الاستقصا ج 1 ص 77 .

(4) ان الحديث عن هذا المصحف العثماني يتناول وصفه وتحقيق خطه ونسبته لعثمان ، ثم التحسينات
التي أفرغها عليه الموحدون ، ووصف هيئة بروزه في مواكبهم ، وما قيل فيه من الاشعار ، مع ما طرا عليه
من التنقلات ، وهيئة بروزه في المواكب المرينية ، وهذا ما يتطلب دراسة مطولة ، وسأقوم بها - باذن
الله سبحانه - مهما سنحت الفرصة ، غير انه من المرغوب فيه ان نذكر هنا طائفة من المصادر التي
تحدثت عن هذا المصحف ، وهي :

1 - « تاريخ المن بالامامة » ، لابن صاحب الصلاة ، تحقيق الاستاذ الفاضل عبد الهادي التازي ، نشر
دار الاندلس ، لبنان - ص 439 - 440 و 445 .

2 - « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » للمراكشي ، مطبعة السعادة بمصر - ص 166 .

3 - « الدليل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي ، ج 1 ، مخطوط المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 269 ، ص
77 - 85 ، و « ج » 5 ، خ ، ع ، د ، 2647 ، لوحة 552 وما بعدها ، مع الاحالة هنا على تراجم أخرى .

4 - « البيان المغرب » لابن غازي ، نشر معهد مولاي الحسن بتطوان ، ج 3 ص 471 - 472 .

5 - « فيض العباب » للنميري ، مخطوط المكتبة الملكية بالرباط رقم 3267 - ص 85 .

« المسند الصحيح الحسن » لابن مرزوق ، خ ، ع ، ق ، 111 ، الباب 52 ، الفصل 2 .

7 - « العبر لابن خلدون » ، مطبعة بولاق بالقاهرة ، 1284 هـ ، ج 7 ص 82 - 83 .

8 - « نظم الدرر والعقيان » في بيان شرف بني زيان « لمحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ،
مخطوط المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 5210 ، ج 1 ورقة 51 .

9 - « نفع الطيب » للمقري ، المطبعة الميرية 1279 هـ ، ج 1 ص 287 - 293 .

10 - « الاستقصا » للناصري ط ، دار الكتاب ، ج 2 ص 126 - 129 .

الاستقصا ج 2 ص 129 .

(5) « فيض العباب » ، المخطوط الأنف الذكر - ص 85 .

(6) الباب 52 ، الفصل الثاني .

(7) هذا يوجد في مواضع من الفصل السابع من الباب 55 .

في ذلك قول الاستاذ الشهير ، ابي الحجاج يوسف الطرطوسي ، وعلق بحفظي من كلمته بيتان ، وهما :

يا مصحفنا ما رأى الرايون في زمن
شبهها له مصحفنا من نسخ سلطان
فضيلة مثلها في الدهر ما عرفت
من عهد عثمان الا لابن عثمان

ووجهت الربعة المذكورة - صحبة من تقدم ذكره في فصله - الى المدينة شرفها الله تعالى ... وهي - الان - مستقرة بالحرم الشريف النبوي ، ادام الله بركة الانتفاع بها ، واعان خدام المقام العلي المولوي العزيزي (14) - ايده الله - على التنبيه على تفقدها ، والازدياد من التحبيس عليها ، وعلى المكية والقدسية ، فبالانتفاع بالتحبيس عليها تدوم العناية بها .

وقد رايت بمكة - شرفها الله - المصحف الذي بعثه عنهم المولى ابو يعقوب بخط ابن حسنين ، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة ، فانتزع ما عليه ، وبقي في « قبة الشراب » (15) يقرؤ فيه احتسابا ، وقد قرأت فيه في اعوام ...

ثم نسخ « ابو الحسن » الربعة الكريمة التي توجه بها الفقيه ابو الفضل محمد بن عبد الله بن ابي مدين العثماني ، سنة اثنين واربعين وسبعمائة (16) ، واصحابها هدية حافلة ، وصلات لاهل الحرمين ، واشترى ما حبس عليها ، وحبس بفاس ريعا خاصا بها ، واسند النظر فيه لمن عينه كذلك ، وهو الان على ما هو عليه ، وهذه الربعة أحوج لان يحبس على قراءتها ، فان التي بالمدينة استقر على القراء فيها حبس بظاهرها ، واولى ما صرفت اليه العناية اشتراء املاك بالشام او بالقاهرة برسم التحبيس عليها ، اجراها الله في صحف اعمال مولانا ابي فارس ، وضاعف ثواب ذلك له .

ثم نسخ - رضي الله عنه - الربعة الكريمة التي توجه بها ابو المجد بن ابي عبد الله بن ابي مدين ، وعثمان بن يحيى بن جرار ، واصحابها - رضي الله

عنه - كذلك هدية كبيرة ، وصلات للمجاورين جمة ، للمسجد الاقصى ، واستقرت به ، وذلك سنة خمس واربعين ، وحبس عليها كذلك .

ثم شرع في نسخة برسم الخليل ، فوصلنا الى تونس - حاطها الله تعالى - حين قدمنا صحبته ، ولم يبق منها الا عدة اوراق وبقيصة تذهيب وضبط ، وتقدمت بها من باجة الى تونس ، وشرعت في جمع المسفرين لها وتقدم معي ابو القاسم بن ابي طلاق ، فجمعنا الناس لتكملة الضبط ، وكان احمد الرياحي المعروف بابن الزمال قد خرج بالركب ، وكنت تعينت لمصاحبتها ، فلما طال فيها العمل وضاق الوقت لتوجه الركب ، واستقر مولانا - رضي الله عنه - بتونس ، وقمت المفاوضة في ذلك ، فاشار - حينئذ - بعض من سمح الله له ورحمه ، بتأخير توجهها في الوقت حتى تتمين هدية من تونس ويستعد لذلك بركب يناسب ، وتعمل بضيق الوقت عن توفية الغرض ، ولم يزل يبدل في ذلك جهده حتى وقع العزم على ذلك ... فبقيت بتونس الى ان استخلص منها المولى ابو عنان ما استخلص ، وتمم ما تمم ، وتعرفت الان ان اشتغال مولانا المؤيد ابي فارس بتكميلها (17) .

هذا كلام ابن مرزوق عن هذه الربعات المرينية الموقوفة على المساجد الثلاثة المعظمة وعلى شالسة ، وعددها خمسة باعتبار ربعة يوسف المريني في العدد ، فاذا اضيف لها ربعة مقام الخليل - التي لم تكمل - يصير المجموع ستة ، ولا يعرف منها اليوم سوى ربعة المسجد الاقصى (18) ، حسبما نذكره بعد ، كما سنتحدث عن مصحف خزانة ابي العباس احمد المنصور السعدي ، والمصحف المكتوب برسم الامير العلوي المولى علي حفيد السلطان المولى اسماعيل .

* * *

وقد وازى هذه العناية الملكية بكتابة القراءان الكريم ، اهتمام شعبي تمثل في نبوغ خطاطيين مصنفين ، ونذكر منهم على سبيل المثال :

(14) يقصد السلطان المريني عبد العزيز الاول .

(15) يذكر ابن بطوطة ان قبة الشراب تلي قبة زمزم ، وبابها الى جهة الشمال ، وبها اختزان المصاحف الشريفة والكتب التي للحرم الشريف - « تحفة النظار » ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر عام 1377 هـ - ج 1 ص 84 .

(16) هذه الربعة بعث بها ابو الحسن للحرم المكي المعظم .

(17) لعل تكميل هذه الربعة هو الذي عناه ابن الخطيب لما ذكر عن ابي فارس هذا اشتغاله بانتساخ القراءان الكريم ، حسب « رقم الحل وشرحها » ، ط ، تونس - ص 86 و 107 .

(18) لا يزال هناك احتمال بوجود هذه الربعات الضائعة او بعضها بالاستانة ، حيث صار اليها عدد من مخطوطات الحرمين الشريفين .

ولديه أبي عنان وأبي فارس الاول ، وقد تحدث عن هذا في « المسند الصحيح » في باب على حدة (13) ، وسنقتطف من فصلين منه في هذا الصدد ، فقد جاء في الفصل السادس :

« كان داب امامنا رضي الله عنه : « أبي الحسن المريني » العكوف على نسخ كتاب الله ، في الزمن الذي يخلو له من النظر فيما طوَّقه ... وكان قد اكد عنده هذا العمل ما منحه الله تعالى من اجادة الخط المصحفي ، وكان قد اخذه عن كاتب وقته ، المنفرد بتجويد هذا الخط في عصره : « النجللي » ، وكان قد بلغ فيه الفاية ، فتعلم منه اصوله حتى صار خطه يختلط بخطه ، رحمة الله عليهما ... »

وجاء في الفصل السابع : كان - رضي الله عنه - قد كتب الربعة التي حبسها بشالة ابتداء ، ولما ورد عليه كتاب صاحب مصر - حسبما قدمناه ، وعزم على ان يبعث ام ولد ابيه حين توفيت والدته رضي الله عنهما ، وكانت هذه بمنزلتها عنده - كتب هذه الربعة المدنية ، برسم ان يوجهها الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر ما وجه برسم شراء الربع ، برسم سدننها والقراءة فيها ، فلما اكملها في شهر ربيع الاول من سنة اربعين « يعني بعد سبعمائة » ، جمع الفقهاء لقراءتها وتفقد ما تعذر من ضبطها ، - وذلك حين تعين الركب المتوجه صحبتها - في القبة الكائنة بروض القائد هلال بضفة وادي سطيفيس شرقي تلمسان المحروسة ، وكان تمام ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة ... »

ولما حضرت ليلة المولد ضمن شعراء الحضرة هذا المعنى في قصائدهم المولديات ، وكان مما استحسنت

الاثر الى زمن تاليف العبر ، ويقول في صدد الحديث عنه : « وهو لهذا العهد في خزائن بني مرين (8) ، وقد كان هذا المؤرخ اآخر من تحدث عن بقاء هذا المصحف العثماني ، وبعده ينقطع الخبر عنه بالرة . »

* * *

ومن الجدير بالذكر ان يكون عدد من ملوك المغرب وبعض رؤسائه يقتطعون من اوقات اعمالهم فترات ، يشتغلون فيها بنسخ المصحف الشريف ، او يتولون الاشراف على كتابته ، وهكذا عرفت مصاحف مغربية من هذا الطراز ، وكثرت في الفترة المرينية بصفة خاصة .

فهناك مصحف يقال انه بخط محمد المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، وقد كان دون المصحف العثماني في الحجم (9) ، ومحلى بالفضة الموهبة بالذهب ، وكان يتقدم مصحف عثمان في المواكب الموحدية (10) ، ويعتبر - الآن - ضائعا .

وياتي - بعد هذا - الربعة (11) التي خطها - بيمينه - ابو حفص عمر المرتضى ، من اواخر الخلفاء الموحدين ، وسنتحدث عنها بعد .

وفي العصر المريني ازدهرت هذه الظاهرة ، فكان ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني اشرف على كتابة ربعة قرآنية رائعة الصنعة ، وبعث بها هدية للمسجد الحرام بمكة المكرمة ، صحبة ركب الحجاج المغربي عام 703 هـ \ 1304 م . (12)

وجلا في هذا الميدان ابو الحسن المريني ، حيث نسخ بخط يده اربع ربعات قرآنية ، وشرع في الخامسة فلم يتمها ، ثم كتب بعضها منها - على التوالي - كل من

(8) مكرر - العبر ج 7 ص 83 .

(9) في الدليل والتكملة ج 1 ، المخطوط السابق الذكر - ص 83 : ان طول المصحف العثماني دون الشبر .

(10) تاريخ المن بالامامة ص 439 ، وفي المعجب - ص 166 - انه كان يسير خلف المصحف العثماني ، وهو المناسب .

(11) في شرح دلائل الخيرات لابي حامد محمد العربي الفاسي : « ان المراد بالربعة صندوق مربع الشكل من خشب ، مغشى بالجلد ، ذو صفائح وحلق ، يقسم داخله بيوتا بعدد اجزاء المصحف ، يجعل في كل بيت منه جزء من المصحف ، واطلاقها على المصحف مجاز » ، وقد شاع استعمال هذا الاطلاق الاخير في المصحف المكتوب في اجزاء والموضوع في ربعة ، وسنجاريه في هذه الدراسة ، ونخص اسم المصحف بالمكتوب جميعه في سفر واحد .

(12) انظر عن هذه الربعة : محمد المتوني ، « علاقات المغرب بالشرق في العصر المريني الول » - مجلة « دعوة الحق » ، العدد الخامس ، السنة الثامنة ، ص 62 - 63 .

(13) الباب 55 .

2 - وهذا نموذج آخر لهذه العناية المغربية بالقرءان الكريم ، فقد سجل ابن الخطيب (30) : ان ديار رؤساء هنتاة بجبل درن ، كانت تزين بيوتها بمعلقات تتخللها العدة من مصاحف القرءان الكريم ، مناطة بمعاليق حريرية فاخرة ، وهذا تقليد اسلامي عام ، حيث يفضل المهتمون بالامر ان يعلق المصحف في صدر المجلس ، على حائط نظيف (31) .

3 - يمتاز المصحف المغربي - في قراءة نافع - بوقف خاص ، وهو من عمل مغربي : هو محمد بن ابي جمعة الهبطي الصماتي ، المتوفى بفاس عام 930هـ (32) 23-1524م . ثم استمر عليه قراء المغرب حتى الآن ، وقد وقع فيما قيد عن الهبطي من هذا الوقف بعض كبوات ، ناقشه فيها عالمان مغربيان : اولهما : محمد المهدي بن احمد بن علي بن ابي المحاسن الفاسي الفهري المتوفى عام 1109 هـ / 1698 م (33) ، وله في هذا الصدد رسالة سماها : « الدرة القراء في وقف القراء » ، تحدث عنها محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري المتوفى عام 1214 هـ / 1799 م (34) ، واقتبس فقرات من اولها (35) ، كما وضع - بدوره - تاليفا مستقلا في الموضوع (36) ، اثبت قسما مهما منه في كتابه « المحاذي » .

* * *

وهذه بضعة مصاحف نموذجية ، جلها بخطوط مغربية ، وتحفظ بالمغرب او خارجه ، وسنستعرضها في شيء من الايجاز ، مع الاحالة على المصادر التي عرفت بها او اجرت ذكرها :

« واما خزانة المصاحف التي جعلها مولانا المتوكل ابو عنان - رحمه الله - في قبلة صدر هذا الجامع ، فانه صنعها لما سهله على الناس من تلاوة القرءان ، في الوقت المتخير من الازمان ، بأن اعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية ، الجميلة السنية ، واباحها لمن اراد القراءة فيها ، بعد ان كتب على كل جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الاعوام ، والليالي والايام ، وعين لها من ينفرد باخراجها من هذه الخزانة وابرازها ، وردھا لصيانتها في موضعها واحرازها ، وذلك عند الفراغ من حاجات الناس اليها ، فلا يبدل ذلك ولا يغير الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، واجرى له جراية ، واوسع كرامة ورعاية ، وتم عملها في شهر شوال ، سنة خمسين وسبعمائة » .

ولا تزال - حتى الآن - وقفية ابي عنان تتوج هذ الخزانة في الصيغة التالية :

« الحمد لله وحده ، امر بعمل هذه الخزانة السعيدة مولانا امير المؤمنين ، المتوكل على رب العالمين ، عبد الله فارس ، ابد الله امره ، واغر نصره ، بتاريخ شهر شوال ، سنة خمسين وسبعمائة ، رزقنا الله خيرها (27) » .

فهذه اربع مراكز لوقف المصاحف ، وسواها فقد كان يوجد بشالة مصاحف محبسة على مشاهد الملوك المرينيين بها (28) ، وقد ساهمت المرأة المرينية في هذا المشروع ، حيث يوجد بمكتبة القرويين بفاس وقف سيدة مرينية للجزء 17 من ربعة قرآنية في 30 جزءا (29) .

(27) هذه الصيغة كتبها - مباشرة - من اللوحة المنقوشة عليها ؛ ضحى يوم الاحد 11 شوال عام 1384 - 14 يبرابر سنة 1965 ، ووردت في « جذوة الاقتباس » ص 46 ببعض مخالفة .

(28) المعيار للنشرسي ج 7 ص 11 .

(29) « قائمة لنوادير المخطوطات العربية المعروضة في مكتبة جامعة القرويين بفاس ، بمناسبة مرور مائة ولف سنة على تأسيس هذه الجامعة » - ص 4 .

(30) الدكتور احمد مختار العبادي : « مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس » ، مطبعة جامعة الاسكندرية 1958 - ص 127 .

(31) الفتاوي الحديثة لابن حجر الهيتمي ط . المطبعة الجمالية بالقاهرة عام 1329 هـ - ص 167 .

(32) ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 2 ص 67 - 70 .

(33) ترجمته ومراجعها في المصدر الاخير ج 2 ص 316 - 318 .

(34) ترجمته ومراجعها في نفس المصدر ج 2 ص 318 - 319 .

(35) « اتحاف الاخ الاود المتداني ، بمحاذي حرز الاماني ووجه التهاني » ، مخطوط : خ ، ع ، ك .

312 - ص 83 .

(36) سلوة الانفاس ج 2 ص 67 .

1 - محمد بن حريز المعروف بابن تاخميست الفاسي المتوفى عام 608 هـ / 1212 م ، كان له خط حسن ، يكتب به المصاحف القراءانية ، ويهديها - احتساباً - لمن يراه اهلاً لها (19) .

2 - احمد بن حسن ، وهو الذي كتب وزخرف ربعة يوسف المريني الانفة الذكر (20) .

3 - خطاط محسن يسميه ابن مرزوق « بالنجلي » ، وقد قرأنا عنه - عائفاً في « المسند الصحيح الحسن » - انه كان منفرداً بتجويد الخط المصحفي في عصره ، وعنه تعلمه السلطان أبو الحسن المريني .

4 - محمد بن أبي القاسم القندوسي الفاسي ، المتوفى عام 1278 هـ / 1861 م ، قال في ترجمته من سلوة الانفاس (21) ، « وكان له خط حسن جيد ، كتب به عدة من الدلائل ، واخبرت انه كتب مصحفاً في اثني عشر مجلداً قل ان يوجد نظيره في الدنيا » ، وسنحدث - بعد - عن هذا المصحف الذي يمتاز بفخامة الخط .

5 - محمد بن الحاج محمد الريفي التسماني ، الصوري الاستيطان ، المتوفى بطنجة عام 1313 هـ / 1896 م ، كان - على عكس سابقه - يكتب المصاحف وغيرها بخط دقيق على ورق رقيق ، فينجز منتسخاته في حجم صغير جداً ، يسعه داخل اليد ، وكان له خط حسن (22) .

6 - ومن الجدير بالذكر ان المرأة المغربية ساهمت - بدورها - في كتابة المصحف المغربي ، ومن ذلك سيدة فاسية هي : الشريفة فاطمة بنت علي بن محمد المنالي الزبادي ، اخت الشيخ عبد المجيد الزبادي

الشهير ، والمتوفاة في عام 1142 هـ / 1730 م ، فقد كتبت بخطها من القرآن الكريم ، ما يربو عن 35 مصحفاً (23) .

7 - ويوجد بالمكتبة الملكية بالرباط - تحت رقم 4225 - : مصحف شريف خطه انامل سيدة بدوية ، تسمى نفسها عائشة بنت الحاج مبارك الشلح التكي ، وخطها بدوي واضح متوسط مشكول ملون ، وقد جاء في هامش آخر المصحف بمداد مغاير : عام 1237 ، وهو اشارة لتاريخ الانتساخ ، حيث انه يوجد - ايضاً - منتسخان اثنان بخط نفس النسخة ، ويحمل اولهما تاريخ صبيحة الجمعة 22 جمدي ؟ عام 1237 هـ ، نفس المكتبة رقم 4087 ، كما يحمل ثانيهما تاريخ يوم الاحد « 22 » ذي القعدة عام 1245 هـ ، المكتبة المذكورة ، رقم 5061 ، وهي تسمى نفسها في هذا المخطوط الاخير هكذا : عائشة بنت مبارك بن احمد نجل الحسين الشيخ ، التكي الفسي الحسني .

* * *

وهذه مظاهر أخرى لهذه العناية بالمصحف الشريف :

1 - فقد اهتم المغاربة بوقف المصاحف وانشاء بعض الخزائن برسمها ، وأول ما عرف من هذا ربعات قراءانية كانت موضوعة في مستودع بجامع القرويين بني أيام الخطيب به أبي محمد يشكر بن موسى الجراوي ، المتوفى عام 598 هـ / 1202 م (24) ، ولما بنى عمر المرتضى الموحي جامع السقاية بمراكش : « جامع علي بن يوسف » . كان به خزانة للمصاحف الموقوفة ، وهي عبارة عن بيت قبلي الجامع متصل بالمحراب (25) ، ثم انشا أبو عنان المريني خزانة المصاحف بجامع القرويين بفاس ، يسرة المستقبل للمحراب ، وقد اورد ذكرها في « جنى زهرة الاس » (26) في الفقرة التالية :

- (19) محمد المنوني : « العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين » - ص 273 .
(20) انظر : محمد المنوني : « علاقات المغرب بالشرق في العصر المريني الاول » مجلة دعوة الحق ، العدد الخامس ، السنة الثامنة - ص 62 .
(21) ج 3 ص 40 - 41 .
(22) « زهر الاس في بيوتات فاس » خ ، ع ، ك - 1281 - ج 1 ص 369 .
(23) هذا ينقله البعض عن كنانة للشيخ عبد المجيد الزبادي المذكور .
(24) « روض القرطاس » ص 43 و 47 .
(25) هذا يؤخذ من وقفية مكتوبة على الجزء الرابع من ربعة المرتضى الموحي المحفوظ بمتحف الاوداية بالرباط ، انظر عن نصها :

Deverdun et Mhammed Ben Abdeslem Ghiati : « Deux Tahbîs Almohades » milieu du XIII^e S. J.C. - Hespéris, année 1954, 3^e-4^e trimestres - p.p. 411 à 423.

(26) ص 76 .

4 - ربيعة أبي زيان محمد الثاني

وهو ابن أبي حمو موسى الثاني الزياني سلطان المغرب الاوسط ، والمتوفى عام 805 هـ / 1402 م ، الموجود منها النصف الاول بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1330 ، مكتوب على رق الغزال بخط مغربي جميل ، ومطلى بالذهب عند أول كل سورة وعلى رأس كل آية ، وجميع ما فيه من أسماء الله الحسنى مرقوم بالذهب ، وهو بخط أبي زيان نفسه ، كتبه بتلمسان عام 801 هـ / 98 - 1399 م ، وجاء في آخره :

« كمل الجزء الاول من الربعة المباركة ، نسخه - بيده - أمير المسلمين أبو زيان محمد ، بحضرته مدينة تلمسان ، أمنا الله تعالى ، في سنة واحد وثمان مائة ، عرف الله خيره (42) .

5 - مصحف المنصور السعدي

مكتوب يرسم خزانة أبي العباس أحمد المنصور بالله السلطان محمد الشيخ السعدي ، المتوفى عام 1012 هـ / 1603 م ، ووافق تمامه يوم الاربعاء 13 ربيع الثاني ، عام 1008 هـ / 1599 م ، بجامع الديوان الكريم ، من قصور الامامة العلية ، على حد تعبير الخاتمة التي ذيل بها في زخرفة فائقة ، حيث ورد فيها - أيضا - ان المصحف الشريف منمق الكتابة بالمداد المقام من فائق العنبر ، المتعاهد السقيا بالمعبر المحلوك بمياه الورد والزهر ، وتحفظ هذه الذخيرة المغربية في

(42) انظر :

E. Lévi Provençal : « Note sur un Coran royal du XIV^e siècle » - Hespéris - Année 1921 - 1^{er} trimestre - p.p. 83-86.

مع : ب، س، علوش وعبد الله الرجراجي : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتش - ج 1 ص 2 .

(43) انظر عن وصفه : E. Lévi Provençal : « Manuscrits arabes de l'Escurial » - Imprimé à Paris, 1928 - p.p. 34-36.

(44) فهرس دار الكتب المصرية ج 1 ص 2 .

(45) ترجمته في « اتحاف اعلام الناس » لابن زيدان ج 2 ص 32 - 41 ، مع « فواصل الجمان » لأحمد غريب ص 142 - 162 .

46 انظر : محمد المنوني : « معرض المخطوطات العربية بمكناس » مجلة « تطوان » ، المديين : 3 - 4 - ص 98 - 99 .

(47) محمد المنوني : « الطباعة الحجرية الفاسية » ، مجلة « تطوان » العدد 10 - ص 147 .

ملاحظة ، الموافقات بين التاريخين مأخوذة من :

Tables de concordance des ères chrétienne-éthégirienne - Troisième édition - Editions Techniques Nord-Africaines

القسم العربي من مكتبة الاسكوريال باسبانية ، تحت رقم 1340 من قائمة 1 ، لافي بروفنسال (43) .

6 - مصحف الامير علي العلوي

مكتوب برسم الامير العلوي علي حفيد السلطان المولى اسماعيل ، بخط مغربي عام 1142 هـ / 29 - 1730 م ، محلى ومثقوش بالذهب والالوان (44) ، وهو معدود من ذخائر دار الكتب المصرية ، ومحفوظ بها تحت رقم 25 .

7 - ربيعة القندوسي

بخط محمد أبي القاسم القندوسي سابق الذكر ضمن الخطاطين المصحفين ، وهي ربيعة كبيرة الحجم ، فخمة الخط ، مجزأة الى 12 جزءا ، في كل جزء خمسة احزاب ، وقع الفراغ من كتابتها يوم الجمعة آخر شوال عام 1266 هـ / 1850 م ، برسم السفير المغربي الحاج ادريس بن الوزير محمد ابن ادريس العمروي الفاسي (45) ، وقد صارت هذه الربعة الى المكتبة الزيدانية بمكناس ، حيث تحمل في الفهرس الجديد رقم 3595 (46) .

8 - مصحف مطبوع بالطبعة الحجرية الفاسية

وهو اول مصحف وقع طبعه بالمغرب ، وكان الفراغ منه عام 1296 هـ / 1879 م ، بمطبعة الحاج الطيب بن محمد الازرق الفاسي (47) .

الرباط - محمد المنوني

1 - ربيعة المرتضى الموحيدي

صيفة الكلمة الختامية ، وقد غاب هذا الجزء من علم
الدين درسوا هذه الربيعة .

عدد أوراقه 72 ، مسطرة 9 ، مقياس 290 /
225 ، مرمم الاطراف بأوراق جديدة .
4 - 5 - الجزءان الرابع والتاسع ، وقد كانا
- من زمن - معروضين في متحف الاوداية بالرباط (39)

2 - ربيعة ابي الحسن المريني

وهي - ايضا - بخط ابي الحسن علي بن ابي
سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، المتوفى
عام 752 هـ / 1351 م ، كتبها برسم المسجد الاقصى
بالقدس الشريف ، عجل الله - سبحانه - بخلاصه ،
وتحرير سائر الاراضي المغتصبة ، وهي الوحيدة التي
لا تزال معروفة من بين الربعات التي خطها - بيده -
هذا السلطان ، وتحفظ اليوم « او توسر » بالمتحف
الاسلامي بالقدس الشريف ، وقد كانت تتألف من 30
جزءا ضاع منها خمسة اجزاء ، فعوضت باجزاء
مستحدثة بخط احد المغاربة عام 1221 هـ (40) .

3 - مصحف ابن مرزوق الجسد

وهو ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن
ابي بكر بن مرزوق ، العجيسي التلمساني ، المتوفى
بالقاهرة عام 781 هـ / 1379 م ، وقد وقف عليه المقرئ
بتلمسان ، وقال عنه في نفح الطيب (41) اثناء ترجمة
ابن مرزوق :

« ولقد رايت مصحفا بتلمسان عند احفاده ،
وعليه خطه الرائق الذي اعرفه ... » ، ومن حسن
الحظ أن هذا المصحف صار الى المغرب ، وهو محفوظ
بمكتبة المعهد العالي بتطوان ، حيث وقفت عليه هناك
عشية الثلاثاء 17 رجب عام 1378 هـ الموافق 27 يناير
سنة 1959 م ، وهو بخط اندلسي عتيق ، على رق
الغزال ، في حجم متوسط ، مربع ، وكانت كتابته بمدينة
بلنسية من الاندلس ، عام 559 هـ .

بخط ابي حفص عمر المرتضى بن السيد ابي
ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن ، المتوفى عام
665 هـ / 1267 م ، وهي تتألف من عشرة اجزاء ، في
كل جزء ستة احزاب ، وكانت توجد تامة بمكتبة ابن
يوسف بمراكش الى عام 1149 هـ (37) \ 36-1737م
ثم تفرقت شذرمذر ، والمعروف منها - لحد الآن -
خمس اجزاء - 1 - 2 شذرات من الجزاين : الاول ،
الثالث بمكتبة ابن يوسف (38) بمراكش تحت رقم 432

3 - الجزء الثاني ، بالخزانة العامة بالرباط
تحت رقم ج 658 ، وهو مبتور الاول والاخر بنحو
ورقتين ، ويبتدىء هكذا : « بالتورية فاتلوها ان كنتم
صديقين » الآية 93 من سورة آل عمران ، ثم ينتهي
عند : « ولو كانوا يومنون بالله والنبيء وما انزل اليه
ما اتخذوهم اولياء ، ولكن كثيرا منهم فسقون » ،
الاية 83 من سورة المائدة ، وقد ذيل بالخاتمة التالية :

« كمل العشر الثاني من الكتاب العزيز ، بحمد
الله عز وجل وحسن عونه ، وذلك يوم السبت السابع
والعشرين لجمادى الثانية ، عام اربعة وخمسين
وستمائة ، بحضرة الموحدين اعزهم الله تعالى : مراكش ،
حرسها الله تعالى واهلها ، وكتبه بخط يده الفانيّة :
عبد الله تعالى » .

وهنا تقف كتابة الصفحة الاخيرة من هذا الجزء ،
وضاعت الورقة التي تليها ، ومع ضياعها نستطيع
الجزم بان هذا الجزء هو من نفس الربيعة التي نتحدث
عنها ، استنادا للمماثلة الكاملة بين كتابته وخط القطع
الاخرى المعروفة سابقا ، ونظرا للاتفاق الواقع في عام
الانتساخ : « 654 » مع الاجزاء الاخرى ، وللتقارب مع
تاريخ الجزء الاول : 20 جمادى الثانية 654 ، والجزء
الثالث 6 رجب 654 ، مع التشابه في بعض ملامح

- (37) محمد المنوني : « العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين » - ص 287 - 288 .
(38) انظر عن شذرات الجزئين : محمد المنوني : « معرض المخطوطات العربية بمكناس » مجلة
« تطوان » ، العددين : 3 - 4 ، ص 97 - 98 .
(39) انظر عن هذين الجزئين الرابع والتاسع :
Deverdun et Mhammed Ben Abdeslem Ghiati : « Deux Tahbis Almohades » milieu du XIII^e
S. J.C. - Hespéris, année 1954, 3^e-4^e trimestres - p.p. 411 à 423.
(40) انظر عن وصفها : عبد الله مخلص : « المصحف الشريف » صحيفة « الفتح » ، السنة الخامسة ،
العددتين : 237 و 238 .
(41) ط . المطبعة الميرية بمصر عام 1279 هـ - ج 3 ، ص 217 .

ونظير هذا : الحاكم اذا اخبرنا بحكم وقال هذا قول الملك فمعناه ان هذه الاوامر او هذه النواهي هي مدلول كلام الملك لا ان الالفاظ هي نفسها كلامه .

والعلامة بناني في مبحث الدلالة قول فصل في هذه المسألة . (شرح السلم) وعلى ذلك فهل الالفاظ لجبريل او للنبي ؟ هذا سؤال يجيب عنه من يبحث في الحديث : انزل القرآن على سبعة احرف .

ما هو اول ما نزل من القرآن

وما هو آخر ما نزل ؟

اختلف العلماء في الاجابة عن هذا السؤال اختلفا شديدا ففى الاتقان :

ان منهم من قال : ان اول ما نزل : اقرا باسم ربك وهذا هو الصحيح (كما فى كتب السير والحديث) ومنهم من قال يا ايها المدثر ، ومنهم من قال الفاتحة ، ومنهم من قال بسم الله الرحمن الرحيم ومنهم من قال غير ذلك ..

وكذلك الشأن فى آخر ما نزل فمن البراء بن عازب يستفتونك .. وعن ابن عباس آية الربا (يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا ..) وعنه وعن غيره غير ذلك من الاقوال ... اما المشهور فى كتب السير فهو : اليوم اكملت لكم دينكم .. ولقد اخرج مسلم عن ابن عباس انه سورة اذا جاء نصر الله .. الخ ولقد حاول القاضي ابو بكر الباقلاني ان يوفق بين الروايات المتضاربة فقال : ان كل ما فى امرها ضرب من الاجتهاد وغلبة الظن فكل يخبر بحسب ما علم ... ولكن حل هذا المشكل يتأنى على هذا الوجه اذا لم تختلف الروايات وتتعدد عن شخص واحد كما حصل عن عبد الله بن عباس فقد روى عنه ما ينيف على اربعة اقوال متناقضة ... وحينئذ فكيف يتطرق فيها ما ذكر القاضي ؟ يقال ان ذلك ايضا بحسب ما كان يتجدد من حفظه فى السؤال بعد السؤال ؟ اظن ان هذا بعيد ...

ما هي اسباب النزول ؟

قال الجعبري : ان نزول القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء (يعنى من غير سبب) وقسم نزل عقب واقعة او سؤال ..

ونحن ندرس هذا القسم الثانى معتمدين فى ذلك على استقراء ما ورد فى القرآن والسيرة . ولم أرجع فى هذا الاستقراء الى مرجع لانى لا اعرفه (انظر الخضرى!) : اسباب النزول كثيرة : منها :

1 — حادثة تحدث فلا يتبين وجه الصواب فيها فتنزل الآية فى شأنها ، اما مبينة حكمها كحادثة الرث ليلة الصيام وكحادثة المخلفين الثلاثة واما مبينة وجه الحق فيها كحادثة الامك وانه كذب وزور .. .

2 — ومنها قول باطل يقوله كافر او ضعيف الايمان فتنزل الآية رادة عليه مثل : وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا .. الخ ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم .. الخ .

3 — ومنها سؤال يوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم كأن يسأل عن الخمر والميسر فيجيب القرآن : فيها اثم كبير ... الخ

4 — ومنها رغبة النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك كمسألة تحويل الكعبة : قد نرى تقلب وجهك فى السماء .. الخ .

5 — ومنها التفسير لما اشكل على بعض القراء كالخط الابيض من الخط الاسود من الفجر .

6 — ومنها امر يجتهد فيه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يصيب فتنزل الآية او الاية عاتبة :

عفا الله عنه لم اذنت لهم .. الخ ما كان انبياء ان يكون له اسرى .. الخ ، عيسى وتولى .. الخ (والصحيح ان النبي قد يجتهد ويخطئ ولكنه لا يقر على خطئه كما هنا ...)

7 — ومنها ان يخفى النبي صلى الله عليه وسلم امرا فى نفسه يريد مخافة اقوال الناس فتنزل الآية : واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك .. الخ .

او يتورع من امر احل له فتنزل الآية عاتبة : يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك .. الخ (وجائز للانسان ان يمتنع او يتورع من حلال اذا لم يكن فى ذلك مجابهة للتشريع ومحل العتاب فى الآية انها هو فى الحقيقة ان حرم النبي ذلك ابتغاء مرضاة ازواجه ومعلوم فى الاصول ان الكلام اذا قيد بقيد مروح الكلام هو ذلك القيد ...

والمحرم انها هو تحليل ما حرم او تحريم ما حلل عنادا : قل من حرم زينة الله .. الخ ، قل لا اجد فيها اوحى الى محرمنا .. الخ . اما لغير عناد كامتناعه صلى الله عليه وسلم من اكل الضب فجائز ...)

معنى نزول القرآن

للأستاذ محمد بن تاوريت

بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتظر الوحي من السماء كما وقع في فترة الوحي وكما وقع في تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة : قد نرى تقلب وجهك في السماء ... وأما قوله : وانزلنا الحديد فالتبادر منه (خلقنا) وفي تفسيره بغير هذا تكلف فالنتيجة أن النزول في القرآن وفي الحديث ورد بمعنى النزول من فوق الى أسفل وورد بغير ذلك مثل : خلق ، والله .. وهل هو حقيقي فيهما أو حقيقي في الأول فقط مجاز الباقي في الظاهر الأخير : ففي القاموس يقول : النزول الحلول . وفي الصحاح نحوه ..

وأما القول بخلق القرآن فمسألة من أمهات المسائل الدينية والباحث الكلامية أثارها المسلمون في أيام المأمون أو أثارها المأمون ولم يأل جهدا في حمل العلماء على القول بأن القرآن مخلوق ونال المخالفين له شر عظيم ...

وللإلوسي في الجزء الأول من تفسيره تحقيق فيها انتهى الى دحضها وإبطال القول بخلق القرآن ...

وأما مسألة ، أزلية القرآن فالتحقيق أن الأزلي أنها هو المعاني ، لا الالفاظ ، فهي حديثه لا ريب وعلى ذلك فإذا قلنا مثلا : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله .. الخ ، أن هذا كلام الله وهو طبعاً أزلي ، فمعناه أن معنى هذه الالفاظ كلام الله .

اختلف العلماء في معنى نزول القرآن ، فمنهم من يقول : خلقه الله وهذا — طبعاً — ممن يقولون بخلق القرآن ...

ومنهم من يقول بمعنى الاعلام ، وظاهر أن هذا ممن يقولون بأزلية القرآن .. أما ابن تيمية فيقول : أن ليس معناه إلا النزول الحقيقي الذي هو من أعلى الى أسفل وينكر أن يكون ورد لفظ النزول أو الانزال بغير هذا المعنى . ولهذا فهو يخرج كل ما يوهم وروده بغير هذا المعنى مخرجاً يجتهد فيه كثيراً ويبذل فيه من العناء والتكلف شيئاً غير قليل ... (الرسائل) وهكذا نرى ابن تيمية يقرر النزول على حقيقته السالفة حتى في الحديث الذي يقول : أن الله ينزل الى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان أو ما معناه ، فلقد أخبر ابن بطوطة في (رحلته) أنه حضره مرة وهو يخطب على منبر الجامع (يعني جامع دمشق) فكان من جملة كلامه أن قال : أن الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر ... !

قال ابن بطوطة وكان لهذه القولة وأمثالها ما حمل الناصر (يعني ابن قلاوون) على سجنه بالقلعة حتى مات ..

والذي يظهر لي أن انزال القرآن على معناه اللغوي الذي قرره ابن تيمية : من السماء الى الأرض

5 — تمرين النبي صلى الله عليه وسلم على امتثال كل الاوامر فلقد قال الله له : انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ..!

قال الالوسي : وكان شاقا ثقيلا عليه اكثر من غيره لانه صلى الله عليه وسلم مأمور بتحمل هذه الاوامر وتحملها ...

وكذلك كما في البخاري عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاقي من الوحي شدة حتى ان جبينه صلى الله عليه وسلم كان يقطر عرقا في اليوم الشديد البرد ... ولا اظن ان تلك الشدة التي كان يلاقيها الا لخوفه صلى الله عليه وسلم من ذلك العبء الثقيل الذي كان يلقي على عاتقه .. وقد وصفه الله بأنه ثقیل..

6 — وان لا يضيق به المسلمون الاولون فيقع لهم ما وقع لبني اسرائيل ويصبحوا به كافرين .. ولا امر ما نهامهم الله عن ان يكتروا من الاسئلة اما نحن فلم نضق به لاننا نشأنا في الاسلام وورثنا الدين عن آبائنا ولا يخفى ما للبيئة والوراثة من اثر ..

7 — ان يكون المسلمون الاولون على خشية من ان يرتكبوا ما حرم الله لانهم حينئذ لا يأمنون ان ينزل الله فيهم قرآنا يندد بهم ويفضح سرائرهم وفعلا فقد نزل القرآن في بعضهم كما نزل في بعض المنافقين الذين كانوا يظهرون الاسلام .. وهذا لاشك انه يجعلهم مشفقين كثيرا من ان ينتهكوا حرمان الله فالآية تنزل فيهم اشد عليهم من وخز الابر واقسى من التقلب على الجمر ، بل ان المشركين انفسهم كانوا يشفقون من ان تنزل فيهم آية لانهم على الاقل يعتبرونها هجوا من النبي لهم فلقد يروى ان امرأة ابى لهب لما نزلت السورة فيها وفي زوجها صارت تبكي وتنتحب وتقول لزوجها او لاخته ابني طالب : ان ابن اخيك هجاني ...

8 — اثبات ان هذا الكتاب من عند الله وليس كتابا خلقه التفكير الطويل ومهد له صاحبه من زمن بعيد ، فما هي الا الحادثة تقع فينزل حكمها جديدا كجديتها وما هو الا السؤال يلقي فينزل حكمه وجوابه وكان كان مهيا ، وما هي الا التشبهات والمجاذلات العنيفة حتى يكون الرد المفحم والحجة البالغة الدامغة ، وهكذا .. فلو نزل القرآن جملة واحدة لقال القوم ما قالوا .. ولكنه كتاب الله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم ينزل الا مسائرا للحياة مصلحا من شأنها على حسب الظروف والحادثات .

ولم أرجع في استخلاص هذه العلل الا الى فكري وبعد ما كتبت هذا اطلعني زميلي على تقييد قيده في

ذلك عن الفخر الرازي فأحببت ان اثبته هنا لان فيه بعضا مما ذكرت واسراراً اخرى لم اوفق اليها ..
وما هو التقييد كما هو :

1 — انه صلى الله عليه وسلم لم يكن من اهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبط ، ولجاز عليه الغلط والسهو .

وانما نزلت الثوراة جملة واحدة لانها مكتوبة يقرأها موسى .

2 — ان من كان من الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فماله تعالى ما اعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له اكمل فيكون ابعد له عن المساهلة وقلة التحصيل .

3 — ان تعالى لو انزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها جملة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك ، اما لما نزل مفرقا منجها فلا جرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها اسهل .

4 — انه اذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان اقوى على أداء ما حمل وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتماله اذية قومه وعلى الجهاد .

5 — انه لما تم شرط الاعجاز منه مع كونه منجها ثبت كونه معجزا فانه لو كان ذلك مقدورا لبشر لوجب ان ياتوا بمثله منجها مفرقا .

6 — كان القرآن ينزل بحسب اسئلتهم والوقائع الواقعة لهم فكانوا يزددون بصيرة لانه بسبب ذلك كان ينضم الى الفصاحة الاخبار عن الغيوب .

7 — انه لما نزل منجها مفرقا والنبي صلى الله عليه وسلم كان يتحداهم في اول الامر فكانه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل اولى ، فبهذا الطريق ثبت في فؤاده انهم عاجزون عن المعارضة لا محالة ...

8 — ان السفارة بين الله تعالى وبين انبيائه وتبليغ كلامه الى الخلق منصب عظيم فيحتل ان يقال : انه تعالى لو انزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل ، اما مع التنجيم فقد بقي ذلك المنصب العالي فلاجل ذلك نزل القرآن منجها .. انتهى .

ما فوائد معرفة اسباب النزول ؟

فوائدها كثيرة منها :

1 — معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

(وذلك ليتأتى القياس فيما وجدت فيه تلك العلل المتشابهة فالتشريع والحكم كما يقولون يدور مع العلة وجودا وعدما ..)

2) تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .

(وقد اختلف الأصوليون في ذلك والاصح عموم اللفظ لا خصوص السبب) .

3 — ومنها أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه فاذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فان دخول صورة السبب قطعي واخراجها بالاجتهاد ممنوع كما حكى الاجماع عليه القاضي ابو بكر في التعريف .. ولا التفات الى من شذ فجز ذلك كما حكاه في الاقتان .

مثلا : الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا .

في هذا المثال تضمنت الآية مع القول المتوعد عليه (باللعن) المقيد الامر بمقابلة المشتمل على اداء الامانة والمناسبة تقتضي دخول ما دل عليه الخاص في العام : ان الله يامرکم أن تؤدوا الامانات الى اهلها ...

4 — ومنها الوقوف على المعنى وازالة الاشكال الذي قد يأتي من نحو الاشتراك . لهذا قال الواحدي : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .. ونحو هذا قاله ابن دقيق العيد وابن قيمية .. فمثلا اذا قرانا : نساؤكم حرث لكم فانتوا حرثكم انى شئتم ، ووقفنا على مجرد دلالة (انى) وقفنا في الحيرة والاشكال : لان انى تكون بمعنى حيث (اي حيث الاطلاق لا حيث التقيد) وتكون بمعنى كيف .. ولكن لو رجعنا الى سبب النزول وهو ان اليهود كانوا يقولون ان الرجل اذا جامع اهله على جنبه مثلا فان المولود يخرج احول . وان القرآن رد عليهم : اذا رجعنا الى سبب النزول فهمنا ان (انى) هنا بمعنى كيف لا حيث . وكذلك لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب.

فاذا لم ترجع الى ابن عباس لبيان لنا سبب النزول — وان اهل الكتاب سالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وفرحوا بذلك — فاننا نرتبك .

5 — ومنها معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المهم فيها .

ولقد قال مروان في عبد الرحمن بن ابي بكر انه الذي انزل فيه : والذي قال لوالديه اف لكما .. الخ فردت عليه عائشة وبينت له سبب نزول الآية .

وقد يكون من فوائد معرفة السبب معرفة المتقدم من المتأخر فيكون هذا مقيدا او مخصصا او معبأ او ناسخا اذا قلنا : ان المتأخر يقيد او يخص او يعمم الاول ...

والجهل بسبب النزول كثيرا ما ينجم عنه آراء باطلة من ذلك أن عثمان ابن مظعون وعمرو بن معدى كانا يقولان بحل الخمر احتجاجا بقوله : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا .. الخ ولو علما سبب النزول لما تورطا في هذا الرأي الفاسد.

6 — ومن فوائده عند الشافعي دفع توهم الحصر في قوله تعالى : قل لا اجد فيها اوحى الي محرما على طاعم يطعمه .. الآية قال : لان الكفار لما أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله وكانوا على المضادة والمحاداة جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكانه قال : لا حلال الا ما حرمتوه ولا حرام الا ما حلتوه .. والغرض المضادة لا النفي والاثبات على الحقيقة فكانه قال تعالى : لا حرام الا ما حلتوه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ولم يقصد حل ما وراءه ، اذ القصد اثبات التحريم لا اثبات الحل ...

هكذا قال الشافعي . اما مالك فيقول بالحصر الحقيقي في هذه المذكورات .

ما السر في نزول القرآن منجما ؟

السر في ذلك أمور منها :

1 — ما اشار اليه الله في قوله : لنثبت به فؤادك.

2 — الاعجاز المتكرر بتكرار الحادثات وهذا يؤخذ من قوله : ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيراً .

3 — التدريج في التشريع كما حصل ذلك في تحريم الخمر ليكون ذلك ابلغ اثرا في الامتثال .

4 — تسهيل حفظه في الصدور .

مباحث في القرآن

للكاتب تقي الدين الهالبي

وقوته وحيله وحذره ان يجوزها ولا يتعدها ، كما
انشد ابن ابي الدنيا في (التفكير والاعتبار) عن
شيخه ابي جعفر القرشي حيث قال ، واحسن المقال :

واذا نظرت تريد معتبرا
فانظر اليك فنيك معتبرا

انت الذي تهسي وتصبح في الـ
دنيا وكل اموره عبر

انت المصرف كان في صفر
ثم استقل بشخصك الكبر

انت الذي تنعاه خلقتـه
ينعاه منه الشعر والبشر

انت الذي تعطي وتسلب لا
ينجيه من ان يسلب الحذر

انت الذي لا شيء منه له
واحق منه بماله القدر اه

قال محمد تقي الدين : اقتصر من ذلك على مثال
واحد اذا تأملت حق التأمل ازددت يقينا بما ذكرته آنفا ،
 وذكره غيري من الباحثين من أن عجائب القرآن لا تنقضي
قال تعالى في سورة الواقعة (71 — 74) افرايتم النار
التي تورون . انتم انشأتم شجرتها ، أم نحن
المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . فسبح
باسم ربك العظيم) .

اعلم — علمت خيرا ووقيت ضيرا — ان مباحث
القرآن وعلومه وفوائده ، وجواهره ، واسراره لا تعد
ولا تحصى ، وليست خاصة بزمان دون زمان ، ففي كل
زمان يظهر منها شيء كان خافيا من قبل كما قال
الشاعر :

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا

بل كما قال الله تعالى في آخر سورة فصلت
53 سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي انفسهم حتى يسمعون
لهم انه الحق)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : اي سنظهر لهم
دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند
الله على رسول الله (ص) بدلائل خارجية في الآفاق من
الفتوحات وظهور الاسلام على الاقاليم ، وسائر الاديان .
قال مجاهد والحسن والسدي : ودلائل في انفسهم
قالوا : وقعة بدر ، وفتح مكة ، ونحو ذلك من الوقائع
التي حلت بهم نصر الله فيها محمدا صلى الله عليه
وسلم وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه .

ويحتمل ان يكون المراد من ذلك ، ما الانسان
ركب منه وفيه وعليه من المواد والاخلاط ، والهيآت
عجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على
كبة الصانع تبارك وتعالى ، وكذلك ما هو مجبول
يه من الاخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك ،
ما هو متصرف فيه تحت الاقدار التي لا يقدر بحولـه

تعقيب :

في العلة الاولى : اختلف العلماء في جوار السهو على النبي صلى الله عليه وسلم والتحقيق أنه محال كما حرر ذلك الشيخ محمد عبده في تفسيره قائلا :
انه لو جاز ذلك لجاز الخلل في الرسالة وهو محال .

أما مايتوهم من أنه صلى الله عليه وسلم حدث له نسيان كما وقع في حديث ذي اليمين حينما (صلى) صلى الله عليه وسلم الرباعية اثنتين فسأله ذو اليمين :
اقتصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله .. الخ . فانما ذلك لحكمة التشريع وليس من خلل في الذاكرة وانما هو من الله لينبني عليه تشريع وأحكام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا أنسى ولكن أنسى .. الخ .

وأما آية ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخيرمنها أو مثلها .. فليس قوله ننسها من النسيان وانما هو من النساء بمعنى التأخير ، وعلى فرض أنه من النسيان فهو لا يقوم دليلا الا على امكانه لا على وجوده ووقوعه فغاية ما في الآية شرط وجزاء : ان كان كذا كان كذا أو مهما ، وهل وقع ذلك أو لم يقع ؟ يبقى ما هو اعم ، والقاعدة الاصولية انه : ما احتمل واحتمل سقط به الاستدلال ..

وتأييد العدم امكان النسيان للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن وانطباع الوحي في حافظته ما رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصفه للوحي واتيان جبريل وأنه : يفصم عني و « وقد وعيت » . فعبر بالماضي صلى الله عليه وسلم تصوير التمكن الوحي منه وتمكنه منه وأنه ينطبع في روعه انطباعا تاما .

وأما يروى عن عائشة في تفسير المعوذتين من أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر وأنه كان يخيل

اليه انه يفعل الشيء وهو لا يفعله فالظاهر أن ذلك انما هو في أمور الدنيا لا الرسالة يشعر بهذا قولها :
يفعل الشيء .

وأما الحديث الذي رواه البخاري من أن جبريل كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان وأنه كان يدارسه القرآن وكان صلى الله عليه وسلم يعرض عليه ما حفظه فكان جبريل يتعهده ليلا ينسى .. الخ فهذا لا ينافي أن النبي صلى الله عليه وسلم محال عليه النسيان في أمور الدين .

فجبريل ما كان يتعهده الا ليبقى النبي صلى الله عليه وسلم معصوما من هذا النسيان فنسيانه صلى الله عليه وسلم على كل حال محال بأمر من الله ، بجبريل أو بغيره ...

والنتيجة من هذا كله أن العلة الاولى غير ظاهرة.. أو لا تستقيم .. والثانية غير ظاهرة أيضا أمر التساهل موقوف على أمر الله فاذا أمره الله بعدمه فأمره منفذ لا محالة ...

وأما الثالثة فهي موافقة لما ذكرته في العلة السادسة .

وأما الرابعة فهي مأخوذة من قول الله : كذلك لنثبت به فؤادك .

وأما الخامسة فهي قريبة مما ذكرته في الثانية ..

وأما السادسة فهي قريبة مما ذكرته في الرابعة..

وأما السابعة فهي تكرار لما ذكره في العلة الخامسة ..

وأما الثامنة فلا أظن أن التبليغ ملحوظ فيه ترضية جبريل (ص) بمنصبه العالي « السفارة » والله أعلم .

تطوان : محمد بن تاويت

فوق غابات جبلية يندر أن يصل إليها الناس بأقدامهم
أو على الدواب ، ولا يشاهدون ما فيها من الوحوش
والأشجار إلا إذا كانوا راكبين في تلك القطر وهي
صاعدة بهم .

وسكان تلك الفنادق متوقفون في معيشتهم على
تلك القطر ، لا يصل إليهم من الأرض إلا ما حملته ،
وهم يعيشون في تلك الفنادق عيشة راضية ، لا ينقصهم
شيء مما يوجد في المدينة أسفل منهم ومحطات هذه
القطر تعلو عن وجه الأرض بمقدار مائة درجة ، ومنها
ينبعث القطار صاعداً في الجو ، وله منظر عجيب .

ومنها البواخر الجواري في البحر كالاعلام ، أي
كالجبال ، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة
الشورى بقوله جل من قائل (32 — 35) ومن آياته
الجواري في البحر كالاعلام . أن يشأ يسكن الرياح
فيظلل روادك على ظهره ، أن في ذلك آيات لكل
صبار شكور . أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير .
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص .

قال القاسمي في تفسير هذه الآيات : (ومن آياته
الجواري) أي السفن الجارية (في البحر كالاعلام) أي
الجبال (أن يشأ يسكن الرياح ، فيظلل روادك على
ظهره) أي فيبقي ثوابت على ظهر البحر (أن في ذلك)
أي في جري هذه الجواري في البحر بتسخير الله تعالى
الرياح لجريها (آيات) أي لعبرة وعظة وحجة بينة على
القدرة الإلهية (لكل صبار شكور) أي لكل مؤمن ،
وانما أتر المذكورين تذكيراً بما ينبغي أن يكون المؤمن
عليه من وفرة الصبر ، وكثرة الشكر ، إذ لا يكمل
الإيمان بدونها ، والإيمان نصفان ، نصف صبر ،
ونصف شكر . اهـ .

وفي الزمان السابق كانت السفن صفارا لا تشبه
بالجبال إلا على ضرب من التجوز والتسامح ، أما في
زماننا هذا ، فقد صنعت سفن كالسفينة الانكليزية
المسماة (كون ميري) أي الملكة مارية ، وحمولتها
ثمانون ألف طن . وسمعت أن اليابانيين صنعوا سفينة
من ناقلات الزيت حمولتها مائتا ألف طن ، فهذه السفن
نسبيها بالجبال يستمتع المسافرون فيها بالنار أنواعا
من المتاع ، فالنار هي التي تحملهم وتسيرهم ، وتجعل
سفينتهم في الليل الحالك قطعة من النور ، وفيها
طعامهم ، ودور اللهو ، كالمسرح ، ودور الصور
المتحركة (سينما) والمسابع ، وآلات النقل للانتقال
من الأرض إلى الباخرة ، ومن الباخرة إلى الأرض في
لراسي وفي عرض البحر ، كل ذلك استمتاع بالنار .

ومنها الطائرات بجميع أنواعها ، فانها تسيّر
بالنار ، والمسافرون فيها يستمتعون بسبب النار أنواعا
من الاستمتاع ، لولا وجود النار ما قدروا على شيء
منها . ومنها الصواريخ والاطار الصناعية والسفن
الفضائية التي تخرق الغلاف الجوي للأرض ، كأنها
السهم المنبثقة من القسي ، أو الرصاص المنبعث من
البنادق ، فتشق ذلك السقف المحفوظ ، وتخرج إلى
الفضاء الخالي ، فتجول فيه دائرة حول الأرض أيما
وليلي كثيرة ، لأن يومها وليلتها لا يزيدان على ساعة
ونصف ، ثم ترجع إلى الأرض التي منها خلقت ، وفيها
صنعت بأذن العليم الحكيم .

وأما قوله تعالى في سورة الرحمن (33 — 35)
يا معشر الجن والإنس ، أن استطعتم أن تنفذوا من
اقطار السموات والأرض ، فانفذوا ، لا تنفذون إلا
بسلطان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكم
شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران .

قال البيضاوي : أن قدرتم أن تخرجوا من جوانب
السموات والأرض ، هارين من الله ، هارين من
قضائه (فانفذوا) فخرجوا (لا تنفذون) لا تقدرون
على النفوذ (إلا بسلطان) إلا بقوة وقهر ، وإن لم
ذلك ، أو أن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما في السموات
والأرض ، فانفذوا لتعلموا ، لكن لا تنفذون ولا تعلمون
إلا ببينة نصبها الله تعالى فتخرجون بأفكاركم عليها
(فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي من التنبيه والتحذير
والمساهلة والعفو مع كمال القدرة ، أو مما نصب من
المساعد العقلية والمعارج النقلة ، فتنفذون بها إلى ما
فوق السموات العلى ، (يرسل عليكم شواظ) لهب
(من نار ونحاس) ودخان قال :

تضيء كضوء سراج السليط

سط لم يجعل الله فيه نحاسا

أو صفر مذاب يصب على رؤوسهم (فلا
تنتصران) فلا تمتنعان (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فإن
التهديد لطف ، والتميز بين المطيع والعاصي بالجزاء
والانتقام من الكفار في عداد الآلاء . انتهى .

قوله (تضيء كضوء سراج السليط) السليط :
هو الزيت . والنحاس : الدخان . واذ لم يجيء في هذه
الآيات تفسير عن النبي (ص) ، وقد اختلف المفسرون
فيها ، فلا حرج علينا أن نفسرها بما يوافق لفظة
العرب ، وواقع علم الهيئة ، ففيها تحد للجن والإنس
أنهم مكلون بقدرة الله في هذه الأرض ، لا يستطيعون

وقال قطرب : القوي من الاضداد ، يكون بمعنى الفقر ، ويكون بمعنى الغنى ، يقال : اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد ، واقوى اذا قويت دوابه ، وكثر ماله والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للاغنياء والفقرى ، لا غنى لاحد عنها . وقال المهدوي : الاية تصلح للجميع ، لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم ، والغنى والفقير وحكى الثعلبي عن اكثر المفسرين القول الاول ، وهو الظاهر . اهـ .

انتفاع المسافرين بالنار في هذا الزمان

قد رايت في كلام ائمة التفسير ان المقوين هم المسافرون ، وان الله جعل لهم النار متاعا يستمتعون بها في اسفارهم ، ورايت ما ذكره المفسرون في استمتاعهم بها ، وقد ظهرت في هذا الزمان انواع من الاستمتاع بالنار للمسافرين لم تكن تخطر بالبال ، فمنها القطر ، جيع قطار ، وهي سفن البر التي تسير ليل نهار في جميع انحاء المعمر ، منها السريع والمتوسط والبطيء ، تحمل المسافرين وامتعهم بالغة ما بلغت في الثقل ، وتحمل البضائع من قطر الى قطر ، ومن صقع الى صقع ، وتحمل الاطعمة لكثير من القرى والمحطات التي لا تعيش الا على ما تحمله القطر اليها . فهذا النوع من المتاع للمسافرين اولا ، وللمقيمين ثانيا قوامه النار ، فهي التي تسير القطر ، وتضيئها وتطبخ اطعمتها ، وتدفع اهلها ، وهي على انواع غير ما تقدم فمنها التي تسير في سككها على وجه الارض ، ومنها التي تسير تحت الارض في انفاق طويلة مشتبكة ، ينزل اليها احيانا عشرين درجة واكثر ، وتكون في طبقات تحت الارض ، قطر في الطبقة المباشرة لوجه الارض ، وهناك طبقة تحتها تسير فيها قطر اخرى ، وهناك طبقة ثالثة ، كما يعلم ذلك من اقام في برلين وباريس ولندن . وهناك نوع من القطر يسير على قضبان ممدودة على اعمدة في سماء المدينة كلها في ارتفاع يحاذي الطبقة الخامسة والسادسة من البيوت ، حتى ان الانسان اذا كان راكبا فيها يرى السيارات على وجه الارض كأنها حشرات ، كما في مدينة برلين .

ومنها القطر التي ترفع المسافرين وامتعهم . والبضائع والاغذية الى الفنادق المبنية على قمم الجبال المرتفعة العالية آلاف الامتار ، كما في سويسرا والنمسا وغيرها . وهذه القطر تسير بالكهرباء ، ولها اعمدة حديدية يلتصق بها القطر ، فيرتفع في الهواء

قال القنوجي في تفسيره : (افرايم النار التي تورون) اي اخبروني عنها ، ومعنى تورون تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب ، يقال : او ريت النار اذا قدحتنا ، والعرب قدح بعودين تحك احدهما على الاخر ، ويسمون الاعلى الزند والسفلى الزنده ، شبهوها بالفحل والطروقة (انتم انشأتم شجرتها) التي تكون منها الزنود ، وهي المرخ والعفار تقول العرب : في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار . وزاد الجلال المحلي : الكلخ ، نقل سليمان الجبل عن شيخه انه قال : ولم نجده في القاموس ولا في المختار ، غير انه اخبر بعض اهل المغرب والشام بانه موجود معروف عندهم شبيه بالقصب ، تؤخذ منه قطعتان ، وتضرب احدهما بالآخرى فتخرج النار .

وقوله (ام نحن المنشئون) لها بقدرتنا دونكم ، ومعنى الانشاء : الخلق ، وعبر عنه بالانشاء للدلالة على ما في ذلك من بديع الصنعة وعجيب القدرة (نحن جعلناها) اي النار التي في الدنيا (تذكرة) لنار جهنم الكبرى حيث علقنا بها اسباب المعاش ، وعممنا بالحاجة اليها البلوى ، لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ، ويذكرون ما اوءدوا به .

قال مجاهد وقتادة : تبصرة للناس في الظلام . وقال عطاء : موعظة ليتعظ بها المؤمن . وقال ابن عباس تذكرة للنار الكبرى . عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال : ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من جهنم ، قالوا : والله ان كانت لكافية يا رسول الله؟ قال : فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها . أخرجه البخاري ومسلم .

وقوله (ومتاعا للمقوين) اي للمسافرين ، قاله ابن عباس ، يعني منفعة للذين ينزلون بالقواء ، وهي الارض القفر ، كالمسافرين واهل البوادي النازلين في الاراضي المقفرة . يقال : ارض قواء بالمد والقصر ، اي مقفرة . ويقال : اقوى اذا سافر ، اي نزل القوى ، وخصوا بالذكر ، لان منفعتهم بها اكثر من المقيمين ، فانهم يوقدون بها بالليل لتهرب السباع ، ويهتدي الضال الى غير ذلك من المنافع .

وقال مجاهد : المقوين المستمتعين بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة ، وتذكر نار جهنم . وقال ابن زيد : للجائعين في اصلاح طعامهم ، يقال : اقويت منذ كذا وكذا ، اي ما اكلت شيئا ، وبات فلان القوى ، اي جائعا .

وأما كونه برهانا ، فانه حجة من الله تعالى على خلقه جميعا ، فاي جماعة استمسكت به ظهرت وانتصرت ونازت وعلت ، وبذلك تتم الحجة على غيرها من الامم التي سلكت غير مسلكها .

وقوله سبحانه (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) دليل على أن الايمان بالله ، والاعتصام بالقرآن كما قال ابن جريج شرط في الاستضاءة بذلك النور ، والخروج من ظلمات الشقاء ، فمن اعتل ايمانه بالله ، ولم يعتصم بالقرآن ، فلا عمل به ولا اتخذه اماما وحكما ، لا يستضيء بنوره ، ولا يخرج من ظلمات شقائه . والرحمة هنا هي السعادة الدنيوية والاخرية جميعا ، أي سعادة البدن والروح والعاجل والاجل ، والفضل هو زيادة الاكرام والانتعام لتبقي ذلك النور فوق ما يخطر ببالهم حتى يدهشوا ويتحيروا ويغتبطوا .

وقوله سبحانه (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) أي يديم عليهم نعمته ، ويسلك بهم طريق السعادة . وهذا الصراط هو المعبر عنه في آية المائدة بـ (سبل السلام) .

الثاني في آية المائدة خطاب لاهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ، وحث لهم على الايمان بخاتم النبيين رسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه يبين لهم كثيرا مما أخفوه من كتبهم كآية الرجم ، ويعفو عن كثير مما لا تدعو الضرورة الى بيانه فيتركه مستورا .

الثالث أن الله سبحانه أخبرهم بأنه قد جاءهم منه نور وبرهان كما جاء الى غيرهم ، وهذا النور والبرهان هو كتاب الله القرآن ، فالمعطف عطف تفسير كما في قول الشاعر :

الا حبذا هند وأرض بها هند
وهند أتى من دونها النأي والبعد

فناي هو البعد . وقال عنتره :

حييت من طلل تقادم عهد
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

فالاقواء هو الاقفار . وقال عدي بن زيد :

تصدأ قواما لا اعوجاج فيه ولا انحراف . وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والاخرة ، مهم في الدنيا على منهاج الاستقامة ، وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات ، وفي الاخرة على صراط الله المستقيم المفضي الى روضات الجنات . اهـ .

2 — قال تعالى في سورة المائدة (16) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق الى جميع اهل الارض ، عربهم وعجمهم ، اميهم وكتابتهم ، وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل فقال تعالى (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير) أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه ، واقتروا على الله فيه ، ويسكت عن كثير مما غيروه ، ولا فائدة في بيانه .

وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس قال : من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب لقوله (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) فكان الرجم مما أخفوه . ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم فقال : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) أي طرق النجاة والسلامة ، ومناهج الاستقامة (ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم) أي ينجيهم من المهالك ، ويوضح لهم أبين المسالك ، فيصرف عنهم المحذور ، ويحصل لهم أحب الامور وينفي عنهم الضلالة ، ويرشداهم الى اقوم حالة . اهـ .

نفهم من آيتي النساء وآية المائدة امورا الاول أن القرآن نور وبرهان من الله تعالى . أما كونه نورا ، فانه يخرج كل أمة آمنتم به ، وعملت بمقتضاه ، واتخذته اماما وحكما من ظلمات الشقاء المادي والروحي الى نور السعادة الكبرى ، حتى تكون اسعد الامم في حياتها من جميع الوجوه ، ولا تكاد تساويها في ذلك أمة اخرى من الامم المخالفة ، وذلك بعينه هو ما حدث للعرب الذين استضاءوا بنور القرآن ، ولكل أمة استضاءت به بعدهم .

يمكن ، لان صعود السماء مثل فيها يتمتع ويبعد من الاستطاعة ، وتضيق عنه المقدرة . اهـ .

وليس مقصودي بهذه الاشارة ان استوعب ما ظهر من الآيات في الأفاق للعلماء والباحثين ، فقد الف في ذلك الامام السلفي خاتمة المحققين ، وسيف الله المصلت على المبتدعين السيد محمد شكري الألوسي البغدادي جزءا لطيفا سماه (ما دل عليه القرآن مما يعرض الهيئة الجديدة القوية البرهان) ولم يتعرض رحمه الله للآيات التي ذكرتها من سورة الواقعة والرحمن والانعام ، فاكفى بهذا القدر الذي سقته على سبيل التنبيه .

فضائل القرآن وشرطها

اعلم ان القرآن حياة بلا موت ، وغنى بلا فقر ، وعز لا ذل معه ، وسعادة لا يخالطها ولا يعقبها شقاء ، وقوة أبدية ، ونصر سرمدى ، وفضائل لا تعد ولا تحصى ، ولكن لادراكها شروط لا تنال بدونها البتة ، وهذه الشروط مبينة في الكتاب وفي بيانه ، وهو السنة ولو اردت ان استوعب ما وصل اليه علمي القاصر من هذه الفضائل المشروطة لطال الكلام حتى يبلغ مجلدات ، لذلك اقتصر على ذكر شيء من ذلك ، وفي بعضه كفاية . فمن آيات الكتاب العزيز :

1 — قوله تعالى في سورة النساء (174 — 175) يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا . فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يقول تعالى مخاطبا لجميع الناس ، ومخبرا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم ، وهو الدليل القاطع للعذر والحجة المزية للشبهة ، ولهذا قال (وانزلنا اليكم نورا مبينا) اي ضياء واضحا على الحق . قال ابن جريج وغيره : وهو القرآن . (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا) اي جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم . قال ابن جريج : آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن . رواه ابن جريج .

وقوله تعالى (فيدخلهم في رحمة منه وفضل) اي يرحمهم فيدخلهم الجنة ، ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ، ورمعا في درجاتهم من فضله عليهم ، واحسانه اليهم (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) اي طريقا واضحا

ان يخرجوا عن قضاء الله ، وما لهم مهرب ولا محيص ، فان الله ربط حياتهم وسلامتهم بهذا الغلاف الجوي ، لا يستطيعون اختراقه والخروج عنه الا بقوة من الله تعالى يمنحهم اياها متى شاء على القدر الذي يريده . اما الارض فقد سخرها لهم وجعلها واسعة مظللة ، واذن لهم ان يمشوا في مناكبها ، ويأكلوا من رزقه في جميع ارجائها ، برها وبحرها ، لا حجر عليهم . اما الخروج عنها فلا يمكنهم الا بالقدر الذي يريده الله ويشأوه ، وبالسultan الذي يمنحهم ، مع بقائهم مرتبطين بالارض ، منها يتزودون ، غذاء وهواء واخبارا واليها يرجعون اضطرارا .

فكل سفينة تسمى لاختراق هذا الجو المحيط بالارض الذي هو جو الحياة المحفوظ من الآفات السماوية ، من الشهب والنيازك والاشعاع القاتل تعرض نفسها للاحتراق بالنار والنحاس ، فان شاء الله منحها سلطانا تتقلب به وتنتصر على الشواظ من النار والنحاس ، وان لم يشأ احترقت وتلاشت ، فسبحان العزيز العليم .

يزيد هذا وضوحا قوله تعالى في سورة الانعام (125) فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ، كأنها يصعد في السماء) .

قال القاسمي في تفسيره هذه الآية (فمن يرد الله ان يهديه) اي للتوحيد (يشرح) اي يوسع (صدره للإسلام) بتصقيله بنور الهداية ، فيقبل نور الحق كما قال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) .

روى عبد الرزاق ان النبي (ص) سئل عن هذه الآية كيف يشرح صدره ؟ قال : نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح ، قالوا : فهل لذلك من امارات يعرف بها ؟ قال : الانابة الى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت ورواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، قال ابن كثير : وللحديث طرق مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضا . (ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) اي شديد الضيق فلا يتسع للاعتقادات الصائبة في الله ، والأمور الأخروية .

وقوله (كأنها يصعد في السماء) اي يتكلف الصعود في جهة السماء ، وطبعه يهبط الى الارض ، فشبهه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول أمرا غير

2 — من الحارث الاعور قال : مررت في المسجد ،
 فماذا الناس يخوضون في الاحاديث ، فدخلت على علي
 فاخبرته فقال : اوقد نعلوها ؟ قلت نعم ، قال : اما اني
 سمعت رسول الله (ص) يقول : الا انها ستكون فتنة ؟
 قلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب
 الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما
 بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار
 قصبه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ،
 وهو حبل الله المتين ، وهو الفكر الحكيم ، وهو
 الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا
 تلتبس به الالسنه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا
 يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي
 لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا (انا سمعنا قرآنا
 عجبا يهدي الى الرشده فآمنا به) من قال به صدق ،
 ومن عمل به اجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه
 هدي الى صراط مستقيم . رواه الدرامي والترمذي
 وقال : هذا حديث اسناده مجهول ، وفي الحارث
 يقال .

ليس لهذا الحديث اسناد صحيح ، ولكن معناه
 صحيح ، ولذلك رواه المنذري في الترغيب والترهيب
 والبغوي في المصابيح ، وابن كثير في التفسير .
 والاحاديث التي كانوا يخوضون فيها وشغلته عن
 القرآن هي القصص والاعخبار ، والحكايات التي لا
 طائل تحتها ، والمساجد انما بنيت للصلاة وذكر الله ،
 وخير الكلام كلام الله ، وبه ينبغي ان تعمر المساجد ،
 لا بالراي والباطيل . قال الشعبي رحمه الله : والله
 لقد بغض الى اهل الراي المسجد ، حتى لهو ابغض الي
 من كناسة بيتي .

وقوله (او قد فعلوها) انكار عليهم ، والضمير
 عائد على الفعلة الشنيعة . وقد صح عن النبي (ص)
 مجيء الفتن بعد زمانه عليه الصلاة والسلام ، ولا شك
 ان من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله التي هي
 بيانه عصمه الله من الفتن في كل زمان ومكان . وفي
 زماننا هذا فتن عظيمة ، ولا مخرج منها للدول والشعوب
 وآحاد الناس الا باتباع القرآن اتباعا حقيقيا ، والعمل
 به ، وتحكيمة ، ورفع رايته .

وقوله (نبأ ما قبلكم) اخبار الامم السابقة ، وما
 اصابها من العذاب ، باعراضها عن كتب الله ورسول
 الله (وخبر ما بعدكم) من سوء عواقب الظالمين
 والفاسقين عن امر الله ، والمتعدين لحدود الله ،
 واشراط الساعة . فمن تمسك به هداه الله دائما سبل

السلام كما تقدم في آية المائدة (وحكم ما بينكم) الاحكام
 الشرعية التي تحتاج اليها الامة الى يوم القيامة .
 وقوله (هو الفصل) اي الفاصل بين الحق
 والباطل ، وليس فيه شيء من الهزل ، بل هو جد كله
 (من تركه من جبار قصبه الله) اي من ترك القرآن
 من الجبارين القاهرين لخلق الله المتعاليين عن حكم الله
 قصبه الله اي اهلكه (ومن ابتغى الهدى) اي طلب
 الحق والرشاد والعدل في غير القرآن مما يضاد
 القرآن ويناقضه (اضله الله) اي اخرجته عن سبل
 السلام واوقعه في سبل الهلاك .

وقوله (وهو حبل الله المتين) قال الحافظ ابن
 كثير عن ابي جعفر الطبري بسنده الى ابي سعيد قال :
 قال رسول الله (ص) : كتاب الله هو حبل الله الممدود
 من السماء الى الارض . وروى ابن مردويه بسنده الى
 عبد الله قال : قال رسول الله (ص) : ان هذا القرآن
 هو حبل الله المتين ، وهو النور المبين ، وهو الشفاء
 النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه .
 وروى عن حديث حذيفة وزيد بن ارقم نحو ذلك . اهـ .

فمن تمسك بالقرآن كما تمسك به اصحاب رسول
 الله (ص) والصالحون من بعدهم من جماعات وآحاد
 اوصله الى السعادة الابدية ، ومن اعرض عنه ، فان له
 معيشة ضنكا ، اي ضيقة نكدية في هذه الدنيا ، ويحشره
 الله يوم القيامة اعمى ، لانه كان في الدنيا اعمى لا
 يستضيء بنور يستضيء بنور القرآن ، ومن كان في
 هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واصل سبيلا . فكل ما
 اصاب المنتمين الى الاسلام في هذا الزمان هو بسبب
 اعراضهم عن القرآن ، ومن شك فليجرب ، وكيف يشك
 عاقل في ذلك ، وهذا تاريخ المسلمين امانا ، كأننا
 ننظر اليه باعيننا مطابق لهذا الوعيد كل المطابقة ، وقد
 اعترف بهذا الموافق والمخالف ، حتى الملحدون أعداء
 الدين اعترفوا بان القرآن هو الذي نفخ في اتباعه روح
 الحياة ، ويعتهم على اقتباس المدنيات وعلوم الحضارة
 كما قرره جوزيف ماك كيب ، ونقله عن كبار الفلاسفة
 الملحدون في كتابه (مدنية العرب في الاندلس) في غير
 ما موضع . ويحتمل ان يكون الحبل بمعنى العهد في
 قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) ومن اعرض
 عن القرآن فقد نقض عهد الله ، فالمتعنيان متلازمان .

وقوله (لا تزيغ به الاهواء) يعني ان من كان هواه
 تبعا للقرآن ، يحيي ما احيى القرآن ، ويميت ما أمات
 القرآن ، ويثبت ما أثبتته القرآن ، وينفي ما نفاه القرآن
 ويرفع ما رفعه القرآن ، ويخفض ما خفضه القرآن ،

مقددت الادييم لراهنسيه
والفى قولها كذبا ومينا

ومما رزقناهم ينفقون . اولئك هم المؤمنون حقا ، لهم
درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)

عبر سبحانه وتعالى بـ (انما) التي هي للحرص
واكد هذا الحصر في آخر الايات بقوله (اولئك هم
المؤمنون حقا) وقد تضمنت هذه الايات خمس صفات
لا يتم الايمان بدونها . الاولى وجل القلب ، اي خوفه
عند ذكر الله . الثانية زيادة الايمان عند سماع آيات
الله تتلى . الثالثة : التوكل على الله والاعتماد عليه
وحده لا شريك له في جلب المنافع ودفع المضار ، والثقة
بوعده .

الرابعة : اقامة الصلاة ، اي اداؤها قائمة
كاملة تامة بالمحافظة على اوقاتها وطهارتها وجماعتها
واركانها وآدابها ، والخشوع فيها ، وكونها مطابقة
لصلاة رسول الله (ص) لقوله عليه الصلاة والسلام
في حديث مالك بن الحويرث الطويل (وصلوا كما
رايتوني اصلي) رواه البخاري .

الخامسة : اتفاق المؤمن بما رزقه الله ، زكاة
وغيرها . والمتصفون بهذه الصفات يعلى الله درجاتهم
في الدنيا والآخرة ، وينصرهم في الدنيا والآخرة ، ولهم
رزق كريم في الدنيا والآخرة ، وهم المتبعون للقرآن
السعداء به . واقتصر على هذا القدر من آيات كتاب
الله العزيز ، لان المقام لا يتسع لكثر منها وفيها غنية
وكفاية .

الاحاديث النبوية في هذا المعنى

1 — عن النواس بن سمعان قال : سمعت
النبي (ص) يقول : يؤتى بالقرآن يوم القيامة واهله
الذين كانوا يعملون به ، تقدمه سورة البقرة وآل
عمران ، كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما
شرق ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن
صاحبهما . رواه مسلم .

الظلة والغمامة : ما اظل الانسان فوق رأسه
كالسحاب ونحوه . والفرقان تنثية فرق بالكسر ، وهو
السرب من الطير . والشرق : الضوء والنور .
وتحاجان عن صاحبهما : أي تشفعان له . والشاهد في
قوله (واهله الذين كانوا يعملون به) فيه أن أهل
القرآن حقا هم الذين يقرؤونه ويعملون به . أما الذين
يقرؤونه ولا يعملون به فليسوا بأهله ، ولا يغالون هذا
الفصل .

والمين هو الكذب . ومثله قوله تعالى في سورة
البقرة (53) وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلمكم
تهتدون) فالفرقان هو الكذب .

واخبر سبحانه انه يهدي بذلك الكتاب المبين من
اتبع رضوانه ، و (من) من الفاظ العموم تصدق على
الواحد والجماعة ، فكل من اتبع رضوان الله ، بأن
عمل بما في كتابه ، واستسأ بنوره ، واتخذة اماما
وحكما ، وتخلق بما فيه من الاخلاق يهديه الله سبل
السلام ، أي طرق السلامة في الدنيا والآخرة ، فلا
يسلك سبيلا الا صحبتته السلامة ، ويخرجهم أي
المستضيئين بنور القرآن من الظلمات الى النور ،
وظلمات الحياة كثيرة ، والنور هو زوالها ، فلذلك
افرد (باذنه) أي بتوفيقه وارادته ، ويهديهم في جميع
أعمالهم الى صراط مستقيم ، وهو الاعتدال في أعمالهم
واحكامهم بلا افراط ولا تفريط لتمسكهم بالقرآن الذي
هو الميزان ، كما سيأتي في حديث الحارث الاعور عن
علي بن أبي طالب مرفوعا (ومن دعا اليه هدي الى
صراط مستقيم) .

3 — وقال تعالى في سورة الاعراف (2 — 3) كتاب
انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه ، لتنذر به
وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ، ولا
تتبعوا من دونه أولياء) .

قال الخازن : (ككتاب انزل اليك) يعني هذا كتاب
انزله الله اليك يا محمد ، وهو القرآن (فلا يكن في
صدرك حرج منه) يعني فلا يضيق صدرك بالإبلاغ
وتأدية ما أرسلت به الى الناس . اهـ . (لتنذر به) أي
بالقرآن جميع الناس تخوهم من عذاب الله في العاجل
والآجل اذا عرضوا عنه ، ولم يتبعوه (وذكرى
للمؤمنين) أي لتذكر وتعظ به المؤمنين ، فانهم المنتفعون
بالموعظة والذكرى .

ثم قال تعالى مخاطبا جميع الناس (اتبعوا ما
انزل اليكم من ربكم) وهو هذا القرآن ، (ولا تتبعوا
من دونه أولياء) من شياطين الانس والجن ، وتالوهم
على خلاف القرآن . والمؤمنون المنتفعون بالقرآن هم
الموصوفون في أول السورة التي تلي هذه ، وهي
سورة الانفال (2 — 4) انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم
ايما ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ،

أما من كان لا يطاوعه لسانه ، أو لا يجد من يهديه الى الصواب بيانه ، فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها ، ولهذا اجمع من نعلمه من العلماء على انه لا تصح صلاة قارئ خلف أمي ، وهو من لا يحسن القراءة . واختلفوا في صلاة من يبدل حرفا بغيره ، سواء تجانسيا أم تقاربا ، وأصح القولين عدم الصحة . اهـ

ثم نقل عن الشيخ أبي عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي في كتابه الموضح في وجوه القراءات في فصل التجويد منه ما نصه : فان حسن الاداء فرض في القراءة ، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته ، صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير اليه سبيلا .

ثم مضى الى أن قال : فالتجويد هو حلية التلاوة وزينة القراءة ، وهو اعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ، ورد الحرف الى مخرجه وأصله ، والحاقه بنظيره وتصحيح لفظه ، وتلطيف النطق به على حال صيغته ، وكمال هيئته ، من غير اسراف ولا تعسف ، ولا افراط ولا تكلف ، والى ذلك أشار النبي (ص) بقوله (من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل ، فليقرأ قراءة ابن أم عبد) يعني عبد الله بن مسعود ، وكان قد أعطى حظا عظيما في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيبه كما أنزله الله تعالى .

وناهيك برجل أحب النبي (ص) أن يسمع القرآن منه ، ولما قرأ أبكى رسول الله (ص) كما ثبت في الصحيحين . وروينا بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال : صلى بنا ابن مسعود المغرب بقل هو الله أحد ، ووالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيبه .

وقال ابن الجزي في المقدمة :

والإخذ بالتجويد حتم لازم
من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا
وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضا حلية التلاوة
وزينة الاداء والقراءة
سواجب عليهم حتم
قبل الشروع أولا أن يعلموا
خارج الحروف والصفات
ليلفظوا بأنصح اللغات

وهذا الواجب مضيع في المغرب لا يقوم بأدائه الا النادر من اهل العلم ، ولا أعلم في المغرب مدرسة تعلم تجويد القرآن ، مع أن اهل المغرب أحق الناس بالعناية باصلاح اللسان لاختلاطهم مع الأعاجم . وابدال كثير منهم بعض الحروف ، كالجيم يبدلونها زايًا ، والتاء يبدلونها بحرف الماني بين التاء والسين ، والثاء ينطقون بها مثل ذلك ، والذال يبدلونها دالا مهملة ، والظاء يبدلونها ضادا ، والشين يبدلونها سينا ، وقد يبدل هؤلاء السين شيئا ، يرتكب ذلك من ينسب الى العلم منهم من غير نكير ، وقد أشار الى ذلك المحقق ابن عبد السلام الفاسي في كتابه الذي ألفه في القرآن وعلومه وآدابه في المجلد الاول قال : اللحن لحنان ، جلي وخفي ، فالجلي لحن الاعراب ، والخفي لحن ترك اعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه ، وذلك أما بالنسبة الى مخارجها بأن لا تعطى حقها الواجب لها .

وأما بالنسبة الى صفاتها التي تحقق ذاتها وتفصلها عما يشاركها أو يقاربها ، وأما بالنسبة الى تبديلها بغيرها كجعل الظاء المعجمة مكان الضاد ، وكجعل السين المهملة مكان الشين المعجمة ، وكجعل الزاي مكان الجيم ، وكجعل الغين المعجمة مكان الراء ، وكجعل الهمزة مكان الكاف ، وكجعل همزة مفخمة بعض التفخيم مكان القاف ، الى غير ذلك مما يطول تتبعه مما نسمعه في السنة الناس . اهـ .

وقد سمعت بأذني قارئاً يقرأ قوله تعالى (إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) بابدال الشين سينا ، والجيم زايًا ، والذالين مهملتين ، وهذا من اللحن الذي يغير المعنى . وقد نقل القاضي عياض في الشفا الإجماع على أن من بدل حرفاً من القرآن عمدا كفر .

ومن أسوأ ما يرتكبه المغاربة من تبديل الحروف نطقهم بالتسهيل في قراءة ورش هاء خالصة ، فيقرؤون الهمزة الثانية في (ائلك ، واإذا) وما أشبه ذلك هاء ، وليس معنى التسهيل ، فالتسهيل تليين الهمزة الثانية حتى تكون بين الالف والهمزة ، أو بين الواو والهمزة ، أو بين الياء والهمزة ، ويقابله التحقيق بهما همزتين خالصتين .

ولم ينعدم التجويد بالمرءة في المغرب في أي زمان ، ولكنه كما قلت سابقا نادر ، وأكثر القراء على خلافه ، ومما يدلنا على ذلك ما جاء في نصوص الشيخ النهامي ابن الطيب السجلماسي ، ثم الغرقي في انكار تبديل التاء بما تقدمت الإشارة اليه ، وهذه الإبيات بعضها مختل الوزن ، فأننا أنقلها على علاقتها قال :

والعدل والحق ، وأهم ذلك توحيد الله ، ولذلك قالوا (فلن نشرك بربنا أحدا) وسائر ما قالوه في سورة الجن يدل على شدة تأثير القرآن فيهم .

وقوله (من قال به) أفنى بمقتضى ما فيه (صدق) أي أصاب الحق ، ومن أفنى بخلافه كذب ، (ومن عمل به) نجا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، ومن لم يعمل به هلك هلاكاً أبدياً (ومن حكم به عدل) ومن حكم بخلافه تعدى وظلم (ومن دعا إليه) أي إلى تحكيمه والعمل به (فقد هدى) بصيغة المجهول والمعلوم ، وهما متلازمان ، لأن الهادي إلى الصراط المستقيم مهدي .

تجويد القرآن

أعلم أن تجويد القرآن فرض على كل قارئ ، وتعليمه فرض كفاية على أهل كل بلد ، فإن تركوه وأهملوه أثموا جميعاً ، وقد نص العلماء على ذلك ، رحرروه أتم التحرير ، غير أن هذا المقاتل قد طال ، لذلك أردت أن ألم به المأما .

قال ابن الجزري في المجلد الأول من كتابه (النشر في القراءات العشر ص 210 ما نصه : التجويد مصدر من جود تجويداً ، والاسم منه الجودة ضد الرداءة ، يقال : جود فلان في كذا إذا فعل ذلك جيداً ، فهو عندهم عبارة عن الاتيان بالقراءة مجودة الالفاظ ، بريئة من الرداءة في النطق . ومعناه انتهاء الغايصة في التصحيح ، وبلوغ النهاية في التحسين .

ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده ، متعبدون بتصحيح الفاظه ، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة ، المتصلة بالحضرة النبوية الأنصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ، ولا العدول عنها إلى غيرها .

والناس في ذلك بين محسن مأجور ، ومسيء آثم أو معذور ، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح ، العربي الفصيح ، وعدل إلى اللفظ الفاسد المعجمي أو النبطي القبيح ، استغناء بنفسه ، واستبداداً برأيه وحده ، واتكالا على ما ألف من حفظه ، واستكباراً عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه ، فإنه مقصر بلاشك ، وآثم بلا ريب ، وغاشى بلا مرية ، فقد قال النبي (ص) : الدين النصيحة : لله ، ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ويدور معه كيفما دار ، فهو سعيد موفق منصور مهتد ، لأن القرآن هو الصراط المستقيم ، فمن خرج عنه وقع في الزيغ والهلاك . ويشابه هذا المعنى حديث الأربعمين قال النووي : عن أبي محمد عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : قال رسول الله (ص) : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به . حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بالسناد صحيح .

ومصادقه في كتاب الله عز وجل قوله تعالى في سورة النساء (65) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً فلا تصح دعوى الإيمان ، ولا تدرك ثمرته ، وهي السعادة إلا برد كل نزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، والرضا بما يصدر عنهما من حكم ، مع التسليم والاذعان والمحبة .

وقوله (ولا تلتبس به الألسنة) لأن الله يسر تلاوته وتديره على العربي والعجم ، ولذلك تجدد المجودين والمتضلعين في علوم القرآن من الشعوب الأعجمية أكثر مما تجدهم من العرب . وفي هذه الأيام جرت مباراة في (مالزية) بالشرق الأقصى في تجويد القرآن ، وحسن تلاوته ، اشترك فيها أربعة عشر قطراً ، رجالاً ونساء ، ففاز بالجائزة الأولى قراء مالزية وقارئاتها ، وفاز بالجائزة الثانية قراء اندونيسيا وقارئاتها ، صدق الله العظيم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر) .

(ولا يشبع منه العلماء) لأن فوائده لا نهاية لها ، فمن شبع منه فهو من الجاهلين . وللاستاذ محمد مارماديوك بكتول الانكليزي النسب رحمه الله في مقدمة تفسيره للقرآن بالانكليزية كلام حسن في هذا المعنى ، وليس تحت يدي الآن نسخة منه لانقله . وكذلك الاستاذ الفرنسي خير الدين زينه في تفسيره للقرآن بالفرنسية رحمه الله .

(ولا يخلق عن كثرة الرد) أي لا يبلى مع كثرة التلاوة واعادتها ، ولا يمل (ولا تنقضي عجائبه) أودع الله في القرآن حكماً وأسراراً لا نهاية لها ، فلا تزال تظهر للمفكرين والمتدبرين فيتعجبون منها (هو الذي) لما سمعته الجن أجلته وأكبرته ، وبهرها حتى قالت (أنا سمعنا قرأنا عجباً يهدي إلى الرشد) إلى الخير

وذكرى مرور أربعة عشر قرناً على نزوله

الأستاذ عبد الله الحارثي



خمسة وخمسة وعشرون أبي نصر قال : كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي ويخبران جبريل عليه السلام نزل به خمس آيات خمس آيات ، ويظهر أنه الغالب في النزول والا فقد صح أنه نزل بأكثر من ذلك وبأقل .

وهذا سر قوله تعالى : « لتقرأ على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » نزل هكذا بعضه اثر بعض ليقرا على الناس بتوعدة وتأن فيسهل عليهم حفظه ، ويكون ذلك أعون على تفهم معناه « وفائدة قوله : ونزلناه بعد قوله : فرقناه — بيان ان ذلك التنزيل لمقتضى وهو التنزيل على حسب الحوادث والنوازل التي كانت تجري في عهده صلى الله عليه وسلم اعتقاداً وعبادة واجتماعاً ، حيث لا يلبث روح القدس ينفث في روعه صلوات الله عليه بما يكون وما لا يكون حكماً ناجزاً في النازلة لا يدع لهواجس النفس وخلجاتها مكاناً للاضطراب والريب الشيء الذي نرى له الرب جلست عظمته يهدد على لسان رسوله الاكرم محمد عليه السلام الذين قد لا تطمئن نفوسهم للكتاب المقدس متطاولين ومغيين ايمانهم قائلين : « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً » ، « قل آمنوا به أو لا تؤمنوا » اي آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الانس والجن

أخرج ابن أبي حاتم وابن الانباري وغيرهما عن أس عباس قال : نزل القرآن جملة واحدة من عند الله تعالى من اللوح المحفوظ الى السفارة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفارة على جبريل عليه السلام عشرين ليلة ، ونجمه جبريل عليه السلام على الرسول الاعظم صلوات الله عليه — عشرين سنة . وفي رواية انه أنزل ليلة القدر في رمضان ووضع في بيت العزة في السماء الدنيا ، ثم أنزل نجوماً في عشرين — ثم قرأ : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » .

ونزوله في مدة عشرين سنة قد لا يتفق مع اقامة الرسول الاكرم بالمدينة عشر سنين وبمكة ثلاث عشرة سنة — فقد أوحى اليه عليه السلام وهو ابن أربعين سنة ، والتحق بالرفيق الاعلى وهو ابن ثلاث وستين على ما صح . نعم أجابوا — ان ما زاد على العشر حذف اختصاراً على عادة العرب في اساليبها القولية انها تحذف الكسر في كلامها . (1) .

وكان ينزل به جبريل عليه السلام على ما قيل هنا — خمس آيات — أخرج البيهقي في الشعب عن عمر رضي الله عنه أنه قال : تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ، فان جبريل عليه السلام كان ينزل به

(1) وورد في خمس وعشرين بل جاء في ثمان عشرة سنة — ثمان سنين بمكة ، وعشر بعدما هاجر . اهـ من تفسير الالوسي ج : 15 ص 188 .

تحفظ رعاك الله في السر والجهر

على مخرج التا حين تتلو بلا عسر
الى الحنك اصعد عند اخراجك لها
ولا تنحون نحو الثنايا تثل شكري
ولا تحدثن فيها صفيرا ورخوة
فذلك فعل الجاهلين ذوي السكر
فبالسين والزاي الجهر وصدھا
يخص صفير القوم كلهم فادر
كما خصصوا رخوا بجملة احرف
وليس لحرف التاء فيهن من ذكر

قال شارحه ابراهيم المارغني شيخ القراء
بالجامع الاعظم بتونس المتوفى سنة 1349 هـ . في
ابن بري المسمى (النجوم المطالع على الدرر اللوامع
في اصل مقرا الامام نافع) ما نصه : التسهيل في
اصطلاح القراء اذا اطلق اختص بالتسهيل بين بين ،
اي فالهمزة الثانية بسبب ذلك التسهيل تكون بين بين ،
اي بينها وبين الحرف المجانس لحركتها ، فتكون
الفتوحة بين الهمزة والالف ، والمضمومة بين الهمزة
والواو ، والمكسورة بين الهمزة والياء ، هذا هو المأخذ
به عندنا في كيفية التسهيل بين بين .

قال ابو شامة : وكان بعض اهل الاداء يقرب
الهمزة المسهلة من مخرج الهاء ، قال : وسمعت انا
منهم من ينطق بذلك ، وليس بشيء . اه لكن جوز
الداني وجاعة ابدالها هاء خالصة في الانواع الثلاثة ..
قال العلامة سيدي عبد الرحمن بن القاضي في بعض
تأليفه : جرى الاخذ عندنا بفاس والمغرب في السهل
بالحاء خالصة مطلقا ، وبه قال الداني . اه وجوزه
بعضهم في الفتوحة دون المضمومة والمكسورة ،
والاكثر على المنع مطلقا ، وعليه جرى عملنا
بتونس . اه .

قال محمد تقي الدين : الصواب هو تسهيل
الهمزة الثانية بين بين كما قاله ابو الحسن ابن بري ،
وقرره شارحه ، ولا حق للداني ان يتصرف في كتاب
الله ، فيبدل حرفا بحرف ، لان القرآن سنة متبعة ،
لا مجال فيه للاجتهاد ، ولا تصح الرواية بابدال اخرى
الهمزتين هاء البتة . وقد روى مسلم في صحيحه من
حديث عائشة ان النبي (ص) قال : من عمل عملا
ليس عليه امرنا فهو رد) وقد طال هذا المقال حتى انه
لا يحتمل الزيادة . فنسأل الله ان ينفعنا ويرفعنا بالقرآن
العظيم ، وبما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، وان
يجعله لنا شافعا مشفعا ، وآخر دعوانا ان الحمد لله
رب العالمين .

مكناس : الدكتور تقي الدين الهلالي

وقد كان علماء المغرب الى عهد قريب جدا معنيين
بتجويد كتاب الله احسن عناية قلما يجاريهم في ذلك
علماء قطر آخر من الاقطار الاسلامية ، حتى ان الملك
مؤاد ملك مصر اراد ان يطبع المصحف على الرسم
العثماني ، وكلف بذلك جماعة من علماء مصر
المحققين ، لم يجدوا من الكتب ما يعتمدون عليه مثل
كتاب مورد الظمان بشرح العالم المقرئ عبد الواحد
ابن عاشر ، ومن اشهر المنظومات التي عم نفعها ،
وقل في التحقيق والبلاغة نظيرها منظومة (السدر
اللوامع في اصل مقرا الامام نافع) لابي الحسن على بن
محمد الرباطي المشهور بابن بري قال في المنظومة
المذكور :

القول في التحقيق والتسهيل
للهمز والاستقاط والتبديل
والهمز في النطق به تكلف
فسهلوه تارة وحذفوا
وابدلوه حرف مد محضا
ونقلوه للسكون رمضا
فنافع سهل اخرى الهمزتين
بكلمة فهي بذاك بين بين

وقد لا يداخل ادنى مسلم ريب في هذه الحقيقة التي سجلها الكتاب المقدس ذاته في الآية التاسعة من سورة الحجر « انا نحن نزلنا الذكر وانا لسه لحافظون » هو الكتاب المبين الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه القرآن الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الترداد

ترداد منه على ترداده مقسة

وكل قول على الترداد مهلول (1)

انها الحقيقة الوضاعة التي لا يكاد يماسها حجاب او يخفيها ستار حتى الساعة والمسلمون في مشارق الارض ومغاربها يتعبدون بتلاوته ، ويتدبرون اسرار آياته ، جاعلينه انشودتهم التوجيهية في كل المقاصد والاهداف ايماناً منهم بدستورته الحق ، وابقائاً بحصيلته الثرية الغنية في كل جانب من جوانب الحياة، وكل غرض من الاغراض سواء فيها الفردية والاجتماعية .

هذا ما حفز بعض الشعوب الاسلامية وفي المقدمة مغربنا الكريم ليقوموا مهرجاناً عظيماً « بذكرى مرور اربعة عشر قرناً على نزول القراء العظيم » اذ قامت كل من وزارتي الانباء والاوقاف والشؤون الاسلامية بالسهر على اختيار مقرئين من اطراف المغرب بواسطة لجنة رشحت لذلك ثم بعد طوافها على عدة مدن اختارت طائفة من القراء ، واقتضى الحال اجراء تدريب فني تضمن اعطاء قواعد علمية في التجويد والتنزيل والتحسين والتمارين على ذلك مدة ستة ايام وعلى ضوء هذا وقع احياء الذكرى يوم عاشر رمضان المبارك 1387 - 1967 بمسرح محمد الخامس بالعاصمة - حيث تلا كل القراء المدربين حصّة من الكتاب الكريم وعددهم 28 قارئاً وقارئةً بمحضر اللجنة ومن اضيف اليها من القراء كالمقرئ الحصري المصري والسيد عبد الرحمن بن موسى وكان كل فرد من افراد اللجنة يسجل تقديره لكل قارئ .

وختاماً كان النجاح حليف خمسة قراء من بينهم قارئة (2) واذ صادف المهرجان ذكرى مرور سبعة اعوام على وفاة محرر المغرب البطل الخالد محمد الخامس نور الله ضريحه ختم حفل الذكرى المقام سنوياً بالضريح الحسني بتوزيع الجوائز على الثلاثة الاول من الفائزين .

وقد ضمت نقوداً ومصاحف من المصحف الخالد الذي أمر جلالة الحسن الثاني ايده الله بطبعه بعدما اختير خطاط فني لذلك ولجنة من القراء للسهر على تصحيحه - تحت اشراف وزارة الشؤون الاسلامية النشيطة . وكان مسك الختام تلاوة الفائز الاول الحاج محمد الحياتي آيات بينات من الذكر .

نعم كان هذا التمهيد لاقامة الذكرى الكبرى تحت اشراف الملك المعظم الحسن الثاني ليلة القدر المباركة (27 رمضان 1387) بمسجد اهل فاس - ازاء القصر الملكي - في مهرجان ديني مهيب يتناسب وعظمة الكتاب المقدس وخيرية الليلة - حضره عليه القوم من المومنين مغاربة وغيرهم ممن استدعوا خصيصاً لحضور الذكرى الجيدة .

وفي نفس الليلة المباركة قامت عدة جمعيات وهيئات (ككل مساجد المغرب) باقامة مهرجانات قرآنية - كلها تلاوة للآي الذكر الخالد علاها نور وشعور من جميع المومنين ، خاصة ما كان يتخلل بعض المهرجانات من احاديث الوحي والتنزيل ومراتبه وكيف كان الرسول محمد صلوات الله عليه يتلقى ذلك .

ادام الله النصر والتأييد للملك المعظم واعانه على احياء المآثر والذكرات التي لا يعزب عن البال ما تحمله في طياتها من اذكاء الوعي ، وبث روح اليقظة والرجوع قليلاً الى الوراء والعيش لحظات في احضان الماضي الجميل الذي ندين لتراثه الخالد بشتى المنن تهدينا وحضارة خاصة ما يعود الى تركيز العقيدة واخلاص العمل الصافي اليناابيع والتأثر من كتب (3) بكل ما يمت الى الاسلام الصحيح بصلة .

الرباط : عبد الله الجباري

(1) من لامية المديح للبوصيري

(2) وكان للتلفزة المغربية حظها المشكور في البعث والتقريب .

(3) من كتب لا عن كتب .

الكلام ، ولن يبلغ ذلك — فالقرآن في غاية الشرف والفضيلة حتى لا يرى شيء من الالفاظ أفصح ولا اجزل ولا اعذب من الفاظه ولا يرى نظم احسن تأليفاً واشد تلاوة وتشاكلاً من نظمه .

أما معانيه فيقف عندها الوصف اذ هي اعلى من كل علي ، واقدس من ان يحصيها القلم ويحصرها .

اذا يخلص من هذا ان القرآن انما صار معجزاً لانه جاء بالفصح الالفاظ في احسن نظوم الصياغة والتأليف، وقد ضم اصح المعاني — من توحيد الله وتنزيهه في صفاته ، ودعائه الى طاعته وبيان طريق عبادته من تحليل وتحريم ، وحظر واباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وامر بمعروف ، ونهي عن منكر ، وارشاد الى محاسن الاخلاق وزجر عن مساوئها ، واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء اولى منه ، ولا يتوهم في صورة العقل البق به منه — مودعا اخبار القرون الماضية ، وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعائده منهم، مبنيا عن الكوائن المستقبلية في الاعصار الانية من الزمان جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أكد للزوم ما دعا عليه ، واحرص على وجوب ما امر به ونهى عنه ، ومعلوم ان الاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين اشتاتها حتى تنظم وتنسق امر يعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة انه شعر لما راوه منظوما ، ومرة انه سحر لما راوه معجوزا عنه غير مقدور عليه ، وقد كانوا يجدون له وقعا في قلوبهم وقرعا في نفوسهم يرهيبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا ان يعترفوا به نوعا من الاعتراف — ولذلك قالوا : ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة — ان اعلاه لثمر ، وان اسفله لمغفق ، وما هو بقول بشر .

وكم يعجب في توجيه اعجاز القرآن — ما درج عليه فيلسوف الاندلس ابن رشد — 595 هـ 1198 م قائلا : من المسلم ان القرآن ليس كتاب عقيدة فقط كسائر الكتب المقدسة التي سبقته ، ولكنه كتاب عقيدة وشريعة معا .

وهذا اهم ما امتاز به عن كتب الوحي الاخرى — فكان لهذه الظاهرة المعجزة الكبرى الخالدة خلود الدهر :

(اعظمها معجزة القرآن تبقى على تعاقب الازمان)

على ان ياتوا بمثله لم ياتوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا — او لا تومنوا به فان ايمانكم به لن يزيـد في خزائن رحمة الله ولا تركمكم للايمان به ينقص ذلك .

وزاد سبحانه معللا عدم المبالة بهم واحتقار شأنهم قائلا : « ان الذين اتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا » اي وان تكفروا به فان العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل نزول القرآن ، وعرفوا ان الله سيبعث نبيا — يخرون لله سجدا شكرا له على انجاز وعده بارسالك يا محمد حين يتلى عليهم هذا القرآن — ويقولون في سجودهم : تنزه ربنا عن خلف الوعد انه كان وعده آتيا لا محالة — فان لم تومنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ، وفي هذا تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وازدراء بشانهم .

ثم ما خر هؤلاء ساجدين له عن ايمان واطمئنان كالأعراب الذين شهدوا نزوله ووحيه بين ظهرانيهم الا لقداسته واعجازه — الاعجاز الذي يقول عنه يوسف السكاكي الخوارزمي (ت : 626 — 1229 م) يدرك ولا يمكن وصفه كاستقابة الوزن ، تدرك ولا يمكن وصفها كالملاحظة ، كما يدرك طيب النغم العارض للصوت ، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة الا باتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما . وهذا ابو حيان التوحيدي (ت : 400 — 1010 م) يقول : سئل بندار الفارسي عن موضع الاعجاز من القرآن فقال : هذه مسألة فيها حيف عن المعنى ذلك انه شبيه بقوله : ما موضع الانسان من الانسان — فليس للانسان موضع من الانسان بل متى اشترت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته ، كذلك القرآن لشرفه — لا يشار الى شيء الا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاولة ، وهدي لقائله .

وليس في طاعة البشر الاحاطة باغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه ، لذا تعذر على الانسان الاتيان بمثله ، لان علمه لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني ، ولا يدرك المجموع معاني الأشياء المحمولة على تلك الالفاظ ، ولا تكمل معرفته باستيفاء جميع وجوه المنظوم التي بها يكون اثنتاها وارتباط بعضها ببعض — فيتوصل باختيار الافضل من الاحسن من وجوها الا ان ياتي بكلام مثله — واذا تأمل المؤمن القرآن الكريم وجده حاز كل القداسة والكمال اللذين لم يبلغهما غيره من انواع

وارشاد ، وهو كذلك فعلا ، ولكنه الى جانب ذلك نص ادبي رفيع ، كان ينبغي ان نستفيد منه اعظم الاستفادة في تقويم السنة ابنائنا ، والارتقاء بأذواقهم ، وارهاف حسهم اللغوي ، وطبع ملكاتهم بالاسلوب الارقى والامتن ، والاصح والاجمل ، وكل ما الى ذلك من افعال التفضيل .

*

ان تلقين القواعد شيء مهم واساسي في تعليم اللغات ، قواعد النحو والصرف والبلاغة وما اليها ، ولكن الاجماع معقود على ان ذلك لا يكفي ، وانه لابد معه ، وقبله ، وبعده ، من وضع النصوص الادبية الرفيعة بين ايدي التلاميذ والطلاب ، وتعويدهم على فهمها ، وتذوقها ، وتحليلها ، واعتصارها ، لتعطي كل ما يمكن لها ان تعطيه ، لابد من النموذج اللغوي الرفيع ، للتشبع به ومحاولة احتذائه ، ذلك الاحتذاء الذي يكون شعوريا احيانا ، ويكون غير شعوري في كثير من الاحيان ؟

ونحن نفعل ذلك فعلا ، فنضع بين ايدي التلاميذ والطلاب نماذج من الشعر والنثر تبتدىء بامرئ القيس ، والنابعة ، والاعشى ، وطرفة بن العبد ، وتنتهي الى البارودي ، وشوقي ، وحافظ ، مارة بالمثنبي والمعري والبحراني وابي تمام ، وبالجاحظ ، وابن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وبالحرييري وبديع الزمان الهمداني ، وغير هؤلاء وأولئك .

ولكننا قلنا نضع بين ايديهم النص الارقى والامثل النص المعجز في اللغة العربية ، المثل الاعلى ، النموذج المصفى ، الذي هو القرآن الكريم .

وخذ اي كتاب من كتب الادب ، او من كتب تاريخ الادب في المدارس الثانوية والابتدائية ، بل خذ المحاضرات التي تلقى في الادب في الجامعات على اختلافها ، فستجد نفسك امام سيول وسيول من النصوص الادبية قد لا يكون القرآن من بينها ، واذا كان ، فانه قد لا يأخذ من الحيز ، او من الوقت ، او من الاهتمام ، الا مقدار ما يمكن ان تأخذه مقامات الحريري ، او خمريات ابي نواس ، او اهاجي جرير والفرزدق والحطيئة .

وسواء هنا في المغرب او في غير المغرب من البلاد العربية الاسلامية فان الشكوى قائمة قاعدة ، من

وقد بنى الدكتور طه حسين نظريته هذه ، على شكه في كثير من الشعر الذي يروى للجاهليين ، ذلك الشك الذي بسطه بسطا في كتابه المتداول المعروف « في الادب الجاهلي » والذي يعتبر طبعة اخرى لكتابه « في الشعر الجاهلي » الذي اثار عند ظهوره ضجة عارمة ، اضطر معها الدكتور طه حسين في النهاية ان يعد له بالزيادة والنقص ، ثم يصدره باسم آخر ، هو « في الادب الجاهلي » .

وسواء كان الشك في الادب الجاهلي يقوم على اسس سليمة ام لا ، فان الذي لاشك فيه انه لا يمكن ان يرقى من حيث الصحة الى درجة القرآن الكريم ، الذي هو اول نص عربي وصل الينا ، موثوق بصحته تمام الثقة ، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزل من حكيم حميد .

*

والقرآن بعد ذلك ، ليس اول نص عربي موثوق بصحته وصل الينا فحسب ، بل انه زيادة على ذلك ، اقوم واجمل وارقى نص في اللغة العربية على الاطلاق بل ان اعجازه في كل ذلك كان هو معجزة الاسلام الكبرى . معجزته الخالدة ، التي تحدى بها الخلق جميعا ان ياتوا بسورة من مثله ، وحكم الله تبارك وتعالى حظه القاطع . بانهم لن يستطيعوا ان ياتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ولن نعدو الحقيقة والواقع اذا قلنا ، ان اية لغة من اللغات ، لا تتوفر من بين جميع نصوصها الادبية الرائعة . على نص ، يرقى في درجته الى درجة النص الفراني في اللغة العربية ، او يفعل في قارئيه ومستمعيه مفعول القرآن في قارئيه ومستمعيه من العارفين باللغة العربية ، ولو لم ترق معرفتهم بها الى حد كبير .

*

ونحن نريد ان نخلص من كل ذلك الى تقرير قضية على جانب كبير من الاهمية ، هي اننا نحن العرب المسلمين جميعا ، لا نستفيد في تعليم ابنائنا لغتهم العربية الفصحى ، استفادة كبيرة ، من نص القرآن ، كأقدم نص عربي موثوق به وصل الينا ، وكأرقى واجمل واتوم نص في اللغة العربية على الاطلاق .

نعم ، اننا لا نهمل اهمالا كلياً ، ولكننا نكسب تنصر النظر اليه ، على انه فقط كتاب هداية

القرآن المبين

للمؤلف: الأستاذ عبدالقادر الصمراوي

ولو من طرف خفي ، ويحاول البعض الآخر أن يسد الباب دون ذلك الطعن ، بالتهاس الاشباه والنظائر من كلام العرب الاقدمين للتدليل على سلامة الاستعمالات القرآنية ، من لغوية ونحوية وبلاغية .

وتوسع المتوسعون في ذلك حتى اصبح الناس امام ظاهرة غريبة وان لم تبد لهم هم غريبة في ذلك الحين ، هذه الظاهرة هي ان النصوص الادبية الجاهلية - الغير المقطوع بصحتها في مجموعها قطعاً كاملاً ، او التي لا ترقى - على الاقل - في الجزم بصحتها الى مستوى القرآن ، اصبحت هذه النصوص الجاهلية هي الاصل ، الذي تقاس عليه الاستعمالات اللغوية القرآنية ، ويستدل به على صحة هذه الاستعمالات وسلامتها .

ومر على ذلك زمن طويل ، قبل ان يأتي الدكتور طه حسين في العصر الحديث ، ليحطم هذه القاعدة او هذه الظاهرة ، وليقول ، ان القرآن هو اقدم نص عربي مقطوع بصحته وصل الينا ، واننا لا ينبغي ان نلتمس التدليل على سلامة استعمالاته اللغوية والنحوية والبلاغية ، بالاستدلال من كلام العرب الاقدمين الذي لم يدون الا في عصور متأخرة ، بل ان عكس ذلك هو الصحيح ، اي ان نتخذ القرآن هو الاصل ، وهو المقياس وهو المعيار ، فنقبل من الاستعمالات اللغوية الادبية القديمة ما وافقه ونقف موقف الشك من كل ما خالفه من هذه الاستعمالات .

كان اهتمام المسلمين الاولين بالقرآن الكريم ، وحرصهم على الحيولة دون تطرق اللحن او التحريف الى لفظه ، وعنايتهم بالتدليل على مجازاة استعمالاته اللغوية كلها لكلام العرب ، كان كل ذلك من الاسباب الاساسية في تدوين اللغة ، وجمع الاشعار ، ووضع المعاجم والقواميس وما الى ذلك .

لقد انزل القرآن بلسان عربي « مبين » ، هذا شيء قرره القرآن نفسه ، ويؤكد ان العرب الذين نزل بين ظهرانيهم ، وبلغتهم ، كانوا يسمعون فيفهمونه بسهولة ، ويتأثرون به غاية التأثير ، ولا يشكل عليهم منه شيء ، سواء في الفاظه او تراكيبه ، او استعمالاته النحوية والبلاغية .

كانوا يسمعون ، فينفذ الى وجدانهم ، ويحرك سواكنهم ، ويثير عقولهم ، وينفعلون به انفعالا ، لا يترك لهم مجالا للتفكير في هذه اللفظة او تلك ، او هذا الاستعمال او ذاك .

وما ان بعد العهد بعض الشيء بزمان الوحي ، وعهد السليقة والفطرة السلية ، واتسعت الفتوحات ، واتصل العرب بغيرهم من الامم ، واقبلت هذه الامم على تعلم اللغة العربية التي لم تكن بالنسبة اليها لغة فطرة وسليقة ، حتى بدا الناس يقفون عند بعض الاستعمالات اللغوية او النحوية او البلاغية في القرآن ، يحللون ويفسرون ، ويختصمون في بعض الاحيان ، ويحاول البعض ان يجد من ذلك منفذا للطعن في القرآن

أما دروس النحو والصرف والبلاغة ، وأما المنطق
والجدل اللفظي والعقائدي ، وأما الفلسفة والتاريخ
وعلم الاجتماع ، وأما الخصومات المذهبية ، فلكل ذلك
وغيره مجالات أخرى كثيرة ، وحشر ذلك كله في تفسير
القرآن إنما من شأنه أن يبعد بنا عنه ، ككتاب هداية
وارشاد ، وكتمس لغوي أدبي رفيع الى حد الإعجاز .

قد يقال : ان كتب التفسير هذه التي نشير إليها
لم توضع لعموم الناس ، وإنما وضعت للطلاب النابهين
وللعلماء المتخصصين .

وهو كلام له وجهته ، وان كنا نرى مع ذلك ان
في استطاعة هؤلاء الطلاب النابهين والعلماء المتخصصين
ان يشبعوا نهمهم العلمي في مجالات أخرى ، وأن يبقى
القرآن بالنسبة إليهم ، هو القرآن ، كما ينبغي أن
يكون بالنسبة لجميع الناس .

وعلى كل ، فان كثيرا من كتب التفسير المطولة ،
سواء القديمة منها أو الحديثة ، تعتبر ثروات ثقافية
هائلة ، تستحق العناية ، وتستحق القراءة والدرس ،
فهي معارض واسعة للثقافة العربية الإسلامية ،
وللعلوم والمعارف الكونية ، من نظرية وعملية ، فقد
دأب كثير من المفسرين ، سواء في القديم أو الحديث ،
ان يتخذوا من القرآن — كما اسلفنا — منطلقا لعرض
علومهم ومعارفهم الكثيرة المتعددة .

ويبقى بعد كل ذلك ، ان القرآن واضح لا يحتاج
الى تفسير ، فيكفي أن نقرأه وأن نسمعه بأسماعنا
وتدبر ، بقلوبنا وعقولنا معا ، بكل كيائنا ، بكل ذرة
فينا ، وإذا احتجنا الى تفسيره — بسبب ضعف ملكتنا
اللغوية — فيجب أن نلتمس ذلك من اقرب الطرق ،
بحيث لا نضل ولا ننتيه ، وبحيث لا نبعد أبدا عن القرآن
نفسه ، القرآن أولا وأخيرا وقبل كل شيء .

✱

وانظر بهذه المناسبة ، ان اساتذتنا ونحن بعد
فتيان صغار ، عندما اهتموا بمساعدتنا على فهم القرآن
وضعوا بين أيدينا تفسيراً بسيطاً لا أزال شخصياً
أعتبره حتى الآن أحسن التفسيرات ، ولا أزال حتى الآن
أرجع إليه كلما دعيتي للضرورة الى ذلك ، ذلك هو
التفسير المعروف بتفسير الجلالين . جلال الدين محمد
ابن احمد المحلى المتوفى سنة 864 هـ وجلال الدين
عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911 هـ
وقد بدأه الاول ، وأنه الثاني من بعده على نمطه
واسلوبه وشكله .

ونريد أن نساارع هنا فنقرر ، ونحن نتحدث عن
شرح القرآن وتفسيره ، أننا نرى ان القرآن بأسلوبه
السهل الممتنع ، أسلوبه المعجز ، ربما كان في غنى عى
كل تفسير ، فقد نزل بلسان عربي « مبين » بلغة عربية
واضحة سهلة قريبة المتناول ، لا تعقيد فيها ولا غموض
ولا ابهام .

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعني عناية
كبيرة بشرحه وتفسيره للناس ، سواء من المؤمنين أو
غيرهم ، وإنما كان يقرأه كما يوحى به إليه ، فيفهمه كل
من يسمعه ، ويتأثر به ، فأما الذين آمنوا فزيدهم
إيماناً ، وأما الذين كفروا وأصروا على كفرهم وجحودهم
وعنادهم لأسباب أخرى لا تتصل بالتأثر والاقتناع ،
فإنهم يتولون وهم مدبرون ، ويوصون أتباعهم وأصحابهم
إلا يسمعوا لهذا القرآن ، وأن يلغوا فيه ، لأنهم اذا
سمعوه لم يؤمن عليهم أن يتأثروا به على الفور ،
والتأثر يسبقه بطبيعة الحال ، الفهم ، والادراك ،
والتذوق ، واستشعار الجمال والجلال .

هكذا كان شأن القرآن في العصر الاول ، وإنما
احتاج الناس الى تفسيره بعد ذلك لما بعد العهد ،
وضعفت السليقة ، ولم تعد الملكة اللغوية حتى عند
العرب أنفسهم في قوتها الاولى . وذلك لأسباب تاريخية
نرى هنا مجال شرحها .

ولكن المفسرين لم يقفوا عند حد التفسير الذي
يساعد على الفهم . وإنما بعدوا عن ذلك بعدا كبيرا ،
فأخذوا من القرآن منطلقا لعرض جميع معارفهم وعلومهم
في اللغة وفي الفقه ، وفي الفلسفة والمنطق
والجدل ، وفي علوم الفلك والطب والطبيعة والكيمياء
وغير ذلك ، كما اتخذ منه بعض المفسرين ذريعة لنصرة
هذا المذهب أو ذلك ، وتأكيده هذه النحلة أو تلك من
النحل العقائدية التي اختصم فيها المسلمون كثيرا ،
وتعددت فيها مدارسهم واتجاهاتهم وأساليبهم في الفهم
والتفكير والنظر .

وأصبحت نتيجة لكل ذلك امام عدد هائل من كتب
تفسير القرآن ، ليست في واقعها تفسيراً له بالمعنى
"صحيح" ، فهو في الواقع لا يحتاج الى تفسير ، وإذا
احتاج الناس الى تفسيره لهم بسبب ضعف ملكاتهم
اللغوية ، فإنما ينبغي أن يكون ذلك في نظرننا بالقدر
الذي لا يخرج عن القرآن نفسه ، وبالقدر الذي لا يتعدى
أرجح بعض المفردات والتعابير ، أو النص على
سبب النزول ، أو ما الى ذلك مما لا يبعدنا إطلاقاً عن
نفس القرآن نفسه ، لانه هو المراد ، وهو المقصود
هو الغاية .

مقد نجد في بعض كتابات أو اشعار هؤلاء الذين لم يتح لهم أن يتعلموا القرآن في صغرهم ، مضمونا يغري بالقراءة ، ولكننا نفتقد في أسلوبهم تلك الطلاوة ، وذلك الاشراق ، وتلك السليقية ، التي نجدها عند غيرهم من الذين اتيح لهم أن تنطبع السنتهم وملكاتهم في وقت مبكر بالاسلوب القرآني الرفيع .

*

ونعود الى موضوعنا ، فنؤكد مرة أخرى ، أننا نرى أن من أهم أسباب ضعف الملكة اللغوية عند الجيل الصاعد ، أننا لم نعد نأخذ صغارنا منذ نعومة اظفارهم باستظهار أجزاء ولو يسيرة من القرآن الكريم ، وهي نعمة نحرهم منها دون سبب ظاهر ، ووسيلة لتربية الملكة اللغوية نفوتها عليهم ، ثم نعود بعد ذلك فنشكو من الشكوى من ضعف ملكاتهم اللغوية عند ما يكبرون ، وقد كان في إمكاننا أن نتلافى ذلك ، ولكننا لم نفعل ، فما أحرانا أن نلوم أنفسنا قبل أن نلومهم ، وما أحرانا أن نعمل على تدارك ما فات ، فنعلم أولادنا القرآن ، وهم بعد أطفال صغار ، ونستمر في تعليمه لهم حفظا وفهما وتمرسا بأساليبه ، حتى يبلغوا من ذلك ما يراد لهم أن يبلغوه ، أو بعض ما يراد لهم أن يبلغوه .

نعم ان مقتضيات العصر ، وان سعة وتنوع المعارف التي أصبح على التلميذ والطالب أن يلما بها ليتهيأ للحياة العملية ، لم يعودا يسمحان باقتطاع سنوات من العمر للتوفر على حفظ القرآن ، ذلك الحفظ الذي قد يتطلب العمر كله أو جزءا كبيرا منه ، ولكننا ما نقل ذلك ، لم نقل بوجوب حفظ القرآن كله على كل متعلم ، فيكفي لكي يبقى القرآن محفوظا في الصدور أن يتوفر على ذلك بعض الطلبة ، يتخصصون في القرآن وعلومه حفظا وتجويدا وفهما في معاهد مخصصة لذلك ، ولكن ذلك لا يعني أن يبقى غيرهم محروما من الإخذ بحظه من القرآن ، وهو حظ يجب أن يكون في مستوى أهمية القرآن ، ككتاب هداية وارشاد وتربية وتهذيب ، وكنص لغوي أدبي فريد من نوعه ، لا يمكن أن يرقى الى درجته أي نص لغوي آخر كيفما كان ، سواء في اللغة العربية أو في غيرها من اللغات .

*

وتأتي بعد ذلك نقطة أخرى ، تتعلق بمعاني القرآن ، تتعلق بشرحه وتفسيره ، ومساعدة التلاميذ والطلاب على فهمه .

ضعف الملكة اللغوية عند التلاميذ والطلاب بل وعند كثير من المتخرجين في الجامعات ، فمنهم من يعجز عن تحرير كلمة تحريرا سليما ، وأكثر الذين يكتبون منهم بسهولة يكتبون بأسلوب مهمل ، متخاذل ، وأهسي الأركان ، بل قد ينقصه الحد الأدنى من السلامة اللغوية في كثير من الأحيان .

وفي بعض البلاد العربية — وهذا شيء شاهدناه وسمعناه — يكاد يعتبر درس قواعد اللغة العربية درسا مقبلا غير مرغوب فيه ، لا يحضره الطلبة الا لانهم مجبرون على حضوره ، ولا يتجاوبون مع معلمه أو أستاذه الا بالقدر الذي يستلزمه النجاح في الامتحان

*

هذه ظاهرة واتعة ، ولابد لعلاجها من البحث عن أسبابها .

وفي اعتقادي أن من أسبابها ، بل من أهم أسبابها ، أننا في العالم الإسلامي كله ، لم نعد نأخذ التلاميذ منذ نعومة اظفارهم باستظهار أجزاء ولو يسيرة من القرآن الكريم .

ونستطيع أن ندرك أهمية هذا السبب بسهولة كبيرة ، اذا عرفنا أن الفضل الأول في متانة وسلامة الأسلوب العربي عند كثير من ادباء وشعراء الجيل الذي يعيش الآن طور الكهولة والشيخوخة ، انها يعود الى أن أفرادهم فتحوا عيونهم عندما فتحوها على القرآن الكريم ، يسمعون ، ويتلونه ، ويحفظونه ، ويتشبعون به ، ويأتي بعد ذلك دور القواعد ، بعد أن يكون اللسان قد انطبع ، وبعد أن تكون نفس الشخص وكيانه قد تشبعا بالاسلوب القرآني ، وتسرب اليها ، واستقر فيهما وامتزج بهما .

تأتي القاعدة لتؤكد المثال والنموذج لا لتخلقه وهي وحدها عاجزة على خلقه على كل حال .

وأي مثال وأي نموذج ؟ انه القرآن الكريم ، وكفى

بل أننا نستطيع أن ننظر حتى في أساليب المشاهير من الكهول والشييوخ من الادباء المعاصرين ، فنجد أن الذين اتيح لهم أن يكون القرآن مادة أساسية في تعليمهم في صغرهم ، يمتاز أسلوبهم العربي بالقوة والمتانة والسلاسة عن أساليب نظرائهم الذين لم يتح لهم ذلك ، لهذا السبب أو ذاك ، مما لا نريد هنا أن نخوض في شرحه وتفصيله .

الفرق والتاريخ ..

للاستاذ محمد انيس بر

ظروفهم ولان المشاكل التي نعانيها في هذا العصر تختلف عن مشاكلهم ، ولان وضع المسلمين في القرن العشرين ليس هو وضعهم في العصر الوسيط . فلا ننسى ان عصرنا هو ، قبل كل شيء عصر صراع حاد بين الافكار والعقائد ، وان المستند الاول والاخر للمذاهب والنظريات الرائجة في عصرنا هو العقل والتجربة ، وان الايمان بعقيدة ما اصبح يرتكز على البحث الحر والنقد ، وان الانقياد الفكري الرخيص اصبح مذمة ومنقصة في حق انسان هذا الجيل .

ومعنى هذا ان الدراسات الاسلامية لا يمكن ان تنتعش وتثير اهتمام الاجيال الحالية والمقبلة الا اذا روعى فيها هذا التعبير العميق الذي طرا على الذهنية الانسانية منذ احقاب طويلة والا اذا استعمل فيها الاسلوب الصالح ، الاسلوب الطبيعي ، اسلوب العصر . والغريب هو ان عددا من الباحثين الغير مسلمين استطاعوا ان يقدموا عن الاسلام دراسات كان لها الفضل في اجتذاب طائفة من الشباب ، لانها باجتنابها لذلك المنهاج العاطفي المتبدل ، امكنها ان تبرز مزايا الاسلام الحقيقية .

* * *

ونحن عند ما نعود اليوم الى ذكر نزول القرآن ، ونترى في اهمية هذا الحدث بالنسبة لتاريخ الانسانية تستوقفنا عدة تساؤلات تنطوي وراءها حقائق كبرى :

على الكاتب اليوم ان اراد ان يتحدث عن القرآن فيستمع له الناس ، وتنصت له بالخصوص الاجيال الصاعدة ، ان يجد الفاظا جديدة لصياغة افكاره . فلن يعيد في شيء تكرر ما قاله السلف ، لا لان السلف اخطأوا او كانوا قاصدين وانما لان المسألة مسألة أسلوب ... وافكار طبعاً .

وفي نظري ان الاسلوب يأتي في المقام الاول ، فاجمل الالحن واشجأها تفقد وقعها في النفوس مع طول التكرار ، هذا اذا كانت جديدة غضة ، فكيف بها لو كانت ترجع الى عهود غابرة تعرب عن اذواق عتيقة احتضنها التاريخ في صحائفه المطوية ؟ !

وهناك أسلوب فرض وجوده في عصرنا هو أسلوب القرن العشرين ، أسلوب بنى قوته وقيمه على تجارب الانسانية على اختلاف الازمنة والاماكن وعلى المكاسب التي حققها العقل الانساني في صراعه مع الطبيعة ، ومع المجهول . فهو أسلوب يغذي العقل ، ويغذي العاطفة معا ، وهو أسلوب يستجيب لمشاغلتنا الحقيقية التي نعاشها باستمرار ، كما انه يحقق نوعا ما المثال الذي نتوق اليه من الناحية الجمالية ، فهو على كل الاحوال ، أسلوبنا الطبيعي الذي به نرى الاشياء وبه نصوغ افكارنا فاذا خرجنا عليه ، فان كلامنا يفقد قوته التأثيرية وتضيع الفائدة المرجوة منه .

والمسألة كذلك مسألة افكار . فليس من الممكن ان نفكر عما كان يفكر اسلافنا ، لان ظروفنا ليست هي

وقد دأب الناشرون على أن ينشروا بهامش هذا التفسير كتاباً آخر مختصراً ومفيداً ، لجلال الدين السيوطي ، هو « لباب النقول في أسباب النزول » .

ولاشك أن معرفة أسباب نزول الآيات ، أي معرفة الظروف التاريخية والنفسية التي اكتنفت واستدعت نزول هذه الآيات ، مما يساعد على فهمها وتدوقتها واكتناهاها .

وتفسير الجلالين ، تفسير معروف ومتداول على نطاق واسع ، وأهميته فيما نرى ، ترجع الى أنه لا يضيف شيئاً الى القرآن ، ولا يعلق عليه ، ولا يبتعد عنه ليطيه في وديان لا قرار لها ، كما هو شأن كثير من كتب التفسير القديمة أو الحديثة ، وإنما يكفي بتفسير الكلمة ، أو توضيح الإشارة ، أو النص على بعض « المكملات » أو « الزوائد » التي كثيراً ما يختصرها القرآن بأسلوبه المحكم المركز ، المتين الأسر ، وذلك كالظروف والاحوال والمجبرورات وغيرها .

ومهما يكن ، فإنه لا يبعد بنا أبداً عن القرآن ، وإن كان مع ذلك يكاد يلتزم شرح جميع مفرداته وتعابيره ، وهو شيء لا نراه ضرورياً الى هذا الحد ، فليس القرآن من الغموض أو من الصعوبة بحيث تحتاج كل كلمة فيه الى تفسير ، وإنما يكفي أن يكون المرء على بعض العلم باللغة العربية ليستطيع أن يفهمه ويتذوقه ويتأثر به الى حد بعيد .

*

وأخيراً ، فإنا لا نقصد الى أكثر من أن نؤكد لنوفسنا أننا نقصر في حق ابنائنا عندما نفوت عليهم في تعليمهم فرصة التمرس بالقرآن الكريم منذ نعومة أظفارهم ، التمرس به ككتاب هداية وتقويم وتربية وارشاد ، وكنص أدبي رفيع ، لا يمكن أن يطاوله في رفعته أي نص أدبي آخر .

وكيف وقد أعجز الأولين والآخرين .

وكيف وقد تحدى به الرسول صلى الله عليه وسلم فصحاء العرب وبلغاءهم من أصحاب اللغة العربية الاصليين ، أولئك الذين كانت هذه اللغة بالنسبة لهم فطرة وسليقة .

فلنضع القرآن بين أيدي ابنائنا ، ولنجعلهم على اتصال دائم به طيلة فترات تعليمهم ، يهديهم ويقومهم ويرشدهم ، ويطلع السننهم وملكاتهم بالاسلوب المتين ، الاسلوب المعجز ، الاسلوب السهل المتنوع .

واعتقد أننا اذا فعلنا ، فلن نشكو بعد من ضعف ملكاتهم اللغوية .

زيادة على أننا بذلك نقوم نحوهم بواجبنا الديني والمدني ، واجب التماس هدايتهم وارشادهم وتربيتهم وجداننا وخلقياً .

وكل ذلك يتكفل به القرآن . ولن يستطيع غيره أبداً أن يسده مسده في هذا الباب .

الرباط : عبد القادر الصحراوي

« كان للدعوة الإسلامية التي أطاحت بالاضلاع المدخولة . وقومت الاعوجاج والزيغ ، واستأصلت الفساد ، وقوضت أركان الطغيان . كان لها الدوى الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية الى ما حولها والاثر البليغ الذي سرى في شعوب وشعوب »

جلالة الحسن الثاني

وميل واهواء وافكار وأخلاق ونوايا . فالتغيير الحقيقي الذي يكون له اثر في التاريخ يبدأ من النفوس ويتناول كل ما يمثل فيها القوة الفعالة . ويعني ذلك شحن النفوس ، بعد افراغها من كل ما هو فاسد ، بالافكار والحقائق الجديدة . وهذا ما يقودنا الى الفكرة الحديثة ، فكرة الضمير الجماعي او الوعي الجماعي ، كما عبر عن ذلك علماء الاجتماع في عصرنا وبالجمل ، فالاية تحدد الهدف وهو السير نحو مجتمع افضل وتحدد الوسيلة وهي اثاره وعي جديد في النفوس وتفترض وجود محرك اولي وهو الارادة الانسانية . وتلك هي الدعائم الكبرى التي قامت عليها الثورات الاصلاحية في التاريخ .

ويؤكد هذا الاتجاه التجديدي الثوري في القرآن ما نجده فيه من آيات تحارب الجمود والتقليد وتدعو الى استعمال العقل والنقد الحر « واذا فعلوا فاحشة، قالوا وجدنا عليها آباءنا » (7 \ 28) . وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » (43 \ 23) .

وكان لزاما على الاسلام ان يحارب التقليد والجمود لانه جاء لينسخ بالكلية كل العقائد القديمة فحارب عبادة الاوثان حتى انها من الجزيرة العربية قبل وفاة النبي .

وفكرة الصراع والكفاح التي تركز عليها اليوم كثير من الحركات السياسية والاجتماعية نجدها موضحة في القرآن كحقيقة تاريخية وانسانية لا مندوحة عنها لحياة البشر وتقدمهم : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز » . (22 \ 40) . فالقرآن بهذا المعنى يؤمن بضرورة العمل المتواصل والكد والكفاح في سبيل نصره الدعوة وتحقيقها . ولذلك فان كثيرا من المسلمين في الصدر الاول كانوا يرون ان التقاعد عن العمل في سبيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اخلال بالواجب الديني ، بل ان احدى الفرق الاسلامية الكبرى ، وهم الخوارج ، كان فيهم من يكفر القعديين ، والقعديون (بفتح القاف والعين وكسر الدال) هم الذين يتخلفون عن النضال في سبيل الفكرة ويؤثرون القعود في البيت .

ومن المفاهيم الثورية التي نجدها في القرآن تمييزه بين الاختيارات الرئيسية والجوهرية التي

ترتكز عليها حياة الجماعة ، والمسائل الهامشية والسطحية كما هو واضح في هاته الاية التي ضرب فيها المثل للتفريق بين الحق والباطل : « فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال » .

ويعني كذلك مفهوم الثورة في عصرنا صورة جديدة للالفة والتضامن بين الناس ، فهي خلق لمجتمع جديد نشأت فيه روابط قوية غير معهودة من قبل وتغلبت فيه عوامل التقارب والالتحام على عوامل التفرقة والانقسام . وتلك صورة يقدمها لنا القرآن في الاية : « هو الذي ابدك بنصره وبالمؤمنين ، والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز حكيم » . (8 \ 62) .

هذه بعض الايات التي تبين :

— ان القرآن يشتمل على كثير من المفاهيم النظرية عن الثورة وتحدياتها ، كما اقترتها التجارب التاريخية المختلفة قبل الاسلام وبعده الى عصرنا الحاضر .

— ان الاسلام كان يسعى منذ الاول الى هدف اهم واوسع من الدعوة الروحية المجردة ، وهو تحقيق انقلاب شامل وحاسم في تاريخ البشر .

وبالفعل ، فقد استطاع الاسلام ان يطبق تلك المفاهيم النورية النظرية التي ذكرنا البعض منها ، فكان ثورة شاملة تناولت الجوانب المادية والروحية في الجماعة ، وكان لها ابعاد الاثر في حياة الفرد وفي حياة المجتمع على السواء . ونحن عندما نقول هذا ، لا نندفع وراء أي عاطفة ، ولا ننساق مع تيار المبالغة . وانما نعبر عن حقيقة تاريخية بالفاظ متواضعة ربما كانت لا تفي بالتعبير . وهذه الحقيقة يسلم بها طائفة من كبار المفكرين والعلماء الاجانب عن الاسلام ، والذي لا يمكن ، على أي حال ، اتهامهم بالانقياد للهوى والتعصب .

فهذا فولتير فيلسوف القرن الثامن عشر بفرنسا يقول :

« لقد كان محمدا من دون شك ، رجلا عظيما وكون على يده رجلا عظاما . وكان من الضروري ان يكون اما شهيدا او فاتحا ، ولم يكن هنالك أي موقف وسط بالنسبة اليه . وقد حالفه النصر دائما ، وكانت انتصاراته انتصارات الفئة القليلة على الفئة الكثيرة . وهو كفاح وكمشروع ورئيس دولة وامام ديني لعب

ما الذي حدا بالعرب للخروج من جزيرتهم في القرن السابع الميلادي والانتشار في انحاء العالم المعروف آنذاك ، بعد ان ظلوا منزوين في صحاريهم عصورا ودهورا ؟ يجيبنا التاريخ بكلمة واحدة : القرآن .

وما الذي مكن هؤلاء العرب الطارئين من فرض سيطرتهم وشريعتهم وهم قلة على شعوب كثيرة وقوية ، عريقة في العلم والحضارة ؟ يجيبنا التاريخ بكلمة واحدة : القرآن .

وما الذي جعل عددا من الشعوب في افريقيا وآسيا تصبح عربية بلغتها وثقافتها وتقاليدها وشعورها ، متناسية شخصيتها القديمة وثقافتها الاولى ؟ يجيبنا التاريخ بكلمة واحدة : القرآن .

وما هو الدعدو صادفه الاستعمار الغربي ولا يزال يصادفه في الاقطار الاسلامية او التي توجد بها جماعة اسلامية في آسيا وافريقيا ؟ يجيبنا التاريخ بكلمة واحدة : القرآن .

واذن ، فللقراء لقاء طويل مع التاريخ ، لقد تحدث علماء الاسلام عن معاني القرآن ، عن أسباب النزول ، عن الايات المتشابهات ، عن المفاهيم القرآنية فيما يخص الصفات الالهية والعدل الالهي والمعاملات بين المسلمين في الدنيا ؛ وتحدث الصوفية عن المفاهيم الكبرى العميقة والخفية في القرآن ، عن الفرق بين الشريعة والحقيقة ، عن المعرفة الصحيحة وطرقها ، عن مدارج السلوك نحو الاتصال بالذات الالهية والفناء فيها .

ولكن القراءان له دور تاريخي عظيم لم ينل نصيبه من الاهتمام عند علماء الاسلام في القديم ولا زال لحد الساعة لم يدرس الدراسة الكافية الشافية . وانما هي لمحات مبعثرة نقرأها لهذا الكاتب او ذاك في مسائل محدودة . وكما راينا من خلال الامثلة السابقة ، ان الدور الذي لعبه القراءان في التاريخ مهم جدا الى درجة انه يصعب على الباحث تقديره وقياسه بالمقاييس العادية . فالقراءان هو الكتاب الذي استطاع ان يتحول في الحين الى اداة فعالة في التاريخ لان كلامه لم يبق مجرد آراء ونظريات ، بل انقلب في حال صدوره الى مجموعة من التعاليم والاوامر التي يؤمن بها الملايين من الناس ويموتون في سبيلها .

وهذا الدور التاريخي هو الذي يجب الاطلاع عليه والبحث في اطواره وجوانبه . وهو الذي يعطي للقراءان قيمته واهميته في نظر الباحثين من غير

المسلمين . فالعلماء الاوروبيون ، مثلا ، قد يجادلون في بعض المعاني والافكار الواردة في القرآن ، ولكن عند ما يتطرقون الى مفعوله في التاريخ ، فربما قالوا احسن وأكثر مما يقوله عدد من المسلمين . وهذا يرجع الى كون اكثر الباحثين المسلمين لا زالوا فاقدين للحاسة التاريخية . وبهذا المعنى ، فالقراءان يفرض وجوده على العلماء المسلمين ككتاب سماوي مقدس ، قبل كل شيء ، وعلى العلماء من غير المسلمين كحدث تاريخي عظيم له اهميته في تطور العالم .

ولتوضيح هذا الدور واهميته ، لا يسعنا في هذه العجالة الا ان نورد بعض الامثلة ونحللها بايجاز .

واول ما يجب الوقوف عنده ونحن نستعرض التاريخ هو « الثورة القرآنية » او الثورة الاسلامية ، والكلمة الاولى في نظري احسن لان القراءان هو التعبير الاصح والاثق عن حقيقة الاسلام . اننا نتحدث اليوم كثيرا عن الثورة الفرنسية ، وعن الثورة الاشتراكية ، ولكننا ننسى ان العرب قاموا هم ايضا بثورة عظيمة في التاريخ منذ اربعة عشر قرنا . ولست أشك في ان المسلمين الاولين ما كانوا ليترددوا في نعمت الاسلام بلغظ الثورة ، لو كانت هذه الكلمة تستعمل في زمانهم بنفس معناها اليوم .

وما علينا الا ان نرجع الى القراءان لنجد هناك كل المعاني والمفاهيم الجوهرية التي تقتضيها كل ثورة ذات الابعاد التاريخية . ولننظر اولا الى هاته الاية : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » . ان تحليلها يؤدي بنا في الاخير الى تحديد الثورة كما يفهمها المؤرخون والمفكرون في عصرنا الحاضر . فالاية تفترض ، اولا ، انه من الممكن تغيير حالة المجتمع من حسن الى احسن او من سوء الى اسوأ . فالمجتمع حر وليست هناك اي حال مفروضة عليه بصورة حتمية . واستمراره على حالة واحدة وجموده ، انما هو نتيجة لعدم رغبته في التغيير ولتوقف ارادته عن الحركة . ومتى انتعشت تلك الارادة واتجهت الى الاصلاح والتطور والتغيير فلا شيء يقف امامها . وبهذا المعنى فالعامل المحرك للتاريخ هو الارادة الانسانية . ولهذه الارادة غاية ووسيلة ، فالغاية هي تغيير « ما » بالقوم . وكلمة « ما » تفيد هنا الاحاطة والشمول ، وتشير الى الحالة الحقيقية التي يعيش عليها القوم في النطاق المادي والمعنوي من يسر او عسر ، وعز او ذل ، وسعادة او شقاء . والوسيلة هي تغيير « ما » بالنفوس . وكلمة « ما » تفيد هنا ايضا الاحاطة والشمول وتعني كل ما تحمله النفوس من عواطف

التوسع والإنتشار . وجاء بعد النبي أشخاص آخرون
ليتموا هذا العمل » .

وما أكثر الشهادات من هذا النوع ! وقد أوردنا
البعض منها بنصه لا رغبة في الاسهاب والتطويل ، وإنما
لنبين الإجماع الحاصل بين كبار العلماء والباحثين
بأوربا عن هذا الموضوع ، ألا وهو أن الاسلام يمثل في
التاريخ انقلابا ثوريا شاملا .

اذ حاولنا الآن التعرف الى ابعاد هذه الثورة
وجدناها ذات مستويات مختلفة ، تظهر لأول وهلة
وكانها متناقضة ، لكنها في الواقع متكاملة ومتصلة .

فهي ثورة قومية بالنسبة للعرب لانها أبرزتهم
بعد الخمول وشرفتهم بعد الضعة . وماذا كان يمثل
العرب قبل الاسلام في أعين الشعوب المجاورة لهم ؟ في
أعين الروم ، في أعين الفرس ؟ تقريبا لا شيء : قبائل
مشردة ، فقيرة تكابد مشاكل العيش في أرض شحيحة ،
ويصطرها البؤس لحياة النجعة والصلعة وللوصية
والاستجداء . الاسلام مكنهم من أن يتجاوزوا الحاجز
القبلي ويخلقوا لنفسهم وحدة جديدة ، ويظهروا في
العالم ، لأول مرة ، بمظهر الامة المتوثة القوية التي لها
ارادة وأهداف جماعية . وتلك حالة خاصة ونادرة في
حياة الشعوب . واذا ما وقعت ، فانها تكون مصدر
طاقات خارقة ظلت كامنة مع الاحقاب وزادها الكمون
كثافة وثقلا .

وقد استطاع العرب بفضل المعونة الجديدة التي
اكتسبوها أن يدخلوا الى التاريخ من الباب الواسعة
من الباب التي لا تفتح الا في اليوم الكبير ، باب المجد
والسؤدد ، فغلبوا الدول العظيمة وانتشروا في آفاق
الدنيا واقاموا الدليل - وربما لأول مرة في التاريخ -
على ان مجموعة من القبائل الفقيرة تستطيع ، ان هي
التحمت برباط الفكرة والعقيدة والايمان ان تكون
شعبا كبيرا ، شعبا متفوقا على الشعوب العريقة في
العلم والحضارة .

لكن هذا الانتصار المادي والروحي اذا تدبرناه
مليا ، فانه لا يعني عرب القرن السابع الميلادي وحدهم
بل هو يتعلق كذلك بالزمان السابق والزمان اللاحق
ومعناه أوسع وأشمل ، ولا يمكن فهمه الا اذا أدرج
في تاريخ الانسانية منذ العهد القديم . نعم ، انه انتصار
يحرك كوامن التاريخ القديمة ، ويتجاوب مع اصدا
العصور الغابرة المنسية ، وذلك لانه يعيد النظر بصورة
جديدة وعميقة في الوضعية التي كان يعيش عليها

شعوب الشرق الأدنى منذ عدة قرون . انه يكتسي
صبغة انتقام تاريخي ، انتقام لكرامة تلك الشعوب
وما عانتها من ذل وهوان تحت وطأة الاستعمار
الاجنبي . فكان محكمة التاريخ التي لا تنفقد الا في
المهمات اصدرت حكمها يومئذ باندحار الاستعمار
البيزنطي والروماني والفارسي وقررت ان يكون تحرير
الشعوب المستعبدة على يد العرب .

ان انتصار العرب في القرن السابع يكون حلقة
مهمة داخل الصراع الذي قام بين الشعوب السامية
والآرية منذ الاحقاب الغابرة . ولقد كان نجم الشعوب
السامية أفلا منذ زمان طويل . والى الوتة الاسلامية
الكبرى ، لم تقم لتلك الشعوب قائمة تذكر منذ الهزيمة
التي منى بها القائد القرطاجي الكبير « حنبعل » في
معركة زاما (اواخر القرن الثالث قبل الميلاد) ،
وانمحت دولة قرطاج السامية من الوجود بعد ان كانت
كوكبا ساطعا في سماء البحر المتوسط تملئ على التاريخ
فيكتب . ومنذ ذلك العهد خضعت الشعوب السامية
في ذلة ومسكنة للفطرس الرومانية والبيزنطية
وللطفين الفارسي ، ولم يفلت منها الا العرب المعتصمون
بصحرائهم . وربما كان في هذا البعض من سر الانفة
والاباء التي اتصف بها العرب منذ جاهليتهم العريقة
والتي تظهر بوضوح في مفاخرتهم الشعرية .

ومهما يكن ، فان ظهور الاسلام اعاد لتلك الشعوب
وجودها بعد ان كادت تهضم في كيان الشعوب المتغلبة .
وتناسا شخصيتها وثقافتها الاصلية . واذا كان في
التاريخ عبرة ، ففي هذا الذي نذكر الان عبرة واي
عبرة ، اذ نرى القصة تتكرر في عصرنا فتنبض الدول
الاوربية القوية على شعوب الشرق الأدنى المستضعفة
وتستعدها بانوسائل العسكرية والسياسية
والاقتصادية والثقافية . ورغم تحرر تلك الاقطار
الشرقية الان ، فلا زالت لم تسترجع كامل ثقافتها
بنفسها ولم تتخلص من المركبات والعثرات ، وذلك
لأنها لم تجد بعد القوة المعنوية الدافعة التي تسلحت
بها حين ظهور الاسلام .

ومن جهة أخرى ، فان حادث ظهور الاسلام
ترتب عنه مراجعة عميقة للاوضاع الاقتصادية في
العالم . ولا اشير هنا الى الثروات الضخمة التي
تجمعت في يد المسلمين ولا الى الازدهار الاقتصادي
الذي عرفته ضفاف الرافدين والنيل وربوع الشام
وديار المغرب والاندلس . وانما اشير الى التأثيرات
الاقتصادية التي نجمت عن ظهور الاسلام في بلاد أوربا

في العالم اكبر دور يمكن ان يطمع اليه انسان في اعين الجماهير .

وهذا القائد العظيم نابوليون يقول :

« منذ بدر ونحن نرى محمدا كبطل ، ورغم ان الانسان ما هو الا انسان ، ففي مستطاعه ان يفعل الكثير . فقد يكون مشعلا وسط مواد قابلة للالتهاب ... والذي يشهد بتفوق محمد هو انه استطاع في ظرف عشر سنوات ان يفتح نصف العالم ، وان المسيحية تطلبت ثلاثمائة سنة لتركز نفسها في العالم »

وهذه شهادة الشاعر « لامرتين » :

« اذا كانت عظمة الاهداف وضالة الوسائل وضخامة النتائج هي المقاييس الثلاثة لعبقرية الانسان ، فمن يستطع ان يقارن ، من الوجهة البشرية ، اي رجل عظيم من العصر الحديث بمحمد ؟

واعظم الرجال لم يستطيعوا ان يحركوا الا الاسلحة ، والقوانين ، والامبراطوريات ؛ ولم يؤسسوا - ان هم اسسوا شيئا - الا قوات مادية ، تنهار احيانا قبلهم ، اما محمد ، فقد حرك الاسلحة ، والتشريعات ، والامبراطوريات ، والشعوب ، والدول ، وملايين البشر على ثلث المعمور ؛ لكنه حرك ، زيادة على ذلك ، المعابد والالهة ، والاديان ، والافكار ، والعقائد ، والارواح . وعلى اساس كتاب اصبح فيه كل حرف قانونا ، بنى قومية روحية تضم شعوبا من مختلف اللهجات والسلالات ، وطبع هذه القومية الاسلامية بطابع لا يمحي وهو كراهية الالهة المزورة والتعلق بلاه واحد لا تدركه الحواس » .

وآراء الكاتب الالماني الكبير « جوته » والمفكر الانجليزي المشهور « كارليل » في الموضوع معروفة ومتداولة بحيث لا تحتاج الى تقديم جديد . وهي تؤكد الشعور بالتقدير والاعجاب الذي رايناه عند بعض المفكرين الالاميين بفرنسا ازاء حادث ظهور الاسلام .

هنالك ملاحظة عامة ربما اثبتت حول هذه الآراء واصحابها . فهي تمثل وجهة نظر اناس عاشوا في القرن الثامن عشر او في النصف الاول من القرن التاسع عشر اي في عهد كان علم التاريخ لا زال لم يستكمل كل ادواته ولم يتسلح بالوسائل والضمائم العلمية الكافية . ومنذ ذلك العهد خطلت العلوم التاريخية خطوات جبارة وتقدمت المعارف الانسانية بسرعة خارقة ، وظهرت نظريات

وآراء جديدة ، وروجعت جل الافكار التي كانت قارة في الضمائر ، بحيث كان من الطبيعي ان تظهر آراء مناقضة لما رايناه من قبل ، وهذا ما راج بالفعل على يد بعض الاقلام المتسعة من نوع « رينان » و « لامنس » لكن التيار العالمي الصحيح الذي تمتن وقوى بتكاثر الابحاث وتكاثف الجهود من جيل الى جيل ، يقف اليوم موقف الاكابر والاعجاب امام حادث ظهور الاسلام .

فهذا « مونتجومري وات » احد الاساتذة البارزين بانجلترا ومؤلف عدة كتب عن حياة النبي شهد لها اكبر النقاد المعاصرين بالقيمة العلمية يقول في كتابه : « محمد ، نبي ورجل دولة » :

« كلما امعنا النظر في سيرة محمد وتاريخ الصدر الاول للاسلام ، ازداد تعجبنا من ضخامة المنجزات التي تم تحقيقها .

حقا ان الظروف قدمت له فرصة قلما تسنح للغير ، ولكن الرجل كان في مستوى الظروف بكل معنى الكلمة . فلو لم تتوفر لديه مواهب النبوة ورجل الدولة والقائد ، ولو لم يضع من فوق هذه المواهب ثقته في الله وفي الرسالة التي بعثه من اجلها لما كتب فصل مهم من تاريخ الانسانية » .

وهذا المؤرخ « جوتي » يقول في معرض حديثه عن دخول الاسلام الى بلاد المغرب :

« لقد حدثت ثورة عظيمة . فالبلاد قد تقوضت فيها تلك الحواجز التي تفصل بين الشرق والغرب ، تلك الحواجز التي لم يمكن ازاحتها في اماكن اخرى . وان الثورتين الفرنسية والروسية لتظهران لنا ضيلتين اذا نحن قارناهما بهاته الوثبة نحو المجهول » .

(E.F. Gautier: le Passé de l'Afrique du Nord, p. 233)

وهذا المؤرخ والمستشرق الكبير « برنارلويس » يقول في كتابه « العرب في التاريخ » :

« ان موجات الفتح الكبرى التي تلت وفاة محمد واقامة الخلافة على راس الامة الاسلامية الناشئة سطرت بحروف كبرى كلمة « عرب » على خريطة القارات الثلاث : آسيا ، وافريقيا ، واوروبا . وجعلت منها عنوانا لفصل حاسم رغم قصره في تاريخ الفكر والاعمال البشرية . »

ويقول في مكان آخر من نفس الكتاب : « لقد اعطى محمد دفعة جديدة للقوات التي كانت كامنة من اجل الانبعاث الوطني ورغبة العرب في

والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض » . (المسالك والممالك) .

هذا الدور الذي استطاع ان يلعبه العالم الاسلامي كوحدة متماسكة ، دور الوصل بين الشرق الاقصى واوروبا ، هو الذي مكنه من التوفر على قوة اقتصادية هائلة في العصر الوسيط ، وبالتالي على حفظ نوع من التوازن الاقتصادي بين مختلف الشعوب في تلك العصور .

كان للثورة الاسلامية ، اذن جانب سياسي واقتصادي في النطاق القومي والعالمي . ولكن كان لها ، ايضا ، جانب اجتماعي واخلاقي وانساني هو الذي سنعرض له من بعد .

- يتبع -

سلا : محمد زنيير

صحيفة س ب الاسبانية تكتب مقالا بعنوان : جلالة الحسن الثاني يوجه نداء الى الوحدة الاسلامية

كتبت صحيفة (س ب) الاسبانية مقالا تحت عنوان « جلالة الحسن الثاني يوجه نداء الى الوحدة الاسلامية » ، قالت فيه على الخصوص : « ان المغرب المتشعب بدين الاسلام الحنيف ، والتمسك بسيرة النبي محمد صلوات الله عليه في اصدق مظاهرها ، قد اصبح مركزا اسلاميا مشعا ، وان اتصالي الجديد بالمغرب قد ادهشني كثيرا عندما لاحظت ان شهر رمضان قد مر في خشوع وابتهاال ، وهو جو روحاني عميق ، كما ان عيد الفطر قد تميز بحضور علماء اجلاء اتوا من ثمانية عشر بلدا اسلاميا ، والواقع اني تصورت نفسي قد انتقلت الى ايام الخلافة الاسلامية باصالتها وروعيتها ، وان الفضل في هذا البعث الروحي يرجع الى جلالة ملك المغرب ، فالعاهل المغربي قد كرس جهوده منذ اعتلاء عرش اسلافه المنعمين لخدمة القيم التي كانت في القدم اساس انطلاقا المسلمين ، وشعار نهضتهم وهو يرمي من وراء هذه الجهود الى بعث وحدة المسلمين ماديا وروحيا .

وتجدر الاشارة في هذا الصدد الى ان الخطاب الذي وجهه الى العالم الاسلامي قد تضمن معاني سامية في المجال الديني والفلسفي والسياسي . ويستطرد مراسل الصحيفة الاسبانية يقول : « الحقيقة ان هذا المركز الاسلامي الذي هو المغرب أصبحت تصدر عنه قرائن لانطلاقا سياسية واقتصادية تضاف الى النهضة الروحية حينما ما دعا الى ذلك الملك الحسن الثاني عند ما تكلم عن العالم الاسلامي الموحد .

وبلاد الشرق الأقصى . وهذا موضوع بالغ الأهمية عالجه المؤرخ الكبير المعاصر « جاك بيرين » Jacques Pirenne في كتاب كان له صدى كبير في الأوساط العلمية . وسأكتفي هنا بتلخيص فكرته في فقرة قصيرة .

فهو يجمع نظريته في هاته العبارات :

« لقد ترتب عن الفتوح الإسلامية تجديد حقيقي للاقتصاد العالمي . وبفضل السلم الذي ساد في البحر المتوسط وفي آسيا الصغرى ، فقد نشطت المبادلات الدولية وتضاعفت بنسبة عظيمة تبعاً لوحدة العالم الإسلامي الممتد من قرطبة إلى الهند .

أما بيزنطة ، فقد عرفت هي أيضاً ازدهاراً ، بما فتحتة لنفسها من طرق تجاه الشمال . وفي نفس الوقت ، بلغت الصين منتهى إشعاعها . وفي أوائل القرن الثامن الميلادي كانت آسيا كلها داخلة في حكم الإمبراطوريتين الإسلامية والصينية ، في حين كان الاقتصاد الأوربي كله متجهاً نحو الإمبراطورية البيزنطية . وكانت المبادلات كثيرة ومستقرة بين هاته الإمبراطوريات الثلاث . وساد الشعور بأن عهداً من الاستقرار سيفتح في تاريخ العالم (1) » .

« وبيرين » الذي ليس مسلماً ولا متعصباً للإسلام يتأسف ، بالطبع ، لبعض النتائج التي ترتبت عن ظهور الإسلام . ومن جملة ذلك أسفه لضياح الوحدة المتوسطية التي تحققت في عهد الرومان ، إذ كان هؤلاء يسمون البحر المتوسط « بحرنا » وضياح هذه الوحدة معناه تقسيم العالم إلى قوى متطاحنة .

والواقع أن هذه الوحدة « لو تحققت ، ما كانت إلا صورة مقنعة لسيطرة دولة واحدة على سائر الشعوب . فنظراً لروح العصر وتقاليده ، فلم يكن من الممكن أن تتحقق في دائرة التأخي والمساواة بين

الاجناس والشعوب . ولذلك ، فإن الإسلام جاء كثورة ضد الإمبريالية البيزنطية الرومانية والإمبريالية الساسانية ، ووضع حداً للاستغلال الاقتصادي التي كانت تعانيه عدد من الأمم . والانقسام الذي حدث في البحر المتوسط رد لتلك الشعوب كيائها وشخصيتها ، ولم يمنع التبادل الاقتصادي بين أوروبا وبلاد الشرق الأدنى والشرق الأقصى . فقد كانت أعظم الطرق التجارية العالمية في العصر الوسيط تمر بالضرورة من بلاد الشرق الأوسط أي من العالم الإسلامي . وأكبر دليل على ذلك هذه الشهادة الفردية التي يقدمها لنا عميد الجغرافيين العرب : أبو القاسم عبيد الله ابن خرداذبه عن التجار اليهود الذين كانوا يذهبون من جنوب فرنسا إلى الشرق الأقصى :

« هذا مسلك التجار اليهود الرذائية (2) الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومانية والافرنجية والاندرلسية والصقلية . انهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخنزير (3) والفراء والسمور (4) والسيوف ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما (5) ويحملون تجارتهم على الظهر (6) إلى القلزم (7) وبينهما 25 فرسخاً ، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار (8) ثم يمضون إلى السند والهند والصين ، فيحملون من الصين المسك ، والعود والكافور والدار صيني (9) وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلزم . فربما عدلوا بتجاراتهم إلى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما ساروا بها إلى ملك فرنجة فيبيعونها هناك . وأن شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بأنطاكية ويسبرون على الأرض ثلاث مراحل إلى الجابية ، ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ، ثم يركبون في دجلة إلى الأبله ومن الأبله إلى عمان والسند والهند

- (1) هذه الفقرة ترجمناها عن كتاب : J Pirenne : Les grands courants de l'histoire universelle, T. 2, p. 54
- (2) لعلها من كلمة « رهدان » الفارسية التي معناها الخبير بالطريق .
- (3) حيوان يتخذ من جلده الفرو .
- (4) هو أيضاً حيوان يمتاز بفروه .
- (5) مدينة وميناء بمصر قرب العريش .
- (6) أي على الأرض .
- (7) القلزم مدينة صغيرة على البحر الأحمر وقد انقرضت اليوم .
- (8) ميناء على البحر الأحمر بجزيرة العرب .
- (9) شجر هندي يشبه الرمان .

ثم اشار الفيلسوف ابن رشد الى تنبيه القرءان على قضية بعث الرسل المعلومه عن طريق التواتر من غير القرءان بقول الله تعالى : « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده » وقوله : « قل ما كنت بدعا من الرسل » .

وفي نفس الموضوع استدلل الفيلسوف ابن رشد على كون شرائع الانبياء بوحى من الله قائلا : ان ذلك يعلم بامرهم بما يندرون به من وجود الاشياء التي لم توجد بعد فتخرج الى الوجود على الصفة التي اندروا بها ، وبما يأمرون به من الافعال ، وينبهون عليه من العلوم التي ليست تشبه المعارف والاعمال التي تدرك فتعلم ، (يعني بذلك المعجزة) ، ثم قال : وذلك ان الخارق للمعتاد اذا كان خارقا في المعرفة بوضع الشرائع دل على ان وضعها لم يكن بتعلم ، وانما كان بوحى من الله ، وهو المسمى نبوة ، وقال ايضا رحمه الله : ان المعجزة في العلم والعمل هو الدلالة القطعية على صفة النبوة ، واما المعجزة في غير ذلك من الافعال فشاهد لها ومقو » .

هذا بعض ما سجله ابن رشد في شأن بعثته الرسل والدلالة العقلية على صدقهم في دعواهم الوحي بما ابرزوه من علوم خارقة دون تعلم ، وشرائع هادفة من غير ممارسة لدراسة القوانين والحياة في بيئة علمية تبعث الشك فيما جاء به الانبياء من علوم وعقائد واخلاق ضمنت الحياة السعيدة لمن آمن وعمل بها في اي زمان ، وكل من تتبع قصص الانبياء مع اممهم ، وادرك الحكمة التي تنفجر من عقولهم ، والشرائع التي اوحى الله اليهم ، يزيد يقينا بصدقهم وامانتهم وتبليغهم رسالات ربهم الى خلقه ، وانتفاء شبهة الكذب والخيانة وعدم تبليغهم لشريعة الله ودينه الى العباد .

وقال الامام ابو القاسم الراغب الاصباهاني : لكل نبي آيتان احدهما عقلية يعرفها اولو البصائر من الشهداء والصالحين ومن يجري مجراهم .

والثانية حسية يدركها اولوا الابصار من العامة .

فالاولى ما لهم من اصولهم الزكية وصورهم المرضية وعلومهم الباهرة ودلائلهم المتقدمة عليهم والمستصحبة لهم الى آخر كلامه .

وهكذا يتفق ابن رشد والراغب على معرفة الانبياء بالمعارف الباهرة ، والاخبار عما لم يكن فيكون ومن المناسب ان نذكر بعض الامثلة من الامور الموحى بها الى الرسول التي اكتشفت او التي وقعت

بعد ما اخبر بها الرسول على الصفة الذي ذكرها ، اولها حفظ القرءان من التغير والتبديل الذي طرا على الكتب المقدسة قبل القرءان ، فانه محفوظ بلفظه اولا ، ولا يوجد كتاب مقدس محفوظ بلفظه الاصلية غير القرءان ، كما انه محفوظ بكلماته وجمله وطريقة ادائه منذ عهد انزاله بعد ما مر على هذا الانزال اربعة عشر قرنا كاملا ، كما تذكر الآية الكريمة : « انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، بخلاف من كان قبلنا ، الذين نسوا حظا مما ذكروا به او كانوا ممن قال الله فيهم : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » .

ومن ذلك اخبار القرءان بعد ما غلب الفرس الروم وكلا الدولتين تجاوران البلاد العربية التي بعث فيها رسول الاسلام ، فقال القرءان : « غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين » ، اي وهم سينتصرون على الفرس بعد ان غلبهم الفرس فيما دون عشرة اعوام وكذلك كان ، وتحقق خبر القرءان .

ومن اخبار القرءان التي تحققت في اجلى مظهر ان سورة « انا فتحنا لك فتحا مبينا » نزلت بعد رجوع النبي من العمرة التي ارادها في السنة السادسة من الهجرة فممنعته قريش ، وكان صلح الحديبية ، وفي هذه السورة : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ، وبعد سنتين كان وحصل فتح مكة بالفعل فدخل الناس بعد هذا الفتح في دين الله افواجا .

والنبي وان كانت رؤيته التي هي حق وقعت قبل عمرته الا ان هذه الرؤيا المتعلقة بدخول مكة لم تكن معينة الزمان حين حصلت للرسول فتحققت بعد ذلك بسنتين فقط . والمقصود هو تحققها في الواقع وان تراخي الزمان ومثلها في التحقق بعد تراخي الزمان رؤيوة نبي الله يوسف عليه السلام حيث تحققت بعد كبره ومكوته بالسجن وتوليته امر مصر فقد كانت الرؤيا في صباه كما حكى الآية القراءانية : « اذ قال يوسف لايه يا ايت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ، قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا » ، فبقيت هذه الرؤيا في طي الغيب والكتمان حتى تولى امر مصر فكان ما قصه الله في القرءان حيث قال : « ورفع ابويه على العرش فخرخوا له سجدا ، وقال يا ايت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا .

دلالة القرآن على صدق الرسول عليه السلام في نظر الفيلسوف ابن رشد

للمتأذ محمد الطنجي

الف الفيلسوف الاسلامي ابن رشد رحمه الله كتاب مناهج الادلة ، فزال بها عن القلوب والعقول كل شبهة وعلة ، ونحن تقتطف منه زهرات في الحديث عن رسالة خاتم النبيين وصدق الوحي اليه من رب العالمين ، قال رحمه الله : كون القرآن دلالة على صدق نبوته عليه السلام ينبي عندنا على اصلين قد نبه الكتاب عليهما : احدهما ان الصنف الذين يسمون رسلا وانبياء معلوم وجودهم بنفسه ، وان هذا الصنف من الناس هم الذين يضعون الشرائع للناس بوحي من الله ، لا بتعلم انساني ، وذلك انه ليس ينكر وجودهم الا من انكر وجود الامور المتواترة كوجود سائر الانواع التي لم نشاهدها والاشخاص المشهورين بالحكمة وغيرها ، وذلك انه قد اتفقت الفلاسفة وجميع الناس الا من لا يعا بقوله وهم الدهرية على ان هاهنا اشخاصا من الناس يوحى اليهم بان ينهوا الى الناس امورا من العلم والافعال الجميلة بها تتم سعادتهم ، وينهونهم عن اعتقادات فاسدة وافعال قبيحة ، وهذا فعل الانبياء .

والاصل الثاني ان كل من وجد عنه هذا الفعل الذي هو وضع الشرائع بوحي من الله تعالى فهو نبي ، وهذا الاصل ايضا غير مشكوك فيه في الفطر الانسانية ، فانه كما انه من المعلوم بنفسه ان فعل الطبيب هو الابراء وان من وجد منه الابراء فهو طبيب ، كذلك ايضا من المعلوم ان فعل الانبياء عليهم السلام هو وضع الشرائع بوحي من الله وان من وجد منهم هذا الفعل فهو نبي .

ان هداية الله للبشر هي اعظم نعمه على بنسي الانسان حتى يعرفوا ربوبيته ويحسنوا شكره وعبادته ، ويترسموا مواقع رضاه فتتطهر نفوسهم بتقواه ويحسن سلوكهم ومعاملاتهم بهداه .

وان معجزة الوحي شغلت العقول قديما وحديثا فآمن بها كل من شرح الله صدره ، وجعلها من اتباع شهواته وهواه ، ولكنها شقت طريقها في الوجود الانساني ووجهت المجتمعات في مختلف اطوار التاريخ الى اكرم الفضائل ، واتخاذ خير الوسائل لتحسين الاوضاع ، وبناء الحضارات واكتساب المعلومات في جميع الاصقاع ، وان جحد وجود الوحي الملحدون وكابر في هدايته المتقطعون ، واذا كان شرف العلم بموضوعه وغايته ، فموضوع العلم الديني معرفة رب العالمين باوصاف ربوبيته ، وعبادته بما شرعه على السنة رسله حق عبادته وغايته وثمرته هداية ربانية للنفوس ، ورقي وسمو للارواح ، وتربية لها بالتخلي بفضائل ، هي العنوان الكامل لكل صلاح ونجاح .

وكثير من الاخوان يذكرون في مناسبة التعرض لانزال القرآن كيفية نزوله على الرسول ، واول ما نزل منه على قلبه الامين دون الاشارة الى محتوى رسالته الخالدة ، مع ان الكيفية والشكل هو حرز للمضون ، وغشاء فقط للجوهر المكنون ، والسيف الصيقل في الحرب قيمته في قطعه وحده ، لا في حليته وغمده .

فما هي حجة صدق الوحي ؟

يا أمّ القرآن

للأستاذ غلال الفاسمي

وتمل من أنواره متبتلا
كرعا يعيد لك الزمان الافضل
متخشعا بدعائه متوسلا
متحنثا متحيرا متعقلا
سلكت سبيلا في الغواية معضلا
فتعبدتها الجاهلية هملا
يذكىه عقل بالخرافة اثقل
فكر باسباب الرشاد توسل
في العيش الا ان تغير وتقتل
مثل من العادات لن تتبدل
شعب لانواع الجهالة حمل
والى هدايته الطريق الامثل
متدبرا في أمرهم متأملا
يدعو السماء ويستمد الموثلا
او ما الكتاب وما به قد حصلا
او كان يطمع أن سيصبح مرسلا
والشرك قد غطى القلوب واسبل
منك الهداية فاهدني سبل العلا
وجميع أبناء البسيطة أبهلا
فتحملوا الذل الذي لن يقبل
طغت الرؤوس على الشعوب تختلا

قم في حراء مكبرا ومهلا
واكرع من النبع المقدس عنده
وتمل من آثار أحمد ضارعا
واذكره في أرجائه متيمنا
متبصرا في حال أمته التي
عبدت سوى الرحمان جل جلاله
وغدت تعيش الغشم في انماطه
لا الدين يهديها الحياة ولا لها
عجبا لها تند البنات ولا ترى
صور من العيش الحقير تمدها
واذا فتى من نفسها قد هاله
كيف السبيل الى انارة فكره
ويهاجر الاعراب في غمراتهم
ولدى حراء بخلوة احديسة
لم يدر ما الايمان او اسرار
ما كان يرجو ان ينبأ لحظسة
لكنه التوحيد يملا قلبه
رباه اني قد ضللت وانما
رحماك ربى امتي وعشيرتي
كل البرية عبدو لرؤوسهم
يا رب حرر كل انسان فقد

ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

وزيادة في تأكيد عدم تعلم الرسول او تلقيه لاي معلومات جاء قول الله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون » . هذا ومشركو قريش اعرف الناس بسيرته وحاله قبل دعوى الرسالة فلم يكذبوه في هذا ، وينبغي ان نختم هذا الحديث بحديث ورد في صحيح البخاري من اخباره عن المغيبات حيث قال عليه : يوشك الفرات ان يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا ياخذ منه ، قال ابن التين شارح الحديث انما نهى عن الاخذ منه لانه للمسلمين فلا ياخذ منه الا بحقه فناحية الفرات من العراق والكويت وايران هي المناطق الفنية بالبتروال الذي يسميه اهل هذا العصر الذهب الاسود وكان كنزا مخفيا قبل ان ينكشف ويظهر كما كان الناس يؤمنون بقول النبي بوصفه خبرا نبويا دون معرفة كيف يتحقق ، ويمكن والله اعلم ان تكون الإشارة به الى هذه الثروة البترولية التي صارت عماد حركة العالم المعاصر مع تسمية اهل العصر لها الذهب الاسود .

وبعد فان القرآن هو الذي اعلى شأن الامة العربية بعد انحطاطها ، فجمع شملها بعد شتات وقوى عزائمها بعد ضعف ، وبواها اشرف مكانة في الوجود ، مكانة المرشد المعلم الملهب للاخلاق ، الباعث للروحانية المثلى ، والقيم الاخلاقية ، التي رفعت من شأن المسلمين ، بل من شأن الانسانية بوجه عام ، فعسى ان نراجع ديننا ونعتصم من جديد بشريعة القرآن التي صاحبها السعادة والفلاح والرشاد ، كما صاحبها العزة التي كتبها الله للمؤمنين حيث قال تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

الرباط : محمد الطنجي

ومن اخبار القرآن التي تحققت الوعد الصادق من الاستخلاف في الارض وتمكين الدين الاسلامي فيها بعد الخوف والضعف وهو المذكور في قول الله تعالى « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم انفسا .

ومن ذلك ان بعض المسلمين كانوا يحرسون النبي بعد العداوة الشديدة التي اظهرها له اعداء الاسلام ، فلما نزل قول الله تعالى : « والله يعصمك من الناس » صرف النبي من كان يحرسه موقنا بحفظ الله له وعصمته له من الناس ، فلم تحدث له اية آفة منهم حتى وافاه الاجل عليه الصلاة والسلام .

هذا زيادة على ما اشتمل عليه القرآن من العلوم الالهية واصول العقائد الدينية واحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي بما في ذلك الاحوال الشخصية وغيرها مع موافقة مبادئه وقواعده لكل زمان ومكان ،

ويقول الفيلسوف ابن رشد ان معرفة وضع الشرائع لن تنال الا بعد المعرفة بالله وبالسعادة الانسانية والشقاء الانساني وبالامور الارادية التي يتوصل بها الى السعادة ، كما يذكر حاجة واضع الشرائع ان يعرف ما يكون به الجمهور سعيدا من هذه المعرفة واي الطرق التي ينبغي ان تسلك بهم في هذه المعارف ، وهذا كله بل اكثره ليس يدرك بتعلم ولا صناعة ولا حكمة ، وقد يعرف ذلك على اليقين من زوال العلوم وبخاصة وضع الشرائع وتقرير القوانين والاعلام باحوال المعاد ، ولما وجدت هذه الامور كلها في الكتاب العزيز على اتم ما يمكن ، علم ان ذلك يوحى من عند الله وانه كلامه القاؤه على لسان نبيه ، ولذلك قال تعالى منها على هذا : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على

ايمان قلب بالنبوءة عامر
 ما كان احمد غير قرآن على
 بحديثه وبيانه وسلوكه
 لله سنته الرشيدة منهجا
 لله اصحاب النبي فانهم
 ثاروا على ماضيهم وتسربلوا
 صهرتهم الآيات فانفعلت لهم
 تخذوا كتاب الله مقياسا لهم
 كم حرروا من امة ، كم شيدوا
 حملوا الرسالة دعوة وثقافة الان
 وغدوا على قمم الزمان كأنما
 ولقد مضت هذي المئات من السد
 والصالحون السالكون سبيلهم
 لله ابطال القران جنوده
 حملوا لنا القرآن غضا ، ناصعا
 وبكل يوم آية مجلوة
 نكلوه في ايامنا وكأنما
 وبكل عصر تجتلي آياته
 صور من الاعجاز يكشفها الزم
 تتفاعل الاعصار في ابرازه
 يا ليلة القدر التي شرفت به
 فيك الحضارة كلها قد جمعت
 قدر الاله بك الامور فآية
 انا لنحي فيك ميلاد السننا
 والعدل والاحسان والتقوى وما
 انا لنحيي فيك ايمان السورى
 انا لنحيي لحظة الانس السعي
 ذكرى نزول الوحي في ارجائه
 واذا بدنيانا حراء كلها
 وكأننا من حول احمد خشع

* * *

وسلوك فرد بالكتاب تائسل
 وجه الثرى يمشي اماما مجزلا
 وسكوته يهدي البرية مفضلا
 من سر اسرار الكتاب تنزل
 نقلوا لنا الدين الطري الاكمل
 بلباس آيات الاله تقبلا
 صور الوجود فما ارادوه انجل
 ومشوا على نهج الرسول وما تلا
 من حكمه كم وطدوا اسس العلا
 سان علما والعدالة منهلا
 حملت يد الزمان منهم مشعلا
 سين وكل عصر منهم قد اثل
 اثر لهم عن نهجهم لن يعدل
 حفاظه حراسه مذل
 ما ان يلاحقه على الدهر البلا
 تهدي النفوس الى معارف تجتلي
 فينا به جبريل عاد مجللا
 وحيا جديدا للبرية ما خلا
 ان فتكسب الاعجاز معنى مقبلا
 كتفاعل الاسرار اما او لا
 وسمت على الف الشهور تنزلا
 وبك الهنا للعالمين تائسل
 سمة الامور لمن اراد تأملا
 والمجد والعرفان يوم تأصلا
 يهدي السعادة والسلام الاجمل
 بالله والانسان يوم تحمل
 دة في حراء وسرها المتنقل
 ومحمد يصغي لما قد اتزل
 وكان جبريلا يردد ما تلا
 جمع الزمان به فيا ما اجمل

* * *

وزعيمها كان النبي المرسل

يا امة قرآنها دستورها

ويمدهم رهبانهم في غيهم
من للبرية من يعيد حياتها
ويحس صوتا رن في أعماقه
ويجيل طرفا في السماء فلا يرى
ويحس خوفا ، هل يعود لاهله ؟
واذا بها لحظات أنس تنجلي
نادى به ، اقرا . ما قرأت وكيف لي ؟
ويضمه حتى يحس عناءه
 ويعود ، اقرا . ما قرأت وكيف لي ؟
 ويعيده ، اقرا باسم ربك ، انها
 تلك النبوءة في بسيط جمالها
 اقرا ، وحسبك آية علوية
 ويعود احمد مخبرا عن حاله
 لله صدر خديجة اذ ضمه
 حاشاك يخذلك الاله ، وانما
 والى ابن عم خديجة تأتي به
 هذا هو الناموس لا تجزع فقد
 ويظل احمد خائفا مترقباً
 ويخاف بعد الوصل هجرا حارقا
 واذا بجبريل الامين وقد بدا
 قام النبي بدعوة ميمونة
 الله ربي ، والصلاة دعاءه
 والحج للبيت الحرام فريضة
 والناس في الدنيا سواء حقهم
 والسلم حق للجميع فمن يرد
 وتعيش اخلاق النبوءة بيننا
 من كان يأمل ان سيصبح قوما
 لولا كتاب الله لم ينهض لهم
 لله خير الخلق حين دعاهم
 قاسى الشدائد منهم لكنبه
 ويعود للغار السعيد مهاجرا
 ويقول ، لا تحزن فان الاهنا

ويحرفون الدين عنك تقولا
 علما وحرية وديننا مكملا
 ودبيب موج في الفضاء مزلزلا
 الا عجيبا للمشاهد قد ملا
 انى السبيل ؟ وكل باب اقفلا
 واذا بجبريل الامين به ، خلا
 هل يقرأ الامي سطرا مهلا ؟
 ويرده نحو الوجود ليعقلا
 ويضمه حتى يحس تحولا
 كلمات امر للبرية تجتلى
 لا المال لا السلطان لا نسب العلا
 لم يتلها من قبله ، من رتلا
 والخوف يملأ قلبه مما ابتلى
 وحنا عليه تعظفا وتجملا
 تأتي المكارم رحمة وتفضلا
 حتى يفسر ما قرأه وما اجتلى
 أصبحت للامر العظيم مؤهلا
 متقلبا في كونه ، متجولا
 ويزيده الشوق الذي قد اشعل
 في الافق ، يدعو قم وأنذر للملا
 وغدا على اقوامه متنقلا
 والمال مال الله ، ليس لمن علا
 فيه اخاء المسلمين تأصل
 والواجبات عليهم لن تفصل
 غير السلام فقد بغى وتختلا
 وتجد للانسان خلقا مذهلا
 اسمى الشعوب تقدما وتعقلا ؟
 قدر ولم يصلوا المقام الاول
 بطلا بأسباب النجاح تسربلا
 كان الغفور السمع والمتحملا
 وصديقه الصديق لن يتمللا
 معنا ، وحاشا ان نضام ونخذل

الاك عوناً للنجاة موصلاً
خانوا الأمانة واستحقوا الابتلاء
وأعد لهم روح الأمانة والـ
واسلكهم في الصالحين تفضلاً
بك تحتمي وحماك ما أن يختلى
وشعوبنا من كل ما قد كبّل
نرجوك عدلاً للبرية معـ
وأجعل إخوان الناس فيه مكملاً

ضاققت بنا سبل النجاح ولم يزل
أغفر ذنوب المسلمين غانهم
رد اعتبار الدين في أفكارهم
غير نفوسهم لتصلح بالهم
يا رب أنقذ أرض قدسك أنها
يا رب حررنا وحرر أرضنا
وبليلة القدر السعيدة أنقنا
أنشر سلامك في الوجود بأسره

الرباط 26 رمضان 1387 هـ موافق 28 ديسمبر 1967م

الرباط : علال الفاسي



عودي الى الدين الحنيف عقيدة
ما في سوى القرآن خير يجتبي
الله خارك للرسالة فانهضي
ميراث أحمد دينه وكتابه
قل للذين رضوا ثقافة غيرهم
ايلق ان تبقى العروبة بيننا
جريت دعوات غير محمد
هذي فلسطين الجريحة أصبحت
والقدس أولى القبلتين يمهده
مسرى النبي ومبدأ الميراج قد
ماذا انت نهضاتكم ؟ ماذا بنت
ايه ، بغاة العرب يا من زوروا
عودوا الى الاسلام يصلح شأنكم
ان العروبة لا تعود لمجدها
وبلادنا والقدس درة تاجها
لا ينصر الاسلام الا مومن
انى ينال الجند نصرا ان هم
تالله لن تتحرروا او تدركوا
العالمون جميعهم في حيرة
عبدوا المتاع فأصبحوا في نكبة
شغلتهم أموالهم وحروبهم
الجاهلية عاودت كل الدنيا
قوموا انثروا هدى الرسول ودينه
لم يجمع الروحين الا هديه

* * *

وشريعة وتخلقا وتعقلا
او في سوى الاسلام نهج يبتلى
لتواصل عمل الجودود الاول
لك عدة تفنيك عما عمل
وتصوروا الاسلام عهدا قد خلا
جسدا بلا روح ولفظا عطل ؟
ماذا جنيتم هل عقدتم موصلا ؟
بيد اليهود أسيرة لن ترسل !
اعداء أحمد كي يقيموا الهيكل
اضحى به دين النبي مسطلا
ارأؤكم ؟ ذلا وجبنا مخجلا ؟
باسم التقدم شهوة وتعبهلا
وينيلكم نصرا مبينا في الملا
الا كما كانت بلاغا منزلا
بيد الجهاد تفك فكا معجلا
باع الحياة لربه وتوسلا
خاضوا المعارك دون عقد او ولا ؟
بسوى الحنيفة غاية او منزلا
لم يظفروا بحراء فيها معقلا
لا يعرفون لها علاجا معملا
فغدت حضارتهم جحيما مشعلا
وبغير أحمد فعلها لن يبطل
بين الورى ، أجدر به ان يقبلا
فهو العلاج لكل ما قد اشكل

* * *

والمقهور يا من لا يضيع مؤملا
يامن يكشف السوء المبرح والبللا
يا ملهما لابي البرية معملا
لما عليك لهديه قد عول
في غزوة بعد امتحان أهول
لما صلاح الدين هب مجلجلا
يا من أطاح بجيشهم حتى جلا

يارب يامن يستجيب لدعوة المظلوم
يامن يجير المستجير ويرحم المخطر
يا راحما أيوب في ظلماته
يا هاديا خير البرية في حرا
يا واهب النصر المبين لآحمد
يا رادعا أهل الصليب وقد طفوا
يا منقذا للقدس من طغيانهم

كان مصدر الدراسات الفقهية والفلسفية والصوفية والعلمية أيضا .

وقضى الله أن يظل القرآن محفوظا بعنائه ولكن مسخت عقول كثير من المسلمين وقست قلوبهم فاذا هم يقرأونه وفي آذانهم وقر لا يعطيه شينا ولا يمدهم بمعرفة ولو اقبلوا عليه متفهمين واعين كما اقبل عليه آباؤهم لكان مصدر خير كبير ولغير الله ما بهم عندما يقرأون القرآن مخلصين واعين .

والمسلمون يتلون القرآن صباحا مساء ويرددون كلماته في خلوتهم وفي مجالسهم ويستشهدون بالآيات في علومهم ومعارفهم ولكنهم لا يعون دعوته ولا يفهمون مراميها وأغراضه ، وانما يتلونه بالسنتهم ولا تتجاوز التلاوة حناجرهم ولا تعي عقولهم شيئا مما يدعوهم اليه من تفكر وتذكر ، ولا تستجيب عواطفهم لما يأمر به من محبة وأخوة قد خرج عمليا من تشريعاتهم وقوانينهم واصبحت جامدة او معطلة وابتعدوا عن دعوته فاذا قلوبهم قاسية أو أشد قسوة من الحجارة ونبذوا ظهريا كل تعاليمه . واستوردوا نظريات أجنبية عنهم وآراء بعيدة عن بيئتهم وعقليتهم ووجدانهم حتى أصبحوا غرباء في ديارهم وبذلك تغيرت حالتهم من العزة الى الذلة ومن الغنى الى الفقر ومن العلم الى الجهل ومن الوضوح الى الغموض ، وتداغت عليهم أمم وهم كثرة ليسوا بقلّة ، ولكنهم كغشاء السيل ، ومن الغريب في شأن هذه الأمة أن التعاليم التي فرطوا فيها تولاهم أعداؤهم فاذا الكنيسة التي تختلف في الاتعايم الثلاثة وطبيعة روح المرأة وتستبد بالكتاب المقدس أصبحت تترجم هذا الكتاب وتضعه في أيدي المؤمنين بها ليكون مقرا من جميع المؤمنين به ، واذا بفريق منها يدعو الى بساطة الفن وتحطيم الايقونات Iconoclaste واذا بفريق منها كذلك يؤول النصوص الدينية لينفي التشبيه ، واذا كثير من الفلاسفة والحكماء يرددون تعاليم الاسلام فينكر نيوتن وفولتير وساطة الرهبان ويدعون الى الدين الطبيعي المستمد من العقل لا من تعاليم الكنيسة ، بلينادي (جوته) في المانيا بأن الاسلام اذا كان كما وصفته الكتب فهم المسلمون لانهم دعاة حرية الفكر والفضائل الإنسانية ، وينتهي قبله القرن السابع عشر وهو يردد شعار كلمة عمر بالثورة الفرنسية (كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا .

اما المسلمون فلم ينتفضوا للتدبر في القرآن حتى وعثهم مدافع الغرب فاستيقظوا ولم يجدوا عندهم من شأيا حضارتهم الا القرآن المحفوظ بعناية الله ، اما عالم

الاسلام فدكته الايام دكا ، فالاندلس أصبحت مسيحية وتخلت تركيا عن الخلافة الاسلامية فازدادوا تفرقا وحيرة ولكتهم اعتصموا بالقرآن فكان بداية الحركة السلفية التي نادت بالرجوع اليه فأمدتها بقوته التي لا تقهر وطاقته التي لا تنفذ ، واستطاع المسلمون عندما رجعوا الى القرآن يتلونه وكأنه ينزل عليهم لأول مرة كما يقول اقبال ، ان يستمدوا منه قوة لمواجهة العدوان المسلح وتسرب البشرين والضغط السياسي والغزو الفكري المتتابع في معاهد التعليم الاجنبي وما يكتبه اعداء المسلمين من المستعمرين والمأجورين وما تضيع الصحف والمجلات وتنشر القصص والمقالات من دعوات لينبذ الاسلام وتقويت معاليه وتعطيل احكامه والرجوع عنه الى المسيحية او الالحادية الماركسية ، وهذه الدعوات على اختلاف مشاربها واتجاهاتها كانت في معظمها تخضع لتأثير الصهيونية العالمية ، والاستعمار الغربي اللذين تحالفا معا على حرب القرآن لانه قوة جارفة ترد الطغيان والجور فعمدوا الى ترجمته محرفين كما طبعوه طبعات ممسوخة ليغيروه فما وصلوا الى شيء مما ارادوا واعتمدوا على المال لتحويل المسلمين عن الاسلام فاشترتوا من العملاء انفسهم بأن لهم الدنيا ولكتهم مع ذلك لم يستطيعوا ان يشتروا المؤمنين جميعا لان الاسلام محفوظ في القرآن وهو بيد المؤمنين جميعا راسخ في صدورهم مردد في افواههم فلم يستطيعوا ان يغيروا ما عصمه الله من التغيير ولا ان يطفئوا نور الله بافواههم واخيرا لجأوا الى القسوة العارمة يسفكون الدماء ويسعون في الارض فسادا ، وما يزال المسلمون في حربهم الضروس يحملون القرآن بين ايديهم شعارا في هذه المعركة بين الحق والباطل والايمان والفكر والاستقامة والانحراف .

ومهما كانت المبادئ تخون أصحابها عند ما تتغير البيئات والازمان وفعالية الدعوة فان القرآن لم يخن المسلمين قط واعتقد انه لن يخونهم ابدا ، فمنذ نزول اول آية منه وهو يهيب بالناس ان يقرؤوا الى نزول آخر آية منه مفعمة بالرضى وهو مصدر رحمة بالمؤمنين وسلام بالناس كافة لم يكن سببا في أزمة او في حرب رغم ان كثيرا من المؤمنين اقحموه في هذا الجسدال السياسي او في الجدال الحربي ، فقد رفعه اصحاب معاوية على الحراب حينما كادوا ان يغلبوا في حربهم مع الامام علي فاقف حروبهم الى ان تحاكموا الى ما فيه من حق ويقين ، وقبل هذا التاريخ بقليل لم يستنكف النوار على الخليفة عثمان ان يريقوا قطرات من دم

دعوة القرآن في الماضي والمستقبل

لأستاذ عمارة السائح

اسبانيا وتعتبر شمالها الى ان تقف في بلاط الشهداء ،
وتكاد ان تسير متجهة الى الشرق لتتصل بفتوح
المسلمين في آسيا الوسطى لولا ان تقف العقبات دون
تحقيق هذه الامة ، ولم تكن هذه الامة الجديدة تفتح
الارض والبحار وانما كانت في نفس الوقت تغزو مجاهل
الفكر ايضا ، فالقرآن الذي جعل منها امة هادية مهيبة
جعل منها امة شاعرة مفكرة ايضا ، فقد عكف المسلمون
على دراسة القرآن ليجتهدوا عن الكلمات اللغوية
واشتقاقاتها ويتجاوزون الكلمة الى العبارة القرآنية
وبلاغتها وبيانها وبديعها فاذا بالباحثين والمنقبين امام
ننون لسانية بليغة خصوها بالكتب العديدة والتأليف
الواسعة ، واذا هذه الدراسة أصبحت مصدرا للعلوم
اللسانية والادبية والنقد ثم أخذوا يبحثون في القرآن
على اساس ما فيه من التشريع والاحكام وقوانين
استنبطوا منها الفقه واصول التشريع المدني والجنائي
وقوانين العلاقات الفردية والاجتماعية والاممية ثم
درسوا العقيدة الاسلامية في القرآن ، وتجادلت مختلف
الطوائف في فهمها ، واضطروا ان يترجموا الحكم
اليونانية والفارسية والهندية كما اشتغل فريق منهم
بتحليل الجوانب العلمية والرياضية ، فعرفوا من
القرآن كروية الارض واختلاف الليل والنهار عليها
وسير النجوم في مداراتها ، وبذلك كان القرآن الكريم
مصدر دراسة مختلفة الاتجاهات والاختصاصات كما
اشتغل كثير من المفكرين بشرح القرآن وتفسيره كما
حسب تخصصه فكانت حياة النهضة الاسلامية ترتد
على القرآن الذي كان دستور المسلمين والاسلام والذ

اربعة عشر قرنا خلت على نزول القرآن الكريم
الذي كان بداية انطلاق الاسلام ، وكان الدليل القاطع
على صدق نبوة الرسول عليه السلام ، ولم يكن في
الوسع ان تكون للنبي حجة على صدق رسالته الا في
هذا الكتاب المعجز المبين .

ومن العسير ان نأخذ انفسنا في البحث عن
اسرار اعجاز القرآن ، هذا الاعجاز الذي أصبح فنا
قائما بذاته شغل المفكرين المسلمين وما يزال ، يرى
بعضهم ان الاعجاز في الكلمة القرآنية وما فيها من طاقة
توحي للنفس بالقوة والتفكير ، ويرى بعضهم ان
الاعجاز في التعبير القرآني وما في بيانه من سحر ،
ويرى آخرون ان القرآن معجز بما فيه من قوانين
تشريعية خالدة وما فيه من اقايص عن سيرة
الاولين وحياتهم ، ويرى فريق منهم ان الاعجاز في
سرد مغيبات الاحداث ، ويذكر فريق آخر ان الاعجاز
في الصرفة عن المعارضة .

ولكن الحقيقة التي لاشك فيها ان الذين سمعوا
القرآن انقلب حياتهم رأسا على عقب ، فبعد ما كانوا
اميين يعيشون في صراع وشقاق أصبحوا امة حية
قوية العقلية ، قوية الايمان . تؤدي رسالتها الانسانية
وتشعر بعبء مسؤولية تحرير الانسانية جمعاء من
الجهل والضلال والتأخر ، واذا بها امة تترك الجزيرة
العربية متجهة الى فارس والصين والهند وما وراء
النهر من ناحية الشرق او الى افريقيا شمالها ووسطها
واقصاها من ناحية الغرب ، ثم تتجاوزها الى جزيرة

ولسنا في حاجة الى الدليل على أن هذه الوحدة اللغوية
انما ترجع الى القرآن لا غير .

واذا كانت خطوات المستقبل تتقضى خطوات
الماضي ، فمن الحق أن المسلمين اليوم في حاجة الى
أن يعتمسوا بالقرآن ، ومن حقنا أن نتساءل عن
طريقة الاعتصام وعن الاسلوب الذي سنتبعه في ذلك ،
فلست أريد أن نقرا القرآن كما كان اليهود يقرأون
الثورة ، ولست أريد أيضا أن نفهم القرآن منحرفا
بعيدا عن واقعنا ، ولهذا فمن الواجب أن ندون معجما
قرآنيا حتى نتفق على دلالة كلماته وأن نفهم نصوصه
فهما واعيا يتفق وتطور العلم والمجتمع الانساني
ويناسب والوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي نعيشه
لهذا يجب أن تنشأ لجنة لتفسير القرآن تضم المختصين
في العلم والدين والادب والاجتماع والاقتصاد والقانون ،
فهؤلاء يستطيعون بعلمهم أن يفسروا القرآن تفسيراً
متمكلاً ، وأن يدخلوه الى الجماعة الاسلامية بحيث لا
يظل خارجا عنها وهم الذين يهيئون لرجال الترجمة
التبشير بالاسلام النص المعتمد في دلالاته اللغوية
وتفسيره ، وعملهم هذا سيساعد رجال التربية والتعليم
على تبسيط المناهج القرآنية في البرامج التربوية .

وسنكون بهذا العمل نعيش القرآن وتعاليمه ولا نشعر
بمركب ازدواج المفارقة بين تعاليم نستمتع اليها ونتأثر
بها ولكننا لا نحياها ولا نعيشها ، لن يكون عمل هذه
اللجنة هينا ، ولم يكون برنامجها ارتجاليا أو عشوائيا
ولن تكون خاصة ببلد من البلدان أو بقطر من الاقطار ،
فيجب أن تكون من كل البلاد الاسلامية وأن تكون في
كل البلاد الاسلامية كذلك وتضم ممثلين عن مختلف
الاقطار الاسلامية ، وليس معنى ذلك أنني اقلد رجال
السياسة عندما يدعون الى هيئة أممية وانما ادعو الى
ذلك لسبب بسيط جدا ذلك أن القرآن ملك للجميع
والدين الاسلامي دين عام ، ومن حق هذه الشعوب
المسلمة أن تعرف دينها وتفهم القرآن ، وهذه الشعوب
مختلفة اللغات ، مختلفة العوائد ، مختلفة
الانظمة ومن الحق أن الحقن أن الاسلام
كدين عالمي لا يضيق بهذه الانظمة ولا بهذه الاعراف
ولذلك فمن الواجب أن يظل منسجما مع طبيعة هذه
الشعوب كما كان من قبل ، وأخشى اذا استبدت بهذه
الجمعية أمة من الأمم أن تفسد في معظم الشعوب
الاسلامية طبيعتها التلقائية في فهم الاسلام ، وربما
تفسد حقيقة الاسلام من حيث أننا نصلحه بل نضعف
من شأنه بينها نظن أننا نسعى الى تقويته ، وسوف
لا يصطدم عمل هذه اللجنة بمختلف النشاطات المحلية

المركزة في الهيئات الثقافية والجمعيات الدينية ، كما
أنه لا يصطدم بالعمل الجاد الذي تؤديه الجامعات
الاسلامية هذه الجامعات التي يجب أن تضطلع
بمسؤولياتها الدينية والتي يجب احيائها سواء في
القرويين أو في الازهر أو في الزيتونة أو النجف ... أو في
تبكتو .. والتي يجب أن يكون لها برنامج جديد ومنهج
جديد سواء في دراسة الاسلام أو دراسة المجتمعات
الحديثة على هذه التطورات الفكرية المعاصرة .

فمن واجب هذه المؤسسات أن تقوم بمهمة
الدراسات الاسلامية والعربية وتكون اختصاصيين في هذه
الموضوعات سواء كمفكرين أو كخططين تربويين في
تطوير العالم الاسلامي روحيا وفكريا وأدبيا وأخلاقيا ،
ومع الاسف فمعظم الجامعات الاسلامية فقدت
شخصيتها أو أخذت في فقد شخصيتها لتدخل في اطار
التعليم الجديد ، وهي إذ تفعل ذلك تسير متأثرة
بالتفكير الغربي الذي يفصل بين الدين والدنيا ،
ويعطي تحديدا للعلم خارجا عن نطاق الدين ومع الاسف
الشديد فهذا العمل يعبر تعبيرا صريحا عن عدم فهم
الاسلام كدين اجتماعي لا كدين ضمير ووجدان ، وإذا
كان العالم الاسلامي تحت ظروف القاهرة تخطى عن
الخلافة الاسلامية فلم يبق لديه الا هذه الجامعات التي
ستظل حارسة الاسلام ، والتي يجب أن تقيم وحدة
جامعية في شكل اتحاد جامعي ، يضم الازهر وجامعة
السنوسي في ليبيا والزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب
والنجف بالعراق والمقاصد في لبنان ومعهد الشريعة في
سوريا والعراق ، ومعهد الحديث للمدينة المنورة ،
وعليكرة في الهند ومعاهد الشريعة الاسلامية في
اندونيسية والصين وبخارى حتى تكون هذه الوحدة
اساسا لمركزية التفكير الاسلامي ، واعتقد أن هذا
العمل اداري لا يضايق عمل لجنة احياء القرآن بقدر ما
يساندها وتستفيد منه ، ولست أتصور أن عملها سيكون
سهلا إذ عليها أن تصدر مجلة وتؤسس عدة اندية
وتتولى توجيه محاضرات ومناقشة كل ما جد من
النظريات والآراء الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية
بل تتولى ترجمة الابحاث الايدولوجية في مختلف
المستويات والتوجيه الاذاعي والصحفي والتلفزة في
البلاد الاسلامية . وتتجاوز ذلك الى مراقبة كل ما
يصدر عن الاسلام من آراء مغرزة أو منحرفة وعليها
أن تستعمل لغة العصر من قصة مسرحية وأفلام
تثبت فيها الروح الاسلامية على اساسها السلفي
النبيل .

ولكن عمل هؤلاء المستشرقين كان ابلاغ دعوة القرآن الى المتكلمين بغير لغته ، ومهما اختلفت قيمة علمهم فهم دعاة اسلام شعروا بذلك أو لم يشعروا ، واحبوا ذلك العمل أم كرهوه ، فالقرآن بقي دستور الاسلام وكتاب العربية وهم يقرؤون الاسلام في ترجمة القرآن ويعرفون التفكير الاسلامي في ترجمة القرآن كذلك ، وكما يستمعون الى حلاوة جرسه ويتأثرون بسمو نظرياته وكأنهم يصفون الى قطع غنائية رائعة فيعرفون الكثير عن هذا الكتاب الذي قاد المسلمين طيلة اربعة عشر قرنا وسيظل يقودهم الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وكما ترجم المستشرقون القرآن الى هذه اللغات ترجمة لا تخلو من عناية فان كثيرا من الشعوب والامم التي انضوت تحت لواء الاسلام وكان منها من لا يحسن اللغة العربية اضطر سقوة العلماء ان يترجموا سورا وآيات من القرآن الى لغاتهم وعلى هذا النحو نقل بعض فقهاء سوس وبالاخص في عصر الموحدين جزءا من القرآن ، فكتب المهدي بن تومرت آيات من القرآن باللغة البربرية وفعل هذا كثير من حفاظ القرآن في فارس وفي تركيا ايضا ولكن هذا لا يمكن ان يسمى ترجمة بالمفهوم العلمي وانما كان نقلا لفقرات من القرآن ، والمقصود منها شرح العبارات القرآنية وتقريبها للفهم ، اما هذه الشعوب وهذه الامم سواء منها في الهند او في الصين او اندونيسيا او في الباكستان او في بلاد الترك او في بلاد فارس او في بلاد البربر فهم يحفظون القرآن ويتقنون حفظه ويحاولون ان يجعلوا لغته هي لغتهم ولذلك كان صحيحا ما يقوله بعض المفكرين من ان القرآن الكريم لم يحفظ باللغة العربية فقط ولم يطورها فحسب بل جعل منها لغة الاسلام فتغلبت لغته على الحناجر والحدود الطبيعية والجغرافية وعجمة اللسان وجعلت المسلمين سواء في روسيا او في افريقيا السوداء يتكلمون باللغة العربية ويكتبون بها وبذلك وسعت اللغة العربية مختلف اللهجات واللغات والتعابير الفنية والفلسفية والعلمية ودونت بها العلوم بمختلف شعبها وكانت العربية الى وقت متأخر لغة العلم والفلسفة والدين والادب ولغة الشعوب الاسلامية جميعها ، ويحدثنا تاريخ المغرب عن ابن بطوطة الرحالة المغربي الذي خرج من طنجة فتكلم بلغته العربية في آسيا الوسطى وفي الهند وفي الصين وفي بخارى وفي افريقيا السوداء ولم يكن في حاجة في معظم هذه البلاد الى مترجم وانما كان يجد صعوبة في التعبير في بعض الاماكن ولدى طبقات خاصة من الناس

راسه ممزوجة بقطرات من دم زوجته على صفحاته شهدت على ان الله تعالى سيكفيه شر الظلم وينتقم لدمه المسفوك في حروب داهية ، وتجرا عليه الوليد الاموي فيما يروي بعض المؤرخين فمزق صفحاته ولكن الله مزق ملكه حفظا للقرآن وتبكيته لاعدائه ، واثار خلفاء بني العباس مشكلة خلق القرآن ونحوه في هذا الصراع السياسي كثيرا من المفكرين واصحاب المذاهب الكلامية من معتزلة وسنية وغير ذلك من الفرق وعذبوا كثيرا من المفكرين بهذا الموضوع الخطير الذي لم يثره القرآن وانما اثاره السياسيون والدوجماتيكيون ، ثم اختلف المفسرون وعلماء الكلام في عبارات القرآن التي تفيد التشبيه فمنهم من اولها عن ظاهرها ومنهم من اخذها على حقيقتها فاختلغوا بينهم اختلافا شديدا اثار حروبا قلمية ودموية ، ونعرف في المغرب ذلك الصراع الحاد بين المرابطين الذين يؤولون والموحدين الذين اولوا فسموا بالجسمين ، واختلف الفقهاء كذلك في فهم نصوص القرآن وكان اصحاب ابي داود في العراق واصحاب ابن حزم في الاندلس يفهمون القرآن على ظاهره في كل ما تعطي الكلمة اللغوية من ابعاد وتطرف فريق من غلاة الشيعة والمتصوفة في الاخذ بباطن القرآن لا يفهمون منه كلماته على حقيقتها وانما يؤولونها تاويلا يناسب معتقداتهم ومعطيات وجدانهم ، وهكذا انحرف هؤلاء عن الطريق المستقيم الذي سنه القرآن رغم انه كتاب رحمة ومحبة وهدى واتفاق وجمع كلمة وتوحيد المسلمين كافة ، على ان القرآن الكريم محروس بعناية الله لم يتأثر بشيء من ذلك بل ظل محفوظا في نصه وتلاوته مهما يختلف المفسرون في تفسيره ، فكل هذه التفاسير جانبية عنه تتلاشى مع الايام ويبقى القرآن الكريم رحمة للناس كافة .

كما ترجم كثير من المستشرقين القرآن الى لغتهم بل ما من لغة في لغات العالم الا وتتوفر على ترجمة للقرآن الكريم ، وليس من شك ان ترجمة القرآن تنبع من روح الذين ترجموه فمنهم من استخف بآياته واحكامه وتشريعاته فجاعت الترجمة مهلهلة ضعيفة تنقصها الروح ونزاهة الفكر ، ومنهم من حاول ان يقدم القرآن في حرارة لغته وسمو دعوته ولكن هؤلاء جميعا لم يبلغوا الى ما ارادوا لسبب بسيط هو ان للقرآن بلاغته العربية الخاصة به واسلوبه المعجز وهو في لغته لا يحتل تقدما وتأخيرا ولا استبدال كلمة باخرى وكما جاء في القرآن وهو يتحدى بلغاء العرب (قل لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

نموذجية لا ترهق التلميذ الصغير كما كانت ترهقه من قبل .

وإذا كان المغرب الحديث فتح نوافذه على الحضارة الغربية واقتبل كثيرا من انظمتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فانه ظل متشبعا بروحه الدينية ، هذه الروح التي تعتمد على القرآن الذي يرى فيه استمرار الشخصية وضمانا لمستقبله ، وهو في كل المدارس ذات النظام العصري والمواد الحديثة يهتم بتعليم القرآن ولم يكن يكتفي المغاربة بذلك بل يبعثون بأطفالهم الى الكتاب مساء بعد دراستهم بالمدرسة نهارا .

ومعظم الذين درسوا بالمدرسة الحديثة كانوا ينضمون جزءا من اوقاتهم بالكتاب يحفظون ما تيسر من القرآن في اوقات الاجازة او بعد نهاية حصّة الدراسة المسائية ، وان دل هذا على شيء فهو دليل على ايمان المغاربة بتعليم القرآن وحرسهم الشديد على حفظه منذ عهد طفولتهم ، ولم يكونوا يقتنعون بالدراسة على ضعفاء المعلمين . فقد نعمودوا ان يخاروا من بين فقهاء المغاربة الذين يتوفرون على شخصية روحية تعتبر اساسا لتكوين شخصيتهم ولذلك ظلوا متمسكين بالثراث الحضاري والثقافة الاسلامية ، هذه الثقافة التي تناسب طبيعتهم انني تؤمن بالحريّة الانسانية فاستطاعت ان تخلق وتنمي في الانسان ضميرا اجتماعيا حرا الف بين الناس مهما اختلفت ألوانهم وعقائدهم دون ان يفسد ارادتهم الحرة ، ولهذا فنظامهم التربوي يلائم بين الذاتية والتطور ، لان المبدأ الاساسي الحر سبطل مخيما على علاقة الفرد بالمجتمع الحر الانساني المتدين . وكما يرى (توينبي) وهو علم من اعلام التاريخ المعاصرين ، فان الذين هو عماد المجتمعات التي عليها تقوم الحضارات ، بل تسيطر على تفكيره التاريخي ضرورة وجود الروح الدينية مهما كانت مسيحية او اسلامية او بوذية هندوسية .

والواقع ان التربية الروحية ضرورة لتكوين الشخصية شأنها شأن التربية الجسدية والعقلية ، وتهذيب الروح حسب القوانين التربوية فن قائم بذاته ، يمكن تطوير الروح وتربيتها على حدة . وتربية الروح انما تكون عن طريق معرفة الله والايمان بالشخصية الانسانية ، ولاشك ان كل تعليم يخلو من عنصر التربية الروحية تعليم لا يفيد الانسانية . وان كلمة التربية الروحية مشوشة فماذا يراد بهذه التربية ؟

انها تربية المحبة والخير والجمال والعزم والثقة في الروح الانسانية ، هي تربية مشاعة ، تنمو وتزدهر بطريقة تلاوة النصوص الدينية القرآنية وفهمها فهما صحيحا مع تدريب على ممارسة الواجبات الدينية التي هي الرياضة الروحية وكما ان العقل انما ينمو بالرياضيات والجسد ينمو بالرياضة الجسدية والتمارين العضوية ، فكذلك التربية الروحية لابد لها من تدريبات وممارسة طقوس ، وهذا يتوقف على المربي الصالح الذي يكون نموذجا صادقا ، وصدق المعلم في تغلبه على نفسه وكبحه لشهوته .

والهدف القويم للتربية القرآنية هو تهذيب الاخلاق وتقويمها لان الاخلاق مستمدة من الوحي الالهي ، فنحن نتفق جميعا على ضرورة الاخلاق لتقوية كل مجتمع من المجتمعات الانسانية ، واذا كان بعض المربين يرون ان الاخلاق تعتمد على اساس للتقويم الفكري لان العمل الخلقي انما هو تعود عقلي ، فهو رأي خاطيء اذ ان واقع الحياة يكذب هذا فالاخلاق لا ترتكز على اساس عقلي ما لم تكن مدعومة بالايمان والخوف من الله ، والايمان بالله انما ينبثق عن الايمان بالتعاليم الدينية القرآنية ، وهي تعاليم انسانية تركز فينا احترام الحرية الانسانية وشخصية الانسان وعقيدته وفكره وشعوره بالتعاون الانساني ، ولا شك ان الاخلاق عندما تبني على الافكار قد تتحرف وقد تضطرب لان الفكر نفسه قد يضطرب وقد يتحرف وقد يضل طريقه فيتحرف عن الصدق والاستقامة والرحمة ، وليس معنى هذا اننا لا نثق بالفكر الانساني ولكن الفكر الانساني قد يشد ويحلل المحرمات تبعا للاهواء ، وبذلك فالايمان بالله هو الضمانة لاستقامة الاخلاق فلا خلاص الا بتعاليم القرآن التي لا تركز المبادئ المثلى فقط . وانما تجمع المؤمنين عليها ايضا ، ولا يجوز لنا كبسامين ان نتفرق في عصر يدعو الناس بعضهم الى بعض الى الاتحاد لان في الوحدة قوة ، لا سيما اذا كانت على اساس خلقي متين خبرناه عدة قرون فزدنا به ايمانا وثقة .

وكذلك فقد دخل القرآن الكريم حياة الشعب المغربي فنبض كل لسان بآيات منه وتحرك كل فؤاد بمعانيه وكان عنوان حياة المسلمين التي تغيرت من حياة ساذجة غير واعية الى حياة ترتكز على الوعي الدافع للعمل الصالح ، وقد عبر الفنان المغربي عن هذا الوعي بازميله ونحته سواء في الجص او في الخشب او في الحجارة .. فعلى كل خشبة يفرغ عبقرية في آيات قرآنية مكتوبة بخط بديع هو آية أخرى من الفن ،

أما المغرب بصفة خاصة فقد اهتم المغاربة بحفظ القرآن اهتماما بليغا وليس من الصعب علينا أن نحدد ذلك اليوم الذي تعلم المغاربة فيه القرآن ، فالاسلام يحمل معه تلاوة الكتاب المقدس اينما حل ، ففي الوقت الذي ورد فيه المسلمون فاتحين للمغرب في عهد الله بن ابي سرح وانتصروا على الرومان في معركة سببيلة عرف المسلمون الاغارقة والمغاربة سور القرآن التي تتلى في الصلاة ، وكلنا يعرف أن الخليفة الاموي الذي بعث الى المغرب القراء ليفقهوا المغاربة في امر دينهم ، كما نعرف أن هرثة بن اعين أسس رباطات في شمال افريقيا وكانت بهذه الرباطات مدارس لدراسة القرآن وحفظه ووعي دعوته .

والواقع ان المغاربة تهافتوا على القرآن الكريم ووجدوا فيه ضالتهم ووحدتهم يقرؤونه ما وسعتهم القراءة ويتلونونه ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، يؤدون به بطريقة (ورش) التي اخذها عن نافع المدني لانه من مدينة الرسول (ص) ثم تجاوزها الى مختلف الاداءات حبا منهم في حذق تلاوته بطرق عديدة ، واشتغلوا بتجويده واشتهر في ذلك الكتاب العاصمية والشاطبية وكتبت مات المؤلفات في فن القراءات والتجويد ، وقلما نجد مؤلفا مغربيا لم يكتب في موضوع التجويد والقراءات ولقد صدق الدكتور الاهواني حين قال ان المغاربة سيطروا على هذا الفن وظهروا فيه مقدرتهم ، واذا عرفنا اساليب التعليم القرآني كما يرويها الامام سحنون وابن العربي وابن خلدون عرفنا مدى العناية بالقرآن الكريم في المغرب فقد تعود المغاربة ان يدخلوا اطفالهم للكتاتيب القرآنية في سن مبكرة جدا قد تبدأ من الثالثة سواء اكانوا اطفالا أو كانوا طفلات ، ويبدأون بتعليمهم سور القرآن القصيرة يحفظونها عن ظهر قلب . وهكذا يسلمون في تحفيظ القرآن حتى اذا كانوا ابناء العاشرة او الحادية عشرة كان معظمهم يحفظ القرآن ثم يعلمونهم في نفس الوقت فن التجويد ومخارج الحروف وعددها في القرآن من آية خاصة بالفاظ معينة ينظمون ذلك في ابيات يسمونها (النصوص) وقد بالغوا في ذلك حتى انتقد ابن العربي طريقة تعليم القرآن في المغرب وانتقدها ابن خلدون من بعده كذلك ، وليس من شأننا ان نناقش هؤلاء ونفاضل بين الطريقة الشرقية والطريقة المغربية ، وانما اردت ان اثبت عناية المغاربة بالقرآن واهتمامهم بحفظه وتلاوته ، والى عصور متأخرة والقرآن يدرس في الكتاتيب القرآنية وينهي الطفل حفظه بحفلة كبرى تقام بالكتاب ويمنزل الطفل . وقد كانوا في الكتاب يكتبون القرآن بمادة الصمغ

السوداء على الواح خشبية مطلية بالصلصال وكان من عادة المغاربة والاندرلسيين أن يرسلوا في هذه اللوحة يوم ختم القرآن دوائر هندسية وتخطيطات منسجمة ويملؤون ذلك بآيات قرآنية في حروف مجوهرة اندلسية وكوفية شرقية ومبسوط مغربي ، فتكون اللوحة آية في التناسق الهندسي وهم بذلك يعلمون الاطفال مبادئ الهندسة أيضا ، ويحدثنا كثير من المستشرقين عن مشاهدتهم لحفلات ختم القرآن التي كانت تنال اعجابهم واذا كان المؤرخون المغاربة لا يهتمون بوصف هذه المناظر لانهم الفوها باستثناء الوزان الفاسي الذي اعطى لنا صورة مصغرة عن ذلك فان المستشرق (جون وندروس) يصف لنا ذلك الحفل البهيج في ذلك اليوم الخالد في حياة الطفل حيث يشتري للطفل فرس مطهم ويلبس العمامة والسلهام ، وفي حفل بهيج يغادر الكتاب الى منزله تتبعه الصبية وهم يرددون الاناشيد ، حتى اذا وصلوا الى منزل المحتفل به اخذوا في تلاوة القرآن والاشادة بحافظه ، وتقدم للعلم جوائز نقدية اعترافا بمجهوده لاداء رسالته ، على أن مباحج هذا الحفل تنسينا حياة الكتاب القاسية ، حيث كان الطفل يقضي به حياة اليمة كانت تبدأ الدراسة في الصباح بعد صلاة الصبح ، وتنتصف في صلاة العصر ، وتنتهي بعد صلاة المغرب وتلاوة القرآن في المسجد الى بعد صلاة العشاء ، باضافة التراويح أو ما يسمى بالتشفيح في شهر رمضان ، لا يعرف الطفل فيها طيلة السنة عطلة طويلة المدى ، سوى ثلاثة ايام في الاعياد الدينية ويوم الخميس ، اما يوم الجمعة فتبدأ الدراسة في الكتاب بعد صلاة الظهر فتستمر طيلة المساء كله وكانت لحياة الكتاب مظاهر خاصة في اسلوبها التعليمي ، فالفقيه يملك مجموعة من العصي ويستعين بالفلاحة لا لتقويم الاخلاق فحسب ولكن لمعاينة من لم يستطيع حفظ ما كلف بحفظه ، ولم يكن في الكتاب الا حصير متلاش يجلس عليه مختلف الصبيان ، والا محاة من الماء لتمحي فيها الالواح وليشرب ماءها من استعصى عليه الحفظ ، اما ادوات التعليم فلا تتجاوز مدواة بمادة الصمغ وقلما من القصب وأحيانا خشبة مستطيلة صغيرة يتتبع بها الطفل حفظ الآية القرآنية ، فلم يكن في الكتاب مصحف ولا دفتر ولا كتاب ولا مداد ، وانما هي ادوات بسيطة جدا وتجهيز فقير جدا . وحياة قاسية اليمة لا راحة فيها ولا هدوء ، وكانت قدرة المعلم تتجلى في قوته على ارهاق اطفاله الصغار بالحركة أثناء الحفظ والصخب أثناء التلاوة وصوت بكائهم وهم يتضورون تحت سياطه التي لا ترحم ، وقد اختفت هذه الكتاتيب اليوم تحت تجديدات مدرسية واصبحت كتاتيب

الدلالة القرآنية ..

للأستاذ عبدالقادر نظام

ولم يثبت عندنا بطريقة علمية مسلمة أن المخاطبين بالقرآن أول نزوله جعلوا من جملة اسلحة الطعن فيه.. فساد الدلالة !! أو غرابتها !! أو غموضها !! أو انحرافها عن الأسلوب العربي !!

ولم يثبت عندنا بطريقة علمية مسلمة أن الذين آمنوا بالقرآن وحفظوه . وكتبوه . ورتلوه . كانوا يقومون بذلك بعد أخذ دراسة أو معلومات أو تدريب خارج عن المألوف المعتاد !!

فاذا نعق اليوم ناعق في شرق الدنيا !! أو نهق ناهق في غربها باسم العلم والبحث !! أن الذين آمنوا بالقرآن والذين كفروا به سواء في الجهل بدلالته .. لأنه جاء بأسلوب غريب !! والفاظ غريبة !! وتراكيب غريبة !! ومعان غريبة !! لم يالفوها .. ولم يفهموها .. فان اقل ما يقال عن هذا النعيق !! وهذا النهيق !! هو انها لا يمتان الى العلم الصحيح .. والبحث النزيه بصلة ...

والقرآن بحكم نزواه متتابعاً طيلة سنوات أصبح من اللازم أن يكون لسوره وآياته مناسبات وظروف كانت لمن عاصرها من صولة بحياة عقيدته مرتبطة اشد الارتباط بوجوده داخل الجماعة الإسلامية .. التي تكونت في ظلال القرآن .. تهتدي بهديه فتحل خلاله . وتحرم حرامه .. في العبادات والمعاملات ..

اما بالنسبة لمن لم يعاصر هذه الظروف والمناسبات فان معرفتها والاطلاع عليها يمكن من تقرير الدلالة وتوضيحها ومعرفة ملاسباتها ..

وهذا شيء زائد على مجرد الدلالة ... فاذا فرضنا اننا جهلنا مناسبة النزول . وظرفه الخاص فان الدلالة القرآنية تبقى قائمة الحجة ... ناصعة الدليل .. واضحة

عندما قالت السماء كلمتها الخالدة في غار حراء . انبعث في الوجدان الانساني صوت من الاعماق يربط المثل العليا في الحق والخير والفضيلة برباط متين من كلمة السماء في غار حراء ... !

وكلمة السماء وحي من الله ! ورسالة من جبريل ! وتبليغ من محمد عليه السلام !! ودلالة من كتاب !! فهمها المؤمن فكانت حجة له ... وفهمها الجاحد الكافر فكانت حجة عليه !!

والصراع الذي كون تاريخ الاسلام . كان مبني على اساس من الدلالة القرآنية التي فهمها الجميع ... خصما كان للاسلام ام صديقا ..

فالخصم فهم من كلمات القرآن وآياته وسوره ما تدل عليه . فهم لا يقتل عن فهم الصديق .. فجادل بباطله ما شاء الله أن يجادل !! وحارب ما شاء الله أن يحارب.

والصديق فهم من كلمات القرآن وآياته وسوره ما تدل عليه فهمها انار زوايا قلبه . واوقد نبراس ضميره .. فأمن واعتقد واستتمت في الدفاع عن هذا الايمان وهذا الاعتقاد ..

فالوضع الحقيقي للاشياء هكذا كان طيلة الفترة التي تتابع فيها نزول القرآن وحي من الله !! ورسالة من جبريل !! وتبليغا من محمد عليه السلام !! ودلالة من كتاب !! وهذه الفترة دامت أكثر من عشرين سنة . الاعجاز القرآني المقصود به التحدي لا يتم معناه ولا تقوم حجة منطقية خالدة .. الا اذا تحقق مدلول الدلالة قرآنية واصبحت امرا واقعا ليس له من دافع !! ولهذا تجد القرآن يؤكد هذه الدلالة .. ويقول انه انزل بلسان عربي مبين ... ليفهمه المخاطبون به عند سماعه .. من غير احتياج ضروري الى شيء آخر ..

وحقيقة الموت التي لا يمكن ان يفر منها اي مخلوق ، والبقاء لله وحده دون غيره .. كل الايات التي تبعث في النفس عظمة الخالق وتشعر الانسان بحقيقته كمخلوق ومصيره النهائي الذي ينتظره . وهذه الايات القرآنية التي تكمن في القلوب يعبر عنها الفنان المغربي بمبقرته في النحت والتصوير والرقم والتخريم . وهكذا دخل القرآن للحياة المغربية وطبعها بطابع قوي سواء بلفته او تعاليمه او توجيهه ، وسواء في التربية او القانون او التعليم او الاخلاق او الفن ، فالمغرب مصحف يتحرك . وايمان بالاسلام تجسم في شعب قوي الايمان .

الرباط : حسن السايح

نقش على الاحجار وعلى الجص وعلى الخشب الايات الكريمة التي تعبر بمفهوم كلماتها مالا تعبر عنه الصور والتمثيل الرخامية ... وفي الواقع ان الفن الاسلامي محا التجسم ليقود الى البساطة في التعبير من الداخل النفسي ، ولكن ليس تعبير البساطة الفنية وانما هي آيات قرآنية مشحونة بمعاني خالدة وسواء في القصور او في جدران المساجد او في سقوف البيوت او اسكافات الابواب .

وانه لمنظر جميل ان نرى الفسيفساء البديعة التركيب تضم آيات قرآنية مكتوبة بخط جميل مغربي او أندلسي وترى الفنانين نحتوا على رخامات اللحد آيات قرآنية تعبر عن مصير الانسان الى خالقه ،



القرآن الكريم

”وترهات“ بعض المستشرقين

للأستاذ عبدالله العمراني

وان الحق يعلو دائما ولا يعلو عليه ، وبمناسبة الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، اخترت مزاعمهم وترهاتهم واباطيلهم التي قذفوا بها القرآن الكريم ، لاردها وأدحضها والله المعين .

قد تعتري المرء الدهشة اذا علم :

1 - ان هؤلاء المتجنين على القرآن الكريم الذين لا يزالون يعيشون بين ظهرائي القرن العشرين ، انما يستقون افكارهم الهدامة من مصدرين رئيسيين :

1 - كتابات بعض الحانقين على الاسلام والعروبة في القرون الماضية حيث كان الجهل والتعصب الاعمى يفشي ابصارهم ، فلا يكفوا عن غلوائهم ، حتى جاء الكاتب الانكليزي توماس كارليل (1795-1881) T. Carlyle الذي اختار النبي العربي من بين الانبياء جميعا ليتحدث عنه في كتابه : « الابطال وعبادة البطولة » ، ويصوره بطلا في صورة رسول ، فآلقهم حجرا بما كتب ، وعاب اقوالهم ، وشنع عليهم .

ب - ما ركب في نفوسهم من نفقة وكراهية لكل ما هو عربي او اسلامي .

2 - ان كتابات هؤلاء المتجنين تعتبر - في زعمهم - وفق طرق البحث العلمي الحديث .

3 - ان اصحاب تلك الكتابات ذوو مكانة علمية بارزة في اوساطهم ، ولذا نجد كتاباتهم تعد مرجعا لطلبة الجامعات الغربية .

لا مراء في ان بعض المستشرقين قد اسهموا في خدمة اللغة العربية وتاريخها وأدبها ، بما انتجوه من أبحاث ، ونشروه من كتب عربية ، وآثار علمية ، ظلت مكتومة الانفاس ، محجوبة عن نور الوجود اجيالاً عديدة . وهم في ذلك تحدوهم اغراض علمية بحتة ، نستهدف الكشف عن تراث الاولين ، وترمي الى تحقيق بعض معالم التاريخ او الادب او الفن ، التي طالما نار حولها النقاش ، او كانت في امس الحاجة الى من يلقي عليها بصيصا من نور يهديء من روع المتناقشين حولها ، ويزيل عنها ظلمة الجهل ، فيتضح صحتها لدى عينين .

ولا جدال كذلك في ان بعض اولئك المستشرقين دخلوا ميدان الاستعراب وهم مدفوعون باغراض معينة ومفعومون بافكار وآراء ونظريات خاصة يحاولون ابرازها والتدليل عليها ، ويقذفون بها وجه الحقائق التاريخية والادبية والدينية التي ظلت ثابتة الدعائم ازمانا متباعدة . وهدفهم من وراء ذلك السعي غير المشكور ، التشكيك ، ومحاولة الاتيان بجديد كيفما كان ، وطمس الحقيقة باسم البحث العلمي المزعوم ، ثم غمط اقوام حقوقهم واعتباراتهم ، وظلم أمم ظلمت نعتنق هذه الحقيقة او تلك ، وتمدها من اقدس مقوماتها الحضارية .

عن هذا الصنف الاخير ، سأحدث في هذه المعالة ، مدركا اني قد اثير حفيظة بعضهم ، ولكنني في اوقات نفسه حريص على ارضاء الحقيقة والواقع ،

المدلول .. وتلك ناحية من نواحي الإعجاز القرآني في
رائع البيان .. !

ومن أجل ذلك كان للقرآن ترتيبان :

ترتيب النزول ،

وترتيب التلاوة ،

وكلا الترتيبين أمر الهي تعبدى لاجال فيه لقارىء
ولا لمفسر ، ولا لكاتب ، ولا لطابع ..

وكلا الترتيبين قام به الإعجاز .. واستقرت به
الدلالة .. القرآنية .. غير أن الترتيب الاول كان ترتيب
مناسبة اقتضتها حكمة الباري جل وعلا في نزول القرآن
مجزا تخفيفا منه على عباده . وتسهيلا عليهم في تلقي
الاحكام والعقائد والاداب ..

وانتهى هذا الترتيب المبني على المناسبات
والظروف ليحل محله ترتيب التلاوة الذي كتبت به
مصحف المسلمين بطريقة متواترة خالدة قاومت الزمان
وتحدث كل ما يله الزمان من افكار تجد كما تشاء ...
وتعبت كما تريد ..

واذا كان كل كتاب يجد صاحبه بعد مدة تطول او
تقصر انه في حاجة الى زيادة . او نقص او اصلاح ، او
حذف .. كما يجد فيه قراؤه بعد احقاب من الزمن . انه
اصبح بينه وبين قلوبهم وعقولهم وواقعهم بون شاسع..

واذا كانت للكلمات ودلالاتها .. وللأساليب
وانواعها .. اعمار محدودة تبلى جديتها .. وتذوي زهرتها
.. فان للقرآن اعجازه القائم على وضوح الدلالة .. ورعة
البيان .. وتحدي المواهب والعقول والاقلام ..

وهذه أربعة عشر قرنا منذ ان قالت السماء
كلمتها في غار حراء ... لم تستطع ولن تستطيع ان تبلى
من جدة القرآن وطراوة اسلوبه . ونصاعة مدلوله ...

فهو قريب من عقولنا وقلوبنا واحساسنا الباطني
وضميرنا الانساني .. لا يبعده عنا جدد الجاحدين ولا
تنطع الناهقين والناعقين ..!

واذا كان القرآن لا تبلى جديته الايام فذلك لانه
ليس كتاب جماعه . ولا جيل . ولا لون من البشر . ولا
حقبة من الزمان .. ولكنه كتاب الانسان اين كان .. ومتى
كان ..

فلا طائفية .. ولا عنصرية .. ولا سلالية في القرآن..
يخاطب بدلالته الواضحة في أساليبه الناصعة البر ..
والفاجر .. والقريب . والبعيد . والعالم . والمتعلم . والجاهل
الكل يجد فيه صارم حق لا يكل .. ومعين حيوية لا
يغيب .. ونبع اشراق لا ينطفئ ..

فليس ضروريا ان تكون عالما او فيلسوفا او عبقريا
في اللغة والبيان لتقرأ القرآن وتهتدي به وتمتع بجماله
وجلاله ..

وليس ضروريا ان تجمع كتب التفسير وتقرأها
لتفهم الدلالة القرآنية والهدى القرآني .. وانما يكفيك
ان تعرف لغة القرآن لتتلو آياته فتجد لمعانها التي
تتسابق الى قلبك ووعيك اشراقه روحية من عالم
الرحمة والحكمة فيستيقظ ضميرك الديني كما استيقظ
ضمير الملايين قبلك .. ويستيقظ ضمير الملايين بعدك ..

مفسرو القرآن .. اساء منهم قوم واحسن آخرون
فالذين اساءوا حاولوا ان يجمعوا بين الدلالة القرآنية
وبين دلالات أخرى .. ففاتهم هذه .. ولم يظفروا بتلك ..

والذين احسنوا حاولوا ان يربطوا بين الدلالة
القرآنية وبين وجدان الانسان فاستقامت لهم تلك .. ولم
يفهم ذلك .

لكن الطامة الكبرى هي التي جاءتنا من الذين
يحاولون تعطيل الدلالة القرآنية من اهل الاهواء
والنزعات الضالة المضلة فيسبحون في بحار من
الاضاليل والهرطقات والاشارات زاعمين — باطلا —
ان للقرآن ظاهرا وباطنا .. !!

» كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا
كذبا «

والمسلمون اليوم امام تيارات متعاكسة من
الاراء والاهواء وهم الهدف الذي يصوب نحوه السهام
القائلة كل افك اثم .. لهذا يجب ان يتضافروا افرادا
وجماعات على اسناد الدلالة القرآنية واعطائها الحل
اللائق بها من اهتمامهم ودراستهم ..

وذكرى نزول القرآن دعوة كريمة .. ومناسبة
طيبة .. ليرى المسلمون وجوههم في مرآة القرآن ..
وليدركوا ما يفصل اخلاقهم واعمالهم واحوالهم عز
هديه الذي دعاهم اليه ...

» ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا

فاس : عبد القادر زمامة

جيدا . من هذه النسخة كان رسول فائق لطبيعة البشر (وصفه محمد فيما بعد بالملك جبريل) يسمعه عبارات في لغة عربية واضحة » .

ويقول مستشرق (2) آخر انكليزي : « .. وهكذا قد القينا هنا نظرة اجمالية على النظرية القائلة بان القرآن نسخة او نقل من اللوح المحفوظ في السماء : فكرة ترجع الى ما وراء آلاف السنين الى السومريين الاوائل لتظهر مرة اخرى في العقيدتين اليهودية والاسلامية » .

هذا قليل من كثير مما قاله بعض هؤلاء الغربيين، وحقا ان وجهتي النظر لمختلفتان اشد الاختلاف ؛ ولعل كبلنك كان محقا حينما قال : « الشرق شرق والغرب غرب ، وان يلتقيا ... الغرب المشحون بطاقات الكراهية والتعصب ضد هذه الديانة السمحة ، وضد اصحاب التل العليا ، وضد البلاد المقدسة مهبط الوحي ، ذلك الغرب ... الا يمكن ان يرعوى عن غيه ، ويرجع الى الصواب فيعتنق فكريا - ان لم يكن قلبيا - المبادئ السامية التي آمن بها ملايين الخلق ، ومئات الملايين والافها منذ اشرق نور الاسلام على شبه الجزيرة العربية ، الى ان نشر لواءه الخفاق في مشارق الارض ومغاربها الى اليوم ؟ ؟

ان هؤلاء المتهمجين على الاسلام ، وعلى اصح واقدس واخلد كتاب سماوي - وهو القرآن الحكيم - لا يخلو امرهم ، فهم :

ا - اما غير (جمع غيور) من السما والمجد اللذين رفل فيهما الاسلام عبر الاجيال والقرون .

ب - واما موتورون لان الاسلام بمبادئه السامية السمحة استطاع في مدة وجيزة ان يستميل نحوه العالم القديم المعروف ؛ آنذ كله تقريبا ؛ واعتنقته امم كثيرة فزودها بحضارة مادية وروحية ، كانت في اشد الحاجة اليها .

ج - واما مفرضون ، فهم :

1 - من رجال الكهنوت الذين قد يفرض عليهم مركزهم ان ينتقصوا من مبادئ الاسلام ومثله العليا .

2 - او من رجال السياسة يكتبون ليرضوا السياسة الاستعمارية الغربية التي استهدفت في القرون الاخيرة دراسة النظم الاسلامية وقوانين الاسلام لمحاولة الحط من قدرها ، والتشكيك من قيمتها ، ولتضليل اتباعها ، حتى تسهل عليها غلبتهم ، فتخضع بلادهم ، وتبتز خيراتهم ، وتجردهم من قيمهم ومقوماتهم الروحية .

والغريب انهم يتظاهرون بالدقة في بحثهم العلمي، بينما نجدهم كثيرا ما تنزلق اقدامهم فيخرجون عن سواء السبيل ، ويقعون في مهاوي الجهل والتجاهل والتجني . فاي طريقة علمية هذه التي سلكها هذا الذي جعل القرآن موحى به من اللوح المحفوظ مرة ، ومن الفردوس مرة ، بينما جعله مستشرق (3) آخر يهودي الملة ينزل من السماء السابعة ، انزله جبريل بأمر الله الى سماء الدنيا سماء القمر ، ومن ثم انزل منجما على محمد ؟ ؟

لا يفرك هذا الكلام من ذاك الاخير ، فانه يعبر به - كسابقه - عن وجهة النظر الاسلامية ؛ اما وجهته هو فالعن ما يمكن ان يقرأ ؛ ومن الخير للمسلم ان يضرب صفحا عن هذا الحاقد وكتابه الذي كتبه عن محمد والقرءان ، وتجننى فيه عليهما تجنيا لا مزيد عليه ، انما غرضي ان ادل على فشل الطريقة العلمية التي يتبحجون بها ، بينما نراهم في عمايتهم يتخطون كمن اصابهم مس من الشيطان .

يقول هذا الاخير عن القرآن الكريم : « ان سيرته Biografia غامضة ومتناقضة مثل سيرة محمد ؛ نفس المشكل بالنسبة للباحث ؛ نفس الفموض الذي يحيط بطفولة وشباب محمد - الذي يبدو تحت ضوء التاريخ الساطع فقط عندما يكون رجلا في سن الاربعين - يلف كذلك طفولة ونمو القرآن الذي لا يقدم لنا الا وهو رجل ، اعني (والضمير هنا يعود لصاحب الكتاب ، وان كنت اعتقد ان ضميره ذهب ولن يعود) - اعني كتابا يدعى مصحف عثمان ، اي بعد ستين عاما من مؤلفه (كذا : « مؤلفه وستين عاما » دفعة واحدة ، كذب وافتراء مزدوج !!)

رئيس قسم الشرقيين : الادنى والاوسط في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ؛ واستاذ العربية في جامعة لندن . الف كتابا عن الاسلام ، نشر سنة 1954 واعيد طبعه مرارا في السنوات : 56 - 61 - 1962 ، (210 صفحة) .

له كتاب عن محمد والقرآن . طبع في عاصمة الارجننتين بأمريكا الجنوبية سنة 1954 من 447 صفحة) .

4 - ان ابناء العروبة والاسلام ، القادرين على نقد كتب هؤلاء ، ونقض آرائهم ، ومحو كل ما عسى ان يلحق بكتاب الله ومقومات المسلمين من اذى مادي او معنوي ... نجدهم صامتين ساكتين سكونا اشبه بما عليه سكان القبور .

ولا يستطيع هنا ان اعالج كل الموضوعات التي اثاروا حولها النقاش المفتعل فتعالى عجاجه في اجواز الفضاء حتى حال بينهم وبين ادراك الحقائق ناصعة البياض كالحليب ، صافية الاديم كالثلج ؛ كما لا اقدر ان ارد كل المغامز التي حاول مؤلفون غربيون ان يغمزوا بها الاسلام والقرآن الكريم وصاحب الرسالة المقدسة الخالدة محمد عليه السلام ، فذلك موضوع طويل جدا ، ولكنني اكتفي بالاشارة الى بعض منهم ، والى ما كتبوه حول القرآن المجيد .

وجهتا نظر مختلفتان :

ينص هؤلاء المستعربون الغربيون على الخلاف الموجود حول القرآن بين المسلمين وباحثي الغرب . يقول احدهم (1) : « الاصاله الجوهرية للقرآن مقبولة لدى الشرق والغرب بدون خلاف ، لكن الخلاف الاساسي انما يوجد في الدراسات القرآنية ؛ حيث ان علماء الاسلام يرون رابا ، ويرى الباحثون غير المسلمين خلافه :

« فالمسلمون يرون ان محمدا (ص) هو مجرد مبلغ وناقل للكلمة المقدسة ... وفي الواقع ان الله قبل ان يخلق العالم من العدم ، خلق اللوح والقلم ، فكتب هذا على اللوح - بأمر من الله - كل ما سيقع وما يمكن ان يعرف ، وعند ما كان الله يرسل انبياءه الى شعوب العالم المختلفة ، كان جبريل يوحى الى الرسل من محتويات اللوح ذلك الذي عليهم ان يبلغوه للناس ، فمحمدا اذن ، لم يفعل اكثر من ان كرر بدقة وضبط عبارات اللوح حسبما ابلغه جبريل اياها . وبالطبع ، وحسب هذه الوجهة ، فان مسألة مصادر القرآن لا يمكن بأي شكل من الاشكال ان تطرح على بساط المناقشة في الدوائر الاسلامية .

« ولكن العلماء غير المسلمين - منطلقين من اساس ان محمدا هو مؤلف القرآن ، وواجدين في نصه عبارات عديدة مطابقة او موازية لوثائق أخرى أقدم

منه - اندفعوا للبحث عن المصادر التي استقى منها محمد مبادئه التي بشر بها . »

وزيد المؤلف وجهة النظر الغربية توضيحا فيستبعد المصادر المكتوبة حيث ان محمدا لم يكن يستطيع الاستفادة منها مباشرة ؛ ويقول : « وبترك مسألة الامية - امية النبي التي ثار حولها الجدل - جانبا ، فالكل متفق على ان محمدا كان يجهل اللغات التي حررت بها الكتب المقدسة لدى الاديان الاخرى . اذن ، لابد من اللجوء الى الفرض Hipotesis (كذا تهجم الحقيقة الثابتة بالافتراض والتخمين !) القائل بالنقل الشفوي الـ Arabofona الذي قام به المسيحيون واليهود ، واتبعه محمد في شرح أصل كثير من الافكار والآراء الدينية التي ظهرت بعد في القرآن .

« ان المواسم التي كانت تقام في مكة وما حولها ، لم يكن يعوزها ممثلو الطوائف المشهورة وغير المشهورة فقد كانوا يقصدونها ويقومون فيها بالدعاية ، اولئك الممثلون في هروبهم من الضغط الاستبدادي كانوا يبحثون لهم عن ملجأ في الاراضي المصاوبة للامبراطورية البيزنطية ، وهكذا اتصل بهم محمد ، واستطاع الحصول منهم على بعض الاخبار المتعلقة بالعقائد التي كانوا يعتنقونها : كما اقترحوا عليه كثيرا من الآراء المسيحية المتسمة بالهرطقة ، ومن تذكارات الهكاداه Haggadâh اليهودية ، ومن الكتب الدينية المشكوك في صحتها .

« ولربما كان محمد قد حصل على بعض هذه الآراء من أسفاره التجارية التي قام بها عبر صحاري شبه الجزيرة العربية ؛ لكن الاشغال المتعلقة بذلك ، والوقت القصير نسبيا ، مع اختلاف اللغة ، كل ذلك قد صعب مهمة البحث الطويل ؛ الا انه فيما بعد ، في المدينة وجد محمد الفرصة لتعمق هذه المذاهب اليهودية المسيحية ، وللعمل على نشرها . وزيادة على بعض التأثيرات الصغيرة ، نجد لبعض المصادر الاهلية من تقاليد شبه الجزيرة ، وعاداتها اثرا بارزا في القرآن كالاعتقاد في الجن ، ومثل اساطير الشعوب العربية الغابرة ، ومثل مناسك الحج وتقديس الكعبة .

« وبأدىء بدء كان محمد يعتقد ان وحيه كان ياتيه من نفس المصدر الذي اتى منه الوحي اليهودي والمسيحي : من نسخة سماوية محفوظة ومحروسة

(1) راهب واستاذ باحدى جامعات ايطاليا ، وكان قبل استاذًا للعربية باحدى كليات الهند (بومباي) ، له كتاب بالاطالية عن الاسلام في ازيد من ألف صفحة ، وقد ترجم الى بعض اللغات الاوربية .

شجاعتها ، فهو ينطح يمينا وشمالا وامام وخلف ، مما اوهى قرنيه ، واضعف مخه وذاكرته ، لذا نراه يقول في القرآن الكريم : « انه ليس كتابا ، ولكنه عناصر لتشكل كتاب ، وفي عملية التشكيل تلك تمر ستون سنة . » (كذا والله !؟)

ومما يؤكد ضلال الطريقة العلمية المزعومة التي طالما تبجح بها مثل هذا الكاتب ، تلك الجملة التي تأتي بعد قليل من الاسطر ، فهو يقول : « ذلك المصحف المجموع في تاريخ متأخر بعشرين سنة عن موت النبي ! »

اليس هذا تناقضا عجيبا ؟ لقد صدق المثل العربي العاقل : « رميتي بدائها وانسلت » . صاحبنا مثال التناقض ، ومع ذلك يرمي به سيد الوجود . لو كانت المسألة مسألة ارقام لقلنا ان لمصطفى الطباعة اغلظهم ؛ ولكنها مسألة حروف : Sesenta años . كتبت مرتين في ص 173 وص 174 . اية دقة هذه في البحث يتبحرون بها ؟ ومع ذلك لا يستحيي هذا المؤلف حين يقول : « ... لكن يصف القرآن نفسه بأنه كتاب لا ريب فيه ، وأنه لا يقبل تناقضا ولا تغييرا ولا تاويلا ، ومع ذلك كما سنرى بعد هو ملء بالمخالفات والتعابير والشكوك . اذن لا يجب ان نمنع ثقتنا تأكيدات القرآن تلك التي تجعلنا نفكر في آية (6) الكتاب موازية لآية مؤلفه ؟ ! »

تعالى الله وكتابه الحكيم علوا كبيرا ! ان مثل هذا الكلام لا يمكن ان يصدر عن الذين يتقنون العربية ويتمقون أسرارها ، فما بالك بهذا الكاتب الذي لا يقدر بحال ان يفهم القرآن بل ان يتعمق اسراره ، ولغته الجميلة المعجزة ، وافكاره المدهشة وبلاغته الفائقة ، وبيانه الساحر ، ان الحكم على الشيء فرع نصوره كما يقول المنطقة ، فكيف يسوغ لجاهل شيء ان يصدر حكما صائبا نزيها على ذلك الشيء ؟

لعله يقصد بالتغييرات والتناقضات قضية النسخ والنسخ التي تحدث عنها علماء القرآن وجعلوا النسخ ثلاثة انواع :

- 1 - ما نسخ خطه وحكمه معا .
- 2 - ما نسخ خطه وبقي حكمه .
- 3 - ما نسخ حكمه وبقي خطه .

اقسام منطقية ولا شك ؛ ولكن التحقيق على ان القسمين الاولين انما ذكرا تكملة للباب كما يقال ، فلا دليلا صحيحا على وجودهما ؛ اما القسم الثالث فهو الثابت ، وهو الذي اقتضته حكمة التشريع الالهية التي سايرت النمو الرشدي لدى جماعات بشرية اريد قيادتها وارشادها وتحويلها بالتدرج من ظلمات الجاهلية الجهلاء ، الى نور الهداية المتألق الساطع .

او لعله يقصد ما اعرب عنه زميله الانكليزي حين قال : « لا ريب انه عند موت محمد كانت كمية طيبة من القرآن قد تم تدوينها ؛ وان التدوين الكلي لم يحصل ، حيث انه في اثناء حياته كانت سور او فصول جديدة تضاف باستمرار . ان واحد من كتابه الذين استخدمهم كان يتباهى بأنه قد اقنع النبي ليفسر نصوص الوحي » .

كلام لا يمكن تصديقه . لقد كان النبي (ص) حريصا كل الحرص على نصوص الوحي خشية من الضياع او التبديل او التغيير ؛ كما كان المسلمون الاوائل وكتاب الوحي منله في ذلك الحرص ، فكيف يمكنهم او احدهم ان يتصرف فيما يلقي اليه النبي (ص) وهو يعرف يقينا انه « تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (7) » وهو يردد كذلك قوله تعالى : « وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (8) » .

من الثابت قطعيا وبالتواتر ان النبي (ص) كان يتلقى الوحي فيحفظه ، ويامر كتاب الوحي بكتابته ، ويلقنه المسلمين . وكان المكتوب يوضع في بيت الرسول (ص) بعد ان ينسخ الكتاب لانفسهم صورة منه . وكان الرسول يعارض بما انزل عليه ما حفظه عنه حفظة المسلمين . كما كان يعارضه جبريل بالقرآن مرة او مرتين في شهر رمضان من كل عام . روى البخاري عن فاطمة رضي الله عنها انها قالت : « اسر النبي صلى الله عليه وسلم الي ان جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة ؛ وانه عارضني العام مرتين ، ولا اراه الا حضر اجلي » .

هذا وقد شهد العرضة الاخيرة على جبريل كاتب الوحي زيد بن ثابت ، ولذلك اختاره الخليفة ابو

(6) من كلمة Egoísmo يعني عبادة الـ « انا » عبر بها دون كلمة Egoísmo مثلا بمعنى حب الذات لان هذه لا تشفي غليله .

(7) سورة غافر . الآية 2 .

(8) سورة فصلت (حم السجدة) : الايتان : 41 - 42

ويسترسل هذا المؤلف المتجنى على الاسلام وقطبي رحاه ؛ الرسول الكريم والقرآن العزيز ، فيقول: « ان شخص Figura محمد هو في جزء كبير منه ، نتيجة اعداد مترجمي حياته الاولين .. وكذلك القرآن هو في معظمه عمل لفيف من النساخين والتراجمة والجامعين . »

كبرت كلمة تخرج من افواههم ! ان يقولون الا كذبا ! ان ترجمة حياة الرسول الاعظم سيدنا محمد (ص) معروفة ومدروسة منذ اطل بعياه الكريم على هذا الوجود . فمولده (ص) معروف بدقة ويحتفل به العالم الاسلامي كل عام ؛ وهجرته من مكة الى المدينة محدودة كذلك ، وبها بدا المسلمون - في خلافة عمر ابن الخطاب (4) رضي الله عنه - تقويمهم بعد ان لم يكن لهم تقويم . فاذا قارنا هذين الحادئين : مولد الرسول وهجرته ، بحادثي ميلاد المسيح وتقويم المسيحيين ، نجد ان هؤلاء مخطئون في كل الامرين ؛ ذلك انهم لم يضعوا تقويمهم الا بعد مرور خمسمائة عام على ميلاد المسيح ؛ وكان من المفروض ان يكون ميلاد المسيح في سنة الصفر (0) ، الا انه في الواقع كان قبل تلك السنة بأربعة أعوام ؛ اي ان الميلاد الحقيقي للمسيح ، حدث قبل الميلاد المتعارف لديهم بأربع سنوات ! خطأ اكتشفه المسيحيون فيما بعد ، ولكنهم لم يستطيعوا اصلاحه ... ففي أي جانب كان الفموض والالتباس اذن ؟

لقد الفت في ترجمة حياة الرسول الاعظم كتب عديدة ، وعرفه معاصروه معرفة معاشية ومعاشرة ؛ واعترف له الجميع - والعدو قبل الصديق - بالخصال الحميدة ، وبالصدق والامانة حتى لقبوه بالامين ؛ وقد عرف كذلك بالنزاهة والتحنث وطيب الخلق ؛ وقد اثنى عليه خالقه جل وعلا قائلا : « وانك لعلى خلق عظيم » .

وأي نبي اعتنى اتباعه بالشاذة والفاذة من حياته خصوصا بعد البعثة ، كما فعل المسلمون بحياة نبيهم ؟ فهذه كتب السيرة (التي يقدح هذا المتعنت في نزاهة رجالها ، ويصفهم بالاختلاق واهما انهم مثله في هذه الخصلة الكريهة) - اقول : كتب السيرة تعج بالحديث عن حياة محمد قبل الرسالة وبعدها ؛ وهذه كتب الشمائيل تتطفح بالكلام عن حياته (ص) فلا تغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصتها .

من المعلوم ان النبي (ص) توفي بالمدينة وبعد الهجرة في 13 ربيع الاول سنة 11 هـ (8 يونيو 632 م) وان الخليفة الراشد عثمان بن عفان تولى الخلافة في آخر يوم من عام 23 هـ (7 نوفمبر 644 م) ، وقتل يوم 18 ذي الحجة سنة 35 هـ (20 مايو 656 م) ؛ فاذا عرفنا انه تولى جمع القرآن في المصحف ، بعد نصيحة القائد حذيفة بن اليمان الذي شاهد حرب ارمينية وأذربيجان التي حدثت في عهد الوالي على الكوفة الوليد ابن عقبة ... واذا عرفنا ان سعيد بن العاص الذي خلف الوليد في تلك الولاية كان عضوا في اللجنة التي اختارها عثمان لجمع القرآن ... ادركنا ان جمع المصحف تم في اواسط عهد عثمان الذي دام اثني عشرة سنة اي انه تم في السنة 30 للهجرة (651 م) ؛ فبين موت النبي (ص) وبين جمع المصحف اذن 19 سنة لا ستون سنة كما زعم هذا الحاقد الذي يقول في موضع آخر من كتابه مؤكدا هذا الخطأ : « عند موت محمد ترك ما صار بعد القرآن في شكل ركام مضطرب من المسودات والمكتوبات على الجلد او اكتاف الخروف ؛ وحتى في قطع اللوسة Loza بدون مراجعة ولا ترتيب » .

اولا - اسارع بتصحيح كلمة Loza هذه التي تعني القش او الصيني الذي تصنع منه الان اطباق الاكل وفناجين القهوة وما اشبه ذلك . وبالطبع ان هذا ليس مقصودا البتة ؛ اذ لم يرد علينا عن العرب شيء من هذا القبيل ؛ وانما المعروف المتواتر ان القرآن الكريم كان اثناء نزوله منجما يسجل أولا بأول في العسب (جمع عسيب وهو جريدة النخل) وفي قطع الاديم (الجلد) وفي الرقاع (من جلد او ورق او نحوهما) وفي عظام الاضلاع ، وعظام اكتاف الحيوان العريضة ، وفي اللخاف (جمع لخفة وهي الصفحة او الحجارة الرقيقة الملساء) . وهذه الاخيرة هي التي يقصدها هذا المؤلف وخانه قلمه او علمه ، ولم تسعفه دقة الباحث الحصيف ، فبدل ان يكتب كلمة Losa كتب Lcza وهذا ضلال مبين . « انك لا تهدي من احببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » .

وثانيا - اتساءل : لم خص هذا المؤلف اكتاف الخروف بالذات مع ان كلمة Cordero في الاسبانية (5) تعني ابن النعجة قبل ان يتجاوز العام ؟ ! ان للمؤلف فيما يظهر ميلا خاصا نحو الخرفان ، او ان له مثل

(4) قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امر بالتأريخ من حين الهجرة ، فكان عمر اول من اרך بها . (راجع حاشية البيجوري على الشمائيل للترمذي ص 9) .

(5) Diccionario manual e ilustrado de La Real Academia Espanola, 2ª edic., 1950

قصص الوحي

للشاعر علال الهاشمي الفيلاي

أمل عاد يا ليالي الصيام
هو ذكرى بداية الاسلام
قيل : اقرا ... فانت هادي الانام
(جبل النور) راقص الاحلام
(زملوني) .. فالنور يخطو أمامي ..!
لا تخف .. انت واصل الارحام
لجناب من فرحة وابتسام «

* * *

لم تهذب به سيرة الايام
يتباهى بالاثم والاجرام
مثل أعمى في حالكات الظلام
ما لديها من قدرة واحتكام

يا ليالي الصيام ما انت الا
انت ذكرتنا بأعظم يوم
ونزول القرآن ، والوحي يوحى
فرح (الفار) وانتشى .. وتجلي
« رجع (1) الهادي في ارتجاف فؤاد
تلك (زوج الامين) تحنو عليه
كم رحمت الفقير .. والضيف بأوى

قام يدعوا لله .. والكفر حقد
ما يزال القوي في الارض يطفئ
مكرت مكرها قريش .. وسارت
فجرت غيظها .. ولم يغن شيئا

(1) الايات الثلاثة التالية اشارة لما جاء في صحيح البخاري من حديث بدء الوحي : (... فرجع بها رسول الله (ص) يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فقال : (زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة ، واخبرها الخبر ، لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : (كلا ، والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق) .

بثلاث عشرة سنة . وبما ان القرآن نزل منجما فان آخره نزل قبيل وفاة النبي الذي لبي داعي ربه في الثالث عشر من ربيع الاول سنة 11 هـ (8 يونيو 632 م) .

وثانيهما : ان عثمان (رضي الله عنه) الذي جمع القرآن للمرة الثانية ، قد تولى الخلافة في آخر يوم من عام 23 الهجري ؛ فلا يمكن والحالة ان يكون قد جمع القرآن في العام ذاته ؛ بل لقد تم جمعه وتدوينه في المصحف - كما حققناه منذ قليل - في سنة 30 للهجرة (651 م) .

ثم يقول هذا الكاتب بكل صفاقة : « والسذي نقرؤه اليوم ، والذي يدعوه المؤلفون كتاب محمد ، لم يكن سوى كتاب عثمان الذي اوضح فيه نياته السياسية وخاصيته المحلية والقبلية كمكي وقرشي ؛ ثم روحه الطبقية ، وطموح البرجوازية المكية ... »

هكذا يتصرف هذا المخلوق في الحقائق العليا للتاريخ والوجود ؛ وهكذا يقلبها رأسا على عقب ، لا لشيء الا لارضاء شهوته (وشهوات ساداته الذين ينقل عنهم) في الحقد والبغضاء والدس والاختلاق ، ثم لتحقيق بغيتهم المشتركة في التشكيك والتحطيم والهدم ؛ وفوق هذا وذاك ليرينا مهارته في ايراد المناقضات والآراء غير المعقولة ؛ مما يدل على ان الرجل اوشك ان يفقد وعيه ؛ وان الله قد غشى على بصره وبصيرته ، فلا يكاد يرى حتى أضخم الحقائق وأثبتها وأعزها في الوجود .

ومن أجل عماء ذلك ، نراه يدعي ان القرآن فيه تناقض ؛ وما درى المسكين ان التناقض هو الذي حشا به كتابه . الا تبا له من كتاب ! وتمسا له من تناقض !

(يتبع)

تطوان : عبد الله العمراني

بكر لجمع القرآن ، كما اختاره الخليفة عثمان لنفسه الغاية . وهذا دليل على منتهى الحيطة والصيانة ، ووسيلة من وسائل التأكد من حفظ القرآن .

ان التفسير والتناقض الحقيقي هو الذي نجده في كتاب هذا المتجنى على محمد والقرآن ، فهو مرة يقول : ان محمدا هو مؤلف القرآن ، بينما في مكان آخر من كتابه الطافح بالمناقضات يقول : ان هذا (يعني النبي «ص») الذي لم يكن يعرف الكتابة وكان يتظاهر بأنه لا يعرفها ، كان يحفظ القرآن ثم يملئه على كتابه» وفي ص 178 ينقل عن الراهب Vicente de Santa Maria رايه الذي يؤكد « ان الراهب Sergio او بحيرا هو الذي حرر القرآن لأول مرة ، ولكن بطريقة فجأة لم تعجب العرب الذين خجلوا واستنكفوا فجمعوا له أربعة عشر من فقهاءهم ليحرروه بكيفية أكثر ذوقا وقوة وصفا » .

ويعقب هذا الكاتب على كلام الراهب فيقول : « وهذا (يعني محمد الذي يسميه دائما Mahoma او يكنى عنه بهذا) لم يكن له في تأليف القرآن لا فن ولا نصيب No tuvo arte ni parte

اجل ، خجل العرب واستنكفوا ، بينما هذا الكاتب الاعجمي اللسان ، لم يخجل ولم يستنكف ؛ وصدق النبي الكريم حين قال : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

اما في ص 186 فيقول : « ان وجود القرآن يرجع للعام 23 الهجري (644 م) . وقد غلط في كلامه من ناحيتين :

اولاهما : ان القرآن الكريم اقدم من ذلك التاريخ بكثير ، فأوله يرجع الى السنة الحادية والاربعين من عمره صلى الله عليه وسلم ، اي الى ما قبل الهجرة

المنذ القرآن من القرآن

للأستاذ محمد المحمداوي

مبدأ ظهورهم على وجه الأرض كمسلمين ، هاديين ومهتدين ، وغالبين لا مغلوبين ، ومعزوزين لا اذلاء ، وفاتحين لا مفتوحين ، وحاكمين لا محكومين .

وما كانت نقطة البدء تلك ، ولا تكون ، ولن تكون أبدا سوى « القرآن » ، القرآن الذي نزل به الروح الأمين على قلب محمد بن عبد الله في شهر رمضان ، « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، بينات من الهدى إلى الخير العام ، خير الجسد وخير الروح ، خير الفرد وخير المجتمع ، خير الدنيا وخير الآخرة ، بينات من الفرقان بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال ، بين الطيب والخبيث ، بين المنجي والمهلك .

كان الإنسان قبل نزول القرآن على الحالة التي وصفها القرآن حين قال الله تعالى : « تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم ، وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . وقد وصف النبي (ص) غضب الرب على انسان ما قبل نزول القرآن حين قال في الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه : « ان الله نظر إلى الخلق فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من اهل الكتاب » . ولكن رحمة الله التي سبقت غضبه تجلت في ان بعث محمدا للعالمين بشيرا ونذيرا ، وصدق الله : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا) ، وصدق رسول الله حين وصف هذه الرحمة التي حبا الله بها خلقه برسائله فقال : (انما انا رحمة مهداة) .

كانت الغاية الشريفة الاولى التي قصدت اليها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية من توجيه الدعوة الى من وجهت اليهم من علماء المقرب للمشاركة في موسم المحاضرات الدينية التي تلقى عادة تحت اشرافها بواسطة الاذاعة والتلفزة بمناسبة حلول شهر رمضان من كل سنة ، : « ان تعم الفائدة مختلف الاوساط المقربية » .

وكانت الغاية الثانية من دعوتها تلك ، : « ان تكون علماء الدين قاموا بواجب الارشاد والتوجيه الاسلامي » .

وعند ما تلقيت الدعوة للمشاركة اخذ خاطري يجول فيما عسى ان يكون اوجب واجبات الارشاد والتوجيه في هذا الظرف بالخصوص ، هذا الظرف الذي وجهت فيه « لامة القرآن » ضربة لم يسبق ان وجه اليها مثلها في جميع مختلف الظروف العصيبة التي مرت عليها خلال مراحل تاريخها المتعاقب . ولم يسبق الى ذهني ان يكون اوجب من أي واجب من واجبات التوجيه والارشاد غير تنبيه المستمعين من « لامة القرآن » في هذا البلد او في غير هذا البلد الى مكنم الداء ، واصل البلاء فيما نزل من المحن والمصائب التي كانت آخرها في موطن الاسراء والمعراج جدار بأن يقال فيها ما قيل في أخرى سبقتها :

لمل هذا يذوب القلب من كمد

ان كان في القلب اسلام وايمان

ولم يكن مكنم الداء واصل البلاء فيما حل للمسلمين سوى انحرافهم عن نقطة البدء التي كانت

ان للحق ثورة تتحدى
انه النور شع في كل قلب

* * *

اجمعوا امرهم .. وهموا بفدر
ونجا الصاحبان .. لا عنكبوت
غير ان الاله شاء حياة
(طلع البدر) في المدينة اشهى
كثر المسلمون وانتصر الحـ
عالم الزيف والخداع تلاشى

* * *

يا نزول القرآن . يا ثورة الفك
يا نزول القرآن .. يا ثورة الرو
ما تزال الاصنام في عصرنا هـ
فلسفات من الفوايصة والشر
يا رسول الاسلام .. انا انتصرنا
كلما جد موقف ... او تراءى
نستشير القرآن ان هداه
اقتصاد ، وشرعة ، واجتماع ،
ثم تهنأ مع المذاهب .. حتى
ان وحي الاله اسمى واعلى
ان ضللنا عن السبيل ، فانا
امل قد يطول .. لكن قلوب

* * *

يا ليالي الصيام .. انت خشوع
ليلة القدر تغمر الروح - حتى
قسما ... ما غفا بقيثارتي اللحـ
فاحمليني على جناحك (للقد

سطوة المعتدي ، وهول الصدام
اي ضرب يجدي ، واي انتقام ؟

كيف اعمى الجفون طيف منام ؟
كان يجدي ، ولا هديل حمام
لوجود عن الهدى متعام
من اغاريد حلوة الانتقام
ق ، وعاش الانسان عيش الوئام
كل ركن من الهوى لانهدام

* * *

مر على عالم من الاوهام
ح لتحطيم هالة الاصنام
لذا ، وفي حلة من الاعظام
ك ، طفى اليوم موجه المتظامي
يوم كان القرآن خير نظام
اي خطب .. او صفنا في انفصام
فوق مر السنين والاعوام
ونظام في حربنا والسلام
ضل عنا سبيلنا المتسامي
بش فرض الظنون والاهام
سوف نحيا في وحدة الاسلام
تؤمن اليوم بالقد البسام

* * *

انت ذكرى للوحي والالهام
مطلع الفجر - بالمعاني العظام
من ، ولكن طلعت ، والجرح دام
س) ، وصوني عهد قوم كرام
الرباط - علال بن الهاشمي الفيلاي

اعقابهم خاسرين ، فاعلموا ان القراء ان يتل حق تلاوته ، ولم تمثل اوامره ونواهيه ، ولم تطبق تعاليمه في شئون الفرد وفي شئون المجتمع ، وصدق الله « ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » . « ولينصرون الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

فاذا كان لامة القراء شرف خطاب القراء لها بانها خير امة اخرجت للناس ، فان ذلك لم يكن لها لانها تسكن مشرق الارض دون مغربها ، او شمالها دون جنوبها ، او لان ربك زاد لها بسطة في الجسم على باقي سكان الارض ، وانها كان لها ذلك بشرط شرطه عليها القراء ، وهو انها تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، فالقراء لم يقل « كنتم خير امة اخرجت للناس » وسكت ، ولكنه علق ذلك على الصفة حين قال : « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، فاذا اخلت بذلك الشرط ، وخالت ما اخذ الله عليها من العهد ، انعدمت فيها صفة الافضلية ، واستخفت ان ينزل بها ما نزل بغيرها من الامم التي خالفت امر الله ، استمعوا معي ان شئتم الى هذا الحديث الذي رواه اسحاب السنن عن نبي القراء ، قال عليه الصلاة والسلام : « ان من كان قبلكم كان اذا عمل العامل فيهم جاءه الناهي تعذيرا فقال يا هذا ، اتق الله ، فاذا كان من الفد جالس وواكله وشاربه كان لم يره على خطيئة بالامس ، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا او ليضربن الله بقلوب بعضهم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم » . واستمعوا معي ايضا الى هذا الحديث الاخر الذي يرويه الامام احمد وابو داود عن نبي القراء ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « اذا رضى الناس بالدرهم والدينار وتبايعوا بالعينة ، وتبعوا اذناب البقر ضرب الله عليهم ذلا فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

في القراء يا امة القراء آية تعدكم بالخلافة في الارض والتمكين في الدين ، والامن بدل الخوف ، فراجعوا اعمالكم واسألوا انفسكم ، هل اخلفتكم ام اخلفت الآية ؟ ! الم يقل الله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم امنا » .

القراء كله دعوة الى الإصلاح لا الى الفساد ، والقراء كله دعوة الى التقوى لا الى الفجور ، والقراء كله دعوة الى العدل لا الى الظلم ، والقراء كله دعوة الى القوة لا الى الضعف .

قالوا لكم ، انكم غلبتم لانه ينقصكم العلم . قولوا لهم ، انما فقدنا العلم لاننا فقدنا انفسنا ، الم يقل الله ؟ « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » . افما آن لكم بعد ان تردوا القلوب الى رباط القراء بعد ان انفلتت ، والى صراط الله السوي بعد ان حادت ، واعلموا ان الله الذي سبقت رحمته غضبه فبعث للعالمين نبي القراء ، ضمن لامة القراء ان يهديها سبل النجاة ، ومعالم النصر ، اذا هي رجعت الى تعاليم القراء ، فكما انه سبحانه يحيي الارض بالمطر بعد موتها ، كذلك يحيي القلوب بالقراء بعد غفلتها ، فاستمعوا الى نداء القراء حين يقول : « الم يان للذين ءامنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ، اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها » . وقال تعالى : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب » .

وبعد فاذا كان من واجب الامة الاسلامية ان لا ينقطع فيها واجب التوجيه والارشاد ، والتنبيه والايقاز ، على ممر الازمان ، ومختلف الاحوال ، فان الاكبر اثما ، والاخر عاقبة ، والاجلب لغضب الله وسخطه ان يسمعه الناس في الليل او في النهار آيات الكتاب الذي لا يفسله الماء ، واحاديث الرسول الذي لا ينطق عن الهوى ثم يتفرون في الليل او في النهار مقبلين على الآثام يرتكبونها ولسان حالهم يقول : « سمعنا وعصينا » .

البيضاء : محمد الحمداوي

فلبوا النداء ، هؤلاء المسلمون الذين سمعوا نبي القرآن وهو يتلو عليهم من امثال قول الله : « وهذا كتاب انزلناه اليك مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين » ، هؤلاء المسلمون الذين ءامنوا بمحمد وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه لم يفهموه اول ما فهموا اي معني لنزول القرآن سوى العمل بما جاء به امرا ونهيا ، والا ان يصبح القرآن خلقا لهم كما كان خلقا لصاحبهم ، وفي ذلك جاء قول ابن مسعود (رض) : « كان الرجل منا اذا تعلم عشر ايات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن » .

ونحن اذا تأملنا الايات الكريمة التي يوجه فيها الرب الكريم الخطاب الى الامة الاسلامية على سبيل الامر او النهي ، على سبيل الامر كقوله تعالى : « يا ايها الذين ءامنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه » . وكقوله تعالى : « يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله حقيقا ته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . وقوله : « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » « واصلحوا ذات بينكم » « وتعاونوا على البر والتقوى » . او على سبيل النهي كقوله تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » . « ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » « يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » . الى غير ذلك من آيات الخطاب القرآني الموجه الى الامة الاسلامية . اقول اذا تأملنا هذه الايات نجد ان المجتمع الاسلامي لا يمكن ان يتصور لشخصيته المعنوية والواقعية اي وجود الا على معنى وجود متطلبات هذه الايات في تصرفات افراده ، وسلوك انسانيه في جميع مجالات الحياة الخاصة والعامة ، ومهما تقسو الظروف او تليين ، فان هذا التصور الصحيح للامة الاسلامية على انها العاملة العاملة بالقرآن هو التصور الذي ينبغي ان لا تغيب عن اذهاننا حين نتلو قول الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . وقوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

وحين نقرا تاريخ الذين اعزهم فما اذلهم ، ونصرهم فما خذلهم ، ورمى لهم حين رموا ، في اكثر المعارك ، واغلب الحروب ، وارهب الواقف ، فاذا انعكست الاية ، ونكست الراية ، ورجع الجنود على

ولقد كانت نقطة البدء في التوجيه الالاهي للرسول المبعوث الى العالمين بالقرآن ، ان نبهه الى ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه ، فقال جل وعلا يخاطبه : « انا سنلقي عليك قولا ثقيلا » ، ولم يكن ثقل القرآن الا العمل بما جاء به كما جاء ذلك عن الحسن البصري وقتادة ، واخبره سبحانه وتعالى بأنه ليس بدعا من الرسل السابقين في ان جعل لكل منهم عدوا من المجرمين يحاول صده عما انزل اليه بكل وسائل الاغراء والايذاء ، وان عليه ان يتمسك بالذي اوحى اليه ، وحذره ان ينفلت او ينحرف ، او ينخدع وينصاع ، والا فان الله العلي الكبير الذي لا نصر لمن خالف امره ، ولا ناصر لمن خذله ، فقال تعالى : « وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » . وقال تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ، ما لك من الله من ولي ولا نصير » . وقال سبحانه : « ولئن اتيت الذين اوتوا الكتب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ، انك اذن لمن الظالمين » . وقال تعالى : « وان احكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك » . وقال عز من قائل : « وان كادوا ليفتنوك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ، ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ، اذا لاذتناك بضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا سبيلا » .

وما كان لمحمد ، وهو الرسول الذي اختاره من يعلم حيث يجعل رسالته لتحمل اعباء الرسالة الانسانية العامة ، الا ان يعد نفسه اعدادا لتحمل هذه المسؤولية العظمى ، وما ذلك الا ان اسلم وجهه لله وهو محسن مستمسك بعروة (القرآن) الوثقى ، حتى أصبح القرآن نورا له يمشي به على الارض في جميع اعماله الخاصة والعامة ، مع نفسه ومع الناس ، مع الاقربين اليه والابعدين ، مع الاصدقاء والاعداء ، في السياسة وفي الحكم ، وفي السلم وفي الحرب ، ومن ثم صح قول عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان خلقه القرآن » . وقد جاء القرآن يشهد على هذا الوصف القرآني حين قال : « وانك لعلی خلق عظيم » .

والمسلمون الاولون الذين عاشروا الوحي ، وكانت اذاتهم اسبق الاذان الى سماع نداء القرآن

فاحرقت جميع المصاحف الاخرى التي لا تتفق مع المصحف الامام الذي اصبح هو المعمول به فيما بعد (سنة 651 م) .

مشكل القراءات السبع ...

ويسوقنا هذا الى فتح قوس لنقول كلمة عن القراءات السبع (1) . فلهذا الموضوع علاقة وثيقة بحديث انزال القرآن على سبعة احرف ، ومعلوم ان الاسلام كان في مكة محدود الاشخاص فلها هاجر النبي الى المدينة اتسعت رقعة الاسلام وكثر عدد الداخلين فيه من قبائل مختلفة لهم عادات صوتية تخضع لها سنتهم وتتحكم في الفاظها : فكان من سماحة الاسلام ان يترك اللسان على سجيته من امالة وتضخيم وترقيق وما شابه ذلك من طرق اداء اللفظ بنغمة تخضع لها عادة الانسان اللغوية ولا يمكن الانسلاخ عنها بسهولة.

والحديث الوارد في هذا الموضوع اصله ان النبي عليه السلام سعيًا منه الى التخفيف عن امته لتكون طليقة في النطق بلهجاتها . لجا مرة اخرى الى ربه سائلا رحمته حيث انه « بالمؤمنين رؤوف رحيم ولانه بعث الى امة امية . منهم الغلام والخادم والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة » فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله يامرك ان تقرء امك القرآن على سبعة احرف . ولا نورد هنا الا مجمل الحديث اذ المقصود بالذات ربط العلاقة بين القراءات السبع والاحرف السبعة الوارد ذكرها في الحديث . فالقراءات هي الاحرف والمراد بالسبع لم يكن على وجه الحصر وانما التعدد والكثرة .

ولم يكن المقصود من الاحرف هو اللهجات التي هي عادة لغوية تتحكم في عضلات النطق . فقد اجمعت جميع الروايات الصحيحة لهذا الحديث ان الحكمة التي قصدها الاسلام من الحديث هي التسهيل على المسلمين في قراءة القرآن . وقد كثروا بعد فتح مكة واصبح الحرم على تلاوة القرآن يتزايد مع الزمان فالعرب امة امية اغلبهم لم يقرأ كتابا قط . وقد تعجز الذاكرة عن الحفظ الوثيق وخاصة بتعدد آيات القرآن ونكاثر سورته والرغبة الدينية في النفوس قوية . فلا تنزل آية الا بادر المومنون الى استماعها وتلقيها . ولكن ما يكاد يمر زمن حتى يشتبه عليهم هل اللفظ او مرادفه هو المنزل . واكثرهم لم يكتبوه لاميتهم فيرجعوا الى الرسول والى

ولم ينزل في مكان واحد بل نزل بمكة والمدينة وما حولهما ومنه الليلي والنهاري والسفري والحضري والنومي والبرزخي .

وكانت الآيات ينزل بها جبريل الاكرم على الرسول الاعظم فيتلقها المومنون من فم الرسول ويكتبها من عرفوا بانهم كتاب الوحي كما يليها عليهم محمد عليه السلام ، ولم يكن كتاب الوحي يعتمدون على الحفظ فحسب بل كانوا يكتبون نص ما ينطق به الرسول الكريم بين يديه في عسب او لحاف او اكتاف وهو يرشداهم الى موضع كل آية من السورة التي ينبغي ان تكون فيها .

المصحف الامام ...

توفى رسول الله والقرآن كله مكتوب وفي صدور الصحابة محفوظ . وفي خلافة ابي بكر رأى عمر ان القتل قد اشدت بالحفاظ في وقعة اليمامة حتى قتل منهم سبعمائة . فاشفق من ضياع القرآن فاخبر سيدنا ابا بكر بالامر فاتفقا على جمع القرآن وكتابته ، وسلمها ذلك الى يد زيد بن ثابت سنة 633 م ، وكان زيد بن ثابت يجلس امام المسجد وهو يحفظ كتاب الله . وكان احسن الناس حفظا له وترتيلا . فجمعه من السبب واللحاف والاكتاف والصدور وكتبه صحفا . لكنه كان يتلقى من الصحابة ما كتبوه على ان يشهد شاهدان ان غلانا هذا سمع هذه الآية من فم الرسول وان هذا الذي هو مكتوب هو نفس الذي سمعه . وانه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت هذه الصحف جمع بها ما شهد عليه لا غير ، وحفظت عند ابي بكر مدة حياته ، ثم عند عمر كذلك . ثم عند ام المؤمنين حفصة بنت عمر .

ولما كثرت الفتوحات في عهد عثمان وانتشر القرآن بالامصار كثر اختلاف الناس في القراءات وادى ذلك الى تخطئة بعضهم بعضا فخشى عثمان تعاضم الامر ، ولكي يجمع الناس على مصحف واحد امر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث المخزومي فنسخوا تلك الصحف في مصحف واحد مرتب السور ، واقتصر فيه من جميع اللهجات على لغة قريش لنزول الوحي بها ، ثم امر الخليفة عثمان ووافقه المسلمون حرصا على وحدة الامة وجمعا لكلماتها وخشية ان يدخل في القرآن ما ليس منه :

(1) المعروفة بقراءات : حمزة — الشامي — الكساوي — نافع — ابي كثير — عاصم — البصري .

تذكرى .. ومذكرات

للأستاذ: حسن المجوي

« الى متى سنظل غافلين وامم غيرنا تعطينا الدليل على عبقرية دستورنا ؟ »

ولنستنبط منه كل جديد ورائع ، ولنعتبر به ونستضيء بنور معارفه لاننا مسلمون مومنون بانه هو الكتاب المنزل على سيدنا محمد (صلعم) وانه الدستور السماوي المبين الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

النزول والتلقي ..

في ليلة القدر من شهر رمضان عام ثلاثة عشر قبل الهجرة دق جرس البعثة النبوية ونزل جبريل عليه السلام على النبي العربي وهو يتعبد في المغارة المقدسة ليلقنه اول آية من القرآن العظيم ، فكانت كلمة الوحي الاولى لمحمد عليه الصلاة والسلام : اقرا باسم ربك الذي خلق .. وبقي القرآن ينزل آية آية منجها عند سنوح المناسبة وحسب ما تقتضيه الاحداث وتتطلبه الحاجات ، وقد بين الله الحكمة في نزوله مفرقا بقوله (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) اي كما نزلت الكتب الاولى على موسى وعيسى وداوود ، فرد عليهم بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) اي انزلناه مفرقا ليكون اقرب الى حفظك له وفهمك لمعانيه ، وذلك من اعظم اسباب الثبوت .

واستغرق زمن نزوله ثلاثة وعشرين عاما تبتدىء بأول بعثة الرسول وتنتهي قبل وفاته بثلاثة اشهر ،

ان خير ما يساهم به المرء المسلم في ايام رمضان المباركة هو الرجوع الى الذكر الحكيم والتأمل في احكامه والاستنارة بارشاده ، وان ذكرى مرور اربعة عشر قرنا بالضبط على نزول القرآن على رسول الرحمة والهدى لهو حادث يجب ان تهتز له البشرية جمعاء وتقام له الجفلات والندوات وتعتقد من أجله المؤتمرات ، وانه لحافز لكل من يدين بهذا الكتاب على الاستفاضة في دراسة جوانبه الروحية والانسانية الكبرى ليهتدي بهديه في ظلمات المادة المخيمة على عالم اليوم ...

وعلني في هذا البحث المتواضع احاول الكشف عن بعض هذه الجوانب العظمى ، وحسبي في ذلك ان استحضر مجموعة من ذكريات ايام الدراسة واخطط خلاصة لمعلومات وافكار تلقيتها حول الكتاب العزيز منذ نعومة اظفاري ...

تراني لا اكون مقصرا ان ساهمت في احياء هذه الذكرى العظيمة ، ذكرى المعجزة الكبرى ، ولو باستعادة ما هو معلوم من محتويات وتوجيهات الذكر الحكيم ، فما دمننا نعتقد جميعا ان مهمة القرآن لم تنته بعد وان ميدان الدراسات والاكتشاف لم ينحصر فيها استنبطه النحاة والفقهاء من القرآن ، ما دمننا نعتقد هذا الذي يا ترى يبعدنا عن دراسته والاعتبار به ؟

علينا ان نوالي الدراسات تلو الدراسات لنفهم القرآن الكريم اكثر واعمق

له (لحافظون) لذلك كان نزهة للنفوس وشفاء للصدور قال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ، لقد امتلك ببلاغته وسحر بيانه النفوس ، واستولى بحكمته على القلوب ، فما لبث أن خضع له كل عنيد وتيقن انه امر ليس في طاقة البشر ان ياتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

فمن معجزاته الباهرة انه اخبر عن امور من قبيل الغيب ووقعت كما اخبر بها ومن المعروف في هذا القليل قوله تعالى : (ألم ، غلبت الروم في أدنى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وبيان هذا ان حربا كانت وقعت بين الفرس والروم وكان الفوز للفرس ، وقريش يتشيعون للفرس ، لانهم لا يدينون بكتاب . والمسلمون يودون انتصار الروم لانهم اهل كتاب ، فنزلت الآية مخبرة ان الروم سيفلون الفرس في بضع سنين وقد وقع ما اخبر به القرآن ، فعاد الروم والفرس الى القتال بسبع سنين من الحرب الاولى . ودارت الدائرة على الفرس . وكان انتصار الروم على الفرس في هذه الحرب سببا لاسلام كثير من الناس . لوقوعه كما اخبر به كتاب الله .

وكذلك اخبر عن امور المستقبل ، كوعده تعالى للمسلمين بدخول مكة (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين ، لا تخافون) ولا يخفى ان المسلمين قد دخلوا منتصرين الى مكة . وقوله تعالى خطابا لنبيه الكريم : (والله يعصمك من الناس) ولا شك انه كان حول الرسول منافقون يحملون له اشد البغضاء ، ويتصلون به اتصال الاصحاب والاعترباء ، ومع كثرة اعدائه ، وحرصهم على قتله ، ومع ظهوره للناس في اي وقت شاءوا . ومشييه في الطرق والاسواق وحده او مع من لا يستطيع ان يدافع . لم تمتد اليه يد بسوء ، ولم يمت الا على فراشه .

القرآن سبق علماء العصر الحديث .

ان معاني القرآن كلها ، وردت على الوجوه المعقولة بحيث لم تخالف العلوم الصحيحة ، ولم يوجد في آياته ما يخالف العقول والاراء السليمة . بل ظهرت في كثير منها معان لم تنكشف لاهل العلم الا منذ عهد قريب ، فانظر الى قوله تعالى (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) فقد كشف العلم الحديث ان في كل نبات ذكر

الاولين ، وحاولوا صرف الناس عن سماعه وجنحوا الى مقابلته بالسخر من القول ، نادى الله عليهم بالعجز عن ان ياتوا بسورة من مثله ، واخذ يرسل لهم حروف الهجاء قائلا لهم : اذا استصغرت القرآن ، فما انسا اعطيكم حروفا عربية لتركبوا منها كلمات ، ومن هذه الكلمات يمكنكم ان تصنعوا آيا وسورا تعارضونه بها ، فانكم تدعون البلاغة وسحر البيان ، وما القرآن الا كلاما عربيا مبينا .

وكان العرب يفهمونه ويدركون معانيه في مفرداته وتراكيبه غير انهم لما اختلطوا بالامم الاجنبية فسدت لغتهم ولم تعد لغة قريش دائرة في مخاطباتهم ففاتهم شيء من معانيه فنشأ عن ذلك التفسير .

لقد كان القرآن محصورا في بدايته في بضع نسخ خطية ، فلما انتشرت المطابع الحجرية والميكانيكية ، استخدمت لنشره وجعله في متناول أيدي الوف المسلمين وهو الان يداع في الراديو والتلفزة ويسمعه الكل مسلمون وغيرهم ، فيخشع للحن آباته الانتقياء ويتعظ به الضالون . نونع الامر هذا . « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى » وفي آية أخرى : (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) .

الاعجاز بالمعاني ..

نزل هذا القرآن الكريم والعالم ينخبط في تيار من الجهل والضلالة فاضاء الكون وسقت العقول منه هدى ورشدا ، ومهد للانسان الطريق في وضع الاصول الاجتماعية والقوانين والشرائع ، وتجديد علاقة الناس بعضهم ببعض ، بل اصبح هذا القبس الالاهي قاعدة موطدة لثقافات علمية واسعة النطاق ، ومنهجية فكرية لم يظهر لها نظير في كل احقاب التاريخ .

نعم ، لقد جاء هذا القرآن بحقائق صادقة ، وادلة ناطقة ، فارشد الناس الى عقائد سليمة واحكام عادلة وآداب ومواعظ بالغة ، وظهر للناس معجزة باهرة لعلو احكامه وسمو مقاصده وفصاحة كلامه وجزالة أسلوبه . وكيف لا يكون ذلك وهو كلام الله الازلي القديم ، والكتاب الخالد الذكر الذي لا تبديل لكلماته واحكامه ولا ناسخ لشريعته (انا نحن نزلنا الذكر وانا

من كتبوه يستعيدون ما تلقوه ويتكرر ذلك ، والرسول يشهد ما هم فيه من معاناة وما يبذلونه من جهد .

وأخيرا جاءت رحمة الله وصدر الاذن بأن يقرأ القرآن بحروف مختلفة ، والسبعة لا مفهوم لها وانما هي دليل لكثرة الالفاظ وتنوعها لاداء الجملة ، كان جبريل يعلم الرسول ذلك على نحو لا يتغير معه المعنى ولا يختلف السياق ، ولهذا بدا الرسول يلتن الصحابة ما أنزل الله عليه : فهذا يلقنه الآية على نحو وذاك يلقنه الآية على نحو آخر مع اختلاف في بعضها وان كان المعنى واحد ، أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فايما واحد اسباب من ذلك حرفا فهو كما قرا (1) فيكون في الواقع معنى السبع الاحرف أو القراءات هو القراءة باختلاف الاحرف أي باختلاف الالفاظ وباتقان المعاني من دون أي اختلاف معان يوجب اختلاف أحكام (2) .

الاعجاز باللفظ ...

والقرآن مقسوم قطعاً مستقلة أو فصولاً تعرف بالسور . فيه مائة وأربع عشرة سورة رتبها جامعوا الكتاب باعتبار الطول والقصر ما عدا سورة الفاتحة فهي مع قصرها في صدر الكتاب . وعليه فالسور الطولى في اوله والصغرى في آخره . وغالب السور الطولى مدنية والقصيرة مكية . فاما الاولى فكثيرا ما تبيننا عن الامم الغابرة ونقص لنا حالة الانبياء مع قومهم فتقصد بذلك موعظة قريش والظعن في آلهتهم واستنهاض المسلمين . واما الثانية فتلك التي تبين لنا مقاصد الغزوات وتضع أسس الشريعة والاسول الاجتماعية .

وهناك فروق أخرى بين السور ، منها قصر الآي ونواطئها على الفاصلة الواحدة في السور الصغرى ، وهو غير مطرد في السور الطولى . ولرسم القرآن نمط

خاص مخالف للمصطلح العام اما بزيادة حرف في بعض الالفاظ واختزال حرف في غيرها واما برسم هاء التانيث في كثير من الاسماء بصورة تاء الافعال الى غير ذلك مما خولف في رسمه القياس المتداول عند الكتاب .

وتوجد في القرآن كلمات دون لغة العرب تريبو على المائة . منها الفارسية والرومية والبطنية والحبشية والعبرانية والسريانية . وقد قومتها العرب ومستقلتها السننها واستعملتها على أوزانها ومن هذه الكلمات : الجيت والقسطاس والاستبرق والسندس والزنجبيل الخ ...

ولئن كان القرآن مكتوبا بلغة قريش ، افصح وانصح لغات العرب ، وعلى منهاج بلاغتها فان له اسلوبا خاصا ولهجة تميزه عما سواه . فقد عجز فطاحل البلغاء وجهادة الشعراء على أن يتصدوا لمعارضته ولو بسورة واحدة من مثله . وأهلهم الله طول السنين فلم يستطيعوا فسجل عليهم العجز ونادى عليهم باظهار أضعف . (وان كنتم في شك مما أنزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله !) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

وظاهرة اعجاز أخرى ان ثمان وعشرى سورة من سور القرآن تبدىء بكلمة مركبة من وضع حرف واحد او حروف معدودة من الحروف الهجائية : مثل يس . ون . والم . وكيعس . والر . وحم الخ ... وقد جمعت هذه الحروف كلها فوجد أنها تضم فيما بينها جميع الحروف العربية . ولقد وجه العلماء عنايتهم الى البحث في السر في ذلك ، ولم نر من بحثهم هذا الا راي واحد يمكننا أن نعتد به في هذا الموضوع ونعني ناحية الاعجاز وذلك لما وصف المحدثون القرآن بالسحر وبأساطير

- 1) يروى أن عمر بن الخطاب دخل المسجد فسمع هشام بن حكيم وهو قرشي مثله يقرأ سورة الفرقان بخلاف ما لقنه الرسول . فكاد يساوره في الصلاة فصبر حتى سلم فلما سلم لبيه بردائه وقال له : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كذبت ! فوالله ان رسول الله لهو الذي أقرأني هذه السورة ، وانطلق يقوده الى الرسول فقال يارسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأني سورة الفرقان . فقال الرسول : أرسله يا عمر « اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التي سمعه عمر يقرأها فقال الرسول : هكذا أنزلت . ثم قال الرسول اقرأ يا عمر : فقرأ القراءة التي أقرأه الرسول . فقال الرسول : هكذا أنزلت ، فوقع في صدر عمر شيء فعرف النبي (سلم) ذلك في وجهه فضرب صدره وقال : أبعد شيطاناً ، أبعد شيطاناً . أبعد شيطاناً . ثم قال « يا عمر ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فافترعوا ما تيسر منها ، ان القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً او عذاباً رحمة ! »
- 2) انظر تفسير قول الطبري في ذلك .

واختصت كل طائفة بفن من فنونه ووجهت بحثها في فرع من فروعها .

فاعتنى قوم بضبط لغاته ومعرفة مخارج حروفه وطريقة تحسينها وكيفية النطق بها على الوجه الصحيح وسموا بعلماء التجويد أو القراء .

واهتمت جماعة بتوسيع كلامه في الاسماء وتوابعها والانفعال وضروبها والمعرب منها والمبني وما الى ذلك وسموا بالنحاة .

ووجه قوم عنايتهم الى الفاظه فوجدوا منها لفظا يدل على معنى وآخر على معنى وآخر يدل على معنيين ، وثالثا يدل على اكثر ، فأوضحوا الخفي منه واستخرجوا منه الحقيقة والمجاز ونظروا في ذلك جهد ما يستطيعون وسموا بالمفسرين .

ونظرت فئة الى ما فيه من الادلة العقلية والشواهد النظرية كقوله تعالى : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فاستنبطوا منها أدلة على توحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به ، وسموا بعلماء أصول الدين .

واحكمت طائفة منهم معاني خطابه فرات منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص وما يقتضيه من اطلاق وتقييد ومجمل وتكلمت في معاني الامر والنهي ، ونظرت بصادق الفكر الصحيح النظر فيها فيه من حلال وحرام وتشريع واستنبطت الاحكام مما يحتوي عليه من اصول أولية وقوانين كلية وسموا بعلماء الفقه وأصوله .

ولحت طائفة ما فيه من قصص القرون الغابرة والامم الخالية فنقلت أخبارهم ودونت آثارهم وسمى هؤلاء بالمؤرخين والقصاص .

وعرفه البلغاء من بيانه وفصاحة تراكيبه ومواقع الاعجاز منه ونظر الكتاب والشعراء الى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والإيجاز ، واستنبطوا منه علوم المعاني والبيان والبديع .

وعرفه الخطباء والوعاظ ما فيه من الحكم والامثال والمواعظ الى ما شاكل ذلك من وجوه النظر ومناحي البحث التي لا تقف عند حد .

ولم يدون تفسير القرآن في كتب جامعة الا في الدولة العباسية وكان من قبل روايات تنقل عن النبي عليه السلام . واقدم ما عرف منه التفسير المنسوب لعبد الله بن عباس ، ومن أشهر التفاسير تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة 310 وضعه على مذهب

واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون .

علق الشيخ طنطاوي جوهري على هذه الآية فقال :

ليس في الآية وصف العاقلين بانهم هم الذين ينظرون ويعقلون خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بالتجارية ويعرفون عجائب المطر واخراج النبات به ، وخلق الدواب وعجائبها ويعرفون اقسام الرياح وكيف تجري وكيف تجتمع السحب وكيف تمطر ؟ فهي الدليل على طلب علم الفلك ومعرفة النجوم والكواكب ثم المطر والهواء والسحب والانهار وعلم النبات وعلم المعادن وضروب الصناعات ولا ريب ان علم الفلك لن يحصل الا اذا تقدمه علم الحساب والجبر والهندسة والجغرافية ، والسفن تحتاج الى الحديد والفحم والكهرباء ، ولا بد من لها من بضاعة تحملها وذلك علم التجارة » .

ان القرآن الكريم هو اساس التشريع الاسلامي وهو اول كتاب عهدته العرب منبعها لادابها كافيلا لعادتها في دنياها واخرها ، بما جمع من الاحكام الدينية والدنيوية المناسبة لكل زمن ومكان وبما تزخر به الفاظه من جمال وحكمة وروعة بيان وقد كان الصحابة يدركون مراميهم ويفقهون مغايزه ويعلقون أسراره بما استضاءوا به من نور النبوة وبما سمعوا من شرحه وبيان مجمله وبما عرفوا من سبب نزوله ، فلم يكونوا في حاجة الى تعرف شرحه وتاويله .

فلما انقضى عصرهم وضعف اهل العلم عن حمل ما حمله اولئك ، شمر العلماء عن ساعد الجد عهد الدولة الاموية في تفهم الفاظه والاسترشاد بأساليبه واستنباط احكامه ، ودونوا علومها واستنبطوا فنونها ليس لهم بها سابقة عهد . ونظروا اليه من نواح شتى توصلوا للغاية التي رسموها لانفسهم من الاهتداء بهديه والاستضاءة بنور معارفه .

وما زالت هذه حالهم حتى قامت الدولة العباسية واجزل خلفاؤها المعطاء للعلماء والادباء وشاركوهم في النهل من هذا المنبع الصافي ، فازدحمت ربوع العلم ،

العلوي من الآيات ، من كواكب وامطار وبرق ورعد ووصف الارض من جبالها وسهولها وانهارها وبحورها وما يستقر فيها من حيوان ونبات وجماد ، وما سكنها من الامم وما لحقها من الوقائع والحوادث .

ومن نظر الى ان محمدا نشأ في امية ، ثم اُمن النظر في قوة ادلة القرآن ، وقانون المنطق الصحيح الذي تقوم عليه حججه ، لم يرتب في انه تنزيل من حكيم حميد ، وكثيرا من الذين دخلوا في الاسلام باخلاص لم يشهدوا من آيات النبوة اكثر من انهم سمعوا سورة او آيات من القرآن ، فعرفوا انه كلام الله القديم الازلي ومعجزة ليس من السهل اختلاقتها قال بعض فلاسفة الاسلام : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رايتها تشفى غليلا ولا تبرئ غليلا ، ورايت اقرب الطرق طريقة القرآن .

وشهد بذلك حتى من ليسو مسلمين :

قال المؤرخ الانجليزي « ويلز » ان القرآن كتاب ديني ، ادبي ، علمي ، اجتماعي تهذيبي ، تاريخي ، جغرافي ، وكثير من نظرياته العلمية وانظمته ، وقوانينه تستعمل حتى في وقتنا الحالي وسنبقى مستعملة حتى قيام الساعة .

وقال العالم « جبيون » : القرآن مسلم به من حدود المحيط الاطلنطي الى نهر الكانج ، بانه الدستور الاساسي ليس لاحول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الانساني وترتيب شؤونه .

وقال « شبلي شميل » : ان في القرآن احوالا اجتماعية عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للاخذ بها في كل زمان ومكان وانه فتح امام البشرية ابواب العمل للدنيا والاخرة ، ولترقية الروح والجسد .

الانطلاقة الكبرى

نعم ، انه قد فتح امام البشرية ابواب العمل ، وجاء حاثا للعقول على التأمل في مصادر الاحكام ، كما امر بالتدبر والاستنباط والاعتبار . قال تعالى : فاعتبروا يا اولي الابصار . وفي آية اخرى : « وفي نفسك افلا تبصرون ؟ وجاء موبخا ومنكرا عن الجاهلين حاثا على التعلم والبحث العلمي . قال تعالى . افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها ؟ وقال ايضا : ان في خلق السماوات والارض

وانشئ ، ثم انظر الى قوله تعالى (وارسلنا الرياح لواقح) فقد ثبت في علم النبات ان الريح تهب حاملة طلع الذكر وتمر به على الانثى ، فتكون الفاكهة من التقاء الطلعين ، واعتبر قوله تعالى (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على ان نسوي بنانه) فنعريف الانسان ببنانه مطابق لما اثبتته العلم الحديث من ان لبنان كل انسان حياة خاصة لا تماثلها حياة بنان اي انسان آخر .

وتسوية الاصابع بشكلها يعد من ادق تكوين الانسان وكمال صنعته حيث امتازت تجاعيد الجلد الكاسي للبنان بشكل لا يترك تشابها بين شخص وآخر الشيء الذي لم يكن يدركه العلم حتى نبه القرآن اليه واكتشفه علماء الغرب حديثا وانبى عليه علم تعريف الاشخاص ببصمة الاصابع وجعلت له في كل دولة مقدمة ادارة لتحقيق الشخصية .

وقد سبق القرآن « داروين » وغيره من العلماء الى نظرية النشوء والارتقاء فقد قالوا عن أصل الانواع وتسلسل الانسان ان المخلوقات كلها نشأت عندما كانت الكرة الارضية مغطاة بالماء وان الحيوانات البحرية التي تطورت بعد ذلك زحفت على الارض فنشأت الزواحف ثم الحيوانات الاخرى بعد ذلك . واعتبر العلماء هذا الكشف امرا ضخما جدا في القرن الماضي ، ومن ذلك الحين وهذه النظرية هي الغالبة على النظريات الاخرى في البحث عن نشأة المخلوقات على وجه الارض ، وقد سبقهم القرآن الى ذلك بأكثر من اثني عشر قرنا حين قال « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

وسبق القرآن ايضا الذين قالوا ان القمر لا يضيء ولكنه يعكس ضوء الشمس ، فقال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » فالضياء هو الشمس ولكن القمر هو الذي يعكس هذا النور كما تعكس المرأة نور المصباح .

دستور البشرية .. وتنزيل من حكيم حميد..

لقد اشتمل القرآن على المواعظ والادب والاخلاق والاحكام والترغيب في العمل ومدح الابرار وذم الفجار ، وتدبير السياسات وبيان حسن المعاشرات ، واقامة الدليل على وجود الله تعالى وتوحيده ، وحكى عن اخبار القرون الغابرة والشرائع السابقة ، ووصف الجنة واحوال اصحابها ووصف الجحيم ، وما في العالم

ولعل من اسباب الإبتعاد عن دراسته وفهمه والاعتبار به تهيب كثير من الناس لمقام الكتاب العزيز وخوفهم من ان يقعوا في خطأ في فهمه يحاسبون عليه مع ان الله عز وجل قد تكفل لنا برفع الخطأ عنا كما هو في مدلول الدعاء : « ربنا لا توادخنا ان نسينا او اخطانا » ... فقد تظن هذه الطائفة من الناس ان القرآن لم يكن وقفا الا على فئة من العلماء يحتكرون معانيه في صدورهم وينفردون بدراسته وفهمه .

وهناك طائفة اخرى توهمت ان القرآن قد انتهت مهمته لاعتقادهم انه كتاب دين ولغة فحسب وان الفقهاء وعلماء النحو والبلاغة استنبطوا منه جميع التشريعات والقواعد اللغوية ودونوها في مجلدات ضخمة تغني عن دراسته فأصبحت مهمة القرآن منحصرة في التبرك بالفاظه وتلاوته على القبور لا غير .

فالذين يروجون ذلك ويدعون اليه انما يبالغون ويريدون ان يبقى المسلمون في جهل الى الابد . فلم ينزل الله القرآن لغاية النحو والصرف والبلاغة والتشريع فقط . او ليس من اسماء الله الحسنى « المعلم » اي عظيم العلم ؟ الذي « علم الانسان ما لم يعلم » ولا زال يعلمنا ما لا نعلم ، « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم » .

وقد حث جل شأنه على البحث العلمي والاعتبار بكتابه ، فقال : « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق » وقال : « فلينظر الانسان مم خلق » وان اول آية القرآن نزل بها الوحي العظيم اعلنت : اقرا باسم ربك الذي خلق ، اي ان الله عز وجل اراد ان

تبتدىء الرسالة النبوية بحث رسوله والمومنين من بعده على القراءة والعلم ، فالشيء الذي اراد الرب الاكرم ان يقرئ نبيه هو خلقه الانسان من علق وانه جل علاه علم بالقلم .. فعلم الانسان ما لم يعلم .

ففي هذا كله حث واضح فيما تتضمنه النصوص السبائية على السعي الى العلم والتعلم والنظر في خلق الله والبحث في مظاهر الكون والكشف عن أسرار الطبيعة ، وبهذا لم يامرنا القرآن بالاعتصار عن شرح الالفاظ والاكتفاء بحفظ أركان العبادات والتبركات .

فالى متى سنظل غافلين وأم غيرنا تعطينا الدليل على عبقرية دستورنا ؟

فالواجب علينا ان نعيد النظر في معتقداتنا في القرآن الكريم اذ لا يكفينا ان نحفظه ونتلوه بقراءاته السبع بل الواجب ان نتفهم معانيه السامية وآياته الزاخرة بالجمال والحكمة لنهتدي بهديه ونستمد منه روح العلم والعمل .

فهل يكفي ان يكون حظنا من هذا الكتاب الحكيم ، والعالم الاسلامي يقف اليوم في مفترق الطرق الافتخار بانه جامع لخيري الدنيا والآخرة ؟

ان ذلك حجة علينا لا لنا . ومتى نصمم العزم على الرجوع اليه والتأمل في احكامه بالعقل الصحيح والراي الرجيع ، عسانا نستنير بما يحمل من حكمة وموعظة ورشاد فننجو من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ؟

مكناس : الحسن الحجوي



القرآن ينبوع الحضارة الإسلامية

لقد كان القرآن سببا في تكوين حضارة اسلامية راقية مؤسسة على قواعد ونظم ثابتة ، فكان امتداد هذه الحضارة من قلب الجزيرة العربية الى اطراف العالم . فالصلاة تقام اليوم من شواطئ مغربنا الى نهر الكانج حول قارات ثلاث . مما ادى الى رابطة الوحدة بين اربعمائة مليون مسلم ، سلاحهم التقوى ومخافة الله ودينهم مستمد من القانون السماوي المقدس الذي رفعهم الى السمو الروحي ليصبحوا بنعمته اخوانا . فعسى ان يزول البغضاء وتنمحي النقائص من نفوسهم وتتفتي عن قلوبهم عوامل الخلف والتناثر ليصيروا كالبنين المرصوص يشد بعضهم بعضا . (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم !) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

ولقد احدث بظهوره تغيرا كبيرا وانقلابا عظيما في نفوس جميع الامم الشرقية على العموم والعربية على الخصوص فلم يمس اقل من قرن على بعثه الرسول الكريم ونزول آيات الوحي الا وجميع ابناء الشرق في آسيا وافريقيا وجزء غير يسير من جنوب أوروبا وشرقها يأخذون بتعاليم القرآن ويدرسون آداب لغته ، تلك اللغة التي عدت انتشارا لا مثيل له وعمت جزءا متسما من اسفار المعمورة وظلت بفضلها حياة قائمة ثابتة رغم ما خالط ابناءها من الاجانب ، فاصبحت في عصرنا الحاضر تحتل صف الطليعة من بين أعظم لغات العالم تقدما وانتشارا .

الحاضر والمستقبل ...

ان كتاب الله الكريم ، ينبوع الحضارة الإسلامية الزاهرة أصبح غير مفهوم لكثير من الناس ، فالسواد الأعظم من الأمة الإسلامية ممن يحفظونه عن ظهر قلب لا يفهمون منه شطرا يؤهلهم للرشد والتسلح بأسلحة من العلم واستقامة الفهم ، والسواد الأعظم من الجيل الناشئ تنكروا له ولم يتجهوا لدراسته بالمرّة . وهذه ظاهرة مؤلمة وغير منتظرة ، فالحقيقة التي يجب ان نصدع بها ان القرآن الكريم وان كان اكثر الكتب رواجاً يكاد يكون مجهولا لدى الجمهور الإسلامي . فالكتاب الكريم في واد والجماهير الإسلامية في واد

السلف من التفسير بالرواية ثم تابعه الثعلبي المتوفى سنة 467 . والواحدي المتوفى سنة 468 ، ثم نشأت طائفة أخرى ادخلت في التفسير مباحث العلوم الاخرى كالنحو والفقه والبلاغة ، واشهرها الكشاف للامام الزمخشري المتوفى سنة 538 .

ثم ظهرت تفاسير القرطبي وابن عطية والسيوطي وغيرها ، ولا زال والحمد لله هذا الاجتهاد متواصلا حتى في عصرنا هذا . فان الامام الشيخ محمد عبده المتوفى سنة 1323 ترك للمسلمين تفسيراً لا نظير له من قبل ، وكذلك الشيخ طنطاوي جوهرى قد شرح القرآن شرحا عجيبا راعى فيه بكثير الناحية العلمية والتطبيقية وقارنه مع العلوم العصرية واستنبط منه احكاما وغايات لم يستخرجها احد قبله .

ترجمة القرآن

لقد ترجم كتاب الله الكريم الى عدة لغات اجنبية وكانت اول ترجمة على ما اعرف هي الترجمة التي وضعها (كلوني) باللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر ، ثم اقبلت طائفة من القسيسين والرهبان على نقله الى بقية اللغات الحية حتى ان بعض الامم الصغيرة ساهمت في هذا العمل ولا تزال تفتخر بوجود نسخ من هذه التراجم في متاحفها . واسترسلت حركة الترجمة الى عصرنا هذا ويمكن الآن تناول الكتاب الكريم بعدة لغات اوروبية وآسيوية تمكن سائر الامم الناطقة بغير العربية من دراسته وفهمه والاهتداء باحكامه القوية واحداث ترجمة القرآن الكريم وضعتها مستشرقة المانية من مواليد مدينة طنجة .

نعم ، اذا اعتقدنا بان القرآن صالح لكل زمان ومكان ، فيجب علينا ان نبذل الجهد لنجعله في ايدي ملايين الناس وان نبشر به في كل اصقاع المعمورة لانه لم ينزل للعرب فقط بل للقوم اجمعين .

ولقد رأى رجل تركيا العظيم الغازي مصطفى كمال مصلحة أمة في ترجمة القرآن الكريم الى لغة بلاده . فسلك هذا الطريق تسهيلا على أمة في حفظ كتاب الله والاستنارة بنور معارفه .

وكان من نتائج هذا العمل ان ازدهر الإسلام بتركيا وتطور الفكر بذلك القطر الإسلامي العريق بصورة أصبحت معه تركيا من ارقى الدول الإسلامية واتواها .

وبعد ذلك عرف رسم القرآن — بالشكل والتنقيط وتجويد الخط — تحسينات بدأت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (النصف الثاني من القرن الاول للهجرة) وسارت شوطا بعيدا في اواخر القرن الثالث للهجرة ، وما تلاه من عصور ، وجاء عصر الطباعة فعرف المصحف طبعاات اتيقة جيدة وفي متناول ملايين المسلمين .

شفل القرآن المسلمين ، روحا وشكلا ، فظهرت علوم متصلة به (أسباب النزول ، القراءات ، النسخ والنسوخ ، رسم القرآن ، الحكم والمثابسه ، التفسير ...) . ودفع كتاب الله العلوم الاخرى الى الامام فنشأ الفقه ، والعقائد ، وعلم الكلام ، والتصوف ، والنحو ، والبلاغة ، ودرس النقاد الآثار الشعرية والنثرية على ضوء بيانه ، واستمد منه الكتاب والشعراء واستلهم منه المؤرخون نظرية التاريخ وفلسفته ، واتخذ منه العباد واهل الزهد أنيسا ودليلا ومرشدا .

ودار حول القرآن جدل طويل تأثر بالنظريات والافكار التي انفتحت عليها الحضارة الاسلامية . ومن ذلك القول بخلق القرآن الذي اثار في عهد المأمون العباسي فتنة ومحنة ، ومن ذلك ايضا الجدل حول صفات الله والقول بالجبر أو الاختيار ..

الا انه ، رغم تعدد النظريات ، وتشعب الجدل وما اصاب الحضارة الاسلامية من مد أو جزر ، فقد بقي القرآن هو هو مرجع المسلمين وامامهم ، منزها عن كل تحريف أو زيادة أو نقصان .

وجاء العصر الحديث بعلومه وصناعاته وتعتقداته فظهر من بين المسلمين رجال مصلحون اضطلعوا بالدعوة لتجديد أمر الدين والاستمسك بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، مع الأخذ بأوفر نصيب من الحضارة العلمية الحديثة ، وبذلك عاد القرآن منطلقا لنظريات التجديد والنهوض الاسلامي ودعوة المسلمين الى التحرر والتقدم والانبعاث . وظهر رجال فضلاء ، على مسعيد العالم الاسلامي ، اضطلعوا بعبء الدعوة ، امثال جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، وجمال الدين القاسمي ، ومحمد اقبال وتلاميذهم في جميع انحاء العالم الاسلامي .

كان القرآن دعامة الحضارة الاسلامية ، في ازهى عصورها ، يذكي جذواها ويحثها على الانطلاق والارتقاء ، وينير امامها سبل البقاء .

وعاد القرآن ، بعد ركود اصاب العالم الاسلامي منطلقا للدعوة الى حضارة جديدة في عالم متقدم ومعقد ، مادي في جوهره وشكله وأدواته .

وانطلقت في أرجاء العالم الاسلامي تساؤلات كثيرة : هل يتضامن المسلمون ؟ هل يوحد القرآن من جديد كلمتهم ؟ هل يمكن التوفيق بين الدين ، ومتجددا ، وبين الحضارة المادية الجديدة ؟

وما يزال الجدل بين علماء العالم الاسلامي ومفكره قائما على ايقاع حضارة القرن العشرين الطاغية .

وما يزال القرآن الكريم هو هو ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يثير اهتمام المؤمنين ويدعوهم الى التأمل ، ويبعث في نفوسهم الخشوع والخشية ، يتدارسه العلماء بنظر جديد وفكر متطور وسط عالم حائر ، غريب الاطوار ، سريع التحول ، شديد القلق .

القرآن واهل المغرب .

شهد المغرب ، في اول عهده بالاسلام ، حدثين جليلين كان لهما الاثر البعيد في تاريخه الديني والسياسي والاجتماعي :

الاول — حركة استعراب المغاربة التي بدأت في القرن الاول للهجرة ، (السابع الميلادي) وما رافقها من ايفاد الفقهاء ، وخاصة في عهد عبد الملك ابن مروان وعمر بن عبد العزيز ، لتعليم المغاربة كتاب الله وتثقيفهم في أمور الدين .

الثاني — تأسيس جامعة القرويين بفاس (245 هـ 859 م) وهي الجامعة التي حافظت طوال العصور على استمرار الثقافة القرآنية بأصلها وفروعها ، ومكنت لتثبيت المذهب المالكي في ديار المغرب ان هذين الحادئين العظيمين قد طبعا تاريخ المغرب بطابع الوحدة الدينية والسياسية ، وابقاه بعيدا عن تأثير النزعات المذهبية المتطرفة منها والمنحرفة التي حاولت ان تتسلل الى المغرب فلم يكتب لها الانتشار والبقاء بالرغم من بعض الفتن التي أحدثها ظهورها ، ومنها فتنة الخوارج .

ومنذ الصدر الاول من الفتح الاسلامي الى الآن ظل القرآن الكريم والسنة النبوية مثار عناية المغاربة وموردهم الرئيسي .

نظرة في إشعاع القرآن

للأستاذ: محمد العزبي الحطايي

القرآن دعامة حضارة

امتازت الحضارة الإسلامية بكونها حضارة « كتاب » في جوهرها وأصلها ، بمعنى أن القرآن الكريم كان منطلق هذه الحضارة ، وسرعان ما أصبح مدارا لها ومرتكزا .

ومن العوامل التي ساعدت على انبثاق الحضارة الإسلامية وانطلاقها من كتاب الله ، كون القرآن خاطب البشر جميعا « ان هو الا ذكر للعالمين » وأقام الامر بينهم على أساس المساواة والتكافؤ والتعارف والتسابق الى التقوى التي هي وحدها مقياس التفاضل بينهم : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وقد كانت هذه الدعوة اول حرب معلنة ومنظمة ضد العنصرية والميز بين البشر ، وعليها تدور فلسفة التاريخ الاسلامي ونظريته . وتنطوي تحت لواء هذه الدعوة ، بطبيعة الحال ، فكرة الوحدة والوحدانية ، ومحاربة الشرك الذي كان شعار التفرقة والتبليسة ورمزها .

استهدف القرآن تنظيم حياة المجتمع البشري الذي دعا اليه فوضع أسس التشريع والمعاملات ، وأقام قواعد السلوك والاخلاق ، واختط بالعبادات الطريق الذي يطهر النفوس ويوصل الى الله ، تكمله في كل ذلك السنة النبوية .

دعا القرآن الى خشية الله ومراقبته في السر والعلن ، كما حض على العلم والعمل . والتعاون والصبر ، والعدل والاحسان ، والقوة والاستمسك بالحق دون خشية من مخلوق ، ودعا الى التمتع بطيبات الحياة الدنيا في نطاق الفضيلة والتوسط والاعتدال .

ولقد خاطب القرآن المشاعر ببيانه وأمثاله ومواعظه ، كما خاطب العقول بحجته ومنطقه واستدلالاته واهتمامه بحياة الفرد والمجتمع . وبذلك اثار اهتمام الناس وتطلّعهم . وايقظ أذهانهم وأنار عقولهم .

نزل القرآن نجوما . وتدرج مع اغراض الدعوة وحاجاتها وما أحاط بسيرها من وقائع وأحداث ، هذه الدعوة التي استمرت نحو ربع قرن .

وقد اكتمل نزول القرآن فبقي مجموعا بالحفظ والاستظهار في قلوب النبي وصحبه يتلون آياته ويتدارسونه ويتفقهون فيه . وفي حياة الرسول بدا تدوين الكتاب في الرقاع ، واضطلع بهذه المهمة كتبة الوحي المعروفون . وجمع القرآن ورقت آياته ، بأمر من الصديق وفي خلافته ، كما رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم . وحينما تقلد عثمان خلافة المسلمين أمر بنسخ المصحف من اصل الصحف التي جمعها أبو بكر ، وعلى المصحف الذي استنسخه الخليفة الثالث ويعث به الى الامصار وقع اجماع المسلمين ، واحرق ما سواه من الصحف .

لذلك فان واجب المسلم أن يتدبره ويفهمه ويعمل بهديه « ان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بيدكم .. » كما جاء في الحديث ، فلنمسك بالطرف الذي خصنا الله به وكرمنا بفضل المحافظة عليه .

القرآن ومذاهب التاريخ .

كان في نيّتي أن أعرض جملة من آراء بعض علماء الغرب ، من مستشرقين وغيرهم ، في القرآن الكريم وعلومه ، وأن أعلق على هذه الآراء بما يتفق ووجهة النظر الإسلامية في الموضوع . غير أنني رايت أن هذا العمل يتطلب من طول المعاناة واتساع الوقت ، وكثرة الدرس والتمحيص ما لا يجمل معه الاختصار والنظرة الخاطفة

لقد عني علماء الغرب ، والمهتمون منهم بالعلوم الإسلامية على وجه أخص ، بالقرآن فدرسوه وترجموه الى لغاتهم ، ونظروا في علومه المختلفة ، فكانت لهم في ذلك آراء منصفة في بعض الأحيان ومختلفة مع الآراء الإسلامية الموثوقة والمتواترة في أحيان أخرى .

وقد علق الدكتور صبحي الصالح في كتابه القيم « بباحث في علوم القرآن » على بعض آراء هؤلاء المستشرقين ، وربما فعل غيره ذلك ، الا أنني ما زلت أرى ان هذه المسألة تتطلب دراسة مستفيضة تحيط بجوانب الآراء الغربية في الوحي والعلوم القرآنية ، احاطة شاملة وتنقدها وتعلق عليها .

ونظرا لجسامة هذا العبء فاني آثرت أن أقتصر في هذا المقال على تلخيص محاولة لابرار نظرية الاسلام في التاريخ مستمدة من كتاب طريف بعنوان « مذاهب التاريخ الكبرى ، من كونفوشيوس الى توينبي » من تأليف ألبان ويدجري * وهانذا أترجم باختصار ما قاله هذا المؤلف الإنجليزي عن نظرة القرآن الى التاريخ :

« ترتكز النظرة الإسلامية الى التاريخ على الاعتقاد بوجود الله والاقرار بوحدانيته ، ومقاومة الشرك به .

والله متصف بالرحمة ، والقدرة ، والحكمة ، والقدم ، والكرم ، والعزة ، والجلال ، وهو قائم بذاته لا يحده زمان ولا مكان .

« ورتل القرآن ترتيلا » ، وقال : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعتموه يقرأ حسبتوه يخشى الله » ، وهذه الخشية تأتي ، ولا شك ، من الاستغراق والتدبر وحسن الترتيل وفهم معاني كلام الله .

ومن الامور المستهجنة في القراءة نطق غير سليم واهمال لقواعد التجويد ، وهذا امر شائع حتى بين بعض فقهاءنا وعلمائنا .

ولن يكون علاج هذا الامر الا بايجاد مقرئين متفرغين لهذا الامر يحفظون كتاب الله ويفهمون معانيه ويلمّون بعلوم التجويد والقراءات والرسم ، ولا يتصدون للقراءة الا بعد ان تجيزهم هيئة معتمدة يكون لها الحل والعقد في كل ما يتصل بالقرآن الكريم (طبع المصحف ، وتعليم كتاب الله في المدارس ، والتلاوة في المساجد وغيرها ...) ولعل الامر يتطلب احداث مدرسة عليا لعلوم القرآن ، او على اقل تقدير احداث كرسي للعلوم القرآنية في كلية الآداب ، فضلا عن تميم دروس تجويد الكتاب ، والتفسير المبسط في المدارس والمعاهد واحداث هيئة معتمدة للمقرئين ، ونشر التراث المغربي في التفسير والقراءات والرسم .

ولا يخفى على احد ان سوء ترتيل القرآن وقلة العناية بتجويده وتفسيره تفسيراً مبسطاً من الاسباب التي تقلل من اهتمام الشبيبة بالقرآن ولا تتيح لهم ذوقه وتدبر معانيه . وذلك في عصر كثرت فيه المغريات التي تجذب الشبان جذبا ، وتعددت وسائل تهذيب الذوق وتربية المشاعر . فكان أولى بنا ان نحجب القرآن الى ابنائنا بحسن التلاوة وحلاوة الترتيل والتجويد وبساطة التفسير ورفع مستوى المقرئين ، مما يؤدي الى حسن التدبر والخشية وتطهير النفس .

ان في القرآن عقائد تعرف المسلم بصفات الله ، وفيه عبادات تقربه من الله ، وفيه تشريع واحكام ، وفيه ثروة لغوية واعجاز وبيان ، وفيه مواظ وحكم ، عبر وامثال ، وفيه دعوة الى الآخرة ودعوة الى الاخذ نصيب من الدنيا . فهو كلام الله الحي المتجدد الجامع ، ما هو بالطقوس الفاضلة الجالدة .

الترجمة الفرنسية : Gallimart, 1965. - « Les grandes doctrines de l'Histoire » : Alban Widgery

وإذا كان أهل المغرب قد استبد بهم ، منذ العصر الأول الذي اعتنقوا فيه الإسلام ، الاشتغال الزائد بالفروع فلعل ذلك كان راجعا الى حرصهم على فهم أحكام القرآن والحديث فهما صحيحا بالرأي والحجة وصدق التأويل لبعد بلادهم عن مهبط الوحي ومراكز النقل والرواية والاسناد . فما كان لهم أن يرجعوا بالقول في كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان لهم أن يخوضوا في التفسير والشرح من غير نظر ولا تمحيص في آراء الصحابة والتابعين والمجتهدين وأئمة الدين .

ومع ذلك فقد قامت دعوة بعض أمراء المغرب — وخاصة في عهد المرابطين والموحدين — على أساس الرجوع الى الأصل (القرآن والحديث) ونبذ الفروع التي تشعبت وشغلت الفقهاء واشتط بعضهم في العناية بها .

وقد عني المغاربة ، في جميع العصور ، بالقرآن حفظا وتفسيرا وقراءة ورسما ، وكانوا يعلم القراءات والرسم أكثر عناية . ولعل سبب ذلك راجع الى حرص علماء المغرب على حفظ كلام الله منزها عن اللحن والخطأ والتحريف وسوء القراءة التي يترتب عليها سوء الفهم واختلال المعنى .

وبلغت العناية بعلم القراءات ذروتها في عهد الدولة السعدية . ويقول استاذنا الجليل السيد عبد الله كنون : وحسبك دليلا أن وقف القرآن الذي وقع الإجماع عليه وجرى العمل به في المغرب منذ ذلك الوقت الى الآن ، انها وضع في هذا العصر — أي العصر السعدي — وكان واضعه هو أبو عبد الله الصماتي الهبطي المتوفى سنة 930 . *

وقد خلف علماء المغرب كتباً في تفسير القرآن الكريم ولم تبلغ الشهرة التي بلغت تفاسير علماء المشرق وبعض علماء الاندلس من أمثال الطبري والزمخشري والجلالين (المحلى ، والسيوطي) وابن العربي المعافري . وربما يرجع ذلك الى قلة عناية المغاربة بنشر مآثرهم والتعريف بها ، وخاصة منذ ظهور الطباعة في العصور الحديثة .

ومن العلماء المغاربة الذين اشتغلوا بالتفسير : أبو بكر بن الجوزي المعافري السبتي ، (في عصر المرابطين) ، ومحمد عبد الجليل الأوسي القصري ، ويوسف المزدغي الفاسي ، وأبو الحسن الحرائسي

المراكشي ، (في عهد الموحدين) ، وابن العابد الفاسي وابن البناء العددي ، وأبو القاسم السلوي ، وابن البقال ، (في العصر المريني) والحاج الشطبي ، والمنصور الذهبي ، وعبد الرحمن العارف ، وعلي بن عبد الواحد الانتصاري السجلهاسي ، (في عهد الدولة السعدية) ، والتاودي ابن سودة ، وابن عجيبة ، والطيب ابن كيران ، (في عهد الدولة العلوية الحاكمة)

الف معظم هؤلاء العلماء الاناضل تفاسير كاملة او لاجزاء من كتاب الله المنزل ، وقد ضاعت بعض هذه التفاسير وطوى بعضها الآخر عالم النسيان .

أما العلماء الذين اشتغلوا بعلم القراءات والرسم وبرزوا في هذا الميدان فنذكر من اعلامهم : أبا عمران الفاسي (القرن الخامس الهجري) ، وأحمد بن الحطينة التميمي (عصر المرابطين) ، ومحمد ابن غازي المكناسي ، وعلي ابن بري ، ومحمد بن ابراهيم الخراز مؤلف « مورد الظمان في علم الرسم » ومصحفات أخرى ، وابن المرحل ، وابن أجروم صاحب كتاب « البارع في قراءة نافع » ، وكلهم عاشوا في عهد الدولة المرينية ، ونذكر من العصر السعدي : عبد الواحد ابن عاشر الذي شرح « مورد الظمان » للخراز ، وأبا عبد الله الصماتي الهبطي مؤلف « تقييد وقف القرآن » الذي جرى عليه العمل في المغرب كما أسلفنا ، وأبا العباس الفسائي ، أما عصر الدولة العلوية ، الذي غلبت فيه العناية بالحديث والشرح والحواشي على الاشتغال بالتفسير والقراءات والرسم وغيرها من العلوم القرآنية ، فيمكننا أن نذكر من العلماء الذين عنوا بهذا الميدان ، أبا زيد الفاسي مؤلف « اللمة في قراءة السبعة » ، والبدرأوي صاحب « التوضيح والبيان » ، والحسن الباعمراني مؤلف « اعراب القرآن » .

وفي جميع العصور ولع المغاربة ولما شديدا ، في الحواضر والبوادي ، بحفظ القرآن الكريم وتعليمه في الكتاتيب القرآنية التي عمت المدن والقرى . الا أن عناية عامة أهل المغرب كانت أقل بالتجويد والترتيل وتدبر آيات القرآن وفهم معانيه ، وخاصة في عصور الانحطاط المتأخرة ، التي عم فيها الجهل وفشت البدع والتقاليد الضالة . حتى أصبح كتاب الله المنزل « يسرد » في المقابر والمساجد « سردا » دون وعي أو تدبر . ومزالت هذه الطريقة سائدة الى الآن مع ما فيها من مخالفة لأداب التلاوة وواجب التدبر . قال الله تعالى

المشاكل في عمقه العميق

للأستاذ: أحمد زيا



والدعوة الى التجديد في امر الاسلام ليست دعوة الى تجديد مبادئه الاساسية فهذه قواعد عامة وثابتة وانما الذي يحتاج الى التجديد والى الكثير من التجديد هو اساليب التفكير الاسلامي بالنسبة لعلاقات المجتمعات الاسلامية مع بعضها وبالنسبة كذلك لعلاقاتها مع المجتمعات الاخرى ، وامتلاك الاسلحة اللازمة لخلق مجتمعات اسلامية لا تعيش على حساب ماضيها ، وانما تعيش بالقدرة على الخلق والابتكار والقدرة على التنافس في حاضرها ، وهنا تتفجر النقطة التي اعتبرها شخصيا هي نقطة الضعف في كل ما عناه الاسلام ماضيا وحاضرا وفي كل ما يمكن أن يعانيه مستقبلا وهذه النقطة يمكن تلخيصها فيما يلي :

اولا : ان الدعوة الاسلامية والقرآن بصفة خاصة تماما منذ اول ظهورهما على خلق تكامل اجتماعي ، وبعبارة ادق على محاربة النزعة الفردية التي كانت هي الظاهرة البارزة في المجتمع الجاهلي العربي الذي نزل فيه الاسلام وفي المجتمعات التي حملت اليها الدعوة الاسلامية بنود رسالتها من غير العنصر العربي .

فالاسلام في اول امره قد انطلق من شبه الجزيرة العربية بقوة من التكامل الجماعي الذي استطاعت تعاليم الاسلام أن تزرعه مثلما ينتزع قلب من جسم ليوضع مكانه قلب آخر في عالم اليوم .

فالدعوة الاسلامية قد اقتطعت النزعة الفردية اقتلاعاً من التفكير الجاهلي ووضعت مكانها تفكيراً

منذ ثلاثين سنة اصدر الامير شكيب ارسلان كتيباً صغيراً بعنوان : « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » وهو كتيب أسهم به ذلك الرجل العظيم من جملة ما أسهم به من مآثر فكرية ، اتسمت بشمولية الاطلاع وبالقدرة الخارقة على مواصلة كفاح شاق ومربح ، كما ان هذا الكتيب قد صدر في غمرة ما كان يصدر في ذلك العهد من ابحاث وتحاليل عن الوضع الذي كان كيف يومئذ احوال العالم العربي والعالم الاسلامي وانتشر هذا الكتاب مثل ما انتشر حاضِر العالم الاسلامي (1) وعرف من خلال صفحاته القليلة ما هو سر تأخر المسلمين ومنذ اربعين سنة بيد انه منذ ذلك الحين والوضع في العالم العربي والاسلامي يثار امره عن وثيرة واحدة من التشكي وغصة المرارة في هذا التشكي .

ان الاسلام كرسالة وكفلسفة وكايدولوجية تقوم على مبادئ عامة قد تكفل القرآن بسطها وبالمحافظة عليها ، والقرآن اعجز اعداء الاسلام وخصومه اعجازاً كاملاً عن ان ينالوا من تلك المبادئ فبالاخرى ان يقضوا عليها ، فوظيفة القرآن ككتاب سماوي وكدستور يتضمن بنوداً منظّمة لم تفتقر ولم تضعف ، وانما الذي اعتراه شيء وشيء غير قليل من الفتور والضعف هو همة المسلمين في العمل على تكييف رسالة الاسلام بالكيفية التي املتها نوااميس التطور والتقلب .

1 - حاضِر العالم الاسلامي ترجمة الاستاذ عجاج نويهض وبتعليق ضافية لاميّر البيان شكيب ارسلان رحمه الله .

ومقاصد القرآن الجوهرية هي حمل البشر على ادراك صلتهم بالله الذي لا تخفى عليه من أمور التاريخ خافية . وهو يهدي البشر بواسطة الانبياء والكتب السماوية . وينفي القرآن عن الله صفة التجسد على صورة البشر .

ان موسى وعيسى نبيان من انبياء الله . ومحمد هو خاتم المرسلين واعظمهم شأنًا .

حدد القرآن للناس قواعد السلوك ، فلمهم ان يتقربوا الى الله بالعبادة دون واسطة . ويعتبر الوحي القرآني مدار التاريخ .

خلق الله العالم المادي والسنن الثابتة وجميع الخصائص الاخرى التي تجعل التاريخ امرا ممكنا ذا مغزى . وعالم الطبيعة متغير « يزيد في الخلق ما يشاء »

وقد ابدع الله الليل والنهار وتعاقبهما فعين ارواحا وجعلها داخل اجسام لتحيا .

ويذكر القرآن ان الله يختص بني آدم بعنايته بذلك لحياة البشر حيزا موقوتا . وخلق الله بني آدم وفضلهم . اصطفى آدم وجعله في الارض خليفة .

ولطالما نوقشت مسألة ما اذا كان القرآن يعلم الناس حرية الارادة ام لا . انه يتضمن الاقرار بهيمنة الله وبحرية الانسان ، سواء بسواء ، من غير ان يخوض في الكيفية التي يمكن ان يتوافق بها الامران في الذهن .

يؤكد القرآن ان الله يسيطر على الاشياء كلها ، وهو الذي يلهم النفوس « فجورها وتقواها » ثم ان القرآن يصير على ممارسة الحرية . والله لا يظلم المذنبين بل انهم يظلمون انفسهم .

يهتم الاسلام بالفرد كما يهتم بالجماعة . والله يحاسب الامم . وكثيرا ما يذكر القرآن ما اصاب امما من رغد وما اصاب اخرى من هلاك ، فالاولى سارت على الصراط المستقيم ، والثانية ضلت عنه وزاغت . ذلك ان كل قوم ينالون جزاءهم ، لان الله يحكم الناس بالعدل والقسطاس .

يأمر القرآن بقتال الذين يخالفون عن امر الاسلام والمؤمنون مدعوون الى الجهاد في سبيل الله ، بما

يتفق وتعاليم القرآن ، وعليهم ان يقاوموا الشر ، ومن الشر ما يصدر عن الناس ومنه ما يصدر عن الشيطان .

والاسلام عالمي « لله المشرق والمغرب ... اينما تولوا فثم وجه الله » .

لا عبرة بالمظهر الخارجي للحضارات ، انما العبرة بسلوك النفس الانسانية وتصرفاتها تجاه الخالق والقرآن يوصي بالصبر ، لان تحقيق المثل الاسلامية عمل شاق . والله يغفر للتائبين ويعينهم على الخير .

الحياة الدنيا ليست غاية في ذاتها ، وللآخرة خير وابقى » .

هذه خلاصة ما قاله ويدجيرى عن القرآن ونظرية الاسلام في التاريخ ، وقد تحدث في نفس الفصل عن عبد الرحمن بن خلدون ومحمد اقبال ولخص نظريتهما في التاريخ والتطور .

والواقع ان هذا الموضوع الطريف يتطلب دراسة اوسع يتولاها عالم ضليع في الفكر الاسلامي ومذاهب التاريخ المختلفة يتتبع فيها تأثير القرآن في آراء المؤرخين المسلمين واتجاههم ، بوجه خاص ، وفي سير التاريخ الاسلامي بصفة اعم .

ومن المسائل التي تستحق مزيدا من السدرس والتمحيص في هذا الباب :

— حرية الانسان ومسؤوليته عن اعماله . وقد اثارت هذه القضية جدلا طويلا بين علماء المسلمين في مختلف العصور .

— عالمية الدعوة الاسلامية وشمولها .

— قيام هذه الدعوة ونشرها على اساس الاقتناع وعدم الاكراه او بحد السلاح .

وقد كان لهذه المسائل وغيرها تأثير واضح على اتجاهات المؤرخين المسلمين وطريقتهم في كتابة التاريخ ، كما كان لها تأثير على الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في العالم الاسلامي .

الرباط : محمد العربي الخطابي

والمسلمون عندهم الى جانب ذلك قرآن يرتبط
فيما بينهم برباط ليس هو من نوع رباط التمساريف
الجمركية أو وحدة مناطق العملة أو غيرها من أنواع
الارتباطات المادية المحضة .

المسلمون عندهم قرآن ربط فيما بينهم جماعيا
برباط وحدة المصير ، ذلك ان عزة المسلم في ماليزيا هي
عزته في المغرب وعزته في المغرب عزته في ماليزيا
واذلاله كذلك .

تلك اشياء معلومة ومفهومة وقع درسها وبسطها
منذ عهد طويل وانما الذي يبقى ويجب هو العمل ،
العمل على ازالة اسباب الزيف الروحي والتخلف
المادي ليكتمل للقوة عنصراها الاساسيان .

وهذه ايضا اقوال ، فأين هو العمل ؟ ذاك هو
المشكل الحقيقي وفي عمقه العميق .

الرباط : أحمد زياد

في الجاهلية الاولى

في الجاهلية الاولى كانت القبائل المنهزمة تدع الملمات التي الفتها حتى
تدرك النصر ، فاذا نالت ثأرها ، ومحت عارها ، عادت الى ملذاتها ،
وشاعرها يقول :

أكاد أغص بالماء الفرات »

« فساغ لي الشراب وكنت قبلا

جماعيا اعتبره شخصا هو سر نجاح الانطلاقة
الاسلامية في اول امرها .

ومن ثم فاننا حينها نمكف على قراءة التاريخ
الاسلامي وفي مختلف مصادره الكبرى وشيء من
الامعان والتدبير ، تلمس ولا أقول فقط — كيف أن
السلاح الذي استخدم كثيرا في تقويض نفوذ الاسلام
هو سلاح اعادة النزعة الفردية والعمل على تنوعها
أو عند افراد القاعدة ، ويعتبر كتاب « الملل والنحل »
وغيره من الكتب التي تحدثت عن مختلف الفرق التي
ظهرت في مختلف المجتمعات الاسلامية كوثيقة من
الوثائق التي تثبت وبكل تأكيد أن اعداء الاسلام
وخصومه قد تنبهوا الى حقيقة العنصر الفعال في
انتشار نفوذه واتجهوا اليه وبكل ما كانوا يملكونه من
وسائل ، وفي الجزء الذي خصه الاستاذ احمد أمين
من كتابه « فجر الاسلام » تفاصيل عن هذا الصراع
الخفي الذي كان يجري من أجل تفكيك اجزاء التفكير
الجماعي واحلال النزعة الفردية المحلية .

ومع الاسف الشديد فان الذين كانوا يسعون
الى الوصول الى هذه الغاية وفي مختلف العصور
الاسلامية ، قد تمكنوا من مبتغاهم بنسبة أو بأخرى ،
ولو أن الاسلام كان مجرد ايدولوجية تقوم على أساس
مادي صرف ، لما تعذر على أعدائه وخصومه استئصال
نفوذه أو حصره على الأقل ، ولكن بما أن الاسلام كان
متوقفا على سلطان روحي لا يقهر ، فان استئصاله أو
حصر نفوذه قد تعذر ، بل أن ما حدث في مختلف اطوار
الصراع البيكولوجي الذي كان يرمي الى تجرييد
المجتمع الاسلامي من تضامنه الجماعي ، لم يجد هو
بدا من أن يستعين بالسلطان الروحي تزويرا وتدجيلا ،
وذلك قصد الوصول الى تحقيق أغراضه ومثاريه ،
وهكذا فان المسلمين تخاذلوا وضعفوا وقضى على
نفوذهم السياسي في كل الحالات التي كان فعل عنصر
التفكير الجماعي يقل أو ينمحي وجوده .

وهذا في رأي المتواضع هو التعليل الصحيح لكل
ما تزخر به كتب التاريخ من نكبات وكوارث ، حلت
بالمسلمين سواء في المشرق أو في المغرب ، وكان بالإمكان
سرد الوقائع والاحداث بمواقعها التي تعزز هذا الرأي
بيد أنني هنا أسجل الخواطر ، ولا أدرس التاريخ
ثانيا : انه على ضوء هذه الحقائق فان الضرورة
تقضي بدراسة أحوال العالم الاسلامي دراسة علمية
تستعرض وتستنتج وعلى مقاييس صحيحة ، وينبغي
من كل انفعال عاطفي وابتماد كامل من نوع من انواع
مركب النقص .

فقوة الاسلام التي اندفع بها في أول مرة كانت
قوة جماعية الا أن هذه القوة قد اعترها ضعف ولم
تتم ، لأن فيها العنصر الروحي للاسلام ، بيد أنها
توقفت ، فيجب أن نبحث لماذا توقفت ، ونحن إذ
نبحث في هذا الامر فسنعثر — وفي غير ما كثيرا من
العناء — على سببين اثنين : أحدهما ضعف الزوارع
الجماعي ، وثانيهما وهو مترتب عن الاول ، عدم تقوية
الجانب المادي في المجتمعات الاسلامية حتى تصبح
الحصانة المادية معززة للحصانة الروحية .

انه لم يعد يكفي أن نعقد الندوات لمعرفة أسباب
الضعف الذي وصل الى قمته في مشهد الصهاينة وهم
يحاولون إقامة برلمانهم في رحاب مسجد الصخرة ، فمن
جيلة ما يؤخذ به المسلمون أنهم قوالون وغير فعالين ،
وكان الاولى أن يكونوا فعالين امثالا لاوامر الاسلام ،
واذا كان الاسلام ما يزال بخير ، وما تزال تتجاوب
أصاءه صندوقه كلما وقع الضرب على هذا الصندوق
على حد تعبير المرشال لبوطي ، فان مرد ذلك الى قوته
الروحية . بيد أن هذه القوة في حاجة الى تعزيز ومن
نفس سلوك المسلمين ، وذلك بواسطة أخذ العبرة من
أحداث تاريخهم الطويل ، وبالعامل على بعث الروح
الجماعية في الفرد المسلم وتحصين انفسهم ماديا ،
وهذا شيء لا ينبغي أن يظل مجرد كلام ، بل يجب
تحويله الى عمل فانما وقع بالامس البعيد من أجل
كسر شوكة الروح الجماعية في نفوسهم ما يزال حاله
مستمر الى اليوم مع اختلاف في الاساليب التي
اقتضاها الزمان والمكان .

وبالنسبة فان السوق الاوربية المشتركة التي
اصبح لها اليوم حول وطول وصول كانت من وحى
شخصيات جمع فيما بين افرادها المذهب الكاثوليكي ،
وفي رسالة الصهيوني بن غريون التي بعث بها أخيرا
الى الجنرال دوكول ما يفيد بان الصهاينة قد ظلوا
يعملون طوال مائة سنة في اطار من معتقداتهم الدينية
وباندفاع منها لانشاء دولة اسرائيل ، بل أن الدخلاء
على الاسلام والمندسين في صفوفه فيما قبل ، ثم
الاستعمار فيما بعد ، قد عملوا جاهدين وجادين من
أجل تعزيز سلطانهم هم على المسلمين بواسطة
الاسلام ، لاقتناعهم بقوة سلطانه ، فكيف لا يمكن ياعباد
الله المسلمين تعزيز سلطان المسلمين بواسطة الاسلام
ليكونوا في مستوى الظروف والاحداث !!!

فالمسلمون قوة سكانية في العالم ، وقوة اقتصادية
وقوة جغرافية ، في بلادهم المطاط والفوسفات والبترول
وانواع الزيوت بل وحتى الذهب .

عليه شخصية « جاهلية » وكفى بهذا الوقف اداة تعبير عن الحالة العقلية التي كان عليها المجتمع العربي قبل نزول القرآن ! ان ابرز ما كان بارزا في نطاق ذلك المجتمع هو انه كان مجتمع اعراف وتقاليده ، قبل ان يكون مجتمع تعقل او تفكير ، على اي منحى ايجابى جدي يكون عليه التعقل والتفكير ؛ اعراف وتقاليده اجتماعية من كل نوع ، ناشئة في عمومها عن جملة من الاعراف والتقاليد الفكرية تنطوي بطبيعتها على التفاضل عن اي اعتبار عقلي آخر ، الا اعتبار المتابعة والاحتذاء الاعمى الذي توجه به الاعراف والمواضعات العقلية .

ولا ينصرف اهتمامنا في هذا النطاق الوجود الان ، الى النظر في اصول وعوامل هذه الحالة ، التي عاش عليها العقل العربي الجاهلي دهورا واجيالا متطاولة ؛ فقد تكون الاتباعية البسيطة ، التي خضع لها فكر العرب في جاهليتهم الطويلة ، ناشئة عن طبيعة البيئة التاريخية التي حاطت بحياة هذا الفكر ، واثرت عليه بصور مختلفة ؛ وقد تكون هناك عوامل مزاجية او غيرها ، مما كان له اثره في هذا المقام ، الا ان الذي يعني من كل ذلك ، ان الاتباعية عند المجتمع العربي الجاهلي لم تكن تنطوي على اية ملازمة مهمة من ملازمات الاختيار ، وانما كانت اتباعية فكرية « جاهلية » بكل ما يشير اليه ذلك من عدم التبيين والتثبت واتخاذ الموقف الواعي المستنير ؛ واذا شئنا استجلاء بعض المعطيات التفصيلية مما يتعلق بهذا الامر ، فاماننا كشف طويل جدا ، يمكن على اساسه استعراض الصفات العربية الجاهلية التي لن نستعرضها بالفعل ، لان عرض تفاصيل من هذا القبيل ، يضطرنا الى افاضة في القول ، ليس لها من داع في هذا النطاق الخاص ، الذي اخذنا به ؛ ولكن ذلك لا يصدنا عن الاشارة الى بعض الصفات القليلة البارزة ، لجرد تصور الابعاد الهائلة التي تكونت فيها جوانب القضية التي نعرض اليها في هذا المجال .

اولا - ضيق الافق الفكري ، وقد كان صفة عناية بارزة في نطاق المجتمع العربي الجاهلي ، قبل ان يفتح وعي العرب على هدي القرآن ، وتنضج ملكاتهم في استبحانهم منه ، وتأثرهم به ؛ والواقع ان شيئا ما لم يصب وحدة العرب وتماسكهم السياسي والاجتماعي بقدر ما اصابهم بذلك ضيق الافق الفكري الذي كانوا متصفين به ؛ ان ذلك الضيق الفكري ، لم يكن يبيح للفرد العربي الجاهلي ، ان يتصور مفهوما موضوعيا لعلاقته بالمجتمع الخاص الذي يعيش فيه ، وعلاقته

والمغالة وما في حكم ذلك ؛ ان المراد بالمعجزة القرآنية ، في تأثيرها على جهلة العرب ، وتكييفها لهم ، بالصورة التي تكيفوا بها ، واكمالها ذلك التكيف ، بالسرعة ، وبالتلقائية التي تم بها بالفعل كل هذا ، مما يعجز اي انسان لا عن الاتيان بمثله ، بل حتى عن مجرد تصور عوامل واسباب موضوعية له ؛ وحتى اذا امكن تصور اسباب وعوامل يعتقد انها مفسرة للظاهرة الموجودة ، فان مثل هذا التفسير لا ينطبق على مثل هذا الامر ، الا بصورة تقريبية ، وبحسب مقاييس التفسير التي نستعملها لادراك الوقائع والظواهر العادية ؛ والامد المائل في تحول العرب السريع بتأثير القرآن ، ليس هو من الامور العادية ، التي يمكن ان تنطبق عليها مقاييس التفسير العادية ؛ ولكي ندرك بعض ملامح الصورة ، صورة الحالة التي وقعت ، دون ان نستطيع النفوذ الى ادراك « العلل » المعجزية الكامنة وراءها ، يجب ان نستعيد لادهاننا احوال الادراك والتصور عند الانسان ؛ وهذه الاحوال ، بما تبدو به من تفاوت ، تقوم لا كاساس فقط لتقييم نسبة الذكاء والغباء عند الناس ، بل تقوم في ضمن ذلك ، كمقياس لتبين درجتهم من التقدم او التخلف ، بالمفهوم العام الذي عليه التقدم او التخلف ؛ ومن مظاهر التقدم او التخلف العقلي من هذا القبيل ، قدرة الافراد او المجتمع بالتالي ، او عدم القدرة لديهم على اتخاذ الموقف الفكري المستقل ، التحرر من تبعية الخضوع الاعمى للعادات والمواضعات المتوارثة ، ان اتخاذ الموقف العقلي الصحيح وهين بنوع من التحرر من هذا المعنى ؛ وبقدر ما يكون الفكر متخلفا ، والتصورات المنبثقة عنه ساذجة فطيرة ، يقدر ما يصعب تطوير فكر على هذا الفرار ، واكسابه - على الاخص - قدرة التنقل من منطق الاعتياد الاعمى الى المنطق المنبثق عن وعي وادراك وتصميم فكري اصيل ؛ واذا ما امكن احداث تطوير عقلي بهذا المستوى في حق مجتمع من المجتمعات ، فان ثمرة ذلك لا يمكن ان تنضج في جيل او في جيلين ، بل تتطلب مرور دهور واجيال ؛ ونحن نرى في عصرنا الحاضر ، اجماعا وتضافرا عالميا على احداث تطوير عقلي ما في المجتمعات المتخلفة ؛ ولكن النتيجة المتأتية عند ذلك شئيلة ، او في حكم المتقدمة احيانا ؛ اما اذا نظرنا الى مثل هذا الامر من زاوية الحياة العربية الجاهلية ، فاننا نجد افراد المجتمع العربي الجاهلي قد عاشوا على جملة من العادات المتوارثة ، متأصلة عن عوامل مختلفة ، فاعل بعضها مع بعض ، لتنتهي مع الامد الطويل الى سيادة شخصية الفرد العربي الجاهلي ، على ما نعرفها

في موضوع العلاقة بين القرآن والانسان .

المعجزة المستمرة

لأستاذ المهدي البرجالي

علاقة القرآن بالانسان علاقة وثيقة حقيقة ، يتفق مدلولها مع مدلول الروح التي تتمثل من خلال القرآن ، وهي روح عملية واقعية ، تستهدف التفتيح والتطوير وتحقيق التقدم الانساني على كل مستوياته .
العلاقة هذه بين القرآن والانسان ، هي علاقة ايجابية مثمرة ، بهذا المعنى !
وجانب الايجابية في هذه العلاقة ، آت من القرآن بطبيعة الحال ، لانه هو الذي خلق بالفعل الاحوال الايجابية المتأينة من علاقته بالانسان ، اما الانسان ، فقد كان في سلبه احيانا يصل الى حد التنكر للمضامين الانسانية في القرآن ، لكن الكتاب الكريم هو من سعة الافق ، بحيث لا يزال بسلبية الانسان حتى يحياها الى ايجابية واعية مثمرة .

الواضح ان التكلف في المقارنات ، ليس من شأنه ان يؤدي الى استخلاص شيء ايجابي وموضوعي وعقلاني من هذه المقارنات .

المعجزة القرآنية من جهة تأثيرها على مجتمع الجاهلية ، وما صنعت في هذا المجتمع من ظواهر خارقة ، لا يستطيع الاثيان لها بتعليل قائم على حساب المقدمات والاستنتاجات العادية ، هذه المعجزة ، ليس لها ما تعلل به الا انها معجزة وكفى . ولا نستعمل التعبير هكذا بالمفهوم المؤلف ، بل والمبتذل ، الذي اصبح له ، مثل ما يقال - مثلا - « معجزة علمية » او « معجزة مالية » او غير ذلك ! ان المعجزة هنا ، المعجزة التي أحدثها القرآن في حظيرة المجتمع العربي الجاهلي ، لها كل مدلولها اللغوي الصرف البريء من التزبد

المعجزة التي أحدثها القرآن الكريم ، بتحويله ، المجتمع العربي الى مجتمع مهتد وهاد ، عالم ومعلم ، خبير ورائد ، واع لابعاد مسؤولية اخلاقية ذاتية توخذ فيها النفس بأشد ما توخذ به نفس مسؤولية وملتزمة ، وواع في نفس الوقت لابعاد مسؤولية موازية ، مسؤولية على نفس المستوى الفكري والاخلاقي ، تتعلق بالآخرين ، ببقية العالم كله ، بكل من هو حي عاقل على ظهر البسيطة ومن يجوز ان يحيا على ظهرها في كل زمان ومكان ، الى ان يؤول امر الدنيا هذه الى فناء .

المعجزة هذه ، وحيدة من نوعها ، وليس لاي ان يجد لها ، ما يقارنها به ، الا ان يذهب الى التمثل في المقارنة ، والتمنع في ربط الامور بعضها ببعض ، ومن

الزمن بعد ذلك متلاحق بمضه ببعض ، واستمرت المعجزة معه ، معجزة القرآن بكل نصاعتها وقوتها وفعاليتها العظيمة ؛ وقد نزل القرآن بين قوم أميين في الغالب ، فكان مصدر ايحاء عقلي لهم ، وسبب اشراق روحي في نفوسهم ، اشع عليهم من ينابيع التي لا تنضب ، فادى الاشعاع الى ما ادى اليه من تهذيب وتقويم وتسديد ؛ وكان ذلك هو المعجزة الكبرى التي ذكرنا من قبل ؛ اما استمرار المعجزة بعد هذا ، فيتمثل بعض منه فيما يلي :

(1) جمع القرآن وتدوينه ؛ وقد يبدو هذا الامر من قبيل الاشياء العادية ، او بالاكل من الاشياء غير المعجزية ؛ وذلك نظر من لا يلم بشيء كاف عن طبيعة الامور الواقعة ، ولا يرى القضايا الا من وجه واحد ، بينما لها ، اي هذه القضايا ، اوجه عديدة ومتكاملة ؛ ان جمع القرآن قد مر بادوار مختلفة ، وابتدا تدوينه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فلما التحق النبي بربه ، وحدثت المواقع التي ادت الى استشهاد القراء ، واهمها موقعة اليمامة سنة 12 هـ كان ذلك داعيا - كما نعلم - الى جمع كل ما كان متفرقا من القرآن في الرقاع وغيرها ، حيث تم ذلك الجمع بأسلوب في التحدي والتثبت والضبط ؛ وهو معجزة علمية في حد ذاتها بالنسبة لعقلى اقوام لم تكن لهم في الاصل بيئة علمية اصيلة ، حتى جاء الاسلام فخلق فيهم هذه البيئة ، وكون عندهم العلقية العلمية التي هي ملازمة لها ؛ ثم كان المصحف العثماني بعد ذلك سبيلا لاقصاء كل اختلاف في القراءات بزيادة او حذف وادى الى ضمان الصورة الحقبة التي عليها القرآن لما انزله منزله سبحانه وتعالى .

وقد يعجب المرء من هذا التوفيق الذي حالف الاسلام والمسلمين حتى ادى بهم الى ما حفظ لهم الكتاب وصانه من الزيغ والتحريف ؛ واذا كان للمرء ان يعجب بهذا ويدكره في ضمن النعم التي اوليها الاسلام والمسلمون فان له ان يعجب اكثر من ذلك اذا وضع في الاعتبار طبيعة الظروف التي تم فيها جمع القرآن وتدوينه ، وهي ظروف تتميز بامية القوم في اغلبهم ، كما اسلفنا ، ثم تتميز ثانيا بالفتنة التي نجمت عن حرب الردة ، وما كان من الجائز ان تؤدي اليه من تشتيت الجهود ، وتشتيت المصادر الحية التي رجدت في صدورهم القرآن ، ثم تتميز ثالثا بانسياس العرب بعد ذلك في اقطار الارض فاتحين ومختلطين غيرهم من الامم ، وما كان من الجائز ان يؤدي اليه ذلك من اختلاف في القراءات ، قد يبلغ مستوى

الاختلاف حول الزيادة او النقص في بعض الاي ، ثم تتميز تلك الحالة رابعا ، بوجود المناوئين والكائدين للاسلام ممن كان من المفروض ان تؤدي مكائدهم الى احداث البلبلة والاضطراب في حفظ الناس للقرآن ، وهو لما يزل غير مدون في مصحف نهائي ، كمصحف الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه ؛ تلك كلها حقائق لا بد ان يعيها المرء جيدا ، ليتصور اية معجزة حدثت ، فضمنت للمسلمين كتابهم محفوظا ومصونا من العبث اندي اصيبت به كتب اخرى غير القرآن .

(2) ان هناك الى هذه الحقائق كلها حقيقة بارزة بالبداهة ، وذات أهمية كبيرة في الامر ، وهي ان القرآن - بعد ما دون وجمع بين دفتي المصحف العثماني - فان مستودعه مع ذلك ، لم يكن هو المصحف المكتوب فقط ، بل بقيت الصدور مستودعه الدائم الذي لا ينقضي ، وبقي المسلمون احفظ امة لكتابها ، تختلف بذلك عن غيرها من الامم ، التي لا يلم فيها بالنصوص الدينية الا خاصة الاحبار والرهبان ؛ وتلك ميزة للمسلمين ينعكس منها جانب من روح الاسلام الذي هو مشاع بين كل من هو ناطق بالشهادتين ، لا وصاية فيه لاحد على احد الا وصاية النصح والارشاد المتبادل .

(3) المجال الواسع ، الذي انفتح امام القرآن بلوغ رسالته الى مختلف امم الارض ، وذلك بصورته الكاملة المصونة من العبث كما اراد الله سبحانه وتعالى لها ذلك ؛ وهذا جانب آخر من المعجزة التي لها في الواقع اكثر من وجه ، واكثر من جانب ، وقد كان القرآن ، اساس كل اتصال بين العرب وغيرهم من ذوي الحضارات العريقة او غيرهم من ذوي المستوى الحضاري الاقل ؛ وعند ما كان المتحضرون يدلون بما لديهم من معطيات الثقافة والمدنية ، كان العرب يدلون بالقرآن ، وبما يشمل القرآن من حقائق الاولين والآخرين ، وآداب ونواميس واحكام ، بهرت غير العرب ، كما بهرت العرب من قبل ، وقادت الجميع الى الاخذ بالكتاب الخالد ، والاخذ نتيجة لذلك ، بمضمون الدين الذي يعبر عنه هذا الكتاب الخالد ؛ وقد عجب الناس طويلا من سرعة الفتوح العربية وانتشارها بين اطراف الارض على نحو ما انتشرت به ؛ ولا بد ان نتذكر بصدد هذا ، انه كان للقرآن في ذلك ، الاثر البالغ الذي لم يفقه اثر آخر غيره ؛ ولنتخذ من فتح العرب لاقطار المغرب مثالا في هذا المقام ؛ فقد وجد العرب في فتوحاتهم بالشمال الافريقي صعوبات في بداية الامر ، لم يلاقوا مثلها في عدد من الاقطار التي فتحوها ؛

بالمجتمع الانساني في عمومته ، ومن ثم كان فكر العربي الجاهلي في حد ذاته مشكلة مزمنة ، تستصفي - في الاحوال العادية - على كل بادرة تفتيح وتطوير يقصد منها ربط العقلية العربية ببقية العالم ، وجعلها على بصيرة من امرها ، بالنسبة لما هو قائم في العالم من اوضاع ، وما يسوده من قيم وافكار .

ثانيا - هناك صفة عقلية اخرى ، يمكن اعتبارها من مميزات الافراد ثم الجماعة في نطاق الوضعية الجاهلية التي كانت قائمة حينئذ ، وهي صفة سلبية ايضا ، مثل سابقتها ، مع ما ينجز عن السلبية هذه من نتائج سلبية كذلك ؛ والصفة التي اقصد ، هي صفة الحسية ، او الغفلة فيها ، الى القدر الذي لا يتترك منافذ تفكير حول ما وراء الحس الا بقدر ضئيل جدا ، ومحدود الاثر بقدر كبير ؛ حسية العربي الجاهلي ، كانت انعكاسا لحسية مجتمعه القبائلي العرفي ، وهو مجتمع كان مطبوعا بنتائج هذه الحسية المغالية ، تظهر معالمها عليه في مختلف آفاق حياته ومسالكه في التفكير والتقييم والاستنتاج والسلوك ؛ والواقع ان الحسية في حد ذاتها ، ليست - بالضرورة - صفة نقص فيمن هو موصوف بها ، من ذوي التفكير المادي الحسي ؛ الا ان الحسية لا ينبغي ان تكون مرادفة لمعنى الانفلاق الذهني ، حتى لا يكاد المرء لا يتبين من الحياة ، ومن آفاقها الا ما يحيط به ، او بعض ما يحيط به من كيانه البدني او الوجود المباشر الذي يلامسه ، وذلك - اذا ما كان في صورته العادية ، فهو شأن الافراد في بداية - تكون مداركهم ، حتى اذا تكونت هذه المدارك استوى هؤلاء الافراد ، عقولا حساسية مستبطنة ، تلمس من الوجود المباشر حقيقته الماثلة ، ولكن تحسس له وراء الحقيقة الماثلة منطوياته المعنوية العديدة ، وآفاقه المجردة ؛ ومن الملحوظ ، ان ارتقاء الافراد على هذا المستوى - يسير - في الاحوال الطبيعية على حسب مراحل العمر طفولة ورشدا ؛ لكن مجتمعا كالمجتمع العربي الجاهلي ، لم يستطع ان يتخلص من طور الطفولة ، كما ذكرنا ، فبقى فكره متلبسا بها ، لا يستطيع ان يتجاوز نطاق الحسية الضيقة ، على الرغم من انه كانت تبدو عليه بعض الميول المترفعة - نوعا ما - كغرامه بالبلادغة والفصاحة ، وشغفه بالصور المعنوية من هذا القبيل ؛ لكن هذا الميل كان محدود الافق هو بدوره ، كمحدودية افق الفكر العربي بعمومه ، الامر الذي كان يجعل من الصور البلاغية في كثير من الاحيان مجرد وسيلة تعبير عن نوازع الحس ، وابسط انواع الميول والفرائز التي لا

تخضع لانضباط عقلي مهذب وقد انبنى على « حسية » الفكر العربي الجاهلي ، وعجزه - في الكثير - عن التسامي الى آفاق اكثر رحابة من مجرد لمس ظواهر الوجود المباشر - انبنى على ذلك ان غرق العرب في نوع من الوثنية ، يعد من اكثر الوثنيات حسية ومادية ، كما تدل على ذلك قصص العرب وصور حياتهم قبل ظهور الاسلام ؛ وتلك الوثنية ، قد جعلت من الفكر العربي ، فكرا غير قابل للتفتح على عالم المعنويات الا بالقدر الذي لا تؤدي فيه هذه المعنويات الى تربية جذرية للعقل ، وتعميق لمعطياته ؛ وقد عاش الاغريق قبل ذلك تجربة التفكير الميتافيزيقي ، متفلفلين به الى درجات بعيدة ، ولكن محدودية التفكير الانساني وضعفه الطبيعي ، لم يمكن الفكر الاغريقي نفسه ان يصل - في موضوع العلاقة بين الدين والانسان - الى اقرار صورة اخرى غير تلك النظرة الى الالهة الخرافية التي تعكس عند تخيلها سذاجة ملحوظة في التصور والادراك ، تتفق مع طفولة الفكر الانساني ونقص عوامل النضج - بالتالي - فيه ؛ اما المجتمع العربي الجاهلي ، فقد كان في تصورات وممارسته لا يقل سذاجة في التصور والادراك ، وخرافية بالنتيجة لذلك ؛ الا انه يبدو أكثر ايفالا في الحسية ، وعدم القدرة على التجريد ، تبعا لما اتسم به ذلك المجتمع من ضيق افق عقلي ، وما كان عليه من تقوقع فكري عاجز ، الامر الذي لم يكن يسمح له ان يتجاوز حدود البيئة الوثنية التي كان ملتصقا بها ، وهي وثنية مغالية في الحسية الى درجة السذاجة الصبانية كما اسلفنا .

* * *

من هذا المنظور - ولو اننا لمحا له مجرد تلميح عابر فقط - يمكن ان نتبين مظاهر المعجزة التي حدثت والتي تتمثل في ان مجتمعا على هذه الصورة المتخلفة جدا ، قد تحول في وقت وجيز - وبصورة لا يستطاع تحليلها بمقاييس التعليل العادي - قد تحول فعلا من الصورة التي راينا الى صورة مناقضة لها تمام المناقضة ؛ وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اساس التحول لهذا ، بطبيعة الحال ، ولم يكن للرسول في كل ذلك ، وسيلة اكثر فاعلية واضمن نتيجة ، من هذا القرآن الذي هذب وهدى ، وعالج ففسق واحداث - على اضخم صورة موجودة - التحول المعجزي الذي سجلته المراحل الاولى للدعوة ، وقد كانت تلك المراحل بآنة حاسمة في حد ذاتها ، لم تقتصر الى زمن طويل ، لكسي تنضج عواملها ، وتتوافر لها فاعلية كاملة ، واستمر

سبيل القراءة والكتابة والعلم (سورة القلم) وما فتئت السور تتوالى بعد ذلك ، تتضمن فيما تتضمنه دعوة الى العقل والمقولة ، وافادات عظيمة في شتى اغراض العلم والمعرفة ، الامر الذي كان له التأثير المعجزي على العرب في الصدر الاول كما اسلفنا ، واستمر هذا التأثير المعجزي بعد ذلك كما نتبين ملامح منه فيما يلي:

(1) تكونت في غضون دولة الخلفاء الراشدين، وائناء الدولة الاموية الى نهايتها ، بذور حركة علمية ، هي التي نمت فيما بعد ، وترعرت الى ان تبلورت في شكل الحضارة العربية الاسلامية ، على ما نعهدها عليه من ناحيتها العلمية ؛ وقد كانت هذه البذور خلال القرن الاول واولائل الثاني كانت اساسية وحاسمة في الامر ، بحيث انه كان على اساسها اتجاه الحركة العلمية ، ومصيرها فيما بعد ؛ غير ان الذي يمكن ملاحظته بهذا الشأن ، هو ان هذه البذور بكل ما لها من اهمية في اتجاهات الاحوال ثقافة المسلمين وحضارتهم ، فقد كان العامل الكبير فيها اي في هذه البذور ، هو القرآن الكريم ، وما فرضه من مقتضيات عقلية وعلمية، وجهت المسلمين بالضرورة وجهة البحث والاطلاع ، وافتح لهم من ذلك المنفذ الذي قادهم على المدى الطويل ، الى بناء ما ابنتوه من جهاز علمي قوي وشامل ، فقد وجد المسلمون منذ البداية - ان هناك ضرورة ملحة لتقعيد قواعد التشريع في الدولة ، بعد ان صارت - اي الدولة - جامعة لامم واجناس ، لابد ان ينتظمها تشريع منظم وشامل ، يستوعب قضاياها الدينية والدنيوية وهي قضايا يتخذ بعضها صبغة المشاكل في كثير من الاحيان ، نظرا لتشعب الاتصالات وتداخل الثقافات والحضارات في كيان الدولة الاسلامية التي كان عليها ان تهضم كل ذلك ، وتستوعبه وتضع الاساس الديني والدينيوي الاسلامي ، البديل عنه ؛ ولا شك ان تقعيد التشريع ، كان اساسه النظر في القرآن ، وهذا النظر قد جعلت منه دواعي الحاجة العلمية والعملية ، جعلت منه نظرا متشعب المناحي ، كثير المقتضيات ، ذا صلة بمختلف ضروب المعرفة الموجودة ، والتي كان من اللازم ان توجد ، وهكذا كان للنظر في القرآن داعيا للنظر في لغة العرب ومنطوياتها اللفظية والمعنوية ، وداعيا للنظر في القصص والتواريخ - الايام ، وداعيا للنظر ايضا في الحديث وفتونه ، رجاله ، ثم كان حافزا بعد ذلك على النظر في الفلسفة المنطق والجدل ، وغير ذلك من العلوم التي ارتبطت بنظر فيها بعضه مع بعض ، وكانت نقطة الانطلاق في كل لك هي القرآن ، وكان في ذلك تكريس لمعنى العلمية

والعرفانية المرتبطة بكتاب ، نزل اول ما نزل بذكر

القراءة والعلم والقلم .

(2) التيار العلمي الذي خلقه القرآن في كيان المجتمع العربي الاسلامي ، لم ينحصر - كما قد يبدو عند النظر السطحي - في خصوص المواضيع الدينية واللغوية والفلسفية والتاريخية وما في حكمها ؛ لقد اتجهت اهتمامات المسلمين ايضا الى العناية بالعلوم المادية المختلفة من طب وطبيعة وكيمياء وغيرها ، ويجب اعتبار الصلة الرابطة في هذا المجال ايضا بين القراء ، واتجاهات المسلمين من هذا القبيل ؛ وتبرز لنا من هذا المعنى نقطتان : (1) وجود عدد من السور متضمنة مسائل من العلم المادي من طب وحيوان وفلك وغيره ، ولا بد ان تكون الرغبة في تفسير مثل هذه الآيات العلمية داعيا الى التوسع في بحث المضامين العلمية التي تشير اليها ، الامر الذي من شأنه ان يوجه الاهتمامات الى العلوم المادية المختلفة ، كما توجهت اليها هذه الاهتمامات بالفعل ، خصوصا وقد تهيأ للعرب اتصال مبكر ببعض المصادر الحية لهذه العلوم ، كاطب ، مثلا ، فقد توافرت الروايات القائلة انه وجد في البلاد عدد من الاطباء النصارى واليهود عماوا لفائدة الخلفاء ، وقد افاد العرب منهم في البداية عمليا ، ثم كانت الاستفادة النظرية التي ادت الى معرفة علمية مستقلة بالطب وغيره ، اكتسبها العرب ، وخصوصا بعد ان نضجت ملكاتهم العلمية بالقدر الذي نضجت به خلال القرون التالية للقرن الاول الهجري . (ب) هناك بالاضافة الى السور والآيات العلمية التي تضمنها القرآن ، آيات اخرى - وهي كثيرة - تشتمل في مضمونها على توجيه الى العلم وحث على النظر في الحياة والطبيعة ، وكل ذلك له - بطبيعة الحال - تأثيره الفاعل في اذهان قوم ، يوجد القرآن مصدر توجيههم الاول والاخير ، وممكن استيحانهم ، ومورد تكييفهم العقلي ، على نحو ما تم عليه ذلك التكييف العقلي .

وهناك قضية اخرى جديرة بالالتفات اليها في موضوع التأثير القرآني خلال العصر التالي للصدر الاول ذلك هو ما تم منذ القرن الاول ، والذي يليه ، من انصهار الكثير من افراد الشعوب الداخلة حديثا الى الاسلام في مضمار الثقافة الاسلامية العربية ، وبالاخص بروز عدد من افراد الامم المختلفة (اي الموالي) في نطاق الثقافة الاسلامية العربية ، كموامل فعالة منتجة ، بل وكرواد مبدعين ، ياتون بمثل ما اتى به العرب في حظيرة الثقافة المشتركة بين الجميع ،

عند الجماعة كما عند الافراد ، بان هناك مجرد حالة مهاجمة لهم ، تستهدف اكتساحهم وابتلاعهم لمجرد الاكتساح والابتلاع فقط - مثل هذا الشعور داع بطبيعة الحال الى اثاره شعور ملازم هو شعور رد الفعل ، وتحريك عوامل رد الفعل هذا على نحو عملي ؛ وليس هناك ما يخفف من شدة رد الفعل الذي ذكرنا ، ويجرده من صيفته كبادرة مقاومة ، او محاربة ، الا الشعور الذي قد يحتاج الجماعة ، ان الامر الذي تواجهه ، ليس هو امر تهديد بالاكتساح لمجرد الاكتساح ، وانما هو حركة التقاء فكري وحضاري ، المراد منه التفاهم على الحسنى ، والتضافر على اقامة موازين للحق والعلم والخير ، موجهة لصالح الجميع ؛ وذلك ما بدا فعلا للمجتمع البربري الذي كان دائم الانتقاض على العرب ، فاذا بهذا المجتمع وسورة الانتقاض تخفت عنده الى النهاية ، فيما تلتهب في نفس الانسان بهذا المجتمع حمية من نوع معاكس ، حمية من اجل القرآن ، لآخذ حاملي رسالة القرآن ؛ حمية جعلت من البربر عماد البعثات الفاتحة في شبه الجزيرة الابيرية والاقاليم الاوربية الواقعة منها الى الشمال ؛ واهلتهم - على اساس ذلك - لتحمل رسالة في التاريخ ، هي رسالة تحقيق الاسلام الاوربي الغربي ورعايته لمدى قرون .



واستمر الزمن بعد ذلك ، متلاحق بعضه ببعض ، واستمرت المعجزة معه ، معجزة القرآن ، بكل نصاعتها وقوتها وفعاليتها العظيمة ؛ وقد انقضى القرن الاول على المسلمين ، وبدا القرن الثاني ، والرسالة القرآنية قد بلغت من آفاق الارض حدودا بعيدة جدا ، سواء في الشرق او في الغرب واتخذ الموقف العربي صورته المتبلورة ، التي تتمثل في وجود مواطن قدم للعرب جملة الرسالة القرآنية على ربي الشام والعراق وفي جبال افريقيا والاندلس ، او على هضاب فارس وما جاورها ، او غير ذلك من مواقع الارض الافريقية او الاسوية او الاوربية .

وهذه الصورة المتبلورة في النطاق المادي ، كان لابد ان توازيها صورة متبلورة اخرى على مستوى الفكر والعلم والحضارة وما يتصل بذلك ؛ ولم يكن القرآن غائبا في هذا المجال ، كما لم يكن غائبا في غير المجالات الايجابية الخيرة ؛ والكتاب الكريم - كما نعلم .. نزل اول ما نزل - على اساس الدعوة السوية

ونعلم ان البربر قد تارجحوا بين الاستسلام للفتح العربي والتنكر له امدا طويلا ؛ والتعليل الذي يورد في العادة لتفسير هذه الظاهرة يتلخص في ان البربر لم يكونوا يعلمون في البداية من امد الدعوة ومحتواها الفكري والاخلاقي ما يجب ان يعلموه ، ولعل الكثير منهم لم يكونوا يرون في الانسياح العربي باقطار المغرب الا انه مجرد عملية غزو وافتتاح وكفى ؛ بيد ان طول احتكاك البربر بالعرب ، واستمرار الوجود العربي بامصار المغرب ، قد ساعد على تفتيح اعين البربر على ما يجب ان يفتحوا اعينهم عليه ، وتبين لهم اخيرا ان الامر ليس امر حرب او غزو ، بقدر ما هو امر حركة تحرير وتقويم وتطوير ، عليهم ان يندمجوا في تيارها ، لصالحهم هم ، قبل ان يكون لصالح غيرهم ، بل عليهم ان يحاولوا امتلاك زمام التيار هذا ، ويضبطوا حركته القوية الفاعلة ، ويتبينوا جيدا مواقع اقدامهم منه وموقفهم فيه ، حتى يمكنهم ان يصبحوا من مالكي عنانه ، وموجهي دفته ، لا ان يكونوا مجرد مسوقين ، لا يدلهم في الامر ولا تدبير ، وكان عهد موسى بن نصير بالمغرب حاسما في هذا المعنى ، حتى اصبح البربر بعد ذلك - بفضل الاقتناع الذي لهم بالاسلام - بمثابة خط الدفاع الاول عنه ، وفي مقدمة الركب الذي يورد له الافاق الجديدة بالاندلس وغيرها ؛ وقد كان القرآن مادة الاساس في كل هذه التحولات التي وقعت ، وضامنا نتيجتها على النحو الذي حصلت به هذه النتيجة ، اذ ان القراء والفقهاء من العرب ، كانوا قد انتشروا على عهد موسى بن نصير بين القبائل البربرية يعرفون رجالها نصوص الكتاب الحكيم ، ويتدارسون معهم آياته واحكامه ، حتى تم على اساس ذلك التفهم البربري بأكثر ما يكون متانة وعمقا لحقيقة الدعوة ، وحقيقة الكتاب الذي يعبر عنها ؛ وادى هذا التفهم كما ذكر - الى ما اصبح عليه الامر بعد ذلك من شديد الصلة بين البربر والاسلام ، والتحامهم بالقضية الاسلامية ، الالتحام الذي افضى الى ما هو معروف من اصالة المركز الاسلامي بهذه الديار ؛ وما سقناه عن المثال المغربي ، ينطبق على كثير من الحالات الاخرى من هذا القبيل في غير المغرب ؛ فالقرآن كان بين ايدي العرب ، وسيلة مهمة جدا في تعبيد السبيل امامهم نحو الامم الاخرى ، وتبليغ الدعوة اليها ، واقناعها بان امامها حالة جد ايجابية معروضة عليها ، وتتطلب منها حسن اختيار ، وحسن ممارسة لما تختار ؛ وتلك ظاهرة نفسانية ، من بين اكثر ما هو معروف من ظواهر النفس ، واعراض ردود الفعل النفساني ؛ فالشعور

3) وليس من الضروري ان يقف القرآن موقف الرد على التحديات وكفى ، وانما هناك اساس - وهو معقول جدا ، وضروري جدا - لكي يؤدي المسلمون برسالة القرآن اليوم ، مثل ما اداه القرآن من رسالات نحو المجتمعات الانسانية في العصور السابقة؛ ان ازمة العالم اليوم ، هي ازمة الحيرة والشك والخوف من المصير ، وليس للتقنية ما تستطيعه لضمان اطمئنان انساني ، في هذا المجال ؛ وقد تنكر العلم المادي للفلسفة طويلا ، وهو الان بصدد الرجوع اليها، الملاءمة بين الحقائق المادية المتطورة في محيطه ، والمقتضيات الانسانية التي لم تستطع التكيف مع الواقع التقني في كل احواله وصوره ؛ ولا يستطيع المرء ان يتصور وجود انسانية ، تقوم حياتها على اعتبارات الآلة والتحرك الآلي والانجاز التقني دون ان يبدو من ذلك للانسان افق معنوي واضح ، يبرر له وجوده الانساني من اساسه ويعطي للوجود والمصير مسوغا مقبولا في العقل ، متلائما مع الوجدان ؛ ان للانسان في القرآن ، كثيرا مما يستقيه في هذا المجال؛ وليس امام المسلمين ، لكي يضعوا مفاتيح الافادة من القرآن بين يدي انسانية محتاجة الى هذه الافادة ؛ ليس المسلمين ، من اجل ذلك الا ان يعرفوا كيف يعرفون غيرهم بالمضامين الانسانية في القرآن ، وكيف يفتحون على ذلك اعين انسانية حائرة في امرها ، لا تكاد تعرف لها مصيرا واضحا .

سلا : المهدي البرجالي

ما جاء في هذه الآية او الاخرى من القرآن ؛ فالواقع ان الجري وراء مواطن التطابق بين القرآن والعلم شيء غير ضروري دائما ، لتأييد مضامين القرآن ؛ لان الكتاب الكريم هو قيمة ابدية خالدة ، وليس العلم كذلك ، لانه وليد التجربة المنبثقة عن الحس ، او ناشئ عن جملة من المحاكمات العقلية ، وكل ذلك قابل لان ينقض بعضه بعضا او يعدل بعض منه الاخر ، كما يقع ذلك في الكثير من الاحيان ، ضمن تأرجحات العلم وتبلوراته الدائمة ؛ انما الذي تقصد من موقف القرآن من تحديات العصر، ان هذه التحديات لم تستطع ان تجرد النفوس من الحاجة اليه ، كوسيلة استنارة واستعلام واهتداء ؛ اصف الى ذلك ، ان المقاصد الانسانية في القرآن ، ما زال الحال يكشف عنها انها اساس - وليس من اساس بديل عنه - لبناء علاقات صحيحة ودائمة ، فيما بين المرء ونفسه ، وفيما بين الافراد بعضهم مع بعض داخل اطار المجتمع الخاص ، او ضمن نطاق المجتمع الانساني العام ؛ ولا نطلق مثل هذه التاكيدات من قبيل التعصب للمذهب الديني ، او مسايرة الآراء حوله ، وانما هي خلاصة تجربة فكرية خالصة ، ونتيجة مشاهدات ومحاكمات عقلية يوصل اليها - بالضرورة - كل من يعمل النظر في مضامين القرآن من جهة ، وفي مشكلات العصر الانسانية من جهة اخرى .

« وكلما تفرق المسلمون شيعة ، وذهبوا طرائق قددا ، وخذل بعضهم بعضا ، وتنكروا للمبادئ القويمة التي قام على دعائهما صرح نهضتهم المنيف ، وشامخ مجدهم التليد وجد العدو - المتربص بهم الدوائر - الى صفوفهم مدخلا ، والى قلوبهم سبيلا » .

جلالة الحسن الثاني

ويذهب بعضهم مذهبا اكثر تفوقا ، فياتي باكثر مما اتى به مماثلوه من العرب الاقحاح ، وقد برز من بين الموالى في رواية الحديث اعلام من مثل مجاهد ومحمد ابن مسلم ، وعطاء وعكرمة ، وعرف من كبار النحويين ، مثل سيبويه والفارسي والزجاج ، واشتهر من الفقهاء وغيرهم عدد مثل ذلك كثير ؛ وبطبيعة الحال ، فان النظر الديني - واساسه القرآن - كان داعيا مباشرا او غير مباشر لذلك ، فقد التقت - في هذا المجال - نفسية التشيع بروح الاسلام عند هؤلاء الموالى ، وعقلية علمية منتجة ، متوافرة عندهم في الاصل ، فكان تفاعل ذلك في عقولهم ، اساسا لما اتوا به من مبادرات منتجة ، اهلتهم لما تاهلوا له في نطاق العلوم الدينية ، وما يتصل بها ؛ واو لم يكن الداعي الديني - القرآني اساسا في هذا الشأن لكان نبوغ الموالى موجها الى حملة من العلوم الدنيوية التي ورثوا الاحتكاك باصولها في بيئاتهم الاولى ، غير الاسلامية ، ولما كان لهم بالتالي مثل هذا النبوغ الذي ابرزوه في حظيرة العلوم الدينية ، التي انشأها الاسلام ونمى رصيدها بروحه ومقتضياته ؛ والمهم في هذا الامر من اساسه ، ليس هو مجرد المشاركة العلمية من قبل هؤلاء الموالى ، في مضمار الثقافة العربية الاسلامية ، وانما المهم - اكثر من ذلك - هو ما تشير اليه هذه المشاركة من انصهار الفكر العجمي والعربي ضمن بوتقة واحدة ، واندماج المعجم في حركة ثقافية عالمية ، تقوم على اساس لغة العرب وادبهم ، وترتكز على القرآن الذي تعبر عنه هذه اللغة ، وما يربط بالقرآن من علوم وفنون تشعبت الى هنا وهناك ، مع ان نقطة انطلاقها واحدة كما ذكرنا ، وهي القرآن الجيد .

* * *

واستمر الزمن بعد ذلك متلاحق بعضه ببعض ، واستمرت المعجزة معه ، معجزة القرآن بكل نصاعتها وقوتها وفاعليتها العظيمة ؛ وفي عصرنا هذا ، عصر اضطراع المذاهب والنظريات الوضعية ، وتصادم الاتجاهات والنوازع الفكرية ، وتنكر الكثير من هذه المذاهب والنوازع لآمد الروح وما تدعو اليه الاعتبارات الروحية من مثاليات حسنة ؛ في هذا العصر ، وما يصطرع فيه من اضداد ، يبرز القرآن الكريم ، كما كان منذ اربعة عشر قرنا ، وكما لا بد ان يكون - الى قيام الساعة - كتاب هداية لمن اضلته المسارب المظلمة في الحياة ، ومصدر اشراق لمن غمت عليهم الافاق ، ومنبع احياء لمن ايسوا من نجوع وحي العقل المجرد ،

واقنعوا انه غير موصل الانسانية - بمفرده - الى اقوم طريق - وان كان قد اوصلها الى مركب شديد التعقيد من الانجازات التقنية مشكلة الانسان الآن ، انه قد ابتدعها دون ان يستطيع السيطرة عليها ، وكونها من غير ان يكون له في المصير المؤدية اليه ، قدرة اشراف كاف ، او مراقبة فعالة ؛ في هذا النطاق ، نطاق هذا العصر ، نستطيع ان نتبين بعضا من اوجه العلاقة بين الانسان الحاضر والقرآن ، وان كان نظرنا في هذه العلاقة ، غير مستوعب وانما هو من قبيل التمثيل لا غير ؛ ثم انه منبثق على معطيات موضوعية ، واخرى محتملة فقط ، او في حكم الاحتمال .

ان من ابرز الخواص التي يتميز بها القرآن في يوم الناس هذا ، انه - من بين الكتب السماوية كلها - لا يزال الاكثر احتفاظا بالخطوة عند قومه من المسلمين ، ينبع ذلك من عظيم الصلة بين القرآن والانسان ، وليس لاي عامل مضادان يرد موجبات هذه الخطوة ، او يقلص منها بالقدر الذي لا يعود لها فيه فاعلية حية وقائمة ؛ ولا يقصد بالخطوة هنا مجرد الشهور بالتقديس نحو الكتاب ، وانما المراد - اكثر من ذلك - ان الكتاب ما فتى يتوافر له - وباستمرار - مجال يومي في اذهان الناس بالعالم الاسلامي ، وفي حياتهم العامة ، بالقدر الذي لا يتوافر للكتب السماوية الاخرى في حياة المنتمين اليها ؛ فالانجيل لم يعد في الاعم الغالب الا كتاب خاصة الرهبان والقسيسين ، وليس للعموم المسيحي علم به ، بقدر ما للعموم عند المسلمين ، ولا تختلف التوراة عن ذلك كثيرا ، علاوة على ان الديانة التي تعبر عنها التوراة ، ديانة تيمش في نطاق محدود جدا ، وليس لها من مجالات التفتيح على العالم ، ما للقرآن ، والديانة التي يعبر عنها القرآن .

الديانات تواجه من تحديات العصر ما لم يسبق له مثيل من قبل ؛ والتحديات ضد الديانات ، تدخل في اطار التحدي الذي يوجهه المنهج العلمي المادي ضد جميع القيم والمواضع التي لا تدخل - بالضرورة في نطاق التجربة الحسية ؛ وهذه التحديات الموجهة للديانات ، توجه بطبيعة الحال الى الكتب السماوية ؛ ضمن ذلك ؛ بيد ان الذي يلحظ بهذا الشأن ، ان القرآن الكريم ، قد سجل من التفوق قدرا باهرا في مضمار الوقوف ضد التحديات العقلية والتجريبية التي يواجهها منطق العصر وعقلانيته في مثل هذه الاحوال ؛ ولا اقصد بذلك ، ما يذكر احيانا من كوابات معينة من الكتاب ، تنطبق على قضية كذا وكذا من قضايا العلم ، او ان قضايا العلم تتفق مع مضمو

ذكرى نزول القرآن

درس ... وعبرة

لأستاذ عبد العلي الوزاني

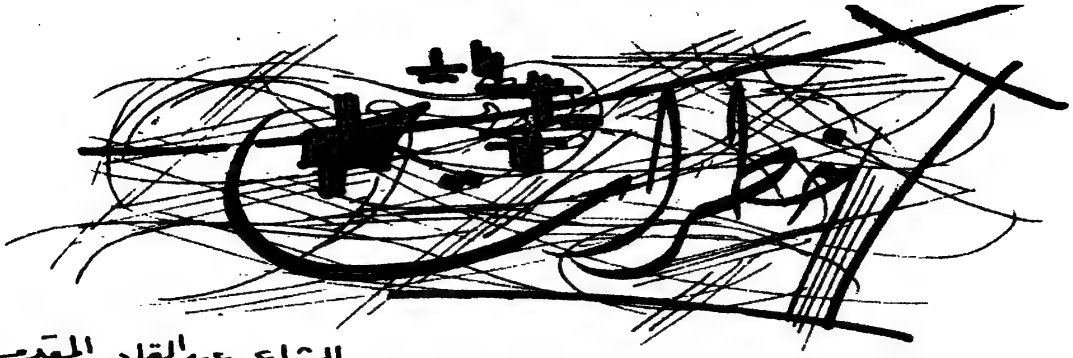
لشخصيتها أكثر عمقا واقرب الى الصحة ، كلما ألزمت نفسها ألا تتخذ من الاحتفال بالذكريات ذريعة للمكوث في الماضي والاستغراق فيه ، وإنما هي تعود اليه لتأخذ ما هي في أمس الحاجة اليه من قوة دافعة ، تدفع بها في طريق التطور، وتهبها الثقة بالنفس لافتحام المجهول ، والسير الخثيث في مضمار الحضارة ، خصوصا اذا نحن اقتنعنا بان من الاحداث الماضية ما لا تكون قيمته محدودة بحدود الزمن الذي وقع فيه ، وإنما هو حدث خالد ، ما تفتأ آثاره تتجدد جيلا بعد جيل ، ولا يكون مضي الزمن بالنسبة اليه ، إلا فرصة لابرار ما له من قيمة خالدة ، تترى آياتها على مر السنين والاحقاب .

وكل أمة مهما كانت مساهمتها في بناء الحضارة، إلا ولها عدد من الذكريات العزيزة عليها ، الاثيرة عندها، والتي تعود بها القهقري ، الى فترات من تاريخها البعيد أو القريب ، لتعيش حدثا عسكريا ، أو اقتصاديا ، أو سياسيا أو دينيا ، ذلك ان البناء السياسي للامة لا يمكن ان ينهض وان يستمر ، دون مجابهة عدد من المصاعب والازمات ، التي تقف في معارضة شخصية الامة ، وتخضعها لامتحان قد يكون عسيرا أو بالغ العسر . اذ ان عملية البناء ، بناء الامة ، لا يمكن ان يكون موكولا الى مجرد الظروف والمصادفات ، بل لابد من وجود الزعامة الحية ، والقيادة الواعية ، للخروج بالجماعة من حالة الفوضى والانحلال ، الى حالة التجمع والتكامل والتعاقد ، قصد بناء شخصية لها طابعها ومميزاتها . ومن المعلوم ان ظهور الزعامة الوطنية لابد ان يواجه قوة أخرى معارضة ، قد تكون هذه القوة عدوا في الداخل أو الخارج ، وقد تكون هي التخلف نفسه ، وقد تكون قسوة الطبيعة ، أو خرافات تعيش في ادمغة الناس، أو غير ذلك . ومقاومة

تستمد كل ذكرى قيمتها ، من قيمة الحدث الذي ترمز اليه ، وتستمدّها من مدى احساس الناس بأهمية ذلك الحدث ، وما قد يكون له من خطر في تاريخ حياتهم . فعظمة الحدث ، في حد ذاته ، لا تغني عن الوعي به وتمثل معانيه ، والنفوذ الى اعماقه البعيدة . بدليل ان كثيرا من الاحداث القوية الاثر في تاريخ الناس ، قد تمر مناسباتها دون ان تحاط بما هي اهل له من احتفاء واهتمام ، ذلك لان الوعي بها ضعيف أو هو مضمحل على الاطلاق .

ومما لا شك فيه ، ان شعور الامة بأمجادها وبطولاتها ومدى مساهمتها في حضارة الانسان ، يعتبر دليلا على تنبها لشخصيتها وحرصها على استمرارها على مدى العصور والاجيال . ومن ثم فهي تعمل بمختلف الوسائل ، لتجعل من ذكرى احداثها التاريخية البارزة ، حقيقة تعيش في وجدان الفرد والجماعة ، فتسخر لذلك وسائل الاعلام ، واجهزة الثقافة ، وتجعلها ضمن كتب الدراسة ، وتقيم لها من المهرجانات الدورية ، ما يزيدها في نفوس الناس رسوخا وتمكنا ، حتى تضمن استمرار تمجيدها والشعور بأهميتها لدى الناشئة والجيل الصاعد ، الذي يهيا عن طريق التربية المنزلية والمدرسية والاجتماعية والسياسية ، لنقلها بكل معانيها ومغازيها الى الجيل الذي يليه .

وليس الاحتفال بهذه الذكريات القومية متعارضا مع مقتضيات التطور والتقدم والتطلع الى المستقبل ، لما قد يتبادر الى اذهان البعض ، وإنما هو عمل من شأنه المحافظة على شخصية الامة ، لاستمرارها وتجديدها وتطورها ، وشخصية الامة لا تتكون من الحاضر فقط ، وإنما هي مكونة من الماضي والحاضر والمستقبل ، واستطيع القول ، بان الامة كلما كان وعيها



للشاعر عبد القادر المقدم

وتراءت آي الهدى فى علائم
تنفج الارض من كريم الوائم
للنبى الامى حر العزائم

اشرق الكون بعد عهد غائم
السموات اولمت فى ابتهاج
ذاك جبريل جاء يحمل بشرى

* * *

بعد جهد ، والوحي سر العظائم
هى ادهى من كل هول حائم
كان للرسل قبله من لوائم
خصوم غلف القلوب سوائم
تفريه فى اذاه سخائم
يحدوهم ، جحود دائيم
بيتوا ، من مكاييد وجرائم
ويطلى للمكرمات الدعائم
يشبه من آيه بالملائم
من عجيب البرهان من كل رائم

اقدا المصطفى نزيل حراء
وتوالت على النبى شئون
هب فى قومه نذيرا ، وياما
فانبرى منهم ، يناويء مسماه
كم سفيه من اهله يعلن البغضاء
وتباروا فى النيل من دعوة القرآن
واذا الوحي فى تصد الى ما
يكشف السر عن نواياهم ، السود
يتحدى اولي الفصاحة ان ياتوا
يتحدى العقل السليم باسمى

* * *

تحدى قياصرا بالعزائم
تتلاقى فيها صنوف الفنائم
ومن بعد ، ماتوالت غنائم
اكرم به كتابا دائيم

واستوت للقرآن دولة عز
واتاحت للعقل فجر حياة
هبة الشرق للمغارب من قبل
لغة العرب خصها الله بالفرقان

* * *

بها نعمة على كل صائم
رابع بعد عاشور كالتوائم
ويطلى اماننا فى الكرائم
فى امتداد الاعمار ، والدهر نائم

ليلة القدر هذه اكمل الله
نحتفى بانتهاء قرن سلام
فى ابتهاج لله ان يحفظ العرش
ولتدم للولى اعالى حياة

* * *

فرننت ، كما ترن حمائم

خطرات اتاحها عظم الذكرى

طنجة - عبد القادر المقدم

يحتفل بذكرى نزوله فقط ، ولكن لان هذا الاحتفال جاء ونحن في أمس الحاجة اليه ، لعله يرمم ما تداعى من كياننا ، يجمع ما تشتت من صفوفنا ، ويذكرنا بعزنا القديم ، ومجدنا الجديد .

(2) ان الشباب العربي اليوم ، قد فتن فتنة كبرى عن دينه ومقدساته وضعف وازعه الديني ، واصبح بفعل عوامل كثيرة خاضعة للتيارات والمذاهب الفكرية والفلسفية الهدامة ، غير مفرق بين المعرفة التي يجب الا تعرف الحدود ، وبين المحافظة على الكيان الديني الاصيل ، وما ذلك الا لان المذاهب صادفت فيه فراغا روحيا وعقائديا ، بسبب عدم تجديد الدراسات الدينية ، وعدم مسيرتها لروح العصر ، في اغلب البلاد العربية ، واكتفاء جل علماء الاسلام بالوعظ والارشاد ، وهو اسلوب اذا كان فيه من نفع ، بالنسبة الى العوام من الناس ، فهو عديم الجدوى بالنسبة للشباب الذي التقى بأحدث النظريات العلمية الحديثة ، بمنهجها وطرقها الدقيقة ، الامر الذي جعله غير مستعد لتصديق كل ما يلقي اليه . هذا الفراغ الروحي الخطير ، اسرع بشبابنا العربي الى الارتواء في احضان مادية الغرب ، متشككا في دينه وعقيدته ، فلعل الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة ان ينبهه الى واجبه كشباب مسلم ، ينتمي الى امة مسلمة ، فيذود عن دينه ، مستخدما ما توصل اليه من علوم حديثة ، وما كونه من تفكير علمي ، في دراسة هذا الدين ، والبحث عن اسرار عظمت ، ومن يدري ؟ فلربما كان من نتائج ذلك وجود تلك الحلقة المفقودة حتى اليوم . فنحن اذا نظرنا نجد ان المثقفين المسلمين قسمان : قسم له اطلال واسع على الدين ، بتشريعاته واحكامه ومقاصده ، ولكنه غير مزود بقدر كاف من الثقافة العلمية الحديثة ، الامر الذي يجعله غير قادر على الملازمة بين المواضيع الدينية التي يتعرض لها ، وبين مناهج العلم الحديثة ، فتجيب كتاباته غير مقنعة للجيل العربي الجديد المتعلم ، ولا مفحمة لخصوم الاسلام الاجانب . وقسم نهل من ينابيع المعرفة الحديثة ، في الطب ، والاقتصاد ، والعلوم الطبيعية ، والرياضيات وغيرها ، ولكنه لم يحاول حتى الان استخدام عقله العلمي في معرفة دينه ودراسته على أسس علمية صحيحة ، ولا اقصد بهذا طبعاً تطبيق مناهج هذه العلوم حرفياً على الدراسات الدينية ، فمما لا شك فيه ، ان المناهج تختلف باختلاف العلوم والفنون ، وانما المراد هو ان تكون الدراسات

الدينية قريبة من المناهج العلمية الحديثة ، مسترشدة بروحها لا بحرفيتها .

(3) التنويه بهذا الكتاب المعجزة ، الذي قوى على البقاء ، كل هذا العديد من السنين ، بالرغم مما تعرض له المسلمون من تكبات ، وما اصابهم من نكسات ، في ادوار من تاريخهم الوسيط والحديث . وبقاء كتاب هذه العقود الطويلة من السنين يقرا ويتلى ، ويدرس ويعلم للناس ، ليس بالامر السهل ولا بالهين ، وهنا يجب ان نذكر بكل اكرام واجلال ، جهود علمائنا المسلمين المتقدمين ، لما قدموه من خدمات لهذا الكتاب ، وما تناولوه من دراسات ، وما احاطوه به من عناية وتكريم ، حتى اوصلوه الينا بكل اخلاص وامانة ، ولعل صنيعهم ان يكون قدوة لنا نحن مسلمي هذا العصر حتى نسلّمه الى الاجيال القادمة ، كما استلمناه نحن من الاجيال الماضية ، ليكون في ذلك الضمانة الكبرى لاستمرار الشخصية الاسلامية ، على مر العصور والاجيال . فنحن بقاءنا مرهون ببقاء كتابنا الذي هو القرآن ، لا كدول الغرب المسيحي ، والفرق بين الطائفتين ، هو اننا لا تفرقة عندنا بين شؤون الدين وشؤون الدنيا ، فالاسلام دين ونظام ودولة ، اما الغربيون المسيحيون ، فعندهم ان الدين ان هو الا علاقة العبد بربه ، اما علاقة الفرد بالدولة ، فهي القانون ، كما هو مبسط حتى في كتب الفصول الثانوية ، لذلك فهم يحصرون الدين داخل الكنائس ، اما نحن فالدين دائما معنا ، اذا اخذناه على اساسه الصحيح ، وبمنهجه العام ، كان بيننا وبين انفسنا وضامنا ، في المصنع ، والمكتب ، في البيت ، في المدرسة ، في كل مرافق الحياة ومجالاتها . فاذا خلت حياتنا الخاصة والعامة من عنصر الدين ، لم تكن مسلمين . وهذا معنى قولنا ان بقاءنا واستمرار وجودنا كأمة ، رهن ببقاء القرآن ، اذ بفضل خرجنا من طور القبيلة المتعصبة ، الى طور الامة المتحدة .

واذن فالاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن ، هو في الحقيقة احتفال بمرور اربعة عشر قرنا على وجود امة القرآن ، الامة الاسلامية الخالدة . وتأمل معي هذا الالتحام والامتزاج بين مجموعة من البشر ، وبين كتاب سماوي ، بحيث اذا ضاع احدهما ضاع لآخر (1) واذا بقي احدهما بقي الآخر ، فهما متلازمان لا سبيل الى الفصل بينهما بآية طريقة من الطرق . ولا اعلم ان هناك امة على وجه الارض ، منذ

(1) هذا مع العلم بان القرآن باق ابدًا ، لان الله تكفل بحفظه ، واذن فامة القرآن باقية ابدًا .

وبركة على العالمين ، دفع الحضارة الانسانية الى الامام ، واعطاها من المعاني الرفيعة ما سماها الى المرتبة العليا ، ونشر مبادئ الاخاء والعدل والمساواة ، ومنع العدوان والاعتصاب والاستبداد ، وكان حياة للضمان ، وقوة للجماعة ، وحصنا للشعوب ، ونبراسا للحائرين ، وهداية للضالين ، وهيات ان تتمكن من الاحاطة ولو بجزء يسير من افضاله على الحياة الانسانية ، الامر الذي استغرق آلاف المجلدات ، وما زالت جوانبه تتطلب المزيد ، دون ان ينفد ما يستطيع ان يهبه من اقتباس .

هذا الحدث هو الذي نحتفل ويحتفل العالم الاسلامي بذكرى ظهوره ، بعد مرور اربعة عشر قرنا . ولهذا الاحتفال دوافع عديدة نحاول اجمالها فيما يلي :

(1) ان المسلمين اليوم في وضع ربما كان من اضعف اوضاعهم منذ أصبحوا امة ودولة الى اليوم ، فهم في أمس الحاجة الى قوة تعيد اليهم سابق عزمهم ، وتجمعهم على كلمة سواء ، وما عساها ان تكون غير القرآن العظيم ؟ فقير خاف ان العالم العربي اليوم ، يعاني من مشكلة الاستعمار الصهيوني ، الذي ضرب ضربته القوية ، واصبح يملئ شروطه وارادته ، متحدنا من مركز القوة ، ضاربا بكل القوانين الدولية عرض الحائط ، منتشيا بلذة النصر ، متماديا في طغيانه ، محميا من قوى العدوان والبغي . وغير خاف ان المسلمين تخلوا منذ زمن بعيد عن مركز القيادة الذي احتلوه حقبا مديدة من تاريخهم الحافل ، متقهقرين في ميدان العلم ، متخلفين عن ركب الحضارة ، حائرين بين تولية وجوههم نحو الغرب ، او توليتها نحو الشرق ، مستوردين النظم والمذاهب والعادات وانماط السلوك المختلفة من الخارج ، مزقين ، منقسمين على انفسهم ، مطموعا فيهم ، وفي ثروات بلادهم الطبيعية ، مترددين بين الاحتفاظ بشخصيتهم القومية ، وكيانهم الديني ، وبين الارتقاء في احضان الغرب او الشرق ، مفتقرين الى الزعامات الدينية ، والقيادات العسكرية ، التي هياها القدر لاجدادهم الاوائل ، غير واثقين بلفتهم ، متعشقين للغة غيرهم ، منقسمين ما بين متعصب للحضارة اللاتينية ، ومتعصب للحضارة الانجلوساكسونية ، محتكمين في تشريعاتهم الى قوانين الغرب الوضعية ، حاصرين القوانين الاسلامية الخالصة في جانب ضيق من حياتهم ، هذا هو الوضع الذي يعيش فيه العرب اليوم ، وهو وضع بالغ السوء ، يجعل من هذه المناسبة حدثا لعله ان يكون بعيد الاثر في حياة العرب والمسلمين في هذا العصر ، لا لان القرآن في حد ذاته اهل لان

كل هذه المراقيل او البعض منها ، يشكل فصلا من اهم امجاد الامة وبطولاتها الماضية ، ويمكن القياس على هذا ، وحتى اذا وجدت جماعة من البشر الذين لم ياخذوا بنصيب من الحضارة ، وليس لهم ماض مشرف ، حافل بالامجاد ، يمدهم بما يرضى غرورهم القومي ، ويدعم ثقتهم بانفسهم ، فهم يخلقون مناسبات ولو من اتفه احداثهم شأنا ، ذلك ان كل جماعة كيفما كانت درجتها في سلم الحياة الانسانية ، تشعر بحاجتها الملحة الى شيء يشد عضدها ويشعرها بكيانها ، وبان لها محورا تجتمع حوله ، وتجد في اجتماعها اسباب قوتها ومناعتها وحقها في الحياة . ومن هنا يمكننا تصور الحظوظ الغالية التي كانت من نصيب امة تجد في تاريخها من العظائم والمواقف الخالدة ، ما يجعل دماء الفخر تتدفق حارة في عروقها ، لتعلا خيالها بصور المجد ، وتممر نفسها بعواطف الاعتزاز . وما الامة الاسلامية الا واحدة من تلك الامم التي قدمت للحضارة الانسانية خدمات جلى ، ولعلها ان تكون اعظم حظا من ذلك واسبق اليه ، كما اعترف بذلك خصومها انفسهم . وما ذكرى بدء نزول القرآن الكريم الا اهم امجادها على الاطلاق ، ذلك ان الحدث الذي تعود بنا هذه الذكرى اليه ، مخالف لجميع الاحداث التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل ، مخالف لها في وجهته ، واسلوبه ، وطبيعته ، وقيمه ، واثاره ، على حياة الانسان وحضارته ، وهو حدث ديني ، وسياسي واقتصادي ، واجتماعي ، وحضاري ، قلب حياة العرب راسا على عقب ، وصنع بها ما هو مفصل في كتب التاريخ الاسلامي وتاريخ السيرة النبوية . لا نضع الى جانبه اي حدث مهما عظم ، من احداث التاريخ الانساني لا تعصبا ولا تحيزا ، ولكن انصافا للحقيقة التي لا يكابر فيها الا جحود معاند . فاين منه قيام الامبراطوريات على الظلم والاعتصاب والجبروت ، وغلبة الاقوياء واستبدادهم على الضعفاء ؟ واين منه ظهور الثورات والانقلابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي دعت الى سفك الدماء ، والوصول الى الاغراض والمقاصد على جثث القتلى ؟ واين منه ظهور الاديان التي تعرضت كتبها للضياع والتحريف والتزويد ؟ واين منه الفتوحات العسكرية التي اقامت للدكتاتورية دولة تبطش وتحرم حق الحياة ؟ واين منه الهجرات الجماعية التي حملت معها الدمار والموت ، واكتسحت اقواما آمنين ، وداسست اناسا وادعين ، بل ابادتهم شر اباداة ، وصالت بشريعة الغاب ؟ هو حدث لا كالاحداث ، كان ظهوره خيرا

استراتيجية ، هامة بالنسبة للعالم الحديث . وجدير بنا ان نعرف ان تقوية ذلك الرباط الديني ، يعتمد فيها لا على جهود العرب المسلمين وحدهم ، ولكن حتى على جهود العلماء المسلمين الموجودين بالدول الاسلامية بحيث يقومون بدورهم في الدعوة الى الوحدة الاسلامية بين مواطنيهم ، والعمل على نشر تعاليم الاسلام بينهم ، ويقتضينا الحق ان نعترف بما يبذله بعض علماء المسلمين في تلك الديار من جهود في هذا السبيل ، وأخص بالذكر العلامة ابا الاعلى المودودي ، امير الجماعة الاسلامية بباكستان . ولكن ما اروع ان يقتدى به علماء الاسلام الآخرون ، الموجودون بمختلف الدول الاسلامية . كما ان تقوية ذلك الرباط لا يمكن ان تتحقق بالاعتماد على الصدفة والانتكال على الضمان وحدها ، بل لابد من تعزيز ذلك بخطط منظمة قصد الاكثار من عقد المؤتمرات الاسلامية ، وتبادل البعثات العلمية ، وتبادل الكتب والصحف والمجلات ، وتنسيق السياسة الخارجية على المستوى الحكومي ، والتعاون في ميادين الاقتصاد والادارة والتكوين المهني والتقني ، وغير ذلك من الوان النشاط لان ديننا ليس عقيدة فقط ، ولكنه ايضا سياسة واقتصاد وعلم وعمران ودين ودنيا ونظام وتشريع . هذا علاوة على كون الروابط الاقتصادية والعلمية من شأنها ان تعزز الرابطة الدينية وتزيدها متانة .

وعسى ان يكون من نتائج الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن ، ان يعاد تفسير القرآن وفق المناهج الحديثة ، اذ ان التفاسير الموجودة لحد الان مكتوبة بطرق تخدم اغراض النحو والبلاغة واللغة والفقه ، واذا كنا معترفين بما لهذه الالوان من التفسير من اهمية لا تنكر ، فاننا نواقون في الوقت نفسه الى تفسير جديد ، يناسب مسلم هذا العصر الذي قد يكون مشغولا بفرع آخر من فروع المعرفة ، قد يكون طبيا او مهندسا او عالما رياضيا ، ويريد الاطلاع على دينه ، فيجد في تلك التفاسير عسرا وصعوبة بما يصدانه عما هو بصدد ، الامر الذي يتطلب وضع تفاسير خالية مما هو من شؤون العلماء المختصين ، ومقصورة على ما يجب ان يعرفه كل مسلم ، مهما كانت ناحية اختصاصه ، وبطريقة اقرب الى مناهج الدرس الحديثة . ونأمل من وراء هذا التبسيط في تفسير القرآن الا يبقى (الدين) من اختصاص قوم دون آخرين ، فان هذا لا يخدم قضية القرآن في شيء ، اذا لم نقل انه يضر بها ، وانما يصبح الاشتغال به من حق الجميع ، بحيث لا يكون هناك احتكار للدين ولا

والثقافة المشتركة ، والتظم المتبادلة ، ويهيمن على الكل ظل الاسلام الممدودة ، الامر الذي استحال فيه على الدماء ، ان تبقى عربية خالصة ، او فارسية خالصة ، او تركية خالصة ، اذا انها امتزجت وتكون من امتزاجها اجيال جديدة لا هي بالعربية الصرفة ، ولا بالفارسية الصرفة ، ولا بالتركية الصرفة ، وانما هي مزيج من دماء وعروق وسلالات شديدة الاختلاف ، ولكنها في الوقت نفسه قوية الالتحام والالتئام ، وعلى هذا فالمصري او العراقي له نسب في ايران او الهند او تركيا ، والايراني او الهندي او التركي له نسب في مصر والعراق ، وكذا قل بالنسبة لكل مواطن في اية دولة اسلامية او عربية ، بل اني لاذهب الى ابعد من ذلك ، فاقول ان للصدفة اثرا بعيدا في انتساب التركي الى تركيا ، والفارسي الى ايران ، والهندي الى باكستان او الهند ، وكذا قل بالنسبة الى (العربي) الذي يقطن بلدا عربيا حيثما كان بحيث لو قدر لمن ندعوه (فارسيا) ان ينحدر من اجداد سكنوا المغرب او العراق ، ابان الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، لكان الان (مغربيا) او (عراقيا) يعد نفسه غير فارسي ، ولكن عربيا مغربيا او عربيا عراقيا . ولو قدر للسوري او اللبناني ان ثاب اجداده قد سكنوا بلاد (ايران) على عهد تلك الامبراطورية ، لكان الان فارسيا ايرانيا . لا عربيا سوريا او لبنانيا ، وهكذا دواليك . واذا شئت التاكّد من هذه الحقيقة ، فما عليك الا ان تنظر الى مقدار التشابه الموجود بين المجتمعات الاسلامية عربية كانت او غير عربية ، مما يدل على التقائها في اصل واحد ، هو ذلك المجتمع الاسلامي الكبير الذي امتدت حدوده في اراضي واسعة جدا وتشمل عددا كبيرا من العروق والاجناس . وكانت هذه الروابط التاريخية الاصيلية ، كقيلة بان توحد بين المسلمين على اختلاف اوطانهم ، لولا غلبة القوميات على تلك الروابط ، ولكن ها هو الرابط الديني موجود ، لم تستطع القوميات ابطاله والقضاء عليه ، وهذه مناسبة الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن ، تأتي في وقتها المناسب ، فلنجعلها فرصة لتقوية ذلك الرباط ، واتخاذة عمودنا في التآلف من اجل تحرير الاماكن المقدسة ، واشعار العالم اجمع ، بان هناك رابطة اسلامية ، جامعة اسلامية تضم نصف مليار من البشر ، له وزنه الثقيل في ميزان السياسة الدولية ، لاعتبارات مختلفة ، زيادة على الكثرة العددية ، منها كون المسلمين يمثلون اغلب ارات الدنيا ، وسيطرون على بقاع جغرافية كانت هم مناطق العالم القديم والوسيط ، وهي الان مناطق

العناية الى الزيادة في الاهتمام بالقرآن ، بتدريسها وشرحه ، والرد على خصومه ، والعمل على انتشار تعاليمه في الاوساط الامية التي تتكون منها الاغلبية من سكان العالم العربي ، ومثل اللاحاح على العودة دائما الى تاريخ الاسلام ، لاخذ القدوة من رجاله وقادته العظماء ، في السياسة والعسكرية والعلم والادارة والتضحية والفداء ، مع تأمل الواقع الاسلامي عند المسلمين الاوائل ، الذين كانوا من خلق القرآن ، لنرى كيف كانوا يترجمون تعاليم الكتاب الكريم الى اعمال وتصرفات ، تجعل الايمان به لا يصدر عن الحياة العقلية الاسلامية وحدها ، ولكن يصدر ايضا عن الواقع العلمي الذي يحياه الناس ، الى غير ذلك من الاسباب والعوامل التي يستحق كل واحد منها ان يفرد له بحث خاص .

هذا وان الاحتفال بذكرى بدء نزول القرآن ، لنرجو ان يكون من نتائجه ازدياد قوة الرابطة الدينية التي تربط العرب المسلمين ، بالمسلمين من غير العرب ، حتى ليعيدوا تلك الايام المجيدة ، التي كانوا فيها على عهد الرشيد والمامون ، مواطنين في دولة اسلامية واحدة ، تفرغ عليها راية واحدة ، ويجمعها هدف واحد ، متوزعين على مختلف الميادين ، فهم يتعاونون على العلم ، وعلى الفن ، وعلى الجهاد ، وعلى الفلسفة ، وعلى كل نواحي نشاطهم ، اذا حدث عالم تركي او فارسي ، اجتمع حوله العرب وغير العرب ، ياخذون من علمه ومعرفته ، واذا مات عالم عربي مشى وراء نمشه العرب وغير العرب ، واذا الف عالم كتابا تلقفه الجميع من العرب وغير العرب ، بالرغم من وجود العصبية للجنس ، في بعض الاوساط التي عرفت بضيق الافق . نرجو ان تكون هذه المناسبة بعثا لذلك الاخاء القديم ، خصوصا والمسلمون اليوم قد اصابوا في اعز مقدساتهم ، ومسوا في عاطفتهم الدينية التي لا تعترف بالحدود الجغرافية ، ولا بالانظمة السياسية ، ولا بالمصالح الاقتصادية ، ولا باختلافات الجنسية . فالكل لا يذكر الا انه مسلم ومسلم فقط ، عند ما يصاب في شرفه الديني .

ولو تأملنا لوجدنا ان الشعوب الاسلامية الموسومة بانها غير عربية ، بيننا وبينها اواصر قرابة ، وروابط نسب ، لاننا واباهم منحدرين من تلك المجتمعات الاسلامية التي تكونت بعد الفتوح ، حيث كان العربي والفارسي والتركي والهندي واليوناني والبربري . تمقد بينهم روابط الصهر والولاء ، وتبادل العادات وادوات الحضارة ، وتمزج بينهم روابط الجوار

ان خلق الله البشرية الى اليوم ، كالامة المسلمة في ارتباطها بكتابها العظيم . ولا اعلم ان هناك كتابا منذ ان بدا الانسان يكتب ، ومنذ ان اخذ الرسول والانبياء يتلقون الوحي من السماء ، كالقرآن الكريم في ارتباطه بالامة الاسلامية ، واقرن مصيره بمصيرها ، شيء جديد في تاريخ الاديان ، وتاريخ الامم ، وتاريخ الكتب . لذلك فان هذه الامة هامت بكتابها وشغفها حبا ، فعلمائها لم يتركوا منه كلمة الا وفقوا عندها متاملين مستفيدين الدروس والعبر ، وشعراؤها وادباؤها اقتبسوا منه ما يحلى بياهم ، ويقوي بلاغتهم ، وفنانوها ابدعوا في نقش آياته على جدران المساجد والقصور ، وفي تمويها بالذهب ، والتفنن في خطوطها واعطائها اشكالا هندسية عجيبة الاوضاع ، حتى عدت من روائع الفن الاسلامي الجميل ، وخطبائها اتخذوا من منطق حجة ، ومن بيانه فصاحة ، ومن احكامه حكمة ، وحكماؤها استقوا حكمتهم من مغازيه ، وتاملاتهم من اسرار فلسفته ، وفلاسفتها وفقوا بين لطائفه واشاراته ، وبين ما انتهى اليهم من فلسفة العالم القديم ، وقادتها العسكريون خاطبوا جنودهم بلسانه وقورا عزائمهم بكلمه ، وشدوا من ازهرهم باوامره ونواهيهم ، ترنم به مغنيها ، وتفنن في تلاوته قراؤها ، وكان سؤددا لحياتها ، ورحمة لامواتها ، وشفاء لمرضاها ، واملا لياسها ، وهداية لحائرها ، وقوة لضعيفها ، وردعا لقويها ، وعلما لجاهلها ، وغصة لعدوها . واين ما قلناه مما استقبلت به امة القرآن كتابها من مظاهر الحفاوة والتكريم ؟ وما احتفال هذه الامة بمرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن ، الا اسلوب من اساليب الاهتمام به ، والتعبير عن مشاعرها نحوه ومن اجل الاعتراف له بالجميل ، لانه اساس وجودها ، ومصدر حضارتها ، وصلتها بالسماء على مدى السنين .

وليست دواعي الاحتفال منحصرة فيما قدمناه ، فهناك دواعي اخرى لها ايضا قيمتها ووجاهتها ، مثل تجديد الشعور الديني الذي ربما يكون قد اصابه شيء من فتور ، بسبب مغريات الحضارة الحديثة ، ومثل تنبيه الاباء والامهات الى ما يجب عليهم ان ياخذوا به ابناءهم من تربية دينية ، من شأنها ان تكون منهم مسلمين متمسكين بعقيدتهم ، ومثل اشعار الاجانب من اعداء العرب والمسلمين ، بأنه ما زلنا اقوياء يعقيدتنا وشخصيتنا وكياننا الديني ، وزيادة احترام الاجانب الاصدقاء لنا ، اذ يروننا مستقلين بمذهبنا في الحياة ، بارزين بفلسفتنا في الحياة والمجتمع ، ومثل توجيه

إسلامي ؟ هل بلغناه دعوة القرآن ، أم تركناه جاهلا
 بها ، أو عارفا بها عن طريق خصومها التقليديين
 الجدد ؟ وهل نحن أمة القرآن سائرون على هديه ،
 نحققون لمقاصده ، مترسمون خطاه ، أو نحن بعداء
 منه عملا وسلوكا ومعاملة ، قرييون منه قولا وحديثا ؟
 لى غير ذلك من الأسئلة التي يجب ان تكون مدار
 حسابنا لانفسنا في هذه المناسبة . فبغير هذا الحساب
 نفقد الذكرى كثيرا من فعاليتها وتكون مجرد مظاهر
 وشكليات .

وقفنا على رأس المائة الرابعة بعد الالف لبدء
 نزول القرآن يعني فيما يعنيه تأمل أمة القرآن فيما
 صنعتها لتكون جديرة بهذا الكتاب الذي شرفها الله به،
 هل كانت في مستواه ، في مستوى شرائعه وقوانينه
 وأحكامه ، وهل حافظت على ما يريده لاتباعه من عزة
 جانب ، وظفر بالخصوم ، وسيطرة على الطبيعة ،
 وسيادة في الأرض ؟ ان الله تعالى يراقبنا من فوق سبع
 سموات ، ويرى ما صنعتها بالقرآن أمة القرآن ،
 فواجبنا ان نحاسب انفسنا في هذا الصدد ، وان
 نحاسبها بصفتنا افرادا وجماعات ، مجتمعا ودولة ،
 شعوبا وامما ، حسابا مؤديا الى احصاء الحسنات
 والسيئات ، حتى نفهم اخطائنا ونقوم اعوجاجنا ،
 ونكون أمة القرآن كما أرادها القرآن ان تكون ، وحساب
 النفس هو ارقى صور الشجاعة الادبية ، ودليل
 اسعداد الأمة دولة وافرادا وجماعات للنهوض ، بل
 اني لاذهب الى ابعد من ذلك ، فارى ان مقياس المسلم
 الصحيح الايمان ، يمكن في حسابه لنفسه ، على ضوء
 تعاليم دينه ، ويجب ان يكون هذا الحساب يوميا ،
 لا ينتهي بانتهاء الاحتفال بهذه الذكرى ، بحيث نتخذ

من هذه المناسبة مدرسة نتعلم فيها محاسبة النفس
 واخذها بالشدة المعقولة ، لنقد تصرفاتها واهوائها ،
 وقياس مدى بعدها عن الكتاب او قربها منه ، فيما
 صنعت وما اشتتت ، وما املت

ونودها ان تكون مناسبة لظهار قوتنا العسكرية،
 وكفاءتنا العلمية ، وسيادتنا في اوطاننا ، وعلى ترابنا ،
 يهابنا العدو ، ويحترمنا الصديق ، ويطمع من ليس منا
 ان ينتسب اليها ، ويعتز من هو منا ان شرف بالانتساب
 اليها ، فخورا بوطنيته ، فالناس جميعا يحبون دين
 الاقوياء ، ويكرهون دين الضعفاء ، بل ان الاقوياء ولو
 لم يكن لهم دين ، تهيب لهم قوتهم مكانا محترما بين
 الناس ، في حين ان الضعفاء ولو كان لهم دين قويم ،
 ينفر منهم الناس ، فلنكن اقوياء بديننا ، وبقوتنا
 العسكرية ، وباقتصادنا وصناعاتنا وفلاحتنا ، وليكن
 اهتمامنا بتكوين المسلم ، من نفس اهتمامنا بتكوين
 الطبيب والاستاذ والجندي والعامل . فاننا ان فعلنا
 ذلك ، كنا كما قال الله تعالى عنا خير أمة اخرجت
 للناس ، وكنا جديرين بان تكون أمة القرءان ، فالقرءان
 لا يحب الهوان لاتباعه ، وانما يحب لهم العزة والكرامة
 والقوة والسيادة .

ونودها ان تكون مناسبة للزيادة في نشر العلم ،
 وتعميمه بين الناس ، امثالا لاوامر القرآن الذي
 يدعو الى العلم ويقدر العقل ، ويرفع مقام العلماء .
 والتعليم اذا انتشر بلغة القرآن ، كان ذلك خير معوان
 على انتشاره وقراءته ومدارسه ، فالامية ما زالت
 واسعة الانتشار في جميع البلاد العربية ، بالرغم من
 الجهود التي بذلت . ويكفي القاء نظرة على الارقام
 التالية ، لتتضح لنا النسبة المئوية لعدد الاميين في
 البلاد العربية .

| الذكور والاثان معا | الاناث وحدهن | الذكور وحدهم | اسماء الدول |
|--------------------|--------------|--------------|---------------------------|
| 67,6 | 84,8 | 49,9 | الاردن (1961) |
| 68,7 | 73,9 | 63,6 | تونس (1956) |
| 80,0 | 85,0 | 73,0 | الجزائر (1964) |
| 86,5 | 96,0 | 77,1 | السودان (1956) |
| 81,2 | 91,3 | 72,2 | المراق (1957) |
| 99,0 | — | — | العربية السعودية (1962) |
| 60,8 | 80,7 | 41,3 | سورية (1962) |
| 70,0 | 83,5 | 56,5 | العربية المتحدة (1960) |
| 47,1 | 60,3 | 40,9 | الكويت (1961) |
| 13,9 | — | — | لبنان (1962) |
| 81,0 | 90,1 | 72,1 | ليبيا (1954) |
| 89,0 | 97,6 | 80,1 | المغرب (1960) |

دينه ويتقنه فقها وعلماء ودراسة ، بل لابد ان يكون في خلقه وسلوكه ، وسيرته في اهله ، وسيرته في الناس ، ونظراته الى الحياة وتقييمه للاشياء ، شخصية اسلامية مستكملة لعناصرها الاساسية .

ولا شيء يساعد على ايجاد الشخصية الاسلامية غير التربية الدينية التي تبدأ منذ النشأة الاولى ، وتستمر في جميع ادوار العمر ، اما ترك الجيل ينشأ على عادات غير اسلامية ، وفي جو غير اسلامي ، حتى اذا شب عن الطوق ، نحاول رده الى المحجة البيضاء ، عن طريق الوعظ والتقريع ، فاعتقد ان الرد سيكون على عكس ما كان منتظرا ، لان من شب على شيء شاب عليه .

ما ذا اقول ؟ لقد مرت علينا - نحن المسلمين - سنون وسنون ، ونحن نرجو ونرجو ، ولكن ماذا بعد الرجاء ؟ ان باب الرجاء واسع ، فلك ان ترجو ما تشاء ، ولكن الاكتفاء بالرجاء سوف لا يكون من شأنه ان يحقق لنا ما نرجوه ونتمناه ، فما احوجنا الى شيء من الجدية في امورنا دينية كانت او غير دينية ، فكم رجونا قيام جامعة اسلامية ولكن الجامعة لم تزل حلما يداعب بعض الناس ، وكم رجونا وحدة عربية عامة ، او وحدة عربية اقليمية على الاقل ، ولكن الوحدة لم تتحقق ، سواء بمعناها الواسع او معناها الضيق ، وكم رجونا ورجونا ، فمتى يتحقق البعض مما نرجوه ويصبح مانلا للعيان ؟

ونعود الى الذكرى المجيدة الخالدة ، لننظر اليها من زاوية اخرى ، وهي اننا نودها ان تكون مناسبة نحاسب فيها نفوسنا عما قدمناه لهذا الكتاب من خدمات ، غير مكتفين بالافتخار بما فعله القدماء من اجدادنا ، فاولئك ادوا ما عليهم من واجب ومضوا ، وان يعفينا ذلك من قيامنا بواجبنا في هذا المضمار ، لان الحياة العقلية للامة في تطور مستمر ، وكل جيل يمثل منها مرحلة من مراحل تطورها . فما ذا يسجل علينا التاريخ في هذه المرحلة التي نجتازها الان ؟ ليحاسب كل واحد منا نفسه هكذا : هل اكتفينا بترديد ما كتبه السابقون عن القرآن حتى الان ؟ او تقدمنا باضافتنا الخاصة التي تزيد الكتاب انتشارا وتمكينا في الارض ، وتزيده شرحا لبعض جوانبه التي اغفلها الدارسون وهل لاضافتنا طابع الابتكار والاصالة ، ا هي مجرد تلخيص لكلام الاقدمين ، وتعليق عليه وشرحه فقط ؟ وماذا صنعنا من اجل ايصال هذا الكتاب الى الانسان خارج نطاق العالم العربي

استثثار به ، الامر الذي يهيء للطبيب والمهندس والعامل والتاجر والفلاح وصاحب الحرفة اليدوية ، ان يعتبروا انفسهم اعضاء في اسرة الدين ، يدرسونه ، ويتفهمونه ، ويلعبون بتعاليمه . وقد كان اجدادنا في عهد الحضارة الاسلامية الزاهرة ، كلهم يعتبرون انفسهم رجال دين ، ولم يكن الدين عندهم وقفا على فريق دون فريق ، مما يدل على ذلك ان كل مسلم كيفما كان مستواه الاجتماعي والعلمي كان يتتبع المناقشات التي تجري بين العلماء ، وقد يدلي برأيه فيها ، حتى ان الجاحظ شكنا من كون العوام في عصره ، يتحدثون كثيرا عن مسائل علم الكلام . ومما يدل على ذلك ايضا ، ان كل مسلم تقريبا كان يتخذ موقفه من المذاهب الفقهية المعروفة ، فاما ان يكون مالكيًا او حنفيًا او شافعيًا او حنبليًا حسب المذهب الذي ارتضاه لنفسه ، وقد يكون في البلد الاسلامي الواحد قضاة يمثلون مختلف هذه المذاهب ، ليختصم كل مسلم الى القاضي الممثل لمذهبه . وكم نود اليوم ان يعود الدين الى انطلاقة وتفتح ، وهيمنته على حياة الافراد والاستثمار باهتمامهم ، كما كان الشأن في القديس ، واعتقد ان اعادة تفسير القرآن الكريم على النحو المشار اليه ، من شأنه ان يساعد على خدمة هذا الغرض .

وعسى ان يكون من نتائج الاحتفال بهذه الذكرى ، الا يبقى الاسلام موضوعا للدراسة ، ومادة للوعظ والارشاد ، ومجالا للتأمل العقلي فقط ، وانما يتحول كل ذلك الى واقع عملي ، يتشخص في الافعال والتصرفات وقواعد السلوك ، ويؤثر في التربية بمعناها العام . في التربية المنزلية ، والمدرسية ، والعلمية ، والفنية والسياسية ، والاجتماعية ، لتخريج جيل مسلم ، يتجسم اسلامه في شخصيته ، لا في مقدار ما يعرفه عن الاسلام فقط ، اذ النموذج الانساني للمسلم ، هو الوسيلة الى اعطاء الواقع الاسلامي مفهومه الصحيح ، وهو التشخيص العملي لمعجزة القرآن ، هكذا كان المسلمون الاولون ، تشخيصا عمليا لمبادئ الاسلام ، وتعاليم القرآن ، فهناك المسلم العسكري ، والمسلم السياسي ، والمسلم الفنان والمسلم الطبيب ، والمسلم الفيلسوف ، كلهم مسلمون ، وكلهم نماذج لما يستطيع الاسلام والقرآن ان يصنعه بالانسان ، عند ما يدخل الى مصنعهما الذي يخرج عظماء الرجال .

واعتقد ان من جملة الاسباب التي اثرت على عقيدة الجيل العربي الجديد ، وشككته في قيمة دينية ، كون النماذج المسلمة المثلى التي تنتصب قدوة حسنة ، قد اصبحت نادرة ، فليس يكفي في المسلم ان يعرف

رصد الميزانيات الضخمة ، المتناسبة مع ما تتطلبه هذه الوسائل من نفقات .

وهذا يعني ان ذكرى نزول القرآن ، يجب ان تكون نقطة تحول في حياة المسلمين ، داخل اوطانهم ، حيث يعطون لحياتهم معناها الاسلامي الصحيح ، وفي شعورهم بواجبهم نحو تبليغ كتابهم الى الاجانب الذين لم تصلهم الدعوة .

وانه لمن المخجل حقا ، ان ياتي اجنبي ويطلب منا ان نقدم اليه كتابا يشرح حقيقة الاسلام بطريقة تناسبه كائنسان اجنبي ، من المفروض فيه انه لا يدين بدين القرآن ، ويحاول معرفته على حقيقته ، فلا تستطيع اجابته الى طلبه ، لان المكتبة العربية خالية تماما من هذا النوع من الكتب .

فاين هم علماءنا المختصون بهذه الناحية ، كما اختص مجموعة من الاجانب بحضارة الاسلام ، وهم الذين يدعون بعلماء الاستشراق ؟ واين هو المعهد العربي المخصص لتكوين الدعاة المسلمين ؟ واين توجد المكتبة التي تجمع المصادر والملفات الموضوعية لهذا الغرض ؟ وكما بذلت الحكومة العربية من جهود ، وكما خصصت من اعتمادات مالية لهذه الغاية ؟ لا شيء .

اتمنى مرة اخرى الا تمر هذه الذكرى ، دون ان نستفيد منها على الوجه الاكمل ، وبارك الله للامة الاسلامية في دينها وكتابها العظيم الذي قال الله تعالى في حقه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

فاس : عبد العلي الوزاني

« لنحمد الله تعالى باديء ذي بدء حيث هدانا الى التقوى ، وحيث اتاح لابصارنا الزائلة ان تعبد في هذا اليوم الذي اقتدينا فيه باجدادنا وبصحابه رسول الله (ص) فبينما المساجد وشيئنا بيوت الله ، واعلينا كلمة الله وتعاليمه » .
جلالة الحسن الثاني

هذه هي النسبة المثوية لعدد الاميين في البلاد العربية ، نقلا عن كتاب (مستقبل التربية في العالم العربي) للدكتور جميل صليبا ، وربما تكون قد نقصت في السنوات الاخيرة ، نظرا لوجود العزم الاكيد على محاربة الامية في العالم العربي ، ولكن ما اظن انها نقصت كثيرا ، لضعف الوسائل من جهة ، ولازدياد المواليد بكيفية تصاعدية من جهة اخرى ، فاذا كانت الامية منتشرة في العالم العربي بهذا الشكل النطيع ، فكيف يتأني للتعالم القرائية المبنية على اساس العلم ، ان تجد سبيلها الى الجماهير العربية ، فتقف على حقائق دينها من ينابيعها الاصلية ؟ واذن لابد من ان نتخذ من الاحتفال بهذه الذكرى دافعا يحملنا على تعميم العلم وتيسيره ، لان ذلك احسن وسيلة لضمان استعداد تلك الجماهير لتفهم مغازي القرآن وتدارسه ، ولابد ان يكون تعميم العلم باللغة العربية التي هي لغة القرآن ، ومفتاح اسرار واحكامه وبيانه ، فاذا تهقرت العربية عجزت الاجيال العربية التي لم تاخذ بنصيب وافر من لغتها القومية عن فهم القرآن وقراءته وتدبره ، وتلك كارثة نسال الله ان يجنبنا اياها .

ولو كان الاحتفال بهذه المناسبة في عصر آخر غير هذا العصر ، لكان لها مغزى غير المغزى الذي لها اليوم ، فحدث عظيم ان يحتفل بذكرى نزول القرآن في عالم اليوم ، العالم المادي الملحد ، الذي اختل فيه ميزان الانسانية ، فطفت المادة على الروح ، وارتفع ضجيج الآلة على اصوات المؤذنين ونواقيس الكنائس ، واصبح المروق من الدين موضة العصر ، في الفكر والاجتماع والفلسفة ، فليس مفكرا ولا فيلسوفا من لم يجاهر بعدائه للدين ، وليس حرا اجتماعيا من لم يعلنها حربا على الدين ، وكان من نتائج ذلك ان زحزح الدين عن مكانه الرفيع ، لتحل محله اوزاع من الفكر الضال ، واخلاق من الشكوك الهدامة ، فانعدمت الراحة النفسية ، والصفاء الروحي ، والاستقرار العقائدي ، وكثرت من جراء ذلك الامراض العقلية والاضطرابات العصبية ، وعمت حوادث الانتحار ، فمهد هذا العالم المادي الملحد المرتد ، ترتفع اصوات ثلة من المسلمين ، وهنا في المغرب بالذات ، منادية بضرورة الاحتفال بهذه المناسبة ، مناسبة مرور اربعة عشرين قرنا على نزول القرآن الكريم ، فكانت هذه الاصوات كرد فعل ضد المادية الملحدة ، المهيمنة على اوضاع العصر ، ولهذا مفزاه الكبير ، ذلك ان البلاد العربية

فهل انتهى عصر تبليغ الدعوة ؟ انه لم ينته ولن ينتهي ابدا ، ما دام على الارض انسان واحد ضال ، وعلى من يقع واجب تبليغ هذه الدعوة ؟ يقع على اتباع القرآن طبعاً ، ولكن ماذا نرى في هذا المضمار ؟ نستطيع ان نقول وانت مطمئن ، وبملاء فيك : لا شيء تقريباً . فالعالم خارج البلاد العربية والاسلامية يجهل حقيقة الاسلام ، وحقيقة القرآن ، لان المسلمين مفرطون في واجبهم كمبشرين بالاسلام ، ومبشرين لدعوة القرآن ، التي يجب استمرار تبليغها دائماً وابداً وبدون انقطاع ، على حين ان الغرب جاء في نشر دينه ، رغم انه اصبح لا يؤمن بشيء اسمه الدين ، وانما يريد استغلاله لمقاومة الاسلام ، ولاغراض سياسية واقتصادية ، فهو كافر به في بلده ، مومن به في البلاد التي يطمع في ثرواتها واراضيهـا . (1)

المسلمون معتمدون على ان الاسلام هو دين الحق ودين الفطرة ، وهذا لا شك فيه ، ولكن الحق يحتاج دائما الى شرحه والتعريف به ، والا احاط به الباطل ، وطاوله وصاوله ، لابساً قناع الحق ، ومتسترا تحته . فاذا لم يكن من مقاصد هذه الذكرى العمل على تبليغ دعوة القرآن الى العالم المادي الملحد ، على يد العلماء المسلمين ، المتضلعين في اللغات الاجنبية ، كانت الذكرى مفتقرة الى عنصر هام من عناصرها الايجابية . وغير خاف ان الدعوة الى الاسلام والقرآن ، يجب ان تلبس لكل عصر لباسه ، وان تتخذ من الوسائل ما يتناسب واوضاعه واحواله العامة ، ووسائل العصر الذي نعيش فيه ، هي الكتب والصحف والمجلات والمحاضرات والاذاعة والتلفزة والبعثات الثقافية المتجولة ، والمعارض الفنية والثقافية ، وتبادل الاساتذة بين الجامعات ، مع ما يحتاج اليه ذلك من

(1) راجع (عيون البصائر) للمرحوم البشير الإبراهيمي .

— نموذ بالله من وقت يكون فيه المصحف غريبا ،
احكام معطلة وجلد مذهب ، وتحفة للاقتناء ودعوى
بلا دليل ، ونسبة بلا برهان .

*

رحم الله امراء عرف قدر نفسه .

ان اعداء القرآن منذ نزل الى اليوم يخشون بأسه
وصولته . ويخافون تأثيره وعمله أكثر مما يخافون
الجيوش الفاتحة والحروب الجائحة . لان سلطان
الجيوش والحروب لا يعدو الاجسام والاشباح أما
سلطان القرآن فقد امتد الى النفوس الحرة وكرائم
الارواح ، ولذلك سماه الله روحا .

فكل قوى الاعداء موجهة لتحول بيننا وبين العمل
بالقرآن . فشغلوا براج التعليم بالمادة ولا ينسبوننا
لخالقها ، وحاولوا اقناعنا بأن يكون القرآن تلاوة وتمتمة
وتهويما وانقطاعا عن واقع الحياة .. وجذبوا واستغرقوا ،
اخذوا اللب لانفسهم عملا وانتاجا والهونا بالقشور جدالا
وسفسطة واحتجاجا ، ان الحق يحتاج الى رجال
ينصرون الحق فيرفع الحق شأنهم ، وينصرون الله
فينصرهم ويثبت اقدامهم ، وبعد النصر لا خلاف على
اسلاب ولا تطاحن على حكم ولا خروج على الجماعة
فان مسؤولية الحكم تكليف قبل ان تكون تشريفا .
قال تعالى في سورة الحج « الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر » .

وقال تعالى في سورة النور « وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. »

انواع الاصلاح :

جاء القرآن وفي العرب صفات حميدة فقواها
ونماها وعدلها وهذبها وأزاح عنهم علل الباطل وحمية
الجاهلية ، وحول العصبية المذمومة الى عصبية في
الحق وحمية لنصرة الدين وتحقيق رسالة القرآن فصار
كما قال الرسول : خيارهم في الجاهلية خيارهم في
الاسلام اذا فتحوا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال
فعملوا من القرآن وعلموا من السنة « فأتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة » .

— وفي رواية : لا يضرهم من خذلهم او خالفهم
حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون على الناس .

القرآن نور :

1 — قال تعالى : (سورة النساء) « يا ايها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا »

2 — قال تعالى : (سورة المائدة) « قد جاءكم نور
وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه » .

3 — قال تعالى (سورة الشورى) « وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من
عبادنا »

4 — قال تعالى (سورة التغابن) « فآمنوا بالله
ورسوله والنور الذي انزلنا ، والله بما تعملون خبير »

*

فالذين آمنوا بالله ورسوله واتبعوا النور الذي
انزل معه . واتبعوا البصائر الواضحة واخذوه علما
وعملا اولئك هم المفلحون .

هو نور البصيرة ، نور الهداية ، نور العلم
والعمل ، نور يهدي من اتبعه

الا يا ليت قومي يعلمون ! يستورد بعض المسلمين
نور التشريع من الخارج ونورهم بين ايديهم : نور
جربه السلف الصالح ففتحوا به البلاد واسعدوا به
الانسانية . وملكوا الارض شرقا وغربا للعلم والهداية
والعدالة .

— اخذ غيرنا هذا النور عملا وغيروا العنوان
وقالوا هذا علمنا ..

ونحن اخذنا العنوان وعطينا ما في الكتاب ..
وعجزنا عن تحويل القرآن الى اعمال .

— استعد غيرنا بالقوة : والقوة آية من آياتنا ..
نتلوها ولا نعمل بها .

— سلوكهم غير دينهم .. وسلوكنا غير ديننا ..
فكيف نتخبط والنور أمامنا ؟

— ما فائدة الطاقة لن لا يستغلها ؟ وما فائدة النور
لن لا يتبع هداه ؟

وَأَنَّهُ لَذِكْرُكُمْ وَلِقَوْمِكُمْ

للأستاذ عبد الرحيم عبد البر

ترى مظاهر هذه العناية بالقرآن في كل البلاد الإسلامية :

حفظ ودراسة ، وتعبد وتلاوة ، وعمل بها فيه رجاء سعادة الدنيا والآخرة ، ومعاهد اسلامية ... رجال تخصصوا في التربية الاسلامية وبيان مناهج الفضيلة .. ومعلمون يفسرون هذه التعاليم في الشباب الناهض ويشرحون كيفية السير على الصراط المستقيم الذي شرعه الله .

— فالعاملون لنهضة البلاد يفسرون القرآن اعمالا نافعة ايجابية ناهضة .

— والدارسون في المعاهد والمدارس يفسرونه حجبا واضحة وبراهين ساطعة .

— والجنود يحفظون الامن تحقيقا لرسالة القرآن الذي جاء بالامن والايمان.

— والرؤساء يبذلون الجهد لحسن السير ورفع المستوى الى كل خير .

— وهكذا تتحقق البشرية بحفظ القرآن تلاوة وعلا ودستورا للحياة

ويتحقق وعد الرسول صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان عن ثوبان قال : قال صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتيهم امر الله وهم ظاهرون .

ذكرى طيبة لنزول القرآن بعد مرور أربعة عشر قرنا .

اعياد متجددة دائمة ، وحياة سعيدة حافلة بالخيريات .

وشباب دائم لا شيخوخة له ولا هرم « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

— والحق يحتاج الى رجال وقوة :

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة »

وقوة لحمل الامانة والقيام بأعبائها ليحققوا وعد الله .

يتلون كتاب الله ويعملون به ويقومون بأمر الدين خير قيام .

« الذين يبلغون رسالات الله ويخشون الله ولا يخشون احدا الا الله » .

مع التلاوة عمل :

« ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلاوية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » .

ينبغي ان نقف عنده منها كما تعلمون انتم القرآن . ثم
لقد رايت رجلا يؤتى ادهم القرآن قبل الايمان فيقرؤه
ما يدري ما امره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده
منه وينثره نثر الدفل (رديء الثمر)

*

ياقوم : هذا القرآن فيه شرفكم في الدنيا بالعزة
والسيادة والنصر والتمكين (لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم) (وانه لذكر لك ولقومك) .

فيه شفاء الصدور بالنصر على الاعداء ونشر
الدين الصحيح .

روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما
ويضع به آخرين .

ولك من الدرجات في الجنة على عدد ما قرأت
من آيات القرآن .

روى البخاري وابو داود عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ، يقال
لصاحب القرآن اقرا وارفق ورتل كما كنت ترتل في
الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها .

الرباط : احمد عبد الرحيم عبد البر

أرقتني سورة جامعة فاقراه سورة اذا زلزلت الارض
زلزالها .. الخ فقال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها
ابدا — فلما ادبر قال افلح الرويجل .

2 — اخرج الامام احمد ج 5 ص 410 في المسند
وابن أبي شيبة عن أبي عبد الرحمن السلمي قال
حدثنا من كان يقرئنا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم انهم كانوا يقترون من رسول الله عشر آيات
فلا يأخذون في الاخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم
والعمل . فعملنا العلم والعمل ، فكنا نتعلم القرآن
والعمل به .

3 — واخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : كنا
اذا تعلمنا من النبي عشر آيات من القرآن لم نتعلم
العشر التي بعدها حتى نعلم ما فيه من العلم والعمل

4 — واخرج ابن عساكر عن محمد بن أبي قيلة قال
كتب رجل الى ابن عمر يسأله عن العلم فكتب اليه ابن
عمر : العلم اكبر من ان اكتب اليك به ، ولكن :

ان استطعت ان تلقى الله كاف اللسان عن اعراض
المسلمين خفيف الظهر من دماهم . خميص البطن من
اموالهم لازما لجماعتهم فافعل .

5 — روى الطبراني عن ابن عمر قال : لقد عشت
برهة من دهرى وان احدا يؤتى الايمان قبل القرآن .
وتنزل السورة على محمد فتعلم حلالها وحرامها وما

« حسبك ان تبلغ حيث بلغ بك »

دخل يحيى بن الحسين الطالبى على المامون فقال : يا امير المؤمنين
حيرتني عارفتك حتى ما ادري كيف اشكرك ، قال : لا عليك فان الزيادة في
الشكر على الصنعة ملق ، والنقصان عي ، وحسبك ان تبلغ حيث بلغ بك .

1 — جاء القرآن باصلاح العقائد ، الوجدانية والمسؤولية وجزاء يوم الدين « مالك يوم الدين » « ان الدين لواقع » .

2 — اصلاح العبادات عن طريق تركية النفوس وتقوية الارادة « قد افلح من زكاهما » — « قد افلح من تركى » .

3 — اصلاح الاخلاق عن طريق القصد والاعتدال لا افراط ولا تفريط « وكان بين ذلك قواما » « وكذلك جعلناكم امة وسطا » .

4 — اصلاح المالي عن طريق الاقتصاد وحماية المال من التلف والضياع .. بل ووجوب الاستثمار والسمي وكفالة العاجزين .. وتشجيع الكسب المشروع .

5 — اصلاح النفسي عن طريق حماية المرأة واحترامها بقانون الحق والواجب « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »

6 — اصلاح الحربي عن طريق تهذيب الحرب ووضعها على قواعد سليمة لخير الانسانية في مبدئها وغايتها وايثار السلم عليها حتى تكون الحرب آخر العلاج في نطاق لابد مما ليس منه بد .. وآخر الدواء الكي .

7 — اصلاح الاجتماعي عن طريق توحيد الصفوف « ان هذه امتكم امة واحدة » فلا عصبية الا في الحق ، فقد محا الاسلام العصبية الظالمة وجعل الاخاء في الدين اقوى من اخاء النسب والدم . وكون امة يؤلف بينها المبدأ ولا تفرقتها الحدود الإقليمية ولا الفواصل الجغرافية ، ولا الاختيارات السياسية في الحكم : ملكية او جمهورية ، ما دام الهدف هو العدالة والتكافل ونصرة الحق — الفرد للمجموع من غير أن يفنى فيه . والمجموع للفرد بتعاون .. في حدود لا ضرر ولا ضرار وللشعب عدل ورحمة ومواساة ومحبة ، واولو الامر من الشعب لخدمة الشعب ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وبعد ذلك السمع والطاعة حق على كل امرئ مسلم .. « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة اولئك اصحاب الميمنة »

علوم القرآن ومعارفه

القرآن يخاطب العقل والقلب معا . ويجمع الحق والجمال معا . يرضي العقل والعاطفة ، فهو مزيج حلو سائغ يخفف على النفوس تجرع الادلة

العقلية ، ويرفه عن العقل باللفظات العاطفية ، ويوجه العقول والعواطف معا جنبا الى جنب لهداية الانسانية فهو اسلوب علمي وأدبي معا .

هذا هو التنزيل الحكيم تقرؤه فاذا بحر من العلوم هذا التنزيل الحكيم تقرؤه فاذا بحر من العلوم والمعارف متلاطم زاهر واذا روح من الاصلاح فيه قوي قاهر يجمع الكمال من اطرافه :

فبينما تراه يصلح ما أفسده الفلاسفة بفلسفتهم اذ تراه يهدم الشرك والوثنية ، وبينما تراه يصلح ما حرفة اهل الاديان السابقة اذ تراه يقدم للانسانية مزيجا صالحا من عقيدة وعمل وسلوك نافع للعالم اولا وللآخرة ثانيا .

عقيدة رشيدة ترفع همة العبد وتثبت كرامته وسيادته .

وعبادة قوية تطهر النفس روحا وجسدا وتشعر الانسان انه المقصود والمختار (خلق الانسان علمه البيان) وعلمه تسخير الطبيعة مع اخلاق عالية تؤهل المرء لان يكون خليفة الله في الارض .

وشرع له احكاما شخصية ومدنية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضى وتضمن له حياة الطمأنينة والنظام والسعادة والسلام .

فهو دين يسير الحرة ويوائم الطبيعة ويشبع حاجات العقل والقلب معا ويوفق بين مطالب الروح ومطالب الجسد ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا ويجمع بين عز الآخرة والاولى : كل ذلك في القرآن .

كل ذلك في قصد واعتدال وبراهين واضحة مقننة تبهر العقل وتملك القلب ترفع رأس المسلم في عزة يقول الله اكبر ..

العلم والعمل :

تلقي الصحابة القرآن بنشاط وقوة للعمل بما فيه وتحقيق رسالته فتنافسوا في حفظه وتسابقوا لتنفيذ مهمته حتى كانت اعمالهم أكثر من اقوالهم « فالقرآن حجة لك او عليك » — فكان الواحد منهم اذا حفظ سورة من القرآن اكتفى بها حتى يحقق معناها عملا ويتقنها تنفيذا ويحولها امرا واقعا وانتاجا ايجابيا .

1 — روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

قال آفردتم واخذتم على ذلكم اصري ، قالوا اقرونا ،
قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين .

ان ارتباط المسلمين بالقرآن الكريم يجب ان
يكون عن طريق دينه وعن طريق لفته معا ، لانه لا يتحقق
الكمال البشري الا بهما مما جرب هاته الحقيقة سلفنا
الصالح والمسلمون الاولون الذين قاموا بدور كبير في نشر
الاسلام واعلاء كلمة القرآن ولم يكونوا يتخلفون عن
الركب المتقدم للقتال في سبيل نشر الاسلام واعلاء
كلمته بين العالمين « ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين ، وان
عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم ، ولئن صبرتم لهو خير
لكم ابرين . » صدق الله العظيم .

ان الفلسفة التي نشأت بعد الفثة الاولى من
المسلمين والتي اصبحت تدعو الى فصل لغة القرآن
عن دينه قد اساءت فهم التشريع الاسلامي واخطأت
حين غاب عن اذهانها ان اعجاز القرآن كامن في الفاظه
المنسقة وله ترجمته مهما اتقنت ، وقام بها متظلمون
في الثقافة العربية وللغات الاجنبية الاخرى التي يراد
ترجمة القرآن اليها ، كما يمكن ان تفي بالمراد من
اعجازه ، كما انها لا تعطى النظرة الكاملة للقرآن
الكريم ، كتاب رب العالمين . وان كانت تقرب القرآن
الى افهام غير العرب ان الامم الاسلامية غير العربية
يدرك معظمها هاته الحقيقة ويتحسرون لضعف تلك
الروح التي كانت تراكب جيوش الاسلام الفاتحة
والمتمجسة في نشر تعاليم القرآن ولغة القرآن معا .
ونعلم انه حتى في الوقت الحاضر هناك امم اسلامية
عظمى لو وجدت مندوحة وامكانيات لجعلت لغة
القرآن هي لفتها الرسمية ، وفي طليعتها الباكستان ،
ونحن لا نعزو قصورها عن تحقيق ذلك لتقايس العلماء
ورجال الدين واللغة فحسب بل نعهده ايضا ناشئا عن
الاستعمار الشرقي والغربي الذين اجهزا على الامة
الاسلامية قاطبة ولم ينج من دسائسه وويلاته اي قطر
مسلم . وقد كان من اكبرهم الاستعمار الاجنبي
البيض ان يقضي على لغة القرآن كمرحلة هامة في
القضاء على تعاليم القرآن حتى يتهود المسلمون او
ينتصروا وبذلك يقضي عن كل معارضة له لانها تاتي
طبعيا من الاسلام ومن دستور الحكيم « ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان
هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي
جاءك من العلم ، انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم

الكتاب يتلونه حق تلاوته ، اولئك يومنون به ، ومن
يكفر به فاولئك هم الخاسرون .

ان من يجب الاقطار الاسلامية ويطلع على
تقاليدها وعواندها يدرك من جهة مدى تمسكها
بالاسلام ، ومن جهة اخرى يرى ان اشياء كثيرة من
لفتها ما زالت تطيع حياتها وتؤثر في مدى فهمها للاسلام
وبذلك ينشأ البون بين من اعتنقوا الاسلام عن طريق
القرآن وعرفوا لفته ودينه وبين من عرفوا دينه فقط ،
وربما يكون ذلك اعظم عائق لقيام وحدة اسلامية
بنشدها جميع المسلمين في مشارق الارض ومعاربها .

ومن هنا نتحقق خطورة ما يرتكبه الذين دموا
ويدعون الى التفرقة بين لغة القرآن وبين دينه ، هؤلاء
الذين لم يننبهوا بعد الى الخطر المحدق بالامة الاسلامية
والذي لا يعرفه حق معرفته الا الذين تعلموا الدين
واعتنقوه عن طريق اللغة العربية لانها اللغة الوحيدة
التي تستطيع ان تبلغ القرآن كما انزل دون ان تلحق
به بعض التغير المعنوي الذي قد ينشأ من تبديل
لفظ عربي بمقابلة في لغة اخرى لا يفي بالمراد به او
يزيد على المقصود . كذلك تنتفي بعض الاشارات
والاشعاعات الروحية التي تلازم القرآن الكريم حين
تلاوته بلفظه ، ولعل الذين منعوا الترجمة من علماء
الامة الاسلامية كانوا يقصدون من ذلك عدم تحريف
القرآن عن معناه الاصلي وعدم اخضاعه للتراكيب
والمفردات الوضعية وهو كتاب سماوي نزل بلغة عربية
قدر الله لها ان تستوعبه وتفي بالمراد من نزوله وتبليغه
للناس كما اراده الله تعالى ، وتلك خاصية خص بها
اللغة العربية كما خصها بان تكون لغة اهل الجنة ، وان
يكون نبي العالم كله من العرب .

كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:
« احب العرب عن ثلاث : لاني عربي ، والقرءان عربي ،
ولسان اهل الجنة في الجنة عربي » ولا استطيع التعليق
عن هذا الحديث واوردته كما حفظته دون ان اتمرض
اليه باسناد ، لاني لا استحضر روايته الان . فمعلدرة
من القراء الكرام .

ان اهمال تحفيظ القرآن وتلقيه للنشء المسلم
يعتبر حدثا خطيرا في الاسلام وطامة كبرى وجناية على
الصبيان ونبذا للامر النبوي الكريم الذي يقول :
« ادبوا اولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب
آل بيته ، وقراءة القرآن » .

ونحن نعلم مدى البون الشاسع من ناحية العقيدة
والدين بين من ينشأون في احضان مجتمع يعتني

كيف يفوز تباطنا - بالقرآن الكريم

للأستاذ محمد دريس العلي

معتنقي دين القرآن الذي نزل لاسعادهم وضمن رفاهيتهم وازدهارهم دنيا ودينا « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

وتشكل هذه الظاهرة الهامة في حياة القرآن الكريم المنيرة الخالدة عنصرا اساسيا في عبقرية الاسلام وبقائه وتأهيله لان يكون دين البشرية بلا استثناء . ويكون محمد صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان نبي الرحمة ورسولا لجميع امم الارض قاطبة ، « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ، وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والارض ، لا اله الا هو يحيي ويميت » .

فقد قاوم القرآن اعاصير الزمان ، ولم تنطل عليه الحيل مهما اتقن حيكها واحكم نسجها ولو على ايد الذين استطاعوا ان ينالوا من غيره من الكتب السماوية الاخرى وفي ضمنها التوراة والانجيل الذي اصبحا محرفين يتنافيان كلية واجزاء مع رسالتي موسى وعيسى ابن مريم ومن جاء قبلهم وبعدهم من الانبياء والمرسلين لان الاسلام وحدة متكاملة وحلقات متماسكة منذ خلق الله الكون وبعث اليه آدم الى يومنا هذا « واخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ،

قبل ان اشرع في تحليل فكرة الارتباط بالقرآن الكريم التي يجب ان تكون دائما اساسا لتمييز شخصية المسلم وتحقيق ذاتيته على الصعيد العالمي .

احبي هاته الفكرة السامية التي اوحت بتنظيم مهرجانات وتجمعات خطابية وتخليد مقالات وابحاث في امهات الصحف والمجلات المغربية المرموقة مراحل الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على انبثاق نور الوحي الالهي وبداية نزول القرآن الكريم كلام رب العالمين لربط الصلة بين الناس وربهم على أسس من الايمان الصادق والحب المتبادل والاخلاص العميق .

والحقيقة ان احتفالا كهذا وكتابة ابحاث ومقالات في موضوع القرآن ، الكتاب المقدس ، لمن شأن كل ذلك ان يحيي في نفوسنا املا جديدا بان الاسلام سيعيد دولته وصولته ، وستعود له كرامته بين العالمين ، وسيجد المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ان اعتناقهم للاسلام لم يكن بالصدفة ولا بدافع تقليدي بحيث يتجسم مثلا تجسم الخرافات والاساطير في الاديان الاخرى لما عبرت عن ذلك الآية الكريمة : « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون »

لقد مر على نزول القرآن منجما وبحسب الاحداث والوقائع اربعة عشر قرنا وهو هو كما انزل لم يقع فيه تغيير ولم يلحقه تحريف ولا تزوير ولو في لفظ من الفاظه بل وفي حرف من الحروف ، وانما التحريف والتغيير - ويا للأسف - وقعا في اعمال

فهرس العدد الثالث

| صفحة | |
|------|---|
| 1 | امه اثبقت من كتاب دعوة الحق |
| 4 | الدرس الديني الجامع الذي القاه صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله بالفريج الحسني في شهر رمضان |
| 14 | كلمة صاحب الجلالة خلال استقباله للمشاركين في المؤكب الديني برئاسة الاستاذ السيد علل الفاسي |
| 16 | الملك والشعب يحتفلان احتفالا عظيما بيلة القدر وذكرى نزول القرآن |
| 20 | تهنئة وفود العالم الاسلامي لصاحب الجلالة بعيد الفطر |
| 22 | جواب خطاب صاحب الجلالة على تهنئة علماء الاسلام |
| 25 | بلاغ وزارة الاوقاف والتؤون الاسلامية بمناسبة ذكرى نزول القرآن |
| 26 | منشور وزارة التربية الوطنية بمناسبة ذكرى نزول القرآن |
| 28 | جلالة الملك يقيم حفلة شاي كبرى على شرف العلماء |
| 30 | العلماء المسلمون يقومون بزيارة مكتبة القصر الملكي العامر |
| 32 | كيف تم مهرجان القرآن الكريم لاختيار المجودين |
| 34 | حفلة استقبال بمنزل السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية |
| 36 | الوسائل العلمية لبعث اسلامي للاستاذ علل الفاسي |
| 39 | ذكرى نزول القرآن ، وتحقيق في تاريخه للاستاذ عبد الله كنون |
| 46 | صلاح الانسانية في العمل باحكام القرآن لصاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد ابي زهرة |
| 48 | القرآن ، دعوة الى التوحيد والتجديد |
| 51 | والثقة بالنفس للعيد الرجالي الفاروقي |
| 54 | من وحى القرآن للعيد محمد عزيز الجبابي |
| 57 | المعجزة للدكتور عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطيء » |
| 67 | التعليم القرآني للاستاذ رضا الله ابراهيم اللفي |
| 71 | المراكز الدينية الاسلامية بالاتحاد السوفياتي للقاضي ضياء الدين خان رئيس الادارة الدينية |
| 80 | مركز المصحف الشريف بالغرب لمسلمي آسيا الوسطى |
| 85 | معنى نزول القرآن للاستاذ محمد المنوني |
| 95 | مباحث في القرآن للاستاذ محمد بن تاويت |
| 98 | القرآن : وذكرى مرور اربعة عشر فرنا على نزوله |
| 103 | القرآن « المين » للدكتور تقي الدين الهلالي |
| 110 | القرآن والتاريخ للاستاذ عبد الله الجبراري |
| 113 | دلالة القرآن على صدق الرسول عليه السلام |
| 118 | في نظر الفيلسوف ابن رشد للاستاذ عبد القادر المصراوي |
| 125 | يا امه القرآن للاستاذ محمد زنيير |
| 127 | دعوة القرآن في الماضي والمستقبل للاستاذ محمد الطنجي |
| 133 | الدلالة القرآنية للاستاذ علل الفاسي |
| 135 | القرآن الكريم « وترهات » بعض المستشرقين للاستاذ حسن السائح |
| 138 | قصه الوحى للاستاذ عبد القادر زمامة |
| 146 | امه القرآن من القرآن للاستاذ عبد الله المهراني |
| 151 | ذكرى للشاعر علل الهاشمي الفيلالي |
| 154 | نظرات في اشماع القرآن للاستاذ محمد الحمداوي |
| 162 | المشكل في عمقه العميق للاستاذ حسن الحجوي |
| 163 | في موضوع العلاقة بين القرآن والانسان : للاستاذ محمد العربي الخطابي |
| 166 | المعجزة المستمرة للاستاذ احمد زياد |
| 172 | خطرات للاستاذ محمد المهدى البرجالي |
| 176 | ذكرى نزول القرآن : للشاعر عبد القادر المقدم |
| | درس للاستاذ عبد المصلي الوزاني |
| | وانه للذكر لك ولقومك للشيخ احمد عبد الرحيم عبد البر |
| | كيف يتفق ارتباطنا بالقرآن الكريم للاستاذ محمد ادريس العلمي |

الاحتفال بالقرآن الكريم نقطة انطلاق ايجابية في اخراج الامة الاسلامية من الحالة التي توجد عليها ، وقد حدث بينها وبين تعاليم القرآن بون شاسع الى حالة جديدة تتجدد فيها مفاهيم الاسلام وعقلية المسلمين على ضوء ما صارهم من احداث وما لحقتهم من نكبات ، وعلى ضوء واقعهم وما تتطلبه حياة هذا القرن وما بعده ، لانهم خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله وحده .

وان تعميم المصحف الكريم بين المساجد والمدارس والمتاجر والمصانع وجميع البيوت ، والمداومة على تلاوته وقراءته وتدبره لمن شأن ذلك ، ان يخلق عهدا جديدا في فهم القرآن وتدبيره واعتباره كتابا مقدسا لا محيد للمسلمين عنه ، بل ولا مخرج لهذا العالم من الجيرة التي يوجد فيها ومن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الخطيرة التي يتخبط فيها الا باتباع القرآن الكريم والاسترشاد بهديه واعتباره اساسا في كل شيء .

الرباط : محمد بن ادريس العلمي

بالقرآن واهله ، ويتلوه ويتبرك به ، وبين من ينشأون وهم يجهلون القرآن ، لانهم لم يتعلموه قط ولم ينشأوا في مجتمع ايضا تعلم القرآن الكريم . فكيف يمكن الملازمة بين هؤلاء واولئك في حظيرة واحدة وفي مجتمع واحد ، اللهم ان يكون هناك تنازل من احد الطرفين عما تنشأ عنه لصالح الطرف الاخر .

ومن هنا يجب ان تفكر الامم الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها في وضع سياسة تعليمية موحدة وتخطيط ثقافي موحد يراعي واقع الامة الاسلامية ويوافق بين ماضيها وحاضرها ويستجيب لمتطلبات العصر الحديث عصر الذرة والصاروخ دون ان يقع اهمال للجانب الديني او اخلال بما يتطلبه الاخذ بأسباب الحضارة الحديثة .

واننا لنأمل ان تكون دعوة الاحتفال بذكرى القرآن الكريم وقد عاش بين ظهران المسلمين اربعة عشر قرنا كاملة كما انزل ، دون ان تستطيع اية يد ممها بلغت من القوة والصلابة والصرامة ان تنال منه او تحدث فيه اي تحريف او تزوير - نأمل - ان يكون



دعوة الحق

خاص

الفرآن وعُلُومُه في عهد
الرَّوْلَةِ الْعَالَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

مؤلفه: د. محمد قاسم

صدرت
بإذن
وزارة
الثقافة
بمملكة



تتقدم وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية واسرة « دعوة الحق » الى مقام
حضرة صاحب الحلالة والمهابة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وابده
بآيات الولاء والاخلاص ، والنبيرك والاحلال ، بمناسبة الذكرى السابعة لتربع جلالتة
على اربعة اسلافه الامجاد ، داعين من الله العلي القدير ان يحفظه ويدوم عمره ، ويقر
عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الامير الجليل سيدي محمد وباقي اسرته
الكريمة وشعبه المتعلق باهداب عرشه .

العدد الرابع
السنة الحادية عشرة
ذوالقعدة 1387
فبراير 1968
ثمان العدد
دراهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الاوقاف والتون
الاسلامية بالملكة المغربية

مجلة نظرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرطي 30 درهما
بأكسر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

يدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف -
الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط

تليفون 308.10 - 327.03 - الرباط

كلمة العدد

قَوْلُهُ فِي خَيْرِ مَقَامٍ الْعِلْمُ

لمعالى وزير عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية الأستاذ
الحاج أحمد بركاش

يصدر هذا العدد من « دعوة الحق » والشعب المغربي النبيل يحتفل بذكرى
عزيزة عليه ، أثرة لديه ، وهي الذكرى السابعة لتبوء سيد البلاد ، وعاهلها المفدى
عرش أسلافه الأمجاد .

وإن من بواعث الفبطة والسرور ، ومشاعر البهجة والحبور ، أن تقترن هذه الذكرى
المجيدة ، بذكرى جليلة خالدة ، لها مكانها في التاريخ ، وتقديرها في القلوب ، وعبرتها
في الأجيال الماضية والحاضرة وما يستقبل منها ، وهي ذكرى مرور أربعة عشر
قرنا على نزول القرآن الكريم ...

ومساهمة منا في احياء هذه الذكرى العطرة الوطنية الغالية ، وفي ظلال احتفال
المغرب والعالم الاسلامي في هذه السنة بذكرى نزول القرآن الكريم ، ولا سيما في هذا
البلد الامين الذي أصبح مثابة للناس وأمنا ، ومهوى أفئدة المسلمين ، ومعقد رجاء
الاسلام ، فاحتل مكانه من صدر الوجود في عهد العاهل الكريم صاحب الجلالة الحسن
الثاني نصره الله وايده ، رأينا أن تصدر هذا العدد الخاص من مجلتنا يكون موضوعه
منبعنا من صميم هذه الذكرى ، ومصدره أولئك الاقيال ملوكنا العلويون الذين اعتمدوا
في تاتيل ملكهم ، وانهاض شعبهم على الحرص الموصول ، والجد النزيه ، والاخلاص
لله ، والعمل على اعلان مجده باعزاز دينه ، وبث فنون العلم والمعرفة والثقافة في
ربوع هذه المملكة السعيدة بما يوائم فطرة الله ، ويلائم طبيعة التقدم ، ويساير
مقتضى الحياة ... فسبطوا بذلك صفحات مشرقة خالدة في تاريخ هذه البلاد العزيزة .

لقد وجه ملوك هذه الدولة العلوية قافلة الحياة في طريقها القاصد ، وجمعوا
حولهم القلوب النافرة التشاردة على هوى واحد ، ومهدوا لهذا البلد المسلم ، منذ
قيضهم الله ملوكا على هذه الامة ، سبيل الاستقلال الخالص الصريح الذي حفظ
الكرامة ، وأعان على النهوض ، فعاشت بلادهم حرة كريمة غنية ، عالية الرأس بين
الشعوب والامم في ظلال عرش علوي منيف ، ثابت الاس ، رفيع الذرى ، وطيد
الاركان .

ومما يدعو الى الاعتزاز والفخر ، ويبقى مخلدا في جبين الدهر ، ان دولة ملوكنا
العلويين غنيت بملوك كانوا غرة المجد ، وهامة الشرف ، وعنوان النجابة والشهامة

وقد راع المولى الحسن الاول رحمه الله حال المسلمين من قناعتهم بالدون ،
وقعودهم عن مساهمة التطور والتقدم والتمدن ، فجرد من نفسه عزيمة ماضية ، وهمة
شماء ، واضاء دياجير الجهالة بوميض روحه ، وجمع كلمة الامة حول رايه ، ووحد
وجهتها وراء خطاه ، وانطلق بها نحو العز المرصود ، والكمال المنشود ، فبعثت
البعثات الى الخارج ، الى ما وراء البحار وخلف السهوب ، بعد ان رد سهام الاعداء
الجارحة التي كانت تنوش البلاد من اطرافها .

فلا غرابة اذا اعتبرنا المولى الحسن الاول رحمه الله ابا للنهضة المغربية
الحديثة ...

وقد واصل المولى يوسف رحمه الله رسالة آبائه الكرام ، واجداده المنعمين ،
فاستيقظت في عهده روح الوطنية الصادقة لمحاربة المستعمر الذي شن على البلاد
حربا في صراحة ووقاحة ، وانبعثت في ايامه ثورات ملهبة للحماس للقضاء على الواغل
المقتحم الكافر الذي سخره الشيطان الرجيم لافساد العقول بمدينة الملحدة ، وعلمه
التشاك .

والحق ان المغرب مسح عن اجفانه في عهده فتور الوسن ، ونفض عن كاهله
غبار الكسل والخمول !! ر

ففي عهد هذا الملك الصالح شيدت مدارس وانشئت مؤسسات ومعاهد ، في
مختلف مدن المغرب وقراه على النمط العصري الحديث ، منها مثلا المدرسة اليوسفية
بالرباط التي تخرج منها الجم الغفير من شباب المغرب وعيونه وعلمائه كما هو
معروف .

وقد امتاز عصر محمد الخامس طيب الله بالرحمة ثراه بالطموح والكفاح ،
والجلاد والنضال ، والعمل على حفر الهمم الوانية ، وايقاظ الضمائر الغافية ، واعزاز
القومية المغربية ، وتحقيق الاماني الوطنية حتى نالت بلاده في عهده استقلالا مطلقا
ناجزا ، وحرية مهذبة الاطراف .

وقد عانى رحمه الله في سبيل ذلك رهقا شديدا ، وكابد برحاء الهموم مع
المستعمر الذي اراد للشعب المغربي ان يعيش ، ابد الدهر ، بين الحفر ، متاخرا جاهلا
مريضا .. لكن همته القعساء ، وعزمته الماضية ، ابت عليه الا ان ياخذ بيد شعبه
ليسكنه بين السماكين ، فعلمه ، وفتح بصره وبصيرته ، وقاده نحو رابية المجد ،
ورحاب السعادة الراضية والامل المطمئن ، فنشطت الحركة الفكرية في ايامه ،
وانتعشت النهضة الثقافية في عهده ، وحظيت منه بعناية خاصة ، واهتمام بالغ .

وكان رحمه الله يجعل من كتاب الله مصباحا يستضيء به اذا ادلهمت الخطوب ،
واحلولكت الاحداث ، واستبهمت السبل فيجد فيه الدواء الناجع ، والبلسم النافع
لمعضلات الحياة .

تلك لمسات خفيفة عن ملوكنا الامجاد اتينا بها للتدليل على ان هذه الدولة قامت
برسالتها الثقافية والاجتماعية والحضارية . وسيرى القارئ الكريم في هذا العدد
الذي خصصناه لخدمة القرآن وعلومه في عهد هذه الدولة المجيدة تفصيل ما اجملناه
ليقف بنفسه على الجهود العلمي الضخم الرائع الذي قام به ملوك هذه الدولة العلوية
الشريفة .

وها هو جلالة الحسن الثاني ، حفظه الله ونصره ، وأطال عمره ، وحفظه في
صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب ، وابنائته البررة الكرام ، وشعبه الوفي ،
يتم صرح هذه الحضارة المغربية المتفتحة ويرعى حركة المغرب العصرية الرشيدة ،
بيد امينة ، وتبصر واع ، وحكمة الالهية للوصول بهذا البلد الامين الى الكمال المنشود.

احمد بركاش

والنجدة ، فقد عملوا ، في وقت جمدت فيه القرائح ، وخارت العزائم ، على انشاء حضارة مغربية اصيلة ، ونهضة فكرية رشيدة متحررة من ريقه التقاليد ، واسار العادات بلغت في عهد جلاله الحسن الثاني غايتها المرجوة ، وشاوها البعيد ، وامدها المرسوم ...

لقد ادى ملوك هذه الدولة المجيدة واجبهم ، وخدموا كتاب الله وسنة رسوله في تفان واخلاص ، وقاموا بما عهد اليهم نحو رسالة المغرب الحضارية والثقافية والاجتماعية والسياسية .

فبعد ما قضى المولى الرشيد على الخصم العنيد ، والعدو الكاشح ، بالعلاج النافع الحاسم الصواب ، وحل النزعات الاقليمية ، ورد على المغرب وحدته ، وجمع كلمته ، واهاب بشوارده الانفس الى سواء السبيل ، اختط الخطة « الرشيدة » لرفع قواعد العمل المثمر ، ونشر العلوم ، وتنوير الافكار ، وبث روح المعرفة بين ابناء شعبه ، ضاربا المثل بنفسه حتى كان يحضر رحمه الله مجالس العلماء ، ويغشى رحاب القرويين ولا سيما مجلس العلامة ابي علي اليوسي تحفيا له ، واكبارا للعلم ، حتى قال فيه هذا الاخير في رسالته للمولى اسماعيل :

« ثم جاء المولى الرشيد بن الرشيد ، فاعلى للعلم مناره ، ووضح نهاره ، واكرم العلماء اكراما لم يعهد ، واعطاهم ما لم يعد ، ولا سيما بمدينة فاس ، ففضح من قبله ، واتعب من بعده ، ولو طالمت مدته لجاخته علماء كل بلد ... »

وقد وجه المولى اسماعيل الذي امتاز عهده بالمضاء والعدل ، عنايته الى التربية والتوجيه ، وبسط رعايته على كل عمل من اعمال الفكر ، والى كل فن من فنون الثقافة وسلك سبيل اخيه في احياء المعاهد ، واعلاء شان المدارس والمساجد ، وجمع امتحان الطلبة اساسا لنيل اسمى المراتب ، وتبوء اسنى المناصب ، حتى عم العلم ، وانتشرت الثقافة ، وخر الجهل الفاضح في عهده صريعا للدين وللفهم !

وكان رحمة الله عليه يامر العلامة المجاطي بختم التفسير في قصره ، ثم يقوم بخدمة العلماء الحضور لذلك ، ويصب الماء على ايديهم اجلالا للعلم ، وتكريما للعلماء وقد بلغ من تمسكه وخدمته للقرآن والسنة ان جمع ذات يوم جنوده ، واحضر نسخة من صحيح الامام البخاري ، وقال قولته الشهيرة في قوة المومن الملهم المخلص الملتمزم :

« انا وانتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل » .

وهذا محمد بن عبد الله الذي انفسح مدى نظره ، واتسع افق تفكيره ، فترك اثرا ضخما ، وتاريخا حافلا في ميدان الفكر والثقافة ، فقد كان اماما من ائمة الدين ، وعلما هاديا من اعلام المسلمين ترك تصانيف عديدة ، وكتبا شهيرة تشهد لعقليته العملية الفريدة ، تقرا بالشرق والمغرب ، فهو الامام الموهوب لهذه الامة على رأس المائة كما قال في حقه عبد السلام بن الخطيب القادري رحمه الله .

وكان للمولى سليمان ولوع بزيارة القرويين ، وتفقد علمائها ، وحضور مجالسهم والابراز اليهم بالتصنيف والتأليف في مختلف الفنون والعلوم ، وضروب المعرفة والثقافة والفكر .

وقد اهتم المولى عبد الرحمن بشأن العلم اهتماما زائدا ، فالزم جميع قواد ابايته ان يؤسس كل واحد منهم بناحيته كتابا لتعليم الاطفال امور دينهم ، وعد من خالف ذلك او تهاون به مجرما يعاقب أشد العقاب .

كما ربط ابنه المولى محمد أوثق الصلات بين المشرق والمغرب ، فاوفد بعثته المشهورة الى مصر لتعليم فن الطب والفلك والجغرافية ، وكان له باع طويل ، وقدم فارعة في العلوم العقلية كالحساب والتوقيت والتنجيم والموسيقى حيث درس تلك العلوم بالنقد والتحرير ، وختم كتاب اقليدس في الهندسة .

وانهجوا نهج دينه القويم ، الذي طالما دعا اليه ، وبذل الجهود في الدلالة عليه ، مستصغرا في سبيل نشره كل اذية ، وكل سبة فذية . لقد دعا اليه اعداؤه محتسبا صابرا ، وأوضح تعاليمه ليالي واياما حامدا شاكرا ، تحفه في كل مواقفه العناية الالهية ، وتقويه في كل مراحل العزيمة الاخلاصية ، حتى طلع قمر الايمان فابدر ، وخبا الشرك فادبر ، وظهر دين الله وازهر ، وانبج الحق واشتهر ، وزهق تمويه الباطل ودحر . فتح عينا عمياء ، وأسمع أذنا صماء . أنقذ الناس من جاهلية جهلاء ، وحروب شعواء . وما فتىء صلى الله عليه وسلم ، معطيا مثل الانسانية الكاملة ، والاخلاق الفاضلة ، سائرا نحو هدفه الاسمى ، لا يصده صاد كيفما كانت قوته ، ولا يرده راد كيفما كانت شدته ، الى أن توفي والايمان منتشر الاعلام ، والدين ممثّل الاحكام ، والحق باسقة فروع ، والصدق عامرة ربوع ، والعدل مفتوحة ابوابه . وتركنا في امة جعلت الاسلام في قلوبها وعقولها وعزائمها ، فاخلصت لله الشهادة ، وعبدته حق العبادة ، وقرأت القرآن تبصرا ، وتلته تدبرا ، واقتطعت ثمار الحكمة من اشجاره ، ورياحين المعرفة من ازهاره ، وجعلته رائدها في المهمات ، ومفرعها في الملمات ، ومصباحها في الظلمات ، وصارت في كل حال وحادث ملم على تعاليم المنقذ الاعظم صلى الله عليه وسلم ، شعارها الصدق في الاقوال ، والاخلاص في الاعمال ، والعدل في الاحكام ، وخدمة الصالح العام ، رائدها الدعوة الى ضروب الاصلاح ، واسباب الفوز والنجاح ، وانقاذ الانسانية من مخالب الفواية العاتية . امة ، وما اعظمها من امة ! يتراحم ابناءؤها ويتعاطفون ، للضعفاء يساعدون ، ولحال البؤساء يرقون ، عن الضرر يتباعدون ، وعلى الخير يتكتلون ، وأمام الحق يخضعون ، نبذوا اغراضهم ، وبذلوا في المصالح أموالهم ، واتقوا في كل الاحوال ربهم . وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . »

من خطبة الجمعة التي ألقيت بجامع حسان يوم
الجمعة 26 رجب الاصب عام 1375 هـ الموافق
9 مارس سنة 1956 م .

« ... فاذا كنتم مطالبين بأن تكونوا مثالا للاستقامة والنزاهة في وظيفتكم كقضاة ، فانتم مطالبون أكثر من ذلك ، بأن تكونوا مثالا في التقوى والورع ، لبقية الناس ، حتى تقوموا بمهمتكم الدينية احسن قيام ، وتكونوا قدوة لغيركم ، واذا كان اتصافكم بوصف القضاء ، يوجب عليكم الاتصاف بالنزاهة والاستقامة ، فانكم في العهد الجديد ، مطالبون بذلك أكثر من ذي قبل ، لانكم تمثلون الشرع الشريف الذي يتعين على القائمين بشؤونه ، أن يكون لهم مركز في الاجتماع ، لا يجاريهم فيه أحد ، وذلك بالقيام احسن قيام ، وعلى اكمل وجه بخدمة مصالح الناس . »

من الخطاب الذي ألقى بمناسبة تسليم ظهائر
شريفة للقضاة الجدد ، يوم الاثنين 6 شعبان عام
1375 هـ الموافق 19 مارس سنة 1956 م .

« .. وليس الناظر الا الحارس الامين على الشيء المحبس ، فاذا كانت الشريعة تطالبه بصيانة متمولاته الخاصة ، فانها بالاحرى تطالبه بصيانة متمولات المحبين

شذرات ذهبية من خالدة

المملكة المغربية ، معقل الوعي الاسلامي الاصيل في عهد
الراشدين العظماء ، جلالة المغفور له محمد الخامس قدس
الله روحه ، ووارثه سره جلالة الحسن الثاني ادام الله
ملكه .

من اخيار الاساذ م.ع

« ... وهكذا ستبقى علائقنا مستمرة ، علائق الاب مع ابنائه ، حتى نشعر باننا
بينكم ومعكم ، كأعضاء أسرة واحدة ، متحدين متوادين ، وبالعودة الوثقى متمسكين ،
وبوصية الله بالتعاون عاملين (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون) .

من خطاب جلالة المغفور له محمد الخامس —
نور الله ضريحه ، أمام الحشود الوافدة على
القصر العامر في أعقاب عودة جلالته من المنفى .
الرباط — يوم الجمعة 5 جمادى الأولى عام
1375 هـ الموافق 30 ديسمبر 1955 .

« ... ولا يغيب عن ذهننا أن سلامة الدولة مرتكزة على السلام والامن والاستقرار
وضمن الحقوق وسلامة النفوس . وان ديننا الحنيف قد حض على الطاعة والنظام
ضمن العدل ، وحث على السكينة واحترام حريات الافراد ، ورعى مصالح الجماعات .
فاتحدوا ولا تتخاذلوا (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) » .

من خطاب جلالة المغفور له محمد الخامس
— قدس الله روحه — أثناء زيارته الرسمية
للمعاصمة الاقتصادية ، الدار البيضاء ، يوم
الاربعاء 25 جمادى الثانية عام 1375 هـ الموافق
8 فيبرابر 1956 م .

« ... ايها الناس ، ان الله انعم عليكم بدين الاسلام ، فبعروته الوثقى تمسكوا ،
واسعدكم بمحمد عليه السلام ، فسبيل ملته اسلكوا — اسلكوا سبيل الرسول المستقيم ،

في كل احوالكم . واتخذوا في العدل قيمة لانفسكم ، وزينة لمحاكمكم . اشعروا الخصوم بان الحكم من قانون الله ، ومراقبة الله ، ليس مستمدا من هواكم ، ولا على وفق شهوتكم ، لتطمئن نفوسهم ، وتستقر وتنقاد لما فرض وقرر ، واقدروا مسألة الحكم حق قدرها ، والامانة العظمى التي حملتموها ، واصيخوا لقول الله ، وما اجل قوله (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) — وفي الحديث القدسي : (يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا) .

من خطبة الجمعة بجامع القرويين بفاس ، يوم الجمعة 4 ذي الحجة عام 1375 هـ — الموافق 13 يوليوز 1956 م .

« ... ولا نظننا في حاجة الى القول بان الحضارة في الاسلام ، تقوم على اساس الاخلاق السامية والفضائل الانسانية ، وغيره المواطنين عليها ، مما لم نفتا ندعو للتشبيث به ، والنضال في سبيله ، لتيقننا ان ذلك هو اصلح اساس لل عمران ، والمدينة المثالية . »

من الخطاب الذي القى بالرباط ، في حفلة استقبال اعضاء مؤتمر تيومليلين ، يوم الاربعاء 21 محرم عام 1376 هـ الموافق 29 غشت سنة 1956 م .

« ... اما الهدف الذي لن نذخر جهدا في العمل على ابلاغ شعبنا اليه ، فهو حياة نيابية بالمعنى الصحيح ، تمكن الشعب من تدبير الشؤون العامة ، في دائرة ملكية دستورية ، تضمن المساواة والحرية ، والعدل للامة افرادا وجماعات ، حتى يتم بذلك خلق ديمقراطية مغربية بناءة ، تتفق مع ديننا الحنيف الذي جعل الناس سواسية كاسنان المشط ، ومع القرآن الكريم الذي جعل الامر شورى بين المؤمنين ، وامر نبيه فقال له : « وشاورهم في الامر » . وحثنا جميعا على التعاون في البناء حين قال : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ومع تقاليدنا الوطنية التي لم تعرف من انظمة الحكم غير امامة الاسلام القائمة على العدل ، والمعاملة بالحسنى للجميع » .

من الخطاب الذي القى بالرباط . بمناسبة افتتاح المجلس الوطني الاستشاري . يوم الاثنين 8 ربيع الثاني عام 1376 هـ الموافق 12 نونبر سنة 1956 م .

« ... ولكي نعيد للاوقاف الاسلامية مركزها الرئيسي في التوجيه الروحي ، نظمنا دروس الوعظ والارشاد ، ووجهنا الخطباء الدينيين نحو تجديد اساليبهم . وشكلنا هيئة من العلماء ، لاعطاء دروس دينية وفقهية ، في جميع انحاء المغرب الحاضرة والبادية على السواء . ومن الجهة الاجتماعية ، فقد اهتمت وزارة الاوقاف بتحسين اجور

الذين جعلوها وقفا على مصلحة العباد ، من طلبة العلم ، والقائمين بشعائر الدن ،
والمعوزين والفقراء وعابري السبيل . »

من الخطاب الذي القى بمناسبة تسليم الظهائر
الى النظار الجدد ، يوم الخميس 16 شعبان عام
1375 هـ الموافق 29 مارس سنة 1956 م .

« ... وعليكم ان تراقبوا الله الذي يتولى سرائركم فيما تصدرونه من احكام ، وان
تجعلوا شعاركم أولا واخيرا النزاهة والتبصر والسعي الحثيث لضمان الحقوق ،
وهناك من القضايا ما يجب ان يعالج بكامل الحزم والسرعة . فلا ينبغي حرصا على
ضمان الحقوق ، التماطل في شأنه ، وبالاخص في تلك القضايا ما له مساس بالارامل
والمحاجير ، والمطلقات . واطننا في غنى عن تذكيركم بما قرره كتاب الله وسنة نبيه في
حق هؤلاء . وعسى ان تكونوا عند حسن ظننا ، وان نرى وظيفتكم تسترد باعمالكم
مكانتها اللائقة بها . »

من الخطاب الذي القى بمناسبة استقبال عدد من
القضاة لمنحهم ظهائر توليتهم . يوم الاربعاء 11
ذي القعدة عام 1375 هـ — الموافق 20 يونيه
سنة 1956 م .

« ... يا بني :

لم اعتن بثنيتك فحسب ، بل كنت ادريك على تعاليم الاسلام ، واحترام اوامره ،
واقامة شعائره ، كما كنت القنك كيف يجب ان تعامل اباك واخوتك وشعبك والناس
اجمعين . وهكذا نشأت يا بني للكبير محترما ، وللنظير انيسا وملاطفا ، وعلى الصغير
رؤوفا حنونا ، تصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر .

يا بني :

اقم الصلاة ، وامر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما اصابك . ان ذلك
من عزم الامور . »

من الخطاب الذي القى بمناسبة الذكرى السابعة
والعشرين لمولد سمو الامير مولاي الحسن ، يوم
الاثنين متم ذي القعدة عام 1375 هـ الموافق 9
يوليوز سنة 1956 .

« ... ايها القضاة الشرعيون ، ايها الحكام المفوضون ، لا تجوروا في احكامكم ،
واهتموا بقضايا اخوانكم اهتمامكم بانفسكم . انصفوا المظلوم ، وايدوا المهضوم .
اجعلوا المتخاصمين لديكم سواء عند التحاكم والقضاء . فلا غرض ولا شهوة ، ولا
ميزة ولا رشوة . اسعوا في مراقبة الحكم العدل في سركم ونجواكم ، وارضوا ضمائركم

« ... واياك ان تحيد عن صراط الاسلام القويم ، او تتبع غير سبيل المؤمنين ، فانه لا عدة في الشدائد كالايمان ، ولا حيلة في المحافل كالتقوى . واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة . وتقرب منه بالاعمال الصالحة ذراعا ، يتقرب منك توفيقك باعا . واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي ، واشتبهت عليك السبل . وليكن لك في رسول الله ، وصالحي الخلفاء اسوة حسنة ، اولئك الذين هدى الله . فبهداهم اقتده . »

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة تنصيب صاحب السمو الملكي ، الامير مولاي الحسن وليا لعمد المملكة المغربية ، يوم الثلاثاء 10 ذي الحجة عام 1376 هـ — الموافق 9 يوليوز 1957م

« ... ان حرصنا على الاعتصام بحبل الدين ، والتشبث بمبادئه ، والسير على سننه ، ليعد احد العوامل الاساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين ، بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقيل ، ومامنينا به من احوال وخطوب ، وسيظل عملا اساسيا في تحقيق اهدافنا المنشودة كامة تواقفة الى حياة راقية كريمة . »

من الكلمة الافتتاحية التي توج بها جلالة الملك محمد الخامس — نور الله ضريحه — ، اول عدد من مجلة « دعوة الحق » الصادرة في غضون شهر يوليوز 1957 .

« ... درج المغرب على ان يكون مهد التسامح الديني ، مما اتاح لكثير من الديانات ان تنعم في كنفه بالحرية والكرامة ، ومما جعل المسيحية والاسلام تعيشان تحت سمائه جنبا الى جنب ، تعملان في جو من التعاون والود والصفاء ، وتتآزران لتحقيق خير الانسانية وسعادتها عن طريق نشر التعاليم الالهية ، والدعوة الى التمسك بالمبادئ الانسانية السامية . »

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة اقتبال اعضاء مؤتمر تومليلين ، يوم الجمعة 26 محرم عام 1377 هـ — الموافق 23 غشت 1957 .

« ... لتوطد العزم على تنوير بصائرنا ، ولتسدد السير في اصلاح شؤوننا . فان ديننا في حاجة الى بعث واحياء ، واخلاقنا في حاجة الى نمو وارتقاء . وان وطننا ليناديانا الى اتمام تحريره وتوحيده ، وحماية مجده وتخليده . واننا لن نصل لشيء من ذلك ، بغير ما وصل به المؤمنون ، وما تحلى به العاملون المخلصون . »

من خطبة الجمعة التي كان القاها المغفور له محمد الخامس بتطوان ، يوم الجمعة 2 ربيع الاول عام 1377 هـ — الموافق 27 سبتمبر 1957م

الموظفين الدينيين تحسينا ملموسا ، وتبنت تبعا لما امرناها به ، عائلات الشهداء الذين اعدم آباؤهم أو عائلوهم في سبيل القضية المقدسة ، وساهمت في اسعاف طلبة المعاهد الدينية ... » .

من خطاب الذكرى التاسعة والعشرين لجلوس
العاهل الكريم على عرش اسلافه المقدسين —
الاحد 14 ربيع الثاني عام 1376 هـ — الموافق
18 نوفمبر 1956 م .

« ... فانتم مسؤولون امام الله ، لانكم امانة على الربيع الذي يصرف في مختلف وجوه البر والاحسان ، واعانة طلبة العلم وحفظة القرآن الكريم الذي به اعتزازنا كمسلمين ، وعليه اعتمادنا في شؤوننا الروحية ، وتصرفاتنا » .

من الخطاب الذي ألقى بالرباط امام النظار
الجدد ، بمناسبة تسليمهم ظهائر توليتهم ، يوم
الاربعاء 16 جمادى الاولى عام 1376 هـ —
الموافق 19 ديسمبر سنة 1956 م .

« ... ولا تاخذكم في اقامة العدل بين الناس لومة لائم ، او تحيد بكم عن تطبيق القانون عاطفة نسب ، او صلة صداقة ، وساووا بين الفني والفقير ، وانصفوا المظلوم ، — ولا يجرمكم شئنان قوم على ان لا تعدلوا — فالعدل أساس حضارتنا ، ومبدأ من مبادئ الاسلام السامية » .

من الخطاب الذي ألقى بالرباط . على القضاة
الشرعيين والحكام الاقليميين . يوم السبت 3
جمادى الثانية عام 1376 هـ . الموافق 5 يناير
1957 م .

« ... وان المغرب الذي اختار الاسلام ديناً ، والعربية لغة ، قد ساهم في تاريخه المجيد ، بما يجب عليه من العمل على نشر الاسلام ونصرتة والمحافظة عليه ، وقاسى طيلة عصوره التاريخية صعوبات كثيرة في سبيل الذود عنه ، كما بذل مجهودات في تبليغ الحضارة العربية الى كثير من الشعوب الافريقية والاوربية . ونشارك دائما في توطيد أواصر الاخوة بين المسلمين ، والمودة مع جميع ذوي النيات الحسنة في كل الانحاء » .

من خطاب الترحاب بعاهل الحجاز . وقد القاه
جلالة المغفور له محمد الخامس . أثناء حفلة
العشاء المقامة على شرف الزائر الكريم . يوم
الاثنين 18 رجب عام 1376 هـ — الموافق 18
فبراير 1957 م .

فالأوجب على رعيئنا ان تتمسك بالدين ، وتقطع دابر الشك بحد اليقين ، وان تلجا الى الله اذا داهمتها الخطوب ، وتأخذ بسنته الكونية لنيل المرغوب (قل هذه سبيلي ادعو الى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين) .

من الخطاب الذي القى بالرباط بمناسبة الذكرى الثلاثينية لجلوس جلالة الملك محمد الخامس — طيب الله ثراه — على عرش المغرب ، — في يوم الاثنين 24 ربيع الثاني 1377 هـ — 18 نوفمبر 1957 م .

« ... المساجد مهوى أفئدة المسلمين ، وأماكن للتذكير والتفكير في ملكوت الله وعظمة خلقه ، يجتمع فيها المؤمنون لاداء شعائر الدين ، والنظر فيما يعود عليهم بالخير والمصلحة ، اذ في تثبيت المسلمين بعقيدتهم وقيمهم الاخلاقية ، ضمان لرابطتهم وانحادهم ، واستمرار لكيانهم في العالم » .

من الخطاب الذي القاه جلالة الملك محمد الخامس — قدس الله روحه — بواشنطن ، اثناء زيارته للمعهد الاسلامي يوم الاثنين 2 جمدى الاولى 1377 هـ — 25 نوفمبر 1957 .

« ... وان في طليعة المبادئ التي يقوم الاسلام على اساس منها ، والتي ترتفع في عبون المغاربة الى مقام التقديس الروحي ، المحافظة على السلم ، وتوطيد العلاقات الودية بين الناس والامم ، واحلال التعاون والمودة في سائر الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كل التطاحن والتباغض والتناول » .

من الخطاب الذي القى بسان فرانسيسكو . في مأدبة العشاء التي اقامتها البلدية ، ومجلس الشؤون الخارجية في كاليفورنيا الشمالية ، لتكريم الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله ، يوم الاربعاء 11 جمدى الاولى 1377 هـ — 4 دجنبر 1957 .

« ... واذا كانت دولتنا تمتاز بانها دولة فنية ، فانها في نفس الوقت تمثل امة عتيقة متشعبة بعقائدها الدينية ، وقيم الاسلام الروحية ، تلك القيم التي هي اساس حضارة شديدة الحرص على السلم والعدالة والمساواة » .

من الخطاب الذي القى بالمقر الدائم لمنظمة الامم المتحدة . يوم الاثنين 16 جمدى الاولى 1377 هـ — 9 دجنبر 1957 م .

« ... ولعل ما نالته القرويين من عناية اسلافنا المقدسين بها ، واهتمامهم العظيم بشانها ، قد ضاعف عناية واهتمام جميع الذين سبقوهم ممن تداولوا الحكم بهذه

« ... كانت بلاد النكور من أوائل ما اختطه العرب من البلدان بعد الفتح الاسلامي في وطننا ، وسجل التاريخ لها من ضروب البطولة في مقاومة المهاجمين ونشر الدين في هذه الاصقاع ، ما يستحق كل اعجاب واكبار » .

من الخطاب الذي القى بالحسيمة يوم الاحد 4 ربيع الاول عام 1377 هـ — الموافق 29 سبتمبر 1957 م .

« ... وكان المغرب من اشد البلاد الاسلامية ايمانا بان العدل اساس الملك . ولعل هذا ما جعل تاريخه الثقافي يتسم بطابع الاغراق في العناية بالميدان القضائي . ومن المعلوم ان اجلة الفقهاء والقضاة المغاربة ساهموا باوفر نصيب في بناء هيكل التشريع الاسلامي ، وتوسيع دائرة دراساته » .

من الكلمة الافتتاحية التي كان جلالة الملك الراحل محمد الخامس — قدس الله روحه — قد توج بها اول عدد من مجلة « القضاء والقانون » الصادرة في غضون شهر سبتمبر 1957 .

« ... ولعل اكبر وسيلة لجعل مجتمعنا المغربي سعيدا ، هو اقامة شريعة العدل بين افراده وضمان حقوقهم وصيانة حرياتهم ، وذلك ما يمكن من تحقيق الهدف الاجتماعي الذي جاء به الاسلام ، واقره في نظام تشريعي شامل لجميع الاسس القانونية التي تكفلت تنظيم علائق الرحمة والمودة والسلام والبر بين الناس ، بعضهم مع بعض ، وصيانة الحقوق الخاصة للأفراد ، والحقوق العامة للجماعات . ولا يخفى اننا امة عريقة في ميدان الدراسات الفقهية والتشريع ، تملك من ذلك ثروة تغنيها عن اتخاذ قوانين موضوعة لدول اخرى » .

من الخطاب الذي القى بالرباط ، امام اعضاء لجنة تدوين الشرع الاسلامي ، يوم السبت 24 ربيع الاول 1377 هـ — 19 أكتوبر 1957 م .

« ... ان المغرب ينتمي الى عالم العروبة والاسلام الرحب الفسيح ، وهذا الانتماء يجعله شديد الاهتمام بما يجري فيه ، متتبعا عن كثب تطور احواله ، مؤيدا قضاياه العادلة في المنظمات الاممية ، كما انه سيسعى لتقوية ما يصله به من اواصر معنوية ومادية » .

« ... وفي الاسلام ما يكفي ويشفي ، وقد علمنا التاريخ ان اجداننا المغاربة والمسلمين على العموم ، انما سادوا وشادوا بتمسكهم بالقرآن المبين ، واعتصامهم بحبل الله المتين . ولا سبيل للمسلمين للخروج من الحالة الحاضرة واهتدائهم الى اقوم طريق ، الا بالرجوع الى موارد الاسلام الصافية ينهلون منها ويعلون . وسيجدون فيها الدواء الناجع ، لكثير من ادواء العصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فالاسلام دين رحمة وسماحة وعدالة وسلام ، وهو يعطي للرب حقه في نشاط المرء ، كما يعطي للمجتمع والاسرة والنفس حقوقها .

ليستضيفوا بمشاعل الثقافة الاسلامية العربية ، التي اضطلعت بحملها منذ قرون طويلة في هذا الجزء الغربي من ارض الاسلام والعروبة » .

من الخطاب الذي القي بفاس ، بمناسبة تسليم قصبة الشراردة الى طلبة جامعة القرويين ، يوم الجمعة 18 ربيع الاول 1378 — 3 اكتوبر 1958

« ... ولا جرم ان الذي يسر علينا اعمالنا ، وقرب منا اهدافنا — بعد هدي الله وتوفيقه — هو ذلك الرصيد الخلقي الذي توافرت لنا في اعلى القيم ، وازكى الشيم الدينية والوطنية ، والذي عز به الاجداد وسادوا ، وبنوا وشادوا ، وحفظوا كيانتهم ووجودهم ، رغم تقلبات الدهر ، ونكبات الايام » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة الذكرى الحادية والثلاثين لجلوس ، جلالة المغفور له محمد الخامس — طيب الله ثراه — على عرش اسلافه المبجلين ، يوم الثلاثاء 5 جمدى الاولى 1378 هـ — 18 نونبر 1958 .

« ... فاما الذين يعتصمون بالله عند الامتحان ، وتطمئن قلوبهم ساعة العسرة بالايامن ، ويدورون مع الحق حيث دار ، ويخلصون في الاعلان والاسرار ، فقوم يكتب الله الفوز والظهور ، ويهيئ لهم رشدا في كل الامور ، ويجزل حسناتهم ، ويملي درجاتهم » .

من الخطاب الذي القي بمسجد آتسيراى ، زوال يوم الجمعة 19 شعبان الابرك 1378 هـ — 27 فيبرابر 1959 م .

« ... يجب ان تعتزوا بقوميتكم وتفخروا بها ، وان يكون سلوككم مستقيما وسيرتكم حسنة ، وان يعتبر كل واحد منكم نفسه ممثلا للمغرب ، في هذا البلد الاسلامي ، بل في افريقيا التي تتطلع الى المغرب باعجاب ، نظرا للروابط العديدة التي تصلها به . ويجب ان تربوا ابناءكم تربية عربية اسلامية ، حتى لا يشعروا انهم غرباء ، عندما يرجعون الى المغرب » .

من الخطاب الذي القي بدار ، امام ثلة من الرعايا المغاربة المستقرين بافريقيا السوداء ، يوم الثلاثاء 22 شعبان 1378 هـ — 23 مارس 1959 م .

« ... كانت الثقافة الاسلامية ، ولا تزال محل اهتمامنا وعنايتنا من اجل تجديدها ونشرها ، تحدونا في ذلك دوافع روحية واخرى وطنية . وان مما يجعل رحلتنا لمسوس كاملة الفوائد ، ميمونة الصلة والعائد ، ويتم بها بهجتنا ، تنشينا اليوم لمعهد رودانة الديني الذي نامل ان يؤدي رسالته التربوية والتعليمية على احسن الوجوه واكملها »

البلاد ، اذ كانوا يرونها المنار الذي يشع منه ضياء المعرفة والايمان ، والحض الذي تحتمي به لغة القرآن وآدابها في هذه الديار .

من الخطاب الذي القى بالرباط ، بمناسبة تدشين
اول جامعة مغربية عصرية ، يوم السبت 28
جمدى الاولى 1377 هـ — 21 دجنبر 1957 .

واننا لنذكر فضل الاسلام على هذا الشمال الافريقي ، وما كان له من آثار فعالة في تحريره وتوحيده وتمدينه ، وتاهيله للمساهمة في اداء رسالة فاضلة ، تضمن الخير والسعادة للانسانية ، كما نبتهج ببقاء الروح الاسلامية التي رفعت قدر سلفنا حية في نفوس الخلف ، تحفزهم للمحافظة على كياناتهم ، والنضال في سبيل الحرية والكرامة .

من الخطاب الذي القى بالرباط بمناسبة الدعاء
للجزائر ومؤتمر آكرا ، في يوم الاربعاء 26
رمضان 1377 هـ — 16 ابريل 1958 .

» ... انها لمناسبة سعيدة حقا ، اذ يتاح فيها لمملكتنا ان تمتن روابطها مع اكبر دولة اسلامية ، تلك الروابط المبنية على وحدة العقيدة ، والمطامح ، والرغبة الملحة في نصرة مبادئ الدين الاسلامي الحنيف وخدمة قضايا السلم والحرية والعدالة في العالم .

من الخطاب الذي القى بالرباط بمناسبة تقديم
السفير الباكستاني أوراق اعتماده الى جلالة
المغفور له محمد الخامس — رضوان الله عليه
— ، يوم الاربعاء 28 ذي الحجة 1377 — 16
يوليوز 1958 .

» ... ولئن كان الاعتبار باحداث الماضي ، والاتعاض بسير المتقدمين ، يفيد ان في تثبيت الافئدة ، واجتناب الاخطاء ، فما اجدرنا بان نستخرج من حادثة الهجرة التي ينسب اليها تاريخ الاسلام ، عبرا تقوي عزائمنا على الثبات والتضحية واخلاص القيات ، وما أحرانا ان نتعظ بسير سلفنا الصالح الذي شغفته المثل العليا التي دل عليها الدين الحنيف ، فمضى مسترخضا النفس والنفيس ، ينشرها في الارض ، ويهدي بها الامم ، ويلفت الانظار الى ما يتلأأ فيها من سنا الحرية والعدالة والتسامح والتساوي بين الناس .

من الخطاب الذي القى بمناسبة العام الهجري
الجديد يوم السبت فاتح محرم 1378 — 19
يوليوز 1958 .

» ... وما هذا العمل في الواقع الا امتداد لعنايتنا الممهودة بجامعتنا المجيدة ، ومتابعة لجهودنا المبذولة في تحسين احوالها ، ورفع مستواها . فبعد اخلال النظام ، وتجديد المناهج ، وتهئية أماكن صالحة للدراسة ، تعين ان نخطو خطوة ثانية لتسيير الحياة المادية على طلبتها ، ولاسيما الافاقين الذين يؤمنونها من داخل المغرب وخارجه

اخواننا اللاجئين ،

ابينا الا ان نزوركم في المخيمات التي تقيمون فيها. لاجئين مشردين عن مدنكم وقراكم ، ونقف وسطكم لنخاطبكم لا باعتبارنا ملكا فحسب ، بل باعتبارنا ايضا اخا مسلما عربيا ، يقاسم اخوانه العرب والمسلمين آلامهم وآمالهم ، ويشاطرهم سراءهم وضراءهم ، حيثما كانوا ، وأينما وجدوا .

من الخطبة التي القيت في مخيم اللاجئين بأريحا
يوم الجمعة فاتح شعبان 1379 هـ — 29 يناير
1960 م .

« ... لقد كنا وشعبنا نتوق من زمان الى زيارتكم لنا ، ورؤيتكم في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير ، سيرا مع خطتنا الرامية الى توثيق التعارف والتعاون بين ملوك الاسلام والعروبة ورؤسائها . وقد أاجبت هذا الشوق الزيارة التي قمنا بها الى بلدكم في أواخر يناير الماضي تلك الزيارة التي قابلتمونا خلالها أنتم وشعبكم بكل حفاوة والتي استطعنا بها ان نتعرف على الاشواط التي قطعها بلدكم — تحت قيادتكم الحكيمة — في سبيل التطور والتقدم ، ونقدر الدور العظيم الذي تقومون به في حماية الاماكن المقدسة التي تهفو اليها قلوب المسلمين في كل مكان » .

من خطاب الترحيب بجلالة الملك حسين ، عاهل
المملكة الاردنية الهاشمية — يوم الجمعة 25
شوال 1379 هـ — 22 ابريل 1960 م .

« ... واملنا ان نرى الشعوب الاسلامية تواصل سيرها الموفق نحو استكمال حريتها ، وتحقيق وحدتها ، وتتعاون على خدمة السلم ، ونشر الحضارة في المعمور » .
من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة حلول
العام الهجري الجديد ، في يوم السبت 30 ذي
الحجة 1379 هـ — 25 يونيه 1960 م .

« ... ولقد اثر عن المغاربة في ماضيهم — ومنذ خروجهم الى الوجود كشعب ذي كيان ممتاز — تشبثهم بالدين الحنيف ، وهيامهم بكل فضيلة ، وتقديسهم للعلم وتقديرهم للعلماء . ويرجع الفضل في اصطباغهم بهذه الصبغة الى جامعة القرويين التي كانت لها آثار بعيدة المدى في تكييف الحياة المغربية وتوجيهها باستمرار ، اذ هي التي مكنت للاسلام في نفوس المغاربة وأطلقت السننهم بالعربية .

فلا عجب ان صارت مهوى الافئدة وقبلة الانظار ، واستاثرت بعطف جميع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب ورعايتهم وتأييدهم ، حتى رجعت مدرسة شهيرة ذات أنصار ومريدين ، ومذهب معروف ، ومنهج واضح في البحث والتحليل والاجتهاد والافتاء ، تسارع الى التدريس بها علماء الاقطار المغربية والاندلسية ، وتسابق الطلبة من الاقطار الافريقية ومن اوربا لطلب العلوم التي كانت تقرا بها ،

ان الثقافة الاسلامية جزء من مقوماتنا الوطنية ، ولا يسعنا ونحن نشيد صرح نهضتنا الحديثة ، الا ان نستمسك بها ، ونحافظ عليها ، حفظا لكياننا ، وربطاً لحاضرنا بماضيها ، ونيسيراً لاسباب التقدم والتطور التي يجعلها الاسلام في متناول ايدي الذين يعتقونه ، ويسيرون طبق تعاليمه الخالدة ، على أن هذه المحافظة ، لا تعني — كما قد يتوهمه البعض — الوقوف عند حدود معرفة الاحكام الشرعية ، والقواعد اللغوية ، بل تفسح المجال لاستيعاب العلوم والفنون ، على اختلافها ، لتكون ثقافتنا الاسلامية حينئذ ثقافة كاملة ، نطبق بها المساهمة في اقامة ركن الحضارة الجديدة ، كما ساهم اجدادنا بها في اقامة ركن الحضارة القديمة » .

من الخطاب الذي القى بتارودانت ، بمناسبة تدشين المعهد الاسلامي بهذه المدينة ، يوم الجمعة 20 ذي القعدة 1378 هـ — 29 مايو 1959 .

((... كما لا أكتف ثقتي من نجاحكم ، اذا عملتم كما عمل افراد جيلي ، متآخين متضامنين ، متشبثين بمثل الاسلام العليا ، مخلصين لمبادئه السامية ، مؤثرين للصالح العام . فاحرص يا بني وليحرص معك جيلك على التحلي بتلك الاخلاق ، فانها اجمل زينة في الرخاء ، وأمضى عدة في الشدة . وللتاريخ شواهد تؤكد ان الامم الموفقة والافراد الناجحين ، انما افلحوا بالترام الاخلاق القويمة ، والسجايا الزكية الكريمة . ولك من الامة المغربية خير مثال : اشرق عليها لاسلام بروحانيته ولا نكر لها يذكر ، فاتحدت باعتناقه بعد تفرقة ، وقويت بعد ضعف ، واستغنت بعد املاق ، وانتشرت تدعو لكل الاسلام ، وتمكن لشريعته السمحة)) .

من الخطاب الذي كان وجهه جلاله محمد الخامس — قدس الله روحه — الى شعبه الوفي ، من مدينة — بيركوس — في طريقه الى سويسرا بمناسبة الذكرى الثلاثينية لميلاد سمو ولي العهد الامير الجليل مولاي الحسن حفظ الله . في يوم الخميس 2 محرم عام 1379 هـ — 9 يوليوز 1959 م .

((... وحرصنا على ان يتم تطور المغرب ، في نطاق المحافظة التامة على شعائر الاسلام وتعاليمه ، والاعتزاز العميق بالقومية المغربية ، بل نحن لا نتصور ان يتطور المغرب خارج هذا النطاق . فالاسلام في جوهره دين يسر سمح ، يكفل الاستقرار والتقدم والسعادة والرفاهية للذين يتبعون هديه ، ويفسح مجال التفكير والبحث والاجتهاد)) .

من الخطاب الذي القى بالرباط بمناسبة الذكرى الثانية والثلاثين لجلوس الملك المنعم — محمد الخامس — رحمه الله — على عرش اسلافه المقدسين ، يوم الاربعاء 16 جنـدى الاولى 1379 هـ — 18 نوفمبر 1959 م .

عري الاخوة والصداقة . وقد زاد تلك الروابط (قوة ومتانة اهتداء شعبيهما بهداية الاسلام ، وقيامهما معا بنشر تعاليمه ، وتوسيع نفوذه داخل القارة الافريقية) .

من الخطاب الذي القي بالرباط ترحيبا برئيس مالي يوم السبت 18 ذي الحجة 1380 هـ — 3 يونيو 1961 م .

((... وحيث انكم حماة كتاب الله ، مفسرون لكتاب الله ، ولقوانين الاسلام ، حماة النظام ، لان عليكم ان ترفعوا المظالم بسرعة وبنزاهة وباستقامة حتى لا تفتحوا الابواب للانتقامات الشخصية ، والتصرفات الشخصية ، لذلك فان من واجب الدولة من جهة اخرى ، ان تساعدكم على القيام بمهمتكم ، وذلك باعطائكم المقام اللازم والالتق بكم في المجتمع المغربي) .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، لدى زيارة صاحب الجلالة لوزارة العدل ، يوم الاثنين 27 جمدى الاولى عام 1381 هـ — 6 نوفمبر 1961 م .

((... يجب ان تكون شخصيتنا الاسلامية بارزة في جميع مظاهر النهضة ، وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بان ازهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من ابرز المميزات ، وان كل حركة تحريرية اصلاحية ، انما قامت على اساس القيم الروحية ، ففي اطار ديننا الاسلامي السمو سنصوغ كل عمل ، وكل اصلاح ، لان المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة . اما المكاسب الروحية ، فليست لها حدود ، لانها هي الوجود ، ولانها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف في مكاسبه الدنيوية ، وتكيف تصرفه بالخصال الحميدة ، حتى لا تكون في المجتمع شحنا ولا بفضاء ولا تفرقة) .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الاولى اجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش جدوده المنعمين ، يوم السبت 26 رمضان 1381 هـ — 3 مارس 1962 م .

((... وفيما يرجع لنشاط وزارة الاوقاف ، اوفدنا وزيرنا فيها الى جل الاقاليم للتعرف على احتياجات المواطنين في الميدان الديني ، وعلى ضوء دراساته ومشاهداته ، امكن بناء عدد من المساجد ، واصلاح وتجديد مئات اخرى ، كما يوجد تحت الدرس ، مشروع بناء عدد من المساجد في الاحياء العصرية التي تزايد سكانها المسلمون . وقامت وزارة الاحباس ايضا بتوفير العدد الكافي من الوعاظ والمرشدين ، لتزدهر بهم من جديد ، حلقات الثقافة الاسلامية ، ويكون المسلمون على بيئة كاملة من شؤون دينهم وآدابه السامية ، واخلاقه العالية) .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة الذكرى الثانية لجلوس حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله ، على عرش اسلافه المنعمين ، يوم الاحد 7 شوال 1382 هـ — 3 مارس 1963 م .

والتي كانت تعدو علوم الشريعة واللغة ، الى العلوم المشاعة بين البشر من فلسفة ومنطق وحساب وهندسة وادب وتاريخ وطب وموسيقى وتنجيم » .

من الخطاب الذي القي بفاس ، بمناسبة ذكرى مرور احد عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين يوم الاثنين 18 ربيع الثاني 1380 هـ — 10 اكتوبر 1960 م .

« ... كما شاهدت السنة الاحتفال بذكرى مرور احد عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين ، تلك الجامعة التي كانت اكبر سند للإسلام والعروبة في هذا الجناح الغربي في بلادهما ، والتي ستبقى محل عنايتنا ورعايتنا لتواصل اداء رسالتها التاريخية وخدمة الحضارة الاسلامية ، والثقافة العربية » .

من خطاب الذكرى الثالثة والثلاثين لميد العرش يوم الجمعة 28 جمدى الاولى 1380 هـ — 18 نوفمبر 1960 م .

« ... وانني اعاهد الله واعاهدكم على ان اضطلع بمسؤولياتي ، واؤدي واجبي ، طبق مبادئ الاسلام وقيمه السامية ، وتقاليدينا القومية العربية ، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا » .

من اول خطاب وجهه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الى شعبه ، اثر توليته الملك — يوم الجمعة 15 رمضان المعظم 1380 هـ — 3 مارس 1961 م .

« ... ابتسأه ،

... وبنفس هذه الطمأنينة ، استعادت ذاكرتي وصاياك الكريمة التي كنت تزودني بها ، وفي طليعتها خطابك الذي وجهته لي ، والذي ضم جوامع كلمك ، ذلك الخطاب الذي سيبقى لي نبراسا يضيء لي السبيل ، ألم تتوجه الي في ذلك الخطاب بهذا القول الحكيم :

يا بني لقد اخترت لك من الاسماء الحسن ، لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد . وليكون لك في جدك المولى الحسن خير اسوة واعظم قدوة . فلم تطل على السادسة من عمرك ، حتى قدمت للمعلم ليلقنك آيات القرآن ، وليغرس في قلبك الطاهر الفتى حب الدين وعزة العروبة والاسلام » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الاربعية لوفاة جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه — يوم الخميس 20 شوال 1380 هـ — 6 ابريل 1961 م .

« ... ونحن لا نعتبركم اجانب في هذه البلاد ولا غرباء عن اهلها ، بل نعتبركم في بلدكم وبين اهلكم وعشيرتكم ، ولا عجب ، فمنذ فجر التاريخ وبلدانا مرتبطان باوثق

الاسلامية في المشارق والمغارب على السواء ، الى الاعتصام بحبل الله ، والتسليم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، والى الاقتداء بهدي الرسول ، وسير الائمة الصالحين من بعده ، حتى نعود كما كنا خير امة اخرجت للناس ، تآمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله » .

من كلمة جلالة الملك ، بمناسبة
عيد الهجرة النبوية ، يوم الاثنين 21 ذي الحجة
1383 هـ — 4 مايو 1964 م .

((... واننا لنستوحي من هذه الذكرى مبادئ خالدة كان لها الاثر الفعال في تحرير الانسانية ، ورفع مستواها المادي والمعنوي ، واخراجها من الظلمات الى النور . وان مملكتنا القائمة على الحفاظ على هذه المبادئ السمحة ، لتتهدي بهديها في تعاشها الانساني ، مع الطوائف الدينية الاخرى المقيمة بين ظهرنا)) .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، جوابا عن تهنئة
اعضاء السلك الدبلوماسي بعيد المولد الشريف ،
يوم الخميس 13 ربيع الاول هـ — 23 يوليوز
1964 م .

((... ربوا بانيكم ايها الاخوة في خشية الله قبل كل شيء ، وبذلك يحبونه عندما يبلغون اشدهم . ربوهم في محبة وتقدير الشيوخ ، والعطف على الصغار ، والرفق بالمساكين ، لقنوهم المحبة المطلقة ، تلك المحبة التي ذكرها الله في جميع الاديان والكتب المنزلة . وبهذا فقط سيخلد هذا المسجد وغيره ، ما دام في جميع الاديان هذه الارض . وما دون هذا قال فيه تعالى في القرآن الكريم : ((فاما الزيد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس ، فيمكث في الارض)) .

فما دامت قلوبنا في صفاء ، وافئدتنا متجهة نحو التعاليم الالهية ، وما دامت متعاضدين ومتضامنين ، فالله معنا ، وسيرشدنا ويساندا)) .

من الكلمة التي ارتجلها جلالة الملك الحسن
الثاني — ايده الله — بمناسبة تدشين الجامع
الكبير بذكرار يوم الجمعة 12 ذي القعدة 1383 هـ
— 27 مارس 1964 م .

« ... كان الشعب المغربي دائما تواقا الى الحرية ، محافظا على كرامته . اعتنق عن طوعية واختبار ، لانه رأى في الاسلام الاطار الحقيقي الذي يمكن حرية من الانطلاق ، وان الديانة الاسلامية خليفة بان تكون أساسا للعمل في البناء ، لانها تنبني على فضيلة جماعية تعود بالنفع على الجميع ، وعلى المجتمع » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة حملة انتخاب مجلس النواب ، يوم الاربعاء 21 ذي الحجة 1382 هـ — 15 مايو 1963 .

« ... ونحن على يقين ان العلم وحده منفصلا عن الايمان والوعي والشعور ، خراب للروح . لذلك ، فان رسالة شباب الجيل الصاعد ، تكمن في التكوين الروحي بعد التكوين الجسمي ، لانها رسالة انسانية قبل كل شيء . وهذا التكوين الروحي ، يتم عن طريق تلقين وتنمية القيم الروحية التي يتميز بها ديننا الحنيف ، ويزخر بها ماضينا الذهبي ، فالاسلام يجعل منا نحن المومنين بنيانا مرصوصا يشد بعضه بعضا » .

من الخطاب الذي القي بالمحمدية بمناسبة عيد الشباب ، يوم الثلاثاء 17 صفر الخير 1383 هـ — 9 يوليوز 1963 .

« ... واذا كان المغرب رفض قبل الاسلام جميع الفتوحات المادية والتاثيرات المعنوية ، فانه تقبل الهداية الاسلامية في اول عهودها الزاهرة باطمئنان ورضى ، اذ وجد فيها رائده الروحي ومصدر انطلاقه لحياة العزة والكرامة ، فقد اثبت التاريخ انه حافظ على اصول ذلك الهدي ، واحتضنه وحمله في امانة الى مختلف الافاق ، ثم انتصب عليه قيما حفيظا حين ابتلى العالم الاسلامي بالنكسة التي تلافاها لحسن الحظ اجدادنا المقدسون ، في هذا الوطن العزيز » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة انشاء (دار الحديث) يوم الثلاثاء 26 رمضان 1383 هـ — 11 فيبرابر 1964 م .

« ... وان في تعاليم الاسلام الحنيف ، وهدي القرآن الكريم ، ما يملأ النفوس فضيلة والمحجة نورا ، فلنخلص العمل لربنا ، ولنستمسك بتعاليم ديننا ، وتقاليده قومينا ، نتحقق لنا الآمال ، ونثمر الاعمال ، وتحالفنا السعادة في الحال والمآل . « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله . وما أنا من المشركين » صدق الله العظيم » .

من الخطاب الذي القي بالدار البيضاء بمناسبة الذكرى الثالثة لجلوس جلالة الحسن الثاني أيده الله ، على عرش اجداده المنعمين ، يوم الثلاثاء 18 شوال 1383 — 3 مارس 1964 م .

« ... لما كان الاسلام دين النصيحة كما قال جدنا عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم ، فان خير نصح نسديه بمناسبة عيد الهجرة النبوية هو أن ندعو أبناء امتنا

من ابناء المحاسيب واعيان الجيش والمخزن ، للاقامة هناك سنوات لحفظ القرآن وتجويده ودراسة العلوم الاسلامية ، واستمر الامر على ذلك زمن مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمن وسيدي محمد بن عبد الرحمن . وفي هذه القبيلة درس كل من السلطان مولاي الحسن الاول ، ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ . وقد رايت في مذكرات استقاها الاستاذ الحاج احمد بناني من السيد ادريس ولد منو الذي كان طالبا مرافقا لمولاي عبد الحفيظ في مدة مقامه باحمر تفاصيل عن هذه الدراسة وبرامجها والسلوك والواجب فيها .

وقد عرف مولاي سليمان بعزيم من العناية بالكتاب والسنة واحترام لرجال القراءات ، فاتخذ امام القرئين في عصره سيدي ادريس الودغيري خطيبا بمسجد فاس العليا ثم نقله الى المسجد الذي بناه بالرصيف من فاس . ولسيدي ادريس المذكور ثمانية كتب في علم القراءات ، اما اكرامه لشيخه سيدي محمد ابن عبد السلام الفاسي فقد سجله التاريخ بصفحات من ذهب وكان مولاي سليمان يتردد عليه لمنزله ويلقبه بشيخنا واغدق عليه هدايا كثيرة ، وحينما توفي امر جلالته بتحييس كتبه على ابنائه ومن تناسل منهم فاذا انقطع العقب ترجع تلك الكتب او بعضها الى خزنة الزاوية الفاسية وبعضها الى خزنة القرويين . واكراما لهذا الشيخ الف مولاي سليمان كتابه عناية اولي الجهد بذكرى عال الفاسي ابن الجد . وتوجد في بعض الخزائن الخاصة بمراكش نسخة عليها خط مولاي سليمان وطابعه الكريم ، كما توجد في خزنة القاضي سيدي الصديق الفاسي نسخة عليها تقارير العلماء المشيدين بفضل مولاي سليمان واعترافه بجميل استاذة ، ولا غرابة فمن الآثار التي يرددها فقهاء الكتابيين القراءانية وطالما سمعناها منهم : من علمك حرفا من القرآن فهو سيدك ومولاك .

واشتهر في زمن مولاي عبد الرحمن الاستاذ الحاج المعطي التادلي الذي قيل عنه انه تخرج عليه خمسمائة حافظ لكتاب الله فاتخذ السلطان المذكور معلما لبنياته ، وكان الى جانب ذلك منكباً على نسخ المصحف الكريم وتوزيعه حتى عد من نسخ ما يفوق المائة من المصاحف .

وكان الحسن الاول ذا عناية تامة بدراسة القرآن والحديث ويكفي للدلالة على ذلك هذه التعليقات التي تنشر لأول مرة الحاقا بهذا المقال .

حدث اثناء قراءة الدروس المولوية من كتاب صحيح البخاري أن طلب السيد القاضي احمد ابن سودة عدم سرد حديث الافك قائلا ان الاوفق عدم اشاعته بين العوام ودراسته فعارضه في ذلك العلامة السلفي سيدي عبد الله السنوسي الذي كان رجس من رحلته الى الشرق ودعا الى الاصلاح الديني فاشتدت المناقشة بين الفقيهين حتى الف ابن سودة رسالة في الرد على السنوسي واكد وجوب عدم قراءة حديث الافك وشنع على الشيخ عبد الله ادعاءه الاجتهاد واستدلالة بالكتاب والحديث وهو ممن لا يتجاوز درجة المقلد . وبعد ما اطلع مولاي الحسن على هذه الرسالة ملا هوامشها تعليقات موضوعية وافق ابن سودة في بعض ما قاله ولكنه اعطى الحق للسنوسي في قراءة قصة الافك المذكورة في كتاب الله وختم بهذه الكلمة الرقيقة : (القرآن كله لنا فال حسن) .

وقد وقفت على تجريد لهذه التعليقات انتسخها بعض عدول فاس ، فرايت من المناسب نشرها في خاتمة هذا المقال حفظا لها من الضياع وبراذا لجانب من جوانب العناية بمسائل الدين وما نص عليه القراءان الكريم . ولا غرابة اذا رأينا الحسن الثاني ينسج على منوال جده في مشاركة اهل العلم في الدراسات الدينية وكلنا رجاء ان يضاعف جلالته عنايته بالقراءان ودفع الناس الى حفظه ودراسة علومه الدينية فوقتنا احوج من كل وقت مضى الى المزيد من هذه العناية والرعاية .

الرباط : علال الفاسي

الملحق

الحمد لله . تجريد ما وقع به مولانا الذي لم تزل فيوض المعارف مقتبسة من بيانه ، ونكت البلاغة طوع بنانه ، ادام الله نوره هاديا ، ومدد بحوره للمستمدين جاريا ، على تقييد الفقيه القاضي السيد احمد ابن سودة المؤلف في الرد على من انكر عدم سرد الحديث الافك ، عند قراءة الحديث الشريف بالاعتاب الشريفة وهو السيد عبد الله السنوسي ، واذا رد عن ذلك بنصوص الاثمة انكر التقليد وصار يدعى الاجتهاد بذكره ويقول براهيه وذلك في اواخر رمضان المعظم عام عشرة وثلاثمائة والف بمحروسة فاس ، صانها وحفظها المولى من كل باس .

محفظ القرآن

للمستاذ علّال الفاسي

اهتمام الأسرة العلوية

والتفسير وما اليهما . وقد كان المولى اسماعيل نفسه من حفاظ القرآن يستحضر آياه في كثير من احواله كما وصفه بذلك سان لوي في التقرير الذي رفعه لملك فرنسا لويز الرابع عشر في شأنه .

ولا شك ان التقاليد الخاصة بالاسرة بدأت تتبلور في هذا الوقت بالذات ، ومن جملتها العناية بتعليم افراد الاسرة ذكورا وانانا آيات الكتاب الكريم واحكام الاسلام حتى اصبح من الضروري وجود كتاب داخل القصر للقيام بهذه المهمة واستمر العمل على ذلك حتى عهد محمد الخامس حيث اسس المدرسة الملكية العامة ، وقد عرف الامراء مولاي الحسن ومولاي عبد الله والاميرات عهد الكتاب القراءني حيث كان استاذنا السيد محمد اقصبي يقوم فيه بواجب المحفظ للقرآن والمربي على آدابه .

ومن اطرف ما نعلمه في هذا الموضوع ان جلالة سيدي محمد بن عبد الله وصل في بعض اسفاره التفقدية الى قبيلة احمر من منطقة آسفي ، وخرج ذات ليلة متنكرا لتفقد الاحوال فراى جماعات من القراء يرتلون القرآن وراى فقيها مشرفا على تلك الجماعات ومربيا لها ومفسرا لبعض الآيات فسره ذلك كثيرا . وفي الغد جاء القواد والاعيان لاستقباله ، وقدم له القراء وكان من بينهم ذلك الفقيه الذي رآه فامر بتنحية القائد، وعين ذلك الفقيه مكانه ، وقال للناس ان اهل القرآن والمعرفة اولى بالولاية من غيرهم . ثم قرر ان يرسل اولاده ومن يرافقهم عادة

لعل من نافلة القول ان نؤكد اهتمام اسرة مالكة كالاسرة العلوية المنحدرة من علي بن ابي طالب والمتصلة بالرسول عن طريق فاطمة الزهراء بحفظ القرآن وتلاوته ودراسة تفسيره وعلومه ، فذلك ما هو طبيعي وضروري لما يقتضيه واجب امانة المومنين ، وما يستوجب المركز المختار الذي لال البيت في المجتمع الاسلامي .

لقد كان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في جملة الصحابة الكبار الذين حفظوا القرآن وشاركوا في جمعه وتدوينه وروايته وتلقيه ثم تفسيره وتاويله والسير على منهاجه ، فلا غرابة ان يورث آل بيته نفس العناية والاهتمام بكتاب الله عز وجل .

والاسرة العلوية في المغرب قامت على اساس الدعوة الى توحيد الدولة المغربية وجمع كلمتها حول امام من سلالة الرسول ومبايعته على العمل بكتاب الله وسنة رسوله . وقد كانت سجالمة مقرا للدراسات القرائية ومفزعا لحفاظ كتاب الله حتى ان العلامة اليوسي روى انه عرف في ايام دراسته بها زهاء الالفين من حفاظ الروايات العشر والسبع ، ولكن جمعهم انتشر في عهود الاضطراب وتوزعوا في مختلف جهات المغرب . ولا شك ان اهتمام المولى الرشيد واسماعيل من بعده اعاد سبيل الامن والطمانينة ففسحا بذلك المجال لدراسة القرآن وسائر العلوم الدينية ، وتكفي مراجعة كتب التراجم والفهارس الحديثة لمعرفة العديد من العلماء الذين برزوا في هذا العصر في علوم القراءة

ولا زندقتهم وانما يقول مؤيد الكتاب والسنة ، فحام
ولم يرد . ووقع له كالمجدوب لا يربط كلاما بكلام .
وقد ختمنا بقول صاحبه خليل والله اعلم ، وان كان
مبحوثا معه فيه .

- 12 - مفهوم
- 13 - لعل هذا يورد اذا اقتصر على التحدث
وحده لا بحسب التبعية .
- 14 - من نقل كلام الناس الخ وعهدته على قائله .
- 15 - لعله الاقتصار عليهما .
- 16 - المحبون لذلك
- 17 - حبا وغرضا
- 18 - ولعله لمفتريه والله اعلم والا دخل في وعيده
كل من الفه ونسخه وسرده ، فتطلق عليه الاعادة .
- 19 - القراءان .
- 20 - خاصا .
- 21 - القراءان كله لنا فال حسن .
- انتهى التعليق الملكي بلفظه .

علا

- 12 - المتسبب كالمباشر
- 13 - حمل الافك من انواع الغيب الخ

- 14 - وقد ذكر في الجامع الصغير الذي ينقل
الخبر احد الشاتمين
- 15 - قوله عن الرازي ذكر قصة داوود ويوسف
يقتضي اشاعة الفاحشة فوجب ان يكون محرما الخ .
- 16 - استدلالا بقوله تعالى : ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشة الخ
- 17 - قوله عن ابي السعود والمراد بشيوعها
شيوع خبرها .
- 18 - استدلالا بقوله تعالى : يعظكم الله ان تعودوا
لنفسه الخ .
- 19 - قوله واي اذاعة اعظم من ان تذكر اي
عائشة بذلك الخ .
- 20 - والخوض في حديث الافك من هذا
القبيل الخ
- 21 - قوله : بالروضة المنورة لا يقرأون ولا سورة
تبت يدا ابي لهب اعظاما لرسول الله .



- 1 - فبيان لك من هذا الذي قررناه ان ترك قراءة حديث الافك واجب على الرعية الخ .
- 2 - قال ابن العربي وقاية العرض بترك سنة واجب في الدين الخ .
- 3 - وقال (ص) من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه الخ .
- 4 - وقد ادب سيدنا عمر رضي الله عنه صبيغ ابن عسل التميمي حين سألته عن معنى والمرسلات عرفا .
- 5 - لا يخوض المكلف فيما لايعنيه مستدلا بقوله تعالى تلك أمة قد خلت الخ .
- 6 - ومنها ما قاله القاضي عياض في الشفاء من انه لا يجوز التحدث باخبار الانبياء الخ .
- 7 - وقد كره مالك التحدث بمثل ذلك الخ .
- 8 - قوله عن الدلجي ومن ثم لم يوافقه (اي مالكا) احد على كراهة التحدث الخ لانه لم يجز بذلك عبثا ولا لترك سدى .
- 9 - قوله في احتجاج الدلجي مع امره (ص) بلفوا عني ولو آية الخ .
- 10 - قوله ان ما قاله امامنا مالك في كراهة التحدث هو الذي يقول به جميع الناس الخ .
- 11 - قوله فما عسى ان تقوله ايها المعترض الخ .

- 1 - بل حسن لا احسن وخلاف الاولى .
- 2 - كالافتاء بغير المشهور اذا جرى به العمل او لضرورة .
- 3 - مسلم .
- 4 - والله اعلم .
- 5 - ولعله المقام محرز التفسير
- 6 - وهو شفائه .
- 7 - الكراهة سدا الخ
- 8 - من يومر
- 9 - ظاهر
- 10 - خلاف الدلجي
- 11 - انما يقول بالقرآن والحديث وقول مالك في الاجتهاد وعدم حمل الناس على قوله ، وما اجاب به القعنبي الى غير ذلك وهو ان القرءان والحديث وكلام الائمة بلفظه مسلم صحيح في نفسه ، لا لاحد ما يقول فيه . الا ان قائله يضعه في غير موضعه ويورده في غير موارده ولم يوجد من بحسن جوابه عن ذلك ورده حتى يوقفه ويفحمه بالحجة عدى صاحب هذه النبذة في البعض . واما غيره فخطبة شعواء منه لفظا ومنه همزا ولما . لكونه اي الردود عنه ما يحتج به من قول مالك اذا قلت قال رسول الله الخ واذا قلت لكم انا فاعرضوا الخ انما كلامه في ذلك مع الراسخين لا مع امثالنا فيفهم ، وما يتعرض له بخليل ويعترض عليه به فجوابه خليل فصله وقد قال الخ مبينا لما به الفتوى وبالظهور لابن رشد وبالقول للمازري وبالترجيح لابن يونس الخ وفقهه كله في الكتاب والسنة الا انه لم يذكر الحديث بلفظه كصاحب الرسالة في بعض المواضع ، وليطالب ببيان مسألة في خليل غير موافقة للكتاب والسنة فيفهم . وغايته انه لم ينقل شبه الفلاسفة

يصلح لها ، ولا يقال اردت هذه الخشبة لقبول الرئاسة والخيرات ، فلم اجدها تصلح لذلك ، ولم يتخرج هذا الكلام الا في معرض الذي لمن لم يكن اهلا لقبول ما رشح له وما اريد منه .

« والتفات آخر : لا يصدر هذا الكلام الا ممن يزيد علمه باختبار الاشياء ، اما الفاطر العالم قيوم السماء فلا يناسب نسبة هذا اليه الا في معرض الذي ممن اراد ان يظهر عيوبه لخلق ، اما في مثل الجمادات فلا .

« نحب من شيخنا ان يعطي هذا الكلام حقه من نظره السديد وان لا يقرني على خطأ ، سيما وفيه تجاسر على ما لست له باهل . والله يعصم افهامنا من الزلل ءامين . »

ثم زاد بآثره يليه توضيحا لمراده قوله : « لانك لا تقول عرضت فضيلة على الجبل فلم اجد فيه قابلية ، وعرضتها على زيد فوجدته ظلوما جهولا ، الا اذا اردت ذم الصنفين على ان جلالة الاخطار في الاخطار ، وليس الذي بمتوجه على من حمل ما يلفه ، انما الظلم والجهل منصبان على الخاسر ، وجنس الآدمي والجان خير من الجماد . اعني المومن ، والجماد قابل لما حمله من امانته ، وهي السجود والتسبيح والاذعان ، وما يؤمر به من خسف وزلزال ، ومن لم يخزن من الجن ولانس ممدوح له فضيلة تحمل الامانة وعدم الخيانة في امانته كما فسر به الكشاف ، وهل هو ابتكر هذا الوجه وتعب عليه ، لله دره ، أم سبق اليه احدا » الخ .

وقد اجابه الشيخ الطيب بما نصه :

« الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وجنده . كأن مراد مولانا الامام المؤيد ، ابقى الله سعادته ومجادته الى الابد ، مناقشة الزمخشري في عدوله في الآية عن الحقيقة الى المجاز مع ان حملها على ظاهرها ممكن ، وهو المهيح المطروق الوارد عن السلف الذين هم اعلم منا بتاويل كتاب الله ومحامله الحقيقية والمجازية ، وادري باساليب كلام العرب وما يتبادر من تراكيبهم وما ، لا . »

وبعد ان تعرض الشيخ الطيب لراي الزمخشري في الآية الكريمة وهو وجهان كلاهما محمولان على المجاز ، وتمقبه بان حملها هي الحقيقة بخلق الادراك والفهم في الجمادات المذكورة غير مستبعد على قدرة الله عز وجل وانه هو الحمل المنقول عن السلف ، استطرد لذكر الراي الذي ادلى به البيضاوي وهو محل بحث السلطان ، ولكنه انما نقله بالحرف ولم يعقب عليه بشيء ، كأنه لم ير فيه ما رأى السلطان .

لكن تقييدا آخر ، نطن انه له ، وانه كتب بعد مراجعة ثانية من السلطان للشيخ الطيب ، وتحليته باوصاف رأى انها فوق قدره كما في طالعة هذا التقييد ، يفصح عن موافقة السلطان في بحثه وتأييده في مناقشته ، وهو يقول فيه :

« ولنرجع الى المقصود فنقول ما اعترض به سيدنا على البيضاوي وارد عليه اي ورود ، عند تحكيم العبارة ومنعها من الانحراف والشرود ، والجرى على مقتضى اللفظ افرادا وتركيبا ، والاخذ بمعناه سياقاً وترتبا ، وبأدنى أدنى من ذلك يناقش العلماء بعضهم بعضا ، ويواخذ النقاد البصراء من يتساهل في التعبير ولا يحترز عما يوهم ما لا يرضى » الخ .

والجدير بالذكر ان العلامة مولاي عبد الهادي العلوي كتب على بحث السلطان غير موافق على ما لفظه : « الحمد لله تأملت ما كتبه مولانا الامير سليمان ومجاراة شيخه سيدي الطيب بن كيران فاتضح لي عدم صحة ردهما على الزمخشري والبيضاوي ، ولم يبين رايه وانما احال على تفسير العلامة ابي السعود . ومن هنا قلت ان التقييد الثاني ربما كان للشيخ الطيب ايضا لانه هو الذي فيه موافقة السلطان ومجاراته ، فضلا عن كون المصدر الذي انقل عنه ، وهو مجموع من محتويات خزانتنا الكتونية ، اكثره من مؤلفات الشيخ الطيب .

وءاية اخرى للسلطان مولاي سليمان فيها بحث ادلى به لشيخه وعلماء مجلسه ، فوافقوه عليه ، وهي قوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) فيه تقييد اظنه للشيخ الطيب ايضا ان المفسرين والنحويين ذكروا في معنى (من) هنا وجهين ، البذل اي ولو نشاء لجعلنا بدلکم ملائكة كقوله (ان ينشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ، والثاني الابتداء اي ولو نشاء لجعلنا ملائكة ناشئين منكم ولم نجعلهم خلقا مخترعا بلا ابوين . . والخطاب على الوجهين للبشر عموما .

ثم قال التقييد : « وظهر لسيدنا السلطان المؤيد ، والعالم التحرير الاوحد ، مولانا سليمان بن مولانا محمد ، وجه ثالث كتبه بخطه الشريف وتلقيناه منه بالمشافهة وهو ان تكون (من) للبذل ، ولكن الخطاب خاص بالرسل كأنه قيل : ولو نشاء لجعلنا بدلکم ايها الرسل ملائكة يخلفونكم في دعوة البشر الى الله وتلقيتهم عنه شرائعه واحكامه كما اقترحه الكفار

عناية السلطان المولي سليمان العلوي بعلم التفسير

للأستاذ عبدالله كتون

ويراجعهم فيما لهم من انظار ، ولكن في دائرة المسلمات من العقائد والاصول الفقهية وعدم الزيغ عن الصراط المستقيم .

واول ذلك بحث له مع العلامة البيضاوي في تفسيره للآية الكريمة : (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا) فان هذا المفسر بعد ما فرغ من عرض ما لفيره في الآية من عاراء وهي ان المراد بالامانة الطاعة وبعرضها على من ذكر الفرض والتقدير وليس العرض بالفعل ، او ان المراد بها الطاعة الطبيعية والاختيارية وبالعرض الاستدعاء طلبا للفعل من المختار واردة لصدوره من غيره ، او ان العرض كان حقيقة بأن خلق الله الادراك في هذه الجمادات ، والامانة على كل حال هي الطاعة . . بعد ذلك أتى برأي له خاص عبر عنه بقوله : « ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن ، وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم القابلية والاستعداد ، وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها » . الخ .

فكتب عليه مولاي سليمان موجها الخطاب الى استاذة الشيخ الطيب بن كيران ما نصه :

« الحمد لله . اردت ان اظهر لشيخنا عوض والدنا ، جودة نظرنا ليكون ذلك عنده افضل من حمر النعم ، كما قالها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لولده لما استحى ، فمنعه ذلك من الحياء في العلم . وهو اعترض على البيضاوي في الوجه الذي ابداه ، فانه ينبو عن الفهم السالم ، ومن كان له حسن نظر فيما يعطيه الكلام ويرتب عليه النظام ، فاقول : انما يقال لعاقل مثل زيد اردته لقبول المعالي والمزايا فلم اجده

السلطان العالم ابو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي الحسني ، الى جانب اضطلاعهم بشؤون الملك والامامة العظمى ، كان شديد الاهتمام بالعلم والاكباب عليه والتأليف فيه ، ولا سيما علم الحديث وعلم القرآن ، واعتناؤه بالعلماء وتقريبه لهم والمجالس التي كان يعقدها معهم للمذاكرة وقراءة الكتب العلمية المختلفة هو مما تعالم من سيرته واشتهر من برنامج عمله اليومي ، واخص ما كان يعنى به علوم البلاغة والحديث والقراءات ، كما يعلم ذلك من ترجمته وكم حض على تحرير مسائلها والتأليف فيها ، ومما هو معروف ان عدة كتب في هذه العلوم وضعت بامرهم وتحقيقا لرغبته ، وانه اجاز عليها بالجوائز السنية ، والمكافآت العظيمة .

وهذا فضلا عن كونه هو نفسه قد عنى بالكتابة في موضوعات متنوعة من مسائل العلوم المذكورة ، وجود فيها ما شاء ، وتأليفه هذه توجد في الخزائن العامة والخاصة بكثرة .

وبهنا في هذا المقام عنايته بعلم التفسير خاصة ، وبعض كتاباته فيه ، لا سيما وهو مما لا ينبه عليه التاريخ ولا يشير اليه كتاب ترجمته الا تضمينا حين يؤكدون على اشتغاله بعلوم القرآن جملة ويعينون منها علم القراءات بالخصوص ، وهو الذي الفت فيه باسمه كتب متعددة من رجال مختصين ، وبعضها مطبوع متداول ، فأحبينا ان نلم في هذه العجالة بشذرات من كتاباته وابحائه التفسيرية على وجه التعمين ، لنل على شمول عنايته بعلوم القرآن ؛ للتفسير الذي هو لبها وجوهرها ، ونبرهن ضمن ذلك على غوصه وتعمقه في الفهم وبعد نظره وتحققه بفنون البلاغة وأسرار العربية ؛ الذي جعله يدرك ما خفى على بعض المفسرين

الدولة العلوية

والفران الكثر

للعيير الرحالي الفاروق

شيد ملوك الدولة العلوية الدين اشتهروا بحماية الكتاب العزيز ، والذين كتب لهم شرف الدفاع عن استقلال الوطن العزيز عند ما طرا عليه طارئ الاستعمار عملا بقوله تعالى : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ، شيدوا اركان صرح المعرفة بهذا البلد الامين ورفعوا منارها ومعالمها وشجعوا هيئتها ومطالبها فكان ادنى ما يعامل به قارئ القرآن او الضارب في العلم بأدنى سهم ، ان يعظم ويحترم وان لا يعامل بما تعامل به الرعية من اداء المقام المالية ، والكلف المخزنية والحركات السلطانية ، وكانوا اعزهم الله يرون من فخر الدولة ومجدها تشييد المدارس القرائية والعلمية على نفقاتهم الشخصية حتى كان الناس يقلدونهم في هذا الباب والناس دائما على دين ملوكهم ، فيقيمون المدارس والمكاتب القرائية والزوايا والرباطات والمساجد على نفقاتهم الخاصة مساهمة في الخير واحتسابا بالله تعالى ، والدولة تعاملهم ازاء ذلك بالاجلال والتوقير ، وتسندهم بالظواهر والتنويه والتقدير ، ولم يكن من المعروف في المغرب ان يتعاطى المرء العلم وهو غير عارف بالقرآن ولا جامع له .

ففي عهد جد العلويين المولى اسماعيل بن الشريف توافرت المكاتب وتكاثرت المدارس في المدن والقرى والمدامر ، يتعلم الناس فيها القراءة ، والكتابة ، والحساب ، ويحفظون القرآن الكريم ، وكانت العادة جارية في هذا العهد وفيما بعد بالاحتفال بحفظه

القرآن اصل اصيل في حفظ المدنية الاسلامية وشرح مقوماتها ، وسبب قائم للهداية البشرية وتطور حياتها . ودلالة على النظر في الكائنات والاتصال بطبيعتها .

ومنذ نزل الكتاب العزيز الى الارض والناس يستضيئون بتوجيهاته ونظرياته ، ويستنبطون اصول الحياة وفنون المعرفة على اختلاف المدارك والمذاهب والغايات من جوامع كلماته ، وما زالوا يستحثون على الاقتباس من وحيه في كل عصر من العصور ، وما انفكت التفاسير تتشاكل في وضعها مع احوال الزمان وظروف المكان ، وما برحت عناية العالم مصروفة الى ترجمته والوقوف على ثروته ، فاستفاد منه العنصر الاجنبي في نهضته وحضارته ، وفي ابحاثه الفضائية ، وفي محاولاته الصعود الى المناطق السماوية ، ومع ذلك ففي كتاب الله عز وجل من الاسرار والعجائب ما لا ينبئك عنه الا تقدم الزمان ، وتطور فكر الانسان ، كما يقول الله تعالى : (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) . والمسلمون عندما اخذوا بهذا الكتاب في حياتهم واستجابوا له استجابة حية كانوا راجحين في كل ميزان ، وسابقين الى كل ميدان ، وكانت عزتهم وكرامتهم بمكان ، وصدق قول الله العظيم : (وانه لذكر لك ولقومك) .

ولقد نالت منه الامة المغربية اوفر الحظوظ والانصبه حتى قالوا ان القرآن نزل بلغة العرب ففسره العجم ، وحفظه المغاربة ، ونطق به المصريون ، ولقد

غير مرة ، فقال قوم نوح (ولو شاء الله لانزل ملائكة) وقال كفار قريش (لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) الخ ... »

وقد وجه التقييد هذا الراي وايده ، واورد ما ياتي عليه من الاعتراض وابطله ورده ، وجمله من الفهم الذي اوتيه رجل مسلم كما ورد في الحديث ، ومما نشير فيه : كم ترك الاول للاخر ، لان المفسرين لم يهتدوا الى تطبيق هذا البحث في الآية ، واقتصروا فقط على الوجهين السابقين ، ثم ختم الكلام فيه بقول ابن مالك المشهور في خطبة تسهيله « واذا كانت العلوم منحها الهية ، ومواهب اختصاصية ، فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ، ما عسر فهمه على كثير من المتقدمين » .

* * *

وكتابة ثالثة له قدس الله روحه على آية (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم ، الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه) الآية .. وهي آية جديرة بالتأمل ، وتثير تساؤلات عديدة ، وعليها مبنى عقيدة النصارى فلننظر كيف حرر السلطان مولاي سليمان مبحث تفسيرها بسياق ما كتبه عليها ونصه مستخرجا من شرح شيخه عليه .

« انه اعلم بمراده تعالى ربنا .. (وان الذين اختلفوا فيه) اي عيسى من بني اسرائيل اليهود الذين كذبوه ، والنصارى الذين صدقوه ، وفرقهم في زمان محمد صلى الله عليه وسلم (لفي شك منه) اي لفي شك من امر عيسى ولم يحقق احد من المختلفين فيه ما هو الحق المطابق للواقع ، فكيف يحاجونك بما لا يعلمون صحته ، الا فرقة واحدة ، وهي المعتقدة للحق الصادقة من فرق النصارى . ولهذا لم يختلف قولها مع قول محمد والقرءان ، فلم تقصد بالذكر وليست في شك .

« والحق ما انزل اليك وهو ما تعتقده الفرقة الناجية التي بقيت على الحق ومن تبعها عليه حتى اتي محمد بالحق والنور : انهم (ما قتلوه يقينا) اي من ظن ذلك (بل رفعه الله اليه) وذلك ما اشير اليه في الآية من اختلافهم وشكهم اي بيانه ان فرق النصارى اختلفت في نفسها ومع اليهود ، فقالت اليهود هو كاذب وقد قتلناه وصلبناه ولكن شككهم في ذلك انهم لم يجدوا صاحبهم المنافق الذي القى شبهه عليه ، او المسلم الذي فقدوه من العدد على القول بان شبهه القى على مسلم من اصحابه ، لانهم علموا بالعدد الذي

في البيت الذي كان فيه عيسى ، فلذلك قالوا ان قتلنا المسيح عيسى فاين صاحبنا وان قتلنا صاحبنا فاين عيسى ، او قالوا البدن بدن صاحبنا والوجه وجه عيسى ، فلذلك كانوا في شك من فعلهم .

« واما النصارى المارقون عن الحق فقالت فرقة هو الله والاله لا يقتل ، وقالت فرقة قتل وصلب فلذلك زادها بعض لليهود ، وقالت فرقة هو ابن الله ، وقالت فرقة هو اله ثالث ، وهي التي تقول بالتثليث ، وقد وجدهم قسطنطين الملك على فرق تزيد على الثلاثين ، وكلها ضلال ، الا القليل المعتقدين ما في القرءان الذي يقوم على الحق ، حتى اتي محمد صلى الله عليه وسلم ، ففروا منه بدينهم ، وقد جمعهم قسطنطين المذكور على ما هم عليه الان ، او جلهم وسماها الامانة الكبرى ، وهي في الحقيقة الخيانة الكبرى»

هذا تفسيره رحمه الله ورضى عنه لآية ، ويظهر عند تأمله ما فيه من تحقيق للنظر وتنزيل على الواقع واستدلال بتاريخ النصرانية نفسها ، مما يجعلنا نكبر همة هذا السلطان الذي لم تشغله مهام الملك وتدير شؤون الرعية عن المشاركة مع اعيان علماء عصره في خدمة القرءان وعلومه بهذا الجهد الكبير والنفس العالي .

وقد اتبع شيخه هذا التقييد بشرح واف ، ابرز فيه نكته ومضامينه واستشهد عليها بالنصوص والنقول المؤيدة من قواعد الاصول والمنطق والبلاغة واقوال ائمة التفسير والمحدثين فاتي في ذلك بالعجب العجيب .

ومرة أخرى نظن ان شيخه هذا هو العلامة الطيب بن كيران لان نفسه ظاهر في كتابته ، وان لم يسم نفسه ولم يسمه كاتب الشرح وهو احد العلماء الائبسات .

ومن هنا نظن ايضا ان التفسير الذي كتبه الشيخ الطيب بن كيران والذي يبدأ من سورة النساء ويقف في سورة غافر ، لا يبعد بل يترجح ان يكون بامر من مولاي سليمان ونتيجة لهذه المداولات التي كانت تجري بينهما في معاني الايات الكريمة ومراميها والتعليق على ما نحاه المفسرون السابقون في ذلك .

رحم الله السلطان العالم مولاي سليمان الذي كان مفخرة للسلطين وعزا للعلماء .

طنجة : عبد الله كنون

(9) تفسير البحر المديد في تفسير القرآن
المجيد لابن عجيبة المتوفى سنة 1224 .

(10) حاشية على تفسير أبي السعود والبيضاوي
للسيد حمدون بن الحاج

(11) تفسير القرآن لأبي الحسن الدمناتي
المتوفى سنة 1306 .

(12) تفسير من سورة النساء إلى حم غافر
للشيخ الطيب بنكيران المتوفى سنة 1227 .

ومما يلاحظ أن ظاهرة حفظ القرآن مجردا عن
معرفة معانيه لم تكن في عهد السلف الصالح - ولذلك
كان بعض الشيوخ لا يسمح بمحو الألواح حتى يقرأها
التلميذ بكل ما يتعلق بها من رسم ، وتجويد ، وأعراب
وتفسير .

ذلك أن القصد من قراءة القرآن هو معرفة
معانيه الدينية ، والدنيوية ، والكونية ، ولا يتبها ذلك
إلا بدراسة اللغة العربية وأدبها ، فانهما المفتاح لأدراك
ما في القرآن الكريم من المعاني المختلفة ، فينبغي
إدخال العلوم اللسانية إلى المدارس القرآنية ويكون
ذلك بنظام يضمن النجاح ويحقق الغرض المنشود ، ولا
يتأتى هذا إلا بتعدد الأساتذة في الكتب القرآنية ليقوم
كل واحد باختصاصه من تلك العلوم الأدبية ، ونحن
لا ننكر فضيلة تلاوة القرآن ولكن ليست التلاوة هي
المقصود من القرآن والله الموفق .

مراكش - الرحالي الفاروق

فجاء آية في الصنع ، وغاية في الإبداع ، وتفضل
جلالته بالحضور في الدروس التفسيرية والحديثية
التي أصبحت تقام عادة في رمضان من كل سنة بأمره
واشرافه ، جعل الله هذه الأعمال خالصة لوجهه
الكريم ، ودائمة بدوامه إلى يوم الدين والجزاء .

وهناك ما يشهد للموضوع من الانتاج الواقع في
ظل الدولة العلوية مما بلغ إليه علمنا القاصر وهو
قليل من كثير :

(1) اللعة في قراءة السبعة لأبي زيد الفاسي
المتوفى سنة 1096 .

(2) حاشية على الجعبري شارح حرز الاماني
للمنجرة المتوفى سنة 1179 .

(3) حاشية أيضا على الجعبري لابن عبد السلام
الفاسي المتوفى سنة 1214 .

(4) التوضيح والبيان في مقرا نافع بن عبد
الرحمان لأبي العلاء البدرائي المتوفى سنة 1257 .

(5) الاتحاف فيما يتعلق بالقاف للقاضي ابن
خضراء المتوفى سنة 1322 .

(6) تأليف في تجويد القرآن لمحمد بن يوسف
الجناني المتوفى سنة 1302 .

(7) منظومة في وقف القرآن في قراءة البدور
السبعة للسيد ابراهيم انجار المتوفى سنة 1253 .

(8) تأليف في قراءة نافع وبيان رواته للسيد
محمد بن عمر التتملي المتوفى سنة 1299 .

ممارسة اعمالهم بنشاط واخلاص ، والاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى .

وفي عهد المولى الحسن الاول كان اعتبار حملة القرآن الكريم متناھيا ، وكان تشجيعهم بالمكافآت السخية ، والاعطيات الوافرة التي كانت ترصد لكل من جمع القرآن الكريم ، واما الذين يحفظونه برواية الشيخ حمزة فكانوا علاوة على تمتعهم بالنوال والعطاء يتحررون من كل خدمة ونائبة ، وهذا الالتفات الخاص الذي توج عهد الحسن الاول رحمه الله ، ادى الى انتشار الكتابات القرائية وازدياد عددها في اكثر الاقاليم المغربية ، فكننت تجد اكثر الدوار او المدشر في البادية من حفاظ القرآن الكريم حتى انهم اصبحوا يكونون مجتمعا خاصا في هذا الاطار ، ويوجد في بعض قبائل السراغنة دوار من اولاد صبيح ينيف سكانه على مائتي خيمة ما زال الى الان يطلق عليه دوار حمزة لانهم كانوا يحذقون رواية الشيخ حمزة .

واما حفيده جلاله محمد الخامس رحمه الله وجلالة الحسن الثاني حفظه الله فقد كانا معلمين للخير ، ومقتصين هذا الاثر بحكمة ، ومجلبين عن نفسيهما في ذلك المضمار ، واهتما على الخصوص زيادة على ما تحليا به من العطف والحدب ، على اهل العلم والادب ، وعلى ما امتعا به شعبهما من نهوض عام وازدهار شامل - بتنظيم التعليم عموما وتنظيم مدارس القرآن والحديث خصوصا ، والكتاب والسنة هما المصدران الاساسيان للدين الاسلامي . وهما يؤبؤ كل عز ومنهاة كل مجد .

وقد زادت عناية امير المؤمنين الحسن الثاني فعين قراء اجلة واساتذة اكفاء في دار الحديث المؤسسة برباط الفتح ، وفي مدارس القرآن التي توجد بنواحي الجنوب والشمال ، مما جعل اللسنة رطبة بالدعاء لجلالته والثناء على همته ، واكتظت هذه المدارس التي تتلى فيها آيات القرآن الكريم بالطلاب الذين ياتون اليها من كل صوب وحذب بغية جمع القرآن ، وتجويده ، والالمام باحكامه ، وبرواياته السبع والعشر ، وجعل اعزه الله وزارة الشؤون الاسلامية تشرف على هذا العمل البار وتراقب سيره ونشاطه ، وتؤدي الرواتب والمنح للقائمين عليها من شيوخ القراءات ، وللمستفيدين من نوايع الطلبة والطالبات .

ومن معالم عنايته اعزه الله بالكتاب والسنة ، امره الشريف بطبع المصحف الكريم طبعا فاتقا من جهة الخط والرسم ، ومن جهة الزخرفة والفن ،

القرآن على وجه خاص حيث كان الالباء برعاية الدولة يشتررون افراسا كهدية لاولادهم عندما يجمعون القرآن العظيم ، ويتناول حافظ القرآن المصحف بيده ، ويركب الفرس يتفصح عليه ، وسائر صبيان المكتب تذهب للتفصح مع المحتفل به ، وتاتي اليهم اجواق الطرب فترافقهم وتشنف اسماعهم ، وبعد ذلك من اراد قراءة العلم توجه اليه ، وعندما يتمم دروسه يقع امتحانه واختياره ، ومن فاز باغلبية الاصوات على اقرانه عين قاضيا او مفتيا ، فانظر كيف كانت عنايتهم بالقرءان الكريم ، وكيف كان الاحتفال به خاصا ، وكيف كان التشجيع للعلم في هذا العهد الشريف .

وفي عهد المولى سليمان بن محمد كانت المنادة بحفظ القرآن وتعلم العلم ، والتشجيع على تعاطيه ونشره بالدراسة والتأليف وخاصة علوم القرآن والحديث بالفا اقصاه وقائما على المراعاة والملاحظة ، وتقديم المنح والجوائز ، وترتيب الارزاق والفوائد للمستحقين وللغائبين ، فمن ذلك انه رحمه الله امر ابا العلاء ادريس بن عبد الله البدرابي وكان من الشخصيات الامة في القراءات ، والتجويد ، والرسم ، ان يؤلف تأليفا في مقرا نافع ابن عبد الرحمان المدني فالف كتابه التوضيح والبيان في مقرا نافع بن عبد الرحمان ، قال في اوله جعلته سلما لتعليم الصبيان ، وتذكرا للماهرين بالقرءان ، وامره كذلك بتأليف في همزة الوصل وفي الالف التي تزداد في الخط الى غير ذلك من الخدمات القرائية التي ارشد اليها رحمه الله ، وفي عهده نبغ المفسر الكبير الشيخ الطيب بنكيران الذي وضع تفسيراً جليلاً من سورة النساء الى حم غافر .

واما في عهد المولى محمد بن عبد الله فقد استوت النهضة وازدهرت الحركة باعتماد القرءان والحديث ، وبتوجيه التعليم وتنظيمه ، وتحديد برامجهم ومناهجهم ، ثم بوضع منشور للتعليم اذاعه على العموم والخصوص ، وتوعد كل من خرج عن احكامه ، وراقب التعليم مراقبة تمنع من التصرف المطلق في ابوابه ، وهذا المنشور الذي له ذكرى في التاريخ يعد من معالمه الحسنى ومكارمه المثلى رحمه الله تعالى ، ومن اجله انتشرت كتب السلف ، وكثر الاطلاع على آثار الاقدمين ، واستقام النظر في الكتاب والسنة ، وكانت الصلوات تاتي في كل عيد الى القراء والعلماء والطلبة والمؤذنين وائمة المساجد ، تشجيعا لهم على

حدود الشريعة ، وتعظيم لحرمتها ، مع انه لو اراد ان يتأول ، لكان له في التأويل مجال .

فقد اخرج الطبراني بسند صحيح من حديث عبد الله بن السائب قال : قال رسول الله (ص) : قدموا قريشا ولا تقدموها ، وتعلموا من قريش ولا تعلموها ، ولولا ان تبطر قريش لاخبرتها ما لخيارها عند الله تعالى . وله شاهد عند البزار من حديث علي ابن ابي طالب ، وآخر عند ابن عدي من حديث ابي هريرة .

وفي الصحيح عن النبي (ص) انه قال : الخلافة في قريش ما اقاموا الدين ، لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه في النار .

فكان للامير محمد بن الشريف الحق في ان يتقبل بيعة من بايعه من تلك القبائل ، وان يتقدم ويحكم ، فهو احق بالحكم من اولئك الاثراك ، ولكن كما تقدم من شيعة آل البيت النبوي الكريم التواضع لله ولاخوانهم المسلمين اقتداء برسول الله (ص) الذي امره الله تعالى بقوله في سورة الشعراء (142 - 215) وانذر عشيرتك الاقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) .

امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يحذر اقرب الناس اليه ان يتكلموا على قرباتهم منه ولا يعملوا عملا صالحا ينجيهم من عذاب الله ، فحذرهم النبي (ص) امتثالاً لأمر ربه فقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : يا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت ، وانقذي نفسك من النار ، لا اغني عنك من الله شيئاً ، ثم قال : يا صفية عمة رسول الله انقذي نفسك من النار ، لا اغني عنك من الله شيئاً ، يا عباس عم رسول الله انقذ نفسك من النار لا اغني عنك من الله شيئاً ، يا بني هاشم ، لا يأتيني الناس بالاعمال وتأتوني بالدنيا فتقولون : يا محمد ، فأقول : لا ، قد بلغت . او كما قال عليه الصلاة والسلام . فمثل هذه النصوص هي التي جعلت الامير محمد بن الشريف يعتذر للاتراك ويعاهدهم كما تقدم .

فان قيل : ما علاقة هذا الخبر التاريخي بالموضوع الذي انت متصد للكتابة فيه ، وهو تمسك أئمة الدولة العلوية بكتاب الله وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فالجواب :

ان معنى التمسك بكتاب الله ، هو اتباع الكتاب العزيز ، والوقوف عند حدود الله ، والتحاكم الى كتاب

المبين ، ولا يستغفر الاحلاف ، وهم العمارنة ، وعرب بني اسماعيل من العجم الى بني (يزناسن) ، فاستولى عليها ، اعدائه داخل ' وجدة ، وكان اهلها حزبين : حزب يدعو الكثيرة مقة ، وحزب ثابت على ولائه لدولته المغربية سز المواطنين الصادقون بمقدم الامير العلوي محمد ابن الشريف ، فانقضوا على الحزب الداعي الى الاتراك ، فخذوا شوكتهم ، وفتكوا بهم وردوهم الى الصراط المستقيم ، وصفت وجدة ونواحيها للامير محمد بن الشريف ، ولم يبق فيها معارض ولا مشاغب ، وكان ذلك سنة 1060 هـ .

ثم استولى المولى محمد بن الشريف على ندرومة وتلمسان ، وما يحيط بهما من القبائل ، وتصدت له الحامية التركية التي كانت في تلمسان ، فهزمتها شر هزيمة ، وقدم عليه محمود شيخ حميان مع اعيان قبيلته وبايعه ، ودخل في طاعته ، ووصل الى عين ماضي والاغواط في الناحية الشرقية من الجزائر ، واستبشرت قبائل العرب كلها في الجزائر بهذا الامير الميمون ، وكانوا كارهين لحكم الاتراك المغيرين المفتصبين ، ثم رجع الامير سالما غانما منصورا مظفرا ، بعد ما شب نيران الحرب في الابالة التركية ، ونسفها نسفا ، وضرب اولها بآخرها ، كما يقول الناصري في الاستقصا ، وخاف الاتراك على انفسهم ، فاستعملوا العقل والحكمة وبعثوا وفدا مؤلفا من عالمين وقائدين تركيين ، فوصلوا الى سجلماسة ، ومعهم كتاب من رئيسهم عثمان باشا يناشد المولى محمد بن الشريف الله ، ويحاكموه الى شريعة جده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول له : نحن مسلمون ، فبما ذا تستحلون قتالنا ؟

فناثر الامير محمد بهذه الرسالة ، واخذته القشعريرة وقال : والله ما اوقعنا في هذه المحذورة الا شياطين العرب ، انتصروا بنا على اعدائهم ، واورقونا في معصية الله ، وابلفناهم غرضهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

واني اعاهد الله تعالى لا اعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعييتكم بسوء ، واني اعطيكم ذمة الله ، وذمة رسوله ، لا قطعت وادي تافنا الى ناحيتكم الا فيما يرضي الله ورسوله . وكتب لهم بذلك عهدا الى صاحب الجزائر ، وقنع بما فتح الله عليه من سجلماسة ودرعة واعمالها . انتهى .

وهذا الموقف الذي وقفه هذا الامير الجليل يدل على خوف من الله ، واتهام للنفس ، ووقوف عند

أُمة الدَّولة العَلَوِيَّة ، وَتَمْسِكُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبَيَانَ رَسُولِهِ الكَرِيمِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

للدكتور تقي الدين الرهطاني

وقد طلب منه اعيان غرناطة من العلماء والصالحين ، واهل الحل والعقد ان يبایعوه بامارة المؤمنين لما راوا من بلائه الحسن في جهاد اعداء الاسلام ، وكشف الفمة عن المسلمين بالجيش الذي جاء به من المغرب من المجاهدين ، فأبى عليهم كل الالباء ، ورعا وزهدا ، وتباعدا عن زهرة الحياة الدنيا اقتداء بجده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله اخرج من ذريته رجال صدق ، وأئمة هدى ، ومصابيح ظلام اتقذوا المغرب من نكبته واقالوه من غشوته ، واقاموا من كبوته ، فقطعوا رؤوس الفتن ، وجمعوا شمل الشعب ، وطهروا الثفور من رجس الاعداء المفتصين . ولم يتم لهم ذلك الا لتمسكهم بكتاب الله ، واهتدائهم بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فان العز والنصر ، والسعادة والسيادة في بلادنا هذه ، وفي سائر البلدان التي فتحها الله على المسلمين ، كل ذلك منوط باعلاء كلمة الله ، واتباع كتاب الله ، وهذه مواقف شريفة ، تفها هؤلاء الائمة امام كتاب الله وسنة رسوله تدل على مبلغ تمسكهم بهما .

الموقف الاول للامام المولى محمد بن الشريف لما بايع اهل سجلماسة واهل درعة ونواحيهما المولى محمد بن الشريف ، وكانت هاتان الناحيتان وغيرهما من الاراضي الجنوبية من بلاد السوس تحت حكم ابي حسون ، فتقلص ظله منهما ، واجمع اهاليهما على نصرة هذا الامير الجليل توجه الناحية الشرقية من

قال الله تعالى في سورة الاحزاب (33) انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) اخرج ابن ابي شيبة واحمد ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم عن عائشة قالت : خرج النبي (ص) غداة ، وعليه مرط مرحل من شعر اسود ، فجاء الحسن والحسين فادخلهما معه ، ثم جاءت فاطمة فادخلها معه ، ثم جاء علي فادخله معه ، ثم قال (انما يريد الله) الآية .

ومن حديث واثلة بن الاسقع عند ابن ابي شيبة واحمد وغيرهما ان النبي (ص) قال بعد ما غطاهم بالكساء : اللهم هؤلاء اهل بيتي ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

فاهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هم احق الناس بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونشر الويتهما بين الناس ، وتبوا اعلى المراتب في الدين والدنيا ، فهم سرج هداية ، ومصابيح الظلام ، كلما عظمت الخطوب ، واظلمت الافاق بدا منهم سراج ، ولاح منهم بدر كشف الظلام ، وجدد الدين ، وقاد السفينة الى شاطئ السلامة والكرامة .

ومن هؤلاء المصاييح الفر الميامين الامام الحجة المجاهد ، الورع ، التقي الزكي ابو الاشبال علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن قاسم رضوان الله عليهم ، وكان هذا الامام على قدر محبته للعلم ، والجهاد في سبيل الله ، وحج بيت الله الحرام ، والاجتهاد في عبادة الله يكره الامارة .

المبين ، ولا يستغرب بعد الاطلاع على هذا ما اعطى الله اسماعيل من العزة والنصر ، والقاء الرعب في قلوب اعدائه داخل المملكة وخارجها ، وكون راياته في حروبه الكثيرة مقرونة بالنصر والظفر .

الركن الاول (انا وانتم عبيد لسنة رسول الله (ص) وشرعه) استوى المالك والملوك ، ومن خدم سنة رسول الله (ص) وسوى فيها نفسه بعبيده وجنده فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، وما احسن قول البوصيري اذا فسر بهذا المعنى :

ومن تكن برسول الله نصرته
تلقه الاسد في آجامها تجم

يعني من يكن خادما لسنة رسول الله بصدق واخلاص تنفتح له جميع الابواب ، وتنهزم امامه جميع الاعداء ، وترتجف قلوب الاسد ، وهي في عرائنها هيبة له واجلالا .

الركن الثاني ان شرع رسول الله (ص) مجموع في صحيح البخاري ، اذن فلا بد من العمل به ، كما سيصرح به هذا الامام تصرّحا يتشع معه كل ظلام ، اما سرد الفاظه سردا مجردا عن الدراسة والعلم والعمل ، فان ذلك لا يفني فتىلا .

الركن الثالث (كل ما امر به نفعله) يعني بلا قيد ولا شرط ، لانه معصوم (من يطع الرسول فقد اطاع الله) (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) .

الركن الرابع (وكل ما نهى عنه نتركه) وهو كذلك بلا قيد ولا شرط .

الركن الخامس (وعليه نقاتل) اي وعليه نوالي وعليه نعادي ، وعليه نحب وعليه نبغض ، وهذا معنى الخبر (اوتق عرى الايمان ، الحب في الله والبغض في الله ، والموااة لله والمعادة لله) .

الركن السادس (فعاهدوه على ذلك) اي عاهد الجند ملكهم وقائدهم معاهدة الرعية راعيها ، ونحن نشهد بالله اننا ايضا عبيد لسنة رسول الله (ص) ، واننا نعاهد على ما عاهد عليه اولئك الجنود ذلك الامام العظيم .

ومنها ما ذكره صاحب الاستقصا ص 69 من حوادث سنة 1099 قال : وفي خامس جمادى الاولى استدعى السلطان فقهاء فاس لحضور ختم التفسير عند قاضيه ابي عبد الله الجاسي فحضروا واکرمهم ووصلهم . اهـ

قد سمعت ما شفى وكفى في تمسك الاسام اسماعيل بسنة النبي (ص) ، وهذا الخبر يدل على مقدار عنايته بتفسير كتاب الله عز وجل ، وهذه شروط السعادة والعزة والقوة ، فكل من فسر تلك القوة العظيمة ، والنصر المبين المتكرر المتوالي عشرات السنين الذي منحه الله هذا الملك السعيد بغير التمسك بالكتاب والسنة ، فقد خبط خبط عشواء في ليلة ظلماء .

ومنها ما ذكره صاحب الاستقصا ص 78 قال : ولما ولى المامون على مراکش امر برئيس الحضرة ، وامام الكتاب الفقيه ابي العباس احمد اليماني ان يعطيه التقليد ويوصيه بما تنبغي الوصاية به ، وكان المولى المامون منحرفا عن الوزير المذكور ، فمشى اليه على كره منه ، وحاز منه التقليد ، واستمع لوصيته امثالا لامر والده ، ثم عاد اليه وقال : يا مولانا ان اليماني ينقصك ، ويزعم انه الذي علمك دينك ، في كلام آخر .

فقال له السلطان رحمه الله : والله ان كان قد قال ذلك ، انه لصادق ، فانه الذي علمني ديني وعرفني بربي . نقل هذه الحكاية صاحب البستان وصاحب الجيش ، وكلاهما قال : انه سمعها من السلطان المرحوم المولى سليمان بن محمد رحمه الله ، وهي منقبة فخيمة للمولى اسماعيل في الخضوع للحق والاعتراف به ، رحم الله الجميع . اهـ

ومنها ان الشيخ ابا علي الحسن اليوسي وجه رسالة الى الامام اسماعيل رحمة الله عليه بقصد النصح ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانتقد حكمه فيها من ثلاثة اوجه : الاول في جباية المال من وجه شرعي ، وصرفه بوجه شرعي . الثاني في اقامة الجهاد والمرابطة في النفور . الثالث في الانتصاف للظالم من المظلوم ، وكف اليد العادية عن الرعية .

وكان نقده صريحا مكشوفاً شديداً ، فقبله هذا الامام الجليل مع ما كان له من الهيبة عند الخاصة والعامة في داخل المملكة وخارجها ، ولم يكن احد يتجرأ على معارضته ، وان جل قدره .

ومن المعلوم ان الشيخ اليوسي كان استاذ اهل زاوية الدلاء وريب نعمتهم قد ابدأ واعاد في مدحهم وموالاتهم ، والحنين اليهم ، وهم من اشد اعداء الدولة العلوية ، واولا ان الامام اسماعيل كان عنده من تعظيم العلماء ، وخفض الجناح لهم ، وقبول نصحتهم ، وان كان مرا ، لاتهم اليوسي لتشيعه لارباب نعمته ، والنظر

الله عند النزاع ، والرضا بحكمه والتسليم له ، كما قال تعالى في سورة النور (51 - 52) انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ، ليحكم بينهم ان يقولوا : سمعنا واطعنا ، واولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ، ويخش الله ويتقه ، فاولئك هم الفائزون) وهذا عين ما فعله الامير محمد بن الشريف رحمه الله .

وأخرج البخاري عن ابن عباس قال : قدم عبيدة ابن حصن بن حذيفة ، فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس ، وكان من نفر الذين يذنيه عمر ، وكان القراء اصحاب مجالس عمر ومشاورته ، كهولا كانوا او شبابا ، فقال عبيدة لابن اخيه : يا ابن اخي ، لك وجه عند هذا الامير ، فاستاذن لي عليه ، قال : سأستاذن لك عليه ، قال ابن عباس : فاستاذن الحر لعبيدة فاذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم ان يوقع به ، فقال له الحر : يا امير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه : (7 : 199) خذ العفو وامر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين) وان هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل . وهكذا كان ائمة الدولة العلوية الذين سادوا وقادوا هذه الامة خيبر قيادة .

الموقف الثاني موقف مؤسس الدولة العلوية الشريفة ، ومرسي قواعدها الامام رشيد ابن الشريف رحمه الله . كان هذا الامام متمسكا بكتاب الله وسنة رسوله ، محبا لاهل العلم بهما ، ومقربا لهم ، يكرمهم غاية الاكرام ، ويستشيرهم في جميع الامور ، ويصدر عن ارشادهم ونصيحتهم ، ولذلك مكن الله له في الارض وقطع بسيفه رؤوس الفتنة ، وجمع به الشمل بعد الشتات ، واصلاح به الامور بعد الفساد .

وقال صاحب الاستقصا نقلا عن صاحب النزهة ج 7 ص 35 ما نصه : وكان دخوله حضرة فاس القديمة صبيحة يوم الاثنين اوائل ذي الحجة سنة 1076 وبويع بها يومه ذلك ، ولما تمت له البيعة افاض المال على علمائها ، وغمرهم بجزيل العطاء ، وبسط على اهلها جناح الشفقة والرحمة ، وظهر احياء السنة ونصر الشريعة ، فجل من قلوبهم بالمكان الارفع ، وتمكنت محبته من قلوب الخاصة والعامة . اهـ

ثم قال في ص 44 نقلا عن صاحب (نشر الماثني) من اخبار الامام رشيد بن الشريف : وكان يحضر

مجلس الشيخ اليوسي بالقرويين .
منتقبة فخيمة ، ومائرة جسيمة ، فرحم التي كانت تعرف للعلم حقه وتقدره قدره وفي ايامه كثر العلم ، واعتز اهله ، وظهرت عليه وكانت ايامه ايام سكون ودعة ، ورخاء عظيم . اهـ

الثالث مواقف الامام المؤيد بالله ركن الدولة وصاحب القوة والعزم والصولة مولاي اسماعيل بن الشريف رحمه الله

منها ما حكاه صاحب الاستقصا ص 58 قال :
واما سبب تسمية هذا الجيش (بعبيد البخاري) فان المولى اسماعيل رحمه الله لما جمعهم ، وظفر بممراده بعصبيتهم ، واستغنى بهم عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض ، حمد الله تعالى واثنى عليه ، وجمع اعيانهم ، واحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم : (انا وانتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل) .

فعاهدوه على ذلك ، وامر بالاحتفاظ بتلك النسخة وامرهم ان يحملوها حال ركوبهم ويقدموها امام حروبهم ، وما زال الامر على ذلك الى هذا العهد ، فلهذا قيل لهم (عبيد البخاري) اهـ .

لما قرأت هذا الموقف اصابني قشعريرة ، ولم ادر كيف اقدر هذا الامام ، وكيف اثنى عليه ، فان كلمته هذه لها مغزى عظيم يهز القلوب ، ويسمو بأرواح المؤمنة الى اعلى مستوى من الايمان واليقين ، هذا الملك العظيم الذي كانت تحسب له ملوك اوربا الف حساب ، وكان يخاطبهم في مراسلاته معهم باخشى خطاب ، وكان الامير شكيب رحمه الله معجبا اشد الاعجاب بمواقفه مع ملوك اوربا ، لا يمل من عرضها وتكرارها على كل زائر وكل مجالس ، وكانت تأخذه اريحة عظيمة حين يقرأ علينا سيرة هذا الامام العلوي العظيم .

استمع اليه بقول لعبيده وجنده : (انا وانتم عبيد لسنة رسول الله (ص) وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل) ، هذا الكلام الحكيم البليغ يشبه كلام اصحاب رسول الله (ص) ، وكلام التابعين والائمة المجتهدين في دقته واحكامه .

فقد دل هذا الكلام على ستة اركان ، كل دولة حافظت عليها لابد ان تبلغ اوج السعادة والعزة والنصر

ايما نجاح ، ففضى عمره في دراسة العلوم السلفية مع استاذ المذكور ، ومن سعد بمجالستهما من الناس ، كثيرا من الاعمال الصالحة وافاضة البر والاحسان ، واحيل القاريء الكريم على ما كتبت في ترجمته في جزء دعوة الحق من جزء ذي القعدة 86 هـ ما رس 67 م .

ومن اخبار عبد الله السنوسي الطريقة ما حدثني به اخي في الله العالم السلفي الورع الرباني الاستاذ محمد أبو طالب الادريسي الحسني ، رحمة الله عليه قال : كان عند الفقهاء بفاس احتفال بدعي في بعض الاضرحة ، فانكر عليهم عبد الله السنوسي واعتزلهم فجاءه أحد الفقهاء وأراد أن يداعبه بكلام يفضبه ليستخرج ما عنده من الدرر التي تجيء عفوا في حال غضبه فقال له القولة الجاهلية المشهورة عند المقلدين (نحن خليليون ، ان دخل خليل الجنة دخلناها معه ، وان دخل النار دخلناها معه) فأجابه الامام السنوسي على البديهة بقوله تعالى في سورة الانبياء (67) اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون) .

اما الامام المنقذ الذي أجرى الله على يديه الكرامة الكبرى ، والمزية العظمى ، وهي تحرير المقارب الثلاثة من برائن عدو قوي ، فصارت له منقبة خالدة لم يسبقه فيها سابق ، ولا لحقه فيها لاحق :

وما احاشي من الاقوام من أحد الا شبلة وخليفته ووارث سره امام الوقت جلالة الحسن الثاني ايده الله ووفقه وزاده من فضله ، فانه شريكه في تلك الحركات المباركة التي عم نفعها للاولياء ، وكانت قاصمة الظهر على الاعداء ، اقول : ان الامام محمدا الخامس كان سلفيا ، ليس عنده حجة الا في كتاب الله وسنة رسوله ، وكان لا يرد ولا يصدر الا عن استشارة العلماء السلفيين كالامام الحجة ، خاتمة المحققين ، بقية السلف ، وعمدة الخلف شعيب الدكالي ، والامام الحجة ، بحر العلوم ، منطوقها والمفهوم ، سيف الله المسلول ، على اهل البدع والفلول أبي مصطفى محمد ابن العربي العلوي الحسني رحمهم الله رحمة واسعة

اما امام الزمان ، ونايعة العصر والاولان أبو محمد الحسن الثاني ، حفظه الله بالسيب المثاني ، فانه سار على سنن سلفه ، وزاده الله من فضله ، فلم يزل يبدئ ويعيد ، وتصدر منه المكرمة تلو المكرمة ، والاية بعد الاية ، ومفاخره التي اكرمه الله بها لا يمكن احصاؤها ، فلنقتصر على ما نحن بصددده ، وهو التمسك بالكتاب والسنة ، وبذل الجهد في ذلك .

فانه ايده الله بنصره كان وزيرا لوالده ، ومشاركاً له في سلوكه ومناقبه ، ولما انتقل والده البرور الى رحمة الله ، وتقلد اعباء الدولة ، سار على ذلك النهج القويم ، واشهد بالله اني سمعت المعلقين السياسيين من البريطانيين يبدون تحفظا شديدا في استطاعة الحسن الثاني ان يتم حل المشاكل التي بدأ يسمى في حلها والده ، وان يحافظ على الاستقرار ، وهيبة الدولة والصولة التي كانت لوالده رحمه الله في داخل المملكة وخارجها لعلمهم بصعوبة تلك المشاكل وشدة تعقدها ، ووجود العقاب في طريق حلها ، واخذ اولئك السياسيون يراقبون سير الحسن الثاني ، ويحصون خطواته ، فأخذ ربيهم يتبخس ويدوب شيئا فشيئا ، فما دار الحول على حكمه حتى زال عنهم كل ريب ، وانطلقت السننهم بالاعجاب والاجلال .

ومن حدث عما يذاع في اذاعة لندن العالمية ، فانه لا يفشي سرا ، وقد وفقه الله لحل تلك المشاكل السياسية والاقتصادية على وجه فوق ما كانوا يتصورون ، ثم حدثت له مشاكل اعظم منها ، فسلك فيها مسلك الحكيم البار المتوكل على الله ، المتبريء من حوله وقوته ، فخرج منها مظفرا مؤيدا منصورا اقوى مما كان حين دخلها ، وانعقد الاجتماع اليوم على كفاءته ونبوغه ، وكمال سياسته .

اما عنايته بكتاب الله وسنة رسوله ، فقد بذل في ذلك جهودا محمودة ، وسعى مساعي مشكورة ، فمنها تأسيسه لدار الحديث ، وهي امنية طالما اخذت بالباب الملوك السابقين ، ولكن الله ادخرها لهذا الامام الجليل ، وكم ترك الاول للآخر ، ولا حاجة الى شرح ما لهذه المنقبة من الاهمية ، فانها قائمة بعينها تحدث عن نفسها ، وقد قال النبي (ص) : من احي سنة من سنتي قد اميتت بعدي فله اجر مائة شهيد . وفي دار الحديث احياء سنن كثيرة .

ومنها مدارس القراءان التي امر نصره الله بانشائها في جميع انحاء المملكة ، ولا تزال في اول نشاتها لا تخلو من ضعف ، وكذلك الامور في بدايتها ، واول الفيت قطر ثم ينسكب .

ومنها المحافل القراءانية السنوية التي يقيمها في كل سنة ، ويدعو لها كبار العلماء من انحاء الدنيا وارجلانها .

ومنها خطبه البليغة التي صرح فيها ايده الله بنصره بوجوب اتباع الحجة ، وترك الراي والتقليد . ومنها كثرة الدعاء في عهده الميمون الى اصلاح باتباع

الى الحكم العلوي بعين السخط التي تبدي المساويء وبطش به ، ولكنه رحمه الله كان فوق ذلك . ومن اراد الوقوف على هذه الرسالة ليرى ما فيها من النقد الشديد ، ويعلم فضل الامام اسماعيل ، واذعانه للحق فليقرأها في كتاب الاستقصا ص 82 ، ولولا طولها لنقلتها ، ولكني اكتفي بالاحالة عليها . واقتصر على هذا القدر ، لان المقام لا يتسع لاكثر منه في ذكر تمسك هذا الامام بالكتاب والسنة .

اما السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الذي يسمى بحق : عالم الملوك وملك العلماء ، فحدث عن البحر ولا حرج في تمسكه بالكتاب والسنة ، ونشره علم الحديث ، وعكوفه على دروسه ، وبذله كل جهد في ذلك ، ولم يكتف بذلك حتى الف كتباً نفيسة خلدت له ذكراً وفخراً لا تمحوه الايام منها مسانيد الائمة الاربعة ، ومنها محاذي الرسالة ، وكان نقادا مجتهدا يكره مختصرات الرأي وينفر الناس عنها ، ويرغب في كتب الحديث ، والفقه المبسطة التي تجعل كل مسألة مقرونة بدليلها من الكتاب والسنة ، وقد ذكرت بشيء من التفصيل مواقف هذا الامام من علوم الكتاب والسنة ، وتنفيذه عن الرأي والبدعة ، وتمسكه بالعقائد السلفية الخالصة من كل شبهة في الجزء الخاص بامجاد الدولة العلوية من مجلة دعوة الحق الصادر في ذي القعدة 86 هـ - مارس 67 م فاغنى عن اعادته هنا ، وقد جلت الطبع على معاداة المعادات .

وكذلك السلطان مولاي سليمان بن محمد ذكرت في ذلك المقال نبذة من تمسكه بالكتاب والسنة ، ووقوفه عند ورود كتاب الامير عبد الله بن سعود امير مكة يشرح فيها دعوة آل سعود ، ودعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمهما الله ، فقد وقف السلطان الجليل المولى سليمان رحمة الله عليه موقف الناقد البصير ، المتحري للحق ، القائل به غير خائف في الله لومة لائم .

ومن المعلوم ان السلطان العثماني كان قد اغتاز غيظا شديدا على استقلال العرب عن حكمه ، ورجوع امارة بلادهم ، وخصوصا الحرمين الشريفين اللذين كان السلطان العثماني يتخذ الحكم فيهما دليلا على صحة خلافته وشمولها لجميع المسلمين ، حتى يعد من خرج عن حكمه خارجا على امام المسلمين .

ومن المعلوم ان بلاد العرب كلها ، وبلاد الاسلام في افريقيا وآسيا كانت خاضعة لسلاطين آل عثمان الا المملكة المغربية ، فانها لم تخضع قط لهم ، بل كانت

نسالمهم اذا سالموها ، وتحاربهم اذا حاربوها ، وكانوا معترفين باستقلال ملوكها . فالملك العلوي سليمان بن محمد لم يبال بعداوة السلطان العثماني لآل سعود ، لانه عزيز مستقل لا يخضع الا لله ، ولم يكن رحمه الله من قلة العلم بالمكان الذي يستطيع جيش العلماء المرتزقة الذين عبأتهم السلطنة العثمانية لتكفير آل سعود وتضليلهم ، حسبما سول لها حبها للاستيلاء على بلاد العرب ، اقول : لم يكن هذا الملك الجليل من قلة العلم بالمكان الذي يستطيع فيه اولئك العلماء المرتشون ان يضموه الى صفوفهم ، وان يلبسوا عليه الحق بالباطل ، ويوهموه ان عقيدة آل سعود ضالة ومخالفة للكتاب والسنة ، كما لبسوا على غيره من الامراء والقادة فاعلن مولاي سليمان موافقته لما يدعوا اليه عبد الله بن مسعود ، لانه وجده مطابقا للكتاب والسنة ، ولم يكتف بأن يجيب رسالة برسالة ، بل اوفد ابنه ابا اسحاق المولى ابراهيم ، ومعه وفد من علماء المغرب الى الامير عبد الله بن سعود ، وبعث معه هدايا وتحفا فاكرم الامير السعودي وفادتهم ، وتباحث العلماء المغاربة برئاسة اميرهم مع العلماء السعوديين برئاسة اميرهم ، فكللت المباحثات بالوفاق التام على اتباع كتاب الله وسنة رسوله ، وترك الفلو في قبور الصالحين وغيرهم ، وتجريد توحيد العبادة لله رب العالمين .

وعلى اثر ذلك الف السلطان مولاي سليمان رسالته المشهورة المتضمنة لاتباع الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع والمحدثات ، ومنها الفلو في قبور الصالحين الذي يصيرها اوثانا تعبد من دون الله ، وأمر ان تقرأ على المنابر في جميع انحاء المملكة المغربية ، فتركها منقبة خالدة على مرور الايام ، فرحمه الله واثابه رضاء .

اما الملوك الثلاثة الائمة الابرار الحسن الاول ، وعبد العزيز الاول ، ومحمد الخامس ، فتمسكهم بالكتاب والسنة امر مشهور . اما الحسن الاول ، وعبد العزيز الاول ، فقد حدثني غير واحد من الثقات انهما كانا يعتمدان كل الاعتماد على الامام المحدث المجتهد ، ناصر السنة ، وقامع البدعة ، عبد الله السنوسي نزيل طنجة في آخر حياته ، وبها توفى رحمه الله ، وأجل من حدثني عنه العالم السلفي ، والمصلح البر الوفي مولاي عبد العزيز بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن رحمهم الله رحمة واسعة ، وهذا الرجل الكريم ، وان لم ينجح في ايام ملكه لصغر سنه ، وكثرة الفتن ، وفساد الرؤساء ، فقد نجح بعد اعتزاله الملك

اقصد خزائن الافراد ، بل جميع الخزائن العامة التابعة للجامعات وغيرها .

وسيجد نشر هذا الكتاب انقلابا عظيما في دراسات الفقه على جميع المذاهب الاسلامية ، ولذلك التمس بالنيابة عن كل طالب علم في الدنيا من جلالة الملك المظفر ، ثم من معالي وزير الاوقاف الاستاذ الحازم السيد الحاج احمد بركاش التعجيل بانجاز طبع هذا الكتاب ، وبذل كل جهد في ذلك ، فان للتأخير آفات .

ولي التماس آخر ، وهو ان يباع الكتاب بالدرهم وان لا يوهب الا لضرورة ، او للخزائن العامة ، أما العلماء وطلبة العلم ، ومن يريدون ان يزبنوا خزائهم ، فالواجب الحتم ان يؤدوا ثمنه ، وحسب الوزارة كرما ان يكون الثمن معتدلا ، فان هذا الكتاب لا ينشر النشر اللائق به الا اذا بيع ، وحجتي على ما ذكرت القصة التالية :

من المعلوم ان الكاتب القصصي (برناردشو) الانكليزي الشهير ، كانت القصة الواحدة من تأليفه يبلغ حق طبعها عشرين الف جنيه فاكثر ، وتتنافس فيها الدول لا الناشرون فقط ، ومن المأثور عنه انه الف كتابا . فلما طبع ، كتبت اليه رئيسة ناد نسائي تلتبس منه ان يقدم لخزانة النادي نسخة من ذلك الكتاب على سبيل الهدية ، فكتب لها في الجواب : ان الكتاب الذي لا يدفع ثمنه لا يقرأ ، فصدمت بخيبة الامل ، وقصدت بائع كتب لتشتري نسخة من ذلك الكتاب ، واشتكت لذلك البائع غلبة المادية على المؤلفين وبخلهم وزهدهم في التبرع للنادي الخيرية ، وحكت له قصتها مع برناردشو ، فقال لها : وابن جواب برناردشو الذي كتب اليك ؟ فأرته آياه ، فقال لها : انا اقبل هذا الجواب ثمنا لنسخة من الكتاب ، ففرحت بذلك ومنحته آياه ، فباعه هو من شخص آخر يجمع الآثار والتواقيع بخمسة دنائير .

اقول هذا : وانا مستعد ان ادفع ثمن النسخة من كتاب التمهيد التي تكرمت وزارة الاوقاف الوقرة باهدائها الي المجلد الاول منها . والذي يحملني على ذلك حرصي على نشر هذا الكتاب ، فجزى الله الملك الحسن الثاني على هذه اليد البيضاء احسن الجزاء ، ووقفه الى امثالها وامثال امثالها انه سميع مجيب .

مكناس : الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

اما الثانية فهي مذكورة في مقدمة كتاب التمهيد ، وهي للامام الحافظ ابي محمد علي بن حزم رحمه الله قال : التمهيد لصاحبنا ابي عمر بن عبد البر ، لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلا ، فكيف احسن منه . وقال : وممن ادركننا من اهل العلم على الصفة التي بلغها ، واستق الاعتراف به في الاختلاف ، مسعود بن سليمان ، ويوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر . انتهى .

ومن اراد ان يعرف قيمة هذه الشهادة فليطالع كتاب المحلى لابن حزم ليرى شدته وصرامته ، وغلظته على مخالفيه كائنين من كانوا . لا يهاب احدا . ومن المعلوم ان ابن حزم يخالف ابن عبد البر في المذهب اصولا وفروعا ، ولكن عقريته الانت قناة ابن حزم التي لم تلت قط لغامز ، فهي كقناة عمرو بن كلثوم وقبيلته التي يقول فيها مخاطبا الملك عمرو بن هند :

فان قناتنا يا عمرو اعيت

على الاعداء قبلك ان تلينا

اذا عض الثقاف بها اشمأزت

وولته عشو زنة زبونا

عشو رنة اذا انقلبت ارنست

تشج قفا المثقف والجينا

وقد الف هذا الكتاب العظيم منذ ما يربو عن تسعمائة سنة . ولا شك ان نشره ودراسته التي لا تتأني الا به لم يزل أمنية كل عالم . وكل ملك وامير ، وكل غني ورئيس . ومن جملة الملوك الذين كانوا يتمنون نشره السلطان العالم الجليل مولاي عبد العزيز ابن الحسن ، كما اخبرني بذلك مرارا . واخبرني ان والده السلطان المكرم مولاي الحسن بن محمد اعطاه نسخة مخطوطة من التمهيد قال : وهي باقية ضمن كتبي بفاس ، وسبب اخباره لي بذلك لأول مرة اني قلت له : اني سمعت ان الامام عبد الله السنوسي كانت عنده نسخة كاملة من التمهيد ، فقال لي : لا ادري ، ثم ذكر لي الخبر المتقدم ، ومنه نعلم عناية السلطان مولاي الحسن بن محمد بهذا الكتاب ايضا ، فلم يتح لواحد منهم ان ينشره ، لا بتكثير المخطوطات ، ولا بالطبع حتى كاد ينقرض ، ولكنها مكرمة ومفخرة ادخرها الله تعالى لجلالة الملك الحسن الثاني ، وهي يد بيضاء على كل طالب علم وعالم ، لا من المسلمين فقط ، بل من جميع البشر ، فلا توجد خزانة في الدنيا ، لا في امريكا ولا في اوربا ، ولا في آسيا تستغنى عن نسخة فاكثر ، ولا

إذا كان عون الله للمرء ناصرا
تهدأ له من كل صعب مراده

وإذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد بها العناء فهي حباثل
واقصد بها الجوزاء فهي عنان

وهذه العناية الربانية هي التي نسال الله تعالى
ان تكون مصاحبة لعبده الخاضع لامره ، الحسن
الثاني وولي عهده سيدي محمد .

منقبة عظيمة للحسن الثاني

كنت اريد ان اخص هذه المنقبة بمقال حتى
جاءت هذه المناسبة المباركة ، فليكن جزء مقال ، وهذه
المنقبة العظيمة هي طبع كتاب (التمهيد لما في الموطأ من
الاسانيد) تأليف الامام الحافظ ، امام المغرب الكبير
باتفاق ائمة الشرق والمغرب العالم البحر ، والمسند
الاكبر ، ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري رحمه الله،
ولا اريد ان اذكر فضائل هذا الامام ، لانها مشهورة ،
لها غرر معلومة وحجول ، فهي في كتب اسماء الرجال
مبسوطة ، وفي مقدمة كتاب (التمهيد) مسطورة ،
ولكني اريد ان اسجل هنا كلمتين اولاهما في المؤلف
- بكسر اللام - وثانيهما في المؤلف - بفتحها - أما
الاولى فقد قال الامام الحافظ ابو الفداء اسماعيل بن
عمر بن كثير في تفسير قوله تعالى في سورة البقر
(238) حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (ما
نصه :

وقيل : بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات
الخمس ، رواه ابن حاتم عن ابن عمر ، وفي صحته
ايضا نظر ، والعجب ان هذا القول اختاره الشيخ ابو
عمر بن عبد البر النمري امام ما وراء البحر ، وانها
لاحدى الكبر ، اذ اختاره مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم
عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا اثر . اهـ

اقول : قد صح عن النبي (ص) بما لا يدع مجالا
للشك ان الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، وليس
مقصودي تحقيق القول في هذه المسألة ، وانما الذي
يهمني هنا هو شهادة ذلك الامام الحافظ لابي عمر بن
عبد البر ، بأنه امام ما وراء البحر ، ومعنى ذلك أنه امام
المغرب كله من مصر الى سنكال . وهذه شهادة لها
قيمة رفيعة .

كتاب الله وسنة رسوله ، وترك كل ما خالفهما ، فان
ذلك يقع بحضرته الشريفة ، كما هو ظاهر من خطب
العلامة الفاروقي ، ويقع في انحاء مختلفة من مملكته
المحروسة بالله على ايدي دعاة يصرحون بالحق كله ،
ولا يستطيع مخالفوهم على كثرتهم ان يمنعوهم ،
وارجو ان اكون منهم ، فاني كنت في العراق قبل ثورة
عبد الكريم قاسم ادعو الى اتباع الكتاب والسنة
عشرات السنين ، وكان المفسدون والمعارضون كثيرا
ما يوسوسون الى ملوك العراق ، ويلقبونني بالقباب
تدعو الى الريبة ، فلم ينجحوا قط في ذلك .

فلما جاء عبد الكريم قاسم اشتدت الازمة ،
وضاق الحبل على الودج ، لانه اطلق العنان للفوضويين
والشيوعيين يقتلون ويخنقون ويسلحون في الشوارع
في رابعة النهار ، واخيف العلماء ودعاة الإصلاح ،
وزلزلوا زلزالا شديدا ، وصار الشيوعيون ، وان كانوا
كاذبين في شيوعيتهم يتجهرون امام مسجدنا ، فخاف
التلاميذ على انفسهم وتفرقوا ، وكذلك المصلون الجمعة ،
وما استطعت الخروج من العراق الا بعد اللتي والتي ،
فرجعت الى وطني ومسقط رأسي ووطن اجدادي ،
فوجدت ابوابه مفتحة ، وما رايت من ملكه وزعيمه الامام
محمد الخامس الا كل ترحيب واقبال ، وكذلك خلفه
الابر الملك العبدقري الهمام ابو محمد الحسن الثاني ،
زاده الله نصرا على نصر ، وتوفيقا على توفيق ، وخلد
ملكه ، واطال عمره ، وبارك في ولي عهده ، واقر به
عينه وعين شعبه ، وبارك في جميع آل هذا البيت
الكريم .

بقيت لي كلمة اقولها راجيا من ملكنا الهمام ان
يتسع صدره لها ، كما اتسع صدر سلفه الامام
اسماعيل لنصيحة الشيخ اليوسي ، وهي ان القدر
الذي يريده جلالته من اصلاح امور الدين ، وتحقيق
اتباع الكتاب والسنة ، قولا وعملا وحكما ، اذ بذلك
تنال السعادة العاجلة والاجلة ، ويتشتت شمل
الاعداء ، ويقضي عليهم القضاء المبرم ، ويقوم الملك
على اساس متين ، وتصلح السياسة ، ويسعد الراعي والرعية
لما نصل اليه حتى الان ، فارجو من جلالته ، ويشاركني
في هذا الرجاء جميع دعاة الإصلاح ان يجرد عزمة
حسنية علوية هاشمية لتحقيق تلك الامنية وقطع
دابر اهل الفساد ، ولا يعنيه على ذلك ، ويبلغه اليه الا
الله وحده ، ثم صالحو المؤمنين .

وانا اعلم بالعقبات الكؤود التي تقف في طريق هذا
الإصلاح ، وان الذنب في ذلك ذنبنا جميعا كل على
حسب قدرته ، ولكن :

أحدهما يرجع الى جواهر الحروف اما بالنسبة الى
مخارجها بان لا تعطى حقها الواجب ، واما بالنسبة الى
صفاتهما التي تحقق ذاتها او تفصلها عما يشاركها او
يقاربها ، واما بالنسبة الى تعويضها بغيرها كجعل
الطاء المشالة بدل الضاد الغير المشالة او السين المهملة
بدل الشين المعجمة او الزاي بدل الجيم الى غير هذا
مما يطول تتبعه وهو نتيجة معرفة الخارج والصفات.

وهذا المعنى تماما الذي اشتغل به القراء هو
نفس ما يقال بالنسبة الى مخالفة العرب في استعمالاتها
المختلفة في نطقها كتصحيح ما اعلوه او اعلال ما
صححوه وتحقيق ما سهلوه وتسهيل ما حققوه و اظهار
ما ادغموه وادغام ما اظهروه الى آخر ما هناك .
والقصد ان اشرح لك قوة الرابطة التي توجد في علم
القراءات وعلم النحو والصرف فليس في امكان الباحث
في هذا الفن المحقق لقواعده ان ينفصل في حقبة من
حقب بحثه عن ما قرر في قواعد الصرف التي يلزم ان
تكون ضرورية عنده على ان اكثر من كتب في الصرف
بصفة خاصة لا يخلو كتابه عن مباحث مخارج الحروف
وصفاتهما ، وقد اطنب علماء القراءات وكذلك علماء
النحو في العصور القديمة من ذكر هذه المخارج فعدها
الخليل بن أحمد سبعة عشر واعتبرها سيبويه ستة
عشر و اياه تبع الشاطبي وصاحب الدرر اللوامع
وابلفها الفراء وقطرب والجزمي الى أربعة عشر . اما
الصفات من همس وجهر وشدة ورخوة وانسفال
واستعلاء واطباق وانفتاح الى آخر ما هناك فلم
يقصروا ايضا عن الخوض في جميع مباحثها . وليس في
الامكان استقصاء البحث في هذه القواعد الضرورية في
من القراءات لضيق المجال عن ذلك وقد بعدت المسافة
بين المسلمين وبين هذه الدراسات حتى صار البعض
من هؤلاء الباحثين الجدد يتوهمون ان هذه المباحث
في علوم القرآن يمكن الاستغناء عنها او لا حاجة للعلم
والبحث فيها مع ان الواقع كما بينت لك سابقا لها
ارتباط قوي بفقهاء اللغة وعلم الاصوات كما انها في
الواقع ايضا شعبة من شعب النحو والصرف واللغة .
قلنا كانت هذه الجماعات المتخصصة في علم القرآن
ودراسته خاصة فيما يعرف بفن القراءات كانت هذه
الجماعات محل تقدير واحترام من قبل رؤساء هذه
الدولة العلوية الشريفة و ائمتها الميامين فكانت
التنشيطات والمكافئات وكان التأليف والانتاج العلمي
في هذه المواد القرآنية بالغا قمته ، ولا تخلو قبيلة او
قرية او مدينة في جميع انحاء المغرب من جماعات
مختصة بهذه الدراسة واشتهرت بعض قبائل المغرب

ببلوغ الهدف الاعلى في هذا البحث العلمي الخالص
وكانت هذه الدراسات القرآنية عاملا قويا في نشر
اللغة العربية وادابها والفصوص في معانيها الدقيقة مما
يتم الى اساليب القرآن ولغاته المختلفة فكتب المغاربة
في هذا الميدان الشيء الكثير وشرحوا قول النبي عليه
السلام انزل القرآن على سبعة احرف و بينوا وجوب
متابعة المصحف العثماني في الرسم وادلوا بدلائهم في
كل الموضوعات التي ترجع الى تجويد النطق بالكلمة
كما نطق بها العرب وعلى حسب المسموع منهم في ذلك
من تحقيق وتسهيل ومد وتوسط واشمام وامالة وبرعوا
في ذلك البراعة الفائقة وندر من اهل العلم من لم يكن
له الهام بهذه القواعد ان لم تساعده ظروفه على
التخصص وقد ادركنا في نشأتنا الاولى جماعات من
هؤلاء وهم يدرسون القرآن بالروايات السبع بل وحتى
العشر في كثير من الاحيان وربما تجاوز العشر الى الاربعة
عشر وكانت هذه الجماعات تلاقي كل اهتبال من
الرؤساء والحكام علاوة على ما يمنحون بين الفينة
والفينة من مكافئات مالية وعقارية . وهذه الظاهرة وان
كانت عامة ومتسلسلة في سائر احقاب التاريخ
الاسلامي بهذه البلاد المغربية فان ظهورها في عصر
الدولة العلوية الشريفة كان واضحا وملبوسا وسوف
احاول ان اتحدث لك باقتضاب عن بعض مشاهير
القراء في كل عصر من عصور هذه الدولة الميمونة التي
نشأت حاملة راية الدين وسائرة على خطته لم تتنكر في
لحظة من اللحظات الى مبادئ القرآن ولا الى تعاليمه
السامية والواقع انني اقولها واضحة صريحة فعلى
كثرة ما قرأت من حياة الدول الاسلامية بصفة عامة
او بالمغرب بصفة خاصة فاني لم اجد دولة قامت على
هذه الاسس الدينية وحافظت عليها الى وقتنا الحاضر
والي ما شاء الله من الأزمان مثل هذه الدولة العلوية
الكريمة فالتاريخ دائما يحدثنا بتبادل هؤلاء الملوك
الصالحين مع العلماء والفقهاء الافكار والآراء كل ما
نزلت نازلة او حدثت حادثة ولم يكن هذا الوصف ميزة
من مميزات ملك معين او في عصر معين بل كانت هذه
الظاهرة مبدءا من المبادئ العليا الاساسية لهذه
الدولة الكريمة ، وتاريخ مولاي الرشيد ومولاي
اسماعيل ومن اتى بعدهم ملوء بمثل هذه الاستشارات
التي تعبر على مبلغ ما للمبادئ الاسلامية من اثر قوي
في هذه الدولة العلوية الشريفة وسوف لا نذهب بك
بعيدا في التدليل على هذه الفكرة فامامنا وثائق هامة
متبادلة بين مولاي اسماعيل الملك الهام وموحد المغرب
ومتقذه من مخالبي الاستعمار آنئذ . وبين عالم جليل
من علماء المغرب يومئذ بشارا ربما كانت تخالف ظاهرا

القرآن وعلمونه في عهد الدولة العلوية الشريفة

للأستاذ العابد الفاسي

على مقتضى علمه ، ومثل هذا أيضا يقال في أبواب الوقف وأبواب تخفيف الهمز ، ثم ان القليل من علماء الصرف من يعتني بمخارج الحروف وصفاتها لان أكثرهم او المحدثين اصحاب العصور المتوسطة في النحو والصرف لا يبالون بهذه المخارج الا قليلا ، وتتابع الامر على ذلك وخلت أكثر الكتب التصريفية من هذه البحوث فظنوا ان هذه القواعد التي تذكر بصفة خاصة في علوم القراءات . ظنوا انها ليست من التصريف في شيء وان الرجوع في مثل ذلك الى علم القراءات . وهذا قطعاً خطأ نشأ عن تقصير البعض منهم وتقاعس الهمم . ولو اتقنوا العلم بكل شعبه لما كان هناك فرق بين طبقة القراء واهل الصرف ومن المعلوم ان اللحن في الكلام حال يطرا على الالفاظ فيخل بها . وقد قسموه الى جلي وخفي وقالوا ان الجلي يشترك فيه العموم والخفي يختص بمعرفة علماء القراءات ولم يختص بهذا القدر علماء القراءات الا في الوقت الذي قصر فيه اولئك واذا ذهبنا نستخير علماء اللغة عن حقيقة اللحن نجدهم متفقين على انه صرف الكلام عن سننه الجاري عليه اما بازالة الاعراب او التصحيف او الخطا في القراءة كما قال الفيروزابادي ولا يريد صاحب القاموس بالقراءة تلاوة القرآن بل ما يعمها من قراءة شعر وخطب ورسائل الخ ، واذا كان اللحن لغة ما ذكر وان كانت له معان أخرى لا حاجة لنا بها هنا . فنبني عليه ان اللحن هو ان ينطق المتكلم في الكلام العربي على غير مقتضى قواعد امله ، ثم اذا حققنا النظر في هذه المخالفة وجدناها تنحصر في موضوعنا في قسمين

سوف نحاول ان نتحدث بمعونة الله تعالى في هذا الموضوع الشريف بمناسبة عيد العرش الكريم والاحتفال بالايام الوطنية السعيدة . ومن دون ريب ان البحث في هذا الموضوع له علاقة قوية بالاحتفال بعيد العرش المجيد مع مناسبة الاحتفال بذكرى مرور أربعة عشر قرناً على بدء نزول القرآن . ذلك ان العرش العلوي منذ هيا الله اسباب ولايته العامة وهو مرتبط رباطاً قوياً بالعلم وحملته بصفة عامة ومع الدارسين لعلوم القرآن بصفة خاصة راينا ذلك أيام المولى الرشيد ومولاي اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولانا سليمان الى عصر الملك المقدس محمد الخامس قدس الله روحه ثم عصر هذا الشهم الابي جلالة مولانا الحسن الثاني ايده الله .

ففي كل حقبة من هذه الحقب التاريخية كان حملة القرآن والمشتغلون بدراسته على الطريقة الفنية من تجويد وقراءات وتقرير القواعد العلمية في مخارج الحروف وصفاتها وربط ذلك بلهجات العرب واساليبها في النطق والصوت مما يمت اليوم الى فقه اللغة الحديث وعلم الاصوات باعتبار مخارج الحروف من اقصى الحلق الى الشفتين وما الى ذلك .

والواقع ان هذا الفن ليس خاصاً بعلماء القراءات واية الاداء وانما اشتهروا به وعلق لقبهم به لتساهل النحاة في مدارك علم التصريف لانه علم وعمل (تطبيق) فكان منتهى الحاذق في النحو ان يعرف ابواب الامالة ويقررهما احسن تقرير ، ويعجز عن اداء اللفظ

عنه فوجدنا فيه أشياء مخالفة لمصحف الإمام الروي عنه المؤلف في كتب هذا الشأن وقد تتبعناه فلم نجد فيه نقطا بسواد ولا بغيره ولكن فيه ضبط قديم ليس من صنع الكاتب بلون احمر على نهج ما كان عليه الشكل قبل الخليل بن أحمد وربما غير فيه الكاتب احمرًا وبثر احمرًا لتوافق قراءة البصري التي ضبط عليها وبعد ما ذكرنا أمثلة من ذلك قال : الى غير ذلك مما قيدته من اوله الى آخره تتبعا بعد قراءة ختمة فيه في ثلاثة ايام . الى آخر ما اتى به ابو زيد من بحوث في صحة نسبة هذا المصحف الى عقبة . ثم قال آخر بحثه وكان في خزانة السلطان زيدان بمرآكش فنقله ملوكنا أيد الله ملكهم فكان بفاس في خزانته والمتحقق انه خط قديم جدا لا يبعد ان يكون في القرن الاول وذكر ابو زيد المذكور في كتابه ان هذا المصحف كان بخزانة مولاي الرشيد ، ولا نعلم شيئا عن مال هذه الذخيرة العظمى بعد حديث هذا العالم الجليل عنها ونتمنى ان يوفق الباحثون في العثور عليه بالخزانة الملكية الشريفة فيطبع على هيئته ويكون بذلك فتح عظيم في تاريخ القرآن وطريقة رسمه في العصور المتخلفة . وبعد كتابة هذا وقفت في كتابتي العامة على نص نقلته عن كتابي بخط الامير مولاي عبد السلام بن السلطان مولاي سليمان .. ان السلطان مولاي عبد الله وجه على يد الحاج عبد الخالق عدل اربعا وعشرين مصحفا كلها منبثقة بالذهب الابريز محلاة بالياواقيت الثمينة المتنوعة الالوان العزيزة الوجود في هذا الزمان سوى واحد من غير ذهب ومن جبلتها مصحف كريم مكتوب في آخر ورقة منه : كمل المصحف بحمد الله وحسن عونه وذلك بمدينة القيروان على يد عبده المعتصم بجبله حديج بن معاوية للامير المستجاب له عقبة بن نافع الفهري وبامره في سنة 47 من الهجرة . فتيين ان المصحف الرشيد الذي تحدث عنه ابو زيد قد قدمه هدية الى الحرمين الشريفين السلطان مولاي عبد الله وعسى ان يكون هذا الاثر الثمين لا يزال محتفظا به هناك وللبحث في هذا المصحف بقية .

وبعد فقد ظهر في عصر المولى الرشيد ومولاي اسماعيل ومن بعدهم جماعات من هؤلاء الجهابذة الاعلام ممن برزوا في حقل علوم القرآن ودراساته المختلفة . فمنهم الشيخ الامام استاذ المغرب في القراءات ابو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي اشتغل بحفظ القرآن الكريم واتقان طرق قراءته الى ان صار كما يقول في الصفوة . المرجوع اليه ، والمعمل عليه في احكام القراءات ومعرفة توجيهاتها وحفظ مذاهب ائمتها . قال الافراني : فلا تجد استاذًا بالمغرب الا وقد روى عنه

وعن تلامذته . وفي الاعلام بمن غبى . في حقل المترجم ما نصه : كان رحمه الله من الاساتذ المبرزين في علوم القراءات ومن يعمل عليه في احكامها ومعرفة توجيهاتها وحفظ مذاهب ائمتها وترجيحاتها واليه يرجع طلبة العلم في ذلك وبه يقتدون في تلك المسالك فلا تجد استاذًا في المغرب الا وقد روى عنه او عن تلاميذه . له مصنفات في القراءات مشهورة وله اجوبة نظما ونثرا في علم الرسم والضبط اخذ علم القراءات عن السيد الشريف مولانا عبد الهادي ابن عبد الله بن علي بن طاهر الحسيني واعتمد ايضا شيخه محمد بن يوسف التلي وعن ابي زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد السجلاسي وكانت وفاته في عصر مولاي اسماعيل سنة 1082 وترجمته طويلة الذيل وقائمة كتبه متسعة الاكتاف وقفنا له على شرح الدرر اللوامع في جزء متوسط ورسالة في وجوب اتباع رسم المصحف العثماني وكتاب الايضاح لما ينبغي عن الوري في قراءة أم القرآن وله كذلك مفردات القرآن وعلم النصرة في تحقيق قراءة امام البصرة في سفر يميل الى الضخامة وكتاب بيان الخلاف والتشهير وما وقع في الحرز من الزيادات على التيسير الى غير ذلك من كتبه ومقدماته . ومن توفي في هذا العصر وكانت له مشاركة فعالة في هذا الفن الاستاذ المقرئ المشارك ابو عبد الله محمد ابن مبارك المغراوي له عدة رسائل في علم القراءات وهو صاحب الدالية في الفن المذكور وعليها شروح متعددة وكانت وفاته سنة 1092 . وله ترجمة واسعة وموضوعات قيمة . ومنهم في نفس العصر ايضا الاستاذ المحقق ابو عبد الله محمد العربي ابن أحمد الفشتالي له مقدمات في الفن ومعرفة عامة بالتجويد والاداء واحكام الرسم وله ذكر واسع في كثير من المؤلفات المغربية توفي سنة 1092 ومنهم ابو زيد الامام العلامة الجليل عبد الرحمن بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي هذا السيد الجليل كان له تطلع واسع في كثير من العلوم المتداولة في عصره والنادرة كذلك وشارك فيها مشاركة فعالة قراءة وتدريسا وتلمذ له اعيان القوم واكابر اهل العلم وكانت له علاقة متينة بمولاي الرشيد احد ملوك هذه الدولة السعيدة ومدحه بقصائد متعددة في كل المناسبات وجمعت في مجلد خاص هو جزء ضخ من كتاب حفيده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن تحت عنوان اللؤلؤ والمرجان . وبلغت مؤلفاته على اختلاف مشاربها وموضوعاتها ما يقرب من المائتين . واشتهر بموسوعته العظيمة التي سماها الاتنوم في مبادئ العلوم والتي هي في الواقع جديرة ببحث خاص ورسالة خاصة .

في بعض الاحيان سياسة مولاي اسماعيل العامة وان كانت متفقة في الاهداف ومع اعتبار الفوارق المتعددة بين ملك متربع على العرش وله من مختلف الوسائل مما لا يتوفر عليه عالم لا يملك من وسائل العيش الا قليلا نرى المناظرة والحجاج بينهما يبلغ ذروته العليا في مسائل عامة يبدي العالم نصائحه وارشاداته حسب فكرته وتربيته وما بلغه اليه اجتهاده ويتقبل الملك الصالح تلك النصائح والارشادات بصدر سمح ولين عريكة وتسامح واغضاء عما يبدو في بعض الاحيان من جفاء في العبارة او خشونة في التعبير تصدر من عالم جليل عاش اكثر عمره باديا وفي بيئات خاصة لم يتذوق فيها طعم الحضارة الا لاما . هذا العالم الجليل هو ابو علي اليوسي . واحاديثه مع الملك الجليل ونصائحه وآراؤه مدونة في مختلف رسائله التي كان يوجهها الى الحضرة الاسماعيلية الشريفة وهي تطرق الموضوعات المختلفة مما يرجع الى تسيير الدولة وشؤونها العامة وفي الوقت نفسه نرى الملك الصالح يقارع الحجة بالحجة ويناضل بالتي هي احسن سبيلا وليس من هدف للجميع الا نصرة هذا الدين والعمل على النضال من اجله والدفاع عن حوزته وقد كانت لمولاي اسماعيل مواقف متعددة في هذه السبيل ومناظرات علمية شائقة بين كثير من علماء عصره في مسائل عامة ترجع الى المصالح العليا للبلاد ومسألة العبيد كافية في الموضوع ولم يحدث التاريخ في يوم من الايام ان هذا الملك القوي الشكيمة قام بعمل شخصي ضد عالم ثبت له اخلاسه وصدق قوله وهكذا نرى هذا المبدأ السامي مبدءا راسخا من مبادئ هذه الدولة تنتهج نهجه وتسير في سبيله قدما الى النهاية . وكم يحدثنا التاريخ عن مجالس يعقدها السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومولانا سليمان والحسن الاول الذي تذكرنا استشاراته العلمية بعصور السلف الصالح وعهد الخلفاء السابقين فمن استشارة في وسق القمح والحيوان الى اوربا ومن استفتاء في استنجد السودان بملك المغرب ايام الهجوم الفرنسي على تلك الديار ومن استشارة في بعض الاوضاع المالية المراد احداثها في المغرب اذ ذاك ومن استفتاء ايضا في مسألة استنكاف الدخان واغلاق مراكزه . وهكذا كان في عصر السلطان مولاي عبد العزيز ومن اتى بعده وما نحن نرى ان هذا المبدأ السامي للدولة لا يزال راسخ الاقدام قوي المكانة . فجلالة الحسن الثاني قد عودنا دائما هذا المبدأ فلا تقع نازلة او يقع الاهتمام بتشريع جديد الا ويبادر حفظه الله الى الاستشارة مع مختلف افراد شعبه وطبقاته المتنوعة من علماء ومفكرين واصحاب اقتصاد

وصناعات وهو بهذا العمل نفسه ينفذ فكرة يطمئن اليها ويحيي عهدا سابقة من عهود آبائه الصالحين . استسمح القارئ في الخروج قليلا عن الموضوع الاساسي للبحث وهو النشاط القرآني ومواده العلمية في عهد ملوك الدولة العلوية الشريفة ، وان كنت ارى ان هذا التمهيد ضروري ومؤكد حتى يعلم من لا يعلم ان ملوك هذه الدولة الكريمة ليسوا كسائر الملوك في الارض فهم بأرومتهم الاصيلية وعراقتهم نسبيا وحسبا ونشأتهم في بيئة دينية ورضاعهم حب العلم واهله في اثناء امهاتهم كانت لهم ناحيتان . ناحية تسيير يسيرونها هذه الدولة الاسلامية بالنظر في مصالحها والذب عن كيانها وحياضها . وناحية تهذيبية اخلاقية ينشرون فيها تعاليم الاسلام ويحافظون على التراث ولا يقبلون هوانا ولا تسامحا اذا حاول محاول ان يمس قاعدة من هذه القواعد الثابتة الاركان بهذا عرفهم التاريخ الاسلامي في المغرب وبسبب هذا تعلق الشعب بهم وتفانى في خدمتهم واللياذ بهم . ومن اهم هذه القواعد العمل على نشر القرآن وتعاليمه الصحيحة وتهيء جماعات من حفاظ كتاب الله وتنشيط القائمين على خدمة علومه والتضلع في دراسة حروفه ولغاته حتى انتشر هذا العلم في الاوساط وكثر اساتذته وظهر في ميدانه شخصيات لامعة ولم يكن الامر قاصرا على عصر من عصور هذه الدولة بل بقي التسلسل محتفظا به من عصر مولانا الرشيد ومولاي اسماعيل الى الوقت الذي ادركناه وقد راينا الان في عصر جلالة الحسن الثاني ايده الله بواذر نهضة مباركة في خدمة القرآن وفتح مؤسساته في مختلف مدن هذا المغرب العزيز وجلالته بهذا العمل يخدم في الواقع شريعة الاسلام التي تظهر واضحة في تعاليم القرآن ويقدم للامة مشروعا ثقافيا له اثره في حياة اللغة العربية اذ القرآن الكريم هو المعجم الكبير الذي ليس بعده معجم وهو دائرة المعارف الكبرى التي تشرح لنا كثيرا من حياة الامة العربية في جاهليتها واسلامها وهو الوثيقة المقطوع بها وحيا من الله الذي لا يشوبه ادنى ارتياب ولا يتطرق اليه ادنى وهم وهو الرابطة القوية التي تجمع بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وهو الدستور الذي لا يعتريه تغيير ولا تجديد . واذكر بهذه المناسبة مفخرة سجلت ايام مولاي الرشيد حيث كانت خزانته العلمية تشتمل على مصحف عظيم القدر جليل المكانة تحدث عنه الشيخ ابو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في بعض دفاتره العلمية وأشار له في كتابه محاذي الشفا . قال فيه مما يتعلق الغرض به « وقد وقفنا في هذه الازمنة على المصنف المنسوب لسيدنا عقبة بن نافع رضي الله

إنشاء دار القرآن بمسجد حسان

للمعيد النهائي للونجي

اجاد مولاي احمد العلوي في التعبير عن الخراب الذي خلفه الاستعمار بالمغرب العزيز ، يوم زار المؤتمر الثاني لرابطة علماء المغرب بالدار البيضاء ، فقد قال بتأثر وامتعاض : ان الاستعمار بالغ في تخريب القطاعات الروحية والمعنوية بالقطر المغربي ، وكما احتاجت القطاعات الاخرى الى الاصلاح والترميم احتاج لذلك الجانب الروحي للبلاد . ولهذا فان مؤتمر العلماء هذا خطوة كان لابد لها في جملة خطوات لاعادة بناء القيم المعنوية في بلاد المغرب .

ولعل مولاي احمد العلوي يكون نسي انه تحدث بهذا المعنى ، ولعل الكثيرين ممن حضروا المؤتمر لم يعوا هذا القليل ، ورغم كل ذلك فانه هو الواقع ، وانها لكلمة حق صدرت في اشد الظروف مناسبة . وما هي الا ارتسامات نفسية تشغل بال الحكومة المغربية التي تسجل وتحصي مواقع الخلل في الصرح المغربي العتيق ، بعد ان اقبل من عثرته ، وافاق من غفلته ، واناب من هفوته . وما احداث « وزارة الشؤون الاسلامية » بين مختلف وزارات الامة المغربية الا تجسيما لفكرة النهوض بالجانب المعنوي من الكيان الكلي للقطر المغربي العزيز . وقد جاءت هذه الوزارة في الوقت المناسب ، وتأتى لها بحكم مأموريتها وطبيعة تكوينها ان تجمع من المعلومات التي تساعدها على معالجة شئون تدهش المطلعين عليها ، لما بلغه الامر من تداعي وانهار . وان من الضمانات التي تبشر بعودة الحياة الروحية للمسلمين المغاربة ، وجود القصر

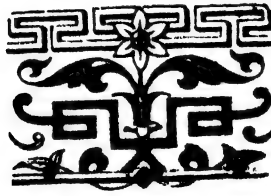
الملكي وما بين جدرانها من خيار الاسرة المالكة ، التي اعتزت بالاسلام وعز بها ، وفي جوها الكريم تربي الملك البطل مولانا محمد الخامس امطر الله ثراه شاييب رحمته . وكان اول ما سمعه منه ابناء وطنه بعد عودته من المنفى قول الله تبارك وتعالى : « الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور » ، كانت آية كانما نزل بها الروح الامين على قلب رسول الرحمة والهداية صلى الله عليه وسلم لأول مرة ، في حين ان نزولها الى سماء الدنيا قضى اربعة عشر قرنا من ايام الله . وسار الخامس برد الله مضجعه يعالج ما شاء من امور الملك ، ويصدر البلاغات والبيانات ، مشفوعة بآيات من القرآن الحكيم ، وكأنه يقول للناس : ان القرآن هو الهادي الذي يوجهنا ، وبه نستهدي لتوجيه المغرب المسلم ، حتى يتخلص من الانحرافات والاهواء ، نفعل ذلك في صبر واناة ، طبقا لما يجب ان يكون عليه علاج امة انهكتها الهجمات المخربة من الداخل والخارج ، وليس العلاج بالسهل ولا الميسور ، ولا يتم بمجرد اصدار الاوامر ولا ايجاد القرارات ، فان الحالة النفسية والاجتماعية تتطلب الشيء لكثير من التبصر والحكمة . واذا كان انتشار الخمر وصل الى حالة مزرية في شعب مسلم ، دستور القرآن الذي يحرمها في غير هوادة ، فان التحريم العملي يتناول غروس الكروم ، وهي كروم منظمة يعيش من جراء تمهدها خلق كثير ، ثم هنالك معاصر الخمر ، وتكاليفها المادية والمالية ، تقدر بمبالغ طائلة من المال ، ثم من وراء ذلك عدة صناعات ، كصنع القوارير والصناديق

والذي يهمننا الان من كتبه هو ما يتعلق بفن القراءات وعلوم القرآن فمنها اللمعة في قراءة السبعة والتقييد لما قد شرد من نصوص الدرة والتصيد جعله تذكرة لقارئ الثلاثة الزائدة عن السبعة لتمام العشرة بطريق التحبير والدرة : في جزء متوسط والتحبير في أصله كتاب للداني في موضوع القراءات السبع والصدرة قصيدة لامية في موضوع القراءات السبع كذلك وأضاف إليها القراءات الثلاث وهي لابي الخير محمد بن الجزري الشافعي وله عليها شرح وقفت عليه ولابي زيد هذا قراءة على الأشياخ المبرزين في الفن منهم الاستاذ المشارك ابو عبد الله محمد عبد الرحمن الزامر القصري الفاسي وكانت وفاته سنة 1076 كما لازم المترجم شيخه الاستاذ الحافظ محمد بن محمد بن سليمان البوعناني في القراءات السبع تلاوة ورواية ودراية كما لازم دروس الاستاذ الحافظ الراوية ابي زيد عبد الرحمن ابن القاسم ابن القاضي فأخذ عنه الروايات السبع ثم العشر وسمع عليه الشاطبية والتفصيل لابن غازي

وقرا أيضا على الاستاذ الكبير في الفن ابا عبد الله محمد ابن عبد الله بن طاهر الحسني العلوي السجللسي القراءات الثلاث ابي جعفر المدني ويعقوب وخلف ابن هشام الى غير ذلك من الأشياخ الكبار المتخصصين في فن القراءات وكانت وفاة ابي زيد الفاسي المذكور سنة 1096 ومن هذه الطبقة الاستاذ الكبير شيخ القراءات بفاس العلامة المتضلع ابو العلاء ادريس بن محمد بن احمد الشريف الحسني المعروف بالمنجرة بلغ الغاية في فن القراءات واليه بعد ابن القاضي المرجع وجميع القراء في ذلك العصر اليه ينتسبون وعلى مجالسه العلمية يعتمدون اخذ عن جماعة من شيوخ عصره البارعين في الفن كالحافظ ابي عبد الله محمد بن عبد الله السرعيني الهواري وغيره من علماء وقته ممن هو مسطر في فهرسته .

(يتبع)

فاس : العابد الفاسي



المسلمين في اقامة دولة اسلامية تعرف كيف تجمع بين
اغلى واعلى الحضارات ، وادق المفهوم في تفسير آيات
الذكر الحكيم .

ان احداث كرسي للدراسات القراءانية في
« جامعة القرويين » لن يكون اقصى مرامي النفس
الطامحة ، ولن يكفي ذلك في تقويم الانحرافات التي
ازاغت الناس عن الصراط المستقيم الذي رسمه
الذكر الحكيم ، فان على ولي امر المسلمين ان يعيد
الجدة الى ما هدمه الاستعمار من مآثر اسلافه الكرام،
في الحواضر والبوادي من المسابد والمعامر ، حتى كان
المغرب من اكثر ان لم يكن اكثر الاقطار الاسلامية
استظهارا للقراءان .

فهذه الكتابيب التي كانت تحتضن الالاف
المؤلفة من حفظة القراءان ، اصبحت خرابا بلقعا ينبع
فيها الغربان ، بعد ان كانت تتلى فيها آيات الرحمن
ليلا ونهارا ؟ فكيف يرتفع عدد التالين للقراءان ان لم
تعد « المعمرة » الى سابق عزها وغابر مجدها . فقد
كانت مثوى للتربية الاسلامية ، لقربها من المسجد ،
ولاتصال اطفالها بالعبادة ؟ فلم لا يشجع الناس على
احياء « المعامر » ؟ ولم لا تكون هي التي تقوم بدور
الاقسام التحضيرية وجانب من الابتدائية ؟ ولم لا
يعطى الطفل المغربي فرصة لامكان حفظه للقراءان ؟ .
ان مما كان معهودا ان الطالب القروي لا يتعاطى تعلم
العلم الا بعد حفظه للقراءان ، حتى ولو ادى ذلك الى
تقضية سنوات معدودات زيادة على الحد القانوني .
فان من وسائل المحافظة على التوازن بالنسبة لنمو
السكان ان يتدربوا على تأخير الزواج الى نحو الخامسة
والعشرين ، وانما يتم لهم ذلك اذا كان لهم عمل
اساسي يحتاج الى مدة اطول .

لن يفترض للقيام بهذه التعديلات احداث
ميزانيات مالية جديدة ، وانما يحتاج الى تشجيع
ادبي وتحبيل من جانب الولاة ، والى ارجاع التصرف
في مساجد البادية للجماعة تحب اشراف الدولة .

هذه جوانب من العناية بالقراءان ، جوانب يقصد
بها وجه الله في غير جلبة ولا ضواء ، ومن حق وزارة
الشؤون الاسلامية ان تجدد طرائق العمل في تشريعات
مبسطة خالية من التعقيد الاداري ، مستندة الى كريم
الاعراف ومساعدة ذوي النوايا الطيبة على ما يؤدي
الى تطبيق تعاليم القراءان ، وتمهيد الطريق امام المتقين
الاخيار . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

تطوان : التهامي الوزاني

لا يمكن ان يكون انسان واحد فكر فيما قدمه
ملوك المغرب حفدة النفس الزكية وورثة عبد الملك
والمصور الذهبي ، من اعمال خالدة جليلة خدمة
للقراءان وشريعة القراءان ، وقد توزع عاهلونا جوانب
هذا المجهود الضخم فقام كل ذي سلطان ببناء قواعد
في صرح القراءان المرد ، واحتفظت لبنة الختام بسرها
لمولانا الحسن الثاني ، فكان عمله تنويجا لتلك الاعمال،
وخروجا من مصاعب التصميم الى فضاء السعسي
الجدي المشكور . وها هي وزارته في الشؤون
الاسلامية تشيد المساجد ، وتعيد تأسيس دراسات
القراءات ووجوه الروايات في حفظ القراءان الكريم .
وان يقرأ القراء في هذه الكلمة العجلى المتواضعة فكرة
انشاء دار القراءان بمسجد حسان ، فان الفكرة لا
ترمي لمجرد المشكلة والازدواج ، حتى تكون دار
القراءان ، عجوز الصدر ذات الحديث ، من باب جمع
المشابهات المتقاربات ، لكنها فكرة هادفة تقصد الى
احداث مؤسسة للقراءات القراءانية رواية ، والى
جانبا معهد تحليلي للدراية ، ليكون هذا المعهد قمة
لبقية الفروع ، يسيرها جماعة من المختصين مدعويين
من سائر اطراف العالم الاسلامي ، لجعل ضريح محمد
الخامس سقاء الفيت المتهون ، وتجددت عليه الرحمت
مثابة لتكريز الدراسات القراءانية بالنسبة للعالم
الاسلامي كله ، دون ان يتفقد المعهد بفروض الاطر
الادارية ، وتكون مهمته علمية محضة للمحققين
والمقربين وحتى للمستشرقين . ويجعل مكتب
التعريب تبعا لهذا المجمع القراءاني بصفته الامين على
حرفية مفردات اللغة العربية ومكانة القاموس القراءاني
منها .

لقد عهدنا في ملكنا البطل ان يسير بمؤسساته
الى امجد اطواعها ، مصمما العزم على تحقيق ما ننسخ
من آية او نسهانات بخير منها او مثلها : فحتى
اذا كان زمنه متأخرا عن زمن مولاي اسماعيل وسيدي
محمد بن عبد الله ومولاي سليمان ومولاي الحسن
الاول ، فانه الملك الاول الذي اقام مؤتمرا قراءانيا
حضره علماء كبار من شتى بقاع العالم الاسلامي .

عندما عرف الناس فكرة وزارة الشؤون الاسلامية
في ادراج عيد العرش سنة 1968 ، في اطار سنة الدعوة
الى الرجوع الى القراءان الكريم ، تأكد الجميع ان
العاهل الكريم لن يكتفي بسنة واحدة ، وانما هي براعة
استهلال لعمل عميق جذري لجعل القطر المغربي امة
قراءانية شكلا وموضوعا ، وظاهرا وباطنا ، تحت شعار
بريء من المسرحيات ، سائر نحو تحقيق حلم ابراز

بمصحف مطبوعة ، فان العناية التي كانت بالمخطوطات وما بها من زخرفة على رؤوس الاجزاء والسور ليس لها نظير في الدلالة على تغفل حب القرآن في نفوس المغنين الذين يعصرون كل ما بقلوبهم من نبل وحب وايمان ، فيسيل حروفا على صفحات المصحف ، فكان القارئ يقرأ القرآن ويلبس ايمان الكاتب وثقته بخطه وعمله الذي يرجع معه ثواب الدار الآخرة .
وكم قرانا في تراجم الرجال انهم كانوا يتخذون من تجويد كتابة المصاحف ووقفها عملا من اجل الاعمال البرورة .

وقد انشأ ملكنا الحسن الثاني « دار الحديث » وها هو ينشئ دار القرآن ، يباث قد يكون شعوريا وقد يكون لا شعوريا ، وقد تسمى هذه الدار بدار القرآن وقد لا تسمى ، الا انها على كل حال ستكون دار القرآن ، تلك هي البناية التي صممها مولانا الحسن الثاني ، واحسن اختيار موقعها في « جامع حسان » ، انها ضريح مولاي محمد الخامس الذي سينقل اليها رفاته الطاهرة الزكية . لن تكون « بيطون » لتجميد المخلوق ، ولكنها دار القرآن يتلى فيها آناء الليل واطراف النهار ، وفيها يسمع كل زائر من اى نحلة وادى دين ، كلام الله مجودا عاليا في افخم مكان استطاع ملك عتيد ان يقيمه لتجسيم بروره بوالده ، وباشهاد الاماد والاجيال على حبه للقرآن الذي يقول سبحانه : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » ، فهو يحب اياه لان القرآن امر بذلك ، ويزداد اجلالا للقرآن لانه يلبس ضميره في الحض على بر الوالدين .

وسوف تتمخض هذه الحركة التي مصدرها الهيام بالقرآن وتعاليم القرآن ، سوف تتمخض - ان شاء الله - عن مجهود واسع النطاق لخلق عالم مسلم يصدر في سائر تصرفاته عن اوامر ونواهي القرآن ، مسبوكة في قالب العصر الذي نعيشه ، بما فيه من مستوى سلوكي لم يسبق له نظير فيما يرجع لتزاحم الناس وتفاهمهم وقبول بعضهم لاعذار البعض . وقبل حدوث الظاهرة تظهر ارهاصاتها ، وما هذا الاريج العاطر الذي تضوع في مؤتمر حزب الاستقلال ، وتبلور القصر الملكي العامر الا سبب قدرة الله تعالى لاجياء الاهتداء بهدي القرآن ، والتفكير في وضع الاسس لحضارة سلسلة روحا وعقلا لا صورة ومظهرا ، تحتل في الاقطار الاسلامية مكانة القيادة ، لتوجه الناس الى السعادة في العاجلة والعقبى الحسنى في الاجلة .

والدنان ، ثم هنالك التجار والباعة ، واكثر من ذلك محاربة عادة الادمان وما يترتب على ذلك من حالات نفسية محرنة . فلكي تطهر البلاد من رجس الخمرة يجب اقبار هذه الانتاجات كلها وتمويضها بما يسد مسدها في سائر القطاعات . وليس للحكومة المسلمة يد في خلق هذه الوضعية ، ولكن عليها ان تمهد طويلا لاستبدال بلاء عادة كافرة بعادات مسلمة ، وانما صاحب البلاء هذه الحضارة ، لان الابطال الذين اتشئوها غير مسلمين ، فلم ينظروا اعمالهم على اساس تعاليم القرآن ، وما قيل في الخمر يقال مثلا في الربا ، والتبرج وسائر الارجاس التي نشرتها حضارة كافرة ، لم تراع في خلقها ، تطابقها مع تعاليم القرآن . وعلى الامم الاسلامية ان تمهد لخلق حضارة قرائية ، تستوعب كل ما يتطلبه تقدم العصر من مرافق ومظاهر ووضعيات .

هذا كان اتجاه محمد الخامس رحمه الله ورضي عنه ، حسبما تنطق به تصرفاته ومختلف انواع سلوكه ، وهذا ما ورثه عنه - في جملة ما ورثه من فضائل آل البيت - مولانا الحسن الثاني ، اعانه الله على تحقيق خلق حضارة قرائية ، قائمة من الاعماق باسقة في السماء ، والعهد الذي ارتبط به مع والده هو ما يرمز له باحياء سنن اسلافه في اقامة هذه المهرجانات التي تطبق طول البلاد وعرضها اشادة بالقرآن وفضائل القرآن ومزايا القرآن . وغني عن البيان ربط المساجد بالقرآن ، فانها بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه . والقرآن الكريم هو الذي يذكر اسم الله تبارك وتعالى ، الى جنب اوامره ونواهيه ، فاذا كان الامر يتصل باستعراض ما بذله الملوك العلويون من مجهود في الاشادة بالقرآن الكريم ، فان بناء المساجد بشكل الهيكل المادي لبلاغ رسالة القرآن ، والاحتفاظ بحفظ القرآن . وما اظن ان احدا من ملوك الاسلام حسب انه سيمجد لانه بذل المجهود في سبيل القرآن ، ذلك لان المسلمين كافة يرون واجبه الاساسي انما هو في العمل على زيادة نشر القرآن وتعاليم القرآن ، واذا تم بناء المسجد ، فان تجهيزه الاساسي بتزويده بمجموعات من المصاحف المجموعة في قمطر واحد ، ان المجزاة في اجزاء . وكنا ونحن صفار نجد من المصاحف الخطية وبالخصوص المكتوبة بخطوط مكناسية ما يتجاوز العد والحصر ، لكن الفترة الاستعمارية ازدرت منها المصاحف الثمينة وما بقى منها الا ما بقى من الوشم في ظاهر اليد . ورغم انها عوضت

أحييت بالعدل والتقوى هدى (عمر)
أقمت (دار حديث) شمسها سطعت
أنشأتها لبناء الجيل .. تغمـره
تساءلت أمة الاسلام ، أين لها
بلى ، - وحق خلود العرش في وطني -
رسالة العرش ان تبني حضارتنا
ووحدة الصف من أسمى مبادئنا

يا دعوة الملك الغالى لمؤتمر
دوى نداؤك فى الآفاق ، فارتعدت
واستيقن (القدس) يبكى الجرح ان له
غدا سيجتمع الابطال فى وطنى
يا شعر .. ان جئت تغشى ظل مجلسهم
نهوى السلاح ، ولكن من مصانعنا ،
مهلا فلسطين مهلا ... اننا عرب
شعب العروبة ثار اليوم ثورته

رجعت للزمن الماضى اسأله
وعدت للعصر مفتونا بسياسته
وطاف بى الشعر حلو الجرس .. منبعه
عرائس الفن هامت فى محاسنه
من حكمة الحسن الثانى سما وطنى
لبيك انا جنود العرش .. يا ملكى
مولاي عش لنفوس انت منيتها

يسوس ملكا برأى غير ذى خطل
عبر الوجود ... وسارت مضرب المثل
نورا .. وتحفظ خطو الشعب من زل
زعيم وحدتها فى مجهل السبيل ؟
هذا زعيمك يوم الموقف الجلل
على العلوم ، على الاخلاص فى العمل
مكاننا فى غد قيادة الدول

ليصبح العرب صفا غير منفصل
فرائص الظلم من خوف ومن وجل
فيك المحرر من جرم ومن دجل
وينزلون مقامنا وارف الظلل
فقل لهم : ثورة فى الشعب لم تنزل ..
عمادنا ثروة فى تربنا الجزل
سنزرع النصر فى واديك والجبل
وليس يرضى سوى استقلالك العجل

عن قادة فى سداد الرأى كالرسل
هل من زعيم بقلب الشعب متصل .. ؟
هواى فى ملكى .. لذاك يسلس لى
سمت معانيه فوق الحب والغزل
يسير من أمل حلو الى أمل
شعارنا الحب .. والاخلاص فى العمل
فحولك الشعب ان تأمره يمتثل

الرباط : علال الهاشمى الفيلالى

من وحي الزكري

وحدة المسلمين في ظل العرش

للشاعر علال المسمى الفيلاي

قالوا العروبة والاسلام .. قلت لهم :
عرش الحضارة .. هذا الكون يعرفه
لو ينزل الوحي بالايات ، كان له

اضاءنا العيد .. فاهتاجت عواطفنا
لولا غد بهبات العرش يغمرنا
لو رغبة الاطلس الجبار كافيّة
لكن فرسانه — والخيل قد ركضت
لله من عازف لحننا ، ومنفعّل
تموج الشعب ارواحا وعاطفة

يا ثائرا نهضت بالشعب ثورتـه
تبني الحضارة، تحيي الشعب .. انت لنا
بسطت ظلك في الصحراء ، فانتفضت
غنى بحبك فلاح نهضت به
واسترجع العامل الاحلام زاهية
يسير للغد .. للانماء .. موكبنا
طلعت في جبهة الدنيا . وقد حليت

اسق العطاش كؤوس الفوز بالامل
كالروح للجسم ، والابصار للمقل
وجادها وابل من غيثك الهطل
نشوان يمرح في انعامك الجـزل
فلم يعد خائفا من غيلة العلـل
على يدك الى شط المنى الخضل
بك الحياة .. وصنت المجد عن عطـل

أرجعت للأوطان عهداً زاهراً
لن تبلغ الآمال إلا أمة
فمحبّة العرش المجيد عقيّدة
للعرش أخلصنا ، ونحو ندائــه
عاشوا أباة الضيم أحراراً ، فلم
أعجب بأحرار تسامى طبعهم
والعرش سر وجودنا وأماننا
لبيك يا بطل البلاد وحصنها
كم أضرم الدخلاء من نار لهم
مولاي عرشك في القلوب موطد ،
أدهشت كل العالمين بحكمة



ترويه منك سواعد وسدود
تسمى حثيثاً للعلا وتزيد
ما حدها في العالمين حدود
قد هب أبناء لنا وجودود
يهنوا ، ولا كانت هناك قيود
وهو لاحسان المليك عبيد !
لولاه لم يك للسلام وجود
فلنح حولك في النضال جنود
وهو لها يوم الحساب وقود
والعرش تمكين لنا وخلود
ومهارة تبدى لهم وتعيد

هذي (فلسطين) الشهيدة في الوري
كم من طريد بينها ومعذب
واحسرتاه على الديار وأهلها
عقدت عليك رجاءها وخلصها
فلانت أجدر بالفداء ويومها
هذا عدو الله عاث ضراوة
قد داس ساح (المسجد الأقصى) ومن
فمتى يزول الضيم عن أرض الهدى
ومتى تزاح (القدس) عن أرض الخنا ؟
ومتى يؤم النازحون ديارهم ؟
لهفى عليهم في الخيام وفي الخصا
لهفى على الآساد حل محلها

— والهفتى ! — فردوسنا المفقود
ودم مراق يرتضيه شهيد
فالدمع في جرح القلوب صديد !!
فالشبرق في بلوائها مفؤود
ولانت من يحمى الحمى ويذود
في ثالث الحرمين وهو غنيـد
أهدافه التخريب والتهويد
ويلوح في تلك الربوع العيـد ؟
ويلوح فيها الصبح وهو جديد
ومتى تطهر أرضهم فيعودوا
صة ، والعدو على الكرام حقود
— واخيبتاه ! — ثعالب وقـرود

يا حامي الدين الخفيف

للشاعر: محمد محمد العلمي

فلانت في نطق الخلود نشيد
ان الجميع شعاره التوحيد
أنا نشيد مجدنا ونسود ؟
الا وأنت الى الامان معيد
للمكرمات ، وأنت فيه تقود
يعنو اليك كما تشا وتريد
فمصيره بين الانام سعيد
والنصر أنت لواء المعقود
اذ أنت تاج زانه التمجيد
والسعي منك موفق محمود
فالعيد أنت يحوطك التأييد
والارض أكباد لنا وخذود
هبت اليك من القلوب وفود
فجميع عهدك للبناء شهود
لسعت اليك من العيون عقود
كنزا ، لكنا بالجميع نجود
فيها انبعثت للبلاد وطيد

في ظل عرشك يجل التغيريد
يكفيك فخرا في بلاد قدتها
أفلا يحق لنا وأنت امانا
ما هبت الازمات في أوطاننا
ما خاب شعب صنته وهديته
فاذا أردت فان دهرك طائع
طوبى لشعب للمزايا قدته
هامت بك العلياء في أمجادها
قد سدت بالاسلام في أخلاقه
شيدت للقرآن ركننا شامخا
هتفت بك الاكوان من أعماقها
والورد تحت خطاك مفروش هنا
لو شئت للتاج الرفيع جواهر
أو شئت من شتى الروائع آية
أو شئت عقدا من سواد عيوننا
أو شئت من أعلقتنا ونفوسنا
أعطيتنا مثلا ، فقمنا قومة

نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلمي

للدكتور: محمد المنوني

مقدمة :

الشرقي (1) : « فان كتاب الصحاح . اجمع اية اللغة انه بمنزلة صحيح البخاري بالنسبة الى باقي الصحاح » ، وعبارة غيره (2) : « فهو من كتب اللغة بمثابة الصحيحين من كتب الحديث » .

وسنتبين بعد : ان هذه الانبعاث اللغوية تنقسم الى فترتين : تمتد الاولى الى اواخر القرن الثالث عشر للهجرة . حيث ظهر افراد متضلعون في اللغة ، ووضع بعضهم مؤلفات لغوية اصيلة ، وفي الفترة الثانية اخذت هذه الانتعاشة تسير نحو الانحدار : فانقطع تدريس « القاموس » . وانعدمت الاصاله من المؤلفات ، التي اصبحت ترجيعا لصدى بعض موضوعات الفترة الاولى ، وستقف هذه المرحلة الثانية عند اواخر القرن الثالث عشر للهجرة .

اما تصنيف هذه الدراسة فسيسير حسب المواضيع التالية :

- اولا — مؤلفون واساتذة القاموس .
- ثانيا — لغويون لم يؤلفوا .
- ثالثا — وراقتون معتمدون في نسخ القاموس .
- رابعا — اهتمامات أخرى بالقاموس .
- خامسا — خطبة حاشية القاموس. لمحمد الطيب الشركي .

ان الحقب المعني بالامر هنا يمتد من ظهور الدولة العلوية الى اواخر القرن الثالث عشر للهجرة . حيث انتعشت دراسات اللغة العربية . ونشطت أكثر في الفترة الاولى من هذا الحقب .

والى جانب اثر الدولة في هذا ، يوجد عامل آخر يرجع الى تاثير الزاوية الدلائية . حيث استمر طابعه واضحا — في صدر هذا العهد بالخصوص — في اللغة والادب وغيرهما . وقد صادفت هذه الانتعاشة مرحلة وفرة المؤلفات بالمغرب . فكثر في اللغة العربية — نسبيا — الموضوعات المغربية .

وكان الكتاب المتداول أكثر . هو « القاموس المحيط » للفيروز ابادي . وسنرى — فيما بعد مدى خدمة المغاربة له : بالتدريس والتعليق عليه من طرف زمرة من الاعلام . اضافوا الى معارفهم المتنوعة عناية خاصة باللغة ، ويبلغ عدد هؤلاء وغيرهم 27 اسما ، بينهم مؤلفون كتبوا 19 موضوعا ، وفيهم عدد كانوا يقومون بتدريس « القاموس » — كلا او بعضا — لطلاب اللغة — وعدد آخر اهتموا بتصحيح متنه ومعارضته بأصول متعددة بعضها يرجع الى اصل المؤلف نفسه .

على ان كتاب « الصحاح » للجوهري لم يعدم مكانته في هذا العهد ، وعلى حد تعبير محمد بن الطيب

(1) في خطبة تعليقته على القاموس الاتية الذكر .

(2) ابي زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز الناذلي ثم المدني ، في خطبة كتابه الاتي الذكر : « الوشاح وتنقيف الرماح في رد توهيم المحدث الصحاح » ، ص 3 .

طبع اللثام تتكرر وجحود
أين الجاحجج والكمأة الصيـد ؟
فالله يمكر فوقهم ويكيـد
ويزول تهديد له ووعيـد
اذ بأسهم يوم الفداء شديـد
ح وبالبطولة يومها المشهـود

لهفى على الحق المداس تتكرا :
أين الاباة من استجابوا للعلا ؟
مهما يطل مكر العداة وكيدهم ،
ستزول من جيش الدخيل فلولـه
فالعرب قوم يثأرون لعزهم ،
هذى فلسطين سيبسهم بالكفا



ترعاك من رب العباد عهـود
اذ أنت فينا ظله الممـودود
حتى يزول البؤس والتشريـد
سى فى الورى (حسانك) الغريـد
فمحمد عز لنا وصعـود
فالمجد عندك طارف وتليـد
عهد سعيد ، كله تشييد !
لم تخف منك مطامح وجهـود
ديوان شعر كله تمجيـد
حجت اليك جحافل وحشـود
ومن العباد يحفك التاييد

يا حامى الدين الحنيف تحيية ،
شكر الاله لك المساعى كلها
آتاك فى ظل البنود مهابة
ويزيدنى شرفا على شرف بأنـه
صان الاله ولى عهدك دائما
وليق عرشك للبلاد يصونها
مرحى لعهدك يا مليكى انه
وجهودك الجلى فلاح كلها
والشعب فى اخلاصه وولائـه
فى العيد اذ تبدى لديك ولـاهـا
فمن السماء لك العناية دائما

الرباط : محمد بن محمد العلمى

خطبته ، ويبين لنا سيدنا ما استقرىء من عاداته ، وينبهنا عن المواضع المنتقدة فيه ، وهل اعتراضاته على الجوهري صحيحة أم لا ، وعلى م يتكل هو والجوهري في ضبط وسط الكلمة اذا كان محتاجا للتشبيه على نقطه حيث يفقد تشبيهه فلا يدري المفقود هل هو من المعجم او من المهلل ... وهل ما يفعله صاحب القاموس من تقديم المادة الرباعية والخماسية على الثلاثية تارة وتاخيرها عنها اخرى له نكتة أم لا ، بينوا لنا ذلك بيانا شافيا ، ولكم الاجر الجزيل والثواب .

والحاصل اننا جميع اهل العلم في غاية الحاجة الى هذا التأليف ، وقد رجونا ان تاتي فيه بما لا مزيد عليه من الاتقان والحسن وكثرة الفوائد ، وما يناسب هذا المعنى من عادة الجوهري وغيره من كتب اللغة المشاهير ، ولا تكلفك بما فيه عليك مشقة ويحتاج الى طول زمان ، وانما نريد منكم ما حضر وسهل مما نعتاده من خزائن صدوركم من النفائس والذخائر ، المزينة باللالسي والخواهر وانت خير بأن هذه المسألة اكيدة ، وانها مفتقرة لعلومك الوافرة الجديدة ، وانك ان لم تتولها ، فلا انا حسن لها ، فبين صوابها ، واغتنم ثوابها ... »

والى هنا ينتهي المراد من هذه الرسالة ، حيث يبين مدى اليد التي للمترجم في جمع هذه الحاشية ، وأيضاً في تصميم تصنيغها .

7 — ابو العباس احمد الملقب الحبيب بن محمد الملقب الفهاري ، الصديقي ، السجاسمي ، المتوفى عام 1165 هـ / 1751 م (17) ، اخذ عنه ابو العباس الهلالي — آني الذكر — خطبة القاموس (18) .

8 — محمد بن الطيب الشركي الصبيلي الفاسي . ولد بفاس عام 1110 هـ / 98 — 1699 م ، وبها تعلم . وكان سكناه بالدرب الطويل (19) ، من عدوة القرويين . وهو — في ختام خطبة القاموس — يورد سنده الى مؤلف الكتاب . ويصدره بذكر اشيائه الفاسيين هكذا :

(17) ترجمته في نشر الثاني ج 2 ص 264 .

(18) طالعة فتح القدوس في شرح خطبة القاموس : المخطوطة الاتية الذكر .

(19) « سلوك الطريق الوارية ، في الشيخ والمريد والزواية » لمحمد بن علي الزبيدي

مخطوطة خاصة — اثناء ترجمة المترجم .

(20) سقطت كلمة « ابن » قبل الساذلي .

(21) ج 1 ص 3 .

(22) طالعة « فتح القدوس في شرح خطبة القاموس » ، المخطوطة الاتية الذكر .

(23) سلك الدرر ج 4 ص 94 .

(24) نقله في فهرس الفهارس ج 2 ص 396 .

« اما القاموس — على الخصوص — فقد قرانا خطبته واكثر مواده — قراءة بحث — على شيخنا الامام العلامة ابي عبد الله محمد بن احمد الشاذلي (20) ، وشيخ الجماعة ، الامام الكبير ، ابي عبد الله محمد بن احمد المسناوي ، وسمعت كثيراً من مباحثه ومواده ، على الشيخ البركة ، نحوي العضر ولغوي ، ابي العباس احمد بن علي الوجاري الاندلسي ... » .

وقد كون المترجم بفاس نهضة لغوية راينا صداها في رسالة عبد المجيد الزبيدي الآتية الذكر ، ولما رحل للمشرق كان من بين طلابه محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، الذي يقول عن استاذة في طالعة شرح القاموس (21) : « وهو عمدتي في هذا الفن ، والمقلد جيدي العاطل بحلي تقريره المستحسن » .

وبالمشرق — ايضا — اخذ عن المترجم ابو العباس الهلالي — آني الذكر — ، حيث قرأ عليه خطبة القاموس قراءة بحث وتحقيق على حد تعبير الهلالي ، الذي قال في تحليلته : « اشد من رايته عناية بعلم اللغة ، واحرصهم على مدى سوابقها ان يبلغه » ، وكانت قراءته على المترجم في خلوته بالمسجد الحرام تجاه البيست العتيق .

وقد وصفه — ايضا — المرادي (23) بانه كان له الباع الطويل في اللغة والحديث ، وقال عنه محمد الطالب ابن الحاج : « لم يكن في زمانه احفظ منه بالنحو واللغة والتصريف والاشعار ، اماما في التفسير والحديث والتصوف والفقه (24) » .

ويشهد المترجم على نفسه بأن له تضلعاً قويا في اللغة ، وفي هذا يقول اوائل خطبة حاشيته على القاموس :

« وقد كنت ممن نبغ في هذه العلوم الشريفة ، ونبع بعيونها الفائقة وتفتيا ظللالها الوريقة ، وغاص قاموس بحرهما ، وصاغ قابوس نحرهما ، وتعرف الوحشي منها

5 — أبو العباس أحمد بن علي الوحاري القضاعي
الاندلسي الغرناطي . ثم الفاسي المتوفى عام 1141 هـ
1729 م (12) . أحد أعلام النحو واللغة والتصرف وإمام
العرب (13) . وهو — نص — من سائده محمد بن
الطيب الشركي في القاموس . حيث سمع عليه كثيرا من
مباحثه ومواده (14) . وقد كتب ملحقا للقاموس يوجد
مخطوطة منه بالحزام العامة بالرباط تحت رقمك (1690) .
في حجم متوسط . من 289 ص .

6 — عبد المجيد بن علي بن محمد المؤذن بن علي
الصوفي بن أحمد . المدعو الزبادي . الحسني . الفاسي
المتوفى عام 1163 هـ / 1750 م (15) . ماهر في علم
اللغة إمام فيه (16) . وقد ذكر في هذا القسم لتسجيل
البد الكبرى التي له في اقتراح جمع حاشية القاموس
لمحمد بن الطيب الشركي . الذي أثبت في طالع هذه
الحاشية قطعة من رسالة حافظه بها المرحم في هذا
السد . وجاء فيها بعد كلام « ورد فيه أسئلة في فنون
مختلفة :

« ... فإذا حقق لنا سيدنا — برك الله فيه — تلك
المسائل . وأوضح لنا فيها الحق من الباطل . فلينجز
لنا وعده الصادق دون إهمال . وبهمل عينا من عامل
سائب فضله ورعده الصادق أي إهمال . بأن يؤلف لنا
الكتاب الذي كنا سالناه منه من جميع من شملته هذه
الحضرة الفاسية من أعيان الأماصل السراة ذوي العدد .
في اصطلاحات القاموس التي لم يحسن « كذا » بها في

1 — أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى
عام (3) 1102 هـ / 1691 م ، الف : « زهر الاكم في
الامثال والحكم » ، ولم يمه ، لا يزال مخطوطا في خزائن
خاصة وعامة ، ومنه نسخة مذيبة بمراجع الكتاب .
خ . ع . ك 1679 .

2 — أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن
الجرندي الاندلسي الفاسي ، المتوفى عام 1125 هـ /
1713 م (4) ، وضع حاشية على القاموس (5) لا تزال
غير معروفة .

3 — محمد بن أحمد بن السنائي بن محمد بن أبي بكر
الدلائي ، الشهير بالسنائي . الفاسي . المتوفى عام
1136 هـ / 1724 م (6) . من اساتذة القاموس بفاس .
قراه عليه محمد بن الطيب الشركي — آتي الذكر —
قراءة بحث واتقان على حد تعبيرة (7) . ولما استعرض
في طالع « تاج العروس » (8) المؤلفين الذين استدرخوا
على القاموس ، نسب للمترجم كتابة في هذا الصدد .
وهذه لا تزال غير معروفة أيضا .

4 — محمد بن أحمد بن الشاذلي بن محمد بن أبي
بكر الدلائي ، الفاسي ، المتوفى عام 1137 هـ / 24 —
1725 م (9) ، مطلع على غرائب اللغة العربية (10) .
وقد قرنه محمد بن الطيب الشركي مع السنائي : في
قراءة القاموس عليهما قراءة بحث واتقان (11) .

- (3) انظر عن ترجمته وبعض مراجعها : « معجم المؤلفين » لرخصا كحاله ج 3 ص 294 — 295 .
- (4) ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 16 — 17 .
- (5) محمد الفاسي : تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى . مجلة دعوة الحق .
السنة الثالثة ، العدد العاشر — ص 38 .
- (6) ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 44 — 47 .
- (7) « تاج العروس من جواهر القاموس » ، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي .
المطبعة الخيرية بالقاهرة ، 1306 — ج 1 ص 15 . وتفيد عبارة ابن الطيب في
حاشية القاموس : انه انما قرا على السنائي خطبة القاموس واكثر مواد .
- (8) ج 1 ص 3 .
- (9) ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 3 ص 47 — 48 .
- (10) « ثمرة انسي في التعريف بنفسي » لابي الربيع سليمان الحوات . مخطوطة حاصه .
- (11) « تاج العروس » — ج 1 ص 15 .
- (12) ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 148 — 149 .
- (13) « نفس المصدر » ج 2 ص 148 .
- (14) « تاج العروس » — ج 1 ص 15 .
- (15) ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 184 — 187 .
- (16) « نشر المثاني » ج 2 ص 257 ، مع « الرياض الريانية » : مخطوطة ح . ع ك 497 . ص 368

فانه قد حصل لي — بحمد الله — من مطالعة القاموس واستقرائه ، ومباحثة الافاضل عند قراءة بعضه واقرائه ، ما يستحسنه النجيب ، ويستعظمه الارب ، من اصطلاحه العجيب ... » ، ومن مؤلفاته اللغوية :

١ — « فتح القدوس » في شرح خطبة القاموس ، مخطوط في سفر وسط ، ومحفوظ في خزائن عامة وخاصة .

ب — « اضاءة الادموس ، ورياضة الشموس (31) من اصطلاح صاحب القاموس » ، طبع بالمطبعة الحجرية الفاسية ، بمطبعة العربي الازرق عام 1323 هـ ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط تحمل رقم 2557 . وهي مقابلة مع اصل صحيح عليه خط المؤلف ، على يد العربي بن محمد الدمناتي ، في 27 جمادى الثانية عام 1243 هـ .

ج — ونسب له في طالعة تاج العروس (32) شرحا حسنا على القاموس . وهذا غير معروف ، ولم يذكره مترجموه . والغالب انه التبس بفتح القدوس . الذي هو شرح لخطبة القاموس كما رأينا آنفا .

د — هذا وقد جاء في فهرس المخطوطات العربية (33) ما يلي :

« اسعاف اللب الانوس بالاهم المانوس . من مصطلح صاحب القاموس » — تأليف ابي العباس احمد ابن عبد العزيز . اوله : « حمدا لمن جعل علم اللغة لسائر العلوم مفتاحا » . رتبته على اربعة اصول وخاتمة .

(31) في النسخة المطبوعة : ورياضة النفوس .

(32) ج 1 ص 3 .

(33) ج 1 ص 45 ، وهو عبارة عن نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة 1936 — 1955 . تصنيف فؤاد سيد . امين المخطوطات بالدار

(34) « فهرس الفهارس » ج 1 ص 136 . وقد وقفت بعد هذا على ذكر المترجم عبد الرحمن التادلي عند ابي راس العسكري في رحلته : « فتح الاله ومنتبه . في التحديث بفضل ربي ونعمته » ، مخطوطة خ . ع . ك 2263 ، حيث اورد ذكره في موضعين : ص 45 — 46 ، وص 95 — 96 ، وهو يسميه بالشيخ عبد الرحمن التادلي اصلا ونجارا ، المكي منشئا ودارا ، ووفاة واقبارا . ويصفه بأوصاف عالية ، منها الباع الواسع في طريق القوم واللغة ، ثم يذكر انه قرأ عليه شرح الامام ابن عباد على الحكم العطائية بمكة المشرفة عام 1205 هـ ... » . كما يذكر انه اتخذ مكة وطيبة دارا ، ومن هنا جاء وصفه بالمدني .

(35) المعسول ج 8 ص 206 .

نسخة بقلم مغربي . في 33 ورقة ، مسطرتها 10 أسطر (5254 هـ)

فهل احمد بن عبد العزيز هو المترجم ، وهل هذا مؤلف آخر له في اللغة ؟

(10) عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي التادلي ثم المدني العمري . الف كتاب « الوشاح وتنقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح » ، رتبته على ترتيب أصله وادرج فيه ما اخذ على الجوهرى من التصحيح مما ذكره السيوطي في المزهرة ولم ينتقده صاحب القاموس .

طبع على هامش الصحاح ومغردا ، وقد كانت هذه الطبعة المفردة بالمطبعة الكبرى ببولاق « مصر » ، عام 1281 هـ . في 134 ص ، من حجم متوسط .

ولم اتف — الان — على ترجمة هذا المؤلف ، وليس في كتابه ما يحدد عصره ، سوى ما جاء في ص 12 من ذكر الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي كشيخ لشيخه . وقد كانت وفاة هذا في عام 1134 هـ (34) .

11 — محمد الحبيب بن عبد القادر الفلالي ، كان مدرسا في مدرسة تازروالت بسوس ، ثم استوطن المدينة المنورة حيث كان بها في مفتتح عام 1243 هـ / 1827 م . وقد وضع نظما في اصطلاح القاموس سماه الانفس المانوس (35) .

12 — محمد بن عبد القادر الكلالي الحسيني الشهير بالكردودي الفاسي ، المتوفى عام 1268 هـ /

والمداول ، وتصرف في المختصر من دواوينها والمتداول ،
ولم يزل معانيها دهرًا ، حتى قالوا تحبها قلت
بها » .

كما يمتاز المترجم باستقلال الرأي ، حسب هذه
الفقرة الواردة في مقدمة موطنه الفصيح :
« ولم أكن ممن ديدنه التقليد لاحد من البشر .

ولست بأمة في الرجال
أسائل هذا وإذا ما الخبر

ولكن ادور مع الحق حيث ما دار ، واتصف
بالانصاف بتوفيق الله تعالى لانه منار الفهم الذي عليه
المدار ، ولست ممن يرى لتقدم الزمان فضيلة ، أو
يهتضم المتأخر في حقيرة أو جليلة ... » .

ولا شك أن في طليعة مؤلفاته « 1 » حاشية
القاموس ، التي سماها : « اضاءة الراموس ، واطافة
الناموس ، على اضاءة القاموس » .

وكما سبق عن الزبدي : فان تدوين هذه الموسوعة
مدین لطلبه مع جمع ذوي عدد من اعيان الافاضل السراة
بالحضرة الفاسية ، ويؤكد المترجم هذا ، فيذكر في
اول الحاشية ان اشياخه الاساتذة ، واصحابه
الجهابذة ، طلبوا منه جمعها ، ثم جاء في ختامها :

« وقد انجزنا وعد السائل : « يقصد الزبدي » ،
وانجزنا الجواب عما سألته من المسائل ، رغبة في جلب
الدعاء منه ومن شاركه في السؤال من اهل الحضرة
الفاسية من اعيان الافاضل ، ومن شاركهم في بقايا
الافاق من كل فاضل ... » .

لاتزال هذه الحاشية مخطوطة ، وقد تعددت
نسخها بالمغرب في الخزائن العامة والخاصة ، ويوجد
منها في خصوص المكتبة الملكية بالرباط تسع نسخ
جلها تامة ، وتحمل الارقام التالية :

(25) « فهرس دار الكتب المصرية » ج 2 ص 42 .

(26) هو عالم سوداني مسوفي مترجم في فهرس الفهارس ج 2 ص 264 - 269 .

(27) فهرس دار الكتب المصرية ج 2 ص 19 .

(28) ترجمته وبعض مراجعها في معجم المؤلفين ج 10 ص 111 ، وفي سلوك الطريق
الوارية المخطوطة السالفة الذكر .

(29) ترجمته في نشر المثاني ج 2 ص 273 - 277 ، وتوجد مع بعض مراجعها في
معجم المؤلفين ج 1 ص 275 - 276 .

(30) ط . ف . ص 2 ، مع الرجوع الى مخطوطتها الاتية الذكر .

244 - 246 - 544 - 1071 - 1658 -
2522 - 4976 - 6111 - 7991 ، ومن الجدير
بالذكر ان هذه النسخ كلها مكتوبة بخطوط مغربية .

ومن المؤلفات اللغوية الاخرى للمترجم : « ب »
« موطنه الفصيح لموطاة الفصيح » ، وهو اسم شرح
نظم فصيح ثعلب ، لمالك ابن المرحل السبتي ، منه
نسخة غير تامة في مجلد ضخيم يحمل رقم 1563 في
الفهرس الجديد للمكتبة الزيدانية بمكناس ، ويوجد
الجزء الاول منه بدار الكتب المصرية تحت رقم
179 (25) ، وهناك قطعة من اوله ضمن مجموع خاص
ص 675 - 765 ، بخط صالح الفلاني (26) وتعليقاته
التي يناقش في بعضها المؤلف .

ج - « شرح كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ » لابراهيم
ابن اسماعيل الطرابلسي المعروف بابن الاجداني ،
بدار الكتب المصرية رقم 14 ش ، بخط علي الجزائري
كتبه للشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركيـزي
الشنجيطي (27) .

وهذه ثلاثة مؤلفات لغوية اخرى للمترجم لا تعرف
الا من خلال ذكرها في حاشية القاموس :

د - ضوء القابوس ، في زوائد الصحاح على
القاموس .

هـ - حاشية على درة الغواص للحريري .

و - المسفر عن خبايا الزهر للسيوطي .

واخيرا فان وفاته كانت بمستقره الاخير بالمدينة
المنورة عام 1170 هـ / 1757 م ، ودفن بمشهد
السيدة حليلة (28) .

9 - أبو العباس احمد بن عبد العزيز بن الرشيد
الهلاي السجلماسي المدغري ، المتوفى عام 1175 هـ /
1761 م (29) وهو ممن استقرا القاموس واقرأه ، فقد
قال في خطبة اضاءة الادبوس (30) الاتية الذكر : « ما بعد

اوائل عام 1257 هـ واتي يوم الثلاثاء 20 رجب من نفس العام ، ونبه فيه على مسائل ارتكب فيها خلاف الصواب ، منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ج 126 ، في 274 ص من حجم متوسط .

ثانيا - لغويون لم يؤلفوا

15 - محمد الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1103 هـ / 1692 م ، انفرد في عصره بعلم اللغة وحفظ أيام العرب وأقوالها وحكمها وأمثالها (44) .

16 - محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي ، المتوفى عام 1120 هـ 1708 م (45) ، كان اليه المرجع في النحو واللغة والعروض في وقته (46)

17 - محمد بن أحمد بن محمد بن علال بن محمد ابن جلون الفاسي ، المتوفى عام 1136 هـ / 1724 م ، يستحضر اللغة ويقوم في الاستشهاد عليها بالشواهد الغريبة (47) .

18 - محمد بن الحسين الجندوز المصودي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1148 هـ / 1735 م (48) ، محقق للعلوم العربية ، حافظ لغريب اللغة (49) .

19 - محمد الجيلاني بن أحمد بن السيد المختار السباعي الحسني ، المتوفى عام 1213 هـ / 1798 - 1799 م ، يقال عنه : انه استجمع واستظهر كتاب القاموس حفظا وانتقانا (50) .

وغاية ما يقال : انه احسن مظهر ظهر في زمانه ، وانه لو بذل فيه كل متهول لكان قليلا في أثمانه ، هذا : ومدة ذؤوبنا على تصحيحه تزيد على سنتين .. » .

ومن حسن الحظ ان هذه النسخة من القاموس المتحدث عنها لا تزال بقيد الوجود ، حيث تحتفظ بها المكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 8112 ، في ثلاث مجلدات مختلفة الحجم ، وهي خالية من أية اشارة لقصة تصحيحها أو التعريف بها ، ولكنها مهمشة بخط المترجم اكسسوس « المعروف » ، بالتصحيحات والفروق بين النسخ وبعض التعليقات ، وفق ما أشارت لـه الرسالة الانفة الذكر ، كما يوجد على أول كل من المجلدات الثلاثة ملكية بخط العربي بن المختار الجامعي المقترح لهذا العمل ، وقد كتبت هذه النسخة بخطوط متنوعة ومتفاوتة في الحسن ، ملونة وخالية من تاريخ الانتساخ : المجلد الاول بخط احمد بن عبيد الكريم بن عبد العزيز بن عبد الرزاق ؟ والثاني بخط المذكور الى نحو النصف ، وبأقية متم بخط اكسسوس الذي لم يعلن عن اسمه ، والثالث مجهول النسخ .

14 - محمد الامين بن عبد الله بن محمد الامين الحجاجي الجعفري الصحراوي ثم المراكشي المتوفى عام 1295 هـ / 1878 م (42) ، سكن مدينة مراكش زهاء 40 سنة ، وكان له شغف باللغة وحفظ لكثير من حوشها (43) ، وقد قام - هو الآخر - بنظم اضاءة الادموس للهلالي ، في ارجوزة سماها « استضاءة الشموس فيما حوت اضاءة الادموس » ، ثم شرحها باسم « الروض الانيس في شرح استضاءة الشموس فيما حوت اضاءة الادموس » ، شرع في هذا الشرح

42 ترجمته في الاعلام بمن حل بمراكش واغيات من الاعلام ج 6 ص 33 - 40 .

43 المصدر الاخير ج 6 ص 33 .

44 عند ترجمته من سلوة الانفاس ج 2 ص 96 - 98 .

45 ترجمته ومراجعها في المصدر الاخير ج 3 ص 180 .

46 « المورد الهني بأخبار مولاي عبد السلام القادري الحسني » لمحمد بن أحمد ابن محمد بن أبي السعود الفاسي الفهري ، مخطوط خ ، ع ، ضمن مجموع يحمل رقم ك 1234 - ص 265 .

47 في ترجمة من « الروضة المقصودة » لسليمان الحوات ، مخطوطة خاصة ، وانظر عن ترجمته - ايضا - فهرسة محمد التاودي ابن سودة المري ، مخطوطة خاصة .

48 ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 1 ص 235 - 236 .

49 الروضة المقصودة : المخطوطة الانفة الذكر .

50 انظر ترجمته من فهرس الفهارس ج 1 ص 217 - 218 ، مع الاعلام بمن حل بمراكش واغيات من الاعلام ج 5 ص 144 - 152 .

1852 م ، (36) كان له اعتناء كبير بعلم اللغة (37) ، وقد نظم اضاءة الادموس للهلال في ارجوزة سماها بحل العروس ، واقتصر فيها على القواعد وحذف الزوائد ، وهي مطبوعة بالطبعة الحجرية الفاسية بذيّل اضاءة الادموس ، في التاريخ الانف الذكر .

13 — محمد بن أحمد بن محمد السوسي المراكشي اكنسوس ، المتوفى عام 1294 هـ / 1877 م (38) ، قام بتصحيح متن القاموس ومعارضته بعشرات النسخ الصحيحة ، مع تهيمشه بالتصحیحات والفروق بين النسخ ، وبتعليقات عليه قد يناقش في بعضها محمد بن الطيب الشركي في الحاشية ، وكان قيامه بهذا التصحيح باقتراح من وزير الدولة الرحمانية محمد العربي بن المختار الجامعي (39) .

وقد تحدث المترجم عن عمله هذا في اكثر من رسالة خاطب بها هذا الوزير (40) ، حيث يذكر انه عارض متن القاموس بخمسين نسخة معتمدة ، فيها النسخة الكبيرة التي كتبها ادراك بخطه في سفر واحد (41) ، وكان يعاونه في هذا العمل اربعة من نجباء اصحابه ، يجلس معهم من الشروق الى السّوال ، ويتتبعون الالفاظ والكلمات : واحدة واحدة ، مدة تزيد على سنتين ، حتى تم التصحيح وتوابعه في مفتتح عام 1271 هـ / 1854 م .

وفي هذا التاريخ خاطب المترجم الوزير الجامعي يخبره بانجاز المهمة ، ويشرح الجهد المضني الذي عاينه ومنهجه في التصحيح ، وهو يقول في هذا الصدد:

36 ترجمته في سلوة الانفاس ج 2 ص 333 .

37 « ذكر من اشتهر امره وانتشر ممن بعد الستين من اهل القرن الثالث عشر » للقاضي عبد الهادي بن احمد الصقلي الحسيني ، مخطوطة خاصة .

38 ترجمته في الاعلام بمن حل بهراكنش واغيات من الاعلام ج 6 ص 19 — 28 ، وفواصل الجمان ل محمد غريط ، ص 7 — 40 .

39 ترجمته في فواصل الجمان ص 61 — 63 .

40 هناك مجموعة رسائل من مخاطبات المترجم للوزير محمد العربي الجامعي المذكور ، تقع في جزء صغير ضمن مجموع ، خ ، ع ك 2276 ، ص 361 — 393 وقد اقتبست من رسالتين منها ما ذكرته في هذا الصدد ، وفي «الاعلام» المراكشي تحدث — لدى ترجمة اكنسوس — عن هذه المجموعة ج 6 ص 28 وقال : ورسائل المترجم التي خاطب بها الوزير الجامعي : جمعها الوزير الجامعي ، وهي في نحو خمس كرايس ، ابلغ من تاريخه .

41 لم يذكر اسم ادراك الذي هو لقب لعائلة تعدد فيها العلماء والاطباء ، وقد جاء في ترجمة عبد الوهاب بن احمد ادراك المتوفى في عام 1159 هـ : ان له معرفة باللغة « نشر المثاني » ج 2 ص 251 ، فهل هو هذا ؟ وقد كان طرق سمعي من زمان ان نسخة من القاموس بخط ادراك صارت الى مكتبة العلامة الفاضل القاضي محمد الصديق الفاسي الفهري بسطات ، فلملها هي هذه .

« .. اما بعد : فليعلم الواقف عليه .. ان الله — جل وعلا ، بفضلله واحسانه ، وعونه وامتنانه — قد اكمل مقابلة هذا الكتاب المبارك ، والمبالغة في تصحيحه ، وتخليصه من آثار الغلط ، وتنقيحه في مواده واعرابه ، وتبيين ما يحتاج الى التبيين من عويصه واغرابه ، وتحري ما هو الصواب عند اختلاف الاصول وتعارضها ، ومراجعة مواده أو مواد غيره ان امكن بذلك كشف غوامضها ، والا اثبتنا من النسخ في الهامشي ما يحتمله المقام ، ولا تعتربه العلل المنافية ولا الاسقام وذلك بعد اعداد المقدور عليه من النسخ العديدة: «50» القديمة المعتمدة والجديدة ، مما ذكر بالصحة واشتهر ، وظهر عليه من قرائن ذلك ما ظهر ، مع اجتناب القلق الموجب للملل ، واعتماد الثاني البالغ في استقراء استصلاح الخلل ، عاكفين في الدياجير والهواجير ، ذائذين لحوائج الكرى عن ورود المحاجر ، حتى تخلص — بحمد الله — خلوص الابريز ، وتهيات قابليته للترصيع والتطريز ، وصار واجبا على كل معتن أن يجعله قدوته وامامه ، وحقا على كل محصل ان لا يلقي الا اليه زمامه ، فمن كان ناقذا بصيرا ، وللاحق وليا ونصيرا ، ورأى غير هذه النسخة ثم رأى هذه واختبرها لغى كل ما سواها واعتبرها ، ولو حلف باكيد الايمان ، انه لا مثل لها في هذا الزمان ، لكان — ان شاء الله بارا في قسمه ، مجريا للصدق على مرتسمه ..

ولا تزال نسخة مما كتبه من القاموس محفوظة
بالمكتبة الملكية في مجلد واحد مستطيل يحمل رقم 2508
وخطها مغربي مجوهر مدموج حسن ملون مجدول ،
مهمش كثيرا في الخطبة ، وقليلًا فيما سواها ، تلوح
على كتابتها سيما الوراقة المراكشية ، مع عناية
بترقيم صفحات الكتاب ، البالغة 625 ص ، فرغ من
انتساخها - لنفسه - أوائل جمادى الأولى عام 1279هـ

رابعاً - اهتمامات أخرى بالقاموس

24 - أحمد بن محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي
المتوفى عام 1176 هـ (62/1762 م ، له : « اغفاء العين
والاثر من السقم والضرر » ، وهو تقييد مشتمل على
ما في القاموس المحيط من أدواء وأدوية ، وكلمات طبية ،
اقترح عليه جمعه بعض الاخوان ، حين شرع في نسخ
هذا الكتاب ، فاستخرجه في 15 ورقة من الحجم
المتوسط ، وفرغ منه في 12 رمضان عام 1155 هـ بقصر
تاويريرت ، وقفت على نسخة منه خطية عند قاضي
الاحكام بسلا ، العلامة المعنني ، محمد المامون
البدراوي الحسني ، في صيف عام 1385 هـ / 1965م
صحبة المؤرخ الجليل ابي خليل عبد السلام ابن سودة
الري .

ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمراوي
الفاسي ، المتوفى عام 1296 هـ (63/1879 م ، كتب
تنويعا حارا بالطبعة الاولى للقاموس الواقعة بمطبعة
بولاق ببصر عام 1272 هـ ، وسجل بهذا الصدى الذي
حدث بالمغرب لنشر هذا الكتاب ، وهو يقول في هذا
في صدد محاسن المطبعة (64) :

« ... وهذه نسخة القاموس المطبوعة - عام
اثنين وسبعين - ببصر ، يباهى بوجودها هذا العصر ،
لا تجد في النسخ القديمة مثلها ولا ما يقرب منها ، فقد

هذه سلسلة اصول نسخة القاموس المغربية ،
التي خطها - بيده - احمد ابن ابراهيم الدكالي الفاسي
بسجلماصة ، حيث وقف - ايضا - على نسخة
الحائكي ، وقد بالغ في الاعتناء بها : بتجويد كتابتها
بخطه المغربي الجواهر المليح ، على غرار نسخا
الخطاطين من أهل بيته ، مع جدولة وتلوين وتزويق ،
ثم حلى هوامشها بالفروق بين النسخ ، وبشروح
ينقلها عن مصادر مختلفة ، وهي - بمجلديها الاثنين -
معدودة من ذخائر المكتبة الملكية تحت رقم 8148 .

22 - محمد بن ادريس بن محمد العمراوي
الفاسي الشهير بابن الحاج ، المتوفى عام 1264 هـ
1847 م (59) ، يوجد بخطه نسخة تامة من القاموس
في مجلدين ، كتبها من نسخة شرقية جيدة منقولة من
النسخة المشهورة المصححة ، الكائنة برواق الاروام
بالازهر الشريف ، « المكتبة الملكية رقم 7807 » ، وقد
ذكر اكنسوس (60) من بين منتسحات المترجم نسختين
من القاموس باعها بثمن مرتفع .

23 - محمد بن احمد البناني ، المراكشي النشأة
والدار ، الفاسي الاصل ، النفزي النجار ، هكذا
سمى نفسه آخر منتسخه الاتي ، والمؤرخ بعام 1279هـ
1862 م ، وقد أورد ذكره محمد العربي المشرقي في
نزهة الابصار (61) في هذه الفقرة :

« ومنهم الفقيه العلامة ، ابو عبد الله السيد
محمد بناني ، فصيح اللسان والقلم ، فاق اقرانه في
جودة الخط فهو فيه مفرد علم ، مارس كتب القاموس ،
فكانت نسخه التي كتبها بيده لا تعاقب في الصحة ،
اخرج منها بخط يده مجلدات كثيرة ، وقد اشرف على
حفظ مواده ، وكان يعرف اصطلاحه ، وله معرفة في
اللغة والنحو والتصريف ورجال الحديث ... » .

(59) ترجمته في سلوة الانفاس ج 2 ص 362 - 363 ، واتحاف اعلام الناس ج 4
ص 189 - 239 ، والاعلام بمن حل بمراكش وغيرها من الاعلام ، ج 5 ص
263 - 292 ، وفواصل الجمان ص 40 - 60 .

(60) الجيش العرمرم ط . ف - ج 2 ص 151 .

(61) اسمها الكامل : « نزهة الابصار ، لذوي المعرفة والاستبصار ، تنفي عن
التكاسل الوسن ، في مناقب احمد بن محمد وولده الحسن » ، خ ، ع ، ك
579 - ص 476 .

(62) ترجمته في سلوة الانفاس ج 3 ص 353 .

(63) ترجمته في اتحاف اعلام الناس ج 2 ص 32 - 41 ، مع فواصل الجمان ص 142 - 162 .

(64) في رحلته : تحفة الملك العزيز بمملكة باريز ط . المطبعة الحفيفية السلطانية بفاس ص 54 - 55 .

20 — محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي الفهري المتوفى عام 1214 هـ / 1799 م (51) ، قال عنه أبو الربيع الحوات (52) : « صاحب الملكة التي ليست لغيره من أشياخه فضلا عن دونهم ، في العلوم العربية : من نحو وتصريف ولغة ، مع الوقوف على غريبها ، وحفظ ما ندمن شواهدا ، ومزيد الضبط والاتقان » ، وحلاه محمد الطالب ابن الحاج (53) : بالاستاذ اللغوي الحجة .

ثالثا : وراقون معتمدون في نسخ القاموس .

والمعني بالامر هنا ثلاثة :

21 — أحمد بن أبي القاسم (بن محمد الخياط) ابراهيم الدكالي (المشتراي) (54) ، لم أقف على تاريخ وفاته ، وكان بقيد الحياة أواسط عام 1203 هـ / 1789 م .

كتب بخطه نسخة من القاموس المحيط في مجلدين وفرغ من انتساخها في منتصف شعبان عام 1203 هـ ، بسجلهاسة . وقد سلسل في ختام المجلدين اصول هذه النسخة : واحدا فواحدا حتى الاصل الذي عليه خط المؤلف . وهو يذكر انه كتب نسخته هذه من اصل بخط محمد الملقب بالقرشي بن عبد الملك بن الحاج السجلهاسي (55) ، الذي فرغ منه يوم الخميس مهل رجب الفرد ، عام 1193 هـ ، وهذا نقل من اصل بخط الفقيه الحسن بن احمد الحايكي البشاشي (56) ، ووقع الفراغ من كتابته ضحوة الخميس 8 قعدة عام 1137 هـ ، وفي ختام المجلد الاول جاء في اصل الحائكي : انه كتبه من اصلين : احدهما — وهو الاكثر اعتمادا — بخط الفقيه سيدي احمد بن حمدان التلمساني (57) .

والاخر بخط مشرقي ، وفي آخره ما نصه : كتبت هذه النسخة من نسخة موثوق بها ، مكتوب في آخرها : نقلت هذه النسخة من نسخة عليها خط مؤلفها ..

ثم في ختام المجلد الثاني من اصل الحائكي ايضا يذكر انه وقع في آخر الاصل الذي نسخ منه : انه نجز عشية السبت 17 قعدة عام 871 هـ بالاسكندرية ، على يد محمد بن عبد العزيز بن مسلم بن غازي (58) ، وذكر الناسخ في اصله ما يلي :

كتبت هذه النسخة من نسختين جليلتين احدهما مصرية ، مفروغا لبها على المصنف ، وبعد وفاة المصنف قوبلت جميعها على خطه مع مشايخ الديار المصرية ، والثانية يمنية ، مشمولة بخط مصنف الكتاب من اولها الى آخرها ، مقروءة عليه جميعها ، آخر كل مجلس خطه الكريم ، اسكنه الله دار النعيم ، وفي آخر النسخة اليمنية ما صورته : « كل — بحمد الله — تصحيح الكتاب ، بقراءة كاتبه على مؤلفه : اضعف خلق الله ، قراءة بينه متقنة في مدة قليلة ، دلت على سعادة مالكة : خليفة الله في خليقته ، ولله — سبحانه — الحمد على جزيل انعامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، وفي آخر الاصل المصري بخط المؤلف ما صورته : « بلغ العراض من اول الكتاب الى فصل الرء — وعليه البلاغ — بأصلى ، ومن اول باب الضاد الى باب النون تباعا ، وكتب مؤلفه محمد الفيروزابادي » .

ثم ذكر هذا الناسخ الاخير بيمنة اصله انه قابله ثلاث مرات ، ويعلق الحائكي على هذا ويقول : « وهو صادق رحمة الله عليه ، فلقد كنت اتطلب نسخة صحيحة منذ عشرين سنة أو ازيد ، فلم أعثر على ما يقرب من نسخة الاصل ، فلله در من اطفأ به غليلي ، وشفا عنتي وقطع عويلي ... »

(51) ترجمته ومراجعتها في سلوة الانفاس ج 2 ص 318 — 319 .

(52) ثمرة انسي في التعريف بنفسه المخطوطة السالفة الذكر .

(53) الازهار الطبية النشر . فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر ط . ف . عام 1317 — ص 61 .

(54) أجرى ذكره في « ثمرة انسي » محليا له بالفقيه الاديب الميقاتي بالحاضرة السلطانية والمنار القروي .

(55) وقع رفع نسبه آخر المجلد الثاني هكذا : محمد الملقب بالقرشي بن عبد الملك بن الحاج ابراهيم بن الطيب بن محمد بن السيد قاسم بن الامام الشهير ابراهيم بن هلال السجلهاسي ولم أقف على ترجمته .

(56) لم أقف على ترجمته .

(57) لم أقف على ترجمته .

(58) لم أقف على ترجمته .

أجمع أئمة اللغة انه بمنزلة صحيح البخاري بالنسبة الى باقي الصحاح ، دون غيره من باقي كتب اللغة الصحاح ، فلما رأيته أكثر من التنديد عليه ، وبالع في عزو الاوهام اليه ، انتصرت لابي نصر ، وعارضت اعتراضاته بالفتح والنصر ، وجعلت ارد ما يورده مشروحا في شرحي لمصنفات اللغة . واتعقبه في الدروس اكمل التعقيب وابلغه . وملأت من أوهامه الزائدة شرحي لكفاية المتحفظ ولنظم الفصيح . وابدت في غيرها ما تقر به عين اللغوي الفصيح ، فلما وقف على ذلك اشياخنا الاساتذة ، واصحابنا الجهابذة ، تاققت نفوسهم الى جمع ذلك في تعليق مستقل بايضاح ما هنالك ، فآخذوا يلحون على ، ويتوسلون في ذلك الي ، وانا اعتذر من الخوض في البحر ، واقول ما لبحر البحر الا البحر ، حتى غبت مرة عن الاوطان لقضاء بعض الاوطار ، وابتقيت قلوب الاحباب ما منها الا ما كاد يطير أو طار ، فورد علي في جملة كتب منهم ، كتاب من صاحبنا الاديب البارع المحصل الصوفي ، السيد الشريف ابي محمد عبد المجيد الصوفي (68) ادام الله رعايته ، وجعل في الخيرات سعائته ، يتضمن السؤال عن مسائل كثيرة ، تغفل عن ادراكها العقول الاثيرة ، من جملتها استنجاز وعد شرح غوامض القاموس ، والكشف عما تضمنه اصطلاحه من القاموس ، قال في صدره ، بعد حمد الله وشكره :

سيدنا الذي ما زال يبذل جهده في الامادة ، وفتح الزاد والرفادة ، فهو لنا بحر من الفوائد والعوائد لا نخشى نفاذه ، وسيدنا العريق في السيادة ، العريق في بحر الكرم والمجادة ، المعروف بالاحكام والاجادة ، وشمسنا الذي استوى الاطناب في وصفها والايجاز لشهرتها في المشارق والمغرب والحجاز ، العلامة النحرير ، المغني بالتحقيق والتحرير ، وايضاح المشكلات وتقريرها باحسن تقرير ، الغيث الهامع الصبيب والروض اليناع الطيب ، شيخنا الامام أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب ، طيب الله حياته ، واشرق على الافاق آيته . سلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته ، ورضوانه وتحياته ، والآؤه وكراماته ، من ذي ود عذب مشربه وصفا ، وقرب منكم وما جفا ، وأحب توددكم واصطفى ، وعهد رست أطواده

ورسخت أوتاده ، وحب أوثق من الجبال ، وأرشق للفؤاد من النبال ، سائلا عن أحوالكم المرضية ، واشغالهم النغلية والفرضية ، جعل الله ذلك على سنن رضاه ، وسنن نبيه ومرتضاه ، صلى الله عليه وعلى آله وعلى كل من ارضاه ، حامدا لكم مولاكم على ما اولاكم ، من آلائه التي أعظمها نشر العلم وبثه ، وركض جواد الفطنة وحته ، سائلا منه تعالسى أن يمدكم بالقُدوة والعون والتوفيق ، وأن يلهمكم تحقيق الصواب وصواب التحقيق ، ثم بعد كلام أورد فيه اسئلة في فنون مختلفة قال :

فاذا حقق لنا سيدنا — بارك الله فيه — تلك المسائل ، وأوضح لنا فيها الحق من الباطل ، فلينجز لنا وعده الصادق دون اهمال ، ويهمل علينا من هامل سحائب فضله ورعده الصادق أي اهمال ، بان يؤلف لنا الكتاب الذي كنا سألناه منه نحن وجميع من شملته هذه الحضرة الفاسية من أعيان الافاضل السراة ذوي العدد ، في اصطلاحات القاموس التي لم يحض (69) بها في خطبته ، ويبين لنا سيدنا ما استقرى من عاداته وينبها عن المواضع المنتقدة فيه ، وهل اعتراضاته على الجوهري صحيحة أم لا ، وعلى م يتكل هو والجوهري في ضبط وسط الكلمة اذا كان محتاجا للتنبيه على نقطة حيث يفقد شبيهه ، فلا يدري المفقود هل هو من المعجم أو من المهمل ، نحو غذم وغذوم قبلهما غثم وبعدهما غرم ، وقد اعجم النساخ ذالهما بالقلم في جميع الفاظ المادة ، فان كان ذلك في الواقع كذلك ، فحقه أن يقول غذم بالمعجمة ليعلم أن غدم — بالمهمله — مهمله في كلام العرب أو لم يحفظها هو ، وحيث سكت عنها فالاصل عندي أن تكون مهمله ، لأنها وقعت في محلها فلا تحتاج للتنبيه ، وتكون حينئذ غدرم محتملة للامرين ، لأنها رباعية فلا بد فيها ايضا من التنبيه ، اما لو تعين اعجام غذم فلا اشكال في اعجام غذرم من غير تنبيه ، وقد كنت اقف كثيرا على نحو ذلك في القاموس ، ولم تحضرني الآن نسخة منه فأمثل منه ، وعند الجوهري عظم بين عشم وعلم ، فلم ندر هل ظاؤه مهمله أم معجمة ، وهي عندي مهمله وفي النسخ معجمة ، وكذلك عنده بعدفلم فلزم ، قال فيها ابن السكيت الفيلزم البير الغزيرة الماء وذكر الشاهد ، وفي الكفاية : وماء فليزم اذا كان كثيرا

68 هو الشيخ عبد المجيد الزبادي سادس اللغويين في هذه الدراسة ، والصوفي لقب لاسرته ، حسبما بينه في رحلته التي تحتفظ الخزانة العامة بمخطوطتين

منها : أجودها رقم ك 398 ، ثم د 1808 .

69 هكذا في النسخ التي رجعت اليها .

كانت عدت عليها أيدي الناسخين حتى عجزت عن تداركها عقول الراسخين ، وكادت تنبذ لأجل التحريف ، وتطرح لأجل التصحيف (65) ، مع شرف موقعه من الدين ، واعتناء المتأخرين به والمتقدمين ، حتى قبض الله له بعض علماء مصر فصرفوا إليه وجه اعتنائهم ، بهمة دولتهم ورؤسائهم . فجاءت هذه النسخة في غاية الانتان ، وبرزت في ميدان الجودة والاحسان ، واتسمت حسنيتها في غرة الدهر ، وفاز الساعون فيها بعظيم الاجر وجميل الذكر ، ومن عجب سعادتها أنها تباع بنصف ثمن النسخ المحرفة .

26 — ابو الحسن علال بن عبد الله الفاسي الفهري ، المتوفى عام 1314 هـ / 1896 م ، له تجريد المفردات الطبية الواردة في القاموس مع شرحها (66) .

27 — محمد بن . محمد بن ابراهيم العلمي الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1373 هـ / 1954 م ، الف : جوهرة وماسة ، في شعراء القاموس والحماسة في مجلد (67) .

خامسا — خطبة حاثية القاموس لـ محمد بن الطيب الشركي

سبحان من القاموس المحيط رشحه من آثار آياته ، والقابوس الوسيط لمحة من انوار آياته ، فله الحمد على ما قلدنا من عقد صحاح جوهري آلايه ، وأولانا من لباب محكم ولائه ، انطقنا — جلت حكمته ، وبهناطقنا جالت نعمته — بالنعم السوابغ ، واذاقنا حلاوة بارع لسان العرب ، ما دونه الفائق المذهب من قطر الندى وارثشاف الضرب ، وقرب لنا جهمرة خلاصة التنقيح والتهذيب غاية التقريب ، واثاحنا من صراح المجد اللغوي ما نهاية الفصيح المختار المنتخب أن يستضيء بنور مصباحه المزهرف فيه الكفاية عن كل مصنف غريب ، والصلاة والسلام الاثمان الاكملان على من أقام أساس مجد الدين أبي الطاهر محمد بن الطيب أبي الطيب الطاهر ابن الاطاييب الاطاهر ، المعرب عن

كل مغرب معجز من الاي الظواهر ، وناهيك بالقرآن العربي المبين الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد باطن ظاهر ، فلذلك لو اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثله لا ياتون بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض اقوى ظهير ظاهر، وعلى آله الذين هم طراز الديوان وعين المجمع ، وأصحابه الذين أعيا عباب بحر فضلهم المجل فضلًا عن المفصل عارضة الاحوذى اليلمع ، ما قام امام له الهام باطلاع المنطق في عكاظ البلاغة فمكظ بسر صناعة كل معاكظ ، واقام همام له اهتمام بنواذر اجناس اليوافيت اللغوية ذا مجاز حقيقة الحقيقة والمجاز فلم يكله عن تلك المقامات واكظ ، لانه المومن على اتقانها الجامع لمنظم قلائد عقيانها اللازم لاشادة نهايتها الواكظ.

اما بعد فان أولى ما يعتنى به المعنى بالعلوم المهمة ، وأغنى ما يفتنى به الفنى بالتحصيل في علو الهمة ، الفوص في قاموس اللغات ، والحرص على اقتباس قابوس الكلم النابغات . والتضلع بالوحشي الغريب ، والتمتع بالبعيد والقريب . فبذاك يحوز العلوم بأسرها ، ويجوز في المشكلات الى فكك أسرها . وتعنوا له المعاني ، غنية عن معافات المعانسي . ويحبى في كل العلوم منحة التسهيل والتيسير . ويحبى اليه ثمرات خصوصي الحديث والتفسير . وقد كنت ممن نبغ في هذه العلوم الشريفة ، ونبغ بعيونها الغائضة . وتفتيا ظلالها الوريقة ، وغاص قاموس بحرهما . وساغ قابوس نحرهما ، وتعرف الوحشي منها والمتداول . وتصرف في المختصر من دواوينها والمتناول ، ولم يزل معاني معانيها دهرًا ، حتى قالوا تحبها قلت بهرا . وفي أثناء القراءة والاقراء ، والاستقصاء للمصنفات والاستقراء ، رأيت المجد السيرازي يكثر في قاموسه من الاعتراضات على الصحاح ، ويجعل اهم اعراضه واتم اغراضه الالحاف في ذلك والالحاح ، ويتابع في الرد ، ويأتي بالسديد الذي لا يحمله سد ، ورأيت بعض المدعين يقلدونه في كلامه ، ويعتقدون — لقصورهم — تصويب اعتراضاته عليه وملامه ، مع أن كتاب الصحاح

(65) هذا باعتبار غالب النسخ المغربية .

(66) محمد الفاسي تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الاقصى ، مجلة دعوة الحق ، السنة الثالثة ، العدد العاشر — ص 40 ، وانظر عن ترجمته سلوة الانفاس ج 2 ص 302 .

(67) هذا كان — رحمه الله — يذكره في مجالسه ، وانظر عن ترجمته سل النصال ، للنضال بالاشياخ واهل الكمال للمؤرخ ابي خليل عبد السلام ابن سودة المري ، مخطوطة المؤلف .

ملوك الدولة العلوية

في حرمه كتاب الله الأكر

بسلام محمد محيي الدين المشرفي
مدير المركز الوطني للتعريب

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ،
تتنزل عليهم الملائكة ، الا تخافوا ، ولا
تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون » . (قرآن كريم)

الفضل ، ان تشير الى ما يتوفر عليه من
المساجد والكتاتيب الموجودة في كل جهة من
جهات هذا البلد الامين ، لا فرق بين السهول والجبال
والقرى والحوضر ، وهي مساجد وكتاتيب سبقت
اسم الله يتلى فيها الى يوم الدين ، ويقرأ فيها كتابه
لمن اراد ان يتفقه في امور دينه من الصغار والكبار
بغية الاستنارة بتعاليمه القيمة في الحياة ،
واستعدادا ليوم النشر ، وما ادراك ما يوم النشر !
ومما يؤيد عناية الملوك العلويين بالقرآن ان السياح
والوافدين على بلادنا من الخارج للاطلاع على مظاهر
الحضارة المغربية تأخذهم الدهشة لما يشاهدونه من
تمسك اهل هذا البلد الامين بامور الدين ، ومحافظتهم
على تعاليم القرآن الكريم ، وهم يستدلون على ذلك
في اخبارهم ورواياتهم بما يشاهدونه في كل مكان من
زوايا وكتاتيب ومساجد يعمرها فقهاء ومؤدبون ،
اخذوا على انفسهم تدريس مبادئ العلوم وتحفيظ
كتاب الله العزيز بما يشعرون به من رغبة باطنية
طاهرة وما يجدونه في انفسهم من استعداد فطري
للقيام بعمل يرتقبون من ورائه ثوابا من الله وجزاء ممن
بيدهم زمام هذه الدولة .

جرت العادة منذ ان اشرفت شمس هذه الدولة
العلوية الشريفة على ارجاء المغرب الاقصى ان يوجه
ملوكها الميامين بالغ اهتمامهم للعلم والعلماء ، والفقهاء
والدارسين ممن انعم الله عليهم باكتناز كتاب الله في
صدورهم وتحفيظه للناشئين . وليس في ذلك ما يدعو
الى الاستغراب ؛ فالتاريخ يعلمنا انهم ما فتئوا يعملون
على نشر السنة والدين ، معتمدين في ذلك على الكتاب
والحديث ، مقدمين يد المساعدة الى كل من سخره
الخالق سبحانه لاقرأ كتابه المبين ، وذلك بتقديم المال
والعطاء للمعلمين خاصة ، علما منهم - قدس الله ارواحهم
واسكنهم الجنة التي وعد بها عباده المتقين - ان هذه
الامة لا تزال بخير ما بقي فيها كتاب الله محفوظا في
الصدور واليه يلجأ في السراء والضراء .

* * *

والواقع ان المغرب الاقصى بقي ، والحمد لله ،
بعناية الله محفوظا منذ ان وصلت اليه الدعوة الاسلامية
وخصوصا بعد ما وضع الله امر هذه الامة بين يدي ملوك
الدولة العلوية ، ويكفي للاستدلال على هذا

متسعا ، وهو في نسختي بالراء ، والزاي ساقط من الصحاح رأسا ، وانما فيه الذال وهي عندي راء مهملة وفي النسخ معجبة ، وذكر بعده القلهدم : البحر الكثير الماء ، والقلهدم أيضا الخفيف ، ولم يذكر اعجام الذال ولا افعالها ، والتنبيه متعين هنا وهي في النسخ معجبة فما السر في ذلك ؟ وكذلك ما اشبهه من التاء والتاء والجيم والحاء والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف ، وعلى فرض الاعجام هو الاصل فلينبه على الاهمال ، واما السكوت على كل منهما فهو ملبس وليس بصواب عندي ، واليك النظر في ذلك ، لانك العلم المفرد في ذلك ، وهل ما يفصله صاحب القاموس من تقديم المادة الرباعية والخماسية على الثلاثية تارة وتأخيرها عنها اخرى له نكتة ام لا ؟ بينوا لنا ذلك بيانا شافيا ولكم الاجر الجزيل والثواب ، والحاصل انا وجميع اهل العلم في غاية الحاجة الى هذا التاليف ، وقد رجونا ان تاتي فيه بما لا مزيد عليه في الاتقان والحسن وكثرة الفوائد ، وما يناسب هذا المعنى من عادة الجوهري وغيره من كتب اللغة المشاهير . ولا تكلفك بما فيه عليك مشقة ويحتاج الى طول زمان ، وانما نريد منكم ما حضر وسهل مما نعتاده من خزائن صدوركم من الفرائس والذخائر ، المزينة باللالى والجواهر ، وانت خبير بان هذه المسألة اكيدة ، وانها مفترقة لعلومك الوافرة المديدة ، وانك ان لم تتولها فلا ابا حسن لها ، فبين صوابها واغتنم ثوابها ، والله تعالى يبتليك بمنفعة للعباد ، ومرشدا للحاضرة والباد ، وسندا يقع عليه الاعتماد .

ثم طلب الاجازة ، واستحث انجازه ، فلم يمكني اهمال مسألة الكتاب دون بقية المسائل ، لانه ترجيح مرجح وتنقضي لعزم المسائل ، ولا سيما وقد تعددت الوسائل في ذلك والوسائل ، فاستخرت الله وجددت النظر . فيما فيه بحث المجد ونظر ، ووقفت اثناء مطالعتي على اغلاط له واضحة ، واوهم ارتكبا مخالفا للجماء الغفير فاضحة ، وتقصيرات اوجبها ادعاء الاحاطة ، فجمعت ذلك ابداع جمع ، واودعته من التحقيقات ما تقر بتقريره العين ويصفى الى صوغه السمع .

نباحت لوفوق النحور تجسدت

لازرت بدر في عقود وعقيدان

جدير لها طيب الثناء لو انها
قديمة عهد او غريبة اوطان

وقد انقل ما اودعته تلك الشروح وغيرها الى
هذا التعليق ، لانه كالشرح فهو بغيره لا يليق .

فالورد في زمن الربيع طلوعه
والعقد ليس يزين غير الجيد

فان جمعه في مواضعه اسرى واستر ، وضم ضمائره في مراجعه اقرب لمراجعتة واسرى وايسر ، فان وفى بغرض السائل ، واكتفى بما حواه من مقاصد المسائل ووسائل الوسائل ، فذلك منة من كامل الحول والمنة ، والا فلست مستطرا في البيع البراءة من العيب ، اذ النزاهة المطلقة وصف عالم الشهادة والغيب ، على اني ما املت سطرا منه الا في شطر من الارض ، ولا عاينت معنى الا وانا ابن ارض او فوق ذات ارض .

يوما بفاس وفي مكناسة زمنا
وتارة في زوايا النعم والخال

وبرهة سفري صفرو وآونة
تازي وطورا ارى افلي الفلا الخالي

مع مفارقة الاصول ، المرجوع اليها في هذه الابواب والفصول ، الا ما علق بالبال ، او علق في طرس بال ، وقرائح بقروح الاحوال قرائح ، وجرائح بجروح الاحوال جرائح ، وافكار جوابد ، واسرار خوايد ، وقلب متقلب ، وفؤاد مفود متألب والدهر هد الظهر بالحدثان والاشجان ، وبريبه وصروفه قد طال ما اشجان ، وقت وما وقت ، احواله كلها مقت ، اندثر فيه من العلم علمه ، وانتثر في اديم الحلم حلمه ، وانقضى حد العرفان ورسبه ، ولم يبق فيه من العلم الا اسمه ، وكل واحد من هذه العوارض كاف في بسط العذر لمن حلى بالانصاف خلاله ، او خال وما اخاله . يخال خلا خلاله ، على اني اسأل الله تعالى ان يفيض محاسنه ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم ، وينفع به كل اريم ، بمحمد وآله .

الرباط : محمد المنوني

3 - بغية ذوي البصائر والابواب والدرر
المنتخبة من تأليف الخطاب .
4 - الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج
من ستة مسانيد .

5 - الفتوحات الالهية الصغرى وتشتمل
على ثلاثمائة حديث .

6 - الفتوحات الالهية الكبرى وهي اشهر
مؤلفاته . ونظرا لما « للفتوحات » من الاهمية فقد
اعتنى بها العلماء والطلاب على السواء في حياة مؤلفها
واستفادوا منها في الشرق والغرب ، ومن تصدى
لشرحها الشيخ التاودي بن سودة والشيخ محمد بن
ابي القاسم من علماء المغرب الاقصى .

ولم يكتف سيدي محمد بن عبد الله بالتأليف
وتوجيه المؤلفين بواسطة النصح والعطاء بل كان
يظهر عناية خاصة بمرافق الدولة التي تستمد بالطبع
قوتها ونشاطها من الكتاب والسنة ، ذلك انه اول من
وضع تنظيما للعدلية واصلاح الدروس في جامع
القرويين موضحا ما يتعين تدريسه من العلوم فيه وما
لا يجوز تدريسه ، وأشار في رسالة بعث بها في هذا
الموضوع الى الشيخ التاودي بفاس تحتوي على بنود
ثلاثة : البند الاول يتعلق بالقضاء ، والثاني بأئمة
المساجد ، والثالث بالمدرسين بمدينة فاس ، يقول
في ذلك : « وبعد فاننا امرنا ان لا يدرس العلماء الا
كتاب الله تعالى بتفسيره ، ومن كتب الحديث المساند
والكتب المستخرجة منها ، والبخاري ومسلما وغيرهما
من الكتب الصحاح ، ومن كتب الفقه المدونة والبيان
والتحصيل ومقدمة ابن رشد والجواهر لابن شاس
والنواذر والرسالة لابن ابي زيد القيرواني ، وغير ذلك
من كتب الاقدمين ... ومن الادب ما يعين على فهم
كلام العرب لانه وسيلة الى فهم كتاب الله وحديث
رسوله .

ومن الكتب التي اعتمدناها في هذا البحث الخاص
بخدمة القراء الكريم على عهد الدولة العلوية المظفرة
كتاب « مواهب المنان » الذي سبقت الاشارة اليه ،
وهو كتاب مخطوط ، متوسط الحجم كبير الفائدة
اسماه الامام الحافظ سيدي محمد بن عبد الله :
« مواهب المنان لما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان »
وهو يشتمل على نصائح قيمينة بالاعتبار لكل من
تصدي لتلقين صغار المتعلمين القراء الكريم ، وتنوير
عقولهم بمبادئ القراءة والكتابة والدين ، يشتمل هذا
الكتاب على 91 صفحة من القطع المتوسط بما في ذلك
مقدمة لطيفة احتوت على 25 صفحة فيها من صالح

الاعلام ، لهم القدم الراسخة في العلم ، واليد الطولى
في الاتقان ، والفوا تأليف حسنة ومنهم من فسر كتاب
الله عز وجل ، ووضع عليه تقييدا فائقا ، ومنهم من
شرح الموطا للامام مالك او الشفاء للقاضي عياض ،
او مختصر خليل او الفية ابن مالك ، ووضع على ابن
هشام حاشية ، ومنهم من شرح السلم او السبكي او
عقيدة السنوسي ، وما من علم الا الف فيه علماء هذه
الدولة وابدأوا فيه واعادوا ووقعوا على القوامض التي
لم يعثر عليها من مضى .

ويستطرد اليفرنى في الحديث عن انتشار العلم
وخاصة علوم القراءان بالمغرب في ايام مولاي اسماعيل
فيقول : « وقد تلقيت من غير واحد ان القبيلة كانت
قبل هذه المدة لا يوجد فيها الا طالب واحد ، وربما
يحتاج احد من اهل مدشر او دوار لمن يقرأ له رسالة ،
فلا يوجد من يحسنها حتى يرحل المسافات البعيدة
لطالب يذكر له . اما الان فكل مدشر ودوار بل كل
خيمة فيها طالب » . يستخلص مما تقدم دليل قاطع
على اهتمام مولاي اسماعيل اهتماما زائدا بالعلوم
والقراءان ، وتقديم يد المساعدة لمن كان يهتم به حفظا
وتعليقا ونشرا داخل الكتابات القرائية والمدارس
العلمية المنتشرة هنا وهناك في جميع اقاليم المملكة .

اما سيدي محمد بن عبد الله فتعتبر حياته
بحق صفحة مذهب من تاريخنا المجيد لما كان عليه
من سعة في العلم وشغف بنشره وحرص على اكرام
اهله وذويه من العلماء والمدرسين . كان سيدي
محمد بن عبد الله اماما من علماء الاسلام انصرفت
عنايته قبل الملك الى مدارس العلماء والمحدثين
بمراكش ، فيجلس معهم ويناقشهم في كثير من
المسائل العلمية بروح ناقبة نافذة ، ومن اياديه البيضاء
حضره العلماء على نشر العلم وبثه بالتدريس والتأليف
وحملهم على شرح امهات الكتب المتعلقة بعلوم القرآن ،
ورغم ما كان يقوم به من اعباء الملك فلم يقف - طيب
الله نراه - عند المطالبة بتصنيف المصنفات بل الف
بنفسه كتباً كانت تقرأ في المشرق والمغرب نجممل
ذكرها فيما يلي :

1 - مذاهب المنان بما يتأكد على المعلمين
تعليمه للصبيان ، وهو كتاب قيم يتصل اتصالا وثيقا
بالبحث الذي نحن بصددده ، ولذا سنتناوله بعد هذا
بشيء من التفصيل والتعليق .

2 - طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مساند
الائمة وكتب مشاهير المالكية والامام الخطاب .

وقد ظل تبعا لذلك كتاب الله محفوظا بهذه الديار في صدور الرجال والنساء في بعض الاحيان ، بحيث اصبح المغرب الأقصى في هذا القرن احد البلدان الاسلامية القليلة التي لا يزال يحفظ فيها القرآن حفظا ويدرس تدريسا يصح الاطمئنان اليه ، ذلك ان الفقهاء في المغرب يعودون في كل حين الى الكتاب لتحفيظه للصبيان بل يعتمدون في ذلك على قوة حافظتهم التي مكنتهم من وعيه وحفظه سالما في صدورهم ، وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده الصالحين !

ان الاهتمام بالعلم والعلماء عموما والقرءان الكريم بصفة خاصة يعتبر سلوكا طبيعيا في ملوك الدولة العلوية منذ ان استتب امرها باذن الله في هذه البلاد . ومن الممكن ان نبرهن على ذلك بما عرفناه من مواقف بطولية في هذا الميدان اختص بها ملوك ثلاثة من فحول الدولة العلوية الشريفة ، نذكر في مقدمتهم مولاي اسماعيل ، وما كان يقدمه من خدمات جلى لحفاظ القرءان الكريم ، والعاملين على التعريف به ونشره ، كما نشير في هذا المقام الى الملك العالم سيدي محمد ابن عبد الله الذي يستحق كل تنويه نظرا للمآثر التي خلدها ذكره في ميدان التأليف وتدريس علوم القرءان ، فضلا عن المعونة المادية التي كان يوجهها للمؤدبين ومعلمي كتاب الله وما يقدمه لهم من نصائح وارشادات لا تصدر الا عن نفس متمسكة بتعاليم كتاب الله وما لها من الام ودراية واسعة باساليب التعليم على العموم وكيفية تدريس مادة القرءان الكريم على الخصوص .

يضاف الى ما تقدم للدلالة على خدمة الملوك العلويين لكتاب الله الاكبر ، تلك العناية الفائقة التي يوليها جلالة الملك المعظم الحسن الثاني لحفاظ كتاب الله وعلماء الدين بما اقامه هذه السنة من حفلات بلغت اقصى مظاهر الروعة بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

* * *

اما مولاي اسماعيل فيحدثنا التاريخ بانه كان شغوف بالعلم والعلماء ، ينفق عليهم بغير حساب ، ويبدل العطاء للمحصلين من طلبة العلم بعد الاختبار والامتحان طبعا ؛ يؤكد ذلك ما جاء في شهادة احد الرحالة الانكليز ، « ستورث » ، وهو يتحدث عن مشاهدته لمدينة مكناس اذ يقول : « توجد بهذه المدينة

مدارس عديدة يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة والحساب ، ويحفظون القرءان عن ظهر قلب ؛ فاذا ما حفظوه اشترى لهم آباؤهم افراسا هدية ، ويتناولون المصحف بأيديهم ، ويركبون الافراس بتفسحون عليها ، وتأتي اليهم اجواق الطرب ، وسائر صبيان المكتب تذهب للتفسيح مع المحتفل به ، حافظ القرءان ، وبعد ذلك فمن اراد منهم قراءة الفقه يتوجه للمساجد » .

ومن المظاهر التي تدل على تقدير مولاي اسماعيل للعلماء والاعلاء من شأنهم استدعاؤه لحملة العلم وائمة الامة من العلماء الامجاد الى قصره العمار ، بمناسبة ختم احدهم تفسير القرءان الكريم ، كذلك استدعى قدس الله روحه في جمادى الاولى من سنة 1100 ه طائفة من علماء فاس لقصره العمار لحضور ختم الامام عبد الله المجاصي تفسير القرءان الكريم ، وكان الختم ببيته الخاص بالقصر الملكي العمار ، وبه نصب المنبر للفقهاء المذكور . وبعد الفراغ من درس الختم افيض على الضيوف الكرام ، قادة الامة وائمة الاعلام ما لذ وراق من فاخر الاطعمة ، وكان اكرم الله مثواه هو المتولي لنفسه صب الماء على ضيوفه العظام ، كما تولى تفريق الجوائز بيده الكريمة على مستحقيها تبركا بالعلم والعلماء ، وخدمة لكتاب الله الاكبر .

هذا ويخبرنا التاريخ انه كان يستقدم من مختلف اقاليم المملكة الخطاطين الذين يتقنون نسخ الكتب العلمية القيمة وفي مقدمتها تلك تهتم بدراسة علوم الدين ، ويجري عليهم الجرايات الضافية ، ثم يخصهم برواق من قصره العمار للقيام بأعمالهم الفنية ، ولا يفتر عن تفقدهم في الصباح والمساء للاطلاع على ما ينجزونه من اعمال علمية فنية ، ثم لا يلبث ان يبذل لهم العطايا ويمنحهم الاراضي والمنازل الانيقة جزاء لهم بما قدمت ايديهم .

ويؤكد بالاضافة الى ما تقدم ازدهار العلم في ايام مولاي اسماعيل ما جاء في « الظل الوريث » لصاحبه عبد الله اليفرني اذ يقول بالحرف : « حدثنا غير واحد ممن طعن في السن من اشياخنا ، قال : كنا في زمن الشبيبة نطلب العلم ونسأل عن مسائله ، خصوصا علم المنطق ، فلا نجد من يتقن مسائله على صورتها ، ولا تلقى من تضيع به ، بل كانت الارجوزة المسماة بالسلم لا يعرفها غير رجل او رجلين ، فلما مهد الله لهذه الدولة الاكتاف واسمى قدرها واناها ، تدفقت على الناس العلوم ، وذلت صعاب الفنون حتى عاد صفار الطلبة يعرفون فنونا عديدة ولهم فيها عارضة مديدة ، وقد تخرج في هذه الدولة السعيدة جماعة من

ولم تنقطع هذه السنة الحميدة يوما بالنسبة لملوك الدولة العلوية السابقين منهم واللاحقين خدمة منهم للقرءان الكريم وعملا على نشره في ربوع المملكة كلها من اقصاها الى اقصاها ؛ وليس من الغريب ان يظل ذلك ديدنهم حتى يومنا هذا، فلا أقل من ان نستدل على نشاط الحركة الفكرية والدينية اليوم في البلاد بما سنه جلالة الملك المعظم الحسن الثاني منذ ان وضع المله أمر هذه الامة بين يديه - وهو بدون منازع من اعظم ملوك العلويين قدرا واقومهم سيرة واطيبهم ذكرى - من قرارات تهدف في مبنائها وفحواها الى العناية عناية خاصة بشؤون الدين والاهتمام بكتاب الله الاكبر ، من ذلك انه خصص - حفظه الله - جانبا من مكتبته الراحلة للمصاحف القراءانية وما يتعلق بها من التفسير كما تظهر عنايته الكريمة بكتاب الله في بذل العطاء والنصح لكل من يهتم بحفظ القرءان واقرائه ونشره ؛ ثم ينتهزها فرصة طيبة عند حلول شهر رمضان المعظم من كل عام فيقيم داخل قصره العامر - جريا على سنة اسلافه المنعمين - حفلات دينية ليلية يقرأ فيها القرءان وتلقى فيها دروس قيمة يستمد القائمون بها عناصر شروحيهم من آيات الله البينات . ولعمري انها حفلات تنشرح لها قلوب المؤمنين ، وهي تضيء كذلك على ضريح مولاي الحسن الذي تنظم فيه بريفا من الطهر والجلال ؛ وتلك سنة طيبة لا يمكن مشاهدة اثرها المحمود الا في هذه الديار التي ظل كتاب الله فيها محفوظا في صدور الرجال .

هذا ولا يفوت سيدنا المنصور بالله ان يدعوا لحضور هذه الليالي الطاهرة ثلة من علماء المغرب الافاضل ، وجماعة من ائمة المشرق الامثال للمشاركة في القاء تلك الدروس ؛ فينتهزونها فرصة طيبة لتقديم النصح والارشاد للجناب الشريف والامة الاسلامية قاطبة مع الدعاء الصالح لكافة ملوك العرب والمسلمين ورؤسائهم ، وهي دعوات خالصة منبثقة عن نفوس مومنة كأقوى ما يكون الايمان ، لذلك فهي لا تزيد المؤمنين الا تمسكا بهذا الدين الحنيف الذي فضله سبحانه وتعالى على سائر الاديان التي سبقته وجعل الامة الاسلامية بفضل خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ثم لا يقتصر جلالة الملك المعظم الحسن الثاني على حضور هذه الحفلات الدينية بانتظام ، بل يأخذ على نفسه بما اتاه الله من فطنة وعلم وحكمة - ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا - تنويع هذه الدروس بتوجيهات صالحة يطرحها امام الشخصيات

السور التي يحسن قراءتها في كل صلاة من الصلوات الخمس ، ففي ذلك يقول سيدي محمد بن عبد الله بعدما تحدث عن الفائدة المترتبة عن البدء بتحفيظ أم الكتاب : « ثم يتأكد عليه (اي المعلم) ان يبذل المجهود اولا في تعليم الصبي حزب سبج ويتعاهده معه تلاوة ودرسا حتى يحفظه ويصير على ظاهر قلبه لانه احتوى على صفار الفصل وبعض وسطه المقروء به مع أم القرآن في جل الصلوات ؛ ويؤكد ذلك ما اخرج الامام احمد من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب « سبج » اسم ربك الاعلى » وانه كان يداوم على قراءتها مع « هل اتاك » في الظهر والعصر ومن انه كان يواظب على قراءتها في الجمعة والعيدين ، وما قاله لمعاذ في موعظته الا يقرأ احداكم بسبج اسم ربك الاعلى ، والشمس و... اجاها والليل اذا يفسى ، والفجر ، ولما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى العشاء والمغرب بواليتين والزيتون ، وصلى بها وبانا انزلناه في صلاة الفداة ، وقد أم ابن عوف الناس بسورة « والعصر » و « اذا جاء نصر الله » ؛ وقد أمر صلى الله عليه وسلم بمراءة المودنين في الصلاة ولاشتمال الحزب المذكور على « اذا زلزلت » و « العاديات » ، وكل واحدة منها تعدل نصف القرءان ، وعلى « انا انزلناه » وهي تعدل ربع القرءان ، وعلى « الهاكم التكاثر » وقراءتها تعدل الف آية ، وعلى « قل يا ايها الكافرون » وهي تعدل ربع القرءان ، وعلى « قل هو الله احد » وهي تعدل ثلث القرءان ، الى غير ذلك مما لا يعد من فضائله ولا يحصى » ثم يختتم المؤلف هذا الفصل القيم بذكر فضائل حفظ الفاتحة وحزب « سبج اسم ربك » بقوله : « فالقنصر على ذلك ممن اضطر لمعاشه او لم تظهر نجابته قد حفظ اول القرءان وآخره ، لا يبعد في جانب كرم الله ان يمنحه اجر ما بينهما ؛ وان ظهرت نجابته ولم يعقه معاشه فليدأب على قراءته لعل الله يشرح صدره ويسهل عليه امر دينه وحفظه ، وبالله التوفيق » .

بعد هذه المقدمة الطويلة المفيدة في كيفية السير بالمتعلمين في تلقينهم السور الاولى من القرءان الكريم مع التنصيص على ضرورة تطبيق ما جاء فيها من احكام الدين ، ينتقل المؤلف الى تعداد هذه الاحكام مبينا للمعلمين طريقة تبليغها للصفار ، متوخيا في ذلك كله سبل الاختصار وطريق الوضوح ، مما يدلك على ما كان له من خبرة وراي مسموع فيما يرجع لتوجيه الطلاب وتعليمهم .

محمد بن عبد الله ، وان عدد المعلمين والاساتيد الذين اسندت اليهم مهمة اقراء كتاب الله للمتعلمين كان يربو بكثير على ما يمكن ان يتصوره الباحثون .

ثم يتصدى المؤلف الى تقديم النصح لمن كلف نفسه تعلم القرآن للصبيان ، فيقول : « اعلم ارشدنا الله واياك انه يجب على معلم صبيان المسلمين ان ينصحهم ويبذل المجهود في ذلك لانه خليفة آبائهم بان يعلم من اتاه منهم اولا الفاتحة وحزب « سبح » . فان صعب عليه فليقرئه ربه الاخر ، فان حفظ ذلك فليعلمه عقيدة ابن ابي زيد حتى يحفظها وترسخ في ذهنه ؛ فهي الاصل الاصيل » وبعد ذلك ينتقل الامام المؤلف الى الحديث عن اقسام الماء واحكام الطهارة والصلاة وكيفية ادائها في اوقاتها ؛ فاذا رسخ ذلك كله في عقل الصبي تعين اذذاك على المعلم ان يخبر والده بما قطعه معه من اشواط ، ويشير عليه باقامة « الختم » اي بتنظيم حفلة دينية ابتهاجا بالمرحلة التي قطعها الصبي في الكتاب ، ولا يفوت صاحب الكتاب ان يؤكد على المعلمين ضرورة الاهتمام بتحفيظ السور الاولى من القرآن ، بما في ذلك ام الكتاب ، تحفيظا يمكنه من تقويم سنتهم وتقوية ذاكرتهم وتمهيد السبيل امامهم لاكتناز ما بقى عليهم حفظه من كتاب الله العزيز ، فيقول : « على المعلم ان يعلم الصبيان فاتحة الكتاب حتى يحفظها على وجهها لان تعلمها واجب في حق كل مكلف يمكن منه التعلم لانها واجبة في جميع الصلاة ؛ وقد احتوت على اسرار كتاب الله تعالى وهي السبع المثاني ؛ ويكفي في فضلها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل ، قال الله تعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل . » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقراوا ، يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، فيقول الله تعالى : حمدني عبدي ؛ فيقول العبد : الرحمن الرحيم ، يقول الله : اثنى علي عبدي ؛ يقول العبد : مالك يوم الدين ، يقول الله : مجدني عبدي ؛ يقول العبد : اياك نعبد واياك نستعين ؛ فهذه الآية بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل ؛ يقول العبد : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين ائمتت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ؛ فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل . »

هذا وفي استطاعة الذين اسعدهم الحظ بمطالعة مقدمة هذا الكتاب ان يضيفوا الى المعلومات السابقة فوائد لا تقل عنها أهمية خصوصا فيما يرجع لانواع

النصح والارشاد ما يحملك على الاعتقاد بانه بقدر ما كان هذا الملك الهام سياسيا لبقا واسع المعرفة ، متضلعا في العلوم وشؤون الدين بصفة خاصة ، بقدر ما كانت نظريته نافذة في الاطلاع على طبائع الاطفال وميولهم ، وقدرتهم على استيعاب ما يقدم لهم من فوائد على من تصدى لتهديبهم من ذوي المعرفة والاختصاص ، فقد كان رحمه الله يرى ضرورة ملحة في تعلم العلم وتحصيل فوائده لكن على اساس العمل به ، كما انه يرى ان العلم يجب ان يقتنى في الصغر قبل الكبر ، وهو وان كان يحث على حفظ القرآن حفظا يضمن رسوخه في الصدور الا انه باعتباره رجل علم وعمل يفضل ان يعرف المعلمون والمتعلمون ايضا على ما جاء في كتاب الله تعالى من تعاليم دينية لا تستقيم حياة الانسان الا بمعرفتها والعمل بها ، ولذلك يقول في مقدمة الكتاب الآنف الذكر : « وبعد ، فلما كان غالب اعتناء طلبة الوقت لحفظ القرآن والتفغن في قراءته بالروايات ، واهماله ما فرضه الله على الاعيان مما يذان به من علم العبادات والاعتقادات ، وان كان فضل حفظ كتاب الله تعالى ماثورا ومقام حفاظه بين اولياء الله مشهورا ، لكن لا مخ الجهل بما يعبد الله به من ضروري الدين ، فانه على الموصوف بهذه الصفة حجة في كل حين ، لان المقصود الاهم من حفظ القرآن هو تعلم احكام الدين التي بها الله يذان ، اذ مجرد حفظه فرض كفاية بلا ارتياب ، ومعرفة ما تبرا به الدمة منه ومن غيره فرض عين وانجاب . فقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما اقام في قراءة « البقرة » ثمانين سنين ، لانه لم ينتصر على الحفظ بل تعلم ما احتوت عليه من احكام الدين » .

فأنت ترى ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله يلح كل الاحاح على التفقه في الدين بناء على ما جاء في كتاب الله ، لانه يخشى ان انصرف الناس الى الحفظ وحده كما كان ذلك شائعا في زمنه بالمغرب ان لا يعطوا العناية الكافية لما جاء فيه من احكام . ثم يستطرد قائلا في مقدمة « مواهب المنان » ما مؤداه بالحرف : « وكنت لقيت حال سفري من مكناسة الى مراكش سنة ثلاثين بعد المائتين والالف من الاساتيد الجهم الغفير الكثير ؛ والفيت كل من اختبرت منهم لم يتمسك من علم دينه بقطمير » ، مما حملة قدس الله روحه على جمع المسائل المهمة مما يتعين تحفيظه للصغار في الكتيب الذي نحن بصدد مراجعة مقدمته .

يؤخذ اذن مما ذكر ان قراءة القرآن كانت متداولة بين الناس على نطاق واسع في ايام سيدي

الامراء والاميرات ، فلا يعود لهم شغل الا تعليمهم القراءة والكتابة ، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم وتلقي الضروري من الدين ما لا يسع المكلف جهله شرعا .

وهذه الكتائب التي كان الملوك يحرصون على انشاؤها داخل القصور الملكية كانت توضع تحت رعاية متصرف يكلفونه بالاشراف عليها ماديا وادبيا . وحرصا - قدس الله ارواحهم - على تنشئة ابنائهم وبناتهم تنشئة حسنة ، واعطائهم ما يليق بالامراء والاميرات من تربية خلقية كريمة تستمد طهارتها من تعاليم الدين القويم ، كانت الفتاة على الخصوص لا تدخل الكتاب الا بمرافقة مربيتها والقائمة على امرها ، كما انه كان من المستحيل ان يدخل الكتاب الخاص بالفتيات احد من الذكور حتى لو كان يصغرن سنا او كان شقيقا من شقائقهن .

ويخبرنا الذين كرسوا حياتهم لدراسة احوال الدولة العلوية الشريفة جملة وتفصيلا ان نظام العمل المعمول به في تلك الكتائب الملكية كان يدعو المؤدب الى الحضور مع شروق الشمس ، ولا يترك عمله الا بعد اداء صلاة العصر مع المتعلمين او المتلمات بحيث يتناول فطور وطعام الغذاء معهم ، وذلك معناه ان المعلم كان يقضي معظم نهاره مع التلاميذ او التلميذات، فيما اذا كان الكتاب خاصا بالبنات ، ومما لا شك فيه ان نظاما كهذا يمكن المؤدب من فرض شخصيته على المتعلمين والمتلمات ، لطول اختلاطه بهم ، وطبعهم بطابع المروءة والادب ، فلا يغادر المتعلم الكتاب الا وقد اقتبس من المحاسن التي يتحلّى بها معلمه ومؤدبه ، خصوصا وان النصائح التي كان الملوك يزودون بها معلمي ابنائهم هي ان لا يفصلوا ابدا بين الايمان والعمل عملا بقوله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، وعلمنا منهم - طيب الله ثراهم - من ان العلم بدون عمل لا خير فيه بل كثيرا ما يكون وبالا على صاحبه . ولذا كان المعلمون في القصور الملكية يحرصون كل الحرص على تطبيق التعاليم الدينية التي جاءت في القرآن الكريم ، فيحملون المتعلمين والمتلمات على اداء فريضة الصلاة في اوقاتها فيطبعهم هذا السلوك بالروح الاسلامية منذ حداثة اظفارهم ، ويشبون تبعا لذلك على التقى واطاعة الله ورسوله مهتدين بالهدي الحق : « ان المتقين في جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا ، من الليل ما يهجعون ، وبالا سحرهم يستغفرون ، وفي اموالهم حق للسائل والمحروم » .

وكان السلاطين يتتبعون خطوات المعلمين ، ويزودونهم بالنصيحة والارشاد حينما ، وينحون عليهم باللوم والتانيب حينما آخر اذا ما لاحظوا فيهم نوعا من التوالل ؛ نلتمس شاهدا على حرصهم هذا ما جاء في كتاب « العز والصولة في معالم نظم الدولة » لصدیقنا العزيز فقيد الادب والتاريخ مولاي عبد الرحمان بن زيدان من انه لما ختم القرآن الكريم ايام السلطان المقدس مولاي الحسن دخل على جلالة يطلب الختمه ، ويسوق لنا رحمه الله بهذه المناسبة قصة طريفة يختتمها بقوله : « وكان لوشي مكتوبا بخط مؤدبي من جهتين ، فاخذ اللوح مني وقراه ، ثم سألني عن الخط لمن هو ؟ فقلت للفقير ! فقال : هذا غش لا ينبغي ، فليترككم تكتبون الواحكم بيدهم ، وسألوه » . وغني عن البيان ان في مثل هذه الملاحظة دليلا واضحا على تفتن ملوك الدولة العلوية الى اجود الاساليب واحداث طرق التدريس التي من شأنها ان تحفز الاطفال الى العمل الشخصي الذي يعود عليهم بالنفع والفائدة ؛ وكيف يستطيع الطفل ان يتدرب على الكتابة حتى يحذقها ، اذا كان المعلم يكفيه مشقة العمل ويقوم مكانه بكتابة ما وجب ان يخطه بأنامله تدليلا للمراقيل والعقبات .

وكما ان السلاطين كانوا يراقبون مؤدبي اولادهم فينبهونهم الى سلوك سبيل العمل المنتج المفيد كلما حادوا عن الطريق ، كذلك كانوا يبذلون لهم العطايا والصلوات ، تشجيعا لهم على قيامهم بالواجب خير قيام ، فمتى بلغ المتعلمون ، بنين وبنات مرحلة معينة فيما يرجع لحفظ القرآن الكريم - وهما مرحلتان : الاولى تدرك عندما يحذف الطفل استظهار سورة الاخلاص ، والثانية تنتهي به مع حفظ سورة البقرة - فان الملك كان يأمر اذ ذاك باقامة حفلة دينية شيقة تسمى حفلة ختم القرآن ؛ ويرفع بتلك المناسبة الكريمة لوح المحتفل به او المحتفل بها على منصة ؛ ثم يأتي من بالقصور بالهدايا الثمينة يضعونها على ذلك اللوح ، نقودا وثيابا ذات قيمة رفيعة ، مخيطة او غير مخيطة ، ويقدم كله للمعلم جزاء له على ما قدمت يداه، وتبركا بكتاب الله .

ويستطرد صاحب كتاب « العز والصولة » في وصف حفلات الختم ، فيقول : « ويخرج من القصر عدد منهم من قصب الكسكوس للمسجد المعد للصلاة برحاب باب القصر ، وقوارير ماء الزهر والورد وقماقمه ومجامير الطيب ، ويستدعى الاستاذ المقرئ لتناول ذلك وغيره من الاساتيد المؤذنين ؛ فيحضررون ذلك الاحتفال ، ويوزع الطعام على السجون والزوار

ورث الملوك فخارهم
وعليهم اربى وزاد
لا زال فينا حكمه
بيدي المعالم للرشاد

الى هذه المرحلة من البحث الذي نقوم به استفدنا انه كان لملوك الدولة العلوية الكريمة اهتمام بالغ بنشر القراء وتشجيع من يحفظه او يقوم بتحفيظه كما ذكر ذلك بتفصيل في كتب السلف الصالح، شأنهم في ذلك شأن ملوك كافة الدولة الاسلامية التي تعاقبت على هذه الديار ؛ لكن الذي يمتاز به ملوك الدولة العلوية على غيرهم من ملوك وامراء الدول التي سبقتهم في هذا البلد الامين هو اهتمامهم الزائد بتعليم ابنائهم مبادئ الدين والقراء الكريم وحرصهم على ان يختاروا لتلك المهمة الخطيرة امهر الاساتذة والمربين العارفين بأساليب التربية ، المعروفين بالصلاح والعقيدة المتينة حتى يكونوا حقا صالحين مصلحين ويتمكنوا من توجيه ابناء الملوك وبناتهم توجيها يؤهلهم ، فيما اذا افضت اليهم امور هذه الدولة من تسيير شؤونها على احسن وجه مستطاع ويمكنهم في نفس الوقت من مباشرة امور دينهم وديارهم بصورة ترضي الخالق والمخلوق .

من اجل ذلك كانوا يفردون لابنائهم جناحا من القصر الملكي في كل من عواصم المملكة ، بفاس ومكناس ومراكش ، يتلقون فيه تعليمهم بعيدا عن ضوضاء الحياة السياسية حتى لا تصرفهم عن الدرس والتحصيل عظمة الملك وفخفة السلطان . وبقدر ما كان الملوك العلويون يعنون بتعليم ابنائهم كذلك كانوا يهتمون بتثقيف بناتهم ، وتحليتهن بزينة العلوم والفنون ، وفي مقدمة ذلك كله حملهن على حفظ كتاب الله العزيز ، لا فرق بين شريفات او مشروعات ، يستقدمون لهن ثلة من خيرة المعلمين واطيبيهم خلقا ، واشدهم نزاهة ، واحمدهم صيتا وذكرى ، اذ النساء شقائق الرجال في المعاملات والاحكام ، وغني عن التوضيح ان الحديث الشريف يشير في صراحة الى ضرورة الاهتمام بتثقيف الرجل والمرأة على السواء ، قال صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم ولو في الصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وبطبيعة الحال يحتل كتاب الله المقام الاول من العلوم التي ما فتئ ملوك الدولة العلوية يحضون ابناءهم وبناتهم على تعلمها داخل القصور الملكية ، جاء في حديث كريم : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وبعد ذلك ينقطع المعلمون لتهديب

الحاضرة ، مزودا بها في نفس الوقت هذا الشعب المغربي الوفي الذي يربطه به ميثاق قوي لا تنفصم عراه ، سائلا من الله عز وجل ان يعز الاسلام بفضلهم ويسدد خطى ملوك العرب والمسلمين ورؤسائهم وبمهد لهم جميعا سبل الخير والنجاح .

ولقد اضاف حفظه الله هذه السنة مكرمة اخرى الى المكارم التي اشتهر بها ومفخرة الى مفاخره المتعددة ذلك انه دعا الى الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القراء الكريم ، هذا الكتاب الذي لن تضل الامة الاسلامية طريقها ، بل لن يعتريها ضعف او فتور ما دامت متمسكة بما جاء فيه من شرائع واحكام تغنيها في الحياة وبعد الممات ان نحن عملنا بما تهدي اليه من خير ونور .

ولا غرو ان اهتمام جلالة الحسن الثاني بكتاب الله وشؤون الدين مما حمله حفظه الله على فرض اقامة الصلاة داخل المدارس والمعاهد التعليمية على اختلافها قد انتهى به الى يقين جازم حاسم ، كما يقول شهيد العروبة والاسلام سيد قطب الى « انه لا صلاح لهذه الارض ولا راحة لهذه البشرية ، ولا طمأنينة لهذا الانسان ولا رفعة ولا بركة ، ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة الا بالرجوع الى الله ... والرجوع الى الله - كما يتجلى في ظلال القراءن - له صورة واحدة وطريق واحد ... واحد لا سواه ... انه العودة للحياة كلها الى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم ... » هذا الايمان القوي بالله ، وهذه العزيمة الراسخة التي اتخذها جلالة الملك الحسن الثاني اساسا لتنظيم شؤون المملكة عموما سيما ان لا محالة هذا الملك الشهم الكريم من تحقيق ما تصبو اليه بلادنا من تقدم وازدهار ، خصوصا وان جلالته يتمتع بالاضافة الى هذا الرصيد الديني الطاهر الذي يعتمد عليه في جميع حركاته وسكناته بمحبة الشعب واخلاص الامة قاطبة بحيث ينطبق عليه حفظه الله قول الشاعر اذ يقول :

(ملك) له انطوت القلـ

سوب على المحبة والوداد

(حسن) الصفات ومذ بذا

ما حاد عن نهج السداد

كالفيث في يوم الندى

والليث في يوم الجلال

عيد العرش المجيد ، لكي نقيم الدليل على اهتمام ملوك الدولة العلوية الشريفة بهذا الكتاب الاكبر وما جاء فيه من شرائع واحكام تهدي الى السبيل الاقوم .

وما اوردنا الامثلة الثلاثة السابقة الا على سبيل المثال فقط لا على سبيل الحصر ، والا اضطررنا الى تضخيم هذا البحث بصورة لا يتسع لها المقام ؛ انما الذي يتعين اثباته هنا هو ان جميع ملوك الدولة العلوية لم يعتمدوا على الكتاب رجاء ان تنالهم منه فوائد قريبة عاجلة ، بل انهم تمسكوا به عن ايمان عريض كالبحر وعقيدة راسخة كالدهر ، فالامر عندهم جد لانه امر سعادة هذه الامة المغربية النبيلة ، او كما يقول سيد قطب في ظلال القرآن : وكأنه يشير الى مدى تشبههم بهدي الكتاب الاكبر ان الاحتكام الى منهج الله في كتابه ليس نافذة ولا تطوعا ولا موضع اختيار ... انما هو الايمان ... او ... فلا ايمان ... وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ، فلذا اصلح الله امورهم في الدنيا واثار السبيل امامهم لخدمة هذه الامة العريقة تحت راية القرآن ؛ فراحت اعمالهم كلها اعمالا مباركة طيبة توتي اكلها باذن ربها ، وظلت شجرتهم شجرة باسقة اصلها ثابت وفرعها في السماء ، لا تنال منها النوائب ولا العواصف مهما يكن مصدرها تحقيقا لما جاء في الكتاب من ان الله تعالى لا يبخل ابدا عباده الصالحين اجرهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الارض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » .

الرباط : محمد محي الدين المشرفي

اما بمراكش فقد تولى خطة تدريس اللغة والقرآن الكريم في الكتاتيب الملكية جماعة من اساتذة الجنوب المعروفين بعلمهم الواسع ، وما كانوا يتمتعون به من حسن الاحدثة ، عند خاصة الناس وعامتهم ، نذكر من بينهم حسب ما نقلناه عن كتاب « العز والصولة » : ابا عبد الله محمد بن عبد الواحد الريفي ، والاستاذ العلامة الجليل ابا عبد الله محمد بن الفاطمي ، والاستاذ ابا عبد الله محمد بن الصديق الفيلالي ، والاستاذ البركة ابا عبد الله محمد بن موسى ، والاستاذ ابا اسحاق ابراهيم الضرير الذي اصطفاه السلطان مولاي الحسن الاول لتعليم حريمه امور دينهن ؛ وكان من الخير والصلاح بحيث كان يلزم مولاي الحسن في حله وترحاله ؛ وهو الذي تولى غسل السلطان المذكور عند وفاته .

وغني عن الاثبات ان هؤلاء العلماء كانوا يعملون بكامل الاخلاص والتفاني للقيام بما انيط بهم من اعمال ، وكثير منهم من كان مفتوحا عليه وعلى يديه كالاستاذ الفقيه السيد محمد بن موسى السابق الذكر الذي كان في اول امره مكلفا باقراء ابناء السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام علوم دينهم ودنياهم حتى بزغ من بينهم العلامة الشهير ابو الحسن علي صاحب البستان الشهير المعروف بمدينة مراكش بجنان مولاي علي .

* * *

تلك لمحة قصيرة احببنا ان نقدمها لقراء مجلة « دعوة الحق » الغراء بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، واحتفال المغرب بحفلات

مراجع هذا البحث

- 3 — العز والصولة في معالم نظم الدولة (جزاء) لفقيه الادب والتاريخ مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي .
- 4 — الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة . تأليف مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي .
- 5 — الفتوحات الالهية (المقدمة) لامير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله .

- 1 — المنزع اللطيف في مفاخر مولانا اسماعيل الشريف (مخطوط ج 595 بالخزانة العامة - الرباط) . تأليف مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي .
- 2 — مواهب المنان لما تأكد على المعلمين تعليمه للصبيان لامير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله . (مخطوط ك 795 ك بالخزانة العامة - الرباط) .

وصيفنا الارضى الباشا القائد الجليلي بن بو عزة ، وفقك الله وسلام عليك ورحمته تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بامثال امرنا في شأن الطالب السيد عبد الرحمان المدغري وتوليته اقراء الشريقات والصلاة بمسجد المدرسة ، الله يرضي عنك ويصلحك ، آمين والسلام ، في 28 ذي القعدة الحرام عام 1258 .

ومن المعلومات الطريفة التي يفيدنا بها في هذا المقام شيخ المؤرخين في هذه الديار مولاي عبد الرحمان ابن زيدان اسماء بعض من كانوا يعلمون البنات بالقصور الملكية ، ويتولون مهمة تحفيظهن كتاب الله العزيز : منهم الصالح أبو الفخر المختار الجراوي ، وأبو عبد الله بن المهدي النوني ، والعربي بن صالح النجاري الحلموني وكلهم كانوا مكلفين بتدريس القراء ومبادئ العلوم بقصر من عاصمة مكناس ، كما ان شيخ جماعة المقرئين الاستاذ اليزيد العلمي وأبا محمد عبد السلام النسب والاستاذ أبا العلاء ادريس بن محمد آل زكرياء الصبان كانوا ممن اختارهم الجناح الشريف للقيام بنفس المهمة داخل قصر المخنشة بمكناسة الزيتون .

وبالرغم من ان سرد اسماء الشيوخ والمؤدبين الذين كانوا مرسمين لتدريس القراءان الكريم داخل القصور الملكية يورث شيئا من السآمة والملل ، فاننا سنورد مع ذلك نقلا عن المصدر الانف الذكر جميع من عثر على اسمائهم ممن كتب لهم فضل اقراء ابناء الدوحة العلوية المنيفة ليتحقق القارئ من اصاله هذا البيت العريق ، واعتمادهم قبل كل شيء على كتاب الله وسنة رسوله في زرع البذرة الصالحة في قلوبهم ، اولئك الامجاد الذين سبق لهم فضل اقراء ابناء الملوك العلويين السابقين هم بالنسبة لمن كان يقطن مدينة فاس الفحاء الاستاذ ابو محمد التهامي الشريف العلمي ، وأبو زيد عبد الرحمان بن الرضى العمراني اللجاني ، وأبو عبد الله محمد بن الطاهر الهواري ، والاستاذ ابو محمد التهامي الحسني ، والاستاذ ابو محمد التهامي بن عبد النور ، والاستاذ حمادي بن عبد القادر النسب ، والاستاذ ابو محمد عبد السلام المدعو ابن يش التلمساني ، والاستاذ ابو العباس احمد السعيد ، وقد صاهر السلطان المقدس سيدي محمد ابن عبد الرحمان بن هشام ، فزوجه من ابنته الكريمة السيدة للافاطمة الجبلية .

يضاف الى هذه النخبة الطيبة الصالحة الاستاذ ابو العباس احمد عبابو وهو آخر من كان له فضل اقراء البنات بفاس .

واضرحة الصالحين » ، عملا بقوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والفارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

ودليل آخر على ما لملوك الدولة العلوية من اهتمام بتربية ابنائهم ، وتنشئتهم تنشئة اسلامية صالحة هو انه لا يوجد منهم داخل القصور الملكية من لم يكن يحسن القراءة والكتابة والحساب ، واستظهار قليل او كثير من القراءان الكريم ، « وربما وجد في اميرات القصر فضلا عن امرائه - من كانت تقرا برواية البصري كالشريفة السيدة حفصة بنت السلطان المنعم مولاي عبد الرحمن بن هشام » ، ويذكر مؤرخ الدولة العلوية الشهيرة مولاي عبد الرحمن بن زيدان ان اللوح الذي كانت تقرا فيه السيدة حفصة لا يزال محتفظا به الى يومنا هذا تبركا به . وبعد ذلك يسوق لنا بهذه المناسبة معلومات جد مفيدة في الموضوع من « ان السلطان مولاي عبد الرحمن كان قد غير معلما ممن امتازوا بقوة الايمان وسلامة الاخلاق لاقراء بناته في اقليم تافيلالت المشارك مولاي الشريف ابن علي بن عبد الرحمن دفين مراكش ، ومن جملة التلميذات اللاتي كن يقرآن على المعلم المذكور لالا حبيبة ولالا اسماء ولالا ستي ، وانما كان مولاي عبد الرحمن يقتدي في ذلك كله بمن سبقه من آباءه الاولين » ، فكانت تربيتهم تربية اسلامية عربية اساسها كتاب الله وسندها سنة رسوله الكريم .

ولقد تأصلت هذه السنة الحميدة في القصور الملكية حتى لانك كنت تجد بين النساء من يقرآن غيرهن من البنات والنساء ، ويحفظن نصيبا من القراءان الكريم لمن فاتهن زمن الدرس والتحصيل ، وهذا دليل آخر ما كان لملوكنا العلويين من رغبة صادقة في تلقين كتاب الله لذريتهم الصالحة بصورة كانت ولا تزال تؤتي اكلها باذن ربها .

يضاف الى ما تقدم من البراهين الدالة على هذه الرغبة في تنوير عقول الامراء والاميرات بنور العلم وشعاع القراءان ما اورده صاحب « العز والصولة » من النصوص الرسمية فيما يرجع لاهتمام ملوك المغرب وحرصهم الشديد على تدريس القراء لابنائهم وبناتهم ، واليكم نص ظهير شريف في الامر بذلك بعد الافتتاح والختم الملكي ، نقش داخله عبد الرحمن بن هشام الله وليه .

حاسم في هذا المجال ، عامل مستقطب لجموع المشاعر
الجهادية عند المجاهدين ، ومبلور للإرادة القائمة على
المحافظة على الكيان الاسلامي في هذه البلاد !

وقد استقرت جذور الدولة على اساس متين ،
واستقرت معها « بطبيعة الحال » معاني
العزة الدينية التي كانت في اساس الحركة
الجهادية ضد البرتغال هذا الى معاني المحافظة
السياسية ضد ذلك الغزو الاجنبي الواسع ؛ ومن
المعلوم ان الحفاظ على المقوم الديني والمقوم السياسي
- في مضمون الكيان المغربي - ما فتئا يتمازجان
باستمرار في المفهوم الذي ساد عقلية المجتمع الاسلامي
المغربي على امتداد العصور ، ولا يعني هذا - طبعا -
ان ظروف الغزو ، والجهاد هي التي خلقت للشعور
الديني مجالا ، كان منعذما من قبل ، فالشعور الديني
والفكر الديني ، كل ذلك كان حقيقة قائمة واصيلة في
كيان المجتمع الاسلامي المغربي ؛ الا ان الذي لا ينكر
كذلك هو ان حالة الشعور بالتهديد ضد الوجود
السياسي المغربي - بما يرتبط بهذا الوجود من
ملاسل دينية وحضارية اسلامية ، ثم ما دعا اليه
الشعور بذلك التهديد من ظهور قوة فنية في الميدان،
هي القوة العلوية ، القائمة في اساسها على العمل من
اجل انقاذ التراث الروحي والحضاري للامة المغربية
الاسلامية . وبلورة اساس قوي لرد التحدي المضاد
لهذا التراث ، واستبقاء الكيان الروحي والحضاري
محتفظا بأصالته ومناعته - لا ينكر انه كان لكل هذه
العوامل جميعها ، اثر جذري في بعث روعي جديد
بالمغرب ، وتزويد الشرايين المغربية بدم فكري جديد،
يتفق مع مبدا المحافظة الدينية الذي هو اساسي
في مزاج الشعب المغربي ، ويستجيب للمقتضيات
الثقافية والحضارية التي - وان بقي جوهرها
باستمرار - الا انها قابلة في العادة لعوامل التجديد
الايجابي المثمر !

وكان من المنتظر حينئذ ان يعيش المغرب حالة
استمرار لاصالة الفكر الديني والحضاري عنده ، كما
كان من المنتظر ايضا ان يعيش حالة تبلور جديد في
الروح والنهج الذي يقوم عليه هذا الفكر الديني
والحضاري ، وذلك في نطاق المعنى الاعم الذي قامت
عليه الدولة . وهو معنى مستخلص من تجارب الاجيال
المغربية المتعاقبة . ومن نتائج الاقتناعات المغربية بعيدة
الامد ، في مضمار الاحساس بالدين وتعقل روحه
ومقتضياته واستمداداته ، ومن ثم ، كان لابد من انفتاح
مزيد من الآفاق أمام الفكر الديني بالمغرب ، وكان من

اللازم ان تنطوي هذه الآفاق على معالم جديدة ، يفرضها
واقع الفكر العام الجديد الذي عاشه المغرب اثر قيام
الدولة العلوية بين ربوعه ؛ ومن هذه المعالم التي يمكن
ملاحظتها :

(1) انحاء اثر التيارات المتعارضة هنا وهناك،
وتبلور النزعات السياسية الدينية ، في محور متمركز،
يستقطب مختلف القوى والعوامل بهذا الصدد ،
ويستجمع بذلك صفة المحورية بما تقتضيه من تكتيل
وتركيز ، وما ينتج عن كل ذلك من توحيد المصادر
والاتجاهات ، التوحيد الذي هو ضروري لنمو كل
طاقة قوية ، واشتدادها واغتناء محتواها ؛ ان الصلة
بين قيام الدولة العلوية ، والتوحيد من هذا القبيل،
الذي حدث على نطاق واسع - هذه الصلة هي عبارة
عن دققة بدهية قائمة ، لا يحتاج اثباتها الى استدلال،
الا ان الذي يجب لفت النظر اليه في مضمونها ، هو
الجانب الفكري الديني المتعلق بهذا التوحيد ؛ وهو
جانب من اهم الجوانب ، ان لم يكن اخطر الجوانب على
الاطلاق ، وقد كان المجتمع المغربي من هذه الناحية،
الناحية الدينية ، معرضا لمخاطر « تعدد المحاور »
وتضاربها ، ومن هذا الباب دون غيره ، كانت امكانيات
المغرب السياسية والاقتصادية وغيرها ، معرضة على
نحو آلي ، وبصورة كاسحة لامرد لها ، معرضة للتوزع
المحذور منه ؛ ومن هذا الباب ايضا ، انفتح امام المغرب
المجال الواسع ، الذي ادى به الى الاحتفاظ بكيانه
الموحد في المجالات الاخرى من سياسية وغيرها ؛ ومن
ثم يستمد التطور الفكري الديني الذي وقع ، اهميته
التاريخية ، وهي اهمية ، تستمد وجودها من الظرف
التاريخي الموجود حينئذ ، ومن حقائق الشعب المغربي
الروحية والمزاجية ، ومن ضخامة العامل المستقطب
لكل هذه العوامل ، وهو العامل المتمثل في القوة العلوية
التي برزت في الميدان .

(2) استرداد المغرب قدرته على اتخاذ المبادرة
في مجال التضامن مع البلدان الاسلامية ، وبناء العلاقات
الايجابية معها ؛ وقد كان تاريخ المغرب في عمومه
- تاريخ تضامن مع القضية الاسلامية في الاندلس وفي
غير الاندلس ؛ ولما أصبح المغرب في غضون القرن
التاسع ، فاقدا لزام المبادرة ، ضاعت الاندلس
الاسلامية بصورة حاسمة ، ثم استرجع المغرب بعض
القدرة على العمل ولكنه سرعان ما فقدتها بعد ذلك ،
الى ان تمت له القدرة التضامنية ، بكل ما لها من فاعلية،
وذلك اثر حدوث التطور ، الذي ادى الى قيام الدولة
العلوية ؛ وبطبيعة الحال ، فان صورة التضامن لم يكن
من اللازم ، ان تكتسي نفس الصورة التي كان عليها

على هدي القرآن والسنة ؛ لمحات من دنيا الفكر الديني على عهد العلويين

لأستاذ المهدي البرجالي

تقوم الثقافة الدينية - في أساسها - على معرفة القرآن الكريم نصا وفهما ، والالام بالحديث رواية ودراية ، ثم يأتي بعد ذلك العلم بالفروع على مناحيها الكثيرة كما هي في كتب الفروع . والواقع أنه يرتبط بموضوع الثقافة الدينية هذه ، أسس فكرية عميقة الجذور في كل تاريخ الفكر عند المسلمين ، وتنبني عليها في المجتمعات الإسلامية قسم ومواضع فكرية وثقافية وحضارية ، هي من أخص خصائص الفكر الإسلامي في كل المصور وأبرز مقوماته

وقد عرف عن المغرب ، عراقته في هذا المجال ، وإصالة الفكر الديني في المجتمع المغربي بقدر أصالة مناح كثيرة من مناحي العلم في هذا المجتمع .

وللدولة العلوية في هذا المجال ، سجل حافل ، سجل ينطوي على فصول طويلة يبدو من خلالها الكثير مما عرفته الثقافة الدينية القرآنية من توسع وتطور خلال عهد الإشراف العلويين ، وما تحقق في مضمار الفكر الديني خلال القرون الأخيرة من تبلورات إصلاحية مهمة .

وفي هذه المجال ، لانطمح في الإتيان بلوحة مفصلة ، ووافية التعبير ، وإنما هي لمحات من هذه الدنيا ، لمحات من دنيا الفكر الديني - القرآني على عهد العلويين ، نسوقها في هذا الإطار المحدود الذي يتسع له العدد وبطبيعة الحال ، فالمجال التوافر الآن لايسمح بالتبسط كثيرا في الموضوع بقدر ما يجب .

التي تهدد المعاني العربية والإسلامية المتمثلة في الكيان الدولي المغربي ، والتي كانت تواجه أقصى تحد واجهته من قبل ، تحد موجه إليها من قبل التوسعية البرتغالية ، وما يرتبط بهذه المواجهة من ملابس شعورية دينية ، إلى جانب الملابس الأخرى ذات الصبغة السياسية والاقتصادية الصرفة ؛ وكان من أولى النتائج المترتبة عن ذلك ، سيادة عقلية الحفاظ على الكيان الديني والحضاري للمسلمين المغاربة ، وقد اكتست الحرب الدائرة آنئذ صبغة جهاد ديني كان يشارك فيه علماء الوقت وقراءه بما يرجى من ذلك من ثواب عظيم ؛ وفي هذا الظرف من تبلورات الحماس الديني عند سكان هذه البلاد ، كان قيام الدولة العلوية كعامل

قيام الدولة العلوية كان بطبيعة الحال ، تطورا فكريا أساسيا في تاريخ المغرب ، بقدر ما كان ذلك أيضا تطورا سياسيا له انعكاساته الداخلية والخارجية ؛ والملابسات السياسية ، أو الجوانب السياسية التي تتمثل من خلال هذا الموضوع ، لاتدخل - بالضرورة - في إطار المسائل التي نتناولها في هذه العجالة ؛ إلا أن ذلك لا يمنع من الإقرار بالصلة الحقيقية بين الفكر والثقافة والسياسة ، والتواصل أو التفاعل الموجود في العادة بين هذا أو ذاك في كل ظرف من ظروف التاريخ هنا أو هناك ؛ وقد قامت الدولة العلوية - في ظرف تاريخي فريد من تاريخ المغرب ، أجاحت فيه النفسية المغربية احساسات عميقة بالمخاطر الجذرية

والفكر ؛ ومن ثم ، فهي - في صورتها المألوفة - حركة دينية وعلمية وفكرية في نفس الوقت ؛ وفي هذا المجال تتخذ قضية العناية بالقرآن في المغرب العلوي مدلولها العرفاني ، مثل ما تتخذ من مدلول روحي صرف .

ان الدراسات القرآنية هي - بطبيعة الحال - ذات شأن رئيسي في كل دراسة دينية اسلامية ، ومن مدلولات القرآن المعنوية والتعبيرية ، تستخلص اهم القضايا الدالة على روح الاسلام واحكامه ومقتضياته ؛ واذا كان هذا صحيحا بالنسبة الى كل دراسة اسلامية مجردة ، فانه صحيح بالاولى والاخرى بالنسبة الى الدراسات الدينية القائمة في نطاق الروح السلفية ، والمستهدفة في الاساس ادراك الحقائق الدينية التي يستمد منها الاتجاه السلفي من القرآن اكثر مما يستمد منها من غيره ؛ وعلى هذا ، نجد ان الاتجاه للقرآن عند الملوك العلويين يدخل في نطاق اعم من مجرد الرغبة في التبرك بالكتاب المبين ؛ والنطاق الاعم الذي نقصد هو النطاق العرفاني ، بكل ما يدعو اليه من اهتمامات علمية ، ليس هناك غنى عنها بالنسبة لنزعة سلفية واعية ، وكان لهذه الاهتمامات العلمية نتائجها اللازمة ، ومن هذه النتائج : (اولا) امتزاج الاقبال على دراسة القرآن بالاقبال ايضا على الدراسات الحديثة ، والقرآن والحديث هما قطبا الرحى في كل اساس علمي تقوم عليه النزعة السلفية او تقتضيه الفكرة السلفية ؛ ان معيار السلفية هو صحة المآخذ عن الرسول في الاحكام والعقائد سواء فيما اتى به وحيا من ربه ، وهو القرآن ، او ما نطق به من احاديث (والحديث - كما نعلم - مادة اساسية وواسعة لفهم الاسلام بعد القرآن ، ولذلك كان لابد من التقاء الاهتمام بهما معا ليم من ذلك مفهوم صحيح ومتكامل للفكرة الدينية من ينابيعها الاصلية ، وهي ينابيع غنية ووافية بما يتطلب في هذا المجال (2) ظهور فكرة الإصلاح والتطوير على فكرة المتابعة والمسايرة ؛ لقد عقلت اساليب التناقل العلمي وتجمدت عند حدود روتينية تفتقر اكثر ما تفتقر لله - تفتقر الى تحقيق المقصود من نقل الملكات ، واستشارة العقول واكسابها القدرة على الابداع ؛ وقد اصيب تدريس العلوم الدينية بذلك ، كما اصيب تدريس غيرها من العلوم ؛ وكانت مظاهر ذلك بادية في مختلف الانظار العربية ؛ اما المغرب العلوي ، فقد عرف تطورا هاما جدا في هذا الشأن ، اذ صاحب فكرة السلفية فيه ، بما تقتضيه من اقبال على السنة والكتاب - صاحبها ايضا فكرة تطوير الاساليب المتبعة في تدريس العلم الديني ؛ بما في ذلك اساليب تدريس القرآن الكريم ،

يتخذ الملوك العلويون ازاء الكتاب الكريم ، عاملين على نشره والتشجيع على الاقبال عليه ، ومقبلين في ذات الوقت على مدارسته ، ومجالسة علمائه ، والاخذ عنهم ، والاعطاء لهم ايضا ، بل واعطاء العموم من ذلك نصيبا غير يسير ؛ لقد عرف عن الملوك العلويين الكثير من هذا القبيل ، ويمكننا ان نسوق العديد من الامثلة والشواهد على ذلك ؛ وفي المراجع المغربية كالاتحاد لابن زيدان صور كثيرة من هذا المعنى تشير في عمومها الى ما كان هناك في حظيرة الدولة العلوية من عناية بامر القرآن الكريم ، وبروز هذه العناية في مظاهر شتى تمثل تارة في اجراء الاوقاف على قراءته ، وطورا آخر في تبجيل حملته وكرامهم ، الى غير ذلك مما في هذا المعنى .

ونورد على سبيل التذكيرة ، بعض النماذج السريعة التي ساقها صاحب الاتحاد في هذا المجال ؛ ومن ذلك وصفه لاجراء الشعائر التي يتلى فيها القرآن كصلاة التراويح مثلا ، وكيف كان يقع الاحتفال بها من طرف المولى الحسن الاول ، في جو من الحفاوة البالغة عظيم ؛ ومن الصور ايضا ، الظهير الذي كان يصدره المولى محمد بن عبد الرحمن تكريما وتوقيرا لشيخه في القرآن ، الشيخ محمد بن عبد الواحد الزجلي ، وجاء في ضمن ذلك الظهير كما ساقه صاحب الاتحاد ، وكان صدوره لفائدة احفاد الشيخ « وحملناهم على كاهل البرة والانعام ، والرعي الجميل المستدام ، واسقطنا عنهم التكاليف الخزنية ، والوظائف الساطانية ، لما لجدهم علينا من الحق بتعليم كتاب الله العزيز ... » وهذه العبارة الاخيرة هي المراد من سوق هذه الفقرات ، وذلك لما تشير اليه من تقدير كبير لحامل الكتاب الشريف ، وهو تقدير يعكس صورة عن الروح السائدة بهذا الصدد ، في حظيرة المغرب العلوي ؛ وهذا التقدير هو جانب من جوانب الصورة التي نعرض لها بصدد ما تناولناه في اطار هذا الموضوع ؛ اما الجانب الآخر ، فهو الذي نود التوسع فيه نسبيا ، اكثر من غيره من الجوانب ، وهو يرتبط بمجموع قضية الفكر والثقافة في هذه البلاد ، ويشير بصورة اخص الى سابقة الوعي العلمي في المغرب واصالة حركة الإصلاح والتطور الفكري بالوطن المغربي ؛ ونلمس كل ذلك - كما يحدده موضوعنا - نلمسه من زاوية الثقافة الدينية - القرآنية بالخاص ، ولذلك ارتباط بما اشرنا اليه من امر الفكرة السلفية ؛ والفكرة السلفية - كما نعلم - لها اطار واسع ، يستوعب في مضمونه معطيات متمازجة من الدين والعلم

الامر في خلال العهد العربي بالاندلس ، وذلك لتغير الظروف والاضاع العالمية على نحو حاسم . لكن التضامن الاسلامي الذي حصل - على نطاق واسع - بين المغرب العلوي والدول الاسلامية غيره ، اصطبغ بصبغة فعالة وايجابية جدا ، تتناسب مع ما اصبح له من امكانيات واسعة كدولة اسلامية ذات ثراء وقدرة وتنظيم ؛ وقد تمثل التضامن المغربي الاسلامي من هذا القبيل في مظاهر عدة ، كان من بينها : التفاوض مع الدول المسيحية في شأن اطلاق سراح الاسارى المسلمين ، وتمويل عمليات الاطلاق هذه في كثير من الاحيان ، وتزويد المجهود الحربي للدول الاسلامية الواقعة في حالة حرب مع الاجانب الى غير ذلك مما في هذا المعنى ؛ كما تمثلت العلاقات المغربية مع المسلمين ايضا في مجال الفكر والثقافة الدينية ، كما في غير ذلك من مجالات الثقافة ؛ والواقع ان هذا الجانب الاخير ، جانب التفاعل بين المغرب العلوي واقطار اسلامية غيره - الواقع ان هذا الجانب هو ذو قيمة كبيرة في سجلات التاريخ الفكري للمغرب ، واذا قارن المرء بين سرعة وفاعلية الاستجابة المغربية لوقائع التطور الفكري الديني في العالم الاسلامي ، وبين موقع المغرب ، الواقع في الطرف الاقصى من العالم الاسلامي ، والادنى الى اوربا من كل اقطار المسلمين على الاطلاق - اذا ما قارن المرء بين هذا وذاك ، تبين له مقدار الحيوية التي توافرت للمغرب في هذا المجال ، وسعة المجال التاريخي الذي يتمكن من افتتاحه على اوسع نطاق .

(3) كان قيام الدولة العلوية ، كما سلف لنا - حدثا فكريا وحضاريا ، بقدر ما كان حدثا سياسيا كذلك ، ويتجلى هذا ، علاوة على ما تقدم - يتجلى في موضوع الاطار الذي يحتوي القيم العقائدية الدينية في المجتمع الاسلامي المغربي ؛ والملاحظ في تاريخ المغرب الاسلامي . انه تاريخ عقيدة واحدة مستمرة حقا ، وهي الاسلام ، لكن الاطار الذي تتحقق في مضماره العقيدة - وهو اطار لا يمس الجوهر في شيء - كانت تحدث فيه بعض التبدلات - على نحو او آخر ، خلال تتابع مراحل التاريخ المغربي ، ومن ثم ، فان القضية العقائدية الدينية كان لها في مجال التاريخ المغربي شأو كبير ، وقد صاحب النظر العقائدي بالفعل ، تطورات السياسة المغربية منذ القرون الاولى ، وبالاخص خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، حيث تأرجح المغرب بين تيار محافظ جدا ، هو الذي ساده على عهد اللمتونيين ، وبين تيار فكري ديني آخر مضاد للاول في كثير من المناحي ، وهو الذي شمل المغرب خلال

عصر الموحدين ، وكان كل من التيارين الفكريين اللمتوني والموحدي ، مجرد مرحلة من مراحل التاريخ الفكري للمغرب ، مثل ما مر من مثل هذه المراحل في تاريخ العرب الفكري بالشرق ايضا ؛ وبظهور الدولة العلوية ، كان المغرب على ابواب تحوله الفكري الجديد الذي كان لابد ان يسلمه الى التطورات الفكرية المعاصرة التي نعيشها اليوم ؛ وكانت بذور من ذلك ايضا في بلاد الشرق العربي تختمر وتنمو مع الامد الطويل ، لتتبلور في الصورة التي وقعت بها النهضة الفكرية ببلاد الشرق ، وفي مضمونها فكرة مراجعة المفاهيم الدينية ، التي تعقدت في المجتمعات الاسلامية ، وتغلقت بما يتناقض احيانا مع سلامة الاسلام وفطريته وتلقائيته ؛ وقد وقع التفتح المضاد لذلك الانغلاق ، الانطلاق الذي استحسنت حلقاته مع القرون ؛ واكتسب التفتح الجديد في الشرق ، صورة الفكرة السلفية ، فكرة الرجوع الى عقائد السلف الصالح الذين لم تتغلف مفاهيمهم العقائدية بالتعقيدات التي فرضتها ظروف مختلفة عاشها المسلمون طوال القرون ، فتكيفوا بكيفها ، سواء في نظرتهم العلمية او بعض مفاهيمهم العقائدية ؛ وكما فرض التفتح ذاك ما فرضه في ميدان المفاهيم العقائدية ؛ فقد كان من نتيجة ذلك التفتح ايضا ان خلق افكارا مضادة للتقليد المطلق في فقه الاحكام والشعائر وغيرها ؛ وفي ضمن هذه التوازع التطورية ، ظهر القرآن والحديث - كما كانا دائما - مادتين حيويتين اساسيتين ، وليس لهما من ثان في اهميتهما كوسيلتين لاغناء الفقه الاسلامي وتطويره ، والتوفيق - في نطاقه - بين مقتضيات الالتزام بروح السلف الصالح ، وروح التغيير المستمر الذي تفرضه ضرورة العصر وموجبات الحياة المتغيرة ؛ وقد كان المغرب العلوي ، مجال تبلورات فكرية رائدة من هذا القبيل ؛ والملاحظ ان الحركة الفكرية هذه ، قد وجدت سندها المباشر في ملوك علماء ومفكرين من طراز المولى محمد بن عبد الله والمولى سليمان حيث ان هذين الملكين ، لم يكن عملهما في هذا المجال مجرد مساهمة لتيار اصلاحي راياه صالحا فآزره ، بل انهما كانا رائدين كبيرين في مجال هذا التيار ، وساهما فيه بالقدر الذي جعل منه حركة نهوض وتطور مهم جدا في تاريخ المغرب الفكري الحديث

* * *

الصور التي عرضنا لها في غصون الفقرة السالفة ، تصلح كاتار لادراك بعض الملاحظات التي تحيط بموضوع القراءة ، وموقف للاهتمام الكبير الذي كان

محتوياته ؛ ويسوق الناصري حول ذلك قوله « ... ومن عجيب سيرته رحمه الله ، انه - أي المولى محمد بن عبد الله - كان يرى اشتغال طلبة العلم بقراءة المختصرات في فن الفقه وغيره ، واعراضهم عن الامهات المبسطة الواضحة ، تضيق للاعمار في غير طائل ، وكان ينهى عن ذلك غاية ، ولا يترك من يقرأ مختصر خليل ومختصر ابن عرفة وامثالهما ، ويبالغ في التشنيع على من يشتغل بشيء من ذلك حتى كاد الناس يتركون قراءة مختصر خليل ، وانما كان يحض على كتاب الرسالة والتهذيب وامثالهما ... » وقد صاحب بروز هذه النزعة الاصلاحية ، التي كانت كرد فعل ضد عقلية علمية سادت طويلا دنيا العرب ، وكانت - أي هذه العقلية - بمثابة ترسب غير قادر على مسيطرة التيار النهري الدافق - صاحب بروز هذه النزعة ، حالة نشاط علمي مهم ، وجد معه علم التفسير وغيره من علوم القرآن ، مجالا خصبا ، كان ابرز آثاره ازدهار حلقات التفسير القرآني بالمساجد ، كما بالبلاط المحمدي والسليمانى وفي كثير من معاهد العلم هنا وهناك ، وبروز عدد من كبار العلماء الذين عرفوا بمقدرتهم في الفروع العلمية الاسلامية المختلفة ، بما فيها علم التفسير بطبيعة الحال ، وقد كان المولى سليمان من هؤلاء المتضلعين في فن التفسير كما كان متبحرا في غيره ؛ وجاء في عبارة صاحب الاستقصاء

حول ذلك قوله : « واذا تكلم - أي المولى سليمان - في علوم القرآن انهل بما يفمر مورد الظمان . » وكان من اعلام العصر السليمانى ايضا في التفسير الشيخ محمد بن عمرو بن عبد الله الزروالي وبعد من شيوخ المولى سليمان في علم التفسير بالذات ؛ ومن علماء التفسير القرآني في عهد المولى عبد الرحمن ، الشيخ حمدون بن الحاج ، وقد كان من المشاركين ، الا ان من اشهر حلقاته التدريسية ، تلك التي كان يلقي خلالها دروسه في التفسير .

وكما برز مفسرون لامعون في عهود الدولة العلوية، لمع نجم عدد من المقرئين الجودين ايضا ، ومن هؤلاء محمد الشريف السجلماسي شيخ الجماعة بمراكش في القراءات ، وذلك في خلال عهد المولى عبد الرحمن بن هشام ؛ ومن اعلام ذلك العصر ايضا في التجويد الشيخ محمد بن الطيب السجلماسي (وكان كما ذكر عنه صاحب (الاعلام) « ... مجودا لكتاب الله عز وجل يعطي مخارج الحروف حقها ، ويحسن نطقها ، قرأ القرآن بالروايات السبع ... »

وهذه مجرد نماذج فقط ، ومثيلها كثير في خلال عهود الدولة العلوية باستمرار .

سلا - المهدي البرجالي



الذي - كما نعلم - هو باب المسلم الى ارتياد المجالات العرفانية الدينية الواسعة ، لا ان يقتصر فيه على الحفظ المجرد ، ولو ان الحفظ في حد ذاته شيئاً مطلوباً ، الا ان الكتاب الكريم ، انزل للتدبير فيه ، واستخلاص العبرة والفائدة منه ، فيما ينفع الناس في دينهم وديناهم ؛ ولا شك ان الفكرة هذه ، تبدو الآن فكرة مألوفة ، ولا توجب تنبيهاً لها ، لانها من البدهيات المسلم بها ؛ غير اننا اذا وضعنا الامر في اطاره الزمني المناسب ، وارجعنا الدعوة لهذه الفكرة الى العصر الذي راجت فيه ، لراينا حينئذ انها كانت فكرة ثورية رائدة ، وانها كانت من اجدى الفكر واكثرها انصواء على المعاني الايجابية الخصبة ، وذلك لما كانت تعانيه المجتمعات العربية حينئذ من عقم اساليب التعلم ، وفشو ذلك فشوا شاملاً لجميع قطاعات الحياة العلمية العربية ، وتواضع الناس على اساليبهم تلك ، وعدم استمدادهم بسهولة لتقبل تغييرات التطوير التي تقترح عليهم في ذلك . (3) افادة الخزانة المغربية من هذه الحركة الفكرية المتطورة ، وذاك بما ادت اليه الحركة من حمل روادها على توضيح مفاهيمهم وشرحها للناس ، والاتيان بالنماذج والصور التي يجب ان تحتذى في هذا المجال ؛ ومن ذلك كان العدد الملم من الكتب والرسائل التي صدرت بهذا المعنى ، وبقيت في سجلات الخزانة المغربية ، وثائق شاهدة على فترة عظيمة من فترات التاريخ العلمي المغربي .

ولنتناول الآن بعض الامثلة على النقط التي اوردنا ، وقد كان المولى محمد بن عبد الله ، الرائد الاول في هذا المجال ؛ ويتمثل في هذا الملك العالم المفكر ، ما تقدم ان ذكر ، من تمازج الدراسة الحديثة بأمر القرآن ، وذلك في نطاق الفكرة السلفية التي تقوم على هذين السندين العظيمين ؛ وقد اشتهر المولى محمد بن عبد الله برواية الحديث وادراك معانيه ، ويورد الناصري في ذلك قوله « ... وكانت له عناية كبيرة بذلك ، وجلب من بلاد المشرق كتباً نفيسة من كتب الحديث لم تكن بالمغرب ، مثل مسند الامام احمد ومسند الامام ابي حنيفة وغيرهما ... » الى ان قال بعد ذلك « ... ولما ولاه الله امر المسلمين بعد وفاة ابيه ، زهد في التاريخ والادب بعد التضلع منهما ، واقبل على سرد كتب الحديث ، والبحث عن غريبها وجلبها من اماكنها ؛ ومجالسة العلماء والمذاكرة معهم فيها ... » على ان الذي يبدو من استقراء الامور

ان المولى محمد بن عبد الله ، لم يكن شغوفا بالمعرفة الحديثة هكذا لمجرد المعرفة بالشيء وحب الامام به ، وانما كان ذلك مرتبطاً عنده من جملة ما يرتبط به - كان مرتبطاً عنده بموضوع العمل الاصلاحى الفكرى الذى كان له به اهتمام واضح ، ويندرج الاهتمام بالحديث لديه - ضمن ذلك - بالاهتمام بمجمل قضايا العلم الدينى من قرآن وحديث ، وفقه وغيره ، يدخل كل هذا فى دائرة مذهبه فى هذه الامور ، وما كان قاراً فى نفسه من اتخاذ المبادرة العملية على هذا المستوى ؛ ويمكن استبانة لمحات من هذا الاتجاه العلمى فى كتابه « مواهب المنان » بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان « فقد اورد فيه المولى محمد بن عبد الله ما يفاد منه ان الاتجاه الاصلاحى كان عنده شاملاً جامعاً ، وانه غير محصور فى دائرة الحديث فقط ، وقد جاء فى ذلك ، قول الملك العالم « ... كان غالب اعتناء طلبة الوقت بحفظ القرآن ، والتفنن فى قراءته بالروايات ، واهمالهم ما فرض الله على الايمان مما يدان به من علم العبادات والاعتقادات ، وان كان فضل كتاب الله ماثوراً ، ومقام حفاظه بين اولياء الله مشهوراً ، ولكن لا مع الجهل بما يعبد الله به من ضروري الدين . فانه على الموصوف بهذه الصفة حجة فى كل حين ، لان المقصود الاهم من حفظ القرآن ، هو تعلم احكام الدين التى بها الله يدان ، اذ مجرد حفظ مجموعته فرض كفاية ، بلا ارباب ، ومعرفة ما تبرأ به الذمة فرض عين واجباب ... » « وكنت لقيت حال سفري من مكناسة الى مراكش سنة 1203 ثلاث بعد المائتين والالف ، من الاساتيد ، الجهم الكثير ، والفيت كل من اختبرت منهم لا يتمسك من علم دينه بقطمير ... » (1) ولا اخال ان هناك اوضح من هذه العبارات فى الدلالة على المفاهيم الاصلاحية التى كان يحمل لواءها المولى محمد بن عبد الله ، وكان اهتمامه بالحديث مقروناً باهتمامه بالقرآن ، كل ذلك يدخل فى نطاق « الثورة التعليمية » التى كانت - بالنسبة لذلك العصر - كما فى كل عصر - الاساس الحيوى لكل نهضة اجتماعية واقتصادية وغيرها فى اى بلد وفى اى مجتمع ؛ وكما اوردناه فى خلال النقطة الثانية من النقط التى اسلفنا ، فان مثل هذا التفكير الاصلاحى ، كان بمثابة صدمة قوية لحالة التزمت والمتابعة التى سادت حياة العلم فى كل انحاء العالم العربى خلال القرون الاخيرة ، حتى صارت اهم عامل فى تخلف العلم العربى وتقوقع

جمعني الله مع كثير من العلماء والاولياء ، ذوي العقول واللطائف ... فازداد قلبي لهم حبا ، وتيموني (2) فما ملكت معهم عقلا ولا لبا ؛ ولا سيما علماء شنقيط ... (وبعد ان عدد بعضا منهم اضاف قائلا :) ولي فيهم عدة اشياخ سامرتهم ومارستهم في قراءتهم وعبادتهم :

(هكذا ، هكذا ، والا فلا ، لا

طرق الجد غير طرق المزاح)

حتى تعلمت ما شاء الله ان اتعلم (3) .

وبعد حياة التعليم والاستيعاب هذه ، يدخل اميرنا في طور الانتاج العلمي والادبي وقرض الشعر ، ولا ريب ان مثل هذا العمل كان يقتضي منه هدوء بال واطمئنان فكر ، وهذا ما توفر له في مدينة مراکش الجميلة الهادئة ، فهناك قبل ان يصبح خليفة عن اخيه السلطان مولاي عبد العزيز وبعد ان أصبح خليفته ، وجد الجو مناسباً للتفكير والانتاج ، فقام بجل اعماله العلمية - ان لم نقل كلها - ونظم اراجيزه في مختلف الفنون .

اما فترة توليه السلطنة فلم تكن بطبيعتها وكثرة مشكلاتها السياسية والمالية وغيرها لتسمح له بمزيد من الانتاج العلمي او التأليف ؛ غير انها سمحت له بنشر كتبه ومؤلفاته على الملأ ، ومكنته من طبع عدة كتب خدمة للثقافة العامة ونشرا لعلوم القراء بين الاجيال الصاعدة .

آثاره العلمية :

تلك نبذة موجزة عن حياة مولاي عبد الحفيظ ؛ اما اثاره العلمية فوافرة ، حدث عن البحر ولا حرج - كما يقال - ، وان متناول الحديث عن تلك الآثار لا يسهل الا ان يقسمها قسمين رئيسيين : في خدمة علوم القراء ، وفي مديح نبي القراء . وسنتحدث عن كل قسم فيما يلي :

(2) في الاصل : تيهوني وهو تحريف مطبعي .

(3) مولاي عبد الحفيظ : العذب السلسيل ، ص 2 المطبعة المولوية بفاس 1326 هـ .

(4) يفهم من كلام الاستاذ الزركلي (الاعلام ج 4 ص 50) ان الكتاب في فقه المالكية ، بينما الذي في فقه المالكية هو « مختصر » الشيخ خليل الذي لم يقم مولاي عبد الحفيظ الا بتحليل مقدمته وشرحها كما ذكرنا .

اولا - في خدمة علوم القراءان : وتشمل آثاره في هذا القسم ما يأتي :

1 - مؤلفات نشرها : وانفق على طبعها ليسهل تناولها ، وليوفر المصادر والمراجع لطلبة العلم وشيوخه بجامع القرويين بفاس وجامع ابن يوسف بمراكش وبغيرهما من مراكز العلم بالمغرب ، بل والشرق ايضا ، لان كثيرا من هذه الكتب طبعت بالقاهرة ، فجاءت فائدتها عامة شاملة . ومن هذه المؤلفات التي نشرها :

1 - حواشي الشيخ التاودي على صحيح البخاري

2 - المشارق للقاضي عياض .

3 - حاشية سيدي المهدي الوزاني العمراني في الانتصار للسدل .

4 - بداية المجتهد للحفيد ابن رشد .

5 - فتح الودود للولائي على مراقبي السمود للشنقيطي .

6 - الاصابة لابن حجر .

7 - تفسير أبي حيان المعروف بالبحر .

8 - شرح الأبي والسوسي على صحيح مسلم .

9 - المنتقى للباقي .

10 - شرحا الخطاب والواق على مختصر خليل

11 - الاحكام الكبرى لابن العربي المافري .

12 - تحفة الملك العزيز في الرحلة الى باريس للوزير ابن ادريس العمراوي .

ب - مؤلفاته النثرية : واهمها ذلك المرجع الذي اشرنا اليه منذ قليل وهو :

1 - العذب السلسيل في حل الفاظ خليل : وهو عبارة عن شرح لغوي ادبي لخطبة « مختصر » الشيخ خليل ابن اسحق الجندي (4) . وقد ابان مولاي عبد الحفيظ في كتابه هذا عن مقدرة علمية واطلاع واسع . يقع الكتاب في 118 صفحة من القطع الكبير ؛ وقد صدره بأبيات شعرية :



للأستاذ عبد الله العمري

الشعراء التعليميين ان تنظم فيه ، وتنسج على منواله لتقرب للافهام وتسهل للحفظ معارف متنوعة وعلومها جمة .

نبذة حياة :

وقبل الشروع في فتح الصفحة العلمية من حياة مولاي عبد الحفيظ الحافلة التي طواها الزمن منذ اكثر من ثلاثين عاما ... وقبل التحدث عن آثاره العلمية يجدر بنا ان نقول كلمة عابرة عن حياته مما يلقي بصيصا من نور على اتجاهه العلمي وشففه بالثقافة القراءانية.

ولد مولاي عبد الحفيظ بفاس - عاصمة المغرب السياسية آنذاك - وشاءت عناية والده ان ينشئه في احدى قبائل الجنوب المغربي : قبيلة بني عامر الواقعة جنوب غربي مراكش ، حيث استمتع الامير هناك بجو صحي بعيد عن ضوضاء المدينة ووخمها . وقد تربى مولاي عبد الحفيظ تربية الامراء ، ومهدت له جميع السبل لتلقي العلم ومخالطة العلماء ، وبذلك اشبع نهمه الروحي ملبا رغبته النفسية في تلقي العلم ، وحقق المعارف الجمة التي كانت منتشرة في عهده ، فاستوعبها .

يقول عن نفسه : « ... فاني منذ الشباب وقلبي مشتاق للعلم واهله من ذوي الالباب ، حتى

نعني بالسلطان العالم الشاعر مولاي عبد الحفيظ ابن مولاي الحسن (الاول) الذي تولى السلطنة واعتزلها في فترة قصيرة حاسمة من تاريخ المغرب الحديث . وان هذه الفترة القصيرة التي لا تتعدى خمس سنوات من حياته الطويلة التي استغرقت ثلاثة ارباع القرن (1) ، كانت حافلة بالاعمال والحوادث لدرجة قد تفري المرء بوضع صفر امام الخمسة فتصير خمسين ، اجل ، ان التاريخ احيانا ليسرع الخطى حتى يفرغ ما في جعبته من احداث جسام في بضع سنين ، مما لا يكاد يفعله في بضعة اجيال .

ولعل قلة من القراء هي التي تعرف - زيادة على ما تقدم - ما كان يحظى به مولاي عبد الحفيظ من خصائص علمية ، فقد كرس جزءا من حياته الحافلة لخدمة علوم القراءان ، ولديح نبى القراءان محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . وبهذه الاعمال التي سنتحدث عنها - فيما بعد - استحق عن جدارة لقب عالم السلاطين وسلطان العلماء في عصره ... ولعل قلة من القراء - ايضا - هي التي تعرف لمولاي عبد الحفيظ صفته الشعرية التي تفتح لها ذهنه ، وتفتقت عنها عبقريته ؛ فترك لنا ثروة هامة من الشعر ، والتعليمي منه بوجه خاص ، فنظم لنا علومها مختلفة في سلك من الوزن الشعري اللطيف الذي اعتادت كثرة

(1) ولد سنة 1280 هـ وتوفى يوم الاحد 22 محرم 1356 هـ ، اما السلطنة فتولاها حين بايعته مراكش في 6 رجب 1325 ، ثم فاس في 23 ذي القعدة 1925 ؛ ولكنه تنازل عنها في 28 شعبان 1330 هـ .

عبد الحفيظ بن الحسن نصره الله « ، وآخرها : « تمت 20 فعدة عام 1326 » ، قد تكون القصيدة بخط يد السلطان نفسه ، لست متأكدا من هذا ؛ على أنها ربما كانت بخط يد بعض الناسخين ، لاني أجد فيها بعض الاغلاط التي سائير الى بعضها والتي قد ينزه عنها شاعرنا ان لم تكن من سبق قلمه .

والقصيدة طويلة النفس . فهي تتألف من واحد وسبعين ومائة بيت ، والميزان الشعري الذي صب فيه الشاعر افكاره ليس بحر الرجز الذي عودنا ان يطرقه في منظوماته . والذي يصلح كثيرا للشعر التعليمي والذي ينعتة البعض بأنه حمار الشعراء ؛ وانما القصيدة من بحر آخر هو « الطويل » وهي لامية الروى .

يدو الشاعر هنا اتباعيا (كلاسيكيا) وهذا شيء طبيعي في سلطان مغربي عاش في بيئة مغربية محافظة . وظل يعتز بمغربيته حتى في أخرج الظروف حين قال : « انني أمتل شعبا لم يكن مستعمرا قط . لم يكن قط ، جسا خاضعا خنوعا بل شعبا صالحا نافعا ؛ انني أمتل ممثلة ظلت مستقلة عبر قرون واجيال (5) » .

وعلى الرغم من كلاسيكية الشاعر فإنه لم يفتح قصيدته بمقدمة طلبية أو غزلية بالمعنى المتعارف لدى شعراء العرب القدامى ؛ وانما هجم على موضوعه أو اغراضه التي كان يهدف الى طرقها هجوما خاطفا مباشرا . على ان من الممكن اعتبار ذلك الحوار الطويل بينه وبين من سماها « ربة الجهل » بمثابة مقدمة طويلة . تسودها روح الحجاج والجدال بالتسي هي أحسن . وتشتمل منها رائحة الغزل في مثل هذا البيت :

فلما بدت مني القوافي تواجدت
وكان لها وجه أغر محجل

كما يمكن اعتبار مديح النبي غرضا رئيسا في القصيدة ، وما عداها مقدمة له بما في ذلك مديح السلف الصالح . وفي هذه الحالة تكون المقدمة اطول .

بم اننا نرى مولاي عبد الحفيظ يعتمد في هذه القصيدة الى جزالة اللفظ . واختيار مفردات عويصة . قد تكون بعيدة عن الاستعمال - ليجره للقارئ عن مدى ما يتمتع به من مقدرة لغوية فائقة . وتفنن في التعبير سليم : بيد ان الجري وراء الحوشي من الالفاظ ، قد يشده شدا الى التفصح والتقعر والتعقيد أحيانا . كما قد يجره الى القموض وخفاء المعنى أو تعامته أحيانا أخرى .

ولا يمكن ان نستوفي جو القصيدة حقها من الكلام ما لم نتطرق الى تحليل القصيدة والبحث من معانيها وأهدافها الأساسية التي يمكن اجمالها في الآتسي :

أ - حوار Dialogue طويل بينه وبين « ربة الجهل » التي تحته على ترك العلم ، والاهتمام بغيره من شؤون الحياة ؛ بينما نراه يسعى جاهدا لاقتناعها ، فيدافع عن فكرته او وجهة نظره في الاشتغال بالعلم ، ووجوب العمل على ترويجه ، وأخيرا يقنعها فتقتنع وتحته على ممارسة العلم ودراسته في كل محفل .

ولا ندري من ربة الجهل هذه ؟ انما الشاعر يخاطبها أحيانا بـ « ابنة العم » وتارة يسميها بـ « مي » وتارة أخرى يدعوها « سلمى » . ولنا نعتقد أن هناك شخصية حقيقية معينة تحمل هذا الاسم او ذلك ؛ ولكن الشاعر - عن طريق التجريد والتمثيل - رسم لنا هذه الشخصية الخيالية لترمز الى واحد او واحدة من أولئك الذين يخالطون المشتغل بالعلم ويخالطهم ، ويلاحظون ما هو عليه من شقاء البحث ، والبعد عن شؤون الحياة . فيلومونه - آنا - على طول الاهتمام والاستغراق في العلم ؛ وقد يغالون - آنا آخر - في لومهم فيجرون مقارنة بين مخاطبهم وبين بعض ذوي الحظوة والجاه . فيذكرون له اقبال الدنيا على هؤلاء الجهلة المحظوظين رغم انصرافهم عن العلم ودرسه ، وعدم الكد والجهد والتعب والنصب ، مثلما يعانيه هو في الحياة .

ب - تمجيد العلم وتكريم العلماء ، وحث طلاب العلم على تحمل كل المشاق في سبيل طلبه ... ولا شك ان شاعرنا هنا انما يحاول أن يعطي درسا عمليا لشعبه الذي انحرف بعض أفراده عن طريق العلم ، فحثهم بهذه الوسيلة على ممارسته ودراسته ، مبينا ان مغريات الجهل قد تفوق المشجعات على العلم . ولكن الحق والفضيلة والخير والجمال وسائر المثل العليا انما تنتصر في النهاية . كما ان الرقي والتقدم والكمال الانساني الممكن . خصائص ومميزات تكمن وراء النهل والعلل من ينابيع العلم الثرة .

ج - نقد الحالة العلمية التي تردت فيها بلاده ؛ فتصدي للتعليم من هو ليس أهلا له ، وساد المغرب جهال .

كتاب « السلسيل » شفا علي
ونيل المرتجى يشفي غليلي
وكنز الفضل من درر احتسابي
ومفتاح المواهب من « خليل »
فبالنفس النفيسة خذه ذخرا
ونورا في الهداية عن دليل

2 - ومن مؤلفاته النثرية كتاب : كشف القناع

عن اعتقاد طوائف الابتداع . وهو مطبوع أيضا ، لكني
لم أقف عليه ، فلا أدري حجمه . وقد ألفه السلطان
الراحل في الرد على بعض المبتدعة من متصوفة زمانه .
ج - اراجيزة : ونظم مولاي عبد الحفيظ عدة
منظومات وارجيز في فروع من المعرفة مختلفة ، وفي
فنون من القول جميلة ، وهي حسب الحجم وعدد
الابيات كما يلي :

| اسم الأرجوزة | عدد صفحاتها | مجموع أبياتها | التعليق |
|---|-------------|---------------|--|
| ياقوتة الحكام في مسائل القضا والاحكام | 123 | 2.438 | جيلة الفائدة تهم طلاب الشريعة ورجال القضاء والقانون . |
| الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع | 108 | 2.111 | جيلة الفائدة تهم طلاب الشريعة واصول الدين |
| نظم مصطلح الحديث : | 109 | 2.074 | ينم عن ثقافة واسعة في علوم الحديث ، ويهم طلاب الحديث وعلماءه . |
| نيل النجاح والفلاح ، في علم ما به القراءان لاح | 102 | 2.035 | منظومة في علوم البلاغة تهم طلاب اللغة وآدابها والمتفغين بالنقد الادبي . |
| المجموع الكلي : | 442 | 8.658 | مجهود أدبي ضخم بالنسبة لأمير مطوق براجبات سياسية واجتماعية عديدة . |

3 - ما احسه في الطلبة وشيوخ العلم من حاجة
ماسة الى توفير مختلف المراجع في فنون معينة .

4 - ما كان يحسه كثير من معاصريه - والمصلحين
منهم خاصة - من ان العلم في طريقه الى الانقراض ؛
ولذا عمد الى عدة علوم فنظمها شعرا كي يسهل حفظها،
ويسهل نطاق تداولها بين عشاق المعرفة من مواطنيه .

5 - الرغبة في الانتاج وافادة الناس بعلمه : فان
العالم الذي لا يعمل ولا يفيد ، كالجاهل سواء بسواء ؛
وان العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر ... هذا وجميع
هذه الارجيز مطبوعة بالمطبعة الملووية بفاس سنة
1327 هـ .

ثانيا - في مديح نبي القراءان الكريم :

ويشمل هذا القسم من آثار مولاي عبد الحفيظ
قصيدة طويلة عثرت عليها مؤخرا ، واود ان اتحدث
عنها لقراء مجلة (دعوة الحق) القراء في هذا العدد
الخاص ؛ استجابة لرغبة كريمة اعتر بتليتها .

جو القصيدة : كتبت القصيدة بخط مغربي
متوسط الجمال ، لاتحمل عنوانا وانما اولها : « ملولانا

ولعل اهم الدوافع التي دفعت مولاي عبد الحفيظ
الى خوض غمار المعارف ونظمها بهذا الشكل ما يلي :

1 - المهوبة الشعرية التي كان يتمتع بها . فان
صاحب المهوبة لا يمكن ان يخفيها « وان خالها تخفى
على الناس تعلم » لانها لا تلبث ان تعلن عن نفسها
بنفسها . قد يقال : ان هذا نظم لا شعر ؛ والنظم قد
لا يحتاج الى مهوبة كبيرة . والجواب : ان كلاما من
الناظم والشاعر يفترق من معين واحد ، والذي ينظم
الشعر يستطيع ان يقرضه ، ويعجبني هنا بيتان
اوردهما شاعرنا في اول صفحة من صفحات « نظم
مصطلح الحديث » ، قال يصف « النظم » :

ردت فصاحته ورقة لفظه

وحش الكلام او انسا بخطابه

كالنحل يرعى المر من نبت الربى

فيصير شهدا في طريق رضابه

اليس هذا خيال شاعر اصيل ؟

2 - ثقافته الواسعة : وخاصة في علوم الشريعة
 واصول الدين ، وفي علوم الحديث وعلم اللغة وآدابها .

الى غير من تهوى وتعلم ينقل ؟
رضينا بذل العلم يامى فى السورى
ولو ان ما فى الجيب مزجى مقلل
اذا اجتمع الاقوام يوما بمجلس
علا النور من قد كان للعلم يبذل
اذا ما بدا من مشكل القول معضل
يصول به فحل من القوم عهبل (13)
ويحرمه القدم (14) الضلول جهالة
وقد حال دون الفهم جهل عقنقل (15)
بلى ؛ كل علم من علوم كتابنا
تجاذبه م (16) الجهل من هو اجهل
بحار بها من كان بالعلم وصفه
فكيف جهول ذو اذليل ائول (17) ؟
اسلمى ؛ تولى النشر والطى محنة
من الناس فى ذا الجيل من هو برعل (18)
وبعد ان يمعن شاعرنا فى وصف سوء الحالة التي
وصلت اليها بلاده ، نادبا حظ العلوم ، والحديث ،
والبيان ، واصلول الفقه ، وفروعه ، والقواعد ،
والتفسير ، والمنطق ، يقول :
ومن يدعي بالزور ما ليس عالما
به ، فادعاء القول - يامى - فهلل (19)
تولى ركاب العلم فى كل منزل
من الناس يلهو بالمناصب حفل (20)
وهنا يفحم الشاعر « ربة الجهل » فتستلم
قائلة :

هنالك قالت : ان للعلم منزلا
وان شؤون العلم فى الناس تفضل
الا بئس مال كان وصف رجاله
ذميما ، وهم فى الناس غوغاء جهل
عليك بدرس العلم فى كل محفل
وجاهد ؛ فخير الخير خير معجل
وهنا يحتفل الشاعر بانتصاره ، ويفخر بقوة
حجته ، ويتعالى على محاججته فيهددها قائلا :
فقلت لها : لولا مقال مهذب
ورجمى تبين الحق ، والحق اعدل
لكانت جنود القول منى بسلا
يلاطمها جند لدى الحرب عزل
لها فى الوغى يوم اللقاء شهامة
ومن بأسها (21) يخشى اللبيب ويذهل
اذا ما اتت يوما لحي تراههم
عن النطق منها عاجزين واجبلوا (22)
كان لسان القوم عن رد قولها
عديم ، وما يرجو العديم المؤمل ؟
وبعد ان يسترسل فى الفخر تقترح عليه سلمى
ان يتوجه بشعره لتمجيد السلف الصالح فيقول :
فلما بدت منى القوافى تواجدت
وكان لها وجه اغر محجل :
الا فليؤم الشعر منك - كرامة -
اناسا مضوا فى السالفين ويجلوا
فيجيبها قائلا :

- (13) فحل عهبل : قوي يعترف الناس بفحولته وفضله .
(14) فى الاصل : الفدح ، ولعلها تحريف عن القدم وهي العيبى عن الكلام فى رخاوة وقلة فهم .
(15) عقنقل : كبير واسع .
(16) م الجهل : على لغة خثعم وزبيد فى حذف نون (من) الجارة .
(17) ائول : مجنون احمق او بطي النصر والخير ، فى الاصل ورد الشطر هكذا : فكيف الجهول ذو الافاضل الاثول ؟
واصلحناه من اجل الوزن .
(18) برعل (كقنفذ) : ولد الضبع او ولد الوبر من ابن آوى . والمراد ان متصرفى هذا الجيل احط الناس
قيمة .
(19) فهلل (كجعفر) : من اسماء الباطل .
(20) فى الاصل ورد الشطر هكذا : من الناس يلهوا من
ان « حصقل » التي لم نعثر لها على معنى - ،
شيء ؛ او محرفة عن حصقل (كزبرج ايضا) :
بمعنى الصغير من ولد كل شيء .
(21) فى الاصل : بؤسها ، والصواب ما اثبتناه .
(22) اجبلوا : من اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول .

د - الفخر وهو تلك الصفة التي تجعل العالم يذكر خير ربه ، حين يتحدث عن نعمته التي انعم بها عليه ؛ تحقيقاً لقوله تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث »

هـ - ويتخلص الشاعر من كل ذلك بلطف الى الحديث عن الاراضي المقدسة مهبط الوحي وموطن الهدى والرشاد ، ومبعث الحضارة الاسلامية الخالدة ، ويشني على السلف الصالح ثناء عاطراً .

و - واخيراً يخلص الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ذاكراً لمميزاته الخلقية والخلقية ، وفضله على سائر المرسلين ، ومثيراً الى وحيه المقدس وشريعته السمحة وسائر معجزاته الخالدة . كل ذلك في نفس طويل لا يحد منه كلال او تعب . ويظهر من خاتمة القصيدة ان الباعث عليها ربما كان مرضاً ألم بالشاعر ، فنذر ان يمدح بها النبي (ص) لتقضى بها رغبته في الشفاء العاجل . ويظهر ان امله قد تحقق فشفي من المرض ، ونال السرور الذي يجعله دائم اللجوء الى باب المصطفى الكريم ، يطرقتها ولا يتحول عنها ابد الدهر ، سواء في الصحة ام المرض ، في السراء ام الضراء .

منتخبات من القصيدة :

ولا يمكنني هنا ان انشر القصيدة قضا وقضيضها لاسباب اهمها ضيق الوقت والمجال . وانما اكتفي بنشر منتخبات منها تعبر عن نفسية سلطاننا الاسبق ، وتجلو لنا بعضاً من صفاته الشعرية .

قال رحمه الله :

اناخت ببالي ربة الجهل تسأل
وابدت امورا ربما العقل يقبل

الى ان قال :

ا اترك علماً زاد قلبي صباوبة
واشغلت فيه الفكر منذ كنت اعقل
والهو (12) بفلس كبه عن عجالة

* * *

(6) تدال : تعدو عدوا متقارباً ، او تمشي مشياً نشيطاً .

(7) اوغلوا : بالغوا وابعدوا في الحب . في الاصل : اوغل بصيفة تفضيل من الثلاثي وغل بمعنى دخل في الحب ؛ وليس مراداً .

(8) تمالأوا : بضمير الجمع لا التثنية على اعتبار ان كلا من الشخصين يمثل فوجاً او فريقاً من الناس على حد قوله تعالى : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » . تمولوا : اقتنوا المال ، او كثر مالهم . في الاصل تبطل .

(9) ليجهلوا : ليعنفوا ، فلا يحلموا بالناس ولا يرفقوا بالعلماء .

(10) الميل : المائلون عن جادة الصواب ، ونصب الشاعر الفاعل هنا ورفع المفعول جرياً على قاعدة تقارض اللفظين في الاحكام اذا امن اللبس ، كما في قولهم : خرق الثوب المسمار ، وكسر الزجاج الحجر ؛ مع ان المسمار هو الذي خرق ، والحجر هو الذي كسر .

(12) في الاصل : الهوا .

ولا علموا وحيا تقادم عهد
ولا ما حوى ذاك الكتاب المنزل

* * *

علونا على الاقوام بالوحي اذ غدا
بطيبة يعلو جبرئيل وينزل

* * *

طعنا العلى حتى تعاظم قدرنا
وكانت لنا عيشا ، وانه دغفل (36)

ويسترسل مولاي عبد الحفيظ في تمجيد
الرسول الاعظم الى ان يوجه اليه الخطاب قائلا :

تفتت بمدح القول فيك ربيعة
فحتت ، وغتتك الجنون وبجلوا
فانت الذي عم الخليفة بعثه
وقلبك ما عم البرية مرسل
وانت الذي قد لاذ آدم باسمه
ولولاك اضحى امره وهو مشكل
وانت الذي اوتيت خير شفاعنة
اذا الرسل من يوم القيامة هللوا
تركت لنا ذين (37) الامانين مرهما :
بنوك الطهارى والكتاب المنزل
غرسنا لنا في الخير كل ارومة
فأضحى لنا في الناس مجد مؤئل

وبينت فينا ما شرعت من الهدى
فمنه لدينا مجمل ومفصل :
حديث وآى محكمات وسنة
فمن عنها يفدو عاديا فمفضل
فمبلغ علم المرء أنك خير ما
نبي سري ، والامام المفضل
ويطيل مولاي عبد الحفيظ في ذكر مغازي النبي
(ص) ومآثره وأخلاقه الكريمة السمحة ، ومقامه السامي
بين الانبياء والرسل عليهم السلام ، ثم يتوجه اليه
مادحا ومتوسلا الى ان يختم قائلا :

مدحت جنابا شامخا به ارتجى
مطالبنا تقضى ، وبرءا يعجل
واني اتاني الظن يخبر انها
أتاها قبول واضح ليس يجهل
فنلنا شفاء الجسم من كل علة
ونلنا سرورا دائما لا يزول
فانت ملاذ المستجير وانسي
ببابك - طول الدهر - لا انحول
ونحن بدورنا ، نلوذ - مع شاعرنا الراحل -
بحمى الرب العظيم ، وبجاه نبيه المصطفى الكريم ، في
هذه السنة المباركة سنة الاحتفال بمرور اربعة عشر
قرنا على بدء نزول القرآن المجيد ، معجزة الرسول
الخالدة ودستور المسلمين وامامهم في مشارق الارض
ومفاربها ، مؤملين أن يرزقنا جميعا الصحة والعافية
والهناء والسعادة وتحقيق الاماني ، وحسن الخاتمة
والسلام .

تطوان : عبد الله العمزاني

(36) دغفل (كجعفر) : وصف للميش بمعنى الواسع المخصب .

(37) في الاصل : (تلك) . ولا تطابق حينئذ بينها وبين (الامانين) بعدها . ولذا اصلحتها بكلمة (ذين)
ثنائية (ذا) اسم الاشارة ، وبذا حصل التطابق واستقام الوزن والمعنى .

شفقت بهم طفلا وكهلا وانسي
كذلك ، او يستكمل العمر نهضل (31)

* * *

بهم ارتجي كل المنى وما ربي
بهم ارتجي كل العلى ، اني حنثل (32)

* * *

اذا رضيت عني كرام عشيرتي
رضيت وما يرضيني - ياسلمى - عركل (33)
ثم يخلص الشاعر الى مدح الرسول الكريم عليه
الصلاة والسلام فيقول :

محمد خير المرسلين وجاهة
لدى ربه يوم المواقف جحفل (34)
نبي امين صادق ومصديق
رعوف رحيم خاتم ومبجل
كريم عظيم شافع ومشفع
سري وفي فاضل متفضل
تكامل خلقا ثم خلقا وانه
هو الليث والفيث الروى والهبركل (35)

تستر منه الحسن بالحسن فوقه
فلواه سترا لم يسعهم تحمل

فقلت : امهليني يا ابنة العم انسي
اذا ذكروا نجدا فاني افكل (23)
وان يعد قوم عن هواهم فان لي
بحبهم شأوا ، واتى قنثل (24)
ففي حى هذا القوم نفسي تطارحت
ولا ابتغي غيرا ، ولا انا قردل (25)

* * *

ولا في خبايا الود مني تخالف
ولا لي ماوى غيرهم متفزل
ولا لي رهط غيرهم به قربتي
تطيب وغير القوم عرفاء جبال (26)
ولا لي رهط غيرهم به غربتي
تطيب وغير القوم - يامى - قصل (27)
ولا ثثن عزمي عنهم ام قسطل
بلى ؛ انني اهدى اذا ضل قوقل (28)
ولا ثثن عزمي عنهم ام قشعم
ولو ان جيشها كماء و « قنبل » (29)

* * *

شفقت بهم طفلا وكهلا وانسي
ادين بدا لو ان عمري نهشل (30)

-
- (23) افكل : وردت في الاصل بضم الكاف ولعلها بمعنى افكل : اي احتفل واعتنى . ومن معانيها : رعدة
خوف او برد . وهي لقب الافوه الاودي ايضا .
- (24) قنثل (وزن زبرج) : وردت في القاموس المحيط بمعنى رقبة الفيل او المرأة القصيرة . وهكذا
يتصيد الشاعر الغريب حتى لا نجد المعنى الملائم .
- (25) قردل : لا وجود لهذه المادة في المعاجم التي بين ايدينا . ولعلها محرفة عن (قرزل) او (قلدل)
بمعنى اللثيم الخسيس .
- (26) جبال (معرفة بغير ال وقد تدخل عليها) : الضبع . وعرفاء : صفة بمعنى كثيرة شعر الرقبة .
وتطلق ايضا على الضبع .
- (27) قصل (كقنفذ) : اللثيم ، وتوجد فصمل (بالفاء وبنفس المعنى) فهما لفتان فصيحتان .
- (28) ام قسطل : الداهية ، وقوقل (كجعفر) : ذكر القطا . ويضرب المثل باهتداء القطا في المجهل .
- (29) قنبل : جماعة الناس او الخيل ، ولعل المراد هنا مقابل اللفظ الاجنبى في الاصل :
« ولو ان جيشها » ولعل الصواب ما اثبتناه . وام قشعم هنا بمعنى الحرب .
- (30) نهشل : مسن مضطرب كبيرا .
- (31) نهضل : رجل مسن هرم .
- (32) حنثل : ضعيف .
- (33) عركل : العركل الدف والطبل ، والمراد هنا . اللهو واللعب ، في الاصل : رضيت وما يرضين ... الخ
والصواب ما اثبتناه .
- (34) جحفل : رجل جحفل عظيم القدر كريم .
- (35) الهبركل (كسفرجل) : الشاب الحسن الجسم .

حيث عاصمته (عروس المغرب) طنجة . هكذا توالى افواج الهداة والقراء عبر التاريخ ترد على المغرب رغبة في تعليمه وتنقيفه وبث آي القرآن في صدور ابنائه دولة تلو أخرى الى ان اتى الله بالدولة العلوية الشريفة ، فكان حظها في نشر الكتاب وفتح معاهده ، واختيار ملقنيه اوفر نصيبا ، وأسمى عناية ، فقد عنيت برواتب قراء احزابه بالمساجد صباح مساء ، فضلا عما كان يحبس به بعض الموفقين من ابناء المغرب على مجوده ومحسنى تلاوته في ايام معينة خاصة ايام رمضان ، حيث يقطعون لياليه المشهودة في تراويحه، حتى ان من المحسنين من يفتحون بيوتهم في رمضان لحفاظ الكتاب الكريم فنختم بمنازلهم ختمات يغتنمون فضائلها كاسرهم مستمعين لآي الذكر الحكيم تتردد في اركان بيوتهم وقد تآثروا بها راكعين ساجدين ، خاضعين متضرعين الى منزله وحافظه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .

واذا علمنا ان القراء انزل على سبعة احرف - وحملناها على القراءات السبع - فللمقاربة في استظهار القراء باحرفه ورواياته قصب السبق والبد الطولى في تحمل هذه الروايات بالاخص السبع منها - رواية نافع - وابن كثير - وابو عمرو البصري، وابن عامر ، وعلي الكسائي ، وعاصم ، وحزمة .

وكانت قراءة المغاربة للعهد الاولى برواية حمزة وحرفه ، ولما رحل محمد بن خيرون الاندلسي الاصل، القيرواني الدار الى الشرق صدر المائة الرابعة - حمل الى المغرب قراءة نافع المدني شيخ مالك امام دار الهجرة (وجاره في تراب البقيع) بالمدينة المنورة .

نعم اختار اهل المغرب قراءة احد راويه - ابي سعيد عثمان المصري الملقب بورش (1) . ولم يمنع هذا ان تعاطي المغاربة دراسة باقي الروايات السبع بل العشر - فقد اعتنت دولتنا العلوية الشريفة بتهيء مدارس وزوايا لدراسة القراء برواياته واحرفه في عدة نواحي ، فتلك زاوية سيدي زوين - وزاوية

زرهون (مدفن المولى ادريس الاكبر - الفاتح) وسواها من الزوايا والكتاتيب المنتشرة في السهول والجبال التي اسست على بث القراء في الناشئين على اختلاف رواياته فضلا عن الدراسات القرائية التي كانت تعج بها المساجد بالاخص كلية القرويين - ما شئت من دراسة منظومات ابن بر الرباطي التازي (2) وابي الخير شمس الدين محمد الجزري - ولامية ابي محمد قاسم الرعيني الشاطبي وسواها من المصنفات في الفن الذي وجد تشجيعا على السير قدما تدرسا وتأليفا حيث انبرى لذلك جمهرة من علماء المغرب كأبي عبد الله محمد (3) بن ابي جمعة الهبطي فاعتنى بوضع وقف آيات الكتاب الذي جرى عليه اهل المغرب ، نعم وقع له شيء خفيف في بعض الوقفات ، ذلك ما حفز العلامة الصوفي محمد بن المهدي بن احمد الفاسي (شارح دليل الخيرات) - لوضع رسالة ضمنها احكام تلك المواضيع سماها : « الدرة الفراء في قف القراء » كما الف في الموضوع تأليفا مستقلا الاستاذ محمد بن عبد السلام الفاسي ، وقد اخبر الاستاذ محمد المعاشي شيخ شيخنا المحدث الكبير ابي شعيب الدكالي المرحوم الاستاذ المكي بريش قائلا : كان بدكالة 18 استاذ يدرسون الجعبري (4) .

ومن رجالات الفن ورواده المقاربة - الشريف الاستاذ شيخ القراء في عصره ت 1257 - 1841 ابو العلاء ادريس ابن عبد الله الودغيري الحسني الشهير بالبكراوي ، كان مجودا للقراءة لا يضارعه احد في التجويد ، واليه المرجع في علوم القراءة اخذها عن الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي صاحب الحاشية على الجعبري على الشاطبية عن الاستاذ عبد الرحمن (5) المنجرة عن والده ادريس ؛ ومن مؤلفات الشيخ المنجرة هذا - شرحه ، نظم السجلماسي في الهمز وكيف يوقف عليه .

وقد لا يبعد ان تكون هذه الاستاذية تسلسلت منحدره من ابي الحسن على بن عيسى الراشدي استاذ القراءات في الدولة السعدية - وقواعد اللفظة

- 1) رحل من مصر الى المدينة سنة 155 وقرأ على نافع ختمات ورجع الى مصر حيث انتهت اليه رئاسة الاقراء بها .
- 2) نسبة الى رباط تازا - عتبة المغرب ، احد كتاب الدولة المرينية .
- 3) توفى سنة 1135 .
- 4) وهذه الظاهرة وحدها تدل القارئ على النهضة العلمية القرائية التي كان يتوفر عليها المغرب في ناحية من نواحيه فكيف الى آخره ؟ .
- 5) تاريخ 1179 هـ .

في نشر الكتاب

الرسالة العلمية

المجلد

المؤلف: عبد الله الجباري

ومن وراء هذه الحالة الخالدة ، والانبعث
الجديد ، والطفرة الموفقة التي كان الفوز فيها حليف
المقاربة اذ فكر المسلمون وبناة قواعد الدين تفكيراً جدياً
في اخوانهم البرابرة من الناحية الثقافية او التعليمية
بتعبير أوضح حسب الوضعية التي كانوا عليها لاول
عهدهم بالاسلام حيث جاء التعرف بدينه الحنيف
وتفهمه ، وتعلم لفته .

وكان من الطاف الله تعالى - ان الهم الخليفة
العادل عمر بن عبد العزيز - فبادر رحمة الله عليه
للامر بتعليم البربر الاسلام بمجرد جلوسه على عرش
الخلافة سنة 99 - 717 م فوجه عشرة من التابعين
وصلاح العرب لتعريف الناس بأمر دينهم ، وكان من
بين هؤلاء المعلمين حبان بن ابي جيلة .

ولم يكن للراغبين في الاسلام من اهل المغرب مفر
من اللجوء في تعرف امور الدين الى العرب رسل
الرسالة ، وهداة الشعوب .

فهذا القائد موسى بن نصير الوارد على المغرب
بعد حسان بن النعمان سنة 87 - 705 . اهتم اهتماماً
كبيراً بالزيادة في نشر الدين واللغة العربية ، ورتب
طائفة من العرب ليعلموا البربر القرآن (1) وفرائض
الاسلام ، وادخل في حظيرة الاسلام والعروبة اصقاعاً
شاسعة بالمغرب الاقصى ، وجعل مولاه طارقاً عليه

العناية بكتاب الله تعالى شيء قد لا يحتاج الى
بحث وتدليل . انه امر اصبح بين المسلمين فطرياً
ينشأون عليه منذ الطفولة الاولى - من فجر نزوله الى
حد الساعة والى ما شاء الله خلوده ، حيث يطلقاه
الخلف عن السلف استظهاراً في الصدور ، مؤمنين بما
ورد عن الرسول الاكرم في حامله من فضل - فعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « اشرف امتي حملة القرآن
واسحاب الليل » كذا رواه البيهقي في شعب الايمان
وفيه ايضا : ثلاثة لا يكثرثون للحساب ، ولا تفزعهم
الصيحة . ولا يحزنهم الفرع الاكبر - حامل القرآن
بؤدبه الى الله . يقدم على ربه سيداً شريفاً حتى يرافق
المرسلين . الحديث . وروى البخاري في صحيحه عن
عثمان بن عفان رضي الله عنه . ونصه : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن
وعلمه » .

وكان الامام ابو عبد الرحمن السلمي التابعي
الجليل يقول لما يروي هذا الحديث عن عثمان : هذا
الذي اقعدي مقعدي هذا - يشير الى كونه جالساً في
المسجد الجامع في الكوفة يعلم القرآن ويقرئه مع
جلالة قدره . وكثرة علمه ، وحاجة الناس الى علمه ،
وبقى يقرئ الناس بجامع الكوفة اكثر من اربعين سنة
وعليه قرأ الحسن والحسين رضي الله عنهما .

1 - على نحو ما كان في الشرق ومهبط الوحي .

عبد المل

للشاعر المدني الحمراوي

من لحنه منبع الالهام ينفجر
وكل فكر بما توحيه يعتبر
للعرش والشعب فيه موقف عطر
يصدق السمع فيه ما يرى البصر
حياته نعم للشعب تدخر
فانه نعمة جلى لها خطر
انا بموقفه المشهور نفتخر
تحت النعال وكان الحق يندحر
الى مفاخرها ما فاتته بشعر
وسل عزما الى العليا يبتدر
من منجزات له في الحكم تشتهر
فكل ساعاته في الكد تنحصر
فلا تثبطه الاتعاب والسهر
وعن مشاكلها ما صده ضجر
ومن تواريخها لعقله عبر
وهمها همه ففيه ينصهر
بفيض راحته في العسر تنجبر

ذكرى جلوسك في أعماقنا وتر
فكل روح بها هامت مدلهمة
عيد على أفقنا لاحت بشائره
آمال أمتنا به معلقة
عرش مفاخره في الدهر خالدة
ولا كنعته البيضاء في حسن
جلت به نعمة سبحان واهبها
لولا شهامته كانت كرامتنا
لكنه أبدا سباق أمته
تحمل العبء في حزم فقام به
فكان ما أوقف الدنيا وأقعد لها
طوى مراحل لم يحلم بها أحد
وأسرع الخطو في انهاض أمته
يجب أمته فاضت قريحته
ومن حضارتها الهام فكرته
ومن تقاليدها يسقى مشاعره
أخ لها وأب في كل نائبة

والادب - استهمل عمله العلمي في فاس بتدريس الكرايس - المنظومات الاولية المتعلقة بضبط القرآن ورسمه وتجويده ، ثم اسند اليه كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء .

والدولة العلية بالله لا تألو جهدا في النهوض بالميدان العلمي خاصة القرآن وعلومه ، فقد رتبست جماعة من حفاظه لقراءة الحزب يوميا بالروايات السبع - بفاس ومكناس والرباط - ادرکنا طائفة من المهرة فيها يقرأون الحزب بالاحرف السبعة عقب صلاة العصر بالزاوية الرحمانية بالرباط ، هم : الاساتذة : محمد المهدي متجنوش ، والعربي الزناتي ، وصالح بن عسيلة الضريبن ، ومحمد المدور ، ومحمد الشاذلي ، والمكي ابن احمد بريش . (1) رحم الله الجميع .

ومما انتجته تلك التلاوة الجماعية بالروايات ان قامت هيئة من طلبة الرباط وعلى راسها الاستاذ المرحوم المكي بريش المذكور ، فطلبت من شيخنا الحافظ ابي شعيب الدكالي ان يدرس معها لامية الشاطبي وفعلا اجاب الرغبة وقرأها معهم بشرح المقرئ ابن القاصح بالزاوية الناصرية التي كانت بها جل دروسه (2) .

ومن مبرات الدولة وتوقيعها لحاملي القرآن لا سيما دارسيه بالسبع او العشر اعفاؤهم من التكاليف والمشاق كيفما كان نوعها اعتبارا لاصطفائهم وامتيازهم عن الغير (3) ، وقد تجلى هذا المدلول في عصر الحسن الاول قدس الله روحه ، بل كان نفس المعنى يشمل علية العلماء وحفاظ كبريات المتون العلمية ، كمختصر الشيخ خليل .

وقد يبدو ان ذلك منهم كان علاوة على الاحترام تنشيطا لهم على اداء رسالة التبليغ في انشراح وبعد عن كل ما يمكنه ان يشغل الفكر ويقف حجر عثرة في السير المنتظم الرتيب حفاظا على هذا القطاع الثقافي المقدس .

فكان ملوك الدولة ينظرون بعيدا الى المرافق من جميع جوانبها واضعين الاشياء موضعها حيث يسود الاستقرار والطمأنينة ؛ ومن العناية التي جلبوا عليها

انهم كانوا يختارون للتراويح في رمضان حفاظا مهرة في القرآن وتجويده من الرباط وسلاطون ليالي رمضان .

وان يفتخر المغرب اليوم رافعا راسه بين بقية الامم الاسلامية ومحلقا في اجواء العناية الربانية - فليفتخر بالذكرى المقدسة التي اقامها الملك العظيم الحسن الثاني ايده الله في رمضان (1387 - 1968) « ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن » .

فالقى حفظه الله ليلة القدر بعد صلاة العشاء بمسجد اهل فاس قرب القصر - خطابا قيما حضره اعضاء الدولة ، والسفراء المسلمون . وعلماء الشعب والعلماء المدعوون من سائر الاقطار الاسلامية .

ذكرى هزت النفوس . واحيت القلوب - فامتاز رمضان المارك باشرافاتها مما لم يسبق له نظير فيما عشناه وعهدناه .

فقد لعبت آيات الكتاب المبين في الصدور . ودوت رنات الوحي في اعماق المؤمنين . ونسعت الانوار في الاركان . وتمنى كل مسلم لو تطول تلك الايام ويمتد زمان رمضان اكثر - فصلا عن الدروس السلطانية التي كان راسها الحرس الباني حفظه الله وعلاوة على المهرجانات الاخرى التي اقيمت كارهات لذكري . وما كانت تمنح به المساحد والاندبة من دروس ومحاضرات ؛ وقد لا ينسى التاريخ الكلمات الارتجالية التي فاد بها الملك العظيم حفظه الله - كاجابة عن تهنئة علماء الاسلام له بمناسبة عيد الفطر السعيد التي كانت كلها توجيهات ناهضة محركة تقبض صدقا وایمانا جاء فيها :

« جهادنا - هو العمل على ان يصبر كتاب الله عملة خلقية وانسانية وقانونية » .

والقد تفضل حضرة وزير التربية الوطنية اخونا الاستاذ السيد عبد الهادي بوطالب - فتحدث عن المهرجانات والذكريات التي اقيمت في رمضان (1387 - 1968) محللا ما احتوته من مفاهيم ومدلولات بواسطة التلفزة ، بما بشفي ويكفي .

الرباط : عبد الله الجراي

1) اخذ عنه الكاتب القرآن برواية ابن كثير ، واجازه بما اجيز به من طرف الاستاذ محمد المهدي متجنوش .

2) ولاحظ أثناء دروسه ملاحظات على وقفات الشيخ الهبطي المشار اليه في صلب الكلمة لا اطليل بذكرها .

3) يقول الله تعالى في سورة فاطر الاية 32 : « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » ، الاية .

أبو عبد الله الهبطي واضع وقف القرآن بالمغرب

للأستاذ سعيد أعراب

وجبال الهبط في هذا الظرف بالذات ، كانت مزدهرة بعلم القراءات وشيوخ الروايات ؛ وكل ما نستطيع ان نقول ، انه دخل الكتاب على عادة ابناء البادية ، فحفظ القراءان وجوده ؛ ثم رحل الى فاس ، فأخذ عن علمائها ومشايخها ؛ وهنا تطبق كتب التراجم بالصمت ، فلا تذكر من شيوخ الهبطي الا ابن غازي ، كشيخ له في القراءات ؛ والواقع ان الهبطي اخذ عن عدد وافر من رجالات الفقه والعربية ، والحديث والتفسير ، وعلم القراءات ، وربما كان ابن غازي آخر من اخذ عنهم من كبار شيوخ فاس ، كما انها لا تذكر من تلاميذ الهبطي ، الا ابا عبد الله محمد بن علي بن عدة الاندلسي ، وهم : - في الحقيقة - جم غفير لا يكادون يحصون كثرة ؛ فالرجل سلخ الشطر الاكبر من حياته في تعليم القراءان ، وتلقين رواياته ، وقد طال عمره فالحق الاحفاد بالاجداد .

عاش ابو عبد الله الهبطي العصر الوطاسي ، وفاس لهذا العهد ، قد جمعت بين محاسن الشرق والغرب ، تعج برجال الفكر ، يتقاطرون عليها من كل حذب وصوب .

ويحدثنا في هذا الصدد ابو الحسن بن ميمون (ت 917) فيقول : « اني ما رايت مثلاً ومثل علمائها في تلمسان وبجاية ، واقليم الشام بأسره ، وبلاد الحجاز ومصر » . ويقول : انه ما رأى مثلاً ومثلاً علمائها في غزارة الحفظ لنصوص المذهب ونصوص كل علم من العلوم » .

وكانت علوم القراءان ، تكاد تطفئ على كل علم ، فقلما تجد عالماً ليس له حظ من علم القراءات ، بل كان هناك مختصون ، لا يزاولون سواها من العلوم ؛ وابو عبد الله الهبطي من هذا القبيل ، فقد كرس حياته

امتاز المغاربة - منذ قديم - بحفظ القراءان وتجويده واتقانه ، وعنوا عناية خاصة بقراءاته ، ومعرفة وجوه رواياته ؛ وسيطروا على هذا الميدان سيطرة تامة ، حتى لا يكاد يشاركهم فيها سواهم ، ولا سيما في العصور المتأخرة ، فقد كان في كل بلد مدرسة ، وفي كل مكان امام يرجع اليه .

وخلفوا ثروة هائلة ، اخذت جانباً كبيراً في المكتبة المغربية .

وللاسف ، فقد أفل نجم هذا الفن ، ودالت دولته ؛ والذي يحز في النفس ، ويبحث على الاسى والحسرة ؛ ان يضيع هذا التراث الضخم ، ولا يحظى بأي اهتمام من رجال الفكر واهل البحث .

وقد حاولت منذ مدة ، ان اضع فهرساً للمكتبة القرائية بالمغرب ؛ وجردت من ذلك ما يشبه ان يكون معجماً للقراء المغاربة عبر عصور التاريخ .

ولمناسبة مرور اربعة عشر قرناً على نزول القراءان العظيم ، وقد توج هذه الذكرى صدور « مصحف الحسن الثاني » في حلتة القشيبية ، واخراجه البديع - احببت ان اتحدث عن امام من ائمة هذا الفن ، كرس حياته لخدمة القراءان ، فأصبح الامام المقتدى به في افريقيا كلها ؛ ذلك هو ابو عبد الله محمد بن ابي جمعة الهبطي السمات ، واضع وقف المصحف المغربي .

ولد ابو عبد الله الهبطي في حدود منتصف القرن التاسع الهجري ، بقرية اهباطة من قبيلة سماتة ، احدى قبائل شمال المغرب ، على بعد نحو 50 كيلو متراً من مدينة العرائش ، ونجهل كل شيء عن حياته الاولى ، فلا ندرى اين تعلم ؟ ولا على من اخذ ؟ .

فمحضته ولاء كله ثقة
إذا رأت شخصه فاضت مسرتها
وان يسافر تكن أرواحها رفقا
بذكره رصعت أشعار عزتها
وبين أضلعها صانت أريكته
مفاخر الحسن الثانى إذا ذكرت
به العروبة والاسلام قد رفعا
فعرشه لهما حصن إذا فزعا
عرش على أسس التقوى قوائمه
ما كان معتديا يوما على أحد
من بيت خير الورى حماة حوزته
هم المصابيح لا يخبو لها وهج
بشرى لامتنا بعرش دولتهم
ميراث أسرارهم أفضى الى حسن
الحلم شيمته والعدل سيرته

مولاي عشت لشعب أنت مهجته
وعاش شبلك فى ألطاف واهبه

وكله بعميق الحب ينهمر
وهنأت نفسها واحتاجت الفطر
وان يعد فكأن الحشر منحشر
وباسمه تتغنى البدو والحضر
قلوب أمته لعرشه أطر
فانها بحروف النور تستطر
رأسيهما فبدا ما كباد يندثر
وانه مطمح الاحرار والوزر
بسطوة الحق والاخلاص ينتصر
ولا تملكه بغى ولا بطر
على مناقبهم فى الفضل يقتصر
بهم تعطرت الاخبار والسيـر
فلن تخيب وآل المصطفى نصروا
لا غرو ان خصه بالرفعة القدر
والعلم رائده ونطقه درر

مؤيدا ومباركا لك العمر
وحقق الله ما ترجو وتنتظر

الرباط : المبنى الحماوى

فهو من رواية الاكابر عن الاصاغر المشهورة في علوم الحديث .

3 - ان النسخ التي بين ايدينا من وقف الهبطي، كلها تحمل عنوان « تقييد وقف الهبطي - لبعض تلاميذه » .

فالتقييد ليس من صنع الهبطي ، وانما هو من عمل بعض تلاميذه .

وقد وقفت على نسخة مهمة بالمكتبة العامة للمدينة المنورة ، بخط مغربي ، من اوقاف رباط سيدنا عثمان تحمل رقم 620 .

عليها تعاليق لبعض القراء المغاربة ، كالقدومي ، وابي علي الزياتي ، وابي العباس الصغير ، وابي فارس الزياتي ، ومحمد بن يوسف وابي القاسم ابن القاضي ؛ وهذه التعاليق تلقي اضواء كاشفة عن المصادر التي اعتمدها الهبطي في وقفه ، كوقف الداني ، والنحاس ، وابي بكر الانباري ، وما الى ذلك مما يبين وجهة نظره في المواضع التي انتقدت عليه وبعضها لم تثبت روايتها عنه ، ولم توجد في النسخ المنسوبة اليه كما تذكر هذه التعاليق .

ومن الذين الفوا في الموضوع ، وتتبعوا المواضع التي بدا لهم فيها ضعف وجهة نظره - ابو عبد الله محمد المهدي الفاسي (ت 1109) في كتابه (الدرر الفراء ، في وقف القراء) ، ولم اقف عليه . وكذلك ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي (ت 1214) في بعض مؤلفاته ، وقد قرأت فصولا منها - وهذا الاخير ينصف الهبطي كثيرا ، ويقدره قدره . وقد انشد في هذا الموضوع : « كفى المرء نبلا ان تعد معايبه » ومهما يكن من امر فان الامام الهبطي ، له فضل كبير على المدرسة القراءانية بالمغرب ، التي ظلت ثابتة الاركان شامخة البنيان ، قرونا واجيالا ؛ وصارعت الزمان في عصور حالكة ، كان صرح الاسلام فيها متصدعا ، وصوت الحق بها خافتا ؛ فلم يزل القراءان - ولله الحمد - الشغل الشاغل لاسلافنا رحمهم الله - محفوظا في صدورهم ، مكتوبا في مصاحفهم ، يتعلمونه صفارا ، ويرعونه كبارا ؛ سواء في ذلك ، الرجال والنساء ، والسوقة والامراء ؛ وتلك منقبة يفخر بها المغاربة على من سواهم ، وصدق الله العظيم : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » .

ولنا عودة الى الموضوع في فرصة اخرى بحول الله .

تطوان : سعيد اعراب

واخطا بعضهم فجعل تاريخ وفاته سنة 963 ظلنا منه انه هو الهبطي الصوفي ابو محمد دفين الواهف قرب شفشاون . كما توهم بعضهم انه الهبطي ابو عبد الله نجل الصوفي المذكور ، وكان قاضيا بفاس توفي سنة 1001 وهو دفين الزربطانة . ولا تعرف من آثار الهبطي مترجمنا - الا هذا الوقف الذي قيده عنه تلاميذه ، ولم يدونه في كتاب كما يتوهمه الكثيرون .

ولعل السبب في ذلك يرجع الى اهتمامه بالقراءان ، واشتغاله بتعليمه ، واخذ الناس عنه ، فلم يهتم بالتأليف ، ولا بأي علم من العلوم الاخرى . يرى عن ابي عبد الرحمان السلمي انه كان يحدث الناس بحديث عثمان بن عفان : « خيركم من تعلم القراءان وعلمه » ويقول هذا الذي اقمعني مقعدي هذا يشير الى كونه جالسا في المسجد الجامع بالكوفة ، يقريء الناس القراءان ويقراه ، مع جلالة قدره ، وحاجة الناس الى علمه ؛ وبقي يقريء الناس بجامع الكوفة اكثر من اربعين سنة ، وعليه قرا الحسن والحسين رضى الله عنهما .

وهنا يجب ان نشير الى خطأ وقع فيه بعض المؤرخين ، فقد ذكروا ان الهبطي اخذ الوقف عن ابن غازي ، وعنه قيده .

ومنشا الخطأ - فيما اعتقد - هذه العبارة التي وردت في نشر المثاني (ج 1 : 19) هكذا : « وهو (اي الهبطي) اخذ عن ابن غازي ، وعنه قيد الوقف » - اي عن الهبطي قيد الوقف بضم القاف وكسر الياء ، مبنيا للمجهول . وربما ذهب الوهم بالقاريء الى قراءته بفتح القاف والياء مبنيا للمعلوم - وهي قراءة غير صحيحة كما لا يخفى . ويؤيد ما ذهبنا اليه امور . :

1 - وردت نصوص توضح هذه العبارة بكل جلاء ، تجدها في شرح الدالية لابي زيد المنجرة ، والمحاذي لابن عبد السلام الفاسي ، والسلوة للكتاني ، وسواها .

2 - هناك رواية نقلها غير واحد ، تذكر ان السنوسي ورد على فاس وناظر الهبطي في الوقف الذي اسطلى عليه ، ثم اذعن واخذ عنه ، كما اشرنا الى ذلك انفا ؛ ومعلوم ان السنوسي توفي سنة (895) وهي السنة التي قدم فيها ابن غازي على فاس واستوطنها ، ثم تصدر للاقراء بها فيكون الهبطي وضع الوقف ، وناقله الناس عنه ، قبل تلمذته لابن غازي بزمان . واخذ الشيوخ بعضهم عن بعض ليس فيه غشاة ، فهذا السنوسي اكبر سنا من الهبطي ، وقد اخذ عنه ،

هذه الآية تدل صراحة على وجوب تعلم الوقف وتعليمه» قال علي (ض) الترتيل ، تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف . فهذا واجب ربما أهمله الناس ، فندب الهبتي نفسه للقيام به وجند في سبيله كل قواه .

بقي هناك سؤال آخر ، يجب ان نضعه على انفسنا ، وهو : ما هي الاسباب التي جعلت مذهبه ينتشر بهذه السرعة داخل المغرب وخارجه ؟ وقد كانت قبله مذاهب ، والفت في الوقف مؤلفات لم يلتزم الناس العمل بها لا قديما ولا حديثا ؟ . واذا رجعنا الى المصاحف القديمة بالمغرب ، لم نجد اية علاقة على الوقف وانما الموجود بها علامات الاوس الآي .

قد تزعم ايضا بان الروح المعنوية التي كان يتحلى بها الامام الهبتي ، والانتصارات التي سجلها على خصومه المناهضين له ، هي التي جعلت مذهبه ينتشر ، ويحمل طابع الخلود ، فيتلقيه الناس بالقبول ، ويجري به العمل الى يوم الناس هذا .

ويلمح الى هذا المعنى ابو عبد الله محمد ابي عبد السلام الفاسي في كتابه المحاذي ، فهو بعد ان اورد قصة السنوسي مع الهبتي ، ومناظرته له قال : « وكان الهبتي من اصحاب الاحوال ... فلم يسع السنوسي الا التسليم ، وكان ذلك سبب اقبال الناس على ما قيد عنه من الوقف » .

وكان ابو عبد الله الهبتي ، رجل علم وعمل ، وفضل وصلاح ، خيرا تقيا ، ورعا زاهدا ، فقيها فرضيا ، متبحرا في علوم العربية ، عارفا بالقراءات ووجوهها . وقد حلاه في السلوة ، بالشيخ الامام ، العالم الهمام ، الفقيه الاستاذ ، المقرئ الكبير النحوي الفرضي الشهير ، الولي الصالح ، والعلم الواضح ، ثم قال : « وكان عالم فاس في وقته ، استاذًا مقرأ ، عارفا بالقراءات ، مرجوعا اليه فيها ، وكان موصوفا بالخير والفلاح ، والبركة والصلاح ، ذا احوال عجيبة ، واسرار غريبة .. »

على اننا اذا رجعنا الى التاريخ نجد ان المغاربة نزاعوا الى الوحدة بطبيعتهم ، فهم في الفقه على مذهب مالك ، وفي العقيدة على مذهب الاشعري ، وفي التلاوة على قراءة نافع برواية ورش ؛ فغير بعيد ان يختاروا مذهب الهبتي في الوقف .

توفى ابو عبد الله الهبتي سنة ثلاثين وتسعمائة (930) ودفن في روضة الزهيري بطالعة فاس .

لخدمة القراءن ، تفهما وتعلما ، فادرك فحواه ومغزاه ، وعرف أسراراه واحكامه ؛ ففضى في محراب القراءن خاشعا متبتلا زمنا ليس بالقصير ، يعيش انواره ومعارفه ثم طلع على الناس بمذهبه الجديد في الوقف ، وقد بناء على مقاييس محدودة ، وقوانين مضبوطة ، وقواعد مدروسة ، ترجع في جملتها الى الاعراب والمعنى ؛ وربما كان بعضها خاضعا لفن العربية ، وبعضها لعلم التفسير ، والبعض الاخر لمدارك الفقه والتشريع ، او لوجه من وجوه القراءات ، او لاسرار وحكم اخرى ، قد لا يدركها القارئ العادي ، وانما يعقلها العالمون المختصون في هذا الفن .

وقد وجهت اليه انتقادات ، واثيبت حوله ادعاءات ، وارتفعت اصوات هنا وهناك ؛ ولكن ابا عبد الله الهبتي ، وقف كالطود الشامخ ، لا تؤثر فيه الزوابع ، ولا تنال منه العواصف ؛ وظل ينافح عن مذهبه ، ويناضل عنه بالحجة والبرهان ؛ حتى رست قواعده ، وطبقت مناهجه في الحواضر والباد ، وفي كل مكان وناد ، واصبح المذهب المعمول به في سائر جهات المغرب ، بل وفي افريقيا كلها ، بيد اننا نجهل الدواعي التي دفعت الهبتي الى وضع وقفه ، وحمل الناس على اتباعه ؛ وقد نزع بان الذي حملة على ذلك ، ما كان عليه الناس من انحراف في التلاوة ، وخطا في الاداء ؛ يقفون على غير ما ينبغي الوقوف عليه ، ويصلون ما لا يجوز وصله ؛ وربما وصلوا آية الرحمة بآية العذاب ، وبالعكس ؛ فيفسد المعنى ، ويضيع الغرض الذي نزل من اجله هذا الكتاب الاقدس .

وقد يضطر احدهم الى الوقف ، فلا يدري كيف يقف ؟ ولا اين ؟ سيما وقد اشتهرت بين الناس في هذا العصر ، وقبله لازمان - صناعة الاردا في القراءات ، فيقفون وقوف اختلاس ويجرون الوصل مجرى الوقف ، حتى ان احدهم ليسقط سقوط المصروع بالجان . فرأى ابو عبد الله الهبتي ان يضع لهم هذا الوقف ، كمراحل ينزل المسافر بها ، ويتجدد نشاطه من اجلها ؛ فحدد المواضع التي يقف فيها القارئ ، يدفع النفس الحار ، ويجلب عن النفس البارد ؛ وبذلك يندفع عنه التعب والحر ، وتقع له الاستراحة الداعية للوقف ، ثم يستأنف القراءة مما بعد الكلمة الموقوف عليها الى الموضع الذي يقف عليه ثانيا ؛ وهكذا الى ان يقف وقوف انقطاع ، وينتهي من القراءة . قد يكون ذلك لا على ان الوقف مما ينبغي تعلمه ، ولا يجوز للقارئ جهله ، وقد قال الامام الانباري في قوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » ، ان

ويختم الظهير بقوله :

فينبغي حمل الطلبة على الإليق بحالهم من الدعوب والإطالة ، ومواصلة الطلب وترك البطالة والسلام (2) .

وفي غمار هذه المبرات مجتمعة كان لابد للشعر أن ينتفض انتفاضته الرائعة ليعبّر إذ لامناص له من تعداد حسنات آتت أكلها وأزهرت فأخرجت ثمارا دانية القطوف .

فهذا الشاعر السيد محمد العلوي الشنقيطي يقول مادحا الخليفة المولى عبد الرحمن من قصيدة طويلة :

عمرت عمرت من عهد الشريعة ما
باض النعام بدور منه أدراس
داركتها بعدما مالت دعائمها
فاستحكمت واطمانت فوق أساس

وكذلك يهتف شاعر فحل هو الوزير السيد محمد بن إدريس الكبير العمراوي راسما مناقب المولى عبد الرحمن في رائية طويلة النفس :

وقام بنصر الحق ، بالحق فاعتلى
به ركن هذا الدين واعتصم الثغر
ولم تلهه عن لذة الدين امرأة
ولا عن طلاب المجد خود ولا قصر
وغير هذا ، وغير هذا كثير وكثير مما لهج
به شعراء العصر العلوي

وايضا يتجلى اهتمام ملوكنا العلويين بالعلم والعلماء في تلك المجالس العلمية الرائعة التي لم تكن تصرفهم عن حلاوتها تبعات الملك وأعباء السياسة ، ولم يلهمهم عن غدوبتها زخرف الدنيا ؛ لأنهم يعرفون مسبقا أن التماسك الحضاري والاضطراد التقدمي لا يتحقق الا على أساس العلم والعرفان ، وليس أدل على ذلك من أن السلطان المولى محمد ابن عبد الله استقدم الى حضرته كبار العلماء وخصص لهم وقتا معيناً لطرح القضايا العلمية ، وكان ذلك بعد صلاة الجمعة ، وكان من مجالسيه أمثال السيد محمد المغربي والسيد محمد المير والسيد عبد الرحمن بوخريص والسيد محمد بن عبد الصادق والسيد عبد الرحمن المنجرة والسيد علي بن إدريس الفيلاي

ودونك ثالثا المولى عبد الحفيظ السلطان العالم واضع منظومة في مصطلح الحديث وأخرى (1) في كتاب « الغنى اللبيب » ، وكتاب تحت عنوان « ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والاحكام » ، وكتاب « العذب السلسيل في حل الفاظ خليل » .

وهذا الحب والشفف والتعلق بالمعارف يبرز لنا جليا ايضا فيما كان يضطلع به السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام المتوفى سنة 1276 هـ من احياء لشعائر الدين والعناية بالثقافة الاسلامية ورعاية حاملها والمتعطين الى الارتواء من موردها ، وليس يكشف لنا عن هذا الامر الا الظواهر التي كان يحررها في شأن العلم ويقترح فيها النظام المجدي في تحصيلها والافادة منها افادة تعود بالخير العميم على المتلقي التواق الى كل ما يسقل عقله .

ومن بين هذه الظواهر التي تظهر لنا الاهتمام البالغ بالعلم والمعارف ظهير أصدره الى قاضي فاس المولى عبد الهادي مؤرخا في 12 محرم الحرام 1261 هـ تقتبس منه ما يلي نظرا لطوله :

« ولد عمنا الارضى الفقيه القاضي مولاي عبد الهادي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد بلغنا توافر طلبة العلم على العادة وجدهم في الطلب غير انه قل التحصيل والافادة وذلك لمخالفة الفقهاء في اقرائهم عادة الشيوخ ، واعراضهم عما ينتج التحصيل والرسوم فان الفقيه يبقى في سلكه سيدي خليل نحو العشر السنين وفي الالفية العاميين والثلاث اكثر ما يجلب من الاقوال الشاذة والمعاني الفريبة الفاذة وكثرة التشفيغ بالاعتراضات ورددها ، ومناقشة الالفاظ وعددها ويخلط على المتعلم حتى لا يدري الصحيح من السقيم .

الى ان يقول المولى عبد الرحمن :

« فبوصول كتابنا هذا اليك اجمع المدرسين وارشدهم لما فيه المنفعة العامة والافادة النامة ، وهو الاختصار في التقرير على حل كلام المؤلفين وافهامه للسامعين المتعلمين مع التنبيه على ما فيه من خطأ وتحريف من غير اكثار هدر ولا تشفيغ بترداد اعتراضات وطرر اذ المقصود هو حصول الفهم والافادة ، والمناقشة في الالفاظ انما هي لغو وزيادة وليست لاهل التحرير بمعادة .

(1) طبعت بالمطبعة المولوية بفاس 1330 هـ

(2) الاتحاد ج 5 ص 118 - 119 - 120 - 121 لابن زيدان .

لمن من الأئمة العلم في خدمة العلم ورعاية العلماء

لأستاذ محمد المنصور الريسوي

العلم وسلاسته فقدروا مكانة العلماء حق قدرها وأسئوا
بنفس راضية العطيات ، وأغدقوا الصلات لانماء
المواهب وتفتيق الملكات وشحذ العزائم .

وهناك أسماء تتألق في سماء العلم وتسمق وتعلن
عن نفسها بنفسها من غير أن تحتاج الى اطرأ مؤرخ ،
فدونك المولى محمد بن عبد الله الخليفة العالم المتوفى
سنة 1204 هـ الذي كان في العلم بحرا لا يجارى ، وفي
التحقيق والمعارف لا يمارى على حد تعبير صاحب
نشر المثاني (1) ، والذي رغم اثقال السياسة
ومشكلاتها ألف كتابه « الفتوحات الالهية » الذي طار
ذكره كل مطار حتى بلغ المشرق فقرظه علماء ازهريون
منهم محمد بن محمد الأمين المالكي ، وكتابه « الجامع
الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد » .

ودونك ايضا الخليفة المولى سليمان المتوفى سنة
1238 وقد وصفه صاحب الاستقصا بقوله : « وإذا
خاض في السنة والكتاب أبدى ملكة مالك وابن شهاب،
ولو تصدى في الفقه للفتيا والتدريس لم يشك سامعه
انه ابن القاسم او ابن ادريس ، وإذا تكلم في علوم القرآن
انهل بما يفهم مورد الظمان (2) »

وقد تفتق ذهن هذا الخليفة العالم عن آثار
علمية من بينها « عناية اولي المجد بذكر آل الفاسي بن
المجد (3) » ، ورسالة صغيرة تحت عنوان « جواز
التجيمير بالقسط في رمضان (4) » ، و « حاشية على
شرح الخرشي لمختصر خليل (5) » .

ان قصة العناية بالعلم والعلماء على عهد الملوك
العلويين لشيقة تحفل بكل جديد مثير وتزخر بكل
ثمين عذب ؛ ذلك ان شمس هذه الدولة الشريفة منذ
ان اشرفت شمسها على ربوع المغرب وغمرت وهادها
ونجودها ، والقائمون بها يمدون الظلال المعرفية الوارفة
لتنفيهاها الامة المتطلعة الى المجد والشموخ .

وليس هذا قولا تضافت على خلقه الاستعارة
والمجاز ، انما هو واقع حي تدعمه البراهين ، وتشهد
له الحقائق ، فمن يستطيع ان ينفي وجود شخصيات
عملاقة انطلقت في هذا العصر العلوي من مقامها
انطلاقة الصاروخ تبني المجد الادبي والعلمي ، وتبرز
العبقرية الفكرية العظيمة امثال ابن ناصر المتوفى سنة
1089 هـ وعبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091 هـ
والامام اليوسي المتوفى سنة 1102 هـ وابن زاكور
المتوفى سنة 1120 هـ وابن الونان المتوفى سنة 1187 هـ
وابن ادريس العمراوي المتوفى سنة 1264 هـ ، من
يستطيع ان ينكر هذه الاسراب من المفكرين التالقين
الذين يمثلون اصالة الثقافة المغربية في اسمى مظهرها
واروع صورها .

وليست العناية التي كان يوليها ملوكنا العلويون
لكل ما يتصل بالعلم والعلماء من قريب او بعيد ترجع
فقط الى شغفهم بنشر العرفان بين الرعية ، بل ترجع
الى ان جلهم تسليح بوسائل الثقافة ، وخاض معامعها
في جراحة فبرز فيها ايما تبريز ، لذلك استطابوا عذوبة

(1) انظر ص 271 ج 2 طبعة فاس .

(2) انظر ص 172 ج 8 طبعة دار الكتاب سنة 1956 م الدار البيضاء .

(3) طبع بالمطبعة الجديدة بفاس سنة 1347 هـ .

(4) توجد نسخة منها بالخرانة الملكية رقم 5633 .

(5) توجد نسخة خطية منها بالخرانة الملكية تحت رقم 1323



للمؤلف: محمد العربي العلوي

أهمية بالغة جدا لارتباطها الوثيق بانبثاق دعوة الإصلاح والتجديد وانطلاقها من معادل قرآنية ومرامي سلفية. واليك مثلا الحركة الوهابية التي ظهرت في الحجاز في القرن الثامن عشر ، والحركة السنوسية التي انبثقت في برقة في أوائل القرن التاسع عشر ، ودعوة جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، والكواكبي ، ومحمد اقبال في المشرق ؛ وعبد الحميد ابن باديس ، والبشير الابراهيمي ، والعربي العلوي ، وعلال الفاسي ، والمكي الناصري ، وتقي الدين الهلالي ، في المغرب . ان تاريخ يقظة الشعوب الاسلامية مدين لرجال نبعمم الثقافي الاول هو القرآن الكريم .

بقيت الكتابات القرآنية المنبثة في حواضر المغرب وبواديها مهمة بتعليم القرآن وتحفيظه مع تلقين اصول الرسم بطريق السماع والاستظهار ؛ وقلة العناية بالتجويد والتفسير والقراءات ، اذا استثنينا عددا ضئيلا جدا من العلماء كانوا يتجهون الى هذه الناحية من علوم القرآن .

وقد سمعت عن بعض الثقة ان من الشيوخ الاجلة ، رحمهم الله ، من كان يعتبر تفسير القرآن علما قد انقضى اهله ، ولا يجوز لاحد من المتأخرين ان يشتغل به . ولعل ذلك كان منهم غيرة وحرصا على حفظ كلام الله من عبث التأويل والخوض في عصر نفسي فيه الجهل وتدهورت الاخلاق ، ولكن هذه الظاهرة ، كانت في نفس الوقت علامة الهزال الذي اصاب الحياة العلمية والدينية .

بينت في عدد سابق(1)عناية اهل المغرب الشديدة بالمحافظة على القرآن الكريم منذ الفتح الاسلامي الى الان ، واشرت اشارة عابرة الى بعض مظاهر التخلف في ميدان العلوم القرآنية في الوقت الحاضر .

واحب في هذا المقال ان اتوسع بعض الشيء في تبيان مظاهر التخلف هذه وبوادر الانتعاش مع الاتيان بمقترحات ارى ان العمل بها قد يساعد على بعث العلوم القرآنية بما يتفق والعصر الحاضر .

كان للتدهور السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي اصاب المغرب وبلغ مداه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر واولئل هذا القرن ، كان لهذا التدهور اثر بالغ في انحطاط الحياة العلمية والثقافية وتفشي الجهل والبدع الضالة والابتعاد عن طريق السلف الصالح .

وقد كان حريا بالحركة الإصلاحية التي اختط منهاجها السلطان محمد بن عبد الله وخاصة في ميدان التعليم الديني ، كان حريا بهذه الحركة ان تؤتي نتائج طيبة لو استمرت واتيح لها ان تلتقي باطلالة السلطان الحسن الاول على الحضارة الفريفة الحديثة التي حاول ان يستفيد من رقدتها لولا ظروف معاكسة .

ومن حسن حظ المغرب ان اهله بقوا متمسكين بالقرآن الكريم محافظين عليه رغم جميع مظاهر التدهور التي سادت حياة البلاد . وهذه ظاهرة نلمسها في جميع اقطار العالم الاسلامي ، وهي ذات

(1) « دعوة الحق » ، يناير 1968 .

كما انه - يعني المولى محمد بن عبد الله - عمل على نقل علماء من أنحاء أخرى الى مراكش وطلب منهم أن يقوموا بالتدريس في مساجدها ويحضرها مجالسه الحديثية ومن هؤلاء السيد احمد بن عثمان من مكناس ومن سلا السيد الطاهر بن عبد السلام ومن فاس السيد عبد الله المنجرة .

وهذه المجالس العلمية كانت المرحلة التمهيدية للمجالس الحديثية التي توالى فيما بعد لدى ملوكنا العلويين .

وانطلاقاً من هذه اللغات الطبية المعذوبة جرت عادة ملوكنا الامجاد ان يتخذوا أساطين الفكر المغربي شيوخاً لهم يأخذون عنهم ويستنبطون بأفكارهم وقيموا ندوات حديثية يصطفون لها فحول المحققين من جميع اطراف المملكة مع الاضطلاع بكل ما يحتاجون اليه من النفقات وما يتبع النفقات من الحاجيات وتكون هذه الندوات خلال الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان

ولا غضاضة بعد هذه الجولة الخاطفة التي عرفنا فيها مدى تعلق ملوكنا العلويين بالعلم أن نستعرض أسماء لشخصيات تصدرت رئاسة المجالس الدينية في الحضرة الملكية زيادة في تبيان هذا الشغف المعرفي الذي تلبس شخصياتنا السلطانية .

في عهد الملك المولى عبد الرحمن تسلم رئاسة المجالس العلمية لسرد الحديث النبوي الشريف السيد التهامي بن حماد بن عبد الرحمن المطيري المكناسي المتوفى عام 1249 هـ

وفي نفس عصر المولى عبد الرحمن انتقلت هذه الرئاسة الى الفقيه السيد عبد القادر ابن احمد الكوهن المتوفى عام 1254 هـ

وفي عهد المولى الحسن الاول أسندت صدارة المجلس الحديثي الى الفقيه أبى العباس احمد بن سودة المري المتوفى عام 1321 هـ وكان أول درس ترأسه عام 1295 ، وكذلك كانت لهذا العالم رئاسة المجلس في أيام المولى عبد العزيز

أما في أيام السلطان المولى عبد الحفيظ فقد ترأس المجلس العلمية شيخ الجماعة أبو العباس السيد احمد ابن الخياط الإدريسي المتوفى عام 1343 هـ

وفي أواخر هذا الأخير وأوائل عهد السلطان المولى يوسف تصدر للرئاسة الحديثية الشيخ أبو شعيب الدكالي المتوفى عام 1356 هـ

وعندما انتهت مقاليد الخلافة لأمير المؤمنين سيدي محمد الخامس قدس الله روحه تكونت مجالس الحديث من العلماء الموظفين كالوزراء وغيرهم ، وكان يرأسها وزير العدل أو رئيس مجلس الاستئناف الشرعي .

واقترء بالآباء والاجداد ارتأى نظر أمير المؤمنين مولاي الحسن الثاني أن يقيم ندوات علمية رائعة في العشر الأوائل من رمضان المعظم يشارك فيها خيرة علماء المغرب والمشرق ويعالجون خلالها مواضيع إسلامية حساسة ، وفي ختامها يتفضل أمير المؤمنين حفظه الله فيدلي بدلوه بين الدلاء مشاركة منه في هذه الندوات القيمة التي أصبح لها صدى بعيد وبعيد جدا بين العلماء والمثقفين .

وأجماً وتفصيلاً فإن العصر العلوي يتميز - منذ المولى اسماعيل - برعاية العلم وتقدير العلماء ، والتمسك بالسنة والعمل على نشر العلوم الإسلامية لبعث روح إسلامية حقة .

تطوان : محمد المنتصر الرسوني

السلفية اكثر مما كانت تخشى الحركة الوطنية السياسية . ومن هنا كان تشجيعها للجمود والتزمت باسم احترام الدين .

وفضلا عما ذكرته من اساليب التعليم الرسمي واغراضه ابان الحماية ، ورعاية « الجمود والتنويم الديني » ، فان الكتائب التي كان لها فضل كبير في المحافظة على القرآن الكريم في المغرب ، بعيدة عن اساليب التعليم الحديثة ، وضعفت عنايتها بفن التجويد والتلاوة ، وانشغرت مهمتها في تحفيظ القرآن الكريم مع اهتمام عرضي بالرسم القرآني والوقف .

اما جامعة القرويين ومعاهد التعليم الديني في شتى مدن المغرب فقد انتمشت فيها الدراسات القرآنية منذ الاستقلال ، واصبح فيها « التفسير » على الخصوص من المواد الاساسية .

وتأسست في عدد من انحاء المغرب جمعيات للمحافظة على القرآن الكريم ، وجعلت من ضمن اهدافها العناية بالتجويد وتشجيع حفظ كتاب الله .

ونظمت الدروس الوعظية في المساجد ، وخاصة في شهر رمضان المبارك ، وكان لتفسير القرآن مكان ملحوظ في هذا الدروس .

وخصصت الاذاعة ، والتلفزة حصصا منتظمة لتلاوة القرآن الكريم ، وحصصا غير منتظمة للتفسير (واخيرا يبدو ان هذه الحصص قد انتظمت بالدروس المفيدة القيمة التي يلقيها استاذنا الجليل الشيخ محمد المكي الناصري) .

ولا ريب ان حرمة القرآن الكريم ومكانته في نفوس المسلمين كافة باعتباره كتاب الله ، اولا ، ونبعا حضاريا وثقافيا هاما ، ثانيا ، يتطلبان مضاعفة الاهتمام بهذا الكتاب المقدس وبعلمه . والذي اراه في هذا الميدان :

- احداث « معهد للمقرئين » يكون عمله مزدوجا : 1) تلقين فن التجويد لحفظ القرآن الكريم الذين تتوفر فيهم بعض الشروط الضرورية : (اتقان الحفظ ، حلاوة الصوت ، مستوى ثقافي معين لا يقل عن الشهادة الثانوية) مع تلقينهم مواد التفسير والرسم القرآني وعلم القراءات (2) اجازة المقرئين والاشراف على شؤونهم ، بحيث لا يتصدر للتلاوة سوى حملة اجازة هذا المعهد .

- احداث كرسي للعلوم القرآنية في كلية الآداب . ولا تخفى صلة هذه العلوم القوية باللغة وفقها والادب القديم وفنونه ، وبالتاريخ الاسلامي ايضا .

- تجديد دروس التفسير والعلوم القرآنية الاخرى في جامعة القرويين وكلية ابن يوسف .

- العناية بنشر تفاسير مبسطة وتعميمها في المدارس الثانوية بصفة خاصة .

- نشر كتاب علمي ومبسط عن فن التجويد والوقف والرسم القرآني والقراءات ، وتقرير دراسته في المعاهد الدينية .

- احداث حصة لتفسير القرآن في التلفزة ، على الا تتجاوز هذه الحصة عشر دقائق في اليوم .

وقد كانت ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم مناسبة احتفل فيها المغرب احتفالا رائعا ، وظهر فيها تمسك هذا الشعب بكتاب الله العزيز . وعسى ان تكون هذه الذكرى العظيمة منطلقا جديدا لحياة جديدة تتجاوب فيها قيم الحياة المصرية مع القيم الاسلامية المثلى ، وتنبعث فيها حضارة مغربية اصيلة ذات ابعاد انسانية وروحية تستفيد من تقدم العصر ولا تتخلى عن جوهرها الاصيل المستمد من تعاليم القرآن وهديه .

الرباط : محمد العربي الخطابي

الناشئة المغربية عن دينها ولفتها وإن تفصلها عن جذورها الاصلية بواسطة برنامج محكم ومدير .

ولسنا ننكر ان القراءان كان من ضمن الموارد التي تلقن في المدارس الحكومية ؛ الا ان ذلك كان يجري بأسلوب منفر وطريقة عقيمة تتنافى مع الاصول التربوية التي كان من المفروض ان تكون من الامور الجديدة التي تحملها معها « ادارة الحماية » .

لقد رتب المسؤولون في ذلك الوقت كل شيء ترتيبا يجعل حصة القراءان واللغة العربية ابغض الحصص الى تلاميذنا !

وكانت هذه الظاهرة سببا من الاسباب الكثيرة التي نفرت طائفة كبيرة من الشبيبة المتعلمة من تراثهم الديني واللغوي والتاريخي ، فكان من ذلك ما نشاهده الان ، بعد حصول المغرب على استقلاله ، من ضعف اهتمام الشبان بالقراءان لجهلهم به وبأسراره البيانية واللغوية وبما يتضمنه من تشريع وعبادات وما يدعو اليه من تأمل وتدبر .

واذا كانت المدرسة « نموذج الحماية » تتحمل قسطا من المسؤولية في ذلك ، فان قسطا آخر من التبعية يقع على جمود طرق التلاوة وانحطاط فن التجويد وانعدام التفاسير القرائية المبسطة المطبوعة طبعا انيقا واضحا ، فضلا عن جمود بعض العلماء وتزمتهم وتمسكهم بأساليب عقيمة فيما يلقونه من دروس وعظية في المساجد . ذلك انه بالرغم من حركة التجديد والبعث التي تصدى لها بعض الرجال المصلحين ، وخاصة بعد صدور الظهير البربري سنة 1930 ، فقد بقيت الاساليب الوعظية الجامدة تسير في خط متواز مع حركة التجديد . على ان الجمود كان يحظى بتأييد المسؤولين ، في ذلك الحين ، وتشجيعهم في مقابل العنت والمحاربة الشديدة التي لقيتها دعوة الإصلاح والتجديد والتحرر . واذا كان عالم مصلح جليل ، مثل الاستاذ علال الفاسي ، قد فاق ، على الصعيد الوطني ، كل العلماء الجامدين المسخرين ، من حيث التأثير وبعث الهمم والتوجيه ، فان المشاغل السياسية والحزبية ، وفترات النفي والتعطيل التي عاناها قد حدت بشكل محسوس ، من تأثير دعوة الانبعاث الاسلامي التي كان من قادتها الاوائل .

ومثل ذلك يمكن ان يقال بالنسبة لعلماء مجددين آخرين .

واني لاستطيع ان احزم ان ادارة الحماية كانت تخشى حركة التجديد الديني والدعوة الاسلامية

وشاء الله ان يظهر ، بعد فترة يسيرة من سقوط المغرب تحت قبضة الحماية الاجنبية ، رجال سلفيون مستنيرون دعوا الى التحرر والتعلم والنهوض على اساس من هدى القراءان ؛ واذا كانت دعوة بعض هؤلاء الرجال قد اصطبغت بصبغة سياسية وطنية ، بحكم حالة المغرب وظروفه اذذاك ، فان هذه الدعوة كانت في عمقها اسلامية سلفية .

وكان التفسير من العلوم القرائية التي اصابها هذا الانتعاش السلفي ، وتصدى له علماء من أمثال علال الفاسي ومحمد المكي الناصري وتقي الدين الهلالي .

وقد انتعشت بهؤلاء الرجال القلائل الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية ، بفضل الدروس التي كانوا يعقدونها في المساجد ، والخطب التي يلقونها في شتى المناسبات ، فضلا عن المقالات التي نشروها في جرائد ومجلات ظهرت في اوائل العقد الرابع من هذا القرن وما بعده .

وادت المدارس الوطنية الحرة ، التي تأسست في شتى المدن ، قسطها الحيوي في هذا المجال بما لقيته للناشئين من تعاليم القراءان ولفته ، فضلا عن العلوم الضرورية الاخرى .

وقد اتت سياسة « الظهير البربري » المعروف بنتائج عكسية ، فبينما كان يريد الاستعمار تفرقة المغاربة والقضاء التدريجي على الشريعة الاسلامية في نواحي حيوية وعزيزة على بلادنا ، تجلت الوحدة الوطنية في انصاع مظاهرها ، وايدى المغاربة اعتصاما اشد بحبل الله المتين ، وبكتابه الكريم .

وكانت الحركة التحريرية الوطنية ، في جوهرها ، حركة اسلامية سلفية ، بحكم ثقافة قادتها الاولين ، وبحكم طبيعة الشعب المغربي ايضا .

واذا رجعنا الى الموضوع الذي يعنينا بالذات ، وهو « القراءان وعلومه » ، فاننا نجد ان هذه المدة القصيرة والمضطربة التي بينا بعض ملامحها قد امتازت بما ظهر خلالها ، من اهتمام بالتفسير والتجويد والرسم القرائي ، وكانت هذه المواد تلقن في كثير من مساجد المغرب ومدارسه الحرة . وساعدت المطبعة على دخول عدد من التفاسير الى المغرب ، وخاصة من مصر .

الا ان هذه الحركة الطيبة ، لم تكن مع الاسف شاملة عامة ، فقد كانت المدارس التي اسستها ادارة الحماية ، على قلتها تحاول بمكر وتحايل ان تبعد

ويجمع الدين (1) ترجموا له على غزارة علمه وسعة اطلاعه في المنقول والمقول ، كما يجمعون على ورعه وصلاحه وعلو كعبه في عالم التصوف والزهد .

نشأ عالمنا نشأة علمية ، دينية ، ففي سن مبكرة جعل يختلف الى الكتاب يقرأ القرآن الكريم ويستظهره ثم ما لبث ان اخذ يدرس المتون العلمية ويحفظها عن ظهر قلب ، وما هي الا سنوات معدودات حتى ترك القرية الى القصر الكبير يشتغل بطلب العلم ويفنى في ذلك فناء عظيما ، وفي سنة ثمانين أو احدى وثمانين من القرن الثاني عشر قدم الى تطوان واقبل على حلقات الدرس ومجالس العلم يعب منها عبا ويتزود فيها بخير الزاد ، وكان ممن تلمذ عليهم في تطوان الفقهاء المدرسون احمد الرشاد وعبد الكريم ابن قريش ومحمد الورززي وعبد السلام بن قريش ومحمد الجنوبي .

ثم يمم الفتى الطالب وجهه شطر فاس منتدئ العلم وأهله ، فاخذ العلم فيها عن أشهر علمائها يومئذ من مثل شيخ الجماعة محمد التاودي ابن سودة وفرضي وقته محمد بنيس والحافظ النحوي اللقوي الطيب بن كيران ، وفي حلقات الدرس والتحصيل بفاس (تجلت فيه اليقظة وومض في مساعيه الدهاء واشراقه الذكاء ، فلم يكن في الحلقات العلمية ذلك الطالب المهمل الضائع ، بل مال الى اعلان مواهبه وكشف القناع عن مقدراته (2)) .

كان شغف عالمنا بالدرس عظيما وكان تعلقه بالمعرفة فريدا ، يدلك على ذلك قوله في فهرسته متحدثا عن فترة تعلمه بالقصر الكبير : « ثم فنيت فيه - اي العلم - فناء عظيما حتى أهملت نفسي ونسيت أمرها (3) » وقوله عن فترة تعلمه بتطوان : « ثم لحقتني فاقة شديدة لانني استحييت ان اطلب معروفا من أحد فبقيت كذلك مدة فكانت الوالدة ترسل

لي الخبز من البلد ثم فتح الله بالخير الكثير ، هذه سنة الله في خواصه كما قال الشاعر :
لا تحسب المجد تمرا أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

لكن حلاوة العلم ولوعته غيبت عني مرارة الفاقة » (4) .

وكان متمسكا بالدين ، محافظا على اقامة شعائره خلال ذلك ، فهو يقول متحدثا عن الفترة التي قضاها بالقصر : « فكانت أوقاتنا كلها معمورة بين مطالعة ومدارسة وعبادة » ويقول متحدثا عن فترة تعلمه بتطوان : « وكانت قراءتي والحمد لله كلها ممزوجة بالعبادة ، لم تترك قيام الليل الا نادرا ، وكنت اقسم الليل اثلاثا : ثلثا للنوم وثلثا للتهجد وثلثا للمطالعة ، وكنت الفت الوحدة فما كنت أسكن الا وحدي للتفرغ للعلم والعبادة » .

وحينما عاد من فاس الى تطوان سنة 1191 هـ كان قد حصل على رصيد جيد من المعرفة ، وتوفر على زاد طيب من الثقافة ، يتمثل كل ذلك في حديثه في فهرسته عما حصله من العلوم الظاهرة والباطنة ، ويتمثل في ذلك الاقبال الشديد الذي عرفته حلقاته العلمية بمساجد تطوان يوم تصدى للتدريس وجلس للتعليم ، ويتمثل - اخيرا - في هذا الانتاج الضخم الذي تفتقت عنه قريحته والذي يصور سماته المعرفية وملامحه العلمية كأحسن ما يكون التصوير ، وهذا ثبت بأهم مؤلفاته : (1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (2) تفسير الفاتحة « بشرحين بل ثلاثة احدها صغير فيه نحو كراسين والآخر كبير فيه نيف وعشرون كراسا (5) صغيرة ، وآخر صغير جدا فيه نحو ورقتين » (3) ايقاظ الهمم في شرح الحكم ، - مطبوع - وهو شرح رائع وممتاز لحكم ابن عطاء

(1) ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج والعلامة عبد القادر الكوهن في فهرسته والعلامة الرهوني التطواني والشيخ عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس ، كما ترجم له مؤرخ تطوان الاستاذ محمد داود في مختصره ومطوله ، وكتب عنه اخونا الاستاذ محمد المنتصر الريسوني في سلسلته « شخصيات من بلادي » بجريدة الحسنى ، وقيل لي بأن مستشرقاً يعد عنه دراسة شاملة .

(2) جريدة الحسنى ، عدد 36 - السنة الاولى - جمادى الاولى 1382 هـ من مقال للاستاذ المنتصر الريسوني عن ابن عجيبة .

(3) من فهرسته التي اطلعني عليها الصديق الاستاذ عبد القادر ابن عجيبة .

(4) المصدر السابق .

(5) اطلعني - مشكورا - الاخ الاستاذ عبد القادر بن عجيبة على نسخة مخطوطة من التفسير الكبير للفاتحة ، وهو يقع في مجلد متوسط الحجم .

من ذخيرتنا المدفونة

البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد

للعامة الصوفي سيدي أحمد بن عجيبة

(للمستاذ حسن التوراكلي)

– وهو كذلك بالفعل – فان اولئك الملوك الذين المعنا اليهم من قبل هم الذين يشكلون اعصاب الصورة التاريخية لبلادنا وشرائنها ، وفي ثنايا تلك الصورة تطالعك عناية هؤلاء الملوك وخدمتهم الدائبة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ومصطفاه عليه افضل السلام متمثلة في ذلك الاقبال العظيم من طرف المشتغلين بالعلم على الكتاب والسنة حفظا ورواية ودراية ؛ الامر الذي ادى الى نبوغ شخصيات – على عهد العلويين الاشرف – في العلوم الاسلامية وبخاصة في علم الحديث وفي علم القرآن ؛ وفي طليعة المنصرفين الى القرآن تدريسا وتحليلا وتفسيرا صاحب كتاب البحر المديد في تفسير القرآن المجيد « العلامة التصوفي سيدي أحمد بن عجيبة . ونريد ، قبل الحديث عن هذا التفسير الممتاز ، أن نعرف بشخصية مؤلفه ؛ لانها – كما غيرها من شخصياتنا – ما تزال مغمورة ، غير معروفة ، تنتظر عناية الدارسين ، وتترقب كرم الفيورين على علمائنا المنسيين وراثنا الفكري المدفون ، ليكشفوا جوانبها ويبرزوها لجيلنا مثالا يتبع ، وانموذجا يحتذى .

وانه لمن حسن حظنا أن ابقت لنا الايام على فهرسته التي ترجم فيها لنفسه والم في صفحاتها بجوانب حياته المختلفة، فهي مصدرنا ومرجعنا فيما نكتب عن حياته .

هو ابو العباس أحمد بن محمد ابن عجيبة الحسني العمراني ، كانت ولادته بقبيلة انجرة على مقربة من تطوان في غضون سنة 1160 هجرية .

الذين قرأوا تاريخ المغرب تحت ظل الحكم العلوي ودرسوه سواء فيما هو متداول بين الايدي من كتبه او فيما لم يزل رهين الخط اليدوي وحبيس رفوف خزائن حكومية او خاصة ، الذين قرأوا هذا التاريخ يعلمون العلم كله الدور الذي يدل على نضج الفكر ويشي بخلوص النيات ؛ ذلك الذي نهض به ملوك الدولة العلوية الافذاذ في حلبة الثقافة والفكر بوجه عام وفي مجال الجانب الاسلامي منها بوجه خاص ؛ وبحسبنا أن ندل على أسماء بهية ، مشرقة ، كان لاصحابها اليد الطولى في بناء صروح الثقافة والفكر بهذه البلاد ، من مثل مولاي رشيد ومولاي سليمان والمولى محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الاول والمولى عبد الحفيظ والمولى يوسف ومحرر المغرب محمد الخامس تغمده الله برحمته وخلفه العظيم الحسن الثاني نصره الله ؛ نقول : بحسبنا أن ندل على هذه الاسماء ليعرف الجاهلون والمتجاهلون في الان عينه الخطوط العريضة والظلال الجلية لتلك الصورة الرائعة التي انتهت الينا نتيجة طبيعية للجهد الذي أفرغه اولئك الملوك الافذاذ والسعي الذي بذلوه في خدمة الثقافة عامة وجانبها الاسلامي خاصة ، فكانوا بذلك أئمة يهدون بأمر الله تعالى ويسارعون الى فعل الخيرات .

واذا كان تاريخ شعب هو تاريخ شخصياته المتفوقة الفذة ؛ لانها هي التي ترتاد الافاق الرحبية اول الامر ، ثم ترسم للناس المنهج ، وتخطط لهم الطريق المفضية بهم اليها ؛ اذا كان الامر كذلك

القرآن الكريم وتلك العناية البالغة بعلومه وثقافته ؛ كل ذلك اسفر عن عملين خليين يعكسان الاسهام الجيد لابن عجيبة في مكتبة القرآن والتفسير ، اولهما تفسيره للفتحة وقد تقدمت الاشارة اليه ، وثانيهما كتابه المتع في التفسير المسمى « البحر المديد في تفسير القرآن المجيد » ، وهو بيت قصيدنا من هذا العجالة .

هذا التفسير القيم يقع في اربعة مجلدات ضخام (29 x 19) ، وليس منه موجودا الا نسخ ثلاثة - فيما نعلم - لعل النسخة الاصلية هي التي توجد في ملك بعض الاشراف العجيبين في قبيلة الزبيج ، اما النسخة التي نعتدها في هذا الحديث فهي التي يمتلكها الفقيه الاستاذ السيد عبد الرحمن الازمي ، وقد اتاح لنا فرصة الاطلاع عليها فله جزيل الشكر ، وهذه النسخة مكتوبة بخط مغربي تتفاوت نسبة جماليته من جزء لآخر واثينا تتفاوت تلك النسبة بين صفحات الجزء الواحد لاختلاف النساخ ، ويعود تاريخ نسخها الى اوائل العقد الخامس من القرن الثالث الهجري . والجزء الاول يتديء ، بعد مقدمة صغيرة ، بسورة الفتحة وينتهي بسورة الانفال ، وقد فرغ مؤلفه من تبييضه - كما نقرا في آخر سطوره - في سادس عشر جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين والف ، والجزء الثاني يتديء بسورة التوبة وينتهي بسورة المومنين ، وقد فرغ مؤلفه من كتابته - كما هو مثبت في آخره - عشية يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عام ثمانية عشر ومائتين والف ، والجزء الثالث يتديء بسورة النور وينتهي بسورة حم وقد انهاه مؤلفه بالكتابة في تاسع رمضان عام تسعة عشر ومائتين والف ؛ واما الجزء الرابع فيبتديء بسورة الشورى ويختتم بسورة الناس ، وفي آخره نقرا : « ... وبالله التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، كمل البحر المديد في تفسير القرآن المجيد بحول الله وقوته ، نسأل الله سبحانه ان يكسوه جلاباب القبول ويبلغ به كل من طالعه او حصله القصد والمأمول بجاه سيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين » ثم نقرا بعد ذلك : « ... وكان الفراغ من بييضه زوال يوم الاحد سادس ربيع النبوي عام

واحد وعشرين ومائتين والف على يد جامعه المبد الضعيف الفقير الى مولاه احمد بن محمد ابن عجيبة الحسني لطف الله به في الدارين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين » ، واذن فهذا العمل الجليل المطبوع بطابع العمق في التحليل والنضج في العرض لم يكن وليد سنة او سنتين وانما كان وليد فترة من الزمن قاربت خمس سنوات ، انفقها المؤلف في رحلة بهية ، متمعة في اعطاف القرآن ، يقرأه متدبرا ، متأملا ، ويعكس ذلك في صفحاته محلا ، مفسرا .

ولتأليف هذا التفسير قصة يحسن ان تروى ذلك ان عالمنا بعد خوضه في غمار التصوف ومصاحبة اهل الاذواق طلب منه شيخه « العارف المحقق البوزيدي الحسني عن اذن شيخه العارف الرباني مولاي العربي الدرقاوي الحسني ان اضع تفسيراً على فتحة الكتاب يكون جامعا بين تفسير اهل الظاهر وتفسير اهل الاشارة من اهل الباطن ، يكون مستوعبا للكلام على حسب المقام ، ثم اذا فسح الله في العمر واسعفه القضاء والقدر كملت باقيته بالتفسير باعانة القوي المتين ، العالم القدير ، فأجبت طلبهما واسعفت رغبتهما رجاء ان يحصل به الامتاع ويعم به الانتفاع ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه اتب (1) » وقد افسح الله في عمر عالمنا واسعفه القضاء والقدر فكتب تفسيره العظيم للقرآن الكريم .

ولقد عرف القرآن فيما عرف من الوان التفسيرات وضروبها تفسير رجال التصوف او اهل الباطن ، وهؤلاء فرقان : احدهما تزعمت التفسير الصوفي النظري ، وهو في رأي أغلب الباحثين تفسير ينحرف بأهداف القرآن عن طريقها ويستمد من آياته مدلولات لم يقصد اليها الكتاب المبين ، واما الفرقة الثانية فهي التي عالجت التفسير الصوفي الفيضي او الاشاري ، وهو يقوم على استنتاج مفاهيم من الآيات « على خلاف ما يظهر منها بمقتضى اشادات خفية تظهر لارباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المواردة (2) » ، والمفسر الفيضي او الاشاري رجل اخذ نفسه برياضة روحية فغمر اقطار نفسه اشراق الهي يريه ما لا يرى كل الناس ويبصره بما لا يبصر كل الناس ؛ ومن ثم فهو يرى في آيات الكتاب من المعاني والاشارات والتلميحات ما لا يراه كل الناس ولا يدركونه ؛ ولكن المفسر الاشاري مع ذلك جميعه

(1) من مقدمة تفسير للفتحة .

(2) انظر كتاب « التفسير والمفسرون » لاحمد الذهبي .

الله (4) الكتاب في القراءات العشر « يشتمل على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة وروايتها وتوجيه قراءة كل واحد منها ، فيه عشرون كراسة صغيرة » (5) كتاب في طبقات الفقهاء وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم والتعريف بمشاهير أصحاب مذهب مالك من زمانه الى زماننا هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحده الى وقتنا هذا ، ثم اتبعهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية غير أن الصوفية لم نستكمل ذكرهم . (6) ازهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء والاعيان . (7) فهرسته ، وهي ترجمة حياته مكتوبة بأسلوب خال من الصنعة البديعة الشائعة يومذاك على أقلام الكتاب . (8) كتاب في حقائق التصوف . (9) كتاب شرح الاجرومية « جمعت فيه بين النحو والصرف عبارة وإشارة كصناعة التفسير » (10) تأليف في أربعين حديثا في الأصول والفروع والدقائق . (11) شرح الحزب الكبير للشاذلي . (12) شرح اسماء الله الحسنى « افردت لكل اسم بابا كما فعل القشيري في التحبير » (13) حاشية مختصرة على الجامع الصغير للامام السيوطي . (14) شرح همزية البوصيري وبرده . (15) تأليف في القضاء والقدر . (16) تأليف في الغيبة ومدح العزلة والصمت . (17) كشرف النقاب عن لب الالباب . (18) شرح الصلاة المشيشية . (19) قصائد وتوشیحات وأزجال من الشعر التصوفي ، جمعت في ديوان مستقل ، بعضها في تفسير الملك والملوك وبعضها في شأن النفس والعقل والقلب والروح وما يتعلق بذلك .

وأكثر هذه المؤلفات ، على قرب العهد ، ضاع ودرس ، ولم تظفر الايدي الا بأقله ؛ على أن الاستاذ محمد داود في مختصر تاريخه (1) يذكر بأنه وصف في مطوله خمسة عشر من تأليف ابن عجيبة وقف عليها بنفسه .

لقد أمضى ابن عجيبة العالم الجامع بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن أيام حياته بين درس وتحصيل وتدریس وتالیف وعبادة وزهد في متاع الدنيا الحقير حتى رجعت روحه الى ربها راضية ، مرضية في سنة 1224 هـ ، ورقد جثمانه في تربة مدشر الزميج من قبيلة أنجرة .

لا تنتظر أن أحدثك عن « البحر المديد في تفسير القرآن المجيد » قبل أن أصور لك شغف الرجل بالقرآن

الكریم منذ نعومة اظفاره ولولوعه بعلومه وتضلعه في علم التفسير خاصة ، ولقد رايت ، قبل ، كيف كانت نشأة عالمنا قائمة على الدين مرتكزة على العلم ، ومن أجل ذلك كان أول لقائه بالكتاب الكريم يوم جاء به الى كتاب القرية ليقرأ القرآن ويستظهره ، فكان هذا اللقاء فاتحة رفقة خيرة ومطلع صحبة طيبة بين عالمنا وبين كتاب الله الكريم ، وهكذا امضى سنوات ، وهو صبي يطوي الاعوام الاخيرة من العقد الاول ويجتاز عتبة عقده الثاني ، يداب على قراءة القرآن ويواظب على حفظه ، فلما انتقل من الكتاب في القرية الى مجالس العلم وحلقاته في تطوان وفاس اقبل بحب وشغف على دروس التفسير ، تلك التي كان ينهض بها علماء فحول من مثل القاضي عبد السلام بن قريش والعلامة محمد الجنوي والورع الزاهد سيدي احمد الزعري ومن اليهم ؛ وكانت حصيلته من علم التفسير عظيمة ، ففي باب « ذكر ما حصلناه من العلوم الظاهرة والباطنة » في فهرسته يقول بعد أن ذكر مجموعة من العلوم حصلها : « ومن علم الاديان علوم القرآن وخصوصا التفسير فقد فتح علي فيه بما لم يفتح على أحد غيري في زماننا هذا » ، وحينما رغب عن بهرج الدنيا وأعرض عن متاع الحياة وحلقت منه النفس والفؤاد والروح جميعا في آفاق من الاشرار الالهية وأجواء من الضياء الرباني كان القرآن رفيقه ، والرفيق قبل الطريق ، في تلك المسالك التي يمتزج فيها الجهد بالمتعة « فكنت لا أصبر عنه - أي القرآن - وكنت أقرأ في الصلاة قائما ، فاذا ضعفت صليت جالسا ، وربما ختمت في الشهر أربع عشرة ختمة ، ثم قرأته باللوح فقرات رواية المكي والبصري وبدأت السبع فلم أدركه وكنت لا أقرأ في اللوح حتى اطالع التفسير وأفهم المعنى فبقيت كذلك مدة ثلاث سنين أو أربع » .

وانك لتستطيع أن تعرف مبلغ علم هذا العالم الجليل بالمعرفة القرآنية التفسيرية من خلال قراءتك للمقدمات العشر التي صدر بها كتابه في تفسير الفاتحة ، وهي في نحو ست وثمانين صفحة من القطع المتوسط ، ففيها صورة لاطلاعه الواسع على كل ما يمت للقرآن وعلم تفسيره بصلة ، ولولا أنني أخشى الإطالة لاستطردت مصورا لك ذلك الاطلاع من خلال تلك المقدمات العشر .

وعلى أي حال فالنتيجة التي نريد أن ننتهي اليها من كل ما تقدم هي أن تلك الرفقة الطيبة الخيرة مع

كان وفيًا لخطوط المنهج الذي رسمه لنفسه في مقدمة تفسيره حينما قال بأنه سيقدم « في كل آية ما يتعلق بهمم العربية واللغة ثم بمعاني الالفاظ الظاهرة ثم بالإشارات الباطنة متوسطاً في ذلك بين الاطناب والاختصار » وحينما قال في المقدمة ايضاً بأنه لا يصح ذكر التفسير الباطني « الا بعد تقرير الظاهر ثم يشير الى علم الباطن بعبارة رقيقة وإشارة دقيقة » ، وأذن فهو لا يعالج التفسير بالطريقة الاشارية فقط على نحو ما فعل محمد بن الحسين السلمي في كتابه « حقائق التفسير » وما صنع أبو محمد الشيرازي في كتابه « عرائس البيان في حقائق القرآن » . وإشارات ابن عجيبة ، على العموم ، لا تفرق في غرابة المعنى وغموض الفكرة والبعد عن مدلولات اللفظ القرآني وإيحاءاته كما هو الحال بالنسبة لبعض إشارات المفسرين الذين عالجوا هذا اللون من التفسير ، ان الإشارات العجيبة حافلة ، فعلاً ، بالغوامض والدقائق والرموز ، ولكنها في كل ذلك لا تبعد ، حين تبعد ، عن اللفظ القرآني الا بالقدر الذي تظل به مرتبطة بمدلول ذلك اللفظ وإيحاءاته .

أما مصادر ابن عجيبة (1) في تفسيره فهي : «أنوار التنزيل وأسرار التأويل » للبيضاوي و « إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم » لأبي السعود العمادي و « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » للشعلبي وكتابي القشيري (2) في التفسير « التيسير في علم التفسير » و « الإشارات » ، وشيء من تفسير ابن جزري وحاشية شيخ الشيوخ عبد الرحمن الفاسي ؛ ويلاحظ ، مثلاً ، انه لم يتأثر بمصدره البيضاوي فيما أخذ عليه من ذكر حديث عن النبي عليه السلام في آخر كل سورة في فضلها وما لقارنها من الثواب ، وهي أحاديث اتفق العلماء على أنها موضوعة .

ان مكانة تفسير ابن عجيبة بين التفاسير الكثيرة جداً مكانة عظيمة ومزموقة ، فهو - فيما نعلم - أول تفسير يجمع فيه صاحبه بين الظاهر والباطن فيوفق الى أبعد الحدود ؛ ذلك أن جل المفسرين عنوا بالظاهر ،

وبعضهم كان يعرض للإشارة بإيجاز ويقدر من مثل النيسابوري والألوسي ، وبعضهم الآخر أغرق في التفسير الاشاري ولم يلتفت للظاهر الا في بعض الأحيان كسهل التستري ، في حين صرف آخرون همتهم للناحية الاشارية ولم يلتفت ، بالاطلاق ، الى الناحية الظاهرية مثل أبي عبد الرحمن السلمي ، وعالج فريق آخر التفسير الصوفي النظري منه والاشاري ولم يتطرق الى الظاهر مثل مؤلف التفسير المنسوب لابن عربي . فابن عجيبة ، بالنتيجة ، يكون - فيما نعلم - أول مفسر يكتب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم جامعاً بين الظاهر والإشارة ، أفرغ فيه وسعه وبذل جهده حتى جمع له بين الحسينيين .

وفيما يلي نقدم نموذجين للإشارة العجيبة ، أولهما عن قوله تعالى من سورة الرعد : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها » ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر ، يفصل الآيات لعلكم تلقوا ربكم توفنون » الإشارة : « الله الذي رفع سموات الارواح وزينها بنجوم العلم وقمر التوحيد ، وأشرق عليها شمس العرفان وأسرار التفريد ، ثم استوى بأسرار ذاته وأنوار صفاته على العرش وهو قلب العارف لانه سرير المعرفة ومحل بيت الرب ، وسخر شمس المعرفة وقمر التوحيد يجريان بالترقي الى محل التمكين وهو الاجل المسمى لهما ، يدبر امر السير والترقي ويفصل دلائل الطريق الموصلة الى عين التحقيق لعلكم بالوصول الى ربكم توفنون حين يكون ذوقاً وكشفاً ؛ والله تعالى أعلم (3) » .

وثانيهما عن قوله تعالى في سورة الناس : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس » ، الإشارة : « لا ينجي من الوسوسة بالكلية الا التخفق بمقام الفنا الكلي وتعمير القلب بأنوار التجليات المستوية والاسرار الجبروتية حتى يمتليء القلب بالله .

- (1) ذكر بعض هذه المصادر في آخر تفسيره ، وأشار الى بعضها في مقدمة من مقدماته العشر لتفسير الفاتحة
- (2) ذكر ابن عجيبة ان القشيري هو امام الطريقة الرمزية الاشارية في التفسير ، ثم قال : « ... وذكر ابن خلكان ان ابا القاسم القشيري صنف التفسير الكبير وسماه التيسير في علم التفسير وهو أجود التفاسير ، فهو تفسير آخر له غير المسمى بالإشارات ، وقد وقفت عليهما معاً فالتفسير كتاب كبير في اربع مجلدات واما الإشارات فصغير في مقدار مجلدين والله تعالى أعلم » .
- (3) من الجزء الثاني .

ملزم بأن يرى ؛ بل يؤمن بأن هناك قبل المعنى الفيضي
أو الاشاري معنى ظاهرا هو الذي يجب أن يفهم من
الآية قبل غيره .

وانما سقنا هذا الكلام المقتضب عن التفسير
الإشاري لنقول لك بأن البحر المديد تفسير إشاري
ولنقول لك أيضا بأن صاحبه ابن عجيبة في طبيعة
المفسرين الإشاريين أن لم يكن أروعمهم على الإطلاق؛
على أننا يجب أن ننبه إلى أن تفسير ابن عجيبة ليس
تفسيرا إشاريا محضا وانما هو يجمع بين المذهبيين
الظاهري والإشاري فيؤلف ، بذلك ، بين عبارة
الظاهريين وإشارة الباطنيين ؛ ومن هنا نجده في مقدمة
تفسيره يؤكد بأن مهمة التفسير مهمة شاقة وعملية
عسيرة ، لا يقدم عليها إلا « العالم النحرير الذي رسخت
أقدامه في العلوم الظاهرة عربية وتصريفا ولغة وبياننا
وفقها وحديثا وتاريخا ، يكون أخذ ذلك من أفواه
الرجال ثم غار في علم التصوف ذوقا وحالا ومقاما
بصحة أهل الذواق من أهل الحال والا فسكوته عن
هذا الأمر العظيم أسد واشتغاله بما يقدر عليه من علم
الشريعة الظاهرة أتم (1) » ، ولقد أطلعناك على علم
ابن عجيبة في المنقول والمقول ، والمحنا إلى زهد
وتصوفه ، وأقرأ هذه الكلمات لتعرف مكانته في عالم
التصوف نظرا وسلوكا : « وأما التصوف فهو علمي
ومحط رحلي فلي فيه اليد الطولى والقدم الفالاج ،
حزت فيه قصب السبق على طريق أهل الذواق فله
الحمد وله الشكر (2) » فابن عجيبة ، إذن ، هو ذلك
العالم الذي يذخر من الكفاءات العلمية والتصوفية
بأونيتها النظري والتطبيقي أو السلوكي ما يؤهله للقيام
بمهمة التفسير ، فهو - كما رأيت - عالم نحرير
« رسخت أقدامه في العلوم الظاهرة وتنورت سرائره
بالأنوار الباهرة ، قد سلك الطريق واشرقت عليه أنوار
التحقيق (2) »

وفي المقدمة يتصدى عالمنا للتفسير الإشاري
فيقول : « وأعلم أن القرآن الكريم له ظاهر لاهل
الظاهر وباطن لاهل الباطن ، وتفسير أهل الباطن
لا يذوقه إلا أهل الباطن ، لا يفهمه غيرهم ولا يذوقه
سواهم ، ولا يصح ذكره إلا بعد تقرير الظاهر ، ثم
يشير إلى علم الباطن بعبارة رقيقة وإشارة دقيقة ،
« فمن لم يبلغ فهمه لذوق تلك الأسرار فليسلم ولا
يبادر بالإنكار فان علم الذواق من وراء طور العقول ولا

يدرك بتواتر النقول » ثم يعرض بعد ذلك كلام بعض
العلماء في التفسير الإشاري من مثل صاحب لطائف
المنن وسعد الدين في شرح عقائد النفي وكلام الشيخ
زروق رضي الله عنه عن نظر الصوفي وقيمة الإشارة ،
ثم تصدى ، بعد ذلك ، بالشرح للحديث المروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم : « كل آية ظاهر وباطن وحد
ومطلع » فقال : « فالظاهر لمن اعتنى بظاهر اللفظ
كالنحاة وأهل اللغة والتصريف ، والباطن لمن اعتنى
بمعنى اللفظ وما دل عليه الكلام من الأمر والنهي
والقصص والأخبار والتوحيد وغير ذلك من علوم
القرآن وهو نظر المفسرين ، والحد لمن اعتنى باستنباط
الأحكام من وهم الفقهاء ، فهم ينتهون إلى ما يدل عليه
اللفظ وسبق لاجله دون زيادة عليه ، والمطلع لأهل
الحقائق من أكابر الصوفية لأنهم يطلعون من ظاهر الآية
إلى باطنه فيكشف لهم عن أسرار وعلوم وغوامض
تجلى لهم عند استعمال الفكرة فيها »

ولقد صرفت لحظات ؛ بل ساعات مملدة ،
معدودة ، اتصفح هذه الأجزاء الأربعة الضخام التي
بتألف منها تفسير ابن عجيبة ، ولكن الساعات مهما
طالت فهي لن تتيح دراسة متعمقة لمنهجية ابن عجيبة
في تفسيره وانما الذي اتاحت لنا تلك الساعات هي
تكوين خطوط عامة ، لا أبرئها من النقص ، للمنهجية
التي اتبعها ابن عجيبة في تفسيره والتي نرجو أن
نتفرغ لدراستها في مستقبل الأيام بحول الله ، تلك
الخطوط العامة لمنهجية ابن عجيبة تتجلى في أنه يورد
في أول كل سورة بعض الحقائق المتعلقة بها كاسمائها
وعد آياتها ومكان نزولها ووجه مناسبتها لما قبلها ،
حتى إذا فرغ من ذلك أخذ آية أو آيتين أو أكثر ومضى
يعالج جانبها النحوي واللغوي والتصريفي في غير ما
إطالة ، ثم ينتقل من هذا ليُفسر الآيات تفسيراً ظاهرياً
بعبارة سهلة واسلوب لا اثر للصنعة والتكلف فيه مما
كان معروفاً عهدئذ عند الكتاب المشاركة على الخصوص ،
وهو في أثناء تفسيره الظاهر قد يستشهد بالحديث
النبوي الشريف وبعض الشعر الحكمي والزهدي ، ولسنا
نجد عنده أطناباً في بسط بعض الآيات التي ، ربما ، تكون
أكثر من غيرها أغراء بالاطناب مثل آيات الأحكام ،
ولكننا مع هذا نلمس في تفسيره اطلاعه الفقهي ومعرفة
بمذاهب أعلام الفقه ؛ فإذا ما انتهى من تفسيره الظاهر
ذيل ذلك « بالإشارة » التي يضمنها المدلولات الفيضية
والمفاهيم الإشرافية للآيات الكريمة ؛ وهو في ذلك كله

(1) من فهرسته .

(2) من مقدمته لتفسير الفاتحة .

لقد قرأنا

للأستاذ عبد العلي الزبيدي

اليه ، ولو بلغ المدى البعيد في المسافة والمناى . وكلنا يعلم ان الاسلام ظهر في مكة ، ولكنه لم يلق من التأييد بها مثل ما لقي في المدينة ، وكلنا يعلم كذلك ما كان يتصف به فقهاء الحجاز في العصور الوسطى من تساهل ديني ، اذا هو قورن بما عرف به فقهاء العراق من

تشدد في الدين ، يصل احيانا الى حد التزمت ، مع بعد المسافة بين الحجاز مهد الاسلام ، وبين العراق الذي كان قريب عهد بالمجوسية الفارسية ، بل كان لا زال لها فيه وجود وسلطان . وكلنا يعلم ايضا ان اجيالا من علماء الاسلام وزهاده ورجال التصوف فيه ، كانت من عروق غير عربية ، ومن الذين وصلتهم الدعوة متأخرة بالنسبة لغيرهم ، وينتمون الى اقطار تبعد عن مهد الاسلام بمئات الاميال . والمؤرخون يطلون هذه الظاهرة بعقل مختلفة ، كشعور حديث العهد بالاسلام بالحاجة الى الوقوف على قدم المساواة مع من بعد العهد باعتناقه الاسلام ، وقد يؤدي به ذلك الى التزمت ، ويمكن ان نضيف الى ذلك كون جماعة من الناس الداخليين في الاسلام مؤخرا ارادت التكفير عن ماضيها السيء ، عن طريق التشدد في التقيد بمبادئ الاسلام وقواعده .

ولعل ما عرف به المغاربة من قديم ، من اتباعهم لكتاب الله والتزامهم بجميع شرائعه ، ان يكون راجعا الى تلك العقدة التاريخية القديمة ، عقدة كونهم يعتبرون من الموجات الانسانية التي وصلتها دعوة الاسلام متأخرة . فاذا كان العراقي والمصري والسوري

اننا نعيش في جو قرءاني هذه السنة ، جو يعبق يشذى النفحات الالهية ، وبفيض على القلب والنفس باقباس من المعاني الربانية ، فالارواح منه في خشوع ، والقلوب في نشوة من قداسة الذكرى وجلال الحدث .

وانها لخطوة مباركة مثمرة هذه التي تخطوها الدولة المغربية ، في دعوتها الى احياء هذه الذكرى المجيدة ، وحث العاملين في الحقل الاسلامي في الداخل والخارج ، على المساهمة فيها بالبحث والدرس .

وانه لمن غريب الصدف ، ان يكون هذا البلد المسلم ، الذي لم يصل الاسلام اليه الا بعد مشقة وجهد ، وبعد ان انتشر في بقاع نائية عنا من الارض ، وحتى عند ما وصلنا لقي من المصاعب والمتاعب ما يفت في العضد ، ويضعف من العزم ، الامر الذي كلف الفاتحين المسلمين الاولين لهذه البلاد تضحيات جساما ، بسبب الجهل والخرافة والروح القبلية الضيقة التي كانت مسيطرة على هذه البلاد ، اقول من غريب الصدف ان يكون هذا البلد الموجود في اقصى بلاد المغرب العربي ، هو الذي يدعو اليوم الى الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرءان الكريم .

ولكن لو تأملنا لوجدنا ان من وراء ذلك حكمة يشاؤها الله ، فان يلقي الاسلام تأييدا واسنادا من بلد يبعد بكثير عن موطنه الاصلي ، يظهر ان الاسلام قادر على ان يصنع المعجزات في اي شبر من الارض وصل

فحينئذ تنقلب وسوسته في اسرار التوحيد فكرة
ونظرة وشهودا للذات الاقدس كما قال الشاعر :

ان كان للناس وسواس يوسوسهم

فأنت والله وسواسي وخناسي (1)

وبعد :

فان الفكر التصوفي اذا كان يضم في خزائنه
القرآنية جل ما كتب والى في التفسير الفيضي
الاشاري فانه مما لا يرضينا ان تظل مكانة الاسهام
المغربي في تلك المكتبة شاغرة ؛ ومن أجل ذلك فاننا

(1) من الجزء الرابع .

لانتركها فرصة تفوتنا دون ان نلتمس من مولانا امير
المومنين وحامي حمى الوطن والدين ان يسد - حفظه
الله - الثغرة في مكتبة التفسير التصوفي باصداره
امره الشريف بطبع « البحر المديد في تفسير القرآن
المجيد » ؛ وبذلك يضيف مولانا امير المومنين ، حفظه
الله ، الى حسناته في سجل خدمته لكتاب الله وحديث
رسوله (ص) وهي لاتعد ولا تحصى حسنة اخرى
تذكرها له - نصره الله - اجيال الاسلام في الحاضر
والمستقبل .

تطوان - حسن الوراكلي



ويعظم الخطب ، يذكر الجميع اخيرا انهم مسلمون ، ومسلمون لا غير ، فاذا ذكر الاسلام يحل السلام محل الحرب ، والوئام مكان الخصام ، وينادي المناادي ان حى على كلمة سواء ، تجمع الشمل ، وترتق الخرق ، وتأسو الجراح . شهد التاريخ مرارا على ما للاسلام من تأثير بليغ في نفوس المغاربة ، فهو روح وطنيتهم ، وعمدة زعاماتهم ، ومحور بطولاتهم ، واس مجتمعهم ، باسم الاسلام كونوا الدول واسسوا الحكومات ، وحملوا راية الجهاد ، وكافحوا الاستعمار ، وحرروا الوطن ، وقاوموا الاباطيل ، وردوا كيد الفادر ، وحملة المفير ، طيلة عصور المغرب الاسلامي .

وكما توحد المغاربة بالاسلام والقرءان في القديم ، فهم يتوحدون بهما في الحديث ، وفي المستقبل كذلك ، ولعل حاجة المغاربة الى تقوية هذه الرابطة اليوم ، لا تقل عن حاجتهم اليها في اي وقت مضى . لاننا نعيش في عصر يعج بمختلف المذاهب والآراء والفلسفات ، منها البناء ومنها الهدم ، وبما ان الهدم اسهل من البناء ، فقد لقيت الهدامة منها رواجا كبيرا في كل انحاء العالم ، ونحن ككتلة بشرية تتأثر بمختلف التيارات التي يزدحم بها العصر ، لابد ان يصلنا حظنا منها احببنا ام كرهنا ، خصوصا وان وسائل الطباعة والاذاعة والتلفزة ، قد ضربت الرقم القياسي في سرعة نقل الاخبار العلمية والادبية والسياسية وغيرها .

قد يقول قائل : لماذا هذا الكلام الان ؟ ان الاسلام بخير في جميع الاقطار العربية ، والمسلمون هنا لا يختلفون عنهم هناك ، كلهم مسلمون ، لا يماري في ذلك احد ، وقد يزيد قائلا : ومن يجحد اسلام المغاربة حتى نتصدى للدفاع عن اسلاميتهم وعراقبتها في تاريخهم ، ورسوخها في حاضرهم ؟ .

وقد بينت من قبل اني لا اريد بهذا الحديث تركية المغاربة كمسلمين ، ولا ادعاء ان اسلامهم احسن واقوى ، من اسلام غيرهم ، ولكن الذي اريده والحق عليه ، هو اننا يجب ان نتخذ من الاسلام والقرءان درعا يقينا شر المذاهب الهدامة التي وجدت لها مرتعا خصبا في بلاد اخرى ، فالحق ان اصعب ما يواجهنا الان ، هو تحويل النظريات والمبادئ الاسلامية الى واقع معاش ، يطبع حياة الاسرة وحياة المجتمع ، وليس معنى هذا ان الواقع الذي نعيشه الان بعيد عن الاسلام من جميع نواحيه ، فللدين تأثير على حياتنا كمسلمين مومنين بالله ورسوله ، والوجدان الديني عندنا بخير ، الا ان الملاحظ هو كون طابع الخرافة ما

زال مسيطرا على الاكثرية من المغاربة الذين ما زالت الامية ضاربة اطنابها بينهم ، على حين ان الاقلية المثقفة ثقافة اسلامية تعيش بعيدة عن تلك الاكثرية ، قاصرة جهدها على معاهد الدرس ، غير ملتفتة الى السواد الاعظم الذي يقع فريسة الخرافة ، اللهم الا ما كان من بعض المبادرات الفردية التي لا تكفي في هذا الصدد .

فنحن مقبلون او قل ما يجب ان نكون مقبلين على عدة اشياء : منها تصحيح الاوضاع الاسلامية في بلدنا ، فالكثيرون منا يفهمون الاسلام على غير حقيقته ، ويقعون تحت تأثير الخرافات والاوهام ، فعندما لا يتمكنون من اخذ معلوماتهم الدينية الضرورية من مصدرها الرئيسي ، يتجهون بعقولهم البسيطة الى المشعوذين والدجالين الذين يسيئون الى الاسلام عن عمد وعن غير عمد . والمغربي كمسلم يتصل بالدين اتصالا مباشرا ، ويشعر بحاجته الى اكتساب معلومات عنه في جل نواحي حياته ، ان لم نقل في حياته كلها : في صلاته ، وزكاته ، وصيامه ، وحجه ، ومعاملته لزوجه واولاده ، وابويه واخوته ، وفي حله لمشاكله العائلية والاجتماعية ، وكذا في بيعه وشرائه ، وسائر معاملاته المالية ، فهو مضطر اذن لان يعرف راي دينه في كل هذا . وحينئذ اما ان يملأ ذهنه بالعلم الحق ان وجد اليه سبيلا ، واما ان يملأه بالخرافات اذا اعوزته الطرق المؤدية الى العلم الصحيح . فلنكن على يقين من انه لا يمكن ان يبقى خالي الدهن فارغ الرأس تماما . فهو اذا لم يملأ راسه بالعلم ، عششت فيه الخرافة . والخرافة التي تلبس لبوس الدين مسيطرة على السواد الاعظم من المغاربة .

ومن تلك الامور التي نحن مقبلون عليها نشر العلم الذي هو اقوم سبيل للقضاء على الخرافة واستئصالها من جذورها . والعلم المراد نشره لابد ان يسير في اتجاهين يلتقيان في آخر الشوط . الاتجاه الاول هو اتصال العلماء بالطبقات الشعبية ، لتصحيح افكارها عن الاسلام وحقائقه وحدوده ، وذلك بوضع خطط منظمة تكفل نجاح المهمة ولا تعرضها للفشل . فنحن لحد الان نرى ان التصدي لهذا العمل يوجد اليوم في نطاق ضيق من جهة ، وغالبا ما يوكل لاختيار الافراد ومبادراتهم من جهة اخرى ، وهذا لا ياتي بالنتائج المطلوبة ، لكونه يفتقر الى وضع تخطيط دقيق ، يكون من شأنه ان ياتي بالنتائج المرجوة .

ويحتاج هذا العمل الى تخصيص مبالغ مالية لهذا الغرض ، والى تأليف لجان للسهر عليه ، على ان

قد بلغته الدعوة قبلنا ، ومع ذلك يتشدد في الدين في تلك المصور ، فما ذا نفعل نحن وقد وصلتنا الدعوة بعده ، وبعد سلسلة طويلة من الجهود والاعمال العسكرية الطويلة المدى ، والتي استغرقت من الزمن نحو سبعين سنة ، كلها نضال وكفاح ؟ .

ايكون سبقنا اليوم في الدعوة الى احياء هذه الذكرى ، راجعا الى تلك العقدة القديمة ، التي ربما كانت رواسبها ما زالت تعمل في اعماق نفوسنا الى اليوم ؟ فمن المعلوم ان عقد التاريخ لا تموت ابدا ، وانما تبقى حية عالقة بوجدان القوم ، في جميع مراحل حياتهم ، وكل ما هنالك انها تكمن في الاشعور او في العقل الباطن ، لتتحرك متى توفرت الظروف الملائمة لاثارتها من جديد .

قد تكون متاثرين بتلك العقدة ، بيد اننا ينبغي الا ننسى ان هناك عوامل اخرى لا تخفى على الباحث ، كان من شأنها ان دفعتنا الى هذا العمل ، فنحن قوم لنا ظروفنا واوراقتنا التاريخية والحضارية الخاصة ، الامر الذي زادنا يقينا بان الوسيلة الوحيدة للتقدم والنهوض ، هي التثبت بقواعد الاسلام وتعاليم القراء ، التي افادتنا بتجربتنا كامة لها تاريخ حافل مجيد ، انها كانت وما تزال وستبقى دائما اساس عزنا ، ودعامة سيادتنا ، ومناط وحدتنا القومية . والعامل من لا ينسى التاريخ ، ولا يفوته اخذ العبرة من الحاضر ، وقد اخذنا العبرة فعلا .

وعليه فالصوت الذي ارتفع هنا بوجوب الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القراء ، كان رد فعل ضد الضلال المذهبي الذي كان له سلطان على انحاء عديدة من الارض .

والمقاربة عند ما يحافظون على دينهم ، ولا يريدون به بدلا ، من عامتهم الى خاصتهم ، لا يصدرون عن تعصب ، ولا عن جهل بما يجري في العالم من احداث وتطورات ، وانما هم يفعلون ذلك لانه الامر الطبيعي الذي ينسجم مع تاريخهم ، ومع طبيعة تكوينهم الاجتماعي والسياسي والثقافي .

فالمغرب هو بلد الزوايا والربط ، وهو ملجأ المالكية العتيبة ، والمالكية في المغرب قصة طويلة ، لها جانبها الفقهي ، وجانبها الاجتماعي ، وجانبها السياسي ايضا . ومواقف رجال المالكية في تاريخ المغرب مسجلة بمداد الفخر على صفحات التاريخ . والمغرب هو البلد الذي قامت جميع دوله المتعاقبة على

اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الى اصلاح الدين والاجتماعي والسياسي ، على ضوء تعاليم القراء . وهذا البلد الذي حمل راية الجهاد فيما يليه من البلاد شمالا وجنوبا ، وقدم ارواح ابائنا امثالنا لاوامر القراء في الدفاع عن حوزة الاسلام ، ومجاهدة اعدائه من الخوارج الجدد ، والمرتبدين والمفيرين . فلا غرو اذا كان الوجدان الديني عند المغاربة قويا ، لا تنال من قوته الايام والاحداث .

ولسنا نزع ان اسلامنا اقوى من اسلام غيرنا ، ولا ان ايماننا احسن من ايمانهم ، فهذا يتجاوز ما نستطيع الى ما نستطيع ، وانما نقول فقط : اننا مهما كانت احوال العالم المحيط بنا ، لابد ان نبقي مسلمين ، ومسلمين فقط ، لان ذلك هو ما يقتضيه منطق تاريخنا وشخصيتنا وكياننا الاجتماعي والسياسي والثقافي ، وعلى ذكر الكيان الثقافي ينبغي لنا ان نذكر جيدا ان الثقافة الاسلامية لها في هذا البلد وجود عريق ، فالمغرب هو بلد الفقهاء منذ عصوره الاسلامية الاولى الى اليوم ، وهو الوارث الشرعي للفقه الاندلسي ، وللشريعة في هذا البلد دعائم راسخة ، وما زال لها فيه وجود يجمع بين التراث القديم ، ومعطيات الثقافة الحديثة . ولا يخفى على احد ان السلفية ليست تعصبا كما يزعم بعض البسطاء ، وانما هي كفاح وجهاد وعقيدة ودعوة الى اصلاح ، كذلك كانت ، وكذلك تستمر اليوم ، لا في المغرب وحده ، بل حتى في بعض البلاد العربية والاسلامية .

والسر في تماسك المجتمع المغربي ، بواديه وحواضره ، جباله وسهوله ، هو عقيدة الاسلام المهيمنة على الجميع ، منذ ان اصبح للاسلام دولة في هذه الديار الى اليوم ، والتاريخ يثبت ان الفاتحين العرب الاولين لهذه البلاد ، لم يستطيعوا تثبيت اقدامهم فيها ، الا يوم تمكنوا من تحبيب الاسلام الى سكانها الاصليين ، ثم لم تكد تمر حقبة من الزمن ، حتى كان الجميع عربا وبربرا متاهبين لمعركة الجهاد والفتح ، فيما يلي المغرب من بلاد اسبانيا النصرانية ، ترفرف فوق رؤوسهم الوية الاسلام ، ومن يومئذ والاسلام جامعة المغاربة العتيبة ، والقراء ملاذهم الاوحد ، يرجعون اليه في خاصة امورهم وعامتها ، وكم قام عندهم مقام الجيوش المظفرة ، والجحافل الجرارة ، في اخضاع الثائر ، وتاليف النافر ، وقرار النظام ، فعند ما تطل الفتن براسها ، وتكشر عن اتياها ، وتعصف النمرات بالرؤوس ، والعصبيات بالنفوس ، وتحتدم الاهواء ، وتزمرج الاحقاد ، وتقع الكارثة ،

محيي الذّين محمد ، كنموذج لهذا النوع من الكتب الهدامة المفرضة .

ولكن بالرغم من ان حظنا من ذلك يسير ، فآزمة القيم لا تخفى على الباحث في اوساط الشباب المغربي . فلئن لم يكن لها من وجود في الصحافة الادبية المغربية ، فلأن هذه توجد في ايدي امينة مخلصه تقف حاجزا دون الافكار المنافية للاسلام ، ان تتسرب الى حياتنا الابدية ، وان كان الامر قد يجوز عليها احيانا . فعندما تغشى اوساط الشباب وتبادلهم الراي وتراقب سلوكهم في الحياة الاجتماعية ، فانك تلاحظ ازمة القيم التي يتخبطون فيها ، ومما جعل من الراء المسيطرة عليهم ازمة ، كونهم يعيشون داخل مجتمع اسلامي

متمسك باسلاميته ، وينتمون لدولة مسلمة ينص دستورها على انها دولة مسلمة ، على حين ان افكارهم تتنافى مع التزاماتهم كمواطنين مسلمين في وطن مسلم ودولة مسلمة .

هذا الشباب لا يمكن اصلاحه بالنصح والارشاد، او بالحيلولة بينه وبين الثقافات الآتية من هنا وهناك ، او بتقريبه ولومه ، وانما يكون الاصلاح بوضعه في اطار حياة اسلامية يحميها القانون الاسلامي والراي العام المسلم ، وانا ضامن لك انه بعد مرور بضع عقود من السنين سيجد الجيل المغربي المقبل نفسه اسلاميا لا يعرف غير القرآن والاسلام له هدفا وغاية .

فاس : عبد الطي الوزاني

همم الملوك ...

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها
من بعدهم فبالسن البنيان
ان البناء اذا تقادم عهده
اضحى يدل على عظيم الشأن

ميسورة نسبيا ، نظرا لكونه ملموسا ومشهودا ،
وخاضعا للمراقبة والرأي العام .

وهذا هو النهج الذي بدأ به الاسلام ، وهو النهج
الذي يجب ان نبدأ به اليوم ، الاسلام وجه عنايته اولا
الى تنقية النفس العربية من ادرانها ، والمجتمع العربي
من خرافاته واوساخه ، ولذلك كانت سور القرآن
المتعلقة بتصحيح المعتقد من اوائل ما نزل من القرآن،
فلما رسخت عقيدة التوحيد وانكشف الخرافة على
انها خرافة ، ونسفت قواعد المجتمع الجاهلي ، وازيلت
الالفام من طريق الاسلام الواضحة ، وضعت في المدينة
اسس المجتمع الاسلامي الجديد ، ليحل محل ذلك
المجتمع الجاهلي الزائل . التنقية اولا ، ثم البناء ثانيا.
وبغيز هذا النهج ، نبقي غير قادرين على تحقيق الغرض
المنشود .

وعملية تنقية المجتمع من المساوئ المتعارضة
مع قواعد الاسلام ، ينبغي الا يقتصر فيها على مقاومة
المظاهر غير الخلقية ، فهذا على ما له من قيمة ، ليس
من شأنه ان نحقق ما نصبو اليه من حياة اسلامية
صحيحة ، التنقية يجب ان تكون من الجذور ، من
الاساس ، والاساس هو اساليب التربية المتبعة حتى
اليوم ، التربية بمعناها الخاص ومعناها العام ،
فابناؤنا لا يربون في البيوت تربية اسلامية ، ومجتمعنا
لا يربي الفرد بعد ان يحتضنه تربية اسلامية ، اللهم
ما كان من تربية تقوم على اساس المصادفة اكثر مما
تقوم على اساس القصد والتوجيه . والمجتمع يربي
الفرد عن طريق الصحف والمجلات وسائر اجهزة الثقافة
ووسائل الاعلام ، وكذلك عن طريق القيم السائدة فيه
وعن طريق ما يتمسك به من عادات وتقاليد وفنون
ومعارف ، وما هو من هذا القبيل . وكل هذه
الوسائل التربوية يجب ان يعاد النظر فيها واخذها
بما يتلاءم مع وجهة الاسلام ، والا فنحن غير قادرين
على تنظيف النفس والمجتمع تنظيفا جذريا .

واذا كان العالم العربي كله يعاني من ازمة القيم ،
فنحن نأخذ حظنا من هذه المعاناة ، ولكنه حظ لم يصل
الى خطورة الحطوط التي اخذت منها بلاد عربية اخرى،
فصحافتنا الادبية نظيفة ، خالية من الافكار الملحدة
التي ظهرت في بعض مجلات الشرق العربي وصحفه ،
والكتب المنشورة في بلادنا خالية من الزندقة الفكرية ،
على حين ان مطابع الشرق تطلع علينا بين حين وآخر
بكتب كلها زندقة والحاد . ويمكن للباحث ان يطلع
على كتاب (ثورة على الفكر العربي المعاصر) مؤلفه :

يختار اعضاؤها من الناس المقتنعين بقيمة هذا العمل
الذي يناط بهم ، المؤمنين بأهميته وجدواه ونجاحه في
آخر الامر ، ثم لابد من التفكير في اختيار العناصر
الصالحة لاداء هذه المهمة ، من ذوي الثقافة الاسلامية،
وبلادنا غاصة بهم والحمد لله . فاذا تهيأ لنا ان نجد
ذوي الاستعداد الحسن للقيام بهذه المهمة ، كان من
اللازم ان يعمروا بتدريب يستغرق سنة او سنتين ،
يكتسبون خلاله قدرة على تبسيط نظريات الاسلام
للغامة بطرق جذابة سهلة وميسرة . ومن الضروري
حينئذ ان توضع كتب دينية قريبة العنال ، سهلة
المأني ، لتكون في متناول من يظهر استعدادا للقراءة
الاولية من عامة الشعب ، اما الابنية التي ينبغي ان
تخصص لهذا الغرض ، فاعتقد انها موجودة عندنا ،
فهناك المساجد ، وهناك قاعات المحاضرات ، وهناك
المدارس التي تفرغ من تلاميذها يومين في الاسبوع ،
زيادة على العطل القصيرة وعطلة الصيف الطويلة ،
بحيث يمكن شغلها بهذا الامر خلالها .

واما الاتجاه الثاني ، فهو الزيادة في نشر التعليم،
ونحن نذكر لدولتنا العلوية انها جادة في نشر العلم، بين
طبقات الامة ، وان عدد الاطفال الذين يلتحقون بمدارس
الحكومة يزداد ارتفاعا سنة بعد اخرى ، من الاستقلال
الى اليوم ، بالرغم من المصاعب الموجودة في الامكانيات
المادية والادبية ، ولكن كم نود ان تقوى هذه الحملة
ضد الجهل وتشدد ، لتصبح شغلنا الشاغل في هذه
المرحلة من تاريخنا .

ومن تلك الامور التي نحن مقبلون عليها او يجب
ان نكون مقبلين عليها تنقية حياتنا الاجتماعية من
الاشياء والمظاهر المتنافية مع مبادئ ديننا الحنيف ،
ليحل محلها واقع اسلامي تتجند سائر القوى الخيرة
العاملة ، للسهر على جعله حقيقة ماثلة للعيان . فالرأي
عندي الا سبيل الى تكوين واقع اسلامي الا بعد المرور
بعملية التنقية . فانت اذا اردت ان تبدر بدورا في تربية،
لابد لك من ان تنقيها مما قد يشوبها من طفيليات
واشواك واحجار ومواد غير صالحة ، وكذلك الامر
فيما يتعلق بالواقع الاجتماعي الذي نعيشه ، لابد من
المسارعة الى تنقيته من الموبقات اولا ، قبل الشروع في
تشكيل واقع اسلامي صحيح . وهذه التنقية يجب ان
تشمل ناحيتين : يجب ان تشمل النفس ، والواقع
الاجتماعي . واذا كانت تنقية النفوس عملا صعبا نظرا
لتوقفه على ضرب من الشجاعة الادبية الفردية تعتمد
على الضمير والعقيدة ، فان تنقية الواقع الاجتماعي

حسب بعض المؤرخين ، أن السيد ابن الطيب الروداني قد ادخل معه من البلاد الشرقية مطبعة تيسر طرق النشر وتسهل اخراج الكتب من نطاق المخطوطات الى ميدان المطبوعات ، وقد رأى المولى محمد بن عبد الرحمن ان هذه الآلة ستكون فائدتها عظيمة وسترجع على الثقافة المغربية بالخير العميم بل دفعه شغفه بالعلم وهيامه بالمعرفة الى حيازة هذه المطبعة وجعلها تحت تصرفه فلما منه انها اذا كانت تحت سلطة المخزن ستكون أكثر نفعاً من بقائها تحت يد أحد المواطنين يتصرف فيها كيف يشاء .

وقد اخذت هذه المطبعة تعمل عملها بادية الامر في مكناس ثم تحولت الى فاس كما نص على ذلك اخونا العلامة المؤرخ الثبت سيدي محمد المنوني في الدراسة المثينة التي حررها في هذا الموضوع ، وكما اشار الى ذلك شيخنا العلامة محمد المختار السوسي في موسوعته المعروفة باسم « المعسول » .

ومن هؤلاء الملوك العلماء العاملين تقف امام انظارنا شخصية فذة هي شخصية السلطان المولى عبد الحفيظ طيب الله تراه . فقد وقف بنفسه على طبع مؤلفات عديدة كان من الممكن ان تعبت بها يد الحدثان وتقضي عليها عوادي الزمان ولكن هذا الملك العالم نذاركها بفضل وتولى حفظها من الضياع واخراجها الى عالم الوجود . فلما يرجع الفضل في اخراج كتاب « احكام القرآن » لابن العربي ؟ ومن يا ترى زين خزان العلماء « بالبحر المحيط » لابي حيان و « مشارق الانوار » ذلكم المؤلف الجليل الذي وضعه القاضي عياض والذي كان اخواننا في المشرق العربي والعالم بأسره يتطلعون الى اقتنائه والاستفادة من درره ونفائسه حتى قال فيه بعضهم :

مشارق أنوار تبدت بمغرب

ومن عجب كون المشارق بالمغرب

و « بداية الجتهد ونهاية المقتصد » لابن رشد وهو الكتاب القيم الذي كان كبار الفقهاء والباحثين يلهفون شوقا للحصول عليه والارتواء من حوض نفعه والاعتراف من معين معارفه ؟ ومن نظم لنا مغنى اللبيب « لابن هشام في رجز لطيف العبارة قوي إشارة تلفقه علماء آخرون لشرحه حتى يعم نفعه ، نحصل الفائدة للجميع ؟ انها اعمال ناطقة بعظمة لاننا عبد الحفيظ العلمية ومعربة عن مدى اهتمامه ثقافته والفكر فقد خلف هذا الملك العظيم اثرا جليلا

تحدث عن مكانته وتخلد مهد حكمه ، كما ترك علوما لا تحصى ووقى من التلف والتلاشي مؤلفات جليلا لا تستقصى أفلا يحق للعلوم الاسلامية أن تفخر بملك عالم ينظم « الشرائع المحمدية » « والجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع » ويؤلف « ياقوتة الحكام » في مسائل القضاء والاحكام « أفلا يجدر بعلوم القرآن والحديث ان تتيه بسلطان هائم بأنواعها المشرقة وفنونها الوضاعة يحضر مجالس التفسير ويتراس دروس الحديث ويناقش العلماء بحضرته وينظرهم ويذكي فيهم جذوة البحث والتنقيب ؟ فالله المسؤول ان يجازيه على ما قدم من جليل الاعمال وبديع الفعال .

اما عن تطلع هؤلاء الملوك الى العلم ورغبتهم في ان تكون امتهم تسير في ركب الحضارة والرقى وخوفهم من ان تتردى بلادهم في هاوية الانحطاط والحضيض فهو مما لا يخفى على احد . فقد تعرضنا سابقا الى اهتمام المولى محمد بن عبد الرحمن بالآلة الطباعة والاستعداد الذي ابداه للانفاق عليها لانه كان يعلم حق العلم ان الطباعة تعد بمثابة اللبنة الاولى لكل هيكل علمي يراد بناؤه وكل رقي فكري يرام الوصول اليه .

ويحدثنا التاريخ في هذا الشأن من ملك عظيم آخر كان يتمنى ان يرتفع مستوى امته ويعمل بجد واجتهاد لخراجها من العزلة والانكماش الذين اسعذبتهما امته واستطابت ظلالهما دولته . فقام يشييد بنيان العلم من الاساس ويبني دعائم المعرفة في بلاده على غرار ما كان يراه عند الامم والشعوب الاخرى .

وما هذا الملك الهام الا المولى الحسن الاول الذي تاقته نفسه الى العلم والمعرفة ، ورام ان يجعل من امته خير امة في هذا الميدان ، كان المولى الحسن الاول بعيد النظر مدركا لاسباب التطور والنمو ، خبيرا باسرار التقدم فقد اراد ان يبدأ الاصلاح من الاساس الاول بدلا من الشروع فيه من اعلى القمم لانه كان يرى ان امته لن تستطيع ان تسير ركب الحضارة الجديدة الا اذا غيرت اساليب حياتها ، كما كان يدرك انه لن يتأتى لمملكته الانغمار في النهضة الحديثة الا اذا حورت عقليتها وما بنفسها غير انه كان يوقن حق اليقين ان لا سبيل الى ذلك الا اذا اخذ المواطن المغربي بأسباب هذه الحضارة وتشربها من ينابيعها ، فآخذ — قدس الله سره — يؤسس بعثات الطلبة ، ويوجهها الى الدول المتقدمة لترتوي من معين العلوم الجديدة ، وتغترف من ينابيع المدنية القائمة في الركن المتحضر من العالم ، وتكيل من الثقافة المصرية بالكيال الاوفى . وهكذا

الدولة العلوية

في خدمة العلوم الإسلامية

لأساذع عبداللطيف خالص

فمن سلطان هائم بالعلم ، شغوف برجاله
كالولى اسماعيل الذي لم تشغله الفتوحات المظفرة عن
الاجتماع بالعلماء واستدعائهم لحضرته والذي حدثنا
التاريخ عن الاعناء الفائق الذي كان يخص به علامة
المغرب اليوسي حيث قربه سنة وتابع مناظرته لعلماء
فاس وغيرهم . الى ملك عالم يؤلف بنفسه ويشغل
بالبحث والتدريس ويتطلع الى قضاء اوقاته في مناظرة
العلماء ومطالعة الفتاوى وتحديد المفاهيم كالولى
محمد بن عبد الله الذي خلف لنا آثارا علمية جلييلة
اعظمها كتاب « الفتوحات الالهية في احاديث خير
البرية » الذي تم طبعه بالمطبعة الملكية في عهد جلالة
الملك الراحل محمد الخامس ، والولى سليمان الذي
كان شديد الاهتمام بشؤون الدين يعلي مناره ، ويثبت
اركانه والذي ترك تقايد قيمة عن « المواهب » وغيرها
من الكتب الاسلامية والذي حفزته محبته للسنة وتقديره
لها الى الاعتقاد الجازم ببعض مظاهر الحركة الوهابية
الى قائد ثابت جعل همه في تقريب وسائل العلم
والعرفة الى الناس وحب اليهم العلوم على اختلاف
مشاربها وطرقها وهيا الاسباب للعلماء لاختراع
مؤلفاتهم من الظلام الدامس الى حيز الوجود كالولى
محمد بن عبد الرحمن الذي يرجع له الفضل في ادخال
آلة الطباعة الى بلادنا والذي كان السباق في ميدان
التفتح الفكري والاستفادة من تجارب الشعوب
الاخرى .

ويسجل التاريخ بمداد الفخر لهذا الملك العظيم
عنايته بكل الوسائل التي ساعدت نشر العلم ، فقد بلغه ،

لعل . من اهم الامور التي تميز الدولة العلوية
عن بقية الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب
الاقصى . واجل الخصائص التي انفردت بها دون
غيرها من الامارات والممالك . خدمتها للعلم والمعرفة ،
بصفة عامة . واشتغالها بالثقافة الاسلامية . بصفة
خاصة . واتباعها على علوم القرآن والحديث بوجه
اخص . فقد غنيت هذه الدولة العظيمة بملوك اعلام .
وامراء جهادة في السان والعرفان كما زخرت بالمآثر
الخالدة من معاهد ومدارس ومساجد وزوايا كانت
عنوان اهتمامات السلاطين السابقين والدليل على
العناية التي بوليتها ملوك الدولة العلوية وامراؤها في
سبيل الدعوة الى الله ورغيب الرعايا في الاشتغال
بالتعليم والتحصيل .

واذا كانت هذه الحقيقة بعيدة عن اذهان بعض
المتطفلين على ميدان العلم والمعرفة . وبعض انصاف
المثقفين الذين لم يستطيعوا اكتمال تكوينهم وتحسين
معلوماتهم وتركيز معارفهم فانها . والحمد لله . لا
نغيب عن العلماء المنحصرين بالثقافة المتينة الحق
والمطلعين للمزيد من البحث والتنقيب . ومما لا ريب
فيه ان افساح الخزائن الملكية الذي ينتظر تحقيقه في
الايام القريبة المفلة سيكون مناسبة سانحة لهؤلاء
الذين يرغبون في الاطلاع على هذه الحقيقة لانه سيضع
امامهم البراهين القاطعة والحجج الساطعة على
الاهتمام الذي كان يحظى به العلم من طرف ملوك
الدولة العلوية خلال القرون الماضية واثناء العقود
المتأخرة .

جلالته ينح على تحويل برنامج هذه الجامعة وادخال مواد جديدة في حصص التدريس بها حتى تجمع بين طابع الاصاله الذي ظلت تحافظ عليه طيلة احد عشر قرنا وبين روح التجديد التي يتعين ان تنفخ فيها حتى تستطيع ان تخرج علماء واعيين لمسؤولياتهم الاجتماعية وتبعاتهم الوطنية .

وكان جلالة محمد الخامس يسهر بنفسه على تربية الشعب تربية دينية كما كان يترأس بنفسه الحفلات التي تقام بمناسبة الاعياد الاسلامية الكبرى والليالي العظيمة الخالدة . فقد كان جلالته يحيي ليلة القدر وليلة المولد النبوي الكريم كما يحضر صلاة الجمعة في موكب رسمي تهفو لمنظره قلوب المؤمنين وترهو بعظمته وجلاله نفوس المواطنين ، وقد بلغ من اعتناء جلالته بالدين وحرصه على اعطاء المثل الاعلى لشعبه ان كان يترأس بنفسه صلاة الجمعة ويخطب في جماهير المسلمين ويؤم بهم تقديرا منه للمنصب السامي الذي يجعل منه اميرا للمؤمنين وراعيا للملة والدين .

ولعل من واجب الاعتراف بالواقع ان تؤكد ان دور جلالة محمد الخامس في هذا الميدان لم يكن بالسهل اليسير لانه كان يعيش في ظرف كثر فيه الازدراء بالدين وقويت فيه شوكة الملحدين والمرتدين كما كان يواجه عمرا اراد الماديون ان لا يبقى فيه اثرا لمظاهر الروح، وحاولوا . عبثا . ان يكون السلطان فيه للحرية الدينية التي كانت ترتدي لباس الاباحية والتي كان يتستر وراءها بعض الضالين المضلين .

ولقد غادر محمد الخامس هذا العالم مطمئن البال . هادئ النفس ورجع الى ربه راضيا مرضيا لانه خلف وراءه شعبا مومنا ، وراعيا امينا ، ورائدا صادقا هو جلالة الحسن الثاني الذي جمع ، بفضل التكوين الذي وفره له والده ، بين الثقافة الاسلامية الاصيلية والثقافة العصرية الحديثة والذي استطاع ان يوافق ضمن اهتماماته ومشاغله بين الدين والدنيا في توازن محكم وتعاادل محمود لم يحقق فيه اي جانب الغلبة على الآخر .

فمنذ تربع صاحب الجلالة والمهابة الحسن الثاني ده الله ونصره على عرش اسلافه المنعمين اخذ متم بشؤون الدين ، وينكب على دراسة المشاريع التي سكن بواسطتها تعزيز شان الاسلام وتقوية جانبيه خدمة علومه .

وقد خرجت هذه المشاريع البقاء الى الوجود فكانت صورة لمشاغل جلالته وعنايته الفاتقة بالدين ورجاله ، فقد فكر ، أولا ، في احياء الدروس الحديثة التي كانت تنظم في عهد اجداده المقدسين والتي لم يستطع محمد الخامس احياها في عهد الاستقلال نظرا للاهتمامات الكبرى التي كانت تستحوذ عليه وتسيطر على فكره . وقد لعبت هذه الدروس دورا كبيرا في توعية المواطنين الذين توصلوا بفضلها ، الى ادراك الافاق التي تتوغل عليها الثقافة الاسلامية والحيز الكبير الذي يشغله التفكير في الاسلام والعلوم المتنوعة التي يزخر بها القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد نفخت هذه الدروس في روح المواطنين بصفة عامة والمتقنين منهم ، بصفة خاصة ، الاهتمام بالدراسات الاسلامية والاقبال عليها . وقد ساعد على ذلك افتتاح دار الحديث الحسنية التي ما اعتقد انه كان في امكان ان تحصل على النجاح الذي لقيته من توافد الطلبة عليها وحسن استعداد العلماء للتدريس فيها لولا ما ظهر من قيمة العلوم الاسلامية ومن اكابر جلالة الملك للمتضلعين فيها . وقد نال القرآن من جلالة الملك الاهتمام اللائق به كمورد اولي للثقافة الاسلامية فتأسست مدارس للمقرئين كانت جوهرتها وزينتها مدرسة القراءات السبع التي أسست بشمال المملكة كما نظمت مباراة في التجويد كان لها احسن الوقع في نفوس المواطنين وان كانت تستدعي ملاحظات مختلفة تتعلق بطريقة تنظيمها وتعيين المشرفين عليها . وشمل الاهتمام بعلوم الدين طبع عدد كبير من المؤلفات الاسلامية الجلية كترتيب المدارك للقاضي عياض والتمهيد لابن عبد البر وغيرها من المخطوطات النفيسة التي كانت تترخر بها الخزانات في المغرب والخزانة الملكية العامرة . وقد توجت هذه المنشورات باصدار مصحف الحسن الثاني الذي جاء ليسد فراغا كبيرا كان يشعر به كل راغب في التبرك بتلاوة القرآن الكريم والتفكير في الذكر الحكيم .

ولعل اعظم فتح عرفه الاسلام في هذا القرن هو القرار الذي اتخذه صاحب الجلالة بفرض الصلاة في المعاهد والمدارس واجبار الطلبة والتلاميذ واساتذتهم ومربيهم على اداء هذا الركن العظيم في الاوقات المحدودة واقامته على الوجه الاكمل . وان املنا هو ان يبقى هذا الامر المولوي السامي ساري المفعول وان تظل وزارة التربية الوطنية تسهر على تطبيقه حتى لا يغفل عنه مع مر الايام وكر الاعوام .

وان من دواعي الفخر ان يتصدى جلالة الملك وهو المثقف الواعي لمظاهر الحضارة المقدر لمختلف

توجهت البعثات المغربية الى اوربا في نفس الوقت الذي وصلت فيها الى هذا الجزء من الدنيا الوفود الطلابية اليابانية .

وقد أراد الله سبحانه . لحكمة لا يعلمها الا هو ، ان تزود هذه البعثات بالعلوم العصرية الضرورية وان ترجع الى بلادها راضية مرضية لتجد المولى الحسن الاول قد غادر هذه الدنيا الفانية والتحق بالدار الباقية وتجد ان الايادي الاجنبية اخذت تعيث فسادا في هذه الديار وتعمل جهد المستطاع حتى تظل بلادنا تغط في نومها الثقيل وتبقى جامدة تجتر التقاليد الفاسدة البالية والمعدات المضرة الغاوية حتى يبقى المجال مفتوحا لعبثها وكيدها لتصل الى القبض على زمام الامور فيها تحت شعار التقدم والحضارة واحتكار السلطات وابعاد ابناء البلاد عن مقاليد الحكم . وهكذا تحقق للمستعمرين الاولين ما ارادوا . فقد استولوا على البلاد وطرودوا العناصر الصالحة ، وجعلوا مكانها بسض شذاذ الافاق الذين كان همهم الاول والاخير ان لا تفيق هذه الامة من سباتها ولا تستشعر خطر الغزو الاجنبي والاحتلال الاوربي حتى يكون مكرهم قد تحقق وخديعتهم انتقنت وحتى يصير من الصعب على بلادنا ان تنهض من الكبوة وتطلع من الهاوية .

لقد رجعت هذه البعثات من اوربا مزودة باحداث العلوم كما عادت الى وطنها وهي متحمسة للاضطلاع بالمهمة النبيلة التي طوقها بها الملك الحسن الاول ولكن هذه البعثات لم تجد لا في الحكام ولا في الاوساط الاجتماعية من يهتم بها ويفسح لها المجال لمزاولة خبرتها ونشاطها . فانقلب حماسها ياسا واستعدادها خبولا وتحفزها خيبة . وهكذا رضيت من الغنية بالاياب وحيدت الله على هذا المنقلب . ولعل من ضروب التحسر والاسف ان يصبح الطبيب من هؤلاء العلماء الذين تسلحوا بالعلم الحديث خبازا او جزارا او يمسي القائد العسكري الذي اطلع اثناء دراسته على خبايا الاستراتيجية الحربية نجارا او تاجرا رغم انه لم يكن مؤهلا للقيام بهذه الصناعة وهذه المهنة ، ولكن عوامل التأخر ومكايد الخصوم تفعل بالدولة والاشخاص ما تريد وتسخرهم كيف تشاء وتحول بينهم وبين ما يصبون اليه وكيف لا يحصل مثل هذا الوعيد وقد كتب القدر على أمتنا أن تبثلى بالاستعمار وتصاب بالانكسار والخسران .

وقد شاء الله ان لا تدوم بلادنا في هذه الكبوة اذ سرعان ما سرى الوعي الوطني في النفوس فتحركت

الهمم واستيقظت المشاعر فتغير مجرى الحياة في بلادنا ، وانطلقت الامة المغربية تستعيد امجادها ، وتحيي ما درس من آثارها وتخطو خطوات موفقة في سبيل اصلاح احوالها ورفع مستواها الثقافي والاجتماعي .

وقد كانت هذه الانطلاقة المباركة ثمرة جهاد ملك علوي صالح هو سيدي محمد بن يوسف الذي قام يشيد معالم الدين ويؤسس المعاهد والمدارس ويسمى لاحياء كل غابر من ترأثنا وكل دارس من رسوم حضارتنا . وهكذا لم تمض على المملكة المغربية فترة من الزمن لم تتجاوز ربع قرن حتى اخذت أمتنا تستعيد مكانتها وتضع خطط الإصلاح والتقدم بايدي ابنائها . واذا كان الجزء الاكبر من عهد جلالة الملك الراحل محمد الخامس قد مضى في محاربة المستعمرين ومقاومة الاحتلال الاجنبي ، فان هذا الملك المقاوم استطاع ان يوحد صفوف الامة وينفخ فيها روح المقاومة ويذكى في نفوس ابنائها الرغبة في العلم والمعرفة ادراكا من جلالته بأن هذه الامة لن تستطيع استرجاع مجدها وعظمتها الا اذا اقبلت على العلم ، وتسلحت بسلاح المعرفة الحديثة والثقافة العصرية .

وقد عرفت علوم القرآن والحديث ، في عهده ، ازدهارا منقطع النظير لانها وجدت فيه المومن الصالح الذي يتفقد معاهدها بالتجديد ويتعهد معالم الدين بالاصلاح الضروري لنهضتها . فبالاضافة الى المساجد التي لا تحصى ولا تعد والتي شيدت بفضل عزمته القوية وحزمه المكين والمعاهد الدينية التي لا حصر لها ولا عد عمل جلالته على اصلاح جامعة القرويين ، موئل الثقافة الاسلامية في هذه البلاد ، وحصنها الحصين ، فقد أسس لها لها مجلسا علميا يضم خيرة العلماء وجعل على رأسها مديرا حازما جمع بين الثقافة الاسلامية والتكوين العصري حتى يسهر على ادخال التغييرات المناسبة على برامجها وطرق التدريس ، وحتى تتمكن هذه الجامعة العتيقة من النهوض من كبوة الخمول والجمود التي كانت تتردى فيها وحتى تصير مثال الجامعات الاسلامية الموجودة في كبريات العواصم بالعالم الاسلامي ، وحتى يقبل عليها الطلبة المسلمون من جميع الاصقاع كما كان شأنها في الماضي . ولقد عبر جلالته بنفسه عن هذه الرغبة التي كانت تفتلج في اعماقه عندما حضر الى فاس لرياسة الحفلات التي اقيمت بمناسبة مرور احد عشر قرنا على تأسيسها وقد ساعدني القدر فحضرت هذه الحفلات وشاركت بالقاء قصيدة في هذه الذكرى فاستجتمت الى

سفير ومهترنا

للشاعر محمد الكبير العلوحي

بمناسبة حلول عيد العرش السعيد أقدم بهذه القصيدة
مشاركة متواضعة في هذه الذكرى المجيدة .

وتشرفت بك وحدة الاوطان
يمشي الهوينا مشية النشوان
وتبرجت بجمالها المزدان
بحليها وبحننها الفتان
وبكل بيت حفلة وتهاني
من كل صوب اقبلت ومكان
للعرش والحنن العظيم الثاني
وشمالها باليمن والاحسان
وتنعمت في منعة وامان
فحنا عليها وهو نعم الحاني
في صالح الاوطان ملتحمان
فقداه شعب مخلص متفان
يسمو عن الاشباه والاقران
في فعله وصفاته من ثان
ملك الزمان خليفة الرحمان

تاه الزمان بعرشك المزدان
تاه الزمان بعيد عرشك زاهيا
فقد اكتست حلل البهاء بلادنا
وبدت عواصمنا عرائس تزدهي
في كل قلب فرحة ومسرة
هذي جموع الشعب ضاق بها الفضاء
قد اعربت عن حبهها وولائها
عرش يفيض على البلاد جنوبها
شرفت بلاد المغرب الاقصى به
عرش تفيات البلاد ظلالة
عرش وشعب ساميان الى العلى
ملك تفانى في مصالح شعبه
ملك عظيم الشأن سام مجده
ملك تفرد بالمحامد ماله
العرب تشهد والاعاجم انه

جوانبها المادية والمعنوية ، لتناول الحديث عن الاسلام في كل مناسبة ومحاولة تقريبه الى الافهام وغزو قلوب الزائغين المترددين حتى يعودوا الى حوى الدين ويغزوا الى ربهم مومنين مسلمين فقد اعطى جلالته بذلك المثل حتى يقبل العلماء على اداء رسالة الدعوة بكل طمانينة وحتى لا يظل المثقفون ثقافة اسلامية وجلين حائقين من ازراء المنكرين وتردد الملحدين .

وعلى كل حال فقد واصل جلالة الملك ، حفظه الله العمل الذي كان يقوم به اجداده المكرمون في سبيل نشر الدين وخدمة العلوم الاسلامية مستعملا في ذلك طاقته الفكرية الهائلة ومستغلا مواهبه المتعددة لتعزيز جانب الثقافة الاسلامية في هذه الديار ضاربا بذلك خير المثل لجميع الذين تقع على عاتقهم تبعة الدعوة لهذا الدين وموافقا في جميع خطواته السديدة، بين جانب الثقافة الاسلامية الاصيله وجانب الثقافة

الحديثة المعاصرة ومؤكدا في كل مناسبة بان هذا الجانب لا يقل أهمية عن ذاك وان خير الافراد والشعوب من استطاع أن يمزج بينها مزجا محكما لا ضرر فيه ولا ضرار .

وخلاصة القول فان ملوك الدولة العلوية الذين تعاقبوا على الحكم في هذه البلاد لم يألوا جهدا في خدمة العلوم الاسلامية كل حسب استطاعته ووفق طاقته . واذا كان البعض منهم قد اكتفى بتشيد المساجد والمعاهد فان الآخرين وضعوا خير المشاريع واجلها لنشر هذه العلوم كما وجد من بينهم من رمى بنفسه في هذه المعركة معتمدا على ثقافته للكتابة والتأليف والتدريس ومن وقف نفسه على طبع هذه المؤلفات وتيسير وسائل الحصول عليها على العلماء والطلبة وذلك اضعف الايمان .

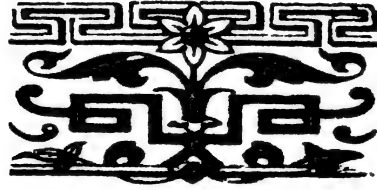
الرباط : عبد اللطيف احمد خالص



واذا نطقنت نطقنت بالقرآن
تسمى لوحدة هذه الاوطان
هو في الاسامي جامع الايمان
بكفاحنا وبقوة الايمان
في ظل عرشك وهو خير ضمان

واذا سلكت سلكت نهج محمد
شنقيط شيعتك الايمة انها
انا لنقسم باسمك الحسن الذي
لنوحدن شمالنا وجنوبنا
سنعيد وحدتنا وماضي مجدنا

لشاعر الوحدة محمد الكبير العلوي



الشعب يشهد والبلاد بفضلـه
أعلى المدارس والمساجد رافعا
قد حرر الاوطان من ظلم العدا
وقضى على المستعمرين محققا
واقام جيشا في البلاد بمثلـه
امعلم الاجيال استاذ الوري
شمخت بك الجوزاء اذ جاوزتها
وتغنت العلياء في آفاقها
واعتز عـصرك في العصور مساميا
للمغرب الاقصى بعـرشك عـزة
هذي مدارسنا تشع بنورها
تجلو الظلام بنورها وبهـديها
انت الحكيم الفيلسوف المرشد الد
في الاشتراكيين نهجك واضح
تغني الفقير ولست تفقر مثريا
ذو الفقر محظوظ لديك وذو الفنى
المغرب الاقصى سيصبح جنة
مليون هكتار تشكل آية
هذي المشاريع العديدة انها
هذي السدود الشم قد استـها
غمـرت مواهبك الخلائق نعمة
فجرت خيرات البلاد فامـطـرت
وهمت فيوضك في البلاد تعمها
وبلغت حدا في المكارم قاصيا
الدهر دونك همة وعزيمة
جلت صفاتك ان تحيط بكنـها
لم الف تعبيراً بمدحك وافيـا
الصمت ابلغ في مديحك سيدي
انت الذي ان قلت حيرت الوري
واذا سكت شغلت فكرك باحثا

وهما لعمري عندنا عدلان
اعلامها مرصوصة الاركان
قهرا وحصنها من العدوـان
نصرا تقر بمثلـه العينان
تعلو وتفخر امة العربان
حسن البلاد محرر الاوطان
ولانتما في الافق جوزاوان
بثنائك المتمد في البلدان
ومفاخرا بك سائر الازمان
وله بك الشرف العظيم الشان
مملوءة بالشيب والشبان
علما وتشفي غلة الظمـان
اعـي المعلم ناشـر العرفان
من حاد عنه هوى الى الخـسران
هيهات بل تغنيهما في آن
اخوان في جدواك مشتركـان
في كل شبر منه عشر جنان
من معجزات العاهل السلطان
خير الشهود واصدق البرهان
نعم المؤسس انت نعم الباني
وهمت على الاوطان منك يدان
بنعيمها المتصيب الهـتان
وطفت على الوداء والكـثبان
ينحط فكري دونه ولساني
فاحكم فانك قدوة الاكوان
كلمات مدح رصعت ومعان
لاقوله فشرعت في الهـديان
والقول عن تعداد مدحك وان
ببلاغة واخذتهم ببيان
في الجد في التشيد في البنيان

وحى السير

لشاعر مشرق علي المصاوي

وحق لشعبك ان يفخرا
تشيد في اثره مفخرا
تضيف الى مثله وطرا
وان نطا الكوكب النيرا
يعاف التأخر والقهقري
واكسبت هذا الحمى مفخرا
واجليت عن ارضنا العسكرا
يمينك في جوده الجوهرا
تنير القلوب وتهدي الوري
واخى العروبة والبربرا
بلاد الاشواوس اسد الثرى
وفي عهدك العلم قد اثمرا
وفاقت من المدد الاكبرا
وليست تمد ولن تحمرا
وبايع في شخصك الخيرا
يقود المواطن والعسكرا
وغيرك من يستلذ الكرى
وكننت الذي غير المنكرا

جدير بفعلك ان يشكرا
اذا ما صنعت لنا شرفا
وان انت اكسبتنا وطرا
تريد لنا ان ندوس السها
وترجو لنا الصدر في زمن
فجندت امتنا للنضال
وحققت آمالنا في العلى
يتيه بك الدهر اذ علقنت
وتاجك انواره سطعت
وعرشك وحدنا للعلى
وملكك في ظله سمعت
وعصيرك بالفن مزدهر
وأعمالك الفر قد عظمت
فليست تحد منافعها
احبك شعب يريد العلى
وبايع فيك الجدير الذي
سهرت على أمة اخلصت
راينا المناكر قد غيرت

فرحة الزلزال

للشاعر محمد بن محمد العلمي

انها فرحة عيد الحسن الثاني العظيم
لوحة تستوقف التاريخ بالطبع الكريم
ها هنا نسمي جميعا في صراط مستقيم
مجدنا وهو جديد وطد المجد القديم
كم بنينا من سدود تضمن الخير العميم
وبعثنا من نهوض ونشرنا من علوم
هذه بادرة العلياء والمجد الصميم
نحن للدنيا وللدين على الحق تقوم
نحن بالقرءان في الكون شمس ونجوم
ولنا في الضاد عز ، اذ بها العز يدوم

* * *

في ظلال الاطلس الحر جنان وعرائس
وعيون صافيات ، وجمال متجانس
في ظلال الاطلس الغض كنوز ونفائس
قد روى التاريخ حلوا في المفاني والمجالس
ومضى الدهر وما زال علينا خير حارس
وسما في كبرياء ، يخذل الخصم المشاكس
ايها الاطلس يا نبعنا من النور المؤانس
انت احرى ببلاد ، ليس فيها متقاعس
بل اسود حرسوا العرش ، وفاقوا كل فارس
في ظلال الحسن الثاني ، وفي امجاد (خامس)

الرباط - محمد بن محمد العلمي

فقد جاءك الحسن المرتضى
يحق لمن كان ذا قلبه
فشكرا أبا أمية برزت
وتسأل رب السما أن يطيه
وان يحفظ الله أسرته
ويحفظ للعرش شبل الحمى

ليجعل من مائك الكوثر
لموطنه الحر أن يشكرا
تمتع في وجهك النظرا
للعاملها المصلح العمرا
لخير البلاد ونفع الوردى
وليا لعمدك يرقى الندى

فاس : محمد بن علي الطوي



وحاربت من قد آسا للحمى
هزمت برايك من سولت
وقلت لهم أرضنا تفتدى
ببلاد اذا دعت للنضا
ونسترخص الروح في عزها
نسير بها دائما للامام
لقد اورثتنا الاصول الدفاع
غرسنا لنا صالحات الامور
وعلمتنا نفع مغربنا
وحبك ان قد ملكت القلوب
واطلسنا الحر مبتهيج
وتهتف باسمك صحراؤنا
رائك فذكرتها حسنا
يشد الرحال لخير البلاد
فابصرت الفرع في اوجه
وهبت تقبل من قد اتى
وارقصها ان تراك بها
فاضحت تزغرد من طرب
تحيي الذي زارها منقادا
وعدت فانجزت ما قد وعدت
وقدمت للشعب معجزة
وخيرته بين كأس تراق
وارشدته فاستبان الصواب
اذا ما قضيت له وطرا
اردت لنا السند فانطلقت
وجئت تدشن ما قد وهبت
اثبت لصحرائنا منقادا
وتجعل من أرضها جنة
تمر بها نفحات الميصر
اذا كنت يا (زيز) فيما مضى

والقمت من قد بفسى حجرا
له النفس بالفدر نهب الثرى
وليست تباع ولا تشتري
ل نريق على تربها الاحمرا
وما عرفت اسدها القهقري
ونرفعها فوق هام اللرى
وعلمنا المجىء ان ننقرا
وها هو ذا الفرس قد ائمرا
وان نتقن العمل الثمرا
فكنت لها السمع والبصرا
يباهي بك الشمس والقمر
وتدعو لك الله ان ينصرا
من الشرق جاء ينير القرى
ويهجر ينبوعه الاطهرا
يشابه في مجده العنصرا
يحقق للامة الوطنرا
تدشن في أرضها مفخرا
وحركت الدف والمزهرا
يحول فيها الحصى جوهرا
واحيت بالمعزم ما اندثرا
تكون من اصغر اكبرا
وسد عظيم يروي الثرى
وضحى له الشاي والكرا
تحقق من بعده وطرا
سواعدنا تحمل الحجرا
لنجنى من فعلك الثمرا
تصير قاحلها اخضرا
تروق البصائر والمبصرا
تثاقفي العصافير والجؤذرا
تكن الخراب وتمحو القرى

أشرفت والعرش العظيم هلاله
بالعيد فاهناً أنت للعرش عيده
ما زلت بالاعیاد عزاً مكرماً
ومصادق الاجیال أنت تصوتها
وافت اليك قلوبنا تطوى الفضل
أشرفت من أفق الفخار وجئت من
خاضوا البطولة ما استكان دفاعهم
صانوا الفضائل للوجود وللنهي
فعلوت شأوهم وكانوا سادة
كنت الامير المرتضى لمحمد
وابن البطولة يافعا فمتوجا
سادت بفضلكم البلاد جميعها
أيقظتها من نومها فتنبهت
وأعدت بالنظم القويمة مجدها
وسرى التقدم في ربوع ترابها
فتيامنت مر السنين بنهضة
انقذت هذا الشعب من عثراته

بدر ينير كواكبنا في فضاء
والعرش حصن فضيلة وبقاء
مر السنين مجدد الارضاء
ما لاح نجم في أديم سماء
خفاقة في غمرة الاطراء
أصل الجلال وغرة الشرفاء
عن حوزة بالخود والاحياء
لنوال مجد في ذرى العلياء
جلت محاسنهم عن كل ثناء
خل الوفاء ورائد الشهداء
رمز الفخار مناط كل علا
وتفاخرت طرا بنيل رجاء
لما أنطت مصيرها ببناء
فسمت بهمتكم الى الجوزاء
من نفح كدك مثل موج ضياء
ميمونة أسستها عن صفاء
وحفظته من جولة الاعداء

مالى أحدث أنفسا عن ذا الذى
بيض الايادى والانامل بالندى
ما زلت ترعى بالنفيس رعيمة
الحلم شيمة بيتكم والحلم لى
دم للفضيلة للمكارم للعلوى
طب في الورى نفسا فانت زعيم جيد
فاذا الملوك تصاعدت أعمالهم

للنفس كان شرارة من سناء ؟
تضفو فتنغش مقترا بسخاء
حفظت لكم عهدا ودوم دعاء
شئتم لكان لخالص الاهواء
تحمى الحمى في الريف في الصحراء
ل ونحن جند كرامة واباء
نهض الشعوب من الكرى لبناء

يا حامى الاسلام يا من في الورى
وضريت امثال النزاهة والتقوى
وكسوت دين الله ابهى حلة

أعليت شان الملة الغراء
بين الملوك وسائر الكبراء
ضاعت بها الاكوان أى ضياء

عرش وفوري

للشاعر الحسن المجوي

قم خاشعا للذكر في الارجاء
رمزان من نور ومن ضياء
أعلى لواء العرش في العلياء
العيد والذكرى والى دعاء
في جلال يوم حافل بعطاء
هذى الملائك والملا في لقاء
ذا العيد بالذكر وبالاسماء
فكذا شعار الملة السمحاء
أيا من سعد وكم من رجاء
يهدى الاله بنوره المترائى
شرفا وآله زمرة الفضلاء
آياته من رحمة وشفاء
نارا ونورا مثل ذا الضياء !

في جلال عيد ساطع لالا

العرش والتنزيل في احياء
أعظم بذكرى العيد والقرآن
سبحان من بالدين والعرفان
حق الثنا يا رب للآيات
نور الهدى عم الورى ببهاؤه
عمت بشائره الفضا مذ أشرق
هبوا لبعث الدين والفرقان
الدين والدنيا لنا صنوان
لله يا ذكرى ويا عيد فكم
نور على نور وعيد مشرق
من عهد طه محمد خير الورى
والوحى بالتنزيل ما زخرت به
ما أشرق شمس علينا ولالات

مولاي أقلت البشائر والمنى

عودوا (لاردن) ما استكان كفاحها
عودوا لاولى القبلتين وثالث الـ

والقدس نسقى أرضها بدماء
حرمين يسعد يومنا ببقاء

عودوا لهدى محمد ، حق الهدى
يا رب قو العزم واشدد ازرننا
والهم شعوب العرب كل عزيمة
بالصدق والايمان نحى سيرنا
للذب عن ملة ومجد عروبة
فبمثل ذا يرضى الرسول وسبطه :
في موكب الحسن العظيم وركبه
يا باعث الاسلام يا ربانه
فالعرب ان ساروا على هدى الرسو
انا وراك سائرون مدى الزما
لا زلت في هذا الجلال منعمنا

وبحبل دين تمسكوا لنجاء
واحفظ امامنا رمز كل علاء
لبناء وحدة أمة واباء
لا حول في خلف وفي بغضاء
ولغارة تصلو العدى لجلاء
الصف صف مناعة ومضاء
نمضى ولا نبغى بديل عطاء
نحن الفدا في اليسر والضرراء
ل ونهجم فالتصر تلو النداء
ن فدم ودام العرش في لالاء
بولى عهدك رمز كل هناء

مكتاس : الحسن الحجوى



وجعلت للاخلاق كل حصانة
وحميت بالمثل القويم شبابنا
وحبوت بالعز الاصيل عدالة
فوهبت شعبك من نبوغك تارة
فالمكرمات الخالدات كتبتها
كم من امان غاليات حققتها
فالضاد تشكر ما لكم من منة
وكتبت للعلم الحياة بمجمع
وافت اليه طلائع من مشرق
قنتوا الى الذكر الحكيم وفيهم
ابدعت في الاعجاز علما وحكمة
وسموت بالفكر الاصيل وبالحجى

لله اذ سعد الزمان بلياسة
تنزيل طه لذكره تجديدا
ناديت للذكرى فهامرت بنا
جددتها فضلا بما عبت به
في الليلة العظمى وما حفلت به
عنت الوجود لمحفل ضم الهدى
عم الضياء بمجمع دعواته
أوفيتمو عهدا لآل محمد
فالارث عن شرف وحبل شريعة :
والذود عن ملة ونهج كرامة
لهفى على أرض العروبة داسها
لابد من يوم نعود لاخذ ثأ
هيا الى التحرير فى أرض الكنا
فى الضفتين وفى القتال سنلتقى
هيا لغسل العار لا نرضى بنك
مهلا فلسطين فلا هود يجو

كى لا تضيع بنفثة الجهلاء
من كل مصطنع دخيل نباء
ورجال علم عامل وقضاء
ومن التقى اخرى ومن انشاء
والتضحيات بذلتها بوفاء
أرضيت شعبا حافظا لولاء
بلغت بها شرفا عنان سماء
استته بدعائم الاحياء
عضدوا جهابذة من العلماء
كنت الهدى علما بغير مرء
وشأوت ابهى النور أى بهاء
فكذلك كنت منارة الاراء

وبسنة احببتها بنباء
الله حافظه لدوم بقاء
عشر واربع هيا للاحياء
آثار دوحتمك بلا احصاء
من رحمة وشفاعة وجزاء
الروح والملك استوى فى سماء
كم رددت فى الارض من أصداء
طوبى لكم يا صادق الانبياء
بالدين فاعتصموا بلا اغواء
فالعرب لا ترضى بيوم شقاء
صهيون يا للصدمة الهوجاء !!
ر ، لا محال ، فالיום يوم فداء
نة فى الخليج معاقل الشهداء
وبحيرة ، لآبادة الاعداء
سة غدر يوم الهجمة الشعناء
ب فى أرض ايوب وفى سيناء

وهكذا كان يجتمع بالمفكرين والعلماء في كل حذب وصوب ويعرفهم بما عزم عليه ويبين ان روح الاختيار وعدم التقيد بنظام في الدراسة بالكلية القروية لا يمكن ان ياتي بالنتائج المتوخاة وان العالم كله يسير وفق نظام وتخطيطات محكمة في جميع شؤونه واننا مقبلون على الاحتكاك بالاسم والشعوب على اختلاف طبقاتها وتعدد نظمها واختلاف اجناسها وعقائدها واديانها . وذلك يدعو بالطبع الى تجديد السلاح الذي نسلح به دائما حتى لا نغلب على امرنا ونسقط فريسة لاهل البغي وانصار الضلال ، فكانت صرخته تنفذ الى اعماق قلوب جميع طبقات الشعب وتلقاها الامة عن بكرة ابها ، وقد اقبل الشباب والكهول والشيوخ على النظام الجديد للجامعة القروية هذا النظام المحكم الذي استطاع ان يخرج للمغرب علماء مقتدرين استطاعوا ان يحافظوا للامة على تعاليمها رغم المناورات والدسائس والمقاومات العنيفة التي كانوا يتلقونها من خصومهم المستعمرين والمتأثرين بروح الاستعمار والحركات الالحادية الهدامة .

ولا يتسع المجال هنا للتحدث عن هذا النظام وما كان يحتوي عليه من اسلاك يمكن اجمالها في اطوار ثلاثة ابتدائي وثانوي وعالي ذو شعبتين دينية وادبية وكل طور اختير له مدرسون وخططت له التخطيطات ووضعت له المناهج التي كان يشرف على وضعها مجلس يسمى بالمجلس العلمي يحتوي على كبار علماء المغرب وتتراسه شخصية انتهت اليها المشاركة في المعقول والمنقول وعركت الحياة وعركتها ومارست الدراسة والتدريس اجيالا وقد دعاه التفكير في تنظيم جامعة القرويين الى التفكير ايضا في النواة الاولى التي تغذي كلية القرويين وتزودها بالعناصر الصالحة ، انها الكتابات القرآنية المنتشرة شرقا وغربا وجنوبا وشمالا في المدن والقرى والجبال والسهول وفي كل نقطة من بلاد المغرب الفسيحة لان القوم كما ذكرنا متدينون بطبيعتهم ولا يمكن لمدرس ولا لقرية بل ولا لعائلة ان تعيش بدون مؤدب يرعى شؤون ابنائها ويهتم بتربيتهم وتعودهم على احسن الخصال واجمل الفعال ويزرع في افكارهم الطيبة البريئة الطاهرة الشاملة لجميع ما يحتاجه الانسان من مهده الى لحدده وببل وحتى بعد هاته المرحلة حتى يلقي ربه ويشمله بعنايته ورحمته ويكتب له السعادة والعيش في النعيم في جنات عالية قطوفها دانية .

ولما رأى محمد الخامس طيب الله ثراه ان غاية الاستعمار وخططه ترمي الى القضاء على اللغة

العربية وعلى القرآن الكريم الذي يحفظها بين دفتيه والاساليب والطرق التي شرعها للوصول الى اهدافه الخبيثة وجه عنايته الى رعاية التعليم القرآني حيث جعل امره سواء في المدارس والكتاتيب موكولا اليه وحده ولا يمكن لادارة المعارف التي كانت تشرف آنذاك على التعليم العمومي ان تتدخل في شؤونه الفنية والمادية حيث كانت القرويين تابعة لوزارة العدل والكتاتيب القرآنية حرة في شؤونها المادية ولكنها من الناحية الفنية تابعة لوزارة الاحباس ، وقد اقبل الشعب المغربي على التعليم القرآني اقبالا اقلق راحة المستعمرين مما جعلهم يكيدون للقائمين عليه وينعتونهم بأقبح النعوت ويدعون انهم انما يستترون وراءه لبث آرائهم المنافية للفضائل وللأخلاق بالامن والنظام وتآليب عامة الشعب على الحكومة وحتى على الملك ولكنه رحمه الله كان على علم دقيق بكل هذه الدسائس ويقابلها بالصبر والحكمة ويسن من القوانين ما يظن الاستعمار انه في صالحه ولكنها في الحقيقة مسامير كان يدقها محمد الخامس في نعش الاستعمار لان تقنين التعليم القرآني وتقسيمه الى كتابات قرآنية تهتم بالقرآن وحده وبتحفيظ متون العلوم العقلية والنقلية والى مدارس قرآنية حرة تعمل على العناية بتدريس مبادئ العلوم اللسانية والشرعية والعقلية كل ذلك من شأنه ان يركز اللغة القومية ويحيط تعاليم القرآن الكريم بسياج من الرعاية والحفظ والتقدير ويجعل المقبلين عليها في تكاثر دائما حتى كانت تفوق باضعاف مراكز التعليم الذي تشرف عليه الادارة الفرنسية .

وهذا ما حدا بهذه الادارة الى ان تتخذ موقفا متشددا ازاءها حيث عمدت الى اقفال ابوابها لانها شعرت بخطرها وعملها المنافي لتركيز النفوذ الاجنبي في المغرب . فتظاهر تلاميذها الصفار في الشوارع معلنين سخطهم على الاستعمار الثقافي واللغوي فقام جلالة المغفور له محمد الخامس بعمل حازم في الموضوع حيث امر بفتح المدارس القرآنية واصدر ظهيرا ملكيا بتاريخ 11 - 12 - 37 يسمى بقرار وزيري نظم تفتيشا دقيقا للكتاتيب القرآنية والمدارس القرآنية وخصص منحا لحملة القرآن والقائمين على شؤون هاته الكتابات والمدارس ، ومن هنا اصبح التعليم بالكتاتيب والتعليم الحر يخضع لقوانين يضعها القصر الملكي وحده تحت الاشراف المباشر لجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه . وبفضل هاته الرعاية الملكية السامية استطاع التعليم القرآني ان يحافظ على

بالقرآن وعلموه



المجلة

التي نزل من اجلها القرآن وهي تكوين امة مسلمة قوية تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله وحده .

نعم منذ ان تقلد زمام السير بالمغرب ورعاية شؤونه العامة والخاصة المادية والادبية وهو يفكر ويبحث ولا يدع فرصة تمر دون ان يحقق مغنا جديدا لامته وبلاده متدرعا بالصبر الجميل وسالكا طريق الحكمة والدعوة بالتي هي احسن امثالا لاساليب الدعوة التي بداها جده المصطفى صلى الله عليه وسلم والمستوحاة من تعاليم القرآن ومن الآية الكريمة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » .

لقد درس اساليب الاستعمار في الاقتصاد والياسة والاجتماع وفي كل شيء شيء ، وكان يخلو الى نفسه دائما ويتأمل ماذا يراد بالمغرب وما يبيته الاستعمار الفاشم لاهله وبنيه ، وكان دائم التفكير في ذلك كله ، يخاطب احبائه واصفياءه ويبين لهم انه لا يدع الفرص تسير ولا يهدأ له بال حتى تسعد بلاده ويسعد اهله وتدرك مطالبها وتسير على نهج سلفها الصالح رضوان الله عليهم .

وقد دعاه تفكيره الديني المتجدد المنبعث من اعماق قلب مومن متيقظ شاعر بالمسؤولية الدينية والدينية ان يفكر في التعليم الديني ويجدد لجامعة القرويين التي تحتضنه شبابها ويطورها وفق الحياة الجديدة حتى تكون دائما في مستوى رسالتها الخالدة .

من المعروف من كتب التاريخ ومن الطابع الذي بقي لحد الآن يطبع حياة المغرب والمغاربة ان هاته البلاد قامت دولتها على الدين وعلى المحافظة على القرآن الكريم وتعاليمه الحية رغم تعاقب السنين وتعدد مشاكل الحياة وتعقدها ، واذا كان المرابطون استطاعوا ان يؤسسوا دولة تضم ما بين حدود مصر وجزيرة الاندلس وما بين مناطق البحر الابيض المتوسط الى تخوم افريقيا الجنوبية والغربية بفضل احتفاظهم على نشر القرآن وعلموه .

واذا كان الموحدون الذين جاءوا بعدهم انما نجحوا في دعوتهم بفضل تجديد ما اندثر من تعاليم القرآن وعلموه على يد المهدي بن تومرت وعبد المومن ابن علي وبنيه . واذا كانت الدول التي تعاقبت بعدهم من مرينيين وسعديين لم تغفل هذا الجانب الحيوي من حياة المغرب الاجتماعية فان العلويين برزوا في هذا المضمار ابا عن جد وملكا عن ملك وخصوصا في عهد الملك الصالح المصلح محمد الخامس طيب الله ثراه .

هاته الشخصية الفذة التي لم يمنحها ما جد في مطالب الحياة وتكاليها وضغط الثقافات الاجنبية والحركات الهدامة التي كانت تلقى تأييدا كبيرا من طرف المستعمرين واذا بهم المنبئين في كل مكان - (اقول) لم يمنحها كل ذلك عن ان تسن للبلاد نظاما دينيا ياخذ احسن ما عند الامم في جميع مجالات الحياة العصرية ويحافظ ايضا على الروح الدينية المثلى ، ولذلك كنا نراه دائما في صراع مع المستعمر ومع الذين يجهلون كل شيء عن تعاليم الاسلام وعن الفكرة

كتاب محمد أو إلى دار الأرقم

للمتأذنة آمنة اللوه

- رواية تمثيلية ... في أربعة فصول ...
- زمانها ما بين الجاهلية وظهور الاسلام ...
- مكانها بادية العرب ومكة المكرمة ...

هذه رواية تمثيلية عن تحرير القرآن الكريم للمرأة المسلمة .. تتقدم بها كاتبها المحترمة على صفحات هذا العدد المخصص لمجادة الدولة العلوية المالكة في خدمة القرآن وعلومه .. راجية أن تعود مثوبتها على روح الجدد الاعظم فقيد العروبة والاسلام الملك الافخم مولانا محمد الخامس محرر المرأة المغربية في القرن العشرين ومعيد نشاطها ونهضتها .. رضي الله عنه في العالمين وأعلى مقامه في العليين ..

أشخاص الرواية

أم سلمى : (تغني في حنان) :

بنتي ! بنتي ! بين البنات
أنسى بها طول الحياة
أزهي بها الى الممات
بنتي ! بنتي ! بنت الحبيب
بنت الملا بنت العرب
فخري بها ولا عجب

الفصل الاول

أم سلمى
أبو سلمى
أم أوفى
خولة
ظيما
ميمة
بنات صغيرات
سلمى وسليمة وسمية

(يرفع الستار عن أم سلمى وهي جالسة امام خيمة وحولها بناتها الصغيرات واحدة منهن في حجرها تنأغيا وترقصها .. وتداعب الاخريات وتغني بما تغني به الامهات عادة لاطفالهن .. وهي في لباس عربي ذي ألوان في هيئة تدل على القناعة وضعف الحال ..)

(ثم يدخل زوجها أبو سلمى في حالة نافرة ، وهو يزجر .. وتقوم اليه احدى بناته لتحييه ، فيدفعها عنه في خشونة ، فتلوذ بأُمها) :

عشر الف كتاب تضم نحو هذا العدد من المعلمين وترعى نحو ثلاثمائة الف طفل

وبقي الامر على هاته الحال حتى سنة 1964 حيث انعقد اجتماع بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ضم كثيرا من المسؤولين من هاته الوزارة ومن وزارة التربية الوطنية وقر الرأي على رجوع الكتاتيب القرآنية الى الاحباس واحتفاظ وزارة التربية الوطنية بأمر مساعدتها فنيا فقط .

والحقيقة ان امر العناية بالتعليم القرآني وبعلوم القرآن كان في طليعة الاعمال التي تقوم بها الدولة العلوية منذ نشوئها لحد الآن وكان هذا التعليم يلقي من كافة الملوك والمسؤولين في هاته الدولة ما هو جدير به نظرا لفيرة هذا الشعب على دينه والكتاب المنزل الذي هو دستور حياته المادية والمعنوية . وقد اظهر جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في كثير من المناسبات عطفه على حملة القرآن واهتمامه بالتعليم القرآني والتربية الاسلامية بوجه عام مما هو معروف ولا حاجة لبسطه لانه حفظه الله يقتفي اثر والده وسلفه الصالح في ذلك فنرجو بمناسبة هاته الذكرى الخالدة ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم على الرسول الاعظم ان تتجدد الاعتبارات على جميع المستويات وان تسترجع تعاليم القرآن مكانتها في نفوس جميع المغاربة والمسلمين قاطبة لانهم كلهم جربوا الخروج عن هاته التعاليم والنتائج التي استنتجوها والوبال والانحطاط الخلقي والاجتماعي الذي وصلوا اليه ، والحقيقة انه لو اتبع المسلمون هاته الروح الانسانية التي تحوبها تعاليم القرآن الكريم بل لو اتبعها الناس كلهم لانعدمت مشكلة الفقر ولحلت مشاكل التغذية ولعاشت منظمة الامم في أمن من مخاوف الفقر وانعدام القوت . والناس من خوف الفقر في الفقر . وصدق من أورد هاته الحكمة الاسلامية الخالدة .

الرباط : محمد ادريس العلمي

صبغته الدينية وتمكنت المدارس القرآنية الحرة من ان تؤدي رسالتها على اكمل وجه ، وقوي نشاط حفاظ القرآن وحملته خصوصا لما تحققوا من عناية صاحب الجلالة بهم واهتمامه بامر القرآن وحملته الذين وضع لهم شهادة خاصة تمنح للمجيدين منهم بعد ان يجتازوا اختبارا في القرآن ورسمه تحت اشراف قاضي المدينة او القرية وبواسطة لجنة من حفظة القرآن وعلماء الرسم والتجويد تختار لهذا الغرض وبقي الحال هكذا الى سنة 1956 اي سنة الاستقلال حيث استرجعت وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة امر النظر في التعليم القرآني واصبح بمقتضى مذكرة رقم 21 خاضعا لتفتيشات تنظمها هاته الوزارة بواسطة مفتشين رئيسيين ثلاثة وبمساعدة نواب مخبرين في كثير من المدن والقرى وبعثت مصلحة التعليم الاصلي في وزارة التربية الوطنية بمذكرات الى عمال المدن والاقاليم بواسطة وزارة الداخلية ترجوهم فيها مساعدتها في احصاء الكتاتيب والمدارس القرآنية عبر المدن والقرى فقام العمال بالامر خير قيام وبعثوا بتقارير ضافية عن عدد الكتاتيب والمدارس وعدد الحفاظ والمعلمين وعدد تلاميذ هاته الكتاتيب . وقد ارتأت مصلحة التعليم الاصلي ان لاتبقي الكتاتيب محافظة على نظامها العتيق الذي اصبح عائقا لها عن تادية رسالتها نظرا لتطور اساليب التربية والتعليم من جهة ولكون العائلات المغربية قد تفتحت آفاقها عن النظم الجديدة المتبعة في الامم التي سبقتنا في هذا المضمار . فوضعت مشروعا للكتاتيب النموذجية طبق في كثير من المدن والاقاليم كما انشئت مدارس للمقرئين بالشمال والجنوب اعطت نتائج لابأس بها . وبعد التعديلات التي ادخلت على وزارة التربية الوطنية انتقل امر تفتيش الكتاتيب والمدارس القرآنية والحرة الى نياباتها الاقليمية .

وفي سنة 1962 وضعت هاته النيابات احصائيات مكنتها من التعرف على عدد الكتاتيب والمعلمين والتلاميذ هذا العدد الذي ناهز نحو اربعة

الفصل الثاني

| | |
|-------|----------|
| مسمار | هبنقة |
| عوف | سمرة |
| صخر | ابو سلمى |
| مرة | ام هانيه |

(يرفع الستار عن ثلة من الرجال في مصطبة ، يشربون ويتسامرون ومن حين لآخر يتردد عليهم الساقى بما يطلبون .. واللباس عربي والاثاث بدوي والاواني من الفخار او من الصفيح ..)

مسمار : من منكم يخرج معي غدا الى الصيد يا رجال ! قد اتى موسم الصيد ، وقرمت اسناني الى لحم الظباء ، الا ترون اسراب القطا تغدو علينا وتروح ؟

عوف : افي تهكم (عهدي بك يا مسمار ، تدعوننا لنسفن الفارات ، واقتحام حومات القتال ، فكيف غدوت اليوم تدعوننا الى مطاردة الوعول ، وبقر الوحش .. !)

صخر : ان مسمارا غدا مسطارا يجتريء باللقمة الباردة عن اللقمة الحارة ، صرف سهامه عن الهيجاء الى الظباء .. ! (ضحك) .

مسمار : كفاكم مزاحا يا رفاق ، كدت بمزاحكم تثيرون حفيظتي ، فادعوا احذكم الى المبارزة (يقولها في حدة) .

مرة : كلا يا مسمار ، ليس في الحي كله من يشتط به الامر الى هذا الحد ، فانت ولا جدال مسمار الحروب وجدليها المحكك . (يرفع كاسه) اشربوا يا قوم نخب مسمار .. ! (يهزون كؤوسهم) .

(هنا يدخل هبنقة صاحب الفكاهات والنوادر ، وهو شخص قصير ذو حذبة ، عليه امارات البله والدعابة ، وفي عنقه عقد من الودعات ..)

صخر : تقدم يا هبنقة ، فلقد ظمنا الى حديثك (يقولها في فرح)

عوف : (وهو يضحك) ان ابا الودعات يحمل الينا اليوم في حديثه فكاهات مستطابة ..

هبنقة : اجلس على الارض ، ويدعو الساقى ولا يجيب .. هات يا ساقى هات ! (يصفق

ويبالغ في التصفيق ، والساقى واقف لا يجيب) ما لسايكم هذا يا قوم لا يجيب ، هو اعمى ، اصم ، لا يبصر ولا يسمع ! ولكن هكذا يكون ساقى اللثام حقا ! (يضحك القوم) .

مسمار : يا ساني ، اسق ابا الودعات كأسا مزرة (ياتيه بها) قص علينا يا ابا الودعات كيف اصطدت ارنبك بالامس ؟

هبنقة : (وهو يتضحك) اني يا فتيان ، لا اصطاد الوحشي كما تصطادونها انتم ، انما اخرج الى الصحراء فتقع الطيور من حولي ، فأخذ منها ما اشاء (يضحكون)

صخر : واذا نفر منك وحش ، فما تفعل به ؟

هبنقة : افعل به ما فعلت بالارنب الحمقاء .

سمرة : وما فعلت بالارنب الحمقاء ؟

هبنقة : خرجت يوما الى الصحراء ، فدعوت الارانب ، فاجتمعت حولي الا واحدة ابت أن تقترب مني لشدة حمقها ، فعدوت وراءها ، لكنها زادت نفورا ، فرميتها بهم من نشابتي ، فلما رات السهم يجري وراءها راغت عنه الى بعض الدروب ، فعارضها والله سهمي في الدرب ، فما زالت تروغ ويروغ معها الى أن نفذ في كليتها (يضحكون)

مسمار : وقل لهم يا ابا الودعات لماذا تجعل هذه الودعات في عنقك ..

هبنقة : اجعلها في عنقي علامة لي لئلا اضيع (يضحكون)

صخر : واذا خرجت بالابل ترعاها ، فكيف ترعاها ؟

هبنقة : اجعل الابل السمان في خير المراعي ، وانحي عنها الابل الهزيلة .

صخر : ولماذا تفعل هكذا ؟

هبنقة : اني لا اصلح ما افسد الله (يضحكون) (هنا يدخل ابو سلمى وهو يلوح بيديه في حالة اضطراب)

ابو سلمى : اسمعوا يا رفاق ، لقد تمردت علي المرأة ، واستأسدت علي اثني ، لقد ملأت بيتي اناثا ، وانا فارس ابن فارس ، اريد الفرسان للضرب والطعان ، مالي واربات الحجال من لا يفني

أبو سلمى : (يخاطب امراته في غضب) - آه ! انت ما زلت تدللين هذه المخلوقات ، وتوهمينهن انهن شيء يستحق الاهتمام ، ألم أنهك غير ما مرة عن ذلك ، اليس لك في الشاء والابل وصغار المعزى والخرفان خير بديل عمى لا يفني شيئاً ، لا في السلم ولا في الحرب . ! (ولما رآها لا تجيب ضرب الأرض برجله .. فذهب يكلم نفسه) - ولكنها انثى بنت انثى ، وهي لا تلد الا الاناث ، عقلت عن ولادة الذكور ، وملأت بيتي باسماء النساء ربات المغزل ، هذه سلمى ، وتلك سليمي ، واخرى سمية .. وا اسفاه .. ! لقد ألحقت هذه المرأة بي العار ، فصرت استحي ان أغدو او أروح على مجامع القوم ، طالما تواريت عنهم .. يبشرون بالذكور والرجال ، وأنا لا ابشر الا بذوات الحجال ، من لا يفني في قتال ولا نزال ، ومن لا يقوم لي يوم الفخار، الا مقام العار والشنار !

أم سلمى : (تنهره في حدة) كفك ايها الرجل كفك، بئس ما تنطق به كل يوم ، تغدو وتروح علينا وانت ترغى وتزبد ، ناقما على بناتك اللائي من صلبك ، ساخطا على من ليس لي يد في ايجاده ولا في خلقه .. اذا كنت عقيما فانت اعقم ، واذا كانت هذه الفلذات غما عليك وكمدا فانهن لي رياحين وسلوى ونعيم (تضمهن اليها) .

أبو سلمى : (يتهمك وضحك)

سلوى ونعيم ! سلوى ونعيم ! لقد هممت ايتها المرأة ان آخذ منك هذه السلوى والنعمة فأدسها في التراب .. !

أم سلمى : لا تكفر ايها الرجل ، فان امك كانت انثى . وان المعزى ومناة الثالثة الاخرى هما ايضا انثيان ، فليكن قلبك لينا .. ! (هنا يحس بوخز ضميره فيطرق قليلا ثم ينسحب من البيت) .

أم سلمى : (تناجي نفسها) اما من خلاص من هذا الهوان ؟ اليك عني ايتها الالهة اين انت ! واين قدرتك ! يا ما تضرعت اليك لتكشفني عنا هذا الظلم ... ! اما ينجلي هذا الليل فيسفر عن صبح مشرق وضاح نظمئن فيه على انفسنا وعلى بناتنا ؟ ..

(وفي هذه اللحظة تدخل بعض نساء الحي زائرات ..)

أم سلمى : (تقوم اليهن مستبشرة) - اهلا بالمقاتل الكريمات ، رحبت بكن الدار ...

أم أوفى : سلمت أم سلمى ، وسعدت بك سلمى ، وسليمي ، وسمية !

أم سلمى : زاد بك بيتي انسا ، ولقيت منكن عزاء وسلوى (تظهر عليها كآبة)

خولة : مالك يا أم سلمى شاحبة كاسفة ؟ ما للابتسامة قد غاضت من ثغرك ؟

أم سلمى : حز في نفسي ايتها الاخوات ما تقاسيه نحن النساء من اضطهاد وما تقابل به البنات من كفر وهوان ..

ظمياء : انني سعيدة على أي حال ، لقد رضيت بما قسم لنا ، فنعمت بالا وسعدت حالا ..

أم سلمى : ولكن بئس ما اخترت لنفسك يا ظمياء

ميمية : ولكنها معذورة يا أم سلمى (تقول ذلك في لهجة قوية) انها تخشى ان يتحدث الحي عنها كما يتحدثون عنك ..

أم سلمى : (في اهتمام) - بماذا يتحدثون ؟

ميمية : يقولون انك خالفت سنة العربيات وتحديث الالهة ، لذا فستثور عليك وينالك غضبها .

أم سلمى : فلتشر الالهة ، ولتنقلب الارض ، ما دمت غير آمنة على بناتي وعلى نفسي ، وما دمتا مفلوات مظلومات موءودات .

أم أوفى : (باندعاش) - الى اين يذهب بك يا أم سلمى .. ! اتريدين ان تكوني لبابة السلوية ؟ ..

أم سلمى : نعم هي مثالي ، وهي قدوتي واسوتي ! فلم لا تصرن اتنن مثلها ؟ ولم لاتشعرن بهذا الذل الذي يخيم عليكن وعلى بناتكن ؟ انكن عربيات والعربية ابية ، لا ترضى بالهوان ، ولو في قصر من ذهب !

الزائرات : (بصوت واحد) - عاشت أم سلمى ! عاشت أم سلمى !

(ستار)

مرجانة : ان مولاي من سادات العرب ، وهي تريد ان تشاركه في السيادة ، وبذلك تخرج عن تقاليد قومها .

ميمون : هل اذا تزوجت بك يا مرجانة ، يا فتانة ، تفرضين علي ارادتك انت الاخرى ؟ (ثم يقول في عبث) لا ، لا ، لا ، اعيش اعزب ولا تسود علي امرأة .

مرجانة : دعنا من ثرثرتك يا ميمون ، فليس لك بشأن النساء علم ، اذهب عنا .

ميمون : (يخرج مهرولا وهو يقول) اذهب آتيكم بالعرافة من هيكल الالهة لتطرد شياطين الجن التي توسوس لسيدتي .

(وفي هذه اللحظة تدخل أم سلمى ، ومعها نساء الحي ، فيتمادين في الحديث قبل ان يجلسن)

أم أوفى : هوني عليك يا أم سلمى ، لاتراعي ، فلن تجلبي لنفسك الا العار اذا تماديت في هذا .

أم سلمى : وهل اذا كنت اريد رفع المذاب عن نفسي وعن بناتي سمي ذلك عارا ؟ هل علي جناح ان التمس لبناي ولبنات جنسي حق الحياة الكريمة ؟

(وفي هذه الاثناء يدخل العبد ميمون بالعرافة ، وهي عجوز هرمة تلبس لباسا اسود ، يغطي سائرها وتخطو بتؤدة على عصا ترتعش ، وفي يدها بعض اشياءها ..)

أم سلمى : (في اندهاش) من هذه يا عبد السوء ؟

ميمون : (في اضطراب) الشفاء ، الشفاء ، العرافة الداهية كاهنة الحي .

(أم سلمى تنقبض مشمئة) .

أم أوفى : مرحى ، مرحى ، احسنت يا ابن الامة .. !

العرافة : (في صوت يشبه الصغير) جئت ابارككم باسم الكاهن الاكبر ، والعراف الاشهر ، عراف اليمامة ، جئت اطرد من سمائككم الشيطان المارد .. باسم اللات والعزى ، جئت اسوي الماء والهواء ، والظل فوق البيداء . (تشرع في حركات غريبة ، واشارات سحرية ، وهي في صمت والكل في وجوم ، ثم تنشر اشياء امامها وتنظر فيها وتقول) .

ان لم يكذبني حدسي فام سلمى قد حل بها غضب الالهة واستنزلت لعنة يغوث ويموق ونسرا .. لقد نطق لسانها بما فيه شك لالهة العرب .. فاصرعوا بتقديم القرابين .. اجيبي يا علة الاسرار ، يا جعبة الانوار ، قدموا القرابين ، (تسكت قليلا) انه الشفاء للسيدة ام سلمى ، ربعة السلمى ، على ان تغري ، وتغري ، وتغلي يدي ، بالسمن الزيدي ، والدرهم المسجدي ، المسجدي المسجدي (تكررهما ..)

أم سلمى : كفاك يا عجوز ، انصرفي لحال سبيلك ، واعطها يا ميمون ما يرضيها ، ولا تعد تدعوها (ياخذ بيدها ، ويخرج بها)

(ثم تدخل أم هانيء التي ظهرت في الفصل الثاني)

أم سلمى : رحبت بك الديار يا أم هانيء .. فهل من نبا ؟

أم هانيء : جئتك بنبا عظيم ، هو الخلاص لنا نحن فيه جميعا ، واذا صدق قائله فهو الصبح الابلق الذي سيفير وجه حياتنا .

أم سلمى : تكلمي وافصحى ..

أم هانيء : حدثني أم رومان القرشية ان محمد بن عبد الله القرشي الفتى الامين نزل عليه كتاب كريم ، فيه كلام يأسر القلوب ، ويشرح النفوس ، ويأمر بشريعة ما عرفتها العرب من قبل ، تقضي برفع الضيم عن الضعفاء ، والتسوية بين الرجال والنساء ، وتحريم السبي ، والواد ، والعضل ، واكرام الاماء على البقاء ..

أم سلمى : ومن هي أم رومان هذه التي انباتك ؟

أم هانيء : هي أم فتاة لها عندي ، ارضعتها بباديتنا ،

فهي لذلك تزورني وازورها وتحمل الي اللطاف والهدايا ، وكان مما حملت الي هذه المرة ، هذه الورقات (تخرجها من تلافيف ثوبها) وقالت انها من كتاب الله وانها مما انزله الله في شأن تحرير المرأة ..

أم سلمى : وهل تحفظين منها شيئا ؟

أم هانيء : نعم ، احفظ منها آيات ، اعادتها أم رومان على مسامعي حتى حفظتها .

غناء الرجال .. قلت لها هذا فهاجت
وتنمرت .. اي واللات والعزى ، زعمت ان
البنات كالبنين .. !

عوف : بعدا لها من كلمة !

ابو سلمى : دلوني على حل يا رفاق ، خير لي ان
اوارى وجهي عنكم من سوء ما ملكت يدي !

مرة : احزم امرك يا صاح ، واقطع دابر هذه
الرقطاء قبل ان يستفحل امرها ، وقبل ان
يتحدث العرب فيقولون : ان امرأة من العرب
خالفت سنة آباؤها وسولت لها نفسها
الخروج على عادات قومها ..

مسعار : لقد تهاونت يا ابا سلمى ، فهنت عند
المرأة ، اعلم ان النار اذا اشتعلت انت على كل
ما حولها ، فبادر واقتل الفتنة في مهدها فكل
عار ينالك ينالنا ..

ابو سلمى : قولكم الحق ، ورايكم الصواب ، ستعلمون
نباها بعد حين ، سادس بناتها في الطين
واجعلها حديثا للغابرين ..

(هنا تدخل امرأة عجوز ، في يدها ورقات ..
تحييهم وتجلس)

مسعار : ما بيدك يا أم هاني ؟

أم هاني : (في صوت متهدج) وريقات انت بها
أم رومان من مكة ، البلد الحرام ، من عند
الفتى القرشي .

عوف : ومن الفتى القرشي هذا ؟ (في استغراب)

أم هاني : انه محمد ، ومن يجهل امر محمد ، وامر
كتاب محمد .. !

عوف : وهل هذه الورقات من كتابه ؟

أم هاني : لا أدري يا بني فانا أمية لا اقرا ولا اكتب ،
فانظروا من يقرؤها لكم .

مسعار : خذها يا سمرة ، انك كنت بالحيرة ،
وخالطت الاحبار والرهبان ، ونظرت في الزبر .

سمرة : (يأخذ الورقات من العجوز ويمضي في
قراءتها بتائر والقوم في وجوم)

سمرة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، اذا الشمس
كورت ، واذا النجوم انكدت ، واذا الجبال

سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش
حشرت ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس
زوجت ، واذا الموءودة سئلت ، بأي ذنب
قتلت ، واذا الصحف نشرت ، واذا السماء
كشطت ، واذا الجحيم سمعت ، واذا الجنة
ازلفت ، علمت نفس ما احضرت ، فلا اقسم
بالخنس الجوارى الكنس ، والليل اذا
عسعس ، والصبح اذا تنفس ، انه لقول
رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين ،
مطاع ثم امين ، وما صاحبكم بمجنون ، ولقد
راه بالافق المبين ، وما هو على القيب بضنين ،
وما هو بقول شيطان رجيم ، فإين تذهبون ،
ان هو الا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم ان
يستقيم ، وما تشاءون الا ان يشاء الله رب
العالمين . »

(وجوم يسود القوم ، ثم ينتبهون ، فينتفضون
ويضطربون ويتصايحون ، وتأخذ العجوز
أوراقها فتنسل ..)

ابو سلمى : امر امر ابن ابي كبشة ، لقد اخذت آيات
كتابه تسير بين احياء العرب ، يستنكر
الواد ، ويجعل للنساء مقاما مذكورا ، هذا
لا يكون ، ولن يكون !

مسعار : اسرعوا الى بيوتكم ايها القوم ، اسرعوا
قبل ان يفسد عليكم كتاب محمد نساءكم ،
اسرعوا اسرعوا .. !
(يخفون للخروج)

ستار

الفصل الثالث

| | |
|-----------|----------|
| ام هانيء | غزالة |
| خولة | مرجانة |
| ابو سلمى | ميمون |
| مسعار | ام اوفى |
| عوف | ام سلمى |
| نساء الحى | المرافعة |

(يرفع الستار عن نفس المنظر بالفصل الاول ،
ويظهر بعض الخدم في بيت ام سلمى وبينهن
العبد ميمون)

غزالة : ان سيدتنا تن وتشكو هذه الايام ولست
ادري مما تشكو ..

الفصل الرابع

| | |
|-------------|------------------|
| العاص | ابو سلمى |
| خباب | عموف |
| عمار | سمرة |
| حمالة الخطب | سمسار |
| ام سلمى | رجال .. ونساء .. |
| ام هانيء | |

حمزة : افتحا الباب (في لهجة حازمة) .

خباب : وما تريد من فتح الباب ؟

حمزة : اريد ان التقي ابن اخي محمدا ، فليس احد اسبق اليه مني ، ابايعه على ان الله واحد لا شريك له ..

(يفتحان الباب ويدخلن ، ويفلقان عليه الباب)

خباب : الحمد لله ، هذا نصر من الله للمسلمين ، وتمكين لدينه في الارض .

صوت من داخل : حمزة بن عبد المطلب اسلم ! الله اكبر ! الله اكبر !

(اصوات تردد التكبير)
(ثم يقف بالباب فوج من النساء البدويات وهن وفد ام سلمى ..)

ام سلمى : (تسأل رفيقاتها) هل هذه دار الارقم ؟

ام هانيء : انها دار الارقم فانا اعرفها .

خباب : انها هي يا اماء الله ، الخير اقبلتن ؟

ام سلمى : افتح لنا الباب (في لهجة حازمة) افتح لنا الباب نلق رسول الله ، ونبايعه على الدين السمح ، ونسمع منه الكتاب الذي جاءنا به .. فهؤلاء عقائل العرب وكرائمها .. جئن يسابقن الرجال اليه ، ويرجون ما عند الله ، هيا بنا يا اخوات ، هذه هي دار النجاة ، دار الارقم .. معقل الاسلام ودار النبوة ومشرق النور .. افتحنا لنا الباب يا حارسان !

(يفتح الباب ويدخلن ، فيتعالى التكبير في جوانب الدار) .

خباب : حمدا لك يا رب !

عمار : شكرا لك يا رب العالمين ! اتممت نعمتك علينا، وجعلت افئدة من الناس تهوي بنا ! اللهم اهد الناس الى الطريق المستقيم ، وانر امامهم سبل الرشاد ليدخلوا في دين الله افواجا ! (اذا بفوج من الرجال البدو يتقدمون الى الباب ، هم وفد ابي سلمى)

ابو سلمى : (يخاطب الحارسين) اهذه هي دار الارقم ؟

(يرفع الستار عن ساحة امام دار المقداد بن الاسود، معقل النبي (ص) واصحابه، واثنان من المسلمين يحرسانه من داخل ، واثنان آخران من خارج ..)

العاص بن وائل : (يتقدم من الباب ، وينظر الى الحارسين شزرا) الا تزلان هنا يا اذلان ؟ اليس لكما شغل عن هذا الباب الذي لازمتما ملازمة الظل ، لكني اعرف كيف انحيكما عنه اذا عدت ووجدتكما هنا .. اسمعتما ؟ ..

الحارس خباب : فالله خير حفظا ، وهو ارحم الراحمين !

العاص : سترين ! سترين !

(ينصرف وهو يرسل ضحكات استهزاء)
(ثم تتقدم امرأة الى الباب ، وعليها امارات الشر ، تلتفت هنا وهنا .. واخيرا تلقى قمامة على الباب من قفة تحملها وتنصرف) .

الحارس عمار : من هذه يا خباب ؟ ..

خباب : انها حمالة الخطب امرأة ابي لهب الملعونة في كتاب الله ، شأنها ايذاء الرسول والمسلمين تلقي عليهم القمامات وتسبهم في المجالس .

عمار : .. ! تذكرت ، هذه التي ذمها اشنع ذم في كتابه الكريم ، تبت يدا ابي لهب ..

خباب : ان الحد يا صاحبي هو الذي اوردها المهالك ، وجعلها ملعونة على السنة الاولين والآخرين .. (يشير) انظر يا صاح ، هذا حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) يتقدم لنا ، لعله اتى ليسلم !

عمار : انه هو ، وامارات الخير بادية عليه .
(يقف حمزة ، ويشير اليهما ان يفتحا الباب)

ام سلمى : اسمعينا اياها يا ام هانيء .

ام هانيء : (ترتل بصوت شجي) اعوذ بالله من الشيطان الرجيم « ربنا ، اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ، ان آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فافغر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد ، فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم ، من ذكر او انثى ، بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا ، واخرجوا من ديارهم ، واوذوا في سبيلي ، وقتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ، ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب » .

النساء : (بخشوع) صدق الله العظيم .

ام هانيء : ثم اسر اليكن ايها الاخوات ، اني مررت على مجمع القوم بالحي في طريقني اليكن فاظهروا لهم بعض هذه الاوراق ليعلموا من نبا كتاب محمد ما يجهلون ، ولاري كيف يستقبلون هذه الدعوة الجديدة .

ام سلمى : وهل قراوها ؟

ام هانيء : اجل ، قراوا بعضها ، فثاروا وحاصروا حصة حمر الوحش ، وانفضوا وهم يتوعدون وينوون شرا بنا وبكتاب محمد ، فجنحت استحث الخطا لاجلركن من سوء ما بيتوا ، وانهبكن قبل فوات الاوان ، حتى تحتسائط كل واحدة منكن لامرها ، والاجدر بنا ان ننصرف الآن وندير امرنا .

خولة : نعم ما ترين ، هيا بنا يا اخوات ، وهيا معنا يا ام سلمى ندير امرنا ونستعين عليه بالكتمان ..

(يخرجن متسللات .. وبعد هنية يدخل ابو سلمى في انفعال شديد)

ابو سلمى : اين انت (في صوت عال) اين انت ؟ ام سلمى ، (صوت اعلى) ام سلمى الا تسمعي ، اخرجي من مخبئك فسيذك يناديك !

مرجانة : (تتقدم في ادب) عفوا سيدي ! ان سيدتي ليست في البيت ، خرجت منذ زمن ، وركبت ناقتنا القصواء في صحبة بعض نساء الحي وما زلت اتبعها ببصري الى ان غابت وراء هذه التلال .

ابو سلمى : (في هيجان شديد) تبا لك من امة ، وجه السوء والشؤم ، لا تأتيني الا بالاخبار السوداء مثلك ، اغربي عن وجهي .. ؟

مرجانة : (في زعر) سمعا وطاعة يا مولاي ..

(ابو سلمى يذرع البيت ذهابا وجيئة وهو ينتفض انتفاضة المحموم)

ابو سلمى : اي عار يضمنه بيتي ، لماذا لم يدؤوا هذه المرأة ؟ لماذا كانت في نصيبي ، لتنصب عليها لعنة الالهة ، ولكنني اعرف كيف اغسل هذا العار عني ، انها خرجت وانصرفت الى بيت ابويها لتشكوني الى قومها ، ولم تعلم انني حزمت امري وشكوتها اليهم قبل ان تشكوني ، وفوضوا امرها الي . لا مفر لها مني ولو اوغلت في البذاء ، ولا مناص لها من تقمسي ولو تملقت بالنجوم .. !

(هنا يدخل زوج ام اوفى مسعار ، وهو يتلفت يمنة ويسرة في حالة تائر)

ابو سلمى : علام تبحث يا مسعار ؟

مسعار : ابحث عن ام اوفى ، اين هي ؟

(ثم يدخل عوف زوج خولة)

عوف : اين خولة زوجتي ؟ اين هي ؟

(ثم يدخل آخر .. ثم آخر ...)

ابو سلمى : وانا ايضا ، افتقدت ام سلمى ، وكنت اظن انها انصرفت الى اهلها ، كما تفعل اذا غاضبتني ، ولكني ايقنت الآن ، انها ذهبت الى وجهة غير وجهة اهلها .. من يا ترى يبنشنا بما كادته لنا هذه النسوة ؟ ..

(هنا يدخل ميمون في حالة الفزع)

ميمون : سيدي ! سيدي ! انني كنت ارعى الابل ، وراء هذه التلال فمرت بي سيدتي هي ورفيقاتها يطوين الارض طيا ، وسمعتهن يتحدثن انهن يقصدن دار الارقم ...

ابو سلمى : دار الارقم ! دار الارقم ! اين هي دار الارقم ؟

(تظهر علامات التعجب والاندهاش على ملامح القوم ..)

مسعار : هلموا بنا يا قوم ، نقتفي اثرهن ، ونردهن الى حظيرتهن ونستجلي امرهن ..

ستار



قبل ان يتعاطى حرفة (خراط الخشب والنقش عليه) قضى اعواما بكتاب (الفقيه النجار) حيث حفظ القرآن في ظرف اثنتي عشرة سنة ! حقا لقد كان ضعيف الحافظة بشكل غريب رغم الجهود التي بذلها . ولولا انه منحرف الصحة يومئذ لما افلت من وثاق (الفلة) ولا من ضربات قضيب (السفرجل) الدقيق المتين الذي يشبه الحديد في متانته ، ولكن الله سلم .

وتفطن والده عندئذ الى ان ولده ليس بحافظ ، فهو لذلك لا يرجى منه تفوق في مجالس العلم ، ولا يؤمل له ان يلتحق بجامعة القرويين ، ولذلك سلمه الى تعلم الحرفة (الدوقية) : حرفة خراط الخشب والنقش عليه ، على خشب العرعار وخشب الليمون ، فهذه الصناعة الرفيعة ، تجعل محترفها يبدع ايما ابداع في تركيب موائد مزخرفة قائمة على ثلاثة او اربعة ارجل مخروطة باحكام وذوق سليم ، كما يبدع في صناعة الرفوف والصناديق الكبرى والصغرى والخزائن واسرة النوم الفخمة التي تعلوها قباب من الخشب نفسه ... وهذه الاعمال الفنية وامثالها لا يرغب فيها الا ذو الذوق الممتاز والراغبون في حياة مرفهة سعيدة ، وايضا اصحاب الوجاهة الذين يابسون الا المحافظة على المستوى الطيب ، سواء في حياتهم هم ، او حياة افراد اسرهم .

حذق السيد التهامي المهنة في ظرف قصير لم يتعد بضع سنوات ، وصار بذلك صانعا ماهرا يحظى بتقدير واعجاب وتنويه المعلمين الماهرين ، الذين كانت

تفرض الحياة على الانسان ان يعمل ، لكن قلبه او مزاجه يميل به الى التسلي . وهكذا يقضي ساعات في ضمان حاجات الجسد ، ثم ساعات اخرى لقضاء حاجات ومتع الروح والقلب ... كل حسب مزاجه ، وكل حسبما يروق له . فالسيد التهامي مثل عامة الناس رجل عامل ، اكسبه عمله متانة في الجسد ، ومرونة في العضلات ، وصفاء في الدهن ، واتزان في الطبع . فهو من المحترفين الذين استفادوا من حرفتهم رزقا وصحة وفتوة دائمة ، الا ان تسليته ولهوه وحاجات قلبه وروحه ليست كحاجات كثير من المحترفين من ابناء بلده سلا .

لشد ما يعيب على بعض الناس تلك الهواية المستحوذة على العقول (لعبة الورق) . فهذه اللعبة من وجهة نظره بمثابة ساحر خبيث يملك على اللاعب عقله ورشده ، ويحرم البيوت انسها واستقرارها ويحرم الزوجات قرب ازواجهن ، والاطفال رعاية آبائهم المستمرة ، بل هي وسيلة لتعكير المزاج اكثر مما هي وسيلة لترويقه والترويح عنه . ثم ويا للفظاعة هواية اولئك الذين يتعاطون الحشيش تدخيناً وابتلاعا ، دون ان تلفت انظارهم قواهم الخائرة ووجوههم الذابلة . وايضا اصحاب الهوايات الاخرى ... لا ، لا ، عفا الله عن الجميع !

هواية السيد التهامي تملك عليه عقله الا انها هواية رفيعة ...

خياب : نعم ..

ابو سلمى : وهل جاءت نسوة الى هذا المكان ؟

خياب : ومن تكونون انتم وما شأنكم ؟

ابو سلمى : اننا ازواجهن ، لقد تركن ديارهن وابناهن ، استهواهن الشيطان ، وغواهن كتاب محمد ، فانسللن الى هنا خفية .. ونخشى ان يكفرن بالللات والعزى ، ويدخلن ديننا غير دين آبائهن .. فاذا كن في الدار فاخرجوهن الينا ، ننقلب بهن الى بيوتهن واهليهن .

خياب : ان من يدخل هذه الدار اصبح في حمى الله ورسوله ! فلا سبيل الى ما تطلبون . (القوم ينظر بعضهم الى بعض)

عمار : ولكن ، هل لكم فيما هو خير من ذلكم ؟

ابو سلمى : ما هو ؟

عمار : ان تدخلوا فيما دخلت فيه نسأؤكم .

مسعار : (يندفع نحو الحارس) لقد هممت ان اخبطك بسيفي هذا خطا ، وان اريك انه لا يقف شيء في وجهنا !

عوف : مهلا يا مسعار ! اعلم انك في البلد الحرام ، وفي الشهر الحرام ، فما لك ان تروع احدا هنا .

خياب : اعلموا يا قوم ، انكم لستم اول من جاء يطلب مثل طلبكم ، ان كثيرا من زعماء القبائل ورجالها اتوا يطلبون ان نسلم اليهم من هداهم الله للدخول في دينه ، ولكننا ما سلمنا احدا .

ابو سلمى : (يخاطب اصحابه) لقد استفحل امر محمد ، اي سحر يملكه هذا الرجل .. واية قوة يسخر ؟

سمرة : ان بين يديه كتابا ، وقد سمعتم بعضه .. ان كان حقا ما يقولون فان لهذا الرجل شأنا ، واي شأن ، لقد تبعه اكابرنا واصاغرنا ، ضعفاؤنا ونساؤنا ، انه اعطى النساء شيئا عجبا ، وجعلهن مثل الرجال في الاحكام .. (ثم يرفع صوته) اسمعوا يا رفاق ، فان كان هذا الرجل على حق فلا يسبقنكم اليه احد ، ان نساءكم بين يديه اترضون ان يحال بينكم وبين محارمكم ، كيف ننقلب الى ديارنا وقد خلفنا وراءنا محارمنا ؟ ..

مسعار : لقد نصحكم ابن عمكم .. لا ينبغي لنا ان نعود الا ومعنا نساؤنا .

ابو سلمى : نصيحة .. ! .. ولكن كيف تكفر بالهتنا ، بالللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ؟ كيف يكون هذا ، انني في حيرة ، اجيبي يا آلهة ، اقترب ام ابتعد ، ماذا افعل يا يفتوت ويا يعوق ونسرا ؟

سمرة : احزموا امركم يا قوم ، لا تترددوا ادخلوا فيما دخلت فيه نسأؤكم فمن العار ان يكن اهدي منكن سبيلا .. !

مسعار : (في لهجة حازمة) افتح الباب ايها الحارسان ، افتحا !

(يفتح الباب ، ويدخلون ، ويتعالى التكبير في جوانب الدار ، وبعد هنية ، يخرجون ، وقد تأبط كل واحد زوجته وهم يكبرون ..)

الوفدان : (يخرجان اثنين اثنين) الله اكبر : الله اكبر !

ســــــــــــــــار

الرباط : آمنة اللوه

يطلق سراح الوطنيين ، حتى يعود الى المسجد ازدهاره الكبير عهد تلاوة القرآن ، ويزيد الحاحا على الرب الكريم بأن يطلب من زوجته الطيبة واولاده الصغار أن يرفعوا بدورهم اكف الضراعة الى الله ، ولا يسمهم الا أن يفعلوا بقلوب عامرة بالثقة والايمان ... ويستمر ذلك الى أن يستجيب الله للادعية الصادقة ويطلق سراح الوطنيين ويتحقق الرجاء ...

و ذات مساء خطير ، لم يجد المعلم التهامي مجالا للذهاب الى المسجد فقد كانت حالة الطوارئ معلنة ، ونظام منع التجول مفروض ، فحتى المساجد ، بيوت الله ، مغلقة يسودها ظلام دامس وسكون شامل ، ولو ان الليلة ليلة عيد من اكبر اعياد الاسلام . لقد اختار الاستعمار هذه الليلة بالذات ليثبث الكثير من لواعج الحزن العميق في نفوس المسلمين ، وان الاحزان التي فأت السيد التهامي فيما سبق من الاحداث الوطنية جاءت اليوم كصخرة ضخمة عاتية ونزلت بكامل ثقلها على قلبه لتسحقه وتمحقه سحقا ومحقا شديدين .

تسلل من السطح الى منزل جاره السيد الحسن الفيلاي لينصت الى (صوت العرب) ، يا أسفاه انه لايملك جهاز راديو حتى اليوم !! وبدأت الموسيقى الحفاسية (امجاد ياعرب امجاد ...) وتلاها صوت المذيع مجلجلا جهورا متدفقا متحمسا لينشر على الدنيا : دنيا العرب ، دنيا المسلمين ، دنيا الاحرار خبر نقل الملك الجليل محمد الخامس مع نجليه الاميرين الكريمين الى المنفى البعيد ...

بكى السيد التهامي تأثرا وأخذ يردد مرارا « وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا ان

له وان اليه راجعون » بينما اشتد التوتر بالسيد الحسن الفيلاي وأخذ يتوعد (والله لن تمر عليكم بسلام) اما زوجة الفيلاي في فناء الدار فهي تفرغ في الفضاء العالي المشوب بقليل من نور القمر قذائف من الشتائم واللعنات في حق الجنرال (كيوم) وانصاره من الخونة والمتجبرين ، لم تتعب ولم يتوقف لسانها ولكنها تتلو من ورقة واضحة الخطوط عامرة السطور ، وتجاوب معها ابناؤها الصغار وبناتها فملأوا الجو صراخا ، وانى لهم بمن يأخذ بخاطرهم !

ضاعت الدنيا من حول الجميع ، وهنا اسعف الموقف السيد التهامي بأن دعا جاره ومن معه بالتبعية للانصات الى مفرج الهموم : كتاب الله عز وجل . وافتتح التلاوة بسورة (سيدنا يوسف) ولكنه وضع مسكنا لطيفا على القلوب ، لقد فهموا ضمنا ومن خلال التمعن البسيط ان نبي الله يوسف سبق ان غدر به ، وبيع ببيع العبيد ، وفتن في عرضه ، وأدخل السجن ، ولكنه خرج من هذه المحن كلها منتصرا مظفرا ... وتلك عاقبة الصابرين الاوفياء جميعا ...

أخذت عائلة الحسن الفيلاي بيد السيد التهامي تقبلها تبركا واعترافا بالجميل ، جميل بعث الامل في نفوسهم . فلم يبق عليه اذن الا ان يبادر وينقلب الى اهله ليقوم بنفس الدور ، ولكنه وجد الزوجة قد نامت وصدرها مشحون غيظا ، كما نام الاطفال أيضا وقد جفت على شفاههم الرقيقة ابتسامة العيد غير السعيد ..

سلام محمد احمد اشماعو



تكفيهم نظرة خاطفة الى انتاج السيد التهامي ، او انتاج غيره ، ليحكموا بجودة او تفاهة العمل المنجز ، وبذلك يمنحون ثقتهم باستمرار ، ويفخرون بوجود هذا الصانع او ذاك في صفوفهم ، او يرفضونه ويسلقونه بالسنة حداد .

ولما تروح الشمس الى مغربها ينفض المعلم التهامي يده من العمل وهو أشوق ما يكون الى الاستمرار فيه . ولكن وقت ممارسة الهواية الرفيعة يكون قد حل . وبذلك يبادر الى المسجد الاعظم من حيث يجدد وضوءه في النافورة العظمى التي تتوسط الصحن الغربي . ويستند الى الجدار قليلا ليعب من النسمات الطيبة ، الرابطة راسا من البحر المحيط ، ثم يدخل بعد ذلك الى المسجد مع الداخلين . انه لا يعرف من اسس ، ومن وسع ، ومن حدد ، ولكنه يدرك ان رجلا عظاما هم الذين بوا هذا المسجد عظيما هكذا ، وما جعلوه متسعا الى هذا الحد الا لوفرة المتعبدين في زمنهم . ان المسجد الفسيح الارعاء العامر بالجلال والمهابة ، والذي مرت على منبره الكبير ومنابر الصغرى مآت الخطباء والوعاظ والمحدثين يمتليء هذه الايام بعناصر من الشباب الوطني التي اتخذت من المسجد معقلا حصينا للدفاع عن الديانة الاسلامية وبالطبع عن اهلها وارضها . خصوصا وقد قدروا ان قوة المستعمر تتلاشى امام صلابة العقيدة الاسلامية الخالدة الصامدة .

كان الشباب الوطني يتوافد على المسجد قبيل المغرب ، وفور اداء الصلاة كانوا ينتظمون في صفين امام المحراب احدهما على اليمين والاخر على اليسار ويشرع في قراءة (الحزب) اليومي ، لكن مع ترتيل جميل ، ونفحة مقتبسة من نوبات الامداد النبوية والطرب الاندلسي ، وتتصاعد اصوات الشبان الجهيمة واصوات الفتيان والصبيان الرقيقة في تناسق يبعث على الخشوع وتندى له اكثر المآقي جففا ، فتتغذى الارواح ، ترتوي الاذواق بدرجة بعيدة عن تدقيق الوصف .

في الواقع لم يكن السيد التهامي ينسلك في اي صف من الصفين ، وانما يلزم احدي الاساطين القريبة من التجمع . ويتناول مصحفه الخاص ويروح مساهما في التلاوة ، في الترتيل بل في الترنم الجميل ، الذي يستغرق ما بين الساعة والساعة الا ربع ، ولكنها فترة رغم امتدادها تمر وكأنها لحظات قصار من تلك اللحظات التي يجود بها الرمان ، بين الحين والحين ،

وهي بحمد الله في هذا المسجد ، ومع هذا الكتاب الطاهر ، ومع هؤلاء الشبان الوطنيين تتجدد كل يوم كل مساء .

وينقلب السيد التهامي الى بيته ليتعشى وليبش في وجه اهله واولاده ثم يعود لهوايته الممتعة ، يعود يتلو ويترنم ، وهو ذو الصوت الجميل ، تحت سمع وبصر زوجته التي تجلس محاذية له ، مستمعة بجوارحها وقلبها غير متضايقة من الدموع التي في عينيها ، حتى الاطفال كانوا ينامون على ترنيمات أبيهم القاري الخاشع .

بالمناسبة كان يلفت نظر السيد التهامي وهو بالمسجد يشارك في القراءة ان الشبان الذين يعرفون بوجود بعض المتجسسين لصالح الادارة الفرنسية الحاكمة والذين يجلسون متوارين في بعض الاركان الممتعة ، كانوا يرفعون اصواتهم اكثر لسمعهم من امثال هذه الآيات :

« ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا »

او « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء . تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق . يخرجون الرسول واياكم ... »

او « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ، بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين »

او « ... والله العزة والرسولة للمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » ...

ويلتفت السيد التهامي الى تلك الجهات الممتعة فيلمح ان هؤلاء المتجسسين الانذال يأخذون في التسلل هارين ، خوفا من ان تشير اليهم الاصابع انتم الذين نعينهم ، واليكم اشارتنا !

ان المعلم التهامي لم يشارك قط في الاجتماعات والحلقات الوطنية ، ولكنه تفهم بعض المبادئ الوطنية من خلال ترده اليومي على المسجد ومن خلال تتبعه الاعمال وتصرفات الشبان الوطنيين ... ولكم كان يحس بالانقباض والاستياء لما يعلم بطريق مباشرة او غير مباشرة ان لفيفا من الشبان الوطنيين قد ألقى عليهم القبض وادعوا السجن . وعندئذ يعم في تلاوة القرآن طرفا من الليل اكثر من المعتاد ، بل يستيقظ قبل الصبح ويقبل على القراءة تضرعا الى الله في ان

والمنهج والغاية والهدف ، ما يناسب اى تطور فى الدنيا
وبصاحب اية نهضة فى العالم ..

وقال الملك : ولقد درست بنفسى كثيرا من
البحوث التى فيها المستشرقون عن القرآن واجمعوا
فيها كلهم على انه اعظم مادة روحية ومعنوية تسير
مقتضيات التطور وتنسق معالم الحضارة الانسانية
فى كل زمان ومكان . وقال جلالتنا اننا خلال المراحل
الماضية حضرنا عدة مؤتمرات سياسية واجتماعية
على مختلف مستوياتها ، وكانت جميع القرارات التى
تؤخذ فيها لا تعدو مع - الاسف - ان تكون كلها
قرارات نظرية لا يوجد فيها اى اثر للتطبيق ، ولو كنا
خلال هذه الاجتماعات وما سواها عملنا على مستوى
تدعيم نهضتنا الزمنية وطرائق معيشتنا وتقدمنا
وارتباطنا ببعضنا على نحو من التقيد والالتزام بحدود
تشريعات القرآن لكنا قد اوجدنا فى نفوسنا وحدة
متحدة ، لها مفهومها فى مجال الوحدة الكاملة ، ولكننا
بهذه الوحدة وذلك التقيد اكبر قوة ، لها مناعتها فى
هذا العالم الذى لا يعرف اى منطق سوى منطق القوة .

ونحن اذ نحتفل بهذه المناسبة التى نرجوا الا
يكون امرها مقتصر فى المدة المقبلة على بلادنا وحدها
بل نريد من العالم الاسلامي كله ان يترسم من هذا
الاحتفال ضرورة التقيد والالتزام بمنهج القرآن
الكريم وتشريعاته الرفيعة فى علاقات الفرد بالمجتمع
والمجتمع بالدولة حتى تكون الغاية قد اثمرت الى ما
يهدف اليه المسلمون من تعزيز مجتمعهم وتدعيم
مراكزهم . نقول ان احتفالنا هذا لم يكن المراد منه
حماية القرآن لان الله هو الذى حفظه ومكنه لقوله
تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولكننا
فى مثل هذه المناسبة وغيرها قد نستفيد منه بما يبعث
الطمأنينة فى نفوسنا ويزيل الاحقاد من قلوبنا .

هذا وقد اختصرنا بعض الجمل التى وردت فى
خطاب الملك لانه كان ضافيا ومسها ومتسلسلا
وكانه يقرأ احداث التاريخ من خلال اربعة عشر قرنا
من لوحة مكتوبة امامه ، وقد يذهل المرء عند ما يعرف
ان هذا الاستهلال كله انما كان بطريقة الخطيب المرتجل
على نحو من البلاغة الفائقة ، والكيانة الرصينة ،
والتعبير السليم ، والمعاني الرفيعة ، مستشهدا
بالاحاديث والآيات الشريفة ، تنطلق من فيه انطلاق
الماء من بين الاصابع ، من غير تلثم او تفكير ، ثم ختم
الملك خطابه بالدعاء ان ينقذ الله العالم الاسلامي وان
يعيد الى شعوبه وقادته طريق الصواب ، مرددا فى
تأثر قوله : « اللهم اني اعوذ بك من نعمة يتلوها بطر

جلالته ويربط فيه احداث العالم الاسلامي منذ عهد
الدولة الاسلامية الكبرى ومراحل الفتح الاسلامي
الرفيع وانبعث الحضارة الاسلامية ومقومات السلم
التي حافظ عليها المسلمون طوال حكمهم الاصيل فى
جو سادت فيه الحرية والمحبة والاخاء كل من وقع
فى دائرة حكمهم سواء من كان منهم مسلما او نصرانيا
او يهوديا حتى ظل العهد الاسلامي مثالا للعدل
والمساواة والاخاء وعنوانا للسلم والتسامح .

وقال جلالتنا ان العرب والمسلمين وهم فى غمرة
هذه اليقظة العظيمة اصبوا بحروب صليبية ونكسات
ومؤامرات كثيرة ، ولكنهم كانوا فى خلالها ادعى الى
التسامح واقترب الى الوئام من اى شيء آخر حتى
منوا بعهود التخلف والانحطاط ، كما منوا بالفزو
الاستعماري الذى شنت مجتمعاتهم وقضى على
كياناتهم ، وفرق جموعهم ، واتى على وحدتهم ، فأكل
كل جهد ، وطمس العلم والمعلم ، وقسم الغنائم ،
وجعل بين الامة الواحدة اكثر من حد من الحدود
المسدودة ، والاماكن المغلقة حتى يتسنى له البقاء
على انقاض هذا التراث الذى خسرناه بعد ان شيدناه
وبنيناه . واسترسل جلالتنا وهو يتحدث بصوت
فيه نبرات من الاحساس بالمسؤولية والمواقف
الاحداث المتتابعة يقول : ومع تراكم هذه المتاعب كلها
لم يفقد العرب والمسلمون املهم فى استرداد مقوماتهم
وبناء كياناتهم حيث قام نفر هنا وهناك يدعون الناس
الى الجهاد والنضال والخروج من عتمة التخلف
عندما غزت اوربا عالمنا الاسلامي بالالة والمدافع وقد
امرت هذه الدعوة منذ مطلع القرن التاسع عشر
واتت اكملها فى كثير من الاوطان بعد جهد جهيد ، وبعد
نضال مرير من المد والجزر الا ان الكيل فيه قد
طفح بفضل اليقظة التى بدأت تنمر من جديد ارجاء
عالمنا الاسلامي .

ولكن اسمحوا لى ايها السادة ان اقول لكم ان
جدة اليقظة التى انطلقنا على ضوئها نترسم طريق
الخلاص ونترسم على هديها طرق النجاح والصلاح لم
ين لها اية فائدة تذكر اذا لم يكن شعارنا وعملنا فى
جميع مراحلها نستمد من ثمرة القرآن العظيم الذى
سونه لا نستطيع ان نبني اية نهضة ولا نتمكن بدونه
لـ ثبتت اية عقيدة امام هذه التيارات الجارفة التى
تات تغزو عالمنا بشعارات من الانحلال والاحاد ، الا
اننا تمسكنا بمنهج القرآن العظيم ، وجعلنا منه خير
نقد ، واحسن عملة ، واعظم وسيلة ، لها من الانفاق

احتفالات المغرب بمرور 1400 عاماً على نزول القرآن

للأستاذ عمر الأشهب

كان السيد عمر الأشهب رئيس تحرير جريدة « الزمان » الليبية أحد الصحفيين الذين استمتعوا لحضور حفلات مرور أربعة عشر قرناً على بدء نزول القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك ، وقد نشر سيادته في جريدته المقال التالي :
« احتفالات المغرب بمرور 1400 سنة على نزول القرآن »
« ملك المغرب يلقي خطاباً هاماً بالمناسبة »
وقد أحيينا أن ندرج هذا المقال في هذا العدد الخاص بمناسبة عيد المهرش .

والعربية السعودية والكويت والعراق ومصر والاردن ولبنان وليبيا وتونس ، ومن داكار وساحل العاج وسيراليون والنيجر ونيجيريا والتشاد والسودان . ولم نشاهد في هذا المجمع احداً من الجزائر ولا من سوريا ، ولم يجزني الفضول للسؤال عن عدم حضور ممثلين عن القطرين الشقيقين .

وقد زارت هذه الوفود كلها على ضيافة جلالة الحسن الثاني ، وقد ترأس جلالاته هذا الاحتفال بليلة القدر المباركة فضلى مع المدعوين ومع كبار الشخصيات المغربية صلاة العشاء في جامع القصر الملكي الذي يحكي مسجده عهود الاسلام المتتابعة فيه منذ عهد المرابطين الى عهد الاسرة العلوية .

وبعد صلاة العشاء توجه المحتفلون بهذه المناسبة العظيمة الى جامع اهل فاس وهو من المساجد الاسلامية التي تعتبر مفخرة للفن الاسلامي العريق والجهود الاسلامي الاصيل ، وجامع اهل فاس يبعد عن القصر الملكي حوالي نصف كيلو متر حيث افتتح الملك في صحته الاحتفال المعني بخطاب بليغ ارتجله

كان جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب قد قام خلال شهر رمضان المبارك بمبادرة اسلامية رفيعة عند احتفاء بلاده بمرور اربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم لتكون هذه المبادرة الرفيعة انجع السبل الى تعزيز لقاءات اسلامية يتعزز فيها الخلق الاسلامي باعتزازه للقرآن العظيم وتتزود فيها الشعوب الناطقة بالضاد بعملية خلقية رفيعة لا تدانيها اية عملة في العالم عندما كان المسلمون يتعاملون في الماضي هذه المعاملة التي جعلت منهم خير امة اخرجت للناس ومكنتهم من ان يكونوا اعظم مثل انتصر به العدل وسما به السلم في العالم حتى جاءت عهود الانحطاط والتخلف الذي منى به العالم الاسلامي زمناً طويلاً .

ولقاء هذا التجديد الذي قام به المغرب من مبادرة اسلامية لها اثرها وجه جلالة الملك الحسن الثاني الدعوة الى اكثر من خمسمائة شخصية اسلامية بين كاتب ومفكر محدث ومحاضر ومؤلف وباحث للمساهمة في هذا الاحتفال التاريخي حضروا كلهم من ماليزيا وايران وافغانستان وتركيا وباكستان والهند

اية جيوش غازية وبالرغم مما استهدف له المغرب من احتلال وانتداب فان رجالاته وزعمائه كان همهم الاول هو الحفاظ على هذه المقومات الاصلية .

فاذا ما لاحظ الزائر طبيعة البلاد الجغرافية من حيث سحرها وجمالها مضافا الى هذا كله ما ادخل على القطر الشقيق من وسائل العمران والتخطيط والتنسيق فقد يصح القول بانه اجمل بلد في العالم العربي لنضارته وجماله ورقة اهله ، ومقياس الذوق الجميل عندهم في كل شيء من اشياء الحياة حتى اصبح الذوق في تنسيق القرية والمدينة والزراعة والطرق يتسم بجاذبية اخاذة ومنسقة .

وقد انطلقت بنا السيارة من مدينة وجدة وهي تجتاز شبكة عديدة من الطرق الحديثة عبر الاودية والسهول والجلال الى مدينة الرباط في مسافة قدرها ستمائة كيلو مترا كلها واحة خضراء ، وكأنها حديقة منسقة بصنع بديع .

اما جمال المدن الرئيسية التي لا حد لها ، مثل تطوان ، طنجة ، فاس ، مكناس ، مراكش ، الرباط . والدار البيضاء وغيرها من المدن الكبيرة ، فهي تعبر عن رسوخ حضارة اصيلة تتسم بطابع اندلسي وذوق مغربي علاوة على الفن الاوربي في ذوق منسق برزت فيه حضارة الشرق من غير ان تطمسها حضارة الغرب ، كما هو الحال في البلاد العربية الاخرى .

ويتمسك المغاربة بذوقهم هذا في حياتهم اليومية وفي منازلهم وطبائعهم وعاداتهم الكثيرة حتى اصبح اعتزازهم بهذا الطابع الفريد اشبه بالكبرياء في كل شيء .

والمغرب بطبيعته القطرية جذاب في كل شيء ، مع الصعوبة التي تلاحظ عليه الى جانب بساطته ، ولعل هذا امر راجع الى الاعتزاز والثقة بالنفس وبحضارة البلاد ومناخها ، وهم يغبطون على هذه الثقة الكبيرة التي حدث بهم الى ان يجعلوا من وطنهم جنة فيحاء ومرجعا تاريخيا اصيلا .

وكل شيء في المغرب ينطق عن الاصاله المزيقة، فالصناعة المهيبة للنحاس والجلود والاصواف ومشتقات المعادن الاخرى تعبر عن اصالة هذه النهضة القديمة والنقوش على الجدران وتخطيط المنازل والمساجد وصبغها بصيغة الفن الاسلامي الذي نشأ في بغداد ودمشق ثم انتقل الى الاندلس والمغرب يحكي عبر هذه العصور التي انطمس فيها هذا الفن في عوام

وفي اليوم الثاني اختتم الملك الاحتفالات حيث قدم للعلماء وسام الكفاءة الفكرية ، وقدم للذين حازوا اوسمة ملكية سابقة مصاحف قرآنية مكتوبة بماء الذهب ، وتعني للجميع كل خير وتقدم .

والمغرب العربي الذي يحافظ على تقاليده وطرائقه الخاصة في الحياة والاعتزاز بمقوماته التاريخية يستحق كل تقدير واحترام .

لمحة موجزة عن تاريخ المغرب

اذا ما تحدث اي متحدث عن طبيعة اي بلد ومدى مكانته في التاريخ والمجتمع عبر العصور السحيقة فمن الطبيعي ان يكون الحديث عن المغرب العربي الذي كانت الانطلاقة الاسلامية على نهاية شواطئه تعتبر حدنا هاما في تاريخ بناء الامبراطورية الاسلامية فان تحدث عن هذا القطر الشقيق يستحق كل عناية واهتمام ، وليس من السهل ان يجد الانسان متسعا من الوقت لاستيعاب كل ما يكتب في مكان محدود على صفحات مثل هذه الجريدة حتى يوفي الواصف وصفه وانطباعاته الا اننا نستطيع في ايجاز ان نقول ان المغرب بطبيعته الراهنة هو البلد العربي الوحيد الذي استطاع الحفاظ على جمال هذه الطبيعة وعلى مقوماته التاريخية وتراثه الرفيع من غير ان تطمسه الاحداث من خلال القرون العديدة التي مرت به وهو اقدم دولة في تاريخ الدول العربية .

وقد نشأت الملكية فيه على التوالي منذ عهد الادارة حتى يوم الناس ، هذا في نظام متناسق .

ولقد شهد عهد الموحدين والمرابطين فيه ازدهارا امتدت اثاره الى نجدة حكومات الاندلس ابان انهيارها وتقلص نفوذها .

وفي عهد الدولة العلوية شهد المغرب في مدة حكم الحسن الاول ازدهارا وفتحا على العالم كله . . ودار الاتار المغربية حافلة بالوثائق التي تعبر عن احترام كبريات الدول الاوربية لدولة المغرب واللجوء اليها في اكثر من وساطة وصور من الرسائل التي ارسلها جورج واشنطن وابراهيم لنكولن الى ملك المغرب لايجاد وساطة بين الولايات المتحدة وحكومات اخرى عن طريق المغرب هي ضمن الوثائق التاريخية العديدة ولو لم تتعرض المغرب عام 1912 للانتداب الفرنسي عندما قسمت دول اوربا رقعة العالم العربي لاصبح من السهل ان يقال عنه انه البلد الوحيد الذي لم تجتعه

ومن جاء أو حكم يتخلله بهتان أو ظلم أو كفر » .

وإذا كان المغرب العربي يعتبر ذخيرة العالم الإسلامي للتراث الذي حافظ عليه والذي لا يوجد مثله في أمة عاصمة أخرى فإن جامعة القرويين تعتبر تاج هذه الذخيرة ومعدنها الاصيل .

طريقة الاحتفاء بعيد الفطر

ويحتفل شعب المغرب العربي بحلول عيد الفطر احتفالا اسلاميا عظيما ويذهب المصلون صلاة العيد جماعات غفيرة الى الميادين العديدة والساحات الفسيحة فيصلون العيد في العراء بالطريقة التي كانت متبعة زمن الصحابة .

الصلاة في مسجد الملك

وعلى بعد كيلو متر وفي منطقة فسيحة الارعاء يصلي الملك وكبار المدعوين من رجال الدولة والسلك السياسي ورجال العلم والقضاء والادارة وكبار ضباط القوات المسلحة وغيرهم من وجهاء البلاد وأعيانها صلاة العيد حيث يتسابق المدعوون كلهم لآخذ أماكنهم في المسجد الذي هو عبارة عن حائط كبير من الخيام المربعة ، وعند الساعة التاسعة يأتي الملك معنظيا صهوة جواده مع سرية من حاشيته ، وقد لبس الملك برنسا ابيض تعلو رأسه عمامة بيضاء ويده سبحة صغيرة ، وقد تسير السرية بين صفين من خيول الحرس الملكي المرتدي افراده زيا مغربيا مختلفا عن بعضه ، لان كل سرية من هذه السرايا تشكل عهدا من العهود الملكية التي حكمت المغرب من عهد الادارسة وهم اول من أسس دولة المغرب العربي الى عهد الدولة العلوية الحالية .

وقد يسهل على الناظر وكأنه ينظر لأول وهلة الى هذه السرايا والنماذج المختلفة عهود الاسلام من عهد الدولة العباسية الى يوم الناس ، هذا في بساطة مؤثرة للغاية .

ويترجل الملك من صهوة جواده فيأخذ مكانه في المسجد وتقام الصلاة ثم يعود الموكب الكبير على طبيعته الى القصر ويبدأ الملك في استقبال اولاده ثم اولاد شقيقه الامير عبد الله ، ثم بقية الذين صلوا معه صلاة العيد ، وهكذا يستمر الاستقبال حتى منتصف النهار والحراس يقدمون للزوار التمر واللبن ، وهذا هو الشيء المفضل في القصر الملكي طوال ايام العيد .

وبعد انتهاء الملك من افتتاح هذه الحفلة الكبيرة التي شهدها اكثر من ثلاثة آلاف من مختلف الطبقات الوطنية والمدعوين تقدم من جلالتة شيخ جامعة القرويين والقى كلمة بليغة شكر فيها جلالتة عن هذه البادرة العظيمة ، ودعا له بالتوفيق ، ثم اذن الملك المدعوين للتعرف والسلام عليه .

وقد قام وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بتقديم الضيوف الى جلالتة مبتدئا بالحروف الابجدية لكل دولة من الدول ، وجاء اسم ليبيا فتقدمت للسلام على جلالتة . وقد كانت منه لفظة كريمة عندما شد على يدي بحرارة لحظات طويلة توقفت خلالها المقابلات وهو يسألني عن صحة حضرة مولانا الملك المفدى بمزيد من الحب والتقدير . . فقال جلالتة بالحرف الواحد : « كيف صحة مولانا الملك ادريس ، ان شاء الله يكون طيب وبخير ، ارجوكم تبليغه تحياتي ، وتحيات الشعب المغربي ، اننا نتمنى لشعبنا الشقيق كل خير وسعادة في ظل ملكه العظيم » . ثم اذن لغيري بالمقابلة وقد استرعت هذه اللقطة السامية نظر جميع الصحفيين والمدعوين وكبار رجال المفاربة حيث اخذ كل منهم بدوره يسألني سؤالا خاصا ، وانتهى الاحتفال في جو اسلامي رفيع .

ثم استمرت الاحتفالات بقية ايام رمضان المبارك في جامعة محمد الخامس والمسرح الوطني وفي المساجد بالقاء مناظرات ومحاضرات دينية وتاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، ولا اكنم سرا اذا ما قلت ان كيل شيوخ المفاربة في العلم والفقه والتاريخ قد طفع على كيل شيوخ المشاركة الذين كان بعضهم يتلعثم والبعض الآخر يردد نفس المعنى عدة مرات في اقل من ثانية ، ولعمري ان هذا التردد هو نفس الافتقار الى جوهر المادة ، ولقد ايدني في هذه المقارنة مندوب السودان عندما استمعنا الى محاضرة دينية القاها العلامة الشيخ عبد السلام الفاسي شيخ جامعة القرويين ، وقد امتلات ردهات وكليات جامعة محمد الخامس من المواطنين لسماعها ، وقد كانت محاضرة فريدة من نوعها ، والحقيقة التي لا غبار عليها ، هي ان في المغرب العربي ذخيرة صافية متجانسة في الكتب وفي المتحدثين عنها وفي العلماء العاملين من اجلها ، هذه الذخيرة هي مفخرة للعالم الاسلامي كله .

ما حققه المغرب

في عهد الحسن الثاني من منجزات في مجال الإسلاميات

للمستاذ محمد عبد الوهاب سنا في

يبتدىء أول ما يبتدىء بفلذة كبده ، ولي عهده ، وخليفته من بعده ، جلالة الحسن الثاني ، أطال الله بقاءه ، وأعز دوماً لواءه ، فيوجه إليه خطاباً توجيهاً ، كان مما ورد فيه :

« يا بني : لقد اخترت لك من الأسماء « الحسن » لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد ، وليكون لك في جدك المولى « الحسن » خير أسوة ، وأعظم قدوة . فلم تكذب نطل على السادسة من عمرك حتى قدمتك للمعلم ليلقنك آيات القرآن ، وليغرس في قلبك الطاهر الفتى حب الدين وعزة العروبة والإسلام. ولما ترعرعت يا بني اخترت بقاءك تحت سماء المغرب ليلم تكوينك الثقافي في بيئة مغربية .. فأعددتك مواطناً مغربياً قبل أعدادك أميراً ، فقد كنت أقص عليك تاريخ بلادك ، ومواقف أجدادك ، كما كنت ألقنك معنى المواطنة حتى تؤدي ولاية العهد التي أنطتها بك ، وأحرص على أن تؤمن بالواجب الوطني والصالح العام .

وكنتم ادفعك لتتعمق في فهم معنى قيم الشعب لتخدمه الخدمة الصادقة .. وإياك أن تحيد عن صراط الإسلام القويم ، أو تتبع غير سبيل المؤمنين ، فإنه لا عدة في الشدائد كالأيمان ، ولا حيلة في المحافل كالنقوى. واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وتقرب منه بالأعمال الصالحة ذراعاً يقترب منك توفيقه باعاً . واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به إذا ادلهمت الدياجي ، واشتبهت عليك السبل ، وليكن لك في

لقد كان الإسلام هو غذاؤنا الروحي في سنوات الكفاح الطويلة ، ولولاه ما صمدنا في وجه الاستعمار.. وهذا الدرس قد تلقيناه عملاً لا قولاً ، فلا حياة ولا مستقبل لنا إلا بالإسلام . وإن انتصارنا على الاستعمار كان انتصاراً للقرآن على خصومه ، ولولا هذا الكتاب الذي جمع قلوب مواطنينا على اختلاف عناصرهم وقومياتهم لانتهدت أمة المغرب والشمال الإفريقي من زمن طويل ، ولأصبحت هذه الديار قطعة أوربية حقيقة لا مجازاً .

حقاً : لقد كان القرآن رائدنا في معركة التحرر ، وسيظل كذلك بالنسبة لنا في معركة الوحدة والبناء .

ذلكم بالنسبة هو ما كان أب المغرب الحديث جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، قد صرح به للسيد كامل الشريف نائب الأمين العام للمؤتمر الإسلامي بالقدس ، وهو يعبر أصدق تعبير عن المذهب الرسمي للدولة المغربية ألا وهو الإسلام الذي منه استمدت الأمة المغربية قبل الاستقلال جذوة المقاومة والنضال ، والفدائية والكفاح ، وتستمد في عهد بناء الاستقلال الأسس الحكيمة والقواعد السليمة لهذا البناء ، كي يكون قويا متيناً مباركاً كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

وذلكم أيضاً من حيث المبدأ العام ... أما بالنسبة للتطبيق ، ولتحويل هذا المبدأ السامي إلى حقيقة عاشية ، وواقع ملموس ، فهذا هو ذا جلالة محمد الخامس — طيب الله ثراه ، وجعل الفردوس مأواه —

بطالة بقدر ما يوجد بين سكانه احتياجات نقص في الدخل القومي عند عدد كبير من الفئات الوطنية .
ولكن المغاربة دأبوا على العمل وزاحموا العامل الأوربي في مصنعه وعرفوا كيف يسرون حياتهم على مستوى من الرخاء . ومعيشة الفرد العادي فيه على مستوى يفوق احسن المستويات في البلاد الأخرى .

والملك الذي تعهد تحسين هذه الأوضاع وقد تبناها بنفسه ما برج يبذل قصارى جهده عاملا ودؤبا على تذليل جميع المشاكل التي تواجه بلاده بهمة متتابعة وبمنظرة تاقية حتى تحطمت على ارادته أكثر المتاعب ، وهو ما زال يردد القول بين لحظة وأخرى ان الواجب يحتم علينا بناء المغرب الحديث بناء متكامل في كل نىء حتى يستطيع الوطن مجابهة جميع الأحداث .

وشعب له مثل هذا التاريخ العريض والطموح الكبير لابد له ان ينشأ منزلة رفيعة بين الأمم والشعوب على النحو الذي اطل به المغرب على العالم وهو يشهد هذه النهضة الكبيرة .

ليبيا : عمر الأشهب

المشرق التي اجتاحتها المغول والتتار ، وحافظ عليها المغاربة حفاظا أصيلا يحكي عن عظمة المغاربة ومقدرتهم على دفع هذه الحضارة الى الامام دفعا له آثاره في هذه الوثبة الكبيرة حتى أصبح الاقبال من مختلف سياح أوروبا وأمريكا على اقتناء صناعة المغرب شيئا له أهميته الكبرى .

ولقد نجحت السياحة فيه خلال السنوات القليلة الماضية نجاحا كبيرا .

ولا يوجد في العالم العربي بلدا قد يعتمد على نفسه من حيث الاكتفاء الذاتي أكثر من المغرب الذي تكاملت فيه ثروته الصناعية والزراعية والاقتصادية تكاملا يكاد ان يغطي جميع احتياجات شعبه مع ما يفرض من هذه الثروة وتصديرها للخارج .

ومع هذا الفائض الكبير من اللحوم والمواد الخام الكثيرة من الفوسفات وغيرها ، ومن الحبوب والخضروات والفواكه التي تغطي احتياجات أكثر من بلد أوربي في أوروبا الغربية ، مثال فرنسا وبلجيكا وألمانيا وإسبانيا ، فان عددا كبيرا من المغاربة ما زالوا يناضلون لتحسين أوضاعهم ، ولا توجد في المغرب



الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع » فضلا عما يجنيه الشعب بواسطة هاتيك الدروس من الفوائد التي تعود عليه بالتفجع العظيم والخير العميم ...

ومن جهة اخرى فلكي يكون نص الدستور على ان « الاسلام دين الدولة » حقيقة ملموسة في شتى الوان حياتنا المغربية من سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية ونحوها كان من الطبيعي بل من الضروري التفكير في ايجاد اطار عال من ذوي الثقافة الاسلامية الممتازة بجميع فروعها ليقوم بهاتيك المهمة ، ولذلك انشأ جلالة الحسن الثاني دار الحديث الحسنية ، لتخريج حملة الدبلوم العالي والدكتوراه في العلوم القرآنية والحديثية ، والدراسات الاسلامية العالية ، هذه الدار التي قطعت ثلاث سنوات دراسية من عمرها ، والتي اسست على تقوى من الله ورضوان فهي توتي اكلها كل حين باذن ربها ، حيث اخرجت في السنة الدراسية المنصرمة الفوج الثاني من علمائها ، اولئك الذين سيبرهنون عن جدارة وكفاءة على انهم بعون الله وحسن توفيقه اهل للثقة الملكية الغالية ، ولاداء ما سينيطه بهم جلالته من امانة ويحملهم اياه من مسؤولية ، وانهم سيكونون لهذا الوطن الحبيب على الدوام : نورا يشع ، وهدى يضيء ، وسيفا للحق على الباطل يتللا مضاء وسناء ، وحجة قائمة دائمة على ان الله حق ، وان الاسلام صدق ، وان العاقبة دوما والى الابد للمتقين .

وتتوالى على وطننا العزيز في ظن الاستقلال نفحات الاسلام القدسية وانواره ، وتفتتح في رابعه الميمونة ازهاره ، وتتم خيراته وبركاته وثماره . فهذا جلالة الحسن الثاني يختم سلسلة دروس شهر رمضان المعظم عام ست وثمانين وثلاثمائة و ألف بذلك الدرس القيم والمحاضرة العلمية الممتازة ، التي كان موضوعها شرح الحديث النبوي الشريف : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقليه ، وذلك اضعف الايمان » .

تلکم المحاضرة العلمية التي كانت خير مثال نموذجي لما يجب ان يكون عليه المتصدي للدراسات الاسلامية في هذا العصر من ثقافة واسعة متنوعة ، وقدرة على الاستنباط والاستدلال ، وتفتح وانعطاف مع المضامين الحقيقية والمثالية للشريعة الاسلامية في ثوبها الانساني النقي ، فضلا عن قدرته على الاجتهاد المنتج ، وعلى الخلق والابداع طبقا لمقتضيات الحياة

روحها من روحه ، ومبادئها من مبادئه ، بحيث لو تعارض اي قانون من قوانين الدولة او قرار من قراراتها في اي مجال من مجالات حياتها السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية مع الدستور مادة او روحا ، حكم في الحال بطلان ذلك القانون او القرار ، لتعارضه مع الدستور الذي هو القانون الاساسي للدولة .

وعندما نص دستورنا المغربي على ان « الاسلام دين الدولة » كان معنى ذلك ان الدين الاسلامي هو دين الدولة المغربية ملكا وحكومة وشعبا ، وان الاسلام دين ودولة ، اي عقيدة ونظام ، ومعنى هذا ان سائر مظاهر الحياة في المغرب ، وكل القوانين الفرعية التنظيمية التي تضبط اموره وتسير شؤونه انما يجب ان تستمد روحها ومبادئها من الاسلام ، لانه طبقا لنص الدستور بالنسبة للمغرب هو الدين ، وهو الشريعة ، وهو النظام .

وبذلك قطع الدستور المغربي — بفضل المعية جلالة الحسن الثاني وبعد نظره ، وتشبثه بالاسلام وصدق ايمانه — السنة اي من المنحرفين الضالين ، كالداعين الى فصل الدين عن الدولة من العلمانيين اللادينيين ، او المنادين بمناوأة الدين اساسا ومحاربتة رسما من طرف الدولة بدعوى انه افيون الشعوب ومخدر الامم ، كالماركسيين الماديين .. كبرت كلمة تخرج من افواههم ، ان يقولون الا كذبا » .

وجلالة الحسن الثاني وهو المثقف الحصيف خير من يعلم انه لكي تتحول هاتيك المادة من الدستور المغربي الى حقيقة معاشية تنطق بها كل مظاهر الحياة في المغرب المسلم لابد أولا من توعية الشعور بالقيم الاسلامية الحقيقية ، وبمثله السامية العملية لدى كل فرد من افراد الشعب حتى يكون على علم ويقين من اهمية دينه العظيم وفعاليته التي لا تسامى في مجالات الحياة جميعها ، فاخذ جلالته يقيم خلال شهر رمضان المعظم سنويا ذلك المهرجان العظيم بضريح مولاي الحسن الاول قدس الله روحه ، حيث تلقى تحست اشراف جلالته .. وايشا بمشاركته — تلکم الدروس القرآنية الحديثية التي يتلقها الشعب عن طريق الاذاعة والتلفزة بكل اقبال واحتفال ، لانها تلبي نداء غريزيا فيه نحو الثقافة الاسلامية والتعاليم القرآنية والحديثية فتغذي روحه واحساسه ، وتصل مشاعره ووجدانه ، وتضيف عنده الى لذتي : الصيام والقيام لذات ، اذ نجعل الشعب كله مستشعرا روحانية الحديث الشريف « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا

رسول الله وصالحى الخلفاء اسوة حسنة ، اولئك الذين هدى الله ، فبهدهم اقتده . »

✱

« من هذه الوصايا الكريمة — يقول جلالة الحسن الثاني — استمددت العون ، واستلهمت الرشيد ، واستعدت العزم .. واذا كانت البنوة تفرض طاعة الاباء بتنفيذ اوامرهم وهم احياء ، فهي كذلك تفرض تنفيذ وصاياهم وهم اموات » .

ان احترامنا لمبادئ القرآن — يقول جلالته — وتشبثنا بتعاليمه ليس بالشئ الغريب ، حيث ان ابانا « محمد الخامس » رحمة الله عليه كان اول ما وضعه في يدنا قلما ، وضعه لا لنخط الاحرف ولا لنرسم الرسوم رغم حداثة سننا ، وانما وضعه في يدنا لاول مرة لنكتب بسم الله الرحمن الرحيم . ولم ندخل المدرسة الابتدائية ولا الثانوية حتى تضيئا في الكتابات القرآنية ما يزيد على اربع سنوات . هذا الشئ هو الذي طبعنا به وجبلنا عليه ، وجبل عليه آباؤنا واجدادنا والاجيال التي سبقتنا في هذا البلد ...

واننا لنجد ونجتهد لا لنعيد لهذا الكتاب العزيز مجده والتعامل به ، فالله سبحانه وتعالى قد تكفل بذلك ، فالله خير حافظ للقرآن ، وهو ارحم الراحمين . ولكن جهادنا واجتهادنا هو العمل اليومي على ان يصير كتاب الله عملة خلقية وانسانية وقانونية ، ليتعامل به جميع بني الانسان مسلمين كانوا او عربا . واملنا في الله سبحانه وتعالى ان يحقق رجاءنا واملنا ، حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمعت امتي على ضلال » ، فاي هدى اهدى واحلى وافضل من هدى القرآن ! واي حق احق من كتاب الله ؟ فاذن من باب اولى واحرى ان يجتمع المسلمون على كتاب الله .

ويضيف جلالة الحسن الثاني قائلا : « ان الله سبحانه وتعالى قد تعهد لنا وقد ترابط معنا نحن معشر المسلمين في كتابه العزيز حيث قال :

« ان تنصروا الله ينصركم » ونصرة الله تختلف باختلاف الازمنة والاماكن والاجيال والملابسات ، ونصرة الله اليوم غيرها بالامس . وهي ليست نصرة الحرب ولا نصرة السيف . ولكن هي نصرة الدين الاسلامي بنصرة كتاب الله . ذلك الاشعاع الذي لا يقف في وجهه مصفحات ولا دبابات ولا طائرات ، والذي من شأنه ان يقهر كل عدو . وكل قوة مادية او عسكرية كيفما كان نوعها ، وكيفما كانت كثرتها وشوكتها ! .. » .

واذن فقد وقع اجماع المغرب — ملكا وشعبا — منذ ايام الكفاح الاولى على الاسلام باعتباره دستورا للحكم ، ومبدا للتشريع ، ومنطلقا للحياة في جميع مرافق النشاط بالمغرب ، فضلا عن كونه عقيدة مقدسة يعيش بها ولها ، ويضحى بأعز الفوالي تمسكا بها ودفاعا عنها ...

✱

وما ان يتولى جلالة الحسن الثاني المعظم عرش المغرب المجيد حتى يكون منذ الوهلة الاولى امتدادا لجلالة والده المنعم :

يقول حفظه الله في اول خطاب وجهه الى الشعب اثر توليه العرش :

... اعلن لك شعبي العزيز انني امسكت معتمدا على الله مقاليد الملك ، وتربعت على عرش اسلامي المنعمين تلبية للارادة الاجماعية التي تمثلت في بيعتك لي ، وتنفيذا لعهد جلالة ملكنا المرحوم ، وارضاء للواجب الوطني المقدس .

وانني اعاهد الله واعاهدكم على ان اضطلع بمسؤولياتي ، واودي واجبي طبق مبادئ الاسلام وقيمه السامية ، وتقاليدينا القومية العريقة ، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا . كما اعاهد الله واعاهدكم على ان ادافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته ، واحرص على وحدته واعلاء شأنه بين الدول ...

والحق ان تبشير فجر اسلامي صادق بهذا الوطن العريق في الاسلام والعروبة قد بدت واضحة للعيان على يد جلالة الحسن الثاني ، وان بعثا جديدا لتعاليم القرآن الكريم ، وسنة رسول الله العظيم الحكيم ، قد اخذ يشق طريقه نحو القلوب والعقول بفضل قيادة جلالته الحكيمة ومساهمته العظيمة ..

✱

واول نصر حققه المغرب في هذا المجال اثناء الاستقلال هو ما نص عليه دستورنا المغربي من ان « الاسلام دين الدولة » وان « الدولة تضمن لكل واحد حرية ممارسة شؤونه الدينية » .

ان الدستور معناه القانون الاساسي للدولة ، اي القانون الذي يحدد شكل الدولة وتكوينها ، ووظائف السلطات الحكومية فيها ، والحقوق الاساسية للمواطنين بها ... ثم ان سائر القوانين الفرعية الاخرى انما تستمد

وقوانين التطور ، وفي حدود الأصول العامة للشريعة الإسلامية دونما زيغ أو تنطع ، وبكل إيجابــــــــــــة وموضوعية .

وكذلك كان الدرس الذي القاه جلالة الحسن الثاني في ختام سلسلة الدروس الدينية يوم رابع عشر رمضان المعظم من هذا العام ، والذي كان موضوعه شرح الحديث النبوي الشريف ، « كم من رجل لو أقسم على الله لأبره » .

وهكذا انطبق على مغربنا العزيز قول الإمام البوصيري رحمه الله :

وإذا سخر الإله أناسا

لسعيد فإنهم سعداء

حيث رأينا روح جلالته الحسن الثاني الإسلامية تنعكس وتنشط شتى مرافق الحياة المغربية من حكومية وشعبية :

فهذه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تصدر بأمر من صاحب الجلالة :

— كتاب « الإسلام دين ودولة ونظام » للاستاذ عبد الحي حسن العمراني . وكتاب الإعلام بحدود الإسلام للقاضي عياض بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي . و « أربعون حديثا في اسطناع المعروف » للمندري بتحقيق الاستاذ ابن تاويت الطنجي .

— وكتاب : ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة اعلام مذهب مالك . للقاضي عياض . حقق الجزء الاول منه الاستاذ ابن تاويت الطنجي ، ويحقق بقية الأجزاء الاستاذ عبد القادر الصحراوي الذي أنجز من هذا العمل الهام الجزئين الثاني والثالث . وهو الآن في مرحلة مقابلة النصوص بالنسبة للجزء الرابع .

— وكتاب التمهيد لها في الموطن من المعاني والاسانيد للإمام الحافظ يوسف بن عبد البر الأندلسي ، صدر منه للآن الجزء الاول بتحقيق الاستاذ مولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية والاستاذ محمد عبد الكبير البكري الملحق بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

— وأصدرت (هذه الوزارة أيضا) عددا خاصا من مجلتها « دعوة الحق » بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، هذه المجلة التي دخلت في السنة الحادية عشرة من عمرها المبارك ، والتي تتلاقى على صفحاتها سواء من وطننا العزيز أو من

الشرق العربي والعالم الإسلامي أخلص النيات واكمل المواهب واجمل الاقلام ، غايتها خدمة الثقافة والفكر ، ونشر الدراسات الخاصة بشؤون الإسلام ، وهي تعتبر بحق من أقوى والمعجلات لا في المغرب وحده بل في العالم الإسلامي بالنسبة لمثيلاتها في موضوعها ، — كما تصدر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مجلة مبسطة ومشكولة هي مجلة « الأوقاف » الشهرية وغايتها التثقيف الشعبي والتوجيه الإسلامي .

وان من يمن الطالع والفأل الحسن أن تظهر مع الذكرى العظيمة ، ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على ابتداء نزول القرآن مفخرة جديدة لجلالة الحسن الثاني لها وثيق الصلة بها ، بل ربما كانت من أجلها وبوحي منها ، ألا وهي ظهور أول طبعة من المصحف الحسني الذي قامت باعداده واسداده بأمر من جلالته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فجاء تحفة مغربية رائعة فنية . ولو حاولت تتبع نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في مجال الأعمال بجميع جزئياتها كالمدارس القرآنية التي تأسسها — مدرسة سمو ولي العهد سيدي محمد للقراءات السبع بدار زهيرة بطنجة والمدرسة القرآنية بأرغود مثلا — بالإضافة الى تأسيس المساجد ونحو ذلك لا تسع بنا المجال ، ولهذا نكتفي من نشاطها بهذا القدر ، نذكره لها ونشكره .

✱

وفي ميدان وزارة التربية الوطنية أول ما يلاحظ أن مادة الدين الإسلامي وتفسير القرآن والحديث والناريخ العربي والإسلامي قد أخذت مكانا مرموقا بمدرستنا المغربية خسوسا في مرحلة التعليم الثانوي بطوريه . وذلك في رأيي من الأهمية بمكان ، لأنه هو الذي سيطبع نلامتنا بطوابع التربية الإسلامية الخلقة خصوصا وقد توجه صاحب الجلالة الحسن الثاني بفرض الحشمة في اللباس على البنات ، وبجعل الصلاة إجبارية بالمدارس المغربية في جميع الأوقات .

ولعل شهر رمضان المعظم هذا العام كان من المناسبات الإسلامية النادرة التي يجب أن تسجل على الحديق قبل الورق ، وتكتب بحروف من نور على الصدور قبل السطور ، ففيه احتفل المغرب ملكا وحكومة وشعبا بليلة القدر المباركة ، وذكرى مرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم ، وقد حضر الى المغرب بهذه المناسبة وفد يمثل خيرة علماء المسلمين في العالم باستدعاء من جلالة الملك ، وقد أقيمت بهذه المناسبة احتفالات ومهرجانات ، وأقيمت

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد :

| صفحة | |
|------|---|
| 1 | مسلم جديد |
| 4 | وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من حلال النطق الملكي |
| 8 | نص الخطاب الملكي لعيد العرش |
| 30 | رسالة عدائه البابا لاجل احتفال السلام |
| | <u>دراسات إسلامية :</u> |
| 35 | القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية الشريفة .. |
| 39 | القرآن وزهات بعض المستشرقين |
| 45 | اعلام الإسلام في مجال البطولة |
| 48 | الإسلام ... وهنئته الأمم المتحدة ... والسلام .. |
| 52 | لم تكن القرآن ثقافة فرس حسب |
| | <u>انحياض ودراسات :</u> |
| 56 | نظرة في منجد الآداب والعلوم |
| 61 | الشمس في نصف الليل |
| 65 | عيد الله كونه شاعرا يدبونه « لوحات شمسية » التوسع الإعلامي في عصر الكواكب الاصطناعية : |
| 67 | الجمع الدولي ، والتطورات في وسائل الاعلام الحديثة |
| 74 | الوجبات |
| 77 | موقف الأدب من الدولة والجمع |
| 87 | في صحبة الشاعر |
| 93 | العلم الصغير للعلوم الشكيلة الحديثة |
| 99 | الغاويض أعقد من أن تتولاها الرؤساء !! |
| | <u>ديوان الطلبة :</u> |
| 101 | بناس ... وأصيل |
| 103 | شهداء |
| 105 | شهداء الجيوع |
| 107 | سرحية ابن زنون (الفصل الرابع) |
| | <u>دراسات مغربية :</u> |
| 119 | عصر المنصور الموحدي |
| 122 | الاسام ابن حزم عالم الأندلس |
| 126 | خطه طارق بن زياد من جديد |
| 130 | من اعلام الأندلس : يوسف الأول ابن الأحمر |
| 135 | اعلام الفكر المعاصر بالمغربيين |
| 138 | الفقه في الأدب المغربي الحديث |
| 142 | الفوسمة المغربية |
| | <u>معرض الكتب :</u> |
| 146 | مادة انهباز الوجود العربي في الأندلس |
| | <u>قصص العدد :</u> |
| 148 | أعمال أم هشام |
| | <u>معرض الكتب :</u> |
| | بالف الأستاذ عبد الكريم التوازي |
| | مديع الأستاذ ابراهيم حركات |
| | بالف الأستاذ محمد أحمد انعامو |

ثمن العدد درهمان

درهما
ة عموم الأوقاف
ون الإسلامية
المغربية

فهرس العدد الرابع

| صفحة | |
|------|--|
| 1 | دولة في خدمة العلم |
| | لعالى وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش |
| 4 | على سثة السلف الصالح : شدرات ذهبية خالدة |
| | من اختيار الاستاذ م . ع |
| 20 | اهتمام الاسرة العلوية بحفظ القرآن |
| | للاستاذ علال الفاسى |
| 24 | عناية السلطان المولى سليمان العلوى بعلم التفسير |
| | للاستاذ عبد الله كنون |
| 27 | الدولة العلوية والقرآن الكريم |
| | للعמיד الرحالى الفاروقى |
| 30 | ائمة الدولة العلوية وتمسكهم بكتاب الله وبيان رسوله الكريم |
| | للدكتور تقى الدين الهلالى |
| 38 | القرآن وعلومه فى عهد الدولة العلوية الشريفة |
| | للاستاذ العابد الفاسى |
| 43 | انشاء دار القرآن بمسجد حسان |
| | للعמיד التهامى الوزانى |
| 46 | وحدة المسلمين فى ظلال العرش |
| | لشاعر علال الهاشمى الفيلالى |
| 48 | يا حامى الدين الحنيف |
| | لشاعر محمد محمد العلمى |
| 51 | نشاط الدراسات اللغوية فى المغرب العلوى |
| | للاستاذ محمد المنونى |
| 63 | ملوك الدولة العلوية فى خدمة كتاب الله الاكبر |
| | للاستاذ محمد محى الدين المشرقى |
| 72 | لمحات من دنيا الفكر الدينى على عهد العلويين |
| | للاستاذ المهدي البرجالى |
| 78 | سلطان عالم شاعر |
| | للاستاذ عبد الله العمرانى |
| 86 | حظ الدولة العلوية فى نشر الكتاب |
| | للاستاذ عبد الله الجرارى |
| 89 | عيد الامـل |
| | لشاعر المدني الحمراوى |
| 91 | ابو عبد الله الهبطى واضع وقف القرآن بالمغرب |
| | للاستاذ سعيد اعراب |
| 94 | لمحات من الاسهام العلوى فى خدمة العلم ورعاية العلماء |
| | للاستاذ محمد المنتصر الرىسونى |
| 97 | القرآن والمغرب المعاصر |
| | للاستاذ محمد العربى الخطابى |
| 100 | من خيرتنا المدفونة : البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد |
| | للاستاذ حسن الوراكلى |
| 107 | هذه سيلنا |
| | للاستاذ عبد العلى الوزانى |
| 112 | الدولة العلوية فى خدمة العلوم الاسلامية |
| | للاستاذ عبد اللطيف خالص |
| 117 | سنميد وحدتنا |
| | لشاعر محمد الكبير العلوى |
| 120 | فرحة الذكرى |
| | لشاعر محمد العلمى |
| 121 | وحى السـد |
| | لشاعر محمد بن على الملوى |
| 124 | عرش وذكـرى |
| | لشاعر الحسن العجوى |
| 128 | عناية محمد الخامس بالقرآن وعلومه |
| | للاستاذ محمد الدريس العلمى |
| 131 | كتاب محمد او الى دار الارقم |
| | للاستاذة آمنة اللوه |
| 139 | قصة العدد : مفرج الهموم |
| | للاستاذ محمد بن احمد اشماعو |
| 142 | احتفالات المغرب بمرور 1400 عاما على نزول القرآن |
| | للاستاذ عمر الاشهب |
| 147 | ما حققه المغرب فى عهد الحسن الثانى من منجزات فى مجال الاسلاميات |
| | للاستاذ محمد عبد الواحد بنانى |

كلمة العروة

عام حجير

يهل على المسلمين اليوم عام هجري جديد ... فيستقبلون مطلعته متد
مستبشرين ، متأملين مستلهمين ، وقد غمرهم شوق غالب ، وتطلع متلهف الى ما
يخبئه لهم الغد المحجب القريب من آمال عذاب ، تندمل لها الجفون القريحة ، وتلتئم
معها القلوب الجريحة ، وتتئمش الجدود العائرة . فقد عرفوا سنة ذاقوا حلوها
ومرها ، ولسوا خيرها وشرها ، ونعموا - احيانا - بسلامها ، كما اصطلوا بنارها
وسعيرها ، فادمت القلوب ، وارمضت النفوس ، واطارت النوم من معاهد الاجفان ..

فالمسلمون يحتفلون في عامهم الوليد بذكرى الهجرة النبوية
الشريفة التي كانت حدا فاصلا بين النور والظلام ، والوثنية والوحدانية ، وحداثا
هاما فريدا من الاحداث الاسلامية الكبرى التي يجب أن تظل في قلوب المسلمين ، حاملة
اليهم سمات القوة والعظمة التي تدفعهم الى دعم حياة نامية متجددة متطورة تحوطها
العزة ، وتؤيدها الكرامة ، ويدعمها التعاون ، وتحمل للنفوس المكروبة المحروبة ،
والقلوب المتباينة المختلفة برد اليقين ، ونفحات الهدى ، وحرارة الايمان ...

وان هذه الذكرى العظيمة الخالدة ، ذكرى الهجرة النبوية ، لترجع بنا الى
المواقف الحاسمة التي كان الرسول عليه السلام يقفها صامدا امام قريش وأحلافها ،
فنستخلص منها في حياتنا اصدق العبر ، واجمل الصور ، ونستجلي سمو العقيدة ،
ونتأسى بثبات محمد عليه السلام في جل مواقفه البطولية ، وعقيدة صحبه التي كانت
تتحطم على صفاتها كل الاهواء ، ومختلف النزعات ...

لقد عز على المشركين ان يروا انتصار دعوة محمد عليه السلام ، وانتشار
نوره الهادي الذي عم الوجود ، وكبر عليهم ما دعاهم اليه الرسول ، وعسر عليهم
هضم تلك التعاليم الاسلامية السامية ، والاصول العامة رغم معرفتهم بها ، وشق
عليهم ان يفارقوا عبادة الاصنام ، واللات والعزى ، وما كانوا عليه من انحلال خلقي ،
وتصدع اجتماعي ، فقعوا للرسول عليه السلام كل مرصد ، ومكر به الذين كفروا

مجلة تصدرها وزارة
عموم الاوقاف والشؤون
الاسلامية بالملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة الحادية عشرة
ذو الحجة - محرم : 388
مارس - ابريل : 968
ثمان العدد
درهمان

مجلة تحريرية تنشر بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308
الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
مأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

يدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط
**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف -
الرباط - المغرب .

يرسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - 327.03 - الرباط

لصحبه غذاء القلب ، وسكينة النفس ، وطمينة الروح ، ومبعث حرارة تنعش القلوب
المكلومة المظلومة المحرومة ، فتدفعها الى الامام ، وتملاها بالامل والرجاء .

فما احرى أبناء هذا الجيل اليوم الذين يتنافسون على الشهوات ، ويتهاكئون
على الرخيص من الملذات ، ان يستوحوا عبرا من حادث الهجرة النبوية ، ويتحرك ذلك
الايمان الراسخ في نفوسهم ليتحول من الصورة المجردة الى الحقيقة الماثلة فتتحل
مشاكلنا التي نعاني منها ونكابد ما تنوء به العصابة اولو القوة .

وما اجدرنا اليوم ان نملأ هذا الفراغ الروحي الذي نشكوه ، بالعمل النافع الجاد،
المثمر الصالح ، ونهجر هذه الحياة الرخوة اللينة التي فككت اجزاء الامة الواحدة الى
وحدات يسهل هضمها وبلعها والتغلب عليها بعد ان كانت في عهود العز والفخار شوكة
وشجى في حلق الحاسد الواغر .

وان لنا املا كبيرا فيما بقي عند المسلمين اليوم من صباية ذلك الايمان الذي
قاد اولئك الصحابة ، اسد الغابة ، وسهام الاصابة ، الى رحاب السعادتين ، والذي
يحتاج اليوم الى اثارة وتحريك وتنظيم .

واملنا ان يكون اشراق هذا العام الجديد باليمن والاقبال ، والرضى والسعود ،
والفوز والتوفيق ، وان لا يكون كاخيه الدابر مشؤوم المنازل أخرق !! .

اني ارى نارا اعد هشيمها ، * وثقابها ، لكنها لم توقد

دعوى الحق

ليثبتوه ، وعذبوه في نفسه ، وفي قومه ، وفي اصحابه ليحملوه على ترك ما يدعوهم اليه ، وسخروا من دعوته ، واستهزأوا به والله يستهزيء بهم ، ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، فما استكان ولا تردد ، ولا تلكأ ، ولا لان ، بل بقي عليه السلام صامدا امام عنادهم الجامد ، وعتوهم الجامح ، وتعتنهم الاعمى الى ان فتح الله عليه الفتح المبين . ودخل الناس في دين الله افواجا ، افرادا وازواجا ، وعسى الاسلام بعمر واضرابه ، فعز بهم الحق ، وارتفعت عن كاهل الدين اثقال يعانيها ...

لقد ظلت قريش واحلافها تؤذي المسلمين ، وتسيء اليهم ، وتحرض ضدهم ، وتضمر لهم كل عداوة وبغضاء ولكنهم - بالرغم عن ذلك - كثر سوادهم ، واخذ محمد عليه السلام يعرض نفسه على القبائل ، وان كان لم يفز بطائل ، ولا كفت قريش عن مساءتها اليه ، ومع ذلك كبر الشأن ، وانفسحت ابواب الامل ، لكن الوسائل المؤدية الى نشر الدين الاسلامي ، والتفكير في امر قريش ، وفي الراحة من عنادهم وتصلبهم وجحودهم بقي واجبا قائما ملحا ، ولا سيما بعد ان حوصر المسلمون في الشعب ، ونقضت الصحيفة ، ومات ابو طالب وخديجة ، وازداد اذى قريش ، وردته القبائل عما كان يدعوها اليه من الدخول في الاسلام ، وتوالت السنون على هذه الحال ... فكان من الطبيعي ان يفكر النبي عليه السلام في مخرج حاسم يفرج الكرب ، ويزيل المحنة ، ويفسح مجال الامل والرجاء ، فكانت الهجرة من مكة الى المدينة ، وكان التوجه الى يثرب والله معه ، وكان النصر المؤزر معقودا في لواء النبي العظيم عليه السلام ، الذي اطمأن على مصير دعوته وامته ، وكانت الفرحة الكبرى للمدنيين الذين اظهروا استعدادا للذياد عن هذه العقيدة الاسلامية الراسخة التي استقرت في حنايا ضلوعهم ، ووقعت من نفوسهم موقع الماء القراح من ذي الفلة الصادي

تتجلى عقيدة التوحيد في جل مواقفه صلى الله عليه وسلم مع القرشيين واحلافهم كما تتجلى في اعماله وتصرفاته ، فحياته سلسلة موصولة الحلقات من مظاهر هذه العقيدة ، ايمان لا ترعزه الشدائد ، واستمسك في مزلق الفتنة والمحنة ، وعمل دائم في نصره الله واعزاز دينه .

روى ان الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي ، والاسود بن عبد المطلب ، وامية بن خلف في جماعة آخرين من صناديد قريش وساداتهم ، اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له : « هلم يا محمد ، فاتبع ديننا ، ونتبع دينك ، ونشركك في امرنا كله ، تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد الالهك سنة ، فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه ، واخذنا حظنا منه ، وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت حظك منه » .

فقال محمد : « معاذ الله ان نشرك به غيره » .

وانزل الله ردا على هؤلاء هذه السورة الكريمة :

« قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ، ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين » فقذا رسول الله الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش ، فقام على رؤوسهم ، ثم قرأ عليهم السورة ..

فايسوا منه عند ذلك ، وطفقوا يؤذونه ، ويؤذون اصحابه حتى كانت الهجرة ..

لقد كان عليه السلام موقنا بعقيدته ، مومنا بدعوته ومبداه ، يعلم اصحابه الصبر على مكاره الراي ، والشجاعة في مواطن الباس والمحنة ، والاستشهاد في سبيل الحق ، فلا يرضى بانصاف الجلول ، ولا بالمساومة في العقيدة ، تلك العقيدة التي كانت

بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقل ، وما منينا به من احوال وخطوب ، وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق اهدافنا المنشودة كامة تواقة الى حياة راقية كريمة » .

من الكلمة الافتتاحية التي توج بها جلالة الملك محمد الخامس — نور الله ضريحه — اول عدد من مجلة « دعوة الحق » الصادرة في غضون شهر يوليوز 1957 .

« ... المساجد مهوى افئدة المسلمين ، واماكن للتذكير والتفكير في ملكوت الله وعظمة خلقه ، يجتمع فيها المؤمنون لاداء شعائر الدين ، والنظر فيما يعود عليهم بالخير والمصلحة ، اذ في تشبث المسلمين بعقيدتهم وقيمهم الاخلاقية ، ضمان لرابطتهم واتحادهم ، واستمرار لكيانهم في العالم » .

من الخطاب الذي القاه جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه — بواشنطن ، اثناء زيارته للمعهد الاسلامي يوم الاثنين 2 جمادى الاولى 1377 هـ — 25 نوفمبر 1957 .

« ان الثقافة الاسلامية جزء من مقوماتنا الوطنية ، ولا يسعنا ونحن نشيد صرح نهضتنا الحديثة ، الا أن نستمسك بها ، ونحافظ عليها ، حفظا لكياننا ، وربطاً لحاضرنا بماضينا ، وتيسيرا لاسباب التقدم والتطور التي يجعلها الاسلام في متناول أيدي الذين يعتنقونه ، ويسيروا طبق تعاليمه الخالدة ، على أن هذه المحافظة ، لا تعني — كما قد يتوهمه البعض — الوقوف عند حدود معرفة الاحكام الشرعية ، والقواعد اللغوية ، بل تفسح المجال لاستيعاب العلوم والفنون ، على اختلافها ، لتكون ثقافتنا الاسلامية حينئذ ثقافة كاملة ، نطبق بها المساهمة في اقامة ركن الحضارة الجديدة ، كما ساهم اجدادنا بها في اقامة ركن الحضارة القديمة » .

من الخطاب الذي القى بتارودانت ، بمناسبة تدشين المعهد الاسلامي بهذه المدينة ، يوم الجمعة 20 ذي القعدة 1378 هـ — 29 مايو 1959 .

« ... يجب ان تكون شخصيتنا الاسلامية بارزة في جميع مظاهر النهضة ، وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بان ازهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من أبرز المميزات ، وان كل حركة تحريرية اصلاحية ، انما قامت على اساس القيم الروحية ، ففي اطار ديننا الاسلامي السمع سنصوغ كل عمل وكل اصلاح ، لان المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة . اما المكاسب الروحية ، فليست لها حدود ، لانها هي الوجود ، ولانها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف في مكاسبه الدنيوية ، وتكيف تصرفه بالخصال الحميدة ، حتى لا تكون في المجتمع شحنا ولا بفضاء ولا تفرقة » .

من الخطاب الذي القى بالرباط بمناسبة الذكرى الاولى لجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش جدوده المنعمين ، يوم السبت 26 رمضان 1381 هـ — 3 مارس 1962 م .

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال النطق الملكي

« .. وليس « الناظر » الحارس الأمين على الشيء المحبس ، فإذا كانت الشريعة تطالبه بصيانة ممتلكاته الخاصة ، فإنها بالآخرى تطالبه بصيانة ممتلكات المحبسين الذين جعلوها وقفا على مصلحة العباد ، من طلبة العلم ، والقائمين بشعائر الدين ، والمعوزين والفقراء وعابري السبيل » .

من الخطاب الذي ألقى بمناسبة تسليم الظواهر إلى النظار الجدد ، يوم الخميس 16 شعبان عام 1375 هـ الموافق 29 مارس سنة 1956 م .

« ... ولكي نعيد للأوقاف الإسلامية مركزها الرئيسي في التوجيه الروحي ، نظمنا دروس الوعظ والإرشاد ، وجهنا الخطباء الدينيين نحو تجديد أساليبهم ، وشكلنا هيئة من العلماء ، لاعطاء دروس دينية وفقهية ، في جميع أنحاء المغرب الحاضرة والبادية على السواء ، ومن الجهة الاجتماعية ، فقد اهتمت وزارة الأوقاف بتحسين أجور الموظفين الدينيين تحسنا ملموسا ، وتبنت تبعا لما أمرنا به ، عائلات الشهداء الذين اعدم آباؤهم في سبيل القضية المقدسة ، وساهمت في إسعاف طلبة المعاهد الدينية ... » .

من خطاب الذكرى التاسعة والعشرين لجلوس العاهل الكريم على عرش أسلافه المقدسين —
الأحد 14 ربيع الثاني عام 1376 هـ — الموافق
18 نوفمبر 1956 م .

« ... ان حرصنا على الاعتصام بحبل الدين ، والتشبث بمبادئه ، والسير على سنته ، ليعد أحد العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين

واننا لنتمم هذا العمل بما نأمر به من احياء التراث الاسلامي وطبع المخطوطات النادرة وتنظيم دروس للوعظ والارشاد في جميع انحاء مملكتنا .

وقد اكتسى شهر رمضان المبارك في هذه السنة حلة جليلة في بلادنا تجلت في الدروس الوعظية التي اشرفنا عليها بنفسنا وفي توجيه شعبنا الى ما فيه صلاحه في الدين والدنيا ، ولقد شارك في القاء هذه الدروس الوعظية طائفة من اجلة علمائنا وعلماء بعض الاقطار العربية الشقيقة .

وقد عنينا خلال السنة المنصرمة بطبع المصحف الشريف فصدرت هذه الطبعة في الحلة القشبية وفق رغبتنا ومبتغانا وانجزنا في السنة نفسها بناء ثلاثة عشر مسجدا جديدا واصلاح ما يزيد على مائة مسجد ، واصدرنا اوامرنا لوزارتنا في الاوقاف والشؤون الاسلامية بالشروع في تشييد واحد وعشرين مسجدا في مختلف مدن مملكتنا وقراها .

من خطاب العرش الذي القاه جلالة الحسن الثاني يوم 3 مارس عام 1968 .

« ... وفيما يرجع لنشاط وزارة الاوقاف ، اوفدنا وزيرنا فيها الى جل الاقاليم للتعرف على احتياجات المواطنين في الميدان الديني ، وعلى ضوء دراساته ومشاهداته امكن بناء عدد من المساجد ، واصلاح وتجديد مئات أخرى ، كما يوجد تحت الدرس ، مشروع بناء عدد من المساجد في الاحياء العصرية التي تزايد سكانها المسلمون .

وقامت وزارة الاحباس أيضا بتوفير العدد الكافي من الوعاظ والمرشدين ، لتزدهر بهم من جديد ، حلقات الثقافة الاسلامية ، ويكون المسلمون على بيئة كاملة من شؤون دينهم وآدابه السامية ، واخلاقه العالية » .

من الخطاب الذي لقي بالرباط، بمناسبة الذكرى الثانية لجلوس حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله ، على عرش اسلافه المنعمين ، يوم الاحد 7 شوال 1382 هـ — 3 مارس 1963.

« .. واذا كان المغرب رفض قبل الاسلام جميع الفتوحات المادية والتاثيرات المعنوية ، فانه تقبل الهداية الاسلامية في اول عهودها الزاهرة باطمئنان ورضى ، اذ وجد فيها رائده الروحي ومصدر انطلاقه لحياة العزة والكرامة ، فقد اثبت التاريخ انه حافظ على اصول ذلك الهدى ، واحتضنه وحمله في امانة الى مختلف الآفاق ، ثم انتصب عليه قيما حفيظا حين ابتلى العالم الاسلامي بالنكسة التي تلافاها لحسن الحظ اجدادنا المقدسون ، في هذا الوطن العزيز » .

من الخطاب الذي لقي بالرباط ، بمناسبة انشاء « دار الحديث » يوم الثلاثاء 26 رمضان 1383 هـ — 11 فيبرابر 1964 م .

« ... ونظرا لما اولانا اليه من شرف الامامة واناظ بنا من واجب المحافظة على شعائر الدين الاسلامي الحنيف اصدرنا اوامرنا لوزارتنا في عموم الاوقاف في نطاق تنمية الوعي الاسلامي وتيسير اسباب العبادة لشعبنا بمواصلة حملات الوعظ والارشاد بجميع جهات المملكة ، وبناء المساجد بالمدين والقرى والاحياء المفتقرة اليها، وقد شيد 46 مسجدا خلال سنة 1966 ووقع اصلاح مئات أخرى من المساجد ، وقمنا ببعث الثقافة الاسلامية بطبع طائفة من كتبها القيمة منها والنفيسة ، واعتنينا بالمدارس العتيقة بالبادية حتى عادت الى ازدهارها السابق ، وصار الطلاب يلقنون فيها القرآن الكريم بمختلف قراءاته ، ومبادئ العلوم الدينية واللغوية .. »

من خطاب العرش الذي لقيه صاحب الجلالة نصره الله يوم 3 مارس سنة 1967 .

ان عنايتنا بالمحافظة على القيم الاسلامية وينشر التعاليم الدينية لا تقل عن اهتمامنا باشاعة الرخاء والازدهار والطمانينة بين افراد شعبنا .

ولم نفتا نوجه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لبناء المساجد وتمهدها بالاصلاح والصيانة والتجهيز حتى تبقى بيوت الله عامرة يذكر فيها اسمه ويتلى فيها كتابه العزيز .

بماها ، وبين شعب هذه البلاد ، واحتفاء بتلك الاصرة
جامعة التي احكمها اتحاد الاماني ، وتوافق المطامح ،
نواكب الجهود والتضحيات .

التحام المرش والشعب

لقد ادرك اسلافك - شعبي العزيز - منذ
سيف وثلاثة قرون ما لهذه الصلة من قيمة ثمينة ، وقدر
نفيس ، فحرصوا عليها حرص الشحيح ، واتخذوا
من توثيق عراها وتنميتها واحكامها منذ انتشرت الوية
هذه الدولة فوق ارض هذا الوطن ، اتخذوها خطة
رسموها لانفسهم ، وهدفا ترامت اليه امانيتهم
ومطامحهم ، فبلغوا من هذا المقصد ما املوا ، ونالوا من
هذا الغرض ما اليه ذهبوا ومالوا ، واشاع الله في قلوب
اجدادنا المقدسين الذين تعاقبوا على عرش هذه البلاد
الحب الصادق ، ذلك الحب الذي يورث الرعاية
والعناية ، والاهتمام بصغير الشؤون وكبيرها ، والثقة
التي تدفع الى العمل الصالح ، وتخلق الراي السديد ،
والنظر الذي لا يحيد عما فيه العائدة الجميلة ولا
يميل . وشاءت العناية الالهية ان يكون ذلك التجاوب ،
ويتولد ذلك الوئام ، ويتاصل ذلك الانسجام ، ويعظم
التبادل ، وتفزر مادة التعاطف ، وتقوى عوامل التكاتف
بين ملوك هذه الامة وشعوبهم ، فلم يختلج في صدر
الرعية مطمح من المطامح ، ولا امل من الامال ، ولم
يخامر نفوسها فرح او ترح ، على اختلاف الازمنة
والعصور ، وتبدل الاحوال وتجدد الظروف ، الا
تأججت في نفوس الجالسين على عرش هذه البلاد ،
جميع هذه العواطف والمشاعر ، وحفرها هذا الوجدان
الى الاخذ بما يؤكد دواعي المسرة والابتهاج ، ويوفر
اسباب الطمأنينة والارتياح ، ويكفل تحقيق الرغائب
والمطالب ، ويضمن دفع الشدائد والنوائب ، وكان لهذا
اللقاء بين العواطف ، ولهذا الالتحام بين الارادات ،
عبر العصور السالفة والازمان الخالفة ، الاثر الحميد
الذي طبع مجرى تاريخ هذه البلاد منذ اشراق فجر
الدولة العلوية الى يومنا هذا ، فلم يشعر اجدادك واسلافك
- شعبي العزيز - في يوم من الايام ، او في حال من
الاحوال ، سواء في السراء والضراء ، او في الشدة
والرخاء ، ولم تشعر انت من بعدهم بفاصل من الفواصل
التي تجعل الحاكمين بمعزل عن المحكومين ، او حائل
حول دون الالتفاف والائتلاف ، او بمائق يقف في وجه
تحاد المصالح والغايات والاهداف ، ولم يشعر اسلافي
لكرمون الملوك المنعمون خلال الاحقاب المتتابعة من
تاريخنا الحافل بالمكرمات والامجاد ، ولم اشعر انا

بعدما اناط الله بي مقاليد امرك فيما تصرفت فيه من
وجوه ، ودعيت اليه من اعمال ، وحملت من اعباء ،
وهديت اليه من سبيل ، لم اشعر بما يوهن العزائم ، بل
ويقت في الهمم ، ويكذب الظن ، ويخيّب الامل ، بل
درجت فراءة الشعب المغربي على الصدق ، وتوالي
حسن ظنه وتتابع جميع اختياريه ، ورحبت ارجاء
ثقتي وبرزت في الخطوب والملمات والظروف المدلهمات ،
درجت تلك السجايا التي فطر عليها ، والمزايا التي طبع
عليها ، وصلحت نيات ملوكه وخلصت طواياهم ، فهداهم
الله الى الصراط المستقيم ، ووفق خطاهم الى التدبير
السليم ، وعرفهم من مصادر الحكم وموارده ما صلحت
به الاحوال ، وطاب به المثال ، فسارت بما اجتمعت
عليه قلوب الحاكمين والمحكومين ، واتحدت حوله
كلمتهم ، سارت سفينة هذه المملكة الى شاطئ النجاة
على الرغم مما اعترض سبيلها من صعاب واحتف بها
من مكاره واحدق بها من اخطار .

تجاوب اصيل ومستمو

ان هذا التجاوب الاصيل الذي يستمد قوته من
الماضي القريب والبعيد ، وعن الحاضر الراهن العتيق ،
وهذا الولاء المتبادل والوفاء المشترك ، والتعلق بالقيم
التي تتمثل في العرش وفي شخص من قيضه الله
لاعتلائه ، وقيادة هذه الامة ، كل هذا خليق بامدادنا
بالحول والطول للتغلب على ما يمكن ان يعترض سبيلنا
من عقبات ، وبتوطيد عزمنا على المضي قدما فيما
نستهدفه من ارساء قواعد مستقبلنا على الاسس
المكينة والدعائم المتينة ، وارشادنا الى اصلح الاسباب
وانجع الوسائل المؤدية الى ما يعود على بلادنا بالحسن
وزيادة .

شعبي العزيز :

لقد دابنا كلما حلت هذه الذكرى وتوجهنا
اليك بالخطاب على استعراض ما انجزناه من اعمال
وطويناه بهذا الانجاز من مراحل ، وما بقي علينا ان
نقطع اليه من انجاز وتحقيق تميما للعمل الذي بداناه ،
واستكمالا للبناء الذي بنيناه لتكون على بينة من
مساعينا وبصيرة من جهودنا ، وليكون علمك محيطا
باننا نخطو كل سنة خطوات ، ونقدم كل حقبة
درجات .

نص الخطاب الملكي لعيد العرش

احتفل الشعب المغربي في جو من البهجة والحبور بالذكرى السابعة لتريع جلالة الملك العظيم الحسن الثاني نصره الله وأيده على عرش اسلافه المنعمين .

وقد ترأس العاهل المفدى حفلة عيد العرش برحاب المشور السعيد حيث القى خطاب العرش الذي استعرض فيه مختلف المنجزات التي حققتها بلادنا في شتى المجالات والآفاق وما سينجز في عهده الزاهر في المستقبل القريب .

وكان جلالة الملك محفوا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله ، وحضر هذا الحفل العظيم أعضاء الحكومة ورؤساء البعثات الدبلوماسية والأمراء وأصحاب الجلالة ورئيس المجلس الأعلى ووكيل الدولة العام ونواب كتاب الدولة والجنرالات وأعضاء الدواوين الملكية وعدد كبير من الشخصيات المدنية والعسكرية ووفود من الأقاليم وعدد كبير من الضباط السامين .

كما حضرت جموع غفيرة من المواطنين إلى المشور السعيد للاستماع إلى قائد البلاد حفظه الله وهو يلقي خطاب العرش الذي استغرق القاؤه ما يقرب من الساعتين وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

تلقي مشاعرنا ومشاعرك في مثل هذا اليوم من كل سنة منذ أن القى الله إلينا زمام أمرك وحملنا أمانة الرعاية لشؤونك ، والسهر على مصالحك ، نلتقي لقاء يتسم بطابع خاص ، ويمتاز عن كل لقاء يتم بيننا في سائر أيام السنة بسمة ليس لها نظير ولا شبيه - ذلك لان اجتماع الكلمة على الاحتفال بهذه الذكرى ، واتحاد

العواطف ، وأتلاف القلوب للأعراب في هذا اليوم المشهود عن المسرة والابتهاج ، والافتخار والاعتزاز . وشكر النعمة ، ما سلف منها وما بقي ، والامل المفعول الصادر عن الثقة والاطمئنان ، كل هذا انما هو اجتماع واتحاد ، وأتلاف حول العرش وما يرمز إليه العرش من معاني الاستمرار والاستقرار ، والولاء المتبادل الممتد عبر السنين والاجيال ، والوفاء الثابت الذي جرى عليه الملك والشعب مدى العصور الطوال ، فليس احتفال كل سنة في مثل هذا اليوم بذكرى جلوس عاهلك على عرش اسلافه المنعمين ، الا احتفالاً بتلك الصلة الوثيقة الرابطة بين عرش هذه المملكة وحاميه

الاشغال العمومية

دعائم اساسية للتنمية

واذا كانت سياستنا المالية تعكس ما نبذله من جهود في مضمار التنمية ، فان اختصاصات وزارتنا في الاشغال العمومية والمواصلات تكتسي من الاهمية ما ليس به خفاء للصلة التي لاعمال هذه الوزارة باقتصاد البلاد ، وذلك ان بناء الطرق والجسور والموانئ والطارات وتوسيع شبكة المواصلات والنقل ، وتعهدها بالصيانة المستمرة ، وتوليد الطاقة الكهربائية وتشبيد السدود كل هذا من الاعمال التي تعد دعائم اساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وان نظرة سريعة الى منجزاتها واعمالها لخليقة بأن تدل على ما تضطلع به هذه الوزارة في مجال النمو الاقتصادي ، وان من الجدير بالتنويه ان شبكة الطرق في بلادنا يزداد طولها منذ فجر الاستقلال بمعدل سنوي قدره 500 كلم تقريبا ، وبفضل هذا المجهود اصبحت البلاد متوفرة على شبكة طرقية متنوعة ممتدة تصل خطوطها المحكمة البناء بين اطراف وطننا المحبوب .

وقد امتازت السنة الفارطة بأشغال توسيع ميناء اسفي واقامة ارضفة اضافية في ميناء كل من الدار البيضاء وطنجة ، فضلا عن الشروع في الدراسات المتعلقة بتجهيز موانئ جديدة .

اما شبكة السكك الحديدية التي يبلغ طولها : 1 778 كلم فقد عنيت مصالح وزارتنا في الاشغال العمومية بتمتين بعض خطوطها ، ومنها الخط الواصل بين طنجة والقصر الكبير ، يضاف الى هذا توسيع مجموعة الفنادق التابعة للمكتب الوطني للسكك الحديدية .

وتم خلال السنة الفارطة ايضا انجاز البرنامج الهام الرامي الى تجديد مطار الرباط وسلا وتوسيعه بحيث اصبح قادرا على استقبال أضخم الطائرات واحداثها ، كما قاربت اشغال توسيع مطار طنجة نهايتها ، وانجزت الدراسات الخاصة باعداد مطار الدار البيضاء - النواصر الذي نحرس أشد الحرص على أن يكون من المطارات الدولية ذات الشأن العظيم .

وتعددت في السنة المنصرمة وسائل توليد الطاقة الكهربائية فأقيم في سيدي قاسم مولد تبلغ طاقته خمسة عشر الفا وستمائة « 15 600 » كليواط ، كما

وعملنا على مضاعفة التوفير وتوجيهه نحو عمل المنتجة عن طريق النشاط الذي يقوم به كل صندوق الإيداع والتدبير وبورصة القيم بالدار البيضاء التي امرنا بتنظيمها طبقا للمرسوم الملكي الذي صدرناه في هذا الشأن ، ويهدف هذا التنظيم الى ترقية فعالية مراقبة الدولة في الشؤون المتصلة بالقيم بنقولة .

وقد اخذت وزارتنا في المالية في تطبيق اصلاحات اساسية في ميدان التوفير والسلف ، فأشأ الصندوق الوطني للسلف الفلاحي سبعة وخمسين « 57 » صندوقا محليا لفائدة صغار الفلاحين ونحن على وشك اصدار نصوص تشريعية تقضي باحداث صناديق جهوية للتنمية وتنظيم السلف الخاص بالعقار والفنادق .

جهود الدولة لمواجهة حالة الجفاف

هذا وقد منينا خلال سنتين متواليتين بجفاف اسطرت معه الدولة الى اتخاذ التدابير لمواجهة الحالة وذلك بضمان وتوفير الحبوب الكافية حتى لا يترتب عن هذا الجفاف ما يترتب عنه عادة من مسغبة وخيمة العواقب ، جسيمة الاضرار ، الا أن الجهد الذي افرغته الدولة نهوضا باعباء مسؤوليتها تفاديا لهذه العواقب قد كلفها استيراد الحبوب ما بين فاتح يوليوز 1966 و 30 يونيو 1967 مبلغ قدره خمسة ملايين ، كما أن استيرادها سيكلف الدولة مائتين وسبعة وسبعين مليوناً وخمسمائة الف درهم في المدة الفاصلة بين فاتح يوليوز 1967 و 30 يونيو 1968 ، وهو تكليف عظيم ، الا ان الله الرؤوف بعباده وقانا شر ظروف عصيبة أيام يابسات .

هذا وقد بلغت استسلافات البنك الوطني للانماء اقتصادي لتمويل التجهيزات الصناعية ما يزيد على ثلاثة وخمسين مليون « 53 » درهم وذلك لغاية 30 شتمبر من السنة الماضية ، وقد توصل هذا البنك الخزينة بقرض طويل الامد قدره مليون وسبعمئة احد وخمسون الفا وثلاثمائة وثمانية وثمانون « 1 751 389 » درهما وذلك ليتمكن من مواجهة سم التزاماته .

التحسين والتكميل ، والتوسيع والتجديد ، والتنمية والتشييد .

لا يهدأ لنا بال حتى يكون يومك أحسن من أمسك
وغدك أفضل من يومك

سياستنا المالية

ولتكون شعبي العزيز عالما تمام العلم بسياستنا في الميدان الداخلي ، فانا نرى لزاما علينا أن نعرض عليك قبل كل شيء الخطوط الكبرى لسياستنا المالية والنقدية ، لما لهذه السياسة من أثر في مختلف وجوه نشاط الدولة ، ولما تخضع اليه ميزانيتنا من ضرورة اعتبار مداخيل الدولة ومراعاتها اجتنابا لكل تفريط او تقصير ، وتفاديا لكل اختلال يمكن أن يصيب ميزان المداخيل والمصاريف ، وتنكبا لما عسى أن يترتب عن هذا الاختلال من سيء النتائج ووخيم العواقب .

وعلى أساس هذه الاعتبارات ، وحرصا منا على توجيه الطاقات الانتاجية للبلاد الوجهة التي تتفق والنمو الذي نبتغيه ، وضع القانون المالي لسنة 1967 كما وضع نظيره لسنة 1968 .

ففي السنة الماضية تم تنفيذ قانون المالية في ظروف مرضية ، فرغم ارتفاع نفقات الاستثمار وضعف المساعدة الخارجية، تمكنت الخزينة من مجابهة اداءاتها بحيث سددت سبعة وعشرين مليون « 27 » درهم من تسبيقات معهد الاصدار

وحيث ان سياسة التقدير الصارمة التي التزمناها في الميدان المالي منذ سنة 1964 ، قد اسفرت عن النتائج الايجابية ، فان هذه السياسة قد روعيت في وضع قانون المالية الذي يحدد الميزانية العامة لسنة 1968 .

انماء التوفير والزيادة في موارد التمويل

وشعورا منا بضرورة تزويد البلاد بأنظمة نقدية ومالية تسير متطلبات نموها الاقتصادي والاجتماعي، صرفنا قسطا من عنايتنا في السنة الماضية الى اعادة تنظيم الاجهزة الخاصة بالقرض وتوسيع السوق المالية قصد انماء التوفير والزيادة في موارد التمويل الخاصة بالاقتصاد الوطني .

وقد اصدرنا في شهر ابريل الماضي ، تحقيقا لهذه الغاية مرسوما ملكيا يتضمن القانون التنظيمي للمهنة البنكية والقرض ، ويعتبر بمثابة الاطار القانوني الاساسي للسياسة النقدية .

واننا لا يقر لنا قرار ولا يهدأ لنا بال تفكيرنا فيما يعود عليك بالعائدة الحسنة ، وتدبرا لشؤون الدولة على تباين وجوهها وتعدد الوانها لتتصل الجهود المجدية الناجعة وتتلاحق المساعي المثمرة النافعة ، حتى يكون يومك احسن من امسك ، وغدك افضل من يومك ، وحتى يتوالى سيرنا في الطريق القويم الذي اوضحناه ويتردد الرقي المنشود الذي رسمناه في شتى الميادين وسائر المجالات ، ولقد انتظمت السياسة التي سلكنها خلال السنة المنصرمة اعمالنا المنجزة ومشاريعنا المدروسة المائلة للتطبيق والمشاريع التي ما تزال رهن البحث والدرس والتمحيص ، فاشتملت على ما يهم الميدان الاقتصادي ، وعلى ما يتصل بمواقفنا في الحقل الدولي ، وما سلكناه في هذا المضمار من سبيل واختارناه من مقاصد واهداف ، فالاستعراض الذي اعتدنا ان نقوم به بمناسبة هذه الذكرى سيلم بالجانبين معا من جوانب تفكيرنا وتدابيرنا وبالجوهر على السواء من وجوه أخذنا وردنا وانقطعنا الى ما انقطعنا اليه من شؤون .

الشؤون المالية والنقدية

شعبي العزيز :

ان كثيرا من المشاريع التي وضعناها وانجزناها والاعمال التي قمنا بها وحققناها في بحر السنة المنصرمة مما له مساس بالمجال الداخلي هو وليد تفكيرنا المتصل وجهدنا المستمر ، كما هو وليد اللقاءات بشعبنا افرادا وجماعات خلال تنقلاتنا العديدة عبر اقاليم مملكتنا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، بغية معرفة الحاجات ، والاحاطة بالمشاكل والمتطلبات . فلما تم لنا ما كنا نريده من هذا الاستطلاع ، وعكفنا على استيعاب الرغائب ودرس الثارب والمطالب ، فنفذنا من هذا الفحص والاستكناه الى مكامن القوة والضعف ومظان النقص والوفرة ، ومسارب الداء ، وسبيل العلاج والدواء .

ولم تقتصر فيما وضعناه من مشاريع واتخذناه من تدابير على اعمال الصيانة والمحافظة والابقاء على ما تتوفر عليه بلادنا من تجهيز ينتظم الياديين الاقتصادية ، والاجتماعية ، وانما استهدف سعينا

وتأكيدا لاهمية الاستثمارات الصناعية ، نشير الى ان المصالح العامة وحدها ساهمت في هذا المجال خلال السنة الماضية مساهمة ارتفع مبلغها الى 260 مليون درهم اي ما يساوي 46 في المائة من جملة الاستثمارات المأذون بها .

الاهتمام بالصناعة التقليدية

اما اهتمامنا بالصناعة التقليدية ، فانه ليستجيب لرغبتنا المزدوجة في المحافظة على هذا التراث الوطني الحي ، وجعله مسائرا لمتطلبات الحياة المعصرية والنماء المرغوب فيه .

وقد تم في هذا الشأن انجاز بناء مراكز التكوين المهني ، كما تم خلال السنة الماضية بناء معهد النسيج والغزل بمراكش ، ومركز نحت الاحجار الكريمة بفاس ، ومركز الدباغة والجلود ببني ملال ، ومعهد النسيج بالقصر الكبير .

هذا وتتولى ادارة الصناعة التقليدية الدعاية لترويج منتجاتها الصناع باعداد الفهارس وطبع المنشورات وتوزيعها واقامة المعارض وتنظيم شهر الصناعة التقليدية كل سنة ، كما توالي هذه الادارة مراقبة المصنوعات للمحافظة على جودتها .

البحث والتنقيب عن مصادر جديدة للثروة

ولئن كان للنشاط المعدني والبترولي مكانة مرموقة في اقتصاد البلاد ، فان المغرب يتوفر ، والله الحمد ، على مناجم ذات اهمية عالمية تتجلى فيما يصدره الى الخارج من ثرواتها المعدنية ، وهذا ما يحفزنا الى تحسين وسائل الاستغلال المعدني وتوسيع اسواقه والبحث والتنقيب عن مصادر جديدة للثروة الكامنة في باطن الارض .

انتاج الفوسفات يتضاعف

وان من حسن حظنا ان بلادنا تتوفر على كميات طائلة من الفوسفات ، فالى جانب ما لنا من هذه الثروة بالمواقع المعروفة كاليوسفية وخربكة ، فان مناجم ابن جريز ستحقق ما نطمح اليه من توازن اقتصادي واجتماعي بين انحاء مختلفة من مملكتنا ، وسيكفل لنا استغلال هذه المناجم ، زيادة على ارتفاع الانتاج ، ما نتطلع اليه من بعث حياة مليئة زاخرة بين سطحات

خلال هذا الاجتماع وضع مشروع اتفاق يقضي بامانة مرحلة انتقالية مدتها خمس سنوات ويتضمن امجا للتعاون بين هذه الدول في ميدان المبادلات التجارية وتنسيق الجهود الاقتصادية والصناعية .

اقامة نظام تفاضلي مع السوق الاوربية

ولما نوليه من عناية بالغة بعلاقتنا بالمجموعة الاقتصادية الاوربية ، فقد استؤنفت المحادثات بيننا وبينها ، وتبدلت خلال هذه المحادثات وجهات النظر حول اقامة نظام تفاضلي في الميدانين الفلاحي والصناعي

وفي اطار جهودنا الرامية الى تنويع مصادر الاستيراد ومواقع التصدير ، اجرينا اتصالات ببلاد افريقية اسفرت عن ابرام اتفاقين ، احدهما مع النيجر ، والاخر مع السودان ، وسيكون لهذين الاتفاقين الاثر الحميد في تصدير منتوجاتنا .

تدابير لنظام الواردات

ولاجل النهوض بالصناعة الوطنية ، اتخذنا في السنة الماضية عدة تدابير استهدفت في جملتها اضعاف جانب من المرونة على نظام الواردات من المواد الاولية وادوات التجهيز الضرورية ، وتوجيه استيراد هذه المواد والادوات توجيهها يكفل لنا ايجاد منافذ لانتاجنا الوطني ، كما استهدفت تخفيض اثمان المنتوجات المصنوعة في المغرب ودراسة عدد من المشاريع الهامة وخاصة ما يتصل منها بقطاعات التغذية والنسيج والكيمويات .

صناعات متعددة الاشكال

وفضلا عن انشاء مصنعين للسكر في ناحية المغرب ، فان الصناعة الغذائية الاخرى ظفرت بنصيبها من الاهتمام كصناعة الزيت والمواد المستخلصة من سمك وغيرها وذلك بما تم توظيفه من اموال في هذا سبيل .

وعلاوة على الاستثمارات الاخرى التي اتجهت الى توسيع الصناعات الكيماوية وغيرها مثل مصافي نفول ووحدات اللدائن والعجلات ومصانع الورق وات البناء وايجاد معمل للزفت بمدينة المحمدية فرغ من الدراسة المتعلقة باحداث مصنع بالدار بضاء لتحويل المعادن .

تم استخدام العمل الكهربائي بمشروع قليلة الذي تبلغ طاقته السنوية المحتملة 60 كليواط في الساعة .

الاتجاه الى تشييد السدود لتعميم الرخاء

وبرز نشاط وزارة الاشغال العمومية والموصلات بخصوص السدود الكبرى ، وذلك بالشروع في تشييد سد ايت عادل على وادي تاساوت ، وتمتصن سد النخلة ، كما انتهى في صيف السنة الفارطة العمل من بناء سد مشروع قليلة وذلك في الوقت الذي توبعت فيه الدراسات المتعلقة بانشاء سد زاوية نورباز ، وسد عربات ، وسد ماسة . وان مما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام اننا دشنا خلال مقامنا الاخير باقليم قصر السوق الاعمال الاولى لبناء سد الحسن الداخل على وادي زيز .

ولنا وطيد الامل ان نشرع خلال هذه السنة في اعمال تشييد سد ماسة ، كما نأمل من وراء اقامة هذه السدود كلها التي تساهم اربحية الشعب المغربي في تشييدها الحصول في اجل قريب غير بعيد على اطيب الثمرات وازكى الفوائد وتحقيق الرخاء وتعميم الازدهار بغزارة المحاصيل واطراد نمو الانتاج .

التجارة والصناعة والمعادن

ان التجارة والصناعة بنوعيهما المصري والتقليدي والمعادن كانت وما تزال موضع اهتمامنا ومناط اماننا لما تدره جميعها علينا من ارباح وتفيدنا من تشغيل لليد العاملة ، ولانها احدى الوسائل التي تساهم في خلق الازدهار بهذه البلاد وبالتالي في تقدمها ورفيها وانطلاقها

تقدير لم يخطيء وتبدير حقق الفن والرجاء

وفي علمك شعبي العزيز اننا اقدمنا وليس العهد ببعيد ، على تأميم تجارتنا الخارجية الخاصة بانتاجنا من الفلاحة والمصبرات والصناعة التقليدية ، ومنذ ذلك الحين واهتمامنا بهذا التأميم ونتائجه عظيم ، وحرصنا على نجاحه شديد ، وان مما يبعث المسرة في قلبنا ، ان تقديرنا لم تخطيء ، وان تدبيرنا حقق ظننا ورجاءنا ، فقد قام مكتب التسويق والتصدير بالمهمة التي عهدنا بها اليه قياما محمودا ، واستطعننا ان نحسن ميزان الاداءات بشكل ملموس ، بما وفره علينا هذا التأميم من عملة صعبة ومن تزايد في دخل المنتجين

الذين افادوا ايما افادة من تسويق منتوجاتهم رغم الصعوبات التي تعترض سبيلنا في تصريف هذه المنتوجات .

والى جانب هذا فقد ساهمت تجارتنا الخارجية في تنويع اسواقنا ، فتزايدت صادراتنا خلال سنة 1967 بنسبة تتراوح ، حسب المنتوجات ، بين 15 و 25 في المائة من حيث الكمية ، وترتب عن هذا ازدياد دخلت بنسبة تتراوح بين 10 و 15 في المائة ، وفاق كميته صادراتنا من الحوامض في السنة الماضية بما قدره 100 الف طن عن السنة التي قبلها ، وبلغت قيمة صادراتنا من الحوامض وحدها نحو 390 000 000 درهم في السنة 67 ، وبهذا احتلت هذه المنتوجات الدرجة الثانية بعد الفوسفات من حيث التصدير .

ان التجربة التي خاضها مكتب التسويق والتصدير والتي حققت النتائج التي توخيناها جعلتنا نعهد اليه بتسويق منتوجات اخرى كالقطن ، وبذلك أصبح هذا المكتب مكلفا بتسويق 80 في المائة من صادراتنا على وجه الاجمال باستثناء المنتوجات المعدنية

ولم يكتف المكتب بهذا ، وانما اخذ بعين الاعتبار الوسائل المحدودة التي يتوفر عليها صغار المنتجين ، فعمل على بذل الوسائل المالية لهم مساعدا على الاستمرار في الانتاج والمحافظة على جودته .

تنشيط الحركة التجارية

ورغبة منا في تنشيط الحركة التجارية وتوسيع امكانياتها ، عملنا في السنة الماضية على تغيير نظام الواردات وتبسيط الاجراءات المتعلقة بجلب البضائع من الخارج ، وقد راعينا في هذا التنظيم توفير قسط كبير من حرية الاستيراد مع المحافظة على توازن ميزان الاداءات وحماية الصناعة والفلاحة ، وان من شأن هذا النظام ان يساعد على انعاش الحياة الاقتصادية والتجارية والمالية في مملكتنا .

التعاون مع دول المغرب العربي

هذا ولم يغف عنا ما للتداول مع دول المغرب العربي في الشؤون الاقتصادية من كبير اهمية ، فقد شاركت بلادنا في اجتماع وزراء الاقتصاد لدول المغرب العربي الذي انعقد في تونس في شهر نوفمبر الماضي ،

مع الشبكة الهيرتزبية الواصلة بين مكناش وميدلت،
لجبل المحوري بين ميدلت وقصر السوق .
إحداثيات الجهود لتجهيز القرى باقامة مراكز تليفونية
جديدة ، فتم تجهيز ما يزيد على مائة جماعة قروية .

وبالإضافة الى المشاريع الجديدة التي وقع
بجازها في مجال المواصلات السلكية واللاسلكية على
سعيدين الوطني والدولي ، والتي منها تعميم
المواصلات بواسطة التللكس ، أبرم اتفاق بين بلادنا
وسركة أمريكية هامة يقضي بإنشاء محطة للمواصلات
بواسطة الاقمار الصناعية بغية تحقيق الاتصال السريع
والمباشر بمختلف قارات العالم .

وقد انشأنا عددا من المكاتب والوكالات البريدية
الجديدة في شتى انحاء المملكة ، وبهذا أصبحت البلاد
متوفرة في نهاية التصميم الثلاثي على 264 مؤسسة
بريدية انجز معظمها بمناسبة اليوم التاسع من شهر
يوليوز في السنة الماضية تحت شعار التنمية القروية .

حملة توعية لفائدة التوفير والادخار

وقامت وزارتنا في البريد في السنة الماضية طبق
تعليماتنا بحملة توعية واسعة لفائدة التوفيرات
استجابة للنداء الذي وجهناه لشعبنا في هذا السبيل
بنتائج حميدة تجلت في افتتاح 40.580 حسابا جديدا،
كما نجح في ارتفاع مبلغ الوفر من 67 مليون درهم
الى 98 مليون درهم .

رفع مستوى الشغاليين وتحسين حالتهم

وفي ميدان الشغل والشؤون الاجتماعية واصلنا
خلال السنة الفارطة عملنا الرامي الى تحسين حالة
الشغاليين ورفع مستواهم ، فأصدرنا نصوصا تشريعية
جديدة تقضي بتحديد مسطرة لبقاء المؤسسات
الصناعية والتجارية مستمرة في نشاطها وتفرض عليها
من تعويض في حالة استغنائها عن العمال ، والغاية من
هذه التدابير هي السعي لايقاف حركة عن العمال
ومن العمل الى بلوغ سن التقاعد للبد العاملة من
المة ، وبذل تعويض للعمال المطرودين عن الضرر
بأصل لهم وتمكينهم هم وأسرههم من وسائل العيش
لما يحتاج لهم الحصول على شغل جديد من جهة
أخرى ، ومن أهم ما نهتم به تشغيل اليد العاملة ،
موصول على الشغل لعمالنا فقد أبرمنا اتفاقات
أولية مع المملكة الليبية والجمهورية الفيدرالية

الامانية . ونحن بالإضافة الى هذا بصدد دراسة اتفاق
تشغيل مع هولاندا ، ولقد عكفت مصالح وزارتنا في
الشغل والشؤون الاجتماعية على وضع مخطط شامل
للبد العاملة ، يقع تنفيذه بتعاون مع المكتب الدولي
للشغل ، ويولي هذا المشروع أهمية كبرى للتكوين
المهني الذي سينظم تنظيما جديدا يحقق الغاية التي
نتوخاها في هذا السبيل . وإذا كانت وزارتنا في الشغل
والشؤون الاجتماعية قد انجزت بنسبة 100 في المائة
الاهداف المرسومة في المخطط الثلاثي في ميدان التكوين
المهني بما فتحت من مراكز جديدة في مراكز وأسفي
ووجدة والعرائش ، وبتاسيع طاقة المراكز الموجودة
بنسبة 75 في المائة ، فاننا نعمل على توجيه التكوين
المهني توجيها جديدا يتلاءم مع مقتضيات التنمية
الاقتصادية والاجتماعية للبلاد ، بما يجب أن يتحده
من ترضية الحاجات الحقيقية لمختلف القطاعات كيفا
وكما ، وتنوع التكوين المهني واشتراك القطاع الخاص
في هذا المجهود عن طريق تعميم التدريب في المعامل
والمصانع .

وقد انشأنا في مدينة الدار البيضاء تنفيذا لهذه
الخطة المعهد الوطني لتكوين الاطارات التقنية ، أما في
ميدان الشؤون الاجتماعية فاننا أصدرنا عدة نصوص
تشريعية تستهدف بصفة خاصة تحسين سير
الجمعيات التضاضية .

التعليم :

حرصنا على تكوين جيل صالح

ان عنايتنا الخاصة منذ الاستقلال بشؤون وزارة
التربية الوطنية والفنون الجميلة ، لتأخذ من تفكيرنا
نصيبا غير يسير ، وذلك استجابة لرغبتنا ورغبة
رعايانا في التربية والتعليم ، وحرصا منا على تكوين
جيل صالح مؤهل تأهيلا صحيحا للعمل في جميع
الميادين ، ورغم سياسة التقدير التي خضع لها مختلف
الوزارات ، ارتفعت ميزانية الوزارة خمسة اضعاف
اي من مائة مليون درهم الى ما يزيد على خمسمائة
مليون درهم ، وهي ميزانية تمثل أربعة في المائة من
الدخل الوطني وما يعادل 6 ، 17 من الميزانية العامة .

تعميم التعليم والسعي لحل مشاكله

ولقد كان من نتائج التحرر الاجتماعي والسياسي
الذي واكب فجر الاستقلال والسنوات التالية تأثير

المرافق جميعها تساهم في تدعيم الجهد السياحي وتشتبك في تمهيد سبل ازدهار هذه الصناعة الجديد لان تعبيد الطرق وتهئية المطارات واحياء الاراضى بالري والتشجير ، وبناء السدود ومحطات التوليد الكهربائي وبعث الحياة الصناعية في منطقة من المناطق وتجميل المدن ، كل ذلك يساعد على نمو السياحة وتنشيطها .

واذا كانت العناية قد اتجهت في السنة الماضية الى تهئية المناطق السياحية التي عينها المخطط الثلاثي وبدات الدراسات المتعلقة باستصلاح المصايف ومحطات الاستجمام واقامة وحدات سياحية ، وابرار المعالم الاثرية والمعمارية بالمدن الهامة في مختلف انحاء مملكتنا، فان هذه العناية انصرفت كذلك الى توفير الفنادق الصالحة في شتى المواقع السياحية الهامة ، وقد تضافرت مساعي وزارتنا في السياحة والمؤسسات العمومية او الشبيهة بالعمومية والقطاع الخاص على العمل في هذا الشأن وتوسيع نطاق الجهاز .

وقد ظفر التكوين المهني الى جانب هذا كله بقسطه من العناية ، وكان لمساعي وزارة السياحة ووزارة التربية الوطنية ووزارة الدفاع الوطني من الاهتمام الكبير به ما ادى الى ارتفاع مجموع الطلاب الذين اشرفت المدارس المختصة في تكوينهم خلال السنة الماضية الى 1324 طالبا داخل المملكة ، واتيح لخمسة وسبعين « 75 » طالبا ان يتابعوا دراسات عليا خارج المغرب لتستفيد السباحة وتدير شؤون الفنادق بعد عودتهم الى وطنهم من الدراية التي لقنوها والخبرة التي اكتسبوها .

انجازات في ميدان المواصلات السلكية واللاسلكية

وقد انجزنا في ميدان المواصلات السلكية واللاسلكية ، مختلف المشاريع التي اشتمل عليها المخطط الثلاثي ، وبفضل هذا أصبحت تطوان وطنجة متصلتين بالشبكة العامة التي تربط بين مختلف أرجاء بلادنا ، كما تم ربط كل من اكادير وآسفي ومراكش بخطوط أوتوماتيكية ، ومن أهم منجزات السنة الماضية أيضا مد جبل بحري عبر البحر الأبيض المتوسط بين جنوب فرنسا وشمال المغرب ، وقد بدأ استخدام خلال السنة المنصرمة ، وسيصبح بهذا الخط : الامكان اقامة مواصلات أوتوماتيكية بين كل من الرباط والدار البيضاء والعواصم الاوربية ، كما تم استغلال المواصلات الرابطة بين مكناس وقصر السوق بواسطة

ومراكش ، وسد الفراغ الذي يشاهده العابر للمنطقة الفاصلة بين هاتين المدينتين ، ولقد افادنا استغلال المناجم التي جرى تعدينها لحد الان تجربة وخبرة ، فعلى ضوء هذه التجربة والخبرة قررنا ان يسير استغلال مناجم ابن جرير ، ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ان انتاجنا من الفوسفات سيبلغ في اثناء السنة الحالية أحد عشر مليون طن ، وان هذه الكمية من الانتاج تم تسويقها وتصريفها ، فعلى اذن ان نواصل الجهود حتى يطرده نمو انتاجنا لنستطيع تلبية الطلب المتزايد ، وحتى لا تتضايق اتماننا من المزاحمة والمنافسة .

على اننا ما زلنا نوالي المساعي قصد الظفر بمصادر جديدة للثروة المعدنية ، فلقد أبرمت الدولة مع شركة بترولية هامة اتفاقا تقضي بالتنقيب عن البترول في اقليمي اكادير وطرفاية ، كما أبرمت الدولة اتفاقات أخرى مع شركات اجنبية كبرى تنتمي الى دول غربية وشرقية ، منها الاتفاق الخاص باستغلال منجم الفوسفات في ابن جرير وبناء مصنع كيماوي في مشرع بنعبو ، والاتفاق المتعلق باستخراج النحاس في نواحي الاطلس المتوسط ، والاتفاقات المتعلقة بالتنقيب واستغلال مناجم جديدة للرصاص والزنك والمنغنيز في عدة جهات من مملكتنا .

خطة تستند الى القوانين المشروعة

هذا وقد استرجعنا مناجم الحديد الواقعة بالريف ، وتم هذا الاسترجاع بعد التفاوض بيننا وبين من كان يعينهم امر هذا المنجم ، ووفق الخطة التي رسمناها لانفسنا والتي لا تستهدف المصادرة والاستلاب والاعتصاب ، وانما تستهدف الوصول الى المقاصد والاهداف بالاستناد الى القوانين المشروعة والاتفاقات المبرمة ، وسيكون من نتائج هذا الاسترجاع اقامة مركب صناعي يعود على اقليم الناظور بالعائدة الحسنة .

السياحة

الاسبقية للسياحة في مخطط التنمية

ان السياحة التي اوليناها الاسبقية في مخططنا للتنمية ، والتي ما زلنا نوليها الاسبقية الى جانب الفلاحة وتكوين الاطارات ، لترتبط ارتباطا وثيقا بالري والتشجير والاستغال العمومية والصناعة ، فهذه

نشاط وزارة الداخلية

الدور الفعال لوزارة الداخلية

وقامت وزارتنا في الداخلية بدور فعال في تدانين الاقتصادي والاجتماعي معا ، فعلاوة على ما نضطلع به من مهمة السهر على امن المواطنين والمحافظة على النظام ، فقد انطنا بمهدتها بتنسيق اعمال المصالح التقنية وتعبئة الطاقات ، ذلك ان من الضروري ان تكون وزارتنا في الداخلية متتبعة للتطور الوطني ، وان تعمل على ان يندمج المواطنون في نظام اقتصادي واجتماعي لا يستقر على حال لما يطرا على عالمنا اليوم من تبدل سريع وعلى التفنيات بجميع فروعها من نشوء وارتقاء ولما للنمو من متطلبات .

نجاح تجربة التنمية الاجتماعية

وقد وجهت وزارتنا في الداخلية جهودها اعتبارا لما سلف . وجهة اقتصادية . سعيا منها وراء تمكين المواطنين من وسائل المشاركة في العمل الذي نحن بسبيله ، ليتأني بذلك استعمال الطاقات الموجودة اوسع استعمال واجداه ، فبعد النجاح الذي حالف التجربة التي باشرناها باقليم بني ملال على اساس التنمية الجماعية ، اسدنا تعليماتنا بتطبيق هذه التجربة في اقاليم ممالكنا كافة ، فكان من نتائجها توجيه الفلاحين ، وتحسين الوسائل الزراعية ، وتعميم استعمال الاسمدة ، وبالإضافة الى ما تم تشييده لعائدة منكوبي الغرب وتاويلات من دور السكني يباغ عددها 300 4 سكن ، فقد انتهت دراسة برنامج واسع النطاق يهم بناء 60 000 مسكن في البادية ، ومن جهة اخرى فان وزارتنا في الداخلية عملت على شن حملة لاعطاء الجماعة مدلولها الحقيقي ، وعلى انجاز التجهيز الضروري لتحسين مستوى المواطنين في البادية ، وان بما نرتاح اليه شديد الارتياح ان جهود الهيئات المنتخبة والسكان واعوان الدولة تآزرت لانجاز هذا التجهيز .

التنويه بمجهود القوات الملكية المسلحة

في نطاق التنمية

وطبيب لنا ، شعبي العزيز ، ونحن نستعرض ملف المرافق ، ونرسم صورة للاعمال والمنجزات

التي بوشرت في مختلف الميادين ، ان نسجل باعتزاز وافتخار ، استمرار قواتنا المسلحة الملكية في بذل الجهود الذي عهدنا اليها ببذله في اطار التنمية التي ننشدها ، بفضل ما تتوفر عليه من وسائل وما تواصله من سعي قصد بقائها في مستوى القوات العصرية ، فان قواتنا المسلحة الملكية تأخذ بنصيبها في المساهمة ببعث تنمية البلاد ، وتحافظ على الخصال التي أوثرت عنها ، والتي تجعل منها اداة صالحة لمواجهة كل حالة تتطلب تدخلها . ولقد أعدنا النظر في تنظيمها وعيننا على الخصوص باحداث المدارس ومراكز التكوين لتكون اطاراتها قادرة على الاضطلاع بجميع المهام ذات الصبغة الوطنية ، هذا ولم يخب ظننا فيما توخيها من فرض الخدمة العسكرية الإجبارية التي يتلقن خلالها شباب يفدون من مختلف الآفاق ، وينالون في مدة من الزمن تكوينا يثبت في نفوسهم مبادئ صالحة ويستفيدون منه عند انتهاء فترة الخدمة العسكرية بما يكتسبونه من خبرة ومعارف .

تنمية التجهيز الصحي

وفي ميدان الصحة العمومية ، لم تنقطع جهودنا الرامية الى تنمية التجهيز الاساسي ، حرصا منا على تيسير وسائل الوقاية والعلاج للمواطنين في جميع انحاء مملكتنا .

وفي هذا السبيل تم توفير خمسمائة واربعين (540) سريرا موزعة على ستة مراكز ، وسيتم قريبا تشييد مستشفين جديدين أحدهما في سوق اربعاء الغرب ويتوفر على مائة وعشرين (120) سريرا والثاني في الرماني وبه ثمانون (80) سريرا .

وقد وقع فتح ثلاثة مراكز صحية حضرية وقروية وثلاثة وثلاثين (33) مستوصفا قرويا .

تجديد المستشفيات وتكوين اطباء

وفي الوقت نفسه وقع تجديد عدد من المستشفيات الموجودة ، وزودت بمعدات للفحص والعلاج ، كما أدخلت اصلاحات عصرية على خمسة وتسعين (95) مستوصفا قرويا ، وبذلك اتسع بشكل محسوس نطاق الخدمات الصحية التي تتجلى في التطعيم ، ورعاية الامومة والطفولة ، ومكافحة الامراض المعدية ، والتربية الصحية التي لا مناص منها لتوفير السلامة البدنية والعقلية للمواطنين .

بسبب انحطاط مستواه ، ولا يمكن أن يضطلع بدور نافع في الجهود الذي نحن مطالبون بتقديمه وبذله . فالحاجيات الملحة علينا تستلزم أن نولي جانب تكوين الاساتذة والمعلمين ما هو خليق به من رعاية ليساهم المعلمون والاساتذة بدورهم في مجهود الامة ، وذلك باعداد الاداة من العاملين الكفاة في مجال التنمية المقصودة .

شؤون القضاء :

قانون جديد للتنظيم القضائي

وفيما يخص الوضع القضائي في البلاد ، فقد اوليناه عناية خاصة تبلورت في الخطوة الحاسمة التي سجلتها وزارة العدل هذه السنة لتركيز قضائنا على أمن الاسس واقواها ودعم اجهزته بأحدث التنظيمات واجداها .

ونشير في هذا الصدد الى أن التجربة التي باشرناها منذ فجر الاستقلال الى الآن ، اظهرت بصفة جلية أن عددا من المحاكم لا توجد في المواقع المناسبة لها ومحاكم أخرى قد تعين احداثها ، كما أن قانون التوحيد قد فرض عدة اجراءات أصبح من الواجب معها تكييف انظمتنا على ضوئه وحسب مقتضياته .

ولمعالجة هذه الحالة بصفة أكثر فعالية اصدرنا في شهر يوليوز من السنة الفارطة مرسوما ملكيا بمثابة قانون جديد للتنظيم القضائي .

وهكذا أصبحت المملكة تتوفر على ثلاث محاكم استئنافية وست عشرة محكمة اقليمية ، وسبع وعشرين محكمة للسدد ، ومائة واحد وتسعين ملحقة يوجد مقرها بجانب مركز كل جماعة قروية .

كما عالجنا في القانون المذكور قضية تفتيش المحاكم وتنظيم سيرها واتاحة الفرصة لمراقبة نشاطها وانتاجها .

وقد استأثرت باهتمامنا ايضا مشكلة قلة الاطال التي تعانيها وزارة العدل ، نتيجة لما جدد في مختلف مرافقها من اصلاحات وتطورات ، فاتخذنا لتعزيز اجهزتها وضمان حسن سيرها عدة تدابير ، منها اصدار تعليماتنا لفسح مجال العمل في هذا القطر الحيوي للشباب الذي نال تكويننا قانونيا وتشقيفا .

قوي ادى الى نجاح ملموس من حيث الكم ، لقد عمم التعليم ، ولكن هذا التعميم وضع عدة مشاكل ، وقعت محاولة حلها باتخاذ تدابير أن ترتب عنها فسح المجال لقبول عدد كبير في المدارس ، فانها اسفرت عن عواقب لاتبعث على الرضى والارتياح ، ذلك ان التعليم الذي كان ينبغي أن يحتفظ بالمستوى الخليق بتأهيل شبابنا للاضطلاع بالمسؤوليات والقيام بالمهام التي يستوجبها نمو البلاد ورفيها ، أصبح من جراء هذه التدابير في مرحلة التعليم الابتدائي وفي المرحلة الاولى من التعليم الثانوي لا يستجيب لرغبة البلاد في أن تتوافر لديها الافواج من المتعلمين الكفاء ، فتعليمنا يعاني ازمة شديدة تستدعي العلاج السريع ، لان مستوى المعلمين ببلادنا ضعيف ، ولان ابناءنا لم يوجهوا التوجيه الكفيل بضمان رصيد من الاطارات الصالحة التي تشعر بلادنا بالحاجة الماسة اليها ، ولان طلبتنا لم يرغبوا بالضرورة في اقتناء العلوم واكتساب المعارف الفنية التي لاغنى عنها لكل امة تود أن تتدارك النقص اللاحق بها وتطوي المراحل لتبلغ شأوا الامم التي تقطع الاشواط تلو الاشواط وتحت الخطى مستهدفة الرقي المطرد والتقدم المتواصل .

اصلاح التعليم وتكوين المعلمين تكوينا سليما

ولذا فان المخطط الخماسي يرمي الى اصلاح حالة التعليم ، ويبين أن هذا الاصلاح لا يمكن أن يتحقق الا باصلاح المعلمين والاساتذة وتكوينهم تكوينا سليما يحصل به ارتفاع مستوى التلاميذ ، فاذا نحن ظفرنا بالمعلمين المستوفين شروط الكفاية والخبرة والافتدار على التوجيه المستجيب لمتطلباتنا ، فاننا سنضع حدا للازمة التي نعانيها ونبلغ الغاية التي نتوخاها ، واننا لعازمون على صرف بالغ عنايتنا وكبير اهتمامنا في اجل قريب الى توفير اسباب النجاح لهذه الخطة التي لا نرى مناصا من اتباعها .

... وتكوين اطارات التفكير والتنفيذ

زد على هذا انه لا يحسن بنا ونحن نرغب في ان تثب بلادنا الوثبة الكبرى ، ونجد ليتأتى لنا سعياء وراء النمو والازدهار سقي مليون هكتار أن تعموزنا اطارات التفكير والتنفيذ في الوقت الذي تكون فيه بلادنا غاصة بشباب لا يمكن ان يرجى منه المساهمة الفعالة المجدية

ليستفيد هذا الاقليم من برامجنا ، كما اننا جادون في بناء مركز بوجدة وءآخر بأزيلال قوي الطاقة شديد الفعالية ، ونالت التلفزة من جهتها نصيبا من الاهتمام والرعاية ، ولن يمضي الا وقت يسير حتى تنتظم شبكة التلفزيون جميع مملكتنا .

الشبيبة والرياضة :

العقل السليم في الجسم السليم

ان اهتمامنا بتربية الشبيبة جسما وعقليا وروحيا ، يتزايد باستمرار ، لعلنا ان الشبيبة هي اقدر على تحمل المسؤوليات والمشاركة المجدية في الجهود الرامي الى تنمية البلاد ، كلما استقامت اخلاقهم وسلمت اجسامهم واتسعت مداركهم وتفتحت عقولهم .

ولذلك سعينا الى تعميم الثقافة الشعبية والتربية البدنية ، بحيث شملت برامج الدولة في هذا الميدان خلال السنة الماضية اربعمئة وثلاثين الفا من المواطنين من بينهم مائة الف امرأة .

وقد نظمت في السنة الماضية لفائدة الشبيبة عدة رحلات سياحية داخل القطر وخارجه ، واقامت دورات تدريبية متعددة استفاد منها ثلاثة آلاف وخمسمئة شاب ، كما قطع الانعاش النسائي خطوات موفقة في القرى والمدن بما نظم من تدرييب لصالح المرأة وثقيفها ومساعدتها على الرقي الاجتماعي ، وشاركت بلادنا في مهرجانات رياضية دولية هامة سواء ما اقيم منها في المغرب او في اقطار أخرى .

اما في ميدان التربية الشعبية ، فقد انتهت السنة الماضية بتنظيم موسم ثقافي حافل استمر اسبوعين كاملين وشمل جميع أنحاء مملكتنا .

وقد قررنا احداث المعهد الوطني للشبيبة والرياضة لتكوين الاطر المتخصصة في كل ما يتصل بشؤون الشباب والرياضة والتثقيف الشعبي .

شؤون المقاومة وقدماء المحاربين

الاهتمام بحالة المقاومين وعائلات الشهداء

لقد عنى المغرب ملكا وحكومة منذ فجر الاستقلال بقدماء المقاومين ، ولم يدخر وسعا في سبيل اسعاف عائلات الشهداء والمعطوبين ، وضمان حياة هادئة كريمة لغير هؤلاء ممن قاوموا وصابروا وكان لهم حظ مشكور

في محاربة الاحتلال لتظفر البلاد بالحرية والاستقلال ، ولقد قطعنا والحمد لله مرحلة التقنين والتنظيم لفائدة قدماء المقاومين ، وعكفت اللجنة الوطنية للمقاومة على درس الملفات واحصاء عدد الذين قاوموا حقا وابلوا البلاء الحسن الذي لا ينكر ، عاملة تارة بقاعدة مملكتنا او منتقلة عبر الاقاليم ، ولا سيما بعد اعلان حالة الاستثناء مستعينة في احصائها وتمحيص الملفات برجال السلطات والادارة العامة للامن الوطني ، فاستطاعت ان تدرس بفضل طريقة التنقل في البحث في اقل من سنتين عددا كبيرا من الوثائق والمستندات فاعدت الملفات ونفذت الاجراءات القانونية ، فنالت طائفة من عائلات الشهداء والمعطوبين المعاشات التي قررتها النصوص القانونية لفائدتهم . وعلاوة على هذا فقد وزعت اعانات نقدية على أسر من استشهدوا وعلى الذين اصيبوا بعطب وعلى المعوزين وذوي الفاقة من قدماء المقاومين خلال السنة المنصرمة ، والعمل موصول لبذل معاشات أخرى واعانات نقدية وتوظيف من لم يظفر لحد الان بمنصب اداري عملا بالنصوص التي اصدرناها وايجاد العمل في مرافق شتى لطائفة كبيرة من قدماء المقاومين والمحاربين ، ومن جهة أخرى فان وزارتنا في الخارجية على اتصال بالدولتين الفرنسية والاسبانية حتى يظفر قدماء المحاربين بما لهم من حقوق قبل هاتين الدولتين .

الفلاحة :

استمرار العناية والاهتمام

بالقطاع الفلاحي والاصلاح الزراعي

شعبي العزيز :

ان الميادين التي اطلعناك على ما انجزناه فيها متأثرة ومؤثرة في قطاع نولييه من عنايتنا ومن اهتمامنا باستمرار واتصال ، الحظ الاوفى والنصيب الاوفر ، ولن تنقطع هذه العناية ولن يفتر هذا الاهتمام لايماننا بأنه القطاع الذي يتحكم في الازدهار الذي نريده لبلادنا ، فاذا رايت الجانب الكبير من جهودنا مصروفا لشؤون الفلاحة التي تحتل الصدارة من بين الاسبقيات التي حددناها ، فما ذلك الا لاننا نعتقد اعتقادا راسخا ان الفلاحة ونموها وما يستتبعه هذا النمو من غزارة في الموارد ، كل هذا يتقيد به ويرتهن باتساع نطاق الصناعة والسياحة والاشغال العمومية والمواصلات

المحافظة على القيم الإسلامية

ان عنايتنا بالمحافظة على القيم الإسلامية وينشر التعاليم الدينية لاتقل عن اهتمامنا باشاعة الرخاء والازدهار والطمانينة بين افراد شعبنا .

ولم نغفل نوجه وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية لبناء المساجد وتعهدها بالاصلاح والصيانة والتجهيز حتى تبقى بيوت الله عامرة يذكر فيها اسمه ويتلى فيها كتابه العزيز .

احياء التراث الاسلامي

واننا لنتم هذا العمل بما نأمر به من احياء التراث الاسلامي وطبع المخطوطات النادرة وتنظيم دروس للوعظ والارشاد في جميع انحاء مملكتنا . وقد اكتسى شهر رمضان المبارك في هذه السنة حلة جليلة في بلادنا تجلت في الدروس الوعظية التي اشرفنا عليها بنفوسنا وفي توجيه شعبنا الى ما فيه صلاحه في الدين والدنيا ، ولقد شارك في القاء هذه الدروس الوعظية طائفة من اجلة علمائنا وعلماء بعض الاقطار العربية الشقيقة .

طبع المصحف الشريف والعناية بتشيد المساجد

وقد عنينا خلال السنة المنصرمة بطبع المصحف الشريف ، فصدرت هذه الطبعة في الحلة القشبية وفق رغبتنا ومبتغانا ، وانجزنا في السنة نفسها بناء 13 مسجدا جديدا واصلاح ما يزيد على مائة مسجد ، واصدرنا اوامرنا لوزارتنا في الاوقاف والشؤون الإسلامية بالشروع في تشيد 21 مسجدا في مختلف مدن مملكتنا وقراها .

عنايتنا واهتمامنا بوسائل الاعلام

القائمة على التوعية والتعريف

وقد كان لوسائل الاعلام التي تتوفر عليها بلادنا حظ كبير من اهتمامنا وعنايتنا لما نلحظ بهذه الوسائل من امل في التوعية والتثقيف ، والتعريف باهدافنا ومنجزاتنا ، فعملنا على توسيع شبكة الارسلات عن طريق الاذاعة والتلفزة وتقويتها وعلى الزيادة في ساعات الارسلات وتنويع البرامج الموجهة للداخل والخارج ، فاقمنا جهازا بايت ملول في اقليم اكادير

هذا فضلا عن العناية الكبرى التي نوليها لتكوين الاطباء المغاربة وتجهيز المركز الجامعي بما هو في حاجة اليه من ادوات وآلات .

اصلاح الوظيفة العمومية

واهتماما منا بشؤون الموظفين ، سواء كانت هذه الشؤون تتعلق باستقرارهم او بالضمانات التي قررنا ان يتمتعوا بها ، وثقة منا بأن اطارات الدولة لن تآلو جهدا في الاسهام بالنصيب الوافر من العمل على تحقيق برامجنا الهادفة الى النماء والرخاء ، فقد اصدرنا خلال السنة الماضية سائر النصوص الاساسية المتعلقة باصلاح الوظيفة العمومية ، فاصبحت اطر الدولة على اختلاف درجاتها تتوفر على نظم محكمة روعي في اعدادها تبسيط مسطرة التسيير ، ومحو الفوارق ، وذلك بتوحيد قواعد ترقية الموظفين وسن قوانين متشابهة فيما يرجع لولوج الاسلاك الادارية ونظام الاجور عملا بالقاعدة التي اقرناها في توجيهاتنا الملكية والرامية الى ان يتساوى الموظفون فيما يتقاضونه من مرتبات كلما اتحد او تجانس مستواهم في التكوين العام وفي الاضطلاع بالمسؤوليات .

عملية ادماج الموظفين

وتنفيذا لهذه النظم والقوانين ، فقد شرعت وزارتنا في الشؤون الادارية في عملية ادماج الموظفين في الاسلاك الجديدة المنبثقة عن الاصلاح ، متعاونة في ذلك مع وزارة المالية ومختلف الوزارات التي يعينها الامر ، وقد قطعت الى الآن في هذا المضمار مراحل شاسعة ، ولن تنصرم السنة الحالية حتى تكون العملية قد انتهت او اشرفت على الانتهاء .

نظام جديد للتقاعد

وبجانب هذا فقد وافقنا على مشروع مرسوم ملكي سيسن بمقتضاه نظام جديد للتقاعد والمعاشات، تراعى في احكامه متطلبات مغربة الوظيفة العمومية ، ويؤخذ فيه بعين الاعتبار واقع البلاد في الميدان الاقتصادي والاجتماعي وضرورة تبسيط المسطرة الجاري بها العمل الآن ، ليتسنى للموظفين ان يحصلوا - دون تأخير و تماطل - على رواتب عند احوالهم على التقاعد تفوق الرواتب التي يكفلها لهم القانون الصادر في عهد الحجر والحماية .

هذا المضمار عن طريق الضرائب التي ستزداد كلما ازداد الانتاج وارتفع الدخل الفلاحي ، وعن طريق استرجاع قسط من فائض القيمة واعادة النظر في ثمن الماء .

تكوين جماعة مهنية

وغني عن البيان ان ميثاق كهذا يتطلب تطبيقه ان ينتظم الفلاحون في جماعات مهنية تعي المسائل الموضوعية وتعمل على حلها مع المصالح المختصة ، وان تتضافر جهود المسؤولين بوزارات الفلاحة والاصلاح الزراعي والداخلية والتجارة والصناعة والاشغال العمومية لانجاز تعهدات الامة لصالح الفلاحة في جميع انحاء مملكتنا . ولن يكون لهذا الميثاق المفعول المرتقب والمقبة المرجوة ، الا اذا كنا جميعا مومنين بان الغاية من الالتزام به هو اشاعة الرخاء الذي ننشده والرفي الذي نرومه ونقصده ، وليس بعزيز على هممنا التي تغلبت على كثير من الصعاب ان تكسب المعركة في هذا المجال .

التخطيط الخماسي

شعبي العزيز :

لم يمض على استرجاعنا للاستقلال وحرية التصرف المطلق في شؤوننا الا مدة جد وجيزة ، حتى كان التخطيط الاقتصادي والاجتماعي سبيلا من السبل التي ساكنها لتحقيق جملة من الاعمال والمنجزات ، ونسج عن تنفيذنا لمخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية تجربة وتقدم لا مراء فيهما ، حتى ان القسط الذي نصرّفه من مواردنا للاستثمار لا للاستهلاك قد تزايد بصفة منتظمة ، فقد انفقنا من دخلنا الوطني في سنة 1967 ما يربو على 13 في المائة ، في حين اننا لم ننفق منه في سنة 1960 الا احد عشر في المائة ، واذا كان هذا التقدم يبدو بطيئا ، فليس بالامكان ان يؤمل اللحاق في هذا المضمار بالبلاد ذات الاطر الكافية والثراء العريض التي تصرف في سبيل الاستثمار حظا من دخلها اوفر واجزل .

الاسبقية للفلاحة في التصميم الخماسي

لقد تجلّى مجهودنا بصفة خاصة في مجال الفلاحة التي اثرناها بالاسبقية الاولى من بين اسبقيات

الضرورية لتنتج الارض اقصى ما يمكن ان تنتجه حسب نوع تربتها ودرجة جودتها .

ولكن اذا كانت هذه الالتزامات كافية فيما يرجع للاراضي البور فان مناطق السقي تستلزم من المجموعة الوطنية ، ومن فلاحها . مجهودا اكبر ، وتفرض عليهم واجبات اعظم واوفر . ذلك ان الامة قد صرفت وتستصرف من اجل تنميتها مبالغ مالية ضخمة ، يتعين استثمارها افضل استثمار ، لتعود بالنفع العميم على مجموع الاقتصاد الوطني . وعلى هذا ، فستقوم الامة في هذه المناطق بانجاز التجهيز الخارجي من تشييد السدود ، ومد القنوات الرئيسية لتصل المياه الى راس كل ضيعة وحقل ، ويستلزم هذا توزيع الاراضي بصفة انشاء وحدات انتاجية قابلة للاستثمار المنظم ، وسن القوانين لضمان الاستقرار والاستمرار في استغلال الارض والحيولة دون تفتيت الملكية الزراعية تفتيتا يتعذر معه استثمار القطع الصغيرة بصفة مجدية .

وفي مقابل هذه الجهود ، يجب على الفلاحين ان يقوموا في المناطق المذكورة بالتجهيز الداخلي لاراضيهم ، ويباشروا استثمارها حسب التوجيهات التي ستبذلها المصالح الفلاحية المختصة ، سواء فيما يرجع الى استعمال الماء او فيما يتعلق بنوع المزروعات وطريقة تناوبها . وستحرص الادارة اشد الحرص على ان يفي الفلاحون بالتزاماتهم ، كما انها ستتخذ الاجراءات المناسبة ان صدر اخلال او تهاون ، فاذا تخلف فلاح من انجاز ما تتطلبه ارضه من تجهيز داخلي ، انجز هذا التجهيز على حساب الفرد الذي لم يباشره بنفسه ، واذا لم تطبق التوجيهات والارشادات المتعلقة باستثمار الاراضي ، فان بالامكان بعد الانذار والاعذار ، ان يتخذ من التدابير الصارمة ما يمكن ان يؤول الى نزع ملكية ارض الفلاح المتهاون ، بيد ان رعاية الملكية الخاصة ، وضمان الحقوق ، يقتضي ان يكون نزع الملكية عند الاقتضاء مقرونا بمنح مقابل عادل تتخذه لجنة محلية تتألف من ممثلين للوزارات المختصة ، ومن ممثلين للفلاحين ، وتستأنف احكام هذه اللجنة لدى هيئة مركزية يشارك في اعمالها زيادة على الوزارات المعنية بالامر عضو من ديواننا الملكي وممثل لوزيرنا الاول .

هذا وان سقي الاراضي سينشأ عنه ارتفاع في قيمة الهكتارات ، بفضل توظيفات الدولة ومنجزاتها ، فطبيعي ان تسترد الامة جزءا من المبالغ المصروفة في

والتشغيل ، كما يخضع له ولازدهاره متطلبات التنمية الاجتماعية كنشر التعليم وتعزيز جانب القضاء ومضاعفة وسائل الوقاية والعلاج وتثبيت الاستقرار الذي تنفياً ظلاله جميع انحاء مملكتنا . فمنذ ذلك الوقت الذي اناط الله فيه بعهدتنا مقاليد امورك والفلاحة وما يرتبط بها من شؤون ، شغلنا الشاغل ، وكدنا الشامل ، نوالي التعليمات ، ونلاحق التوجيهات ، ونسهر على ان ينفذ ما نصدره من اوامر ، ونسنه من تشريع ، تحقيقا لرغبتنا في حث السير واسراع الخطى في هذا المضمار حتى يتوفر لدينا من الانتاج والموارد ما يكفل تنشيط الميادين الاخرى وتوسيع رقعة العمل فيها .

اهتمامنا بما يتصل بالاراضي واستثمارها

وان استعراضا وجيزا للامال التي بوشرت تنفيذنا لتوجيهاتنا ، وتطبيقا لتعليماتنا ، لخليق بان يدل دلالة واضحة على مدى اهتمامنا بكل ما يتصل بالاراضي الزراعية واستثمارها ، فقد تضمنت توجيهاتنا الملكية الصادرة في ربيع 1965 فصلا خاصا بالاصلاح الزراعي ، لم يمر الا زمن يسير حتى اصدرنا النصوص التشريعية القاضية بتنظيمه وتحديد الوجوه التي اردناها لتطبيقه ، فوزعنا الاراضي توزيعا اخضعناه لهذه النصوص ، وواصلنا اعمال الاستثمار وربطنا سيره بسير بناء السدود التي عزمنا على اقامتها في مختلف اطراف المملكة ، كما واصلنا عملية التسميد وتوزيع الزريعة المختارة ومباشرة زراعات جديدة سعيا منا في استدرار الربح على الفلاح وتمكين الصناعة من الاستفادة من هذه الزراعات ، وانقطعنا لحماية التربة من الضياع والانهيار ، ففرسنا الاشجار وانصبت جهودنا على التنمية فنالت الحظ الكبير من عنايتنا الدأبة الموصولة ، واهبنا بالفلاحين بعد التوعية والارشاد ان يتعاونوا على الحرث حتى تشمل الزراعة مساحات اوسع ، ولم تقتصر على هذا ، وانما امعنا النظر في السلف الفلاحي وما يجب ان يضطلع به من دور ، فعملنا على تسهيل بذله وتقريب الحصول عليه والتكثير من مصادره .

فبالاضافة الى ما رسمناه لسياستنا الفلاحية من اهداف تقوم في جوهرها على سد حاجات السكان من الموارد الغذائية ، وتيسير المواد الاولية لصناعات التحويل الوطنية ، والاسهام في تحسين ميزان تجارتنا الخارجية وذلك بالزيادة في حجم صادراتنا الفلاحية

لصرف ما تدره هذه الصادرات من عملة صعبة في سبيل اقتناء وسائل التجهيز ، وبلاضافة الى ما نتوخاه من توسيع نطاق الميدان الاجتماعي ، فاننا نرمي من وراء سقي مليون هكتار بفضل السدود التي قررنا تشييدها بحول الله ، وبفضل ما سنتوفر عليه ان شاء الله من غزير الانتاج ، الى المشاركة ولو بحظ يسير في مكافحة الجوع الذي اصبح شبحه يخيم على الافكار ويهدد الانسانية بأوخم العواقب .

جهود من اجل الفلاحين لتحسين انتاجهم وتسويق غلاتهم وتكوين ميثاق فلاحى

واليوم وقد قطعنا اشواطا بعيدة بما بذلناه للفلاحين من مساعدات ، وقمنا به لفائدتهم من مبادرات ليتمكنوا من تحسين انتاجهم وتسويق غلات اراضيهم والاستفادة من ريع مجهوداتهم ، واصبحنا مقبلين على انجاز مخطط خماسي لتنمية اقتصادنا تحل فيه الفلاحة المقام الاول ، فقد صرح عزمنا على ان تشترك جهود المواطنين بما فيهم الفلاحون على عمل يهدف الى تكثير الموارد بالاستثمار والاصلاح الزراعي ، وان يكون بين الفلاحين وبين غيرهم من افراد المجموعة الوطنية ميثاق يحدد الواجبات المفروضة والحقوق المخولة ، وستكون مصالح الدولة المختصة ، اداة الامة ، تنفذ التزاماتها ، وتسهر على حقوقها . اما الميثاق ، فانه سيتألف منه كل متراص البنيان ، متكامل الاحكام ، ترتبط فيه الالتزامات بعضها ببعض ، بحيث لا يطالب الفلاح بما يفوق امكانياته الخاصة ، الا بمقدار ما تكون الامة قد قدمت له من عون ، وامدته به من مساعدة . فاذا تقاعس الفلاح عن العمل ، واخل بما عليه من واجبات ، اصبحت الامة في حل مما التزمت به ، وامكنا عند الاقتضاء ، ان تقوم بما تراه ضروريا لضمان المصلحة العامة ، وسيكون هذا الميثاق الفلاحي اطارا قانونيا ، تطبق بنوده على سبيل التدريب ، وتختلف احكامه باختلاف المناطق ، وتلتزم الامة بصفة عامة ، حسما لديها من وسائل ، وفي حدود ما تتوفر عليه من امكانيات ، بان تضع رهن ارشادة الفلاحين مصالح الارشاد والاستثمار ، وتمدهم بالقروض ، وتقوم بما ينوبها من تجهيز ، وتعمل على تنمية البحث الزراعي بمختلف فروعه . اما الفلاح فيلتزم من جهته ، بان يسخر امكانياته الخاصة ، وما يناله من مساعدات لاستغلال ارضه على احسن وجه ، وذلك بان ينجز في الوقت الملائم ، الاعمال الفلاحية

وبالتعمير والسكنى في البادية

ولقد اهتم المخطط الخماسي اهتماما لا يخلو من طرافة بالتعمير والسكنى في البادية ، فنص على برنامج للبناء واسع النطاق ، اذ ما دامت الفلاحة تكون اسبقية الاسبقيات في بلادنا ، فان علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذا الامر في سياستنا الاعمارية حتى تكفل لليد العاملة التي ستدعى الى العمل بما قررناه من استثمارات هامة في الفلاحة الاستقرار في مواطن الانتاج .

وتحقيق مختلف الاستثمارات

وقد ضمنا المخطط الخماسي على وجه الاسبقية المشاريع التي تهم التجهيز الاساسي الضروري لتحقيق الاستثمارات الفلاحية والصناعية والسياحية ، اذ لابد للصناعة مثلا من شبكة للطرق تؤدي اليها وتنطلق منها وتساعد على نقل المنتجات . فضلا عما للتوظيفات الخاصة بالتجهيز الاساسي من ارتباط بتحقيق وانجاز مشاريع تهم قطاعات اخرى ، فان اهم ما سنهتم به من اعمال في هذا المجال ، هو تحسين وصيانة وتعهد الشبكة التي تتوفر عليها بلادنا .

يبد انه لا يكفي ان يتضمن مخطط من المخططات قائمة مشاريع التوظيف والاستثمار ، ولو كان اختيار هذه المشاريع اختيارا يتصف بالاحكام والدقة ، بل يجب ان تراح عن طريق الاستثمارات كل عقبة يمكن ان تقف في وجه تحقيقها وتزال كل عرقلة لسيرها بعد الانجاز ، ولذا فان مخططنا الخماسي يتعرض للتعديلات والاصلاحات التي يجب ان تتناول الاطار القانوني حتى يمكن لهذا الاطار ان يكون عاملا من عوامل الحفز والترغيب في النمو الاقتصادي ، على انه لا فائدة من وراء تعديل القوانين واحكام وضعها اذا لم تكن البلاد متوفرة على الادارة الفعالة المنوطة بها امر تطبيق هذه القوانين . ولئن كان من شأن الاصلاحات التي ادخلناها على جهازنا الاداري ان يمهّد السبيل للاعمال المنتظرة ، فان اصلاحات اخرى كتحقيق اللامركزية وتبسيط المسطرات تبسيطا لا يخل باحتراز الدولة واحتراسها امر يتعين علينا ان نباشره حتى نقرب الادارة من المواطنين ونفرض الى تقوية انتاج مرافقنا الادارية .

فنجاح مخططنا الخماسي مرهون بتحقيق استثمارات وقع الاختيار عليها باعتبار الفائدة المرجوة منها للبلاد ، ومراعاة ما يتطلبه النمو من تقديم ما هو اهم واجدى .

السدود قصد استثمار الاراضي القابلة للسقي البالغة مساحتها مليون هكتار . واذا نحن قابلنا بين انتاج الاراضي المسقية وانتاج الاراضي البور ، فان الفرق بين الانتاجين كبير ، كما ان الفرق بين قيمة المنتوجات في هذا القطاع وذلك بين شاسع . فنحن لا نستغل من اجل السقي الا مليارين اثنين بالامتار المكعبة من المياه الغزيرة التي تروي اراضيها والتي تبلغ كميتها مائة وعشرة ملايين متر مكعب . ومن جهة اخرى فاننا لم نستقص بعد المواقع العديدة التي يمكن ان تقام فيها السدود . فسياسة بناء السدود على صعيد واسع ، اذا كان سلوكها امرا مرغوبا فيه من الوجهة الاقتصادية ، فانها سياسة لا يحول دون انتاجها اي حائل فني . وهذا ما دعانا الى تخصيص ملايين عديدة لبناء السدود في السنوات الخمس المقبلة في نطاق المخطط الخماسي ، وسيطلب منا تنفيذ هذا المخطط مضاعفة الجهود سواء فيما يرجع الى السياحة او الى تكوين الاطارات ، وسيكون على الدولة في مجال السياحة زيادة على اعداد وسائل الايواء ، ان تبذل للمستثمرين المساعدات والمنافع ، وان تهئ المناطق السياحية لتشجيعهم على توظيف رؤوس اموالهم اكثر من ذي قبل في هذا القطاع ، لتتوفر لدينا الاسباب الكفيلة بتقوية امكانياتنا في هذا المضمار ، وترغيب العدد الوفير من عشاق السياحة في الرحلة الى بلادنا .

وسنسلك في تكوين الاطر السبيل التي تفرضها علينا الحاجيات المتوقعة لاقتصادنا ، فعلى شبابنا ان يوجهوا النصيب الاوفر من عنايتهم الى اقتناء العلوم واكتساب المعارف التقنية لتحقيق الاهداف الثمينة المطلوبة .

عناية المخطط الخماسي بالصناعة

والى جانب الفلاحة والسياحة وتكوين الاطر فان المخطط الخماسي يعنى بالصناعة ، سواء منها الصناعة العصرية او الصناعة التقليدية ، كما يعنى بالمعادن والصناعة المعدنية ، وبرنامجنا الصناعي يعتمد على تحويل المنتوجات الفلاحية ، مثلما يعتمد على الصناعات التي يمكن للمغرب ان ينال بفضلها مكانا في السوق الدولية بسبب مناخه وموارده الطبيعية وكثرة اليد العاملة فيه .

الفا ، وان تلاميذ المدارس الثانوية يبلغون مائة واربعين
الف تلميذ ، وهؤلاء جميعهم هم اطرار المستقبل
وعمدة المغرب غدا .

واذا كان المخطط الثلاثي جعل الفلاحة في طليعة
الاسبقيات ، فانه لم يهمل الصناعة ولم يغفل عن
نموها . الا ان هذا القدر الضخم من الاستثمارات
في الفلاحة والسياحة والصناعة وتكوين الاطرار لم
يكن بالامر اليسور لولا الجهود التي بذلتها الامة ، ولئن
استفاد المغرب من مساعدات خارجية ، فان جملة
صالحة من تجهيزاته ادى كل مواطن ثمنها بما بذله من
جهد في سبيل الادخار . ولن يفوتنا في هذا المقام ان
نلفت النظر الى ان بقاء ثمن السكر في المستوى الذي
حددناه كان له الاثر الحاسم ، وان قبولك - شعبي
العزير - لما اتخذناه من تدبير في هذا الشأن ، مثال
رائع من امثلة التضحية التي يتحملها كل بلد واع
لحاجاته ومدرك لغاياته يوتر البذل والسخاء بغية
الرقى والنماء ، وهكذا فقد تحقق في السنوات الاخيرة
تقدم لا ينكر وان كانت معاملة تكاد تكون محجوبة عن
العيان ، لان الاستثمار في الفلاحة وتكوين الرجال
بوجه خاص ، لا يوتى على الفور ثماره ، بل لا تبرر
نتائج الا بعد مرور حقبة من الزمن ، وانه ليتعين
علينا ان لا ننسى هنا الازدياد المطرد في عدد سكان
مملكنا بمعدل اربعمائة واربعين الف مولود كل سنة
وهو عدد يقتضي ان نواجه ما يلزمه من تغذية وتربية
وعلاج وتشغيل .

علينا مضاعفة الجهود

ومهما يكن من امر ، فان علينا ان نواصل في
المستقبل جهودنا ، بل علينا ان نضاعفها حرصا على
التحرر من التخلف ، ورغبة في الانطلاق نحو التنمية
الاقتصادية ، وهذا التحرر وهذا الانطلاق هما الهدفان
اللذان يرمي اليهما المخطط الخماسي . وسيكون هذا
المخطط الذي يتضمن الاسبقيات التي حددناها في
المخطط الثلاثي اطارا لعملا يعون الله الى غاية سنة
1972 ، فاذا كنا نرغب حقا في ان يوازي ارتفاع انتاجنا
الفلاحي ازدياد عدد سكان بلادنا، فان من أكد الواجبات
علينا ان نضاعف الجهود في مجال التنمية الفلاحية .
الا ان الفلاحة التقليدية التي تعتمد على انتاج الحبوب
وحدها ، لا يمكنها ان تضطلع بسد حاجتنا ، ولذا فانه
يتحتم علينا ان تستبدل بعض الاساليب وبمض
الزراعات بغيرها ، وان نواصل في نطاق واسع بناء

التخطيط ، فاذا نحن احصينا ما انفقناه لفائدة الفلاحة
في الحقبة الفاصلة بين سنة 1965 وسنة 1967 تبين
لنا ان مبلغ هذا الانفاق يساوي ستين مليارا من
الفرنكات ، سواء تعلق الامر ببناء السدود وصيانة
التربة او بتحسين الزراعة في الاراضي البور وتربية
الماشية ، وقد كلفنا السدود وحدها صرف ستة
وعشرين (26) مليارا ، واستلزم احياء الاراضي
وحمايتها بالتشجير على وجه الخصوص بذل عشرة
ملايير ، وتجدر الاشارة هنا الى ان الانعاش الوطني
الذي رسمناه كخطة للانعاش والتشغيل منذ شهر
يوليوز سنة 1961 كان عاملا على تيسير توظيف هذه
الاموال في الفلاحة ، فقد ساعد الانعاش الوطني على
نمو البلاد سواء فيما يرجع الى السقي وغرس الاشجار
وصيانة التربة او احياء الاراضي واقتلاع الاحجار ومد
الطرق والمسالك ، وان بعض الارقام لتعبر عن مدى
هذه لمساعدة ابلغ تعبير ، فقد بلغت ايام التشغيل طيلة
المخطط الثلاثي زهاء اربعة وخمسين مليوناً من الايام ،
وادت الخزينة مقابلها اثني عشر مليارا ، واستطاع
الانعاش الوطني في سنة 1967 وحدها تشغيل مائة
الف شخص مدة مائتي يوم ولم يساعد الانعاش الوطني
على النمو الاقتصادي مساعدة فعالة فحسب ، وانما
اتاح حل مشكلة قلة التشغيل ولو بصفة جزئية .

السياحة وتكوين الاطرار

في المخطط الثلاثي

والى جانب الفلاحة فان المخطط الثلاثي كان
قائما على اسبقتين اخريين وهما تنمية السياحة
وتكوين الاطرار ، ولم يكن من السهل الحصول في
هذين الميدانين في ظرف ثلاث سنوات على نتائج باهرة
ومع هذا فقد ارتفع عدد الوافدين من السياح بوجه
يدعو الى التفاؤل وادى هذا الارتفاع الى فتح مجالات
جديدة للعمل وتوفير للعملة الصعبة الصالحة لتجهيز
البلاد ، اما تكوين الاطرار فقد اسفر عن نتائج يسرت
الاسراع بمقربة الوظائف ، واتاحت لنمو البلاد ان
يقوم على دعائم وطنية . هذا وان الاطرار التي
سيتوفر عليها المغرب في المستقبل القريب ، ستكون
اكثر عددا بفضل ما نوليه للتعليم من عناية كبيرة ،
وستكون مستجيبة لجميع متطلباتنا ، كقيلة بسد
حاجتنا ، ذلك ان الاطفال الذين يختلفون الى المدارس
الابتدائية يساوي عددهم مليوناً ومائتين وخمسين

عملنا في الميدان الدبلوماسي

وكان عملنا في المجال الدبلوماسي والحقل الدولي موسوما بسمه الداب والكد ، فطالبنا سواء في الدورة الاستثنائية او الدورة العادية لمنظمة الامم المتحدة باعادة الحقوق المقتضية الى اهلها وادانة المعتدين وانسحابهم دون قيد ولا شرط من المناطق العربية التي احتلوها استلابا وانتهابا ، وجلائهم عن ارض القدس الشريف التي انتهكوا حرمانها وعاثوا فسادا في رحابها.

حضور المغرب الدائم

ولم يتأخر المغرب عن المشاركة في اجتماعات وزراء الخارجية العرب المنعقدة بالقطرين الشقيقين الكويت والسودان ، وفي مؤتمر الاقتصاد المنعقد ببغداد، واوفدنا وزيرنا الاول لينوب عنا في مؤتمر القمة العربي الرابع المنعقد بالخرطوم ، كما شارك المغرب في اجتماع وزراء الاعلام المنعقد بمدينة بنزرت من القطر التونسي الشقيق .

الدعوة الى مؤتمر قمة خماسي

وحرصا منا على دراسة تطورات الازمة ، وخاصة بعد صدور قرار مجلس الامن الاخير ، دعونا الى عقد مؤتمر خامس بالرباط للملوك والرؤساء قصد تحديد موقف يهدف الى تحقيق انسحاب المعتدين من الاراضي العربية .

مساهمة المغرب في النشاط الدولي

وساهم المغرب في اعمال المنظمات العالمية وحضر جميع المؤتمرات والاجتماعات الدولية الهامة ، وكان دور المغرب ملحوظا في منظمة الامم المتحدة خلال دورتها الطارئة او دوراتها العادية التي انتهت في شهر دجنبر الاخير ، كما ساهم المغرب في جميع اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية وفي ضمنها مؤتمر القمة الافريقي الرابع الذي اجتمع بكينشاسا والمؤتمر الاخير الذي انعقد باديس ابابا ، كما شارك في نطاق المغرب العربي مشاركة تجلت في اعمال المؤتمر الثاني لوزراء التعليم والمؤتمر الطبي ولجنة النقل الجوي .

صداقتنا مع الجميع

والى جانب هذه الاجتماعات والمؤتمرات ، عملنا على تمتين الروابط الاقتصادية والتجارية والفنية والثقافية بين بلادنا وبين شتى اقطار العالم ، والى توسيع مجالات الاستفادة من مساعدة الهيئات الدولية المتخصصة في شؤون المالية والاقتصاد .

السمي لاسترجاع حقوقنا في نطاق

التفاوض والاقتناع

وقد سمعنا تحقيقا لاسترجاع حقوقنا بشأن الاراضي التي سلبناها ، سعيا يتفق والخطة التي التزمناها ، والسبل التي رسمناها .

فاذا كنا ما زلنا متمسكين بمطالبنا ، حريصين على استعادة ما اقتطع من ترابنا ، فاننا اليوم كدائنا بالامس ، مستعدون في اطار ما اتخذته منظمة الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية من مواقف وقرارات، للتباحث والتفاوض وموالة الاتصال لاقتناع اشقائنا واصدقائنا بمشروعية هذه المطالب .

على اننا واصلنا خلال السنة الماضية ، الساعي لحمل صديقتنا الدولة الاسبانية التي تربطنا بها روابط الجوار والمودة القديمة ، على وضع القرار الذي اتخذته منظمة الامم المتحدة في شان ايفني والساقية الحمراء ووادي الذهب موضع التطبيق والتنفيذ ، واننا لنأمل ان تسفر جهودنا المتوالية عن النتائج المطلوبة التي لن تزيد روابط الاخاء واواصر الجوار والصداقة الا قوة ومتانة .

استقبال شخصيات سامية

هذا وقد استقبلنا شخصيات سامية وفدت على مملكتنا من مختلف الاقطار الشقيقة والصديقة وفي مقدمتها جلالة اخينا الملك حسين عاهل المملكة الاردنية الهاشمية ، وفخامة الرئيس حماني الديوري رئيس جمهورية النيجر ، ونائب مستشار الجمهورية الالمانية الفدرالية ووزير خارجيتها السيد ويلي برانديت ، والسيد محمود رياض وزير خارجية شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة ، واناحت فرصة اللقاء بهذه الشخصيات كلها المباحثة معهم في شؤون مختلفة منها ما يشغل الرأي العام الدولي وسنأثر باهتمامه

الاعتماد على النفس وعلى مساعدة الاصدقاء

يبد أن انجاز ما نعتزم انجازه يتطلب صرف اموال طائلة سنقترض قسطا منها من البلاد الصديقة والمؤسسات الدولية ، ولا غنى لنا بعد هذا عن الاعتماد على انفسنا لتمويل ما يجب تمويله وبذل مجهود داخلي لتقتنع البلاد الصديقة والمؤسسات الدولية باننا قادرون على تمويل الشطر المهم من مشاريعنا ، وسنلجأ الى مختلف وجوه الادخار الوطني والى العمل لنذكر الغاية ونظفر بالرام . فاذا نحن افرغنا قصارى جهودنا - وهذا شرط اساسي - فان بلوغ الاهداف التي سطرناها في المخطط الخماسي سيؤدي الى معدل ارتفاع سنوي في الانتاج الوطني تتجاوز نسبته بقليل اربعة في المائة والى ارتفاع سنوي يتجاوز خمسة في المائة ابتداء من سنة 1973 ، وعندما تؤدي الاستثمارات الفلاحية جميع نتائجها ، فان ازدياد انتاجنا سيوازي او يفوق ازدياد السكان .

تصميمنا على بلوغ المقاصد

وبفضل التجربة التي اكتسبناها من تنفيذ المخططات السابقة ، وبفضل ما لنا من تصميم على بلوغ مقاصد مخططنا الخماسي ، فانا سنسير بعون الله في الطريق الواضح ، والنهج السوي ، نحو هدفنا الاسمي ، وغايتنا المثلى .

وسنعرض فصول المخطط الخماسي الجديد في الايام المقبلة على المجلس الاعلى للانعاش الوطني والتخطيط قصد دراسته وابداء الرأي فيه ، حتى اذا انتهت هذه الدراسة ، واعرب أعضاء المجلس عن آرائهم في مضمونه ، استأنفنا النظر فيه واصدرنا قرارنا بشأنه .

الشؤون الخارجية :

ما كان المغرب غائبا

شعبي العزيز :

تلك هي الجهود التي صرفناها في الميدان الداخلي ، وتلك هي الخطوط التي رسمناها للاعمال التي تتجه همتنا لتحقيقها في المستقبل ، وقد استأثرت الشؤون الدولية الى جانب هذا بحظ كبير من

اهتمامنا ، وما كان المغرب يوما من الايام غائبا ولا خاملا في هذا المجال ، بل كان وما يزال دائب الحركة ، حاضرا حضورا بارزا باسهامه ومبادراته ، فحفلت السنة الماضية كسابقاتها بحضور المغرب ومشاركته في مجهود المنظمات الدولية والاقليمية ، وتمتين علاقاته بمختلف الامم والشعوب ، على اساس المساواة والاحترام والود والتعاون في الوجوه الاقتصادية والثقافية والفنية ، وكان لبلادنا النصيب الوافر في الدفاع عن القيم الانسانية المثلى ، بدعم السلام والامن في العالم ، وتقريب الشقة بين الدول الضاربة بسهم كبير في التقدم الصناعي والدول السائرة في طريق النمو ، وبمحاربة الميز العنصري واستنكار البغي والعدوان ، وبمناصرة الشعوب المهضومة الجانب والسعي لتصفية الاستعمار والاخذ بمبدأ التعايش الدولي في نطاق العدالة والكرامة

المؤازرة والتأييد لشقيقتنا العربيات

لقد عرفت منطقة الشرق الاوسط خلال السنة الماضية أزمة حادة افضت الى تلك النكبة التي حلت بالاقطار العربية عقب العدوان الصهيوني ، والتي مازال جرحها لم يندمل وآثارها قائمة لم نضمحل . ولم نكد تشب هذه الأزمة حتى بادرت بلادنا الى اتخاذ موقف المؤازرة والتأييد لشقيقتها العربيات ، مدفوعة الى ذلك بدافع اواصر القرى ، وواجب التضامن ، ونصرة الحق والعدالة والقوانين المتواضع عليها بين الدول .

اقترحنا لعقد مؤتمر مستعجل للقمة

لمواجهة الحالة

واقترحنا في شهر ماي قبل العدوان عقد مؤتمر مستعجل في مستوى الملوك والرؤساء أو مستوى رؤساء الحكومات العربية لدراسة الحالة وتوحيد الخطة والاتجاه ، وبمجرد ما شن الصهاينة عدوانهم الاتيم سارعنا الى تأكيد تضامننا مع الاقطار العربية الشقيقة ، وعززنا التعبير عن هذا التضامن بارسال وحدات من قواتنا المسلحة الملكية للمشاركة في خوض المعركة ، فلما أعلن وقف القتال لم نتوان في مواصلة ضحايا العدوان ، فارسلنا الادوية والاعطية ومواد التغذية وغيرها ، ووجهنا الى شعبنا نداء للمساهمة في الاكتتاب ببذل المال واظهار الاريحية والسخاء لفائدة الضحايا ، فاستجاب شعبنا لندائنا بما فطر عليه وجبل في كل كارثة وخطب من نجدة واسعاف .

له من مدار ، وليس له من مثابة ، وليس له من قصد
الا ان وما يهيك ، سررت او حزنت ، رجوت او اعتزلت
خيبة امل ، رغبت في شيء او استولت عليك رهبة ،
طفحت نفسك بالبشر وامتلأ قلبك باليقين ، او رانت
عليك الكتابة والتبست عليك السبيل ، وتقاسمتك
الاشجان ، وجرى بما لا نهوى الحدثن

اجتمعنا على كلمة سواء

فكل حالة من هذه الاحوال ، تلابسني في غدوي
ورواحي ، وحلي وترحالي ، وكل احساس من هذه
الاحاسيس ، هو احساس يمتلك فؤادي ويملأ جوانبي ،
ولا يعتري هذه الاحوال تغيير او تحويل ، الا عندما
تنشع السحب المظلمة التي تخيم على نفسك ، وتخلف
المسرة الكتابة في حناياك ، والاطمئنان في وجدانك
وطواياك ، ولا اجد لذة العيش ، ولا حلاوة الحياة ،
وانت كاسف البال ، مروع السرب ، تخشى الفوائل ،
وتتهيب الزمان ، وكل مطمح كريم سمت اليه همتك ،
وكل مرغوب شريف تعلق به رجاؤك ، وكل مقصد
جميل ترامت اليه مطالبك ، هو مطمح من مطامحي ،
ورغبة من رغائبي ، ومطلب من مطالبني ، ابذل له من
جهدي وكدي ، واوليه من عنايتي واهتمامي ، طريفي
وتليدي ، حتى اذا تسنى ادراكه ، وان قيل عزيز المال
عسير غير يسير ، كان الظفر به مشاعا بيني وبينك ،
وباوغة قرة عين لي ولك ، لقد اتحدت مشاعري
ومشاعرك ، وتناسقت اوطاري واطارك ، وتوشجت
مصالحني ومصالحك ، واتم الله علينا النعمة المطلوبة ،
والمنة المخطوبة ، فسرت واياك على المحجة البيضاء ،
 واجتمعت شعبي العزيز ، وعمرش بلادك وعاهلك على
كلمة سواء .

احياء ذكرى نزول القرآن

شعبي العزيز :

لقد كان احتفاؤنا واحتفالنا جميعا بذكرى مرور
اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، والذكر
الحكيم ، برهاننا على مدى تعلقنا برسالة الله الخالدة ،
وتمسكنا بالكتاب البين المنزل من السماء هدى للمتقين
ورحمة للعالمين . وانت تعلم ما كان لهذا الاحتفاء
الشائع ، والاحتفال الرائع ، من الاثر الحميد ، والصدى
البعيد في ارجاء العالم الاسلامي الذي اكبر بادرة هذا
التمجيد والتكريم ، وادرك بليغ اعتداد المغرب بكتاب

اسلافنا ، ان نتوجه بقلوبنا الطافحة بمشاعر حفظ
الذمام ، الزاخرة بآيات الاجلال والاعظام ، الى روح
بطل الامة الخالد ، وعلمها المجاهد ، فقيه العروبة
والاسلام ، وباعث النهضة الهمام ، سيدنا ووالدنا
المنعم ، محمد الخامس ، داعين له بالرحمة والغفران ،
والثوبة والرضوان . فقد أمضى عمره مكافحا ومناصرا
ومناضلا ومصابرا ، ولم يهن له عزم ، ولم تلن له قناة ،
فغالب الصعاب ، وصارع المكائد والاهوال ، ولم ينل
من نفسه تهديد ، ولم يثن من عزمه وعييد ، أسدى
رحمه الله لهذا الشعب اسنى الايادي واجمل المكرمات
واسمى المبرات ، وبذل في سبيل تحريره واستقلاله
اعظم التضحيات ، فثأب الله جهوده احسن ثواب ،
وكتب له الظفر وحسن الثأب ، فتحقق لك شعبي
العزيز ، على يديه ، ما كنت تصبو اليه من خلاص
وانعتاق ، وحرية وانطلاق . وانا لنبتهل الى الله في هذا
الحفل الحافل ، والمجمع الشامل ، ان يجازيه عما بذل
واسدى ، واسلف وقدم بأوفى ما يجازي به النبيئين
الاطهار ، والصدقيين والشهداء والابرار ، ويجعل مثواه
في جنات عليين ، ومقامه المحمود بين اوليائه المتقين .

حملنا الامانة بعونه تعالى

واذا كانت ارادة الله استأثرت به واختارته
لجواره ، والمغرب المستقل بعد الاحتلال ما يزال في
مراحله الاولى من البناء والتشييد ، والنشوء والتجديد
فان هذه الارادة استخلفتنا من بعده ، واقت على كاهلنا
مقاليذ السيادة واعباء القيادة ، فحملنا الامانة مؤمنين
بعونه تعالى في شد أزرننا ، والاخذ بيدنا ، وتسديد
خطانا ، وتيسير هدايا ، ووائقين بانك شعبي العزيز ،
شعب وهبه الله من الشمال والمزايا ، ومن الفضائل
والسجيا ، ما يصح معه الاعتماد والاستناد ، ويتسنى
به تذليل الصعاب ، وتتوافر به الوسائل والاسباب ،
للوصل الى الهدف المقصود ، والفرض المنشود .
ومنذ ذلك الحين والعناية متجهة اليك ، والرعاية
موقوفة عليك ، والحدب موصول لاسعادك ، والاهتمام
مقصود على رفع مكانك ومقامك ، فلا يمضي يوم من
الايام ، ولا تمر ساعة من ساعات الليل والنهار ، الا كان
قلبي مفعما بك ، وعقلي منقطعاً اليك ، وارادتي مصروفة
لما يرضيك ، معبأة لما يكفل لك الهناء المديد ،
والعيش الرغيد . فجميع ما يضطرب بين جوانحي
من عواطف ، وجميع ما يجول في نفسي من خواطر ،
وجميع ما يسمف به الخيال ، ويجود به العقل ، ليس

وانتباهه ، ومنها ما يتصل بالعلاقات الودية وروابط التعاون بين بلادنا وبلادهم ، ومنها ما يهم الاقطار العربية بصفة خاصة .

شعبي العزيز :

ان ما عرضناه عليك والقيناه على مسامعك لم يكن بالعرض الذي يفيد الاستقصاء ، ولا بالبيان الذي يقتضي الحصر ، وانما قصدنا الى الاجمال من غير اسهاب ، والى الالمام دون اطناب ، لتقف على اهم ما بذلناه من جهود خلال السنة المنصرمة ، وتطلع على اكثر ما اعددناه من مشاريع مردودا وريعا وعائدة ونفعا ، ولئن تبين لك مما عرضناه وبسطناه ، ان هذه الاعمال وهذه المشاريع ، هي ذات اهمية عظمية وشأن اي شأن في تطور البلاد ونهضتها ، ورفي المجتمع ورفع مستواه ، فان تارة ق ما بقي علينا تحقيقه وانجازه وتطبيقه يتطلب منا المزيد من العمل والكسب وتجنيذ العزائم ، وتعبئة الهمم ، واستنفار المواهب والكفايات والصلاحيات ، ليتم لنا ما نريد ونبتغيه لجيلنا وللجيال الآتية من بعدنا ، من ضمان حياة اسعد وأفضل . على انه لن يتأتى المراد من اعمالنا ومشاريعنا ، ولن نبلغ القصد من مساعيها ، ولن نضمن تلك الحياة المنشودة حاضرا ومستقبلا ، الا اذا كان تجنيذ عزائنا ، وتعبئة هممنا ، واستنفار مواهبنا وكفاياتنا ، مصحوبا بادراك وشعور ، ووعي لما يسترعي اهتمام العالم المتمدن من مشاكل ، ويستوجب من ابتكار للحلول ، واستنباط لوسائل معالجة المضلات . وعلى الرغم مما تمتاز به بلادنا من خصائص ومميزات ، وما تنفرد به من بعض الوجوه من سمات وصفات ، فاننا بحكم صلتنا الوثيقة بهذا العالم المتمدن ، وبحكم كوننا جزءا لا ينفصل عنه ، لامناس لنا من مشاطرته اهتمامه ، ولا محيد لنا عن استيعاب ما يستخلصه من نتائج . ويفضي اليه من حلول ، ويظفر به من فوائد . ذلك ان تطور بلادنا ومسايرتها لموتكب الحضارة الذي لا يتردد ولا يقف ولا يني ، ومجاراتها للاقطار التي تفذ السير في مضمار النمو والازدهار ، كل هذا موقوف على ما لنا من استعداد للاخذ والاستعداد ، وقابلية للاستفادة والانتفاع .

تسخير المواهب وتجنيذ الطاقات

وبالاضافة الى هذا كله ، فلن نبلغ المرتقى المأمول ولن ندرك الشاؤ المطلوب ، الا اذا كان تسخير مواهبنا

وتجنيذ طاقاتنا وكفاياتنا ، وانتفاعنا مما يخطوه العالم المتحضر من خطوات سريعة في مضمار الاكتشاف العلمي والابتكار والاختراع ، مقرونا بالشعور بأن السير في طريق النمو يلقي علينا أثقل التبعات ، ويفرض علينا اعظم المسؤوليات ، ويوجب علينا احترام كثير من الالتزامات ، فلا يمكن ان نتوقع نجاحا لاعمالنا ، ونأمل فوزا بأمانينا الشاملة لميادين مختلفة ، وتحقيقا لمطامحنا التي تنتظم مجالات الاقتصاد والاجتماع ، الا اذا كنا جميعا مؤمنين بجدوى ما تقدم عليه من اعمال ، ونقبل عليه من انجاز ، ايمانا صادقا لا يعتريه على توالي الايام فتور ولا نقصان ، وكان بيننا من التضافر والتضامن والتآزر والتعاون ما يؤمن الجهود المبذولة ، والكفايات المعبأة ، والمواهب المجتدة ، التناسق والانسجام ، والتكافل والوثام ، والافضاء في نهاية المطاف الى الغاية المتوخاة ، والغرض المقصود الذي هو الانطلاق من التخلف الى النماء ، والتدرج من العوز الى الرخاء ، والارتقاء من ازدهار محدود محصور الى ازدهار شامل موفور .

نسأل الله ان يبارك نهضتنا

ان لبلادنا من الامكانيات والمقدرات ، وان لك شعبي العزيز ، من العقل والادراك والتميز والتمحيص والحكمة البصيرة ، وان لك من حسب صريح لارض آبائك واجدادك ، ورغبة صحيحة في العمل المثمر البناء وحرص على ان تحل بلادك اسمى الدرجات ، وتبلغ بها ارفع المقامات ، ما هو خليق بأن يقيم البرهان ، ويقدم الدليل على أن وطنك العزيز سيصبح بما أضفى الله عليه من خيرات ، وبما وهبك من استعداد لاستصلاحه واستثماره ، وطموح لاعلاء شأنه ، واعزاز جانبه ، مضرب الامثال في الجد والحيوية ، وصدق النية ، ومضاء العزيمة والاستبسال . والله المسؤول بعد هذا ان يبارك نهضتنا ، ويثبت اقدامنا ، ويوفق مسعاونا ، ويمدنا بعونه على الاضطلاع بالمسؤوليات وتحمل الاعباء ويقينا مزلق الزلل وعواقب الاخطاء .

جزى الله خيرا فقيذ العروبة والاسلام

شعبي العزيز :

ان ما جبلنا عليه من شيمة الاخلاص والوفاء ، ومزية رعاية العهد والبقاء ، ليقطينا ونحن نحتفل في هذا اليوم بالذكرى السابعة لجلوسنا على عرش

واعتصم بحبله ، وابلى البلاء الحسن في اعلاء كلمته
ونشر الويته والتمكين له في المعمور ، ليضرع اليك
ابناؤه مبتهلين أن تكون له وليا ونصيرا ، ومعينا
وظهيراً ، وتسبغ على بلادنا نعمة رعايتك وعنايتك
وتعصمها من كل سوء ، وتدفع عنها كل مكروه . اللهم
ان هذه البلاد التي كانت وما تزال معتزة بإيمانها ،
فخورة بيقينها ، متشبعة بمثلها وحريصة على مقدساتها
وحرمانها ، تسألك أن تديمها محفوفة بسياج من حفظك
وصيانتك ووقايتك وحراستك ، دائبة على الاهتمام
بهديك ، مستنيرة بنور كتابك الحكيم ، سائرة على
صراطك المستقيم .

اللهم اغمر قلبي بنورك ، ووسع معرفتي بك ،
واملاً نفسي بالاقبال عليك والانابة اليك ، واجعل

الاعتماد عليك دأبي والاستناد اليك قصدي ، والهمني
من الاعمال ما ترضى به عني ، اللهم اني أسألك الخشية
في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الرضا
والغضب ، وأسألك عوناً تشد به أزرِي ، وتأيداً
ينشرح له صدري

اللهم ادم ما بيني وبين شعبي من محكم الاواصر
والصلات ، ومكين التجارب والتأزر والتماسك
والتضافر ، واوزعنا ان نشكر هذه النعمة التي انعمت
بها علينا ونذكر صنيعك الجميل فينا واياديك البيضاء
قبلنا ، وسدد اللهم خطانا لما فيه خير البلاد وصلاحها
وازدهارها ورخاؤها وسعادتها ، فانك موئل الرجاء ،
والمستجيب عند الدعاء .

آن للعرب والمسلمين أن يحاسبوا أنفسهم

ويوحّدوا صفوفهم

شعبي العزيز :

ان شديد حرصنا على الاعتصام بالقيم الروحية الخالدة ، والمبادئ السامية التي قامت على أساسها في الماضي حضارتنا التي أضاعت أنحاء المعمور ، وأشرقت بها أرجاء الدنيا ، لهو الباعث الذي دعانا الى استكناه الاسباب التي جعلت من العالم العربي والاسلامي كيانا مفكك الاوصال ، مدخول القوى ، مبدد الشمل ، تتنازعه عوامل الشتات والانحلال ، فعرفنا ان مرد هذه الظاهرة الاليمة ، وهذا المصاب الجلل ، يرجع الى قلة الاهتمام بالقيم الاسلامية ، وعدم الاكتراث بالتعاليم الدينية ، والتفريط في اركان الدعوة المحمدية . وقد آن للعرب والمسلمين أن يحاسبوا انفسهم حسابا شديدا ، ويتداركوا ما فيه فرطوا وما به استهانوا ، ويعملوا على اصلاح ذات بينهم ، وضم شتاتهم ، وجمع كلمتهم ، والتعاون بينهم لانقاذ انفسهم من الهوة التي تردوا فيها ، والمحنة التي حاقت بأوطانهم والهزة العنيفة التي عصفت بأموالهم وديارهم وسلبتهم اولى القبلتين وثالث الحرمين - وعسى الله ان يكف بأس الذين كفروا ، وعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده ، فيصبح العرب والمسلمون صفا مرصوفا وبنينا متماسك الاجزاء يشد بعضه بعضا ، وكيانا لا تنفصم عراه ولا ينبت ما اوصى الله تعالى ان يكون موصولا بينه .

دعوات ملك صالح

فاللهم انا نسالك ان تمن تفضلا وتكرما على اخواننا العرب والمسلمين ، وثبت اقدامهم ، وتوحد كلمتهم وقواهم لما فيه رضاك ، وتلم شملهم ، وتقبل عثرتهم ، وتعيد اليهم ما فقدوا من عز ومجد ، وما سلبوا من كرامة ، وتهب لهم من الحول والطول ما يرد عليهم ما اضاعوه ، ويملكون به زمام امرهم ، ومقايلد حاضريهم ومستقبلهم ، وتجود عليهم ، وجودك كفيل بالمكرمات ، وحقيق أن يظهر الآيات البينات ، بالهداية التي يسهل معها استئناف سيرة آبائهم الاولين واسلافهم القادة الصالحين المصلحين

اللهم ان المغرب ، هذا البلد الذي احتضن الاسلام عند مطلع فجره واشراق نوره ، وتمسك بهديه

الله ، واوفد للمشاركة في الاحتفال بهذه الذكرى من مشاركه ومغاربه وفودا من اجلة العلماء واقطاب العرفان توثق بهم جبل التواصل والتعاطف ، واستحكمت بهم آصرة الاخاء والتآلف .

الاسترشاد بهدي القرآن والحفاظ على الاسلام

واني لاهيب بك شعبي المؤمن ، الصادق الايمان، الراسخ العقيدة ، أن توالي سيرك ، وتواصل سعيك، مسترشدا بهدي القرآن ، متمسكا بتعاليم الفرقان ، متدبرا آياته ، معتملا لاوامره ونواهيه ، فان في ايماننا بالله ، وتمسكنا بما أوحى به الى نبيه ورسوله المصطفى المختار ، وحفاظنا على الدين الاسلامي الحنيف ، وما يدعو اليه ويحض عليه من العمل بالمبادئ المثلى ، والحرص على القيم ، وسلوك المحجة البيضاء ، ما يكفل لنا الفوز وحسن المصير وان الله على نصرنا لقدير .

دعوة مستجابة لتربية النشء

وحري بنا ونحن في مجال التذكير ، ان نسترعي انتباه نساينا اللاتي هن امهات ابائنا ، والمتحملات لقسط وافر من مسؤولية تربية ناشئتنا والمساهمات بحظ غير يسير فيما نشيده وبنينه ، ونرفعه ونعليه من صرح نهضتنا ، الى وجوب اهتمامهن بتربية اطفالنا الذين هم رجال المستقبل ، ومناط الآمال ، تربية قوامها تحبيب مكارم الاخلاق اليهم ، ونشر الفضائل في نفوسهم ، وتأديبهم بالاداب الاسلامية ، وتلقينهم القواعد الدينية ، وتعويدهم على التمييز بين المنكر والمعروف ، والحلال والحرام ، وتدرجهم على حب التقاليد السليمة التي اكسبتنا ذاتية معلومة ، والتعلق بالقيم والمقدسات ، التي كفلت لهذا الوطن العزيز الدوام والاستقرار ، حتى يكونوا رجالا صالحين كافرين ، قادرين على اداء واجباتهم ، والاضطلاع بالاعباء التي تنتظر منهم ان يكونوا في مستواها استقامة ونزاهة وايثارا ونكرانا للذات وخبرة ودراية واستعدادا وكفاية ، وحتى تتألف منهم الامة الواعية المتبصرة العالمة بالنافع والضار ، والصحيح والزائف . وهكذا فان على المرأة المغربية ان تكون مدركة للمسؤولية الملقاة على كاهلها ، متفهمة للمهمة العظيمة المنوطة بها في مجتمع كمجتمعنا يتوق الى المزيد من الناعة والحصانة .

رد سماحة الاستاذ المودودي على رسالة قداسة البابا

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب القداسة البابا بولس السادس

بلفتني بواسطة الدكتور آر . اي . بتلر مدير
(لويولا هال) بلاهور من قداستكم رسالة جديرة
بالتقدير ناشدتكم فيها اتباع جميع الاديان الشهيرة
وجميع ذوي النوايا الحسنة في العالم علاوة على اتباع
الكنيسة الكاثوليكية ان يتخذوا مطلع السنة الجديدة
يوم السلام . وكان بودي ان اكتب الى قداستكم ما
عندي من اراء تتعلق بهذه الرسالة في حينها . الا ان
الاعمال المتجددة في شهر رمضان المبارك وعيد الفطر
حالت دون القيام بهذا الواجب . وها انا اخاطب
قداستكم في اول فرصة متاحة :

اهني قداستكم بما وجهتم الى سكان المعمورة
من الدعوة الى الفاية التي يشارك فيها الجميع ،
كاشفين الفناع عن وجه العوامل التي تشكل عقبة
كاداء في تحقيق هذه الفاية . ومن الحقيقة التي لا
يكابر فيها احد ان السلام من الحاجات الاساسية التي
تتوقف عليها سعادة النوع البشري . الا ان العوامل
التي حرمت النوع البشري من بلوغها على رغم تطلعه
اليها واحساسه الملح لتحقيقها هي نفس العوامل
التي قد استلغتم الى معظمها انظار العالم . واعتقد :
انه ما دامت لا تتخذ الاجراءات الصارمة للقضاء على
هذه العوامل لن تنعم الدنيا بالسلام ابدا بمجرد
الاعراب عن الآمال الطيبة والاماني المسولة . وعلى
هذا ، مما لا مندوحة منه في نظري في هذا الشأن : ان
يحاسب كل منا نفسه افرادا وامما وجماعات دينية ،
بصدق النية والاخلاص والامانة لينظر : ما هي تقصيراته
نفسه التي ادت بانباء نوعه ثم بنفسه هو في النهاية الى
الحرمان من العيش في السلام ، ويستفرغ ما وسعه
من الجهود في قمعها . كما يجب على كل واحد منا ان
يحيط غيره من الطوائف علما بما يرى في مواقفها نحوه
من امور تؤلمه وتمس من كرامته ، بصراحة متناهية
وبقصد الاصلاح ، لا بنية اثاره المرارة وزيادتها ،
لتنهض هذه الطوائف الى التخلي عن مواقفها كهذه .

وبنفس القصد اريد ان استرعي انتباه قداستكم
الى امور يشكوها المسلمون من الاخوان المسيحيين ،
لكي تبدلوا جهودكم في اصلاحها باستخدام نفوذكم
الكبير ومكانتكم العظيمة في العالم المسيحي لكونكم

المرشد الاعظم للكنيسة الكاثوليكية . وانا بدوري ارحب
من الاخوان المسيحيين بان يعلمونا بما اذا وجدوا في
سلوكنا نحوه من امر معقول يسبب لهم الشكوى
منا . ونحن لن ندخر وسعا في ازالته باذن الله . ان
الطريق الذي يمكن لنا ان نتكاتف في احلال السلام
وخلق جو التصالح في الدنيا هو ليس الا ان يسلك
بعضنا نحو بعض مسلك العدل ، او يتخلى عما فيه
غمط حقه وعن اللجوء الى ما يؤلمه على الاقل اذا
تعوزه رغبة الصدر في سلوكه الحسن معه .

ان الامور التي يشكوها المسلمون لا في بلد واحد
فقط او من شعب واحد فقط بل يشكوها جميع
المسلمين في انحاء العالم من اخوانهم المسيحيين ، اريد
ان اعرض على قداستكم بدون لبس ولا ابهام :

1 - يتأذى المسلمون من الهجوم الذي لا يزال
العلماء المسيحيون يشنونونه على سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم وعلى القراءان والاسلام في كتبهم
وخطبهم . قد اوردت كلمة « الهجوم » قصدا لئلا
تقعوا في سوء التفاهم في كوننا نشكو حتى من النقد
العلمي المعقول ، اذ اننا لا ننكر النقد العلمي المبني على
البرهان وفي حدود النزاهة والاحترام ، مهما كان
يحتوي على اعتراضات عنيفة . بل نرحب بمثل هذا
النقد العلمي ، ونستعد ان نقابل البرهان بالبرهان .
ولكن الذي نشكو اليكم بحق هو الهجمات التي تشن
على نبينا وكتابنا وديننا ، والتي تتكون من افتراءات
واتهامات سخيفة بلغة تدمي القلوب وتمس بالكرامات .
ولا تزال هذه الهجمات على قدم وساق .

اما المسلمون فانهم يرعون كل المراعاة جوانب
الادب والتكريم في شأن مريم وعيسى عليهما السلام .
ونعتبر من وجهة عقيدتنا كل كلمة تنال من كرامتهما
او تنافي مكانتهما كفرا . وانكم لن تجدوا ولا مثالا
واحدا ان مسلما قد ارتكب ما ينافي الادب في شأن
سيدنا المسيح وامه الصديقة عليهما السلام . ونحن
وان كنا لا نعتقد في الوهية المسيح ابن مريم . الا اننا
نؤمن بنبوته عليه السلام ايماننا بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم . ولا يكون احد مسلما حتى يؤمن بالمسيح
وغيره من الانبياء عليهم السلام ، كما يؤمن بمحمد
صلى الله عليه وسلم . كما اننا لا نعتبر القراءان فقط
كتابا منزلا من الله تعالى ، بل نعتبر كذلك التوراة
والانجيل مما انزله الله . ولا يتفكر احد من المسلمين
في اهانة هذه الكتب المقدسة . ونحن اذا ناقشنا هذا
الموضوع فلم نناقش الا من ناحية مبلغ استناد وصحة
الكتاب المقدس في صورته الحالية . وهذه ناحية قد

رسالةُ قداسة البابا لأجل إخلال السلام في العالم ورد الأستاذ المودودي عليها

نقله إلى العربية : خليل أحمد الحمادي
مدير دار العروة للدعوة الإسلامية
لاهور - باكستان

(ارسل البابا الى جميع قادة الاديان الشهيرة في العالم بما فيهم اتباع الكنيسة الكاثوليكية رسالة في شهر يناير الماضي ناشدhem فيها ان يفتتحوا اليوم الاول من السنة الجديدة كيوم السلام ، وقد جاءت رسالته هذه في باكستان الى سماحة الاستاذ أبي الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية فيها . واليكم ملخص رسالة البابا ورد الاستاذ المودودي عليها)

ملخص رسالة البابا :

نخاطب جميع الناس الصالحين في الدنيا ونناشدهم ان يجعلوا اول يناير : مطلع السنة الجديدة يوم السلام . نعتقد ان جميع الامم ، والمنظمات الدينية العالمية ، والحركات السياسية والحضارية التي تطمح الى اقامة السلام العالمي وتسعى في سبيل تحقيقه تشعر كلها في الوقت الحاضر بضرورة اخلال السلام ، كما تشعر بالاطار التي تهدد السلام ...

والعقبات التي تعرقل اخلال السلام يجب ازاحتها . منها اتباع الامم العالمية اهواءها في انشاء العلاقات فيما بينها . كما ان بعض الاقطار يساورها الشعور بانها محرومة من حق العيش في كرامة وسودد . ولأجل عدم الاعتراف بحقهم هذا قد سلكوا ، واضعين رؤوسهم على اكفهم ، طريق المقاتلة الاضطرارية وتسود على الوجه العام الفكرة التي تقول بعدم امكان حل المنازعات الدولية بالعدل وبطرق معقولة من المفاوضات ، وتقضي بارجاع هذه المنازعات الى (قاضي السيف)

الذي يمكنه ان يستخدم لذلك ما لا يحصى من الوسائل والادوات الفتاكة لاراقة الدماء البشرية ..

اذن . فلا بد لأجل اخلال السلام والتعايش السلمي من توجيه الجيل الجديد الى التسامح والاخوة والتعاون الدولي . ان السلام لن يتحقق ابدا باللجوء الى الدعاية الفارغة . ان الدعاية الفارغة تبدو حسنة وخلاصة فيما يظهر لانها تضرب على اوتار قلوب البشر . الا ان هذا الامر كثيرا ما يتخذ ستارا لتفطية فقدان الاخلاص والامبالاة ، بل يتحول في غالب الاحيان وسيلة للانحياز والعدوان . فما دامت لا تستهدف الدول وما دام لا يستهدف السكان حكاما ورعايا في الدول التعاطف والتحابب والاخلاص والعدل بعضهم مع البعض ، وما دام الافراد والامم لا تنال حرية التعبير والعمل في كافة النواحي المدنية والخلقية والدينية يصير التشدد لأجل السلام بدون جدوى . ولو اقيم كيان شكلي من السلام والنظام القانوني مدعما بوسائل القسر وبدون الدعائم اللازمة للسلام والحرية ، لمن المحتوم ان تستمر سلسلة قاهرة لا نهاية لها من الثورات والحروب .

المسيحي من سرور وارتياح وابتهاج علنا يوم انتصار اسرائيل على العرب ظاهرة الحقد والعداء اللذين يضرهما المسيحيون في قلوبهم للاسلام والمسلمين . والطريقة التي تكونت ، بل كونت ، بموجبها دولة اسرائيل في فلسطين لا يخفى على احد تاريخها . كان العرب يستوطنون فلسطين منذ الف سنة . وما كان السكان اليهود فيها يشكلون نسبة اكثر من 8 ٪ في مطلع القرن الحاضر . فجاءت الحكومة الانكليزية ، والحالة هذه ، تقرر جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وجاءت عصبة الامم يومها لا تصادق على هذا القرار فحسب ، بل تعطي الحكومة البريطانية حق الانتداب في فلسطين وتوصيها باشتراك الوكالة اليهودية في الحكومة لتنفيذ القرار المذكور . وبدأت بعد ذلك سلسلة هجرة اليهود من انحاء العالم الى فلسطين بكل طريقة ممكنة ، وتوطيئهم فيها . حتى بلغت نسبتهم فيها خلال مدة 30 سنة 33 ٪ . وكان هذا القرار الذي اتخذ لاجل توطيئ الشعب الاجنبي في وطن الشعب الاصيل عدوانا سافرا . ثم اتخذت خطوة اخرى اشد فنكا وخطورة من سابقتها . حيث ارغمت امريكا جمعية الامم المتحدة ، على رؤوس الاشهاد ، على اصدار قرارها في تبديل وطن اليهود الاصطناعي الى دولة يهودية . وبموجب هذا القرار الفاشم قسمت فلسطين واعطيت لليهود الذين كانوا يشكلون 33 ٪ من جميع السكان 55 ٪ من مساحتها ، بينما اعطى العرب الذين كانوا يشكلون 67 ٪ منهم 45 ٪ من مساحتها . ولم يكتف اليهود على هذا ، بل انهم حصلوا باللجوء الى القوة على مساحة اخرى فاصبح مجموع المساحة التي احتلوها 77 ٪ من المجموع ، وطرودوا آلافا مؤلفة من السكان العرب من ديارهم واموالهم بالقتل والارهاب والنهب والسلب . فهذه هي اسرائيل ، وهذا تاريخ تأسيسها . وهل من رجل في الدنيا يحب العدل والامانة بامكانه ان يقول : ان اسرائيل دولة شرعية تكونت من طريقة طبيعية وعادلة . بل ان وجود هذه الدولة هي عين مظهر العدوان الفاشم . والمزيد من الظلم والعدوان ان اليهود ، على رغم ذلك ، لا يرضون بالوقوف عند الحدود التي اقاموها في فلسطين قسرا . بل انهم ما زالوا يعلنون صراحة منذ سنين بان وطنهم

4 - وهناك اعتداء صدر من قداستكم انتم . وان كنت اظن ان هذا الاعتداء مبعثه النية الحسنة ، ولا تشعرون بكونه اعتداء في حقيقة الامر ، واقصد من ذلك اقتراح قداستكم حول تدويل القدس القديم . ولعلكم تنوون من هذا الاقتراح صيانة هذه المدينة المقدسة من الحروب والاشتباكات ولكن هذا الاقتراح في حقيقة الامر ينطوي على عدوان آخر . اذ من البدهة ان الرقابة الدولية على هذه المدينة ستتولاها المنظمة الدولية التي خلقت دولة اسرائيل بطريقة اصطناعية ، والتي لم تردع اسرائيل من اتباع سياسة العدوان ، ولم تتدارك ازالة آثار العدوان ان وقع . ان هذه المدينة ان تولتها المنظمة كهذه فانها ستفتح ابواب

جرت فيها المناقشة بين العلماء المسيحيين انفسهم ايضا . ولم ينكر احد من المسلمين ابدا بان الله تعالى قد اوحى الى موسى وعيسى وسائر الانبياء عليهم السلام الذين جاء ذكرهم في الكتاب المقدس ، وان المسلمين اليوم وان كانوا لا يقررون بكون الكتاب المقدس في صورته الحالية وحيا منزلا من الله بأجمعه . بيد انهم يعتقدون ، بدون ما ريب ، ان فيه ما نزل من الله تعالى . ولذلك فان اخواننا المسيحيين لم يجدوا مجالا للشكوى اننا قد ارتكبنا اهانة انبيائهم او كتبهم المقدسة . والعكس من ذلك فاننا لا نزال ننال منهم منذ القرون ضروبا من الاذى فيما يشن كتابهم وخطبائهم من الهجوم العنيف على نبينا الكريم وعلى كتابنا المقدس وعلى ديننا الحنيف ، الامر الذي هو اكبر سبب في اساءة العلاقات بين الاخوان المسلمين والاخوان المسيحيين ، لانه يورث الاحقاد المتبادلة . كما ان الدعاية غير الصحيحة تبذر في قلوب عامة المسيحيين انفسهم كذلك بذور الكراهة والاحتقار للمسلمين . وتكونون قد اسديتم خدمة جليلة مشكورة في احلال السلام لو نصحتم اتباع المسيحية ان يحسنوا سلوكهم نحو المسلمين حيث لا يبلغ حد الايلام واثارة الكراهة في القلوب على الاقل .

2 - ان الوسائل التي ما زالت تستخدمها البعثات المسيحية والمبشرون المسيحيون منذ مدة طويلة في نشر الديانة المسيحية في العالم الاسلامي هي ايضا مما يأخذه المسلمون على اخوانهم المسيحيين . لا نتناول بالبحث اعمالهم في البلدان الاخرى والشعوب غير الاسلامية . والذي جربناه وشاهدناه بام اعيننا في البلدان الاسلامية والشعوب الاسلامية هو انهم - اي المبشرين المسيحيين - لم يقتصروا على « التبشير » فقط ، بل جاوزوا هذا الحد ، واختاروا الوسائل الاخرى التي ليست من وسائل التبشير في حقيقة الامر ، بل هي من وسائل الضغط السياسي والاطماع الاقتصادية والهدم الخلقي والعائدي ، والتي لا يقر من فيه مسكة من العقل بكونها وسائل نزيهة لتبليغ الدين . انهم في معظم اقطار افريقية حرماوا المسلمين من التعليم بمعاونة من القوى الاستعمارية ، واغلقوا ابواب دور التعليم على وجه كل من لا يعتنق الديانة المسيحية او يختار لنفسه الاسم المسيحي بدل اسمه الاسلامي على الاقل . ان الاقلية المسيحية ذات النفوذ التي خلقت بهذه الطريقة هي التي تسيطر البوم من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية على كثير من الدول الافريقية التي معظم سكانها المسلمون . هذا

هو العدوان الصريح الذي عوملت به الدول الافريقية ذات الاغلبية الاسلامية . ان القسم الجنوبي من السودان جعل « محمية » لدعاة المسيحية في ظل الاستعمار الانكليزي ، وقصرت جميع حقوق التعليم والتبليغ فيها على البعثات المسيحية ، وفرضت على المسلمين قيود منعتهم من دخول هذه المنطقة لا لنشر الدعوة الاسلامية فيها فحسب ، بل للاغراض الاخرى ايضا . ولا اكاد افهم : باي دليل يعد هذا الطريق وسيلة نزيهة ومعقولة لنشر الدين . وها نحن في بلادنا نرى ما تتبعه مستشفيات الارشالات التبشيرية ومؤسساتها التعليمية من سياسة يعرفها القاضي والداني . مثالا انها تفرض على المرضى والطلبة المسلمين رسوما واجرا باهظة ، بينما كل من يعتنق الديانة المسيحية توفر له كافة التسهيلات للعلاج والتعليم ، اما مجانا او مقابل اجرة رمزية . ومن الظاهر البديهي ان هذا الطريق ليس من التبليغ في شيء ، وانما هو عملية شراء الدم والمناجزة بالابمان . وعلاوة على ذلك فان المؤسسات التعليمية التابعة للارشالات المسيحية في بلادنا تحاول اعداد جيل لا تعجبه المسيحية ولا الاسلام ، بل بشكل عنصري اجنبيا في جميع نواحي اخلاقه ومدنيته ولفته ومنهج حياته ، ومن الناحية الدينية تنسأ فيه ميول الحادية لا دينية بدلا من الميل الى المسيحية او الاسلام . هل من رجل له الامم بالعقل يستطيع ان يعد كل ذلك من خدمة دينية ؟ هذه هي العوامل التي بموجها لا تعتبر البعثات التبشيرية في الدول الاسلامية على الوجه العام بعثات دينية بل تعتبر خلايا لمؤامرة خطيرة ضد الاسلام والمجتمع الاسلامي .

وانا بدوري ارجو من قداستكم ان تتأملوا نتائج هذه الطرق الخاطئة ، وتحاولوا تحسين ما تنتهجه الارشالات التبشيرية من طرق للدعوة والتبليغ ، باستخدام نفوذكم ومكانتكم .

3 - هناك شعور عام يسود عامة المسلمين نحو العالم المسيحي هو : ان العالم المسيحي يكن حقدا شديدا بالنسبة للاسلام والمسلمين . والتجارب التي نمر عليها بين حين وآخر ، تؤكد هذا الشعور وتعمقه . ومنها ما شوهد اخيرا في الحرب التي اندلعت نيرانها بين العرب واسرائيل . فان الارتياح الذي اعرب عنه في معظم البلاد الاوربية والامريكية بمناسبة انتصار اسرائيل على العرب ترك في قلوب المسلمين في سائر الدنيا اثرا اليما وجرحا لا يندمل . ولا تكاد تجد بلدا من البلاد الاسلامية الا وتراه يعتبر ما ابداه العالم

القرآن وعلمونه في عهد الدولة العلوية الشريفة

للأستاذ العابد الفاسي

- 2 -

ترجمة المقرئ سيدي ادريس المنجرة .

كانت وفاته في محرم عام 1137 في عهد مولانا اسماعيل ، وله من المؤلفات في القراءات يشرح دالية ابن المبارك ، تعرض فيه رحمه الله كما قال ابو القاسم دراوة الشاوي للغاتها واعرابها ومعانيها وتوجيه القراءة بها فاحكم بذلك سابقها وفتح غامضها وبين اسرارها الخ . وله غير ذلك من الكتب في الفن مع كثير من الرسائل والتقاييد مما لا يسع البحث فيه باطناب . ومن هذا القبيل ايضا ولد المترجم قبله اتصالا شيخ القراء بفاس وخطيب مسجد الاشراف بها ، ابو زيد عبد الرحمن ابن ادريس المنجرة ، كان له تضلع كبير في القراءات باختلاف روايتها ومشاركة فعالة في غيرها من علوم الصناعة من لغة ونحو وتصريف . وترجمته طويلة الذيل ، وكتبه بالغة اقصى التحقيق ، ومن اهم كتبه حاشيته الكبرى على شرح الجعبري على الشاطبية وشرحه على فتح المنان ، وشرحه الدالية لابن المبارك وتوفى في الحجة متم عام 1179 في عهد السلطان محيي السنة سيدي محمد بن عبد الله ، ومن اراد استيفاء ترجمته فعليه بفهرسته . عذب الموارد .

ومن علماء هذا الفن الذين حازوا قصب السبق فيه الامام المقرئ الشهير ابو القاسم بن علي بن دراوة الشاوي ، به عرف اخذ فن القراءات على الامام الاستاذ القدوة ابي العلاء ادريس بن محمد المنجرة ، وعلى الشيخ ابي العباس احمد بن مبارك السجلماسي ، وعلى

الاستاذ ابي العباس احمد التقي السجلماسي اللمطي ، وكذلك اخذ قراءة حمزة في تخفيف الهمز وما يوافقه عليه هشام على الشيخ المشارك العارف الاستاذ سيدي محمد بن عبد الرحمن البصري الكناسي ، واجازه بخط يده . ومن شيوخه في الفن ايضا الامام الراضي ابن عبد الرحمن السوسي ، وقد كان من موالى السلطان الجليل مولانا اسماعيل ، وهي مفخرة عظيمة لهذا المترجم . وتدل مرة اخرى على ما كان لهؤلاء الملوك من شغف واعتبار لهذا الفن . ومن كتبه التي وقفت عليها شرح دالية ابن المبارك المغراوي ، وهو شرح مفيد جدا اشبع فيه الكلام على قراءة حمزة في تخفيف الهمز وفرغ منه في رمضان عام ثلاثة وثلاثين ومائة والف ، وسماه (تنبيه السالك الى خيار ثمار دالية ابن المبارك) وله ايضا شرح على الشاطبية امره بشرحها شيخه سيدي احمد بن مبارك . وتقييد على الدرر اللوامع ، وشرح على باب وقف حمزة ، وهشام على الهمز من حرز المعاني ، وحاشية على شرح الجعبري ، ووقفت على نص اجازة البصري المذكور له حلاه فيها بالاستاذ الحافظ المجيد اللافظ المتقن المجود ابو القاسم الشاوي دراوة مولى السلطان مولانا اسماعيل ه .

ولم اقف على تاريخ وفاته ، وممن كان له نصيب وافر في هذا العلم الشيخ الامام المجتهد النظار ابو العباس احمد بن مبارك السجلماسي اللمطي . ومـ عسى ان اقول في حق هذا الرجل العظيم بحثا وعلم واجتهادا وبراعة وتحقيقا بحيث لو قال فيه الباحث

القدس الشريف على مصراعيه امام الهجرات اليهودية، كما كانت فتحت الحكومة البريطانية ابواب فلسطين امامها تحت انتداب عصبة الامم . ثم انها ستوفر لليهود كافة التسهيلات في شراء الاراضي والابنية في هذه المدينة ، كما وفرتها حكومة الانتداب البريطاني قبل ذلك في فلسطين . فبهذه الطريقة ستحول هذه المدينة في مدة يسيرة الى مدينة يهودية محضة ، سيطر عليها اليهود الذين لا يحترمون المقدسات المسيحية ولا المقدسات الاسلامية .

اعتذر الى قداستكم هذه الصراحة في هذا الرد المسهب على رسالة قداستكم . الا اني كنت ارى من

واجبي ان احيط قداستكم علما بما هي العقبات الحقيقية التي تحول دون تحقيق السلام ، والتي تمس الحاجة الى الخطوات الفعلية لازاحتها . واكرر مرة اخرى ان تعلمونا بما اذا كان هناك من تصرف صادر من العالم الاسلامي يصبح عقبة في تحقيق السلام العالمي . واني سأستخدم النفوذ الذي اتمتع به ، الى حد ما ، في العالم الاسلامي لازاحة هذه العقبة ، واسترعي انتباه قادة العالم الاسلامي ايضا الى ذلك . والسلام على من اتبع الهدى .

ابو الاعلى المودودي

امير الجماعة الاسلامية بباكستان

- صخرا على صخر !! -

اقول لهم في ساعة الدفن : خففوا علي ، ولا تلقوا الصخور على قبوري
الم يكف هم واحد قد حملته
فاحمل بعد الموت صخرا على صخر
احمد شوقي

الفاسي هذا الف الكثير في هذا الفن ، وتعرف له عدة موضوعات حرر فيها المناط وكان له القول الفصل في ميادينها ، ومن كتبه في هذا الفن كتاب المحاذي الذي يقع في مجلدين ، واسمه الكامل : (اتحاف الاخ الاود المتداني لمحاذي حرز الاماني) . او (وجه التهاني بما يفك اسر المعاني من فوائد النشر وكنز المعاني) . وقد اتى رحمه في هذا الكتاب بالشئ الغريب المدهش وكان عند القراء المغاربة في العصور المتأخرة بمنزلة المدونة في فقه مالك .

اما بقية كتبه في الفن فهي الآتية :

شرح دالية ابن المبارك السجلماسي في وقف حمزة وهشام على الهمز وهو المسمى بالقطوف الدالية في شرح الدالية .

وحاشية على شرح الجعبري لحرز الاماني .
وحاشية على الجرابري لشامية ابن الحاجب التصريفية وهي تمت الى القراءات بالشئ الكثير في سفسر ضخمة .

وطبقات القرنين .

وفهرسة اشياخه في القراءات نظما وفهرسته النثرية .

تسهيل المعارج الى تحقيق المخارج جزء متوسط حاز الدرجة العليا في تحقيق مخارج الحروف وصفاتها .

ونظمه في سر تقديم احدي وجهي الخلاف في الاداء سماه ابراز الضمير في اصرار التصدير .

واغلب هذه الكتب قد قرانها وعرفنا كثيرا من فصولها الممتعة وحتى حاشيته الكبرى على شرح الجرابري ، فقد وقفت على نسخة منها بخط المؤلف بالخزانة الملكية رقم 3058 ، ويوجد بأول ورقة منها بخط الامير الصالح ما صورته بنصه ولفظه : اشتريناه من ورثة شيخنا المذكور آخر المحققين من لم يدركه في هذا الفن المتقدمون سليمان . وعقب هذا كتب الامير المذكور كلمات اصابها تلاش يفهم من فحواها وقف الكتاب المذكور على العالم بهذا الفن ، واجوبة المترجم كثيرة في الموضوع ربما بلغت المجلدات .

والشئ الذي نأسف لعدم العثور عليه هو كتابه في طبقات القرنين ، وترجمة هذا الشيخ واسعة جدا ، ولا تزال آثاره العلمية ناطقة بعلو كعبه ومشاركته في كثير من الفنون ، وقد ترجمه كثير من تلاميذه سواء في مطلق العلوم او في خصوص الدراسات القرائية ،

وقد قسم ابو الربيع الملك الصالح في ترجمته من العناية لتلاميذه الى اربعة اصناف . صنف اخذوا عنه قراءة القراء بالروايات افرادا وجمعا مع تحقيق احكامها في مجالس الدرس ، وصنف اخذوا عنه قراءة القراء كذلك ، لكن لا مع تحقيق الاحكام بل بمجرد الدراسة او السماع فقط . وصنف اخذوا عنه ما سوى القراءة واحكامها من فنون العلم فقط . وصنف اخذوا عنه كلا من القراءة باحكامها وغير ذلك من سائر فنون العلم - ثم فصل الامير تلك الاصناف وعين لكل صنف جماعات عدا الصنف الاول ، ثم قال : واني والحمد لله من هذا القبيل فقد قرأت عليه ختمات شتى من كتاب الله برواية ورش عن نافع قراءة تثبت وتجويد ، واستفدت من علومه بالذاكرة في غالب الفنون ما وجدت بركة الانتفاع به في ديني ودنيائي وسمعت من حكمه ومواعظه ووصاياه ، ونصائحه ما تتأثر به القلوب القاسية وتنقاد له النفوس الايية . الى آخر كلامه ، توفي رحمه سنة اربع عشرة ومائتين والفس .

ومن المتأخرين ممن برزوا ايضا في هذا الفن الاستاذ القرني الكبير ابو العلاء ادريس بن عبد الله الحسني الودغيري عرف بالبدرابي ، اخذ هذا العالم عن عدة اشياخ ، في مقدمتهم : شيخ القراء في عصره ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي عن شيخه المنجرة عن والده .

خطب بمسجد الرصيف ثم بالقرويين لمدة معينة وكانت وفاته في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام في محرم سنة تسع او ثمان وخمسين ومائتين والفس ، وترك من الكتب في هذا العلم عدة انظام ورسائل ومؤلفات ، منها حاشية على الجعبري على الشاطبية ، وشرح الدالية للاستاذ محمد بن مبارك السجلماسي في موضوع تخفيف الهمز لحمزة وهشام ، وكتابه الشهير التوضيح والبيان في مقرا نافع المدني بن عبد الرحمن ، ورسائله في همزة الوصل وفي الالف التي تزداد في الخط .

ومن كتبه القيمة شرحه على نظمه المسمى (عمدة البيان) ، وموضوعه ذكر المحذوف في القراءان من الفات وردت في المصحف كما رواها نافع رتبها على حروف المعجم ، وكانت بين المترجم وبين السلطان ابي الربيع علاقة قوية ، وحين نظم حقيقة الروم والاشمام في ابيات ثلاثة قال فيها على طريقة الغزل :

انه اكبر من كل ترجمة تحاول استقصاء معارفه ومشاركته لكان صادقا في قوله وكل مؤلفاته وكتبه تدل على عبقرية نادرة قل وجود مثلها في كثير من الازمان ، وحسبنا الان ان نتحدث في جملة موجزة عن براعته في فن القراءات ، وقد عثرت له على الشيء الكثير من مقيداته في بحوث خاصة تتعلق بهذا العلم ، ومن عادته رحمه الله في كتابته ان يحيط بالمسألة خبرا من جميع جهاتها ويصدر حكمه الفاصل عن روية واستنتاج صحيح ، وقد ذكر له تلميذه ابو القاسم الشاوي شرحه على دالية ابن المبارك ، قال : وقد شرح بعضها ايضا الفقيه المشارك العالم الزاهد الاستاذ المجد شيخنا ابو العباس سيدي احمد بن مبارك السجلماسي اللطفي فتصفحته عنده ، وربما استفدت منه مسائل ... اتى فيه بالقول الجميل وبالمباحث التي يعجز عنها علماء هذا الجيل .

وفي عصر السلطان ابي الربيع سليمان بن محمد العلوي بلغ هذا العلم درجة كبيرة في الاوساط حيث كان السلطان المذكور متشبعا بروح القراءات وتعاليمه متفانيا في احياء علومه ودراسة قراءاته ، مهتبلا باخذ الفن عن شيوخه المبرزين فيه ، والتاريخ يحدثنا عن علاقته المتينة التي كانت بينه وبين شيخه الاستاذ الكبير شيخ القراءات والمبرز في علوم اللغات ابي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري حتى بلغ من اجلال السلطان المذكور له ان وضع تاليفا خاصا في بيت شيخه وعائلته سماه : (غناية اولي المجد بذكر آل الفاسي بني الجد) ، واني لاستغرب من بعض الباحثين الذين يستفيدون بعقولهم ومالوفاتهم ان يؤلف أمير وسلطان في بيت من البيوتات العلمية او أسرة من الاسر العريقة لسبب من الاسباب يحمله على ذلك ، ويقولون كيف يمكن ان يتنازل امير من سموه وعرشه الى التأليف والتنويه بأفراد من شعبه ، والعادة ان العلماء من افراد الشعب هم الذين يكتبون في مناقب امرائهم وحوادث ايامهم ، نقول لهؤلاء مهلا على رسلكم فليس الناس سواء وليس الامراء او الملوك في هذه الدولة العلوية الشريفة كباقي الامراء او بعضهم في دول اخرى . وقد قدمت ذلك في طليعة المقال ما كان عليه رؤساء هذه الدولة الشريفة من اجلال واعظام واكبار لاهل العلم عموما . وقد ذكروا في تاريخ مولاي الرشيد انه كان يحضر دروس العلماء بالقرويين ويناقشهم في دقائق المسائل ، وقد قال العلامة ابو علي اليوسي في احدى رسائله لمولانا اسماعيل . بعد كلام في العلم ورفع درجة اصحابه ، قال : ثم جاء المولسى

الرشيد بن الشريف فاعلى للعلم مناره ووضح نهاره واكرم العلماء اكراما لم يعهد واعطاهم ما لم يعد ، ولا سيما بمدينة فاس ففضح من قبله واتعب من بعده الخ . وهكذا قالوا في السلطان مولانا اسماعيل في تقدير العلماء والاعلاء من شأنهم ورفع مقاماتهم حتى ان المؤرخين نقلوا عنه بمناسبة حفلة اقيمت بالقصر العامر حيث ختم الامام محمد بن الحسن المجاصي تفسير القرآن الكريم . حكوا عنه اشياء غريبة في تواضع الملك الجليل مما كان له وقع كبير وصدى عظيم في كل الاساطير الاسلامية داخل البلاد وخارجها حتى بلغ اثره مختلف البلاد الاسلامية ، وقد اشار الى هذه الحادثة التي تدل على سمو اخلاق اتصف بها مولانا اسماعيل - الشيخ مرتضى الزبيدي في شرح الاحياء ، ونقله عنه العلامة مؤرخ الدولة العلوية سيدي عبد الرحمن ابن زيدان في كتابه « الدرر الفاخرة » ، وهذه اعظم في الواقع منقبة من التأليف في شعبة حملت نور العلم قرونا متتابعة ، وكان لاحد امرائنا الجليلة علاقة قوية باحد افرادها ممن كان له تضلع قوي في كثير من العلوم وخاصة فن القراءات بأسلوبها العلمي ، على ان الامر ينتهي التردد فيه بنص نذكره الرحالة بلقاسم الزباني في كتابه « جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر اشياخ مولانا سليمان » قال عند ذكر مؤلفات الامير المذكور : (ثم تاليفه في السادات الفاسيين وذكر نسبهم وعلمائهم بالاندلس وبفاس لما استوطنوها ، وذكر جميع من كان من علمائهم وصلحائهم واهل الخير اظهارا لمكارمهم ومحبة في جانبهم وحرصا على بقاء ذكرهم وذهاب اكثرهم تكرمة لشيخهم الذي اخذ عنه ، وهو الفقيه المقرئ الكبير والعلم الشهير السيد محمد بن عبد السلام الفاسي رحمه الله) .

فهل يمكن بعد هذا النص ان يتطرق وهم في صحة نسبة التأليف الى هذا الامير الصالح ، وهنا يقال : قد قطعت جبهة قول كل خطيب .

ومن الملاحظ ان هذا النص صادر من شخص له مشاحنات ومنازعات مع افراد من اهل هذا البيت معاصرين له ، وليس المحل مناسباً لاتمام هذا البحث وكيفما كان الحال فان الامير ابا الربيع نفسه كان احد شيوخ هذا الفن والمتعاطين له بامعان وعمق ، وقد وقفت له عن رسائل تكلم فيها باسهاب عن اشكالات وانتقادات خطرت بباله في كثير من وقوف القراءان التي يرتئها الامام الهبطي ووافق على كثير من ابحاثه جماعة من اهل العلم في عصره . والشيخ ابن عبد السلام

القرآن الكريم

”وترهات“ بعض المستشرقين

للاستاذ عبد الله العمري

- 2 -

مغامز أخرى :

« اتهم الاخيريون (يقصد اهل مكة) النبي بأنه كان يدون الخرافات واساطير الاولين التي حكاهها له الاجانب » .

وهو يشير بذلك الى جزء من الآيات الكريمة (4 - 6) من سورة الفرقان ، قال تعالى : « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا ، قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض » .

امية النبوي (ص) :

ولعله يستند في احتجاجة ببعض هذه الايات الى كلمة (اكتتب) التي من معانيها : كتب ، ولا حجة له في ذلك من عدة اوجه :

يحاول هؤلاء المستشرقون ان يضللوا ابناء جلدتهم بما يكتبونه عن الاسلام ، ويحاولون في نفس الوقت ان يشككوا المسلمين في بعض معتقداتهم التي ايدها التاريخ ، وشهد بها العقل ، واتفقت عليها الامة الاسلامية جمعاء ، وعززها البحث العلمي الصحيح ، كما اظهرت بعض النقوش التي اكتشفت في شبه الجزيرة العربية صدق ما جاء به القرآن ، ونص عليه في بعض سورة .

ومن علائم التضليل التي يلجأ اليها هؤلاء ، استشهادهم ببعض الآيات والاحاديث على طريقة « ويل للمصلين » اي أنهم ياتون بما قال الكفار المعاندون للنبي (ص) وصحبه ، ويتركون الجزء الخاص بالرد عليهم من القرآن ؛ فهذا هو ذا المستشرق الانكليزي الذي اشرنا اليه آنفا يقول :

1 - ان معنى اكتتب هنا : استكتب او استنتج ، اي طلب ان يكتب له ، ان عرب شبه الجزيرة كانوا ادري بلغتهم ؛ اذ لو كانوا ارادوا خط يده وتدوينه هو لما يلقي اليه ، لكانوا قالوا - بكل بساطة - : (كتبها) ولكنهم قالوا : اكتتبها اي انه طلب من شخص آخر ان يتولى الكتابة عنه ؛ تماما كما نقول اليوم : « اكتتب الشعب المغربي لنكبة فلسطين بعد حرب خامس يونيه 1967 » اي ان افراد الشعب المغربي طلبوا تسجيل اسمائهم ضمن المتبرعين للنكبة ، لا ان كل فرد تولى كتابة اسمه بنفسه . ولا يعمر على هذا المعنى جملة (تملى عليه) فمعناها : تقرأ عليه اي على كاتبه ، فهنا تجوز كما لا يخفى ، اذن لا حجة لهذا المستشرق ومن لف لفه في قول المكين وادعائهم .

هذه خطرات وارتسامات تتعلق بنشاط فن
القراءات في الازمنة المختلفة لهذه الدولة العلوية
الشريفة التي برهنت في جميع حقبة التاريخية على
ما لها من رغبة صادقة في نصرة هذا الدين الاسلامي
والاخذ بيد حملة العلم القائمين بالدعوة الى دين الله
والاستمسك بعروته الوثقى .

ولسنا ندعي ان هذا البحث القصير يفي بجزء
من آلاف الاجزاء مما يلزم ان يقال ويكتب هنا سواء في
فاس او غيرها من مختلف العواصم المغربية .
ويتعين ان نستحضر هنا مراکش ، ودكالة ، والاخماس
وبني يحمّد ، وبني زروال ، والجاية ، وشفشاون ،
والقصر الكبير ، ومناطق سوس الشاسعة ، وازمور ،
والرباط وتمكروت ، وسلا ، وغير ذلك من الاقاليم
والقرى التي لا تقل درجة عن فاس وناحياتها .

وانما هدفنا الان ان نلم المامة ونشير اشارة الى
ما كان لهذه الشعبة من شعب علوم القراءان من المكانة
والاعتبار سواء في الاوساط الشعبية او عند ملوكنا
العلويين قدس الله ارواحهم ، وبذلك نضع اللبنة
الاولى في هذا البحث الذي نرجو ان يتسع ويأخذ
حظا وافرا من اوقات اهل العلم والدراسة .

وجلالة مولانا الملك الحسن الثاني الذي له القدح
المعلى في هذه المضمارات هو الذي نوجه الى جلالته
الرغبات الملحة في احياء هذا الفن وتنشيط علمائه
وفتح لمعاهد العالية له على غرار ما فعل حفظه الله في
دار الحديث الحسنية وهي ماثرة عظيمة لجلالة
الحسن الثاني ستبقى مخلدة له في صفحاته الذهبية .
نريد من جلالة الملك ان يتوجه بانظاره الشريفة الى
احياء هذا الفن الذي اشتغل به اسلافه الاكرمون ،
ونرى ادخال هذه الشعبة القرآنية الى المعاهد والجامعات
شيئا ضروريا ، وله اثر قوي في الرفع من مستواها في
فقه اللغة والادب ، حفظ الله مولانا الامام وأحيا به ما
اندرس من هذه الفنون الاسلامية العتيقة ، وبارك في
ولي عهده وسائر افراد عائلته الكريمة .

فاس : العابد الفاسي

ضمنت لاشمام لتفعل مثله
فضنت وجاءت في القراءة بالاصل
فرمت باخفاء لكي تدرك المنسى
فقبلت اشيخ الذكر فاقرأه بالوصل

فان وقوفي يقتل الصف حسنه
فقلت لها قفي فقد لذ لي قتلي

والايات الثلاثة المذكورة نقلها المترجم في كتابه
التوضيح .

ونقل المؤرخ الشريف ابن زيدان ان السلطان ابا
الربيع اجازه عنها بمائة مثقال لكل بيت . وكتابه
التوضيح هذا مفيد جدا في بابه ، وقد افه باشارة من
الملك العادل ابي الربيع كما ذكره المترجم . وكانت
بينه وبين الشيخ المقرئ الاستاذ اللغوي ابي الحسن
علي الللاح مناقشات ربما بلغت الحدة في بعض
مراحلها ، وكان الللاح هذا بارعا في الفن ايضا ، وله
موضوعات في القراءات وغيرها ، منها حاشية له على
شرح لامية الافعال لابن عبد السلام الفاسي المذكور اولا

وممن برع في هذا الميدان من المتأخرين شيخنا
العلامة شيخ الجماعة ابو العباس سيدي احمد ابن
الخياط الزكاري الحسني ، له حاشية على كتاب
التوضيح لشيخه سيدي ادريس الودغيري المتقدم
الذكر ، ومنها رسالة في شرح مخارج حروف خاصة
يقع اخراجها من غير مخارجها في تلاوة كثير من القراء
كالجيم والتاء والقاف والضاد ، ومنها تلخيصه لكتاب
القول الوجيز في قمع الزاري على حملة كتاب الله
العزیز للإمام ابي عبد الله بن عبد السلام الفاسي وهو
في الاصل جواب عن اسئلة ترجع الى علم القراءات .

وقد بقى علينا الحديث عن شخصية لامعة في
هذا الفن ايضا وهو الاستاذ العلامة ابو علي الحسن
ابن محمد اللجائي دارا المدعو كنبور ، وان اتاحت لنا
الفرصة عدنا الى ترجمته في ذيل نتعرض فيه لكثير من
هؤلاء العلماء المغمورين الذين لا يذكرون في المجامع
التاريخية الا قليلا .

يبصره بنفسه ، او يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ، ولم يضره ، ولم يزر به انه لم يعرف علوم العالم ، لا قديمها ولا حديثها ؛ لانه كان بنفسه غنيا عن كل ذلك ؛ ولم يقتبس محمد من نور اي انسان آخر ، ولم يفتر من مناهل غيره (2) .

اما الكاتب الامريكى هيلير V M. Hillyer فيقول : « ومن وقت لآخر ، كانت تنزل على النبي آيات من السماء ، ولما لم يكن في استطاعة النبي ان يقرأ او يكتب ، فقد كلف آخرين ان يكتبوا له على سعف النخل ، وعند ما جمعت تلك الآيات تألف منها كتاب كبير هو القرآن الكريم (3) » .

هذا ، والصحيح المعول عليه ان امية النبي العربي كانت امرا لا جدال فيه الا من المكابرين المعاندين ، ولا ميته (ص) دلائل قاطعة اهمها :

1 - هذا الجيش العرمرم من جلة الصحابة الذين كانوا يتولون كتابة الوحي عنه ؛ وفيهم من تولى الخلافة عنه وهم ابو بكر عبد الله بن ابي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ؛ وفيهم غير هؤلاء الزبير بن العوام ، وعبد الله بن مسعود ، وابي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وكان هذان الاخيران اكثرهم كتابة عنه (ص) . وهناك آخرون سنذكرهم فيما بعد .

فلو كان صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ، لتولى الكتابة بنفسه ، فذلك اسلم لمن يريد التعديل والتحويل فيما يكتب ؛ اما اذا سجله مسجلون ، ودونه كتاب ، فلا مجال بعد ذلك لاي تعديل او تنقيح .

ب - حينما كانت قريش تستعد لغزوة احد ، وتاهب لثأر لقتلاها في غزوة بدر ، بعث العباس بن عبد المطلب - وكان بمكة - كتابا الى ابن اخيه النبي (ص) يخبره باستعداد قريش وخروجهم اليه . استدعى الرسول عليه السلام كاتبه ابي بن كعب ، وطالب منه قراءة الكتاب ؛ وحينما انتهى ابي من قراءته استكتمه النبي ما فيه ... وهذا دليل على اميته (ص) لانه لو كان قارئا لقراه هو ، وكفى نفسه مثونة تكليف ابي القراءة ، ثم استكتمه فحوى الكتاب .

ج - ما وقع في تحرير معاهدة صلح الحديبية ، فقد املى النبي على كاتبه قوله : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهل بن عمرو ... » فقال سهل ممثل قريش : « والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد ابن عبد الله » . فقال صلى الله عليه وسلم : « والله اني لرسول الله ، وان كذبتوني ... » ثم قال لعلي : « امح (رسول الله) ، فاجاب كرم الله وجهه : « والله لا امحوك ابدا » ، فقال (ص) « ارينه » فراه اياه فمحا بيده الشريفة (4) .

فلو كان الرسول الاعظم يقرأ ويكتب ، لمحا الكلمة دون مساعدة احد .

د - ومثل ذلك وقع حينما وفد على النبي (ص) وفد ثقيف وسألوه شروطا ، فقال لهم : « اكتبوا ما شئتم ثم اتوني به » . وطلبوا من سيدنا علي ان يكتب ويحل لهم الربا والزنا فأبى . وسألوا كاتب الوحي الثاني خالد بن سعيد بن العاص ان يكتب ؛ فنبهه علي الى مطلبهم الصعب ، فقال خالد : اكتب ما قالوا ورسول الله اولى بأمره .

فلما قرئت الشروط على النبي ، وانتهى القارىء الى كلمة « الربا » قال النبي للقارىء : ضع يدي على الكلمة ، فوضعها فقال : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا » ثم محا الكلمة ... وفعل (ص) مثل ذلك حينما بلغ القارىء كلمة « الزنا » اي انه طلب وضع يده عليها فلما وضعها قرا : « ولا تقربوا الزنا » ثم محاها . وامر بالكتاب ان ينسخ من جديد (5) .

هـ - ومن الادلة القاطعة على اميته صلى الله عليه وسلم تلك الآيات الكريمة المتعددة الواردة في القرآن المجيد : قال تعالى : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم ... » وقال : « الذين يتبعون الرسول النبي الامي ... » وقال عز من قائل : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك » .

لغة القرآن :

يقول متعنت : « وفيما يتعلق بالاخير (يعني القرآن) يوجد جدال - كما سنرى بعد - حول ما اذا

- (2) الابطال (ترجمة محمد السباي) ، ص 50 .
- (3) تاريخ العالم (ترجمة ابراهيم ميخائيل عودة) ص 251 .
- (4) جبهة رسائل العرب ج 1 ، ص 31 .
- (5) ابراهيم الابياري : تاريخ القرآن ص 49 .

2 - وعلى فرض ان اكتب بمعنى كتب ، ففي الامر حينئذ شيء من التجوز ايضا ، كما تقول : « جاءني فلان » وانت تقصد خطابه او رسوله . ويكون معنى « تملى عليه » تملى على كاتبه كذلك .

3 - ان قول المكين لا يمكن ان يتخذ حجة على معرفة النبي (ص) القراءة والكتابة ، لان المكين خصوم ، وكلام الخصم لا يطمان اليه ، وحكمه لاغ لانه خصم ، والخصم لا يمكن ان يكون حكما .

4 - ان القرءان الكريم صريح في الرد على هذا الراي القائل ؛ وهو اجدر بالتصديق من قريش .

هذا وقد اورد هذا المستشرق معنى هذه الاية ايضا في ص 62 من كتابه دون ان يكلف نفسه مؤونة الاتيان بما قبلها وما بعدها ، لان ما قبلها وما بعدها حجة تدمغ اقوال المكين ، وتفيل رايهم ، وتنفذ رأي من يسير في ركابهم من المستشرقين المتعصبين .

ويقول في موضع آخر (ص 57) : « وعلى اي حال ، فهناك اثر او حديث مبكر يقول : انه (يعني النبي ص) هو نفسه قد كتب في اليوم الذي ابرمت فيه معاهدة الحديبية . وليس من المحتمل قطعاً ان النبي كان مطمئنا واثقا بشركائه ليقروا له رسالة او - في ايامه الاولى - وثيقة (بوليصة) شحن ، ومن الملح الهزيل ان تدعوه بالنبي الامي كما يفعل بعض اتباعه » .

ويقول مستشرق آخر في كتابه : محمد والقرءان (ص 179) ناقلا عن حديث ، الله يعلم من اين اتى به ، لانه - كسابقه - لا يشير الى المصدر الذي استقاه منه - يقول : « ومن جهة اخرى - حسب حديث آخر - عندما كان محمد يعقد مع المكين هدنة الحديبية ، وعند ما دعا سكرتيه ليتولى تحرير نص المعاهدة ، صاح في وجهه ممثل القرشيين سهيل قائلا : لماذا لا تكتب انت نفسك ؟ مما يشير الى ان المكين لم يكونوا يعرفونه اميا » .

فايا من هذين المستشرقين نصدق ؟ الانكليزي ام الاسباني ؟ الاول الذي يعتمد حديثا ويزعم ان النبي (ص) تولى كتابة شروط المعاهدة بنفسه ؟ ام الثاني الذي يعتمد حديثا ايضا ويدعى ان ممثلي

قريش (سهيل بن عمرو العامري) علف النبي وطلب منه تحرير المعاهدة بنفسه ؟ ليس احدهما بل كلاهما جديرا بالتصديق ؛ فلن نصدق الا التاريخ الذي هو اعظم شاهد يشهد بان النبي (ص) استدعى سيدنا علي ابن ابي طالب - احد كتاب الوحي - ليتولى تحرير الشروط التي كان يملئها الرسول عليه السلام ، بينما كان سهيل يتدخل احيانا لتصحيح بعض الكلمات او املاء بعض الشروط . وفي اعتقادي ان ليس هناك اثر خاص او حديث ماثور ، استند اليه هذا او ذاك ، كل ما في الامر انهما مخطئان ، ومصدر خطئهما سوء فهمهما للنقاش الذي دار بشأن تحرير شروط الحديبية . فقد امر رسول الله (ص) كاتبه علي بن ابي طالب ان يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل : « لا اعرف هذا ؛ ولكن اكتب (باسمك اللهم) كما كنت تكتب [1] » .

فهذه العبارة (اكتب كما كنت تكتب) كانت الفخ الذي وقع فيه هذان الكاتبان . وزيادة في الايضاح اقول : كانت قريش تبدا كتبها بعبارة (باسمك اللهم) وكذا كان يفعل رسول الله في بعض كتبه حتى نزل قوله تعالى : « وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها » فكتب (بسم الله) ، ثم نزل « قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن » فصار يكتب (بسم الله الرحمن) ولما نزل قوله تعالى : « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » اصبح النبي يصدر رسائله كلها بالبسمة كاملة .

وهكذا نرى ان ممثل قريش حينما قال (اكتب ... كما كنت تكتب) انما كان يعني : من كاتبك ان يكتب الجملة التي كنت تستفتح بها كتبك من قبل .

ويتحدث الكاتب الحر توماس كارليل عن امية محمد (ص) فيقول : « ... ثم لا ننسى شيئا آخر وهو انه لم يتلق دروسا على استاذ ابدا ؛ وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذذاك في بلاد العرب . ويظهر لي ان الحقيقة هي ان محمدا لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء واحوالها ؛ وكل ما وفق الى معرفته هو ما امكنه ان يشاهده بعينه ، ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية . » وعجيب - وايم الله - امية محمد ! نعم ، انه لم يعرف من العالم ولا من علومه الا ما تيسر له ان

1 (الاستاذ احمد زكي صفوت : جبهة رسائل العرب ، ص 30 - 31 .

الدكتور محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص 363 .

الشيخ محمد الخضري : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج 1 ، ص 126 .

الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج 1 ، ص 166 .

نظري تقتضي ان النبي (ص) سبق له ان كتب او قرا وحفظ هذا الذي يطلب منه تسميعه او عرضه ؛ تماما كما يسمع التلميذ او يعرض درس محفوظات سبق له ان كتبه او قراه وحفظه اما في الفصل الدراسي او خارجه . وممن ترجم الكلمة بهذا المعنى ارنست رنان (23 - 1892) Ernest Renan المشهور بتعصبه وشعوبيته ضد العروبة والاسلام والساميين عموما

وهكذا نجد من كانت لغته اسبانية مثلا لا يترجم الكلمة (اقرا) بلفظة Lee بل يترجمها بـ Recita ومن كان انكليزي اللغة ترجمها بـ Recite بدل Read وهكذا . بينما كلمة اقرا هنا تتضمن شيئا جديدا ؛ شيئا من المبادأة او المفاجأة ، اي ان النبي (ص) لم يسبق له ان قرا او دون شيئا بيده ، وانما هو سيتاوما يعلمه عليه جبريل عليه السلام . فالقراءة في رايي تشمل ثلاثة انواع :

ا - ان ينظر الواحد منا في ورقة او رسالة او كتاب ، فيقرأ ما يقع عليه بصره ، اما سرا واما جهرا .

ب - ان يقرأ او يردد ما يقال له ؛ كما يفعل الاطفال الصغار قبل ان يتعلموا الخط ؛ ولا تكون هذه القراءة الا جهرا .

ج - ان يقرأ ما كان قد كتبه او حفظه . وكما تكون هذه القراءة سرية تكون جهرية ، فان كانت جهرية كانت تسميعا كل هذه المعاني ممثلة في القرآن الكريم :

فالمعنى الاول يوجد في مثل قوله تعالى في سورة الاسراء خطابا للشخص المحاسب يوم القيامة : « اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » . ورد عن قتادة رضي الله عنه : ان الذي لم يكن في الدنيا قارئا يكون قادرا على القراءة ذلك اليوم (12) ... وقد ترجم الامر بالقراءة في هذه الآية الكريمة ترجمة صحيحة : Read (13) .

ويوجد المعنى الثالث في مثل قوله تعالى في سورة المزمل خطابا للمصلين : « فاقراوا (13) ما تيسر من القرآن ... فاقراوا ما تيسر منه » وكذا في سورة الاسراء « وقرءانا فرقناه لتقرءاه على الناس (13) على مكث » ... فقد ترجم فعل القراءة هنا بالمرادف

غير ان بعض المستشرقين وتبعهم بعض الباحثين العرب ، استغلوا اسلوب القرآن المستقل هذا ليزعموا ان القرآن ليس شعرا ولا نثرا . وهدفهم من وراء ذلك تأكيد شكوكهم حول وجود نثر فني عربي في العصر الجاهلي يستحق منهم الدراسة ؛ مع ان القرآن نزل ليتحدى النثرين في الجاهلية ، فان عجزوا عن محاكاته والاتبان بمثله ، كان ذلك احد اوجه اعجازه، وكان ادعى لتصديق محمد في رسالته الخالدة.

واسلوب القرآن هذا هو الذي خدع العبريين زمن النبي (ص) فقالوا : ان القرآن شعر والنبي شاعر، ذلك انهم قبل ان يقتبسوا من العرب الوزن والتقفية ، لم يكونوا يشترطونهما في شعرهم فظنوا القرآن شعرا.

معنى اقرا :

ان ترجمة القرآن الى اية لغة اوربية تفقده كثيرا من معانيه السامية ، وجمال أسلوبه البديع ؛ وها هوذا أحد الغربيين يشهد بذلك قائلا : « والواقع ان كثيرا من المترجمين الاوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الاصل فحسب ، بل كانوا الى ذلك مغممين بالحقد على الاسلام الى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامل والتفرض . ولكن حتى افضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع ان تحتفظ بايقاع السور الموسيقي الاسر ، على الوجه الذي يرتلها به المسلم ، وليس يستطيع الغربي ان يدرك شيئا من روعة كلمات القرآن وقوتها ، الا عند ما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الاصلية (11) » .

وفي نطاق ذلك المعجز المشفوع بالحقد والتحامل والتفرض ، ما نجده عند الذين حاولوا ان يهزوا بالعرب والعروبة والاسلام حينما ترجموا بعض مفردات القرآن بما يتفق وهواهم ودعاويهم المفرضة . لقد فسروا لنا - مثلا - كلمة (اقرا) التي وردت في الحديث النبوي الشريف ، وافتتحت بها اول سورة نزلت من القرآن تفسيراً مدهشا ، وغرضهم من ورائه بالطبع ان يفهموا القارئ العربي ما لم يكن ليفهمه من الكلمة الاصلية ، او يحملوا تلك الكلمة ما لا تقدر على تحمله . اجل ، انهم يترجمون كلمة (اقرا) بكلمة (سمع) او (اعرض بلفة « السيد « عندنا) فهذه الترجمة في

(11) روم لاندو : الاسلام والعرب (ترجمة منير البعلبكي) ص 36 - 37 .

(12) الزمخشري : الكشاف ج 2 ، ص 354 .

(13) N. J. Dawood: The Koran, p.p. 235, 59, 228, 26, ed. 1961.

كانت اللغة التي املى بها محمد كتابه كانت دارجة قرشية رفعت فيما بعد الى درجة اللغة الرسمية للعرب ، او انها كانت لغة ادبية ، ذلك الفن المستخدم بصفة خاصة لدى الشعراء ، عربية المملكات او القوائد التي نالت الجوائز في مواسم عكاظ ، والتي جمعت في ديوان الحماسة (6) .

واقول لهذا ما ذا ترى من فرق جسيم بين لغة قريش ولغة المملكات ؟ هل لغة قريش هي شيء آخر غير تلك اللغة التي كان يقرض بها شعراء الجاهلية مثل عنتره وزهير والناطقة اشعارهم ؟ هل يوجد خلاف بين لغة هؤلاء الشعراء ، ولغة القراء الكريم ؟ .

ان احدا لا يستطيع ان يتصور وجود خلاف بين لغة هؤلاء الشعراء وامثالهم ، وبين لغة قريش ؛ او بين هاتين وبين لغة الشعراء الجاهليين الذين وصلتنا اشعارهم ومملقاتهم ، فلفات القبائل العربية - ان صح ان نطلق على لهجة كل قبيلة لفظ لغة - هي ذات منبع واحد ، واصلا لا يختلف ، وقد اختلفت الفروع اختلافات طفيفة نتجت عن تباعد المسافة وظروف اخرى محلية من طبيعية واجتماعية ؛ ولكن الاتصالات بين القبائل والتقاءاتها المنتظمة بسبب الحج والحرب والتجارة والاسواق والمواسم التي كانت تقام بين فترة واخرى ، كل ذلك جعل الصراع بين لهجاتها قائما على قدم وساق ، وجعل احداها تنتصر على ما عداها ، وهي لهجة قريش التي لم تسلم من احدى نتائج الصراع وهي احتفاظها ببقايا من اللهجات المغلوبة على امرها . وبما ان فترة الصراع بين هذه اللهجات سبقت ظهور الاسلام ومجيء الشعراء الجاهليين المعروفين لدينا ، فان القراء والشعر الجاهلي جاء بلغة (7) قريش ، وهذا امر طبيعي ، لان القراء - معجزة محمد الباقية - نزل ليتحدى العرب كافة ؛ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان الشاعر - لسان قومه والذائد عن مفاخرهم - انما كان يقرض شعره باللغة المفهومة لدى جميع العرب .

ورد في الحديث النبوي الشريف : « انزل القراء على سبعة احرف » . ووجه هذا الحديث عدة توجيهات

(6) Mahoma y el Koran, p. 174

(7) الدكتور علي عبد الواحد وافي : قصة اللغة ، ص 104 و 108 ، طبعة خامسة 1962 .

(8) ابراهيم الايباري : تاريخ القراء ، ص 83 .

(9) محمد حقي النازلي : خزانة الاسرار ، ص 9 .

(10) المقدمة ص 499 ، ط . القاهرة 1930 ، ثم الاسكندري وعناني : الوسيط ، ص 100 ، والسباعي بيومي : تاريخ الادب العربي ، ص 2 ، ص 36 ، والدكتور محمد نبيه حجاب : بلاغة الكتاب ، ص 47 ، طبعة اولى 1965 .

من اهمها ذلك الذي يفسر الحرف باللغة ، اي ان القراء عربي اللسان نزل معظمه بلغة قريش واقله بلفات قبائل مضرية اخرى ست هي : كنانة بن خزيمه ، واسد بن خزيمه ، وهذيل بن مدركة ، وضبة بن طابخة ابن الياس بن مضر ، وبنو سعد بن هوازن بن قيس عيلان ، وثقيف بن هوازن ايضا ؛ فهذه القبائل بالاضافة الى قريش كلها مضرية ؛ ولغاتنا كلها ممثلة في القراء الكريم ، وهي متقاربة بالطبع ؛ قد تختلف في معنى كلمة او في اعرابها او في نطق بعض حروفها ، وقد تختلف في مثل الترفيق والتفخيم والابدال والامالة وما اشبه ، وهذا امر طبيعي في سائر اللغات ولدى سائر الشعوب ، ولكنها - مع ذلك - كلها عربية مضرية سليمة غير ملحونة .

يقول احد الباحثين : « وهذا الوحي الهم الرسول معناه كما الهم لفظه ، فهو بمعناه ولفظه من صنع السماء ، والرسول ناطق بلسان السماء يملئ على قومه ما املته عليه السماء ، يصور ما تصور في وعيه ، وينطق بما انطقته السماء . ولسان الرسول عربي ، ولهذا جرى القراء على لسانه عربيا (8) » .

وفي هذا المجال يقول احد العلماء : « القراء معنى قديم قائم بذات الله تعالى ، يلفظ ويسمع بالنظم الدال عليه ، ويحفظ بالنظم المخيل ، ويكتب بنقوش وصور واشكال موضوعة للحروف الدالة عليه ، كما يقال : (النار جوهر محرق) ، يذكر باللفظ ويكتب بالقلم ، ولا يلزم منه كون حقيقة النار صوتا وحرفا (9) » .

وجمهور العلماء ومؤرخي الادب العربي على ان القراء من نوع النثر ، وان كان يمتاز عن النثر العربي المعهود بميزات جعلت له شخصيته المستقلة واسلوبه الخاص . يقول ابن خلدون : « واما القراء وان كان من المنشور الا انه خارج عن الوصفين (السجع والنثر المرسل) وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا ، بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتها الكلام عندها ، ثم يعاد الكلام في الآية الاخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية (10) » .

أشهد أن لا إله إلا الله محمدٌ في مجال البطولة

البطولة العسكرية

بقلم الأستاذ أنور الحيدري

التسليم ، ومن مواقفه الرائعة : مسيره بالجيش من العراق الى الشام في مغارة لا ماء بها ، يوم اعطش الابل ثم سقاها وكمم افواها ومضى ينحرفها على مراحل الطريق فيروي الناس والخيل .

(2) و « سعد بن أبي وقاص » : الذي اقتحم نهر دجلة برجاله فعبر الى الضفة الاخرى ، وكان العرب لا يعرفون البحر فدفع ستمائة من رجاله على رأسهم عاصم بن عمر على خيولهم ، فما بلغوا الضفة الاخرى ، اندفع بفرسانه الى لجة النهر فامتلاً بالخيول فلم يكن مأوه في تلك الساعة ليري ، ولعله مما لم يقع لقائد أن يقود معركة حاسمة وهو منبطح على وجهه ، وفي صدره وسادة يشرف على الناس في ميدان المعركة ويرمي بالرقاع فيها امره ونهيه ، ولكن ذلك ما وقع لسعد في القادسية التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً فقد كره ان يدير المعركة من وراء ستار ، فوقف ذلك في عضة الناس ، فقال : احملوني واشرفوا به ، على الناس ، فلما واجه الجند هتفوا وهللوا فناداهم بقوله : اذا سمعتم التكبير مني فشدوا شموع بغالكم ، فاذا كبرت الثانية فتهيئوا ، فاذا كبرت الثالثة فشدوا النواجز على الاضراس واحملوا .

(3) و « عقبة بن نافع » : الذي انطلق في عشرة آلاف يزحف ويخترق تونس والجزائر ويذهب الى بلاد الزاب وينتصر على الروم حتى وصل طنجة ، وهناك وقف ونظر الى الشاطئ الآخر ، حيث تستوي اسبانيا ، وفكر في اقتحام البوغاز ، ولكنه فضل ان يتجه جنوباً

ان اشد ما تحتاج اليه امتنا اليوم هو التماس « القدوة » في تاريخنا والبطولة في ماضينا والعبرة في تراثنا العربي الاسلامي الحي المتجدد المرتبط بالحياة لا ينفك عنها . هذا التراث الحافل بالبطولات والمواقف الخالدة التي قامت على الايمان الصادق بالاهداف الرفيعة والمثل العليا والقيم الانسانية . ولطالما كان التاريخ سلاحاً بعيد المدى في مواقف التحدي وساعات الحرج التي تمر بها الامم . ولطالما كانت اعمال الابطال والقادة منارا يضيء الطريق امام الامم في ابان يقظتها واوان التطلع الى مواقف الشرف والفخار . ما اوجنا الى مراجع هذه البطولات من وجهة نظر مسلمة ، لا تقدر البطولة الا على انها عمل ايجابي يضيف لبنة في بناء الاسلام نفسه ، وليس ذلك التقدير الغربي ، القائم على تقديس الفرد او تكريمه لشخصه ، فالاسلام ينظر الى اعلامه وقادته على انهم حملة الالوية على رأس الموجات والمراحل ، يجددون شباب الاسلام في مجالات الدفاع عنه والدعوة اليه وبناء حضارته وتصحيح مفاهيمه . ولقد كانت ابرز مفاهيم الاسلام في البطولة هي بطولة القوة واليقظة والمقاومة والرباط في سبيل الله .

(1) فهذا « خالد بن الوليد » : الفاتح البطل الذي لم يهزم قط . والذي كان كالحقضاء النافذ يحصد حصداً ولا يدع لخصمه فرصة للنصر ، فما ان يدخل المعركة حتى يتجه الى قائدها في كتيبة من المايهين على الموت فيبارزه ويقضي عليه فتنهار معنوية جيشه ويضطر الى

الصحيح في اللغة الانجليزية Recite لان القراءان هنا في معنى التسميع والتلاوة بعد الحفظ .

اما المعنى الثاني فيوجد في مثل الحديث الشريف الوارد عن السيدة عائشة ام المؤمنين : « ... فجاءه الملك فقال : اقرا ! قال : ما انا بقارىء ... » وفي مثل قوله تعالى : « اقرا باسم (13) ربك الذي خلق .. اقرا وربك الاكرم ... » وهذا المعنى هو الذي لم يوفق المستشرقين الى ترجمته ترجمة صحيحة ، او لم يريدوا ان يوفقوا اليها ؛ فكتبوا : Recita او Recite بينما الواجب ان يقولوا : Lee او Read فهذا هو المراد هنا :

هذا وقد وفق أصحاب مكتبة Bergua في ترجمتهم للقراءان حيث ترجموا اول سورة العلق باللفظ (14) المناسب . اما مترجم كتاب فيليب حتي « تاريخ العرب » الى الاسبانية فأتى بكلمة اخرى غير ما سبق وهي كلمة Habla (15) اي تكلم ، وهي ترجمة غير دقيقة ايضا ؛ ولكنها اخف ضررا .

El Koran, p. 507, 4^a ed. (14)

Historia de los Arabes, traducción de L. R. Velasco, p. 90. (15)

The Koran, p. 9. (16)

وليس هذا فحسب ، بل ان سوء الترجمة قد اوقع بعضهم في غلط عربي آخر فادح فلنستمع مثلاً الى N. J. Dawood وهو يقول في مقدمة ترجمته للقراءان الكريم : « واتاه جبريل الملاك ، وقال : سمع ، فاجاب : ما ذا ساسمع ؟ What shall I recite (16) وبدهي ان هذا المعنى ليس مراداً ؛ وانما المراد : ما انا بقارىء ، اي لست في العادة من الذين يستطيعون القراءة .

لقد خفى عليهم امر (ما) هذه فحسبوها استفهامية بمعنى (اي شيء) او (ماذا) بينما هي في الحقيقة نافية بدليل الباء التي زيدت في خبرها . ولعل هذه احدى الدقائق التي لم يتفطن لها هؤلاء الذين يدعون العلم بلغة العرب واسرارها ، ويتهجمون على القراءان ومعانيه والفاظه وتراكيبه واعجازه ؛ ومع ذلك لا يلبثون ان تفضحهم كتابتهم ، وينم عنهم عجزهم ، ويعميهم الهوى والتعصب .

(يتبع) تطوان : عبد الله العمراني

قال ابو عبد الرحمن السلمي :

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ، كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما ، انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

11) و « النعمان بن مقرن » فاتح نهاوند وشهيدها،
وفي اشد المعارك هولا زلق فرسه في الدماء فصصرع
الفرس واصيب النعمان ثم صرع ، وكانت آخر كلماته
لاخيه « عجل بالبشارة الى امير المؤمنين وتناول اخوه
نعيم بن مقرن الراية فدفعها الى حذيفة بن اليمان ،
شارك في فتح العراق وفارس مع المثنى وابى عبيدة وكان
طليلة وفد سعد بن ابي وقاص الى يزيدجرد .

ان صورة البطولة العسكرية في تاريخ الاسلام
حافلة بالمواقف الخالدة ، ليس في مواقف الاعلام البارزين
فحسب ، بل في اعمال المسلمين الذين كانوا يؤمنون بان
الحرص على الموت هو مصدر الحياة .

ولعل اصدق وصف للمسلمين في هذا المجال هو
ما صورته احد جنود المقوقس في مصر حين قال :
« رايت قوما الموت احب اليهم من الحياة ،
والتواضع احب اليهم من الرفعة ، ليس لاحد منهم في
الدنيا رغبة ولا نهمة ، اميرهم كواحد منهم ، ما يعرف
كبيرهم من صغيرهم ، ولا السيد من العبد ، اذا حضرت
الصلاة لم يتخلف منهم احد » .

ولكن هل كان جانب البطولة العسكرية وحده هو
اعظم جوانب البطولة الاسلامية ، الحق ان هذه
البطولة كانت حافلة بالنماذج الباهرة في كل مجال ،
فالى صورة اخرى .

(القاهرة) — انور الجندي

قال الاحنف : راس مال الادب المنطق وفصاحته ، ولا خير في قول
الا بفعل ، ولا في مال الا بجود ، ولا في صديق الا بوفاء ، ولا في ثقة الا
بورع ، ولا في صدقة الا بنية ، ولا في حياة الا بصحة وامن .

الى بلاد السوس الأدنى ، ثم سار متجها غربا بفتح
البلاد حتى وصل شاطئ المحيط ، وكانت لحظة رهبة
في حياته ، فقد دفع حوافر فرسه في البحر حتى كاد
يغمره الماء ، وهو يتطلع الى المحيط في اتساعه ولا
نهائيته ، وقال كلمته الخالدة « والله لو أعلم أن وراءك
أرضا لذهبت اليها غازيا في سبيل الله » .

(4) و « قتيبة بن مسلم » : المسلم المجاهد الذي اندفع
من مزارع الزيتون في الشام حتى وصل حدود
الصين ، في جيش كثيف ، وأرسل الى ملك الصين وفدا
فأعاده الملك ساخرا وقال لهم : قولوا لصاحبكم ينصرف
فاني قد عرفت حرصه وقلة أنصاره ، قال : كيف يكون
قليل الاصحاب من اول خيله في بلادك وآخرها في منابت
الزيتون ، وكيف يكون حريصا من خلق الدنيا وغزاه ،
أما تخوفك أيانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت
فأكرمها القتل فلسنا نكرمه ولا نخافه .

(5) و « محمد أبو القاسم الثقفي » : فاتح السند في
الثالثة والعشرين من عمره .

و « أبو عبيدة بن الجراح » : الذي تلفى الأمر
بتولي قيادة الجيش وعزل خالد فرغض أن يبلغ خالد
ذلك إبان المعركة ، وكتبه عشرون ليلة حتى علم به خالد
من غيره ، وظل بين جنده الذي يحبه حتى بدا طاعون
(عمواس) يتفشى في الجند ، وعلم عمر بالأمر ، فأراد
أن يحتال له ليرده ، فكتب اليه يستدعيه وعرف أبو
عبيدة غرضه وقال : يرحم الله عمر ، يريد أن يستبقي
ما ليس بباقي ، فلما جاءه الموت قال لأصحابه : قولوا
لعمر (أمير المؤمنين) أنه لم يبق من أمانتي شيء الا
وقمت به واديت به ولم يكن في بيتي الا سيفه وترسه .

(6) و « موسى بن نصير » : القائد الذي لم يهزم له
جيش قط ، والرجل الذي كان يطمح في أن يطوق أوربا
فيندفع فاتحا لها من الأندلس حتى يصل الى مقر الخلافة
في دمشق بعد أن يمر بفرنسا وإيطاليا والدول الرومانية
الشرقية ، وهو الذي بعث طريف بن مالك ، فطارق بن
زياد لارتياح الأندلس ، وبقي يوالي الإمدادات والنجدات
حتى اتسع الفتح ، هناك مضى من الناحية الأخرى حتى
التقى بطارق ، ومضيا معا الى عاصمة القوط .

(7) و « العلاء الحضرمي » قائد أول معركة بحرية
في تاريخ الإسلام ، أعد مائة سفينة شراعية وانزلها
البحر وأشرف على توزيع جنوده ، وركب معهم بعد
أن أخذ عليهم العهد واليثاق وانساب في عرض الخليج
يحمل جنوده البواسل وسفينة العلاء الكبرى تحمل
علم الإسلام وتسير في المقدمة ورماح الجنود وحراهم

مشرعة وسيوفهم مسلولة ، فلما بلغوا ، نشب القتال
وحمل الوطيس ، وتمزق شمل الأعداء ، وأغرقت سفن
العدو ، وتم للمسلمين النصر ونزل العلاء بجنوده الى
جزيرة « دارين » .

(8) و « طارق بن زياد » : صاحب العزيمة الحديدية
التي تصوره وهو يحرق مراجه بعد أن جاز المضيق الى
الأندلس ، ومهما يكن من صحة الرواية فانها تعطي
صورة عزيمة طارق الجبارة ، وإيمانه العميق بالنصر ،
وقد كتب للإسلام سفحة ماجدة ، ودفع جنوده واندفع
معه ، وقال كلمته الخالدة : « اني لم أحذركم أمرا أنا
عنده بنجوة وأنا أبدا بنفسي » .

(9) و « المثنى » القائد البارح الذي حضر المعارك
مع خالد بن الوليد ثم تولى القيادة بعده ، وتمكن من
مواصلة الفتح ، فتوغل في داخل أرض فارس ، الى
معاملهم الدفاعية رغم احتدام القتال ، فقد اخترق
صفوف العجم وسحق جموعهم الهائلة ، وأوقف غزوهم
السريع ، وفي معركة نهر جوير ، خرج المثنى وكان
يحرس الجسر ، عند تراجع القوات الإسلامية ، بعد
مصرع أبي عبد الله مسعود الثقفي ، وكادت تحيق
الهزيمة بالمسلمين ، لولا أن وقف المثنى على الجسر في
عدة من فرسان المسلمين وحمو مؤخرة الجيش
في ارتداده ، وأثناء عبور النهر أمام هجمات الجيوش
الفارسية الساحقة ، وفي هذه المعركة أصيب ومات
شهيدا ، وفي إبان أصابته كشف حقائق الموقف لخلفه ،
ودله على ما يجب أن يعمل .

(10) و « أسد بن الفرات » : القاضي الذي قاد
أساطيل الفتح والفتية العالم الذي تحول الى أمير من
أمراء البحر بعد سني الستين ، خرج على رأس أسطول
اللواء على ذراعه حتى صار تحت إبطه ، ولما اشتد به
ضخم متجها صوب جزيرة صقلية في تسعمائة فارس
وعشرة آلاف من المجاهدين ، فاستطاع أن ينفذ الى
الجزيرة ويهزم الروم في معركة كبرى ويستولي على
سلاحهم ، وقد استشهد في المعركة ، رأى وفي يده
اللواء ، فلما حمل الناس معه رؤي والدم يسيل مع قناة
الجوع اضطر وجنوده الى اكل لحوم الخيول ، هنالك
سعى اليه بعض من طلب منه العودة الى إفريقيا فغضب
وقال : ما كنت لأكسر غزوة المسلمين وفي المسلمين خير
كثير ومضى في عزمته حتى فتح أغلب البلاد واستشهد
في سرقسطة على اثر أصابته بالطاعون بعد أن كتب
صفحة رائعة في تاريخ البطولة .

(3) ان نهى الاحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات .

(4) ان ندفع بالرفعي الاجتماعي الى الامام .

(5) ان نرفع مستوى الحياة في جو واسع من الحرية . وفي سبيل تحقيق هذه الغايات اعترفت شعوب الامم المتحدة التحلي بالتسامح حتى تعيش جميعا في سلام وحسن جوار . وقد استخدمت شتى الوسائل في ترقية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها . لذا قررت شعوب الامم المتحدة ان توحد جهودها لتحقيق هذه اغراض ..

* * *

تلكم هي الخطوط العريضة لوظيفة الهيئة والتي يعمل لتطبيقها والسهر على تنفيذها أجهزة ضخمة هي : الجمعية العامة ، مجلس الامن ، المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، محكمة العدل الدولية ، مجلس الوصاية ، الامانة العامة ، بالاضافة الى منظمات تابعة لها هي : وكالة غوث اللاجئين ، منظمة الاغذية والزراعة ، منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة : (اليونسكو) منظمة الصحة العالمية ، البنك الدولي للانشاء والتعمير .

* * *

ويدهي ان المثل السامية التي يدعو اليها ويعمل من اجلها ميثاق المنظمة مثل دعت اليها الشريعة الاسلامية ودستور القراء ؛ فهو يدعو الى الاخوة الانسانية ، ومنع الحرب ، والعمل من اجل السلام ، ويقدر كرامة الفرد ، وينص على كون المرأة شريكة الرجل في الحقوق والواجبات ، وبالتالي يدعو الى كل ما فيه تطور وازدهار الامم والمجتمعات في شتى الميادين .

فللدعوة الى الاخوة الانسانية والعمل من اجل السلام العام :

قال تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وقال : (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين) .

تطبيق الاسلام وتمطيطة وتفصيله وخياطته عليها ، متوهمين ان الاسلام لكي يكون دين حضارة ومدنية وتقدم وتطور لابد من ان يكون قابلا للتفصيل على هاتيك النظريات بحيث اذا لم يكن قابلا لذلك عند التجربة فالعيب في نظرهم يقع على الاسلام لا على تلك النظريات ، في حين ان عكس صنيعهم هو الصحيح الذي يؤيده العقل والمنطق ، وتدعمه التجربة والواقع ، اذ الواجب ان نعد الى النظرية الاجنبية فنختبرها ونفحصها بمعيار الاسلام ونصوصه واصوله فاذا قبلها الاسلام قبلناها على اساس انه الاصل وهي الفرع ، وهو الكل وهي الجزء . واما اذا نبت عن الاسلام ، ولم نجد لها في اصل من اصوله ولا فرع من فروعها مكانا فالواجب ان نرميها بعيدا ، بل ان نحاربها معارضين ونعارضها محاربين ، لانها تحمل في طيها بطلانها ، وبين ثناياها تفاهتها وعقمها : (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) . (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) . (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) صدق الله العظيم .

ولنعد الى هيئة الامم المتحدة فنجد انها ولدت يوم 24 اكتوبر 1945 اذ تم فيه تصديق خمسين دولة تمثل غالبية دول العالم المتمتعة بالاستقلال آنذاك على ميثاق هذه الهيئة الدولية التي جاءت وليدة حريين عالميتين متتاليتين ، اهلكتا الحث والنسل ، والزرع والضرع ، واتتا على الاخضر واليابس ، وخلفتا وراءهما الخراب والاضطراب بما تركناه من ملايين اليتامى والارامل والثكالى والعجزة والمشوهين والمشردين والمعتمدين ، الامر الذي كان يدعو في الحاح الى اتخاذ موقف عالمي دولي لمنع الحرب في المستقبل ، واستباب الامن والسلام في شتى انحاء المعمور ، وخرج ميثاق هيئة الامم ليعلن على الناس ما ياتي :

(نحن شعوب الامم المتحدة قد آلينا على انفسنا :

(1) ان ننقذ الشعوب في المستقبل من ويلات الحرب ، خاصة بعد الحرب العالمية الاولى والثانية التي جلبت على الانسانية مرتين احزانا يعجز عنها الوصف في ظرف جيل واحد .

(2) تأكيد ايماننا بالحقوق الاساسية للانسان ، وكرامة الفرد وقدرته ، وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .

الإسلام وهيئة الأمم المتحدة والإسلام

للاستاذ محمد عبد الواحد بناني

حقيقته وجوهره دين متكامل متوازن تأخذ فيه شؤون الآخرة نصيبها الاوفى ولكن في اعتدال ، وتأخذ فيه شؤون الدنيا نصيبها الادنى ايضا ولكن في اعتدال ، فهو اذن يأخذ بنظرية الاوساط التي تقول : ان الفضيلة وسط بين رذيلتين ، اي مرحلة تتوسط رذيلتين : فالجبن مثلا ورذيلة ، والتهور او الطيش ايضا رذيلة ، وبين الجبن والتهور مرحلة وسطى هي الشجاعة ، فالشجاعة اذن فضيلة وخلق جميل . وهي كما رايتم جاءت وسطا بين رذيلتين ، وهكذا بقية الفضائل الاخرى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) .

ولكون الاسلام خاتمة الاديان فقد جعله الباري تعالى منة علينا نحن البشر ، ورحمة بنا واحسانا اليها ، متمشيا مع تطورات الحياة ، صالحا لكل زمان ومكان ، مستوعبا في اصوله ومبادئه العامة جميع ما تفتقت او تفتتق عنه العبقورية الانسانية من معاني الفضيلة والخير والحق والنبيل ، بحيث لا تجد عند التطبيق نظرية ذات معنى انساني نبيل ، او مغزى سامي عميق ، الا وتجد الاسلام قد سبق فدعا اليها ، او على الاقل لا تجد في نصوصه الصحيحة واصوله العامة ما يتعارض معها ، او يتجافى عنها ، وما دام الامر هكذا فان من اكبر الاساءات التي توجه للاسلام باعتباره ديننا ونظاما متكاملا كما ذكرنا ما يتجه اليه بعض المأخوذون بالتيارات الاجنبية معها كان مصدرها ، وبالنظريات غير الاسلامية كيفما كان عقمها وتفاهتها ، اذ يعمدون الى هاتيك التيارات والنظريات فيحاولون

قبل ان ادخل في صميم الموضوع ارى لزاما على ان اهيء الجو النفسي لبعض القراء الافاضل وخاصة الشباب منهم ، هؤلاء الذين اتخيلهم الان يستغربون ، ويحسن نية يتساءلون : ما هي العلاقة بين الاسلام ، وبين هيئة الامم المتحدة ؟ .

ان الدين كما عهدنا يبحث في مسائل الصلاة والزكاة ، والحلال والحرام ، وفي موضوعات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . بينما هيئة الامم المتحدة تبحث في موضوعات السلم والحرب وتوطيد علاقات الاخاء بين الامم ، وفي التعاون الدولي لحل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونحوها .. فما هذا الخلط اذن بين ما هو ديني صرف وبين ما هو دنيوي ، او بعبارة اخرى بين الاسلام من جهة ، وبين هيئة الامم المتحدة من جهة اخرى ؟ .

واؤكد لكم ان هذا النوع من الشباب موجود فعلا ؛ وقد التقيت بنماذج منه في شتى المناسبات وخصوصا بين صفوف التلاميذ في التعليم الثانوي ، وهم معذورون في تصورهم القصير - ولا اقول القاصر - للاسلام ومجالاته الحيوية واهتماماته الانسانية ، فهم في خطب الجمعة ، كما في الدروس النظامية ، كما في غير ذلك من احاديث الوالدين والواعظين ، تصور لهم موضوعات الاسلام واهتماماته كأنها لا تخرج عن دائرة الجنة والنار والترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، بينما الاسلام في

وبهذا أوجد النبي الحكيم والزعيم العظيم محمد عليه الصلاة والسلام تبعه ومسؤولية مشتركة ومتبادلة بين سائر القبائل في جزيرة العرب ، وقد كان عليه السلام بعيد النظر إذ أوجد بجانب مجلس الحكم هيئة للتنفيذ ؛ فكان المجلس مهيب الجانب ، مرهوب الكلمة ؛ نافذ الإرادة ، يقول ويعمل ، وبأمر فيطاع ، ولا سيما والنفوس البشرية تختلف :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلل
مضر كوضع السيف في موضع الندى
فلعل وعسى تصل الإنسانية عن طريق منظمته
العتيدة قريبا إلى النضج السياسي فتعامل إسرائيل
ومن نحا نحوها من أعداء السلم وعشاق الحروب
بالطريقة الإسلامية العملية حتى تفيء الفئة الباغية
إلى الطريق القويم والصراط المستقيم .

الرباط : محمد عبد الواحد بناني

مجلس مهمته القضاء والحكم فيما يقع من خلاف بين طائفة وأخرى ، وان تبعث كل قبيلة بعريفها - وهو رئيس جيشها ! - لتتكون من هؤلاء العرفاء هيئة تقوم بتنفيذ ما يحكم به النقباء وتمين لكل من العرفاء والنقباء كتاب بلغ عددهم اثنين وأربعين كاتباً اذذاك ، وتدل كثرتهم هذه على أن المهمة التي كلفوا بها عظيمة وجسيمة ! .

أما دستور هذه المنظمة فهو قوله تعالى :

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ؛ فان بقت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقتسوا ، ان الله يحب المقسطين .)

وعلى هذا الاساس كان مجلس النقباء يقوم بمحاولة الاصلاح بين الطائفتين المتنازعتين اولاً ، فان بقت وطفقت وتجتت وظلت احدهما ولم تمل الى السلم وآثرت الحرب والاعتداء قرر مجلس النقباء قتالها جماعياً ! .

- من كيدهن -

قال ابو اليقظان : كان يقال لعبد الملك بن مروان : ابو الدبان لشدة بخره . يريدون ان الدباب يسقط اذا قارب فاه من شدة رائحته . قال : ونبت الى امرأة . له تفاحة قد عضها ، فاخذت سكيناً ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : اميط عنها الاذى ، فطلقها .

وقال : (وان جنحو للسلم فاجنح لها وتوكل على الله .) ولحرص الاسلام على « السلام » جعله شعاره ورمزه حيث يتبادل يوميا مئات الملايين من المسلمين قائلين : السلام عليكم ، ومستمعين : وعليكم السلام ! .

* * *

وعن الكرامة الانسانية ، قال تعالى :
(ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

* * *

وعن المرأة عموما يقول الرسول : (النساء شقائق الرجال في الاحكام) ويستثنى من ذلكم طبعاً ظروف خاصة بينها الشرع الحكيم في مكانها .

* * *

واما عن تنظيم المجتمع تنظيمياً ضمن له التماسك ويدفعه الى التطور والازدهار ، فالتاريخ يذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول عمل قام به بعد هجرته من مكة الى المدينة انه آخى بين المهاجرين والانصار ، معلناً للجميع انه لا يكمل ايمان الفرد المسلم حتى يحب لآخيه ما يحبه لنفسه ؛ فبادر الكثيرون من الانصار بالتنازل عن نصف املاكهم واموالهم للمهاجرين ، وهكذا بنى عليه السلام المجتمع في الاسلام على اساس الاخاء والتعاون ، ففضى بذلك على نار الحسد والفش والاثرة والفدر التي كانت تحرق النفوس والقلوب في ايام الجاهلية ، وكان من نتائج ذلك ان آوى الانصار اخوانهم المهاجرين ونصروهم بل وآثروهم على انفسهم فامتدحهم القرآن بقوله : (يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، واخذ عليه السلام يعالج التجارة وينبه الناس الى اهميتها في الحياة الاقتصادية للمجتمع (تسعة اعشار الرزق في التجارة) . كما بين الحلال والحرام في المعاملات ؛ فكفت طوائف عن تجارات كانت بضاعتها النساء والخمور ، والربا والقمار ، وبحث الناس عن المهن الشريفة فوجدوها في التجارة او الزراعة او نحوها .

وحكم القرآن بقطع يد السارق فاحس الناس بسلطة القانون وحمايته واطمانوا وساروا يقدون ويروحون بتجارته وامتعتهم آمنين مطمئنين بفضل سهر السلطة ويقتتها المثلة في شخص الرسول وجند المسلمين .

وحظر القرآن التلاعب بالاسعار والموازين والمكاييل (فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم) ، (ويل للمطففين الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) (واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) .

وبذلكم - ومثله كثير - انتظمت الاسواق ، وحسن التعامل واستثمرت الاموال ، فصادت على اصحابها بالفضل الكثير ، فنشط الناس للعمل في التجارة والصناعة والزراعة ونحوها .

وهنا يلتقي تنظيم هيئة الامم المتحدة مع تنظيم الرسول عليه السلام للمجتمع في خط واحد هو منع الحرب والعمل من اجل السلام ، ولكنه ، اي تنظيم الامم المتحدة ، يقصر عن تنظيم الرسول ودستور القرآن في كيفية التطبيق ، فينتج عن ذلكم القصور ما نراه ونعيشه ونشاهده اليوم من وقوف الامم المتحدة حائرة امام اعتداءات وحروب (كاعتداء الصهاينة المتواصل على العرب ، واغتصابهم فلسطين وتجاهلهم قرار الامم المتحدة الذي اتخذ بالاجماع والذي دعا اسرائيل الى عدم ضم القدس اليها ، وعودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم ، وقرار مجلس الامن الصادر بالاجماع ، والذي ينص على وجوب انسحاب الجيوش الصهيونية من الاراضي العربية ورفض اسرائيل الادعاء له .

اما بيان ذلكم فهو ان النبي عليه الصلاة والسلام وهو يث الدعوة للاسلام كان مشركو قريش يعاندونه ويطاردونه بينما الصفوة الفاضلة من شبانهم يسلمون ويناصرونه ، فذاع صيته في الجزيرة ، وشاع امر الدين الجديد ومعاندة قريش له ، وكان ذلك حافزاً على ان تبعت القبائل وفوداً تستطلع خبر النبي ودينه الجديد ، وكان عليه السلام يث في هذه الوفود دعوته للاسلام ويقرأ عليهم ما يتيسر من القرآن ، حتى اذا آنس منهم رشداً طلب ان تعين كل قبيلة نقيباً لها ذا رأي ونفوذ فيكون مسؤولاً عن ساوكها بأن يتركوا عادات الجاهلية من نهب وسلب ، وتعد وحرب ، وان يتكون من هؤلاء النقباء

يقول ابو القاسم ابن سلام (10) : « ونادى نوح ابنه اي ابن امراته ، بلغة طيء ويؤيده قراءة » ونادى نوح ابنها « وهي شاذة » . ومعلوم أن هذه القراءة الشاذة هي لعلي بن ابي طالب رضى الله عنه (11) . اما محمد بن علي وعروة بن الزبير فقد تخلصا من هذه القضية بشكل بارع حين قرأ ابنه بفتح الهاء (12) .

13 - لهجة سكان حضرموت :

1 - كلمة « ربيون » الكائنة في الآية 146 من سورة آل عمران والتي يقول فيها جل شأنه : « وكأي من نبيء قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » ويظهر أن هذه اللفظة سمعت أول ما سمعت بين سكان حضرموت ، في وقت يصعب علي تحديده . ولذا عده العلامة الامام ابو القاسم بن سلام (13) من لهجة أهل حضرموت ، الا انه اتضح الآن ، وبشكل يكاد يكون قطعاً ، أن أصل هذه المفردة آرامية ؛ وأصلها « ربة » بكسر الراء وتضعيف الباء ، التي تعني جماعة كثيرة من الناس (14) . وهي في هذه اللغة **رُحَما** (réboute) ولقد فطن لذلك قديما العلامة الراغب الاصفهاني فقال (15) :

ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين « ومعنى سفه هنا خسر . والذي خسر نفسه في عذاب اليم . واعتمادا على ما سبق أن قلنا في اللفظة الثانية من هذه الحلقة ، يكون المذهب مضطربا أبدا . ولهذا قيل : « زمام سفه » كثير الاضطراب ، وهذه « خفة في البدن (4) طبعاً ، لكن مسببها هنا الهلع الشديد . وأصله ، بصفة عامة ، الخفة (5) والحركة (6) » .

4 - الكلمة : « نطق » من سورة البقرة الآية 171 « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون » . ومعناها بلغة طيء يصيح ، وقد تبدل العين منه غينا (7) ، شأن عدد لا يحصى من المفردات السامية التي اختلطت حروفها على مدونيتها - وسترده حين يتيسر ان شاء الله ، بحثاً مستقلاً لذلك . قال الامام شهاب الدين البغدادي (8) : « نطق الغراب نعاقا ونعيقا اذا صوت من غير ان يمد عنقه ويحركها ، ونطق بالغين بمعناه (9) » .

5 - كلمة « ابنه » في قوله تعالى : « وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » الآية 42 من سورة هود ، ومعنى هذه الكلمة بلغة طيء ،

- 4 (الراغب الاصفهاني صفحة 234 .
- 5 (الكشف الجزء الاول صفحة 95 .
- 6 (الصحاح الجزء السادس صفحة 2234 .
- 7 (ابن السليط القلب والابدال صفحة 32 .
- 8 (تفسير روح المعاني الجزء الاول صفحة 41 .
- 9 (ولقد خصص المرحوم J. Cantineau في كتابه القيم « Cours de philologie arabe » فقرات مهمة لابدال العين بالغين صفحة 94 .
- كما ان المقال المهم الذي نشره المستشرق R. Rusicka في « الوثائق الشرقية عدد (1954) صفحة 176 الى 237 تحت عنوان La question de l'existence du gh dans les langues sémitiques en général et dans la langue ougaritienne en particulier.
- يعد بحق مرجعا مهما في هذا الباب لكل من اراد ان يكون فكرة صحيحة عن هذه القضية ، سواء من اللغويين او المؤرخين او مؤرخي اللغة .
- 10 (ذيل تفسير القراء العظيم (الجليلين) الجزء الاول صفحة 194 .
- 11 (Materials for the history of the text of the Qur'ân صفحة 187 .
- 12 (الكشف الجزء الثاني صفحة 217 .
- 13 (حاشية تفسير القراء الكريم للامامين جلال الدين محمد بن احمد المحلى ، وجلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي ، الجزء الاول صفحة 66 .
- 14 (الاب رفائيل اليسوعي : غرائب اللغة العربية صفحة 182 .
- 15 (المفردات في غريب القراء ، صفحة 184 .

لم يكن القرآن بلغز قریش فحسب ...

بلاستان، الراعي النجاشي

- 13 -

12 - القبيلة : طيء :

تكون « طيء » مع « همدان » و « الازد » و « مذحج » القبائل الاربعة الضخمة التي تنحدر من كهلان . وبنو كهلان هم الذين ورثوا رئاسة البادية ، واعني امانة اطراف اليمن وثغورها بعد حمير . وطيء لقب لجد جاهلي قديم يقال ان اسمه الحقيقي كان جلهمه . كان موطنهم الاصلي اليمن ثم انتقلوا - في وقت يصعب تحديده - الى جبلي : « اجأ » و « سلمى » من بلاد نجد (1) . وكانوا يعبدون في مسكنهم الجديد هذا صنمهم المدعو « الفلس » .

ويعد عدد كبير من فاتحي الاندلس من هذه القبيلة . واما اصل هذه الكلمة اللغوي فالقالب على الظن انها من الطاء ، التي بمعنى الابعاد في المرعى . والنسبة اليها طائي .

شاركت هذه القبيلة في القرءان الكريم بخمس مفردات : اربعة منها في البقرة ، وواحدة في هود ، وتفصيلها كما ياتي :

1 (الاعلام ج 3 صفحة 337 .

2 (الالوسي . روح المعاني الجزء الاول صفحة 234 .

3 (المفردات في غريب القرءان صفحة 187 .

1 - كلمة : « رغد » الموجودة في سورة البقرة الآية 35 التي يقول فيها عز وجل : « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ، ومعناها بلغة طيء خصب . « وقراها النخعي بسكونها (2) » .

2 - المفردة « رجز » في سورة البقرة ايضا الآية : 59 « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » ومعناها بهذه اللغة التي نتحدث عنها ، العذاب ، ويرى عدد كبير من المفسرين ان هذا العذاب هو الطاعون الذي انزله الله على « الذين ظلموا » من قوم موسى حين خالفوا امر ربهم ، والذي قتل منهم ، في ساعة واحدة ، ما يزيد على اربعة وعشرين الفا .

ولا شك ان المصاب بالعذاب ، اي عذاب كان ، مضطرب اشد الاضطراب ، لا يهدى له بال ، ولا يستريح له عقل . ومن هنا رأى كثير من المفسرين ان (3) « اصل الرجز الاضطراب ، ومنه قيل رجز البعير رجزا فهو ارجز ، وناقصة رجزاء اذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها » .

3 - اللفظة « سفه » في الآية 130 من سورة البقرة ، التي يقول سبحانه فيها : « ومن يرغب عن

الراغب الاصفهاني اصلها من الحنك (حنك الانسان والداية (26)) .

2 - لفظة : « تارة » في الاية 69 من سورة الاسراء التي جاء فيها : « ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيفرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » ، ومعناها بهذه اللفظة مرة .

ولقد وردت في القرآن الكريم مرة اخرى في الاية 55 من سورة طه : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى » ، ولقد اشتهرت في اللغة العربية الفصيحة الاشتهار الذي تعرف ، واستعملت هذا الاستعمال الواسع الذي تلاحظ .

3 - المفردة : « اشماز » الموجودة في الاية 54 من سورة الزمر التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » ، ومعناها بلغة الاشعرين مالت ونفرت . وهذا الفعل « اشمازت »

(26) المفردات في غريب القرآن ، صفحة 134 .

(27) الكشاف ، الجزء الثالث ، صفحة 349 .

في الاية يقابل الفعل يستبشرون . فقلوب الكفار تشماز كلما ذكر الله وحده ولكنها تستبشر عند ذلك آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، وهذه هي المقابلة التي بسط القول فيها الزمخشري حين قال (27) : « ولقد تقابل الاستبشار والاشماز اذ كل واحد منها غاية في بابه لان الاستبشار ان يعتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل ، والاشماز ان يعتلي غما وغیظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه » .

4 - كلمة : « ثجاجا » في الاية 14 من سورة النبأ ، وفيها يقول عز من قائل : « وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » ، ومعناها بلغة الاشعرين رشاشا .

لم ترد هذه المفردة في القرآن الكريم الا مرة واحدة ، ولم تستعمل بكثرة في اللغة العربية الفصيحة ، مما يدل على غرابتها ، وان كانت وردت في حديث شريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم « افضل الحج الحج والشج » ومن القراء من يقرأها بحاحا .

اكادير : الراجي التهامي الهاشمي

- كمال المروءة -

من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت اخوته ، وحرمت غيبته .

« وقيل رباني لفظ في الاصل سرياني ، واخلق بذلك ، فقلما يوجد في كلامهم » ومعلوم ان الربى كالرباني .

وقد قرئت هذه المفردة بالحركات الثلاث « فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب (16) » ومن بين الذين قراوها بالضم او الكسر علي ، وابن عباس ، والحسن ، وابن مسعود (17)

2 - كلمة : « **دمرنا** » في الآية 16 من سورة الاسراء التي جاء فيها : « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفوها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ولقد وردت هذه المادة ثمان مرات في القرآن الكريم . ثلاث مرات على صيغة دمرنا (18) . وعلى صيغة دمرناهم مرتين (19) وعلى صيغة تدمر مرة واحدة (20) وعلى صيغة تدمير مرتين (21) . ومعناها بلغة سكان حضرموت اهلكنا وورودها بكثرة في القرآن الكريم كما ترى دليل على كثرة استعمالها في اللغة العربية الفصحى .

3 - « **منساته** » في سورة سبأ الآية 14 التي يقول فيها الحق سبحانه : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الفيب ما لبثوا في العذاب المهين » ، ومعناها بهذه اللغة العصا . ولقد سبقت الإشارة اليها في الحلقة الحادية عشرة حين الحديث عن لهجة قبيلة خثعم . وبسطت القول هناك ، سيما في قراءتها المختلفة ، واستنتجت من هذه القراءات الكثيرة غرابة هذه اللفظة . فعد الى ذلك وفقك الله .

4 - « **احقاف** » في الآية 21 من سورة الاحقاف التي جاء فيها : « واذكر اخاعد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم » ومعنى هذه

اللفظة عند سكان حضرموت الرمل . ويضيف صاحب الكشف فيقول (22) : « وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوب الشيء اذا اعوج ، وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال ، مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشجر من بلاد اليمن ، وقيل بين عمان ومهرة » ، وجدير بالذكر ان اشير الى ان هذه المفردة في هذه الآية هي التي اعطت اسم السورة ، وانها الوحيدة الواردة في القرآن الكريم .

5 - كلمة « **لغوب** » في الآية 38 من سورة (ق) التي جاء فيها : « ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب » ومعناها بلهجة سكان حضرموت اعياء . ومن القراء من يقرأها بالفتح . ولم ترد الا مرتين في القرآن . الاولى في سورة فاطر الآية 35 ، والثانية في مكاننا هذا الذي نتحدث عنه .

14 - لهجة الاشعريين (23) :

تنسب قبيلة الاشعريين الى كهلان . وكانوا في جاهليتهم يعبدون مع قبائل عك والسلف الصنم الذي كانوا يطلقون عليه « المنطيق » ولقد وجد المسلمون في جوفه حين كسروه سيفاً اختاره النبي صلى الله عليه وسلم واطلق عليه اسم المخدم .

ويرى بعض النسابين ان قبائل الاشعر هي : « الجماهر (24) وجده (25) والانعم ، والارغم ، ووائل وكاهل ، وعبد شمس ، وعبد الثريا . شاركت هذه القبيلة في القرآن الكريم بأربعة الفاظ وزعت في القرآن الكريم حسب البيان الآتي :

1 - كلمة : « **احتنك** » في الآية 62 من سورة الاسراء التي جاء فيها : « قال ارايتك هذا الذي كرمتم علي لئن اخرجني الى يوم القيامة لاحتنك ذريته الا قليلا » ، ومعناها بلغة الاشعريين استأصل ولعلها من احتنك الجراد الارض او احنك الشاتين . يجعل

(16) الكشف ، الجزء الاول صفحة 221 .

(17) Jeffery صفحة 35 .

(18) في الاعراف الآية 137 ، وفي الشعراء الآية 172 وفي الصافات الآية 136 .

(19) في الفرقان الآية 36 ، وفي النحل 51 .

(20) في الاحقاف الآية 25 .

(21) في الاسراء 16 والفرقان 36 .

(22) الجزء الرابع صفحة 448 .

(23) انظر لمعرفة هذا سبائك الذهب 32 ، وجمهرة الانساب ، والاعلام للزركلي ، الجزء الاول صفحة 334 .

(24) بضم الجيم .

(25) بضم الجيم وتشديد الدال بفتحة .

560 في ص 498 ، ع ل ترجمة لمسلم بن الحجاج لامام صاحب ثاني الصحيحين قال فيها ، له الصحيح « فيه 300.000 حديث ، وقد اشتبهه بـ ثلثمائة الف حديث اي اخترته من هذا العدد ، والا نـ بما في صحيحه هو نحو 4000 حديث فقط بدون لـ كرر تقريبا كما في صحيح البخاري من غير تكرار كذلك .

561 فيه ايضا تعريف بمسلم بن عقيل ابن عم سيدنا الحسين ومبعوثه الى الكوفة الذي قتله ابن زياد ، ضبط اسم ابيه عقيل ، بصيغة المصفر اي بضم العين وفتح القاف وهو عقيل بن ابي طالب اخو علي (ض) بالتكبير لا غير اي بفتح العين وكسر القاف .

562 وفي هذه الصفحة ع ني تحت عنوان المسند قال : هو الكتاب في الحديث اشهر من كتبوا فيه ابو داود ، الدارمي ، مالك ، مسلم بن الحجاج ، النسائي الخ وهذا خطأ في التعريف وفي التمثيل ، فالمسند هو الكتاب في الحديث الذي يجمع احاديث كل راو من الصحابة على حدة فيقال في تراجمه مسند ابي بكر مثلا ومسند عمر ومسند فلان وفلان ، وليس فيمن ذكرهم من يعد من اصحاب المسند الا الدارمي واحمد بن حنبل .

563 في ص 499 ، ع ن في ترجمة للشيخ عبد السلام بن مشيش قال فيها احد اقطاب الصوفيين الاربعة في المغرب ، ولم يبين الثلاثة الباقيـ من هم ، وظني انه اعتمد في هذا العدد على كتاب الشيخ عبد السلام القادري المسمى بالاشراف على نسب الاقطاب الاربعة الاشراف وهم الجيلاني وابن مشيش والشاذلي والجزولي او اعتمد كلام احد المستشرقين على هذا الكتاب ولم يحقق الموضوع فظن انهم كلهم مغاربة باعتبار ان المؤلف مغربي مع ان الجيلاني ليس من المغرب كما هو معروف ، وزيادة على ذلك ففي المغرب من اقطاب التصوف أكثر من هذا العدد الذي حصرهم فيه . ثم قال في هذه الترجمة : دفن في جبل العلم قرب دزان بدال اول الكلمة ونظن انها خطأ مطبعي صوابه وزان بالواو . وزاد المنجد قائلا في ترجمة ابن مشيش : له « اعانة الراغبين في الصلاة » مخطوط في لندن ، ولا نعرف لابن مشيش اثر غير صلاته المشيشية المشهورة وبعض الوسايا المنقولة في ترجمته ، فـ ل هذا يكون احد شروح صلاته ان لم يكن وقع غلط في نسبته اليه .

564 في هذا العمود ايضا بعنوان مصباح الظلام في المستفيثين بخير الانام مايـ : كتاب للكلاعي ولشمس الدين المراكشي ، اهتم بهما (يعني بالكتابين المسمين بهذا الاسم لكلا المؤلفين) ابن ابي الدنيا والتنوخسي وابن الميث محدث قرطبة وابن بشكوال .. وفي هذا تخليط لو انتبه المنجد الى تاريخ هؤلاء وتقدمهم على المؤلفين المذكورين لما وقع فيه ، والكلام اصله لكشف الظنون وخلاصته ان هذين المؤلفين ذكرا في كتابيهما من استغاث بالنبي (ص) اقتداء بابن ابي الدنيا ومن بعده من الاعلام الذين الفوا فيمن استغاث بالله عز وجل ولجأ اليه عند اشتداد الازمة ففرج الله عنه ، فانت ترى ان الكلاعي والمراكشي هما اللذان اهتمما بكتب من ذكر بعدهما لا العكس وان موضوعهما مغاير لموضوع هؤلاء ، لان للعلماء فيه مقالا ليس هذا محل بسطه .

565 في ص 500 ، ع ني ترجمة لمصطفى كمال اتا تورك جاء فيها : اجري اصلاحات عظيمة من اعمقها تأثيرا في الحقل الديني والاجتماعي والثقافي استعمال الابجدية اللاتينية عوض العربية في الكتابة التركية .. وهذا الكلام وحده كان كافيا لمنع استعمال هذا المنجد في العالم العربي كله ، لان المعجم الذي يحكم بان نـ الـ ابجدية العربية من الاصلاحات العظيمة والاعمق تأثيرا في حياة الدين والاجتماع والثقافة ، لا يمكن ان يكون معجما عربيا بحال .

566 في هذا العمود كذلك بعنوان مصفرى بفتح الميم والفاء والـ مقصورة ، اخرـ قال المنجد : شعب من بربر المغرب ، منهم يقيمون (كذا) بين فاس وتازة ومنهم قبلى فاس في الاطلس الاوسط ومنهم في واحات الصحراء اعتنقوا الاسلام وابحروا الى اسبانيا وانضموا الى الخوارج ووالوا دولة بني عباس الى ان ظهر ادريس الاول فانقادوا اليه .. ولا نعلم بين شعوب البربر وقبائله من اسمه مصفرى فـ ل هذه قراءة محرفة لمصفرى البربر اي صفريته ونعني بهم الخوارج الذين انتشر امرهم في عهد الولاة قبل قيام الدولة الادريسية وهم الذين لعبوا بعض الادوار التي يشير لها كلام المنجد وان كان ينقصه التحرير .

567 في ص 501 ، ع ني ترجمة لمطرس بن ربيع الشاعر ضبط اسمه بصورة اسم المفعول اعني بفتح الراء مع التشديد وهو بكسرها على صفة اسم الفاعل واسم ابيه ربيع ضبطه بفتح الراء وهو بكسرها وقال انه عاش قبل الاسلام بثمانين سنة وفي الاعلام للزركلي ما يفيد انه اسلامي لا جاهلي .

نظرة في مَجْد الآداب والعلوم

للمتأذء عبد الشاكفون

- 20 -

بقية حرف الميم

الاديب السيد عبد الرحمن بن جعفر الكفاني نظم
المزهر هذا بقطعة شعر قال في أولها :

خُل عفا نفمات المزهر

والنفا من ثمار المزهر

فاكد بذلك ان اسمه المزهر بالضم لا المزهر
بالكسر .. وقد توسعت قليلا في ضبط اسم هذا
الكتاب لانني لم ار احدا نص عليه حتى الطبعة المحققة
التي صدرت منه في جزئين بمعرفة رجال من اهل
العلم والادب سكنت عن ضبطه ، ولم تشكله بالحروف
مع ان نص الكتاب فيها كله مشكول

(558) في ص 495 ، ع ل تعريف ببلدة مازونة
في الجزائر كتبها مزونه بميم فزاي وهي بالف بعد الميم

(559) في ص 497 ، ع ل ترجمة لعبد الله بن

مسعود الصحابي الجليل قال فيها : اخذ عنه الناس
تفسيره المتسامح في تحريم الخمر .. ولا ادري من اين
اتي بهذا الكلام ، فالمعروف عن صحابة رسول الله (ص)
انهم على كلمة واحدة في تحريم الخمر وبذلك احتج
علمائنا على من خص اسم الخمر بعصير العنب قائلين
ان تحريم الخمر نزل بالمدينة ولم يكن شرابهم الا من
نبذ البسر والتمر وان الصحابة الذين اطلقوا اسم
الخمر على هذه الانبذة عرب فصحاء كانوا يعرفون
مدلول الكلمة الشاملة ، وبخصوص ابن مسعود فان
المنقول عنه خلاف ما زعم المنجد ففي سبل السلام انه
قال في السكر بفتحين انه خمر وفي نيل الاوطار انه
اعني ابن مسعود حد رجلا وجد منه ربح الخمر .

(553) في ص 493 ، ع ل تعريف بمريم المجلية
ضبط فيه وصفها هذا بكسر الميم وسكون الجيم وفتح
الدال وهو في الاناجيل الاربعة انما ضبط بفتح الميم ،
فهل هما (قراءتان) ؟

(554) في المكان نفسه ترجمة ابن مريم صاحب
كتاب البستان قال فيها انه نقله من نيل الابتهاج
للمكي وغيره ، وصاحب نيل الابتهاج ليس مكيا بل
هو سوداني من تنبكتو

(555) في ع ني من هذه الصفحة كلمة عن بني
ميرين ملوك المغرب اجحف فيها بحقهم غاية الاجحاف
والمهم انه ضبط اسمهم بضم الميم وهو بفتحها كما
يعلمه كل من له عناية بالتاريخ .

(556) وفيه تعريف بمزدك الفارسي مؤسس
النحلة المزدكية المعروفة سماه مزدق بضم الميم والزاي
وفتح الدال بعدها قاف وهو كما في التاج بفتح الميم
وسكون الزاي وءاخره كاف على وزن جعفر ومذهبه
يسمى المزدكية بهذا الضبط وبالكاف ءاخره ، عرب
كذلك من قديم

(557) وفيه ايضا ذكر لكتاب المزهر في علوم
اللغة للسيوطي ضبط بكسر الميم وفتح الهاء على انه هذه
الالة المعروفة من آلات الطرب والشائع على الالسنه
في اسمه هو ضم الميم وكسر الهاء على انه اسم فاعل
من ازهر ، ومن ثم سمى الشيخ ماء العينين نظمه له
بشمار المزهر فهو اذن وصف لا اسم ، وقد قرض العالم

(583) في ع ني من هذه الصفحة كلمة عن مليانة من مدن الجزائر كتبها بالف بعد النون وهي بتاء .

(584) وفيه كلمة عن مدينة مليلية المغربية جعلها ميلا حسب النطق الافرنجي وهي بالعربي مليلة او مليلة .

(585) في ص 513 ، ع ني تعريف بالشيخ عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير ضبط نسبة المناوي بفتح الميم وهو بضمها وسمى شرحه على الجامع الصغير التفسير واسمه فيض القدير .

(586) في نفس العمود ترجمة لوهب بن منبه قال فيها عبد الله وهب بن منبه اليماني وضبط وهب بفتح الهاء وهو بسكونها وعلى كل حال فان يكن اراد وها نفسه فعبد الله هنا زائدة او هي كنيته ابو عبد الله بعد حذف ابي منها خطأ وان يكن اراد ابنه عبد الله فكان عليه ان يقول عبد الله بن وهب بن منبه ، الا ان التاريخ الذي اعطاه لوفاته هو لوهب فلم يكن بد من اعتبار عبد الله هنا بقصد الكنية .

(587) في ص 516 ، ع ل كلمة عن مدينة المنكب بالاندلس سماها المنقر بالقاف تعريبا لاسمها بالاسبانية المنكر وكان عليه ان يذكرها باسمها العربي لا ان يعربها من اللفظ الذي عجمها الاسبان به .

(588) في ص 517 ، ع ل ترجمة بعنوان المهائمي علاء الدين فال فيها عنه انه من تباع مذهب الوجودية لابن العربي وانه هاجر الى الهند هربا من الحجاج وانه توفي 1432 .. وفي هذه الترجمة تخطيط كثير فاولا ليس هناك مذهب يعرف بالوجودية لابن عربي (لا العربي) الا ان يكون مراده وحدة الوجود ، وهذه ليست هي الوجودية ولا سيما بالمفهوم الفلسفي الجديد . وثانيا اذا كان هذا من اتباع ابن عربي فكيف عاش قبله في زمن الحجاج الذي هرب منه الى الهند ! ثم تاريخ وفاته مما يؤيد ان في هذه الترجمة خطأ يجب ان يصحح .

(589) في العمود الثاني من هذه الصفحة تعريف بكتاب المذهب لابي اسحاق الشيرازي في فقه الشافعية الذي لخصه من تعليقة شيخه ابي الطيب الطبري ، ضبطه بكسر الذال مع تشديدها على صيغة اسم الفاعل وهو على صيغة اسم المفعول مفتوح الذال بدليل اسماء بعض شروحه : المستعذب في شرح المذهب والطارز المذهب وغيرهما .

(590) في ص 520 ، ع ني تعريف بكتاب الموش لابي الطيب الوشاء قال عنه انه كتاب في اللغة ، وكذلك بل هو في قواعد الظرف واداب الظرفاء ، والم نفسه لما ذكر الموشى اتبعه بقوله او الظرف والظر وهذا ليس اسما له ثانيا من وضع المؤلف ، وانما من وضع ناشره الخانجي بين به موضوعه واعقب اسمه الذي وضعه له المؤلف .

(591) في العمود نفسه تعريف بكتاب الموطا لا مالك قال فيه شرحه بطليموس وهذه من غير المنجد ، فكيف يشرح بطليموس الموطا وهو من اواخر القرن الثاني الميلادي ، والحقيقة انه اراد البطليوس فتصحف عليه بمن ذكره . وذكر في جملة شراح القرطبي وهو يعني ابن عبد البر كما يفهم ذلك من كشف الظنون الذي ينقل عنه ، ثم ذكر اخيرا المغربي ولا ندري من هو هذا المغربي الذي يعنيه ممن شـ الموطا وهم كثر ، والذي عند صاحب الكـ الزرقاني بدل المغربي فلعله ظنه مغريبا .

(592) وفيه ايضا تعريف بقرية مولاي بوشنا فيه : قرية في المغرب الاقصى ... فيها زاوية بوش الولي ، يقولون انه استمطر السماء بصلواته ... عندهم شفيح الموسيقين والمغنين . اما كون الشـ ابي الشتاء رحمه الله استمطر السماء بالصلاة ، شيء لا غرابة فيه وصلاة الاستسقاء من شعائر الاسلامي . واما كونه عندهم (؟) شفيحا لمن ذكر لانعرفه وليس في الاسلام شفعاء من هذا القبيل في النصرانية .

(593) في ص 524 ع ل ترجمة لميسرة الحقيرا الخفير من زعماء الخوارج المغاربة جاء فيها انه من مطفارة وهي مضفرة وهي بضاد فغين تليه مباشرة .

(594) في ع ني من نفس الصفحة تعريف بمدـ مسراتة الليبية كتب اسمها ميسوراة وهو كما انـ مسراتة ويقال فيها ايضا مصراتة بالصاد .

(595) في ص 526 ، ع ل ترجمة لموسى بن مـ الفيلسوف اليهودي المعروف قال فيها انه هجرة لما دخلها العرب ، والعرب لم يدخلوا قرطبة على المترجم في القرن السادس الهجري بل في اواخر الاول ، فالصواب لما دخلها الموحدون .

(568) في ص 502 ، ع ل بعنوان المظالم قال اسم محكمة كانت في عهد الخلفاء الراشدين كمحكمة الاستئناف العليا وفي هذا تزيد كثير ، وولاية المظالم من خطط الحكومة الاسلامية ولكنها متأخرة عن هذا العهد بكثير .

(569) في العمود نفسه ترجمة لمعاذ بن جبل الصحابي الجليل ضبط اسمه فيها بفتح الميم وهو بضمها .

(570) وفيه ايضا كلمة عن بني معافر من العرب اليمنية ضبط اسمهم هذا بضم الميم وهو بفتحها .

(571) في ع ني من نفس الصفحة تعريف بابن المعتز الخليفة العباسي الشاعر جاء فيه انه لم يتمتع بالخلافة الا اياما والصحيح ان مدة خلافته يوم وليلة ثم خلع وقتل .

(572) في ص 503 ، ع ني تعريف بمعد بن عدنان الجد الاعلى للنبي (ص) قال فيه انه اسم جمع اطلق على بعض القبائل العربية ، وكأنه لما رآه جماع كثير من قبائل ربيعة ومضر ظنه اسم جمع من غير ان يلحظ حقيقة اسم الجمع التي لا تنطبق عليه والا فهو اسم مفرد على وزن مفعول من العدد او من المعد وهو اللحم على ما عند ابن دريد في الاشتقاق .

(573) في ص 504 ، ع ل ترجمة ابن معطي صاحب الالفية في النحو وصفه فيها بالمغربي وضبطه بضم الميم وفتح الراء وحقه ان يكون بفتح الميم مع فتح الراء او كسرهما نسبة للمغرب واما الضم فلا محل له في هذه النسبة .

(574) في هذا العمود كذلك ذكر المعلقات السبع وسرد اسماء اصحابها بدون عطف حتى اذا اتى على اخرهم عطفه بالواو على القاعدة الاجنبية في ذكر حرف العطف مع المعطوف الآخر ، وقد شاع هذا الامر عند الكتاب المتأثرين بالاساليب الاعجمية ولا اصل له في العربية . نعم عندنا واو الثمانية عند من يقول بها وهي انما تزداد في المعطوف الثامن كما في قوله تعالى (ثيبات وابكارا) لا ما قبله كالسابع هنا .

(575) في ع ني من هذه الصفحة ترجمة لمعن بن اوس الشاعر جاء فيها انه مدح عمرا وهجا ابن الزبير ولا ندري من هو عمرو هذا الذي مدحه معن ، والذي في ديوانه انه مدح عبد الله ابن جعفر وابن عباس وهجا ابن الزبير في قطعة شعرية وليس فيه مدح لاحد يسمى

عمرا ولا عمر لو فرضنا ان عمر في كلام المنجد صرفت خطأ .

(576) في ص 505 ، ع ل بعنوان مغراوي كلمة عن هذه القبيلة المغربية التي حرف اسمها من مغراوة بتاء في اخره الى مغراوي بالف مقصوره خطأ ، وقال فيها دخلوا في الاسلام وتزعمهم حولات بن ويمار وصوابه صولات بالصاد بن وزمار بزاي بعد الواو .

(577) في ع ني من هذه الصفحة كلمة في التعريف بالمغرب لا بأس بها ولكن وقع فيها اغلاط خفيفة منها قوله وهو يعين موقع الاطلس الكبير : وجبل سفرو شرقا واسمه الصحيح سارو . والخطأ جاء من الترجمة عن الفرنسية ومنها كتابته تادلا بحذف الالف التي بعد التاء ومنها تسميته الساقية الحمراء بالساخية اعني بخاء بدل القاف وقد يكون هذا خطأ مطبعيا .

(578) وفي العمود نفسه تراجع لبعض الاشخاص الموصوفين بالمغربي ضبط وصفهم هذا بضم الميم وهو بفتحها .

(579) في ص 506 ، ع ل ترجمة للمغيرة بن شعبة وغيره ممن سمي بهذا الاسم وهو مضبوط عنده بضم ففتح على صورة المصفر ، وهو بضم فكسر مكبر .

(580) في ص 507 ، ع ل ترجمة للمقدسي الجغرافي صاحب كتاب احسن التقاسيم ضبط نسبه فيها بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال مع الفتح ، وهو بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال مخففة نسبة الى بيت المقدس ، ولعلنا نبهنا على نضيره فيما سبق ولكن ها هنا محله فلذلك أعدناه .

(581) في ع ني من هذه الصفحة كلمة في التعريف بمقديشيو عاصمة الصومال ، كتب فيها الصومال بالسين والشائع على الالسنه الصاد ، وقال هاجر اليها العرب من الجزيرة وخاصة من الحساء ولا شك انه يعني الاحساء التي هي هجر قديما ، ثم قال اسس فيها سلالة ابو بكر فخر الدين ، وهذا كلام غير واضح يحتاج الى شيء من التحرير . وكلام المنجد عن مقديشيو كان في ايام الاستعمار الايطالي فهو حري الآن ان ينزهه عن هذا العار وينوه بجهاد ابنائه المخلصين

(582) في ص 512 ، ع ل ترجمة للكاتبه المصرية ملك حفني ناصف ضبط اسمها بكسر اللام والصواب فتحها وجعل لقبها بحاتة البادية والمعروف باحثة البادية بصيغة اسم الفاعل لا بصيغة المبالغة .

الحسين في نصف الليل

للدكتور تقي الدين الزهرايي

على الله من مكناس الى تطوان ، ثم عبرنا البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء ، ثم سرنا عبر اسبانيا ففرنسا فالمانيا ، فالدانمارك فالسويد فالنرويج ، وتركنا السيارة في مدينة (اوسلو) عاصمة النرويج ، وأن سكانها متمدنون ، وأنه أقام هناك نحو فوصلنا مدينة (ناروك) ، وشاهدنا الشمس مشرقة مدة أربع وعشرين ساعة .

أوقات الصلاة في الأراضي القطبية :

كنت عازما قبل أن أصل الى تلك البلاد على أن أصلي خمس صلوات في مدة اثنتي عشرة ساعة ، ثم أترك الصلاة اثنتي عشرة ساعة ، فتكون خمس صلوات في أربع وعشرين ساعة .

فلما وصلت الى تلك البلاد تغير رأيي ، وظهر لي أن تتبع أوقات الصلاة في تلك البلاد الاراضي الجنوبية من البلاد النرويجية ، فيصلي المصلي صلاة الصبح وقت طلوع الفجر في الجنوب ، ويصلي الظهر حين تزول الشمس في الجنوب ، وهكذا الشأن في جميع الصلوات ، بناء على قاعدة : ما قرب من الشيء يعطي حكمه ، وكذلك يفعل الصائم في رمضان إذا جاء في وقت الشمس ، أو في وقت الظلام.

هل في الأراضي القطبية فصول ؟

ينبغي أن يعلم أن في تلك البلاد ما يشبه الفصول الاربعة ، وقد تقدم أن الشمس تستمر مشرقة من أول مايو (أيار) الى آخر يوليو (تموز) ثم تغيب غيبا جزئيا في أول غشت (آب) في كل يوم تبقى غائبة أكثر من اليوم الذي قبله ، فيكون الليل

كنت قرأت منذ زمان طويل اخبار القبائل التي تسمى (اسكو) واحوال معيشتهم ، ومساكنهم وأسفارهم وحالة الجو في بلادهم ، وذلك معروف في كتب الجغرافية . والذي يهمنا هنا من اخبار الاراضي القطبية ما شاع أن السنة عندهم يوم واحد ، نهار وليلة ، ستة اشهر للنهار ، وستة اشهر لليل .

ولم أومل قط أن أرى تلك الاراضي ، لما قرأته من شدة البرد وتراكم الثلوج هناك ، وأنهم يلجأون الى لبس الجلود والاختباء في بيوت يحيط بها الثلج من كل جانب ، الى غير ذلك من الاخبار .

وفي صيف سنة 1963 اجتمعت بالدكتور زين العابدين خير الله الجليبي كان استاذاً في مستشفى الامراض الخاصة بالنساء في جامعة ماربورك بألمانيا ، فأخبرني أن الاراضي القطبية واسعة ، وليست محصورة في الاراضي التي يسكنها قبائل (اسكو) وأنه هو نفسه زار الاراضي القطبية في شمال النرويج ، وركبنا القطار والسيارات مدة يومين ، اثني عشر يوما لم ير فيها ظلمة ولا ليلا ، بل كانت كلها نهارا .

ومن ذلك الحين عزمنا على زيارة هذه الاراضي في اقرب وقت ممكن . فلما اشرفت السنة الدراسية على نهايتها ذهبت الى السفارة النرويجية في الرباط ، وسألتهم عن الاراضي القطبية التي لا تغيب فيها الشمس بضعة اشهر ، فأخبرني أن الامر كذلك ، وأن هناك نواحي تابعة للحكومة النرويجية تبقى الشمس فيها مشرقة مدة ثلاثة اشهر من أول مايو (أيار) الى آخر يوليو (تموز) فتأهبت للرحلة وتوجهت من مكناس في سيارتي يسوقها الحاج احمد هارون في اليوم الثاني من يوليو ، وسرنا متوكلين

596) في نفس العمود بعنوان الميمية ما يلي :
قصيدة (الفها) ابو السعود شيخ الاسلام .. تداولتها
العربان اولها :

ابعد سلمى مطلب ومرام
وغير هواها لوعة وغرام

وصواب الشطر الاول ليتزن : ابعد سلمي
ولم ندر ما قصد بقوله تداولتها (العربان) والقصيدة
مذكورة في كتاب الكشكول للعاطلي وغيره . ولطول
حرف الميم لم نتبع عبارات المنجد في هذا الحرف التي
تحتاج الى تقويم . وانما ذكرنا هذه لنضمنها هذه
الاشارة .

طنجة - عبد الله كنون

— عبيرنا رهج السنايك —

يروى ان عبد الله بن المبارك العالم العامل والعايد المجاهد خرج مع المسلمين
يوما لمجاهدة اعداء الاسلام ، ولما دارت رحى المعركة كتب رسالة الى صديق له
في مكة كان قد تخلف عن الركب ، وفضل التفرغ للعبادة بجوار الكعبة قال فيها :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا
لوجدت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنجورنا بدمائنا تتخضب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهج السنايك والقبار الاطيب
هكذا فهم الاولون معنى العبادة .

اما مدينة ناروك التي تقدم ذكرها فقد سافرنا اليها من (اوسلو) ، بعض المسافة بالقطار ، وبعضها بالسيارة ، وكنا في كل بضع ساعات نجتاز خليجا من خلجان البحر ، بمعديّة ، وهي باخرة كبيرة ، تدخلها السيارات ، فتبقى فيها نصف ساعة او اكثر حتى تصل بها الى البر ، فتخرج السيارة منها وتستأنف سيرها .

وقد رأيت القطار نفسه يعبر البحر في معديّة بين المانيا الشرقية والدانمارك في مدة ساعتين . وتلك المعديّة ضخمة عظيمة الحجم ، ذات ثلاث طبقات ، يصعد الى الطبقة العليا بالمصعد الكهربائي .

وهناك معديّة رايتها تستعمل بين سبتة والجزيرة الخضراء ، وهي ايضا عظيمة ، ولكنها دون تلك . وليس مقصودي ان اصف هذه الرحلة ، لان وصفها يحتاج الى مؤلف مستقل ، وانما ذكرت ما تقدم استطرادا .

من وحي الاندلس — قصيدة من بحر جديد

لما مررنا بأرض الاندلس في رحلتنا الى شمال اوربا تذكرت اهل الاندلس المسلمين ، وما كان لهم من المجد والسؤدد ، فقلت هذه القصيدة ، وهي من بحر جديد اخترعته . واجزاؤه اربعة : مستغلاتكم مستغفلن مرتين . له عروض واحدة صحيحة ، لها ضربان ، اولهما مذيّل ، والثاني عار عن التذييل .. وكل هذه التفاعيل بفتح العين ومعناها : مستخرجاتكم مستخرج ايها المسلمون ، فالزموا مستخرجاتكم ولا تهملوها .

وقد احدث العرب المولدون اوزانا شعريّة زائدة على بحور الشعر بعد زمان العرب الاقتحاح ، ونظموا عليها شعرا كثيرا ، ثم جاء زمان الموشحات والازجال ، فاشتغل بها العرب في الشرق والغرب ، واشتملت على ادب جم . ونظم بهاء الدين زهير شعرا اخترع له وزنا خاصا ، وهو قوله :

يا من لعبت به شمول
ما اللف هذه الشمائل

فلا غرابة اذا اقتديت به ، والقيت دلوي في الدلاء . وهذا نص القصيدة :

لما بدا لنا جمالكم
اضحت قلوبنا اسرى الغرام

وانبعشت بها مودة
تنمو وتزدهي على الدوام
قد طال هجركم وصدكم
وما رثيتكم للمستهم
ولم نزل نفي بعهديكم
وما رعيتم لنا ذمام
فهل سمعتم بقاتل
لمن يحبه هذا حرام
هبوا اسيركم لو نظرة
صلوا عبيدكم لو بالكلام
لما تروتنني متيما
لم تدر مقلتي اي منام
محبتي لكم عفيفة
غدت بريئة من كل ذام
وعاذل اتى يلومني
كلامه غدا مثل الكلام
فقلت : يا فتى ويحك اتد
فأنت طالب ما لا يرام
عذلك زادني صباية
فكف او فزد من الخسام
يا موطننا غدا مفتخرا
بخير امة من الانام
بالعرب اذ علوا مراتبا
قد بلغوا بها اقصى المرام
اندلسا دعيت في الوري
وجنة سمت خير مقام
معجزة فلم ير الوري
لها مماثل لو في المنام
كيف افتخارنا بمجدهم
ونحن لم نزل بلا نظام
والخلف ما لهم مفتخر
لكن عليهم بالاحتشام
الا اذا حيوا واتحدوا
وارتجعوا الى نهج الكرام
واتبعوهم في دينهم
دين محمد بدر التمام
فالعرب ما لهم معتصم
الا بحبله ولا التمام
والعز عنهم مبتعد
الا اذا اقتدوا بهذا الامام
فهو حياتكم في بدئهم
وهو حياتهم على الدوام

الآخرين فندعها حتى يحتاج بعض المسلمين الى معرفة الحكم ، فييسر الله له من يفتيه .

وقد كان السلف الصالح ، اذا سئل احدهم عن مسألة استخلف السائل بالله ، انها وقعت ، فان حلف له افنى فيها براهيه ، والا قال : دعها حتى اذا نزلت ييسر الله لها من يفتي فيها .

وما زعمه بعض المتقدمين من ان بلاد بلغار يقصر فيها الليل والنهار جدا وهم ، وقد لاحظت ان الليلة الاخيرة التي مضت قبل وصولنا الى بلاد الشمس في نصف الليل ، كما يسمونها ، لم تكن مظلمة ، حتى اني مع ضعف بصري ، وانا راكب في السيارة ، كنت ارى الاشجار ، واغصانها تتحرك ، ولا توجد ظلمة أصلا ، الا ان الشمس مخفية . ومن حين يتوسط الانسان بلاد النرويج متوجها من الجنوب الى الشمال تقل ظلمة الليل شيئا فشيئا حتى تنعدم بانعدام الليل نفسه . فسبحان الخلاق العليم .

ولاحظت أيضا : كما لاحظ من معي ان الشمس في نصف الليل تكون قريبة من الارض ، كأنها تريد ان تغيب ، لكنها لا تغيب ، بل تأخذ في الارتفاع وتندور في السماء ، فتشكل دائرة من نصف الليل الى نصف الليل . قال الله تعالى في سورة الحج (46) أفلم يسيروا في الارض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، او آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) فأخبر سبحانه وتعالى ان السير في الارض يزيد في العقل والعلم المكتسب بالتجارب ، وقل رب زدني علما .

وهناك في تلك الناحية قبائل بدوية تسكن الخيام ، ولها ماشية ، وهي الايائل ، وهي نوع من الحيوان يشبه الظباء ، الا انها اكبر منها ، وقرونها متشعبة كالاشجار يحلبونها ويأكلون لحومها ، وينتفعون بجلودها . ولا يستطيع شيء من سائر الحيوان كالبقرة والغنم ان يعيش في تلك البلاد غير الايائل ، لشدة بردها ، وكثرة ثلوجها ، ولتلك القبائل لباس خاص .

وسمعت انهم وثنيون ، لا يدينون بالنصرانية التي يدين بها أهل تلك البلاد ، ولا أعلم مقدار هذا الخبر من الصحة ، وليس هذا الجو خلاصا بشمال النرويج ، بل يعم كذلك شمالي السويد .

وقد علمت أن من أراد ان يشاهد الاراضي القطبية التي في شمال السويد يستطيع ان يسافر اليها بالقططار .

قصيرا والنهار طويلا ، ولا يزال الامر كذلك ، يزداد الليل طولا والنهار قصرا الى آخر اكتوبر (تشرين الاول) فتغيب الشمس وتبقى ثلاثة اشهر غائبة ..

وفي اول فبراير (شباط) تطلع الشمس . ثم لا تلبث ان تغيب ، فيكون النهار قصيرا والليل طويلا . ولا يزال النهار يطول . والليل يقصر الى آخر ابريل (نيسان) ثم ينعدم الليل . فهذه مدد تشبه الفصول الاربعة في البلاد التي يكون الليل والنهار طول السنة .

وقد عرفنا حكم اوقات الصلاة في الاشهر الثلاثة الشمسية . ومثلها الاشهر الثلاثة المظلمة . بقي حكم اوقات الصلاة في ربيع تلك البلاد وخريفها ، وهما مدتان ، يكون فيهما ليل جزئي ونهار جزئي ، فكيف الحكم في اوقات الصلاة والصيام ؟

لا يمكن ان نفكر في هذه المسألة ثم نبدي رأينا فيها الا اذا احطنا علما بليلها ونهارها ، كيف يطول وكيف يقصر . فالحيلة الاولى بعد انتهاء مدة الشمس ، وهي اول ليلة من غشت (آب) كم طولها ؟

فاذا كان طولها نصف ساعة او اقل ، فهل يحكم عليها بانها ليلة تصلى فيها المغرب والعشاء والصبح عند نهايتها ، ويفطر الصائم ، ويتشحر فيها ، ويصوم نهارها ، ويصلي الظهر والعصر في وسطه ، ام يستمر على اعتبار توقيت العاصمة (أوسلو) ويعتبر الليل ليلا ، والنهار نهارا ؟ وما مقدار الساعات التي يبلغها الليل طولا حتى يعتبر انه ليل ؟ واذا مضى اكثر الاشهر الثلاثة وقصر النهار جدا يعود السؤال نفسه . وهكذا يقال في المدة الثانية التي تبتدىء من شهر فبراير (شباط) وتنتهي في آخر ابريل (نيسان) .

فان قيل : انت اول من بدأ هذا البحث ، فعليك ان تجيب عن اسئلتك ، وتبدي رأيك ؟ قلت : يمنعني من ذلك انني من أهل الحديث المتبعين للسلف الصالح المتجنبين للرأي ، المعبرينه كالميتة لا يجوز الاكل منها الا بقدر الضرورة . فما نزل من المسائل ، وتحقق وقوعه ، وسئلنا عنه افتينا فيه بالرأي قائلين : ان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمننا ، والله برىء منه ، كما قال عبد الله بن مسعود .

اما مدة الشمس فقد وجب علينا ان نجتهد في حكم اوقات الصلاة فيها ، لان ذلك وقع ونزل ، وقسنا عليه مدة الظلام ، لانها سواء . اما المدتان

عبد الله كنون شاعراً بديوانه "لوحات شعرية"

المبارك

للكنوز زكي المحاسني

في ضاحية من ضواحي دمشق الفواحة اذ كان الماء
يندلع من مطافر على بركة كبيرة وساعتئذ والغروب
يدلف الى مراتعه الدائنة اخذ الشاعر الكبير عبد الله
كنون يقرأ لي من شعره العذب المصفى ، ولم اكد اسمع
هذا الشعر الرقيق الرصين والمكين الحر حتى اقامني
سماعه واقعدني ، فهتفت به :

— يا لك شاعرا مكينا كبيرا ، ابن خبات هذا
الشعر وانت رب الشعور تساقط عليك الموحيات من
رباته الفواتن ، فلهم لطبع ديوانك ! ..

واخذنا نضحك من اجل ربة الشعر ، فان العرب
زعموا ان لكل شاعر شيطانا يلهمه واخذت انبذ هذا
الزعم مريدا الربات الفواتن لاخليلة الشعراء ، لا
الشياطين الراجمين .

كل ذلك مر بخاطري وانا التهم التهاما جديدا
ديوان صديقي القديم عبد الله كنون الذي اسماه
(لوحات شعرية) وقد كتب مقدمته معربا عن قعوده
عن الشعر زمنا حتى كان هذا ديوانه الاول في هذه
الآونة العطرة من عام 1967 .

يقول في مقدمته الوارفة انه مزق من شعره
جانبا . واني لاعد هذا العمل وادا ، فكيف جاز
لعلامة الادب والدين الاستاذ كنون ان يئد من شعره
البنات الغوالي وقد نهى الاسلام عن الواد « واذا
المسوودة سئلت بأي ذنب قتلت » والقصيد بنت
الشاعر ولا يجوز وادها مهما يبلغ الامر فيها من قدم ،
او ضعف ، او خلاف .

كم ذا ، كنت احب التعبير الفرنسي في
الصديق القديم (Mon vieux)

وكم يروقني ان اطلق على اصدقائي الذين
سلخت العمر بصحبتهم وودهم ان ادعوهم بمثل هذا
التعبير العربي الجميل ! ..

من هؤلاء القدماى الاحبة صديقي الاستاذ العظيم
اديب المغرب وعلامة العرب والاسلام في القرن العشرين
« عبد الله كنون » اني اقرا فيض عبقريته في كل شهر
بمجلة مجتمعنا العلمي العربي بدمشق وحين تفد علي
مجلة (دعوة الحق) الحبيبة ابدا بالتهام مقالته ثم
اتحلى بالمقالات التالية .

ولقد ارسلت اليه ابياتا بواكيا في رثاء امه الحنون
لمرور عام على غيابها عن دنيانا ، وسرعان ما ورد علي
منه رسالة وكتاب ، اما الرسالة فقد املاها على الآلة
الكاتبة استجابة لطلي منذ سنين اذ لم استطع قراءة
خطه المغربي ، ونحن في الشرق لا نجد قراءة الخطوط
المغربية ، وهذا تقصير فينا . وقد حمل الي البشري
برسالة في انه اخرج لقرانه ديوانا من شعره ، فحمدت
الله قبل ان انظر في ديوانه ، اذ كان لا بد — عندي —
من ان يغالبه الشوق في شعره ليراه مطبوعا في ديوان ،
وهو منذ سنين استجاب لرغبتني في ان اراه يجعل
عسوده الى المغرب بطريق الشام اذ كان رئيسا
لوفد الحجاج المغربي ، فيا لله كم كان سروري بالفا
ومؤنسا حين حظيت برؤيته ولقائه الحبيب بضفاف
بردي ، ويا لله امسية ضمنتنا في متنزه « اشبيليا بدمر »

وكلمنا اقتنفوا خلافه

فهو ضلالة وهو الحسام
صلى عليه من ارسله

هدى ورحمة يجلو الظلام
ما غردت ضحى حمامة

واشرقت ذكبا بعد غمام
والال والصحاب كلهم

ازكى صلاته مع السلام
وقد اطلع على هذه القصيدة الاديب الكبير العالم
المحقق العبقري سيدي عبد الله كتون فاعجبته واثنى
عليها . فاحببت ان اتحف بها القراء الاعزاء .
وسأستأنف حلقات (تقويم اللسانين) بعد نشرها ان
شاء الله .

وفي الاياب من هذه الرحلة عرجنا على قرطبة
وزرنا مسجدها ، فاعترائني شعور فيه روعة واجلال
واعجاب ، وحزن ، لا اقدر ان اصفه بلسان ولا بقلم :
ولا اظن ان شخصا له شعور انساني يرى ذلك
المسجد ولا يعتريه مثل ذلك الشعور : سواء اكان
مسلم ام غير مسلم .

وصف جامع قرطبة

من امثال العرب : ان الحديث لذنو شجون .
وقد بدا لي ان انقل هنا وصف مسجد قرطبة الجامع
من كتاب مدينة المور في الاندلس الذي ترجمه بالعربية
من اصله الانكليزي لمؤلفه (جوزيف ماك كيب) ليرى
القارئ العربي المسلم شيئا من مجد اسلافه وهذا
نص ما قاله في وصف مسجد قرطبة :

لم يبق من آثار قرطبة في القرون الوسطى الا
اثر واحد ، وهو جامعها الذي لا يزال الى اليوم ،
جميع اطفال قرطبة يسمونه مسجدا ، ولولاه ما تجشمت
أحد غناء السفر لمشاهدة قرطبة : ولو كانت على
خمسماية ميل منه : ولكن الناس من جميع انحاء
الدنيا يسافرون اليها ليشاهدوه .

وهو اعظم معبد في الدنيا بعد كنيسة
(سنت بترس) ، وهو آية لا نظير لها من الهندسة
والبناء . وظاهر هذا المسجد لا يستولي على اللب ،
ولم يكن المور الذين كانوا يفضلون الإقامة داخل
البيوت اكثر من خارجها يهتمون نسبيا كثيرا
بالظاهر .

واما في الداخل فهناك المعائب ، اذا دخلت
الجامع من اي باب من ابوابه التسعة عشر يخيّل
اليك انك تائه في غابة من اشجار المرمر ، ففيه
ثمانمائة وستون سارية رقيقة من المرمر والرخام
واليسر ، وفيه غير ذلك الف واثنى عشرة سارية .

وفيه تسعة عشر رواقا ، ينتهي كل منها بباب
من الابواب التسعة عشر ، وله سقف خشبي
منخفض نسبيا ، قد زخرف احسن زخرفة بالارجوان
والذهب .

وفي الاعياد الكبيرة تودد مائتان وثمانون ثريا
من الفضة والنحاس ، يحترق فيها الزيت المعطر ،
وتتلاها فيها آلاف كثيرة من المصاييح ، فتلقى انوارها
على ذلك المشهد . واكبر ثريا منها كان محيطها ثمانية
وثلاثون قدما (فوت) يحمل ألفا واربعمئة واربعما
وخمسين مصباحا ، ولها مرآة تعكس النور ، فيزيد
شعاعه تسعة اضعاف . وفيها (6000) ألف طبق من
الفضة مسمرة بالذهب ، ومرصعة بالؤلؤ .

وكان الجامع قد شيد مع مضافاته في القرن
الثامن والتاسع والعاشر . والمحراب الذي هو اقدس
محل في مسجد المور ، كان فيه حنيتان ، وكان أعظم
زخرفا من سائر المساجد . وآخر المحراب يشبه
صدفة من رخام ، وله مدخل يتلأأ كالذهب الخالص
او الديباج بفسيفسائه الجميلة . واحيل القارئ على
كتب زخرفة البناء او كتب الاستدلال ، ليرى عجائب
هذا الجامع العظيم .

وكان بناؤه من النصارى المنتمين الى الكنيسة
اليونانية . وكانت بينهم وبين المور مودة ، فجلبواهم
لبنائهم ، وهو اثر لمدينة زاهرة ، لا يضاهيها اليوم
شيء في الدنيا كلها . وكان عبد الرحمان الاول مؤسس
هذه الدولة . قد جعل مدينة قرطبة على مثال مدينة
دمشق التي قضى فيها اوائل عمره ، وهو الذي ابتدأ
بناء الجامع ، واتمه الخلفاء الذين جاءوا بعده . وبلغت
تفقاته على ما حدث به مؤرخو السرب
(300.000.000) دولار ، وكان هذا آخر عمل عمله
في حياته . وقد شيد غير هذا هو وخلفاؤه ورجال
دولتهم قصورا فخمة ، ومساجد كثيرة ، كانت تزيد
المدينة في كل سنة جلالة وبهاء اهـ

اولئك آبائي فجنني بمثلهم

اذا جمعنا يا جريير الجامع

لكن لا ينبغي لنا ان نقتصر على الافتخار بمجدنا ،
بل ينبغي لنا وبتحتم علينا ان نعمل بقول من قال :

لسنا وان احسانا كرمتم

يوما على الاحساب نتكل

ينبغي كما كانت اوائلنا

تبني ونفعل مثل ما فعلوا

فنسأل الله ان يوفقنا لاحياء ذلك المجد الشامخ ،

انه على ذلك قدير .

الدكتور تقى الدين الهلالي

التوسع الإسلامي في عصر الكواكب الاصطناعية :

المجتمع الدولي

والظواهر في وسائل الاعلام الحديثة

الأستاذ: المهدي البرجالي

الاعلام ، قوة من القوى الرئيسية ، العاملة في محيطنا العالمي الراهن ،
والمؤثرة بشكل او بآخر - في تكييف العقلية الفردية والجماعية ، على مستوى
العالم كله ؛ لقد كانت الجريدة أداة الاعلام الرئيسية خلال القرن الماضي وأوائل
الحاضر ، أما اليوم فان العالم يدخل في عصر الاعلام عن طريق الكواكب
الاصطناعية فما هي الملامح الناشئة عن ذلك ؟ وما هو موقف المجتمع الدولي
من مثل هذه الامور ؟

هو عليه الامر الآن ، نظرا لازدياد تشعب وسائل الاعلام
الحديثة ، واتساع مداها ، وتنوع وسائلها ، واشتداد
فاعلية تأثيراتها على صعيد العالم قاطبة ؛ ان انواع
التاثير التي تحدثها وسائل الاعلام الحديثة ، تتناول
الفرد ، كما تتناول الجماعة ، وتمس الحياة المجتمعية
المحدودة في كل قطر على حدة ، كما تمس الحياة
الدولية والعالمية عموما ؛ وكل هذا مما يخلق حالة
الاهتمام القانوني بالانظمة الاعلامية الحديثة ، باعتبار
انها - اذ تمس العلاقات بين الناس على مستوى
العالم كله - فلا بد ان ينجر عنها كل ما ينجر عن
الاحتكاك بين الناس من عواقب قانونية دولية ، كأي
شيء يتعلق بحالة العلائق بين الاقطار بعضها ببعض ،
والشعوب بعضها مع بعض .

ويأتي كل هذا ، من كون انظمة الاعلام الحديثة ،
قد خلقت حالة فريدة من نوعها ، لم تكن موجودة من
قبل ، بمثل هذه الصورة ؛ وهذه الحالة هي التي
تتمثل في زوال اية قيمة للمسافة والحواجز الفاصلة
بين الدول ، وتهيؤ المجال هكذا ، امام مختلف الدول ،
لايصال كل ما تبغى قوله الى الشعوب الاخرى عبر
حواجزها الطبيعية والاصطناعية دون ان تستطيع تلك
الحواجز شيئا فعلا ودائما لحجز ما يصدر عبرها من

لعله لا يخطيء من يذهب الى تسمية عصرنا
هذا بعصر الاعلام او عصر وسائل الاعلام ، اذا ما فضل
آخرون لهذا العصر تسميات اخرى ، تنطبق عليه
ايضا ، كالعصر النووي او الفضائي او غير ذلك ؛ وفي
موضوعنا هذا الذي نعالجه الآن ، لا نبغى التوسع
في تبين قيمة الدور الحيوي الذي تؤديه وسائل
الاعلام في حياة الحضارة الحديثة فذلك ، مما نعيشه
عمليا ونعيش آثاره والحقائق المرتبطة به في شتى
الميادين . فادوات الاعلام هي - في ديانا الحاضرة -
من اشد ادوات الحضارة تغلفلا في حياة الناس ،
وانتشارا بين ظهرائهم ، مما قد لا نحتاج معه الى
ايراد الحديث عن اهمية هذه الوسائل الاعلامية ،
ودورها القوي في المجتمع الانساني الحاضر ؛ لكن وسائل
الاعلام - اذا كانت تؤدي ادوارا في حياة الحضارة
الحديثة ، قربت المسافات بين الناس ، وساعدت على
تعريفهم ببعض البعض ، فان لها من جانب آخر ،
ملابسات دقيقة ترتبط بها على وجه او آخر ، بل
وينتج عنها - اي عن هذه الملابسات - جملة قضايا
ومشاكل ، قد تكون محرجة في بعض الاحيان . وهذه
الملابسات والمشاكل والقضايا المتعلقة بها ، هي ما يعني
- بصورة اخص - رجال القانون الدولي ، في وقتنا
هذا ، وقد تزداد عنايتهم بالموضوع اكثر بكثير ، مما

وقد عتبت في كتاباتي على الشاعر العظيم ولي الدين يكن اذ كان قد مزق كثيرا من شعره ، وكذلك فعل الشاعر الفرنسي الفريد دو موسيه ..

وكيف دار الامر فقد اخذت اسكب على ديوان « لوحات شعرية » شعوري وتألمي وعقلي ونظراتي في الادب والنقد والتحليل فاذا بي ادهش لما ارى من شعر في موضوعات اشتات في الوطنية والوصف والشكوى والفزل ايضا - وهل على عبد الله كنون من حرج ان يتفزل ؟ ان جلاب الوقار الذي يزين منكبيه لا يرحله عنهما شعر الفزل ولا الفزل نفسه .

وانست في شعره حزنا مريرا وقد يكون دفيننا في مثل قوله في قصيدته التي اسمها : « الحماسة العصرية »

فان كان في طبعي اتضاع لماجد
فرب اتضاع كان في حسنه كبيرا
يقول حسودي انني متظامن
وكيف ونفسي قد تجاوزت الشعري
لئن غره مني مداراة جاهل
فان السياسي من يداري الوري طرا

فانار في كوامن نفسي قضية الحسد فرحت انظر الى شعره ويدور خاطري بأبيات لابي الطيب المتنبى في شكواه من حسد حساده حتى حسدوه على حياته ، حتى سمي ابنه الاوحد « محسدا » وقد قتل معه . وكان الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر محسودا فالف رسالة في الحاسد والمحسود جاءت في التحليل النفسي اعجوبة ادبه وفكره ، وفي ديوانه اي الاستاذ عبد الله كنون قصائد ممتعات وروائع فوانت تموج بخواطر مليئة بالحماسة والذوب في حب الوطن والثناء للعظيم الاديب والفداء للحركة الوطنية والحركة الاسلامية والاعياد الملكية . ولقد رحت السوب على شعره في رثاء امه التي توفيت منذ عام فلم اجد من اجلها مرثية في ديوانه (*) ولقد رثى اياه ووجدت مقطوعة بعنوان (وداع) فيها حزن وما احسبه من اجل الام فاخذت اعتب عليه بيني وبين نفسي ثم ابحت هذا العتاب قلبي ليلفه وليكون في ديوانه الثاني البكاء على الام . وانني حتى اليوم لم اجمع شعري ليكون ديوانا حتى لا احمل الى قرائي الاعزة وقارئاتي العزيزات

احزانا ومواجد وان ديواني سيكون فيه عشر قصائد في امسي .

ولم يخل الشاعر الكبير عبد الله كنون ديوانه من الروح العلمية المعاصرة فكتب قصيدة في الذرة واحب ان يجرب حظه في الشعر الحر فعمل قصيدتين اردفهما بقصائده المستقيمة الخلية العامة ، والظاهر انه يعطف على الحركة الجديدة في الشعر المنشور ، وانا من اجل عطفه اتجاوز عن نقده في هذه التجربة التي يريد بها عبد الله كنون ان يلبس اللبوس المعاصر ، ولو كان ما فوق الركبة (Mini-jupe)

فارتد خيالي اليه - حفظه الله - حين دمر علي بدمشق فاذا بي اطالعه في بذلة اوربية وعقدة عنق وهو حاسر الرأس عليه من الشباب ما يغالب الكهولة وكان ارسل الي صورة لشخصه الحبيب بالبرنس الابيض الصوف القربي وعلى رأسه العمامة البيضاء .. ولعل من يقول، حين يقرأ مقالتي هذا ، اني لم اورد له شعرا فيه سوى ابيات ثلاثة وليعلم هذا القائل اني ارغبه بهذا الشعر الجميل المكين وبشاعره الموهوب ، ولقد دلتته على النبع فليرد موارده الدارة ليجد الري فيها .

فللاستاذ الصديق القديم عبد الله كنون عواطر تحياتي من ضفاف بردى تأتيه بها الانسام عليلة هههههههه على « طنجة » التي كم اتوق لرؤيتها ولتسريح الطرف في المغرب الاغر بعد ان سرحته في كتب افاده البواقع وقد اطرفوني بها ومنهم صديقي الفيلسوف والاستاذ الكبير الدكتور العميد عبد العزيز الحباسي وأخي الاديب الموهوب والسفير السياسي المحنك عبد المجيد بن جلون وسواهم كثير ممن اقرا لهم واتوق الى رؤيتهم من كتاب وشعراء ومفكرين .

واذا ختمت هذا المقال عدت بالقول الى قصيدة (المكتبة) في ديوان « لوحات شعرية » اذ وصفها الشاعر اللهم بأنها حرم الفكر والشعور فاحببت ان تشاركني الاعجاب بها بنتاي « ذكاء وسماء الحاسني » وهما الحائزتان على اللسان في الوثائق والمكتبات من جامعة القاهرة ولقد طربتا واعجبنا بها اذ وجدنا نفسيهما سادنتين لهذا الهيكل الفكري الخالد الذي هو (المكتبة) .

دمشق - الدكتور زكي المحاسني

(*) لقد توفيت المرحومة والدة الاستاذ سيدي عبد الله كنون بعد طبع الديوان .

الاربع والعشرين ساعة دون انقطاع ؛ والادوات التي يقوم عليها الجهاز الاعلامي العصري ، تتنوع - كما نعرف - بقدر ما عند الانسان من تنوع في الحواس والسبل المؤدية الى التعقل ؛ فهناك الوسائل الاعلامية المتعددة على السمع فقط ، كالاذاعة او السمع والبصر في آن واحد كالسينما والتلفزة ؛ او البصر لا غير ، كمعارض الرسوم ، وخزانات الكتب والصحافة المكتوبة وغير ذلك مما في هذا المعنى ؛ ان كل هذه الوسائل تنضاف جميعها لايصال « افكار العصر » ومعطياته المختلفة الى ذهن الفرد عن طريق حواسه السمعية والبصرية ، وبجميع ما يمكن من ملابسات الاغراء كالاستعانة باللون والنغم والمفاجأة ، واستغلال غريزة الفضول والانارات المختلفة ، ومن كل نوع ؛ وتختلف الموضوعات الاعلامية التي يتلقاها المرء كل يوم ، اختلافا لا حد له متراوحة هكذا بين اشد المواضيع السياسية والعلمية تعقيدا ، الى المواضيع الفكاهية والتسلية وما في حكمها . الا ان مجموع المواضيع الاعلامية الملقى بها الى الفرد - تتركز كلها تركزا يساهم في صياغة عقلية هذا الفرد من ناحية اجتماعية واقتصادية وسياسية وساهم - بالنتيجة - في التأثير على نظرته الى نفسه ، وإلى قومه وإلى العالم وإلى الحياة نفسها ، وما يتلبس بها من فلسفات ونوازع ؛ ولا نقول بهذا ان وسائل الاعلام الحديثة هي وحدها التي تكيف عقلية الفرد على نحو ما نرى عليه الفرد في مجتمع أو آخر من المجتمعات ؛ ان وسائل الاعلام لا تعدو ان تكون وسائل وكفى ، فليست هي التي تكيف عقلية الفرد ، وانما الذي يكيفها هو مختلف المؤثرات التي يجدها الفرد في مجتمعه منذ بداية ابصاره للنور ، بما يدخل في ذلك من المفاهيم التي يدين بها الآباء ، والروح التي تسود حياة الدراسة الرسمية . والمواضعات التي يسير عليها المجتمع مبدئيا او عمليا . يمتثل ذلك في تقاليد هذا المجتمع ، وفلسفته ، وطرز حياته والسلوك الشائع في حظيرته ، والاقوال التي تروى في محيطه وغير هذا من العناصر التي تسكن منها صورة حضارته الخاصة ، كل هذا يلعب الدور الرئيسي في صياغة العقلية الاصلية التي ينشأ عليها الفرد . والسبيل الفكري والعملي الذي يسير عليه في الحياة ؛ وبهذا يتسلسل الفرد عن مجتمعه ، ويبقى مؤتمنا على الوديعة الحضارية التي يتلقاها عن هذا المجتمع ؛ يبقى كصورة من الصور عن هذه الوديعة ، صورة تصلح لان يقتبس منها فرد او افراد من الجيل التالي الذي هو جيل ابناء ذلك الفرد او احفاده المباشرين ؛ وتأتي وسائل الاعلام في الغالب ، لا لتخلق شيئا عند الفرد ، خارجا عن ماهية الوجود الحضاري

الذي يعيشه منحدرًا اليه من قومه ، ولكن لتركز فيه بطريقتها الخاصة ، جوهر العناصر الفكرية والحضارية القومية التي تلقاها في الاصل عن مجتمعه ، اي انها تعمل على اخصاب هذا الوجود الحضاري القومي عنده ، وتوسيع آفاقه واعطائه منطلقات جد غنية وإيجابية ، وادعى الى زيادة تطفل الفرد في حضارة قومه وحياتهم الخاصة ، وهذا دور مهم تؤديه وسائل الاعلام الحديثة ، في نطاق العمل الدائم الذي يبذله المجتمع من اجل ضمان اندماج افراده فيه ، وجعل هذا الاندماج اكثر حيوية وفاعلية وبنائية ؛ لكن هناك بهذا الشأن سبيلا للملاحظة احوال تبدو في هذا النطاق ، تبعا لما هناك من اختلاف في فلسفة الاعلام عند اهل هذا البلد أو الآخر ، واختلاف كذلك في المناهج والقوالب والصيغ التي تسير عليها عمليات الاعلام في شتى الاقطار بالعالم المتخلف أو العالم المتقدم . فالفرد - عندما يتلقى عن المجتمع في البيت والشارع وغيره ، جملة قيم واصول هي قوام حضارة ذلك المجتمع وشخصيته الفريدة - ان المرء عندما يتلقى ذلك ، فانه يتلقاه بصورته الطبيعية الصادقة التي تعكس روح المجتمع ، الحقيقية ، كما هي ، بطبيعتها النموذجية التي لم يتسرب اليها تمييز اساسي ؛ اما عندما يحتل الفرد مقعده في المدرسة فانه لابد ان يجد هناك صورة معدلة عن روح مجتمعه وتقاليد بلاده . داخل اطار فيه بعض التجديد والتغيير ، يتمثل ذلك في الحقائق « غير القومية » التي تأخذ المدرسة على عاتقها تلقينها للطفل لترتبط الصلة بينه وبين الحقيقة الأكثر اطلاقية والاشد تجريدا كالقضايا العلمية ، والحقائق الرياضية وغيرها ، وعندما تنتهي المعاهد المختلفة من صياغة عقلية الطفل المعدلة ، الجامعة بين ارتباطه بحضارة قومه ، وحضارة العالم ، وبين الحقائق المجردة في الحياة - حينئذ يصير الفرد حرا في كثير من اختياراته الفكرية وما يأخذ به ، وما يرفضه من معطيات الفكر والنظر ، ضمن الحدود الاساسية التي تشكل شخصيته القومية والانسانية ؛ وهنا تأتي وسائل الاعلام الحديثة ، لتكون بالنسبة اليه المدرسة الدائمة التي تتعهد الحالة العقلية المعدلة ، التي صيغ عليها ذهنه في المدرسة ، هذا اذا كان قد تعلم . اما اذا كان غير متعلم ، فان وسائل الاعلام ، تقوم بالنسبة لهذا الاخير بدور الصائغ الاساسي لعقليته المعدلة ، الجامعة بين ارتباطاته ، واتصالاته بالعالم الخارجي عنه ماديا ومعنويا .

الا ان هناك عناصر جديدة في الموضوع ، تظهر عند انتقالنا من وسائل الاعلام بالمدرسة وما في حكمها ،

بضاعة اعلامية اجنبية ، قد تنال موافقة المصدرة اليهم هذه البضاعة وقد تكون مدعاة لانارة اشمئزازهم وسخطهم كذلك .

ومن مفارقات عصرنا ، ان قدرة وسائل الاعلام على اختراق الحواجز المختلفة بين الاقطار قد حصلت في نفس الوقت الذي اشتدت فيه الرغبة عند الدول في اقامة مزيد من الحواجز فيما بين بعضها البعض ، يدعو الى ذلك ما هو واقع من تناقض المصالح الاقتصادية وغيرها بين الامم ، واشتداد المشاعر القومية والاقليمية في كل مكان .

وهذا التناقض بين القدرة على اختراق الحواجز التي لوسائل الاعلام الحديثة ، وبين الرغبة في الابقاء على الحواجز ، وتنميتها طبقا للمقاييس والمفاهيم التي تسود اعضاء المجتمع الدولي في عصرنا الحاضر - نقول : هذا التناقض الحاصل هو من بين ما تثيره الادوات الاعلامية الحديثة من قضايا وملابسات مثيرة للاهتمام ؛ الا ان ما ذكرناه هو صورة واحدة من المسألة تتعلق بالصلات بين الامم بعضها مع بعض ، ويبقى هناك في المسألة صورة أخرى تتعلق بصلة الفرد بمجتمعه ؛ وفي هذا النطاق ايضا ترتبط بوسائل الاعلام ملابسات مختلفة تتعلق بمدى حرية فكر الفرد ازاء الوسائل الاعلامية المتغلغلة في كل مرفق من مرافق حياة الافراد في اي مجتمع ، والى اي حد يحق بل يجب على وسائل الاعلام ان تتدخل في تكييف عقلية الفرد ، وتطعيمها ، وتوجيهها على نحو ما من ميادين التوجيه .

وسواء بالنسبة للفرد وعلاقته بالمجتمع ، او بالنظر لعلاقة الامم بعضها ببعض ، فان المفاهيم هنا تختلف اختلافا كبيرا ، حول الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام في هذا المضمار ، وما اذا كان هذا الدور يجب ان يؤدي على كيفية او أخرى ، ليكون دورا ايجابيا مفيدا حقا ؛ فوسائل الاعلام الحديثة ، تقوم بنشاط يومي جبار في كل انحاء العالم ، لكن تقدير الناس لهذا النشاط يختلف بحسب مفاهيمهم ونظرياتهم ، والمؤثرات التي يتأثر بها كل فرد او كل جماعة ؛ فهناك من يرى في وسائل اعلام معينة ان ما تقوم به ، هو عبارة عن عمل توجيهي مفيد ، يخدم مصالح المجتمع او المجتمعات او يبصرها بما يجب ان تسعى اليه وتعمل له ، بينما يرى آخرون في سياسة اعلام من هذا القبيل ، انها تقوم على مسح الحقائق وتحريف الوقائع والعدوان الناشيء عن سوء نية ، النية التي ترمي الى تحقيق نوع من البلبلة والتهديم

لامبرر معقولا لهما ؛ وقد تجد من بعض الجهات سياسة اعلام اكثر محافظة ، والتزاما للمواضع الدولية المعمول بها ، ولكنك قد تجد - من جهة أخرى - من يرى في هذا الالتزام بالمواضع الدولية ، نوعا من التحفظ المبالغ فيه ، والذي يقلص - كما يرى مثل هؤلاء - من فاعلية التأثير الموجه الذي يجب ان يقوم به الاعلام في الاصل .

هذه الاختلافات في تعيين مفهوم رسالة الاعلام ، وتعيين حدود لها اكثر ثباتا وما يجب ان يقوم به الاعلام الحديث من وظيف ، في بناء المجتمع المحلي ، ثم ما يجب ان يقوم به من دور كذلك في تكوين علاقة سليمة وبناءة بين المجتمعات المختلفة - نقول ، مثل هذه الاختلافات ، ليست امرا بسيطا في حد ذاته ، بل انها امر ذو بال ، والى حد كبير . فقضية الاعلام - بهذا الاعتبار - تتعلق بكثير مما لدى الناس من مفاهيم مختلفة في السياسة والثقافة والتنظيم العام بكل مدلولاته وموضوعاته ، وما يتخذونه حسب هذه المفاهيم من مناهج وسلوك في التفكير والععمل . ثم ان الموضوع كذلك يتعلق بطبيعة الفلسفة التي ياخذ بها قطر او آخر من الاقطار ، والعقلية التي تسيطر على هذا المجتمع ، او غيره من المجتمعات ؛ ان الامر هنا - امر وسائل الاعلام - اذا كان في اطاره التكنولوجي الذي يعطي صورة عن حالة توسع تقني ، هو من اهم مميزات العصر ، فانه من جانب آخر ، يضع على المجتمع الانساني ، مسؤوليات جسيمة ، مسؤوليات تتلخص في جعل الاحتكاك الناشيء عن توسع الوسائل الاعلامية احتكاكا ايجابيا ، مستنيرا ، وتلافي كل ما امكن - الصعوبات التي تسببها حالة الاحتكاك والتواجه بطبيعتها .

فالنظر الى موضوع الاعلام من هذه الزاوية ، هو اذن نظر في وجه من اوجه الحضارة القائمة ، واستطلاع لافق مهم من آفاق الحياة الانسانية الراهنة ، حيث تتداخل التكنولوجيا مع الحياة العامة للناس تداخلا كبيرا ، وحيث يتطلب هذا التداخل كثيرا من التطور الفكري على صعيد الانسانية ، لتلافي المشاكل الناشئة عنه .

* * *

يقع الفرد - في عصرنا الراهن - تحت تاثير اعلامي شديد التركيز عليه ، يحيط به من مختلف الواجه ، وبصاحبه طول نهاره ولبله كذلك . اى خلال

الفرد في مختلف انحاء العالم ؛ وعامل ذلك - كما نعرف - التطور السريع الشامل الذي ادركته المواصلات الحديثة في عالمنا الراهن حيث تتخذ الارض والبحر والهواء مطايا سهلة الاستعمال لتحقيق اضمح عمليات تواصل بين المجتمعات الانسانية عرفت لحد الآن ؛ وتأتي بعد ذلك الامواج الكهربائية المغناطيسية لتجعل هذا التواصل ، فوريا وشاملا على النحو الذي يكاد يجعل من الفكرة هنا وهناك ، ارضا مشاعا بين جميع الناس ، لا اعتبار لما بينهم من ابعاد ارضية وبحرية مترامية ، على شتى المحيطات والقارات والجزر بانحاء كوكبنا الارضي .

فهل من الممكن اعتبار هذه الحالة ، بمثابة حظ حسن توفر لانسانية القرن الحالي ، من بين ما توفر لها من حظوظ جميلة في مضمار الحضارة والتقدم ؟

ربما يعتبر القاء هذا السؤال ، غير ذي موضوع ، نظرا لبداهة الجواب الذي ينتظر من القائه ؛ والا فمن يجادل في الفائدة التي يجنيها الانسان المعاصر من الامكانية التي توفرت له : ان يلتقي مع موارد الثقافة والراي عند غيره في شتى بقاع العالم ، كل هذا بمجرد حصوله على كتاب يقننيه ببضع دراهم ، او مجلة او صحيفة ، لا يكلفه الحصول عليها الا ثمن ازهد من ذلك بكثير ؛ وقد لا يكلفه ذلك شيئا مباشرا حينما يضع يده على الزر ، زر جهاز الاستقبال عنده ، فاذا به ملتحق مع خارج بيته في نفس اللحظة والحين .

حظ جيد توفر - ولا شك - لانسان هذا العصر ، الذي اصبح في امكانه هكذا ان يتعلم ويتثقف ، ويكون الراي والدوق ، بعشر معشار ما كان يصرف في سبيل ذلك من جهود قبل ؛ غير ان هذا الحظ الجيد لا يخلو هو ايضا من ملاسبات تتصل به ، هذه الملاسبات قد تبدو منظوية على بعض التعقيد في نظر البعض ، وقد يراها كثيرون بالغة حد المشكل الذي يجب ان ينظر اليه باهتمام ، ويعنى بتصفية الآثار التي قد تنتج عنه فيما اذا لم تقع تصفيته ، قبل ان تتولد عنه مضاعفات محتملة . فما مصدر هذا التعقيد الذي تخلقه الحياة الاعلامية المتطورة في عصرنا الراهن ؟ وما هي آثاره والنتائج المترتبة عنه ؟ وماذا يفكر في موضوعه على مستوى العالم ؟

اشرنا في فقرة سالفة الى المظهر البسيط لهذه القضية التي يعتبرها البعض بمثابة مشكلة تخلقها وسائل الاعلام الحديثة ، وذلك حينما قلنا ان هناك تناقضا كبيرا بين الرغبة التي تجتاح عصرنا دافعة الامم الى اقامة الحواجز فيما بين بعضها البعض ، بينما تسير وسائل الاعلام الحديثة ، نحو القدرة على اختراق هذه الحواجز والنفوذ منها نفوذا غير مراقب ، وغير مضبوط بحال من الاحوال ، والواقع ان ماثير الالتفات في هذا التناقض ، ويظهره بمظهر المشكلة عند عدد من الناس في العالم ، هو ان اختراق الحواجز هذا لا ينحصر مداه عند حد معين ، بل يزداد نطاقه توسعا وامتدادا بقدر ما تزداد التقنية الحديثة توسعا وامتدادا هي كذلك ؛ فالصور المنقولة عبر الامواج كان مداها ينحصر في منطقة محدودة داخل القطر الواحد ، او حتى اذا ما توسع مداها ، فانها لا تتجاوز النواحي المجاورة لذلك القطر الذي تصدر عنه الصور المنقولة (المتلفزة) غير ان نظام الاتمار الصناعية قد احدث بهذا الصدد تحولا مدهشا في مجال الصور المنقولة ، اذ عمل على توسيع نطاق انتقالها ، فصار من الممكن تبادلها بين القارات وعبر المحيطات الشاسعة ، كما برهنت عنه تجربة نقل البرنامج التلفزيوني بين اوربا وامريكا منذ بضع سنوات مضت ؛ والتجربة التي تم بموجبه نقل الصور بكل وضوح من امريكا الى غربي اوربا ، مسجلة بذلك بداية الدخول في فترة جديدة من التواصل العالمي ، لها ما بعدها في برامج المواصلات اللاسلكية عبر الكوكب الارضي .

وقد جرت في اليابان خلال سنة 1964 دورة الالعاب الاولمبية ، التي تقع دوريا على رأس بضع سنوات كما نعلم ؛ وليس المهم في الامر ، وقوع الالعاب ونجاح الدورة تك بالشكل الذي نجحت به ، وانما موطن الاهمية بهذا الصدد ، هو النجاح الاعلامي الذي تحقق بتلك المناسبة والذي تم على اساسه نقل صور بواسطة القمر الصناعي ، العملية التي تمت خلال تلك الدورة ، كانت بالعكس من ذلك - مجرد بداية لفتح صفحة جديدة في تاريخ العلم وفي تاريخ الاعلام ، وفي تاريخ العلاقات الدولية عموما ، هذه الصفحة ما تزال في بداية انفتاحها ، اما الآفاق التي تلوح من خلال هذه الصفحة الجديدة فتبدو لها ملامح مليئة بالوعود الواسعة ، التي من شأنها ان تحدث في حياة العالم من التطورات ، ما احدثه ظهور البث اللاسلكي ، والطيران ونحوهما ؛ الوعود الواسعة التي ذكرنا ، تتصل - طبعا - بموضوع المواصلات ، والمواصلات الاعلامية

الى وسائل الاعلام العمومية ، على مستوى الصحافة وغيرها من الوسائل التي استعرضنا صورا منها من قبل . ان هذه العناصر الجديدة تظهر (اولا) في كون وسائل الاعلام العمومية تتوجه الى جميع مستويات الناس ابتداء من الاطفال الى الشيوخ وما بين ذلك ؛ ثم ان وسائل الاعلام العمومية - وان كانت تقتيد بمبادئ اساسية فيما تقدمه من مواد - فان هذه المبادئ الاساسية نفسها ، تتأثر بعقلية الانسان القائم على وسائل الاعلام والمكيف لطريقتها وقولها ، بل والمكيف كذلك لروحها في بعض الصور ؛ واطهر ما يظهر لنا هذا في الصحافة المكتوبة بالنسبة للمجتمعات الليبرالية في الاقطار ؛ فالصحافة في مثل هذه الحالة ، تتمتع بقسط كبير من الحرية في التوجيه والاقناع ، مما ينوع امامها السبل التي تتخذها في هذا التوجيه والاقناع ؛ وقد لا يقع ان تخرج كل الصحف عن اطار الاهداف والمبادئ القومية والانسانية التي ياخذ بها المجتمع والتي يتلقى المرء اصولا لها في أسرته والشارع والمدرسة ؛ بيد ان التلوين الدقيق لابد ان يدخل في صميم هذه المبادئ والاهداف المعروضة على الناس بواسطة الصحف ، تلوين يتأثر بعقلية الكاتبين في الصحف ، والموجهين لها ، ويتأثر كذلك بنوازعهم واقتناعاتهم الشخصية ، التي لا يلزم ان تتخذ وجهة واحدة الامر الذي يجعل للحقيقة الواحدة اكثر من صورة ، واكثر من لون ؛ وعلى افراد المجتمع العاديين ان يتلقوا كل هذه الصور والالوان المتضاربة ، وبهضموها جميعها ويتمثلوها تمثلا يسهم في تكوين عقلياتهم وافكارهم ، على اساليب ومناخ مختلفة .

* * *

هذه الحالة من تعديد الصور للحقيقة الواحدة ، واختلاف الوسائل الاعلامية المؤدية الى هذا التعديد ، تجد انصارها الذين يذهبون في تأييد ذلك الى القول ، ان الفرد الراشد الناضج لا يمكن اعتباره دائما كتلميذ مدرسة ، تصب عقليته في قالب واحد ، يشبه جميع القوالب التي تستعملها كل المدارس الاخرى في بلاده . ان المرء الراشد يصبح في العادة ذا قدرة اكبر على تكوين افكاره بنفسه ، وسلوك سبيل هذا الاختيار او الآخر فيما ياخذ به من نظريات ومذاهب ، تأتي اليه من خارج ذهنه ، فالمجتمع الذي صاغ له عقليته القومية منذ صغره ، قد منح له المادة الخام التي يركز عليها وجوده الفكري والحضاري في بلاده ، اما المدرسة فقد ساعدته على تنمية ملكاته ، وصقل عقليته ، وربطت بينه

وبين العالم الخارجي ، ومنحته من خلال ذلك ، امكانيات العثور بنفسه لنفسه ، على افكاره واستنتاجاته الخاصة ، التي قد تكون استنتاجات مشابهة لما عند عموم الناس ، فتعتبر لذلك استنتاجات عادية ، او عادية جدا ، وقد تكون استنتاجات فريدة من نوعها ، وذات عطاء خلاق ، فتعد استنتاجات نابغة او عبقرية ؛ وفي جميع هذه الحالات ، يكون المرء - وهذا هو الاهم - ذا قدرة على الاستنتاج لنفسه ؛ ولهذا فان تلوين المادة الاعلامية التي تقدم له تلوينها بحسب النوازع والمقاصد والعقليات التي للقائمين على تقديم هذه المادة الاعلامية - هذا التلوين ، لا يجب ان يعتبر ضارا بالعقلية العامة عند الناس ، ولو كان ينطوي في بعض ما ينطوي عليه - على ما يوجب الحيرة والاضطراب في افكار بعض الناس وتصوراتهم ؛ اذ ان الحيرة التي تثيرها الموضوعات والاستنتاجات المتناقضة ، مما تحمله ادوات الاعلام المقروءة وغيرها ، سرعان ما تستقر بالمرء في الاخير على شيء ، على استنتاج هو من بنات فكره واختياراته ، وحينئذ يكون الاستنتاج من هذا النوع - الاستنتاج وليد الحيرة والتأرجح - اكثر غنى واعمق اساسا من غيره من الاستنتاجات المبسرة التي يكونها الآخرون لانفسهم مباشرة ، وبدون اصطدام بأراء مختلفة ومتناقضة عند الآخرين ، وبدون معاناة الحيرة وما في معناها .

ويقابل هذه النظرة الى الموضوع ، نظرة اخرى تذهب الى ضرورة تضيق الباب امام الاختيارات الفردية في ميادين الفكر والثقافة ، بحجة ان تعدد الاختيارات وتنوعها بغير تحديد ، من شأنه ان ييث روح البلبلة الفكرية التي لا تستقر على هدف ثابت ، ومن شأنه كذلك ، ان يجعل الفكر ذا طبيعة ترفية اكثر من ان يبقى عليه كأداة توجيه دقيق ملتزم ومتناسق يؤدي الى مقاصد مدروسة مقدما ، ومنسجمة مع الاهداف الحيوية للمجتمع .

وليس من استنتاج قد يؤدي اليه مثل هذا التفكير الا الاستنتاج القائل بافضلية صهر ادوات الاعلام المختلفة ، في بوتقة واحدة ، تستمد روحها من نهج مشترك ، وفكرة مشتركة ، وان كانت الصور والاساليب المظهرية ، تختلف فيما بينها اشباعا للحاجة الطبيعية الى التنوع والتلوين ، ولو من حيث المظهر فقط ، واذا كان هناك من الاقطار النامية من ياخذ بهذا البدا الاخير ، فان الحياة العالمية الاخذة في التشابك والتداخل باقصى صورة ممكنة تسير عمليا نحو فرض مبدا التنوع ، وتكثير الصور الاعلامية المعروضة على

هذه الشبكات من الأقمار الصناعية والإشراف هكذا على توجيه المحتوى الإعلامي الذي ينبعث عن هذه الأقمار ؛ ومثل هذا الاحتمال قد أثار بالفعل عدة اعتراضات قانونية وجيهة ، تنصب كلها على التساؤل عن معقولة ان تتولى دول معدودة ، السيطرة على مقاليد التوجيه الفكري العالمي ، مساهمة في تكييف الأفكار السائدة في المجتمع الإنساني على الكيف الذي يتفق مع نظرتها الخاصة ، تتذرع الى ذلك بما يتوفر لها من استعدادات ضخمة في التقنية والمال وغيرهما ؛ وبطبيعة الحال ، فان مثل هذه الحالة لا تبدو معقولة

اطلاقاً ، ومتناقضة مع مبدأ التفاهم العالمي الذي هو على صيغة التفاعل ، بمعنى التشارك في الفعل من طرفين او اطراف متعددة ؛ بقيت - بعد كل هذا - حالة نالسة ، وهي حالة إشراف دولي مشترك على محتويات الإعلام الذي تتولى بثه شبكات الأقمار الإعلامية المحتملة ؛ وقد حدثت على الصعيد الدولي حول هذه النقطة بالذات ، مبادرات مهمة بقدر كبير ، وترسم حول الموضوع ملامح اتجاه عالمي مشر ، قد نعرض لتفاصيله - بحوله تعالى - في حديث قادم .

سلا - المهدي البرجالي

- تكفيه الشكوة الواحدة !! -

حكى ان رجلا مر على أناس من قبيلة من قبائل الزوايا في شنقيط - (اولاد ابيبيدي) وكان الناس يرمونهم بسقم الفهم - يدفنون ميتا ، فحضر لينال الثواب ، فلما وضعوه في القبر ، صبوا عليه شكوة من اللبن . فقال لهم الغريب : « ما هذا ؟ » فقال له عالمهم : « في رسالة ابن أبي زيد : ويصب عليه اللبن . الاصل : ينصب عليه اللبن ، بكسر الباء ، فحرف هذا » .

فقال الغريب : « تكفيه الشكوة الواحدة » .

بوجه أخص ! وقد تحققت وسائل الاعلام اللاسلكية في خلال الثلاثين سنة الاخيرة ، التطور الذي نلمسه على صعيد حياتنا اليومية ، الا ان هذه الوسائل الاعلامية اللاسلكية ، لم تصل لحد الآن الى المستوى الكمالي الذي ينشد من حيث المبدأ ؛ فما يزال البث الاذاعي على الامواج القصيرة ، يلاقي في بعض الاحيان مصاعب طبيعية جمة ، تحول بينه وبين ان يؤدي مهمته دائما على الوجه الاكمل ؛ وما زالت « التلفزة » وهذا اهم ما في الامر - محدودة المدى في كل بلد لا تتجاوزه الا الى البلدان المجاورة ؛ حتى ولو بلغت الاجهزة المرسلة للصور مدى بعيدا في الكمال التقني ، ومثل هذه النقائص ، ليس مما يسهل سبيل التواصل العالمي على النحو الذي يراد به اقامة مثل هذا التواصل ، فانحاء الارض محتاجة الى « رؤية » بعضها بعضها مباشرة ، كما هي في حاجة الى « سماع » بعضها بعضها مباشرة كذلك ؛ وهذه « الرؤية » المباشرة على المستوى العالمي ، هي ما تتركز حوله الاهتمامات الان ، بعد نجاح مبادرة سنة 1964 في اليابان ، والتطورات التقنية في هذا الميدان ، التي اعقبتها بعد ذلك .

على انه اذا كانت التطورات التقنية ، قد بلغت المدى الذي تنفتح معه ابواب الوعود بهذا الصيد ، على مصراعيها ، فان هناك - من الجانب الآخر - قضايا متعلقة بالقانون الدولي ، يثيرها هذا الموضوع من اساسه ، ولا ينتظر ان تصل هذه القضايا في الاجل القريب الى تسوية عالمية محكمة ؛ ان القضايا القانونية من هذا القبيل التي يخلقها امر التوسع في الاقمار الصناعية على صعيد الاعلام تتصل بما سبق ان اشرنا اليه - قبل - من حالة التناقض القائمة في هذا العصر ، التناقض بين رغبة الدول في تقنين التسرب الاعلامي الى اراضيها او الاكتفاء بمراقبة تسربه على الاقل ، وبين اندفاعية وسائل الاعلام الحديثة ، وطفانها على كل مراقبة ، وتقنين ، وخاصة فيما يتعلق بالاعلام عبر الاجواء الحرة ، التي لاتخضع لحدود او قيود ؛ ان الاقمار الصناعية التي يراد لها ان تفتتح عصر الصور المنقولة عبر العالم كله ، تعد ولا شك ، اكبر تحد يمكن ان يقوم ضد الرغبة العامة في مراقبة التسرب الاعلامي .

وتقنين تسربه - عند الاقتضاء ، وهذا النوع من التحدي يثير تساؤلات كثيرة في عدد من المحافل العالمية ، ويثير مع التساؤلات دواعي تفكير في المستقبل الاعلامي على مستوى العالم ، والملازمات القانونية والسياسية التي يخلقها ذلك ، او من شأنه ان يخلقها بالضرورة ؛ وتتركز التساؤلات حول هذه الشبكة من الاقمار الصناعية التي ينتظر لها ان تصبح اداة رئيسية لنشر ثقافة اعلامية على مستوى عالمي شامل ، الامر الذي - اذا ما تم بالفعل - فان من أبسط نتائجه ، هو اقضاء الحواجز الاعلامية نهائيا بين الدول وجعل المجتمع الانساني العالمي ، واقعا تحت فكرة اعلامية متشابهة في كل مكان ؛ ولا شك ان الامر على هذا النحو سيبدو خطوة ايجابية جدا في سبيل العمل على تقريب تيارات الفكر العالمي بعضها من بعض ، وخلق جو موحد للتفكير والتقييم والاستنتاج عند مختلف المجتمعات الانسانية ، التي تباعد بينها تناقضات الافكار بقدر ما تزداد افكار الناس تعددا وتشعبا ، وتتناقض مصالحهم بالتبعية لذلك ؛ والواقع انه من السهولة بقدر كبير تبين مظهر الايجابية على نطاق واسع في مثل هذه الآفاق التي يعد بها عصر الاقمار الاعلامية الصناعية ، غير ان المظهر المثير لهذه الآفاق ، لا يجب ان يحجب عن الاذهان ، أهمية المشاكل العملية التي يحدتها تقدم عالمي من هذا القبيل ، وهناك حالتان اساسيتان يمكن ان تتركز فيهما معطيات الاعتراض الذي قد يقوم بهذا الشأن ، (اولى) الحاليتين ، ان تنفرد كل دولة بتكوين « شبكتها » الخاصة من الاقمار الاعلامية ، الصناعية وهذه الحالة ، فوق انها غير ممكنة من الناحية العملية ، اذ ان الدول ليست كلها بذات امكانيات مالية وعلمية وتنظيمية تمكنها من تكوين « شبكات » اقمار صناعية ، بحيث تنفرد كل دولة بشبكتها الخاصة - فضلا عن هذا ، فانه - ولو مع فرض ان تستطيع كل دولة دولة ، شيئا من هذا القبيل ، فان الذي لابد ان ينتج عن ذلك بطبيعة الحال ، هو زيادة تعقيد الحالة الاعلامية بالعالم ، وجعلها اداة تعارض على نطاق اوسع مما كان لحد الآن ، لا اداة تفاهم وتلاحم فكري على النحو المنشود من حيث المبدأ . (ثانية) الحاليتين ، ان تتولى الدول ذات الامكانيات الكافية ، اي الدول الكبرى ، تكوين

98 - انا الفريق فما خوفي من البلل ..!

وجدت في ختام المقامة التي كتبها الشيخ عبد
القادر ابن شقرون في موضوع بنت الرماد « الطنجية »
هذه الابيات :

القت الى القوم ما اخفت بباطنها
وفاح منها شذا يبيري من العليل

اذ قال كل من الاقوام نرجمها
ومزقوا لحمها من غير ما زلل

فاصبحوا ولسان الخبز ينشدهم
« انا الفريق فما خوفي من البلل »

99 - مدائن العجيين ... !!

نظر احد الشعراء الاندلسيين الى صورة مدينة
من مدن العجيين ...!! التي كانت تصنع من الحصى
بالاندلس ... فاعجبته وسال لعابه من اجلها .. ' فقال له
صاحبها :

صفها .. وخذها .. فأنشد ..

مدينة مسورة تحار فيها السحرة ..
لم تبناها الا يد عذراء ومخدرة ..
بدت عروسا تجتلي في درك مزعفرة ..
وما لها مفاتيح الا البنان العشرة ...!

100 - جامد .. وذائب ..

وجدت في شعر المعتمد بن عباد هذين البيتين :

لله ساق مهنف غنج
قام ليسقي فجاء بالمعجب

اهدى لنا من لطيف حكمته
في جامد الماء ذائب الذهب

101 - وصف دمية من المرمر في حمام ..

وجدت في وصف دمية من المرمر بحمام الشطارة
باشبيلية .. ابياتا لابن زيدون يقول فيها :

ودمية مرمر تزهو بجيد
تناهى في التورد والبياض

لها ولد ولم تعرف حليلا
ولا الت بأوجاع المخاض

ونعلم انها حجر ولكن
تتيمنا بالحفاظ مراض

كمثل روض ناعم
بزهرة ، محتفل
انظر الى سري فما
يلقى له من مثل
وكيف لا ونشأتني
« نيل بلوغ الامل »

94 - لولا فساد الناس ..

في الرحلة العياشية :

« قال ابو الحسن الزيات : ماشيت بعض الابداء
بشرقي قرطبة فمررنا بمسجد خرب ... فكتب ذلك
الاديب على المسجد ..

باي جنابة وبأي ذنب
بيوت الله خربها الزمان ...
ثم انحم ..! ودرنا بجوانب ذلك المسجد وعدنا ولم
نر احدا ..! فوجدنا بيتا مكتوبا ..:

فساد الناس خربها ولولا
فساد الناس ما فسد الزمان

95 - في شمعة ..

وجدت للشيخ العروضي ابي الطيب وابي البقاء
صالح بن شريف الرندي هذين البيتين في وصف شمعة:

وصفراء لون التبر قاسمتها الهوى
اذا ما بكيت الحب ليلا بكت معي

كمثلي في لوني ، وسقمي ، وحرقتي
وصبري ، وتسهيدي ، وصمتي ، وادامي

96 - في البحر ..

ووجدت له ايضا في البحر ...

البحر اعظم مما أنت تحسبه
من لم ير البحر يوما ما رأى العجيا ..
طام ، له حبيب طاف على زرق
مثل السماء اذا ما ملئت شهباً

97 - لم تسبح ولم تطر ..!

وجدت منسوباً للتطيلي الاندلسي في وصف
سفينة ...

تجري فللماء شاتاً عائم ذرب
والرياح جناحاً طائر حذر
قد قسمتها يد التدبير بينها
على السواء فلم تسبح ولم تطر ..!

الوجاهات

للأستاذ عبدالعازز عامر

92 - واجترعنا الفراق والتوديعا !!

وجدت في مخطوطة « تاج المفرق في حلية علماء
المشرق » وهي الرحلة التي دونها الشيخ خالد البلوي
الاندلسي ...

« لما دخلت المدرسة السراجية بالاسكندرية ..
رايت على باب بيتي الذي سكنته فيها ما نصه :

عليك سلام الله يا خير منزل
رحلنا وودعناك غير نهم
فان تكن الايام فرقتن بيننا
فما احد من صرفها بسليم
واني لارجو عودة يشتقى بها
غليل محب بالعباد كلهم

ثم تأملت فاذا بعده بخط آخر ما نصه :

تركنا هنا ثم ارتحلنا
كذا الدنيا نزول وارتحال
وما دهر على احد بيقاق
ولا يبقى على الانسان حال
ثم التفت امامه فاذا بعده بخط آخر ما نصه :

قد حضرنا في ذا المكان وغبنا
وكذا الدهر غيبة وحضور
فاذكرونا يا حاضرين بخير
واعلموا انها الليالي تدور
ثم نظرت فاذا تحته بحائط آخر ما نصه :

قد حضرنا في ذا المكان وغبتم
وقرانا من بعده ما كتبتم
وذكرنا بكل جميل
فاذكرونا بمثله ان حضرتم

فمعبت لدار تدين برحيل ' وتنبىء عن سفر طويل!
وتفرق بين كل خل و خليل !! وكتبت من نظمه هنالك
بطرف دامع !! وقلب عليل !!

قد اسلمت لنا الدموع نجيعا
وذكرنا كم بخير جميعا
وسألنا يا حاضرين دعاء
واجترعنا الفراق والتوديعا !!

93 - على خدود دار « عديل » بالمعادي - !

وجد مكتوبا بخدود بيوت دار « عديل » بحومة
« المعادي » بفاس ما نصه :

انظر بديع بهجتي
ذات الجمال الاكمل
كانني شمس الضحى
اذا بدت في الحمل
كانني بكر غدت
تجلى بتوابع الحل
شمالي شاملة
لرائق الحسن الحلي
شكلي رفيع شكله
وذاك غير مشكل

موقف الأدب من الدولة والمجتمع

لأستاذ محمد عبد الله الكنايني

1 - مفهوم الأدب ورسالته

وتتصل بأصول معان قديمة من ناحية أخرى ولكن الوقوف على هذه الصلة لا يهم غير باحث معين هو الرجل المعجمي أما الباحث في الأدب كفرع من فروع الثقافة الإنسانية أو كمظهر من مظاهر التعبير الفني عن الإنسان فيهمه تحديد المجال الذي تتحرك فيه ظاهرة الأدب بالنسبة للعصر الذي يعيش فيه ، لا سيما عندما يكون هدف البحث ربط هذه الظاهرة بالمجتمع من ناحية وبالدولة من ناحية أخرى .

ما الشروط الضرورية التي يأخذ معها أي إنتاج فكري اسم الأدب ؟ هناك ضروب مختلفة لنشاط الفكر تستهدف غايات مختلفة ، منها ما هو محاولة رياضية لكشف نواميس الكون ومنها ما هو تأويل فلسفي لظواهر الكون ومنها ما هو تصوير ما يجري في الشعور أو النفس من ضروب التأملات بشكل من أشكال التعبير . ومهما قيل في الأدب وصلته بشكل من هذه الأشكال فإنه سيبقى منفلتا من ربقة التجديد لانه نشاط فكري حر ، يطرق كل باب من أبواب المعرفة ويحلق في كل جو من أجوائها ، انه الريشة التي تنقل كل ما يطفح به الحدس الإنساني في صياغة ذات خصائص شكلية تجعل له صلة أو نسبا بالفن . أما مجاله فهو كل ما يتحسس الفكر فيضع له اسما أو يجسده في الحرف .

وقديما رأى ابن خلدون أن الأدب مادة لا موضوع لها ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها . فهو لا شك قد استعرض مجموعة من الأشكال الأدبية فلم يجدها

للالفاظ التي نستعملها مدلولات تتسع وتضيق ، بل وتختلف أحيانا ، ليس فقط بين عصر وآخر ولكن في العصر الواحد والبيئة الواحدة ، بين شخص وآخر تبعا للمضمون الذي تحتويه من مفهوم كل فرد وتجربته الشخصية ، وتختلف بين عصر وآخر لنفس السبب باعتبار التطور الحضاري الذي يكسب الالفاظ اشعاعا جديدا على الدوام ؛ ومن قبيل هذه الالفاظ لفظ الأدب ، بل ربما كان على رأس الالفاظ التي أصابت من التطور في دلالاتها الشيء الكثير . لهذا كان من الواجب تحديد المفهوم الذي يهم هذا البحث . أما سائر المفاهيم القديمة للفظ والتي تشرحها الموسوعات القديمة فلا تهمننا بالنسبة لهذا البحث ، بل تهتم الدارس اللغوي الذي يرصد التطورات التي عرفها اللفظ عبر العصور . وسواء كان هذا اللفظ يعني الخلق أو الدعوة الى الطعام أو مجموعة من الفضائل أو مجموعة من العلوم اللسانية فماذا يكون من فائدة لهذه المعاني الاثرية اليوم ؟ ومن الحق أن نشير الى أن لفظ الأدب اليوم لم يعد يطلق اطلاقا للدلالة على مفهوم متعارف عليه لا يحتمل الاختلاف ، وانما يقيد أو يخصص على نحو من الانحاء ، ومن ثم نعرش على عبارات تمايز الدلالات فيما بينها تمايزا ملموسا كقولنا : أدب الدنيا والدين ، وأدب البحث ، والأدب التطبيقي وأدب النفس وعلم الأدب وأدب اللغة والأدب العامة . صحيح أن هذه الدلالات على اختلافها تتصل فيما بينها من ناحية

102 — الشنقيطي .. عبثي ؟ أموي .. ؟

وجدت في الترجمة التي كتبها المرحوم أحمد تيمور
لشيخه الباقعة اللغوي محمد محمود الشنقيطي المتوفى
بمصر سنة 1322 ما يأتي :

« هو الاستاذ العلامة الحجة الثقة ..؟ امام
اللغويين في مصره ! شيخنا محمد محمود بن احمد بن
محمد التركي . الشنقيطي .. اشتهر والده (بالتلاميذ)
بالدال المهمة !! .. وسبب ذلك على ما أخبرني به !! .. انه
كان يقرئ تلاميذه في خيمة انفرد بها .. فكان كل من
يسأل عنه يقول : ابن خيمة التلاميذ ؟ ثم اطلق هذا
اللقب عليه ...

وتركز بضم فسكون اسم قبيلته ..

وهو في الاصل أموي .. النسب .. ؟ ولهذا كان
يكتب في توقيعه .. العبثي ..؟ نسبة الى عبد شمس!!
ثم ترك كتابته لما اقام بمصر »

103 — قتيل « المخصص » .

ووجدت أيضا في نفس الترجمة . مما يتعلق
بالشنقيطي المذكور :

« وكان لا يمل المطالعة ليلا ونهارا !! حتى أضفته
كثرة الجلوس .. وسببت له امراضا وآلاما !! لاسيما
لما اشتغل بتصحيح كتاب « المخصص » وانه كان
يقابله مع شخص آخر بمكان رطب ! في الطبقة السفلى
من داره .. فاشتد به مرض الصدر!! والم الرثية * في
أطرافه !! وكثيرا ما كان يقول :

« أنا قتيل — المخصص — ؟! أنا قتيل الكتب ..»

104 — كيف لا يشرد خوفا من سرف ..؟

وجدت هذه الأبيات في ترجمة محمد بن أبي الفضل
الصفاد .. وهو الذي ورد على أحمد المنصور الذهبي من
مكة .. وقد ترجمه ابن القاضي في الجذوة . والدرة .

* الرثية : داء المفاصل .

لا .. وفرع كجاء الليل الفسق

وجبين ضوؤه ضوؤه الفلق
ومحيا كلف البدر به
وخديد من حواليه شفق

ما أرى الفزلان الا سرقنت
منه جيدا . والتفتاتا ، وحندق
اخذتها فتولت شردا

كيف لا يشرد خوفا من سرق ..؟

105 — تكبو الجياد ولا تنبو عزائمها ..!

وجدت في ترجمة أبي الحسن الخزاعي مؤلف
كتاب « تخريج الدلالات السمعية » التلمساني المولد ..
الفاشي الوفاة .. الاندلسي الاب .. ابيانا قالها لما كبا
فرس الامير موسى بن أبي عنان المريني .. في سوق
الشماعين .. بنلس .. من جبلتها .

مولاي لا نذب للشقراء ان عثرت
ومن يلما لعمرى فهو ظالمها

وهالها ما اعتراها من مهلتكم
من أجل ذلك لم تثبت قوائمها

ولم تزل عادة الفرسان مذ ركبوا
تكبوا الجياد ولا تنبو عزائمها ..

وقد انطلقت هذه — الكبوة — السنة عدد من
شعراء ذلك العصر .. ومن جبلتهم أبو الحسن الخزاعي
المترجم في — الدر — والجذوة . ومستودع العلامة ..
ومقدمة التراثيب الادارية ..

فاس : عبد القادر زمامة

معينة او مفلق على نفسه ، فالادب وسيلة اتصال ، ولانه وسيلة اتصال بين حريتين فهو حر كذلك ، ولا يوجد ادب له معنى في مجتمع لا توجد فيه حرية .

ولما كان الادب هو تعبير الكاتب عن ارادته الحرة ، وكان القاريء ايضا يقرأ للكاتب بمحض ارادته ويستجيب له او لا يستجيب بمحض اختياره ، فالعمل الادبي اذا وثيقة بين ارادتين حرتين ، فهو وثيقة حرية ، ووثيقة الحرية هذه لا يمكن ان تكون ضد الحرية . لهذا نرى ان اسوأ ما يعترض سبيل ازدهار الادب في مجتمع من المجتمعات ان يدعى الاديب او الكاتب لاتخاذ موقف لا يشمر في قرارة نفسه بانه موقفه كائنسان ، او لم يكن حراً في ان يتخذ غيره ، او لم يكن حراً في ان يسير اليه من طريق أخرى . ان الادب حينئذ لن يبقى ادبا وان ظل يحتفظ باسم الادب ، لانه سيفقد الكشف والجدة والدعوة الواعية ، ويتحول الى دعاية وتوجيه لا ينبثقان عن ارادة حرة او وعي حر وبالتالي سيكون مظهرا لعدم تطابق الكاتب مع ذاته . واسوأ ما في هذا الوضع ان الكاتب يفصل بذاته عن جذوره الانسانية وينسلخ عن حريته ويقضي على تلقائية الفكر في مجتمعه .

هذا الحديث عن حرية الاديب او حرية الادب ربما تراءى تحديا للمجتمع او تحديا للدولة في رأي بعض الناس ، وهنا نبلغ جوهر القضية المطروحة للبحث ، وهي : ما الموقف الذي يجب ان يتخذه الاديب من الدولة ومن المجتمع ؟ وتنشأ عن هذا الموقف قضية أخرى نرى لزاما ان يتعرض لها هذا البحث ، ولهذا رأينا ان نتناول الموضوع من جذوره كي نتبين في وضوح موضع فروعه واذا كان لابد ان نتخذ موقفا فيجب ان نتخذه انطلاقا عن فلسفة شخصية تلتزم قاعدة كلية تطرد في هذا المجال وغيره .

(3) الفرد والدولة والمجتمع

لقد فرقت بين الدولة والمجتمع قصد الدقة والايضاح ، فقد تكون الدولة صورة لارادة المجتمع ، وهنا لا يكون ضير في اطلاق احدهما على الآخر ، وقد يكون العكس فتكون الدولة هي السلطة الموجهة ويكون المجتمع هو الارادة العامة المعطلة وعندئذ يكون لكل منهما مصيره الخاص واسلوبه في العمل والسلوك .

ما الدولة اذن ؟

افضل ان يكون الجواب مستقى من الواقع لا من نظريات فقهاء القانون . لقد كانت الدولة في فجر النهضة الاوربية الحديثة كما صورها الكاتب الانجليزي توماس

هوبس في القرن السابع عشر هي ذلك العملاق الضخم الذي صنعه الانسان على صورته ليعيش في حمايته ويتلقى منه الحياة والحركة ، ويجب ان تتمثل فيها القوة المطلقة والسلطان المطلق لانها مسؤولة عن حماية الافراد وتنظيم العلاقات فيما بينهم ، وحماية المجتمع في الداخل والخارج ، وبوم تضعف او تنهار على الافراد ان يتخلوا عنها ليضعوا امر حمايتهم وسلامتهم في زمام سلطة اقوى . تلك كانت سلطة الدولة في هذا القرن ، ويأتي جان جاك روسو ليجمع في تناسق شاعري بين الفردية التي تعشقها كشاعر وبين منافع التعايش المشترك ، فلم ير في تعايش الافراد الا ارادة عامة او عقدا اجتماعيا على الدولة ان تمثله وتسير بمقتضاه . وتنطلق الثورة الفرنسية سنة 1787 هذا المنطق المثالي لتعلن ارادة الامة العامة . على ان الفرد في ظل العقد الاجتماعي لا يمنح الدولة الا العناصر الضرورية لتحقيق اهدافها بينما يحتفظ لنفسه بل عليه ان يحتفظ بكل حقوقه الطبيعية .

(4) صراع الفردية والمجتمع

ومنذ عصر جان جاك روسو تطورت النزعة الفردية تطورا كان له مظاهره الواضحة في المذهب الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت بعده ، فلقد كان النصف الاول من القرن التاسع عشر عصر الفردية ، ولكن النصف الثاني من هذا القرن كان رد فعل لهذه النزعة لصالح النزعة المجتمعية . واصبحت الاتجاهات الفلسفية والاجتماعية تتحور حول موضوع الفرد والدولة مدفوعة بالتطورات الاقتصادية . فقد اقتضى تضخم الصناعات الحديثة التوسع في تصريف الانتاج كما اقتضى ظهور حق العمل ، وانتقلت الافكار من مبدأ حرية العمل الى مبدأ توجيه العمل ومن مبدأ عدم التدخل في الحركة الاقتصادية الى مبدأ التدخل ، لتحقيق مصالح الطبقة الكادحة . ودخلت النظريات الاشتراكية مجال الاختبار والتطبيق ، وهي نظريات رغم اصولها القديمة فقد استمدت في الواقع محتواها من نتائج التقدم العلمي الذي عرفه هذا القرن من ناحية ، ومن التطور الصناعي والاقتصادي الذي كان يأخذ شكل أزمة تنذر بالانفجار من ناحية ثانية . نعم ، لقد واكب هذه التطورات الاجتماعية تطورات أخرى عظيمة في ميدان العلوم الطبيعية والانسانية ، وتراءى للفلاسفة الاجتماعيين ان بإمكان المرء تسخير معطيات علوم الحياة والنفس ومناهج العلوم الطبيعية في سبيل تطوير الاوضاع الاجتماعية ، وهكذا تتداخل علوم مختلفة وتطورات حاسمة لتزيد مشكلة العلاقة بين الفرد والدولة عمقا

تستقطب موضوعا معيناً او لعلها ظهرت له وكأنها صور مستقلة واساليب متميزة لكل منها طابع فكري خاص .

غير انها تتحد في الصياغة واشكال التعبير ، فاكتمى بهذا المظهر ، وقال انه شعر ونثر ، وعلى هذا النحو جرى اصطلاح الباحثين الى العهد المتأخرة .

واليوم نجد اننا لسنا بأحسن حالا من العلامة ابن خلدون ، وقصارانا في تعريف الادب بغير تعريف المدرسين ان نقول : انه تعبير الانسان عن موقفه الفكري او الوجداني من شيء بالذات . هذا الموقف يختلف في نوعه ومداه ، فقد يضيق او يتسع وقد يتحرر او يتقيد بحسب شخصية الاديب نفسه ومدى حساسيته بالروابط المجتمعية والانسانية والكونية ، ومدى عمق وسرعة الاهتزازات التي تتحملها او تتلقاها خيوط وعيه المشتبكة بالعالم حوله . والادب تبعا لذلك هو التعبير عن مواقف انسانية ازاء الحوادث والاشياء المختلفة ولتكن امرأة او غروب شمس او اصلاحا اجتماعيا ، او ثورة او مجاعة . فهذه الحوادث او الاشياء كلها قضايا ، لان الفرد مطالب بأن يقف منها موقفا معينا وبشكل فريد يختص به ، حتى ولو كان الموقف جماعيا ، لانه يتفاعل مع هذه الاشياء يعبر عن كيانه ، ومن ثم كان التعبير عن هذا الموقف يقتضي الشعور بقيمة ما يعبر عنه .

والموقف الانساني اي موقف يستلزم درجة معينة من الوعي للذات وللعالَم ، والادب تبعا لذلك بوصفه تعبيراً عن هذا الموقف لا بد ان ينطوي على قيمتين :

اولهما : الجدة ، لانه تجربة جديدة بالنسبة للاديب فهو يعانيتها على نحو فردي خاص لا يتكرر ، ومعنى ذلك ان هذه التجربة لايهمها - بالنسبة لصاحبها - كل ما تراكم من تراث الانسانية الادبي عبر الاجيال في موضوعها ، لان ذلك لا يعني سوى ركام من التلوج . ان الاديب الحق مسؤول عن التعبير عن موقفه كإنسان تجاه الاحداث او الاشياء ، كنموذج فريد ، وبصورة تلقائية في ظروف فردية بالنسبة اليه لا يمكن تكرارها ، والا كان مجرد آلة ذات نشاط تلقائي لا يختلف فيها زيد عن عمرو ، بل لا يختلف فيها اثنان مهما تباعد الزمان والمكان وهذا خلاف الواقع البشري .

ثانيهما الكشف عن الحقيقة : وليس معنى ذلك ان على الاديب ان يكشف بعض الحقائق التي تصير فيما بعد قوانين مطردة في النفس او الطبيعة ولكنه

مطالب بان يكشف ذاته كما هي لان في عمله ذلك كشفا عن جانب من جوانب الكنه الانساني الذي هو عرق نابض في كتله اللامتناهية . ان عليه ان يعبر عن ذاته بكل اخلاص وحرية ، وفي ذلك كسب للانسانية . هذا العمل - بحكم حضارتنا - يكاد يصبح عملا ذا مظهر وظيفي او قل انه ينبغي ان يكون كذلك . يقول الكاتب الفرنسي جورج دوهميل : « ان معظم المواطنين في حياة اجتماعية عادية تشغلهم مهام عملهم الشخصي واعبائه عن ان يجدوا القدرة والوقت اللازمين لمعرفة العالم بالمعنى الفلسفي والشعري للكلمة ، وان يعبروا في لغة لبقة عن خلاصة ما يكتشفون ، وهم يكونون ذلك الى الرجل المختص اي الى الكاتب الذي يناط به - في حدود ما يتمتع به من ثقة - ان يزاوِل أعمال المعرفة » ونحن هنا نلتقي مع بعض ما يذهب اليه المذهب الوجودي من ان وظيفة الادب هي كشف العالم حتى لا يظل أي فرد يجهل ما يحدث فيه . يقول سارتر : « ان هدفنا هو المساهمة في احداث تغييرات معينة في المجتمع الذي نعيش فيه ، ونحن نتحالف مع كل من يسعى لتغيير ظروف الانسان الاجتماعية وفكرته عن نفسه » . وهذا الهدف مما تعطف عليه الماركسية ايضا لانه لب فلسفتها .

فموقف الاديب يشمل الكشف عن المجهول اولا والجدّة ثانيا ، والدعوة ثالثا . اي توجيه المجتمع لانه عندما يختار موقفه لا يختاره عبثا واعتباطا وانما يختاره عن وعي وتقدير لما يجب ان يكون . فكانه يختاره للانسانية جمعاء في ظرف كظرفه ، ولان في هذا الموقف يتمثل الانسجام مع الحقيقة والقضاء على الزيف . ومن هذه الناحية نلاحظ ان الادب يرتبط لا محالة بنزعة اخلاقية معينة ، وان كان لا ينطلق مبدئيا لخدمة هذه النزعة فانه ينتهي اليها .

(2) الادب والحرية

لا يتحقق ادب من هذا النوع الذي المعنا اليه الام مع الحرية ، لانه لا يمكن ان نمارس تجربتنا للحياة بمطلق ارادتنا واختيارنا ولا تعبيرنا عن مواقفنا الشخصية ازاء مظاهرها واحداثها ولا ان نكتشف ما هو طبي نفوسنا من اسرار وحقائق بل لا يمكن ان نقوم بدعوة للآخرين لما نراه حقا وخيرا الا اذا كنا احرارا كما لو كنا نحن الذين نصوغ العالم لأول مرة او نوجده بارادة مطلقة . يقول الكاتب الفرنسي سارتر : « ولكي يقدم الكاتب هذا العالم لوعي القراء لابد ان يكون كل من الكاتب والقارئ حرا في تفكيره ، اذ لا يمكن ان يتفاهم كاتب وقارئ كل منهما عبد افكار

تسير الفلسفة الماركسية من حيث هي فلسفة مادية يقول عنها اصحابها انها مفهوم علمي - لانها المفهوم العلمي الوحيد بمعنى انه الوحيد الذي يتمشى مع ما تعلمنا اياه العلوم ، وماذا تعلمنا العلوم ؟ انها تعلمنا ان العالم واقع مادي وان الانسان ليس غريبا عن هذا العالم بل هو يستطيع ان يعرفه ، ومن ثم يستطيع ان يغيره . ان المادية الماركسية هي النظر الى العالم ومواجهته في تطوره الواقعي ، والعمل على تغييره او بالاحرى تغيير المجتمع فيه . لذا اصبحت هذه الفلسفة هي فلسفة الطبقة العمالية الكادحة ، وطبقة البروليتاريا ضد البورجوازية والرأسمالية والاقطاع .

هذا هو مفهوم ما اصطالحنا على تسميته بالنزعة الكلية التي هي محتوى الفلسفة الماركسية اما اسلوبها في العمل وهو ما يترأى جوهريا بالنسبة للبحث لان اسلوب العمل هو المناخ الذي على الاديب الملتزم ان يتكيف معه فشيء آخر . فاذا شبهنا المشرف على تطبيق النظرية الماركسية في مجتمع ما بمهندس اجتماعي - ولا خير في ذلك ما دام المهندس معا التكنولوجي والاجتماعي يعملان على التخطيط والتصميم وفق قواعد علمية مسبقة ثم تطبيق هذا التصميم في حقل الانتاج - تمكنا من تصور اسلوب العمل الاشتراكي الكلي النزعة انه هندسة اجتماعية تهدف دائما الى اعادة تركيب المجتمع كله وفقا لخطة محددة كما انها ترمي الى توسيع سلطة الدولة حتى تصير الدولة والمجتمع شيئا واحدا تقريبا . كما تهدف الى التحكم في القوى التاريخية التي يتشكل بها مستقبل المجتمع المتطور . هذا الاسلوب في العمل يتحكم في الفرد ويسخره لغاياته دون ان يابه لدوافعه الانسانية فهو بدلا من بناء مجتمع يلائم فيه بين الدوافع الانسانية والواقع المجتمعي مع الحفاظ على كرامة الافراد رجالا ونساء يستهدف تشكيل هؤلاء الافراد تشكيلا يلائم البناء الجديد فهو اسلوب يستبعد منذ البداية امكانية اختبار النجاح او الفشل لان كل من سوف لا يلائمهم هذا البناء الجديد سيحكم بعدم صلاحهم لهذه التجربة وبالتالي للحياة فيما بعد او سيدفعون كرها لتكييف دوافعهم الانسانية وترويض اشخاصهم وفق التصميم الجاهز .

(7) ما مفهوم الادب في ظل النزعة الكلية وما مدلول التزامه في ظل هندستها الكلية ؟ ؟
لنترك الكلام لاحد رجال الاشتراكية الكلية النزعة وهو الزعيم الصيني ماوتسي تونغ ، ففي محاضرة له مشهورة عن الادب والفن وكان قد القاها في مؤتمر

للادباء الصينيين سنة 1942 يقول عن موضوع الادب: « ان الاعمال الادبية والفنية مهما كانت مستوياتها هي نتيجة العمل الفني للعقل الانساني وهو يعكس ويصور حياة الناس ، وهكذا فان الادب والفن الثوريين هما نتيجة لانعكاس وتصوير حياة الناس في عقول الكتاب والفنانين الثوريين » .

وحول صلة الادباء بال جماهير يقول : « يجب على الكتاب والفنانين الكفاء بأصالة ان يذهبوا بين الجماهير ويجب ان يهبوا انفسهم لهم بلا شرط ومن كل قلوبهم يجب ان ينضموا للصراع المشتعل » ، « ومثل هذا الادب والفن يستطيع ان يدفع الناس الى الحركة وان يوقظهم وان يرغمهم على الاتحاد ليقوموا بصراع منظم تأخذ الجماهير خلاله مصيرها في ايديها هي » . « ويجب ان نذكر خبراء الحركة الادبية بان الكتاب الثوريين لا يستطيعون ان يضيفوا عملا ذا قيمة الا عندما يتحدون مع الجماهير وعندما يعبرون عن افكار واحاسيس الجماهير وعندما يكونون المتكلمين المخلصين باسم الجماهير » .

ويتحدث عن المقياس النقدي للادب فيقول : « نطالب بالوحدة بين السياسة والفن والادب ونحن نطالب بالانسجام بين المحتوى والشكل اي الاندماج الكامل الصحيح للمحتوى السياسي الثوري مع أعلى مستوى ممكن من الشكل » .

هذه بعض جوانب من اقوال ماوتسي تونغ تصور مفهوم الادب ووظيفة الاديب كما ينبغي ان تكون عليه في ظل دولة شيوعية . ونعود الآن لاجمال معطيات نظرية النزعة الكلية من حيث المبادئ والاسلوب وتصورها لوظيفة الادب ، لكي نحكم عليها بعد ذلك .

(1) ان الدولة هي التطور النهائي لثورة البروليتاريا في المجتمع .

(2) انه بالامكان احداث تغيير في تنظيم المجتمع اذا تحكمنا في قوانين سيره التي اكتشفها العلم والفلسفة للعمل في صالح الجماهير مثلما نتحكم في قوانين الفيزياء . لايجاد تنظيمات جديدة .

(3) انه بمقدورنا التنبؤ بما سيؤول اليه التطور الاجتماعي في ظل تجربة كلية كالشيوعية لتحقيق اهداف الثورة الاشتراكية .

(4) على الاديب والفنان ان يكون في خدمة هذه التجربة الكلية بفكره وقلمه وعليه ان يفضح اعداءها ويمدح انصارها ويعطي نفسه للجماهير بدون تحفظ

وتوترا . واتضح ان تلك الآراء أصبحت تبلور في اتجاهات سياسية معينة . ومعنى هذا انه اذا كان قيام الدولة امرا ضروريا لضمان سلامة المجتمع وتوازنه فانها مع ذلك امام اختيار حاسم لا محيد عنه ، بما لنوع الارادة التي تمثلها والوضع والنظام السياسي الذي تقوم على اساسه .

(5) ظهور الدولة ذات السلطة الكلية

ان الدولة اما ان تكون قائمة على اساس نظام اشتراكي يقتضيها القيام بثورة اصلاحية جذرية ، وتستهدف تغيير الوضع الاجتماعي كله ، وبناءه وفق نظرية علمية او فلسفية معينة فهي بهذا العمل وتلك الايديولوجية تواجه تجربة كلية هي التي تستهدفها كل ايديولوجية اشتراكية وهي في هذه الحال لابد ان تمثل السلطة الكلية فلا تؤمن بحرية الفرد داخل المجتمع كيف ما كان مظهر هذه الحرية ، لان تجربتها بعيدة المدى وتستهدف التغيير وتطوير المجتمع ككل، وما على الافراد الا ان يخضعوا لهذه التجربة وينصهروا في بوتقتها وان يتخلوا بالتالي عن كل حرياتهم ويسيروا وفق مخطط معلوم لغاية معلومة . واما ان تكون الدولة قائمة على اساس نظام ديموقراطي فهي ترى ان رسالتها تنحصر في القيام علالة على وظائفها السياسية بتحقيق عدد من التجارب الجزئية (ذات المدى المحدد ، والمجال المحدد ايضا) وذلك لتحقيق الاصلاح او التوازن الاجتماعي ، وهي في هذه الحال لا تمثل الا سلطة جزئية لانها تترك للفرد نصيبا من حق توجيه الدولة وممارسة مسؤولياته وحرياته في نطاق مشروع فهي بهذا دولة ذات سلطة جزئية .

ان موقف الاديب من الدولة او موقف الدولة من الاديب انما يكتسي أهمية قصوى امام نظرية الدولة الكلية السلطة ، لان الدولة الجزئية السلطة تعطي للاديب حريته كاملة فهل يمكن ان يوجد ادب بالمفهوم السابق للادب في ظل دولة اشتراكية ذات نزعة وتجربة كليتين ؟

ان المذهب الاشتراكي - وهو الذي يرى ان على الدولة ان تعمل على تطبيق التجربة الاشتراكية في المجتمع - يتميز بين جميع المذاهب السياسية بانه مذهب كلي النزعة وذو فلسفة لها منطقها الخاص ، والحقيقة انها فلسفة تتسع لتأويل التاريخ الانساني وتفسير الحركات الاجتماعية والتنبؤ بالمستقبل البشري ومصير الانسان ، وقد يبدو لاول وهلة ان نشاط الاديب او الادب في ظل دولة اشتراكية لهو في

الواقع التزام بخدمة حركة اجتماعية ذات تأثير في تاريخ التطور الاجتماعي والانساني ، وان التنكر او الحياد او الهروب من تحمل مسؤولية بهذا القدر من الخطورة يعد على الاقل حيادا سلبيا بالنسبة لعملية تطوير الانسان بل هروبا من واجهة النضال في سبيل سعادة البشرية . والواقع ان الاشتراكية كنظرية تختلف عن نفسها حين تصبح تجربة اجتماعية ، واذا فليس من الحق التحدث عن الاشتراكية باعتبارها مذهبا واحدا في كل مجتمع ، وانما يجب ان يكون الحديث منحصرا في دائرة اشتراكية متطرفة تمثلها دولة كلية النزعة كالاتحاد السوفياتي او الصين الشعبية اذ في ظل دولة كهذه او تلك توضع المشكلة التي نحاول مواجهتها بحدة . فالى اي حد يمكن للاديب ان يحتفظ بشخصيته وحريته ؟ والى اي حد يمكن ان يضع نشاطه في خدمة الدولة ؟

وبما ان محتوى نظرية النزعة الكلية واسلوب العمل في ظلها هما اللذان يحددان موقف الاديب فانني افضل ان احلل اولا هذين العنصرين قبل الحديث عن موقف الادب لان هذا الاخير نتيجة لهما . ما هو محتوى نظرية النزعة الكلية وما اسلوبها في العمل ؟

ان معطيات فلسفية وعلمية عديدة قد ساهمت في بناء ايديولوجية الدولة الاشتراكية الكلية النزعة وتقوم هذه الايديولوجية على عدة مبادئ ، منها : ان الحياة الاجتماعية تقوم على مبدأ شبيه بمبدأ الانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء ، ومنها : ان الحياة الاجتماعية تمثل على الدوام صراعا ماديا بين طرفين متناقضين في مصالحهما وهما الاقوياء بثروتهم والمستضعفون بفقرهم وان هذا النضال هو المحور الذي تدور حوله احداث التاريخ وان الانظمة السياسية القديمة كلها انما قامت في خدمة طبقة واحدة بعينها هي طبقة الاقوياء لضمان مصالح ثروتها . فاذا امكنا تحليل القوى التي تحدث التغيير الاجتماعي وتخلق التاريخ البشري لانها بمثابة قوانينه فسوف ننفذ الى ما وراء الاحداث ليتاح لنا التحكم فيها ، ونحن نتعلم من الديناميكا كيف تنشأ قوى جديدة من تبادل التأثير بين قوتين ، وننفذ الى العلل الاساسية المسبب للحوادث الفيزيائية ومثل ذلك المطلوب منا في المجتمع لان فيه قوى مادية كالمصالح الاقتصادية وقوى روحية كالدين ، وعلينا ان نحلل صراع هذه القوى وان ننفذ الى ما وراء اسبابها ليتاح لنا التحكم الكلي في تطور المجتمع ، والتنبؤ بمستقبله ، بل علينا اخضاعه للتجارب الكلية للتدخل في مصيره . وفي هذا الاتجاه

يمكن التدخل فيها أو تزيفها أو فرضها على الاديب ،
في ظل سلطة كلية تتعارض تعارضا صميميا معه .

اما التناقضات الكامنة في تلك النظرية كما
اشرنا من قبل فهي ما يتصل بموقفها من الادب
وشخصية الاديب . فانه اذا سلمنا بالقول بحق الدولة
في التدخل المباشر في الافراد فماذا ينبغي ان تطلب
منهم عندئذ من خلق وابتكار يعبر عنهما الادب والفن ،
انها بالاولى تقتل الاستجابة الحرة في الفرد وهي لباب
التعبير الادبي وتنتظر منه استجابة معينة شبه آلية .
فالنزعة الكلية باختصار لا يهمها الفرد ، ولا مواقف
الافراد ، وانما يهمها الكل لخير الكل . وكل التصورات
والرؤى الفردية هي توافسه لا ضرورة لوجودها او
التعبير عنها ، نعم ان هذه النظرية ترى في الادب والفن
طاقة قوية يجب استغلالها لخدمة التوجيه الجماهيري
والدعاية . وهو امر طالما عمل ادباء وفنانون كثيرون
في خدمته ولم يكن ما انتجوه في هذا الموضوع في مستوى
الفن والادب .

ولكن ما قيمة هذه الصيحات المتكررة ذات النمط
الترتيب وذات المحتوى الواحد تصدر من واحد او من
فئة من الكتاب شبيهة بنشيد مبتذل تلقيه شرذمة من
الجنود امام ضابط ؟ ما قيمة هذا النظم الذي يقوم به
جماعة من المداحين في ظل دولة او في ظل ثورة اذا لم
ينبعث عن شعور صادق . ولكن اليس يتراءى للبعض
وكاننا ندعو لانفصال الاديب عن مشاكل مجتمعه
وحياة امته ؟ بل اليس في هذا الموقف تواطؤ مع دعاة
الفن للفن ؟ بما في هذا الموقف من هروب وسلبية وتعال
وقوقعية كما يصفه به خصومه . واظن ان كلامنا
السابق لم يحاول التمهيد لاقناع القراء بهذا الموقف
او ذاك بل كان همتا ان نوضح فقط ان العمل في ظل
دولة مطلقة السلطة لخدمة الادب بروح الادب بمفهومه
السابق امر غير ممكن لان نظرية وسلوك الدولة الكلية
او المطلقة يتنافيان مع مبدأ الحرية التي هي روح الادب،
سواء في ظل دولة ايدولوجية كالدولة الشيوعية او في
ظل دولة دكتاتورية من اجل الحكم فقط كما هو الشأن
في بعض بقاع العالم .

لكن انصار النظرية الماركسية قد لا يقتنعون بهذا
الذي تقول بل يرفضونه من اساسه ، ويرون انه
بالامكان وجود ادب موجه لخدمة هذه الايدولوجية
كما يوجه كل شيء في ظلها لخدمة الانسانية على نحو
جماعي كلي ، لتغيير ظروف حياتنا ، وبالتالي توجيه
التاريخ البشري نحو مصيره المحتوم . وهذا ما
تستهدفه الثورة الثقافية في الصين في هذه الايام
(1967) بزعماء ماوتسي تونغ اذ يبدو ان هذه الثورة
جاءت في نظر قادتها لتصحيح الوضع الفكري في الصين
الذي اصبح يهاها بعوامل مختلفة لقيام حلف بينه وبين
الفكر غير الماركسي . وهكذا كان من جملة شعارات
هذه الثورة الثقافية شن حرب شعواء على كل ما هو
اجنبي عن الماركسية وما هو متناف معها . سواء كان
مذهبا فكريا او اثرا ادبيا او فنيا حتى ولو كان
سينفونية لبتوفن . قد يكون وراء هذه الثورة
محركات سياسية ولكن ذلك لا يهمنا ، كما ان نقد
الايديولوجيا في الصين ليس من اختصاصنا . ولكننا
نتساءل فقط هل يمكن وجود ادب موجه في ظل دولة
من هذا النوع ؟ مع التفرقة باديء ذي بدء بين ما هو
ادب وما هو مجرد دعاية ادبية ؟

كيف يوجه الادب ؟ وما مصيره في ظل سياسة
توجيهية ؟

ان الجواب على هذين السؤالين يجب ان نطلبه
في الوقائع التاريخية وفي هذا الصدد يمكن ان نأخذ
كمثال على الادب الموجه فترة من حياة الادب في الاتحاد
السوفيياتي لننظر الى التجربة في بوتقة العمل ، والى
الادب كيف امكنه التكيف مع هذه التجربة ، والى
النتائج التي حققها ، والى اي امد ظل الادب محافظا
على مقوماته في ظلها ؟

لقد خضع الادب في الاتحاد السوفيياتي منذ
انتصار الثورة الشيوعية وسيطرتها على الحكم وقيام
الدولة الاشتراكية الكلية النزعة لواقع لا زالت اصدا
النقد تتردد حوله الى اليوم . وفي المؤتمرات الادبية
السوفيياتية نفسها تتردد اصوات بعضها هو صوت

او شروط لبشر بنتائج نجاحها وبمسير التجربة الكلية وخيرها المطلق .

(8) نقد هذه النظريات

ان ردودنا على هذه الآراء ذات شقين :

اولها يقوم على فضح الاخطاء العلمية الكامنة في اسسها ومعطياتها والمتناقضات الكامنة في صفتها العلمية ، لانه اذا كانت هناك اخطاء وتناقضات فلا يمكن لادب ينبثق عن حرية ووعي ان يسير في ركابها او تحمل اوزارها والوقوع في التناقض مع نفسه اذا هو بشر بها ولانه لا مندوحة من اصطناع المنطق العلمي نفسه لمواجهة مذهب اجتماعي وفلسفي (فالحديد لا يفلح الا الحديد) .

اما الاخطاء العلمية الكامنة هناك فتتعلق اولا بالفكرة التي تزعم انه بالامكان احداث تغيير كلي في المجتمع ، وانه بالامكان اخضاع المجتمع لمجموعة من التقنيات يمكن معها ان نثبأ بمسيره على نحو ما يتم في التجربة العلمية . فالتجربة الكلية تقوم على التدخل المباشر في الافراد لمحاولة تغييرهم - وكما قلنا - فهي بدلا من محاولة بناء مجتمع جديد يلائم الافراد تستهدف تشكيل هؤلاء الناس تشكيلا يلائم البناء الجديد . وهو عمل يستبعد منذ البداية امكان اختبار النجاح او الفشل لان كل من سوف لا يلائمهم هذا البناء الجديد سوف يحكم عليهم بعدم صلاحهم للحياة . وفي هذه النزعة ابتعاد عن صفة المنهج العلمي ، واهدار لكرامة الانسان اذ بينما هي تريد اسعاد الفرد وتحقيق كرامته ، اذا بها تحاول تغييره ، بل تزييفه .

ونأسي الاخطاء العلمية التي يقع فيها هذا الاتجاه الكلي ، انه يريد فرض التجربة بصورة مطلقة على الكل . والكل لا يمكن جعله حقلا للتجربة ولا مجالا للبحث العلمي ، لاننا في حقل العلوم ايضا لا يمكننا دراسة اي قطعة من العالم بكليتها ، لان لهذه القطعة صفات وتطورات لا تنتهي .

وثالث تلك الاخطاء ان التجربة الكلية لا تهدف فقط الى محاولة اعادة تنظيم المجتمع ، بل تسعى الى جعل الدولة والمجتمع شيئا واحدا اي جعل سلطة الدولة مطلقة . وفكرة كهذه مستحيلة التحقيق من الوجهة العلمية ، لانه لا يمكن التحكم في كل العلاقات الاجتماعية ، وكل نوع من التحكم يخلق مواقف شخصية جديدة لدى الافراد فتحتاج هي بدورها الى التحكم ، وهكذا دواليك الى ما لا نهاية له وهذا امر

يفوق كل امكان تتوفر عليه الدولة او تعلم به ذلك ان الكائن الانساني غير قابل بطبعه للانضباط والتحديد ولا يمكن معه التوقع والتنبؤ لانه حر في سلوكه ، تلقائي في مواقفه ، وليس كتلة مادية آلية . فاذا اريد له ان يكون كذلك فانه يستجيب لهذه الارادة استجابة تخيب لا محالة امل المريدين .

ورابع الاخطاء - من الوجهة العلمية - في نظرية التجربة الكلية انها تستبعد الوقوع في الخطأ ، بل تقاوم كل نقد يقفها على اخطائها مع ان دور العالم ازاء تجربته العلمية هو دائما دور الناقد الذاتي لانه يبحث دائما عن تكذيب لفروضة . وذلك ان فينا - كما يقول كارل بوبر - ضعفا لا يتفق والروح العلمية يجعلنا نعتقد باننا دائما على صواب ، ويبدو هذا الضعف شائعا على الخصوص في المحترفين السياسيين . والطريق الوحيد للاقترب من المنهج العلمي في السياسة هو التسليم بانه لا يمكن القيام بعمل سياسي خال من العيوب ، وان ترصد هذه العيوب ، والعتور عليها ، والتعلم منها من اهم اهداف السياسي الذي يريد ان يتصف بمنهجية العالم .

واهم ما تقع فيه التجربة الكلية من اخطاء - في المجال التطبيقي - انها تتحكم في الآراء والميول والافكار وتجعلها بواسطة الدعاية والتربية الموجهة فتسيطر على العقول والراي العام وتضرب حوله سدودا لا يستطيع معها الانفتاح والتجاوب مع الخارج وهذا لا يتفق مع الفكر الحر النقدي ، ويقضي على المعرفة حتى انه يمكن القول مع كارل بوبر انه كلما زاد مقدار السلطة السياسية زاد معها باطراد مقدار التقنين على المعرفة .

الشق الثاني من ردودنا على هذه النظرية - وهو الاكثر صلة بجوهر الموضوع - يقوم على بيان ما يباعد بينها وبين روح الادب .

فمن بين تلك المفهومات المخطئة ما يتعارض كليا مع روح الادب لان الادب لا يقبل تزييف الطبع البشري ولا يقبل التدخل في وجدان الانسان او تلقائية الانسان وبالتالي حرية الانسان ، وكل ادب حق انما ينبثق عن حرية ، ويفهم في ظل الحرية ، لانه وثيقة للحرية كما قرنا . من اجل ذلك يتعارض دائما مع كل سلطة مطلقة ، تتجاهل اخطاءها وتقاوم النقد ولو كان نزيها ، وترفع بذاتها عن كل اعتبار ، لتجعل القاية تسرر الوسيلة . ومن ناحية ثانية فان الادب في محتواه تعبير عن مواقف حرة وعن تجارب روحية خالصة فكيف

السوفياتي ، لقد كتب اديب بولوني شيوعي منذ وقت قصير يلح على عدم تصوير الموت في الروايات باعتبار ان الموت ليس شيئا نموذجيا . ان الموت ليس شيئا هاما في نظر الانسان الشيوعي حتى ولو كان حدثا عاما ، صحيح ان الانسان يموت ولكن المجتمع الشيوعي يعيش دائما . ان الفرد ينجز قدره على الصعيد الوحيد الذي يهم ان يتحد فيه مع المجتمع ، وطبيعي ان هذا لا يترك ميدانا حرا للادب كما نفهم ، اي انه لا يترك الباب مفتوحا لطرح عدد من الاسئلة حول معنى الوجود البشري وغايته مع فضوله في نبش اعماق الانسان .

يتضح من خلال هذه التعليقات الواعية ان الادب في ظل الدولة الاشتراكية ذات النزعة الكلية أصبح خلوا من كل موضوع اجنبي عن التجربة الاجتماعية ذاتها مفروضا عليه ان يحلم او يتنبأ او يتأمل وهو يمشي متصليا في طريق التنفيذ او كان الادب في هذه الصورة انسان يريد ان يمارس حرية التجول وهو منخرط في كوكبة من الجنود يتحرك بحركاتها ويتجه وفق خارطة خارج رأسه .

صحيح ان الادب السوفياتي اليوم غيره الامس فيما يتصل بالنظام المفروض عليه . وانه أصبح يتنسم نسائم الحرية ، ولكنه ما زال يشكو العقم بالقياس الى الادب في دول أخرى في أوربا .

ونحن لا ندين التجربة الاشتراكية الكلية وحدها فقط في هذا المصير المحزن بل قد تكون هناك عوامل أخرى ، ولكن أسلوب العمل في هذه التجربة يتحمل القسط الاوفر من المسؤولية في هذا المصير .

وهذا بالطبع يختلف عن حكمنا فيما لو كان هناك كتاب وادباء اختاروا العمل مع الثورة والتجربة بمحض حريتهم ، ولذلك يجب ان تؤكد انه اذا كان الاديب او الكاتب يصدر في حماسه للثورة او الدولة عن عقيدة وموقف حر واستجابة عفوية فالامر يختلف بحيث لا يمس هذا النقد من قريب او بعيد ، لان النقد اذا ذاك يتجه الى قيمة ما يعتقد قيمة ما ينتجه ، اننا نرى ان من اخطر المتناقضات ان يتنكر الاديب لذاته ليضع قلمه وفكره عن قهر في خدمة اتجاه معين . لان كل ما قد ينتجه بوحى ذلك لن يعتبر ادبا ، لانه لن يعبر فيه بصدق ومعاناة وبالتالي لن يكون فيه شيء من الجودة والكشف .

وعندما نتحدث عن قضية توجيه الادب لا ينبغي ان نعتبر ان توجيه الموضوعات هو كل شيء في هذه

القضية ، لان لهذا التوجيه حتما آثاره على الشكل او الاسلوب . وعندما تحدثنا عن توجيه الادب فيما يتصل بالمضمون اكتفينا بالإشارة الى انفصال الادب عن كل ما هو مجتمعي وانساني تحت تأثير توجيه الدولة وضررنا لذلك مثلا بوضع الادب في فترة من فترات حكم الدولة في الاتحاد السوفياتي ، وكيف تقيد هذا الادب بالتعبير عن تجربة الدولة في الحقل والمصنع والانسان ، وكيف أصبح الادب ميدانا للتبشير بالنتائج الحتمية التي هي كل شيء بالنسبة للانسان السوفياتي، ولكننا لم نتحدث عن جانب الشكل او الاسلوب . والقضية المطروحة الآن بالنسبة للاسلوب في ظل الادب الموجه هي ان الادب اذا كان يتقيد بموضوعات معينة ويتجه نحو جماهير معينة فكيف يجب ان يكتب ؟ يكتب بلغة رفيعة هي صفوة فن صاحبها ومبلغ سموه ، ام يكتب بلغة جماهيرية اي بأسلوب شعبي ؟ ويبدو ان قانون العرض والطلب يتحكم في الادب الموجه كما سنرى ! فالذوق يجب ان يكون جماعيا . ولا مندوحة عن اختيار لغة الجماعة . اي لو كانت القضية تطرح نفسها علينا في العالم العربي بطروفا لما كان هناك جدال في ان تصبح اللغة العامية لغة الادب والكتابة في كل بلد عربي وهو الاتجاه الذي لوحظت بوادره في مطلع هذا القرن في مصر . ان ماوتسي تونغ الزعيم الصيني يفرق بين الادب والفن للاغراض التعليمية وبين الادب والفن لرفع مستوى الجماهير . فالفارق عنده بينهما هو فارق في الدرجة ، وفي المرحلة الاولى من النضال يجب ان يهتم بجعل المعرفة والثقافة وكل الاعمال الادبية والفنية وسيلة لرفع حماس الجماهير ودفعها نحو النصر النهائي . وهكذا واجه الادب الصيني نفسه قضية التجنيد الاجباري فلبس البزة العسكرية هو الآخر وتقمص الاسلوب الخشن السطحي . يقول ماوتسي تونغ بنفس العبارة : « ليس واجبا الاول ان نصنف الورود للتطريز بل ان نرسل الفهم لمنطقة الجليد » وهو يحدد في نفس الوقت المقياس النقدي الذي يجب ان يقاس به العمل الادبي بالنسبة للانتاج الادبي الموجه وفي هذا الصدد يعلن ان النقد له مستويان سياسي وفني ، ومعنى ذلك ان نقدنا للادب والفن لا ينبغي ان يكون بمعزل عن مضمونه السياسي، اما المقياس الفني الخالص فهو مقياس ثانوي بالنسبة للمجتمع وادب المجتمع الذي يخوض معركة النمو والازدهار (مشاكل الادب والفن . دار الفكر ، القاهرة 1956) .

نستخلص من عرض هذه الآراء ان الدولة عندما تقوم بتجربة اجتماعية كلية لا تستطيع ان تنظر الى

الدولة وبعضها هو صوت الحرية ولكن اصوات الحرية تخفت آخر الامر في غمرة الهياج والعنف . (1)

ويعتبر عهد ستالين مثلاً نموذجاً قوياً لانهيار الادب والفن في ظل حكم مثالي في نظر الدولة الشيوعية وقد كان على الادب والفن في ظل هذا العهد ان يدور حول موضوع واحد هو العمل والانتاج اما الموضوعات العاطفية الخاصة للكائنات الانسانية ، والمواقف الحرة او المختارة بحرية فهي عقوق للمجتمع وللدولة واصوات مشوشة يجب ان تخلق .

لقد كان الكتاب في الاتحاد السوفياتي - كما وصفته احدى المجلات الادبية (الاداب البيروتية 5 / 1955) مهندسي الروح الانسانية حتى موت ستالين ، وكانوا موظفين يتلقون من الدولة تعويضات مادية كبيرة ينتجون مقابلها ادباً مطابقاً من الوجهة الايديولوجية لتوجهات الحزب ، ومتحركاً من حيث الشكل في اطار الواقعية الاشتراكية . وقد كان جبين الادب في تلك الايام موحداً توحيداً كاملاً . فان كل مهندس كان يقوم بواجبه فيخرج كتابه او مسرحيته التي يتبين للقاريء من سطورها الاولى ان العامل التقدمي سينجح حتماً في تسيير مصنعهم ، ويتزوج رفيقته الستاكونوفية او يعدل عنها من غير ادنى حسرة ، اذا ما انحرقت .

ويقول الكسندر مارك احد الكتاب الفرنسيين الصحفيين معلقاً في احدى المجلات (الاداب البيروتية ع 2 - سنة 1955) : لم استطع ان اكتشف الا ثلاثة كتب بعد الحرب الثانية لا تنتهي بنهاية سعيدة - اي منذ قرابة عشرين سنة - كان لابد من الاعتراف بان الحرب قد خلفت موتى وجرحى ، ولكن كل مبالغة في وصف المصائب والكوارث كانت تقابل بتقطيب الجبين ، واذا لم يكن من مأساة في الادب السوفياتي ، فذلك لانه

ليس في الحياة السوفياتية نفسها مأساة معترف بها . قد يكون هناك موت او مرض او ألم او شقاء فردي ، ولكن حياة الفرد ذات اهمية ضئيلة بالنسبة للمجتمع ومهماته . ولذلك فان الجو المأساوي لا يمكن ان يوجد الا تحت حكم راسمالي ، حيث تضحيات الفرد وآلامه عبث لا جدوى منه . اما في الاتحاد السوفياتي حيث توجه جميع الجهود نحو بناء مجتمع شيوعي ، حتى ولو مات الفرد او اخفق فان المجموع يبلغ غايته ، ومن ثم يبلغ الفرد نفسه غايته . اما الملهة فليست اكثر نجاحاً من المأساة . ان الفكاهة يشفي ان لا تحتل مكاناً في دولة جماعية .

وهكذا نتبين ان الواقعية السوفياتية لا تعني آخر الامر - ما دامت المأساة والمهابة وانواع الصراع مفقودة في الادب السوفياتي - الا الامانة لسياسة الحزب والانسياق لها .

نعم لقد انتظر الناس بفارغ الصبر مصير الادب بعد موت ستالين وتساءلوا عما اذا كانت الدولة مستعدة للتنازل عن تطبيق القوانين الصارمة التي اودت بكل نشاط للاعمال الادبية والفنية في الاتحاد السوفياتي .

لقد ادرك المسؤولون انفسهم خطورة ذلك واصبحوا يولون ظهورهم لاساليب بات اخفاها محققاً وفي المؤتمر الثاني للكتاب السوفيات المنعقد في دجنبر 1954 صورة لهذا المصير . وتعليقاً على هذا المؤتمر تقول مجلة « PREUVES » ع 49 / 1955) : ما عساه تكون الحدود التي يقبل في اطارها قليل من الحياة وقليل من التنوع في الادب السوفياتي بعد الآن ؟ .

ان الجواب على هذا يمكن ان يكون واضحاً بالنسبة لمراقب خارجي . فليس هناك اية قضية انسانية من القضايا الجوهرية يمكن ان تطرح في العالم

(1) كتب الاستاذ عبد الكريم غلاب في بعض اعداد صحيفة « العلم » ع 6367 ، عن الادب والدولة في الاتحاد السوفياتي ينقض محتواه ما نتحدث عنه في هذا المقال ، ويرجع ذلك الى كون الاستاذ غلاب تحدث عن رحلة في الاتحاد السوفياتي اكثر مما تحدث عن تحليل الوضع الفكري هناك ، ولان واقع الادب السوفياتي اليوم غيره في ظل الحكم العنيف الذي عرفته ايام ستالين ، فهو اليوم اكثر انفتاحاً على العالم ، واكثر تنسماً للحرية . ومع ذلك فالكاتب المحترم يؤرد في مقاله روح ما ذهبنا اليه حين يقول : « ولكن لا يمكن ان ينشر كتاب الا اذا مر على لجنة التحرير وهي منظمة رسمية تراجع كل ما يريد ان ينشره الكتاب والشعراء فتجيز نشرها او ترفض النشر . » ويمكن القول بان « اتحاد الكتاب السوفيت » يوازي الحزب الوحيد في الدولة ، بل هو حزب فكري لا بنفس الفكر خارجه ، وهذا وحده يغطي على الضمانات الاجتماعية والقيمة المعنوية التي يتمتع بها الاديب هناك . ومع ذلك فمقالنا يضرب المثل بالادب السوفياتي في فترة كانت اشد انفلاقاً من الآن .

في صحبة الشعر

للأستاذ عبد العلي الوزاني

العقلي والروحي ، آدمي عليه حتى ارتوي ، دون أن
أفزع منه بالشئ اليسير ، فلسفة كان هذا اللون أو
اجتماعا أو تاريخا أو نقدا أدبيا أو غير ذلك . فانا منذ
عدة شهور مدمن شعر ، أقرؤه إذا أصبحت ، وأقرؤه
إذا أمسيت ، وأشغل به نفسي فيما بين الصباح
والمساء ، امتشقت الحمام مع أبي فراس ، وصاوت
الخصوم مع المتنبي ، وقارعت الكؤوس مع أبي نواس ،
وكانت لي عين غرلة مع ابن أبي ربيعة ، وخيال آثم مع
نزار قباني ... كما عشت مع غير هؤلاء ، متنقلا بين
هذه العوالم الساحرة العجيبة ، واجدا في ذلك لذة
ومتاعا ليس إلى وصفهما من سبيل . وكلما لقيت
شاعرا أعطيته زمام نفسي ، وتركته يقودني على هواه ،
ناسيا أو متناسيا كل ما كتبه عنه الكتائبون ، وما أحاطه
به الناقدون ، لاني أريده خالصا لي بدون وساطة أحد ،
ولو كان الوسيط اماما من أئمة البيان ، أو بليغا من
جهاذة البلاغة . وماذا يبغي الوسيط عند ما يدخل
فيما بيني وبين من أقرأ له من الشعراء ؟ ولماذا يدس
أنفه في هذه العلاقة التي أريدها بعيدة عن أعين
الرقباء ، لان لي فيها وطرا من أوطار الروح ، ولي عندها
غرضا من أغراض القلب والوجدان ؟ فأحيانا يود
القارئ أن يخلص له شاعره المفضل ليحرب جنته
وناره ، أو حيرته وشكوكه ، أو يأسه وقنوطه ، تجربة
فيها كل ما في تجارب الحياة التي يتعرض لها ، بما
تحمله من خير وشر . ان نقاد الشعر اذ يساعدوننا
على هضم الشعر ، انما يفعلون ذلك عن حسن نية ،
ورغبة منهم في وقايتنا من شرور الضلال بين أودية

استقبلني السيد مدير هذه المجلة العتيقة
الأستاذ محمد بن عبد الله ، بوجه بشوش ، ولسان
يفيض بعبارات المودة والصداقة ، في مكتبه ، حيث
تلتقي جميع تيارات الفكر المغربي ، وتتردد اصدااء
المواهب الخلاقة ، لابناء هذه البلاد الميامين . وكان
المكتب حقا على شيء من الجهامة ، يوحى بالجهد
العظيم ، الذي يبذل من أجل ان نسعد بهذه الصفحات
النقية ، الطافحة بما يلد من احاديث العقول ، وخلجات
النفوس . وما كاد يستقر بنا المجلس ، حتى بادرنسي
الأستاذ بقوله : يظهر ان موضوع الشعر قد راقك ،
فكل احاديثك الاخيرة تدور حوله . فقلت : اي نعم ،
وذهب بي الخيال بعيدا في رحلة خاطفة الى جنات
عبقر ، لأعود من جديد الى الصديق البشوش الذي
انطلق يحدثني حديث الادب والفكر واعبائهما الثقيل ،
ولكن الخواطر والتأملات التي اثارها عبارته تلك ، ما
لبثت ان آتست وحدتي وانا في طريقي الى فاس ، عقب
انتهاء هذا اللقاء مباشرة ، حيث وجدني اطوي الطريق
طيا ، والقوافي والكلمات الشعرية تتراقص في مخيلتي ،
وتتدافع تدافع الاشجار الباسقة على جانبي الطريق ،
ومن ثم كان مولد هذا الحديث ، الذي ادرته بيني وبين
نفسي ، قبل ان اديره بيني وبين القراء الكرام .

هناك عادة لها سلطان على نفسي ، كما ان لكل
انسان عادة او عادات ، تلازمه في سائر اطوار حياته ،
او في بعضها على الاقل ، وهي اني اذا هزني داع من
داعي العقل والوجدان ، الى لون من ألوان النشاط

الادب والفن نظرة سليمة او موضوعية . وانما ننظر اليه نظرة انتهازية قوامها تسخيرها للدعاية مهما فلسفت نظرتها واكسبتها شكلا اديولوجيا علميا . كما نستخلص ان الشكل والمضمون في الادب الموجه يسيران في خط مواز للسياسة المتبعة كما ان النقد الادبي نفسه يستمد مقاييسه من صميم فلسفة النتائج الحتمية ، وكل ما عدا ذلك شيء ثانوي . ولا مجال حتما لانبثاق مذاهب ادبية تشذ عن القاعدة العامة . وهكذا ننهي الى الاقتناع بأن ادبا موجها لا يمكن ان يصدر عن نزعة انسانية حرة او احساس موضوعي سليم ، ولن يعبر بالتالي عن شيء يتفق الناس على انه ادب بالمعنى الذي يصطلحون عليه .

انني لا انتقد بهذا الاسلوب اي تجربة اشتراكية تجري هنا او هناك من اقطار الدنيا بالنظر الى مضمونها الانساني ، فقد يكون من الحق الاشادة بنوع من تلك التجارب القائمة عن حماس ووعي وحسنة ، هذه التجارب التي تقوم على فكر متفتح وتخطيط جزئي ، ولكنني احب ان اوضح في حرية ووعي ايضا ان احدي نتائج الاشتراكية المتطرفة هي التناقض مع الاسلوب العلمي كما وضحت من قبل . اشرت من قبل الى ان البعض قد يلاحظ او يستنتج مما سبق انني اعارض كل التزام ادبي في ظروف لم يعد لرجل الفكر والقلم معها مجال لغير العمل بل المساهمة في توعية الجماهير والتبشير بنتائج الانظمة القائمة ، والتجارب الجزئية او الكلية ولا سيما في بعض البلاد النامية . ومع اعتراضي على اسلوب هذا الاستنتاج بل تخطيئه من حيث ان هناك فرقا بين الالتزام والالزام وان مدار نقدنا يقوم على شجب الالزام فاني ارى انه لا تناقض بين حرية الاديب والتزامه ، بل ارى اكثر من ذلك ان اعمق معنى لالتزامه ينبثق من الحرية . وما دام الكاتب او الشاعر يعطي نفسه الحق في ان يكون طرفا ايجابيا في الحياة البشرية فان عليه بحكم مسؤوليته عن مصير الانسان ان يضع فنه في خدمة القضايا العادلة . ونزيد قائلين : انه لا يمكن ان نتصور ادبا سليم الاحساس عميق النزعة الانسانية لا ينفعل بحياة مجتمعه بل حياة العالم بأسره ، ولا يعكس في انتاجه قضايا الانسان ومشاكله .

بعد هذا التحليل المسهب نعود لتساءل: ما موقف الاديب من الدولة ؟ او ما ينبغي ان يكون موقف الادب من الدولة ؟ انه لن يكون حتما موقف الخصم لانه ليس هناك تعارض بين حرية الفكر وقيام الدولة ، ولكنه ينبغي ان يكون موقف الرجل الحر فيقف دائما بجانب القيم الانسانية . وهذا يعطي للادب مدلوله الاجتماعي ، ويحدد موقفه من المجتمع من ناحية اخرى ، ومعنى ذلك ان القيم الانسانية اذا كانت مستهدفة من جانب المجتمع فان الفكر الحر والموقف الانساني الحر هو الذي يدعو لها ويحميها . وبالفعل فان المجتمع يتغذى من هذه القيم ويجدد علاقاته بها باستمرار ويطور مفاهيمه لها على ضوء الاحداث التي يمر بها في صورة استهلاك ما ينتجه الادباء الاحرار الذين يخدمون بأقلامهم قضايا الحرية والحقيقة والجمال ، فيصورون للجماهير مدلول نضالهم الانساني ، وحقهم الطبيعي في ان يعيشوا احرارا ، وفي ان يتصلوا بتلك القيم وان ينشدوها ويسعوا في تحقيقها في جميع المجالات . وعلى الاديب ان يعي دوره النضالي باستمرار فلا يهن ولا يضعف عندما تعترض طريقه مصاعب او مقاومة حتى ولو بلغت العنف لان مهمته هي اقتحام كل المخاطر في سبيل دعم القيم الانسانية وتبديد كل المخاوف امام المناضلين في سبيلها . ولا شك ان مثل هذا الموقف يقفه اديب في ظل دولة ديمقراطية النزعة سيلقي منها كل تشجيع لان موقفه هذا هو الذي يعطي لديموقراطيتها ابعادها الحقيقية ، بل وجوده وحده في ظلها يعطي المدلول الحقيقي لهذه الديموقراطية ولهذا لم نرد الاطالة في تبسيط العلاقة بين الادب والدولة ذات النزعة الجزئية او السلطة الجزئية ، لانها دولة ديمقراطية بطبيعتها تعطي للفرد كرامته وحقه الطبيعي في التعبير والتفكير ، وتفتح كل الظروف التي تستمر بها حريته وكرامته . وتلك امثل صورة لعلاقة الادب بالدولة في نظري واحسن مثل ينبغي ان تسعى الدولة لتحقيقه بدل ان تضغط على الفكر وتحول دعوته الى دعاية وتكر لمبدأ النقد الذاتي . واذا كان يتفق لبعض الدول ان تمر بهذه المنعطقات الخطيرة في بعض مراحل تاريخها فان الفكر الحر - والادب صورته - يبقى رقيقا بل داعيا مسئولا عن تصحيح الوضع للخروج من المنعطف الضيق الى الطريق القويم .

فاس : محمد عبد الملك الكتاني

يكون لك من رأي ، وما يخصك من تجربة ، هذا الناقد
أقبل على أعماله كثيرا واستفيد منها ، ولكن حتى هذا
كثيرا ما اضيق به ذرعا ، وأحب ان تتاح لي الفرصة
لاسير في رياض الشعر وحدي ، ليس معي الا خواطري
وتأملاتي ، وهذه البدائع الشعرية تاخذني بروعتها من
كل جانب ، وتملك مني الخوالج والحواس ، ليتحقق
معنى الصحة بيني وبين الشعر ، الصحة بمفاجأتها
ومفامراتها ، وما تحمله من لذة والم ، وخير وشر ،
ويمكنك ان تعتبر حديثي هذا عن الشعر ، وكذا
أحاديثي السابقة ، من قبيل ما يفعله أولئك النقاد ،
عند ما يتدخلون بيننا وبين من نصحبهم من الشعراء ،
وربما تكون قد ضقت به ذرعا ، كما قد تضيق أحيانا
بتدخلات النقاد ...

ولكن هل يخلص لنا الشاعر وتخلص له في بعد
عن جميع الشوائب ؟ لا اعتقد ان هذا اللقاء الخالص
يمكن ان يتحقق ، ذلك اننا اثناء صحبتنا للشاعر ، نراه
من خلال ما حشونا به ادمغتنا من قبل ، من كل ما
استفدناه من قراءتنا ، وتجاربنا والاصداء التي
تحدثنا فيها شتى أحداث الحياة ، وحتى ذلك الناقد
الذي نطن انا ابعدها عن لقائنا المباشر للشاعر ، يلبس
طاقية الاخفاء ، ليتسلل الى نفوسنا ، فيلون عيوننا ،
ويغلف أخیلتنا ، ويضع شيئا من توابله في اذواقنا ،
وليس في وسع احد مهما بلغت مناعته الذاتية ، ان
يطرح الناقد الكامن في نفسه ، ذلك انه لا يأتينا مباشرة ،
ولا يواجها حتى تتمكن من صده ، وانما يحتال علينا ،
ويندس في خلال قراءتنا ، ويسعى اليها متنكرا في
كتب المدرسة ، ومحاضرات الجامعة ، واحاديث
الاصدقاء ، فاذا به يهيمن على علاقاتنا بشعرائنا
المفضلين ، نتحدث اليهم ويتحدثون اليها ، وناخذ عنهم
ونعطيهم ، ولكن الناقد القابع في أعماقنا لا يترك هذا
الاتصال يتم ، دون ان يدس أنفه فيه ، من حيث نطن
اننا استطعنا ابعاده عنا ولو موقتا ، وتلك مغالطة يقع
فيها كل من قرا الشعر وأراده خالصا مصفى من كل
شائبة او عامل خارجي يملك قوة التوجيه والملاحظة
والنقد ، وهكذا دائما قراءتنا للشعر ، وصحبنا اياه .

واني لارى في هذه الصحة شيئا زائدا على
القراءة ، فقد تقرا الشعر فتتأثر به وتمثل معانيه ،
وتنفذ الى أعماقه ، وتمضي معه شوطا هنا او هناك ،
وبعد ذلك تعود ادراجك ، كمن قام برحلة خاطفة لم
يلبث ان عاد منها وكان شيئا لم يكن ، اما صحة الشعر ،
ففيها ما تستدعيه الصحة من معاني الالفة والانسجام
والتوافق والتماثل ، صحبتنا للشعر تعني فيما تعنيه ،

اننا تكونت بيننا وبينهم صداقة ، قد تكون عابرة
لا تستمر طويلا كصداقة ركاب القطار ، وقد تكون
محاطة بشيء من الحيلة والحذر وربما سوء الظن ،
وقد لا تخلو من بعض الخلاف وسوء التفاهم ، شأن كل
صداقة تتكون بين الناس ، ولكنها على أية حال تحمل
الكثير مما في الصداقة من التلقائية والعفوية وطرح
الحرج والكلفة جانبا ، واعتقد ان كلا من القارئ
والشاعر اذا هما وصلا من لقائهما الى هذا الطور ، فقد
اصبحت صلتها ذات خطر ، ولعلها ان تكون فيما بعد
صداقة دائمة ، وقد تتحول الى حب واعجاب وتقدير ،
واذا وصلت الصحة الى هذا الحد ، فتلك هي العشرة
الدائمة المستمرة التي لا تنال منها لا يام ، بل هي
تزيدها تبابا ورسوخا ، وحينئذ تصبح علاقة المتلقي
بالشاعر هي نفس علاقته بنفسه وجوارحه وكل عصب
فيه ، فلا غرو حينئذ اذا راينا اختلاط السيئات
بالحسنات ، واتحاد اسباب النفور بأسباب المودة
والعطف ، وتداخل النواحي القوية والنواحي الضعيفة .
لذلك كانت افضل واقوم علاقة عندي بين قارئ
وشاعر ، هي تلك التي تقف عند حدود الصحة بكل
ما فيها من تعقل وحذر ، فلا هي معاملة جافة كالتي
بين الزبون وصاحب الانتاج ، ولا هي بالهيام المطلق ،
والمحبة العمياء ، وانما هي صحة فقط ، فيها اللفة
والانسجام والتوافق ، ولكن فيها ايضا شيء من
حساب ، وقليل من حيلة وسوء ظن . فالحب يعمي
ويصم (احب حبيبي ولو كان عبدا سود) ، اما
الصداقة العاقلة الرزينة الواثقة من نفسها ، فتقيم
نوعا من التوازن بين شخصيتي الطرفين ، بحيث لا
يطغى احدهما على الآخر ، بيد انها في الوقت نفسه ، لا
تمنع من الاستسلام الموقت ، والانقياد الواعي ، السليم
من كل عوامل الامحاء والفناء ، فناء الذاتية وذوبانها
وتفتتها . فانا - مثلا - بلد لي ان اسلم قيادي لشاعر
كبير ، ويحلو لي ان اتركه يحلق بي ، وياخذني من كل
جانب باقواس قرحه الزاهية الجميلة ، فيدركني
الانبهار ، واكاد اصيح من نشوة الفرح ، ولكن بشرط
ان يبقى لي شيء من قدرة على استخلاص نفسي من
قبضة الشاعر ، وانتزاعها من بين ذراعيه ، لانفصل
عنه قليلا ، فانظر الى ما ترك عندي من اثر ، وما صنعه
بخيالي ونفسي اثناء ارتمائي بين احضانه في لذة
وانشاء ، اما اذا عجزت ، فتلك هي الضيقة ، وذلك
هو الشلل الادبي الذي لا ارضاه لنفسي ولا ارضاه لاي
قارئ كان .

الشعراء ، ولكن ما أدرهم اننا نود دائما ان نكون من المهتدين ؟ السنا نجد انفسنا احيانا في حاجة الى ارسالها على سجاياها ، لتمرّح في حدائق الشعر ، هائمة بين رياحينها ، سكرى لا تريد ان تفيق من احلامها الجميلة ؟ الا يستحق الشعراء منا ان نكافئهم على احسانهم الينا بان تقاد اليهم دونما اعتماد على سند او معين ، لنعيش مفامراتهم وتجاربهم التي تعرضوا لها ، موكرين الى انفسهم وظروفهم وحدها ، دون ما عاصم يعصمهم من شرور التجربة وآفات الطريق ؟

صحة الشعراء تجربة ومغامرة تفقد كثيرا من سحرها ومفاجاتها وما يترصد لها عادة من عوامل الخيبة والفشل ، والنجاح والتوفيق ، اذا هي خضعت لعين الناقد الفاحصة ، ونظراته الثاقبة ، وذهنه اليقظ ، ولم تترك لظروفها وحظوظها ، بل وقعت تحت المصباح الكشاف ، مصباح الناقد الذي يفيدنا كثيرا ، ويتولى تدبير كثير من الظلمات امام سعينا الى نفوس الشعراء وقلوبهم ، ولكن ضوءه قد يعشي الاعين ، ويعوق عن الرؤية الواضحة احيانا ، شأن المصاييح الوهاجة ، عند ما تغمر الناس بضوئها الساطع ، فتنبهم امامهم كثير من الاشياء .

متعة كبيرة ان تتعرف الى انسان قبلو خيره وشره ، وحالات انقباضه واتساعه ، وحيرته وبقيته ، وتغافله وتشاؤمه ، مكتشفا هذه الطباع من خلال التجربة وحدها ، دون ان يقف بينك وبينه انسان آخر ، ليقدّم اليك كشفا لا يترك منه كبيرة ولا صغيرة الا احصاها ، فيضيع عليك لذة المغامرة ، ومتعة المعاناة ، ولا يمكن ذكاءك من فرصة استعماله في قراءة الاشخاص . ونفس المتعة تجدها اذا انت تعرفت على شاعر عالما مغلقا على نفسه ، تدل عليه فقط ، هذه الكوى المفتوحة في جدرانها ، والمدعوة بالكلمات ، فانت تنظر من خلالها بعين متلصصة متعرضا لما قد يعوق عن الرؤية الواضحة من غواشي ربما اشتملت على انظارنا حتى عند ما ننظر الى الدنيا من جوانبها الواسعة ، وآفاقها المفتوحة الرحبة ، ملء عيوننا بسعمتها ، ويفتال هذه المتعة ان يتدخل انسان نسميه ناقدًا ليتولى - نيابة عنا - تذوق الشعر وهضمه وقتله فهما ودرسا فيضعه بين ايدينا طعاما جاهزا فيه نكهة وله طعم ، ولكننا لا ندري شيئا عن المراحل التي مر بها ليكون على شكله المائل امامنا . لا اقصد بهذا الى التقليل من قيمة نقد الشعر ، والا لكان حديثي عن الشعر منذ ان بدأت هذه

السلسلة من الاحاديث نقضا لهذه الفكرة ، وانما اريد الى شيء واحد فقط ، ليس من شأنه ان يرحزح النقد عن مكانته قيد انملة ، وهو ان قارئ الشعر يحتاج احيانا في صحبته للشعراء ، الى ان يعتمد على تجربته وحدها دون واسطة الناقد ، بشأن سائح يقبل من بعيد على بلاد جميلة تطاها قدماء لأول مرة ، فلا يستنجد بدليل ، وانما يهيم في طرقاتها ، فيجد بعضها مسدودا ، فيعود القهقري من حيث اتى ، ليسلك طريقا آخر قد يؤدي الى مكان بعيد عما كان يتوقع ، وهكذا من درب الى درب ، ومن ضياع الى ضياع ، واجد في ذلك لذة وراحة ، راحة المغامرة ولذة التجربة ، ذلك ان من مصادر المتعة العقلية والروحية للانسان ، ان يكتشف الاشياء والمعاني بنفسه ، دونما مساعدة من احد . فبالنسبة الى ذلك السائح ، كان في امكانه ان يسترشد بدليل ، فيكفيه مؤونة البحث عن اسم هذه الطريق ، واسم ذلك الربع ، ويملا ذهنه بمعلوماته المحفوظة المعادة ، ويقف به عند كل اثر ليلقي عليه محاضراته التقليدية ، ولكنه يعدل عن ذلك ، لانه يريد ان يشبع فضوله عن طريق التأمل الانفرادي ، وليس من الضروري ان ينجح فيما هو بصدده ، اذ المهم هو متعة التجربة في حد ذاتها .

لقد قمنا - كما قام غيرنا - بنزهات شعرية في دنيا الشعراء ، صحة هؤلاء الادلاء الذين نسميهم نقادا ، فوجدنا الناقد الذي يحذرنا من نزوات الشاعر ، والناقد الذي يقول لنا عن شاعر ما انه كاذب ، فلا تثقوا بما يصدر عنه ، والناقد الذي ينهنا الى ان ذوق هذا الشاعر رخيص مبتذل ، والناقد الذي يضم يديه على عالم احد الشعراء ويختصره ويقدمه الينا في قارورة ، زاعما ان كل ما انتجه هذا الشاعر ، وما سينتجه في المستقبل ، لا يمكن ان يخرج عن الدائرة التي رسمها له ، وقد يكون كل ما قالوه صحيحا ولو على سبيل الافتراض ، ولكن اين هي الصحة بكل ما فيها من عفوية وما تخبئه من مفاجآت ، امام هذه التعاليم التي يحيطنا النقاد بها علما ؟ لذلك كان افضل النقاد عندي ، هو ذلك الذي يطرح جانبا التعميم واصدار الاحكام المطلقة على اعمال الشعراء ، ويقف بي عند نص معين ، يرافقني في قراءته ، دون ان يصدر حكما ، وانما يكتفي بان يلفت نظري الى هذه العاطفة الرقيقة ، وهذا اللفظ الجميل ، وتلك الخاطرة اللطيفة ، كرفيق يصاحبك على الطريق ، ليشاركك المتعة بجمال الاشياء دون ان يلبس روب القاضي يصدر الاحكام ، من غير ان تكون عنده مراعاة لما قد

بقصائده ، كان مستعداً لأن يصحبه ويعاشره هؤلاء الناس على اختلاف الوانهم وطبقاتهم ، لأنه أصبح شيئاً عاماً ، بل هو الذي خطب ودهم ، ومد اليهم يد الصداقة ، منذ أن اسكر آذانهم بكلمته الاولى ، وبعدها جاءت كلماته تترى ، ففتحت لها كل باب ، واتخذت لها منزلة رفيعة من كلب قلب ، وكونت لها عشاً دافئاً في كل روح .

وصحة الشعراء لها حدود ، اي ليس في امكاننا ان (نصحب) كل شاعر ، لاننا لا نملك القدرة على ان نحلق مع جميع الشعراء ، في جميع الاجواء ، ولا على ان نسير معهم جميعاً جنباً الى جنب . فنحن نصحب الشعراء الذين نتمكن من اللحاق بخطواتهم ، والوصول الى امتداد قاماتهم ، بينما هناك شعراء آخرون يخطون خطوات الجبابة ، ويشمخون شموخ الالهة ، اصولهم ثابتة ، وفروعهم في السماء ، خيالهم يطوي الاكوان طياً ويلخص اجيالاً واحقاباً بكاملها ، ويضم الدنيا على سعتها بين جناحه . هؤلاء لكذب على انفسنا اذا زعمنا انا (نصحبهم) والاقترب الى طبائع الاشياء ان نقول : نحن نسير وراءهم ، وننظر مبهورين الى بصمات اصابعهم ، الى مواطئ اقدامهم ، الى صراخهم العظيم مع اسرار الوجود الكبرى . وهيهات ان يسير الاقزام بخطوات المردة ، وان يتناول الحجر الملقى على شمس الجبال ، او الفراخ الضعيفة على سباع الطير انظر كم من كتاب وشعراء تسلقوا اكتاف شكسبير ، وشدوا انفسهم الى كيانه الضخم ، وراضوا اقلامهم على الاعتراف من بحر البعيد القرار ، ومع ذلك فالعمللاق ما زال يشرف من علو شاهق على هذه المخلوقات التي تسمى جاهدة مشرئبة ، دون ان تدنو من قمته الا لترتد عنها ، عائدة الى السفح ، لتعاود الكرة من جديد واذن فالصحة مشروطة باستطاعة القارئ ان يتابع الشاعر في خطواته ، وسبحاته ، وانطلاقاته عبر آفاق الخيال . وهنا ياتي دور الشاعر نفسه ، ليساعدنا على تحقيق هذا النوع من الصداقة بيننا وبينه ، بالا يتفلق ، ولا يصدنا عنه باللفظ المبهم ، والعبارة الغامضة والخيال الملفوف في لفافات من السرية ، وانما يمد الينا يده ليرفعنا اليه ، ويوطئ لنا طريقاً نلقاه عنده ، اقول هذا ، لان هناك عدداً من الشعراء الذين يلقون اليينا بكلمتهم ، وعند ما نتلقفها منهم ونريد اتخاذها مفتاحاً لديناهم ، نجد انفسنا في طريق مسدود .

وكما لا يتحقق معنى المصاحبة كاملاً مع اولئك الفطاحل من الشعراء ، بالنسبة اليينا ، كذلك لا يتحقق

بيننا وبين صفار الشعراء من ضعاف المواهب والملكات بالنسبة اليينا ايضاً ، نظراً لكون طاقاتنا الروحية اضعف من طاقاتهم ، ومجالاتنا الخيالية اوسع من مجالاتهم ، فاذا نحن قرانا لهم ، فانما هي القراءة المشجعة ، واذا صحبناهم كنا مضطرين الى التنازل عن كثير من قوانا الروحية اذا استطعنا الى ذلك سبيلاً ، بنفس الاسلوب الذي يتخلى به البعض منا عن مستواه الفكري والادبي ، ليضع نفسه الى جانب البسطاء من الناس ، حتى اذا استرده صعب عليه ان يبقى حيث هو ، فيضطر الى استرجاع ما اعتاده من توثب وانطلاق . وكل صحة تحملك حملاً على ان تضع مكاسبك الروحية والفكرية جانباً ، ليست صحة بقدر ما هي احسان ، وليست اخذاً بقدر ما هي عطاء ، ولا تأثراً بقدر ما هي تأثير . ولا يفهم احد من كلامي هذا اني ازري بالمبتدئين من الشعراء ، فهم احق بأن ندرسهم ونتجواب معهم ، ونخصص لهم نصيباً من اوقاتنا ، ولكن لا نستطيع ان نقول انا (نصحبهم) الا بكثير من التجوز ، نظراً لما يفهم من المصاحبة ، ومن معاني التكافؤ ، وتماثل القوى والملكات .

وليس من الضروري ان تكون شعراء ، لكي نصحب شعراءنا المفضلين ، كما قد يتبادر الى الذهن ، وكما قد يفهم من معاني المصاحبة المتقدمة ، والا كنا نشترط في كل مجموعة من الاصدقاء والمصاحبة ان يكونوا ذوي مشرب واحد ، واتجاه واحد ، في نشاطهم الانساني ، وهذا لا يقول به عاقل . فانت تجد الحداد يرافق النجار ، والاستاذ يرافق المحامي ، وموظف الادارة يرافق الطبيب ، بنفس الطريقة التي يرافق بها الموسيقار الرسام ، والنحات الاديب ، والراقص المصور ، فالعبرة انما هي بالتقارب والتجانس في مستويات الفكر ومطارح العاطفة والخيال . ولو كان كل فنان او صاحب كلمة ، لا يصاحب الا المنتمين الى نفس نشاطه الروحي ، سواء في واقع الحياة او واقع الفن ، لكان في ذلك ضرر كبير بالفن الذي يلتقي فيه الطرفان ، ذلك ان من عوامل النهضة الفنية ان يكون هناك كثير من التنوع في الاطراف الملتقية على ارضية الفنون والآداب ، حتى يستمد بعضها من بعض ، وياخذ ما هو في حاجة اليه ، لتطويره والنهوض به الى الارجاء الرفيع ، وهكذا نجد الشاعر يستفيد من الناقد ، والموسيقار ياخذ عن الرسام ، والمصور ياخذ عن الراقص ، فيحدث التكامل بين مجموع هذه العناصر ، التي يكمل بعضها بعضاً ويمده بدم جديد .

وليس صفة الشعر هينة وادعة قليلة التكاليف رضية العشرة - كما قد يتخيل البعض - في جميع الاحوال ، فمنها ما يجهدنا ويخرجنا عن طورنا ، وبهزنا هذا عنيقا ، وياخذنا اخذا شديدا . وما رايت في شاعر كلف باقتحام الصعاب كابي الطيب المتنبي ؟ فصولاته وجولاته ، وناره المتأججة ، وسخطه العظيم ، ومضاويلته الجريئة ، وجراته على اهل زمانه ، وتحذيره لمكر الايام ، كل ذلك عشته معه ، فكنت اخال العرق يتصبب من جبيني ، في دخلتي مع هذا المتمرد النائر الطموح . اما صفة المعري فهي رحلة في دنيا من الظلام الحالك ، مع نفس معذبة محرومة ، كلها مواهب وطاقات ضخمة ، وكلها شك وعذاب وحيرة ، فعشرتها محنة ، وصحبته عذاب ، ولكنه عذاب لذيق ، عذاب عظيم ، فيه عمق ، وفيه تفلغل الى صميم الاشياء ، وفيه هتك للحجب ، واقتحام لاسرار الوجود ، اين منه اللذائذ الجوفاء ، الباعثة على الخمول ، الداعية الى الكسل . وكما احب الشاعر الذي يستغزني ، ويقبمني ويقعدني ، ويجري بي صعدا في مرتقى صعب ، وان ادمت قدمي الصخور النائية ، والاشواك الحادة . ولكن كم يطيب لي ايضا ان اعود الى نفسي لآخذ نفسا ، والتمس راحة بعد تعب ، وجنة بعد جحيم ، وحينئذ اجدني امام مجموعة من الشعراء المرحين ، الذين يحققون لي هذه الفاية . فهل من مرح مع ابي نواس ؟ او جولة مع ابن ابي ربيعة ؟ او شدوة مع امرئ القيس ؟

ولا يتحقق لصفة الشعر معناها الكامل ، الا اذا كانت خاضعة للصدفة او الاختيار الحر ، فلا صفة مع الاكراه ، وتدخل ارادة الغير ، لتفرض علينا شاعرا معيناً . لا يمكن - مثلا - ان تكون دراستنا لشعر معين أنتجه شعراء معينون داخل المدرسة او الكلية ، صفة بالمعنى الصحيح للكلمة ، لان هناك ارادة شاعت لنا ان نقرأ نصوصا من نوع خاص ، لشعراء من طراز خاص ، بقطع النظر عن كوننا نحبههم او نكرههم ، وبقطع النظر عن كون النصوص المفروضة علينا مما يتفق واذواقنا ، او مما يختلف عنها كل الاختلاف . واذا كان الشاعر العربي يقول :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى

عدوا له ما من صداقته بد

فنحن لا نتفق معه في اعطاء الشخص المفروض علينا هذا اللقب ، فما الصديق ، والمؤنس ، والصاحب ، الا من وكل امر اختياره الى ذوقك ومبادرتك ، يعطيك

هذا على صداقة الناس داخل الحياة الاجتماعية وعلى صحبتهم داخل الحياة الادبية . والمدرسة او الكلية اذا تفرض علينا نصوصا معينة ، لشعراء معينين ، تكون في الحقيقة مراعية لمصلحتنا ، مشقة علينا من الضياع في دنيا الشعراء الواسعة ، لذلك فهي لا تتركنا احرارا في ان ندرس الشعر كيفما اتفق ، وانما تقوم بالتحديد والتعيين ، تحديد النصوص ، وتعيين الشعراء . ولست ادري كيف يمكن ان نسمي دراسة شاعر صفة ، اذا نحن فرض علينا ان نعرفه في جانب دون آخر ، وفي لون من انتاجه دون آخر ، فلا صفة الا بالتعرض لجميع الجوانب ، لاكتشافها جانبا بعد جانب ، ولا صفة الا حيث يتحمل الانسان مسؤولية ما تجره عليه من خير او شر ، اما عندما تقوم المدرسة او الكلية بالاختيار والاصطفاء نيابة عنا ، بل دون استشارتنا ، متحملة وحدها المسؤولية كاملة ، فقد انتفى معنى المصاحبة ، وتحول الامر الى الزام وتنفيذ . نعم قد تكون دروس المدرسة او الكلية فرصة لنشوء صداقة بيننا وبين شاعر فيما بعد ، وكثيرا ما احبينا شعراء ، فعاشرناهم في مختلف اعمالهم ، بعد ان عرفناهم داخل المدرسة ، وضمن البرامج المقررة . والعاطفية المصطنعة قد تتحول بفعل الزمن الى عاطفة حقيقية ، والصداقة المزيفة قد تنقلب الى صداقة اصيلة ، هذا مع العلم باننا قد نجد من بين الشعراء المفروضين علينا في المدرسة او الكلية ، ذلك الشاعر الذي نحبه اول ما تلقاه في اعماله المقررة ، الا ان المدرس لا يدعنا (نصاحبه) اذ يكلفنا ان نحفظ له عددا من القصائد عن ظهر قلب ... ويوقع ادمغتنا بما شاء ، مما كتب عنه النقاد والباحثون ، ويظفي صوته هو ، وشعوره هو ، وذوقه هو ، على صوت الشاعر وشعوره وذوقه ، واذا لم تقم بكل ما امرنا به من حفظ وهضم للمعلومات التي حشا بها ادمغتنا عن الشاعر ، فالويل لنا من غضبه وسخطه ... فإين هي الصفة مع هذا الجو الصارم الذي قدر لنا ان نلقى فيه الشاعر المظلوم .. ؟ فالصفة انما تبدأ يوم نتخلص من هذا المدرس ، ونملك ان نمسك ايدينا الى دواوين الشاعر وقتما نشاء ، وكيفما نشاء ، لنقرأ ما يروقنا ، لا لنؤذي فيه امتحانا ، ولا لنعيده على سمع المدرس ، دون ان نسقط كلمة او حرفا ، وانما لنعيش في احلام منعشة ، ونختلف في آفاق مشرقة .

الطرف الذي ربما لا يدري شيئا عن هذه الصفة هو الشاعر ، فقد يصحبه آلاف الاشخاص ، ينتمون الى بقاع مختلفة من الارض ، وهو لا يدري شيئا عن الكثيرين منهم . بيد ان الشاعر عندما ما القى الى الناس

العلم في الصَّغِيرَة

للفن التشكيلية الحديثة

للاستاذ :حسن المنيعي

غيرت مجراها وظهرت في صورة أزمة تحدث عنها « دو لاكروا » في مذكراته التي جعل فيها فناني القرن العشرين أمام تساؤلات عديدة ، من بينها محاولتهم الحصول على طريقة لتجاوز التشابه بالطبيعة وتقليدها وجعل حد لمشاكل العصر .

وفي غمرة تلك المحاولة الرامية الى تخطي الطبيعة وابتكار خليات جديدة انقسم الرسامون الى فئلت وطوائف طبقا لما وصلوا اليه من استنتاجات وحلول في عملية البحث ، وان كان بعضهم قد ارتأى أن يتقلب في جل المدارس ويعاتق كل الاتجاهات دون أن يحصر نفسه في طائفة معينة . وبذلك أصبحت لدينا تيارات فنية عديدة نذكرها كما يلي :

أولا - الواقعيون : (أو الذين يعبرون عن الطبيعة باخلاص) .

كان عصر هؤلاء يدعوهم الى التساؤل عن الوسيلة الكفيلة لإبراز الطبيعة شاملة واضحة المعالم. وكان معظمهم قد استجاب لهذا الاتجاه رغم طغيان المدارس الحديثة الناشئة ، واقتنع بأن القضايا الاستتيكية لم تتغير منذ « فوكي » و « كوربي » و « كورو » . لذلك توصلوا الى قاعدة مفادها « أن البحث. الرصين في أصالة الفن لم يثبت شيئا غير

أصبحت الفنون التشكيلية ، منذ بداية القرن العشرين ، تحقق انقلابا هاما في الاشكال والقوالب ، وذلك بعد اطلاع الفنانين على تجارب اساتذتهم أمثال : « سيزان » و « فان كوخ » بحيث مكنهم هذا الاطلاع من مسابقة القاعدة الاولى الموروثة عن النهضة ، والمعجزة الاغريقية ، ومراعاة رسالة الفن التي تنطوي على التعبير الصادق لمظاهر الطبيعة ومحتوياتها كما يؤكد ذلك الفنان « ليونارد » عندما يقول « بأن أحسن طريقة للرسم : هي التي تبتعد عن التقليد العميق وجعل اللوحة أقرب الى الشيء الطبيعي المعبر عنه » أو كما يرى « أنجريس » في حديثه عن الفن الذي لا يصل في رأيه « الى الدرجة القصوى من الكمال الا عند ما يشبه الطبيعة بقوة الى أن ندرك فيه الطبيعة نفسها»

وهكذا فقد أحس سائر الفنانين طيلة قرون عديدة أنه لا وجود للجمال الا في الاخلاص للشيء الحقيقي والانسجام معه ولو بطريقة لا واعية . فكان هذا الاحساس قاعدة أساسية للفن الغربي ، أصبحت سائدة منذ السبعينيات الاخيرة خصوصا في الوقت الذي أخذ فيه الرسامون ينسلخون عن الطبيعة وذلك منذ سنة 1910 .. أما عملية انسلاخهم هذه فقد ساعد على تحقيقها اثر فنون الشرق الاوسط ، وكذا الفنانون الزنجية ، واكتشاف الصورة الشمسية . ثم ما لبثت أن

كتبت هذا المقال بالاعتماد على المراجع الآتية :

« Réalités »

مجلة حقائق

Panorama des arts plastiques

والطبيعة قد كفتنا مؤونة هذا ، اذ انها لم تكون
انسانين متحدين في جميع الطبائع والميول ، وانما
جعلت الاناسي مختلفين - رغم ما قد يكون من تشابه
احبوا ذلك او كرهوه .

وفي الوقت الذي نشترط فيه في الصحة الفنية
تلك ، ان تكون مبطنة بشيء من خلاف ، ينبغي الاتساع
شقة الخلاف ، فتحول الصحة الى منافرة ومغاضبة،
قد تؤديان الى قطيعة لا عودة بعدها الى ايام العشرة
الحلوة الرضية . الصديق الذي يماثلك في كل شيء ،
قد تكون صحبته مدعاة الى الملل والنفور ، والصديق
الذي يخالفك في كل شيء ، تكون صحبته مجلبة
للخصام الذي يستدعي القطيعة . وخير من الاثنين ،
الصديق الذي يشرك ولا ينفرك ، ويخالفك ولا يناقضك،
ويبتعد عنك ليقترب منك ، سواء في واقع الحياة او في
واقع الفن . وتشبه العلاقة بين الطرفين ان تكون
كالعلاقة التي بين الرجل وبين من يهوى من النساء ،
فهي اذا شاءت الاحتفاظ بهواه ، لا بد ان تعاكسه
احيانا قليلة ، معاكسة كيسة ، فيها حذق وذكاء ، ليكون
دائما هائما بها مفتونا بروعتها ، اما اذا كانت له كالحاتم
في اصبعه ، طيعة ذلولا ، حتى لكانها رغبانه واهواؤه ،
فيل لها كوني انسانة فكانت ، فهو والحالة هذه ، قد
يحتفظ زمنا ، ولكن الشيء الذي اشك فيه ، هو ان
يكون حبه اياها ، من ذلك النوع الذي يتجدد بين آونة
واخرى .

فلس : عبد العلي الوزاني

واذا كنا قد رددنا القراء لشعرائهم المفضلين ، الى
التجانس والتقارب غالبا ، ونفينا ان يكون المراد بذلك
الاشتراك في القدرة على نظم الشعر ، فنحن بطبيعة
الحال ، لا نعني التجاوب والتجانس الكاملين ، بمعنى
ان تزول كل اوجه الخلاف بين الطرفين ، حتى ليكون
احدهما نسخة طبق الاصل من الاخر ، فلا خير في
الصحة التي من هذا النوع ، لافتقارها الى العناصر
السالبة ، والعناصر الموجبة ، والى عنصر الاثارة
والاستفزاز والتحدي ، لا بد ان يكون لهذه الصحة
جانبا ايجابيا المثمر المتوقف على شيء من خلاف ،
وقدر من صراع ، لا ينافي التجاوب الحاصل . فعندي
الاصراع بدون تجاوب ، اي بدون ان يكون لكل من
الطرفين اثر في الاخر ، قد يكون هذا الاثر حسنا وقد
يكون سيئا ، ولكن ليس من شأنه ان يسيء الى
الصداقة والعشرة ، ما دام الطرفان يلتقيان على محبة
نوع من المثل ، ويومان برسالة الشعر في تحقيق تلك
المثل او الاقتراب منها على اقل تقدير .

نعم ، لا خير في صلة تربطني بشاعر ، اذا كان كل
ما عنده مطابقا لكل ما عندي ، فحينئذ لا يكون في
مقدوري ان استدرك عليه شيئا ، ولا ان احاجه في شيء
ولا ان اخالفه احيانا وازور عنه لاعود اليه بقلب متشوق
واذن فهي صحة عقيمة سلبية الى ابعد الحدود ،
وخير لي وله ان يمضي كل لنا لطيته ، ليبحث عن
صديق آخر ، تكون صداقته خيرا وبركة على الفن
الشعري ، وعلى الشاعر والمتلقي عنه على السواء ،

رابعاً : الذين يشوهون الطبيعة :

تعتقد طائفة هامة من الفنانين المعاصرين انها لم تتعدّ كلياً عن الواقع فان فعلت ذلك فانما تفعلته في الالوان والاشكال كما حدث للرسمين من ذوي الاتجاه التعبيري في هذا العصر ، الذين غيروا معالم الواقع حسب اغراضهم التعبيرية الخاصة دون ان يأخذوا اي اعتبار لمطالبات المنطق الفني القديم، كما كان الشأن عند رسامي القرن التاسع عشر ، هذا وبينما كان الانطباعيون والمدققون (4) يجهدون أنفسهم في تبرير الاختيار المقصود لالوانهم بطريقة علمية ، وتوضيح الاسباب التي جعلتهم يرسمون الشجرة باللون الأزرق الداكن بعد ارتكازهم على نظريات وقواعد فيزيقية ، كان الوحشيون والتكعيبيون قد تحرروا من كل ضغط واقعي ورسموا الإبقار باللون الأخضر ، والسماء باللون الأصفر . في حين كان الوجه الالامي لنماذجهم البشرية متداخلاً في الوجه الجانبي (البروفيل) .

1- الوحشية : نشأ هذا المذهب في غضون سنة 1897 وذلك عندما وقف « دوماتيس » ضد « تمسف الانقسامية » في الفن .. وفي المذهب تأثيرات وإقاعات عديدة لاعلام الرسم أمثال « فان كوك » وجوجان وجوستاف موردا . أما هدفه الرئيسي فقد كان يقوم على إبراز اللون بدون خجل أو ظلال وتوهيبات ، إذ تسطع في لوحات الفنان ألوان خالصة صريحة ، تعرض بانسراح لتعبير عن احساس واضعها، وتجسد المهارة في عملية الخلق التي تتخذ أبعاداً مخالفة للطبيعة التي لا يمكن الإبداع في تقليدها كما يقول « ماتيس » ...

كانت واتعية الوحشية تنم في الغالب عن بهجة الحياة وصفاء ذاتية المنتمين اليها كما تيس ، وروول دوني ، ودران ، وموجان ، وجورج براك . أما في ألمانيا وشمال أوروبا فقد كان المذهب يستعمل نفس الالوان المستعملة في فرنسا الا انه كان مطبوعاً بالقلق والخلل الرومانطيقي والعزلة والخوف أمام طبيعة جامدة ، معادية ، لا انسانية .

ولتوضيح هذا الاتجاه ، ابراز انطباق اللامعقول فيما هو تافه ، فقد عمد رواد هذه المدرسة الى ضبط الطبيعة في لوحاتهم بصورة دقيقة مما جعلهم أحياناً « اتباعيين » في مناهجهم وذلك في محاولتهم تحقيق تداخل بسيط أو قوي مع الأشياء المنقولة بفرشاتهم .

وينتمي الى هذه النزعة جورجيو دي شريكو ، ومارك شغال ، وبول كلي ، وجون ميرو ، وسلفادور دالي ، وأندريه ماسون ، وروبرتو ماتا ، وماكس إرنست وأسكار ديمينييس وغيرهم

3 - البوب آرت : (Pop' arts) أصبح هذا الفن سائداً في أمريكا وإنجلترا منذ سنين قليلة ، وكان قد نتج بصورة مباشرة عن التجربة الدادية . إذ بينما كان « شفيكتور ، ودوشان ، وبيكابيا » ينتجون لوحاتهم ، منذ ما يقرب من نصف قرن ، بعناصر مأخوذة من الحياة الواقعية : كالصحف العتيقة ، والتذاكر المستعملة ، وعقائب السجائر والثياب الممزقة ، ويستلهمون طريقة « الكولاج » المستعملة من طرف التكعيبيين ، أصبح هؤلاء أساتذة هذا الاتجاه الشعبي الذي كان عشاقه يضعون تصميماتهم بوسائل مألوفة كصناديق الجعة ، وباب البوفيه المزوق بصور الممثلين والمهرجين . أما أساليبهم التعبيرية فقد كانت تختلف عما هي عليه عند الداديين ، إذ كانوا يقومون بعملية اقتلاع للأشياء الحقيقية من جذورها المتأصلة ، وتلوينها بطابع شعري ثم صبغها بمعنى ثاني يجعلنا أكثر اقتراباً منها في وضعها الأول ، كأنهم يريدون بذلك تبرير وجود تلك الأشياء في الحياة العادية ، بينما كان الداديون يأخذون نفس الأشياء والعناصر ويستعملونها للتعبير عن سخطهم وكراهيتهم للحضارة القائمة على الاستهلاك.

ومن رواد هذه المدرسة : كورت شفينور - دوشان ، بيكابيا ، ياسبير جونس ، كلوس أولدنبرغ ، الكسندر أطيرو ، جيمس رورنكيثا ، طوم فسليمان وغيرهم ...

(4) المدققون : Les Pointillistes هم الرسامون الذين ينتمون الى مدرسة « Pointillisme » . وهي عبارة عن رسم يقوم على تقديم الالوان الخالصة بحيث تبدو الظاهرة التعبيرية الاساسية من خلال تلاحق الالوان وتزاحمها في اطار منسق . تولد هذا الاتجاه عن آراء « دولكروا » في الطبيعة الملونة بالظلال . ويطلق على هذا المذهب أيضاً تسمية : الانطباعية الجديدة « Le Néo-Impressionnisme » .

الرتيبية والمثل ، وان السر الازلي للرسم لا يمكن الا في ثانيا القيم الانسانية التي تورثها التقاليد » .. وعليه فقد كان عملهم يرمي الى معانقة الطبيعة بابرار عناصرها كما هي : الشيء الذي جعلهم يرددون مصطلحات كانت متداولة فيما بينهم منها : « الميراث الواقعي » ، « والعقلية الكلاسيكية » ، « والمهنة القوية » .

ويمثل هذا الاتجاه : اندري دنوبي وبرايير : وبرودسكي وروجيه شابلان وغيرهم .

ثانيا - **السانجون** : كان اصحاب هذه المدرسة يحتفظون بأسرار الطفولة ويستلهمون مواضيعهم من الاصل . اي من البيئة التي تحتضنهم بطقوسها الشعبية . وتحفزهم الى تقديم رؤى بسيطة خارقة للكون . اما اقتحامهم لميدان الرسم فقد كان عن طريق تنكهم للقواعد المضبوطة والحركات والقوانين الجارية في عالم الفن . اذ كان عملهم نتيجة انطلاقة سحرية تقوم على الخلق والابتكار استجابة لرغبة غامضة : استبدت بهم ذات يوم ، فكان من اللازم التعبير عنها وسط عالم غابت بالنسبة لرؤياهم . اثبتوا محاسنه باخلاص دقيق مما جعل الشجرة عندهم عبارة عن قصيدة شعرية كل ورقة منها تقوم مقام بيت القصيدة وتحتاج الى شرح كامل .

ويمثل هذا الاتجاه : هنري روسو ، وموريس أوتريو ، وكامبي بوربوا ، ورفائيل مورينو .

ثالثا - **الذين ينظرون الى الطبيعة بغربة** : ينقسم هؤلاء الى اربعة مدارس :
1 - **الدادية** : وقد كانت هذه المدرسة حصيلـة الفواجع التي اجتاحت الانسانية في بداية هذا القرن من ذلك فوران الحروب وما حملته من خراب وتدمير : اذ

(1) Une mystification idéaliste

(2) **باكونين** Michel Bakounine « متمرّد روسي من مواليد 1814 . (توفي سنة 1876) . كان قد قصد باريس واتصل هناك بالادبية « جورج صائد » وبالفكر « برودون » ثم طرد من فرنسا بطلب من الحكومة الروسية فقام بعد ذلك بحملة سياسية ترمي الى احداث هزات ديمقراطية الشيء الذي جعله يحكم عليه بالإعدام مرات عديدة - ونقل الى سيبيريا ، فهرب من منفاه قاصدا « سويسرا » حيث كون هناك « جمعية الاخوان الدوليين » La secte des frères internationaux « ورابطة الديمقراطية الاشتراكية - كان في سويسرا يحاول الاتصال بالشغاليين لنبث افكاره فيما بينهم مما جلب له عداوة « كارل ماركس » - اما جمعياته الدولية فقد كانت تبشر بالاحاد الديني ومحو الطبقات ومساواة الجنسين وتقاسم الاملاك والالهيـة بالحكومات والسلطات - حاول ايضا القيام بانقلاب شيوعي في مدينة ليون » .
(3) وهو القائل بأن « التخريب نوع من الابتكار »

ما ان احس اتباع المذهب بخطورة ما وصلت اليه الانسانية من اوضاع سيئة ، حتى تكونت لديهم ازمة ضخيرة ، وانساقوا وراء شعارات خاصة تنعكس في اتجاههم العنفي Adsnede وتعريتهم للكون ، واتخاذ مواقف معادية للبورجوازية . اما الفن في اشكاله التقليدية للطبيعة فقد كان في رأيهم مجرد « تزوير مثالي » (1) وانتاج مجتمع يدعي « الرزانة والتعقل » بيد انه لم يتمكن من انقاذ الانسانية مما تسلط عليها من وبال وما يرهقها من قواجم .

وامام هذا الموقف الاجرامي رفض الداديون الاعتقاد في الحياة الواقعية واستسلموا للعبيثية وغشوائية « باكونين » (2) الذي كان يرى « التخريب نوعا من الابتكار الفني » (3) . كما ان لوحاتهم كانت تتضمن « آلية » ترمز الى معول التخريب والهدم ، في حين كانت الطبيعة تبدو عندهم في اطار خاص يناقض الطبيعة بأشكاله اللامعقولة .

وفيما يخص رواد هذه المدرسة فقد كان هؤلاء منقسمين الى فريقين :

- **فريق زوريج** : ويضم جان آرب ومارسيل جاتكو ، وهانس ريشتر . وصوفي طوبير ...

- **وفريق نيويورك** : ومنه مارسيل دوشان وفرانسيس بيكابيا ومائري ، وماكس ارنسنت ، وكورت شفيتر ...

2- **النيرالية** : تعتبر هذه المدرسة وارثة للمدرسة الدادية حيث كانت تقدم على اقتناء كل ما هو جميل او عجائبي في المجتمع الحديث وقد صرح احد اعلامها ، وهو « برتون » ، في البيان الاول الذي وضع سنة 1924 « ان كل ما هو عجيب جميل ، مهما كان هذا الشيء العجيب .. اذ لا جميل الا فيها هو عجيب » .

اعتبارها ككائن متقطع لرغائبي وإحلامي التي كان لابد من إخضاعها بالقوة الى تلك الميولات .. كذلك اتضح عندي بتزايد « تباین » ميدان الفن وميدان الطبيعة الى ان تمكنت من اعتبار كل منهما بذاته كميديتين متفارقين على الإطلاق .. »

وهكذا نستفيد من هذا التصريح ان للفن ميدانا حقيقيا ينفرد عن ميدان الطبيعة ويخضع لقوانين ثابتة كما ندرك تولد الاتجاه التجريدي الذي أحس به من قبل سائر الفنانين دون أن يستطيعوا التعبير عنه حتى اذا ظهر رسميا كان محط بحوث ودراسات عديدة جعلته ينقسم الى نزعتين :

— التجريد اللاشكلي

— والتجريد الهندسي

1 — **التجريد الاشكلي** : ظهرت هذه النزعة منذ سنة 1945 . وكان اصحابها يرفضون كل ضغط خارجي كما كانوا يباشرون عملهم بحرية كاملة كما يفعل الموسيقي اثناء ابتكار الحانه .. اما طريقة عملهم فقد كانت تقوم على بعثرة البقع والخطوط بالوان صارخة لطيفة تعبر عن العزف والهدوء وتعكس طباع الفنان التي كانت تختلف حسب الظروف مما جعل النقاد يحصرون اصحاب هذا الاتجاه في مراتب منها :

— **اصحاب العنف** : وهم يشبهون التعبيريين في ارتكازهم على العواطف الهستيرية ومنهم جيمس بروك وسام فرنسيس ...

— **اصحاب التمهيق** : وهؤلاء يبحثون في توازن الاشكال عن انعكاسه لوداعتهم الانسانية ومن بينهم جان اتلان ، وانا ايضا برغمان ، وبرسييه ..

— **الفنانيون** : وهم اكثر التصاقا بالطبيعة في حركاتهم والوانهم وان تأثر بعضهم بالمذهب السريالي . وقد اشتهر منهم هانس هارتونغ ، وبولوك ، وجورج ماتيو ، وكندنسكي ، وسونيا ، وبيكابيا وغيرهم .

2 — **التجريد الهندسي** :

اذا كانت الهندسة هي الوسيلة المطلقة لمحو اية علاقة مع الطبيعة فقد كانت بالنسبة للرسامين « البنائين » طريقة للتخلص من القلق ، ونبذ الغموض، وحرر الخوف وذلك باشكالهم المتينة وخطوطهم الهندسية

كرائد اول للاتجاه التجريدي .. هذا وفيما يتعلق بتلك التجربة التي عاشها « كندنسكي » نرى ان هذا الفنان نفسه يروي قصتها في : « نظرة الى الماضي » (5) حيث يقول : « ... كنت قد سحرت في مدينة ميونيخ بمشهد غير منتظر .. بل امسيت محط اندهاش في مقر عملي . كان ذلك قرب غروب الشمس عند ما كنت عائدا الى بيتي محملا بصندوق الالوان غائصا في احلامي وفي ذكرى العمل البنجز . وفجأة ابصرت على الحائط لوحة ذات جمال فريد تتألق بشعاع داخلي . فمكث حائرا ، ثم اقتربت من اللوحة المرسومة التي لم اكن ارى فيها اشكالا بعيدة عند ادراكي او شحنة غريبة لدى .. وفي سرعة تمكنت من الوقوف على مفتاح الصورة المرسومة : كانت اللوحة من وضعي ، وكانت قد علقت على الحائط بكيفية مقلوبة . وفي الغد حاولت في وضوح النهار استكشاف انطباعات البارحة لكنني ما ادركت الا نصف التوفيق اذ كنت ارى المارة دوما رغم اللوحة المعكوسة ...

حينذاك فهمت بوضوح ان المواد تضر برسومي ، بل احسست وكان هوة سحيقة تنفتح تحت قدمي بينما تتجمع لدي في الوقت نفسه وفرة من الامكانيات والتساؤلات العديدة المليئة بالمسؤولية كان من أهمها ما ياتي : اي شيء يمكن ان يعوض المادة ؟ ..

ثم انتصبت امامي خطورة رسم « زخرفي » وكانت الظاهرة اللاتعبيرية لوجود اشكال منمقة لا تستطيع سوى تخويني .. وبعد سنوات من العمل الدقيق وجهد متواصل من التفكير ، ومحاولات عديدة رصينة قائمة على ابرازفاعلية الاشكال الخالصة ومعابشتها في تجريديتها والانغماس اكثر فأكثر في تلك الاعماق اللامحدودة ادركت اساليب الرسم التي اسير عليها اليوم والتي آمل واريد انها سوف تتزايد في نموها .. هذا وقد استغرق ذلك زمنا طويلا الى ان وفقت الى اجابة صائبة للسؤال : بماذا تعوض المادة ؟

وأخيرا سمعت ان فنانا لامعا لا اذكر اسمه صرح بأنه اذا اردنا ان نرسم ، فانه يلزمنا ان نلقي نظرة كاملة على اللوحة ونصنفها على خشبة الالوان والنموذج . وكان هذا حكما جميلا ، على اني اكتشفت توا انه لا يؤثر في نفسي الا في خط معاكس حيث ان عشر نظرات الى اللوحة ، وواحدة الى خشبة الالوان ونصنفها الى الطبيعة هو الذي لفتني طريقة مقاومة اللوحة وكيفية

2 — **التكيبية** : لعبت هذه المدرسة دورا هاما في عالم الفن وتركت اثرا بعيد المدى في مجموعة من الفنانين أمثال « دولوني » وليجي ومودريان ، ودوشان أما كيف طرح روادها قضية الواقع أو الحقيقة ، فذلك راجع الى امتداد اصول هذا المذهب في الفنون الزنجية وفي تلميحات « سيخران » ، بيد أن « براك ، وبيكاسو » كانا منذ إبعثهما الاولى ، في سنة 1907 ، يريان أن الصور المرئية لا يجب أن تنتقل الى اللوحة حسب النظام الطبيعي . بل عليها أن تكون منكسرة مطابقة لاحساس الفنان وعواطفه اثناء المشاهدة : لذا تبدو كل العناصر متداخلة بعضها في بعض مما يجعل الانتاج التكبيي متشعب الرؤى ، مخللا لعناصر الطبيعة التي تكسدت في عقل الفنان وكونت شحنة هائلة ، كأن يختلط منظر السماء بالدينة والطاولة وواجهمة الدكاكين والقارورات وغير ذلك ...

وما أن تنتشعب هذه الاحاسيس التي تبسو منظمة على صفحة اللوحة ، حتى تغدو بالنسبة للفنان شاهدا حيا للواقع الذي اراد التعبير عنه ، والظروف التي سعى الى عرضها والتعايش معها في نطاق تحليلي ذاتي للواقع الذي يتضح جزئيا وسط الخليط التعبيري الصوري (*) .

يمثل الاتجاه كل من بيكاسو وبراك ، وفرناند لجي ، ومارك شاغال ودوشان ، وبيكاييا ، والمهندس المعماري لوكوربيزيي « Le Corbusier »

3 — **المستقبلية الإيطالية** : سبق لهذه المدرسة أن عبرت عن اتجاهها في البيان الذي نشرته سنة 1909 ، وفي المعرض الاول الذي اقامته سنة 1911 ، اذ كانت مدينة للتكيبية وللآثر القوي الذي تركته في أعلامها « كبوشيني وليجي روسلو ، وسفريني » حيث كان هؤلاء يقدسون الاتجاه التكبيي ويجعلون من انتاجهم عبارة عن أنشودة لتفوق الالية والتقنية وكل القيم الحديثة ، كما كانوا يتوخون الوصول الى واقعية سيكلوجية ، بتحقيق انسجام كلي مع الواقعية المرئية ، والواقعية الباطنية المستترة .

4 — **التعبيرية** : تولد هذا الاتجاه عن حالة الظلم والفساد الاجتماعي ، ومرارة الحروب : اذ كان الفنان امام هذا الوضع اليأس ، يأخذ مادته من الواقع ثم يغيرها ويصبغ عليها صورة شخصية تعبر عن سخطه

واحتجابه أو مواساته للمخلوقات المظلومة ، والا عبر عن قلق فرادني كما هو الامر عند « جيا كميستي » و « سوتين » أو أبرز نوعا من السخرية اللاذعة والحنان الفائض والعواطف الجياشة .

من رواد هذه المدرسة : بيكاسو — سوتين — مودغلياتي ، برنارد بوفيه جيا كميستي وغيرهم .

5 — **الاحواليون** : بينما كان الفن محط انقلابات عديدة في التجديد ، كانت شرذمة من الرسامين تحاول الاستقرار في مكانها بتبني الاكتشافات السابقة (التكيبية والوحشية ، والتجريدية) في بساطة وحذر وبالارتكاز على اقلها عقيدة . وهكذا عمل هذا الاتجاه على بروز رسامين من أمثال هنري دوفاركييه ، وبالتوس ، وأندري مارشان ، وجان كارزو ، وماسيمو كامبغلي .

6 — **المدرسة التعبيرية الجديدة** : كانت تتردد بين الواقع والتجريد. وكان يعرف روادها في المقارنة التي قام بها « بول كلي » فيما بين الفنان وجذع الشجرة حيث كان كل منهما يمتص اكلته من الحياة ومن الواقع بأن يحمل الاول ما توصل به الى لوحته والثاني الى أوراقه .. وهذا النوع من العمل يفسر موقف الفنان المحايد بالنسبة للواقع . على أن أتباع هذه المدرسة ذهبوا بعيدا بهذا الموقف الحيادي الى أن ركزوه في حدود التجريد المطلق . ومن هنا كان انتاجهم يبدو تجريديا اثناء الوقوف عليه والتطلع اليه لاول وهلة ، بيد أن الناظر المتفحص لا يتأخر في استكشاف ألوان الطبيعة وأشكالها التي تترجم احساس الفنان المرتبط بتلك الطبيعة .

من اعلام هذه المدرسة : روجيه بيسيير ، جان بزين — الفريد مانسييه — مارك توبي — شارل لبيك وغيرهم .

خامسا : **التجريدية** : أو الذين يرفضون الواقع :

كان هذا الاتجاه وليد صدفة غريبة ، افادت الرسام في أن الموضوع والحكاية لا داعي لهما في عالم الرسم اذ يكفي أن تثير اللوحة اعجاب الغير بأشكالها وألوانها وما تتضمنه من تعبير كما حصل للفنان « كندنسكي » الذي كان محط تلك الصدفة القائمة على تجربة رخيصة مكنته من تغيير نظرة في الرسم وبرزه

* من المعروف أن الرسام التكبيي يعرض في الوقت نفسه الوجه الجانبي (البروفيل) والوجه الامامي للشيء وقد تداخل كل منهما في الآخر .

المفاوضات أعقد من أن يؤولها الرؤساء

ريجينا لد يا جيت

نقل وتعليق: أحمد عبد السلام البقالي

في المدرسة تعلمنا انه بعد مفاوضات « حقيل ثياب الذهب » دخلنا الحرب مع فرنسا في نفس السنة! نابليون قابل القيصر على طوف بـ « تيلست » ، وملوك اسبانيا « بيسايون » والمفاوضات معا ادبا الى الحرب .

اجتماع هتلر بالمستشار النمساوي تبعها الاحتلال .

واجتماعاته بموسوليني ادت الى حلف قام على عدم الثقة والفيرة التي اودت بحياتهما معا .

رحلات تشرشل اثناء الحرب كانت اكثر خصوبة ، الا ان اجتماع الدار البيضاء ادى بنا الى الاستسلام بلا قيد ولا شرط ، بينما ضمن مؤتمر « يالنا وطهران » استعباد شرق أوروبا .

زيارة ماكميلان لموسكو افزعت المانيا دون ان تعلمن روسيا .

وزيارته لدوكول « برامبوي » وكينيدي « بالهامات » عكرت جو المفاوضات للدخول في السوق المشتركة .

وما نزال نعاني من زيارته لافريقيا ، فقد خلق عدم الثقة في كل مكان ذهب اليه .

ومن المؤتمرات الكبرى ، كان فرساي - حيث اجتمع كليمانصو ولويد جورج والرئيس الاميريكي ويلسون - اعظم كارثة !

ما أحوجنا في هذا العصر الذي كثرت فيه مؤتمرات القمة الى نصيحة سياسي عجوز مجرب مثل « ريجينالد باجيت »

المشاكل التي يتخبط فيها العالم العربي اليوم لم تعد تستطيع الانتظار وليس ثمة كاف من الوقت ليتعلم ملوكنا ورؤساؤنا بالتجربة والخطأ ، كما كان الامر في القصور والبلاطات القديمة حيث كان الزمن نهرا بطيئا أو أسنا لا يتحرك . الاحداث تتعاقب بسرعة مدهشة في هذا العصر . وكل دولة تستفيد من تجارب جيرانها في جميع مجالات الحياة . واذا كان العالم العربي يمر اليوم بما مرت به الدول الاوروبية قبل قرنين ، وأعني بذلك التطور السايكولوجي ، فانا ينبغي أن نعد انفسنا محظوظين لقدرتنا على دراسة اخطائهم وتجاربهم والاستفادة منها . يبلغ « ريجينالد باجيت » الثامنة والخمسين من العمر وهو مستشار ملكي ، وعضو برلمان عمالي عن « نورث هاميشون » منذ 1945 .

كتب للويكند تلفراف هذا المقال القصير بمناسبة زيارة رئيس الوزراء السوفياتي « كوسيجن » لبريطانيا وهذا ما كتب :

رؤساء الدول يلبغى الا يلتقوا ، اذ حين يجتمعون تؤثر اصطدامات شخصياتهم على المصالح العامة . وينبغي الا يتفاوضوا أبدا . اذ حين يحاولون تكون النتائج في الغالب كوارث !

الثابتة التي كانت تعطي دليلا على وجود الانسان وسيطرته على الفراغ والموت او المدم .

هذا وقد كان الرسم الهندسي يستعمل في تزويق البنائيات وزخرفتها كما انه لعب دورا هاما في ميدان الهندسة المعمارية .. ومن رواد هذا الاتجاه : ويلي بانمبستي ، وماكس بيل ، واوطو فرنر وفيكتور دمسارلي وغيرهم ..

وبعد فهذه اشارة عابرة الى مدارس الفنون التشكيلية الحديثة وما تنطوي عليه من ارهاصات فلسفية وابعاد استثنائية . وقد قصدت من ورائها التعريف بهذا الفن الذي اصبح مشاعا عندنا بكثرة ، وتسهيل السبيل امام المتذوق والمتعلم لادراك رموزه .

الا ان هذه الدراسة بعيدة ان تكون جامعة مانعة نظرا لتعدد المدارس وصعوبة حصرها في مقال واحد . وعليه اشير الى انه توجد مدارس اخرى شاذة كالمدرسة

الميتافيزيقية Pein'ure métaphysique

والمدرسة الاليكترونية P. électronique

والتحطيمية (6) « Le destructivisme »

والفورتيسية (7) « Le Vorticisme »

التي اخذت انطلاقتها الاولى في انكلترا على يد « وندام لويس » وغيرها من المدارس التي تسعى جادة الى التعبير عن الانسان في مراحل تطوره وفي صراعه الدائم مع المادة ومع اشباهه من الاحياء ، وفي مواجهته للظروف الحياتية .

مكنايس : حسن المنيعي

(6) التحطيمية : « Le destructivisme » كنت قد ترجمت لجريدة « العلم » في عددها الصادر يوم 12 فبراير 1967 مقالا يعرض اتجاهات هذه المدرسة الحديثة التي تقوم على الفوضوية وتحطيم عالمنا حتى لا يكون الفنانون من ضحاياه .. وهذه المدرسة تستغل كل المواد لتزيك استثنائية في هذا العالم المنهار ، وربما تعتبر مكحلة لمدرسة « البوب آرتين » .

(7) الفورتيسية « Le Vorticisme » اخذت التسمية من كلمة « Voetex » وهي اقصى درجة في عالم الطاقة كما انها ابعد ما يمكن ان تصل اليه الفعالية في علم الميكانيك وفي عالم الرسم ندرك ان كل شعور او حكم فرداني يبدو للوعي الانساني نشيطا في صورته الاولى .



ويولاد الحسنة



للأستاذ العالم الشاعر نديم الجسر
مفتي الديار اللبنانية ...

ان يستشيط اذا ظللت تذيبه
سيان عندي ، برده ولهيبه
هين علي سكونه ووجيبه
ان طال من هذا الجفاء نصيبه
قلبا منيبا في الحساب انيبه
أتني على القلب الكسير تريبه

اخشى على قلبي ، وانت حبيبته ،
مابي ، وحقك ، ان يكون منعما
كلا ، ولا بي ان يقر قراره
لكن اخاف فراره واباقه
ويلي اذا انتهت الحياة ولم اجد
فتن الحياة امرها تلك التي

* * *

ويظل يعلو ، بالثبور ، نعيبه
ويخوض في قدر السماء يعيبه
هذا على علم لدي اصيبه
يجني ويرجو ان تقال ذنوبه
ان المحال اذا دعاه يجيبه

واحسرتا للعبد يظلم نفسه
ويقول ربي شاني واهانني
واذا اصاب الخير قال ، بجلهه ،
يكبو ، ويطلب ان يقال عثاره
وينام عن سنن الحياة ويشتهي

* * *

ووقاهم من فرقة تهذيبه
مازال ينهر في القلوب صيبه
ايمانكم بالله فهي تشوبه
نلهو بهن وقد اطل رهيبه

ياسادة جمع « الكتاب » شتاتهم
بالله ، بالاسلام ، بالجرح الذي
لا تتركوا احقادكم تطفئ على
الخطب في الاسلام فوق صفائر

والاسباب ليست بعيدة عن الفهم .. المفاوضات الدولية ينبغي أن تكون اجراءات مهيلة تمارس بعناية فائقة . ويتولاها ناس المفاوضات حرفتهم الاساسية . الاقتراحات لا ينبغي أن تلقى على عواهنها دون سابق دراسة . وحين تقدم ينبغي أن تدرس بتدقيق للقبول أو الرفض أو مرفقة باقتراح مقابل ..

حضور العظماء يعقد هذه الاجراءات الدقيقة ، لانه لا يوجد هناك من هو اعلى منهم للرجوع اليه . قيمتهم وغالبا حظهم الانتخابي يعتمد على النتائج التي يرغبون فيها ، وحين يقولون « لا » يصبح موقفهم مبدا قائما .. وحين يقولون « نعم » فان تعهداتهم غالبا ما تقبل بدون فحص كامل ، وحين يثبت البحث أن التعهد كان غير عملي ، تتبادل تهم عدم الثقة . ولصيانة وجه الواحد ، عندما لاتتمشى الامور ، يلقي اللوم على الآخر .

واخطر من هذا كله ان المصالح المتضاربة غالبا ماتصبح سبب المواجهة العدائية .

وظيفة الدبلوماسية هي ان تحقق لنا التعايش مع مشاكلنا التي لا تحل ؛ ولكن عندما نأخذ هذه المشاكل الى مؤتمر قمة ، فاننا نسلط عليها الاضواء ، ولا يمكن ان نتجاهلها بعد ذلك .

العظماء يتخذون مواقفهم ، ولتبريرها يبالغون في اختلافاتهم لدرجة يصعب عندها احتمالهم .

ولكل هذا ينبغي ان نضيف عاملا شخصيا ؛ عظماء هذا العصر غالبا ما يكونون « خارجي الانانية » « Extrovert Egoists » و « الخارجوا الانانية » قايما يتحابون طويلا .

نابليون قد يكون اعظم رجل ، ولكنه كان اشنع دبلوماسي . فقد خلق عدم ثقة عالمي لدرجة انه لم يعرف امكانه التعامل مع أحد .

الرئيس البريطاني ، ولسون رجل عظيم ، له كثير من الروح الامبراطورية اليقوية ، نفس الاخلاص لنجمه ، نفس الطاقة والشجاعة ، نفس القدرة على قلب واستغلال كل زلة أو خطأ يقترفه خصومه لصلحته ، ونفس السهولة على الايحاء بعدم الثقة !

كان هذا واضحا طول مدة رئاسته . عندما فاز بقيادة حزب العمال لم يحصل الا على صوت واحد من زملائه اعضاء هيئة وزارة المعارضة ، وهذا لم يحدث لشكهم في مقدرته ..

وكمثل ، حكاية روديسيا كانت محاطة بالحذر . منذ 1923 تمتعت روديسيا بالاستقلال الداخلي . وسرعة تقدم الافارقة كانت شغل الحكومة الروديسية ، ولم تكن لبريطانيا الوسيلة أو الرغبة في التدخل . ولم يحدث الاستقلال فرقا بالرة ، ولكن باجتماع رؤساء حكومات الكمنويلث اصبحت الحجة قبة !

وبمحاولة السيد ولسون تقوية عضده ادخل نفسه في شباك مؤتمر الكمنويلث واضطر الى اعطاء وعود بمقعد مؤتمر آخر لا قدرة له على الوفاء بها ، ليس بالشكل الذي فهمها به اعضاء المؤتمر على أي حال .

وعند ما ضاق عليه الوقت دعا « سميث » الى اجتماع « التايجر » واضطر ان يعرض عليه شروطا اعتبرها الافارقة غير متفقة مع زهادته لهم . هذه الشروط اعطت « سميث » عينا السيادة المستقلة . ولو اعطيت السلطة لمستر « بون » لعرض هذه الشروط على « سميث » لكان الامر سوي في « سالزبوري » .

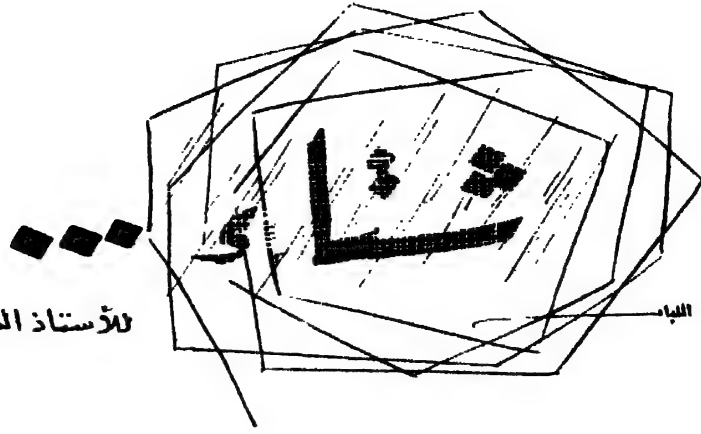
وبما ان شخصية وقمة ولسون اقتضت ان تلبس الهزيمة حلة النصر ، فقد جرت قصة « التايجر » والاذار النهائي .. وقد سبب هذا عدم ثقة لدرجة ان بيض روديسيا ، لمحب ولسون ، رفضوا اقتراحا اعطاهم في الحقيقة ، كل شيء !

وهكذا احيلت القضية على هيئة الامم لفرض عقوبات يجب الا تفضب جنوب افريقيا - وما كانت لتؤثر على سميث اذا لم تفعل !

وقد أدى ولسون ثمنا غاليا لعدم كسب ثقة البيض والسود على السواء . ولا يمكننا الا ان نؤمل انه تعلم درسه !

ريجنالد باجيت

ترجمة احمد عبد السلام البقالي



الأستاذ الشاعر محمد المحاي

ثوب الحداد كأنها لم تبسم
والريح تزار والربى في ماتم
وعبر رياها وجدولها الظمي ؟
بطلان الفجر الوضيء الملم ؟
يمتص في نهم رحيق البرعم ؟
أيدي الولائد والصبايا الحوم ؟
وطوت محاسنها يد لم ترحم
أطيافه نفسي وان لم تحلم

الجو أدكن والطبيعة ترتدي
والسحب تذرف في سخاء دمعها
هذي الرياض فأين وشي زهورها
أين الخمائل ؟ أين فرحة طيرها
أين الفراش معربدا في نشوة
أين الأراجيح التي علقت بها
دنيا انطوت بجمالها وضيائها
كانت رؤى عبرت وحلما امتعت



عني بشاشته ولم تتجههم
تهوى دموع من محاجر مفرم
واتته نائحة بوبل مسجم
أصباحها مثل الظلام المعتم
هوج الشتا وبعشها المتهدم
بمروطه في ذلة المسترحم
دوت مجلجلة رعود الموسم
جهم الملامح في قساوة مجرم

غامت سمائي بعد صحو لم تغب
وتناثرت أوراق روضي مثلما
خلعت يد الانواء عنه رواءه
والطير كالتمتام أخرجها الأسى
ضاعت وهامت بعدما عصفت بها
غطى الجليد عشيشها وتلفعت
سكنت طيورك يا خمائل بعدما
مرحى بوجهك يا شتاء وان يكن

ذاك الشقاق وفي الفؤاد ندوبه
صورا لها يطوي البعيد قريبه
من عهد مجد قد أطل شحوبه
شعب أبي ضرسته حروبه
ترف يدب الى الشعوب ديبه

* * *

مني على غرب الدموع غريبه
يأس مع الايمان فهو يشوبه
ثلث الوري ، والدين نحن قطوبه
ولنا من البحر المحيط دروبه
ولنا من النفط العظيم قلبه
هو حصة الاسد اشترته نيوبه
اشداقنا ، فنجبه ، ونجوبه
نلقى عليه الله وهو حبيب
عن الفة يقضي بها تأديبه
لم يجتمع عند الشعوب ضريبه
الا اتاه ، من القروح ، نصيبه
خلق الوجود وصرفته غيوبه

* * *

خيلا لشعب اترفته عيوبه
في غفلة ، بالترفات ، تنوبه
شعبا توطأ بالنعمال جنوبه

لبنان - نديم الجسر

لم ننس « اندلسا » وكيف أضاعها
دول نكاد نكون في تاريخنا
ما كانت « الحمراء » الا ومضة
القصر لا يبقى اذا لم يحمه
اولى علامات الزوال لامة

استغفر الرحمن من يأس بدا
لم يجتمع ، في صدر عبد مؤمن ،
ثلث البسيطة ملكنا ، وعديدنا
ولنا من البر الفسيح عوالم
ولنا من الامواه اعظم انهر
ولنا ، ببحر الروم ، اطول ساحل
وعلى معابره الثلاثة تلتقي
ويشد وحدتنا كتاب واحد
مهما تفرقنا فلا معدى لنا
هذا بمعركة البقاء سلاحنا
ان مسنا قرح فما من معشر
دول هي الدنيا يداولها الذي

هي نكبة لكن اكاد ارى بها
ما الخطب ، عندي ، ان يباغت نائم
الخطب ان يبقى الخمار ملازما

شعير الحوج

للدكتور عبد السلام المهراس

في احد شوارع تطوان شاهدت مواطنا جائعا تخونه رجلاه فيتداعى
على الارض ، وذلك قرب بناية رائعة ، ولم يسعفه من المارة إلا
رجلان وامرأة فاليه والى اطفاله اهدي هذه القصيدة :

ويصفعه ذل وينهشه فقر
واحسن منها قد تقيها القبر
يؤثره ظلم العثيرة والدهر
سوى دمة حيرى يبددها الذعر
يكلب عقور او بأوبئة مروا
يلاعبها ربح ويمسكها سر ؟

رايته يجشو والهموم تؤوده
وترفض رجلاه التحرك ، اعظما
وفي عينه حقد يطير شراره
ومن عجب ، حتى الدموع تخونه
ومر به القوم الشباع كأنهم
اشخصا اراه ام بقايا لخرقة

* * *

تعيش واقواما ضميرهم صخر
ويطربهم شر ويؤذيههم خير
كرامتك الثكلى المهانة والعسر
ومن كسرة الجياع كان لهم وفر
لارواحهم انى يكون لهم نصر

وقالت له الارض الرؤوم الى متى
تداعوا على الفحشاء جهرا وخفية
وداسوك يا روح الفؤاد ، فاثخن
ومن مدمع الايتام صيغت حياتهم
ولولا نضال البائسين وبذلهم

* * *

وادمع احزانها جارية
لتحضن فلذتها الغالية

ومدت اليه يدا حانيه
وكادت تمزق اعماقها

ذهبية ربا معطرة الفم
واليمن خلف جمالك المتكتم

الخير يقطر في ندادك سنا بلا
والبشر يكمن خلف وجهك عابسا

* * *

تجتر شجو مصابها كالعلقم
فتكومت في جنح ليل مظلم
أودى به البرد الجمد للدم
محوقة من عهد جد آدم
يرنو اليها في ازدراء مؤلم
وتاوهت في حالة المستسلم
خبز وفي شفتي دعاء المسلم
مخنوقة بلسانها المتلثم
مشلول اوصالي وتدفيء اعظمي
ويدي على قلب يذوب محطم

وعلى الرصيف رايتها انسانة
مقرورة عصر الطوى امعاءها
لم يبق منها الجوع الا هيكلها
غطت وجيها شاحبا بملاءة
وبكت فلم يسمع بكائها عابر
وتوسدت ارضا تبلل تربها
ودنوت من اختي العجوز وفي يدي
قالت وفي نبراتها غصص الاسى
من لي بمطفأة تدغدغ نارها
ودعتها ومدامعي مسجومة

* * *

قرئى عرايا تحت جنح مخيم
ويراقبون مصيرهم في مقيم
ماتت مشاعره ولم يتألم
فتشير احساسى وتنزف من دمي
جفني وفجرت المرارة في فمي
ورأيت مدفاتي كنار جهنم
كل العباد غنيهم والمعدم
احد على امنية لم تقسم
جم الماسي فهو جم المغمم
خضراء يزخر فيضها بالانعم
زهرا لشاعرك المحب الملهم
وسلامة وبشير خير مغمم

ابصرتها فذكرت نكبة اخوة
يتقلبون على الثرى في رعشة
ويناشدون ضمير عالمنا الذي
صور تطل مع الشتاء بوجهها
ولطالما سنحت فأرق طيفها
فكرهت اغطيتي وعفت اسرتي
ووددت لو ان السعادة خالفت
لكنها قسم وليس بقادر
مرحى بوجهك يا شتاء وان يكن
رو البطاح وصغ ثراها جنة
واسق الروابي وانم في تيجانها
واهبط بموطني المفدى رحمة

تطوان : محمد الحلوي

ابن زيدون

مترجمة شعره في أربعة فصول

لشاعر عظيم بن الهمامي الفيلالي

الفصل الرابع

(وفيه ثلاثة مشاهد)

المشهد الاول :

نفس النظر : في بهو قصر « العميد ابن جهور »

فارحمي مهجتي المليئة حبا
انا لا زلت من جمالك صبا
عن هواه .. ؟ فقد جفاك وصدا ..

هدني لاجع الصبا هدا
غير اني في حيرة وعذاب
بعد ان خط لي سطور كتاب
من عتاب ، وغضبة وسباب

انا « مريمي » هويتك قبلا
« ابن زيدون » قلبه الصخر ، لكن
لم لا تجعلين حبي بديلا
انت مغرور ..

انني فيك صب
استمع انك الحبيب لقلبي
« ابن زيدون » سافر اليوم ، لكن
قال لي افحش الكلام ، وانكس

(ابن عبدوس يظهر)

نتلى باعظم المعجزات

كفرت روحه بقدس الصلات
كان قلبي ، ومهجتي ، وحياتي
حيث يفنى ظلما مع المهملات
كيف « يا مريمي » استطاع سلوا
ابن زيدون ، واجعليه عدوا

لست اعفو عنه ليعرف امري

فانني جند غمر

ابن عبدوس ..
ما تقولان ..

انا

ابن زيدون ..

انه لحقود
ابن زيدون كان قبل حبيبي
ان « ولادة » رمت بهوانا
ابن زيدون وحده من تجنى
لا تقولي « ولادة » بل فقولي :
اغفري ذنبه ..

فكيف وانى .. ؟
كيف « يا مريم » السماح لنذل
لك سمعا ...

ابن المكري :

ماري :

ابن المكري :

ماري :

ابن المكري :

ابن عبدوس :

ابن المكري :

ابن عبدوس :

ماري :

ابن عبدوس :

ابن المكري :

ماري :

ابن عبدوس :

ماري :

ابن عبدوس :

لتلثم أنفاسه الفانية
على شفثيها هلم لييه
وحطم عزته طاغيه
أحن عليه كأعماقيه
التي بصاعقة قاضييه
وليست دماكم سوى شمسيه

دعته بشوق الى صدرها
وقالت له والاسى نائر
فكم بائس قد سقاء الردى
سرى في عروقي بشوق ، ومن
ولكنني قد جذبت عداهم
فليست دماهم سوى ظلمتي

* * *

وطفى شوقه
لعنان التراب

فرمى جسمه
فوق صدر التراب

ساكبا روحه
في حنايا التراب

والاسى والدموع
وظلام المذاب

لعنة للأبد
فوق دنيا الذئاب

فلس - عبد السام الهراس

ابن عبدوس :
ماري :
ابن عبدوس :
ماري :

هو ذا الراي
اسمعا ..

لك اي راي

مهلا .. فان رايتي ظاهر

ابن عبدوس :
ابن المكري :
ابن عبدوس :
ابن المكري :
ماري :
ابن المكري :
ابن عبدوس :
ماري :

هو فعل المكيدتين
رضينا

هو ذا الراي
سوف يعلم

طبعما

فوداعا الى اللقاء ..

وداعا ..

احضري للتنفيذ في الغد ..

سمعا ..

(تخرج)

ابن عبدوس :
ابن المكري :
ابن عبدوس :
ابن المكري :
ابن عبدوس :
ابو خالد :
هما معا :
ابن المكري :
ابن عبدوس :
ابو خالد :
ابن المكري :
ابو خالد :
ابن عبدوس :
ابو خالد :

ضربة تقسم اللثيم ، ومكر ..
خطة اتقنت

قريبا سيدري

ما رسمناه من خديعة مكر

ما اظن « العميد » يقبل منا
لا تقل هكذا ...

(يدخل) السلام عليكم

وعليك السلام يا « ابا خالد »

اي شيء ..

اجلس ..

فماذا سألني

قل لنا ما رأيته من مشاهد

هل علمتم بحادث اليوم

ماذا ؟

قد اباد « العميد » حان الخمور
يشربون الخمور رغم الظهور
فاتى والجنود خلف ركابه
لطمت لم يرعك غير سبابه
عن كؤوس الشراب كل الفنون

قد تناهى اليه ان شابا
وارتأى ان يرى السكاري عيانا
كم دنان تكسرت ، كم وجوه
اتركوني من ذا الحديث ، وهاتوا
واسمعوا لي نشيد خمر

رويدا

ابن المكري :
ابو خالد :

ها هو اللحن صادحا بجنوني
واسكبيها في الكأس نور شمس
سلوة الهم أو سرور العوس
فرحة من انيسة لانيس
وهي سر المنى ، وحلم النفوس
رشأ ننحني له بالرووس
كم تحب السراح روح الحبس

اسقنيها من وجنتك شرابا
عصرتها الهة الفجر صرفا
ما سقاها كسرى ، ولا هي دارت
اخذت مهجة الصباح دنانا
حبست ثم فضها للندامى
بسمت في كؤوسنا حين صبت
(فى ابتسام)

يا ابا خالد كفاك

ابن عبدوس :

(ماري تخرج من جيبها ورقة ثم تلقي بها الى ابن المكري قائلة)
ان هذا كتابه (1) فتأمل كم ترى فيه من بلدي السباب
(يقبضه)

قله يا ابن المكري بصوت علي

ابن عبدوس :
ابن المكري :

مثلما شئت يا وحيد الصحاب
(بعد ان يتم القراءة)

هو احري بحرقه وعذاب
قبل هذا حتى قرأت الخطابا
قد رمانا ، وشئت الارابا
منه حتى سما على الوزراء
عنه .. اما رايتي مع الآراء
ثم تفنى سريعة في الماء

ان قلبا يملئ عواطف شر
يا ابن عبدوس لم اكن حقودا عليه
انت يا بن المكري اتدري باننا
مذ غدا كالوزير والشعب يملئ
ان قلب « العميد » اكبر راض
فجميعا كرهوة الموج تبدو
استمع ..

ابن عبدوس :
ابن المكري :
ابن عبدوس :

ها انا ..

ابن المكري :
ابن عبدوس :
ابن المكري :
ماري :

انه خلك الوحيد الوافي
وتذكر كم عاش في استخفاف
غير اني اشاء رفع مكاني
خبريني ..

تأمل قليلا
ان تسامى فمثلما انت سام
انا لست الحقود .. حاشا عليه
ابن عبدوس قد سمعنا كلاما

ابن عبدوس :
ماري :
ابن عبدوس :
ماري :
ابن عبدوس :
ماري :

ماذا يريد الجاني
انك الصب .. دائسا كل قلبك

كيف يهوى « ولادة » وهو يدري
اسمعي

انها من هواه القت بحبك
وبليدا منذ اصطفته حبيبا
ان يجازي ، ولو يكون قريبا

ها انا .. ولكن تمهل
اسمعي .. فاني صرت وغدا
ان شخصا يجني عليك لاحري
فكرا في العقاب

ان امر العقاب شيء يسير

مهلا وريدا
كيف هذا العقاب ؟

ان تكيد الفداة وهو سفير
باسم ولادة اليه كتابا
فليقابل هناك منها ركابا
ابن زيدون شاء للشعب فتنة
كيف يبقى ، ففي الإقامة محنة ؟
بل غدا دائسا من الكفر امرك

سهل لدينا
نحن نهواه ان يطيل .. فخطا
انها ازمنت رحيلا اليه
ثم سيرا الى « العميد » وقولا :
شعب « بطليموس » اصطفاه معينا ..
لم يقف كالسفير عند هداكم
حيلة تعجز العقول ..

ان سحرا منه سيغلب سحرك

رويدا
كيف هذا ؟

يوم قام « الفاسي » فينا يحاضر
كيف بعد الشهود فيه يكابر
لابن زيدون ..

اسمع فانك تدري
قد سمعنا منه الجحود صراحا
حين يدري العميد هذا ، فسحقا

رايك الان مكر

ماري :
ابن عبدوس :
ابن المكري :
ابن عبدوس :
ابن المكري :

(1) في الفصل الاول نص هذا الكتاب .

اثبت بالرمل مسرعاً
(صائحاً) يا « مصافي »

ابن المكري
مصافي الحارس
ابن المكري :

لك سمعاً
هات على الطبق رملاً

اسرع الخطو ...
احضر الرمل حالاً (يخرج)

مصافي :
ابن المكري :
ابو خالد :
ابن المكري :

حارس لا اراه للقصر اهلاً

ولماذا .. ؟

لانه مستهام
ربما ان راك تنظر في الرمل
بفتاة هنا من الروح اغلى
مل ، يفضي لنا بما هو كاتم
(يدخل)

ابن عبدوس :
ابو خالد :
ابن المكري :
ابو خالد :
ابن المكري :
ابن عبدوس :
ابن المكري :

اي شيء تعنيه ؟
اعني الدراهم
تاخذ الاجر
اثته بالدراهم

قد اتى به ...
(لابن المكري) اعندك شيء

لست فينا عرافة الحي حتى
(وقد اخرج الدراهم) :
خذ .. وهات الحديث صدقاً

رويداً ان شيئاً ا قوله هو صدق
ان قولاً يقوله هو حق

سترى ما يكون .. اسمع .. وفكر ..

ابن عبدوس :
ابو خالد :

(وهو يخط الرمل باصبعه) :
زوجة ام خديعة .. سوف يبدو

آه .. « بابن المكري » تريدك زوجاً

يوم تفدو كشاعر غزلي
يوم تبدو كشاعر غزلي

ثم يصبح :

تهزآن .. هل المحال سيرجى
تضحكان الفداة من غفلاته
فوداعاً ..

ما تقولان هل انا مثل وغد
اتركاني : سأخرج الآن حيناً

(وهو يخرج) :
فالحر ضد عدائه
(- يتضحكان وهنا يخرجان ايضاً -)
بينما الحارس « مصافي »
يكون قد اخذ بتلايب ابى خالد ، واعترض طريقه ، وعلى هذه الحالة
يسدل الستار .

ابن عبدوس يكرر :
ابن المكري :

ختم

المشهد الثاني

نفس المنظر : (العميد ابن جهور وابنه ابو الوليد وهما يتذاكران في
شان ابن زيدون) .

ابن زيدون ظالم يتحدى
ولدي استمع .. فقلبك غض
كثرت حوله الشكاوي

العميد :

ان للناس في التوابغ قصدا
عفوك الله .. فاعمر الكون ودا
ما يزال النبيل شغل لثام

ابو الوليد :

ابن المكري :
ابو خالد :
ابن عبدوس :
ابو خالد :

انني شاعر وللخمر فني
اتدري

زوجتي كم رجت شفاء ... ولكن
ذات يوم اجبتها بقصيدة
(ينشد بصوت عال) :

تقولين لي اتركها ولست بتارك
هي العلم والربح الكثير ، وشربها
اذا ذاقها يوما جبان رأيت
وان مصها العريان ، والبرد قارس
وان ذاقها يوما فقير ترده
ولو شرب المرضى كؤوسا مليئة
لو الجميل المحروم ذاق كؤوسها
قف سمعنا ، اهكذا انت

ابن المكري :
ابو خالد :
ابن المكري :

عذرا
لو يكون الشباب مثلك يوما
ضاع حق البلاد فيك ، وماتت
لا تقل هكذا وخله حرا

ابن عبدوس :
ابو خالد :

انا للكأس والندامى ، وانتم
ثم شيء .. لم تعرفوه سباني

ابن المكري :

ابن عبدوس :

ان ارى في الرمال ما كان غيبا

ابو خالد :

كيف الهو .. ومرة جربوني
(لابن المكري) :

ابن المكري :

ابو خالد :

ابن عبدوس :

ما ترى ؟

انني اشك ..

ابن المكري :

ولكن

ابو خالد :

(لابن المكري) :

ابن عبدوس :

(لابن المكري) :

ابو خالد :

اي سر تخفيه اجلوه حينما

ابن عبدوس :

ابن المكري :

قل له ما تشاء ...

انك تعلم
وجحيم الهوى قضاء محتوم
ملكنتني بحسنها وبهاها

يا « ابن عبدوس » كم كتمت غرامي
انني اعشق التي انت تـدري
هل سترضاني زوجها ...

ابن عبدوس :

ابو خالد :

ابن المكري :

لست ادري

ربما

انني قتيل هواها

ملكنت مهجتي

هل تجانفك ام تنال رضاها

رويدا ... رويدا

ابو خالد :

العميد :

ظهر اليوم كل شيء ، وأبدت
ابن زيدون خائن وعنود
سوف يدري باننا ان غضبنا
كنت شاكا ، وقد تجلى يقيني
انت تدري حقيقتي ، ان قلبي
هذه زهرة تفوح عيرا
كيف اضحى الصباح ليل ظلام
رحمة يا ابي ففعلك اسمي
ولدي لا تزد على ذاك شيئا
لست ارقى فكرا ، ولكن شخصا
ابن زيدون شاعر ، عشقته
وابن عبدوس قبله كان صبا
هجرته الى ابن زيدون .. هذا
ان هذا مولاي هجر كلام
اخرج الان من مقامي وذرتني
(في ادب) :

ابو الوليد :

العميد :

ابو الوليد :

ماري :

العميد لابنه :

ابو الوليد

العميد :

ماري :

العميد :

ماري :

العميد :

ابن عبدوس :

العميد :

هما معا :

العميد :

ابن عبدوس :

ما توارى عن ناظرينا الغيوب
سوف يدري مصيره المحتوما
اصبح الكون من لظانا جحيما
انا يا رب مومن بقضائك
اعمق الصفو مثل صفو سمائك
كيف صارت افعى لتنفث سما
صار جهل النفوس في الارض علما
ونبين هل كل ما قيل صدقا
لست تدري وليس عقلك ارقى
فاتهم في الذكاء جريا وسبقا
روح ولادة جمالا وخلقا
من هواها يموت وجدا وعشقا
ما دعاه .. فكاد جورا وحمقا
شباك الان قد تفاحش نطقا

لك سمعا - (يخرج)

وذاك خير وابقى
وليعش شبلك الطموح الابي
ان هذا منكم ولاء وفي
رغم ما في الطريق من اشواك
اي عذر ينجيته شر الهلاك

انا اوصيكما حذار ثم حذار
ان تدوم الاسرار خلف الستار
كل شيء هنا حديث الديار
كل ما قلتماه من اسرار

انقلا ما يكون من اخبار
فوداعا (وهو يخرج) ان الولا شعاري

عشت فينا مولاي ظلا ظليلا
جئتما كالصباح زحزح ليلا
لست يارب غاضبا عن حياتي
ابن زيدون سوف اصليه نارا
عاش مولاي .. اننا سوف نمضي
انا ارجو مولاي منك طلابا
لو درى الشعب ما نقول ، لاضحى
ليس في مجلسي خؤون فيفشي
امضيا ...
لك البقاء .. وداعا ..

ذاك حق علي ما دمت حيا

(ســــــــــــــــــــــــار)

المشهد الثالث

« يظهر هنا ابن زيدون في سجنه على اليمين ، ويرى على اليسار بهو
مضاء يقف في وسطه السجان »

ابن زيدون :

انت يا سجن هل رحمت فؤادا
لست تدريه من يكون ؟ وما يش
انه شعلة من الله .. يا سجن
هو عصف الرياح يهزأ بالر
ايها النور عفتني ، ولماذا ؟

صار تحت الظلام صوتا خفيا
كو .. ؟ وهل عاش باكيا أم رضى
اذن .. ؟ عرفتة عربيا
مل ، وسيل هذا السدود قويا
* * *
الاني في السجن ما زلت حيا

واسمع الصوت من عميق الجحيم
انا افديك من مليك رحيم
اتراهم جماعة الوزراء

ان يغطوا نبوغه بالدهاء
دونه .. غاظهم عظيم الولاء
للووزير العظيم كل شقاء
مع غادة ..

فليدخلا

سمعا لكم
اصمى فؤادي بالاسى ..
فلنختتم

وعليكمو منا السلام

منك صونا لحق هذي البلاد
كم تعادي من مرشد او هادي
لا ارى غير عللة وفساد
اننا اممة بغير عماد
بئس رأي الهوى .. وسوء اعتقاد

انا والله صادق في ودادي

ان « بطليموس » كهف كل مفامر
ابن زيدون خان كل الاوامر

ليس هذا الا افتراء كدوب
قد علمناه من حديث غريب

هي ما ينطقون من اقوال

نلت مولاي غاية الامال
هو ان يفتدي ملك البلاد
يوم وافى « الشرقي » احدي النوادي
قال عنكم من وصمة وعناد
انا والله صادق في مقالتي
(ثم يتجه نحو ابي الوليد) :

مثل استاذك العزيز الغالي
(بسكت قليلا)

مالك الان ساكتا لا تجيب

طفت وادي الخيال فانزل الينا
لا تكن - يا ابي - عليه غضوبا
من اولاء الدين بابك جاؤوا
انهم صادقون ..

ان هواهم
حيث اضحى منكم قريبا .. وصاروا
فوشوا بالسفير حقدا .. وشاؤوا
مولاي بالباب « ابن عبدوس » اتى

فلننختم هذا الحديث ، فانه

منا السلام عليكمو

ابن عبدوس ما اردت ؟

اردنا
اخذت صبغة الجحود ، واضحت
لا لشيء .. حنانك الله اني
كيف يغدو الخؤون فينا نبيللا
ابن زيدون باعنا للاعادي
ابن عبدوس ما تقول .. ؟
لابن عبدوس : تأمل

كيف هذا .. ؟

مولاي انت عليم
لم كان المقام فيه طويلا .. ؟
انه حالف العدو

امانا
اسألوا « ابن المكري » عن السر انا
(يتجه نحو ابن عبدوس وماري)
اصمتا ...

ثم يتجه نحو ابيه :
يا ابي وشاية فقد
لا تشق ...

اني سأعمل فكري

لابن زيدون في الحياة رجاء
ان هذا مولاي ما قد سمعنا
اسأل الحاضرين في الحفل .. ماذا
اسمعوني اذا نطقت بقول

واستمع يا بني دافمت عنه
(بسكت قليلا)

يا ابي لا تطل وجومك .. فانطق

العميد :

ابو الوليد :

العميد :

ابو الوليد :

احد الحراس :

العميد :

احد الحراس :

العميد :

ابو الوليد :

ابن عبدوس وماري

العميد وابنه :

العميد :

ابن عبدوس :

العميد :

ابو الوليد :

ابن عبدوس :

العميد :

ابن عبدوس :

ابو الوليد :

ماري :

ابو الوليد :

العميد :

ماري :

ابو الوليد :

العميد :

ماري :

ابن عبدوس :

ابو الوليد :

العميد :

ماري :

ابو الوليد :

العميد :

ماري :

ابو الوليد :

ولادة :

ايها السجان ..

السجان في اضطراب : .. لا تدخل

ولادة (في استعداد) :

السجان : كيف هذا .. اي باب فتحت

ايتيا بالاذن حالا ..

ولادة :

لا تخف

فتح الجند لنا ..

عائشة المغربية :

ماذا ترى ..؟

وبامر « العميد » المرتجى

ولادة :

السجان (وقد هم بفتح الباب) :

حجة واحدة عندكم

حجتي .. انكما الآن هنا

ولادة :

ارجعنا ..

انا اتيانا للوزير

قدر حل ، وشر مستطير

قد اتياناك من الباب الكبير

ان بالباب جنودا امناء

نحن جننا ..

ليس في الامر خفاء

لم تدع للفكر في الامر مراء

افتح الباب فقد طال الكلام ..

(يفتح الباب)

ولادة (لابن زيدون وقد كان في غفلة كمن يفكر تفكيراً عميقاً) :

ابن زيدون ...

هل انا في بقظة ام في منام

ابن زيدون في دهشة وفرحة) : احقا ما ارى

« ابن زيدون » يا اعز حبيب

ولادة :

عائشة المغربية :

ابن زيدون :

« ابن زيدون » يا بني وروحي

لجفوني ، ولبسما لجروحي

زحزح اليل عن حياتي الحزينة

حك الغالي واجب ان اصونه

انت لحنني ، اصوغ منك رنينه

جعل القلب من غرامك دينه

يسمع السجن في الظلام انينه

ووشوا للعميد جورا وظلما

لم اجد في العميد عطفاً وحلما

جئتما فرحة لقلبي ، ونورا

جئتنني « يا ولادة » كصباح

يا بن زيدون يا ربيع شبابي

انت حبي ، وانت ربة شعري

حجبتني الغيوم عنك ، ولكن

ظلموني ، فالحزن ادمى فؤادي

شيع الحاسدون اني مريب

غير مجد ما صفته من قصيد

حسدوني على هواك ، وكادوا

وخلا الجو ، فانبرى كل وغد

لا تحيدي عن الهوى ، ففؤادي

اين في النادي من يشابه فني

اين فيهم من يدرك اليوم شاوي

في دمي ثورة على الكفر تغلي

كل يوم يزداد صف الاعادي

ان هذا اذا راوه عقوقا

يا بن زيدون ..

ها انا

ولادة :

ابن زيدون :

ولادة :

ضاق صدري

لم يلن شعرك الجميل قلوبا

حيل الفكر لو عمدنا اليها

كم تقاسي من الاسى والبعاد

كصخور تسبيء للاخلاق

صرت حرا وضاع كيد العداة

صوت :
ابن زيدون :
صوت :
ابن زيدون :

انتحر .. انتحر
حنانك ربي

انتحر ... انتحر
سأقتل نفسي
لا .. لان السماء تلعن نفسي
لا افك الفؤاد من قسوة القيد

اي شيء يلوح في ظلمة السج
ام ملاك اتى لتخليص روحي
انت يا طيف لعنة ام جحيم
غير اني لا اكره اليوم شيئا
انظر الجفن ذابلا ، وضلوعا

يا الهي ناداك قلب حزين
اي ذنب جنيت .. ؟ لم اكبت النو
رمت قطف الزهور في الفصن تندى
عدلك الله ان قلبي جريح
شئت ان اجمع الشتات ، وابني
كيف نجم « الاسبان » يلمع في الجـ
وشعوب الاسلام في غفوة النـ
فاسمح الله ان بكيت بدمع
هل لشكوى الحياة ابدعت جفنا
قد نسيت الصباح من طول ليلي
حسدوني ولم اكس غير طيف

ابن مني المروج وارفة الظـ
ورفيف النسيم ضمخه العطـ
ابن مني رقص الفصون عليها
لحظة لم تدم .. كروضة انس

ابن يا جنتي ظلالك مني ؟
ظلليني على البعاد ، فاني
سوف تصفو الحياة للحاسد اليو
غير ان الحياة لا تحفظ العهد
طالما تكبت الفيوم ضياء
حرت يا رب اولني منك عطفا
الفرار ... الفرار ..

اي نداء
سوف لا ارتضي الفرار نجاة
ربة الشعر اوسعي النفس عدرا
وانظمي من جواهر اللفظ عقدا
(ومن الجانب الايسر تظهر ولادة مع عائشة حين يكون السجان
مستديرا جهتهما) :

اي صوت .. ؟ واحسرتاه علي

بيدي كي ارضي الفؤاد الابيا
وتراني الحياة وغدا غيبا
سد بكف تجنسى على مهجتي

من ، اطياف المنون يدنو الي .. ؟
من عذاب ، اني اعيش شقيا
ارني وجهك الذميم الغويا
ادن مني ملامسا راحتني
كم تجافت فراشها الحجريا

صار صخرا ، ولم يعد دمويا
ر ، ولا دمت في الصبابة غيا
فاستحالت شوكا يحز يدي
كيف يقسو قلب الحياة علي
من شعوب الاسلام صرحا قويا
و ، ويفدو غصن الشعاع سنيا
وم ، تجافى اتحادها العربيا
انا ارجو سماحك الازليا
فجر الحزن دمعته اللؤلؤيا
وظلام السنين في مقلتي
عاش تحت السماء قلبا وفيها

ل ، وغصن الزهور يندي شديا
ر ، فابدى اتساقه السحريا
يسكب البلبل الغناء الشجيا
قصف الريح زهرها العطريا

انا اهوى عبيرك القدسيا
عشت في غربة حزينا شجيا
م ، ويفدو جم السرور زهيا
وقلب الزمان ليس وفيها
تم يبدو ملء الفضاء سنيا
كيف احيا ، وهل اطيع المضا

ملا السجن والفضاء دويا
ان سر النجاة في شعريا
انت سيفي سأنتضيه جليا
واسكبي سحره على شفتي
ولادة مع عائشة حين يكون السجان

صوت :
ابن زيدون :

ابن زيدون : ايها السجان .. هل تسمعي
السجان (وقد عاد ففتح الباب) : اي شيء
ابن زيدون :

هذه اجمل حلوى

(وهو يحمل شيئا منها) :

انا اهديك .. فهل تقبلها

هاتها ... (يمك)

السجان :

هي من ، هي سلوى

ابن زيدون :

(يفلق السجان الباب ويبتعد)

ابن زيدون (وهو ينظر اليه من ثقب الباب) :

ربما شك ... اراه يقترب

حملت عيناه فيها ... انه

السجان (بعد ان يفتح الباب) :

من يكن مثلي ذكيا يسترب

اعجبتني غير اني لم اثق

والذي عندي يغدو من نصيبك

فالذي عندك يغدو بيدي

مثلما شئت ، ولا تخش اذى

ابن زيدون :

لازم الحيلة ، واحذر من قريبك

السجان :

(وهو يمد اليه)

خذ وهات الآن ..

(وهو يمد اليه) :

لا تخش اذى

ابن زيدون (وهو يمك)

هاك خذ حلوى شهيا طعمها

(السجان وقد اغلق الباب ، وانتحي ناحية وهو يتطلع الى الحلوى)

تشبه الشمس (ثم ينقض عليها قائلا):

اي حلوى عجنها غادة

لذيذ لشمها

تفضل السكر تزي بمذاقه

اي كف عجنها ... انها

اشبه النشوان في سكر اغتباقه

سقيت بالخمير صرفا ... فاننا

(يقول وقد ارتخت مفاصله) :

اشبه النشوان .. (اشبه النشوان)

استطيع المشي .. اجثو هاهنا

اني لم اعد

ابن زيدون (كانه يريد ان يعرف حاله) :

(السجان يرفع راسه قليلا)

ايها السجان ... ايها السجان ...

باناء الماء ... ظمآن انا

ايها السجان لو ترحمني

(السجان لا يجيب ثم يستلقي على الارض وقد اصبح لا يستطيع حراكا)

ولادة (تظهر الآن ، وهي تقترب نحو السجان ، ثم تلتفت نحو عائشة التي لا تظهر) :

فقد الوعي ... تعالي ..

(عائشة تظهر)

انظري وبما مات ...

بعيد ان يموت

عائشة (في يقين) :

« ابن زهر » سوف يشفي داءه

ولادة (وقد انحنت عليه) :

نفس بين انقطاع وخفوت

ابن زيدون (وهو يطل من ثقب الباب) :

انه ذئب ...

راقباه .. حركاه ... وانظرا :

تناهى امره

عائشة (لابن زيدون) :

ثم لولادة : اخرجي المفتاح من اثوابه

- ابن زيدون : اسمي يا ولادة انا حر
ان سجنى ، وان اضر بذاتي
كل حر سيلغ القصد ، مهما
انت انساني ، ولكن رويدا
ظلموني ...
- ولادة :
ابن زيدون :
ولادة :
ابن زيدون :
ولادة :
عائشة :
ابن زيدون :
ولادة :
ابن زيدون :
عائشة :
ابن زيدون :
عائشة :
ولادة :
عائشة (تقاطعها) :
ابن زيدون :
ولادة :
عائشة (تشير الى الطبق) :
المجان (يقترب منهم) :
ابن زيدون (للسجان) :
ولادة :
السجان :
ولادة :
ابن زيدون :
عائشة (تتأخر) :
ابن زيدون : لا تخافي ..
السجان :
عائشة :
(وقد استدبرته) : الامر ايسر ظاهر ...
(يخرجان معا - وهنا يبدأ السجان فى اغلاق باب السجن)
- رغم اني سجين جور الحياة
هو اجدى لفكرتي واعتقادي
خانه الحظ ، رغم كيد الاعادي
ليس هذا مصير كل نبيل
- أسوة الهجرة التي للرسول
كيف انجو ؟ ..
وذاك شيء يسير
ثم حلوى ، والسم فيها كثير
منه لم ينتبه الى ما يدور
فقد الوعي ، واعتلاه زفير
هكذا سرعة تتم الامور
- ان هذا اثم ، وجرم كبير
به بسم ...
قد خا لك التفكير
- انت انساني لديك ضمير
و « ابن زهر » لنا طبيب خبير
ذاك رأي « ابو الوليد » رآه ..
فتحوا الباب ..
لم يشاور اباه
- قد دعاه ، وما استجاب نداه
احلوا ، فالسجان ارجو شفاءه
كل شيء فيه السموم .. فحاذر ..
اخرجوا فقد اطلتما المكث ردحا من زمان ..
اني اليك لشاكر
- ابن زيدون :
ولادة :
السجان :
ولادة :
ابن زيدون :
عائشة (تتأخر) :
ابن زيدون : لا تخافي ..
السجان :
عائشة :
(وقد استدبرته) : الامر ايسر ظاهر ...
(يخرجان معا - وهنا يبدأ السجان فى اغلاق باب السجن)

عصر المنصور الموحدي

للأستاذ محمد الرشيد ملين
تقديم الأستاذ عبد الله كنون

يعقوب المنصور الموحدي شخصية غنية عن التعريف ، فهو من أكبر الشخصيات العظيمة في عصره بلغ المغرب في عهده من الشأو البعيد ، والصيت الطائر ، ما حفل به تاريخ هذه البلاد .
وقد افرز لدراسة هذه الشخصية الفذة ، التي طبعت المغرب اذ ذاك بمصر ذهبي اصيل ، الأستاذ الكبير السيد محمد الرشيد ملين الذي كتب ، بغيرة علمية ، ووطنية صادقة ، دراسة مستفيضة عن الحياة السياسية والفكرية والدينية لعصر يعقوب المنصور الموحدي في الفترة المتراوحة بين سنة 580 - 595 .

والطبعة الاولى لهذا الكتاب صدرت عن دارالتأليف والنشر السلطانية بالمطبعة المحمدية عام 1946 بتشجيع والذن المغفور له مولانا محمد الخامس جاد الله بالرحمة نراه ، الذي جذب حسن ما وفق اليه المؤلف من العمل ، مملقا - رحمه الله - على ما يزهر مستقبل المغرب خير امل .

وطبقا للارشادات الملكية السامية التي تحض على التفرغ للعلم ، وتحث على الاكتراع من منابعه الصافية دبح الأستاذ السيد الرشيد ملين فصول كتابه المخصص لحياة شخصية وعصر المنصور الموحدي ، فجاء هذا الكتاب يشهد للأستاذ السيد ملين بالباع الطويل ، وألبحت الرصين ، والتوفيق الرشيد ، والدراسة المستأنية .

وقد فاز هذا الكتاب بالجائزة الاولى للتأليف في مباراة كانت تونس اذ ذاك قد اجرتها في نطاق التشجيع بين المؤلفين .

ويسعدنا أن نثبت مقدمة الطبعة الثانية المزمع انجازها قريبا والتي كتبها علامة المغرب الأستاذ سيدي عبد الله كنون .

واساءة توجيه من تناولوه بالطعن والتجريح في دراسات ينقصها العلم والانصاف . ولقد قصر المتقدمون من مؤرخينا في رد تلك التهم التي كان الاندلسيون يلصقونها بالمغرب والمغاربة .. والصبيانيات التي نسبوها لرجل عظيم ، مثل يوسف بن تاشفين ، لم يجدوا ما ينتقدون عليه الا ان يتعلقوا بعجمته المزعومة وسوء فهمه لبعض النصوص الادبية فيما ادعوا ، فأسفوا الى ما لا يقبله عقل ولا منطق . بل انا لنرى من مؤرخينا من يروي تلك الترهات ويتفكه بها كما فعل المقرئ في نفح الطيب ، فكان من نتيجة ذلك ان اعتبرت حقائق تاريخية ، وبنيت عليها احكام واحكام . وجاء باحث اجنبي يظن تعصبا كبيرا على الاسلام ، هو

تاريخ المغرب حافل بالمواقف العظيمة سواء في الحرب او السلم ، في رفع راية الحفاظ على الكيان او تمهيد سبل الحضارة . اما الشخصيات الكبيرة التي تركت دويا في الدنيا ، ان في ميدان السياسة والحكم او في مجال الثقافة والفكر ، فان تاريخنا يزخر بالعدد العديد منها وفي مثله يقال حدث عن البحر ولا حرج . لكن الذي يعوزه هو الاقلام المثقفة التي تعرضه العرض اللائق بعظمته ، وتبرز عبقريته الخالدة في الاعمال والرجال ، وتخدمه الخدمة التي ترد اليه اعتباره عند ابنائنا قبل غيرهم من المستبينين به ، الذين شوهوا محاسنه ، ونكروا معاله ، وكان لهم اثر كبير في الاهمال الذي مني به من طرف الكتاب والباحثين ،

ولادة (بعد ان تنتهي من البحث) :
عائشة :
لم اجد شيئا
شديد مكره
ابن زيدون : انه في ظهره مختبيء
(يقبلانه على بطنه)
ولادة :
عائشة :
ها هو المفتاح ..
سيرى وافتحي
ولادة (بعد ان تفتح الباب) :
انت حر ...
ابن زيدون (وهو يخرج من سجنه) :
شاكر فعلكما ..
عائشة (لولادة) :
ابن زيدون (لولادة) :
يا ملاكا خلصتني يده من قيود .. يا شعاعا من جمال
(ثم لعائشة) :
انت من اجلسني فوق السها قدرك العالي بعيد ان ينال
(تسمع اصوات آتية من الابعاد ، كأنها مظاهره هائلة)
عائشة : اي اصوات
ولادة : ضجيج هائل
ابن زيدون :
عائشة (لولادة) : انظري ولادة ماذا جرى ..
(ولادة تخرج مسرعة)
ثم لابن زيدون :
ابن زيدون : سوف لا ابقى هنا (يتحرك)
عائشة : بل فانظر ..
ربما جد من الامر جديد
تقترب الاصوات منا ...
ابن زيدون : ثورة سنرى الآن
ولادة (وهي داخله مسرعة) :
هنا تضح الاصوات : عاش ابو الوليد ابن زيدون ... ثم
يسمع كان الباب الخارجي بالسجن قد تحطم
ولادة (التي تكون اقرب منهما الى الباب) :
حطم الباب ...
(الاصوات ترتفع وهي تقترب ... ابن زيدون ... ابن زيدون)
ابن زيدون (للجمهور) : قفوا ..
(ثم لولادة وعائشة) :
هيا اخرجنا ...
(اصوات ... وزغردات ... وتصفيقات : ثم يسكت الجميع لسمع صوتا واحدا عاليا :
عاش ابن زيدون ... وعاش ابو الوليد .
ستار
النهاية

الرباط : علال بن الهاشمي الفيلاي

بافريقية ، وفي الخامس حروبه باسبانيا . ثم تعرض للحياة الفكرية وحصرها في أربعة فصول اولها عن بعض مظاهر الثقافة في عصر المنصور ، والثاني عن اللغة والنحو والادب خاصة ، والثالث عن الشعر في عصر المنصور ، والرابع عن العلوم في هذا العصر ، وبعد ذلك تكلم على الحياة الدينية في فصل فريد ، اعقبه بخاتمة ذكر فيها نهاية المنصور .

فنحن نرى ان عناصر البحث موضوعية ومنوعة، وانها تستوعب وجوه النشاط ومجالات العمل الذي قام به المنصور لجعل من عهده عصرا ذهبيا في تاريخ المغرب العربي ، وان كان سردنا لعناوين الفصول لا يعطي فكرة تامة عن ابعاد البحث والاجواء التي حلق فيها مما لا يلم به من يتصوره الا من قرا الكتاب . وانما المهم هو الطريقة التي عالج بها المؤلف هذه المسائل، فهي تتردد بين العرض والنظر ، وبذلك جاءت هذه الفصول كأنها حلقات متسلسلة من قصة ممتعة لا يشعر القارئ معها بأدنى سأم أو ملل ، ولا يفرغ من قراءة فصل حتى يكون قد قامت عنده رغبة ملحّة في قراءة الفصل الذي يليه . وننشر الى الفصل المعنون ببعض مظاهر الثقافة في عصر المنصور ، فانه على تركيزه واشتماله على ادق المعلومات في الموضوع يكاد يكون مقالا وصفيا أو استعراضا صحفيا لاسلوبه الخفيف المشوق وهو في الواقع بحث عميق ودراسة مستوفية بما أحراه ان يكون نموذجا مدرسيا لكتب المطالعة في الالتزام الثانوية .

وهكذا صور لنا الاستاذ ملين عصر المنصور الموحد بما ازدهر فيه من حضارة وعلم وادب وفن ، وما كان للحياة السياسية فيه من مفاجآت ألت كلها الى انتصارات باهرة . وما طرا على الحياة الدينية من تطور نتيجة لقيام الدعوة الموحودية . صور لنا ذلك كله بمثل ريشة الرسام الماهر وهو يبحث ويدرس ويحقق من غير ان يتورط في اختلاف الروايات واضطراب المؤرخين . ويثقل هوامش الكتاب بالمراجع والتعليق، فجاء عمله تحفة أدبية تستهوي المثقف وغيره ويستفيد منها الدارس والقارئ العادي . وتلك ميزة لا تتحقق الا للقليل من الكتاب .

فهنئ الاستاذ ملين على هذا التوفيق ونتمنى له مزيدا من النشاط لفائدة المكتبة المغربية واثرائها بمثل هذه التحفة النادرة .

طنجة : عبد الله كنون

ويهما في هذه الكلمة كتابه الاول عصر المنصور الموحد ، فان هذا الملك العظيم الذي هو اكبر شخصية في عصره ، والذي بلغ المغرب العربي بمعناه الواسع الذي شمل الاندلس ، على عهده من الرقي والحضارة والقوة والمنعة ، ما لم يبلغه في أي عهد آخر ، من العار ان لا يكون تاريخه معروفا لدى العرب عموما . وان تكون اعماله مجهولة عند اكثر المواطنين فضلا عن غيرهم . انه لا يقل عظمة ولا شخصية عن عبد الرحمن الناصر ولا عن المنصور ابن ابي عامر ولا عن صلاح الدين الايوبي وهذه الصبغة . ومع ذلك فان التواريخ العامة ودوائر المعارف والمعاجم العلمية لا تحفل بترجمته ولا تقدم منها للقارئ اذا تناولتها الا معلومات قليلة في بضعة سطور .. افبهذا نبني كياننا القومي ونعلي من شأن تاريخنا وحضارتنا في العالم ؟ بل ابهذا نلقن ابناءنا والجيل الصاعد مفاخر اجدادهم واعمالهم الخالدة ؟

لذلك كان عمل الاستاذ ملين يستحق التقدير والتأييد . فكتابته لتاريخ المنصور الموحد . بالخصوص مما يدل على غبرته العلمية والوطنية في آن واحد . وهو لم يسم كتابه تاريخ المنصور الموحد . بل عصر المنصور الموحد أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب . من سنة 580 الى سنة 595 أي انه ارخ لحقبة من دولة الموحدين تكاد لا تزيد على خمس عشرة سنة . هي مدة ولاية يعقوب المنصور ، ثالث خلفائهم وأحلمهم قدرا واسيرهم ذكرا وأخلدهم اثرا . ولكنه لم يهجم على موضوعه هجوما بدون توطئة ولا مقدمة . بل مهد له أولا بفصل عن منطقة الحوادث التي هي حوض البحر الابيض المتوسط وسيطرة العرب عليه بعد الفتح الاسلامي ثم الجزر الذي بلا ذلك المد . وقيام الحروب الصليبية . ووقوف المغاربة في وجه هذا العدوان على الضفة الشمالية الغربية للبحر المذكور ، وقسوف المشاركة على نظيرتها الشرقية . وهذا هو الوقت الذي ظهر فيه الموحدون .

وبعد هذا التمهيد تناول المؤلف الكلام على الحياة السياسية في المغرب بشيء غير قليل من التفصيل . وقسم ذلك الى خمسة فصول . ذكر في اولها ولاية المنصور بعد وفاة والده خارج مدينة شنتمرية وهو محاصر لها . وفي اثناء حروبه مع بني غانية وهم غل المرابطين بقي ينازع الموحدين السلطة في بعض انحاء المملكة . وفي الثالث استرجاعه لما كان لهؤلاء قد استولوا عليه من مدن بافريقية ، وفي الرابع جولته

المستشرق الهولندي رينهت دوزي ، فتحامل على المرابطين وتاريخهم وانكر ما لهم من فضل على العلم والادب ، كما انكر الاندلسيون قبله ما للمغرب من يدق فتح بلادهم وتوطين العروبة والاسلام فيها وحمايتها الى ما شاء الله .

وخلص ذاك لكتابتنا الجدد فصاروا يتشككون في كل ما ينسب الى المغرب من عمل عظيم وأثر جليل ، ابتداء من خطبة طارق بن زياد التي القاها في جيش الفتح ، قائلين : كيف يصح ان ينطق بربري في اول عهد المغرب بالعربية بهذه الخطبة البليغة ، ويفهمها قومه البربر الذين يتألف منهم معظم الجيش ؟ ونسوا ان جده عبد الله هو الذي اسلم ، فالعربية بالنسبة لمن نشأ في حجرها ولقنها ابا بعد جد ، ليست لغة اجنبية عنه . وما لهم لم يقولوا ذلك في الفارسي والرومي وغيرهما ممن اسلموا ونطقوا بالعربية واصبحت لغتهم الاولى ، ومنهم من له فيها انتاج رفيع ؟

وبغض النظر عن الماضي فان هؤلاء المتشككين انفسهم ، منهم من يعرف اكثر من لغة اجنبية ويكتب بها ويخطب ، ويكون في مخاطبيه من يفهم اكثر مما يفهم العربية — مع الاسف ، فهلا قاس الغائب على الشاهد وجعل عبقرية طارق في درجة عبقريته هو على الاقل ؟!

فاما اذا تعلق الامر بسبة تاريخية وموقف مشبوه فان سحب الشك حينئذ يتبدد ، ولا يتحمل مسؤولية ذلك الا المغرب المظلوم . وهكذا الصقت به تهمة احراق كتاب الاحياء للغزالي مع انها كانت بفتوى قاضي قرطبة وحرصه الشديد على ذلك . والصقت به تهمة امتحان الفيلسوف ابن رشد ، وهو انها كان بسمي خصومه من اهل بلده وتحريضهم عليه . والصقت به تهمة اغتيال لسان الدين ابن الخطيب ، في حين كان المغرب يدافع عنه ، والاندلس تبعث الوفود مطالبة براسه ، ولما لم ينجح سعيها دست اليه من كتم انفاسه تحت ستار الظلام .

وهذه الاحداث كلها تخف وزنا ازاء معاملة يوسف ابن تاشفين للمعتد بن عباد في نظر هؤلاء المنتقدين ، الذين اقاموا الدنيا واتعدوها انتصارا للمعتد وتطاولوا على يوسف ، ولا ادري ماذا كانوا يتخذون من موقف ، لو ان يوسف عامل المعتد بما عامل به هذا وزيره ورفيق صباه الشاعر ابن عمار ، ولم يبق على حياته كما هو الشأن في الملوك اذا ظفرت بمنافسيها وان لم يكن لها عليهم حجة كحجة يوسف على المعتد : فهذه

المعاملة التي كانت حرية ان تعد في مناقب يوسف ، وتضرب مثلا على حلمه وسعة صدره وحسن سياسته . اصبحت وصمة في تاريخ المرابطين كلهم . وتذرع بها دوزي للنيل منهم ومن المغاربة اجمعين . حتى لقد اقام مناحة على مصير العلم والادب في عهدهم . وهم الذين احتضنوها باحتضان اهلها واسلموا قياد الحكم في دولتهم الى الفقهاء باعتبار انهم اساتذة الحقوق ورجال القانون ، وامنوا روعة البلاد الاندلسية من الاكتساح الوحي الذي كان قاب قوسين او ادنى من ايام ملوك الطوائف ، ولم يثبت عليهم انهم اراقوا محجم دم او قتلوا انفسا في غير حرب او قتال !

حقا ان الظلم الذي حاق بتاريخ المغرب ظلم عظيم . ولا ينتظر ان يرفعه عنه الا ابناء هذا الوطن البررة به . الذين جاهدوا في سبيله ، واسترجعوا حريته واستقلاله ، وحققوا وحدته ، وهم الآن مدعوون لبناء كيانه الجديد ، ورفع قواعده على اساس ماضيه الجيد . من غير ان ينساقوا في حيل المتآمرين عليه باسم البحث الفزيه ، ولا ان يفتروا بالدعايات الباطلة التي تروج ضده بدافع من الحقد الدفين وفعلا فان من وفق منهم للعمل في هذا الصدد قد نفى كثيرا من الشائعات . وصحح غير قليل من الاخطاء . واصبحنا نرى الكتاب الذين يخوضون في هذا التاريخ يتحفظون بازاء الاحداث الكبرى فلا يسارعون الى الحكم . ولا يتبرعون باعطاء الاراء ، وذلك خطوة اولى في تقرير الحقيقة والرجوع الى الصواب .

ومن كانت له يد وعارفة في الاهتمام بتاريخ المغرب قديمه وحديثه ، والاعتناء بكتابه الكتابية الحرة المعتمدة على النظر والتحريض والدراسة المستأنية . الاستاذ الكبير السيد محمد الرشيد ملين ، فقد وضع كتاب عصر المنصور الموحدي ، وكتاب نضال ملك الذي ارج به للمفقور له محمد الخامس فسد به ثغرة ما كانت لتسد لولاه ، لانه سجل في كتابه هذا مرحلة الكفاح السياسي ضد الحماية . تلك المرحلة التي تعد اهم فترة في حياة محمد الخامس رحمه الله ، واهم حلقة في تاريخنا الوطني الحديث . وكان اه في ذلك تقص السبق مع التوفيق التام ، لانه ممن شارك في ماجريات تلك الاحداث بجانب العاهل الراحل . فتأتى له ان يطلع على ما لم يطلع عليه غيره ، وبذلك فضح سياسة الحماية ودسائس الاستعمار واطهر ما كان يلاقيه الملك المناضل وشعبه المخلص من غنت وارهاق في سبيل استخلاص الحق من مغتصبه المستهترين .

مبداه وطموحه السياسي :

لقد مات والده في غمرة الثورة على العامين وظل يعتنق مبداء إعادة الخلافة للامويين ، وقد اضطهد بسبب ذلك ولاقى الامرين حتى السجن فاضطر الى مفادرة قرطبة عشر سنين فنزل في العرية سنة 404هـ على حاكمها ابن خيران ، وقد ظهر ابن حمود العلوي يطلب الخلافة فلعب دورا كبيرا بالفتنة ، وكشف امر ابن حزم بأنه يعمل للامويين فزج في سجن العرية بضعة اشهر ثم افرج عنه على شرط التغريب فغادر العرية الى حصن القصر الى ان تغلب الحزب الاموي وتولي عرشهم عبد الرحمن بن محمد سليل عبد الرحمن الناصر الاموي في بلنسية ، فانتقل ابن حزم الى بلنسية حيث اندهش اذ لم يكن الوضع مستساغا لوجود خيران وحدث انقلاب آخر اطاع بالخليفة الاموي . وتمس ابن حزم ثم تخلص وظل يوالي تأييد مبداه السنين الطوال الى ان فاز الحزب الاموي وولي عرشه عبد الرحمن بن هشام الناصري فشكل وزارة من الادباء كان فيهم ابن حزم ، ولكنها لم تطل اكثر من سبعة اربعين يوما بلغ فيها ابن حزم اربه وقنع بانتهاء البيت الاموي فاعتزل السياسة نهائيا وعكف على العلم يعمل بأسلوب خاص لفت اليه الانظار واصبح يشار اليه بالبنان واطلق عليه عالم الاندلس ولولا هذا ما وصلنا خبره ، اذ لم اجد في تاريخ الاندلس السياسي ذكرا له .

المقدمة النفسية التي حولته الى العلم :

ذكر في سيرته على طوق الحمامة انه لما خرج من المقاصير شهد جنازة فلما دخل المسجد لم يصل سنة تحية المسجد فانتقد ، وكانت العادة الرجوع الى المسجد بعد الدفن ، ثم لا سنة اذذاك ، فلما عادوا الى المسجد قام فعلى فانتقد ايضا . وعظم هذا الانتقاد على نفسه فوجدت عنده عقدة تفوق ، اذ آلى ان لا ينفك عن مجالس العلم حتى يتفوق ، الا انه ظل على عظاميته فسلك في انتاجه مسالك خاصة دون ان يطح داءه النفسي العضال وهو ما ورثه في صباه وهو نكد المترفين الذي تحول الى جدل وعظامية البيت النسي تحولت الى مسالك خاصة اثارت عليه نعمة حملت الفقهاء على حرق كتبه كما سيأتي ، وقد لقي في مسلكه العلمي من النكد والتعب ما لا يقل عن مسلكه السياسي . اذ كان يبيلك في جدله ومناظرته مسلك العنف والسباب وهذا بتأثير منشئه في الصبا وهو مسلك ابناء المترفين من ضيق الصدر والولوع بالنكد والتهجم بالشتم والسباب .

مجالس العلم ومكاسبه :

كان علي ابن حزم قوي الارادة ، فارغم نفسه على الجلوس في مجالس العلم . لقد اكتسب في المقاصير والقصور سماع الشعر وحفظه ، وفي تمثيله ادواره الفرامية ، اكتسب قول الشعر والاضطلاع باللغة العربية والتعمق بها . فساعدته هذا على تلقي علم الحديث ، وهو اول ما يتلقى حسب اصول ذلك العصر فقد قرر مترجموه كابن بشكوال والضبي ان اول سماعه على ابن الجصور احد شيوخ الحديثين في قرطبة . وقد قرا عليه ايضا تاريخ الطبري وبعد موت ابن الجصور تحول الى ابن نامي الذي اكثر ابن حزم من ذكره في كتبه وكذا اخذ عن ابي القاسم الازدي المصري وكان قدم الى الاندلس وكذا اخذ عن ابي الخيار وتأثر منه بالمذهب الظاهري ، هؤلاء اهم اساتذته ، وقد اخذ عن آخرين اقل منهم مدة لا يتسع المقام لذكرهم .

وفي خلال ايام التعليم اكتسب ابن حزم هذا المترجم نخبة صالحة من الزملاء الذين تحولوا الى اصدقاء واعتمد عليهم اثناء ضيقه بسبب مبداه السياسي ومذهبه الظاهري كابن شهيد وابي علي الفاسي وابن الطيني ، وابو بكر البلوي ، ولقد كان لصادقاته هذه افضل الاثر في تقلبات الايام عنده ، فقد كان يلجأ اليهم في الملمات .

اعتناق المذهب الظاهري والعمل لنشره :

كان ابن حزم عظاميا يتحرى ما يميزه . لقد كان بيته شافعي المذهب ، وكان السائد في الاندلس المذهب المالكي ، الا ان ابن حزم المترجم لم يرض هذا ولا ذلك بل جنح الى اعتناق مذهب باند جامد هو مذهب داود الظاهري وهو الاخذ بظاهر الكتاب والسنة والتوسع بهذا للاستغناء عن الراي والقياس الى حد رمي اهل الراي والقياس بالكفر ، وكان المالكية اهل راى ولهم في التشريع المصالح المرسله وسد الدرائع ، فكان في اعتناقه المذهب الظاهري ومحاولة نشره جالبا على نفسه البقت الكثير . قال ابن خلدون : « وقد فعل ذلك ابن حزم في الاندلس على علو مرتبته في حفظ الحديث ، وصار الى مذهب اهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في اقوالهم ، وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من ائمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه واوسعوا مذهبه استهجانا وانكارا وتلقوا بالاغفال والترك » . على ان الكتاب المتأخرين كالاستاذ احمد امين والدكتور طه الحاجري فانهم يرون ان المذهب انتشر الى حد كبير وكان له اتباع رغم تصدي اكثر علماء الاندلس له ،

الإمام ابن حزم

عالم الاندلس

للأستاذ: إحسان النمر

احوال الاندلس في عصره - بيئته ونشأته العائلية - مبداه السياسي ومتابعيه -
علمه ومعارفه - مذهبه الظاهري - مؤلفاته .

احوال بني حزم الوزراء في هذه الفترة :

انتقل بنو حزم من لبله في غرب الاندلس ونزلوا في قرطبة حيث سطع نجمهم في عهد العامين فاستوزروهم . وقد نزلوا في الزاهرة التي بناها المنصور العامي في شرق قرطبة ، فلما شبت الثورة على العامين ودمرها البربر انصار المهدي الاموي فانتقل الحزميون الى غرب قرطبة ثم الى المرية .

نشأة ابن حزم :

في سنة 384 هـ وفق 994 م ولد علي بن احمد ابو محمد المشهور بابن حزم ، وكان والده احمد ابن سعيد وزيرا للعامين فنشأ ابنه نشأة المترفين اذ كان ضعيف الجسم فتركه والده بين الجواني والخصيان يعيش عيش المترفين المائعين ، لانه لم يكن يعول عليه لضعفه . فنشأ فيه الميل للخنوة وعشرة النساء والاصفاء الى قصصهن والاشتغال بأسرارهن . ولما راهق ولع بهن الواحدة بعد الاخرى ، وقد ولع بالشعر يحفظه ثم ينشده ، وأكثر في حبه وغرامه ، وكان عفيفا فاستمر الشوق عنده كما يحصل لمن لا يتمتع ، فالف على ذلك كتابه طوق الحمامة ، ولم يكن يبالي بشيء ، ولم يكن يخرج من القصر ، ولم يكن يعرف صداقة الامثال ، وقد انطبع في نفسه تقلبات الجواني والخدم فكانت اساس كتابه الاخلاقي الذي اسماه مداواة النفوس ، وقد ضم اليها ما لاقى بسبب مبداه السياسي .

احوال الاندلس في عصره :

بلغت الاندلس أوج عظمتها في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم الامويين وعهد الحاجب المنصور وابنه الناصر لدين الله ثم تداعت الى السقوط . كان منصب الحاجب في الاندلس كمنصب رئيس الوزراء اليوم مع الفارق في منصب الملك (الخليفة) فيما بعد اذ هو صاحب السلطة وكان الحكم ميالا الى الادب ولم يفكر بمصير الخلافة بعده لان خليفته هشام في سن التاسعة فاستوصت عليه امه صبح ، وكان الحاجب احد نوابغ الدنيا في السياسة وهو الامير محمد بن ابي عامر فنال ثقتها واطلقت يده في كل الامور وقد نال ثقة الشعب ورجال الدين لما اظهر من الكفاءة في الادارة وفي الحروب وقد كان عهده استمرارا لعظمة الاندلس وقد لقب نفسه بالمنصور وقد اشتهر بابي عامر المنصور . وبعد موته تلاه ابنه عبد الملك الذي لقب بالمظفر الا ان حكمه لم يطل اكثر من سنتين فخلفه اخوه عبد الرحمن الذي لقب بالناصر لدين الله وجميعهم هجروا على هشام الخليفة الملقب بالمؤيد فنشأ ضعيفا مكتوما لا يعرفه احد فطمع الناصر بالخلافة واضطر هشام على التنازل اليه عن لقيها الباقي له . فثار البيت الاموي يعصده القرشيون والمضربون في الاندلس فوقعت الفتنة في الاندلس اذ انقسمت الاندلس الى حزبين امويين وعامين كانت نتيجتها القضاء على البيتتين وظهور ملوك الطوائف وهم حكام المقاطعات الذين استقل كل واحد منهم في مقاطعة على طائفته .

وبالرغم عن سيادة المذهب المالكي في الاندلس والمغرب سيادة مطلقة فانه تمذهب بالمذهب الظاهري غير مبال بنقمة فقهاء المالكية الاشداء .

وقد صمم على استرداد مركز عائلته وهو الوزارة وقد تمسك بالخلافة الاموية رغم فقدان الشخصيات القوية من اعقاب الامويين ، وقد ظل سائرا يتغلب على الصعاب رغم ضعفه الشخصي وتداعي بيته وزوال قصورهم وموت اكثر انصارهم فما زال يعمل حتى بلغ الوزارة وتمتع بهذا اللقب ، وما زال يعمل للمذهب الظاهري حتى انتشر ، وقد شغل الاندلس بالمجادلات الدينية في وقت كانت في غنى عنه ورغم حرق كتبه واندحاره في لبله في اقصى غرب الاندلس فانه فاز ، فقد اعتنقه ابن تومرت واقام عليه دولة الموحدين فساد الاندلس وافريقيا . وتمسك به الموحدون واعظموه واعظموا صاحبه ابن حزم حتى قال احدهم حين مر عن قبره بعد مائة سنة : « كل العلماء عيال على ابن حزم » . وقد اعتبر ابن رشد مذهبه رابعا فكان يذكره مع الحنفي والشافعي والمالكي وقلمنا ذكر المذهب الحنبلي .

لقد ماتت المنافسة والمنافسون وعاشت منزلة ابن حزم . قال صاعد : « كان ابن حزم اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والاخبار » . وقال الذهبي : « وكان اليه الانتهاء في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم في الكتاب والسنة والملل والنحل والعربية والاداب والمنطق والشعر مع الصدق والامانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة » . وقال عنه الاستاذ احمد امين في كتابه ظهر الاسلام : « كان عالم الاندلس الديني غير مدافع ابن حزم فقد كان واسع الاطلاع قوي النفس في الجدل متعدد نواحي النبوغ يهاجم من خالفه حتى يدخله في قمقم » .

هذا ابن حزم احد علماء الاسلام البارزين وهو راس انصار السلفية ، ويكفي ان نعرف ان ابن رشد وابن تيمية وامثالهم قد اخذوا عنه وتابعوه في هذا المنهج رضي الله عنهم جميعا .

نابلس : احسان النمر

سروحه وتقايريه في هذا الصدد ، وقد تطور الامر الى السلف ومن يطلع على ما كتبه ابن رشد وابن تيمية يجدانها مأخوذة عن هذا الكتاب على انه بعد الاطلاع على الفقه الجعفري نجد ان اقوال هؤلاء فيها كثير من المفالة وانهم ظلموا الشيعة المعتدلين وانه ينبغي لمن يطلع على هذه الكتب ان يترث بالاخذ بها وان يرجع الى ما كتبه المرحوم رشيد رضا وما كتبه ويكتبه الشيخ محمد ابي زهرة فاننا في عمل للتوفيق بين السنة والشيعة المعتدلين فقد كفى تمشيا مع الدعايات السياسية الضارة .

على ان ابن حزم لم يقف عند عقائد الفرق الاسلامية بل تجاوز ذلك الى عقائد الديانتين : اليهودية والنصرانية ، فكان ذلك سببا لاهاجة اهل الديانتين ومهاجمتها للاسلام . والجدير بالذكر هنا ان نشير الى ان الحال في الاندلس كان على خلاف غيرها ، فان اصحاب الديانات الاخرى كانوا اكثر وكانوا على شيء من القوة والتكتل حتى بلغ بهم الامر الى التطاول على شخصية الرسول الاعظم بالسباب . واذا علم هذا فلا يستغرب المطلع على كتاب الشفاء للقاضي عياض كثرة شروحه ، وتقايريه في هذا الصدد، وقد تطور الامر الى ثورات اصحاب الديانتين والبطش بهم وتأثرهم مما ادى الى ضياع الاندلس في النتيجة . فكانت هذه احدى الاسباب ان لم نقل اهمها .

رسائل وكتب اخرى :

ولابن حزم رسائل وكتب منها : رسالة في اعجاز القرآن ، ورسالة في النصائح المنجية ، ورسالة سماها جمهرة الانساب ، واخرى في الناسخ والمنسوخ ، واخرى الاحكام لاصول الاحكام ، الى غير ذلك من الرسائل والكتب التي ذكرت في معجم الادباء عن ابن صاعد الاندلسي انها بلغت نحو اربعمائة مجلد تقع في ثمانين الف صفحة مما لم يبلغه احد في الاسلام .

الحكم على ابن حزم :

كان ابن حزم عظاميا ينشد الاغراب في جميع اتجاهاته ، فقد كان ينسب نفسه الى الفرس ولا فرس في الاندلس . وكتب عن الحب مضحيا بكرامته غير مبال بما يقال فيه ، اذ لم يستشهد بشيء من مواقف عشاق العرب ، بل استشهد بمواقفه مع جوارى ابيه واقاربائه .

واعتراله آخر الامر في غرب الاندلس وحرق كتبه في اشبيلية علنا . وقد ظل في عزله الى ان مات سنة 456 عن 72 سنة من العمر .

قال الاستاذ احمد امين في ظهر الاسلام : « وقد تعلم ابن حزم الحديث وتبحر فيه ، وقد تبعه كثيرون على مذهبه الظاهري ، وقد خرجوا من مذهب مالك اليه ، كما ان كثيرين ضاقوا به ذرعا وانكروا عليه صراحته وأعلنوا الحرب على كتبه حتى بلغ بهم الفيلظ ان احرقوها علنا في اشبيلية » . وقرروا ايضا ان مذهبه هو الذي احياء ابن تيمية فيما بعد .

« مؤلفات ابن حزم »

طوق الحمامة :

هو كتاب يبحث في موضوع الحب مثله في مواقفه مع جوارى مقاصيرهم مقسما بأغلظ الايمان على انها كانت مواقف عف فيها الى اقصى حدود العفاف ، وانه كان تحت مراقبة شديدة .

وقد اصيب فيها بنعم احدى الجوارى التي احبها وصادف ذلك ايضا موت اخيه الكبير واليفه الوحيد ابي بكر في صباح وموت ابيه فاثار ذلك شاعريته ونثره الذي ضمنه كتابه هذا فأتى بالدرجة الثانية وسطا بين شعراء الاندلس من درجة ابن شهيد وابن دراج في النثر ، فما ظهر في طوق الحمامة فكان عاديا قال الاستاذ احمد امين عنه في ظهر الاسلام : « وأما نثره فقيمه في صراحة معناه وغازاته لا في ناحيته الفنية » . أما نثره البليغ فيظهر في رسالته الاخلاقية مداواة النفوس . وهو واسع الاطلاع في آداب اللغة العربية ، ويعتبر في الذروة من هذه الناحية . ويمتاز طوق الحمامة ايضا بأن ضمنه الشيء الكثير من ترجمته ، وما اصابه خلال النكبات .

مداواة النفوس :

ان تجاربه العديدة وتقلبات الزمن حملته على كتابة رسالة في الاخلاق اسمها « مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق » . وقد قلد فيها اسلوب ابن المقفع في كتابيه « الادب الكبير والادب الصغير » فأتى على جانب من البلاغة والحكم الرائعة والفوائد الجليلة ، فمن ذلك قوله : « من ابتلي بالعجب فليفكر في عيوبه ، فان اعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الاخلاق الدنيئة فان خفيت عليه عيوبه جملة فانه اعظم الناس نقصا وعيبا واضعفهم تميزا . واول ذلك انه ضعيف العقل

جاهل ، ولا عيب افطلع من هذين ، لان العاقل هو من عرف عيوب نفسه وسعى في اصلاحها » .

ومنها قوله : « التلون المذموم هو التنقل من زي متكلف لا معنى له الى زي آخر مثله في التكلف لا معنى له » .

ومنه قوله : « من ساوى بين عدوه وصديقه في التقريب والرفعة فلم يزل على ان زهد الناس في مودته وسهل عليهم مؤونة ولم يزل على استخفاف عدوه له وتمكن من مقاتله وافساد صديقه على نفسه ، والحاقه بجملته اعدائه » .

ومنه قوله : « اثنان عظمت راحتهما ، احدهما في غاية المدح ، والاخرى في غاية الذم . وهما مطروح الدنيا ومطروح الحياء » .

المحلى والمجلى :

المحلى هو كتاب في الفقه الظاهري ، وقد انتقد كبار الائمة جميعا ، وقد شرحه بكتاب آخر سماه المجلى . وقد جمع فيهما الاصول والفروع بغير تناقض فتناقض فيهما ، قال ابن كثير عنه : « انه جمع بين طرفي النقيض في اصوله وفروعه وهو في الاصول ظاهري جامد يابس وفي الفروع قول مانع . فرمطه القرامطة وهرسه الهراة . وان لا ثمره له » .

وقد طبع المحلى مؤخرا في مصر . قال الدكتور طه الحاجري عن سيره فيه : « يعرض المسألة من مسائل الفقه الاسلامي ، مقررا فيها رايه وهو لا يستند الا الى الادلة الماثورة : القرآن وما صح من الحديث كما هو مذهبه ، ثم يعرض آراء الائمة السابقين مالك والشافعي وابي حنيفة والاوزاعي ومن اليهم في هذه المسألة مع ايراد ادلتهم وبيانها ثم تفنيدها اذ يعرضها على الاثار المروية الصحيحة . او يعرض الاثار التي اعتمدها هؤلاء الرجال على النقد ، اذ ينقد اسانيدها ويتحدث عن رجالها ثم ينتهي بأن يصك رايه فيها صكا ، لا يتجمل ولا يترفق ولا يتلطف . وما زلت اذكر له هذه العبارة وأسمع في نفسي اصداها متجاوبة : « اما قول ابي حنيفة ففي غاية التخليط والتناقض والفساد ، اما قول مالك فظاهر الخطأ » .

كتاب الفصل في الملل والنحل :

درس ابن حزم آراء ومعتقدات جميع الفرق الاسلامية وكتب عنها كتابا سماه كتاب « الفصل في الملل والنحل » وهاجم سائر المعتقدات المخالفة لمذهب

نعم قد تكون الخطبة تعرضت لبعض التصرف بالزيادة أو النقصان من الرواة ، غير ان هذا لا يسوغ نفى اصل الخطبة ، وليس بحجة للتشكك في نصها الكامل .

ويطمئن الأمير شبيب ارسلان لنسبة الخطبة لطارق اعتمادا على اثباتها في النبوغ المغربي وثبوتها لدى مؤلفه الحجة .

الى هنا تكون قد عرضنا مختلف وجهات النظر حول خطبة طارق بن زياد ملاحظين تقاربها أحيانا وتباينها أحيانا أخرى ، والدكتور هيكل وحده ينكر ان يكون طارق قد خطب بالفصحى ، اما الأستاذ عنان فلا يستبعد ذلك ولكن بأسلوب غير هذا الأسلوب .

واسارع الى القول بانني لا اشاطر الدكتور هيكل في حكمه الذي بناء على حيثيات لا يعتمد البعض منها الا على افتراضات ، والبعض الآخر يعتمد على اساس النص الوارد في نفع الطيب . فكون طارق ، مثلا ، حديث عهد بالاسلام ، لم يتصل بموسى بن نصير الا عند تولية هذا قياده المغرب سنة 89 هـ - أمر لا يمكن تسليمه ، لان طارق ابن لمسلم وهو زياد ، وحفيد لمسلم وهو عبد الله ، حسبما ذكره ابن عذاري في نسبه ؛ فله على الاقل ، ابوان في الاسلام ، وهكذا لم يعد هذا القائد البربري حديث عهد بالاسلام ، ولم تعد الفترة التي قضاه في الاسلام لا تتعدى ثلاث سنوات . ولعل الدكتور هيكل يشايعنا هذا في تعليقه رقم (3) ولو على طريق الفرضي ، ثم من اين لنا معرفة ما اذا كان طارق قد نشأ في المغرب دون المشرق ؟ او تحديد ذلك التاريخ بالذات لاتصاله بموسى بن نصير ؟ وما لنا لا نفترض ، وهو اقرب الى المعقول ، ان اباه او جده هو الذي كان بالمشرق ؟ فنشأ الابن والحفيد في بيئة عربية صرف ، اتاحت له حذق لغتها والنبوغ فيها والفوز بثقة بلاط دمشق ليتولى مكانة مرموقة في الدولة الاموية مما اهلته لقيادة جيش الفتح . ثم ان احدا من الموحدين القدماء لم يقل بأن طارقاً خطب بالبربرية او نفى الخطبة بالعربية !

اما كونها لم ترد الا في المصادر المتأخرة كثيرا كنفح الطيب فليس الامر كذلك ، اذ وردت في مصادر اقدم بكثير من عصر المقرئ ، فقد اوردها ابن خلكان ، وهو من القرن السابع ، وردت في تحفة الانفس لابن هديل ، وهو من القرن الثامن ، وقد نقلها عنان في كتابه المشار اليه سابقا ، واهم من هذا ان صاحب الامامة والسياسة قد اثبتتها وهو من رجال القرن الثالث

1 - ان طارقا بربري ، حديث عهد بالاسلام والعربية ؛ لانه لم يرتبط بموسى بن نصير الا عند ما ابي هذا الاخير قيادة المغرب سنة 89 هـ . وبين هذا التاريخ وتاريخ الفتح (92 هـ) فترة وجيزة ، يستبعد معها ان يجد طارق العربية بحيث تسمح له بالبقاء الخطب ونظم الشعر .

2 - ان المصادر الاولى عربية واندرسية ، قد سكنت عن هذه الخطبة ولم تشر اليها ، ولا تنص عليها سوى المصادر المتأخرة كثيرا عن الفتح مثل نفح الطيب .

3 - اسلوب الخطبة بما فيه من الصنعة والزخرف لا ينتسب الى عصر طارق الادبي وانما الى عصر متأخر جدا عن القرن الاول ، ولذلك يرى ان هذه الخطبة هي اقرب الى خصائص اواخر العصر العباسي وربما الى ما بعد ذلك .

4 - ورود هذه العبارة : « وقد اختاركم امير المؤمنين من الابطال عربانا » مما يزيد من حظ الشك ويقوى الارتياب ، لان الجنود لم يكونوا عربا ، بل كانوا برابرة . وبناء على تلك الادلة يخلص الدكتور هيكل الى حكم يرجع فيه ان تكون الخطبة قد وضعت على لسان طارق من طرف بعض الرواة المتأخرين كثيرا عن الفتح والمتأثرين كثيرا بأسلوب اواخر العصر العباسي وربما بالعصر المملوكي .

ويرى بعد ذلك ان طارقاً قد يكون خطب في جنود ، وقد يكون نفى انتصاراته مغايرا مباهايا ، ولكن المعقول ان يكون فعل ذلك بلفظه البربرية التي كان يجيدها والتي كان يفهمها جنوده (3) . وقد تصدى الأستاذ الجليل عبد الله كنون مغندا بعض هذه الادلة الجدلية ونلخص رده فيما يلي :

1 - ان طارقا البربري نشأ في حضن العروبة والاسلام ؛ فأبوه هو الذي أسلم بدليل اسمه « زياد » ولا شك انه كان من مسلمة الفتح المغربي الاول ، وانتقل الى المشرق حيث نشأ ولده في كنف موسى بن نصير .

2 - لا غرابة في نبوغ طارق البربري في العربية فقد نبغ فيها امثاله عن غير العرب كمكرمة البربري وسلمان الفارسي .

3 - ليس في الخطبة من الصنعة البيانية ما يمنع نسبتها لطارق لان بلاغتها في معانيها ، والمعاني ليست وقفا على عربي ولا عجمي .

(3) انظر كتابه : الادب الاندلسي ص 80 - 83 .

خطبة طارق بن زياد من جديد

للكمؤن عبد السلام المهراس

في نفسي .. هذا لغز من الفاز التاريخ لا ينحل معناه بالسهولة ... » حقيقة هذا اللغز لدى أمير البيان أن طارقا بربري ، والخطبة تعد من انموجات الخطب العربية ، ولم يستطع التلفيق بين هذين الامرين المتناقضين وقد حاول ، لكنه لم يسترح لمحاولاته ... واخيرا زال تردده عند ما جزم الاستاذ الكبير عبد الله كنون بان هذه الخطبة من جملة انطباع البربر بالطابع العربي البحث . (1)

وكذلك يرتاب في نسبة هذه الخطبة لطارق كل من الاستاذ المؤرخ عبد الله عنان واستاذنا الدكتور احمد هيكل استاذ الادب الاندلسي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة . فاما الاول فيرتكز في ترتيبه على الادلة التالية : (2)

1 - كون الخطبة لم ترد في المصادر التاريخية الاسلامية القديمة ، ولم يشر اليها لا ابن خلدون ولا ابن الاثير وانما نقلها المقرئ وحده عن مؤرخ لم يذكر اسمه .

2 - 'روعة اسلوبها وعباراتها مع ان طارقا لم يكن عريقا في العروبة والاسلام ، وينتهي من ذلك الى الحكم بانها من انشاء بعض المتأخرين ، صاغها على لسان طارق مع مراعاة ظروف المكان والزمان ، وان كان لا ينبغي أن يكون طارق خطب ولكن في غير هذه اللغة .

وييني الدكتور هيكل شكه في هذه النسبة على ما يلي :

من منا لا يعتر بهذه الخطبة ؟ ومن منا لا بعدها اعرق تراث مغربي يقتن بفجر الاسلام بالمغرب والاندلس ؟ ان ناحيتها البلاغية لم تكن تسحرنا ، ونحن اطفال في المدرسة ، وانما الذي كان يثير فينا مشاعر الاعتزاز والزهو هو تلك الروح المغربية الاسلامية التي تتحدى الاخطار ، وتمهز بالاهوال ، وتفتح الصعاب ، وتهوى البطولات والخوارق البشرية . ولكن بعض الباحثين - سامحهم الله - حاولوا نصف تلك المشاعر وزعزعة تلك الصورة الرائعة التي كونتها مخيلاتنا من خلال تلك الخطبة ، وحاولوا تنقيص تلك النشوة الروحية التي كانت تسبح في اجوائها احاساتنا ونحن نردها على مسامع معلمنا بالمدرسة الابتدائية وكان كل واحد منا طارق محصورا بين البحر والعدو وهو واثق بالنصر المبين .

وكانت بلاغتها التي رويت عليها في نفع الطيب شؤما عليها اذ كانت من اهم الثغرات التي تسرب منها النقد ليهدم كيانها من القواعد ! ولكن بقليل من البحث حاولت ان اتلافى تلك الثغرات واوصدها في وجه الشكوك التي تثار حول نسبة الخطبة لصاحبها طارق والحفاظ على تراثنا الذي نعتز به بشكل او باخر حسب ما سننتهي اليه في هذا المقال .

ممن احتار في امر هذه الخطبة الامير شكيب ارسلان رحمة الله عليه فقال :

« تلك الخطبة الطنانة التي لو حاول مثلها قس ابن ساعدة او سحبان وائل لم يات بافصح ولا بابلغ منها ، ولقد كنت افكر مليا في امر هذه الخطبة واقول

(1) انظر النبوغ المغربي ج 1 / 22 ، 23 الطبعة الجديدة .

(2) دولة الاسلام في الاندلس ج 1 / 47 .

ج (نص تحفة الانفس نقلته عن كتاب الاستاذ
عنان : (7)

« ايها الناس : اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر ، واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مادبة اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ، ولا اقوات لكم الا ما تتخلصونه من ابدي عدوكم ، وان مدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتموضت القلوب عن رعبها منكم الجراة عليكم ، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد القت به اليكم مدينته الحصينة ، وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت ، واني لم احذركم انا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة ارحص متاعا فيها للنفوس (كذا) ، ابدأ بنفسي ، واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفة الالذ طويلا ، فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه بأوفى من حظي . وقد بلفكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان ، الرافلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان . المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ،

وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته ، واطهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصة (كذا) لكم من دونه ، ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين . »

« ايها الناس ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ، ان حملت فاحملوا ، وان وقفت فقفوا اثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال ، واني عامل الى طاغيتهم بحيث لا انهيهم (كذا) حتى اخالطه وامثل (كذا) دونه ، فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا ، واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ، ولا تعطوا بأيديكم ، وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة (كذا) والذلة وما قد اجل لكم من ثواب الشهادة ، فانكم ان تفعلوا ، والله معكم ومفيدكم (كذا) تبوءوا بالخسران المبين ، وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ، وهانذا حامل حتى اغشاه فاحملوا بحمليتي . »

فاس : الدكتور عبد السلام الهراس

7 (انظر دولة الاسلام في الاندلس 1 / 46 ، 47 ، والاستاذ عنان لم يشر الى المصدر عند ايراده نص الخطبة ، بل بعد ما عقب عليها بقوله : « ويشير صاحب كتاب تحفة الانفس الى خطبة طارق ثم يورد نص الخطبة . » وآسف ان المصدر ليس بين يدي ولم احصل عليه بعد ! ولذا اعتمد على الاستاذ المؤرخ عنان في هذا النص .

للهجرة ، كما سنبين ذلك من بعد ، كما وردت قطعة منها في كل من « ربحانة الالباب » للمواعيني (توفي 1168 / 570) وكتاب « استفتاح الاندلس » لعبد الملك ابن حبيب .

ويجدر بنا ان نورد هذه النصوص ليتسنى لنا مقابلتها والتعليق عليها وعلى ما يتصل بها .

١ - نص ابن خلكان : (4)

« فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذي معه كتب تدمير الى لزريق الملك انه وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم ام من الارض ، فلما بلغ ذلك رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس ، ومعه العجل يحمل الاموال والمتاع وهو على سرير بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد ، فلما بلغ طارقا دنوه قام في أصحابه فحمد الله سبحانه وتعالى واثنى عليه بما هو اهل ، ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال :

« ايها الناس ! اين المفر ؟ والبحر من ورائكم والعدو امامكم ، فليس لكم والله الا الصدق والصبر ، واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مادب اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم غير سيوفكم ، ولا اقوات لكم الا ما ستحصلونه من ايدي اعدائكم . وان امتدت بكم الايام - على افتقاركم - ولم تنجزوا لكم امرا ذهب ريحكم وتعوضت القلوب برعها منكم الجراءة عليكم ، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذه الطاغية فقد القت به اليكم مدينته الحصينة ، وان انتهز الفرصة فيه لممكن لكم ، ان سمحتم بانفسكم للموت ، واني لم احذركم امرا انا عنه بنجوة ولا حملتم على خطبة ارخص مباع فيها النفوس ابدا فيها بنفسي ، واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفة الالذ طويلا ، فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه اوفر من حظي ، وقد بلفكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان ، الرافلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيقان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال

عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ، ثقة منه بارتياحكم للطعمان ، واستماحكم لمجالدة الابطال والفرسان ، ليكون حظه معكم ثواب الله على اعلاء كلمته واطهار دينه بهذه الجزيرة ويكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم ، والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين .

واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله ، فاحملوا معي ، فان هلكت بعده فقد كفيتكم امره ، ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون امركم اليه ، وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه ، واحملوا بانفسكم عليه ، واكتفوا المهيم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فانهم بعده يخذلون » .

ب (نص الامامة والسياسة : (5)

« فلما بلغ طارقا دنوه (اي لذريق) منهم قام في أصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد . ورغبهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال :

« ايها الناس ، اين المفر ، البحر من ورائكم والعدو امامكم ، فليس تم والله الا الصدق والصبر . فانهما لا يقبلان ، وهما جندان منصوران ، ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة . ايها الناس : ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ؛ ان حملت فاحملوا . وان وقفت فقفوا . نعم كونوا كهينة رجل واحد في القتال . الا واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا اتهميه حتى اخالطه (6) او اقتل دونه . فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم ، فتبددوا بين قتيل واسير ، واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية . ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة (كذا) والدلة ، وما قد اجل لكم من ثواب الشهادة ، فانكم ان تفعلوا ، والله معكم ومعيزكم . تبوءوا بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ، وما اتذا حامل حنى اغشاه فاحملوا بحمليتي » فحمل وحملوا ... »

(4) وفيات الاعيان 2 / 177 - 178 طبعة بولاق . في ترجمة موسى بن نصير .

(5) الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة 2 / 75 الطبعة الثانية اط . الحلبي سنة 1377 - 1957 مصر

(6) في الاصل « واقتل ! » وهو تصحيف .

كفالتة

وهكذا تأثر أبو الحجاج بخلاصة من المربين العلماء ، والمحكنين من رجالات السياسة ، أمثال الحاجب أبي النعيم رضوان ، والشيخ الرئيس أبي الحسن علي بن الجباب ، والمؤرخ لسان الدين ابن الخطيب ، وغيرهم ممن حفل بهم بلاط والده أبي الوليد اسماعيل الاول (713 — 725 هـ / 1313 — 1324 م) ثم بلاط شقيقه السلطان محمد الرابع (725 — 733 هـ / 1324 — 1333 م) .

« اعتقاله عرش غرناطة »

تقلد يوسف الاول شؤون المملكة في يوم الاربعاء 13 ذي الحجة 733 هـ (الموافق 25 أغسطس 1333 م) ولم تكن سنه يومئذ قد تجاوزت 16 عاما .

انعكاسات ثقافة السلطان :

كان لبيئة السلطان اثر الاعداد والتوجيه ، ثم الاضطلاع بهما المنصب الخطير ، فقد كان والده اسماعيل ذا شخصية دينية محافظة ، حريصا على اقامة الحدود وفق الشريعة الاسلامية ، ففي عهده خصوصا حرمت المسكرات ، وضيق الخناق على الفساد الاخلاقي وحرمت جلوس الفتيات في ولائم الرجال (3) ، فكان جديرا بالوالد أن يحرص على تنشئة اولاده كذلك ، حرصا على مستوى سلالة بيت الملك ، وحفاظا عليهم من مؤثرات تنافى وشرف التقاليد الملوكية .

وفي ضوء ما أسلفناه نستطيع ان نتحدث عن ثقافة الحجاج العامة ، فنقول : انه كان شخصية فنانة ، تتمتع بروح شاعرية ، عمل ما استطاع في سبيل حماية العلوم والاداب والفنون ، وربما أجمل ابن الخطيب بعض هذه الخلائق في قوله : « كان أبو الحجاج من جملة الملوك فضلا وعقلا واعتدالا » (4) ، وقد تجلى هذا الاتجاه الثقافي عند السلطان في جوانب هامة من حياته ، نذكر منها :

الجانب الفني :

ويتمثل فيما قام بتشجيعه في مجال المعمـار الهندسي ، وبخاصة ما أضفاه على أجنحة الحمراء ،

ولد أبو الحجاج بعد ولاية أبيه للحكم بنحو خمس سنوات ، وتوفى والده في رجب 725 هـ (يونيو 1325 م) ولم يكن الابن قد تجاوز بعد سبع سنوات ، فكفلته جدته أم أبيه السيدة الحرة الجليلة « فاطمة بنت أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله محمد الثالث » ، وكانت تتوفر على مزيد من الخبرة لطول تجاربها في القصر النصري ، فهي « واسطة العقد ، وفخر الحرم ، البعيدة الشأو في العز والحرمة وصلة الرحم » ، وذكر التراث ، واتصلت حياتها ملتزمة الرأي ، برنامجا للفوائد ، وتاريخا للانساب (1) فاستقى حفيدها أبو الحجاج من لبان خبرتها ، وتزود بالجم من حكمتها ، لاسيما وأنها بقيت الى جانبه فترة ليست بالقصيرة ، فقد عاصرته طفلا يحبو ، ثم فتى يافعا ، ثم سلطانا كبيرا ، حتى توفيت في عنفوان شبابه عام 749 هـ / 1348 م مواصلا برها ، ملتئما دعاءها ، مستفيدا بتجربتها وتاريخها ، مباشرة موارثها بمقبرة الجنان ، داخل الحمراء ، سحر يوم الاحد السابع لذي الحجة 749 هـ (2) ، وكان عمرها يومئذ قد نيف على التسعين عاما .

تربيته وثقافته

كان السلطان أبو الوليد اسماعيل والد أبي الحجاج قد وكل تربية ابنائه الى نخبة ممتازة من رجال العلم والرأي والادارة ، اشرفوا على هؤلاء الامراء في حل وترحال تثقيفا وتدريباً ، كما تعهدهم صقلا للمواهب وتنمية للملكات ، فكان ان برز لنا أبو الحجاج من بين اخوته الملك الفنان الشاعر ، والسياسي الهاديء الوقور ، وانعكست توجيهات مؤدبيه على ميوله السليمة من جانب ، وعلى ما خلعه على العمارة ائندلسية من نفسيته الشاعرة من جانب آخر ، بما أضفاه على آثار اسلافه ، من ذوق فني له روعته وسحره وجماله . كذلك حبه للعلم وتقريبه العلماء ، وكلفه بالاداب والفنون ، الذي تجلى فيما قام به من منشآت ثقافية ، ورعاية للقائمين بالامر في هذا الميدان .

(1) الاطاحة ج 1 ص 221 « عنان » .

(2) نفس المصدر 222 .

(3) نفس المصدر ج 1 ص 395 — 401 ، واللحة البدرية ص 71 — 74 .

(4) أعمال الاعلام لابن الخطيب ص 314 .

يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة

(733 هـ 755 هـ 1333 - 1354 م)

للدكتور محمد كمال شبانة
أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دارالعلوم
جامعة القاهرة

« ... كان فنانا شاعرا ، انشأ جامعة غرناطة ،
للتستعيد ماضي لدتها جامعة قرطبة ، ودانت له
الدمراء بافخم وأبهى منشآتها ... »

« نسبه وولادته »

1314 - 1325 م) ، وكان قد استولدها ، فانجبت
« يوسف » هذا ، أما اخوته محمد ، وفرج ، وعاظمة ،
ومريم فمن الحظية « علوة » ، وأما اسماعيل فمن
الحظية « قمر » .

صفاته

يجمل لنا صفات أبي الحجاج معاصره ووزيره
لسان الدين ابن الخطيب ، فيذكر أنه : « كان أبيض
أزهر ، أيدا ، مليح القد ، جميل الصفات ، براق
الثنايا ، أنجل ، رجل الشعر أسوده ، كث اللحية ،
وسيم ، عذب الكلام ، عظيم الحلاوة ، يفضل الناس
بحسن المرأى وجمال الهيئة ، كما يفضلهم مقاماً ورتبة ،
وأمر العقل ، كثير الهيئة الى ثقوب الذهن ، وبعد
الفور ، والتفطن للمعارض ، والتبريز في كثير من
الصنائع العملية ، مائلا الى الهدنة ، مزجها للامور ،
كفيا بالمباني والاثواب ، جماعة للحلى والذخيرة ،
مستميلا لمعاصريه من الملوك (1) .

هو سابع ملوك بني الأحمر « يوسف بن اسماعيل
ابن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن
محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الانصاري »
فهو بهذا يتصل نسبه بأمير الخزرج « سعد بن عبادة »
من سادة الانصار بالمدينة .

يكنى السلطان بـ « أبي الحجاج » كما يعرف
بـ « أمير المسلمين » ، وهو اللقب الملكي الذي غلب
على سلاطين بني نصر ، منذ اعتلى عرش غرناطة
مؤسس دولتهم محمد الأول بن الأحمر (635 - 671 هـ
- 1238 - 1272 م) ، كما عرف بـ « الغالب بالله »

ولد أبو الحجاج بدمراء غرناطة في الثامن
والعشرين من ربيع الثاني عام 718 هجرية / 28
يونيو 1318 م ، أمه تدعى « بهارا » النصرانية ،
« طرف في الخير والصون والرجاحة » ، حظية والده
السلطان أبي الوليد اسماعيل (713 - 725 هـ /

(1) راجع مقدمة مخطوطة القاضي النباهي « نزعة البصائر » الاسكوريال 1653 ، وكذا مخطوطة ابن
الخطيب « كناسة الدكان » الاسكوريال 1712 .

نابه « الدور الكامنة » في اعيان المائة الثامنة » واناض
إلا الكاتبين في التنويه بأبي الحجاج — كاديب وفنان —
برز في النصف الاول من القرن الثامن الهجري (منتصف
القرن الرابع عشر الميلادي) .

هذا . ونضيف أن القاضي شهاب الدين بن فضل
الاندلسي قد قال عن أبي الحجاج : « ان له يدا في
الموشحات (1) » ذلك اللون الشعري الخاص ، الذي
لم يقتصر انتشاره على المحترفين من اهل الاندلس
فحسب . بل نعداه الى ملوكهم وامرائهم ، فتعاطوه
ايضا . حتى طبقت للاندلس في هذا شهرة فاقت شهرة
المشاركة .

« علاقات أبي الحجاج الخارجية »

لم تكن علاقة غرناطة بالممالك النصرانية
الاسبانية تنسم بالسفاء . تبعا لمخطط النصراني في
حروب الاسترداد La Reconquista المعروفة . وكان
معاصره على مملكة قشتالة يومئذ « الفونسو الحادي
عشر » (1312 — 1350 م) الذي عول على الاجهاز
على آخر معاقل المسلمين . املا منه ان تسقط غرناطة
نفسها على يديه فيتوج تلك الحروب التي بداها اسلافه
مع العرب الفاتحين . وعرف يوسف الاول نوايا
معاصره القشتالي . فاستنجد — كسابقه من امراء
الاندلس — بالمغرب . الذي كان يحكمه — وقتئذ —
السلطان ابو الحسن علي المريني (697 — 753 هـ)
فايده بجيش عظيم . عقد عليه لولده الامير ابي مالك .
وكان الامير يبلغ ذروة انتصاراته في اراضي النصراني
يومئذ . لولا ان هؤلاء كانوا قد اعدوا له كميناً ، وفاجأوه
فقتلوا عليه وعلى كثير من حراسه . وعادت بقايا
الجيش العربي الى مواقعها الاندلسية ، ولكن ما كادت
تبلغ السلطان ابا الحسن مأساة ولده حتى بادر بارسال
جيش اعظم واقتوى . قبض له الظفر على الجيوش
الاسبانية . بيد انه لم تكن هذه المعركة حدا فاصلا بين
الفريقين . اذ ما لبث الاسبان ان خاضوا ضد المغاربة
والاندلسيين — بعدئذ — المعركة العظمى (وقعة
طريف) او معركة سالادو (2) Batalla de salado
7 جمادى الآخرة 741 هـ (30 اكتوبر عام 1340م) ، تلك
المعركة التي يؤرخ بها الاسبان لانتصاراتهم في حروب
الاسترداد . فقد أحرزوا فيها انتصارا ساحقا ، بفضل

خدعة حربية محكمة ، سقطت على اثرها كل من طريف
والجزيرة الخضراء وقلعة بني سعيد ، واستولسى
الاسبان عقب المعركة على علم المقاتلين المغاربة ،
وما زال حتى اليوم في كنيسة طليطلة العظمى ، وقد
نجا السلطان ابو الحسن من الموت بأعجوبة ، ولحق
ابو الحجاج بغرناطة على رأس غلول الجيش الاندلسي .

وبذلك انكسرت شوكة بني مرين تجاه الاسبان
اثر هذه المعركة ، ولم يتسن للمغرب بعدها أن يعود
الى الاندلس ارض الجهاد مرة أخرى ، كما ان
سلطان غرناطة — من جهته — أثر بعدئذ مهادنة
جيرانه النصارى ، فلم تقع بينه وبينهم وقائع حربية
تذكر ، وذلك حتى نهاية حكمه ووفاته .

« اصلاحاته »

يشيد المؤرخون المعاصرون بعصر أبي
الحجاج ، فقد ابنتى المصانع في كثير من مدن الاندلس
كان بعضها قائما للصناعات المحلية ، والبعض
للاحتياجات الحربية . ففي مدينة المرية — ذات الرفأ
الحربي الهام — كانت تقوم « دار الصناعة » هذا الى
جانب صناعة الحرير التي اشتهرت بها المدينة ،
بالاضافة الى صناعة الحديد والنحاس والزجاج ، لما
عرفت به اجوازها من وفرة المعادن والخامات .

كذلك اشتهرت مدينة مالقة بصناعة الفخار المذهب
العجيب ، والثياب الموشاة بالخيوط الذهبية ، تصدر
من هذا كله كميات وافرة الى الخارج ، حسبها يروي
ابن بطوطة في « رحلته » حيث زار الاندلس على عصر
هذا السلطان .

هذا ، وقد قام يوسف الاول بانشاء بعض القلاع
والحصون ، واخصها « حصن البيول » قرب مدينة
بسطة ، كما جدد ما كان قائما منها ، كحصن جبل فارة
بمالقة ، المطل من اعلا الجبل على البحر المتوسط ،
والى هذا السلطان يرجع الفضل ايضا في تشييد السور
الاعظم حول ريبض البيازين ، الذي ما تزال بقية منه
قائمة حتى اليوم خارج غرناطة ، ولا سيما في الجهة
الشمالية الغربية ، تحصينا للعاصمة ، وسدا دفاعيا
عنها .

(1) القلقشندي صبح الاعشى ج 5 ص 160 .

(2) وبهذا يذكرها الاسبان في مؤلفاتهم ، نسبة الى نهرسالادو المتاخم لطريف جنوبي الاندلس .

وما اضافته الى هذا القصر ، مثل باب الشريعة (1) ، وبهو السفراء (2) ، والحمامات السلطانية (3) ، مما لا يزال — حتى يومنا هذا — شاهد صدق على الروح السامية ، المنطلقة في آفاق الجمال .. لما انفرد به هذا القصر الخالد من زخارف خطية ، ونقوش ذات هندسة ابداعية ، في سحر أخاذ ، وجهال فتان ..

الجانب العلمي :

ويتضح من هذا تشجيع أبي الحجاج للحركة العلمية وتشبيده المدارس الثقافية بالملكة ، وفي مقدمتها جامعة غرناطة أو « المدرسة اليوسفية » (4) ، وذلك على يد حاجبه أبي النعيم رضوان النصري عام 750 هـ / 1349 م ، ثم ما كان من رصد الاوتاف المغلة عليها ، رغبة منه في اعلاء شأنها ، ومساعدة تصادها من العلماء والطلاب على أن يردوا منهل العلم في يسر ورخاء ، حتى لقد كانت جامعة غرناطة تحاول استعادة مكانة جامعة قرطبة الاموية .

كذلك رأينا هذا الملك الاديب يفسح المجال في بلاطه لجهاذة العلم والادب ، ويأخذ بيدهم الى منصب رئاسة الديوان أو الوزارة ، مقربا اياهم في مجلسه ، باذلا الخلع والمنح — على المجودين منهم — في شتى المناسبات ، حتى لهجت السنتهم بذكره ، وتناولته اقلامهم بالحمد والثناء (5) .

وبالجملة ، فقد بلغت الحركة الفكرية والادبية ذروة ازدهارها في مملكة غرناطة على عصر السلطان أبي الحجاج يوسف الاول .

لقد برز من اقطاب المعرفة والكتابة والشعر في هذه الفترة عدد جم ، امثال ابن الخطيب . وابن الجياب ، وابن زمرك ، صاحب القصائد المنقوشة في ابهاء الحمراء . وابن الحكيم الرندي . وابن خاتمة الانصاري ، ومن الهم .

واذا كانت الحركة الفكرية الادبية بالاندلس خلال المائتين والخمسين عاما التي عاشتها مملكة غرناطة قد مرت بأطوار ثلاثة : طور التكوين . وطور النضوج ، وطور الانحلال ، فان عصر السلطان أبي الحجاج يمثل الطور الثاني ، الذي اشرق ابان عصر شقيقه — قبله — السلطان محمد الرابع . وبقي متللا الى عصر ابنه — من بعده — السلطان الفتي بالله محمد الخامس (755 — 760 هـ / 1354 — 1359) ثم (762 — 793 هـ / 1361 — 1392 م) .

الجانب الادبي :

يعتبر يوسف الاول رائد هذه النهضة الادبية التي سادت الاندلس يومئذ ، فقد رعى روادها من الادباء والشعراء والكتاب ، كما كانت روحه الشاعرية تفيض من حين الى حين ، بما يوجبه الخاطر ، استجابة لموقف يستدعي القول ، أو تلبية لذات نفسه والهامها ...

بيد أنه — للأسف — لم ينته الينا حتى اليوم شيء من شعر هذا السلطان ، بالرغم مما عرف به في هذا الميدان ، فقد تحدث عن أبي الحجاج — كشاعر — كل من وزيره ابن الخطيب في بعض مؤلفاته الادبية كالأحاطة مثلا ، ثم المؤرخ ابن حجر العسقلاني . في

- (1) هو المدخل الرئيسي للحمراء ، عبارة عن بوابة عربية هائلة ، يبلغ ارتفاعها نحو خمسة عشر مترا ، وعقدتها الزخرفي كحدوة الفرس ، قد نقش عليها اثر خطي تعريفيا بمنشئها (يوسف الاول) ، وتاريخ انشائها وهو شهر ربيع الاول 749 هـ (1348م)
- (2) احد ابهاء الحمراء الرئيسية ، مساحتها ثمانية عشر مترا طولا ، واحد عشر مترا عرضا ، وينتهي كل من طرفي البهو بسبعة عقود ، ترتكز على عمد مرمرية ، وللبهو قبة فخمة يبلغ ارتفاعها حوالي ثلاثة وعشرين مترا ، قد زخرفت على طراز النجوم ، ويعلو البهو برج قمارش الشامخ .
- (3) تعتبر هذه الحمامات قطعة فنية اندلسية رائعة ، وهي ثلاثة اقسام : الاستراحة ، والغرفة الدافئة . والغرفة الساخنة . ولها موقد سفلي وماسوران في الجدران ، بالإضافة الى ماسورة خاصة لنشر العطر في الحمام . أما الاحواض فبعضها للماء البارد وبعضها للساخن ، والقبة ذات فتحات نجمية من الزجاج السميكة .
- (4) كانت تقع المدرسة في درب ضيق يحاذي شارع الملكين الكاثوليكين بغرناطة . بيد أن المبنى القديم قد ازيل منذ القرن 18 م ، ولم يتبق منها الآن سوى محراب مسجدتها ذي النقوش والزخارف الخطية . أما بقية المبنى فقد حولته بلدية غرناطة الى مقر ادارة المهرجانات الموسيقية العالمية ، التي تقام بهذه المدينة في رحاب الحمراء من كل عام .
- (5) اللوحة البدرية ص 100 .

اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين

سلا - الرباط

للاستاذ عبد الله الجراري

من بين مؤلفات الكاتب الاستاذ عبد الله الجراري - كتاب : « اعلام الفكر المعاصر - بالعدوتين - الرباط وسلا ... »
وقد اقترح بعض الاخوان على الاستاذ الجراري ان يضع لهذا المؤلف مقدمة - كتعريف به وبرجاله - في عرض لراحل التعليم قديما وحديثا - طلب منه نشرها على حدة ، وبالفعل مثلت للطبع وفي الايام القليلة ستطلع .
ودونك ايها القارئ فاتحتها اولا ، ونموذجا مصفرا من محتوياتها ثانيا :

بسم الله الذي لا يستعان الا به

والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله

الاستعمارية لحد سجت معه بعض المتنعين من ادخال اولادهم اليها .

واذ راي الواعون من ابناء المغرب خطورة الموقف وحاجة المال على مستقبل الاولاد - فكروا في وضع تعليم يحفظ عليهم لغتهم ومبادئهم وينقذهم في ذات الوقت من سموم المدرسة الجديدة - فكانت النتيجة وضع تعليم حر يصطبغ بصبغة الجودة في تنظيمه وبرامجه مع الحفاظ على مقومات اللغة والدين كل هذا تحت ستار الكتاب القرآني والسير به نحو تطوير يرفعه الى مكان يضمن تثقيف المنخرطين في صفوفه ولكن في حذر اذ كان الاستعمار يرصده في رقابة صارمة لحد كان لا يطيق معه سماع كلمة مدرسة ان هو الا المسيد بكل ما له وما عليه - كما سيراه القارئ داخل المقدمة .

ولكن ما بعد الشدة الا الفرج فقد شاءت الاقدار ان يعتلي عرش المغرب بطل من ابطال الدولة العلوية - هو المغفور له محمد الخامس الذي كانت فرنسا ترى فيه ساعدها القوي فيما وضعت وتضع من خطط ، وتنشده من اطماع واهداف طالما حاكها الساسة من رجالها ، بيد انها ظنون باءت بالخيبة اذ اصبح العاهل مع شعبه

وبعد ما اتممت تأليني : من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين - الرباط وسلا - اقترح علي ان اضع عليه مقدمة وفعلا لبيت الاقتراح وكتبت المقدمة راغبا ان تكشف ما انطوت عليه الدراسات في عهودها العتيقة من الكتاب ومراحله ، الى المسجد (المدرسة الاولى) وما لعبه كل منهما في تعليم وتهذيب النشء عبر التاريخ ، الى ان فاجأ الاستعمار البلاد ، واندفع يؤسس المدارس والمعاهد ، واضعا برامجه ومناهجه المنبثقة عن غايات تبشيرية خطيرة في مقدمتها اضعاف اللغة العربية ووضع حصة ضئيلة منها في برامجها كخيال وتمويه تستهوي بها بسطاء العقول من المواطنين للاقبال على تعليمها ، والتسابق على مقاعد مدارسها الجديدة ، ورغم ما كانت تقوم به من مرغبات ودعوات بوساطة عملائها كان الناس يحاربونها ويقاطعون من دفعه بانثائه في جحيمها . هذا في المدن اما في القرى والبادي فكانت السلطة ترغم رجال القبيلة من قواد وشيوخ ومقدمين وباقي السكان على حشر ابنائهم في معاهدها

وينوه ابن الخطيب مؤرخ العصر بتلك المنشآت الحربية فيقول : « .. وبني (أبو الحجاج) من الابراج المنيعة في مثالم الثغور وروابي مطالعها المنذرة ، ما ينيف على اربعين برجاً ، فهي ماثلة كالنجوم ، ما بين البحر الشرقي (الابيض المتوسط) من ثغر البيرة الى الاحواز الغربية » (1) .

اما الزراعة والتجارة في عصر يوسف فقد بلغت شأوا عظيماً ، وكانت لغرناطة علاقات تجارية بكثير من الدول ، وفي كتاب ابن الخطيب « معيار الاختيار » ، في وصف المعاهد والديار « (انظر مشاهدات ابن الخطيب في بلاد الاندلس والمغرب . تحقيق د . العبادي 1958 م) اشادة بالرخاء الذي عم الاندلس على عهد هذا الملك خاصة .

الوباء الهائل

هذا ، وتجدر الإشارة الى هذا الحدث — غير السياسي — في عصر السلطان ، الا وهو الوباء الخطير ، ونكتبه المروعة ، التي اجتاحت مطنقة حوض البحر المتوسط يومئذ (749 — 750 هـ / 1347 — 1348 م) فقد سقطت جمهرة عظيمة من الاندلسيين بسببه . في مقدمتهم المشاهير من رجالات السياسة والادب والعلم ، امثال الرئيس ابي الحسن علي بن الجباب ، رئيس ديوان الانشاء في بلاط ابي الحجاج هذا ، وقاضي الجماعة الشيخ احمد بن محمد بن برطال في هذا العهد ايضا ، الذي تحدث عنه ابن الخطيب في احاطته ، ذاكرة انه « توفي — رحمه الله ، وعفا عنه — ايام الطاعون ، لغريب بمالقة ، في منتصف ليلة الجمعة خامس صفر من عام خمسين وسبعماية (14 يناير عام 1349) ، وخرجت جنازته في اليوم التالي لوفاته ، في ركب من الاموات يناهز الالف ، وينيف بمائتين ، واستمر ذلك مدة (2) » .

وقد أرخ الوزير المعاصر لسان الدين ابن الخطيب لهذه الكارثة ، وكتب عنها رسالة خاصة ، أسماها : « مقنعة السائل عن المرض الهائل » ، وصف فيها

ظهور المرض وملايساته ، وكيف انتشر بصورة مروعة على اوسع نطاق بالبلاد الاندلسية ، كما تحدث عن عوارض هذا الوباء ، وسبل التوقي منه ، وكيفية علاجه ، وانهى الرسالة بدعاء واستغاثة بالله من شره .. (3) .

كذلك تحدث عن هذا المرض شاعر المرية الكبير « احمد بن علي بن محمد ابن خاتمة الانصاري » (724 — 770 هـ) — بعد أن عصف الوباء نفسه بثغر المرية — في رسالة خاصة ، أسماها : « تحصيل غرض القاصد ، في تفصيل المرض الوافد (4) » .

مأساته

قضى السلطان ابو الحجاج يوم العيد الاصفر في مسجد الحمراء بيد مخبول مجهول القدر والصفة ، عاجله بطعنة نافذة ، بعد أن هجم عليه وهو ساجد ، اثناء ادائه سنة عيد الفطر من عام 755 هـ / 19 أكتوبر عام 1354 م ، ولم يتجاوز عمره السابعة والثلاثين الا بأشهر قلائل ، رحمه الله .

اولاده

كان له من الابناء محمد وعائشة من حظيته بثينة واسماعيل وقيس وفاطمة ومؤمنة وخديجة وشمس وزينب من حظيته مريم ، واكبر الذكور محمد ، يليه اسماعيل ، واصغرهم قيس .

وقد تولى الملك من الابناء — فور مصرع ابي الحجاج — كبيرهم محمد الخامس المكنى بابي عبد الله ، والمعروف بالغني بالله ، وذلك حتى عام 760 هـ (1359 م) ثم ثار عليه اخوه اسماعيل الثاني ، الذي نودي به ملكا حتى عام 762 هـ (1361 م) حيث استرد محمد الخامس ملكه من جديد ، وبقي متربعا على العرش حتى توفي عام 793 هـ (1392 م) .

اما قيس — اصغر اولاد ابي الحجاج — فقد مات مقتولا .

القاهرة : محمد كمال شبانة

(1) الاحاطة ج 1 ص 517 « عنان » .

(2) ابن الخطيب « الاحاطة » ج 1 ص 247 ، 267 ط « عنان » .

(3) توجد هذه المخطوطة في مكتبة الاسكوريال بمدريد ، ضمن مجموعة خطية ، وتقع في عشر لوحات فقط (فهرست الغزيري 1780) . وقد قامت « مجلة اكاديمية العلوم البافارية الالمانية » بتحقيق هذه الرسالة ، وترجمتها الى الالمانية عام 1863 م .

(4) ما زالت هذه الرسالة لم تنشر ، وهي من مخطوطات الاسكوريال ايضا ، ضمن نفس المجموعة الخطية المذكورة (الغزيري 1780) .

لوحتين ، ويجعل يرسم رسما قد لا يفرق بينه وبين رسم - الكبار من التلاميذ .
لذا تكون هذه الفترة من السنة التي تصادف شهر رمضان - فترة ملحوظة في الكتاب العتيق - تساعد التلاميذ على التدرج الى ميدان الفن ، والفن الجميل الذي يذكى فيهم روح التريث والترتيب والتنظيم ووضع الاشياء في نصاب ونسق رتيب ؛ وغير خاف ما للفن اليوم من عناية واعتبار في النفوس والبيئات والمتاحف ، مما أصبح له أبطال عالميون بما سطروه من الواح زيتية فنية نالت الاعجاب والتشجيع المشرف حيث يحصل رساموها على جوائز قيمة واحيانا تشتري باثمان باهظة لتعلق في صدور الحجرات والقاعات رغبة في ان تكون امام الانظار والعيون تتلمى من لحظة لآخرى بالنظر اليها .

لهذا يكون تلاميذ المكتب العتيق استيقظوا قبل سباقين الى ميدان الفن مقدرين قيمته ومزيتته ، ومعيدين عنه بريشتهم احسن تعبير قبل ان يدرج في حابته ابناء العصر الجديد ، وتظهر به المدرسة الحديثة كشيء مبتكر غريب .

وعندما تكاد عمليات الفن تشرف على الانتهاء - يطلب مدير المكتب ومسيره من التلاميذ : « حق اللوحة » للابيض ، وفكها ليحملها الى منزله يوم ستة وعشرين رمضان (ليلة القدر المباركة) - وحق العيد المعروف - بحق لعواشر - وعشية اليوم يطلق سراح التلاميذ حيث يقضون آخر رمضان وسبعة ايام من شوال - في راحة هي عطلة العيد .

ومما جرت به عادة الاطفال - انهم ينشدون على لوحهم المزوق نشيدا طال العهد به ، وقد لا يعرفه ويسمع به النشء الجديد اليوم : « لال بيض بيض واعطن وحد البيض باش نزوق لوح لوح عند الطالب الخ

نشيد ماحون يشيد باللوح المزخرف والفن بالطبع - في توحيد وايمان ببعض السمعيات كالجنة ، والتضرع اليه تعالى في تحقيق المنى والرجاء اللذين يعدان في مقدمة رغائب المؤمن المسلم .

الرباط - عبد الله الجراي

- ان ياتي كل واحد ببيضة (1) وحامضة - ليمونة - وقدر من النقود لتزوق لوحته التي يدرس بها القرآن ، او ياتي بورق سميك لهذه الغاية ، ثم يشرع الفقيه في تهيئ ادوات العمل الفني ، فيحضر الورق الابيض الجيد الذي يلصق بالالواح او ما يقوم مقامها ، كما يحضر الالوان (الاصباغ) احمر واصفر واخضر وازرق - لتحل في دوايا خاصة ذات عيون تبلغ الواحدة احيانا العشرة او تزيد - كل لون يوضع في عين وتعرف هذه الدواة بـ « المجمع » يصنع من فخار بمعمل الفخارة ويطلّى بطلاء ازرق كأنه مقور (2) يعطيه رونقا مع تزويق وترخيم جوانبه ونقشها ، وتحضر كذلك مساطر واقلام - كالمساطر (بكار) المعروف عندنا بـ (الدبد) .

وبعد ايجاد هذه الادوات وتهيئها - يشرع كبار التلاميذ في العمل فيبدؤون بتجليد بعض الالواح بالورق ، واثر جفافها . . ياخذون في الرسم بالمساطر او (الدبد) واضعين عليها اشكالا بدیعة من التراخيم والترويق الرقيق - البسيط منه والمركب حسب مقدرة الرسام وباعة في الفن ، بل وابتغاء صاحب اللوح وطلبه ، اذ هنالك انواع من الرسم - منها نوع يسمى القصبة - وهو عبارة عن رسم يحتوي اعمدة في طول الى غاو على صورة - مخروط - هندسي . ومنها المربع الذي ترقم جوانبه بتراخيم هندسية بداخلها بلايظ وتعاريج فنية جذابة .

وفي هذه الاثناء يكون بعض التلاميذ ازاء الرسامين قصد الاقتباس منهم والاخذ عنهم ما يستطيعون الوصول اليه من فن الرسم الذي له مزيتته في شحذ الازهان واذكاء العقول .

اثر هذا ياتي دور التلوين وتناسب الالوان بعضها مع بعض في الوضع والتنسيق حيث تجذب النظر وتلفتها الى تنسيقها وترتيبها .

في هذا الوقت - يكلف الرسامون بعض التلاميذ بمساعدتهم على التلوين ، ويصبحون وقتئذ كمدرسين على الفن يتمرنون عليه بتلوين الالواح المعبر عنها في اصطلاح الكتاب بن « التعمار » بل منهم من يحمل المساطر (الدبد) بمجرد مشاهدته تسطير لوحه او

(1) البيضة وما معها لا دخل لها في الادوات وانما هي للمعلم خاصة في رمضان الذي لا بد فيه عادة من الحرية وهي لاستغنى في خليطها غالبا عن البيض وماء الليمون تحسبنا يضفي عليها لذة طيبة .

(2) المقور كمعظم المطلى بالقطران .

والوفى بدا في يد لايفكر كالكتلة الحرة وراءه الا في صالح الامة ، والسير بها الى ما يتفق وكرامتها - فاتجه اول ما اتجه الى نشر العلم وفتح معاهده في اطراف المغرب جنوبا وشمالا شرقا وغربا . فكنت لاتسمع الا حجرا اساسيا يوضع لمعهد هنا او مدرسة تفتح هناك ، هكذا والحماس ينمو في النفوس - وجذوة التحرر تتأجج في الشرايين مندفعه عن طواعية للبدل في سخاء وتنافس ، وعم التعليم الجنسين - فتية وفتيات على حيلة اتخذت . حول تعليم الفتاة رغم ما كان يلاقيه تعليمها من معارضة ، على انه - كانت بالمغرب منذ عصور بعيدة الى تاريخنا المعاصر دور لتعليم البنات تعليميا بسيطا لا يكاد يعدو رفع الامية في بساطة مع حفظ سور من الذكر الحكيم . كما كانت دور لتعليم بعض الصناعات اليدوية من خياطة وطرز وما يمت اليهما بصلة مما لا يسمح للفتاة كربة بيت ينتظرها ان تجهله .

المؤلف

ثانيا : الكتاب القرآني اثناء رمضان :

يتقمص الكتب القرآني ايام رمضان حالة جديدة غير ما كان عليه قبل - فكبار التلاميذ يضعون الالواح (يعلقونها كما يقولون) وفلا تعلق في مسامير خاصة يسلك فيها عود من خشب معوج الطرف كالمحجن يحمل ما شاء الله من الواح . ثم يأخذون في دراسة القرآن الكريم وتكراره متهيين لاداء التراويح في اختلاف المساجد . وحتى الصغار الذين استظهروا حصة من الكتاب يدرّبون بنفس « السيد » على اداء التراويح بما معهم من محفوظ ، وبين العشاءين يصحبهم المعلم الى المسجد الذي يؤم فيه كامام راتب او يؤدي فيه التراويح ايام رمضان ، ويقدمهم بعد صلاة العشاء لاداء التراويح بالمصلين - بحزب او نصفه ، فاذا فرغ تقدم آخر برعاية المعلم ، وقد يحضر ابو الطفل او وليه رغبة في رؤية ابنه او قريبه يستظهر آيا من الكتاب العزيز وقد تقدم للتراويح بها وخلفه جماعة من المصلين - انها وايم الله لخصلة حميدة يعمر الصغار بها اداء الصلوات وتمكنها من انفسهم -

« فصادف قلبا خاليا فتمكنا »

ومن مظاهر رمضان التي تلفت النظر اكثر ، ويصبح « السيد » معها - مدرسة فنية تعنى بالرسم وتهيئ تلاميذ - لما عرف بـ « لا بيض » فتوقف الواح الدراسة كما اشير اليه قبل ويامر المعلم الصغار

نصم فاجأها التعليم الجديد وانغمرت في معاهده كاخيا الفتى رغم الاشواك التي كانت تعترضها في الطريق .

تم فكر الشعب في نقطة حيوية هامة هي الخروج من الامية البغيضة فقام يعالج المشكل ويقاومه خصوصا من فاتهم التعليم ابان الشباب لعارض يتم او فقر فآخذوا يسترجعون ما ضاع في حسرة وندم - سالكين في هذا التعليم ما خطته الشعوب الاخرى في تصميماتها من طرق للمقاومة ، غير ان قوة الاستعمار الفاشية كانت تحول دون هذا التعليم وتسمى بكل جهودها لاقباره في مهده كما سنرى ذلك بعد .

وجاء الاستقلال بعد كفاح مرير كان في حظيرته ابعاد المفور له محمد الخامس طيب الله ثراه هو واسرته الكريمة الى منفى سحيق (مدغشقر) بيد انها محنة فاتنة (تنطبق عليها الحكمة الماثورة « كم من نعمة في طيها نعمة » فتجدد الحماس في النفوس وقويت حساسية المغامرة في يقظة واعية لحد التضحية فقام الشعب المغربي يكافح ويطلب بالتحرر وعود صاحب العرش الى عرشه مستميتا الى النهاية ، فلم يلبث ان عاد المبعد رحمة الله عليه حاملا راية النصر والتحرير ،

قالوا وما الجهاد الاكبر ؟ قال : جهاد القلب ، قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الاسنة ، وهو من كلام ابراهيم بن علي انتهى انظر الجزء الاول من كشف الخفا ص 424 .

1) قالوا وما الجهاد الاكبر ؟ قال : جهاد القلب ، قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الاسنة ، وهو من كلام ابراهيم بن علي انتهى انظر الجزء الاول من كشف الخفا ص 424 .

العربي المعاصر في الشمال الافريقي » للكتاني ،
« فهذه مصر نرى اتجاهها الادبي يسير نحو هدم ما
للربية من آداب وفنون ، وجعل الادب الغربي هو
الكل في الكل تغانيا في حب الجديد ، وتسترا باسم
الاصلاح ، وتلك لبنان تسرع بخطى هوجاء نحو
اللامذهبية الادبية ، وتندمج برعونة في قشور الادب
الاجنبي (1) .

ثم ان الظاهرة التي تصحب هذا التأثير تتمثل
في انه ياتي متأخرا ، بمعنى ان بعض المدارس الادبية
قد تظهر بالشرق ، في حين نجد ان ادباءنا ما زالوا
يدورون في فلك المدرسة التي ظهرت قبلها ، وأنا هنا
اعني الاتجاه الغالب ، والا قد لا نعدم بعض المبادرات
الا انها لا تعد شيئا اذا قوبلت بالاتجاه العام ، كما انني
اعني في نفس الوقت التأثير في المستوى الذي يجنح
الى الجودة ، ونستطيع ان نأخذ كمثال على تأخر
الاستجابة قضية الشعر الحر ، ولا نعدم امثلة اخرى
من مختلف الفترات السابقة .

كان لابد من هذه المقدمة لنؤكد حقيقة واقعة
لن نعمينا التعصب عن انكارها ، وليس من الانصاف
للحقيقة نحمل البراهين لاثبات عكسها ، واذا كنا لا
نناق هاهنا وراء الشعب في تحليلها ، فاننا لا
نسئ ذلك التعليل البسيط الذي يتمثل في ان وطننا
يقع في بقعة اعتبرت احقابا طويلة في نهاية المعمور ،
بعيدا عن مراكز الحضارات القديمة ، فكان اجدادنا
في مختلف العصور يترقبون الطارق ، وكل طارق
ياتي بجديد ، ومن هذا الجديد ما وقع الاقبال عليه
واحتضن احتضانا ، ثم وقع النسيج على منواله
ليس في المجال الادبي فحسب ، ولكن في مجال
الحضارة بصفة عامة ، وليس من الشرق فقط ،
ولكن من الشمال ايضا يوم كانت هناك اندلس
اسلامية ، ومنها بصفة او اخرى يوم صارت مسيحية ،
ومن جارتها فرنسا بشكل اقوى منذ عهد الحماية ،
ونتيجة الاحتكاك وبرامج التعليم على ذلك العهد .

فهل كان محتوما علينا ان نكون كذلك ، اي ان
نكون قاصرين عن الابتكار ؟ ! ابتكار شيء جديد
يحدو حذونا فيه هؤلاء وأولئك ، لقد ابتكروا هناك
بالشرق فن المقامة ، وابتكر الآخرون بالشمال
بالاندلس الاسلامية فن الموشحات ، وأولئك وهؤلاء
فن الازجال ، فماذا ابتكرنا نحن من هذا القبيل ؟

واذا وجدنا هناك من مجال كنا احسن حالا فيه من
هذه الناحية ، فليس هو الادب بحال من الاحوال !!
والمجال امامنا فسيح للبحث في هذه الظاهرة من
جوانب مختلفة ، يتطرق عالم الاجتماع الى الظواهر
الاجتماعية عندنا اصولها ونتائجها وتطوراتها ،
ويتطرق المهتم بالحضارة الى مختلف المظاهر
الحضارية ، اصولها ونتائجها وتطوراتها كذلك ،
ويتطرق الناقد الى الناحية الثقافية والادبية دون
ان يكون في غنى عن ابحاث هذا وذاك !

اما في مجال القصة ، فاننا ظللنا زمنا ننتج فيما
نتج من ادب - وكما كان اشقاؤنا بالشرق - فنا
ادبيا اقرب الى القصة هو المقامة ، الا اننا لم نستطع
طيلة الربع الاول من هذا القرن ان نطور هذه المقامة
وندخل عليها عنصر التحليل والنقد الاجتماعي
كما فعل اشقاؤنا بالشرق .

فنحن نقرا مثلا : « المقامة الكناسية » للاديب
المرحوم محمد غريظ دون ان نجد فيها من التحليل
والنقد الاجتماعي ما نجده في « حديث عيسى بن
هشام » للمويلحي ، و « ليالي سطيح » لحافظ
ابراهيم ، و « ليالي الروح الحائر » لمحمد لطفسي
جمعة . على الرغم من انها تعتمد كلها اسلوب السجع .

فالمقامة الكناسية وصف لرحلة قصيرة قام
بها بطل المقامة « المتجول بن السائح » الى مكناسة .
- والراوي هنا بدون اسم - فوصف هناك ما رأى
من بعض الآثار التاريخية ، وبعض المظاهر العمرانية
الحديثة ، وقد يثير في نفسه بعض ما رآه من بعض
المشاهد والذكريات ، فساحة (الهديم) « حيث
القياطين والموازين المرفوعة ، والبضائع الموضوعة »
تذكر بطل المقامة - ولا يخال الا الكاتب نفسه - بـ
« جامع الفناء » من مراكش الحمراء « حيث الصبا
متوقد اشهبه ، والهوى منفتح بابيه ، والعيش رائقا
شرابه » ومروره بدار يبيع بعض الاحياء بمكناس يذكره
ببعض ذكريات صباه بهذه المدينة ، « ووقفت بدار
كنت بها امرح ، وأولف متون اللعب وأشرح ، وأنا
بما دون سبعة اعوام لا اصيخ لمتاب ولا لملام ،
فكنت أرى الدرهم ديناراً ، والعصا مكحلة تقذف
نارا ، والقصة حصانا ، والسطح ميدانا ، والصبابة
حوضا ، ومفرس التمامة روضا ، ولا أرى غير المريبة



في الأدب المغربي الحديث

محمد الأمري

لقد كان هناك تأثير اذن ، على الرغم مما كان يدعو اليه بعض الادباء المغاربة ، فهذا الاستاذ الطريس يقول في بعض مقالاته المتسلسلة تحت عنوان : « الحياة الادبية ببلادنا » والمنشورة بمجلة « المغرب الجديد (1) » « فليس من المتعين علينا ان نتبع الشرق ولا الغرب ، وليس من حظنا ان نتكلف في اختيار نوع التعبير عن عواطفنا » .

وهذا الاستاذ الناصري يقول في بعض مقالاته : « ... أما من يفكر بعقل مغربي ، ويحس باحاساس مغربي ، وينظر الى الاشياء كلها بعين مغربية صافية ، ويتسلح بكل الثقافات دون ان تفنى شخصيته الخاصة في واحدة منها ، فذلك ما لا يزال قليل العدد في هذا البلد (2) » .

ويقول الدكتور تقي الدين الهلالي في مقال : « في سبيل الدفاع عن الكرامة القومية » .

« والمقصود هنا دعوة اهل وطني الى الاقتصاد في مدح آداب غيرهم ، واحتقار آدابهم وحثهم على ترك التقليد (3) » ومثل ذلك قاله آخرون مع اختلاف في اللهجة اعتدالا او تطرفا ، كما جاء في مقال « الادب

هناك حقيقة تواجه الدارس للادب المغربي بصفة عامة ، وهي انه غالبا ما ترسم خطى الادب بالشرق ، وقد كان ذلك منذ العصور الاولى التي عرفت فيها المغرب والاندلس الاسلام واللغة العربية ، بفضل الفتوحات العربية ، وكان الامر كذلك منذ انبثاق عصر النهضة الادبية بالشرق .

ففي ميدان الشعر لا يمارى احد فيما كان لشعراء الشرق من تأثير على الشعراء المغاربة ، كما لا تعزب عنا مختلف الاصداء التي كانت تتردد هنا لمختلف المدارس الشعرية هناك ، وفي ميدان المقالة كذلك ، ولعله الميدان الذي نستطيع القول بأنه يتوفر على نتاج ضخم يجنح الى الجودة في غالبه .

اما في مجال القصة - وكما هو الامر في المقالة ايضا - فان هذا التأثير كان يصحبه تأثير آخر ليس مصدره الشرق ، ولكن اوروبا وفرنسا بصفة خاصة ، على انه ان كان مباشرا عند البعض ، فلقد كان عند البعض الاخر بصورة غير مباشرة ، وعن طريق الشرق نفسه انتاجا او ترجمة . وقد انفتحت امامه آفاق ادبية جديدة ، فهب ادباؤه يتمثلون هذه الانفاق ويتزعمون الى التأثير بها .

- (1) المجلد 13 السنة الثانية .
- (2) نفس المجلد - المجلد 11 ، السنة الثانية
- (3) المغرب الجديد عدد 14 السنة الثانية .

وفي قصة « الفقيه البركة » تتضح لنا خطوة الكاتب في النقد الاجتماعي حيث يصف هنا نوعا آخر من الناس اتخذ أسلوب التدجيل لنيل الحظوة والاحترام ، وشخصية الفقيه البركة ترمز لهذا الصنف من النصابين .

وإذا كان الكاتب قد استطاع في « خابية لا تمتلىء » التخلص من أسلوب المقامة ، فهو هنا وفي قصة « صاحبنا » لم يستطع التخلص منه نهائيا ، وربما كان يقصد الى ذلك قصدا حتى يستطيع ان يفرق شخصية قصته في لجة من السخرية على طريقة الجاحظ وصنيعه في « رسالة التربيع والتدوير » مع ابن عبد الوهاب ، « وقيل عنه : ان اقل ما يحسنه

احالة الذكر الى انثى ، والانثى الى ذكر ، والماء الى حجر ، والحبل الى ثعبان ، والتراب الى ذهب رنان .. » ومثل ذلك يقال في قصة « صاحبنا » التي تصف ضربا آخر من النصابين ، ويمكن القول بان قصتي « خابية لا تمتلىء » و « وفاء لفاس ووفاء للحب » تمثلان اكتمال الفن القصصي عند الكاتب في شكله الحديث ، حيث استطاع التخلص فيهما من أسلوب المقامة نهائيا ، دون ان يخرج فيهما معا عن غرض النقد الاجتماعي الا انه في هاتين القصتين لا يلجأ الى طريقة التهويل والتشويه ، وانما يكتفي ببعض اللذاعات الساخرة على طريقة القصص الروسي دستوفسكي .

(يتبع)

الرباط : محمد الامري

— حزم —

قال الجاحظ :

قال رجل بخيل لفلان : هات الطعام واغلق الباب ، فقال هذا خطأ : بل اقول : اغلق الباب وءات بالطعام ، فقال له الرجل : انت حر لعلمك بالحزم .

والمعلم من الانام عدوا جافيا ، ولا غير الاربعاء والخميس حببا وافيا (1) .

فاذا استثنينا السابقتين وفيهما بعض التحليل والنقد ، « شعور الطفل نحو مربيته ومعلمه ، وفرحه ليومي العطلة » لا نجد في باقي المقامة الا وصفا هو على دقته لا يرقى التحليل النقدي ، ولا يخلو من جمال في الاسلوب على طريقة مدرسة السجع .

على ان نوعا آخر من القصة ظهر خلال العقد الثالث من هذا القرن هو القصة التاريخية ، ولا نشك في ان هذا النوع من القصص ظهر عندنا نتيجة شيوعه بالشرق ، في كثير من الصحف والمجلات او في بعض الكتب الخاصة . لقصاصين من مثل جرجى زيدان ، ونقولا حداد ، وفرح انطون ، ويعقوب صروف ، وشكيب الجابري وغيرهم . ونستطيع ان نسوق على سبيل المثال قصة « درى المولد النبوي الشريف في قصر البديع » للاديب المرحوم الحاج محمد بنونة ، في القسم الثاني (2) . لان القسم الاول كان وصفا للقصر حسب روايات المؤرخين ، مع التذكير بانه سيتناول موضوع الاحتفال بذكرى المولد النبوي بهذا القصر « بهذه الصورة البسيطة : صورة العرض الساذج البعيد كل البعد عن اسلوب البحث العلمي ، وهي طريقة فيها تمتع بدون لغوب ، وفيها لذة لا تضني الفكر » .

ولفت نظرنا في القصة - على الرغم من ان صاحبها لم يطلق عليها هذا الاسم - اختفاء اسلوب السجع - الا لماما - ليحل محله الاسلوب السردى الرشيق ، الحافل بالتصوير الدقيق ، والخيال الرائق الجميل ، ولا يخلو من نشويق لذيذ ، وهناك قصة : « مؤامرة على شاعر تديرها امرأة (3) » لكاتب مجهول امضاها ب « ابن المقفع » ، وفي هذه القصة يدخل عنصر آخر هو عنصر الحوار ، ويعتمد احيانا على قال ... وقالت ... ويخلو منهما احيانا اخرى ، كما ان القصة - ويبدو انها معتمدة على بعض النوادر الواردة في كتاب الاغانى - لا تخلو من عقدة .

وفي هذه الفترة ظهرت القصة الاجتماعية التي يعد الاستاذ عبد الخالق الطريس من اول من طرقها ، فهو في قصته « فاطمة » يخرج بالقصة المغربية الى المجال الفسيح الذي انفتحت آفاقه امام القصة العربية على العموم .

فاذا انتقلنا الى الفترة الثانية ، وتمتد من بداية العقد الرابع الى بزوغ الاستقلال لاحظنا ان القصة اخذت تحتل مكانتها في الصحف والمجلات المغربية ، ولا يكاد يخلو عدد منها من قصة موضوعة او مترجمة ، على ان ابرز قصاصي هذه الفترة هم الادباء : احمد بناني ، وعبد الرحمن الفاسي ، وعبد الهادي الشرايبي ، وعبد القادر بن الهاشمي ، واحمد الزغاري ، وعبد الله ابراهيم ، وقاسم الزهيري ، والفنان المرحوم عبد الكريم بن ثابت ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم غلاب ، وعبد العزيز بن عبد الله ، واحمد زياد ، وعلى الرغم من التفاوت الموجود بين هؤلاء سواء من حيث غزارة الانتاج القصصي او قلته ، وطريقة العرض والاسلوب فان هؤلاء ابرز من يمثل هذه الفترة ، واذا كان هناك من قاسم مشترك بينهم فهو انتزاع موضوعات قصصهم من المجتمع او التاريخ المغربي ، فالكاتب احمد بناني في قصصه « خابية (4) لا تمتلىء » و « وفاء لفاس (5) ووفاء للحب » و « الفقيه البركة » و « صاحبنا (6) » يفلب عليه روح النقد الاجتماعي في اسلوب لا يخلو من سخرية لاذعة تذكر بالجاحظ من ادباء العربية ، ففي « خابية لا تمتلىء » تراه يذكر بعض الأساليب التي يلجأ اليها باعة التحف الاثرية لحمل السياح على الشراء ، وهي أساليب في معظمها غير شريفة ، الا انها على الرغم من تنوع النماذج التي ساقها الكاتب في هذه القصة لم تثر اهتمام السائح الأمريكي الذي كانت مهمته تنحصر في البحث عن جزيرة « الاطلاشيد » التي طواها المحيط ، وكان اهلها يجعلون حقمهم في مارستان خاص ، ويكلفونهم بملء خوابي مثقوبة ، وهذا ما حفز المجلس العلمي الأمريكي الى ايفاد العالم طوماس الى فاس عندما ما بلغ الى علم المجلس وجود مارستان بهذه المدينة يكلف حقماء بملء خوابي المثقوبة !! .

- 1) مجلة النبوغ ج 1 سنة 1939 .
- 2) العدد 14 السنة الثانية من مجلة المغرب الجديد .
- 3) مجلة النبوغ المجلد الاول 1939 .
- 4) الثقافة المغربية ، غشت 1941 .
- 5) الثقافة المغربية شتنبر 1941 .
- 6) رسالة المغرب ، س 9 ، عدد 89 .

صاحبهم من العدو الرابض بالقرب منهم في المهديّة المعمورة ، وما يهددهم به من المز والكسح . فكتب التمرتي رسالة (مفتوحة) في 25 جمادى الثانية عام 1025 الى جميع السوسيين يستنهض همهم للجهاد والدفاع عن ذلك الجزء المهدد من الوطن ، مطلعها : « الحمد لله الذي قرن نصرة الدين باجتماع كلمته ، وألف بين قلوب عباده المؤمنين في الذب عن حماه بعزته وحكمته ... » . وانشأ خطبة في تحريض المقاتلين وبعث الحمية في نفوسهم ليخطب بها بعد تكامل الجيوش التي استنفرتها يحيى الحاحي ، مطلعها : « الحمد لله الذي وعد المؤمنين النصر والظهور ، وجعله حقا عليه بمحض الفضل على مرور الازمان والدهور ... » . والرسالة والخطبة موجودتان في مخطوطة الفوائد الحمة ، فلا نطيل بهما .

وفي اوائل عام 1039 / 1629 اخذ الاسبانيون يعدون - في تكتم - حملة كبرى للهجوم على المغرب ملما فعل البرتغاليون من قبل بقيادة سبستيان ، وجمعوا لذلك اسطولا قويا في مرسى مالقة يضم 66 سفينة حربية ، واستنجدوا بالامم النصرانية الاخرى ليمدوهم بالرجال والعتاد والمؤونة فيشنوها حربا سليبية لا تبقى ولا تذر . وكانوا يقصدون النزول بفسر سلا . وتسربت اخبار الحملة الى التطوانيين فكتبوا رسالة عجيبة في الصنعة الانشائية (سجعاً وتنميكا) آية في الشعور القومي والغيرة الوطنية ، وبعثوا بها الى اهل فاس يستنفرونهم ويستنصرونهم . والرسالة غفل لم يذكر اسم منشئها ، وان كنت ارجح - لاسباب - انها للامام العربي ابن يوسف الفاسي (المتوفى عام 1052 \ 662) . وبعث التطوانيون برسائل مماثلة الى السلويين المعنيين بالامر والى غيرهم من ابطال المقاومة في مختلف أنحاء البلاد المغربية وجاء في تلك الرسالة : « الى ائمة الشرفاء والقضاة والفقهاء ، والخطباء والاعيان والنبهاء ، وحملة السيوف والاقلام ، وسائر الكافة من الخواص والعوام ، من اهل الحضرة الفاسية المحروسة (...) وان مما وجب به اعلامكم ، ليعرف الى ما يجب اعتناؤكم واهتمامكم ، ان النصرارى - دمرهم الله - تواترت الاخبار لدينا عنهم ان طاغيتهم الفائل الراي ، الخائب السعي ، قد وسوست اليه امنيته ، وانشبت اظفارها فيه بحول الله منيته ، ان يقصد باسطوله هذه العدو ، ولعله اتخذ الخالي قبله قدوة . فاحتفل في جمع عمارة هي بحول الله من النصر فارغة ، وللمسلمين ان شاء الله تعالى غنيمة سائفة ، اشتملت الان على ستة وستين غرابا

دون السفائن التي بين الكبار والصغار ، والله يلبس جميعهم الذلة والصغار . وهم الان بمرسى مالقة - اعادها الله - يتظرون ما يرد عليهم من امهم من المدد ، ويتكامل لزيهم من العدد والعدد ، وقد استعدوا بكل وجه يقدرون عليه ، وتنتهي طاقتهم اليه ، من عدة القتال ، وآلة المحاصرة والنزال ، مما يحتاج للهدم والهدم ، والبناء والرم . وقد كانت هذه الامم الكافرة فيما سلف من السنين القريبة متنافرة ، فلان قد الفتهم دعوة التثليث ، وتنادوا الى غزو الاسلام والله المقيث . ونحن نستعين على الثلاثة بالواحد ، ونضرب بالتوحيد وجه كل مثلث جاحد . وكل شيء ما خلا الله باطل ، وجيد محلى بغير التوحيد . عاقل . وعظم ما يتوقع من عبورهم ، ونزولهم بفسرهم ، زلزلة سلا في البر والبحر ، والله يرفع ما يتوقى من هذا الامر . وان كان لذلك البلد من هذا الامر حظ التعصيب ، فلكل نفر بل بلد من ذلك سهم ونصيب ، على ان الاسلام يسلمه ولا يسلمه ، ومن مكر الماكر وغدر الغادر يحفظه ويعصمه ، وان اتسعت اقطاره ، وتناوت مدنه وامصاره جسد واحد ، ان اشتكى بعضه اشتكى كله ، ويؤلم الجمع ما يؤلم المفرد كثره وقله . فكتبنا الى تلك الحضرة التي هي قاعدة الاسلام ، المحتوية على جملة من حملة السيوف والاقلام ، والبلد الطيب المخصوص بجزالة الاراء واصالة الاحلام ، من الاسد المسارعة الى نصرة دين النبي عليه الصلاة والسلام ، لتأخذوا لفرض الواجب ما يستحقه من الاهبة ، وتقربوا من ذلك الى الله تعالى بأعظام قربة ، وتعرفوا بذلك من اليكم تعريفه من قبائل المسلمين واجنادها وانجاده ، وتبلغوا مبلغ الجد في استنفارها واستنجاها ، في اغوارها وانجاده . وليس يحتاج مثلكم ان يولج الى تحريض على الجهاد ، وحض على الجد فيه والاجتهاد ، فان وجوب ذلك كالشمس ليس لها حاجب ، وانتم اعرف الناس بالفرض والواجب . وقد عرفنا اهل هذه الثغور خصوصا اهل سلا ومن اليهم من الخاصة والجمهور . اما اخوانكم من هذا الثغر فعلى حال تسركم ان شاء الله ، قد بذلوا المجهود في الاستعداد ، وبلغوا المقدور في استجماع آلة الجهاد ، وقد جعلوه نصب اعينهم ، وعمار قلوبهم والستهم ، تطير بهم اجنحة العزم استباقا ، وتهزم احاديث الجهاد طربا واشتياقا ، راجين احدي الحسنين ، مؤملين النصر من منزل السكينة على جد الحسين ... » .

وكانت فاس آنذاك - للأسف - عبارة عن مدينتين منفصلتين عدوة القرويين وعدوة الاندلس

القومية المغربية

انعكاسات في أدب القرنين العاشر والحادي عشر

للأستاذ محمد محجي

- 4 -

فعرش منهم بالعرائش ثلثة
شجت كل حلق والفواد تؤود
... فيالأسود المغربيين تنهبوا
فقد طال ما أنتم في الفي رفود
... لدى مثلها تقضي السيوف مع القنا
ويلبس فيها مففر وزرود
وشهب وشقر واضحات شبانها
وجرد لها منها عليها شهود
... خفافا ثقلا فانفروا وتجهزوا
امامكم النصر العزيز يقود
لئن اخلدت منا النفوس الى الثرى
فانى لنا دار النعيم خلود
... كاني بأجل النصارى نكدت
إذا نشرت يوما عليها بنود
فانتمتروا فادروا مشاهد من مضى
تؤيد عزما ضل عنه بليد

ولما استولى يحيى الصاحي على سوس في اواخر
العقد الثالث من القرن الهجري الحادي عشر ، سارع
الى الاستنجاد به وقدم مدينة سلا - وكانت آنسذ
مهدة باحتلال الاسبان ، والملك السعدي زيدان في
مراكش عاجز عن انجادها - وقرى كتاب السلويين
في الجامع الكبير بترودانت ، وفيه شرح ضاف لما

ولعبد الرحمن التمنارتي دالية مطولة (103 بيت)
يتفجع فيها على تدهور الاحوال في المغرب وعودة
المسيحيين الى احتلال الثغور بعد ان مكنتهم المامون
السعدي من العرائش داعيا الى مقاومتهم ورد عاديته
بل والى غزوهم في عقر دارهم . وسلك في هذه القصيدة
مسلكا غريبا اذ مهد بذكر دول المغرب من الادارسة
حتى السعديين مشيرا بصورة خاصة الى امجادهم
واهم معاركهم الظافرة ، مشيرا الحمية الوطنية في بني
قومه ليكونوا اباة اسيدا كاسلافهم . وبعد ان يفصل
احداث الزلافة والاراك ووادي المخازن ، يلخص اعمال
ملوك المغرب في قوله :

فكم من ديون قد قضتها سيوفهم
على الكفر لم تمطل بهن عهد
وكم نسفوا من قرية بعد قرية
بارض النصارى والانام شهود
روينا عن ابناء الزمان حروبهم
احاديث منها قائم وحصيد
ثم يذكر بحسرة ما آلت اليه الاحوال في هذه
البلاد :

وقد افلت تلك المعالي شمسها
وضم بنيتها في الوهاد لحود
وسامنا سوء الهون من كل ترعة
بنو الاؤم قالوا ما بغيل اسود

صدر الاسلام لاعلاء الدين وكلمته . واما الان فقد
افضى الامر الى مدافعة الانسان حريمه وذريته ،
فتشتد عزيمته ، وتناكد فريضته ، فيا لله ويا للابطال!
ويا لحماة الزمان من الرجال ! هل فيكم من يعين
المسلمين ؟ ! ويستنصر لآخوانه المومنين ؟ او من تهزه
ارحية التعطف فيلبي نداء المستصرخين ؟ او من له
انفة ابية لا يرضى بترك اخوانه بين اظهر المشركين ؟
الا متعصب للدين ؟ الا من فيه غيرة على المسلمين ؟ الا
من له شفقة على المومنين ؟ الا من فيه رحمة
للمستضعفين ؟ الا ذو همة كريمة ! الا من له عزيمة !
الا شخص لا يرضى بالعار ! الا شخص لا يبقى مع
المراضع في الدار ! الا نفس لا تقبل التخلف مع عجرة
النسوان ! الا من يابى ان يعد من جملة الصبيان ! اما
والله لو سمع هذا من تقدمكم من اهل الصلاح ، لبادروا
الى الكفاح . ولو عاين ما وقع من فساد من سبق من
الابطال ، لم يرجوا على اهل ولا اطفال ، ولو ابصر اهل
النجدة ما جرى في الاسلام ، لراوا ان الخير كله في ورود
الحمام . عجا كيف يستبيح الدل مقدم ! ام كيف
يجبن اريب همام ! ام كيف يتاخر متعصب لدينه ! ام
كيف يتوانى مساجل عن نفسه وثمانه ، ام كيف
يتردد من يريد حماية الاوطان ، ام كيف يقصر من
يسمى لنفسه واهله في الامان ! ام كيف يصح في الاذهان
توشية بملايس وتيجان ! ام كيف يستطاب طعام او
شراب ، او تضاجع ذوات الخدور الاتراب ! ام كيف
تبقى في العيون قطرة من المدامع ، بعد تشييد البيع
وتخريب الصوامع ! ام كيف لا يتضمخ الانسان بالاحزان
على محارب تعمر بالقرءان صارت لثواقيس الرهبان !
ام كيف يريد الحياة كرام ، بعد اخذ حصون الاسلام !
ام كيف يلذ قرار ، بعد اخذ سواحل البحار ! ام كيف
يصحو عن الاسى عاقل ، بعد اخذ المراسي والمعاقل . . .

الرباط محمد حجي

الاول (الاسعاف والانجاء في ذكر الآيات الواردة في
فضل الجهاد) . والثاني (لباب مراقي الجنة) جمع
فيه نحو 130 حديث في فضل الجهاد واهله والنفقة
فيه ووعيد تاركه . . . ثم جاء ولده عبد الهادي المتوفى
عام 1056 / 1646 فأخرج كتاب (فلك السعادة الدائر
بفضل الجهاد والشهادة) وهو اختصار لكتاب مطول
له في الموضوع لم تقف عليه ، قال عنه في المقدمة انه
يحتوي على 12 بابا و 28 فضلا . واما فلك السعادة
فيتركب من مقدمة في مشروعية القتال ، واثنى عشر
بابا ، الاول في الامر بالجهاد وحكمه وآدابه . . . والثاني
في معرفة من يحارب وفي شروط النكاية والمهادنة ومنع
الاستعانة بالمشرك . والثالث في فضل المسارعة الى
الجهاد ، والرابع في ذم الفرار وفضل القيام في الصف .
والخامس في فضل انغماس العدد القليل في الكثير .
والسادس في فضل الجهاد والمجاهدين وترجيح الجهاد
على الحج وترجيح غزو البحر وشهادته وفضائل
الجرح في سبيل الله . والسابع في وجوب النفقة في
سبيل الله وتجهيز الغازي . . . والثامن في الامر باعداد
العدة وفضل الرمي والخيول . والتاسع في الرباط
والحراسة . والعاشر في فضل الشهادة . والحادي
عشر في بعض قصص المجاهدين والشهداء . والثاني
عشر في الفنائم واحكام القلول والجزية وفداء الاسرى .
وينتهي الكتاب بخاتمة في ذكر النقل والسلب والامان .
وفيه الى جانب الاحكام الدينية والتفصيلات الفقهية
والمذهبية المتعلقة بالمواضيع الواردة في العناوين السابقة
صفحات ادبية رائعة حيث يقف المؤلف من حين لآخر
متحسرا على الحالة الصعبة التي يعيش فيها المغرب
آنذاك ، متاملا في الاخطار المحدقة به ، فتجيش عواطفه
ويخط قلمه فقرات ملتبة بالوطنية الحققة والقومية
الصارخة ، منها : « وانه - الجهاد - وان كان كفاية
فهو الان على التعمين لاجل ما عرض ، اذ كان واقعا في

فضلا عن المدينة البيضاء (فاس الجديد) . ومع ذلك كان للرسالة السابقة مفعولها ، وصدر عن العدوتين جوابان لا يختلفان في مضمونهما من حيث التعبير عن الشعور بالواجب ، والحماس الفياض ، والاستعداد الكامل للدفاع عن حوزة البلاد . والجوابان الى ذلك تحفتان ادبيتان ، اولهما من انشاء محمد بن قاسم ابن القاضي المتوفى اواخر عام 1040 / 1631 باسم سكان عدوة القرويين ، والثاني بقلم محمد المكلائي المتوفى عام 1041 / 1632 على لسان اهل عدوة الاندلس . وقد جاء في جواب ابن القاضي بعد مقدمة طويلة مسجعة : « ... فاعلموا حفظكم الله ورعاكم ، وأخصب بكمه وكرمه روض مجدكم ومرعاكم ، ان كتابكم الكريم ، وخطابكم العظيم ، وصل للقراء في البلد ، واجتمع عليه في الجامع الاعظم الصغير والكبير والوالد والولد ، حتى لم يبق من اهل المدينة من الخاصة والعامة احد ، وصاحوا كلهم عند سماعه صيحة واحدة ، تقطعت عند ذلك لسماعها القلوب والافئدة ، ونادت جميع العباد : يا للمسلمين ويا للجهاد . واقبلت الناس بالوفود ، واقشعرت من ضجيجهم المسامع والجلود ، وفاضت من شدة غيرة الاسلام مدافعهم على الوجنات والحدود . فياله من مجمع عظيم يجلب عن الصفة ، ومشهد كبير لا يصفه الا من حضره وعرفه ، فاجتمعوا وتالفوا ، وتعاهدوا وتحالفوا ، ان كل من تخلف منهم عن هذا الامر العظيم اذا صدر ، ان دمه عندهم هدر . وعقائد الايمان والحمد لله في قلوبهم راسية ، وقلوبهم على الكفار والمنافقين قاسية . واما ما اشرتم اليه من ان العدو والكافر ، اخذ في جمع عسكره وجيشه المديد الوافر ، وانه قاصد لهذه العدو ، ومرس بمالقة هي عنده الان دار الندوة ، فويل للكفرة الفجرة ، الم يعلموا ان الواحد منا للعشرة ، وتبا لهم من فئة ، الم يعلموا ان العشرة منا للمائة . واما ما ذكرت انهم جمعوا ستة وستين غرابا ، فسيمود ذلك عليهم ان شاء الله حسرة وعذابا ، فويل لهم ولما جمعوا ، وتبا لرايهم وبئس ما صنعوا . ولكن لو كان كبيرهم الذي علمهم السحر معه عقل وازن ، لذكرهم بغنيمة وادي المخازن ... » .

وفي صدر جواب المكلائي :

شهد الاله وانت يا ارض شهدي

انا اجبنا صرخة المستنجد

لما دعا الداعي وردد صوته

فمنا لنصرته ولم تنرد

وبعد مقدمة مسجعة يقول : « ... فكتابتنا هذا اليكم من فاس - حرسها الله - وصنع الله في ربمان الشباب ، والعزم على من حاربته متوقد الشهاب - شكرا لله - وقد وصل كتابكم ففضضنا ختامه ، وتصفحنا اخباره واعلامه ، فاذا السحب وانواؤها ، والبروق وقد خفق على راس امير الكلم لواؤها ، فسجد له كل بليغ واقتررب ، وبايعه رعايا الكتاب منشدين فسمعا للامير العرب ، وطاعة لداعيه للجهاد واخلاص النية لرب العباد . وما هو الا النذير العريان ، وخبر الواحد الذي صار كالعيان ، اشار الى جلية خبر العدو - دمره الله - وكيف لا يأخذ في التاهب والاستعداد ، ونادى كلابه من اقاصي البلاد . ظانين انهم يعودون بالخلف وينقلبون ، (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسيففونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ، وانه شجن اساطيله بمرسى مالقة - اعادها الله - وما كان منه من الاستنفار بعد النفار ، - فما ذكرت من ناسيا . ولا استحثتم لنصرة الدين وانبا . ها نحن بعد التاهب واخذ الحذر ، طيرنا بالخبر في الافاق ، اجنحة الاوراق . وحملناه الركبان والرفاق . فانسوا من هنالك من طوائف المجاهدين بانجاز الله لهم موعد نصره . وبلج افق الاسلام عن سناء بدره ... » .

وقبل ان نختم هذا العرض الخاطف نشير الى ان كتبنا اخرى قد الفت في موضوع الجهاد خلال الفترة التي نتحدث عنها زيادة على كتاب ابن يحبش التازي المتقدم . منها كتاب عيسى بن محمد البطوي من علماء جبال الريف في اوائل القرن الهجري الحادي عشر . سماه (مطلب الفوز والفلاح ، في آداب طريق اهل الفضل والصلاح) - مخطوط في مجلدين ضخمين - خصص الباب الثامن منه لحكم الجهاد والرباط وفضائلهما وتمنى الموت . وفي اثناء الابواب الاخرى حرص في كل مناسبة على ذكر مقاومة الاجنبي ، وبخاصة من طرف الشيوخ الذين درس عليهم وكان لهم قدم صدق في الدفاع عن الوطن . وقد عرف الجهاد لغة وشرعا ، واتى على ذكر اقسامه والاصل فيه ، وشروطه وفرائضه ، وبماذا يتعين ، وفيما يقاقل به . وفضائله وآدابه . وكتب عشرات الصفحات في فضائل الجهاد مستشهدا بآيات واحاديث واشعار ، وروى قصصا عدة للمجاهدين ...

والف عالمان من شرفاء سجلماسة الحنينيين كتبنا في الجهاد . اولهما الحافظ عبد الله بن علي بن طاهر المتوفى عام 1044 / 1634 . الف كتابين سمي

ويقف الاخ التواتي وقفة طويلة عند الاحداث البارزة في تاريخ الاندلس والتي يسميها وامثالها عبد الله عنان بالمواقف الحاسمة كوقعة الزلاقة والارك والعقاب .

وعند ما حل موضوع تدخل المرابطين بالاندلس (ابتداء من ص 309) رأى أن نقل المعتمد الى المغرب منفيا كان من باب الحكمة ، والواقع أن هذا الرجل كغيره من امراء الطوائف لو عاش هذا العصر في بلده للقي أسوأ مصير ، فقد خان الامانة التي كانت بين يديه ومد يده الى العدو بعد أن خشي على نفوذه من المرابطين ، فكان نفيه اشفاقا ورحمة من المرابطين ، هذا اذا تركنا جانبا ، الظروف التي قضى فيها بقية حياته وعبر عنها في شعره العاطفي الذي أنسى اخواننا من مؤرخي العرب كل شيء عن موالاته للعدو ضد اخوانه المسلمين .

وقد اهتم المؤلف الى مواقف الخيانة التي طالما اظهرها امراء الاندلس في الوقت الذي كان فيه ملوك المغرب وشعبه يضحون بأنفس ما يملكونه لاقرار الوجود الاسلامي بالاندلس .

وقد شغلت حوالي 150 صفحة من الكتاب ظروف سقوط الاندلس واسبابه بها في ذلك :

- (1) انعدام الوحدة في النضال العربي
- (2) الثورات الداخلية
- (3) تدخل المولدين والصقالبة والبربر
- (4) التدخل النسوي في شؤون الدولة والاعتقالات والخيانة
- (5) نشاط فلول الاسبان بالشمال
- (6) التدخل الكنسي
- (7) الاستنجد بالمغرب
- (8) انعدام الروح الاسلامية في علاقات العرب بالاسبان .

ويمكن القول بأن هذه الاسباب متكاملة . لولا أن الترتيب المنطقي كان يحسن أن يبدأ بالسبب الخامس يليه الثالث فالرابع فالثاني فالسادس فالاول فالثامن . أما العامل السابع فلا نتفق مع الصديق التواتي في اضافته الى باقي عوامل الانهيار ، فالمنطق يقتضي أن الاستنجد بالمغرب طبعي في ظروف كالتي اجتازتها الاندلس من يوم نشأتها دولة اسلامية ، وقد ظل العرب فيها اقلية حتى في أسعد أيامهم والا فكيف نحكم

بأنسجام « انعدام الوحدة في النضال العربي » و « انعدام الروح الاسلامية في علاقات العرب بالاسبان » مع عامل الاستنجد بالمغرب ؟ .

وعلى كل ، فالمؤلف وجهة نظره فيما يرجع الى قضية التدخل المغربي بالاندلس حيث يعتبره « شعورا باقتناع الاندلسيين بعجزهم عن الوقوف منفردين في وجه هجومات اعدائهم النصاري » (ص 626) .

ولا بأس أن نلاحظ في هذا الباب ان التدخل المغربي بالاندلس لم يكن وبالا بأية حال وفي أي وقت على الاندلسيين ، فانطلاقا من جيش طارق الذي فتح بأسلحته الاندلس ، نشهد التدخل المرابطي الذي أخر سقوط الاندلس لمدة اربعة قرون والموحدي الذي واصل اقرار الوجود العربي ثم التدخل المريني الذي لم يتدخل ابطاله عن نصرة هذه البلاد حتى بعد اندحار جيوشهم النظامية اذ لعب المتطوعة المغاربة اكرم دور بطولي في جهاد العدو ، ودون أي طمع مادي ، حتى أضر لحظة من الوجود العربي . وفي جميع ظروف السيطرة المغربية كان الاندلسيون يعين منهم كثير من قواد الجيش وعديد من القضاة والولاة والموظفين ، ويفتح البلاط المغربي على مصراعيه لاستقبال مفكريهم وشعرائهم .

واخشى أن انساق هنا مع ذكرياتي عن تاريخ الاندلس وأحداثها على حساب افكار المؤلف الخاصة وطريقته الطريفة في ربط الاحداث بأسلوب عذب قلما تعرض به أحداث الاندلس خاصة .

ان كتاب الاخ التواتي هو تعليق مركز على الجانب المأسوي من تاريخ الاندلس ، وهو مع ذلك لا يخلو من معالجة للاحداث البارزة مع اختيار المؤلف لطريقة العرض المباشر في أغلب صفحات الكتاب وهي طريقة تتفق تماما مع الاتجاه الذي اختاره في معالجة الجانب المذكور من تاريخ الاندلس .

وموجز القول ان كتاب مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس جدير بالقراءة وهو غني بالآراء والافكار النيرة ، بل يصلح أن يوضع بين يدي طلاب الجامعة ليناقتشوا آراء ونظريات مؤلفه ، ويطلعوا على جوانب خفية من عوامل انهيار الاندلس لان مأساة الاندلس حظيت بالوصف أكثر مما حظيت به العوامل التي أدت اليها .

فاس : ابراهيم حركات



مأياة انزيا الوجود العربي في الاندلس

تأليف : عبد الكريم التواتي
تعليق : ابراهيم حرمانات

نشر الاسلام ، فيها كل الضمانات لابعاد كل خطر لا
عن العرب وحدهم ولكن عن المجموعة البشرية
قاطبة .

قد تكون افكار المؤلف هنا وفي اي موضوع آخر
من الكتاب قابلة للمناقشة كاية افكار اخرى مهما سميت،
ولكن لا مراء في ان تاريخ الاندلس ومصيرها جديران
بأن تستخلص منها نتائج عملية في تسيير دفة الحكم في
العالم الاسلامي قاطبة . وهذا ما فعله الاستاذ التواتي
بحق .

وفي الفصل الاول من هذا الكتاب يتناول الاستاذ
موضوع العرب قبل الاسلام وهنا يلتفت مرة اخرى الى
بعض الافكار الذكية التي يستند فيها الى مراجع حسنة،
وهو فيما نفهم يمهّد لتقابلية العرب للحضارة وتأثيرهم
المباشر في هذا الباب بالاندلس كما في غيرها .

على انه من الصعب ان نستعرض فصول الكتاب
واحدا واحدا فقد تناول مختلف مراحل التاريخ الاندلسي
من غير ان يدخل في تفاصيل الاحداث غالبا ، حيث يطل
من عل ، وبمنظار مكبر ، على هذه الاحداث ، مسجلا
نتائجها ومحللا اسبابها ثم يقدم ذلك بأسلوبه الادبي
الشيق الذي تستأثر به العاطفة وينساق به هول
المصير وهو بعد في ثنايا مراحل الاضطراب الاولى من
تاريخ ذلك الفردوس المفقود .

يقع الكتاب في 688 صفحة ويشكل اكثر من
نصفه عرضا تاريخيا للوجود العربي في الاندلس وهذا
القسم بالذات تتناوله مصادر قديمة وحديثة كما هو
معلوم ولكن الاستاذ التواتي نزع عنه صبغة الإبحاث
الجافة التي تكتنفها او تذيّلها النقول والمراجع ، وقدم
الينا في أسلوب شيق ادبي هذا العرض التاريخي الذي
نحن احوج ما نكون اليه مجتمعا بعد ان كتب ولا زال
متفرقا في الابحاث والرسائل الجامعية والخاصة فضلا
عن المصادر القديمة .

والآن لننتقل مع الاستاذ التواتي في مقدمته اولا،
فهو هنا يدلي ببعض الافكار الجريئة التي وان لم تكن
لها علاقة مباشرة بالموضوع فهي نتيجة عملية يجب
استخلاصها من عبرة انهيار الوجود الاسلامي في
الاندلس ، الا وهي الدعوة الى وحدة عربية اسلامية
قبل الدعوة الى وحدة افريقية حيث يرى المؤلف في
مقدمته ان العرب اضعوا الاندلس (او هكذا تتضح
فكرته على الاقل) حين اقاموا علاقاتهم بأولئك القوم
(اي المسيحيين) على اساس غير ديني محض ، وحين
اضحوا لا يهتمون الا بالمظاهر الدنيوية لتلك العلاقات ،
فكانت ان حاقت بهم النتيجة الحتمية لكل علاقة من هذا
القبيل .

ويرى المؤلف تأكيدا لكلامه ، ومن خلال الاخطار
المحدقة بالعرب « ان الدعوة الى الله والعمل على

محرك ، او رحالة واسع الاسفار ، او مؤرخ خبير
باسرار التاريخ ، او مطلع عليم بموضوعات الاسفار .

من اجل كل هذا يحظى هذا الخليفة الجليل
بتقدير الاميرة (صباح) واعجابها وبحبها العميق
والتفاني الذي لا حد له ، وهي - من جهتها - جديرة
منه بالاعجاب والمحبة ، اذ وجد فيها المرأة الكاملة ،
اللبقة الذكية ، الحازمة القوية المجدة الصامدة ، ووجد
فيها المرأة العظيمة التي تقدر العلم وتحب مصاحبة
العلماء ، لقد كانت عند حسن ظنه في تولي الشؤون
الصفيرة والكبيرة وفي التدخل لحل المشكلات على
الوجه المرضي الموفق ... وافتتن بها الامير اكثر ،
وهي تلد له ولي عهده (عبد الرحمن) ولكن لما مات
هذا الولد كانت قوية في تقبل الصدمة والصبر عليها ،
وما مضت مدة حتى ولدت ولدها الثاني (هشام)
وبذلك صارت (ام هشام) وراعية ماهرة لشؤون هذا
الولد ، واختارت له اختيارا من يقوم بحاجياته الصحية
والتعليمية والمالية ... وهي في هذا الصباح - فعلا -
بصد اختيار احد الرجال الذين سيوكل امر ابنها بهم ،
وتخامرها هنا رغبة في ان يكون من بينهم رجل بالذات ،
رجل تريده - في الواقع - قريبا منها ، وقريبا من
والدها . لقد وصفوه لها وصفا خلابا ، وصفته الجواني
مدلهات بجماله واكتماله وشخصيته البارعة ، وصفه
خدام القصر كرجل لبق محنك لم تر مثله بأعينهم ؛ بل
ان الخليفة نفسه معجب به وبرسائله التي يكتبها الى
المنظلمين الذين يفدون الى قصر الخليفة بقصد
التشكي ، فرسائل (محمد بن ابي عامر) صارت
ترضي متعة يجدها الخليفة في قراءتها ، ان لها طعما
خاصا ولذة خالصة في بلاغتها وسبك معانيها وعدوية
بيانها ، لكم يتوق الامير ان يتكاثر المشتكون ليتوصل
بأكبر عدد ممكن من هذه الفرائد الادبية الممتعة ! لهذا
لا عجب ان وجد الخليفة في نفسه عطفًا خاصا على هذا
الشاب ليعين وليا على امور ابنه العزيز (هشام) .

— 2 —

لم تهتم الاميرة (صباح) فجر هذا اليوم ،
بأصداء الموسيقى التي كانت ترددها جنبات القصر ،
ذلك لان سمعها وبصرها وكل حواسها كان يستغرقها
اعجاب عظيم بالرجل ، الرجل الذي دعي الى تولي
شؤون الطفل (هشام) ، فأقبل على القصر مهيب
الطلعة ، بهي الشخصية ، براق النظرات ، فتان
البسمات ، نظيف اللبس ، انيق اللحية مرجل الشعر

فواح العطر ، بالاضافة الى اللفظ المختار والفكرة
العميقة ، والثقة بالنفس في غير شموخ او كبرياء ،
والرقة في الجانب من غير تذلل او استخذاء ... كان
الرجل من الرجال الحازمين القائمين على شؤون
الدنيا ، العارفين بأسرار صدور الرجال وبأسرار
صدور النساء ايضا ؛ لقد وفى للخليفة العظيم حقه من
الاجلال والتعظيم ، ومنحه محض السمع والطاعة ،
وابدى له كامل الاستعداد لخدمته والتفاني في الاخلاص
له ... اما الاميرة (صباح) فقد اقبل عليها اقبال
الحظ السعيد ، وسد امامها كل حيز او مجال ، فلم
تعد تراه الا هو ، لقد نصب نفسه لان يحب ويهام به
ويرى الاحلام ، احلام اليقظة وال المنام ! الا انه حذر على
نفسه ان ينزل في غرام يثير حوله الاقاويل وشكوك
الامير ولي نعمته .

فتن (صباح) ان يكون (محمد) ممتازا الى هذا
الحد ، فهو رجل ذو اناقة جذابة وحديث ممتع ،
وادب شامل ، له خبرة بشؤون العلوم والآداب ، وفنون
الحساب والتنجيم ، واساليب التهذيب والتعليم ،
وخطط سياسة الممالك والامصار ... ان الاميرة
تكاد تكشف في (محمد) كل يوم جديدا من براعته
وخبرته ، حتى انه ليستطيع ان يفيد البستاني في
غراسة خضره وبذرهما ، واستنبات الزهور والرياحين
وتلقيحها ، وهو ان صادف الطباخ عرفه بفنون غريبة
من الاطعمة من شأنها ان تعجب الخليفة والاميرة على
السواء .

— 3 —

قالت (صباح) لوصيفتها الخاصة :

— اين هشام ؟

فابتسمت الوصيفة الذكية واجابت :

— هو بين يدي مربيه ، لقد اخذه الى الرياضة
بعد طلوع الفجر فعاد منها يا مولاتي - كعادته - جليل
الطلعة كطلعة أمه حفظها الله ، ولعله الان منكب على
حفظ آيات من الشعر ...

— قاتل الله (ابن ابي عامر) ، هل يريد ان
ينشئ من ابني شاعرا يهيم بالجمال ولا يتحدث الا عن
الجمال ، ولا يعيش الا من اجل الجمال .. آه لو
رجعت صبية ، انني والله لاكتفي من المعارف كلها
بالشعر ! ألم يتكفل الشعر بتطويع قواعد النحو والصرف
وعلوم الشرع والفلك والحساب ... اذن ، كل شيء

قصّة العكاد

أمّ الله أمّ هشام

للأستاذ : محمد احمد اشماعو

— 1 —

والشرفات التي تعجب كل الاعجاب بأقواسها المقرنصة ومصاريعها التي لمستها يد الصناعة الدقيقة فأخرجت منها تحفا خلاصة للعقول في النقش والحفر ، ثم أضاف الفنانون روعة الى روعة ، فجاءوا بالبسط النادرة والأرائك الفاخرة والمتكآت الناعمة والمرجرات المخرمة ، مع ما يلزم ويلائم من معلقات ومنشورات وستائر حريرية شفافة ذات ألوان مختلفة : في حمرة الورد ، وزرقة البنفسج وبياض الفل وصفرة الياسمين ...

ورغم أن الأميرة (صباح) لم تنم ليلتها الأخيرة نوما عميقا كافيا فلقد استيقظت في هذه الضحى قوية النشاط شديدة العزم ، على ثغرها ابتسام ، وفي قلبها انتعاش ، وإن كان في خاطرها هواجس ، وما كان لهذه الهواجس أن تشوب داخليتها ، ذلك لأنها أصابت من دنياها الكثير ، لقد انتقلت من قسوة البداوة ، وجفاء الحياة النصرية وصخبها وفجورها وخشونتها الى حياة الأندلس الإسلامية المتحضرة الوقور الطاهرة المليئة بما بهز الفؤاد ويهيج العيون ويمتّع الذوق ويشنف السمع ... أن قصر (الزهراء) على جانب عظيم من الجلال والعظمة ، والصناعة الدقيقة والتجهيز الباذخ ، وسيد القصر (الحكم) أيده الله في مستوى الرجل المثقف النابغة ، الشغوف بالعلوم والآداب وفنون الحكمة ، الخبير بالألحان الموسيقية والأوزان الشعرية ، الدواقة لعيون الأمثال والحكم والألفاظ والنكات ... ولا أحلى على نفسه من مجالسة محدث

تقلبت الأميرة الجميلة (صباح) في فراشها الوثير ، وأزاحت عنها الاغطية الصوفية الثمينة ، ولوحت بذراعها البضة الناصعة الى ما فوق رأسها ، فلامست شعرا رائعا فريدا في نوعه بين شعور النساء في (قرطبة) ، وبما أنه لم يخضع بعد للانامل التي تسويه وتمطره ، فقد بدا متهدلا على الجبين الوضاء والوجه المليح الجذاب . وعادت الأميرة (صباح) فتقلبت مرة أخرى في سريرها بدلال واسترخاء ، ثم هدأت مصيفة الى الجوقة التي كانت منهمكة تحست شرفة القصر في عزف نوبة (قائم ونصف العشاق) . ولم يكن في هذا العزف أي ازعاج لمزاج الأميرة ، ذلك لأن العزف يبتديء - بأمر من الخليفة اعز الله امره - مع الشروق في مجلس بعيد عن مخادع النوم بمسافات ، ثم تأخذ الجوقة في الانتقال شيئا فشيئا حتى تصل الى ما تحت الشرفات ، وبهذا يكون الاستيقاظ تدريجيا ، وبذلك ايضا تمازج الموسيقى ، في أول الامر ، أحلام النائمين ، ثم تأخذ في إخراجهم من عالم الرؤى الزاهية الى دنيا اليقظة الجميل : دنيا القصور الرائعة بحجراتها الزاهرة الانيقة التي بذل فيها مهرة الصانع خلاصة مهارتهم : هندسة ، وبناء ، وزخرفة ، وتلوين ، وتأثيت ، وتجهيزا . فقامت الجدران هكذا سالبة للآلآباب برخامها الصقيل ، وفسيفسائها اللون الدقيق ، ونقشها المعجيب الذي يجذب الانظار ويستهوئ النفوس ويبعث فيها الانتعاش والالتذاذ ، ثم هذه الأبواب

أحسن تنسيق وترتيب : جناح للآداب وفنونه ، وجناح للفقهاء ومذاهبه ، وجناح للتفسير بأقلام الأقطاب الإعلام ، وجناح للفلسفة وعلم التنجيم ، وجناح للطب والأدوية ... كل هذه المئات والآلاف من الكتب لم تستطع أن تنقد الخليفة العظيم ، الذي اقتناها وأفنى العمر الغالي في رعايتها ، ولا أن تؤخر أجله سنوات أخرى ، بل ولا يوما آخر !

وبينما هذا الخليفة الفتى هائم محطم الفؤاد ضائع الفكر إذا بوصيفات والدته المخلصات يطبقن عليه ويحملنه إلى والدته في حرص وعناية ، أن مسألة توليته الخليفة أصبحت محل نزاع واختلاف نظر ، فلا عجب أن انقلبت الأميرة الحزينة اليائسة الممزقة القلب إلى امرأة شديدة البأس ، ثابتة الجنان يقظة النظرات ، متوقدة العزم ، مستلهمة كل هذا من الرجل الأول في هذا القصر ، الحازم اليقظ (محمد بن أبي عامر) الذي جاء بخبرها أن عم ولدها يسمى في الاستيلاء على الخلافة بتواطئ مع جماعة من خدام القصر وخصيائه ووصفائه ! ومن عينها التائهتين ومن تمتعات شفتيها استمد محمد عزمه وخطته الحاسمة فذهب إلى قصر (المفيرة) عم هشام وأشرف على اغتياله دون تردد وبذلك خلا الجو واستقرت الأحوال ... !

— 6 —

سمحت الأميرة بعد أيام أن يبدأ اليوم ببعض القطع المعزوفة على العود منفردا ، أن لهذه الآلة الرخيمة النقرات لتأثيرا على النفس ، هو أقرب إلى التأثير الحزين منه إلى التأثير المفرح المذهب للأحزان ، ما دام الموقف يتطلب من الأميرة صبرا ومداراة لسكان هذا القصر من أقرباء الخليفة الهالك ... أن الحياة استمرار لا توقف معه ، وأمل لا يخالطه يأس ، وتجدد لا يلحقه بلى ولا فناء . ها قد عاد للجو صفاؤه ، واستأنفت البلبال تغاريدها ، وفتحت الورد أكامها زاهية نضرة ، بل أن البستانيين قاموا — بعد توقف — بشدب الأشجار وسقي الأغراس وتنظيف الممرات . كما عاد الكتاب وأصحاب البريد ومختلف الموظفين إلى أعمالهم ، وعادت الطباخات الحاذقات إلى مطابخهن يتفنن في تهييء الأطعمة والأشربة والحلويات اللذيذة السائفة ... فلماذا يبقى — بعد هذا — قلب الأميرة المسكينة ساكنا معطلا منفلقا ؟ لا مناص له من أن يتحرك وينفعل ويتفتح !

وهز قلب الفتى هذا الجو الحافل الذي يحيط به ، أنه بمثابة البدر ترمقه كل العيون بإعجاب وافتتان ... وحديثه نفسه أن ينصرف إلى متعه ومسلياته مسع الوصائف الصفار والوصيفات الصغيرات بين دروب الرياض ومنعطقاتها ... ولكنه كان قد تلقى الوصايا الصارمة من مربيه (ابن أبي عامر) بأن يكون رصينا متزنا في خطواته وفي دخوله على عليه القوم ، وفي سلامه على والده المبجل ، وفي تلقي ولاية العهد ، ثم في تقبل التحيات والتبريكات من الحاضرين ...

— 5 —

طلع الفجر ، وتبدد الظلام في الانحاء ، وانكشف النهار عن سحاب ثقیل حجب وجه الشمس وخلق النسيمات اللطاف التي اعتادت أن تداعب الأزهار المتفتحة وتحمل منها العبير العابق إلى أطراف القصر وإلى ما وراء الأسوار فتنتعش القلوب وتتشبع الصدور بنفحات العطر الزكي ، حتى البلبال التي كان من شأنها أن تسبق العازفين والعازفات بالتغريد أصبحت اليوم وهي ترسل صفيرا هو إلى الولولة والنحيب أقرب .

والأميرة (صباح) عاطلة من حليها والبستها الفاخرة متسريلة باللباس الأبيض الذي يغطي كل أجزاء جسدها من قمة الرأس إلى أخمص القدمين ، ووجهها من خلال المندیل القطني الأبيض يبدو كدرا حزيناً ، حمرة مiale إلى الزرقة ، والعينان منتفتحتان من شدة البكاء على الخليفة التي انتقل إلى جوار ربه . وبين الحين والحين كان يثير دمعها الغزير ذلك النواح المرير والعيول العميق اللذين ترسلهما الخادمت والوصائف وترددنهما عنهن جنبات القصر الفسيح الذي يطبق عليه الحداد ، لقد تبدت زخارف القصر ونقوشه كأنها من نوع تلك التزيينات التي يصنعها عبث بقضيبه ، وهو جالس على الأرض في غير اهتمام ، حتى إذا قام ، تخطاها بقدمه وتركها للرياح تعفيها وتمحوها محوا لا أسف بعده .

وتسلل ولي العهد تائها في جنبات القصر لا يدري ماذا سيفعل به ! لقد همسوا له أنه سيصبح خليفة وسلطانا وملكا عظيما ليس له في الدنيا مثيل في مملكته الواسعة المتحضرة الجميلة ، فهل هذا صحيح ؟ ها هي حجرات أبيه الفخمة الوثيرة الفرش ، المبتوثة الزرابي ، الفخمة الإثاث راكدة ... وهذه خزانته العظيمة في

أوقات المذاكرة والمطارحة الى حين يشعر الامير العليل بالانهالك ، وعندئذ يتحفه بقطعة شعرية لشاعر أو شاعرة من المشرق أو من المغرب وبذلك يبقى اثرا ممتعا في نفس الخليفة الجليل يبيت بخامره طيلة الليل ... !

— 4 —

لكم هو رقيق وبديع لحن هذا الصباح ، فالعازفون والعازفات حرصوا على ان يبدأوا يومهم هذا بنوبة (رصد الذيل) وبذلك تمتزج الاصوات والانغام متناسقة رقيقة ساحرة مما يجعل الاحاسيس تتضارب في النفوس بين الخشوع والاعتبار ، وبين الانتشاء والطرب ... لكن الامر مع (صباح) مختلف فهي لم تنفعل لما تسمع ما دام بالها منشغلا بمهمة عظيمة ، مهمة ضمان مستقبلها في هذا القصر السعيد الزاهر ومستقبل ولدها (هشام) العزيز .

لقد بذلت جهودا بكل ما لديها من اجلال وتقدير للخليفة وحب عميق لولدها ووله وافئتان ب (محمد ابن ابي عامر) لتضمن استقرار الاحوال بتنصيب ولدها (هشام) وليا للعهد . فمن يدري ما تخبئه الايام؟ ان الخليفة منحرف الصحة متدهور الاحوال بدرجة اصبح ينقص معها من فترات بقاءه في خزائنه العامرة ، ويكر بصرف العلماء والادباء من مجلسه ليختلئ بالحكماء واهل الطب يفحصونه ويجرون عليه تجارب عقاقيرهم ... دون تحسن يذكر .

واظلت الاميرة من شرفة مخدعها فاذا ب (محمد ابن ابي عامر) قائم قومة العزم والحزم المعهودة فيه ، ليشرف على الاعمال الكبرى والصغرى ، التي تنجز في هذا الصباح بمناسبة حفلة تنصيب (هشام) تلميذه وولد (الحكم) الجليل والضمانة الكبرى لبقائه عزيزا مكرما بهذا القصر . وبادرت نازلة لتشرف بنفسها على حفلة التنصيب بجميع مراحلها ، من اللحظة التي ادخل فيها الفتى الحمام لينظف ويعطر ويقص شعره ، الى الوقت الذي كان فيه بين يدي (العريفة) تلبسه لباسه الحريري ، وتشد نصفه بمنطقة من الديباج النادر ، وتعلق على كاهله رداء مزركسا فاخرا ، وتقلده خنجرا مرصعا باليواقيت والاحجار الكريمة ، وتميل الى راسه فترجله بمشط عاجي ثم تفرق الشعر عند الجانِب الأيسر من الراس ، بينما القرط الذهبي معلق بشحمة الأذن الفتية . وعندئذ بدا الامير الصغير في بياض ابيه ودقة ملامحه ، وفي قامته والدته واناقتها ...

في الشعر فلا تترك ولدي للشعر فلا خوف عليه منه ! .
— بصراحة — يا مولاتي — ان صبيك يميل من الان للجميلات اللينعات ، ولعله يرى الى اي حد تميل النساء الى استاذة فيريد ان يحظى بشيء من ذلك !

— لياخذوا الصغير فهو لهن ، أما (محمد) فهو اسكتي عليك اللعنة . اسمعي — بعد أيام — سينصب مولانا الخليفة محمد مسؤولا عاليا على مدينتنا هذه ، ووالله ان مدينتنا لسوف تصبح اكثر ازدهارا واوسع ثراء ، وسيجد حتى الفقراء وافر المال بين ايديهم ... اما نحن فسنفوز بهدايا لا يمكن أبدا ان نتخيلها او نتصور روعتها ، ما دام ذلك في استطاعة الرجل البارع (محمد) ... والله يا ملعونة لو طالبت بهدية لقطعت من لحمك بأسناني ، هل فهمت؟

— حاشا مولاتي ان ازعجها او اثير ذرات الغبار من حولها ، الرجال العظام للنساء العظيمات ونحن لسنا الا وصيفات ، فأين منا مقام الاميرة السامي .. ؟

— من هذا التواضع اخاف ! ان لك لعيونا قائلة ، فاقتربي مني افقوءهما لك واستريح !

هربت الوصيفة وبقيت الاميرة وحدها تنعم بتصورات الآمال والاحلام في فراشها ، ومن خلال الشرفة كانت تنعم بمناظر الرياض البهية وشمس الصباح المشرقة الساطعة الباهرة ، تحوم في طيها اسراب الحمام البيضاء ، هائمة عبر الجو الصافي الزرقة ، الرخي النسيمات ... لكم تهيج النفس وتثور الاحلام في مثل هذا الصباح عند رفاق الشعور ، من حيث يحلمون وهم منطلقون عبر الرياض الزاهرة بين الورد والازهار الناضرة بين المياه المتدفقة ايديهم في ايدي احبتهم ، ومناكبهم تطاول مناكبهم فلا تلحقها ، واجسادهم تحتك - عفوا - ببعضها فتشيع في الاجساد القشعريرة المثيرة ، حتى اذا وصل بهم التطواف الى خميلة ملتفة الاغصان ، وافرة الامن والامان ، ركنوا اليها وغابوا من حيث لا رقيب !

لقد سعت بكل ما لديها من لباقة ومن مكانة عند الامير حتى عين (محمدا) أمينا على القصر بما فيه من مال ومتاع واناس ! وسعت بحذر كبير ان تزيل كل شك من نفس الخليفة من جهة تصرفات (ابن ابي عامر) اما هو فقد اعانها على سعيها بلطفه العظيم ولباقة البالغة ازاء الخليفة بارواء شغفه الى الكتب ، بحيث كان يتوصل بوسائله الخاصة باخر ما انتجته قرائح العلماء والحكماء والادباء بالشرق والمغرب ، ثم يعطي من وقته للخليفة يقرأ له ، ويتناقش معه ، ويمدده

نعم ، هم يترقبون في المنعطفات ، ووراء الصخور ، وفي بطون الاودية - فرادى وجماعات - وبذلك يتمكنون من بقر البطون وبتر الاذرع والافخاذ وحز الرؤوس ، ومن يدري ؟ فمحمد المنصور جريء يتقدم دائما مشاته وفرسانه ، افلا يقع يوما في احد هذه الكمائن الفظيعة ؟ فليحفظ الله البطل (محمد) فما زال في قلوب احبائه حاجات فيه لم تقض !

— 8 —

مئات العازفين والعازفات اجتمعوا - في هذا الصباح من هذا اليوم - بجنبات الرياض وابهاء القصر تحت قيادة موحدة ، لعزف اللحن الاندلسي الخالد (التواشيح السبع) ، وكانوا متحمسين في عزفهم ، منسجمين فيه ، منتشين بالادوار الموسيقية التي يؤدونها ، ولا احلى على النفس ولا على النظر من اولئك الجواري الرشيقات الانيقات اللواتي اختلفن حسنا وبهاء وتساوين في الفتنة الطاغية السالبة للعقول ، لقد تبدبن كلهن منسدلات الشعور - السوداء والشقراء - حتى الاحضان ، عاليات الصدور دقيقات الخصور - ، عاريات الاذرع والنحور ، لا تكف السنتهن عن الانشاد ، ولا شفاههن عن الابتسام . ولا عيونهن عن التحديق الفاتن او الفمز الساحر ، ورغم رقة انامل وعدوبتها وامسانها الحريرية فانها كانت تشد على الاوتار شدا فيخرج اللحن عندئذ كاملا صدادا مطربا .

واختفى البطل (محمد) في هذا اليوم الحافل منواريا في احد الحجرات مع بعض الاقران . بينما قام على النشؤون الخليفة الشاب نفسه ، يساعده اقرب المقربين اليه . وقامت الاميرة (صباح) بواجبها في اليوم السعيد ، وان كان الحفل العظيم المقام اليوم هو بمثابة ماتم عظيم لامالها ، وبمكى اليم لحبها الذي سدفته ابتداء من هذا اليوم ! لقد خسرت الدعامة القوية الثانية التي كان يستند عليها قلبها الجريح ، وها هو الجريح عاد ينزف . وسيبقى ينزف الى ان ينتهي من اليوم سيصبح محمد رجلا لامرأة اخرى ، تكون هي اقرب اليه من كل واحدة ، اقرب الى شخصيته القوية . وطلعت البهية ، وبسمته الفاتنة ، وسمرت به الخلافة ، وجسده القوي وصحته الوافرة وحديثه الممتع ، وغزله الرقيق ، ورقته العجيبة ... سيكون صباحا معه وضحاها وزوالها ومساؤها وليلها الطويل معه ايضا ، وفي احضانه . ستؤاكلة وتشاربه وتحادثه وتغازله ... وياخذ هو بكفها في كف ، ويمضي بها الى

جولة بين الرياض بين الزهور الناضرة والعياء المتدفقة والاصنان المثمرة المتدلية والاطيار الشاذية المترنمة ، سيجدان في طريقهما عينا نابغة صافية فتشرب من مياهها العذبة في كف ، وستمترضهما بركة عامرة فينزعان عنهما ثيابهما ويرتيمان في مياهها الرقراقة ، وهناك تحت الماء تتشابك يداهما ، وتشد الذراع على الذراع وتطوقه الضفيرة المعطرة ، فلا تجد مناصا من الاعتذار له بضحكة رقيقة احلى على السمع من رنين الاوتار ...

ابن للاميرة (صباح) الرزينة الرصينة فسحة في الزمان والمكان ، ولو في حجرة من حجرات الخدم البسيطة تفلق عليها بابها وتطلق العنان لنواحيها ودموعها الغزيرة ، وتنتف شعرها وتعض على بنانها وتضرب على صدرها اسى ولوعة وحرقة على ضياع (محمد) سيد الابطال ومفخرة الرجال ذي المقدرة على جميع الافعال ... ولكن خشية الشامتين وتقولات المتقولين هي تضحك الان ملء شديها ، وتجري في خفة ابنة العشرة ! انها تعطي اوامرها وتراقب الخدم ثم - تفتنم الفرصة - فتطل على حبيب القلب ، حبيب العمر ، حبيب الابد ، فتراه اكثر ازدهاء ورونقا وفتوة ، انه بين خلصانه واقرانه في رقة عذراء وحيائها ، تملوه صفرة خفيفة لا يمكن ان يتفطن الى سرها الاهي !

ثق يا محمد ان (صباح) التي تقدرك رجلا شهما ابيا بطلا خيرا بالدنيا والناس ، لبقا في معاملة النسوة ، جبارا في امتلاك الباهن وقلوبهن ... ثق ان هذه المرأة ستفلق قلبها بعدك الى الابد ، لقد كانت تؤمل فيك وان لم تصرح ، وكانت تريدك لها وان لم تفسح ... اما وقد تجاهلتها فليسامحك الله ، ليسامحك على كرامة غالية اهلها ، وقلب رقيق شغوف تخطيته . ولتتها (اسماء ابنة الغالب) ابنة زميلك في الكفاح والجهاد ، ورفيقك في مقارعة اهل الشمال ، وفتح اراضيهم وافناء رجالهم وسبي نسايتهم ...

— 9 —

تمسكت الاميرة (صباح) بسندها الاخير الذي لم يبق لها سواه وهو ولدها (هشام) ، واخذت تعمل على تحريره من الحجر الذي جعلوه يعيش فيه ، وزينت له لذة التملك والتحكم والسيطرة ومتعة اعطاء الاوامر ثم رؤيتها بعد ذلك تسري نافذة بين الكبراء والرؤساء والموظفين لتنجز ، ودفعت به ليظهر امام افراد شعبه لسمع هتافات النصر واصوات الولاء

صغيراته وكبيراته ايضا ، ما باله يبحث عن المتاعب بنفسه ويرمي بها الى المصير المجهول ! لقد عزم - ولا راد لعزمه - على ان يقود الجيوش الداهية الى الشمال لرد هجومات النصارى الذين ارادوا ان يستغلوا فرصة موت الامير من حيث تصور اختلال الامور بمن بعده . انه لم يعد الا منذ ايام ، وها هو يشد الرحلة مرة اخرى مسريلا بالحديد مزودا بالسلاح القاطع ، راكبا على جواد مطهم يخضع لشدات اللجام خضوعا تاما ويتهادى وسط شوارع (قرطبة) تتبعه الهتافات العالية ودعوات النصر الصادقة . يا لله من هذا الرجل ! له يكفه اعجاب من في القصر من سيدات واسياد ، فرام الحصول على اعجاب الجماهير ، الجماهير التي تجد الرجولة والشجاعة وثبات القلوب ، ولا تريد دانما الا اخبار النصر ، لقد كادت هذه الجماهير ان ترفعه عن جواده وتضعه على الاكتاف عند رجوعه من غزوته الاولى المظفرة ، التي عاد منها تسبقه احمال الفنائم ، واسراب الاسارى المقيدين ، ويسير من حوله جموع المجاهدين يكسوه غبار ارض المعركة ويسيل على جباههم عرق الجهد والتحمل الشديدين اللذين اجبروا بهما النصارى على استسلام او الفرار . وابى القائد (ابن عامر) المنصور الا ان يصلي مع الجموع الراخرة على ارواح الشهداء ، ويخطب ببراعة منوها بهم . ومرجعا كل فضل اليهم !

انها لمواقف رائعة اعجبت اهل (قرطبة) وامتعهم . ورفعت من قيمتهم في اعين انفسهم ، فمن زمن بعيد لم يروا النصارى يمرون امامهم مقيدى اذلاء ، ومن زمن بعيد لم يسمعو عن نصارى الشمال يطلبون مهادنة المسلمين وامانهم بعد ان اضطروا الى رفع راية الاستسلام امام الاطال المسلمين وصمودهم ... واليوم هاهم بفضل شجاعة القائد المظفر (ابن ابي عامر) يذوقون حلاوة الانتصار ويتمتعون بحياة السلم والاستقرار والهناء .

الا ان للاميرة (صباح) رأيا آخر في كل هذا لا تستطيع ان تبوح به ! ؟ انها تعرف جيروت اقوام الشمال وشدة بأسهم وصمودهم في ميادين الكفاح المرير ، فهم ان غلبوا مرة ليس معنى ذلك انهم سيفلبون في كل مرة ، اذ تضامنهم يشتد في حالة العسرة والانهزام ويستعينون بجيرانهم اقوام النصارى الاقربين والابعدين ، ويزيد في عزمهم وصمودهم تحريضات القسس والرهبان والقواد القويى الشكيمة ... ثم ان وعورة مناطق الشمال الجبلية تجعل محققهم النهائي امرا مستحيلا ، وتربصهم بالمسلمين امرا متيسرا .

تخلص الاميرة لما تعترف ، فيما بينها وبين نفسها ، انها لا تشعر في هذه الايام بفراغ كبير في قلبها ! نعم ، ان هذا القلب كان يرتكز على ثلاث دعائم : زوجها الخليفة الجليل ، وابنها الغالى هشام ، وصفيفها الودود محمد ... اما وقد مضى السيد الجليل الى حيث لا أمل في رجوعه ، فلتشد بقوة على الدعامتين : دعامة الروح ودعامة القلب ، هشام ، ومحمد . محمد الرجل الذي هون عليها المصاب وآنسها برقيق اشعاره وبلغ حكمه ، وطرائفه ونكاته ... وبذلك حرك الدماء - من جديد - في عروقها ، وهز بدون رفق قلبها ، وافسح المجال واسعا امام خيالها حتى احست فعلا بالدفع يسري في شرايينها وبالدبيب المنعش يتمشى في اعضائها فيتمثل في وردتين متفتحتين على خديها . انها اصبحت تحب الدنيا من جديد !

ولم يغلت الرجل الحازم فرصة خلو القصر من رجله الاول ولذلك بادر - اول ما بادر به - الى اقضاء الصقالية الذين ارادوا ان يستبدوا بالامور بعد موت الخليفة . لقد قتلهم بدون رحمة وانهى مشكلتهم . اما (صباح) فلم يصعب عليه ان يستبد بها ! وكيف لها ان تعصى او تتمنع وهي تحت رحمة رجولته وقوة شكيمة ، وذكائه وحزمه ومرونته في نفس الوقت . لم تتردد في وضع زمام نفسها ، وزمام شؤون ولدها ، وزمام مسائل القصر - بمن فيه وما فيه - في قبضته مع كامل الاطمئنان الى استبداده اللذيذ وطفانيه العجيب !

غير ان الرجل وان كان صادقا مخلصا في تسيير الامور فهو ثمرة ناضجة بعيدة عن تناول الاميرة ، تشبهها ولا تجد السبيل لاشباع نهمها منها ، خشيت كانت ان تشبع وتعاف ، اذن فلتبق دائما مشتاقا مؤلمة ، ذات رجاء متصل بالليل وبالنهار !

— 7 —

غطت الابواق بزعيقها القوى على رنين الاوتار في هذا الصباح النكد ، واهترزت جنبات القصر بقصرع الطبول القاصف وهدير الفرسان الراعد ، وذلك ما زاد قلب الاميرة (صباح) انفلاقا على انفلاق . يا لقلوب الرجال ! ما بال (محمد) ... وقد اغدق الله عليه من النعم الكثير فاحيط بحب سيدة القصر الاولى وبتقدير الفتى المجيد (هشام) خليفة المسلمين الجديد ، وباعجاب صفار سكان القصر وكباره ، وباعجاب

أنباء ثقافية

* سميا وراء تدعيم الروابط الثقافية بين بلدان المغرب العربي الكبير : تونس — الجزائر — ليبيا — المغرب الأقصى .

فان النادي الثقافي أبو القاسم الشابي ينظم مسابقة في القصة الطويلة بين كتاب هذه الاقطار الشقيقة حسب الشروط التالية :

1 — ان تكون القصة باللغة العربية النصحى في اي موضوع يختاره الكاتب .

2 — ان تقدم في خمس نظائر مرقومة ، غير مكتوب عليها اسم المؤلف ومصحوبة بظرف يذكر بداخله الاسم والعنوان ، مع بيان عنوان القصة المعروضة .

3 — ان توجه في اجل اقصاه موفى شهر أوت 1968 باسم السيد رئيس (النادي الثقافي أبو القاسم الشابي) حي الوردية — تونس) . عن طريق البريد المضمون الوصول .

4 — ان لا تكون القصة قد نشرت او اذيعت .

الجائزة المرصودة : 1-000 دينار تونسي

واللاحظ ان مقدار هذه الجائزة وضعته الشركة التونسية للتوزيع على ذمة النادي قصد تشجيع الانتاج القصصي وهي تتمتع بنشر القصة الفائزة مع ضمان حقوق التأليف لصاحبها . وسيقع اسناد هذه الجائزة يوم 9 اكتوبر 1968 بمناسبة ذكرى (ابي القاسم الشابي) .

* اقيم في الرباط حفل تكريمي لفائدة المغرب الفذ استاذ الجيل الحافظ المحدث سيدي المدني بالحسني-

وقد اقيم هذا الحفل بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاته حضره بعض تلامذة الحافظ المدني ونخبة من رجال الفكر حيث افتتح الحفل بعد صلاة المغرب بالامداح النبوية وبعدها تقدم الاستاذ السيد عبد الله الجراري فتحدث عن أحد مؤلفات الفقيه وحلله

* في الموسم الماضي نظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي استفتاء حول قضايا ومشاكل اللغة العربية . وقد حظى ذلك الاستفتاء باهتمام المفكرين العرب والمستشرقين ، والمعتنين بالدراسات اللغوية والشرقية في العالم ، اذ حددوا في اجابتهم - التي نشر البعض منها في مجلة اللسان العربي ، العدد الخامس مع مقدمة وتلخيص وتعليق - انواع المشاكل التي تعترض سير وانتشار لغة الضاد ...

ومزيدا في بحث قضايا اللغة العربية وعلاقتها مع الانسان والعالم ، قرر المكتب الدائم تنظيم استفتاء آخر حول :

« علاقة الاسلام باللغة العربية »

والسؤال الموضوع هو :

هل هناك تلازم أو ارتباط ما بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ؟ وفي حالة الايجاب ما هو مدى التلازم أو هذا الارتباط ؟

اسئلة ايضاحية :

هل تناصرون الراي القائل بوجود علاقة سببية بين الاسلام واللغة العربية وانه لولا الاسلام لما تاتي للغة العربية ان تنتشر في العالم كما انه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ؟ — مهما كان جوابكم هل يمكنكم ان تتفضلوا بالاستدلال على صحة راىكم بواقع بيئتكم الاقليمية وبماضيها ؟

هلا تلاحظون في بلدكم بصفة خاصة وفي البلاد الاسلامية بصفة عامة ان الوعي الاسلامي والوازع الديني يقويان ويضعفان تبعا لما يعترى لغة الضاد من قوة وضعف وان العكس بالعكس ؟

ما هو مدى تأثير الفكر الاسلامي عن طريق لغة القرآن في اللهجات او اللغات الاقليمية في الاقطار الاسلامية غير العربية او لدى الجاليات الاسلامية في الاقطار الغربية او الاسيوية ؟

اذا كان هنالك تأثير ما للهجتكم الاقليمية في تعابيركم العربية المحلية فما هي نسبته ومذاه ؟ ما هي المكانة التي يجب ان تحتلها العربية في بلدكم بالنسبة للغات الاجنبية ؟

وهمهمات الدعاء ... ولكن من تخاطب ؟

ان ممارسة الحكم عند (هشام) عبء ثقيل ، لا يمر معه يوم دون ان يكون البال منشغلا ، والراحة منعدمة والنوم مستعصيا ، زيادة على النوايا الخافية والافراض المتعددة الكامنة في اقفاص الصدور ، وانى للحاكم ان يركن لاحد ركونا تاما او يثق به ثقة تامة ... ؟ فلم اجهاد النفس واغلاق الخاطر ورجل الدولة (محمد) قائم بواجبه في كل الظروف والاحوال ، مع المسؤولين جميعا على جميع المستويات ، كلهم يخافونه ويعملون تحت رقابة من صرامته اكثر مما يعملون من رقابة من ضمانتهم ... ثم هذه الفزوات الظافرة في ارض الاعداء ، لا يكاد يذكر تاريخ الاندلس ان دولة اسلامية هاجمت النصارى في عقر ديارهم مرات متتالية دون انهزام او حتى تراجع ... لا ... لا احد اولى مع (محمد) في تولي الامور ، فهو اكفا في تسييرها . اما (هشام) الخليفة الفتى ففي الاندلس الزاهرة على اتساع رقعتها ما يغري فتى مثله الى الفوز باللدائد والمتع حيثما كانت ومع من تيسرت !

لكن (ام هشام) لا ترى هذا الراي السفيه ، ان سليل الخلفاء احق بامور دولته التي اسسها الاجداد بالجهد والمرق والدم ، والامة لا تعرف الا خليفة وحيدا لها هو هشام ، ولا تعرف عن (ابن عامر) الا انه احد خدام الخليفة السابق ، واحد خدام الخليفة الجديد ، فلم يسمح لنفسه بان يتناول وان يتصدر ويتعنن ، فليبتعد ، او فليبعد ، مهما تطلب الامر من جهود واعمال وحتى دسائس ومكر ان اقتضى الحال ...

انه لم يعد للاميرة من عدو سوى (محمد بن ابي عامر) المكنى بالنصور ، والايام لا تزيدها الا شعورا بهذا الحقد المرير . انها تضرب صفحا عما مضى وتتناساه ، وتؤكد ان هذا العربي تجاوز حده ، حتى انه جعل من ابنها الخليفة (الشكلي) ، ومن نفسه الخليفة (الفعلي) ، وافرغ على شخصه الالقاب ، ويأبى

الا ان يظهر امام الخاصة والعامة بانه الحاكم المطلق التصرف ، بل انه يمهّد بذلك - كما يقال - ليصبح الخليفة الجديد ... لا بد من عمل شيء ، اي شيء !

— 10 —

استاء (محمد بن ابي عامر) لما بلغه ان (ام هشام) اخذت تحيك المؤامرات وتسمى سعيها مستمرا جادا لتبعده من ميدان الحكم ، فما كان منه الا ان اتصل بالخليفة ، واطلعه على ما يجري من اعمال مشبوهة داخل الاندلس وخارجها ؛ لقد عرف كيف يعرض آراءه ومعلوماته ويصوغها في القالب المثير لهذا الخليفة الناشئ ! وكيف لا يعرف وهو يخاطب تلميذا قديما عريقا في مواقف التلمذة خالدا في جوها ...

وتحرك (هشام) فاستدعى امه ، وافهمها ان امور الدولة لا تعنيها في قليلها او كثيرها ، وانها بتصرفاتها تعرض امن البلاد للخطر ، وقد ينور الشعب ويأتي على حكم الخلافة من اساسه ، وقد لا يتورع بانزال الضربات بالخليفة نفسه وبعشيرته ، وعندئذ لا يحمد احد عاقبة التصرفات الطائشة . وبادر (المنصور) فضيق الخناق على (صباح) واحاطها بجيش من المتجسّسات ، وفرض رقابة على تحركاتها ، وامر ان يخصص لها جناح من قصر الزهراء البهيج لا يكاد يقربه احد ، واوكل بها طائفة من عجائز الخدم يحملون اليها الطعام والشراب ويضفون الى جوها الكتيب كآبة اخرى بشكاوهم وبمعجزهم ...

وهكذا امست الاميرة السابقة لا يحلو لها الخروج الا في الامسيات الكئيبة العابسة من حيث تراقب بطرف كليل مفارب الشمس ، وتجد انسجاما كبيرا مع الافق المغطي بالسحب الباعث على القنوط والياس اما اصباحهم الزاهرة والحانهم الرائعة - هناك - فلم تعد تهمها كثيرا ولا قليلا . انها في نظرها اوهام باطلة في دنيا زائفة .

الرباط : محمد بن احمد اشماعو

* أقيم اتحاد كتاب المغرب العربي ، حفلة تكريمية للاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون ، بدار الفكر ، حضرها كثير من الادباء والمثقفين ، والمهتمين بالفكر ، تقديرا للمجهودات الجليلة التي بذلها الاستاذ كنون في ميدان الفكر والعلم داخل المغرب وخارجه ، وقد تكلم في هذا الحفل الاساتذة : محمد عزيز الحبابي ، وعبد الكريم غلاب ، وعلي الصقلي ، وعبد الله الكامل الكتاني ، وعمر بهاء الدين الاميري ، وكلهم اشادوا بأستاذية كنون وإياديه البيضاء في مجال التأليف .

وفي الأخير شكر المحتفى به ، اتحاد كتاب المغرب العربي ، والخطباء الذين نوهوا بأعماله .

* تأسست في الرباط « جمعية الآباء وأصدقاء الاطفال المتخلفين علقيا » .

* نظمت وزارة البريد سلسلة من المحاضرات الفنية التي تهدف الى اطلاق المهندسين على التطورات التقنية الحديثة في ميدان المواصلات السلكية واللاسلكية

* افتتح بالدار البيضاء مؤخرا معرض فني كبير للنحت ، عرضت فيه 76 عملا من الاعمال الفنية .

* « متنوعات الاستاذ محمد الفاسي » كتاب يصدر تقريبا عن رئاسة جامعة محمد الخامس ، بمناسبة ذكرى تأسيس جامعة محمد الخامس .

* زار تونس الاستاذ محمد بن تاويت ، لالقاء سلسلة من المحاضرات هناك . وقد أجرت معه جريدة « العمل » التونسية حديثا في شؤون الثقافة والفكر .

* احتفل في المغرب ، بالموسم الثقافي التونسي ابتداء من 12 فبراير الماضي الى 18 منه . وقد دشن هذا الاحتفال بمسرح محمد الخامس من جانب معالي كاتب الدولة في الشؤون الخارجية التونسية الحبيب بورقيبة الابن ، برفقة معالي وزير التربية المغربية ، ومعالي وزير الانباء ، وشخصيات ثقافية أخرى . وقد عرضت في هذا المسرح مجموعة قيمة من الكتب التونسية الحديثة ، وبعض المخطوطات النادرة ، كما عرضت عدة افلام من انتاج تونسي ، الى جانب مسرحية « بيرما » للشاعر الاسباني فيديريكو كرتيا لوركا .

وسيقام بتونس موسم ثقافي مغربي مماثل ، وذلك نتيجة الاتفاقية المبرمة بين المملكة المغربية ، والجمهورية التونسية .

* زارت المغرب ، بدعوة حكومية ، الفنانة المصرية المشهورة السيدة أم كلثوم ، وأحييت ثلاث حفلات ناجحة في مسرح محمد الخامس ، بمناسبة عيد العرش السعيد .

وقد احتفت بها جميع الاوساط المغربية احتفاء كبيرا ، وتركت خلفها صدى عميقا في نفوس مستمعيها وقد نقلت التلفزة المغربية حفلاتها الثلاث .

وقبل أن تغادر المغرب ، زارت فاس ، ومكناس ، ومراكش ، والدار البيضاء ، للوقوف على التراث المغربي النفيس ، كما قامت بالترحم على جلالة المغفور له محمد الخامس .

* صدر عن الدار التونسية للنشر كتاب « شموع على الطريق » لمحمد الصباغ ، كما سيصدر عن نفس الدار كتاب « رسالة الفكر » للاستاذ عبد الكريم غلاب .

* اقيمت عدة احتفالات كبيرة في سائر المدن المغربية تحييدا لعيد العرش ، وأصدرت الصحف والمجلات اعدادا خاصة بهذه المناسبة الكريمة .

* أصدرت وزارة التربية والتعليم مجلة بعنوان « اللقاء » ، كما أصدرت كتابة الدولة في الشبيبة والرياضة مجلة تعنى بشؤون الشباب ، والثقافة . والفكر . نتمنى لهما الازدهار والنجاح .

* قامت فرقة « المعمورة » بعرض مسرحية « ولي الله » في أهم المدن المغربية .

* قام بزيارة الى المغرب ، وفد برلماني ايطالي .

* نظمت جمعية ابن بطوطة بطنجة مهرجانا ثقافيا فنيا .

* عين الاستاذ مرسى زغلول ، مندوبا دائما للمغرب ، في هيئة اليونسكو .

* أصدرت مجلة « باري ماتش » عددا خاصا عن المغرب .

تحليلاً دقيقاً وبعده أخذ الكلمة الأستاذ حسن إبراهيم الكتاني الذي ارتجل كلمة تحدث فيها عن التقيد ودوره في التوجيه العلمي زهاء نصف قرن .

وبعده تحدث الشيخ المكي الناصري عن حياة التقيد بكلمة مستوفية .

ثم انتقل المحتفلون لتأليف لجنة « احياء تراث الحافظ المدني » من بين السادة الحاضرين ضمت حوالي خمسة عشر عضواً من رجال الفكر والادب .

* صدر اخيراً عن مكتبة الرشاد « مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس » والكتاب يطلعك على أهم أسباب انتكاسات العرب وتوقف انطلاقاتهم عبر القرون من لدن سقوط الاندلس الى سقوط القدس الشريف . كما يضع امامك الادواء التي اصاب الوجود العربي وتوشك ان تحول دون مواصلته الزحف لنشر دعوته الانسانية في العالم . كما يجلي غوامض الاسرار في الازمة الاندلسية ومأساة سقوط فلسطين الشهيدة .

هذا الكتاب .. « مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس » من تأليف الأستاذ عبد الكريم التواتسي المفتش بالتعليم الثانوي .

* اصدر الأستاذ السيد عنية محمد الحمري ديوانه : « الحب .. مهزلة القرون » .

* شهد المغرب مهرجانات كبرى بمناسبة ذكرى مرور اربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، حضرها علماء مبرزون من تونس ، وليبيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، ولبنان ، والاتحاد السوفيتي ، والباكستان ، والصين والسينغال ، والتشاد ، والنيجر وايران ، والسودان ، الذين وفدوا على المغرب ، بدعوة من صاحب الجلالة ، للمشاركة في هذه المهرجانات الكبرى ، حيث قاموا بقاء سلسلة من المحاضرات والندوات في مختلف المنظمات الثقافية في الرباط ، وغير الرباط ، في موضوع نزول القرآن ، والعمل بتعاليمه ودستوره ، حتى يعود للمسلمين مجددهم الغابر ، تحت راية هذا الكتاب العزيز .

* انعم صاحب الجلالة على العلماء الذين شاركوا في مهرجانات ذكرى مرور نزول القرآن ، بوسام الكتامة

الفكرية ، وذلك في حفل اقامه صاحب الجلالة تكريماً لهؤلاء العلماء .

* قدم اتحاد كتاب المغرب العربي ، مجموع الاكتاب الذي اشرف على جمعه ، لفائدة منكوبي العدوان الصهيوني ، وذلك الى سفير المملكة السعودية

* نظم سفيرنا بالمملكة الليبية ، الأستاذ عبد الهادي التازي ، معرضاً تاريخياً وثائقياً ، بمركز السفارة المغربية هناك ، عرض فيه الوثائق التي تهم العلاقات الليبية المغربية .

* مثل المغرب في مؤتمر العلوم الافريقية الذي انعقد مؤخراً في دكار الأستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس .

* في منتصف الشهر الماضي عقدت جمعية تاريخ المغرب اجتماعها العام ، وذلك في كلية الاداب بالرباط .

* في نطاق برنامج دار الشبيبة المدرسية الثقافية بالدار البيضاء ، نظمت ندوة ثقافية بعنوان « مفهوم الموت عند أندري مالرو »

* افتتح في المركز الفرنسي بالدار البيضاء ، في الاسابيع الاخيرة معرض طريف ، عرضت خلاله مختلف انواع لعب الاطفال التي ظهرت خلال القرون الماضية .

* صدر في سلسلة كتاب « العلم » رقم 5 ديوان الحرية للشاعر المرحوم عبد الكريم بن ثابت .

* صدر للأستاذ غلال الفاسي ، كتاب تحت عنوان « دائما مع الشعب » .

* اصدرت مجلة « الايمان » عدداً خاصاً ممتازاً عن الذكرى العظيمة لمرور اربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم .

* وزع معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش على العلماء الذين زاروا المغرب للمشاركة في ذكرى نزول القرآن نسخاً من المصحف الشريف الذي أمر باصداره صاحب الجلالة ، وصدر عن وزارة الاوقاف ، وذلك في حفل ببيت معالي الوزير .

تتكون من 16 أستاذًا من مختلف كليات الطب بفرنسا. وكان النجاح حليف الدكاترة : عبد اللطيف بريش ، عبد القادر التونسي ، عز الدين العراقي ، عبد الهادي مسواك .

* قام مكتب التربية الشعبية التابع لكتابة الدولة في الشبيبة والرياضة بانجاز شريط ثقافي حول حياة وكفاح الملك الراحل محمد الخامس . وقام بتوزيعه على جميع أقاليم المملكة لتقدمه في حلقات خاصة بالنوادي الثقافية ، ودور الشباب .

* تستعد مجلة «البحث العلمي» لإصدار عدد خاص في موضوع القرآن الكريم ، وذلك في إطار الاحتفال بذكرى مرور 14 قرنا على نزوله .

* ستوجه وزارة التربية والتعليم استاذين للتدريس في مدارس السينغال .

* انضم المغرب الى معاهدة استكشاف واستخدام الفضاء العلوي .

* عقد السيد وزير التعليم جلسة عمل خصصها لدار الحديث الحسنية ، لاعادة النظر في اصلاحها .

* توفي بالقاهرة الدكتور جمال الدين الشيال ، عميد كلية الآداب بالاسكندرية ، واستاذ التاريخ الاسلامي . وهذا الاسم اللامع معروف في الاوساط التعليمية والثقافية بالمغرب ، حيث قضى بين ظهرائنا مدة طويلة ، كان يشغل فيها بالتدريس ، والقضاء المحاضرات ، والمشاركة في الندوات الفكرية . كما ان له بهذه البلاد اصدقاء ومحبين . ومن مؤلفات المرحوم : « اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي » « مصر والشام بين دولتين » « رعاة الطهطاوي » « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي » « مجمل تاريخ دمياط والاسكندرية » كما قام بتحقيق كتاب « مفرج الكروب في اخبار بني ايوب » .

* صدر في تونس كتاب « اليس الصبح بقريب » للعلامة المعروف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

* قام الاستاذ الشاذلي النيفر بتحقيق مخطوطة « الفارسية في تاريخ الدولة الخصمية » وصدر الى الاسواق .

* أوصى الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب بأن تحفظ مكتبته بعد وفاته في كلية الشريعة بتونس ، لينفع بها بنو وطنه .

* « جيش التوشيح » عنوان كتاب لابن الخطيب ، وتحقيق الشيخ محمد مآخور ، صدر أخيرا في تونس .

* كما صدر للاستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب « الادب التونسي » .

* « الحان عربية على أوتار من الغرب » عنوان كتاب ، صدر حديثا للاديب الليبي فؤاد الكمباري .

* « تاريخ الرواية الحديثة » ، اسم كتاب صدر مؤخرا عن منشورات عويدات ببيروت ، وقد قام بنقله الى اللغة العربية الاستاذ جورج سالم ، وهو من تأليف ر . م . البيريس .

* المكتبة العصرية البيروتية أصدرت كتابا بعنوان : « الدخل والمالة والنمو الاقتصادي » من تأليف والاس بيترسون . وترجمة الاستاذ برهان دجاني . وقد نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين .

* احتجبت عن الصدور مجلة « افكار » التي كانت تصدرها وزارة الثقافة بالملكة الاردنية ، بسبب الظروف القاسية التي تمر بها هذه المملكة .

* صدرت عن دار نزار قباني ببيروت « الاعمال الشعرية الكاملة » للشاعر صاحب الدار .

* اصدر مؤخرا الاستاذ شاعر جابر قصة بعنوان « الهارب » والمؤلف من الكتاب العراقيين المعروفين في ميدان التأليف .

* انتهى الاستاذان خليل العطية ، وعبد الله الحيدري من جمع وتحقيق ديوان مسكين الدارمي .

* « اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى » عنوان كتاب صدر مؤخرا . وهو من تأليف الاستاذ نجدة فتحي صفوة .

* كتاب «أخبار الظراف والمتاجنين» لابن الجوزي صدر أخيرا بتقديم وتعليق السيد محمد بحر العلوم ،

* زار المغرب أخيرا الاستاذ نذير فائصة ، صاحب مجلة « الاخاء » الايرانية .

* نظم معهد « غوته » الالماني اسبوعا للثقافة الالمانية بالمغرب .

* في اطار العلاقات الثقافية بين المغرب والجزائر قامت فرقة المسرح البلدي لمدينة الدار البيضاء بعرض مسرحية « ديوان سيدي عبد الرحمان المجدوب » في مختلف المدن الجزائرية .

* نظمت سفارة المغرب بباريس بالتعاون مع المركز السينمائي المغربي ، اسبوعا للافلام المغربية ، بالعاصمة الفرنسية .

* درس معالي وزير التربية مشاكل جامعة القرويين وجامعة محمد الخامس ، مع المسؤولين عنها .

* القى الاستاذ البير ديترس استاذ العلوم الاسلامية بجامعة كوتبخين بالمانيا محاضرة بالعربية بمرج كلية الاداب بالرباط ، في موضوع « مساهمة العرب في تاريخ العلوم الطبيعية » .

* افتتح بالنادي الثقافي التابع لكتابة الدولة في الشبيبة والرياضة ، بمدينة القنيطرة معرض للرسوم الزيتية والنحت ، بمشاركة الفنانين .

* يوجد تحت الطبع — كتابان للاستاذ الكبير السيد عبد الله كتون .

* منحت جامعة لاغوس الدكتوراه الفخرية للاستاذ السيد محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس .

* اصدرت مجلة « اتصال » البلغارية ، عددا خاصا عن الاداب والفنون في المغرب .

* اصدر الدكتور عبد الكبير الخطيبي ، مدير معهد العلوم الاجتماعية كتابا بالفرنسية عن « القصة في المغرب العربي » .

* تصدر قريبا عن معهد العلوم الاجتماعية بالرباط، مجلة حولية تعنى بالشؤون الاجتماعية بثلاث لغات : العربية ، والانجليزية والفرنسية .

* انتخب الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، نائب رئيس للمجلس الدائم للمؤتمر الدولي للدراسات الافريقية الذي عقد مؤخرا في العاصمة السينغالية .

* نظم بتطوان مهرجان ديني كبير بمناسبة الذكرى الثانية والثمانين لوفاة العالم الشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون .

* يصدر قريبا عن المركز الجامعي للبحث العلمي العدد الحادي والثاني عشر من مجلة « البحث العلمي » .

* ترأس وزير التربية الوطنية مؤخرا اجتماعا لدراسة مشاكل التعليم التقني .

* زار المغرب في هذه الايام الاستاذ فانسان مونطاي مدير المعهد الاساسي لافريقيا السوداء بدار . والقى عدة محاضرات في كبريات المدن المغربية .

* سيستمر الاحتفال بذكرى نزول القرآن طوال هذه السنة ، بناء على تعليمات الملك المعظم الذي خصص لهذه السنة القرآنية ، مشروعات مهمة ، ستقوم حكومته بتنفيذها خلالها .

* فاز الراهب لوريديو ديات من مدينة طنجة بجائزة جامعة غرناطة عن رسالة اطروحته « المغرب في النصف الاول من القرن الثامن عشر » . وقد صدرت هذه الاطروحة في سلسلة تصدرها جامعة غرناطة بعنوان : « دفاتر عن تاريخ الاسلام » .

* نوقشت في كلية الحقوق بالرباط ، الرسالة التي تقدم بها الاستاذ محمد المزراني ، وهو من خريجي القرويين ، ودار الحديث ، وذلك لنيل الدبلوم في الدراسات القانونية . وتتكون الرسالة من 170 صفحة وكانت لجنة الامتحان تتكون من الاساتذة : عللال الفاسي ، والدكتور مأمون الكزبري ، والدكتور علي العبيدي . وقد فتحت اللجنة درجة الدبلوم في الدراسات القانونية للاستاذ صاحب الرسالة .

* جرت في الرباط ، بكلية الطب ، مباراة التبريز في الطب ، لاختيار اربعة اساتذة مغاربة للتدريس في الكلية المذكورة ، وذلك تحت اشراف لجنة التحكيم التي كانت

* جائزة مونسو الفرنسية التي تمنح لكاتب أجنبي اسمهم في نشر الثقافة الفرنسية ، منحت في هذه السنة الى الروائي اللبناني فرج الله حايك .

* صدر في حلب كتاب « فتح الله الصقال » من تأليف الاستاذ البدوي الملم .

* وفي نفس هذه المدينة اقيم تمثال للشاعر البحري * مجلة « الايمان » التي تصدر في النجف ، اصدرت عددا خاصا بالعدوان الصهيوني على فلسطين ، والبلاد العربية المجاورة .

* رفعت في دار الكتب اللبنانية صورة العلامة الشيخ احمد عارف الزين ، صاحب مجلة « العرفان » الذي توفي سنة 1960 ، عرفانا بجميله على الثقافة العربية ، من خلال مجلته « العرفان » التي أسهمت في الفكر العربي بنصيب وافر .

* « اصداف الصمت » ، للشاعر رياض فاخوري ، صدر في بيروت خلال الاسابيع القليلة .

* نعت لبنان الاديب الكبير رثيف الخوري . وللنفيد مجموعة من الكتب النفيسة في الادب، والبحث، والعلم والترجمة .

* صدر في هذا الاسبوع عن « دار اليمامة » في الرياض كتاب « أبو علي الهجري وابحثه في تحديد المواضع » ، وهو من تأليف الشيخ محمد الجاسر .

* صدر للاستاذ انور الجندي في القاهرة كتاب عنوانه « تطور الصحافة العربية » والكتاب دراسة عن الصحافة الاخبارية في مصر منذ نشأة الصحافة المصرية الى اوائل الحرب العالمية الثانية .

* يصدر قريبا للاستاذ انور الجندي اول حلقة من الموسوعة العربية الاسلامية عن الفكر والتاريخ الاسلامي والثقافة العربية . موضوع الكتاب الاول (الاسلام وحركة التاريخ) الكتاب دراسة شاملة لحركة التاريخ الاسلامي منذ فجر الاسلام الى العصر الحديث .

* يعد الاستاذ انور الجندي كتابين جديدين الاول : (اعلام واصحاب اقلام) يضم 52 دراسة لشخصيات

من اعلام العالم العربي في النصف قرن الماضي ، وسيصدر اوائل الشهر المقبل .
والثاني : (الاسلام وحركة التاريخ) يتضمن عرضا جديدا لتاريخ الاسلام وهذا تحت الاعداد .

* وقد صدر له اخيرا كتاب عظيم تحت عنوان : (الاسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب) ويقع في 400 صفحة بارك الله في عمر الاستاذ الكبير انور الجندي .

* نظم في احدى المتاحف ببلننفرد معرض للفن الرسم في الشرق القديم ، عرضت فيه مخطوطات مهمة . ومن بين المخطوطات نسخة للمقاتلات الحربية .

* سيحتفل في هذه السنة بمرور 1200 سنة على وفاة الامام ابي حنيفة ، وميلاد الامام الشافعي ، كما سيحتفل بمرور 700 سنة على وفاة السهروردي ، ومرور 550 سنة على وفاة ابي العباس القلقشندي ، و 100 سنة على ميلاد امير الشعراء احمد شوقي .

* اصدر الاستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين « شرح قصيدة صاحب بن عباد » في اصول الدين .

* صدر للدكتور صالح احمد علي كتاب بعنوان « موظفو بلاد الشام على العهد الاموي » .

* « الفكر العربي المعاصر » اسم الكتاب الذي صدر في لندن للكاتب الانجليزي ماكوري الذي يشتمل على دراسات في الادب العربي المعاصر .

* صدر في القاهرة كتاب « حياة شاعر » ، يتضمن حياة الشاعر السوفييتي بنفوشنكو ، الذي قام بترجمته الى العربية الاستاذ حليم طوسون .

* في طاجكستان ، انتهى طبع ملحمة الفردوسي « الشاهنامه » في 9 مجلدات .

* بدا في الجمهورية العربية المتحدة جمع الوثائق القانونية والقضائية والسياسية لمصر في جميع العصور لجرد هذه الوثائق وتصويرها وفهرستها .

* عهدت مكتبة الكونغرس الاميركية الى احدى دور النشر الانجليزية بطبع قائمة تحتوي على أسماء جميع

كما قام نفس المحقق بتحقيق كتاب « النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود . للمقريزي .

* صدر للشاعر حسان يوسف المطفى ديوان تحت اسم « غدا تلتهب الرمال » .

* فرغ الاستاذ عبد الله الحيدري من تحقيق كتاب « عقود الجمان في عدم صحبة أبناء الزمان » لمرتضى الكردي المتوفى 1133 هجرية .

* أصدر الاستاذ عبد الرزاق الهلالي كتابا يحمل عنوان « قصة الأرض والفلاح والإصلاح الزراعي في الوطن العربي » ، مشتملا على دراسة علمية لدعوات الإصلاح الزراعي في الوطن العربي والقوانين التي انتهت إليها تلك الدعوات .

* « شعراء من كربلاء » هذه الدراسة الشعرية ألفها في كتاب الاستاذ سلمان هادي الطعمة .

* صدر للاستاذ ديوان « لو ينطق النابالم » للشاعر محمد علي الخناجي .

* قام الاستاذ نجيب المانع بترجمة كتاب « دوستوينسكي » الى اللغة العربية ، وهو من تأليف الاستاذ رينيه وبليك استاذ الادب المقارن في جامعة بيل

* صدر في دمشق كتاب « الشرق الأحمر » من تأليف الاستاذ سلامة عبيد ، وهو عبارة عن انطباعات المؤلف عن الصين الشعبية .

* « رقائق الشعر في الادب والزهد والوعظ » مجموعة قصائد قام بجمعها وطبعها الاستاذان محمود مهدي الاستانبولي ، وخير الدين وانلي .

* في جدة صدر ديوان بعنوان « الشجرة ذات السياج الشوكي » وهو للشاعر محمد عمر عرب

* قام الاستاذ ادوار الخراط بترجمة رواية الشوارع العارية « للروائي الايطالي فاسكو براتوليني الى اللغة العربية ، وصدرت عن دار الاداب ببيروت .

* من الكتب المهمة التي كان لصورها صدى كبير ، كتاب « المود » ، وهو قاموس انجليزي - عربي ، قام بتأليفه الاستاذ منير البعلبكي .

* فاز الكاتب لويس كيو بالجائزة الوطنية للاداب الفرنسية . والكاتب يبلغ الثانية والسبعين ، وله عدة روايات منها « لعبة الصبر » و « الدم الأسود » . كما فاز الكاتب الفرنسي ايسين مارتن بالجائزة الوطنية الكبرى للفنون . وأحرز كذلك الكاتب روبر اسكارييت على الجائزة الادبية العالمية للسلام . ويبلغ قدرها خمسين الف فرنك بلجيكي .

* نعت القاهرة ، عميد كلية التجارة بها ، الاستاذ رضوان أحمد خالد .

* كما نعت الكاتب المعروف الاستاذ محمد توفيق دياب عن 82 سنة .

* كما نعت الدكتور محمد أحمد أبو الفرج ، الاستاذ بكلية الاداب بجامعة الاسكندرية .

* الكاتبة العربية ايكار السقاف ، اصدرت كتابا بعنوان « اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة » .

* « الكنايات العامة في سامراء » . صدر هذا الكتاب في بغداد لمؤلفه الشيخ يونس ابراهيم السامرائي .

* بقرار من المجمع العلمي العراقي ، سترجم « المعلمة الاسلامية » من اللغة الانجليزية الى العربية

* اوصت لجنة احياء التراث الشعبي بوزاره الثقافة بالعراق ، طبع «ديوان العباس بن مرداس» و «الحمان في تشبيهات القرآن » . وسيقوم بتحقيق الكتاب الاول الدكتور يحيى الجبوري ، وبتحقيق الكتاب الثاني الدكتور احمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديثي .

* صدر في دمشق الجزء الاول من « قاموس احياء الالفاظ » الذي قدمه وحققه وشرحه الاستاذ اسامة الطيبي .

* اتم الاديب الدمشقي سعد صائب ، ترجمة مجموعة شعرية للكاتبة السورية الأنسة ديزي موصلي الى اللغة العربية .

* ستصدر للمشتشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس ، طبعة جديدة من مؤلفه الشهير « الله اكبر » .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد :

| صفحة | |
|------|---|
| 1 | حول زيارة الوفد الفرنسي للاتحاد السوفياتي والجمهوريات الإسلامية |
| | دراسات إسلامية : |
| 5 | ركائز التفكير الإسلامي |
| 12 | عبره من ذكرى الولد والهجرة |
| 15 | خلود الإسلام |
| 20 | التوجيه العلمي وارتباطه بالتربية |
| 23 | في سبيل مصحح مفاهيم تاريخ الفكر الإسلامي والثقافة العربية |
| 26 | العلم والحضارة في الإسلام |
| 30 | لم يكن القرآن بلفه قرش ذهب |
| 35 | الإرثيون حديثا في الأدب العربي والفارسي والتركي |
| | أبحاث ودراسات : |
| 38 | نظرة في متجدد الآداب والعلوم |
| 40 | عوسيم السابقين |
| 45 | السبيلة والحضارة من منظور أخلاقي |
| 51 | ابن نضيم التتميم |
| 60 | ذكريات جامعية |
| 62 | محلل نقدي لنظرية العنصر عند الفارابي وابن سينا |
| 67 | التأويل القنطاري بين العلم والتشوه |
| 70 | التحكيم في الفقه والقانون |
| | ديوان المجلة : |
| 74 | ذكرى وعبره |
| 76 | ملاد النور |
| 81 | في ظلال القرآن سما |
| 83 | مولد النور والسلام |
| 86 | البيت الأهمي |
| 89 | اشواق وأحزان |
| 91 | السجسات |
| | دراسات مغربية : |
| 94 | فجر العربية بالقرب الأقصى أو المراكز الأولى للثقافة العربية به |
| 104 | أبو عبد الله الهبطي وأصح وقع القرآن بالقرب |
| 107 | استمرار كنز من أصول العوم المغربية في الفقه المربط والوطنية |
| 112 | حطية طارق بن زياد من جديد |
| 115 | وتألق أسدلية |
| 121 | أمثال تنبيه مغربية في سنون الحياة الاقتصادية |
| | معرض الكتب : |
| 129 | أخبار الصحراء |
| | أدب وفكر : |
| 136 | الكتاب بين النور والانسداد |

ثم العدد درهمان

صدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

الكتب التي ظهرت في العالم الغربي منذ اختراع المطبعة الى يومنا هذا .

* في لندن ، بيعت بالمزاد العلني مخطوطة من البردي تحتوي على شعر يوناني .

* لأول مرة تظهر موسوعة عن الخط العربي ، قام بتأليفها الاستاذ ناجي زين الدين .

* تقوم السيدة كور باعداد رسالة الدكتوراه عن السيدة أم كلثوم ، سيدة الطرب العربي .

* قامت رابطة العالم الاسلامي بترجمة صحيح البخاري الى اللغة الانجليزية .

* تم في القاهرة ، طبع ديوان الشاعر المراقبي الكبير ابراهيم الزهاوي ، بتحقيق الاستاذ عبد الله الجبوري .

* قرر وزير الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة ، ترجمة كتاب « انهيار الدولة الرومانية وسقوطها » .

* انشئ بالاسكندرية متحف للخط العربي منذ فجر الاسلام الى ايامنا هذه .

* قرر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالعربية المتحدة ، اصدار كتاب يضم بروتوكولات حكماء صهيون باللغتين الانجليزية والفرنسية ، لفضح دسائس الصهاينة ووسائلها غير المشروعة . وسيوزع الكتاب على 67 مركزا ثقافيا اسلاميا ، في آسيا ، واوروبا ، واميركا اللاتينية .

* اقيم في دمشق احتفال تخليدا للذكرى المئوية السابعة للطبيب العربي ابن النفيس .

* صدر عن المكتبة العصرية ببيروت كتاب « الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف » من تأليف البير حبيب .

* صدر باللغة الايطالية كتاب « تاريخ العرب » الذي ألفه المؤرخ اللبناني فليب حتى .



كلمة العروة

حول حلّة الوفد المغربي للاتحاد السوفياتي والجمهورية الإسلامية بـ

كانت المهرجانات الدينية الكبرى التي احتفل بها المسلمون في هذه السنة بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم منطلقا لبعث جديد ، ووعي رشيد ، وإيقاظ همم المسلمين ، وشد عزائمهم ، وتحريك سواكنهم للنظر في أحوالهم، والعمل على ترقية شؤونهم للسير قدما في مواكب الحياة الراكضة التي تتطلبها الكون ، وتقتضيها مستلزمات التطور والانعقاد، ولا سيما في هذه الظروف الحاضرة التي انفجرت فيها المخاطر من حول العالم الاسلامي ، وتواثبت الخطوب على جوانبه ، وتفاقت النوازل في أطرافه ...

وقد اتخذت حكومة صاحب الجلالة نصره الله وايده مستنيرة بهديه وارشاده من هذه السنة ، سنة القرآن ، احتفاء بذكراه ، وتخليدا لامجاد الاسلام ، واعظاما لما قام به رجاله الافذاذ ، وقادته الامائل ، الذين اعطوا المثل الاعلى في صلابة العقيدة ، وصدق لنية ، وقوة الايمان ، من فتوحات ظافرة ، التفت لها الدهر ، ومواقف حاسمة ، دوخت العالم ، فكانت شجى في حلق الحاسد ، وقذى في عين من اضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة .

وهكذا احتفل المغرب المسلم بهذه المناسبة المجيدة الدينية احتفالا يليق مع جلال الذكرى ، وقديسية المناسبة ، وروعة المقام ، حيث مرت في جو تغمره العظمة والعبرة ، ويحفه الطهر والصفاء ، فاستدعى رجالات الاسلام من جميع جهات الدنيا ، واصقاع المعمور ليجندوا ما اندرس من عهد ، ويؤكدوا مواثيق يتعزز بها الدين ، ويسود المجد ، ويتم النور ، ويتحول المسلمون جميعهم الى منزلتهم الاولى من صدر الحياة .

ومن احق في البلاد الاسلامية من المغرب وملكه بالاحتفال بهذه الذكرى التي جمعت القلوب المخلصة على حماية الدين ، وقيادة النفوس المومنة الى نصره الحق ، ومحاربة الاعداء الكائدين الذين لا بد من ان يدركوا وبأل

مجلة تصدرها وزارة
عموم الاوقاف والشؤون
الإسلامية بالملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثامن
السنة الحادية عشرة
ربيع الاول والثاني 1388
يونيه - يوليوز 1968
ثمان العدد
دعهمان

مجلة تحريرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308
الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
مأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .
بدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط
**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف -
الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - 327.03 - الرباط

وكيف لا يتم لهم ما أرادوا واجدادهم الفاتحون ، الفر الميامين ، لم يقف امام تحقيق غايتهم رعن الجبال ، وشم الوهاد ، ومناعة الارض ، وبعد الشقة ، وقسوة المناخ ، لقد طلبوا الموت وفتحوا له صدورهم ، فوهبت لهم الحياة ، وسادوا الدنيا عندما طلبوا النصر المؤزر من السماء .

وكفى هذه البلاد العظيمة فخرا ومجدا انها اجتمعت فيها من المؤسسات العليا للعلم والعرفان في مختلف العصور ما عز نظيره في غيرها من الاقطار ، فقد كان تيار العلم متدفقا من بخارى ، وسمرقند ، وفرغانة ، ونسف ، وترمد ، وخوارزم ، وطشقند ، وبلغ التي اصبحت مراكز علمية مشهورة يشع منها نور العلم والحضارة في العالم اجمع ، ويتدفق منها ينبوع الفكر الاسلامي الى الشرق والغرب اجيالا واعيالا .

وهل لنا ان نعد طبقات العلماء والفهاء الذين كانوا هداة مرشدين جادت بهم هذه الارض المعطاء ، وقمما عليا تهدي الانسانية الحائرة في بيدائها ، ومناثر شامخة يهتدى بها في دنيا الفكر والدين والثقافة .

وحسب هذه الاقطار الاسلامية فخرا اولئك الاعلام الذين رفعوا للاسلام لواء ، وللعروبة مجدا ، وللانسانية مشعلا ، كقثم بن العباس عم رسول الله (ص) ، والامام الحافظ الحجة امير المؤمنين في الحديث ، ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري . والترمذي . والامام الكبير محمد بن اسماعيل القفال صاحب محاسن الشريعة . وولده ابي القاسم الشاسي صاحب التهذيب ، ونظام الدين الشاشي ، وابن الهيثم بن سعيد الشاسي صاحب المسند في مجلدين والمشهور بمحدث ما وراء النهر ، وجار الله الزمخشري ، ويوسف السكاكي ، وعبد القاهر الجرجاني ، وسعد الدين التفتازني ، والعلامة السيد الشريف الجرجاني ، وشمس الدين السرخسي صاحب المبسوط ، وعلي بن ابي بكر المرغيناني صاحب الهداية ، وعبد الله بن احمد النسفي صاحب التفسير ، وابي منصور الماتريدي امام اهل السنة ، وابي بكر الخوارزمي الكاتب الاديب ، والشطرنجي الصولي الاديب المعروف وابي النصر الفارابي المعلم الثاني ، والشيخ الرئيس علي ابن سينا ، وابي زيد البلخي ، وبني موسى بن شاكر ، وابي الريحان البيروني الذي علم المسلمين فلسفة الهند وعلومها ، والجوهري الذي اهدى الى الامة العربية معجمه اللغوي .

اولئك آباي فجنني بمثلهم اذا جمعتنا يا جريس الجامع

* * *

ولما اضطرب المسير ، وابطا التقدم ، وتعثرت الخطى جادت هذه البلاد المباركة ، كدائها ، بابطال كماء ، ارادوا وصل ما أمر الله به ان يوصل ، فتنفس بهم العمر في ميادين الجهاد والجلاد ، ومحاربة الظلم والظفيان والفساد ، كالامام المجاهد الكبير الشيخ عبد القادر شامل القوقازي وغيره ممن جاهدوا في الله حق جهاده ، فاشفت بهم التضحية والاقدام على شفا الموت والهلاك ، فخلدوا وقائعهم الناصعة بالتضحية والايثار على صفحات الخلود ، فكانوا - بحق - رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، بعد ما ابلوا بلاء حسنا في الذياذ عن كرامة الاوطان وحرمة الكيان ، وعزة الماضي المجيد ، والدفاع عن الحاضر الملح .

امرهم ، وداء بغيرهم وعتوهم وعنادهم ، فيخروا للاذقان صارعين ،
صرعى لليدين وللقم .

وقد حضرت وفود اسلامية تمثل مختلف الاقطار من جميع جهات
العالم لتشارك المغرب احتفاله بهذه الذكرى ، ولتقيم وحدة متماسكة
الوشائج ، وثيقة العرى ، تستمد أسسها من كتاب الله الذي جعل من
المسلمين خير أمة أخرجت للناس ، كما حضر فيمن حضر من رجالات
الاسلام وفد يمثل مسلمي آسيا الوسطى والاتحاد السوفياتي برئاسة
سماحة الشيخ السيد ضياء الدين ابن المفتي ايشان بابا خان مفتي مسلمي
آسيا الوسطى وقازاخستان .

وعقب هذه الاحتفالات الدينية الكبرى وجهت حكومة الاتحاد
السوفياتي دعوة الى وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية للقيام برحلة الى
الاتحاد السوفياتي والجمهوريات الاسلامية بها .

وتلبية لما توجهه الروابط الدينية والتاريخية من التواصل والتعاطف
والمجاملة ، فقد قام وفد مهم يضم خيرة رجال الفكر والثقافة ، وحماة الدين
والفضيلة لزيارة الاتحاد السوفياتي والجمهوريات الاسلامية لقي فيها من
الحفاوة البالغة ، والاکرام الجميل ما يحفى القلم دون توفيقه بعض حقه .

وترأس الوفد الذي عينه صاحب الجلالة والمهابة نصره الله وايده
معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش،
وعضوية الاساتذة السادة :

عبد الرحمن الدكالي
عبد الله كنون
عبد الكبير الفاسي
محمد بن عبد الله .

كما انضم الى الوفد سعادة سفيرنا بموسكو الاستاذ عبد الهادي
الصبيحي .

* * *

ويعتبر موقع الجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى من اعظم المواقع،
ومسقطها من اكرم المساقط ، وعدتها الممكنة من خير العدد ، فقد كانت هذه
البلاد الشاسعة الاطراف في آسيا الوسطى والتي كانت تعرف فيما قبل
بالتركيستان ، مهدا لرجال الدين الصحيح ، والمعلم الناضج ، والفن الاصيل،
ومنبت العزة والاستقلال الصريح ، وموطن الحرية والكرامة والسيادة
الكاملة ، كما كانت ايضا مركزا للدول المستقلة الحرة ، والامبراطوريات التي
سارت بذكرها الركبان طوال العصور المتعاقبة قبل ظهور فجر الاسلام وبعده .

هذه الامة التركستانية ظل مسلموها - في مختلف العهود - يكافحون
ويناضلون ، ويشرحون صدور الناس للاسلام ، ويخوضون الصعاب
والاھوال ، انتشبت دعائمه ، وتركيز اسسه وقوائمه ، فكانوا منبت الانفة
والاباء ، ونقطة التحول ، ونواة الاصلاح ، ومصدر الخلاص .

ركائز التفكير الاسلامي

لسماعة مفتي طرابلس العلامة
نديم الجسر

أثار احد اساتذة الفلسفة في الجامعة الامريكية ببيروت شبهات وشكوكا حول بعض آيات القرآن ، وكان للحوار الذي عقده سماحة مفتي طرابلس العلامة الشيخ نديم الجسر للرد على ما أثاره هذا الاستاذ في جريدة « النهار » دوي عظيم في العالم العربي كله .. وقد بلغ من اعجاب العلماء المحققين بذلك الرد القيم ان أحدهم قال عن الجزء المتعلق بركانز التفكير الاسلامي انه من ناحية شموله (للايمان والعمل) يكاد يكون اعظم وانفع من كتاب (قصة الايمان) .

وقد رأت جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية بطرابلس كماعتها في نشر ما يخدم الايمان والاسلام ، وينفع الشباب المنقف الحائرين بين الفلسفة والعلم والقرآن ، ان تطبع من رد سماحة الاستاذ الجسر ذلك القسم المخصص لبيان ركائز التفكير الاسلامي وتنشره في كتيب صغير الحجم ليكون في متناول ايدي الناس عامة والشباب خاصة ، فان هذه الركائز هي كما وصفها كاتبها بقوله :

« كخزانة الدواء في البيت يجد فيها الشاب العلاج لكل شك وزيف » .

« ودعوة الحق » يسرها ان تنقل الى قرائها ، باعتزاز ، هذا البحث القيم الذي وصلها اخيرا من سماحة مفتي طرابلس العلامة الشيخ نديم الجسر ترميما للفائدة .

التحرير

وجود الله

لقوي عزيز « قبل ان قال (روجر باكون) و (توماس اكويناس) بقرون طويلة ، قوليهما المشهورين : « ما من عالم قد عرف ، حتى اليوم ، حقيقة ذبابة » .

وانما انت تستصعب تصور الذهن لهذا الاله ، على طريقة القرآن الذي يقول عنه « ليس كمثله شيء » وتستشكل في خلق الله لآدم من تراب ، وتقطع كل علاقة لله في خلق الاجنة ، حتى تكاد تخرج من هذه الصعوبات والاستشكالات الى ما يوشك ان يكون الغاء لوجود الله .. وهذا ما يحيرني في امرك .. والا فقل لي : كيف نوفق بين كونك مؤمنا بأن الله خالق الكون ، وخالق الحياة ، وخالق الانسان ، وخالق النواميس ، وكونك تغفل ، وانت العالم الالهي ، عن تفسير آيات خلق آدم ، وخلق الجنين في بطن أمه بانها قد تعني

أرجح ان الجدل بيننا : الان ، ليس عن وجود الله او عن عدم وجوده . فانك ، وانت استاذ الفلسفة ، لابد ان تكون عند الحق من قول فرنسيس باكون « ان القليل من الفلسفة يبعد عن الله والكثير منها يرد الى الله » . والظاهر من كلامك انك مؤمن بان الله هو خالق الكون . ومؤمن ، بالتالي ، وبالبداية ، بان خالق الكون هو خالق النواميس ، وبانه خالق الحياة ، وخالق الذباب ، الذي قال عنه القرآن ، في سورة الحج : يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . ان الذين يعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، ان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف طالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله

ومما شرف الوفد المغربي انه حمل معه في هذه الزيارة المفيدة هدايا تتضمن مجموعة من الكتب الاسلامية التي انجزتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وفي مقدمتها المصحف الكريم الذي امر مولانا صاحب الجلالة نصره الله وايده وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بانجازه وطبعه ، كهدية منه حفظه الله الى مسلمي تلك الاقطار النائية الذين تقبلوه بصدق رحب ، وحفاوة بالغة ، ودموع حرى تشي بما يجول في قلوبهم من صدق النية وبرد اليقين ، وحرارة الايمان .

ومما يدعو الى الاعتزاز والفخر - ايضا - ان المشرفين على الادارة الدينية لجمهورية عزيبكستان هم من الطلبة المتخرجين من جامعة القرويين العامرة الذين ربطوا حسن العلاقات الطيبة بيننا وبين المسلمين هناك .

والحقيقة اننا لم تكن نتصور المسلمين الذين تشرفنا بزيارتهم وسعدنا بلقياهم يمارسون شؤونهم الدينية بالصورة التي رايناها عليها في مختلف المساجد التي قمنا بزيارتها مما اثلج صدورنا ، وافعم قلوبنا املا ورجاء ، ولكن ذلك غير كاف . . . فللادارة الدينية مجال رحب الحدود للقيام بتوسيع الدروس الدينية على اوسع نطاق حتى يعم نفعها بين المسلمين ، ولا سيما بين الاحداث .

دعوت الحق

احد حدود الاطلاق . ولا تقف الا اذا اصطدمت بالحق او بالخير .

وهذا المفهوم الجامع . كما انه يشمل كل انواع الحريات . من حرية التفكير . وحرية العقيدة ، والقول ، والفعل . والتملك . والتصرف . فانه يشمل ، كذلك ، مثل انواع الحق والخير . بالنسبة الى الفرد ذاته . وبالنسبة الى غيره من الناس . وبالنسبة الى المجتمع . لا فرق ، في ذلك كله . بين ان يكون الفعل او القول متاحا بذاته للفرد . او حقا من حقوقه المشروعة . او ضربا من القربات الى الله . فلو اسرف الفرد في اكل الطيبات . اسرافا مضرا بصحته ، انقلب المباح حراما . ولو اسرف في اساءة استعمال . حقه وقف حقه . ولو اسرف في الزهد والتقشف والتبتل . بل في العبادة نفسها . بل في الصدقات والمبرات . الى الحد الذي يصطدم . عنده . حريته بخير نفسه او زوجه او ولده او وارثه او المجتمع . لانقلب قريباته هذه كلها الى محرمات يمنعها القرآن .

3 - القرآن والعلم

ان القرآن يجعل لحقائق العلم الطبيعية القاطعة . القوة نفسها التي للحقائق الرياضية القاطعة . اي السلطان نفسه الذي للعقل . لان العلوم الطبيعية انما هي انكشاف للنواميس التي خلقها الله في الكون . ستارها . هو بالضرورة . انكار للعقل الذي يدرك النواميس . وانكار للذي خلق النواميس . ومعارضة للقرآن الذي استدل في آيات كثيرة . بهذه النواميس . على وجود الله وقدرته . وهذه الانكارات تؤلف بذاتها ، باقتضا عقليا صارخا بين الايمان والعقل .

وليس صحيحا قولك « ان العلم الذي حث على طلبه الاسلام هو في جوهره العلوم الدينية والشرعية وما يتعلق بها وليس الفيزياء والكيمياء » . بل الحث عام . يشمل علم الدين الذي هو اعظم العلوم وانفعها للمجتمع . ويشمل علم الطب . وكل علم ينفع الناس والمجتمع . وليس ادل على ذلك من الآية 28 من سورة الفاطر . التي يخلع بها القرآن وصف (الخشية الكاملة) على سماء الطبيعة . ويكاد يحصرها بهم حين يقول : « الم ير ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوان كذلك انها يخشى الله من عباده العلماء . » بل العلماء هنا هم علماء الشريعة والفقه ، أم هم علماء الطبيعة العاملون بأسرار النواميس في الحياة والنسب والحيوان والمطر وطبقات الارض ؟

4 - القرآن ليس بموسوعة

ولكن القرآن ليس بموسوعة للعلوم والفنون . وما فيه من الاشارات الى بعض النواميس الطبيعية انما هو للتدليل على وجود النظام المحكم ، ثم الاستدلال العقلي بهذا النظام على وجود الله . واما قول القرآن « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فليس معناه انسه موسوعة لعلوم الاولين والاخرين ، كما يقول بعض البلهاء . بل معناه انه لم يترك اصلا من الاصول ولا مبدأ من المبادئ التي يركز عليها الحق والخير الا ذكره وبينه .

5 - نهج القرآن في الخطاب

ان اعجاز القرآن اللغوي لا يقوم على بلاغته المعروفة عند بلغاء العرب فحسب . وانما يقوم على قدرة عجيبة في التعبير عن الحق ، بشأن النواميس الطبيعية والاجتماعية ، التي لم تكن معروفة للعرب ، او معروفة للبشر . ببيان يفهمه البدوي الساذج على قدره . ويفهم اسراره المدهشة العالم او الفيلسوف على قدره . لانه ما كان لله المعلم الحكيم ان يخاطب الناس بامور لا يفهمونها ولا سمعوا بها ولا تتسع لادراكها معارفهم .

فاذا قال لهم سبحانه « ويمسك السماء ان تقع على الارض » سورة الحج الآية 65 - او قال لهم « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » سورة الاسراء 12 - او قال لهم « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » سورة الزمر 5 - او قال لهم « والفلك تجري في البحر بأمره » سورة الحج 65 - او قال لهم « وانزل لكم من السماء ماء » سورة النمل 60 - او قال لهم « افرايتم النار التي تورون . انتم انشأتم شجرتها لم تحسن المنشؤون » سورة الواقعة 71 - او قال لهم « الم نجعل له عينين » سورة البلد 8 - او قال غير ذلك من مئات الايات الدالة على قدرته . المشيرة الى النواميس التي وضعها في مخلوقاته ، فانه يقول لهم ما يفهمونه على ظاهره . من غير ان يشوش افهامهم ويذهل عقولهم بذكر ما لا يفهمون من اسرار نواميس الجاذبية ، والنور ، والبصريات . ودوران الارض على نفسها امام الشمس ، وقانون ارخميدس . او اسرار عملية المطر ، او اسرار ناموس الاحتراق عند اتحاد الكربون مع الاوكسجين . ولكنه سبحانه يقول لمن سيأتي من العلماء الذين يطلعون على هذه الاسرار « سترهم آياتنا في الافاق وفي

الخلق التطوري للخلية الانسانية بطريق النواميس التي خلقها الله ، مثلما تد تعني ، في الظاهر ، الخلق الدفمي المباشر ، مع ان كلا الخلقين داخل في قدرة الله ، وليس احدهما بادل على هذه القدرة والحكمة من الاخر ؟

ومهما يكن الامر ، فاننا لا نسوق الحديث اليك وحدك . بل نسوقه الى من وراءك من الشبان العلماء الذين يؤمنون بوجود الله وبانه خالق الكون ، ويرددون في صدورهم بعض الاسئلة التي طرحتها ، وامثالها . والحوار مع هؤلاء لا يدور ، اذن ، حول وجود الله . والا فتكون مصيبة ان نبدا ابجدية الايمان من اولها . ونسرد قصة الايمان التي الفناها من بدايتها الى نهايتها .. وانما يدور الحوار على القرآن وما فيه من آيات متشابهات . يبدو لك ولهم ، في الظاهر ، انها تتناقض مع العقل او مع العلم ، ويدور ايضا حول تفكير المسلمين في العالم المعاصر ، وزعمك انه مقيد ومشدد الى الورا شدا يمنهم من الانطلاق والتلاقي مع التفكير العقلي العلمي الحديث .

فعلينا ، اذن . ان نكشف تراب الظنون الباطلة عن ركائز التفكير الاسلامي . لنرى ان كانت تتعارض مع العقل ام تعتمد عليه . وتتناهى مع العلم ، كما زعمت ، ام تؤيده ؟ وبهذا الكشف والتبيين يستكمل الرد على شكوكك وشكوك غيرك ، مهما كان نوعها وموضوعها . حججه وبراهينه ، بدون تطويل ، ويصبح هذا الرد المركز الذي نضعه كالجعبة فيها السهام . بل كخزانة الدواء في البيت ، نجد فيها العلاج لكل شك وزيف .

وقبل ان نكشف عن ركائز التفكير الاسلامي نسارع الى بيان امور اربعة :

ركائز التفكير الاسلامي

اولها — انني المسؤول عن صدق هذه الركائز . وانا المطالب بالدليل على كل واحدة منها لانه لا يتسع المجال في هذا الرد المسحفي . لبسط الادلة على ما نقول . ولو اردنا ان نفعل لاحتجنا الى مجلد ضخيم او اكثر . ولن يتسع عمرنا ، الذي اشرف على نهايته . لمثل هذا العمل الضخم . ولعل الله يقضي له من يقوم به .

اما الامر الثاني . الذي نسارع الى بيانه وتأكيدة ، فهو ان التفكير الاسلامي نابع من اصول القرآن ومبادئه لا ينفك عنها ابدا .

والامر الثالث هو : ان ركائز التفكير الاسلامي تتلاقى تلاقيا تاما مع آخر ما انتهى اليه العقل والعلم والفلسفة من الحقائق القاطعة المتفق عليها .

والامر الرابع هو : انه لا تعارض مطلقا بين قولنا ان ركائز التفكير الاسلامي ترسو على اصول القرآن ومبادئه وقواعده ، وقولنا انها تتلاقى مع حقيقة التفكير العالمي المعاصر ، لان اصول القرآن تتسع لكل ما هو حق وخير ونافع ومفيد في كل عصر وزمان ومكان ، ولان فهم اصول القرآن يزداد عمقا كلما ظهرت حقائق العلم القاطعة . وبهذا التوفيق يكون لنا فكر اسلامي معاصر جديد ينبع من القرآن القديم . ولا قيمة لراي الجامدين والجاهلين .

فما هي ركائز التفكير الاسلامي (القديم والجديد) التي تتلاقى مع حقائق العقل والعلم القاطعة ؟

1 — القرآن والعقل

ان القرآن يجعل للعقل السلطان الاعلى في ادراك كل معاني الحق والخير ، من اتفه الامور كاماطة الاذي عن الطريق ، الى اعظمها وهو وجود الله وصفات كماله . وفي القرآن اكثر من 300 آية تدعو الى تحكيم العقل ، وترري ازراء شديدا بالذين لا يحكمون عقولهم . وابلغ هذه الايات واوجعها قوله « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » . وكل ايمان لا يبنى على العقل لا يعد من الايمان الكامل . اما ايمان العجايز فانها هو مقبول من باب العذر ورفع الحرج عن العاجزين .

والقرآن يكره الجبود على تقاليد الالباء والاجداد اذا كانت هذه التقاليد تناهض احكام العقل القاطعة . ويهزا بهؤلاء الجامدين ، ويسخر من الخرافات والاساطير ، وليس فيه اسرار يحدث تصورها تناقضا عقليا في الذهن . وكل نص في القرآن يحدث تصوره . في الظاهر ، تناقضا عقليا في الذهن يجب تاويله حتى يرتفع التناقض .

فالاسلام ، اذن ، هو الدين السماوي الذي يجعل الجدل العقلي الصارم طريقا للوصول الى الحق .

هذه حقائق يقينية مقررة ، حتى تكاد تكون معلومة من الدين بالضرورة . ومن جهلها أو أنكرها فهو جاهل لحقيقة القرآن والاسلام .

2 — القرآن والحرية

ان حرية الانسان ، في نظر القرآن ، هي امر طبيعي وضروري وبديهي . وان حرية الفرد مطلقة الى

10 - غايات الأشياء

فهو ، منك ، قول في منتهى الصحة والعمق والاخلاص .
فانه ليس في دين الاسلام صوفية بهذا المعنى (الهروي
الانطوائي) قط . بل هذه صوفية خيالية اتتنا رباحها
المخدرة من الشرق القديم ، ومن النساك المترهبين ،
في فترة قلقتنا الفكري والاجتماعي والاخلاقي والوجداني،
فراق لبعض المخلصين منا أن يصوغ على مثالهما
صوفية اسلامية ، كان منها الصافي النابع من معين
النوبة ، وكان منها ، بعد ذلك ، المعكر بزبد الطقوس
الغريبة عن معدن الاسلام وجوهره .

واذا كان في الاسلام صوفية فانما هي صوفية
النبي وكبار اصحابه في عبادتهم ، وبعدهم عن الترف ،
وجهادهم الدائم الدائب في كل ما ينفعهم وينفع الناس :
من سعي وعمل ، واكتساب وارتزاق ، وعلم وتعليم ،
وقوة ودفاع ، ونصح وارشاد ، وتعاون وتناصر وامر
بالمعروف ونهي عن المنكر ، واهتمام بامر الجماعة ،
واستنكار لكل ما يحمل معنى الانقطاع عن الدنيا او
معنى التبتل او التعمق في العبادة او المخالة في الزهد،
او الانطواء على الذات ..

هذه اهم الركائز في التفكير الاسلامي النابع من
معين القرآن ، وهي تكاد تكون كالديهييات في منطق
العلم ومنطق القرآن . وهي الكفيلة بالرد على كل
التساؤلات والشكوك والصعوبات التي اثيرت ، وبالرد
على كل صعوبة يجدها الشاب الثقيف في بعض آيات
القرآن ، حتى يفهمها ، او يكف عن تكذيبها على الاقل.
ويكفي الشاب الثقيف اذا كان يسأل للاستفهام حقا ،
لا للجدل والمراء « بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »
سورة الحج 9 - ان يعرض شكه على هذه الركائز ،
وينعم النظر فيها ، ليجد الجواب الذي يرضاه العقل
السليم ، والمنطق القويم ، والقرآن الكريم .

في الرد بايجاز على تساؤلاتك

1 - اما تساؤلك حول موقف المسلم من الثقافة
والحضارة المعاصرة ، والانقلاب العلمي ، والثورة
الصناعية ، وكتاب (دارون) في اصل الانواع ومؤلف
(ماركس) في « رأس المال » ونظرية (اينشتاين) في
(النسبية) ، فانك تجد جوابه في الركائز الثلاث
الاولى التي اوضحنا فيها ان القرآن يقدر العقل والعلم
والحرية . ولن يكون موقف المسلم ، من هذه المستجدات
التي ذكرتها ، الا كموقف كل انسان ذي عقل سليم .
يدركها ويفهمها ويأخذ منها بكل ما يتلائم مع الحق
والخير ، على اساس مفهوم الحرية في الاسلام .

ومن ركائز التفكير الاسلامي ، الراسية على
اسول القرآن ، اننا محجوبون عن ادراك بدايات
الاشياء ونهاياتها . هذا مقرر . هكذا خلقت عقولنا ،
بل هكذا خلقت حواسنا ، حتى في عالم المادة الذي
نعيش فيه ، كما يقول (باسكال) . فالصوت اذا افرط
في الشدة يصم اسماعنا ، او على الاصح لا نسمعه ،
والنور اذا افرط في الشدة يعشي ابصارنا بل يصعقنا،
كما صعق موسى ، والقرب يمنعنا من الرؤية اذا افرط،
كما يمنعنا البعد . هذا هكذا في عالم الشهادة ، فكيف
اذا كان الامر الذي نريد معرفة اولياته وبداياته ونهاياته
وغاياته في عالم الغيب ؟

11 الظن والحق

من ركائز التفكير الاسلامي (ان الظن لا يغني من
الحق شيئا) سورة النجم 28 - وهذا هو نفسه
منطق العقل في اثبات الشيء ونفيه . هنالك فرق كبير،
عند القطع والجزم . بين الاثبات والنفي . فنحن نجزم
بثبوت الشيء الذي يقوم الدليل العقلي او العلمي
القاطع على وجوده . ولكن لا يحق لنا ان نجزم بنفي
الشيء او الخبر الذي لم يتم لدينا الدليل على وجوده.
الا اذا كان تصور وجود هذا الشيء ، او هذا الخبر ،
يشكل تناقضا عقليا في الذهن ، كما يقول (لايبنتز) .
اما اذا لم يكن الامر كذلك ، وكان الشيء او الخبر من
النوع الممكن ، فاننا نقف امامه موقفنا من كل ممكن
غير مستحيل . فلا نقطع بثبوته عقلا ولا نقطع بنفيه
عقلا .

12 - نواميس الله لا تتخلف

« ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله
نحويلا » سورة فاطر 43 - وكذلك يقول العلم ان
النواميس الكونية ثابتة ولا تتعطل ولا تتخلف . ولكن
الانسان يستطيع ان يوقف تأثير ناموس بناموس آخر.
ولا يقال . هنا . ان الانسان عطل فعل الله ، او عطل
خلق الله . ولكن يقال ان ناموس الله تعطل بناموس
الله . كما في تأخير نمو الخلية الانسانية في الجنين او
افسادها او تشويبها بالمواد الكيميائية او بالاشعة .

الصوفية في الاسلام

واما قولك عن الصوفية لمن اعتبرها الحل النهائي
والجذري لمشكلات الانسان المعاصر (ان كلامه هذا
يخبى وراءه سلوكا هروبيا هدفه الابتعاد عن مواجهة
الحقائق والواقع عن طريق انطواء الانسان على ذاته)

انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » . وقد جاء الوقت ، وانكشفت بعض الاسرار ، وتبين الحق .

6 - قانون العلية

من ركائز التفكير العقلية في القرآن امر الفطرة، ومن جملتها « قانون العلية » . ذلك ان في عقولنا قوانين فطرية وهي التي سماها « كانت » « قوانين العقل المنظمة » .

ومن جملتها . بل من اعظمها قانون العلية ، الذي يتطلب بالبداية : لكل معلول علة ولكل مسبب سببا . هذا مقرر ، وليس لنا ان نشك فيه ، كما انه ليس لنا ان نتطلب عقولا وراء عقولنا التي فطرنا الله عليها « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها » سورة الروم 30 — وبهذه الفطرة من قانون العلية ندرك وجود الله . ومهما اختلف المتفلسفون في هذه الفطرة وكونها مكتسبة من تجارب الانسان الطويلة ، او كونها من خلق الله ، فان قانون العلية الذي اعتبره (ديكارت) صادقا وغير خادع ، واستدل به على الله ، وعلى صفات كماله ، هو ، على كل حال ، القانون العقلي الذي يتحكم في ادراكنا لكل ما في الوجود وعليه يقوم العلم ، وعليه تقوم المعرفة ، وعليه تقوم الحياة ، وعليه يقوم الايمان بالله .

7 - ميزان التناقض

ان النظر العقلي يدور ، في كل شيء من الماديات والمعنويات ، والمشاهدات والمغيبات ، حول احكام ثلاثة : (الوجود والامكان والاستحالة) . هذا مفهوم عند ابسط الناس علما وفهما ، ولكن الذي يشتبهه ويخفي على بعض ارقى المثقفين من الشباب ، احيانا ، هو التفريق بين نوعين من المستحيل : المستحيل العقلي وهو الذي يشكل تصور وجوده او تصور عدمه تناقضا علقيا في الذهن ، كقولنا الواحد ربع الاثنین لا نصف الاثنین ، او قولنا جزء الشيء اكبر من الشيء ، او قولنا جبل لبنان يدخل في الفئجان . اما المستحيل المعادي فهو لا يحدث تناقضا علقيا في الذهن ، ولكننا ، بحكم العادة ، نظن انه مستحيل ، وما هو كذلك ولكننا تعودنا ان نراه مستبعدا كالمستحيل ، ثم عرفنا الايام انه ليس بمستحيل عقلي : مثل الصعود الى السماء ، والتخاطب والتناظر من اقاصي الارض ، والوصول الى القمر . والميزان الضابط في تكذيب الخبر ليس استبعاده واستغرابه ، بل هو كونه يحدث تناقضا علقيا ، كما يقول (لاينتر) . فان احدثه نفيناه ، وان لم يحدثه توقفتنا عن التكذيب . فلا يغفلن الشاب

التعريف عن التفريق بين هذين النوعين من المستحيل اذا هو تورط في جدل مع نفسه حول الله والدين واخبار القرآن .

8 - نطاق العقل

من ركائز التفكير الاسلامي الراسية على اصول القرآن ، التفريق ، في الادراك ، بين عالم الغيب وعالم الشهادة . وهذا نفسه ما عرفته الفلسفة ووضحه (كانت) . فهناك نوعان من الادراك للموجودات : ادراك لكنه الشيء بذاته ، وادراك لوجوده بالدليل ، مع العجز المطلق عن ادراك كنه ذاته . فالعقل البشري قد يستطيع ادراك كنه الشيء بذاته ، الى حد ما ، ضمن نطاق محدود ، وهو نطاق العالم المادي المحسوس (عالم الشهادة) ، اما في عالم الغيب غير المحسوس فالعقل يستطيع ادراك وجود الشيء بالاستدلال ، ويستطيع ادراك بعض صفاته ، من آثاره . ولكنه يعجز عن ادراك كنه ذاته . هذا مقرر لا يحتل الجدل . وبهذا الادراك نستدل على وجود الله ، وعلى بعض صفات كماله ، من آثاره ، بدون ان نستطيع ادراك كنه ذاته .

9 - التصور والتعقل

ومن ركائز التفكير الاسلامي ، الذي ينبع من اصول القرآن ان نفرق بين التعقل والتصور . هكذا يقول العلم ، وهكذا تقول الفلسفة الصحيحة . فليس كل ما يمكن تعقله يمكن تصوره . لاننا قد نعقل وجود الشيء بالدليل ، ولكن لا نستطيع ان نتصوره . وليس عجزنا عن تصور الشيء الذي تعقلناه مبررا للقول بعدم وجوده . انرانا نستطيع ان نتصور ان صحيفة من ورق السجاير الرقيق الرقيق ، اذا قطعت بالتضعيف 45 مرة ثم ركمت صعودا تدق بالقمر ؟ ولكننا بالحساب البسيط نتعقله . واذا القي الينا من المجرة مثلا جهاز تلفزيون ، افلا نستدل به على وجود صانع ، ثم نستدل به على بعض صفات ذلك الصانع ، التي منها انه عاقل وذكي وعالم ؟ ولكننا مع تعقل وجوده ، وتعقل بعض صفاته ، لا نستطيع تصور كنه ذاته ، لاننا لم نشاهده ولم نحسه ، فلا ندري اهو من البشر ام من نوع الانسان الالي ، ولكن هل يصح ، في حكم العقل ، ان ننكر وجوده لاننا لا نستطيع تصور كنه ذاته بعدما تعقلنا وجوده وبعض صفاته بالدليل العقلي القاطع ؟

الايمن المجائزي

هـ - واما قولك « انه يفترض في المسلم ان يعتقد بايمانه وقلبه لا بعقله وذهنه » فغير صحيح . بل عكسه هو الصحيح . فليس في الاسلام ايمان قلبي روحاني يكتفي بالتخيل او الالهام او التلقين او التقليد ، بدون ان يعتمد على ادلة العقل اذا نضج العقل وبدا التفكير ، اما الذي يسمونه ايمان المجائز فانه ليس بالايمان الكامل ، الذي يقف على رجليه اذا عصفت زوابع الشك او اعاصير الشبهات . ولكنه يقبل من المجائز والعاجزين عن الاستدلال العقلي ، من باب رفع الحرج والتكليف بالوسع ، وهما من اهم واحكم مبادئ القرآن . بل ان هذا الايمان المجائزي ، الذي نحسبه قلبيا روحانيا الهاميا تلقينيا تقليديا ، ينبع ، في الحقيقة ، من العقل الباطن الذي تكمن فيه ، من غير شعور منا ، ادلة العقل بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ومن بعضها قانون العلية ، الذي يتطلب العقل فيه لكل معلول علة ، ولكل مسبب سببا .

ولو اكتفى ايمان الاسلام بان يكون من الظن والخيال والالهام والتلقين والتقليد ، لما كان يختلف ، في هذا عن ايمان المشركين وعبدة الاوثان . كلا ثم كلا . ان ايمان الاسلام هو ايمان الحق واليقين ، لا ايمان الظن والخيال و « ان الظن لا يغني عن الحق شيئا » . واذا كان ايمان المسلم يقع ، أخيرا ، في القلب والضمير ، فانما ينحدر اليهما من قمة العقل ، طاهرا من ادران الظنون والاهوام ، بعد ان يمر بمصفاة العقل السليم ، ويصبح صالحا لمقاومة الشكوك والشبهات ، كالدم الذي يرده القلب الى حيث يصفى من سمومه ليصبح قويا وصالحا لمقاومة الجرائم .. هذا هكذا . ومن ظن ان في الاسلام ايمانا كاملا غير هذا الايمان العقلاني البرهاني اليقيني ، فانه يشوه معنى الايمان بالله الذي يمتاز به دين الاسلام عن الوثنية المشركة بكل اشكالها .

طرابلس : نديم الجسر

كاد تطلقها « الى ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغني من اللهب » .. فاما ان تنكر وجود الله ، واما ان تقول بالتجسيد للاله ، واما ان تقول بوحدة الوجود .. وما حسبك تريد شيئا من هذا .

ثم . هل القرآن وحده قال بهذا التنزيه لله عن مشابهة الحوادث ، ام اجمعت عليه كل الكتب السماوية المنزلة الصحيحة ، كما اجمع عليه كل الفلاسفة الالهيين ؟

ام ترانا ، مع الدكتور العالم الاستاذ في الفلسفة نحتاج الى ان نبدا الابجدية من اولها ، ونقول له المحدث محدث والله قديم ، والمحدث يفتقر الى محدث والله قائم بذاته والمحدث ممكن الوجود والله واجد الوجود .. والمحدث مركب والمركب محدود والله مطلق .. الى آخر الامثلة ؟ ..

اننا لا نحتاج الى ذلك معك ، ولكن ما العمل وقد نجرت السؤال على صفحات الجرائد ؟ انسكت ليقول الشباب الذين يقفون على عتبة الزيف : انه حيرهم فلم يحيروا جوابا ؟

الا تذكر ما قلناه في الركيزة التاسعة عن الفرق بين العقل والتصور ، وان ليس كل ما يمكن تعقله بالدليل القاطع يمكن تصويره .. ثم ، الا تذكر ما قلناه في الركيزة الثامنة عن عجز عقولنا عن ادراك كنه الشيء بذاته الا في المحسوسات ؟ ثم . من الذي زعم ان القرآن قال عن الله بانه لا يوصف ؟ امثلك يقول هذا ، والقرآن مملوء بصفات كمال الله سبحانه ؟ ولو لم ترد صفات كمال الله في القرآن السنا نستطيع ان نعرفها من آثاره ؟ الم يعرفها (ديكرت) بعقله ، لما رجع عن شكه واستنتج من وجود نفسه ، وجود ربه وخالقه ، ثم استنتج من آثاره اكثر صفات كماله ؟

خلق آدم ومذهب (دارون) ، وقولنا فيه : ان الخلق يمكن ان يكون بالطريق التدريجي التطوري ، على مقتضى نواميس وقوانين وضعها الله في الكون . واحسب ان علم الاجنة مما يؤيد هذا الخلق التطوري ويقدم عنه مثالا محسوسا ، وان كان الخلقان يتعان تحت قدرة الله ، وليس احدهما ادل على القدرة من الاخر .

واما تعجبك مما يعطيه ظاهر الاية من معنى الخلق المباشر المتكرر ، فتجد جوابه في الركيزة (5) ، التي بينا فيها ان نهج القرآن في مخاطبة الناس انما يكون على قدر افهامهم ومعارفهم . وما كان لله العليم الحكيم ، الذي هو الخالق في الحقيقة على كل حال ، ان يحير الناس ، في عهد نزول القرآن ، بذكر تفاصيل الخلق عن طريق الخلية ونموها التطوري بقسوة النواميس التي وضعها الله في الكون ، وهم لا يفهمون معنى الخلية ولا معنى الناموس ولا معنى التطور .

وهذا ما قلنا عنه انه من اعجاز القرآن ، حين يعبر عن المعنى بعبارة يفهمها البدوي الامي على ظاهرها ، ويفهمها العالم الفيلسوف في اعماق اسرارها

وأخر الاجوبة عن امر الخلية هذه تجده في الركيزة (12) التي قلنا فيها ان نواميس الله لا تتخلف ، ولكن يمكن توقيف اثرها بتسليط ناموس على ناموس . فنحن عندما نتحكم في نمو الخلية او فسادها او تشويهاها لا يقال اننا عطلنا عملية الخلق التي يقوم بها الله بيده . ولكن يقال ان أحد نواميس الله قد توقف بأحد نواميس الله ، طبقا لما اراد الله في الناموسين ان يتفاعلا . وطبقا لما اراد الله للانسان من التصرف في استعمال النواميس والانتفاع بها ، وطبقا لما قدره الله في علمه الازلي من خلق الجنين او عدم خلقه . وهذا اظهر من ان يحتاج الى جدل .

« ليس كمثله شيء »

د — واما كلامك عن مخالفة الله لجميع الاشياء وعن قول القرآن عن الله « ليس كمثله شيء » وقولك انت عنه في آخر الكلام عن لسان المسلم « كيف اؤمن بكائن يقال لي انه في الحقيقة لا يوصف ؟ وهل يكون ذهني خاليا من كل معنى او تصور حينما اصفه بالعدل والرحمة مثلا ؟ الا يكون ، عندئذ ، وجود مثل هذا الاله او عدم وجوده سيين بالنسبة الي » .

فاني اسألك ، في جوابه : مالك يا دكتور ؟ انه ليدو انك تكاد تضع المشكلة في طريق مسدود ، او

اما مذهب (دارون) فقد بينا في محاضرتنا ، وفي كتابنا « قصة الايمان » ، نقلا عن « الرسالة الحميدة » انه عند ثبوته الثبوت القاطع ، لا يتنافى مع القرآن .

واما نظرية (ابنشتاين) في (النسبية) فقد بينا في « قصة الايمان » انها لا تتعارض مع القرآن في شيء ، لان القرآن يؤيد كل ما هو حق في باب العقل والعلم .

ب — واما تساؤلك حول خلق آدم من طين فتجد جوابه في كلامنا عن مذهب (دارون) . ومثله سؤالك عن المعجزات ، فانك تجد جوابه في الركائز (7 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11) . فالمعجزات التي قد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية لا في القرآن وحده ، ما هي في الحقيقة الا خرق للناموس من قبل الله . فاذا كنا نؤمن بان الله هو خالق الكون وخالق نواميسه ، فبداية العقل تحكم بان الذي خلق الناموس قادر على خرقه . والقول بنفي هذه القدرة هو الذي يشكل تناقضا عقليا .

وكذلك سؤالك عن الملائكة والجن ، فانك لتجد جوابه في الركائز الخمس المذكورات . لقد كان تصور الملائكة والجن ، لعمرى ، اكثر صعوبة قبل اكتشاف نواميس الضوء .. اما اليوم بعد معرفة امواج الضوء وانواعها من المنظورة وغير المنظورة ، وسلالهما الكثيرة التي يقع العالم المنظور في سلم واحد منها فقط ، فقد اصبح من قبيل التعمت والمراء ان نقف من الملائكة والجن موقف الانكار .

والخلاصة ان هذه الامور الغيبية كلها ، من خلق آدم ، وخرق النواميس ، ووجود الملائكة والجن ، انما يقع تصديقها او تكذيبها تحت تحييص مبدأ التناقض الذي ذكرناه في الركيزة (7) . وبما انها من النوع الممكن ، ولا يحدث تصور حدوثها او وجودها تناقضا عقليا في الذهن ، فلا مجال للجزم والقطع بتكذيبها .

خلق الانسان

ج — واما تساؤلك حول الاية الواردة في سورة « المؤمنون » التي تتعلق بخلق الانسان من نطفة وعلقة ومضغة ، وقولك عنها ان ظاهرها يفيد الخلق الدفعي المباشر ، وان هذا يتنافى مع علم الاجنة ، وما ثبت فيه من تطور الخلية الانسانية ، وتحريك في كيفية التوفيق بين خلق الله المباشر المتكرر للنطفة فالعلقة فالمضغة فالجنين في اطواره المذكورة ، وبين كوننا نستطيع ان نتحكم في نمو الخلية ، ونستطيع تأخيرها او تشويهاها ، ونكون بالتالي كالمعطلين لعمل الله في الخلق ، فانك لتجد جوابه في الركيزة (12) ، وفي كلامنا عن

اسباب واحوال ينبغي ان يستخلص المسلمون منها ما يمددهم في حياتهم الحاضرة . اما ذكر تسلسل العوادث في حياة رسولنا العظيم دون المغزى الحقيقي لانه فانه قليل الغناء فمن اول مغزى هذه الهجرة ان يعرف المسلم المؤمن ما فعله الايمان بنفوس اسلافنا حيث اتروا الاحتفاظ بايمانهم والصبر على اذابة المشركين لهم ولو كلفهم هذا الايمان التخلي عن متاع الدنيا وراحتها ، قال الحافظ ابو بكر بن العربي عند تفسير قول الله تعالى : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » ، قال علماؤنا رحمهم الله كان رسول الله قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء ، انما يومر بالدعاء الى الله والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل ، فكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوه عن دينهم ونفوه عن بلادهم ، فهم بين مفنون في دينه ومعذب ، وبين هارب في البلاد مغرب ، ممنهم من فر الى ارض الحبشة ومنهم من خرج الى المدينة ومنهم من صبر على الاذى ، فلما عنت قريش على الله وردوا امره وكرامته ، وكذبوا نبيه ، وعذبوا من آمن به وعبداه ووحده وصدق نبيه ، واعتصم بدنه اذن الله لرسوله في القتال والامتناع والانتصار -من ظلمهم وبغى عليهم : فكانت اول آية انزلت في اذنه بالحرب واحلاله له الدماء : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » ، وقال الحافظ ابن العربي قبل هذا : وكان الكفار يعتمدون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاذابة ، وعاملونهم بالكاية ، لقد خنقه المشركون حتى كادت نفسه تذهب فتداركه ابو بكر ، وقال : اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله : وقد بلغ باصحابه الى الموت ، قد قتل ابو جهل . سمية ام عمار بن ياسر ، وقد عذب بلال وما سجد هذا الا الانتحار بالقتال .

وهذه النصوص تبين لنا ان مشروعية القتال كانت دفاعا عن النفس اولا وعن حرية نشر الدعوة وحرية العقيدة والتوحيد ثانيا .

ومما سبق هذه الهجرة وهيا للنبي واصحابه موطننا امانا لاقامه الدين في امن وجماعة ما كان الرسول يقوم به في مواسم الحج من تبشير بالاسلام ومن عرض نفسه على القبائل للايمان برسائله وحمايته حتى يبلغ كلمة الله الى الناس ، واستمر دائما على الدعوة والتبشير بالاسلام اعواما في مواسم الحج حتى

وجد من سكان المدينة الاوس والخزرج من استجاب لدعوته وآمن برسائله ، فكانت النتيجة ان فتحت المدينة بالقرآن كما يقول الحافظ بن القيم . فكانت ديار الانصار عامرة بتلاوة القرآن .

فتوطدت في المدينة دعوة الاسلام ووجد النبي واصحابه مكان الامن والايمان مستعدا لقبول المهاجرين وعلى راسهم صاحب الرسالة ، فأخي النبي بعد الهجرة بين المهاجرين والانصار فواسى الانصار المهاجرين بالنفوس والاموال حتى جمع الله بهم الشمل ومهد لهم الغلبة والنصر ، ومدح الله صنيع الانصار ورضى عن احوالهم وسيرتهم وايمانهم وانزل فيهم قرآنا يتلى على مر القرون والاعوام ، فقال تعالى : « والذين تبواوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » .

ولابد من اشارة هنا الى ان اسلافنا الصالحين قاموا بنشر دعوة الاسلام في المشرق اولا وفي المغرب ثانيا كما هو معلوم في تاريخ الاسلام العظيم ، وهذا ما ينبغي ان يفعله المسلمون في الوقت الحاضر ، فيكونوا ويؤسسوا جمعيات لنشر الدعوة الاسلامية بالطرق السليمة المشروعة ، كما يفعله غيرهم من اصحاب الدبانات الاخرى ، لا فرق في هذه المساعي الحميدة بين عالم وتاجر وغني وفقير . اما هذا التواكل الذي يعيش فيه العالم الاسلامي فهو سبب الخذلان . العالم الذي يقول انه ضعيف وليس له ما يتفقه على نفسه وعياله وعلى السفريات في مختلف النواحي ، بل البعض لا يقوم بواجب التعريف بالاسلام حتى في الحي الذي يسكن فيه ، والفني الذي له فضل من المال يقول : هذه مهمة العلماء وهم المكلفون بنشر العلم الديني ، والتاجر ييخل حتى بزكاة ماله ، والجاهل لا رغبة له حتى في التعلم ، وهكذا بتفريط الجميع حلت التهلكة بالعالم الاسلامي وتفككت وحدة المسلمين وتوالدت النكسات عليهم ، مع ان الله تعالى يقول : (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، واحسنوا) وسيرة النبي وقادة الاسلام وابطاله تبين لنا التطبيق العملي والقوة المثلى من وجوب التعاون على كل خير كما تقول الآية : (وتعاونوا على البر والتقوى) وتقول آية اخرى : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ، فآين المسلمون

مَجْبَرَةٌ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْلِدِ وَالْمَهْجَرَةِ

للأستاذ محمد الطنجي

كما ذكر ان اول من احدث المولد النبوي بمدينة اربل الملك المظفر ابو سعيد في القرن السابع هذا في بلاد المشرق .

اما في بلاد المغرب فنستفيد وقت احداث هذه الموالد مما ذكر - الشيخ احمد بابا السوداني في كتابه: نيل الابتهاج نقلا عن الخطيب ابن مرزوق : قال الخطيب بن مرزوق سمعت شيخنا الامام ابا موسى ابن الامام وغيره من شيوخ المغرب يستحسنون ما احدثه العزفي وولده ابو القاسم بالمغرب في ليالي المولد وهما من الائمة ويستصوبون قصدهما فيه والقيام به ، ونقل عن بعض علماء المغرب انكاره ، والظاهر عندي (الخطيب يقول) ما قاله بعض المغاربة استعمال الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة واحياء سنته ومعونة ءاله وتعظيم حرمهم وفعل انواع البر افضل مما سواههما مما احدث اذ لا يخلو من مزاحم في النية او مفسد لاعمل او دخول شهوة وطريق الحق والسلامة معروف ، فالافضل تكثير الصلاة عليه واعمال البر ، قال الشيخ السوداني الناقل انتهى ملخصا وقد ذكر المؤرخون ان ابا العباس العزفي توفي سنة 649 فيكون في القرن السابع ، فالعلماء عدوا هذه الاحتفالات من البدع ولكن بعض العلماء يراه من البدع المستحسنة .

وبعد هذه الكلمة في بيان هذا الاحتفال بالمولد نخلص الى مجال العبرة من الهجرة ، فان الهجرة لها

جرت عادة المسلمين في العصور الاخيرة بالاحتفالات في مبدا العام الهجري والمولد النبوي على صاحبه افضل الصلاة والسلام ، وذلك بقصد التذكير بعظمة رسول الاسلام والحض على احياء سنته والسير على المبادئ المثلى التي جاء بها ، وكثيرا ما يقع الاعتناء بذكر تسلسل الحوادث في سيرة الرسول دون اخذ العبرة منها فيفوت المقصود الذي قصده من احدث هذه الاعياد ، فان الرسول عليه السلام ولد في شهر ربيع الاول وتوفاه الله في نفس هذا الشهر ، وكانت هجرته ايضا في شهر ربيع الاول الا ان الاحتفال بالعام الهجري جعله المتأخرون من المسلمين في شهر المحرم ليكون في مبدا العام الهجري .

ومما ينبغي ان يعرفه المسلمون ان الاحتفال بهذه الذكريات لم يكن من الاعياد الاسلامية في عهد الرسول (ص) ولا في عهد خلفائه الراشدين بل احدثت هذه الموالد بعد القرون الثلاثة التي اخبر الرسول انها خير القرون ، ولعل ذلك كان لما قل العمل وكثر في المسلمين القول والجدل ، فقد عقد الشيخ علي محفوظ رحمه الله في كتاب الابداع فصلا في بدع الموالد ، ومن احدثها نقل فيه ما ياتي : قيل اول من احدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا سنة موالد : المولد النبوي ومولد الامام علي رضي الله عنه ومولد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ومولد الحسن والحسين ومولد الخليفة الحاضر انتهى ثم ذكر انها ابطلت حتى كاد الناس ينسونها ثم احييت

خلود الاسلام

دكتور محمد السايح

نهج يوافق تطور القرن الذي نعيشه ويحافظ على حقيقة الروح التي كانت تعمل لها الخلافة ... ذلك لان رسالة الاسلام يجب ان تؤديها في فهم جديد عميق للاسلام وفي اطار قوي جديد للعمل .

اما بالنسبة للفلسفة الاسلامية فحاجتنا الى بحث تراننا الاسلامي وخلق حركة ثقافية اسلامية واقعية ونحن نملك اسر هذه الفلسفة في اصول العقيدة الاسلامية نفسها . فقد بنى الاسلام على (الاعتدال) في كل شيء حتى لا تتصارع الارادات في الانسان سواء في علاقته مع غيره ، او في الصراع الوجداني الداخلي ، وذلك ليظل الانسان مسائرا النزعة الفطرية في تكوينه النفسي والعقلي والجسمي .

واذا كان الفيلسوف افلاطون حاول ان يقيم مدينة فاضلة على اساس مجتمع طبقي قوي تتبدد فيه (الاعتدالية) فقد شعر بخيالة تفكيره ورجع الى سيادة القانون وخضوع الجميع له ، وبذلك عادت الفلسفة التي نادى بها افلاطون الى دعوة الدين ، ورغم ان افلاطون في دعوته الى طبقية قسرية لم يكن شيوعيا يقيم الفلسفة على الاقتصاد ولا داروينيا يقيم بقاء الاصلح على الانتخاب الطبيعي ، فانه كان ينشد الانسان المثالي الذي صاغه الاسلام (في اعتدالية) مترنة طبيعية تقرر الواقع وتطوره في دائرته الكونية دون قسر او تكلف ، وجاء الماركسيون من بعده ليأخذوا فكرة الصراع البشري للانتخاب الطبيعي عن دارون .

تجتاز الامم الاسلامية اليوم مرحلة الغفلة عن حقيقتها الوجودية الى مرحلة الوعي الذاتي ، ولعل هزيمة فلسطين كانت اعظم مناسبة للنقد الذاتي والعمل الى الرجوع الى القيم الاسلامية ، فمنذ ان انحرف المسلمون عن انطلاقاتهم الرشيدة في عهد الرسول وهم يعانون محنة الاغتراب ، واذا كانت الخلافة الاسلامية تستقطب مصالح المسلمين كافة وتغطي بعض التخلقات فانها انحرفت يوم اصبحت تقيم اسسها على عصبية لم يقرها الاسلام ، او على عبثية سيقت اليها قسرا . او على تفرق وتصدع نتيجة فقد الشخصية الواعية ، حتى انتهت اخيرا على يد العثمانيين الذين لم يستطيعوا ابراز ملامحهم الخلافة في معناها الحقيقي فانغمست في تجديدات بائعة اعان المتآمرون من الصهاينة والمسنمرين على تحطيمها ، فماتت ، وبقي المسلمون يتامى يعملون في اطارهم القديم ولا يعملون في اطار جديد .

لقد كانت الخلافة الاسلامية بمفهومها الحق اعظم منطلق للاسلام ، ولكن المسلمين حينما انحرفوا انتهوا الى تشتت استغله خصوم الاسلام استغلالا فاحشا ، ورغم عناد هؤلاء فانهم لم يستطيعوا ان يقتلوا الروح الاسلامية التي ظلت دائما حية قوية في كل قلب مسلم .

والمسلمون اليوم في حاجة اكيدة الى البحث عن وسائل تحقيق تكتل المسلمين في اطار قوي للعمل على

من هذه التعاليم والمبادئ التي رفعت اسلافنا الى مقامات الرياسة والسعادة والمجد .

ثم اننا نجد في هجرة النبي ما يدفعنا الى الاقدام كما كان الرسول يبذل مجهوده ولا يبالي بالأمورات على قتله او نفيه او حبسه كما تذكر الآية الكريمة : (واذا يمكر بك الذين كفروا ليشبتوك او يقتلوك او يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقد لخص الحافظ بن العربي ما تشير اليه الآية فقال: قد بينا انها مكية وسبب نزولها والمراد بها ما روى : ان قريشا اجتمعت في دار الندوة وقالت ان امر محمد قد طال علينا فماذا ترون ، فأخذوا في كل جانب من القول ، فقال قائل نرى ان يقيد ويحبس ، وقال آخر نرى ان ينفي ويخرج ، وقال آخر نرى ان يأخذ من كل قبيلة رجل سيفا فيضربونه ضربة واحدة فلا يقدر بنو هاشم على مطالبة القبائل ، فاتفقوا عليه وجاء جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بذلك وأذن له في الخروج فأمر النبي (ص) علي بن ابي طالب بأن يضطجع على فراشه ويتسجى بثوبه الحضرمي وخرج النبي حتى وضع التراب على رؤوسهم ولم يعلموا به واخذ معه ابا بكر الى الفار فلما أصبحوا نظروا الى علي في موضعه وقد فاتهم ووجدوا التراب على رؤوسهم ولم يعلموا تحت خزي وذلة ، فامتن الله على رسوله بذلك من نعمته وسلامته من مكدهم بما اظهر عليهم من نوم على السرير كانه النبي ومن وضع التراب على رؤوسهم وهذا كله مكر من فعله جزاء على مكدهم والله خير الماكرين .

وهنا نذكر صنيع النبي في اخذ العدة لهذه الهجرة والخروج خفية ، والمكوث في الفار اختفاء من الكفار الذين آذوه والجأوه الى الخروج من مكة موطنه ومقر عائلته الى دار هجرته ومحل اقامته مع سلوك طريق وعر غير مسلك حتى وصل الى اتباعه وانصاره واعتز بحياته بينهم حتى قال لهم بعد فتح مكة : لو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار .

والمغزى الذي يجب اخذه من كثرة هذه الاحتياطات في هذه الرحلة هو اتخاذ الاسباب التي تضمن الوصول الى الهدف المقصود والاستعانة بالكتمان واخذ الاحتياط والعلم بان التوكل على الله هو بعد اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لا قبل ذلك

وهذا ما فقدته المجتمع الاسلامي فصارت احواله وسياسته واستعداداته ان وجدت يقع الاعلان عنها تفاخرا ورياء وكثيرا ما يكون ذلك ادعاء فقط ، ونظرا لعظمة الهجرة وفسحها المجال لانتشار الدعوة الاسلامية اخذ بعض الصحابة يفخر بها على ما يظهر من حديث الرسول الذي ينظر الى الحقائق واصلاح النفوس لا الى المظاهر والانتقال من مكان الى مكان ، وهذا والله اعلم ما يستفاد من قول الرسول : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) ، نقول وهذا هو الحظ الاوفر من الهجرة وهو باق بعد الصحابة المهاجرين لجميع المسلمين الى يوم القيامة ، فالى العمل ايها المومنون .

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون

الرباط : محمد الطنجي

لقد كانت الكنيسة في الغرب لا تهتم بموقف الإنسان وحياته المادية في الأرض ، ولم تكن لها صورة كريمة لبناء العالم وتفهم الأشياء على أساس عقلي ، بل الكنيسة في الغرب على يد (تارتوريان) كانت تؤمن بالاستحلال وترفض المعرفة الفكرية بصفة عامة ، بينما كان (ارنويوس) لا يجد فائدة لاية معرفة كانت ، وقد كان هذا الجمود الفكري في الغرب طاغيا عندما كان (كليمنت) واوروجين ، واثناسيوس) يضعون في الاسكندرية نظرية التثليث الخيالية ايضا ، كما يلاحظ ان (سيريان ، وامبروز ، واغسطس) وجهوا عنايتهم وجهودهم الفكرية لكفاح الانسان الاخلاقي ومشاكل الخطيئة والتعميد ، حتى اصبح التدين المسيحي في الغرب رواقيا يؤمن ان محافظة الانسان على روحه وهدوئها فوق كل شيء ، وظل الصراع دائما بين المعرفة عن طريق الايمان الخالص والحدس . او عن طريق التفكير الديالكتيكي ، بينما الاسلام ظل دائما يجد الحل في كل الاراء والنظريات على اساس (اعتداليتها) .

واذا كانت الاخلاق المسيحية تبنى على المحبة وتحتاج لفلسفة اضافية لبناء المجتمع فالاخلاق الاسلامية تبنى على العمل والحرية والمسؤولية ، وليست في حاجة الى فلسفة لتفسير موقفها من الكون لانها هي الواقع .

ان المسيحية عندما تتقدم في تفكيرها تتصل دائما بالتفكير الاسلامي ، وقد برهن على ذلك (فيكو) في كتابه (خطبة في كرامة الانسان) عندما انفصل عن الاراء المسيحية متحررا تحررا عقليا ومرددا كثيرا من الاراء الاسلامية فقرر ان الله خلق آدم على صورته . زمن ثم انطلق لسرد كثير من الاراء الحرية التي توافق الاراء الاسلامية ، كما ان (كلفان) اعلن عداؤه للتصوير والايقونات في الكنائس لانها تشغل عن العبادة جريا على المذهب السني الاسلامي ، وتبدو الاعتدالية الاسلامية في بناء شخصية المسلم ، فلا رهبانية في الاسلام بمفهوم الرهبانية في الاسلام لا لمفهوم الرهبانية الكنسي ، اما بالمفهوم الاسلامي فالرسول يقول الجهاد رهبانية امتي ، وقد نصح المسلمون الاولون رجال الحرب بعدم مهاجمة الرهبان لانهم اعضاء سلبية في المجتمعات ولذلك فالاسلام وسط بين الرهبانية والفظافورسية .

واذا كانت اللوثرية تعتقد بان لا صلة بين الاخلاص والاخلاق لان الاخلاص امر ديني محض لا ارتباط له بالمكان المطلق الذي هو شحنة الايمان لا شحنة

الاعمال . ولان الايمان يأتي من الله لا من الانسان لتخرج من مشاكل (الوجوب) على الله ، فان الاسلام في اعتداليته قرر العلاقة وفوض الامر لله تعالى بل ان اللوثرية لم تخرج عن نهج بعض الفرق الاسلامية في اعتقاداتها .

ويعتبر مذهب التطهير في المسيحية ان الكسل خطيئة منددا بضروب الاستمتاع ، وهو في هذه المحاولة يقترب من الدعوة الاسلامية الى العمل وترك التوكل والكسل ، واقامة اعتدالية الجدية والتسليّة معا .

وقد اقر مجمع (ترانت) في قواعد تعلم الدين المسيحي ان الايمان التقليدي هو الايمان الصحيح على غرار الكلمة الاسلامية . اللهم ايماننا كايمن العجائز ..

وعندما انتقد (ديدرو) المسيحية ووصفها بالقسوة والتخيل والانقسام والخطر على الامن العام . انما كان ينتقد الانحرافات المسيحية الحقبة التي لو عاش المسيح لسانده في نقدها نظرا لما اصابها على يد الرهبان . بل يرى (ديدرو) ان اللوثرية افضل من الكاثوليكية ، ويرى (الكالفانية) افضل من اللوثرية والسوشيانة افضل منها ، وعبادة الله في المعابد فقط افضل من السوشيانة ... فهل يا ترى وصل الى غير ما دعا اليه الاسلام من عبادة الله المطلق الوجود الذي هو معكم اينما كنتم !

واذا تجاوزنا الكنيسة الى المذاهب الفلسفية والعلمية التي ناهضت الكنيسة فسرى انها في معظمها تانرت بالتفكير الاسلامي . فمذهب (لوك) الحسي الذي صدرت منه الاسس اللازمة للديمقراطية المفردة ان الناس يولدون متساوين ثم تختلف معارفهم بناء على التجارب الحية . يتأثر بالراي الاسلامي الذي يرى ان كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه . او يمجسانه او ينصرانه . وقد انتزع الفكرة السياسية من هذه الفطرة الحليفة عمر حين اعلن ان الناس يولدون احرارا ، وعلى اساس ذلك فالمواطن الصالح انما ما يصفه القانون الصالح ، فالتربية الاسلامية هي التي تكيف المواطن اجتماعيا وسياسيا وتربويا في تركيب فيزيائي اجتماعي . وعلى اساس ذلك ايضا يكون الحاكمون المنتزعون من الامة نفسها حسب الكلمة (وكما تكونون يولى عليكم) فالمستبد العادل في القمة منتخب من القاعدة وقد يكون المستبد العادل رحيمًا عادلا او يكون من خلال تصرفه مسوغا للحكم المطلق ،

الفرد والجماعة ، غير ان فلاسفة اوربا تأثروا بمدرسة ابن رشد على يد طوماس الاقويني فحاربوا الصوفية وشجعوا العقل ، كما حاربوا النظرية المزدوجة التي ترى ان ما كان صحيح في اللاهوت قد يكون صحيحا في العلم ، وهذا الاتجاه الرشدي يخالف الاعتدالية الاسلامية السنية السلفية ويساير النزعة الفلسفية لان الاسلام كان اكثر دقة في معالجة قضايا الانسان من الفلسفة اليونانية فهو لم يخرج الانسان عن الوحدة الكونية بخلاف العلم اليوناني من قبله فقد اهتم بالحياة الانسانية بالدرجة الاولى .

ان الآراء والنظريات الاسلامية التي غزت الفكر الغربي كانت محدودة المجال ولم يكن نفوذها بارزا الا في الجامعات العلمية وعقيلة احرار الفكر الغربي (1) . ولذلك نجد مرونة الفكر السني والاعتزالي التي تقرر التأويل اثرت على (امبروز) الذي اكّد لأوغسطين معتمدا على سلطته الدينية انه لا يجب الايمان حرفيا بما جاء من قصص فجع في الانجيل ، كما ان الشرط العقلي في الايمان انتقل في عصر اباء الكنيسة ، ثم جاء (لوثير) ليظهر تأثره الواضح بالتفكير الاسلامي ، فترجم الانجيل ووضعه بين يدي المؤمنين ، وشدد اصحابه في التأويل الظاهري متمسكين بحرفية النص على طريقة مذهب ابي داود ، كما حجر كثير من الاء في قضايا المعرفة الدينية حتى يكون ما يؤمن به الناس عن اقتناع يبلغ حد اليقين : ... اما الاسلام فهو ينسب عن الاقتناع الفكري والوجداني على أساس حرية العقيدة ومبدأ حرية الفكر والعقيدة واتاح للعلم ان يخطو خطوات واسعة ادت بالفكر الانساني الى صورته الحاضرة ، لان الفكر هو عنصر الحضارة الخلاق وهو الذي يصلنا بالماضي والمستقبل اكثر مما نتصل بهما عن طريق الروابط المريقة والطبيعية والمصالح المشتركة ولان العقل مزيج من العقائد والمثل العليا التي تحرك البشرية لتنشأ الحضارة ويكون التاريخ ، فالحرية ضرورية لانطلاقه ، والاسلام اذ يعتمد على العقل ، يزوده بقوة الايمان ، وصدق الموضوع ، وذلك سر انتصاره في هذا الصراع الابدي بين المادة والروح والجسد والعقل .

والجدلية عن (هيجل) وليفيموا (اعتدالية) للمجتمع . ولكنهم اقاموا المجتمع على (اعتدالية) اقتصادية اكيدة لم يعد الانسان فيها اكثر من آلة صماء ... ولذا كان الفرد اساس الفلسفة والمذاهب وموقعه في الجماعة اهم نقطة شغلت الفكر الانساني ، فمن الطبيعي ان نبدا الفلسفة والمذهب بالفرد ، لان المعرفة انبثقت منه . وعلى اساس ذلك اشتغل المحللون بالجانب النفسي والاجتماعي للفرد ، فتولد عن ذلك الاهتمام به وبحالاته العقلية والنفسية والمذهبية وعلاقته مع غيره . ونتجت عن ذلك المذاهب الاجتماعية والاشتراكية والليبرالية والشيوعية الهادفة لتحقيق سعادته وسعادة مجتمعه . ومن ثم لا يخلو الفرد في كل تاريخ من عناية خاصة باصحاب الفكر ، وكل تطور يحدث في الفكر يجعل من الفرد نقطة التحول والبحث الى ان تبلورت في القرون المتأخرة فلسفة دراسة الفرد وما يسمى بالذات والانا . وكان ديكرت في القرون الوسطى من المع الذين وجدوا كينونة الفرد فبدا من الشعور بالانا . وظل قويا لا يجد من يخالفه الى عصر سارتر الذي بدا اكتشاف الفرد من الوجود ، قبل البدء بالشعور . وبذلك اصبحت الوجودية تعلن ان الانسان موجود ومنه ينبع كل شيء بدل ان ينبع الوجود من المجتمع كما كان . اما في الاسلام فالفرد فيه جزء من الوجود ذاته بل هو جزء من الكون كله . وعلى اساس ذلك اعطى للفرد حريته وللمجتمع حقوقه ليضمن للجميع توازنا نفسيا واجتماعيا واقتصاديا قارا على اساس (الاعتدال) .

وظل المجتمع الاسلامي ينمو في ظلال الفرد والجماعة على اساس فلسفة الاسلام (الاعتدالية) بين الوجود الفردي والوجود الاجتماعي (الاعتدالية) بين ظاهر الوجود الاجتماعي والذاني . .

وقد فقدت اوربا هذه (الاعتدالية) على يد الكنيسة التي حاربت الوجود الفردي فاتجه الفكر العربي الى تنمية روح الفرد بعد الصراع مع الكنيسة فكان التطرف في الحرية ايضا على حساب الجماعة . وهكذا (الاعتدالية الاسلامية) دائما موفقة في التصالح بين

[1] كما ان العرب انفسهم لم يأخذوا من الفكر الغربي الاغريقي الا جانبا واحدا حيث اكتشفوا في منطق ارسطو المعرفة القومية والنقد المركز فتأثروا به وتأثرت به مدرسة طوماس الاقويني الذي اكتشف كثير من اتباعه من خلال بحثهم في الفلسفة اليونانية عن العلم الهلنستي الاسكندري مجالات في الطبيعة ذاتها لا في المنطق . ومهدوا لعلماء الطبيعة في الغرب الذين كان لهم اثر في تطور العلم الطبيعي مثل جليليو ونيوتن .

يحمل العمران المادي ، ولا يقيم الاهرام ، وانما يحمل الثقافة الفكرية والروحية ، وقد سارت العروبة في المغرب المسلم بسرعة فائقة لاسباب كثيرة ولان المسجد كان هو (فروم) المسلمين يخطبون فيه رجال القيادة كما كان الكلية (ايضا يدرسون فيه ويتعلمون ، ومن خلال تاريخ المغرب نعرف مدى اتساع الثقافة في اليهود الاولى للاسلام في المغرب حيث كانت القبور

جامعة عظمى يعلم فيها اساتذة مثل الامام سحنون ، والامام اسد بن الفرات، وتعلم فيها نساء عالمات كخديجة بنت سحنون ، وفاطمة بنت اسد ، ثم تقيم امرأة من المغرب مسجد جامعة القرويين بفاس ، ويشيدون الربط لنشر الاسلام في افريقيا الجنوبية والوسطى في وحدة متناسقة كاملة اقامتها دعوة القرءان .

الرباط : الحسن السائح

فضائل علي

قال الجاحظ :

لا يعلم رجل في الارض متى ذكر السبق في الاسلام والتقدم فيه ، ومتى ذكرت النخوة والذب عن الاسلام ، ومتى ذكر الفقه في الدين ، ومتى ذكر الزهد في الامور التي يتناصر الناس عليها ، كان مذكورا في هذه الخلال كلها الا علي .

لقد تقدم علم الاخلاق في اوروبا منفصلا عن الكنيسة فاصبحت الاخلاق علمية عقلية كما يرى (كلارك) .
اما الاسلام فيرى ان الاخلاق تسير الفطرة والفكر السليم ، ولا تتغير حسب الاهواء والظروف لان الله خلق كل شيء فأتقنه صنعا كما يردد (روسو) في كلامه دون ان يعرف انه يردد آية قرآنية ، والانسان بتدخلاته فقط يفسد الخير ليستحيل إلى الشر .

وكما يروي الاسلام ضرورة الدين للبشر كافة (فلوك) يعتقد ان الدين ضروري لضبط الشعب . والفكرة العالمية التي يهدف لها الاسلام الذي لا يقر الوطنية بالمفهوم الضيق كانت دعوة المفكرين الغربيين إلى عهد (فخته) وفي عمل كثير من رجال الفكر الاشتراكي .

وبينما كان الدين الاسلامي طلائعيا داعية وعي وتقدم دائم، ترى مواقف الكنيسة ضد التقدم مشهورة في التاريخ : فكم اعدمت من مفكرين ، وكم احرقت من علماء ، فانعدمت حرية الراي لانها طقوس كهونية لا دستور مدون ، ولان التوراة كتاب ادبي لا كتاب مذهب وفلسفة وقانون ، ولذلك كانت الكنيسة تستأثر بالمعرفة كالكهان ليقى الدين مجهولا عن الشعب ، اما الاسلام فقد اعطى فرصة التدين والمعرفة للجميع ، فالإيمان فيه متسلسل راسخ ، والمعرفة فيه تتحول وتتجدد والمثل الاعلى هو الشوق الصوفي الدائم الذي يتجدد ولا يدرك أبدا ، وبما ان الاسلام دين ليس فلسفة لانه عقيدة وعمل ، اما الفلسفة فهي وسيلة للنقد والهجوم على التقليد او الدفاع عنه واعادة البناء ، ولقضايا الاجتماعية هي التي تصلح لمنطقة الفلسفة . اما الدين فعالمه اسمى من ذلك واشمل ، وليس في وسع الفلسفة ان تحل المشكل العويص الذي هو بداية الكون ومصيره المزع ، او الاستقرار والتنظيم لما من طبيعة الدين .

لقد ثار كثير من المفكرين الغربيين على الكنيسة ولم يثوروا على الإيمان ، ولقد صاغ فولتر ونيوتن ديانة دون وحي بل صاغ كومت ديانة وضعية لقبها (هسكلي) بانها الكاثوليكية بدون مسيحية ...

وتحرر كثير من المفكرين المسيحيين عن نظرية الخطيئة (الأصلية) متأثرين بالاسلام ، وذلك أقروا ان الجنس البشري قادر على ادراك الكمال كما في الاسلام .

واذا كان المذهب البروتستانتي ترعسم الثورة الدينية على الكاثوليكية ، ومكن الشعوب من قراءة

الثورة ففتحت المدارس وانتشر العلم واصبحت الثوراة اساس آداب الامم الشمالية فانما بدأت من جديد ما دعا اليه القراءان في اول آية منه (اقرا) بل ان نهضة القرن الثامن عشر في اوروبا نتيجة الاحتكاك مع الثقافة الاسلامية التي اذاعت في اوروبا الاراء العلمية والنهضة الصناعية كما تمثلها المانيا الحديثة اليوم الدعوة الى العلم التجريبي ... وشهدت اواخر القرون الوسطى مدرستين عظيمتين : مدرسة اوكام في اكسفورد وباريس ، ومدرسة ابن رشد في (اوروبا) وهؤلاء هم الذين وصلت معرفتهم الى ديكارت وبيكون ليقولوا (بالمنهج) الذي حول التفكير الغربي ، غير ان ديكارت هزم ارسطو فاحتلت الرياضيات مكانة المنطق واصبحت الحياة مجرد تعبيرات كيميائية طبيعية لتقدم على الرياضيات ثم وطد الافكار الدينية على أساس ديكارتي - (مالبرنس) وموسيه من بعد ، فتأثر العقل الغربي في نهضته بالاسلام الذي يقران العلم التجريبي يحتاج للعلم العقلي : (فلا عقل بدون تجربة) والعكس كذلك ، وقد استعمل بعد ذلك فولتر العقل لبنى عليه لاهوتا عقليا وحقوقا طبيعية واخلاقا طبيعية متأثرا بفلسفة ابن طفيل في حي بن يقظان .

ان التقدم العلمي بالنسبة للمسلمين امر ديني سواء كان العلم يتصل بالدين او بالمعارف الدنوية التي لها غايات دينية ، فالاسلام يفرض معرفة ويفسر الاهلة في القراءان على أساس الفلك ، ولذلك يدرس المسلمون الفيزياء والكيمياء والوسائل الميكانيكية لخدمة الانسان عقليا ونفسيا وتربويا اتباعا لتعاليم الدين ، ولذلك اهتموا بالرياضيات واشتغلوا بالحساب وطوروا الارقام ونظموها . وفي تاريخ المغرب نذكر باعجاب تقدم الرياضيات على يد تميم بن طريف مخترع الارقام على الزوايا التي ذاعت في فاس وقرطبة واعتبارها الافرنج المعجزة العربية التي قدمت العلم .

ان الاسلام بدا منطلقا من اول كلمة نزلت في القراءان ، « اقرا باسم ربك » ، فالاسلام بنى على التعلم والمعرفة والتجربة والتأمل والتبصر في الكون ، وحمل الى الشعوب التي اعتنقته بسرعة فائقة كل معارفه وتجاريه ، فكان المسلمون الاولون يحملون القراءان في فتوحاتهم ليعرفوا العالم الاسلامي بدعوة القراءان في سهولة ويسر . وحسبنا ان نصرف نجاح الدعوة الاسلامية في المغرب من اول يوم - ونسرى في المغرب طارقي بن زباد كخطيب مفوه وسابق الفطلي كشاعر كبير ، وبحيى النيثي كفقيه مجتهد ، لان الاسلام لا

موقوفا على امة دون اخرى او على جنس دون آخر فان الهمم القوية والعزائم الموجهة تستطيع توجيه الفرد الى ما فيه الخير له ولائته . لذلك يمكننا اذا امننا بحقيقة العلم وصلاحيته واعتقدنا ذلك ان نرفع من مستوى التعليم الجامعي في امتنا وان نرفع من مستوى التقدير المعنوي لعلماؤنا فنشجعهم على مواصلة العمل وندفعهم الى الاخلاص في عملهم والى تقدير مسؤوليتهم .

قيمة العالم الحقيقية لا ترجع الى ما يكتسبه من ربح خاص به وانما ترجع الى ما تكتسبه الامة منه ومن تجاربه واعماله ؛ لهذا ارى ان الواجب يفرض علينا تقدير العلماء من جهة ويفرض على العلماء تقدير مسؤوليتهم من جهة اخرى وبذلك تنصهر مصالحهم في مصالح الامة وتندمج منافعهم بمنافع باقي الافراد .

الشعور بالمسؤولية الوطنية واجب ملقى على عاتق العلماء وقد يربطون بينه وبين الشعور العالمي ولكنه ارتباط يجب ان لا يؤدي مطلقا الى الاضرار بالوطن او يتسبب في اهانة الامة التي ينتمي اليها العالم . المسؤول .

اذا فقد العالم الشعور بمسؤوليته الوطنية فقد يصبح آلة في يد اعداء الامة التي ينتمي اليها . يصير علمه آنذاك خطرا على دولته وعلى مواطنيه .

ولهذا فلا يمكننا ان نفصل ابدا العنصر العلمي عن العنصر التوجيهي الذي يتصل بكيان الدولة وبأخلاقيها وبتربيتها اذ لا بد من ايجاد برامج كفيلة بتحقيق هذا الغرض الذي يجمع بين التوجيه السليم والعلم النافع اذ لا منافاة بين العلم والتوجيه التربوي الذي يتصرف في مصير العلماء .

والغالب ان الدول الكبرى لا تهمل هذه الظاهرة في تعليمها وتوجيهها فهي تعمل ما امكنها على ربط شعور العالم بامته حتى يصبح منقادا لها يعمل من أجلها ويخدم بعلمه حاضرها ومستقبلها .

فالعالم السوفييتي مثلا قد يهدف الى تحقيق اغراض واهداف يكون فيها النفع للسوفييتيين دون ان يكون في اعتباره غيرهم لان مصالحه القومية تقتضي ذلك وكذلك العالم الامريكي مثلا قد يعمل على البلوغ بعلمه الى تحقيق الرخاء والازدهار والتمكّن من الاستمرار الحكمي لأمريكا دون اعتبار لباقي الدول الاخرى .

ومعنى ذلك هو ان هذا الشعور الداخلي المرتبط بالعمل على جعل الامة التي ينتمي اليها العالم في مركز القيادة ليس غريبا عن الانسان وليس بعيدا عن الشعور البشري لان حب الظهور وحب التغلب وحب الانتصار وحب القيادة غرائز بشرية ان العلم لا يمحوها وانما يهذب طريقة تنفيذها وتحقيقها فقط .

واذا علمنا ذلك وجب علينا ايضا ان نربط بين العلم في امتنا وبين الاهداف التربوية التي يجب علينا تحقيقها فنحن في حكم الجغرافية البشرية مغاربة عرب مسلمون لا نرضى ان نسلخ عن هذه الخصائص وان نبتعد عنها بل ان شعورنا الداخلي يدفعنا الى الغضب والتحدي والمقاومة كلما شعرنا باهانة لهذه المقومات من غيرنا ولكن فرق كبير بين ان نغضب اذا اهاننا غيرنا وبين ان لانغضب اذا نحن اهنا انفسنا فان الغضب التقليدي الذي يأتي عن طريق الانفعال ولا يأتي عن طريق العمل هو غضب طائش قد يضر بالامة اكثر من ان ينفعها لانه غضب لا يدفع الى البناء وانما يؤدي الى الانتحار .

تصور موقف العرب في ايام النكسة التي اصيبوا بها في حرب فلسطين فان غضبهم وحده لا يكفي اذ لابد من استعداد علمي يؤازرون به غضبهم ليكون لذلك الغضب نتيجة ايجابية اما ان نغضب لاننا اهنا في كرامتنا ثم نستمر في لهونا وعشنا وتنكرنا لتقاليدنا واهمالنا لاسس الرقي فان هذا هو العمل المنكر الذي لا يرضاه العقل ولا ترضاه الهمم .

من غضب من أجل الانكسار يجب عليه ان يبحث عن اسبابه وان يوجه عنابته الكبرى للقضاء عليه فاذا كان جاهلا فليقبل على العلم واذا كان متخاذلا فليتحّد واذا كان مريضا فليبحث عن اسباب العلاج اما اذا استمر على لهوه وعيئه وجهله رغم معرفته للاسباب ولوسائل العلاج فانه يكون آنذاك كالعالم الذي لا يعمل بعلمه وكالمريض الذي يعرف ان شفاؤه في تناول دواء معين ولكنه يرفض تناول ذلك الدواء فيكون مسؤولا عن استمرار مرضه وتعذر علاجه .

اذا اتضحت هذه الحقيقة أصبح من الضروري استيعابها ومحاولة تنفيذها في برامجنا العامة وصار من اللازم اذاعتها في جميع المجالات لان العلم في الحقيقة اساس عملي لحياة الامم وترقية الشعوب وذلك اذا كان يهدف الى الخير والسلام اما اذا كان يؤدي الى الخراب او التنكر للمقومات التربوية التي ترفع من شأن الانسانية فانه سيصبح خطرا على العالم وقد يكون في يوم من الايام سببا في الدمار .

التوجيه العلمي والتياطة بالترقية

لأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

طريق العلم واضحة : مواظبة على التعلم وإخلاص في الطلب من المواطنين وتشجيع للمراكز العلمية وإنشاء لها من الحكومات الرسمية ومن الهيئات العامة ومن الأفراد المخلصين .

العلم واجب وطني يتحمل مسؤوليته كل أفراد الأمة وجميع الهيئات الإدارية والحرية ، لهذا نجد في بعض الدول الرقابة شركات وهيئات تؤسس بعض الجامعات وتكفل العلم وتحميه وتستغله للمصالح الاقتصادية وتنمي به الدخل العام للأمة .

فلم يعد من المعقول أبدا في هذا العصر أن تحيا أمة جاهلة حياة كرامة وعزة وحياة رفاهية وغنى فان العلم أصبحت له السيطرة على توجيه الأمم وأصبحت بيده الموارد والنشآت العامة فكم من أمة بسبب جهلها صارت كالبقرة الحلوب يستغلها الآخرون وهي لا تلقى من وراء الاستغلال إلا جهدا وغناء بل أن الأمة الجاهلة قد تؤخذ منها المواد الخام بثمن بخس ثم تعود إليها بعد أن تحولت على يد الفنيين والعلماء الماهرين إلى أشكال أخرى بثمن مرتفع قد ينزف اقتصاد الدولة الجاهلة ويجعلها دائما في خضوع وخضوع .

وكم يعجبني هنا قول الرصافي رحمه الله :
إذا ما الجهل خيم في بلاد
رأيت أسودها مسخت قرودا
وليعلم القراء أن التقدم العلمي في العالم ليس

الحاجة إلى تحقيق وجودنا وإثبات شخصيتنا تدفعنا إلى العمل من أجل الحصول على المعرفة والتبحر في العلوم العامة لأن كيان الدول لا يقوم على الجهل أبدا فبالعلم غزا الإنسان الفضاء واستغل الإمكانيات الطبيعية التي لم يكن له بها علم فكشف عن الطاقات المجهولة وبحث عن وسائل الغذاء التي تمكن الإنسان من الحياة الرغيدة الآمنة .

لقد أصبح العلم ضروريا لحياة الأمم وترقية الشعوب ، والأمة الجاهلة لا تثبت وجودها ولا تستطيع حماية نفسها ممن يحاول غزوها أو يريد استعبادها .

إن العلم هو المحرك القوي الذي يدفع الأمة إلى الامام وهو السلاح الناجح الذي يحمي الذمار ويصمد أمام الجهل والذل والعار فإذا استطاعت أمة أن تعتني بالجانب العلمي وتعمل على إنشاء المعاهد والجامعات فإنها تصبح سيدة متحكمة وتصير لها هيبتها بين الدول .

الدولة الجاهلة أمام الدول العالة كالقزم أمام العمالق لا يستطيع مطاولتهم ولا مقاومتهم بل إنها كالمشلول الذي يريد أن يسابق الأقوياء الأصحاء المفتولي العضلات يسرون إلى الامام وهو متقاعس جائم لا يستطيع حراكا .

فإذا شعرت أمة بالتخلف أو أحست بضعفها أزاء الأمم الأخرى فما عليها إلا أن تسرع إلى التسليح بالعلم لأنه مفتاح الخير وباب الأمل .

في سبيل تصحيح مفاهيم تاريخ
الفكر الاسلامي والثقافة العربية

كانت مرحلة مُقاومةٍ وتحدٍ ولم تكن فترة انحطاط

للدكتور أحمد أنور الجندي

ربما أحدث اثره في الاداب نتيجة للهزة العاطفية التي أصابت المسلمين بعد سقوط (بغداد) مقر القيادة السياسية الاسلامية ، اما اثره الفكري فلم يكن عميق الغور ، اذ أن مراكز الثقافة لم تلبث أن انتقلت الى الشام ومصر والمغرب ، ويمكن القول بأن « عصر الغزو والمقاومة » كان امتدادا طبيعيا لعصر « التبلور والانصهار » لعالم الاسلام فكرا ومجتمعا . بل أن ثمرات الفكر الاسلامي والعلوم والفلسفات كلها قد تفتحت في عصر المقاومة ، ولعل الادعاء بأن هذه المرحلة جميعها فترة ضعف ، ولا نقول انحطاط ، قد جاء بنتيجة ما لوحظ من توقف حملات الصراع بين المذاهب والدعوات ، التي اتسم بها « عصر التبلور والانصهار » بيد أن هذا التوقف في معارك السجال ، وانما هو ظاهرة طبيعية لهذه المرحلة ، وليس علامة جمود ، فان المذاهب التي نشأت نتيجة اختلاف مفاهيم المعترلة والسنة ودعاة الكلام والفلاسفة والتصوف كانت قد تقاربت ، بعد أن زال الصراع السياسي الذي كان يحمل لوائها ويستخدمها ، وبعد أن دخلت الى الاسلام موجات ضخمة من السلاجقة والبربر والمماليك وعناصر مختلفة من الاجناس والامم ، وبعد أن غلبت الثقافة السنية التي حمل لوائها الاثراك في عناصرهم المختلفة : سلاجقة واتيكة وايبويين وعثمانيين من بعد وكانوا بالاضافة الى المماليك والبربر (المابطون والموحدون) جميعا من انصار الثقافة السنية ، بينها كانت الثقافة التي تحمل طابع اهل البيت — وهي اساسا لا تختلف مع مذهب السنة والجماعة الا في

حاول بعض المؤرخين والكتاب أن يصفوا الفترة من 656 هـ بعد سقوط بغداد الى 1213 هـ 1798 م — وهو تاريخ قدوم نابليون الى الشرق — بأنها فترة انحطاط .

والحق ان هذه القرون الستة لا يمكن أن تدرس على انها مرحلة واحدة ، ولا يمكن أن يصدر عليها حكم واحد فضلا عن ان علامات اليقظة في عالم الاسلام سبقت قدوم نابليون بوقت طويل ، وقد انبعثت من الاعماق ولم تكن بفعل مؤثر خارجي .

واعتقد أن هذا الحكم ربما قصد القائلون به قطاعا معيناً هو « الادب العربي » ثم انسحب على الفكر الاسلامي كله ، ذلك أن الدلائل المؤكدة تثبت أن « الفكر الاسلامي » قد واجه مرحلة ضخمة من مراحل التحدي خلال فترة الغزو الخارجي ، وانه استجاب استجابة واضحة فكان على مستوى المعركة ، وقد استمر هذا الفكر قويا الى مرحلة (عصر الوحدة الاسلامية العثمانية) وأن فترة ضعفه لم تزد على مائة عام قبل ظهور دعوة التوحيد على لسان الامام محمد ابن عبد الوهاب .

*

والواقع ايضا ان « الادب » ليس هو « الفكر العربي الاسلامي » في هذه المرحلة ، ولكنه قطاع واحد منه ، ولم يكن سقوط بغداد في الحق هو أول مرحلة الغزو الصليبي ، وليس سقوط بغداد احادنا جزئيا ،

وحيث اننا اصبحنا نحس بأن العلم سلاح ذو حدين يمكنه ان يبني ويشيع الخير والسلام ويمكنه ان يهدم ويشيع الشر والفرع لم يعد مبرر لاهمال الجانب التربوي في التوجيه العلمي .

وهذا الجانب يجب ان نستمدده نحن العرب من كياننا ومن وجودنا وأن نضفي عليه حلة من قوميتنا وديننا . فالعالم العربي يجب ان يجمع بين الحقائق العلمية وبين شعور يربطه بأمته وتربيتها ولا يتأتى ذلك الا بتوجيه تربوي يبدأ من المدرسة الابتدائية والثانوية ويصل الى التعليم الجامعي اما اذا انحرف التوجيه التربوي في ربط شعور العالم بأمته فان ذلك التعليم قد يؤدى عكس ما كنا نتوخاه منه بحيث نتيقن بأنه سيوجد لنا علماء سيكونون كالأجانب في أمتهم لا يفكرون وفق مناهجها في الحياة ووفق مصالحها الخاصة وهذا هو السبب الذي يدفع كثيرا من المهتمين بالتربية والتعليم في أمتنا الى الدعوة الى ربط التعليم باللغة العربية وبالتربية الإسلامية وبالتاريخ الحضاري للعرب لانهم يرون في ذلك احياء لقوماتنا وبعثا لحضارتنا وتجديدا لتقدمنا العلمي وفتحاً لمجال العمل الجدي من أجل تحقيق مستقبل زاهر للأمة العربية .

ان المستقبل هو النتيجة العملية لأعمالنا الحاضرة فاذا كنا نعمل بجد واخلاص وفق برنامج صالح ومخطط واضح يرتكز على احياء المقومات وحفظ كيان الأمة كان المستقبل زاهرا وكان الغد خيرا من الحاضر ومن الماضي إما اذا كانت البرامج منحرفة وكانت التربية منكوسة فان المستقبل أيضا يكون مظلماً ويكون ضائعاً ويكون أسوأ من الماضي والحاضر .

اذا كان الامر كذلك فما علينا الا ان نخطو خطوة عملية في تحقيق هذا الهدف المقصود فنعمم تعليم اللغة العربية ودروس الحضارة الإسلامية ونوجه النشء الى تربية دينية قد تكون قادرة على توحيد سمورنا في المستقبل .

ومن المعلوم أن طلبة اليوم هم علماء الغد واساتذة المستقبل فاذا تكونوا ونضجت عقولهم وتهذبت نفوسهم

اصبحوا مسؤولين عن توجيه الأمة وجهوها الى الخير والصواب .

فمسير الأمة في المستقبل رهن في أيدي شباب اليوم فان وجهوا الى العلم والخير كان المستقبل وضيئاً مزدهراً وعليه فان الواجب الوطني يدعو جميع الافراد الى العناية بالشباب وتربيته وتوجيهه الى طريق العلم الناجع المفيد .

وما العلم الناجع المفيد الا العلم الملقم بالاخلاق الفاضلة الهادفة الى اصلاح الأمة واصلاح الانسانية .

فالعلم دون اخلاق قد يكون خطراً على الأمة وشراً على العالمين .

ومن أسس الاخلاق استغلال العلم للترفيه على الأمة وللعمل على تنمية اقتصادها وتقوية دفاعها وابعاد الاذى عنها .

ويربط التوجيه العلمي بالشعور التربوي نستطيع ان نهيب العلماء الذين نرجوهم وهم العلماء الذين يجمعون بين قوة العلم وقوة الايمان ويضيفون الى معرفتهم العامة شعوراً قومياً يحققون به وجودنا ويثبتون به شخصيتنا امام الراي العام العالمي .

اننا لا نستطيع ان نفصل عن الكتلة البشرية لاننا نتسبب اليها عن طريق الجنس والمصالح المشتركة ولكننا لا نريد ان نتصل بها دائماً اتصال التابع بالمتبوع او اتصال الحب الولهان الذي ينسى وجوده ويندمج اندماجاً كلياً في عشيقه بل نريد ان يكون في علاقتنا بالغير عنصر العقل من حيث اختيار احسن ما عنده وعنصر العاطفة من حيث الاعتزاز بالعنصر الشخصي المستقل الذي يثبت شخصيتنا كأمة ذات حضارة وتاريخ ودين وذات مبادئ سامية ترى صلاحيتها للعالم وتعمل من أجل ابقائها ونشرها بين اطراف المعمور .

وبهذه التربية القوية نستطيع استغلال الطاقات العلمية في تنمية المجتمع وفي رفع مستوى البلاد اقتصادياً وخلقياً ونستطيع بناء دولة قوية تستند في بنائها وتحقيق وجودها على العلم والاخلاق .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

والقصة والنصوص . وفي تأليف الموسوعات وكان ذلك تحدياً للضعف السياسي ، وكان مجال العلم التجريبي والفلسفة قد اتسع افقه في الاندلس ، بينما عرفت الشام صر بالتقدم في مجال الفقه والنصوص .

*

ولعل من أهم الظواهر في هذه المرحلة : (ظهور الثقافة العربية) مقام الادب العربي الذي لم يكن في كل هذه المراحل ممثلاً للفكر الاسلامي ، وقد كان طابع التكامل والوسطية التي اشتهرت في الابحاث في هذه الفترة اكثر أصالة من ذلك التمزق الذي حفلت به الفترات الماضية حين كان الادباء والشعراء يذهبون الى أبعد مدى في خدمة الامراء واذلال النظم لهم ، وقولهم غير الحق ، واسرافهم في المدح والهجاء ، والجون والاباحة الخمرية على نحو بلغ انحرافه عن مفهوم الاسلام حداً كبيراً .

ان الثقافة العربية في مرحلة الغزو الخارجي قد كانت تحررت من خلافات المذاهب ومعاركها ، كما تحررت من اهواء الشعراء والنظاميين من الواقفين على اعتاب الامراء ، ومن ثم كان العلماء وهم القادة في هذه المرحلة اشد الناس عزوفاً عن عطايا الحكام او قبول مناسبتهم ، تحرز لفكرهم واستعلاء على قبول الظلم او كتمان كلمة الحق ، وكان للثقافة الاسلامية في هذه المرحلة اثرها الواضح في التخلص من المحسنات البلاغية وجمع الفنون المختلفة والمزج بينها ، وكان التأليف الموسوعي الجماعي المتنوع في هذه المرحلة يهدف الى تقديم المعرفة بصورة شاملة وسريعة ، وكان ذلك في واقعه انما يمثل اكبر رد فعل للغزو الصليبي والفرنجي والمغولي وما دمر من مكتبات وقضى على معاهد وجامعات ، فهو عصر خوف وسرعة ومقاومة ، استهدف جمع حصيلة ضخمة من التراث الاسلامي وحفظها وتنسيقها في موسوعات ما تزال حتى الآن من الاعمال التي قامت عليها النهضة الحديثة في مجال التراجم والفقه واللغة .

اما توقف الاجتهاد وغلبة النقل والتعليق فيرجع ذلك الى طابع العصر نفسه ، فان عصور المقاومة والجهاد لا تتيح فرصة العمل المنظم الذي يحقق الابداع

والاجتهاد ، ابداعاً واجتهاداً يتصل بمصير البناء ونمو الحضارات وازدهار السلام ، كما يقوم في كنف الوحدات النامية المزدهرة ، ومن خلال تطور الحياة الاجتماعية ونموها بالتفاعل والتعامل ، اما في عصر المقاومة فمن الحق ان يتصرف الفكر الاسلامي كله الى شحذ اسلحة المواجهة والجهاد واعادة صياغة الفكر على نحو من الشمول والتكامل حتى لا يفقده الغزو المتصل مقاوماته الاساسية ، وآية ذلك ان النشاط العقلي للمسلمين لم يتوقف وان ضعف فيه الابتكار الذي هو ثمرة حياة الدعة والسلام ، وبرزت ظاهرة تأليف الموسوعات التي تعد من اعمال مراحل التحدي والمقاومة ، ويمكن القول بأن هذه ليست فترة موت ولكنها فترة بناء على نحو يتفق مع تحديات العصر في مجال حيطة وحماية وتجديد الفكر الاسلامي وتنسيقه على نحو جديد .

وقد تنوعت الثقافة في هذه المرحلة بين ابحاث التاريخ والجغرافية والادب والكلام واللغة والعروض والحديث والتفسير والفلك والموسيقى والسياسة والرياضة ، ويرجع ذلك الى انتشار دور العلم في ارجاء مصر والشام وخزائن الكتب ، وقد وصف حكام هذا العصر بانهم مثقفون ثقافة ممتازة ، وقد احاطوا أنفسهم بطبقة ممتازة من المثقفين ، وآية ذلك مجالس بدر الدين محمود وصلاح الدين الحافلة بأهل العلم ، فضلاً عن بناء المدارس ، وقد مضى المماليك في نفس طريق الايوبيين ، فكان الظاهر بيبرس يقرب النابغين في كل علم ، ومنه ، ويقول : ان سماع التاريخ اعظم من التجارب وكذلك فعل قلاوون ، وظلت المساجد خلال هذه الفترة عامرة بحلقات العلم وكذلك الزوايا والمدارس .

وقد ابرزت هذه المرحلة عدداً من الاعلام .

القزويني 605-682 ، ابن منظور 620-711
ابن نباتة 686-768 ، ابن قيم الجوزية 691-851
ابن بطوطة 703 - 779 القلقشندي 756 - 821 ،
المقريزي 766-845 لسان الدين ابن الخطيب 733 -
808 ، ابن خلدون 732 - 808 .

وهكذا تنهار من اساسها تلك الشبهة التي تقول ان مرحلة ما بين سقوط بغداد وقدم الحملة الفرنسية كانت مرحلة تخلف وثبتت عكس ذلك .

انور الجندي

الفروع - قد انحسرت في منطقة فارس وما بعدها وتمثلت في الفرس والتتار .

✱

ومن ابرز ما تتسم به هذه المرحلة منذ الغزو الخارجي للعالم الاسلامي (الصليبيون في المشرق والفرنجة في المغرب) هو غلبة طابع التصوف على الجماعات الاسلامية وتغلغل هذه الظاهرة في المجتمع الاسلامي وتأثيرها على مفاهيم الثقافة السنية والربط بينها وبين مفاهيم الثقافة الشيعية في الالتقاء على حب النبي وآل البيت مما قرب هذه المرحلة بين اهل الفقه وأهل التصوف وبين السنة والشيعية جميعا .

وقد كان لسمة « التصوف » الظاهرة الواضحة في هذه المرحلة اثرها البعيد المدى ، في معركة المقاومة للغزو الاجنبي . فقد كانت من عوامل القوة الدافعة لمجموعات ضخمة من الشباب بالفتوة والمرباطة في سبيل الله والانصراف الى الجهاد والمقاومة والاعتصام بالشعور . والانصواء تحت لواء القوات الاسلامية المندفعة بقيادة عماد الدين زنكي ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الايوبي ، والظاهر بيبرس ، ويوسف ابن تاشفين وعبد المؤمن بن علي وغيرهم من زعماء مقاومة الغزو الخارجي لعالم الاسلام .

وفي هذه المرحلة كانت المعاهد الاسلامية القائمة في انحاء العالم الاسلامي هي العامل الاكبر الذي حافظ على اللغة العربية والفكر الاسلامي : الازهر في مصر ، والقرويين في فاس ، والزيتونة في تونس الاعظم بالقيروان ، والاموي بدمشق ، ومعاهد النجف وكربلاء وسامرا ، وكلها استطاعت ان تحتضن الفكر الاسلامي واللغة العربية في هذه المرحلة الدقيقة وتذود عنها عادية الغزو ، وقد ظلت هذه المعاهد من حلقات المساجد والكتاتيب ، والى الجامعات قائمة بدورها التاريخي ، خلال فترة اجتياح المغول والصليبيين والفرنجة لعالم الاسلام .

وكان دور المرأة في مجال العلم خلال هذه الفترة مطرد النماء ، فقد ظهرت اسماء لها شهرتها في هذه المرحلة من المسلمات المتفقيات ، كن يعلمن ويتحدثن في مجالس القاهرة ودمشق ، كما رافق حكم المالك في مصر والشام حركة علمية ادبية توافرت خلالها المدارس والمكتبات والمؤسسات الخيرية فضلا عن التأليف والابحاث الدينية واللغوية وظلت اللغة العربية هي لغة العلم والسياسة .

وكان للازهر دوره الضخم في هذه المرحلة . فقد اطلق صلاح الدين الايوبي 567 - 1171 م للازهر رسالته في مجاله الثقافية الاسلامية السنية ، ومنذ عصر صلاح الدين أصبح الازهر جامعة الفكر الاسلامي ومهدا للاسلام واللغة العربية ، فلما جاء الظاهر بيبرس جدد شباب الازهر ، حيث عادت صلاة الجمعة .

وكانت للازهر في مرحلة الغزو والمقاومة مدارس فرعية متخصصة تمده بالطلاب ، وكانت اقامة هذه المدارس قد بدأت في عصر الدولة الايوبية ، وقد اقامها نور الدين محمود في الشام (دمشق وحلب) وفي مصر قامت مدارس مختلفة لدراسة الفقه الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي والحنفي ، وفي المدرسة الناصرية تولى شأن الدراسة ابن خلدون وتعهده الازهر علماء كثيرون في مختلف انحاء عالم الاسلام ، في هذه الفترة منهم : عبد اللطيف البغدادي (589) هـ وقد تولى التدريس بضعة اعوام فيه ، وكان موسى بن ميمون يلقي فيه دروسا في الرياضة والفلك والطب ، وكان شرف الدين ابن الفارض يعقد به حلقات الصوفية الروحية . وكذلك شهاب الدين السهروردي ، وشمس الدين بن خلكان صاحب وفيات الاعيان ، وكان الازهر في هذه المرحلة يضم اعدادا ضخمة ، وكان مفتوحا للطلاب من كل مذهب ، تدرس فيه سائر العلوم الدينية واللغوية ، ويقوم على تثقيف العدد الكبير من الطلاب عدد كبير من الاساتذة ، يقصدونه من كل بقاع عالم الاسلام ، ويقطن في اروقته منهم عدد كبير ، بلغ في اواخر القرن الثامن الهجري سبعمائة وخمسين طالبا (المقريري) .

✱

ومن علماء الازهر في القرن الثامن الهجري : شمس الدين الاصبهاني (امام الدنيا في القوميات) وشرف الدين الزواوي المالكي ، وكان بمصر من الاندلس العلامة : محمد بن يوسف ابن جنان النقري ، والعلامة الحافظ بن حجر العسقلاني ، وتقي الدين المقريري ، تلميذ ابن خلدون ، والحق ان الازهر منذ الغزو المغولي والقضاء على الحضارة الاندلسية ، أصبح اكبر مهد في عالم الاسلام كله ، وميزته انه يتوسط هذا العالم ، وانه قريب من الحجاز ، وله صبغته العربية المحضة (د . فولز) والواقع ان هذه الفترة ناضلت فيها الثقافة الاسلامية وان ضعف الادب ، كانت عوامل اليقظة والقوة واضحة في مجال التاريخ

ولكن الدين وحده ، هو الذي يخبرنا لم يعيش الإنسان ؟

((افحسيتم انما خلقناكم عبثا ، وانكم الينا لا ترجعون)) . ((تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي الموت والحياة ليلوكم ايكم احسن عملا)) . والدين وحده هو الذي يخبرنا ايضا : الى اي غاية يجب ان توجه حياة الانسان ؟

نخلص من هذا كله : الى ان التطور الفكري والبحث العلمي لا يتعارضان مع الاسلام في شيء البتة ، ومع قليل من التحفظ ليس لدينا ما يمنع من قبول تلك الاراء التي ذهب اليها الفيلسوف ((وليم جمس)) في قوله ((ان موضوع العلم ، وطرق البحث ، واساليب المعرفة فيه تختلف عنها في الدين ، ومع هذا لا يناقض احدهما الآخر)) .

ولكن مما ينبغي معرفته ان الفيلسوف وليم جمس يتحدث عن دين تنحصر وظيفته في النهوض بروح الانسان فحسب ، والدين الاسلامي غير هذا لانه ينظم الحياة من جميع وجوها فهو نظام عالمي عام . يوجه الانسان في الحياة ويساعده على ان يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية اسمى درجة من الكمال الانساني . في الروح والخلق والمادة والعقل والقيم ، لانه قانون الفرد والجماعة والعلاقات ، وكل تكييف لعمل الانسان حسب تعاليم الاسلام يعتبر عبادة مشروعة .

والاسلام لا ينسجم مع نتائج البحث العلمي والعقلي فحسب ، بل قدس هذا النوع من البحث ، فجعل متابعته واجبا دينيا يؤجر عليه المسلم ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) .

وكلمة العلم في القاموس الاسلامي اطلقت ولم تخصص ببادة معينة من مواد العلم فوجب ان تبقى مطلقة دون تقييد بمعلوم مخصوص او منظور مخصوص ((هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) ويرشدنا هذا الاطلاق الى ان العلم في نظر القرآن ليس خاصا بعلم الشرائع والاحكام من حلال او حرام وانما العلم في نظره هو كل ادراك يفيد الانسان توفيقا في القيام بمهمته العظمى التي القيت على كاهله منذ قدر خلقه وجعل خليفة في الارض ، وهي عمارتها واستخراج كنوزها واظهار اسرار الله فيها ، فادراك ما يصلح به النبات وينمو ويثمر وما تستنبت به الارض وتحيا ((علم)) .

وادراك ما يصلح الحيوان ويستمر في نسله وتتصل قوته علم ، وادراك موارد الصناعة على

اختلاف انواعها وكيفياتها وتوزيعها علم ، وادراك الامراض وعلاؤها وكيفية علاجها وطرق الوقاية منها علم . وادراك ما تعرفه الامم من وسائل الدفاع والهجوم حفظا للوطن ودفاعا بما يرهبهم علم ، وقد جاء الايمان بهذا كله واضحا وجليا في القرآن الكريم وبه كان العلم بمعناه الشامل العنصر الاول من عناصر الحياة في نظر الاسلام .

ما دام كل ذلك في سبيل النفع العام المنقذ للانسانية ، المعالج لادوائها ، المفيد لتقدمها ورفقيها .

والاسلام الحنيف يدعو الى العلم ، والعلم يؤيد دعوة الاسلام ((ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)) .

((ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب)) .

فالاسلام ساق هذه المظاهر الكونية ليرشد الى العلم الصحيح . والى الايمان بالله خالق الكون .

وكلما دق علم الانسان بالطبيعة ومظاهرها كلما ازداد ايمانا بالله . ومفاتيح العلم في الاسلام واضحة صريحة لا عوج فيها ولا امتا ، فالقرآن الكريم صراحة وضحا وجلة وتفصيلا يدعو الى العلم والسير والنظر . ولفظ القرآن نفسه مشتق من القراءة ، وهي ادنى مفاتيح العلم لبني الانسان ، وان اول كلمة نزلت على رسول الانسانية محمد — عليه الصلاة والسلام — هي « اقرأ » وكلمة « اقرأ » فيها من الامر والتوجيه العالمي الملزم لكل مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان .

وان اول قسم في القرآن الكريم اقسم به الرحمن في ثاني آية نزلت بعد الامر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالتعلم وبما يسطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون » .

فاول سورة نزلت من القرآن سورة « العلق » ومن العلق يخلق الانسان وكانت السورة التالية في النزول لسورة العلق هي سورة « القلم » وبالقلم يكتب ويتعلم الانسان .

فانسانية الانسان لا تكون الا بالخلق والعلم قال رب العزة « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان . علمه البيان » .

الدين والعلم والخبرة في الاسلام

لأستاذ أحمد عبد الرحيم السامح

انكارها : أن العلم والدين يلتقيان في اسعاد البشرية .
ورغاية الانسانية .

غاية العلم : الكشف عن الحقيقة وخدمة الانسان
في الحياة .

وغاية الدين : اسعاد الانسانية في الحياة الدنيا،
وفي الآخرة .

فالدين : أداة لمعرفة الحقيقة ، والعلم : أداة
لمعرفة الحقيقة .

اذن ... : العلم والدين يواجهان الحقيقة الا أن
الطرق مختلفة ، فالدين يعطي المعرفة من طريق
الوحي ، مدركة ببصيرة خاصة ، على حين ينشُد
العلم المعرفة عن طريق البحث والملاحظة ومقاييس
التعميم والاختيار والتجربة ، والعلم لا يحكم بصدق
تضية الا اذا خضعت لاسلوبه وقام عليها البرهان .

وان الطرائق العلمية والدينية لتعرف الحقيقة ،
لبست متعارضة ، ولا ينفي بعضها بعضا ، فان الدين
والعلم يعالجان حقيقة واحدة ، غير أنهما يمثلان نواحي
مختلفة فحما لا يتفقان بالضرورة في رؤية الحقيقة الا
أنهما يواجهانها من طرق مختلفة .

والعلم وحده هو الذي يخضع للتجارب في المعامل
ويرى فيها جوهر الحياة وعناصر القوة قال العلامة
(اينشتاين) : ((العلم يخبرنا بما هو كان ولكن الوحي
وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون)) .

وهذه التفرقة التي ذكرها اينشتاين مهمة وحقيقة
واقعة لاجدال فيها . فالعلم يصف ويحلل ، والدين يأمر،
وقد يستطيع العلم أو يفيدنا ما هو الانسان ؟ وكيف
اصبح على ما هو عليه ؟

الدين والعلم : كلمتان من أشيع الكلمات قديما
وحديثا . ولكل كلمة مدلولها ومفهومها .

فالدين : هو القوانين الاعتقادية التي جاءت من
طريق الوحي الالهي . وهو ضالة الارواح ، وأنشودة
العواطف ، وبلسم جراح الحياة ، ونسيم الراحة
والطمأنينة ومهب نفحات الحق ، وهو واحد لا تعدد
فيه ، بعث الله به الانبياء كافة الى الامم رفعا لما طرا
عليهم من الخلاف ، وحسما لما احتوشهم من روح
النزاع « كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا فبعث الله
النبين مبشرين ومنذرين » .

وجاء في دائرة معارف القرن العشرين حرف (د)
أن الدين : هو الطاعة والانقياد واسم لجميع ما يعبد به
الله .

والعلم : هو مجموع المعارف الانسانية المؤيدة
بالدلائل الحسية والعلم لا يعترف بمسألة الا اذا قبلها
العقل وايدها الحس ، وقبلت الخضوع لاسلوبه من
الاختبار والتحصيل والغربة والتحقيق والتدقيق .

ويطلق العلم أيضا : على ما يضاد الجهل على
الاطلاق وقد يقصد بالعلم تلك المعرفة الرياضية
والطبيعية التي قامت على تجارب دقيقة والتي وصل
عن طريقها الانسان الى كشف قوة البخار والكهرباء
والذرة الى ما شاء الله .

واذا كانت هذه التعاريف : تعطي في مضمونها
الحد التام لمعنى كلمتي : الدين والعلم ، فهل يجتمعان ؟
او لا يجتمعان ؟

في نظر الماديين والطبيعيين : انهما نقيضان لا
يجتمعان وضدان لا يلتقيان والحقيقة التي لا يسوغ

وقالت أيضا : « وان أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جدا » .

وقال العلامة « كارينسكي » ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان الابحاث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت أوروبا في ظلمات القرون الوسطى » .

وقال الفيلسوف الفرنسي « الكسي لوزاون » . « خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل للأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا او المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية » .

قال العلامة « دربير » المدرس بجامعة (هافارد) بأمريكا في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) « ان استغلال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة 638 ميلادية اي بعد موت محمد بست سنوات ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية وقدرها حق قدرها » .

ولو اردنا ان نستقصي كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رتقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم فقد استفادت منها فنون الزراعة في اساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسنن النظم الزراعية للحكيمة وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبن ، وقد انتشرت معالمهم ومصنوعاتهم لكل نوع من انواع المنسوجات كالصوف والحريز والقطن . وكانوا يذيقون المعادن ويجردون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها ، واننا لندهش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر » .

ويقول في مواطن أخرى : « ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك أوروبا وامراؤها يقدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » .

وقال العلامة سديو في كتابه تاريخ العرب :

« كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها اينما حلت اقدامهم وتسربت عنهم الى أوروبا فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها » .

وقال العلامة جيبون المؤرخ الانجليزي :

كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة ويروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس جامعة علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد طلبتها ستة آلاف لا فرقي فيهم بين غني وفقير » .

وقال دربير :

اول مدرسة انشئت للطب في أوروبا هي المدرسة التي أسسها العرب في (بالرم) من ايطاليا وأول مرصد اقيم فيها هو ما اقامه المسلمون في اشبيلية بأسبانيا . وانهم رتقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم » .

وقد امتاز العرب في الجمع بين فروع العلم والادب وفاقوا غيرهم في هذا الميدان ومن يطلع على كتب محمد بن موسى الخوازمي يجد ان المؤلف جمع بين الجبر والادب فانت تجد ان المادة الرياضية مفرغة في أسلوب اخاد وقالب ادبي رائع لا رككة فيه ولا تعقيد وانظر الى كتب البيروني تجسد ان الادب والرياضيات اجتمعا متعاقبين . قال العلامة درابرا : « لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا عن الاسلوب الذي توخوه في مباحثهم وهذا الاسلوب هو الذي اوجب لهم هذا الترقى الباهر في الهندسة والمثلثات » .

وقال الكاتب الهندي غسواني : « التهذيب العربي هو الذي اُنشأ في آسيا وأوروبا نشأة جديدة وانسانية جديدة » .

ان هذه الاتوال التي جاءت على لسان علماء افاض لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمنيا وجلة وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعليتها الحضارة الاسلامية الانسانية التي لمست الانسانية فيها معاني السيادة ومست القلوب فيها معاني السعادة واعتلت في ظلها صروح المجد .

هذه الحضارة ستظل خالدة خلود الابد ، باقية بقاء الدهر ، مدوية دوي الاذان لا ينضب لها معين ، ولا ينتهي لها مدى .

احمد عبد الرحيم السايح

فالدین الاسلامی هو الدافع الأقوی لكل علم صدق ، وهو الدافع الی التبخر والعمق والاصالة فی كل علم وفن .

وهذا هو السر فی أن حضارة الاسلام كانت أروع الحضارات العالیة مجدا وأجداها نفعا ، تلك الحضارة الشامخة التي أقامها الاسلام بأسقة الفروع وارفة الظلال انتشلت الانسانیة من وهدة الضیاع وزوايا النسیان وبواتها مكانا علیا ..

ولیس من شك فی أننا نحن أبناء العالم الاسلامی اهل اصالة وأثالة فی العلم قدنا الانسانیة نحو المجد والقوة بفضل علماء العربیة والاسلام الذین حملوا المشعل الحضاری وأضاءوا الدنیا بالمعرفة والعلم والنور .

ولقد تلمست أوربا أنهار حضارة المسلمین العلمیة فاستقتت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والکیمیاء والطب والفلسفة والزراعة وسائر أنواع الفنون الحضاریة .

وبنی رجال أوربا بما تعلموه فی معاهد المسلمین بالاندلس وبما نقلوه من علوم أسس النهضة الحدیثة التي ظهر نجمها فی القرن الثامن عشر وازدهر فی القرن التاسع عشر وتآلق فی القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الی العلم هو الذی خرج رجال الحضارة وجهابذة العلم وأساتذة الدنیا وعمالققة العلماء أمثال :

ابن الهیثم والکندی والفارابی وابن سینا والبیرونی والبانی والبزجانی والفرغانی والطوسی والبغدادی والرازی والقزوينی والانطاکي والزهرای والخوارزمي والصوفي وجابر والجاحظ وابن البیطار وابن النفیس وابن حیان وابن حمزة والادریسی والمسعودی وابن بطوطة وابن زهر .

وهذا ابن الهیثم (965 — 1039) یبحث فی السهول والودیة ویجول فیها طولا وعرضا . حتی یضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجیلی یسهر علی قمم الجبال العالیة ، یحقیق فی الكواكب والنجوم لیحدد أفلاكها ویعرف أبعادها ویقیس محیط الكرة الأرضیة بالأجهزة الدقیقة .

وابن النفیس یجری التجارب والاختبارات حتی یثبت أن الدم لیس سائلا مستقرا فی الاوردة والشرایین المبتوثة فی الكائن الحي . بل هو سائل متحرك یدور فی جمیع أجزاء الجسم ، وذلك قبل أن یكتشف (هارمفی) الدورة الدمویة بثلاثة قرون .

وابن مسكویة الذی یسبق فلاسفة أوربا وعلمائها بثمائیة قرون فی علوم الاخلاق والفلسفة والتهدیب والبیولوجیا .

وجابر ابن حیان یحلل عناصر طبیعة وتفاعل المواد المختلفة حتی یضع اصول علم الكیمیاء وابن یونس یسبق العلماء فی اختراع بندول الساعة « الرقاص » .

وما زالت أسماء العلوم والمصطلحات التي اعطاها هؤلاء العلماء المسلمین لغرائب العلم ، ما زالت حیة نابضة فی جمیع اللغات رغم ما نالها من تحریف وتغییر .

ولقد سجل التاريخ آیات هذه الحضارة العربیة الاسلامیة باعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخیه الذین لا یمیغون من بحوثهم ودراساتهم الا مرضاة العلم فی ذاته . والذین لا تسیطر علیهم العصبیة الهوجاء ، والسطحیة العمیاء .

واننا نسوق الی العربی بعض النقول التي جاءت علی لسان فلاسفة العالم والتي تشهد صراحة وضمنا لمجد الحضارة الاسلامیة .

والواقع أن الاسلام لیس فی حاجة الی اقوال هؤلاء فهو قوی بذاته . لكننا نأتي بها لما نراه من أن كثيرا من كتابنا ومؤرخینا یغمطون حق حضارة العرب .

وان شئت بعبارة اقرب فقل انهم یجهلوننا ولا یعرفون عنها الا النذر الیسیر . والی هؤلاء وأولئك بعض اقوال كواكب الاستشراف والبحوث العلمیة والدراسات الواسعة .

قال « هیر شغیلد » ولیس للقرآن مثیل فی قوة اقتناعه ، وبلاغته وتركیبه والیه یرجع الفضل ، فی ازدهار العلوم بكافة نواحيها .. وان الدین الاسلامی مخالف لهذه الابراج الشامخة التي تسقط من ضربة واحدة لان فیه قوة وصلابة ومناعة تجعله قادرا علی المقاومة قدرة تامة » .

وقالت الكاتبة الالمانیة الدكتوراة « سیجر هونكه » « ان هذه الطفرة العلمیة الجبارة التي نهضت بها أبناء الصحراء من العدم ، من أعجب النهضة العلمیة الحقیقیة فی تاریخ العقل البشري فسیادة أبناء الصحراء التي فرضوها علی الشعوب ، ذات الثقافات القدیمة ، وحیدة فی نوعها وان الانسان لیقف حائرا أمام هذه المعجزة العقلیة الجبارة والتي یحار الانسان فی تعلیلها وتكلیفها » .

ويظهر لي ان اليمنيين كانوا مضرب الامثال في الشجاعة والمروءة والوفاء . والامثال التي احتفظت التاريخ لنا بها تقوم حجة على ذلك وكلها تشيد برجالنا اليمن المفاوير . كـ « مروان القرظ » الذي يضرب به المثل في العز و « لاجر بوادي عوف » و « اجبن من المنزوف ضرطا » و « لو ترك القطا ليلا لنام » وغيرها كثير .

ولقد شاركت اليمن بالفاظ كثيرة في القرآن الكريم بيانها كما يأتي :

1 — كلمة : « لهوا (6) » في قوله تعالى : « لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذنه من لدنا انا كنا فاعلين » الآية 18 من سورة الانبياء . ويكاد سائر المفسرين وجميع اللغويين ان يتفقوا على ان هذه اللفظة تدل هنا على المراه وان اغفلوا الاشارة الى انها تدل على المراه في لغة اليمن (7) ، ومن الذين ذهبوا هذا المذهب الزمخشري حين قال : « وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراه (8) » وهو كلام يظهر بوضوح ان جار الله لا يركن اليه وانما يرويه دون ان يعتقده وشأن الزمخشري في هذا الباب شأن الراغب الاصفهاني ، تلاهما يشك في هذا التأويل . الا ان صاحب المفردات في غريب القرآن يحاول ان يجد لهذا التأويل مبررا فيقول (9) : « ومن قال اراد باللهو المراه والولد فتخصيص لبعض ما هو من زينة الحياة الدنيا التي جعل لهوا ولعبا » ويجعل العالمان الجليلان جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي المراه زوجة فيقولان : « لو اردنا ان نتخذ لهوا : ما يلهى به من زوجة او ولد (10) غير ان

العلامة اسماعيل ابن حماد الجوهري وسع هذه المعنى اليمني اكثر مما كنا ننتظر فقال (11) : « وقد يكتنى باللهو عن الجماع » وهو بعد ذلك يعطي المفردة في هذه الآية معنى المراه او الولد . ويذهب لهذا المعنى وبدون التواء مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي فيقول (12) : « واللهو المراه اللهو بها كاللهو » .

2 — المفردة : « حاق » في مواضع كثيرة من القرآن الكريم (13) ولاسيما في قوله تعالى : « فواته الله سيئات ما مكروا ، وحاق بال فرعون سوء العذاب » الآية 45 من سورة غافر ، ومعناها بلغة اليمن (14) وجب وهي تدل على نفس المعنى في لغة قريش ولهذا فلا اشكال هنا .

3 — اللفظة : « المهرجان » في قوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » و « كانتن الياقوت والمرجان » الايتان 22 و 58 . اجمع المفسرون وعلماء اللغة قديما على ان هذه المفردة يمنية . يقول السيوطي (15) : « واخرج (16) فيه (17) عن الكلبي قال : « المهرجان صغار اللؤلؤ بلغة اليمن » .

غير انه من الملاحظ ان هذه المفردة موجودة في اللغة الاغريقية بنفس الصيغة تقريبا ولا يستبعد ان يكون صيادوا اليونان الذين كانوا يبحثون عن هذا الحجر النفيس قرب شواطئ البحر المتاخمة لشبه جزيرة العرب قد تركوا هذه اللفظة لليمنيين وقت ازدهار بلادهم . ويظهر لي ايضا ان اليمن تمتعت بازدهار تحسد عليه في حقبة مختلفة من تاريخها الطويل سواء بعد بناء سد مأرب ام قبله ، سواء وقت خرابه او بعد خرابه بزمان ليس باليسير .

(6) اول من عزا هذه المفردة الى اليمن هو الاستاذ الجليل : «ابو القاسم بن سلام» .

(7) الا ابو عبيدة فقد رأى انها تدل على المراه في لغة اليمن واخبر انه رواه عن الحسن (الاتقان صفحة 135 من الجزء الاول) .

(8) الكشف الجزء الثالث صفحة 5 .

(9) المفردات في غريب القرآن صفحة 455 .

(10) تفسير القرآن العظيم المعروف بالجلالين الجزء الثاني صفحة 32 .

(11) الصحاح الجزء السادس صفحة 2487 .

(12) القاموس المحيط الجزء الرابع صفحة 388 .

(13) في الانعام الآية 10 وهود الآية 8 والنحل 34 وغيره .

(14) ابو القاسم سلام في رسالته المنشورة في حاشية الاتقان في علوم القرآن الجزء الاول صفحة 134

(15) الاتقان في علوم القرآن الجزء الاول صفحة 134

(16) ويقصد ابا بكر الاباري .

(17) يعني كتاب الوقف .

لم يكن القرآن بلغز قرش فحسب ...

الأستاذ الرامي النجاشي

- 15 -

14 - قبيلة اليمن :

قال الشاعر الكلاعي يصف اليمن
هي الخضراء فاسأل عن ربها

يخبرك اليقين المخبروننا
وبطرها الميمن في زمان

به كل البرية يظنوننا
وفي اجبالها عز عزيز

يظل له الوري متقاصرنا
واشجار منورة وزرع

وفاكهة تروق الاكلينا

كما يصفها السيد محمد شكري الالوسي
البغدادى فيقول : (1) « فهذا اقليم عظيم متسع الارحاء
متباعد الاطراف والانحاء ، لم تزل محمودة على السنة
الاصفياء لما اودع الله فيها من البركة في جميع الاشياء .
وكانت تسمى الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها
واشجارها وثمارها ومراعيها وريعيها . »

ولاقليم اليمن تاريخ قديم حافل يدل عليه هذا
العدد العديد من القصور الفخمة العجيبة الفاخرة ،
نذكر منها قصر غمدان الذي أسسه ازال بن قحطان
بأمر أخيه يعرب ، وهو القصر الذي ورد ذكره في
قصيدة الشاعر ثعلبة بن عمرو العبدى (2) قال :

« ولو كنت في غمدان يحرس بابيه
أراجيل أجوس وأسود آلف »

ومن مدنها القديمة التي اشتهرت بين القبائل
مدينة نجران التي يذكرها الشاعر الجاهلي عبد يفو
ابن وقاص الحارثي (3) فيقول :

فياراكبا اما عرضت فبلغن
نداماي من نجران ان لا تلاقيا

ومأرب المشار اليها في القرآن الكريم في قوله
عز وجل (4) « لقد كان لسبا في مساكنهم آية جنتان
عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له
بلدة طيبة ورب غفور » . بلدة جبيلة في اليمن ذات ماء
عذب وهواء منعش .

اما اسواق اليمن في الجاهلية فقد كانت مزدهرة
وهي التي ساعدت على انتشار اللهجة التي كانت
سائدة فيها بين جميع قبائل العرب . واللغة التي كانت
معروفة آنذاك في ربوعها هي اللغة الحميرية . جاء في
كتاب نهاية الارب في معرفة احوال العرب نقلا عن
المؤرخ الفرنسي دردي ما يلي (5) : « كانت الآداب
قبل انتشار العرب من جزيرتهم متصلة فيهم مؤداة
بلغتين الحميرية في اليمن والقرشية في الحجاز وبالاخيرة
جاء القرآن . »

- (1) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب الطبعة الثالثة بالقاهرة صفحة 202 من ج 1 .
- (2) انظر ترجمته عند الانباري 559 . وفي كتاب الاشتقاق صفحة 197 وعند أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون في المفضليات الطبعة الثالثة بدار المعارف ص 253 .
- (3) انظر ترجمته في المفضليات صفحة 155 .
- (4) سبا الآية 15 .
- (5) نهاية الارب الجزء الاول صفحة 181 .

بالمكان أروكا ، وأصل الأروك الإقامة على رعي الأراك
ثم تجوز به في غيره من الإقامة .

أخرج أبو عبيد عن الحسن قال : كنا لا ندري ما
الأراك حتى لقينا رجل من أهل اليمن فأخبرنا أن
الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير (34) .

7 — لفظة : « معاذير » في قوله جلت قدرته :
« ولو التى معاذيره » الآية 15 من سورة القيامة .
روى أبو عبيدة عن الضحاك « أن معاذيره ستوره بلغة
أهل اليمن (35) » .

والملاحظ أن هذه المفردة وردت في مصحف
الإمام علي وزن مفاعيل بند العين ولم يقرأها ، في
علمي ، قارئ بغير ذلك — وحققا أن تكون على وزن
مفاعل ليس إلا ، ما دامت جمعا للاسم المفرد
معذرة (36) . غير أن الإمام محمود بن عمر الزمخشري
بحث عن علة ذلك فقال (37) : « قلت المعاذير ليس
بجمع معذرة إنما هو اسم جمع لها ونحو المنكير في
المنكر . »

يكاد المفسرون يتفقون على أن المعاذير معناها
الستور كما ذكرت أعلاه ، — وأن الستر يمنع عادة
رؤية المتحجب وراءه كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب —
إلا مجاهد فيقول في قوله تعالى : « ولو التى معاذيره »
أي ولو جادل عنها .

8 — كلمة : « زوج بـ » في قوله عز من قائل :
« كذلك وزوجناهم بحور عين » الآية 54 من سورة
الدخان . وفي قوله تعالى : « متكئين على سرر مصفوفة
وزوجناهم بحور عين » الآية 20 من سورة الطور .

« أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله تعالى :

(34) الانتان في علوم القرآن صفحة 135 الجزء الأول.

(35) المصدر السابق نفس الصفحة .

(36) الصحاح الجزء الثاني صفحة 739 الذي لم يبين سبب ورود جمعها على معاذير بالياء كما سكت
عن ذلك صاحب القاموس المحيط في مادة (عذر) .

(37) الكشاف الجزء الرابع صفحة 165 .

(38) الانتان في علوم القرآن الجزء الأول صفحة 135

(39) المفردات في غريب القرآن صفحة 216 .

(40) الصحاح الجزء الأول صفحة 320 .

(41) انظر دعوة الحق العدد التاسع والعاشر من السنة العاشرة ابتداء من صفحة 76 .

(42) وإن كنت أعرف أنهم قليلوا الارتحال عن أرضهم بسبب تعاطيهم للحياكة التي كانت تتطلب منهم
استقرارا في الأرض ، ونظاما مضبوطا في العيش .

(38) « وزوجناهم بحور عين » قال هي لغة يمانية وذلك
أن أهل اليمن يقولون : « زوجنا فلانا بفلانة » . ولقد
عثرنا بمناسبة البحث عن تطور هذه الكلمة خلال
تاريخها الطويل على اللطيف تأويل يمكن أن يجده باحث
في هذا الباب . ذلك أن الراغب الأصفهاني حين علم
— وهو العالم الخبير بما تقوله العرب وما تدع — أن
ليس من قولهم : « تزوجت بامرأة » أتى بتأويل ظريف
لقول الله تبارك وتعالى « وزوجناهم بحور عين (39) »
قال : « أي قرناهم بهن ، ولم يجيء في القرآن زوجناهم
حورا كما يقال زوجته امرأة تنبيهها أن ذلك لا يكون على
حسب المتعارف فيما بيننا من المناكحة » .

ولم يتفق المهتمون بلغة القرآن جميعهم على
نسبة هذه اللهجة إلى أهل اليمن ، ذلك أن الفراء يرى
أن قولهم : « تزوجت بامرأة (40) » لغة في أزد شنوءة .

وهنا يحق لقائل أن يقول : لماذا لم تدخلها والحالة
هذه في لغة أزد شنوءة حين تعرضك لها (41) إبان
فأقول أنني لم أر مبررا معقولا لما ذهب إليه الفراء ،
ولذا لم آخذ برأيه ، ذلك أنني استنتجت من بحثي في
لهجة أزد شنوءة أن ليس من خصائص لغتها أن تتميز
عن اللهجات الأخرى بالحروف كما هو الشأن في لغة
تميم مثلا .

هذه من جهة ، ومن جهة أخرى لم استطع أن
أحدد بالضبط تحركات أفراد قبيلة أزد شنوءة (42)
وما أظن أن أحدا بقادر على ذلك في الوقت الراهن
ولذا فليس من المستبعد أن يكون هذا التركيب
استعمل بين أفراد من قبيلة أزد شنوءة على أرض
اليمن أو أن يكون تركيبا يمانيا وسع استعماله أهل

ومن المحتمل ان يكون صيادوا اليونان تركوا
لليمنيين هذه الصيغة *μαργαρίτης Margaritis*

التي تدل عندهم على لؤلؤة صغيرة (18) وهو الشرح
الذي اعطاه لهذه المفردة جميع اللغويين . قال
الجوهري (19) : « والمرجان صغار اللؤلؤ وقالوا
صاحبها الجلالين (20) : « المرجان خرز احمر او صغار
اللؤلؤ . وقال الراغب الاصفهاني (21) « والمرجان .
صغار اللؤلؤ » .

والملاحظ ان هذه الكلمة لم ترد في القرآن الكريم
الا مرتين : وفي سورة الرحمن دائما .

4 — الكلمة : « وزر » في قوله تعالى : « كلا لا وزر »
الآية 11 من سورة القيامة نسبها الى لغة اليمن
العلامة ابو القاسم ابن سلام (22) وروى « ابن ابي
حاتم عن الضحاك في قوله تعالى (لا وزر) قال لا حيلة
وهي بلغة اهل اليمن (23) »

وهي حسب ابن سلام ، لفظة مشتركة بين ثلاث
قبائل يمنية مختلفة ، فهي بمعنى « لا حيلة ولا ملجأ ،
بلغة توافق النبطية » (24) وهي : « ولد الولد بلغة
هذيل » (25) ومعناها اخيرا ولا حيل بلغة اهل اليمن .

5 — كلمة : « سامدون » في الآية 61 من سورة
النجم التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى : « وانتم
سامدون » يقول الامام جلال الدين السيوطي
الشافعي (26) : « اخرج ابو عبيدة من طريق عكرمة
عن ابن عباس في قوله وانتم سامدون قال الغناء وهي
يمانية . »

وقد اعطت في اللغة العربية الفصيحة « سمد »
في قولهم سمد البعير بمعنى رفع راسه (27) . وقد
اعطت ايضا في اللغة العربية الفصيحة ، اخذا عن اللغة
اليمانية « اسمدي لنا يا جارية (28) اي غني لنا (29) »
ويوضح الجوهري هذه المفردة اكثر فيقول :
« السمود اللهو . والسامد اللاهي والمغني . والسامد
القائم والساكت (30) » .

ويرى بعضهم انها حميرية ، ولا فرق بين القولين
ما دامت الحميرية هي اللغة التي سادت اليمن في ذلك
الوقت .

ويحسن ان نشير الى ان هذه المفردة لم ترد في
القرآن الكريم الا مرة واحدة .

6 — « اراك » في قوله تعالى : « اولئك لهم
جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من
اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
واستبرق متكئين فيها على الارائك . نعم الثواب .
وحسنت مرتقا » الآية 31 من سورة الكهف . وقد
وردت اربع مرات اخرى في القرآن الكريم على صيغة
الجمع دائما (31) . ومفردة اراك في اللغة العربية
أريكة : « سرير منجد مزين في قبة او بيت . فاذا لم
يكن فيه سرير فهو حجلة » (32) .

اما سبب تسمية هذه الآلة بهذا الاسم فقد بينه
بكل وضوح الراغب الاصفهاني حيث قال (33) :
وتسميتها بذلك اما لكونها في الارض متخذة من آراك
وهو شجرة او لكونها مكانا للاقامة من قولهم : اراك

- (18) غرائب اللغة العربية صفحة 269 .
- (19) الصحاح الجزء الاول صفحة 341 .
- (20) تفسير القرآن العظيم المشهور بالجلالين صفحة 221 من الجزء الثاني .
- (21) المفردات في غرائب القرآن صفحة 465 .
- (22) الجلالين ذيل صفحة 265 من الجزء الثاني .
- (23) الانتقان في علوم القرآن صفحة 135 من الجزء الاول .
- (24) انظر دعوة الحق في عدها الثاني من السنة العاشرة 37 .
- (25) وقد ورد بيان ذلك في مجلة دعوة الحق في العدد الرابع من السنة 9 صفحة 18 .
- (26) الانتقان في علوم القرآن الجزء الاول صفحة 134
- (27) المفردات في غريب القرآن صفحة 241 .
- (28) اساس البلاغة صفحة 219 من طبعة 1953 وجعلها المؤلف هنا من المجاز .
- (29) الكشف الجزء الرابع صفحة 43 .
- (30) الصحاح الجزء الاول صفحة 486 .
- (31) في سورة يس الآية 56 وفي الانسان الآية 13 وفي المطففين الآية 23 و 35 .
- (32) الصحاح الجزء الرابع صفحة 1572 .
- (33) المفردات في غريب القرآن صفحة 16 .

الأربعون حديثاً

في الأدب العربي والفارسي والشرقي

للدكتور فيكتور الله

« من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها

بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلماء

الموضوع ، وهو الأهمية التي تعطىها الاقوام السامية والآرية والطورانية التي عاشت في الرقعة العربية الإسلامية للعدد (أربعون) . وليس يخفى على أهل العلم ما جاء في القرآن الكريم من آيات ذكر فيها العدد أربعون ، تمثل لها بالآيتين التاليتين ؛ ففي سورة البقرة الآية الحادية والخمسون : « واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون » ؛ وفي سورة الاعراف الآية المائة والثانية والأربعون : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » .

أما الأحاديث النبوية التي ذكر فيها العدد (أربعون) فليست بقليلة منها : «اقرأ القرآن في أربعين» ؛ و : «بعث رسول الله لأربعين سنة» ؛ و : «تف الإبط كل أربعين يوماً مرة» ؛ و : «من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برىء» .

وقد أثرت عوامل أخرى في جمع (الأربعون حديثاً) وتصنيفها نذكر منها ، العوامل المادية والمعنوية التالية :

الرغبة في نيل شفاعة الرسول (ص)، والنجاة من نار جهنم ؛ والرغبة في الدعاء الصالح والذكر الجميل ، وملء الوقت الذي يمضي دون فائدة ، والرغبة في خدمة المسلمين ، وإظهار المقدرة في علم الحديث والأدب ، ثم اتباع السلف ، وتحقيق رغبة الأصدقاء والتلامذة والاستشهاد في أثناء تقرير الدروس ، ونصرة مذهب أو طريقة ما ، والتمكن من تفصيل الآراء في مسألة من مسائل العصر ... ويأتي أخيراً التحجب إلى الخاصة ،

أن موضوع (الأربعون حديثاً) لهو من أهم الموضوعات التي ينبغي أن يتنبه لها المشتغلون بالدراسات الإسلامية ، والمنصرفون إلى دراسة الآداب العربية والفارسية والتركية والإسلامية بوجه عام ، في أصولها وتأثيراتها وروافدها . فالأحاديث الأربعون تحتل مكاناً بالغ الأهمية في الثقافة الدينية الإسلامية ، إذ إنه لم يكتب لاي فن من فنون الأدب الإسلامي ما كتب لهذا النوع من التأليفات في الأحاديث الأربعين من عميق الأثر الذي تركته في إنفاذ تعاليم الإسلام الخلقية إلى أذهان العامة ، فضلاً عن الخاصة من جهة وفي الدفاع عن العقائد الروحية والاجتماعية والسياسية وإشاعتها بين مختلف فئات المؤمنين من جهة أخرى .

منشأ الفكرة :

أما فكرة (الأربعون حديثاً) فقد نشأت في القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) تحت تأثير الحديث الضعيف : « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلماء » ؛ فكانت سبباً في تصنيف مآت الرسائل في الآداب الإسلامية ، باللغات العربية والفارسية ، والتركية ، مدة اثني عشر قرناً ، وعاملاً في إيجاد هذا الفن الأدبي الديني المشترك بين آداب اللغات الثلاث . وثمة عامل آخر أثر في تطور هذا

لورد شنوءة اثناء رحلاتهم هناك (43) . ذلك ان اليمن مساحة ارضية تد يعيش فوقها ويتداول عليها افراد من قبائل مختلفة بينما ازد شنوءة جماعة من الفلاس قد يوجدون في نواح مختلفة من بينها ارض اليمن .

هذا اذا لم ننس الاشارة الى ان لفظة زوج لفظة موجودة في جميع اللغات السامية تقريبا فهي مثلا بنفس الصيغة في العبرية

זוג

ولامر ما لم اقل انها لفظة سامية بل ذكرت عنوة انها لفظة موجودة في جميع اللغات السامية اعتقادا مني انها ليست منها اصلا . ذلك ان اللفظة الاغريقية

ζεύγος zevghos

تدل على شخصين متحدين بالزواج هي التي اعطيت دون ريب هذه المفردة للغات السامية ولكنها عرفت ، اول ما عرفت في اليمن ، لذا جعلناها منها .

9 — كلمة : « نقبوا » في قوله تعالى : « وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص » الآية 31 من سورة ق « اخرج ابو بكر بن الاباري في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان فنقبوا هاموا بلغة اليمن . هذا على من قراها بقاف مفتوحة بالتشديد اما بكسر القاف مع التخفيف فامر آخر اظنه بعيدا عما نحن فيه .

10 — لفظة : « العرم » في قوله تعالى « فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي اكل خيط وائل وشي من سدر قليل » الآية 16 من سورة سبا .

« اخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمرو بن شرحبيل في قوله تعالى : « سيل العرم » المسناة بلغة اليمن (44) غير ان كثيرا من المفسرين اعطوا لهذه المفردة تفسيرات كثيرة يمكن جمعها في خمس تاويلات هي :

- العرم الجرد الذي نقب على اتباع بلقيس السد الذي بنته لهم .
- العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة .
- العرم المسناة وهي التي نذهب اليها وهي بلغة اهل اليمن .
- العرم اسم الوادي، وقد يكون اسم الوادي الذي اقامت فيه بلقيس سدها .
- العرم المطر الشديد — ومن القراء من يقرأها بسكون الراء .

اكائير : الراجي التهامي الهاشمي

(43) حددت في حلقة سابقة (دعوة الحق) لجمادى الاولى 1387 صفحة 76) الرقعة الارضية التي كانوا يعيشون فوقها ومن ضمن هذه الرقعة جزء من قبيلة اليمن .

(44) الاتقان في علوم القرآن صفحة 135 الجزء الاول.

الاربعون في اللغة التركية :

يقول الدكتور فره خان في كتابه باللغة التركية (فرن حديث) : ان الاتراك هم الذين اهتموا اكثر من غيرهم بالناحية الادبية في ترجمات (الاربعون حديثا) وشروحها وهم الذين انتجوا اكثر الامثلة المنظومة في ذلك . فالكتاب العثمانيون وعلى الاخص طبقة العلماء منهم وجهوا عناية خاصة الى مصنفات (الاربعون حديثا) ذات الطابع الديني والتدريسي . وخير مثال على ذلك رسائل جمال الدين الاقسرايبي ، وابن كمال باشا ، ولطفي باشا، وطاش كوبري زاده ، والبركوي وغيرهم . وقد وضع بعض الكتاب الاتراك مثل ادريس التبليستي وبروسه لي فردوسي ، واوزبك ولي الدين ، وسواهم رسائل باللغة الفارسية في هذا الموضوع ولكن لم يصل مؤلف من هذه المؤلفات من حيث القيمة الادبية التعليمية الى درجة ترجمان (الاربعون حديثا) وشروحها التي كتبها الاتراك في لغاتهم الاصلية ، ولم يرتفع ، الى طبقة آثار الصنف الاول في هذا الميدان بنسبة ارتفاع المؤلفات الموضوعية باللغة التركية .

وقد ظهرت ترجمات (الاربعون حديثا) وشروحها في الادب التركي منذ القرن الرابع عشر للميلاد، واعتبرت نوعا ادبيا دينيا شائقا في القرن الخامس عشر والسادس

عشر والسابع عشر والنصف الاول من القرن الثامن عشر ، كما اعتبر كل شاعر تركي كبير في عصره ترتيب اربعين حديثا ضربا من اللذة والواجب ، او ضرورة يستدعيها العرف الشائع في العصر الذي يعيش فيه . وعليه خلف الشعراء الاتراك الكبار مثل نوائي ، وفضولي ، وخاقني ، ونابسي ، وتائب ، ومنيف ، مصنفات في (الاربعون حديثا) ، ناهيك عما تركه غيرهم في هذا الموضوع من الكبار ايضا مثل حزيني ، واصولي ، ونوعي ، وعاشق جلبي ، وعالي ، ورحلتي في القرن السادس عشر ، وامثال كفه لي فيض ، وابن طاش كوبري زاده ، واوقجي زاده محمد ، وانقره لي اسماعيل ياسوخي ، في القرن السابع عشر ، وامثال اسحاق خواجه سي احمد وبروسه لي اسماعيل حقبي ، ومستقيم زاده محمد الدين ، في القرن الثامن عشر وغيرهم وغيرهم .

واستمرت هذه الحركة الى قرننا هذا، ووضعت في الموضوع المذكور مؤلفات حرة بالاعتبار ، طبعت وشاعت بين الناس .

هذا غيض من فيض موضوع (الاربعون حديثا) البالغ الاهمية ، وقد استمر قرونا طويلة واهتدت بتعاليمه اجيال كثيرة - وانما العلم نور وهدى .

بيروت : الجامعة اللبنانية : الدكتور فيكتور الكك

صلاة عروضية

نظر الحماز الشاعر الى رجل يخفف الصلاة ! فقال : لو راك المجاج لهزج بك .
نال : كيف ؟ قال : لان صلاتك ارجوزة .

وانارة الاعجاب ، والحصول على جائزة ، والتوصل الى
اكرام او انعام ...

جمع الاربعون :

ولقد جمعت هذه الاحاديث وشرحت ، واتخذت
في بادئ الامر صورة كراسة او رسالة في الحديث ، قبل
ان تصبح ضربا من ضروب الادب وانواعه .

ثم اخذت تكتسب مع الزمن وخاصة في الفارسية
والتركية مظهرا ادبيا ، فسرعت تمازج فترة بعض النظم ،
ثم تطورت الى انماط منظومة في الفارسية والتركية .

وجاء في « كشف الظنون » : وقد صنف العلماء في
هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات ، واختلفت
مقاصدهم في تأليفها وجمعها وترتيبها ، فمنهم من اعتمد
على ذكر احاديث التوحيد واثبات الصفات ، ومنهم من
قصد ذكر احاديث الاحكام ، ومنهم من اقتصر على ما
يتعلق بالعبادات ، ومنهم من اختار احاديث المواعظ ،
ومنهم من قصد اخراج ما صح سنده وسلم من الطعن ،
ومنهم من قصد ما علا اسناده ، ومنهم من احب تخريج
ما طال متنه وظهر لسامعه حتى يسمعه حسنه ، الى
غير ذلك ، ويسمى كل واحد منهم كتابه بكتاب الاربعين .

الاربعون في اللغة الفارسية :

وقد ظهرت مصنفات (الاربعون حديثا) اي
« جهل حديث » في اللغة الفارسية ، بميزتها الاساسيتين
في وقت واحد : اعني الطابع الديني ، والطابع الادبي ،
كما راج تأليف الرسائل التي تجمع الاحاديث في مناقب
الامام علي وامامته . ونتج عن ذلك كله انواع راقية من
« جهل حديث » (الاربعون حديثا) على ايدي احمد
رومي ، وايحي وغيرهما الى ان بلغ حد الكمال في القرن
التاسع الهجري على يد الصوفي الشاعر الكبير عبد
الرحمن جامي ، في ميدان الترجمة المنظومة « اربعين
جاوي ترجمة اربعين حديث » . ومن الامثلة على ترجمة
جامي قوله في هذا الحديث : « لا يؤمن احدكم حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ما يلي بالفارسية :

هر كسي را لقب مكن مؤمن
يرجه از معي جان وتن كاهد ؛
تا نخواهد برادر خود را
آنچه از بهر خويشتن خواهد .

وكان القرن السادس عشر للميلاد ، فالف الكاتب
الفارسي المشهور حسين واعظ كاشفي « الرسالة العلية
في الاحاديث النبوية » ، فجاءت اجمل مثال وارقاء
لرسائل « جهل حديث » التي تمزج بين النظم والنثر .

وقد دأب كثيرون من ادباء الفرس على ترجمة
رسائل اصحاب (الاربعون حديثا) المشهورة باللغة
العربية ، مثل « اربعون » النووي وبهاء الدين العاملي .
وبهذا الصدد يقرر الدكتور عبد القادر قره خان : وعلى
هذا فاننا نعرف ستة واربعين شارحا ومترجما لرسائل
« جهل حديث » ، اربعة عشر منهم مجهولون ، ومع ذلك
فنحن نجزم ان كثيرا من الرسائل قد بقيت هنا وهناك
مجهولة لا نعرفها .

بدا موضوع (الاربعون حديثا) بعبد الله بن المبارك
(القرن الثاني للهجرة - الثامن للميلاد) . ولم يمض
زمن طويل حتى استأثر باهتمام الناس ، وظل يتطور
ويتكامل خلال العصور حتى بلغ الذروة في القرن السابع
لهجرة - الثالث عشر للميلاد . والاربعون حديثا التي
جمعها محيي الدين النووي آخر المجتهدين في ذلك العصر
تعد اكبر رسالة في هذا الموضوع ، بالنسبة لقيمتها
ورواجها وكثرة الشروح التي تناولتها حتى ايامنا
الحاضرة . فثمة خمسون شرحا لهذا الكتاب باللغة
العربية اكثرها لمشاهير العلماء ، وهناك مائتان واثنان
وخمسون رسالة في (الاربعين حديثا) وضعها مائتان
وثمانية عشر مصنفا ! وهذان العددان اللذان نجزم انهما
دون العددين الحقيقيين يكفيان وحدهما لابرار القيمة
الكبرى التي اوليت لهذا الموضوع في اللغة العربية . ثم
ان وجود علماء كبار من مثل ابي بكر الاجري ،
والدارقطني وابن القاسم القشيري ، وابن ودعان ، وابن
عساكر ، وابي طاهر السلفي ، ومحيي الدين بن العربي ،
وسعد الدين التفتازني ، وابن حجر العسقلاني ، وابن
حجر الهيتمي وجلال الدين السيوطي ، وعلي القاري ،
 وغيرهم ، بين هؤلاء المصنفين ، يبين بيانا واضحا هذه
القيمة الكبرى التي اعطاها العالم الاسلامي ايضا لهذا
النوع من الادب الديني . وقد اتخذت هذه المؤلفات
بفضل التفاعل الفكري بين العقلية العربية والفارسية
والتركية صبغة دينية تعليمية ادبية صرفا منذ نشأتها .

ولا بأس في هذا العدد بايراد قول النووي لايضاح
هذه الفكرة وبيانها قال : ثم من العلماء من جمع الاربعين
في اصول الدين ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ،
وبعضهم في الزهد ، وبعضهم في الآداب ، وبعضهم في
الخطب .

المعلوم ، وهي بضم ففتح فعلة من الهمز بمعنى الطعن كاللمزة المذكورة بعدها في أول السورة (ويل لكل همزة لمزة) .

627 وفي نفس العمود ترجمة للكمال ابن الهمام ضبط اسمه فيها بفتح الهاء وتشديد الميم ، هو بضم الهاء وتخفيف الميم على وزن غلام .

628 في ص 556 ، ع ل تعريف بالشيخ سعيد الحنصالي سماه فيه الهنسلي ، وسمى طريقته تبعاً لذكره الهنسلية ، وذلك من خطأ الترجمة عن الفرنسية التي لا يوجد بها حرف الحاء ولا حرف الصاد ، وهذا زيادة على ما في تلك الترجمة من التخريف .

629 في ع نى من هذه الصفحة تعريف بقبيلة هواره المغربية ، ضبط اسمها فيه بضم الهاء وهو بفتحها ، والتعريف مع ذلك غير مستوف ، فليُنظر ما كتبه عنها الشيخ مرتضي الزبيدي في تاج العروس .

630 في ص 559 ، ع ل بعنوان هيبون قال : (مدينة في الجزائر تسمى في يومنا بونه) ، والواقع أن بونه هو اسمها القديم ، والفرنسيون كانوا يسمونها أيام الاحتلال بون . أما اسمها العربي فلا هذا ولا ذاك وإنما هو عنابة أو مدينة العناب لكثرة فيها .

631 في ع نى من الصفحة نفسها ترجمة للحافظ نور الدين الهيثمي صاحب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، قال في كتابه هذا : (جمع فيه زوائد الكتب الستة) ، وكلامه يوهم أنها الكتب الستة المعروفة ، ويبقى بيان هذه الزوائد وعلى ماذا زبدت ؟ مع أن المراد بالكتب الستة مسنداً لأمام أحمد ، والمعاجم الثلاثة للطبراني ، ومسند البزار ، ومسند أبي يعلى ، وبالزوائد الأحاديث التي جاءت فيها زائدة على ما في الكتب الستة المعروفة إلى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وأبي ماجه .. فكيف يفهم هذا المعنى من إطلاقه القول بأنه جمع في كتابه المشار إليه زوائد الكتب الستة ؟ .

طنجة : عبد الله كنون



نظرة في مُجد الآداب والعلوم

د. محمد الشكوة

- 22 -

حرف الهاء :

(الحبشة) ، والهجرة الاولى لم يكن فيها النبي (ص) ولم يذهب الى الحبشة قط لا في الهجرة ولا في غيرها. ثم قال : (والهجرة الثانية هي هجرة النبي الى يثرب ... وقد هاجر معه الانصار والمهاجرون) . والانصار هنا لا محل لها ، اذ الانصار في عرف الاسلام والسيرة النبوية هم اهل المدينة الذين نصروا النبي (ص) وهاجر اليهم ، فلا معنى لكونهم هاجروا معه الى مدينتهم التي هي يثرب . وكذلك ذكره للانصار في الهجرة الاولى غير صواب ، فالذين هاجروا الى الحبشة كانوا من مسلمي مكة قريش وغيرهم ، الا ان يحمل على النصرة العامة .

(623) في ص 551 ، ع ل كلمة هرم بن سنان الجواد العربي المشهور ضبط اسمه فيها بفتح الراء ، وهو بكسرهما ، ولعله لما وقع في سياق ذكر الهرم واجه الاهرام ضبط في الطبع بالفتح خطأ .

(624) في ص 552 ، ع ل ترجمة لابن الهذيل العلاف المشهور من ائمة المعتزلة ، جعله فيها بالزاي بدل الذال المعجمة وهو خطأ .

(625) في ع نى من الصفحة نفسها ترجمة لابراهيم بن هلال الفقيه المغربي المعروف ، وصفه بالفلاي وهو الفيلالي بالغاء منسوباً الى اقليم تافيلالت بالصواب .

(626) في ص 553 ، ع نى ذكر سورة الهمزة وضبطها بفتح الهاء وسكون الميم على اسم الحرف

(620) في ص 547 ، ع ل ترجمة للخليفة العباسي موسى الهادي ، قال فيها : ولى ابنه جعفر على الرشيد في وراثة العهد ، يعني خلع اخاه هرون الرشيد من ولاية العهد التي جعلها له ابوهما المهدي ، وجعلها هو لابنه جعفر ، ولكن كلامه لا يؤدي هذا المعنى . ثم قال : فقتل بعد سنة من ملكه .. بسعاية الخيزرانة أم الرشيد التي كانت تطمع بالملك لنفسها . وهذا ايضا كلام غامض وموهم ويحتاج الى تصحيح ، فان الخيزران هي أم للهادي والرشيد معا خلاف ما يوهمه كلامه من انها أم للرشيد فقط ، ثم هي الخيزران لا الخيزرانة . ولما خلع الهادي اخاه لم ترض الخيزران بذلك ونهته فلم ينته واستطال عليها فأوعزت الى جواريه بقتله فقتلته خنقا وتولى الرشيد الخلافة ، وبذلك يعلم ما في قوله انها كانت تطمع بالملك لنفسها من التزيد .

(621) في ص 550 ، ع ل كلمة عن ناحية الهبط من بلاد المغرب ، قال فيها : بلدة في المغرب في مقاطعة القصر الصغير شمالي مراكش ، ولا تعرف بلدة في المغرب بهذا الاسم ، فلو قال ناحية في المغرب الشمالي ينسب اليها كثير من اهل العلم لكان اقرب الى الصواب .

(622) في نفس العمود بعنوان الهجرة الاولى قال : (هي هجرة النبي مع الانصار من مكة ... الى بلاد

اي بهذا القرآن الذين صدقوا ايمانهم بالعمل الصالح (أن لهم اجرا حسنا) اي مثوبة عند الله جميلة (ماكثين فيه) في ثوابهم عند الله ، وهو الجنة خالدين فيه أبدا دائما ، لا زوال له ولا انتضاء . اهـ .

قوله : (وهو الجنة) الذي اراه ان الاجر الحسن الذي يمثك فيه المؤمن أبدا لا يختص بنعيم الجنة ، بل ينتظم سعادة الدنيا والآخرة ، لان الله وعد بذلك في غير ما آية من كتابه العزيز لقوله تعالى في سورة النحل (97) من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وحكمة الله تعالى وعدله يقتضيان ثواب الدارين لكل أمة سالحة ، وعقاب الدارين لكل أمة فاسقة ، وأدلة هذا في القرآن كثيرة .

نسب ما يقاسيه المسلمون في هذا الزمان من الشقاء هو اهمال القرآن ، وجعله وراء ظهورهم . والخطا الذي نحن الآن بصدد اصلاحه لا يقع ويشيع الا في أمة اهملت القرآن ، لان هذا الفعل تكرر استعماله في القرآن ، فجاء في ستة مواضع أحدها قوله تعالى في سورة الفرقان (17 - 18) ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول : أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل . قالوا : سبحتك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ، ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا .

معنى هاتين الآيتين ان الله تعالى يسأل المشركين يوم القيامة الذين كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين ، كميسى وأمه ، وسائر من عبد من الصالحين ، فيقول لهم : أنتم أمرتم هؤلاء أن يعبدوكم ، فيتبرؤون منهم منزهيين الله تعالى عن الشريك قائلين : سبحتك ، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ، اي لا يليق بنا أن نتخذ المشركين أولياء ، أو نرضى بعملهم ، ولكن متعتهم وآباءهم بالنعم ، ولم تعجل لهم العذاب ، فتركوا كتابك ، واتبعوا أهواءهم ، وكانوا في علمك هالكين ، فحق عليهم العذاب .

فمعل (ينبغي) لا ينبغي أن يتعدى بعل ، وانما ينبغي أن يتعدى باللام .

32 — منع انباء وآراء وما أشبههما من الصرف

كل من يستمع الى الاذاعات يعلم ان بعض المذيعين يمنعون صرف كل جمع من جموع التكسير جاء على افعال ، كانباء وآراء ، وأحزاب ، والذي ورطهم

بمعدون ينبغي بعل ، وهذا دليل اهمال اللغة ، وطرح العناية بها جانبا ، وذلك شأن الامم المخذولة المنحلة ، السائرة الى الاضمحلال . وقد رأينا أسلافنا كيف اعتنوا لغة القرآن ، وخدموها احسن خدمة ، فغضبوا خارج حروفها وصفاتها ، وتجويد النطق بها ، وحققوا ما في كلماتها ، وتركيب جملها ، وجودة اسلوبها ، وبلاغتها ، وتركوها لنا في غاية الكمال والجمال ، فلم تكن خير خلف لخير سلف .

ومن المعلوم ان القرآن هو اول كتاب ينطق بلغة العرب الخالصة ، ولا يستطيع أحد معرفة اللغة العربية ونصاحتها وبلاغتها ، واسرارها الا بدراسة القرآن ، واتخاذها اماما ومنارا يهتدى به في علومها ، هذا بالنسبة الى غير المسلمين الذين لا يهمهم من القرآن الا ما فيه من فصاحة وبلاغة ، وأنه حجة في اللغة العربية ، فكيف بالمسلمين الذين يجب عليهم — ان كانوا مسلمين حقا — ان يتخذوا القرآن اماما وسراجا منيرا ، يتبعونه ويهتدون به في دينهم ، يحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويتخذونه حكما ، فيه شريعتهم ، ومنهاج اخلاقهم ، وهدايتهم ، وشفاء صدورهم وروح ارواحهم كما قال تعالى في سورة الكهف (1 - 3) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قوما لينذر بأسا شديدا من لدنه ، ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا حسنا . ماكثين فيه أبدا .

قال ابن كثير : قد تقدم في اول التفسير انه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الامور وخواتمها ، فانه المحمود على كل حال ، وله الحمد في الاول والآخرة ، ولهذا حمد نفسه على انزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فانه اعظم نعمة انعمها على أهل الارض ، اذ أخرجهم به من الظلمات الى النور ، حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج فيه ، ولا زيغ ، بل يهدي الى صراط مستقيم ، واضحا بينا جليا ، نذيرا للكافرين ، بشيرا للمؤمنين .

ولهذا قال (ولم يجعل له عوجا) اي لم يجعل فيه اعوجاجا ، ولا زيغا ولا ميلا ، بل جعله معتدلا مستقيما ، ولهذا قال (قويا) اي مستقيما (لينذر بأسا شديدا من لدنه) اي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ، ينذر بأسا شديدا ، عقوبة عاجلة في الدنيا ، وأجلة في الآخرة (من لدنه) اي من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد (ويبشّر المؤمنين)

تقويم اللسانين مستقيم

للتورتقي الدين الزلاحي

(6)

30 - قولهم : تنبا بكذا وكذا

يريدون انه علم بصدق الفراسة وقوة الحدس ما سيكون في المستقبل كما قال الشاعر :

الاعمى الذي يظن بك الظن
كان قد رأى وقد سمع

وفي الخبر : اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله ، رواه البخاري في التاريخ والترمذي عن ابي سعيد . وبعضهم يقول : تكهن بكذا وكذا ، وهذا شيء لا يمكن التكهن به ، وسنرى معنى تنبا الحقيقي .

قال في اللسان : قال سيبويه : ليس احد من العرب الا ويقول : تنبا مسيلة ، بالهمز ، غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخابية . ثم قال : ويقال : تنبى الكذاب اذا ادعى النبوة ، وتنبى كما تنبى مسيلة الكذاب وغيره من الدجالين المتنبين . ثم قال : وتنبا الرجل : ادعى النبوة . اهـ .

وقال شاعر اندلسي في ابي الطيب احمد بن الحسين المتنبى يخاطب أحد أمراء الاندلس حين رآه ينشد شعر المتنبى :

تنبا عجا بالقريض ولو درى
بانك تروي شعره لتألهما

وقد عرفت ان معنى (تنبا) ادعى النبوة ، وهي الانباء عن الله تعالى . وقصص المتنبئين المذكورة في

المقد الفريد وغيره من كتب الادب ، والمتنبئون هم الذين ادعوا النبوة . واستعمال تنبا بمعنى أخبر بشيء يقع في المستقبل استعمال استعماري ، من استعمال اللغات الاوربية للغة العربية ، فان جهال المترجمين يترجمون الفعل الانكليزي (Prophecy) بقولهم : تنبا وانبا ، ويترجمون (Prophecy) بالنبوة يريدون بذلك الاخبار بالشيء قبل وقوعه ، والصواب ان يقال : توقع وتفرس ، وحدهس انه يقع كذا وكذا .

وقال في معجم اوكسفورد في معنى (بروفيساي) Prophecy يتكلم كنبى . وقال في معنى (بروفيت Prophet) هو الموحى اليه المخبر عن الله ، فظهر لك ان الاوربيين يستعملون (تنبا) بمعنى يتكلم كما يتكلم النبي ، والنبي كثيرا ما يخبر بالمفيات ، فهذا الاستعمال في لغتهم سائغ . وقد توهم المترجمون ان كل ما ساغ في لغتهم يسوغ في لغتنا ، خصوصا ولغتهم لغة القوى القاهرة ، ولغتنا لغة الضعيف المغلوب على أمره . ومعنى (بروفيت) في اللغة الانكليزية لا يخلف عن معناه في اللغة العربية ، فهو الموحى اليه المخبر عن الله تعالى ، وحق لغتنا علينا ان ننظفها من كل استعمال دخيل ، محافظين على جمالها ونضارتها وبهجتها . ويقال في الكلام الفصيح : صدق حدسه ، وتحقق ظنه ، والمخطئون يقولون : صدقت نبوته .

31 - ينبغي عليه

ومن الاخطاء الشائعة في هذا الزمان في الاذاعات والصحف قولهم : ينبغي عليه ان يفعل كذا وكذا ،

أو مرض وسواسي يجلبه الى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور . اه .

قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه تلييس ابليس في اثناء انتقاده على بعض الصوفية استعمالهم لفظ العشق في حب الله تعالى قال : لا يعشق الا ما ينكح . وكلام صاحب القاموس يؤيده ، فان قوله : يكون في عفاف وفي دعاة ، يدل على ان العشق لا يستعمل استعمالا صحيحا الا في حب يتعلق بمن تمكن مباشرته ، والشخص الذي تمكن مباشرته ، وهو المعشوق ، يكون ممتنع الوصول ، فيزيد ذلك الامتناع في اذكاء نار العشق في قلب العاشق ، فان كان تقيا عفيفا صبرا وامتنع عن طلب الوصال ، اثارا لما يبقى على ما يغنى ، او تجنبنا للعار ، وان كان غير عفيف اندفع في طلب الوصال بدون مبالاة ، وهذا هو الذي عبر عنه اللغويون بالدعاة . وكلتا الحالين لا تتفق الا مع المعشوق الذي تمكن مباشرته .

اما الصحافة والعلم والمعرفة والرياضة وما اشبه ذلك ، فالصواب ان يعبر فيها بالحب ، وكذلك حب الله سبحانه وتعالى ، وحب رسوله والمؤمنين ، لا ينبغي ان يعبر عنه بالعشق . ويدل على ذلك ايضا قول صاحب القاموس (او مرض وسواسي يجلبه الى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور) فان من احب الله ورسوله والعلم واهله لا يجلب لنفسه مرضا وسواسيا ابدا ، بل يزداد عقله قوة وصحة .

وكذلك القول بأن العشق عى الحس عن ادراك عيوب المعشوق ، لا يتناسب الا مع من تمكن مباشرته . ويروى حديث في العشق ذكره داود الانطاكي في كتابه (تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق) ص 6 هذا نصه :

عن ابن عباس عن النبي (ص) قال : من عشق فغف ، فمات دخل الجنة . زاد الخطيب عنه : فظفر ، ثم ابدل قوله : (دخل الجنة) بقوله (مات شهيدا) ، وفي أخرى (فكتم) . والحديث بسائر ما ذكر صححه مغلطاي ، واعله البيهقي والجرجاني والحاكم في التاريخ بضعف سويد وتفرد به . ورواه ابن الجوزي مرفوعا وابو محمد بن الحسين موقوفا ، واخرج الخطيب عن عائشة رفعه ايضا .

وحاصل الامر اما صحته او حسنه . والجواب عن تفرد سويد بالمنع بوروده عن غيره وحكايته تحديدا وكونه قبل عماء ، فلا تدليس . اه .

ومثال تقدم الياء على الواو (سيد) فان اصله (سيود) بدليل الفعل : يسود ، حكمت عليه القاعدة المذكورة بابدال الواو ياء وادغام الياء فيها . وفعلية كسر فسكون ، كحكمة ، وقرية ، وهي السقاء ، انما تجمع جمع تصحيح على فعلات كما في الحديث المتفق عليه (انما الاعمال بالنيات) وتجمع جمع تكسير على فعل — بكسر ففتح — كحكمة وحكم ، وقرية وقرب ، وشيمة وشيم ، وذلك كثير ، ولا تجمع البتة على فعلات ، لانها لفظ ثلاثي ، والذي يجمع على فعلات هي الكلمات الرباعية ، كبرية وبرايا ، وضحية وضحايا ، وفضيلة وفضائل .

وقد جمعت النية على (ني) بكسر النون وتشديد الياء ، كسدره وسدر ، وهو نادر ، قال النابغة الجعدي :

انك انت المحزون في اثر الـ
حي فان تنو نيهم تقم

قال صاحب اللسان : قيل في تفسيره : ني جمع نية ، وهذا نادر . قال ابن الاعرابي : قلت للمفضل : ما تقول في هذا البيت ؟ قال : فيه معنيان : احدهما يقول : قد نووا فمراقتك ، فان تنو كما نووا تقم فلا تطلبهم . والثاني قد نووا السفر ، فان تنو كما نووا تقم صدور الابل في طلبهم انتهى .

اقول : والمعنى الاول هو الظاهر ، وهذا البيت من بحر المنسرح .

35 — هذا العمل له ما يبرره

ومن اخطائهم قولهم : لهذا العمل ما يبرره ، وكأنهم يريدون بالتبرير ان يجعل من البر وهو الاحسان . وقد بحث فلم اجد في لسان العرب ، وهو اكبر معجم عند العرب اليوم ، برر على وزن فعل ، كعلم ، وانما وجدت بر وابر ، وهذا من اخطاء المترجمين للفظ الانكليزي justify والصواب ان يقال : لهذا العمل ما يسوغه ، اي يجعله سائفا ، فلا يعاقب فاعله ولا يلام .

36 — قولهم : يعشق الصحافة ويعشق العلم

قال في القاموس : العشق والمعشق كمقعد ، عجب المحب بمحبوبه ، او افراط الحب ، ويكون في عفاف وفي دعاة ، او عى الحس عن ادراك عيوبه ،

في ذلك انهم راوا (اشياء) جمع شيء ممنوعة من الصرف فقاوسوا عليها ما يشابهها في اللفظ لجهلهم . وقد اتفق النحاة على منع صرف (اشياء) ، واختلفوا في تعليقه اختلافا كثيرا ، لو ذكرته هنا لشوش على كثير من القراء . وياأسهم من فهم المقصود ، فاقصر على ذكر القول الراجح ، وهو قول الخليل وسيبويه .

قال صاحب اللسان : واشياء : لفعاء عند الخليل وسيبويه . اهـ . وبيان ذلك ان لام الكلمة تقدمت على فائها وعينها فصارت (لفع) اتصلت بها الف التانيث الممدودة ، فصارت (لفعاء) وهو وزن اشياء ، باعتبار الهزمة الاولى آخر الكلمة في الاصل تقدم على اولها وثانيها . فلم يبق الا المد والهزمة ، وذلك ما يسمى بالف التانيث الممدودة كما في اصدقاء واغنياء وغيرها من الجموع ، وكما في خضراء وحمرأ وصحراء وغيرهن من الاسماء المفردة .

والذي حملهم على هذا التأويل انها جاءت ممنوعة من الصرف في القرآن ، قال تعالى في سورة المائدة (101) يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم)

وقال ابن حمدون على الازهري : اشياء ، جمع شيء ، واصله : شياء ، فكرهوا اجتماع همزتين بينهما حاجز غير حصين ، وهو الالف فقدما الهزمة الاولى لام الكلمة على الفاء والعين ، فصار اشياء ، فهو ممنوع من الصرف لالف التانيث الممدودة . اهـ .

اقول : علة منعه من الصرف غير معلومة يقينا ، وتعليقات النحويين حدس وتخيل قل ما يثبت امام النقد ، والمقصود بها ترسيخ القواعد في ذهن الطالب . اما انباء وآراء وما أشبهها فلا معنى لمنعها من الصرف ، وقد اصبح الانشاء عند المتكلمين باللغة العربية لا يستفاد من المدرسة وقراءة كلام البلغاء ، وحفظ اشعارهم ، وانما يؤخذ من الاذاعات والصحف ، وذلك دليل على ان علم العرب اليوم بلغتهم ضحل ، وذلك دليل على التخلف ، وهم يرون الشعوب المتقدمة كبريطانيا وجرمانية وفرنسا تبذل الجهود والاموال في رفع مستوى لغاتها ونشرها في الدنيا كلها ، فايمن التقدم الذي يتبجح به بعضهم ؟ .

33 — التعبير عن افتتاح المدرسة ونحوها

بالتشيين

يقولون : دشن المدرسة ، او المصروف ، يعنون افتتحها باحتفال ، وهذا الفعل لم اجد في شيء من

معاجم اللغة التي عندي الا في المنجد ، ولا عبرة به ، لانه يخلط الدخيل بالاصيل ، وفي القاموس دشن : اعطى ، وتدشن اخذ ، وداشن : بلد ، والداشن معرب الدشن ، يعنون به الثوب الجديد لم يلبس ، والدار الجديدة لم تسكن . اهـ .

وفي اللسان : داشن معرب من الدشن ، وهو كلام عراقي ، وليس من كلام اهل البادية ، كأنهم يعنون به الثوب الجديد الذي لم يلبس ، او الدار الجديدة التي لم تسكن ولا استعملت . اهـ .

وقول صاحب اللسان : كلام عراقي ، وليس من كلام اهل البادية ، يؤيده ما قرأته في معجم لعالم عراقي موصلني نسيت اسمه الآن ، ضمنه الكلمات السريانية التي دخلت في اللغة العراقية ، فذكر منها (دشن) الدار الجديدة ، اي سكنها لأول مرة . ومن سوء الحظ انه ليس عندي في هذا الوقت معجم سرياني ، ولو كان عندي ما قدرت ان استفيد منه لضعف بصري ، وعدم وجود من يعرف اللغة السريانية هنا .

وكيفها كان الامر فاستعمال الفعل (دشن) وما يشاركه في الاشتقاق بمعنى افتتاح المعرض او المدرسة ليس من كلام العرب ، ولا حاجة اليه ، والذوق السليم يكرهه .

34 — جمع النية على نوايا

ومما يحزن ويسوء كل من له غيرة على لغة القرآن ان اكثر الخطباء والكتاب يجمعون (النية) على (نوايا) وذلك دليل على افلاسهم وجهلهم بقواعد اللغة العربية ، لان النية فعلة بكسر فسكون — وعينها واو بدليل نوى ينوي ، فاصلها (نوية) حكمت عليها القاعدة الصرفية الشهيرة بقلب الواو ياء وادغامها في مثلها .

والقاعدة هي قولهم : اجتمعت الياء والواو ، وسبقت احدها بالسكون ، فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء ، وقد شبه علماء الصرف هذين الحرفين عند اجتماعهما وسبق احدهما بالسكون بالحجر والصحفة من الخزف ، او الصيني والحجر ، فالصحفة هي الواو ، والحجر هو الياء ، فمتى وقعت الصحفة على الحجر ، وهي الواو الساكنة انكسرت الصحفة ، كما في نية ، و متى وقع الحجر على الصحفة ، اي سبقت الياء الواو ، وهي ساكنة انكسرت الصحفة ، وهي الواو ، فالانكسار خاص بالواو ، سواء اتقدمت ام تأخرت .

تأملات إنسانية

السياسة والحضارة من منظور أخلاقي

لدكتور : المهدي البرجالي

الى أي حد تلتزم السياسة بالاخلاق القومية في عصرنا الحاضر ؟ سؤال يتطرحه الناس باستمرار ، ولا يملكون حين النظر في هذا الامر - الا ان يحملوا الخلق السياسي المعاصر اوزارا غير محدودة ، انطلاقا مما يستتجونه من ملاحظة السلوك الدولي العام ، وما ينطبع به هذا السلوك من ظواهر غير مقبولة في كثير من الاحيان !

بيد ان هذا لا يعني ان القضية ، هي قضية عصرنا على وجه الخصوص ، لكنها اتخذت - حقا - في هذا العصر ، طابعاً شديداً الالاح ، أكثر من أي وقت مضى ، فما هي عوامل ذلك ؟ والى أين تنج آفاق السياسة والاخلاق في مضمار الحياة الحضارية الحديثة ؟

ان السياسة بارتباطاتها الفكرية والاخلاقية هذه، تبرز للتأمل اذن كظاهرة من ظواهر الحضارة بقدر ما هنالك من ظواهر اخرى تشكل منها حالة حضارية ما في القديم والحديث ! والحضارة كما نعلم - لها جوانبها المعنوية - ثقافية واخلاقية - مثل ما لها من جوانب مادية ، تتمثل في توسع اقتصادي او عمراني او غيره من هذا الباب ، باب الصلة بين الحضارة والاخلاق ، نتطرق الى موضوع السياسة ، وما تنطوي عليه من ملاسبات اخلاقية ، وذلك على اعتبار أن السياسة - كما اسلفنا - مقوم اساسي من مقومات الحضارة ، في أي مجتمع ذي حضارة !

فماذا يبدو من ظواهر في هذا المجال ؟

وماذا تعنيه هذه الظواهر ؟

السياسة ظاهرة اساسية من ظواهر سلوك الانسان ، بل ينظر اليها باعتبارها من اخص خصائصه، ولهذا نرى لها مكانا بارزا بين الاوصاف والمميزات التي تطلق على الانسان ، يراد منها تعريفه تعريفاً يميزه عن غيره من المخلوقات ، فيقال في مضمون ذلك - انه حيوان سياسي ، كما يقال عنه ، انه مخلوق عاقل ، او متكلم او ضاحك ، او غير هذا من الصفات ، التي يعتقد ان الانسان - من بين الحيوانات الاخرى - يتسم بها ، تخصه دون غيره .

واذا كانت السياسة تدخل - هكذا - في باب الخصائص المميزة للانسان ، على نحو ما تعرفه به السياسة عند الانسان - فذلك لان لها اتصالاً بفكره واخلاقه ونوازع التي ترتبط كلها بمجتمعيته ، القائمة عليها حضارته .

وهذا الحديث أيضا يدل على أن العشق لا يكون إلا لمن تمكن مباشرته . ثم راجعت الجامع الصغير فوجدته ذكر حديثين في هذا الباب ، أحدهما عن عائشة ، ونصه : من عشق فعمى ، ثم مات ، مات شهيدا . رواه الخطيب ، وأشار إليه السيوطي بعلامة الضعف .

والثاني : عن ابن عباس : من عشق فكتم وعف فمات ، فهو شهيد . رواه الخطيب ، وأشار إليه السيوطي بعلامة الضعف أيضا .

وان صدق الانطاكى في نقله صحة الحديث عن الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي ، فإنه حجة في علم الحديث . ويؤيد ما ذكرناه أن حب الله ذكر في القرآن في مواضع عديدة ، ولم يعبر عنه بالعشق . وحسب الرسول صلى الله عليه وسلم جاء في الحديث .

أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك أن النبي (ص) قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين .

والاحاديث التي جاء فيها حب الله ورسوله ، وحب المؤمنين بعضهم بعضا كثيرة ، ولم يرد في شيء منها التعبير بالعشق . هذا وموعدا المقال التالي بحول الله .

مكناس : تقي الدين الهلالي

والمعجب من هذا الرجل الذي قضى عمره في علم الطب والفلسفة كيف تكلم على هذا الحديث كأنه من علماء الحديث ، ولا غرابة في ذلك ، فإن المسلمين في زمان عزهم وارتقائهم كانت لهم ثقافة جامعة عالية لا تشبهها أي ثقافة من ثقافات العصر الحاضر . وإذا أردت أن تزداد علما بذلك فعليك بمطالعة كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة ، فإنك ترى أولئك الأطباء الذين ترجم لهم متبحرين متفنيين في علوم كثيرة ، إذا رأيت اطلاعهم في كل علم منها تقول : انهم لا يحسنون غيره ، وهذه مزية خاصة بعلماء الاسلام .

أما المثقفون في هذا العصر ، فأغلبهم لا يحسن من العلوم إلا ما اختص به ، ومن عجائب ما رأيت في ذلك أنني كنت اتحدث في مستشفى العيون التابع لجامعة بون بألمانيا مع رئيس المستشفى ، وهو أحد العلماء العشرة الذين يتألف منهم مجلس الجامعة الأعلى ، وهو الدكتور البروفيسور (شميت Schmit) وكان ذلك سنة 1954 فوجدته يعتقد وجود الدولة العثمانية واستمرار سلاطينها ، مع أنه بلغ الغاية في علم الطب ، حتى أنه يدعى من الولايات المتحدة ليسافر الى هناك لأجراء الاعمال الجراحية والقاء المحاضرات ، وقد بلغ جهله بالتاريخ الى ما رأيت .

السياسة المدنية ، كالوسائل التقنية المستخدمة في تطوّر القوى الاجتماعية جهويا ، أو الوسائل المستعملة في الاتصالات الدولية عالميا ، وهكذا ؛ وليس للتوسع السياسي - عن طريق العلم - على نحو ما أشرنا إليه - ليس له أي حد ينتهي إليه ، فطالما أن التطور العلمي يدخل في صياغة الحياة الإنسانية وتقرير سيرها على نحو معين ، فإن نصيب السياسة من التأثير من ذلك نصيب متزايد الاهمية ، إذ أن الحياة السياسية تتداخل - كما أسلفنا - ومفهوم الحضارة تداخل لا حد له ، وهذا التداخل بين السياسة والحضارة ، لم يزدده العصر الحاضر ، إلا تأكيدا من ناحية نظرية أو عملية ، متى أنه في الامكان أن يزعم المرء أن التنظيم السياسي في عالمنا الحاضر ، وما يرتبط به من احوال اجتماعية وإدارية واقتصادية وثقافية ونحوها ، يعكس - بمجموع ذلك - الصورة المعنوية للحضارة ، إذا كان العمران وما من نوعه يمثل الصورة المادية الصرف للحياة الحضارية ، ومن هنا يزداد تأكيدنا عن سعة المدخل الذي للعلم الحديث في ميدان السياسة ، وذلك كتنمية لمدخل العلم في مجال الحضارة والحياة الحضارية .

وإذا كانت السياسة هكذا جزءا من نظام الحضارة ، وكانت الحضارة الحديثة ، سريعة التحول بتأثير التطور العلمي الذي يرفدها ، فإن الملابس الاخلاقية ، الناشئة عن ذلك ، لابد أن تكون موضوع اهتمام الفكر الحضاري ، اهتمام هذا الفكر في محاولته تاصيل الحضارة انسانية ، بقدر ما هي متصلة على الصعيد المادي ، وذلك في الواقع خلاصة القضية الانسانية في هذا العصر ، ومشكلة عصرنا ، أنه يسير - في مضمار حلها - خطوات غير ناجحة دائما .

2 (التوسع في مضمار العلاقات الانسانية ، وهذه الحالة من التوسع ، تبرز مظاهرها في شتى آفاق الحياة اليوم ، سواء في النطاق الاقليمي المحدود ، أو في المجال العالمي الواسع ، ولا ريب أن تطور العلم ، كان عاملا أساسيا في توسيع نطاق الصلات الانسانية ، وتنويع آفاقها على نحو ما هي عليه من سعة وشمول ، ويرجع الامر في هذا ، بطبيعة الحال ، الى تطور اساليب المواصلات ووسائلها ، وذلك باب من أبواب التطور العلمي ، ونتيجة من نتائجه ، ولكن قضية العلاقات الانسانية ، لا تدخل فقط في مضمار المواصلات التي اختزلت المسافة ، وادنت الامم من بعضها البعض ، فهناك ملابس ذهنية وسيكولوجية وسياسية

وغيرها ، أتبثقت عن روح العصر ومؤثراته ، وكان لها الاثر الجوهري في زيادة ربط الامم بعضها ببعض ، ومضاعفة حالة التشابك بين الافكار والمصالح بين المجتمعات في شتى القارات والجزر ؛ وأن وسائل المواصلات الحديثة عامل مهم في تكييف صورة الارتباطات الانسانية كما هي واقعة فعلا ، ولكن هناك ما هو أقوى من كل عاقل آخر ، وهو عامل التحفز الذهني ، والفضول الفكري والتفتح النفسي الذي صاحب ثورة العلم والفكر في العصر الحديث ، وجعل الناس في شتى بقاع العالم ، يحضون الى الاتصال بعضهم البعض وتفاعل بعضهم مع بعض ، على أية صورة ممكنة ، ومما يشير الى هذا المعنى ، أي أن تأثير الإرادة الانسانية في التواصل ، هو أقوى من كل عامل آخر مما يشير الى ذلك ، ما نلاحظه من نزوع متزايد الى الاستغناء عن مركبات النقل السريعة ، واستعمال بعض الوسائل التي تبدو بدائية اليوم ، كالدرجات وانزوارق أو غير هذا ، للتحويل فيما بين القارات ، وربما للطواف حول العالم أو جزء كبير من العالم ؛ أن هذه الإرادة الانسانية المصرة على مبدأ توسيع التواصل ، والذاهبة في هذا الخط الى أقصى مداه ، هذه الإرادة ، هي من بين القوى الفاعلة في هذا العصر ولها مضاعفات شتى في مختلف أوجه نشاط الحياة الانسانية الحديثة ، إلا أنها - ككل شيء يتعلق بالانسان - لها ملابس اخلاقية واسعة ، ولها اتصال من جانب آخر ، بالحياة السياسية في العالم ، وبالاخلاقية السياسية ضمن ذلك ، أن سعة التواصل بين الناس ، قد نشأت عنها بالضرورة ، سعة مماثلة في المصالح القائمة فيما بينهم ؛ وقد تشعبت هذه المصالح وتعقدت بقدر كبير ، فكان من اللازم أن ينشأ عن ذلك ما يمكن أن ندعوه بـ « الحساسية المصلحية عند الامم ، حساسية قوية التأثير في تكوين النظرة الى الامور ، عند مجتمع أو آخر وتكييف العلاقات بين المجتمعات بعضها مع بعض ؛ أن الاساسية المصلحية ، تقوم في كل عصر ومصر كصورة مألوفة من صور الحياة عند الناس ، سواء في نطاق خاص ، أو على مستوى أعم لكن لا أحد يستطيع أن يثبت أن هذه الحساسية كان لها مجال عالمي معقد مثل ما لها من مجال عالمي في عصرنا هذا .

وتتبلور في محيط الحساسية المصلحية ، نزعات مختلفة ، وربما تكون متناقضة في بعض الاحيان ، تناقضا يقوم في العادة كعامل من عوامل التصادم الحتمي بين الامم ؛ وقد تذهب هذه النزعات المصلحية

نحتزىء اذن بثلاثة نماذج من حالة التوسع القائمة وهي :

1 (التوسع العلمي ؛ وبطبيعة الحال ، فاننا لا ننظر الى توسع العلوم نظرة ترتبط بالموضوع من الناحية العلمية ، بل نبقي ملتزمين بالقضية من جانب اتصالها بالسياسة والاخلاق ! ونحن ندرك سلفا ، اي ارتباط موجود اليوم بين التطور العلمي من جهة ، وبين مشاكل السياسة في عصرنا هذا ، من جهة ، وقضايا الاخلاق ايضا في عصرنا من جهة اخرى ؛ والموضوع هذا - في حد ذاته - موضوع العلم والاخلاق ، ما فتىء يثير الكثير من الاهتمام لدى المفكرين وذوي النظر في هذا العصر ، والامر في هذا ، كالامر ايضا في قضية العلاقة بين الفن والاخلاق ، والاقتصاد والاخلاق ، او غير ذلك من المواطن التي تتداخل فيها اللابسات الاخلاقية بصورة او بأخرى ؛ الا ان العلم - بالنظر لصلته الوثقى بالحياة - وارتباطه بمشاكل المجتمعات اليومية - العلم يبدو - لذلك - اكثر اثارا لموضوع الاخلاق ، وادعى الى خلق اهتمامات فكرية من هذا القبيل ؛ اهتمامات ناشئة في عمومها عن حالة الاحتكاك بين الواقع الذي يخدمه العلم ، وبين القيم المثالية القائمة في الذهن ؛ ويزيد من اهمية هذا الاحتكاك حدوثه في كثير من الاحيان على شكل تصادم شديد الوقع على الفكر ، يضطر معه الانسان الى مراجعة كثير من اقتناعاته ، واعادة تحسس مواضع قدميه في دنيا المسلمات التي لديه في الذهن ؛ فاذا اضفنا الى هذا ، ارتباط العلم بالسياسة ارتباطا لم يعرف مثيله تاريخ العلم ، ولا تاريخ السياسة من قبل ، ادركنا عمق القضية التي يخلقها التطور العلمي المعاصر في هذا الموضوع ، وهي قضية تتشعب هكذا شعبا تتصل بالسياسة ، بقدر ما تتصل بالاخلاق ، وتلمس عالم المثل والقيم ، على نحو ما تمس عالم الواقع المائل ؛ وهكذا يذهب الشعب بعيدا في هذا المضمار ؛ فالعلم اليوم اداة انسانية بالمفهوم الايجابي التقدمي للانسانية ، ومن اجل ذلك ، فهو موضوع في متناول الانسان يستخدم تطبيقاته في شتى الافاق التي يستغل فيها التطبيق التكنولوجي للعلوم ، ووجود العلم هكذا ذا قابلية غير محدودة لاستخدام العملي من قبل الانسان ، قد جعل منه اداة عمل سياسي ، مثل ما جعل منه اداة اقتصادية واجتماعية وغيرها ، بل ان المداخلة بين التكنولوجيا الحديثة والسياسة ، يتسع لها اليوم اكثر من مجال ، فاذا بثمرات هذا التدخل ، تبدو على اشد ما تكون وضوحا في التكتيك الحربي مثلا ، او في الحياة

الموضوع مما تعددت فيه الآراء منذ قديم ! وقد ذهب تعدد الآراء - بهذا الشأن - الى حد التناقض الكامل بين من يأخذ بمبدأ اخضاع السياسة للمثاليات الخلقية ، وبين من يذهب الى القول باتخاذ المصلحة - مهما كان السبيل اليها منافيا للمثل الاخلاقي - اتخاذ المصلحة - على هذا النحو - كمقياس للعمل السياسي ، يسار عليه في تحقيق هذا العمل وتكييفه والاخذ بنتائج .

سبلان في الراي ذهب اليهما الفكر السياسي - الاخلاقي في عصور مختلفة ، وقامت على أساسهما ايضا احوال واوضاع سياسية من شتى الانواع .

وفي عصرنا هذا ، تتخذ القضية طابعا ملحا جدا ، بل تبدو اشد الحاحا من اي وقت مضى ، ولا يرجع هذا الى ان عصرنا هو اكثر اخلاقية من غيره ، او ان حاله استقامت من ناحية النظرة الاخلاقية ، اكثر مما استقامت النظرة الاخلاقية عند المجتمع الانساني في غير هذا العصر ، انما مرجع هذا اللاحاح الذي تفرضه القضية الان ، هو بالاختصاص ، ما توجه به حالة التوسع العام الذي تعرفه الحياة الانسانية المعاصرة ، وهو توسع يتسم بسمة فيها كثير من الشمول ، يرمي الى استيعاب حياة الناس كلها في نطاق واحد ، وصهر مصالحهم ونوازعهم في مصهر واحد ، ويربط بينهم برباط وثيق ؛ لكن المشكلة هي : ان هذا الارتباط والانصهار هل يتم بانسجام مع ما نعتبره مثلا اخلاقية ، ومبادئ انسانية ؛ ام ان هناك عوامل اخرى ، اكثر قوة واشد مفعولا ، تفرض حالة الترابط والتلاحم الانساني داخل اطار التوسع الهائل الذي يطبع صفة عصرنا الحاضر ، وتجعل من هذا التوسع ، وما يفرضه من مقتضيات ، عبارة عن تيار مجترف يتجاوز المثل النظرية ، ولا يبقى منها الا على ما جرى مع عنف جريانه ؟ ثم يفرض السؤال نفسه ايضا : اذا كان الفرض الثاني هو الفرض الراجح ، فما هي اذن مظاهر هذا التوسع الذي نشير اليه ؛ وصورة الارتباط بين هذه المظاهر والقضية السياسية - الاخلاقية ، التي يقوم عليها موضوعنا ؟

ونحتزىء هنا بايراد بعض آفاق هذا التوسع ، والمراد منها بطبيعة الحال هو مجرد التمثيل ، لا الحصر ، لان الحصر ، ليس له من ضرورة تفرضه من اجل تصور القضية التي نعالجها هنا ، ثم ان هذا الحصر - ولو في نطاق مجمل - مما لا يتيسر في بحث محدود جدا كهذا .

يمثل الخيط الامتن الذي يصل الحياة السياسية في العالم بمثاليات اخلاقية ، لكن وجه التعارض بين النزعة المثالية في القانون الدولي وبين الواقع الدولي ، بل هذا التعارض ، يوسع - باستمرار - من دائرة المناقشات الاخلاقية التي تتصل بموضوع السياسة ، ويبقى على القضية - قضية السياسة والاخلاق ، لا كمشكلة موجودة فحسب ، بل كمعضلة آخذة في التوسع كذلك ؛ وستبقى القضية مطروحة على الضمير الحضاري الانساني ، الى ان يبلغ هذا الضمير مداه في استيعاب القضية ، وهضمها ، والخروج منها مخرجا يتفق مع منطق انسانية واعية متبصرة .

* * *

ويبدد بعد هذا ، سؤال لازم وروده في هذا المساق وهو : هل من حل اخلاقي لمشكلة السياسة في هذا العصر ؛ وما هي آفاق هذا الحل اذا كان ممكناً ؟ اتفه من السذاجة بمكان ، التفكير في هذا الامر ، على نحو ينتهي الى « اتخاذ جملة تدابير » تقوم كـ « حل » لقضية شاملة ومعقدة كقضية العلاقات الانسانية ، وما يجب ان تتكيف به لتتطبق عليها مقومات اخلاقية سليمة ، من السذاجة حقاً محاولة شيء من ذلك ، على اساس ان يكون له تأثير « معجزي » في تقويم الامور من هذا القبيل ، وعلّة العلل في هذا التعقيد ان الامر ، امر العلاقات الانسانية - وان كانت صورته البسيطة هي صورة تعايش وتعامل بين الناس - ، غير ان هذه الصورة البسيطة ، تكمن وراءها عوامل ومواضع عقلية ومادية جد معقدة ، لا يسهل من الناحية العملية السيطرة عليها ، وان كان ذلك قد يبدو ميسوراً من وجهة نظرية ؛ والعوامل والمواضع هذه هي متاثية من طبيعة المناخ الحضاري الذي يشكل صورة الاشياء في العالم الحضاري ؛ ويشكل في نطاق ذلك صورة الحياة السياسية العالمية التي توظف احوال العلاقة بين المجتمعات ، وتكيف صبغتها على نحو ما هي عليه ؛ ومن هنا كان التفكير في تكيف السياسة في عصرنا الحاضر ، على نحو اخلاقي معين هو تفكير - بالنتيجة - في تكيف الحضارة على منحى اخلاقي معين كذلك ؛ ويبقى السؤال بعد كل هذا قائماً ينتظر الاجابة : هل من الممكن توجيه الحضارة القائمة توجيهها اخلاقياً معديلاً ، بالنسبة الى الجو الاخلاقي الذي يسيطر عليها الان فعلياً ؟ ولكي نستطيع تصور القضية هذه في ابعادها الموضوعية ، يجب ان نضع في اعتبارنا - قبل اي شيء - حقيقة

الحضارة المعاصرة ، وهي كما نعلم - حضارة اوربية ، في الشكل ، وفي الجوهر الى حد ما ، وان كانت العوامل البعيدة ، التي اسهمت في تكوين بذور هذه الحضارة ، وتنميتها ، هي عوامل متعددة الانتساب ، الى اطراف مختلفة من العالم ، وهذا الطابع الغربي الذي تنطبع به الحضارة الحديثة ، له - كما في كل حالة حضارية قديماً او حديثاً - وجهان ، مادي ومعنوي حسبما ذكرنا من قبل ، ولا يعني هنا الوجه المادي لهذه الحضارة ، بقدر ما يعنيها منها وجهها المعنوي ، المتمثل في القيم الادبية والفنية والاجتماعية التي تسودها ، والمتمثل ايضاً في جملة القيم والمفاهيم الاخلاقية ، التي تتحدد بها نظرات الناس ، ونقوم مسالكهم في الحياة ضمن هذه البيئة الحضارية القائمة ؛ فماذا نرى من خلال هذه القيم والمفاهيم التي تفرض وجودها اليوم كلازمة حميمة من لوازم المنطق الحضاري المعاصر ؟ ليس لنا ان نذهب بعيداً في انتقاد هذه الظاهرة او الاخرى من ظواهر الاخلاق المتبلورة في ظل المجتمع الانساني المتحضر في عالم اليوم ؛ فالواقع ان حضارات كثيرة اخرى ، لم يتحقق في محيطها جو « مدينة فاضلة » مثل ما يتصور المفكرون المثاليون حالة « المدن الفاضلة » الا ان القضية التي يصطدم بها ، التفكير في امكانيات حل اخلاقي لمشكلة السياسة وبالتالي مشكلة الحضارة في هذا العصر ، القضية التي يصطدم بها التفكير في هذا المضمار هي كون الحضارة الحديثة متكيفة في كثير من مناحيها بعقلية وروح قارة واحدة من بين قارات العالم كلها ، وبالنتيجة لذلك ، فهي - اي الحضارة - منطبعة بطابع فكري وسيكولوجي اي الطابع الغربي ، وهو بطبيعة الحال ، محدود المدى الانساني جداً ، لان المجتمع الغربي - على الرغم من امكانياته العبقريّة - فانه ليس هو المجتمع الانساني بكامله ، ومن هنا ، فان الحضارة الحديثة ، اذا كانت تشوبها نقائص كثيرة - فان من اهم هذه النقائص ، هو طغيان صفة اقليمية عليها ، وهي الصفة الغربية - وعدم وجود توازن في الاصل بين الروافد العالمية التي تمدها ؛ فاذا ذكر عن المدنية الحديثة ، انها مدنية عالمية ، فذلك على اساس النظر الى ما حققته مظاهر هذه المدنية من توسع في العالم ، مس تأثيره مجتمعات انسانية مختلفة ، سواء في ادغال افريقيا او اوجار آسيا ، او العوالم النائية في المحيط الهادي ، على الوجه الآخر من الكرة الارضية ؛ لكن هل يكفي هذا لاعطاء المدنية الحاضرة ، طابعاً عالمياً عميقاً الجدور ؛ اننا اذا وضعنا هنا تعبير « عميق الجدور »

في التناقض الى درجة انها تجعل مجتمعا ما ، يكره ان
تمس مصالحه « الذاتية » او « القومية » بتأثير من
نزعة التوسع عند الآخرين ، بينما تجد نفس هذا
المجتمع تعدوه اتجاهاً الى تحقيق توسعات مصلحة
لحسابه هو ، وعلى حساب الآخرين في ذات الوقت ؛

وتستوعب الحياة السياسية العالمية كثيراً من
صور النزوع المتناقض من هذا القبيل ؛ ومن هذا نجد
ان السياسة العالمية ، تنوء بحمل من الشوائب ، ثقيلة
جدا ، اذا نظرنا الى هذه السياسة من جانبها المثالي
الاخلاقي ؛ وقد كان العهد الاستعماري الذي بلغ اوجه
اوائل القرن الحالي ، كان ذلك العهد مظهراً من مظاهر
الازمة الاخلاقية التي تعاني منها الملائق بين الامم ، الا
ان الاستعمار الحديث ليس مظهراً جديداً من مظاهر
هذه الازمة ، التي تعود في الواقع الى فجر التاريخ ،
فقد كان هناك في الازمنة القديمة الاستعمار الروماني
مثلاً ، وهو مجرد حالة من حالات تاريخية كثيرة مثله ؛
فليس هناك جديد في حالة الاخلاقية التي يمثلها
التسلط الاستعماري لحساب قوم ضد آخرين ؛ لكن
الجديد في حالة الاستعمار الحديث هو ضخامة حجمه ،
وضخامة القضايا المادية والانسانية ، التي ينطوي
عليها ، وهذا الفارق في ضخامة حجم الاستعمار بين
القديم والحديث ، وبالتالي ، ضخامة القضايا
السياسية والاخلاقية التي يضعها باستمرار ، هذا
الفارق يرجع كما اسلفنا - الى التطور الذي حدث في
ظروف ووسائل الاتصال بين الامم ، ومن ثم هذا
الترابط بين هذه الزوايا الثلاث : الاخلاق ، والسياسة ،
وتأثيرهما بالتغيرات الحادثة في مضمار العلاقات
الانسانية .

3) التوسع الفكري والقانوني ؛ وهذا باب
آخر ، او عامل آخر من عوامل شدة اللاحاح الذي
تفرضه قضية الارتباط بين الاخلاق والسياسة في
هذا العصر ، فعصرنا الذي يتميز بتغيرات علمية
وتقنية متلاحقة ، لها تأثيرها في تكييف معالم السياسة
والاخلاق في المحيط الانساني الحاضر ، هذا العصر ،
ينطبع ايضا بطابع فكري طامع ، يقوم على محاولة
تقنين كل شيء ، وتقييم اي شيء ، ضمن معايير
دقيقة ، وكاملة الاستيعاب للمسائل والتفرعات ،
التوسع الفكري هذا ، تبدو آثاره بينة في مختلف
فروع المعرفة الانسانية ؛ وفي ضمتها المعرفة القانونية ،
سواء في النطاق القانوني الخاص ، او في نطاق القانون
العام ؛ فضلا عن القانون ، فان هنالك الكثير من
تفرعات العلوم الانسانية ، قد اعابها من التطور في خلال

هذا القرن والذي قبله ، ما جعل كل فرع منها بمثابة
علم قائم بذاته ؛ بل ان الفرع الواحد من المعارف
الانسانية قد تشابكت مسائله وتشعبت الى حد ان
يصبح هو الآخر أصلاً تنفرع عنه ، شعب مختلفة آخذة
في التمايز بعضها عن بعض ، وعلى الرغم من ان العصر
الحاضر هو عصر « تقنولوجي » بدرجة اولى ، حيث
تطغى فيه الروح التقنية ، والمنهجية التقنية على كل
ما عداها ، فان الفلسفة ما زالت تسمى لان تحتفظ
بمكانة لها في محيطه ، مكانة ترقى الى درجة محاولة
تعديل آثار السيطرة التقنية على روح الانسان وعقله ،
وشد الانسان هكذا الى جملة من التحليلات النظرية ،
التسمة في الكثير منها بصيغة مثالية متسامية ؛
وتعرف اشكال الادب والوانه المختلفة ، من قصة
ومسرحية ومقالة ودراسة وغيرها ، تعرف توسعا
كبيرا في عصرنا الحاضر ، وفي توسعها هذا تنزع الى
البحث عن مختلف قضايا الانسان ، واستطلاع
آفاق الحياة الانسانية ، بما تزخر به من تعقيدات
تبدو مظاهرها في اشكال لا حد لها .

وفي نطاق كل هذه الاحوال من التوسع التي
يسجلها الفكر المعاصر ، تثار قضايا جديدة او
مجددة ، تتعلق بالانسان والقيم والمثل التي يأخذ بها ،
والمصير الذي يفضي اليه ، والمواقف الاخلاقية التي
يتخذها ، وانعكاسات هذه المواقف ، وماذا تنطوي
عليه من دلائل مقبولة عند بعض ، ومرفوضة عند
آخرين وهكذا .

وكل هذه الاحوال من الاخذ والرد الفكري من
شأنها - كما هو واقع فعلا - ان تتناول موضوع
السياسة والاخلاق في ضمن ما تتناوله من اغراض
فلسفية مختلفة ؛ والواقع ان ما تتناوله الحياة
الفكرية العالمية على هذا النحو ، وان كان يساهم في
اغناء الفكر العالمي بصفحات جديدة ، الا ان ذلك كله
لم يغن في تقويم الاصول الاخلاقية العلمية التي تقوم
عليها حياة السياسة في عالمنا الراهن وان لم يكن في
مقدورنا ان ننكر ان لحركة الفكر على نحو ما ذكر ،
انعكاسات ايجابية غير مباشرة في الكثير من الاحيان ،
لا يستطيع تبين حقيقتها الا عند تحليل عوامل
التيارات السياسية في العالم ، واستجلاء خيوط
الامر الادبي - الفلسفي ، الكامن وراء هذه العوامل .

ونعود بعد هذا الى موضوع القانون الدولي ،
باعتباره مظهراً ايجابياً ، حقيقي ايجابياً ، لهذا
التوسع الفكري العالمي الذي ذكرنا ؛ ان القانون

أين تضع الشعر؟

لأستاذ عبد العلي الوزاوي

ان نعمل معها نفس الشيء . فنحن نحار - مثلاً -
أزاء بعض من نعرفهم من الناس ، هل نضعهم في صف
أصدقائنا المخلصين ، أو نضعهم في صف أعدائنا
الالقاء . ونفس الحيرة تقع فيها عندما يعرض علينا
أحدهم صداقته ، ونحن شاعرون بعدم الرغبة فيها ،
هل نضع حداً لذلك ، أو نجاريه ولو بكثير من التكلف
والنفاق . وقد يقع لك مرة أو مرات ، أن تتعرض
لازمة ضمير ، فتعاف القيم العادية ، وتود أن لو كانت
الحياة كلها شرفاً وفضيلة ونفحات روحية ، إذا بفرصة
مادية تسنح لك ، على حين غفلة ، فتحار أين تضع
نفسك بين الاتجاهين المتعارضين .

وهذا ما يحدث لنا بالنسبة للشعر بالضبط .
والحق أن الناس في مواقفهم من الشعر ينقسمون إلى
ثلاثة أقسام : هناك قوم لا مشكلة عندهم بالنسبة إلى
هذه القضية . فالشعر عندهم هو الحياة وهو
العيش ، وهو الهدف الأول والآخر . وهناك قوم
آخرون عادوه على طول الخط ، ونفضوا أيديهم منه ،
وهؤلاء أيضاً لا مشكلة عندهم . ولكن هناك طائفة
ثالثة ، ولعلها هي التي تكون الأغلبية من المثقفين ،
تحار أين تضع الشعر من حياتها ، هل تعده ترفاً
زائداً ، تشعر بالحاجة إليه وقت فراغها وأنسها
واستفراقها لذاتها ، أو تعده جداً كل الجد ، وشيئاً
يرتفع إلى مقام الضرورات ؟ وسواء اتخذت الموقف
الأول أو الثاني ، فهي دائماً تجد من الحجج ما تبرر به
موقفها . فإذا هي اعتبرته ترفاً زائداً ، فذلك لأنها

هناك أشياء كثيرة نعرف بدقة أين نضعها من
حياتنا ، بل نعرف أحيانا أين نضعها من الزمان والمكان .
فأنا أعرف مثلاً - وكذلك الآخرون - أن مكان الساعة
اليدوية ، هو معصم يدي اليسرى ، كما أعرف أن
موضع الكتاب بعد الفراغ منه ، هو أحد رفوف المكتبة ،
وكما أعرف أنت أن وقت ذهابك صباحاً إلى مركز
العمل ، هو الثامنة ، بنفس الدقة التي نعرف بها جميعاً
المكان المناسب لباقة اشتريناها من الورد ، أو تحفة
فنية اقتنيناها من متجر ، أو حصلنا عليها بالمزاد
العلني . والامر كذلك بالنسبة لكثير من الأمور المعنوية
فقد نعرف المناسبات التي علينا فيها أن نظهر
مفتطين مسرورين ، والمناسبات التي علينا فيها أن
نظهر متألين بادي الكآبة والانقباض . فنحن إذ نجد
أنفسنا في حفل زفاف - مثلاً - نشعر أن علينا أن
نضع ابتسامة على وجوهنا ، كما أننا إذا احتوانا مأتم ،
نشعر بأن لا موضع للإبتسامة فيه ، ولا بد من تقطية
أو تكشيرة إذا لزم الأمر . . . ويلاحظ ذلك أيضاً في
بعض مواقفنا الأخرى . فالقصص العائلي أنسب وقت
له الليل لا النهار ، ومعلم الفصل يدرك جيداً أن البق
عقاب بدني للتلميذ ، هو عرك الأذنين ، أو الانهيار على
اليدنين الصغيرتين بالمسطرة . . . ولو أبى ذلك القانون
المدرسي . . .

نعم كثيرة هي الأشياء التي لا نجد أدنى صعوبة
في وضعها من حياتنا موضعها الملائم ، ولكن قد تصادف
أشياء أخرى تجعلنا في حيرة شديدة ، إذا نحن حاولنا

كوصف لهذا الطابع العالمي المفترض ، فذلك لاننا نقصد من « عالمية » الحضارة الحديثة ، ان تكون هذه العالمية ناشئة عن مساهمة مختلف المجتمعات الانسانية فيها ، مساهمة ايجابية وفعالة ومستمرة ، وبذلك تتبلور لهذه الحضارة صورة تنعكس منها شتى اذواق الشعوب وامزجتها ومفاهيمها منصهر بعضها في بعض ، ومتكامل بعضها مع بعض ؛ وفي هذه الحالة ، يمكن « وصف الطابع العالمي للمدنية » بعمق الجذور ، لان هذه الجذور تستمد رفدها الحيوي من موارد متكاملة آتية من هنا وهناك من مختلف الارحاء في العالم ، ومثل هذه الحالة غير موجودة بالصورة اللازمة ، التي تبيح الانطلاق منها الى تكوين استنتاجات او اطلاق احكام بالاعتماد على صفة عالمية محتملة نعزوها لحالة المدنية الحاضرة ؛ فاذا تقرر هذا ، نستطيع ان ننفذ منه الى موضوع السياسة واصلتها بالاخلاق في عالمتنا الراهن ، وهو الموضوع الذي يركز عليه اصل النظر فيما نحن بصددده ؛ وقد عرض لنا السؤال فيما سلف عن امكانية وجود حل اخلاقي لقضية السياسة في نطاق المدنية المعاصرة وهنا نستطيع ان نجيب انطلاقا مما تقدم ، ان الحل

الاخلاقي هذا ، يتوقف قبل كل شيء ، على مقدار ما تحققه هذه المدنية ، من تطور جذري ، يؤدي بها في الاخير الى ما يجب لها من صفة عالمية حقيقية ، اي الصفة التي تكتسبها اياها قدرة المجتمعات الانسانية كلها على المساهمة فيها مساهمة « ايجابية وفعالة ومستمرة » ؛ فالمواضعات والقيم السياسية السائدة اليوم ، هي نسيج فكر غربي ، سداه ولحمته البيئة والظروف الغربية ، وقد فرضت هذه المواضعات والقيم وجودها على الصعيد العالمي تبعا لسيادة المدنية الحديثة ذات الطابع الاوربي الغالب ، فاذا ما كان من تطور في الفكر السياسي والقيم السياسية سيحصل في العالم المتحضر ، فيعني ذلك ان تطورا يعتبر اصلا لذلك ، لابد ان يحصل في مضمار الاسس التي تقوم عليها الحضارة بحيث تصبح اسسا عالمية حقيقية ، تمثل الذكر السياسي والحضاري للانسانية كلها في نطاق مساهمة مشتركة من جميع المجتمعات ؛ وهذا ما نحاول ان نبينه في الفصل القادم بحول الله .

سلا : المهدي البرجالي

اعزنا الله بالاسلام...

عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سار الى بيت المقدس كان معه عبده وناقته ، فكانا يتناوبان الركوب على الناقة وهو خليفة المسلمين ، ولما وصلا الى بيت المقدس كان غلامه الراكب ، وهو ساع خلفه ، وكان الامير على بيت المقدس ابو عبيدة بن الجراح ، راي ابو عبيدة ذلك فخشى ان يحقره الناس ، وهو في بلد من بقايا حكم الرومان ، فقال ابو عبيدة : يا امير المؤمنين : اراك تصنع امرا لا يليق ، فان الانظار متجهة اليك ، فقال عمر : لم يقل احد ذلك قبلك ، وقد كنا اذل الناس ، واحقرهم ، فاعزنا الله بالاسلام . ومهما طلبنا العز بغيره اذلنا الله . !

فاذا عرفنا هذا بقي علينا ان نعرف انه ليس من جميع الشؤون المعنوية والحسية ، فهو مقيد بـ فردية ، على حين ان منها ما تغلب عليه صفة يوم ، من الافكار والمسافات والارقام والاحجام . ليس الزمان والمكان ، والالوان والروائح والقامات وانين ، كلها تغلب عليها صفة العموم ، على حين ان هر مقيد بالقيود الفردية ، وهذا لا يسلبه طابعه ساني العام ، فكل عمل شعري أصيل ، لا يخلو من باصر الانسانية العامة ، التي تضمن له الرواج بين س وتجاوبهم معه . فالشعر اذن معنوي ، حسي ، س ، عام . وهو ايضا خلق وابتكار ، بمعنى ان ما ين منه من كلمات قد رتب على نحو روعيت فيه دة والطرافة . ولعل هذا ان يميننا على معرفة ضع الملائم للشعر في حياة الناس .

فاذا كان الشعر امرا معنويا وحسيا ، اتصل بهى حياة الانسان ، الروحي والمادي ، بحيث سي مطالب كل منهما . فنحن اذا كنا شعراء ، س في الشعر تنفيسا عن شؤوننا التي امتلانا بها ، نذنا بروعتها وغرقنا في جنتها او نارها ، كما اتنا ب كثيرا من الصور الحسية كما نودها ان تكون ، نعد الى الصور الواقعية فنخلع عليها من انفسنا بسمو بها الى مستوى الاشياء الخالدة في هذا العالم .

واذا كان الشعر خاصا وعاما ، فهو بخصوصيته ن هو الذات نفسها مشعة في صور فنية ، وهو وميته يجعل تلك الذات الموضوعية في قالب الفن ، ثا مشاعا بين جميع الناس ، من حقهم النظر الى توياتها دون ان يتهمهم احد بالفضول ، وذلك على سب الجانب الذي كشفه الشاعر من ذاته .

ونخلص الى امر لعله ان يكون نتيجة منطقية لما ق ، وهو ان موضع الشعر من حياة الانسان ، هو ضع الانسان نفسه من الكون الذي يعيش فيه . نحن عرفنا موضع الانسان من الكون ، عرفنا ضع الشعر من حياة الانسان . وسوف لا نتعب في رفة القضية الاولى . فالكون هو مجال نشاط سان ، لم يترك منه زاوية ولا شبرا واحدا الا وكان فيه موضع لقدم ، او مكان لالة ، طافه جوا وبحرا ا ، وهو الان بسبيل استكشاف الحياة في الكواكب خرى ، وكذلك الشعر ، لم يترك عاطفة انسانية الا بر عنها ، فجميع هموم الانسان وقضاياه وغرائزه نواظره ووساوسه ، قد صاغها اناشيد عذبة ، ترتل تل الى آخر الدهر . والانسان ياخذ مواد هذا ون الطبيعية ، فيحولها بانواع من المهارات الخاصة

الى ادوات وآلات ومخترعات ، ثم يردّها على الحياة والكون ، لتكون ناطحات سحاب ، وبواخر تمخر عباب البحار ، وطائرات تجوب الفضاء ، وصواريخ تعبّر القارات ، وكذلك الشعر بالنسبة لحياة الانسان ، ياخذ مادته الخام من عواطف الناس وخواطرهم وافكارهم ، فلا يلبث ان يحولها بمهارة من نوع خاص ، الى ملاحم تحكي الحروب ، وقصائد تصور صيوات النفوس ، وانشيد تشف عن صفحات القلوب ، ثم يردّها على الحياة لتكون ثقافة للشعوب ، وعنصرا من كيان الحضارة ، وقوة دافعة للحياة الانسانية .

والانسان يطور الكون ، او يطور هذا الكوكب الذي يسكنه على الاصح ، فطرق تفتح ، وقناطر تمتد ، وسدود ترفع ، وموائى تشاد ، ومدن تمج بالعمران ، والشعر ايضا يطور حياة الانسان ، او على الاقل هذه الناحية التي يملك عليها حق السيطرة ، وهي صلة الشخصية الانسانية بالعالم المحيط بها ، حيث يهبها مجموعة من القيم ، ويركز فيها عددا من المبادئ ، آخذاً بيدها في معارج الرقي الروحي . وقد تدبّر حياة الانسان المادية نفسها في تطورها لعامل الشعر ، فكثيرا ما كان الشعر خلف الحركات التاريخية الهامة ، التي غيرت من مصائر الناس ، وبدلت وجهة حياتهم . والانسان كثيرا ما يتعرض لفضبة الكون ، فتفرقه الامطار الطوفانية ، وتهز الارض تحت اقدامه الزلازل العاتية ، وتهلك جرثه وماشيته الفيضانات الطاغية ، ولكنه لا يستسلم ، وانما يقاوم ، الى ان يخرج من الكارثة اوفر ما يكون ثقة بالنفس ، واملا في المستقبل . والشعر هو الاخر كثيرا ما يتعرض لهزات عنيفة ، تكاد تطوح به بعيدا ، لولا ان ذلك مخالف لطبيعة وجوده ، وصلته بحياة الانسان ، فهو قد يعرف الوانا من الكيد ، وفنونا من الحرب ، باسم العلم تارة ، وباسم الفلسفة حيناً ، وباسم الاخلاق طورا ، وباسم الاصلاح الاجتماعي طورا آخر ، ولكن الشعر يخرج من هذه الازمة اخيرا وكله حياة وتوثب واستعداد للنضال .

وكل ما في الكون من عناصر الطبيعة ومظاهرها ، انما هو تعبير عن ارادة عليا ، هي الهيمنة عليه ، والباسطة ظلها فوقه ، لهذا امرت الاديان السماوية باجالة النظر في ملكوت السماوات والارض ، قصد الاهتداء الى حقيقة الحقائق وجوهر الاشياء ، وقد جاء التعبير متنوعا ما بين اجرام سماوية تبهر بجلالها وعظمتها ، وبحار عظيمة تطوق العالم ، وجبال راسية تهز بمرور الزمان وتعاقب الاحداث ، واصناف من الحيوان ، والوان من النبات ، هناك التعبير الذي

تعطي الاسبقية للطعام واللباس والدواء والسكن . واذا هي اعتبرته شيئا ضروريا ، عادت به الى متطلبات الفطرة ، واصل التكوين الانساني ، الذي يحتوي على جانب روحي ، يحتاج الى نوع خاص من الغذاء المتمثل في الفن والشعر .

وانا لا اريد من وراء هذا الحديث ، ان اتعرض لاختلاف الناس في الزوايا التي ينظرون منها الى الشعر ، بقدر ما اريد البحث عن المكان الذي يضع فيه الشعر نفسه من حياة الانسان عامة . فانا اعرف ان هناك من يضع القصيدة الشعرية موضع العطور الغالية ، والتحف النادرة ، والزهرات الجميلة ، والمناويل الحريرية المطرزة ، ومن يضعها موضع الهواء للرئتين ، والنور للعينين ، ومن يضعها موضع ادب اللياقة ، وفن المحادثة ، وقواعد السلوك الرفيعة ، فلا بد من حفظ ابيات لابن زيدون ، واخرى لابي نواس مثلا ، كما لا بد من معرفة شيء عن السياسة ، وشيء عن التعيينات الوزارية الاخيرة ، ولا بد من حفظ عبارات منسقة بارعة ، لتلقى في آذان السيدات في محفل عام ، ومن الالمام باحدث الازياء ، واطرف اخبار نجوم السينما ... وهناك من يرى في الشعر رايًا آخر ، وينظر اليه نظرة تختلف عن كل ما تقدم ، ولكن هذا لا يهمني اساسا في هذا الحديث ، لانه ليس من شأنه ان يقدم في حقيقة الشعر ومكانه الطبيعي من الحياة ولا ان يؤخر . ومن المعلوم ان الشعر لا يتقدم من حيث يقدمه بعض الناس ، ولا يتأخر من حيث يؤخره آخرون ، وانما طبيعته هي التي تحدد لموضعه الطبيعي من حياة الانسان . فاذا زحزحه انسان بعد ذلك عن موضعه الطبيعي ، لم يكن معنى ذلك انه تخلى عن موضعه الذي وضعته فيه طبيعته ، وانما معناه ان الانسان هو الذي غير موضعه منه ، اما الشعر فلا زال في موضعه . ولو كان الامر بالعكس ، لكان ذلك مخالفا لطباع الاشياء ، فنحن نخالف قوانين الحياة ، حين نزع - مثلا - ان العقيدة الدينية لا تهتمنا في شيء معتقدين اننا بذلك قد غيرنا موضع الدين من حياة الانسان . فللعقيدة الدينية موضعها الذي لا يمكن ان يتغير ابدا ، بدليل ان الناس يكفرون بالدين او يؤمنون به ، والدين هو هو في موضعه المناسب ، آمن به من آمن ، وكفر به من كفر ، فلا ايمان للمؤمنين يزيد الدين شيئا على حقيقته في ذاته ، ولا الكفر ينقص منه شيئا كان فيه ، بل الدين هو الدين ، في جوهره ، وفي موضعه ، ونفس الشيء يمكن ان نقوله بالنسبة الى الشعر ، مع وجود الفارق بينهما ، اذ الدين من صنع الله ، اما الشعر فمن صنع البشر .

فاين نضع الشعر من حياة الانسان ؟ .

قد اكون في نظر القارئ متهما ، وقد يكون من حقه ان يسألني هكذا :

اما قلت ان طبيعة الشعر هي التي تحدد له مكانه من حياة الانسان ؟ فكيف تخالف ما قررته لتفرض له موضعا خاصا ؟ وهل من المفروض ان تكون وجهة نظرك نفس ما تقضي به الطبيعة ؟ لو بدا للقارئ ان يعترض على هذا الشكل ، لكان جوابي اني ادعوه الى ان يشاركني التفكير في هذه القضية ، فانا لم اكون فيها رايًا بعد ، تاركا البحث يسير سيره الطبيعي ، دون تعسف مني ، او بعبارة اشد وضوحا ، اترك طبيعة الشعر نفسها تحدثنا عما قررته للشعر من مكانة في حياة الناس . وعلينا حينئذ ان نلاحظ ونراقب ، ونتتبع خطواتها من غير تسرع لاعطاء فكرة ما ، الا بعد ما يكون البحث قد وصل الى نتائجها الطبيعية .

والان لنعد الى طبيعة الشعر ، وليكن الشعر نفسه دليلا الى طبيعته حتى نكون واضحين قدر الامكان . خذ هذا المثال كنموذج صالح :

يا خليلي تيمنتني وحيد
ففؤادي بها معنى عميد
غادة زانها من الفصن قد
ومن الظبي مقلتان وجيد
وزهاها من فرعها ومن الخد
بن ذاك السواد والتوريد
فهى برد بخدها وسلام
وهي للعاشقين جهد جهيد

فهذا الشيء الذي ندعوه شعرا ليس شيئا مجسما قابلا للرؤية او اللمس ، انه ليس كتلك الزهرية او كتلك الباقة من الورد التي نعرف اين نضعها دون ان نحتاج الى تفكير ، لان العادة اغنتنا عن ذلك ، وانما هو شيء معنوي ، واطنك توافقتني على ان (الشعر) في تلك الابيات ليس هو المسافة التي تشغله في صحيفة من الورق ، ولا في الحجم الذي تأخذه بوصفها مجموعة من الخطوط المتجاورة ، وهذا ما نريده بقولنا عن الشعر انه شيء معنوي . ثم هو ليس من قبيل الامور المعنوية المجردة عن اية صفة حسية ، اذا صح ان في حياتنا معنويات لا علاقة لها بالحس . وحسيته ومعنويته لا سبيل الى فصل احدهما عن الاخرى ، اذ هما يكونان جوهرًا واحدًا لا يفهم الا بمجموعه .

بحث لو تالب كل اهل الارض على الشعر ، باعتباره قابلاً من قوالب التعبير ، لما كانوا قادرين ، مجتمعين ومنفرقين على محوه بصفته حقيقة نفسية لها دخل كبير في تكوين الواقع النفسي للانسان . ومن المفروغ . ان اشد الحقائق تأثيراً في الانسان ، تلك التي يجاهلها ويفر منها، عوض ان يواجهها ويسلم بوجودها ويعمل على ارضائها بالطرق الطبيعية .

ولكي نزن مكانة الشعر من حياة الانسان ، يكفي ان نعرف انه - اي الانسان - كلما اقترب من شخصيته الانسانية ، كلما ازدهر الشعر ، متى وجدت العوامل المساعدة على ازدهاره ، وكلما ابتعد عنها ، كلما نضب معين الشعر ، حتى ولو وجدت الاسباب الداعية الى تآلقه . يمكنك ملاحظة ذلك بمقارنة عصر الآلة والتقنية، بالعصور التي سبقتة ، فهناك كانت الشخصية الانسانية تحتل مكان الصدارة ، وتطبع الحياة العامة بطابعها الخاص ، حيث كان الانسان يحارب بالعضلات ، ويعتمد في جميع الاعمال على يديه ، وينجز الاعمال الحرفية بدوقه ، ويختبر عناصر الطبيعة بحواسه ، فاستتبع ذلك تألق الشعر وتربعه على القمة ، لانه الصق بالشخصية الانسانية ، تابع لها، مشدود اليها ، يرقى برفقها وينحط بانحطاطها ، يقوى بقوتها ويضعف بضعفها . وفي عصر الآلية وجبروت الحديد والصلب، تفهقرت الشخصية الانسانية ، فاستغنى بالآلات عن الايدي ، وصار المصنع ينتج الملايين من الاحذية او ألوان النسيج ، دون ان ترى فرقا بين اي حذاء وآخر من صنفه ، او قطعة ثوب واخرى من نوعها ، وفي الحروب أصبحت الكثرة العددية لا تغني فتيلاً اذا واجهت اقلية مسلحة بأحدث الأسلحة ، ويمكنك ان تضيف الى ذلك طغيان السينما على المسرح ، واسطوانات الفناء على الحفلات الموسيقية الحية ، فتأخر الشعر ، نظرا لما اصاب الشخصية الانسانية من ضعف ، لا من حيث وضعه الطبيعي من حياة الانسان ، وانما من حيث نظرة الناس اليه . هذا مع العلم بان الحياة الانسانية لم تعرف عصراً كعصرنا ، في تجميل انماط العيش ، وتنميق واجهات الحياة ، وترفيه اذواق الناس .

ولست افهم ان يظل الانسان هكذا عبداً للآلة ، متنازلاً لها عن شخصيته كإنسان ، لان هذا مخالف لطباع الاشياء . ذلك ان هذا الكائن الانساني اناني جداً ، وبالغ اقصى حدود الانانية ، وهو الان مخدر ببريق الحضارة الحديثة ، مأخوذ ببهرجتها وانواع زيتها ، مبهور بلالائها واضوائها الزاهية الالوان ، وهو

سيمل ، وسيعود اليه وعيه بنفسه وذاتيته ، ويحطم الآلة اذا رأى انها ستحطمه ، عائداً الى قواعده . انه كمن تصدت له غانية فانسته نفسه ، وقد يكون نسي ايضاً دينه وخلقه وكرامته وسمته ، فجرى وراءها ، ولكن ما ان ظفر بها وخبرها حتى هجرها ، راجعاً الى ما كان له من دين وخلق وكرامة وسمت كرد فعل ضد دواعي الفتنة التي اخرجته عن طوره. واذن فالشخصية الانسانية لها غد مشرق حافل ، وبالتالي للشعر مستقبل زاهر وغد موعود .

وقد آن لنا ان نعرف ان كل تفريط منا في حق الشعر ، معناه : زيادة في عدد القصائد التي سيكون على الاجيال المقبلة ان تبدها ، اي اننا سندفعها بذلك الى ان تكفر نيابة عنا ، كما يكفر كل جيل عن اخطاء الجيل السابق عليه . سيقول الشاعر الذي سيظهر بعد مرور خمسين سنة كلاماً كهذا : (لست ادري ماذا صنع آباؤنا بفرص الشعر التي كانت بين ايديهم ، حسناً ، علينا ملء ما تركوه من فراغ ، الا ترون ان شعرنا قد ضاع من عمره عشرات السنين ، وانا ما كنا لنبدأ من هنا لو ان الجيل الماضي ادى رسالته الشعرية ؟)

ونعود الى تلك الفكرة التي انتهينا اليها منذ قليل ، وهي ان موضع الشعر من حياة الانسان ، هو نفس موضع الانسان من هذا الكون ، محاولين ان نعرف وظيفة الشعر الاساسية ، المتلائمة مع المكانة التي يحتلها بحكم طبيعته . وما دما قد ربطنا بين موضع الانسان من الكون ، وموضع الشعر من حياة هذا الانسان ، فلا معدى لنا عن تبين طبيعة الصلة الكائنة بين الانسان وهذا الكون . وقد سبق لنا ان ذكرنا جوانب من هذه الصلة ، والان بودنا ان نتحدث عن الوظيفة التي تخولها للانسان طبيعة تلك الصلة . هل الانسان هو صانع هذا الكون ؟ ام هو مجرد كائن من كائناته العديدة يختلف عنها في اشياء ، ويتفوق معها في اشياء ؟ اهو مجرد عبد للطبيعة ، تصنع به ما شاءت ولو خيل اليه وهمه انه ناصيتها واخضعها لسلطانه ؟ ام هو سيد لها حقيقة ينفذ فيها ارادته ويتصرف في شؤونها على هواه ؟ اهو صديق لها حتى لتشاركه احلامه واشواقه ، وتتخذ من الاشكال والالوان ما يتلاءم ومزاجه وحالاته النفسية ؟ ام هو عدو لها يراوغها وتراوغه ، ويطاولها وتطاوله ؟ انك اذا قرأت ما ابتكره خيال الانسان وعقله من آيات الادب والعلم ، وقفت على جميع هذه الاتجاهات والمفاهيم ، التي فسر بها الافذاذ من نبغاء الانسانية طبيعة الصلة التي بين الانسان وهذا الكون . وعبثاً

بروعك ويخيفك ، ويملا نفسك من فزع واضطراب ، والتعبير الذي ياخذك بجلاله ، ويحيطك بعظمته ، في غير ما تخويف ولا ترويع ، والتعبير الذي يهمس لك ويناجيك ويملا عليك دنياك بجمل الاطيان ورائع الخواطر ومونقات الاماني . وكذلك الامر بالنسبة الى الشعر في علاقته بحياة الانسان ، تعبیر قوي بليغ عن الشخصية الانسانية في حياتها المضطربة المتقلبة ، في ياسها واملها ، في ضلالها واهتدائها ، في شكلها وبقينها ، في ارتفاعها الى الآفاق المشرقة ، وفي انحطاطها الى الهاوي السحيقة ، وهو تعبیر متنوع ايضا ، منه ما يروع ، وما يعجب ، وما يدغدغ ويداعب ، لان طبائع النفس الانسانية اكبر واوسع من ان تخضع للون او اللون محدودة من فنون التعبير .

ثم ان الانسان يشعر بنوع من التحدي لهذا الكون ، يغالبه ويصاوله ، ويعرف من جراء ذلك عددا من الانتصارات وعددا من الهزائم ، واثناء ذلك يزداد معرفة بنفسه ، وبامكانياته ، وطاقاته ، وما فيها من عناصر القوة ونقط الضعف ، لان الصراع يكشف عن معدنه ، ويظهر ما فيه من عنصر اصيل وعنصر زائف ، وكلما ازداد صراعه كلما ازداد قربا من هذا العالم في اسراره وغوامضه ، وينتج عن هذا ازدياد محبته له وتفانيه فيه ، لان الانسان صديق ما يعرف ، عدوما يجهل . ونفس الشيء يصدق على الشعر في علاقته بحياة الانسان . فهي تتحداه وهو يبادلها نفس التحدي ، تتحداه بأسرارها ومخباتها ، ومجالاتها الواسعة ، وآفاقها الشاسعة ، ومعانيها اللانهائية ، وقضاياها الالمحدودة ، ويتحداهما بفنه وبراعته وذكاؤه وبيانه . فهو صراع يزيد الشعر ادراكا لامكانياته وطاقاته ، وطبيعة الدور الذي خلق ليلعبه في هذه الحياة . وكلما تقدم الزمن على هذا الصراع ، كان ذلك فرصة للشعر ، ليفوض في اعماق الحياة الانسانية ، ويبلور خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، فيزداد كلفا بها واقبالا عليها ، يصطفي منها الجواب التي تشوقه وتأخذ باعجابه ، دون ان يغفل النواحي الاخرى ، لان الحياة كلها هي مجاله الواسع ، ومسرحه الرحيب .

وهكذا نجد بين ايدينا امثلة عديدة لم نشأ الاسترسال معها ، وكلها صادقة الدلالة على ان موضع الشعر من حياة الانسان ، هو نفس موضع الانسان من هذا الكون .

ولا يمكن ان نجد اي شكل فني آخر يشارك الشعر هذه المكانة ، بهذه القوة فجميع الفنون الجميلة الاخرى مقصرة عن الشعر في هذا المضمار ، لانها لا

تواجه الحياة الانسانية ولا تمتصها بنفس فعالية الشعر وتمثله لشتى الملكات العقلية ، ووضوحه النسبي ، وتمثله لحقائق الافكار ، ودقائق الفلسفات ، وتأثيره في الاحداث ، وتصوره لانماط الحياة في المستقبل ، وسرعة استجابته للوقائع ، وقابليته للتعبير عن امور معينة محددة ، قصد نقلها الى الآخرين ، لتؤدي غرضها المقصود .

ولا يمكن للعلم ان يحتل نفس المكانة التي يحتلها الشعر ، لسبب واضح ، وهو ان العلم شيء موضوعي ، لا تربطه بالذات هذه الرابطة التي بين العمل الشعري ، وانذات الصادر عنها . فالانسان لا يندمج في العلم بمجموع كيانه ، بنفس القوة التي يندمج بها في العمل الشعري ، بنفس القوة التي يندمج بها الانسان في هذا الكون . دلني على اختراع علمي واحد ، بينه وبين صاحبه من الالتحام والاندماج ، ما بين القصيدة الشعرية ومبدعها ، فالسيارة - مثلا - قطع من الفولاذ والصلب ، تدل ولا شك ، على مهارة عقلية خاصة ، ولكن اين هي من (الشخصية الانسانية) في معناها الضيق أو الواسع ؟ القصيدة بجرسها ونبضها واخيلتها وانطلاقاتها الاخاذة ، تجسيم لآمال ، وتشخيص لنفس ، وتعبير عن كيان ، لذلك كان في وسع صانع السيارة انتاج عدد كبير من السيارات ذات النوع الواحد ، دون ان تجد بينها اختلافا يذكر ، ولكن هيهات ان تجد قصيدة تطابق أخرى ، ولو انصبنا على موضوع واحد .

مكانة الشعر من حياة الانسان ، هي نفس مكانة الانسان من هذا الكون ، حقيقة واضحة ولو خاصم الشعر كل اهل الارض ، وبقي الى جانبه انسان واحد ، كحجة على صدق هذه الحقيقة واستحقاقها للبقاء . وهناك عدد كبير من الحقائق التي ما زالت مجهولة عند الناس ، وحتى العلماء منهم ، ولكن الجهل بها لا يعني انها غير موجودة على الاطلاق . ودليل وجودها ان عقل الانسان ما زال يهتدي كل يوم بل كل ساعة الى حقائق جديدة ، ربما كان كافرا بها من قبل . لو جاءنا عالم وقال لنا ان من الممكن زرع قلب انسان في صدر انسان آخر ، قبل سنوات قلائل لسخرنا منه واعتبرناه من المجانين ، ولكن ها هو الطب يثبت ان في الامكان ان يعيش انسان بقلب انسان آخر ، بل هو قد عاش به فعلا . واذن فلا ضير على الشعر ، اذا كان هناك عدد من الناس ، لا يضعونه ، حيث يضع نفسه من حياة الانسان .

وحقيقة الشعر هذه ، في علاقته بحياة الانسان ، هي حقيقة نفسية اكثر من ان تكون اي شيء آخر ،

ان الانسان لا يكون (انسانا) الا بمجموع العناصر التي تشترك في تكوينه العام .

ولا يفوتني التنبيه الى خطأ آخر ، من الأخطاء الشائعة التي خضعت لها انا شخصيا زمنا ليس بالقصير ، وهو الاعتقاد بان الشعر لا يتصل الا بالجانب المثالي من الانسان . كلا ان ذلك ليس بصحيح ، فالشعر كما عبر عن الجانب المثالي ، عبر عن الجانب المنحط كذلك ، ولو انا قلنا ان موضعه من الانسان هو الجانب المثالي فقط ، لكننا مضطرين الى الغاء جزء كبير وهام من الشعر الانساني ، وهو الذي يصور الجانب السافل من الانسان ، او الذي يصطلح على تسميته (سافلا) بلغة الاخلاق . وذلك كشعر الحقد ممثلا في فن الهجاء ، في لون من الوانه المتنوعة ، وشعر السخرية والاستهزاء ، وشعر الفريزة الجنسية غير المتسامية ، وكلها اشعار لها كل مقومات فن الشعر ، ولا سبيل الى طرحها جانبا ، لكونها تمثل جانبا من حياة الانسان ، وتعبّر عن شعور حاصل في لحظات نفسية معينة .

مرة اخرى اكرر اني افهم (حياة الانسان) وحدة ، لا فرق بين مادة وروح ، بين مثالي ووضعي ، ولا بين ناحية واخرى ، فكل نواحي الحياة الانسانية يتصل الشعر بها عن طريق مباشرة وغير مباشرة ، ويتخذ منها مجالا لنشاطه .

وبعد ، فما موضع الشعر من الانسان على وجه التحديد ؟

قبل التصدي للاجابة عن هذا السؤال ، لابد من ازالة ما قد يعترض سبيل هذه القضية من التباس ، مصدره ما يلاحظ من ان هناك كثيرين من الناس ، لا نرى شكليا للشعر موضعا في حياتهم ، الامر الذي ربما يبعث على الشك في مضمون هذا الحديث . فالحقيقة اني لا اقصد الحالات الفردية ، بقدر ما اقصد الحالات العامة ، فانت اذا وجدت جماعة من الناس لا تهتم بالعلم ، لا تتردد في اقرار العلم في موضعه من حياة الانسان ، وكذلك الامر بالنسبة الى الشعر ، فاهمال بعض الناس له ، وخلو حياتهم منه ، لا يطمئن في صحة النظرية التي نود شرحها بعد قليل . على اننا لو توسعنا في مدلول الشعر ، لم يكن في استطاعتنا تصور خلو حياة انسان منه ، حسب ما هو مشار اليه في موضع آخر من هذا الحديث ، وفي احاديث سابقة بشيء من التفصيل .

موضع الشعر من الانسان على وجه التحديد ، هو ميله الفطري لان (يعيش) حياته بكل ابعادها

ت اعرف خطأ كهذا بين اخطاء النقاد والادباء ، اذ جيل الى فصل الروح عن المادة ، وليس هناك ز بينهما ، ولا يمكن تصور وجود أحدهما دون الآخر ، بل لا يستقيم للذهن معنى الحياة الا بانسجام ، المنصرين وائتلافهما وتعاونهما . الحياة مانية بجميع مظاهرها وحدة واحدة ، وكل جامع ، الوان النشاط الانساني متأثرة بالمادة والروح ، حتى ذلك النشاط العلمي الجاف القائم ، الذي الينا انه لا يقيم للروح وزنا ، نجده احيانا كثيرة على درجات الروح ، كما انه في ارقى مستويات . فذلك العالم التجريبي الذي يقضي جلته في مراكز الاختبارات العلمية ، معرضا عن كثير مباهج الحياة الحديثة الراقية ، فقل ان يحضر بكرة القدم ، او يفشى قاعات السينما ، او هم في الحفلات الساهرة الراقصة ، هو في قمة ج الروحي ، لانه يضحي في سبيل العلم ، وكل حية في سبيل العلم او في سبيل اي غرض نبيل ، عن روح عالي جدير بالتعظيم والاعجاب . وذلك ندي الذي يتطوع بوضع نفسه وحياته في خدمة ، فيرسل في صاروخ جهنمي الى اجواز الفضاء ، متأكد من انه سيمود سالما ، هو ايضا في عنفوان ج العالي الممتاز ، وفي رأيي انه لا يقل صوفية عن صوفي آخر ، بالمعنى الذي نضعه لهذه الكلمة .

واذن ، فالقول بان موضع الشعر من الانسان الروح فقط ، خطأ فادح ، تجب التوبة منه كما يقول اؤنا . ولست ادري كيف يكون الشعر مقصورا على ج ، وهو نفسه مكون من مادة هي الالفاظ . ! وما (الروح) الذي تكثر من الحديث عنه ؟ ما عساه يكون ؟ ما خصائصه ككائن حي ؟ ما الفرق بينه وبين مادة ؟ اسئلة وقف العلماء وما زالوا امامها حائرين ، ر الذي يجعلنا نتحدث عن شيء غامض جدا ، عندما نحدث عن (الروح) فهل الروح هو النفس او هو شيء آخر ؟ هل هو مجرد الاثر الناشيء عن قيام ضاء بوظائفها الطبيعية ؟ فكيف نصر على ان عمر من شأن الروح وحده ، والحال اننا لا نحقق في هذه الكلمة ، ولا نستطيع ان نضع لها اطارا ساء .

تناولت هذه القضية ليفهم اني عندما اتحدث عن شع الشعر من حياة الانسان ، لا افرق بين ما هو ة وما هو روح ، وانما اطلق كلمة (حياة الانسان) عد بها حياته في وحدتها وتماسكها وتفاعل عناصرها ، ما تفرقة بين جانب وآخر ، لسبب بسيط ، وهو

نحاول الاهتمام الى المفهوم الصحيح ، لتفضيله على غيره من المفاهيم نظرا لكون تلك المفاهيم خضعت لعاملين اثنين : أحدهما العصر الذي عاش فيه الاديب او المفكر ، والثاني اللون الثقافي الغالب على فكره ، فعصور الدين والنزعات الروحية والقيم المثالية ، انتشر فيها نوع خاص من فهم صلة الانسان بالطبيعة ، فهي قائمة على المودة والصداقة والالفة والاعجاب ، على حين انها في عصور العلم والبخار والكهرباء قائمة على التسلط والسيادة والارادة المطلقة . وهذا امر طبيعي ، ذلك ان الانسان ما دام يشعر بالضعف اثره قوة أقوى منه ، فهو يلتمس صداقتها ويخطب ودها ، فاذا هو تمزز جانبه ، وتعددت اسلحته ، شعر بأنه في مركز القوة ، وابتدته نعمة السلام ، ونعمة المال ، ونعمة العلم ، فصال وجال ، وزعم لنفسه السيادة والغلبة . والامزجة الفردية لها ايضا دخل في الامر ، لذلك لا نعدم ان نجد من القدماء من ينادي بسيادة الانسان على الطبيعة ، ومن المعاصرين من ينادي بصداقتها والتجاوب معها ، والاندماج فيها اندماج صلبة والفة .

ومهما يكن من امر ، ومهما تختلف وجهات نظر الفلاسفة والادباء والمفكرين الى طبيعة صلة الانسان بالكون والطبيعة فلا شك في انهم جميعا لا يختلف منهم اثنان ، في كون الانسان يتجه اليهما باحثا متطلعا مشوقا الى هتك الحجب ، وحل الالغاز ، شاعرا بأنه مسؤول ، بل هو المسؤول الوحيد عن هذه الارض ، وفي كونه معيننا بالوصول الى القوانين المتحركة فيهما ، كلفا بان يضيف اليهما من جماله جمالا ، ويضفي عليهما من نور عقله وخياله حللا قشبية . واذا كان هذا شأن الانسان بالنسبة الى حياة الكون والطبيعة ، ثبت عندنا ان هذا شأن الشعر بالنسبة لحياة الانسان . فهو مقبل عليها بلهفة وشوق ، لاستخراج كنوزها الدفينة ، وتجلية طبائعها المتنوعة ، والاهتمام الى اصولها البعيدة ، وهو متنقل بها في درجات السمو والكمال ، غيور على سلامتها وجمالها وصلاحياتها لتبقى دائما مصدر الانس والحبور والسعادة ، يتحقق فيها السلام والاخوة والمحبة والصداقة . اقول هذا غير ناس ان هناك من الشعراء من دعا الى الحروب ومجد القتال ، واعتبره من اسمى الفضائل والمفاخر ، ولكن هؤلاء قليل ، اذا قيسوا الى دعاة السلام والوئام والاخوة الانسانية .

ارابت الى هذا التطابق بين موضع الانسان من الكون ، وموضع الشعر من الانسان ؟ تطابق في طبيعة

الصلة ، تطابق في الوظائف الناتجة عنها . وكل الصدمات والنكسات التي لقيها الشعر في هذه الحقبة من تاريخه ، ليس من شأنها ان تزحزحه عن موضعه قيد انملة ، ذلك ان محاربة الحقائق لا يقدم فيها ولا يؤخر ، كحقائق يقوم الف دليل ودليل على وجودها . قد تختفي الحقيقة زمنا ، وقد يجهلها الناس ، وقد تتعرض للاضطهاد ، ولكن ذلك كله لا ينفي انها حقيقة ، اذا اختفت في زمن ، ظهرت في زمن آخر ، واذا تنكر لها قوم ، اعترف بها آخرون ، لانها حقيقة ، وحقيقة فقط . ومن ثم فهي لا يمكن ان تموت ، والشعر حقيقة ، حقيقة كبرى خالدة ، تعيش معنا ، وبين اضلعنا ، وفي مسارج احلامنا ، وتجت وسائدنا ، وعلى وجنات حبيباتنا ، وفي سماء بلادنا وارضها ، وخمائلها . وهل هناك حقيقة وصلت الى هذا الحد من الامتزاج بكياننا كحقيقة الشعر ؟ وقد كان جهل كثير من الناس بالحقيقة : ماهيتها وطبيعتها واصولها علة ظلم الناس للشعر ، حيث راوا ان ما يكون حقيقة لا يكون خيالا ، وما يكون خيالا لا يكون حقيقة . طرفان متناقضان لا سبيل الى التقائهما . وهم ينسون شيئا هاما وبسيطا في نفس الوقت ، وهو ان الخيال حقيقة ، لانه احدى قوى الانسان العقلية ، ورائده في حياته ، وعمدته في تصور مستقبله ، وتمثل قيمه ومثله ، فهل من اللاتق ان يعتبر الخيال باطل الاباطيل وهذه قيمته الانسانية الخالدة ؟ .

لا احب ان اذهب بعيدا وراء الخواطر التي ينيرها عندي هذا الامر ، وانما احب العودة الى حقيقة الشعر تلك ، في علاقتها بخيال الانسان ، وعلاقة الانسان بهذا الكون ، ولحد الان لم نعرف بالضبط ، الموضع الذي يحتله الشعر بحكم طبيعته ورسالته في حياة الانسان ، وانما عرفنا ذلك دون تحديد ، ولكي نصل الى هذا التحديد ينبغي ان نميز بين الحقيقة باعتبارها حقيقة ، والواقع الحالي او المنتظر ، فلا نحكم على الحقيقة على ضوء ايمان الناس بها ، او عملهم بمقتضاها ، وانما ننظر اليها من حيث هي ، فالحياة مملوءة بالاشياء التافهة ، والخرافات والاضاليل الواهية ، ومع ذلك لم يكن سلطانها على الناس كافيا لعددها من الحقائق ، كما ان هناك عددا من الامور الهامة التي قل ان يفتن لها احد ، دون ان يعني ذلك انها عديمة الاهمية . بعد هذا نستطيع ان نقول كلمة عن تحديد موضع الشعر من حياة الانسان .

لا ينبغي ان نذهب مع القائلين بأن الشعر يمثل من الانسان جانبه الروحي ، ولا شأن له بالمادة ،

بل هي (العيش) لا يزال منى استه

عرض - يملئ غرائباً ويفيد

منظر ، مسمع ، معان من اللهـ

سو ، عتاد لما يحب عتيد

يقوم - لصدقه وعمقه - مقام عشرات الامثلة ، في
الدلالة على ما نحن بصدده من ابضاح ان موضع الشعر
من الانسان بالتحديد ، هو رغبته في العيش بأدق ما
تحمله هذه الكلمة من معنى ، لانه مثال لا يصدق على
الحالة الفردية فقط ، وانما يصدق ايضا على احساس
كل شاعر ، بل كل انسان ازاء ما يثير عواطفه من
مجالات الحياة ومظاهرها .

هذا الموضع الذي يضع الشعر فيه نفسه بحكم
طبيعته ، تشاركه اياه الفنون الجميلة الاخرى ، فكلها
وسائل تحقق للانسان ان يعيش عمره على هذه الارض
بكل ابعاده ، ويتذوقه بكل دوافع الحياة فيه ،
ويتشربه الى آخر قطرة ، ويتنفسه الى آخر نسمة .
ولكن لا احد بقادر على الزعم بان هناك فنا يضاهي
الشعر ، في قدرته على تلبية رغبات الانسان كلها ،
عقلية وروحية ، مثالية وعادية ، واضحة وغامضة ،
خاصة وعامة ، مثلما يفعل الشعر . وما ذلك الا انه
علاوة على طبيعته الخاصة ، يمتص مزايا الفنون
الاخرى ، مكونا من الجميع مزاجا فريدا يجعله اقدر
من غيره على تلبية حاجات الانسان الشعورية
والعقلية .

فاس : عبد العلي الوزاني

نعم ، هو العيش الذي لا تنتهي غرائبه ، فكلما
استعرضته تكشف لك عن مزيد من الاعاجيب
والغرائب ، وما اقوى الشبه بينه وبين تلك الحسناء
التي كلما جدد الشاعر النظر اليها ، كلما فاضت عليه
بروائع المعاني وبدائع الصفات . بيت القصيد عندي
ها هنا ، ان الشاعر بعد ان ابدع في وصف (وحيد)
المفنية ، ففتننا بوصفه بقدر ما فتنته صاحبته ،
يشعر وكأنه ما زال لم يقل في وصفها شيئا ذا بال ،
فيأتي بهذه الاداة الدالة على الاضراب (بل) ليتبث لها
انها (العيش) وكان هذه الصفة تتفوق على كل ما
قدمه من وصف رائع لوحيد ، وتجمل مفاتها وروائعها
وقدريتها دائما على الايحاء بالجديد من الخواطر
والمعاني ، كالشأن في (العيش) تماما . ومن اجدر من
ابن الرومي فتنة بلذائل العيش ، وهو الانسان
المفتون بحواسه ، الفارق في لذائذ حسه ، العاشق
للحياة بكل عصب فيه ؟ .

وساكتفي بهذا المثال مستغنيا به عن غيره ، لانه



وطعومها والوان لاذعها ، بحيث يمتصها الى آخر قطرة ، ولا يترك منها معنى ولا مغزى ولا شكلا الا وتشربه ، واستنفذ معطياته . فلا شيء في هذه الحياة الد لا امتع ولا احب عند الانسان من ان (يعيش) وجوده على هذه الارض ، بكل ما تحمل كلمة عيش من معاني تشق الذات ، والرغبة في اعطاء الحياة معنى ما ، والهام بفتون الحياة المادية والمعنوية ، واستغلال العمر في التقلب بين اعطافها ، والكلف بفتنة الحواس ، وما تنقله الى النفس من صور واصداء عن هذا الكون ، وتوسيع دائرة المجال الذي يشغله الانسان من عالمه ، وذلك قصد اثرء الحياة ، وانتهاز فرص العيش ، للشار من الموت الذي يقف للانسان بالمرصاد .

وكل انسان مهما كان مستواه الحضاري ، الا ويجب ان (يعيش) على نحو ما يهديه اليه ما تهيأ له من تربية ، وما قدر له من تهذيب ، غير قانع من حياته بلقمة العيش ، ومستراح الجسد ، لذلك نجد الجياع تغنوا عاطفة الحب ، والعراة ارسلوا اناشيد الحماسة ، وحتى اذا لم يجدوا اللغة المعبرة الموحية ، ارسلوها صيحات تثير المشاعر ، وبثوها نفثات تهيج الخواطر ، كيفما اتفق ، وبأية وسيلة من الوسائل .

وعلى قدر ما يحب كل قوم (العيش) بالمعاني المتقدمة ، يكون شغفهم بالشعر وكلفهم به ، فلا غرو اذا كانت للشعر صولة في العصور الماضية ، اذا ان الناس كانوا يتغنون في العيش ، اكثر مما يفعلون في ايامنا هذه . كانت حياتهم تتميز بالبطء ، ومع البطء تكون الدعة ، ومع الدعة تكون الاناة في تناول الاشياء ، ومع الاناة يكون التذوق المتمهل ، والشرب من كأس الحياة شيئا فشيئا وعلى مهل ، وهذا هو العيش في معناه الصادق . واين ذلك مما نشهده في عالم اليوم ، من سرعة جنونية تصيب الراس بالدوار ، حتى لكان الانسان جن جنونه ، فهو يتغذى في قارة ويتعشى في أخرى ، وتسيطر الآلة على جميع مرافق حياته ، يتخطف عيشه تخطفا وينهبه نهبا ، تقوم صلاته بالناس على اساس المصالح والمعاملات المبنية على حساب حارم لا يرحم ، مقام الثقة والوادة والمصافاة التي كان لها موضع بين الناس قبل اليوم . لهذا ولغيره من الاسباب انحسرت موجة الشعر ، وتخلي عما كان له من سلطان . ويوم يعود الناس الى تذوق العيش ، يعود للشعر سلطانه العتيق ، وعزه القديم .

الرغبة في العيش والانغماس فيه من فرع الراس الى اخمص القدم ، هي موضع الشعر من الانسان على

وجه التحديد ، وكل ما نظمته الشعراء ليس الا تعبيراً عن تلك الرغبة ، حتى بالنسبة لاولئك الشعراء الذين اظلمت الدنيا في عيونهم ، وفاتتهم نواحيها المشرقة المضيئة ، فعزفوا عن طيبات الحياة ومباهجها ، وفرضوا على انفسهم التبتل والشظف ، لا نستثنى من ذلك ، فهم يتذوقون العيش وياخذون به على شاكلتهم ، واذا فاتهم الطيبات المتاحة لغيرهم ، استعاضوا عنها بالاستفراق في متاهات الظنون واودية الخيال ، بحيث تحول فن العيش عندهم من واقع حي معاش ، الى مطارحات الفكر ، وتهاويل الاحلام ، ومذاهب العاطفة .

وداب الانسان ان يتذوق عيشه على هذه الارض ، بكل ما فيه من سامي وساقط ، من كبير وصغير ، من مادي وروحي ، من خاص وعام ، بكل نفس من انفاسه ، وكل اختلاجة جارية من جوارحه ، وكل حركة من انامله ، وكل نظرة من نظرائه ، وكل خطوة من خطواته . (يعيش) عند ما ياكل ، وعندما ينام ، وعند ما يلبس ، وعند ما يسافر ، وعند ما يسير ، وعند ما يتحدث ، وعند ما يتعبد ، وعند ما يهوى الجنس الآخر ، وعندما يتأمل ، وعند ما يصادق ، وعند ما يخاصم ، وهكذا في كل صور حياته وانماط نشاطه وسلوكه . وما علاقة الشعر بكل هذا ؟ انه هو الذي يعمقه ، وبثريه ، ويوسعه ، حتى لتقلب اللحظة الى حقبة ، واللحمة الى جولة ، والومضة الى شلال من نور ، والعمر القصير الى سلسلة اعمار ، لا حصر لمآتيها وافاتها الواسعة .

اريت الى ان الشعر لا يختص بالروح دون المادة ، وانما يشمل الحياة الانسانية بمختلف نواحيها ، وينطلق في جميع اتجاهاتها صاعدا معها اذا صعدت ، نازلا معها اذا نزلت ، دائرا معها اذا دارت حول نفسها . وهذا سر هذا التنوع الكبير الذي نجده بين الشعراء ، باضافة ذلك الى اختلاف طبائعهم وميولهم . فمن شاعر اخذ من الحياة بمزاج معتدل ، الى شاعر مفرق في الحس كاف بفتنة الحواس ، الى شاعر ياخذ المحسوس ليرقى به الى مستوى الاشياء المجردة ، الى غير هؤلاء ممن لا يحصى عددا .

لقد كان ابن الرومي بارعا جدا عندما شبه صاحبه (وحيد) بالعيش حيث قال :

اهى شيء لا تسام العين منه
أم لها كل ساعة تجديد ؟

ولم اكد احصل على تلك النعمة الالهية ، واجد بين يدي بطاقة التسجيل بقسم الدكتوراه في الجامعة المصرية حتى جن حساد نسوا اني من ابناء جلدتهم ومن بدعهم ، وكونوا حضروا لمثل ما حضرت ، غير ان اعمالهم لفكر والادب كانت ادنى ولم يبلغوا شأوى، فلقيت من بدعهم ما يلقي البريء من الدنيا وحكمت منذ ذلك اليوم على النشء العربي بأنه اذا لم يتجرد من الحسد والضغائن فانه لا محالة هالك ولن يكون به نفع للامة العربية .

وكانت قمة الكيد لي ان تجرا واحد من الاعميين فارسل رسالة الى ضابط الجوازات بانني دخيل على البلد ولست موفدا وقد عبرت الحدود بغير جواز .

وفيما انا بفندقتي ومعني اطفالي وقد هاجمهم حر مصر وهو المسمى (حمو النيل) وعليهم حرارة الاجسام ودبيب المرض ، اذ بشرطي يطلبني :

— ماذا تريد ايها السيد ؟ ..

— ان ترافقني الى المخفر ..

فهلاني ما كنت اجد وصحبني الى ضابط يرقص الغضب على وجهه فابتدرني ؟ ..

— كيف كان معك الجراة في دخول بلادنا بغير جواز ؟ ..

— كلا يا سيدي ان معني جوزا .

— واين هو ؟

— انه في كلية الآداب عند المسجل .

وادركت للحال ان الجامعة قد حل منذ ايام موعد اجازتها النصفية ، فعلى الدم بالراس واسقط بيدي فرجوت الضابط امهالي الى الغد واحضر له وثائقي وجوازي فأمهلني بعسر . و طرت الى منزل المسجل الاستاذ عباس فوجدته متأهبا للسفر الى الريف فرجوته الذهاب الى الكلية لاعطائي اوراقتي التي عنده وفيها جواز السفر وكتاب وزارة الخارجية السورية بايفادي ، فأحضرت له سيارة وعدت ببغيتي التي ستجيء في الغد عند ضابط الشرطة .

وغدوت ظافرا ، فبكرت على الضابط الذي لقيني بتعجبهم ولم يلبث وجهه ان انفرج حين اطلع على وثائقي وأيقن اني موفد الحكومة للدراسة العالية الجامعية ، وان معني زوجي واولادي بجواز سفر رسمي خاص وما راغني الا ان جمع في فمه ريقه ثم بصق بجانبه ، وهو يقول :

— على الرجل الذي وشى بك الينا بكتاب ارسله بالبريد ، فلا تؤاخذنا يا أستاذ .

واقبل علي مبردا لو قد احزاني واعاد الي اوراقتي ونهض يمشي معي مودعا حتى الباب !

ويا هول ما رايت عند الباب الخارجي لوزارة الداخلية .. لقد رايت ذلك الرجل الذي شككت به في الاقدام على هذه الاساءة فابتدرني :

— ما ذا تصنع هنا ؟ ..

فاجبته جوابا جافا وعبرت طريقتي منصرفا فرحا وعائدا الى اولادي ومعني الدواء لهم مما كانوا فيه ، فقصصت على زوجتي ما جرى لي واشتركتنا معا بصب اللعنات على الحاسدين .

ثم صرت ابصر جمال ضفاف النيل وارتاد بالاصباح حديقة « الاورمان » العجيبة في تنسيق اشجارها وتهدل ازهارها ، اقتعد غاربا عاليا على شجرة وتحتي ازاهير اللوتوس والنيلوفر وكنت اسمع اصوات العنادل مفردة على الصفصاف والنخيل ، وما كنت من قبل احس بوجودها في طول ما كنت اجلس سادرا باحزاني في حديقة الاورمان .

وصار رفاق من بلدي ممن يؤثرونني يحضرون لتهنئتي بالقبول في قسم الدكتوراه للادب العربي بالجامعة المصرية فكنا نجلس في حديقة « الاورمان » فمرت اوانس وجلسن بقربنا وهن يلبسن القمصان الحمر والصفر فعزم علي أستاذ منهم ان اقول فيما اشاهد فقلنا نبدل الابيات التي يقول قائلها :

بالله يا ذات الازار الاسود

ماذا صنعت بعاشق متعب

قد جاء للمحراب يقضي نسكه

حتى وقفت له بباب المسجد

فقلنا :

بالله يا ذات القميص الاحمر

ماذا صنعت بطالب متحير

قد جاء «للاورمان» يتلو درسه

حتى برزت له بأبهي منظر

واخذنا بضحك وسلوى انسينا الاغتراب ومتاعب التحصيل ، وقد جازت بنا السنون فوق الشاثرين .

دمشق : الدكتور زكي المحاسني

فكريات

للدكتور زكي المحاسني

— عليك بكلية الحقوق ، فقسم الدكتوراه فيها مباح لمثلك ممن حصلوا على اجازة الحقوق ، وحين وجدت اجازة الآداب التي معي لم تضمن لي ما ابتغي ، وجدتي بعد يومين متعنا باقامة أشهر ستة في بلهنية وراحة وأمن مقيم . وقد اشتريت الكتب التي للدكتوراه في الحقوق وعكفت على الحضور ، وليست بغيتي فيه ، وما أوفدتني الحكومة السورية الا لاحتصل على الدكتوراه في الادب ، وقد ثابرت على دراسة القانون وحضرت محاضرات الاستاذ العظيم « بيير جونغيه » في الحقوق الفرعونية العتيقة بالفرنسية ، ولقيت ذلك المواطن الذي دلني على مبررات الإقامة فقال لي :

— مالك جادا في الحضور بكلية الحقوق وأنا مثلك ، لكني لا احضر .

— وكيف تصنع ؟ ..

— أدبر نفسي .

فلم آبه لنصحه ، وطفقت مثابرا على الحضور حتى انفجرت ازمتي في مجلس الجامعة فقرر قبولي للدكتوراه على ان أقدم بحثا ينوب مناب درجة الماجستير ، فوهبت من شدة الفرح كتبت لطالب من بلدي حضر لتلك الدراسة الحقوقية وخرجت منها لا علي ولا لي .

وكان للدكتور طه حسين — مد الله بعمره المجيد — يد كبرى في مساعدتي وتذليل صعابي .

لبت الفكريات الحلوة لا تجاورها الفكريات المريرة ، وما كان بطوق الانسان ان يفصل بعض ذكرياته عن بعض ، ولو استطاع ذاك لحبس مكدراته واطلق مسراته مثل طيور بيض ترفرف عليه .

حين جئت مصر عام 1943 لاحتصل على الدكتوراه في الآداب من جامعة فؤاد الاول ، اعترضني باب الماجستير دون الدكتوراه وهو مجاز لا بد منه للعابرين مثلي . ولم اكن صنعت من كتب المطبوعة سوى (النواصي شاعر من عبقر) ومعني مخطوطة عملتها في تاريخ الادب منذ امرئ القيس الى شوقي اسميتها « عباقرة الادب » وطائفة كبيرة من البحوث والمقالات في المجالات الادبية والصحف العربية .

كنت احس بانقباض النفس اذ تعلق امري على مجلس الجامعة ، وما يكون من عقده ، حين ينقصد ، ومعني اطفالي الثلاثة وزوجي ، ولم يكن مالي مبجحا ، فلبثت منطويا على احزان لا تزول ، فاذا اخذت نفسي ببعض السلوى فرحت تحت العشيات الى ضفاف النيل ، رايت الناس يمرحون ولم اجدني فرحا ، فكنت سادرا في ظنون الخيبة ، وقد ضربت مستقبلي بوجه القدر ، اما لهذا واما للذا — كما يقول ابو الطيب المتنبي — في فورات امله الخائب . وكان لا بد من ان احصل على مبررات الإقامة شأن الاجنبي الدامر على البلد العربي العريق ، وتعلق امري بكلية الآداب لارجاء في انفراجة عما قريب ، فقال لي قائل من بلدي :

وازالة ما فيها من تناقض ، فجمع بين آراء الحكيم افلاطون وارسطو ...

لقد كان الفارابي شغوفاً بعمليات التوفيق بين الآراء ، وما نظريته في الفيض الالهي الا من هذا القبيل ، فهي ترمي الى ايجاد تفسير مشترك بين الحكمة اليونانية والاسلام لصلة الله بالعالم ، ونكر ان محاولته لم تلق اي نجاح يذكر في حظيرة الفكر الاسلامي الذي اوصد ابوابه دونها فتساقطت من تلقاء نفسها وما عاشت الا كفكرة مجردة عن كل تطبيق وما كانت لتثير ما اثارته لولا ان اصحابها وحفنة من المغرضين ارادوا اقحامها في دنيا الاسلام وجعلوها منه ، وبسبب ذلك هوجمت وانتقدت حتى من طرف ابن رشد اكبر المدافعين عن الفلسفة ورجالها .

الفيض عند الفارابي

سنحاول عرض النظرية مشيرين اثناء ذلك الى ارتباطها بالفلسفة اليونانية وخاصة الافلاطونية المحدثة مع التنبيه لبعض ماخذ الفكر الاسلامي على النظرية قدر المستطاع ومعتدلين عن عدم الاشارة لمصادر البحث لغيابها عنا اثناء الكتابة وبالله التوفيق .

يؤمن الفارابي بصدق وكباقي المسلمين بالالاه وبوحدانيته ويشرح مفهومه للوحدانية بان الله « واحد لا فرق بين ذاته وعقله ... فهو العقل والعامل والمقول وهو العلم والعالم والمعلوم .. ولا يدخل تحت تحديد من التحديدات التي تنطبق على الممكنات » وهو نفس المفهوم الذي نجده عند ابن سينا الذي يرى انه تعالى « هو الوجود المحض والخير المحض والعلم المحض .. من غير ان يدل بكل واحد من هذه الالفاظ على معنى مفرد على حدة لان المعنى والذات شيء واحد ... » وهذا مفهوم يخالف مخالفة محمودة ارسطو الذي قرر وجود واجبي الوجود هما الله والمادة الا انه يخالف ايضا علماء الكلام في اثباتهم للصفات معتزلة وغيرهم مع فرق في درجة الخلاف ، ويظهر اصحابه بمظهر من يسلم بقدوم العالم لانهم - فيما سنرى - يقولون بان الموجودات صادرة عن الله بسبب علمه لذاته وحيث ان علمه هو نفس ذاته فعلمه قديم قدم ذاته وبالتالي قدم ما يصدر عن علمه بطريق الفيض وهي الموجودات او على الاقل الموجود الاول بعد الله !

ويظهر الفارابي بسبب تفسيره السالف للوحدانية - ما دام يرفض صلة العلية - الى تكلف الاجابة على التناقض الذي يسوقه اليه ايمانه بمسلمات فلسفية مثل ايمانه بان الكثرة لا توجد من الواحد ،

خلقه للعالم كان من العدم مع تفسير العدم بالنفي المطلق الذي لا تشوبه اية شائبة من انواع الوجود ، وعلى هذا الاتجاه علماء الاسلام متكلمين وفقهاء وصوفية صائغين مع ملاحظة انه يؤخذ من آراء بعض المعتزلة وحكمهم الله ، انهم يرون ان العدم الذي توجد منه الاشياء لا يعني الفراغ المطلق ، وانما هو ذات يحتوي جواهر الاشياء قبل ان توجد وهو منهم تأثر بالفلسفة اليونانية لا يقدح في سلامة معتد مذهبهم مذهب المسلمين جميعا .

(2) الاتجاه الثاني :

وهو لا يرتضي كالاول صلة المعلولة ويرى بدلها ان الارتباط متصل بين الله والعالم ، يضعون بين الوجودين وسائط عقلية يفترضونها وفق شكل معين كما سنرى - وهذا الاتجاه نصادفه عند فلاسفة اليونان الذين لم يقولوا بحدوث العالم بما فيهم افلاطون المعروف بين المتكلمين انه قال بحدوثه وهو امر - كما يقول علي سامي النشار - لم يقل به افلاطون ابدا ، ولكنهم هكذا شاءوا فهمه كما شاءوا فهم ارسطو في صورة افلاطون »

وقد بنى هذا الاتجاه مع اختلاف بسيط الفارابي وابن سينا في نظريتهما التي هوجمت من طرف علماء الاسلام على اختلاف مشاربهم وبينوا تهافتها ومصادمتها للاسلام في كثير من عناصرها .

نتيجة الاختيار

ان الفارابي وقد اختار الاتجاه الاخير وجد نفسه في موقف حرج ، وانه مطالب بتبرير اختياره تبريرا مقبولا من طرف الاسلام ، فقام بجراة كبيرة واعلن باديء ذي بدء ان الحكمة اليونانية - التي رسلته مشوهة - وكذلك درسها - لاتصادم الدين الاسلامي ، ومن ذلك فانه يمكن الجمع بينهما اذا ما فسرت الآيات القرآنية تفسيراً فلسفياً « فهمت اشاراته ورموزه ! ذلك ان النظر حق والدين حق ومحال ان يتضاد الحق مع حق آخر ، لان الحق واحد لا يتعدد وليس بعد الحق الا الضلال .

وانطلاقاً من استنتاجه هذا الغير المسلم - لانه نفسه لا يستطيع البرهنة على دلالة الافكار التي اعتمدها على الحق دلالة قطعية حتى يلزم الغير - سول انطلاقاً من استنتاجه المتقدم يقوم بمحاولات كبيرة لتوفيق بين الدين الاسلامي والحكمة اليونانية ، وفي سبيل ذلك سعى اولاً للتوفيق بين الفلسفة اليونانية

تحليل نظري لطريق الفيزياء عند الفارابي وابن سينا

الأستاذ : عبد الله المحجاني

تمهيد :

ان كان هناك من اطمأن بها ورضيها لنفسه شرعة
ومنهاجا ...

بين يدي النظرية

يستحسن ان نمهد لعرض النظرية بكلمة توضح
الاساس التي انطلقت منه الفكرة ، مقتصرين على
الاساس المباشر دون استقراء للتفصيلات واسبابها ،
لهذا سنترك جانبا قضية الالهية وما دار حولها من
جدل طويل ومتشعب ، لتعرض لجوهر موضوعنا
الذي هو محاولة تفسير الصلة التي تربط بين الاله
والعالم ، وهي محاولة اختلفت فيها الآراء وتخاصمت
فيما بينها ، وادلت كل فرقة بدلوها في الموضوع سواء
كانت فلسفية أو فرقة صوفية أو كلامية ، والنظرية
التي نحاول عرضها الآن تعتبر رايًا في الموضوع لجماعة
من الفلاسفة المسلمين بهرهم الفكر اليوناني ووقعوا
تحت تأثيره ، فكان لذلك - كما سنرى - رأيهم
تجسيدا لهذا التأثير القوي الخارق .

ويلاحظ ان الحلول التي قدمت في هذا المضمار
تتخذ اتجاهين :

1) الاتجاه الاول :

وهو يرتضي صلة السببية أي ان الارتباط بين
الله والعالم هو ارتباط المسبب بسببه والمعلول بعلته ،
ويقرر ايضا بوضوح ان العالم حادث ومخلوق لله
تعالى بارادته وعلمه وانه تعالى ما فعل ذلك عبثا وان

يحتل الفارابي (259 هـ 339 هـ) وابن سينا
(370 - 428 هـ) مكانة ممتازة في الفكر الانساني ولا
يختلف اثنان في تقدير عبقريتهما او الاشادة بسعة
علمهما وعميق نظرهما فالاجماع من الخصوم والاصدقاء
على ذلك وانما يقع الاختلاف حولهما حين يوزن
انتاجهما الفلسفي بمقياس الاسلام عند جماعة وبالابتكار
والاستقلال الفكري عند جماعة اخرى ، ولجل هذا
اعتبرا في حساب البعض من الصوفية المخلصين ونشازا
في الفكر الاسلامي بل وكفرة مارقين في حساب البعض
الآخر او تلامذة مخلصين لليونان على احسن الفروض .

ولكل من هؤلاء واولئك وغيرهم سند من حياتهما
وتراثهما ، غير انهما ، ورغمما عن كل شيء ، ستمكث
عبقريتهما واصالتهما في جل ما كتباه فوق الشبهات ،
ولعل من ابرز الآراء التي اخذ عليهما بسببها واثرت
حولهما الظنون والشبهات وقيل فيهما اكثر ما قيل ،
هي محاولتهما لتفسير نوع الاتصال بين الله والعالم
وهي المحاولة التي عرفت في الفكر الفلسفي بنظرية
الفيض الالهي ، وارتبطت باسمهما ، وكانا يهدفان من
ورائهما الى التوفيق بين الفلسفة اليونانية والاسلامية
في قضية من اهم واعوص قضايا الفلسفة ، الا انهما
رغم ما بذلاه من جهد جهيد في هذا السبيل لم يوفقا
لهدفهما وتخلى عنهما النجاح كلية واثارت نظريتهما
من الشكوك والتساؤلات اكثر مما بعثته من الاطمئنان

تلك باجمال نظرية الفيض الالهي عند الفارابي الذي اعتقد انه بفضلها يستطيع دون كبير مشقة وضع العمامة على راس افلاطون وارسطو وجعلنا نعتقد انهما من شيوخ الموحدين وفي سبيل ذلك لا نراه يتردد في استخدام كلمات قاسية مثل القبح والاستنكار في حق من فهم عن افلاطون انه يقول بقدّم العالم مع انه في واقع الامر ما قال الا بقدّمه لو تحقق الفارابي كما فعل بعده ابن رشد .

وهذا التعصب الشديد لفلاسفة اليونان وتنزيههم حتى عن اقوالهم نلاحظه لدى كثير من الفلاسفة المسلمين واكرر عبارة الفلاسفة المسلمين ، فهذا مثلاً راس المذهب الاشراقي السهروردي يجعلهم من جملة الاصفياء والانبياء والاولياء كاغاديمون وسقراط وافلاطون وامثالهم ... وذلك .. لتخلقهم باخلاق الباري بتجردهم عن المادة من جميع الوجوه ... !! ولئن استطاع الفارابي ان يحل مشكلة المادة عند ارسطو ويظهر الفكر اليوناني في شكل اكثر تناسقا عما كان ، فانه في صميم هدفه لم ينجح مطلقاً ولم يستطع التوفيق بين الفكر اليوناني والاسلامي وعاد بعد جهد جهيد الى النقطة التي انطلق منها وحاول نكرانها وهي نقطة تعارض الفكرين .

سبب الفشل :

ان سبب فشل الفارابي في محاولته التوفيقية يعود الى الاختلاف - الذي لا يمكن تفاديه بين طبيعة الفكر الاسلامي واليوناني - فطبيعة الميتافيزيقيا الاسلامية مؤمنة وهادفة ، كما رسماً القرآن الكريم وسنة النبي الامين ، ولا تسمح بفسح المجال للتلاعب بالافكار او الخوض في تصورات فوق طاقة العقل الانساني ... اما الميتافيزيقيا اليونانية فملحدة بطبيعتها تعتقد بفناء الفرد وخلود النوع ولا تدري من أمر البعث شيئاً او ما يستتبعه ، ولا تتصور قوة تعلو على الوجود العقلي ، ومن ثم لم تدرك فكرة الاله الذي يبدع الاشياء من العدم المحض وصرحت بقدّم المادة ، وهو تناقض حاول الفارابي تجنبه بالعقول المتخيلة فلم يفلح في مسعاه وضل الاسلام اسلاماً والفلسفة اليونانية يونانية ، ولن يكون الامر على خلاف ذلك .

النظرية عند ابن سينا :

ان النظرية عند الفارابي هي نفسها عند ابن سينا وما بينهما من اختلاف لا يمس الجوهر انما يعود لطبيعة دور كل منهما ، الاول استلهمها واعطاها الحياة ، والثاني ابرز هذا الوجود في شكل اكثر تناسبا . فابن

سينا كالفارابي يعتقد باستحالة صدور المتعدد عن الواحد ... لهذا نجده يتقبل منه فكرة الفيض لتفادي التناقض الذي تسوقه اليه مسلماته ، كذلك استغفل التفرقة بين الماهية والوجود التي قال بها الفارابي ونسبت اليه خطأ فجعل لكل العقول المارقة للمادة ماهية ووجود ، وبهذه التفرقة امكن تحليل الكثرة المشاهدة في الكون مع الاعتراف بوحدة المبدأ الاول مبدع الكل ، وذلك لان الكثرة صادرة فعلاً عن الواحد لكن بطريقة غير مباشرة ، فالاله علم ذاته ففاض عنه بسبب ذلك العقل الاول او العقل المبدع وهو رغم وحدته يشتمل على نوعين من الكثرة هي :

١ - العقل الصادر اما ممكن الوجود قبل وجوده « ماهيته »

ب - واما واجب الوجود لعله « وجوده » .

وهذه الثنائية التي توصل اليها بسبب التفرقة بين الماهية والوجود تؤدي الى كثرة اخرى ثلاثية يحتوي عليها العقل الصادر عن طريق ادراكاته فهو :

١ - اما ان يدرك الوجود الذي فاض عنه هو

ب - واما ان يدرك ذاته وانها واجبة الوجود لعله

ج - واما ان يدرك ذاته على انها ممكنة الوجود .

وكل ادراك يؤدي الى صدور شيء عن طريق الفيض ، فمن الادراك الاول يفيض عقل ثان ، وعن الادراك الثاني تفيض نفس الفلك الاول ، وعن الادراك الثالث يفيض جسم الفلك الاول ، وبنفس الافتراض تفيض عن العقل الثاني الامور الثلاثة (عقل ثالث - نفس للفلك الثاني - جسم للفلك الثاني) وهكذا تتوالى عملية الفيض في ترتيب تنازلي الى ان تنتهي عند العقل العاشر والعقل الفعال الذي يشرف على عالم الارض ، ويتآزره مع طبائع الافلاك تفيض عنه المادة .

وبلاحظ ان عملية الفيض التي تتابعته بنفس الافتراض عند العقول التسعة الاولى اتخذ شكلاً مغايراً عند العقل العاشر من حيث الادراك ومن حيث ما يفيض عنه ، فالعقل الفعال (العاشر) يدرك العقل الاول فتفيض عنه بسبب ذلك النفوس البشرية وتفيض عنه صور الاشياء بسبب ادراكه للعقول المتوسطة ، وتفيض عنه العناصر الاولى لنشأة الكائنات بسبب ادراكه لذاته وعلى انها ممكنة الوجود ، ولا ندري لماذا حرموه من ادراك ذاته على انها واجبة الوجود لعله ، ويميزوه بادراكه لكل العقول ... الخ

والشيء لا يوجد من غير جنسه ، والمتغير (العالم) لا يصدر عن غير المتغير (الله) ... الخ فكيف اذا يفسر الفارابي صدور العالم عن الله وهو واحد والعالم كثرة متغيرة والله واحد لا يتغير والعالم من غير جنسه ؟ ، ان فيلسوفنا الكبير لا ينكر حقائق هذه الاشياء ولكنه لا يسلم بما يبدو بينها من تناقض بل يؤكد ان مصدر الكل هو الله لكن بطريق غير مباشر ، الا ان شرحه لطريقة صدور الاشياء عن الله بواسطة يضطره لرفض الاتجاه الاسلامي القائم على تفسير السببية اي ان صلة الله بالعالم هي صلة الصانع بمصنوعه ، وبدلا من ذلك وانسجاما مع مسلماته يقدم كجواب للتساؤلات اعلاه - وكبديل لنظرية علماء الكلام نظرية « الفيض » المناسبة ، وهي تركز على انه اذا كان الواحد لا تصدر عنه الكثرة فالواحد قد يصدر عن الواحد ، وبعدها يعلن الفارابي ان الذي صدر عن الله مباشرة هو واحد اسماء بالعقل الاول او المبدع الاول ، وعنه صدر العقل الثاني وصدر عن الثاني عقل ثالث وهكذا الى العقل العاشر واهب الصور والذي صدر عنه العالم السفلي عالمنا الارضي

ان الفارابي بهذا التخييل ملا الفراغ او العدم الذي سبق الكون بهذه العقول العشرة التي جعلها واسطة بين الله والعالم ولم يتصور ان بينهما فراغا مطلقا وعندما محضا قد وجدت منه الكائنات ، ومنحاه هذا - كما هو واضح - يخالف الفريق الذي يصرح بحدوث العالم من العدم المحض بعلم الله وارادته .

اما كيفية صدور هذه العقول عن الله فانه يذهب الى ان الاشياء تصدر عنه تعالى بمجرد علمه لذاته لا بارادة او قصد او غرض .. الخ وقد اختار هذا لينفي عن الله - فيما يعتقد - ان تكون له مصلحة او غرض من وراء افعاله او يكون علمه متغيرا .. تعالى عن ذلك علوا كبيرا - ويعبر عن ذلك بقوله « ان وجود الاشياء عنه لا من جهة قصد يشبه قصدونا ولا يكون له قصد الاشياء ولا صدرت الاشياء عنه على سبيل الطبع من دون ان يكون له معرفة ورضا بصدورها وحصولها وانما ظهرت الاشياء عنه لكونه عالما بذاته وانه مبدا الخير في الوجود على ما يجب ان يكون عليه فاذا علمه علة لوجود الشيء الذي يعلمه » فبعلمه لذاته فاض عنه العقل الاول الذي يشتمل على نوعين من الكثرة هما :

1 - ثنائية : وهي آتية من تفرقة بين الماهية والوجود .

ب - ثلاثية : وهي آتية من الادراكات الثلاثة المتخيلة للعقل ، فهو :

- 1) يدرك المبدأ الذي فاض عنه وهنا يفيض عنه بدوره عقل ثان خاص به
- 2) يدرك ذاته وانها واجبة الوجود لعلة وهنا تفيض نفس الفلك الاول
- 3) يدرك ذاته وانها ممكنة الوجود ، فيفيض عنه جسم الفلك الاول .

وعن العقل الثاني ونفس التصور يفيض عقل ثالث وفلك ثاني ونفس هذا الفلك وعن العقل الثالث يفيض عقل رابع وفلك ثالث ونفس للفلك الثالث وهكذا تتسلسل عملية فيض العقول والافلاك والنفوس الى ان تصل الى العقل العاشر او العقل الفعال وهو يدرك العقل الاول فتفيض عنه النفوس البشرية ، ويدرك كل العقول قبله فتفيض صور الاشياء وعند ادراكه لذاته تفيض عنه العناصر التي تنشأ عنها الاشياء .

والعقل العاشر هو الذي يتحكم في عالم الارض عالم العناصر الاربعة ، وعن طريقه تتصل العقول البشرية بعالم الغيب حيث تنكشف امامها اسرار الكون وتطلع على الغيب وتتم سعادتها ، وهي منزلة لاتصل اليها الا العقول البشرية المستفادة ، ويتم حصول العقل المستفاد اما :

1 - بطريق الحكمة والبحث والنظر وهو طريق الحكماء كما يعتبر احسن الطرق ، وربما اخذ عليه البعض بسبب هذا انه ينكر النبوة ...

ب - الطريق الثاني للحصول على العقل المستفاد من العقل العاشر هو طريق النبوة بواسطة المخيلة القوية او الالهام ...

والعقول المستفادة التي تستطيع الوصول الى هذه المنزلة التي لا مطمح بعدها .. تأتي في طليعة العقول البشرية التي صنفها تصنيفا ، تصاعديا على خلاف ترتيب العقول السماوية مبتدئا بالعقل بالقوة عند الطفل منذ ولادته ثم العقل بالفعل ويحصل بالتعلم والاحساس ثم العقل المستفاد ويحصل بالتعمق في البحث والتفكير والممارسة ، عند الحكماء وبالمخيلة القوية عند الانبياء ، فالعقل الانساني يمر اذا بالمرحلة الثلاثة ليتصل بالعقول السماوية ويعلم اسرار الكون ويطلع على صور الاشياء قبل ان توجد

بين العلم
والشعوذة

التنويم المغناطيسي

للأستاذ ابن طالب زيان

وتحت هذا العلاج الإيحائي ، يدخل التنويم المغناطيسي ، كحالة متطرفة من حالات الاستهواء ، وإن كان يكثر استعماله مع المرضى الذين يصعب التأثير فيهم ، وهم في حالة اليقظة ، أو لا يرتضون أن يكونوا كذلك على أي فرض من الفروض ...

وقد اشترط المنومون المغناطيسيون لكي يتم هذا التنويم ، ويأتي بنتائج طبية ثلاث شروط أو هي ثلاث حالات :

أولا - أن يقتنع الشخص أنه سينام ، لأن مقاومة المريض للمنوم ، تؤدي عادة إلى نتائج سيئة ، أو هي وخيمة العواقب ، ونجاحه إذا كان المنوم قوي المزينة مصمما على النجاح في تنويم مريضه .

ثانيا - أن يوضع الشخص النائم في غرفة هادئة قليلة الاثاث ، ويستحسن ألا يكون هناك أشخاص آخرون مع الطبيب .

ثالثا - يطلب من المريض أن يستريح على كرسي ، أو يستلقي على ظهره في استرخاء تام ، ثم يأخذ المنوم في عمله ، حتى يتم نوم المريض .

وليس عجيبا أن يستمر هذا الحال إلى وقت الناس هذا ، وإن كانت قد تكونت بعد نحو قرن على مما رسته على هذه الصورة ، مدرستان في فرنسا ، أحدهما في « باريس » والأخرى في « نانسي » تنافسا تنافسا شديدا في استخدام التنويم ، واختلفت وجهتا نظريهما اختلافا كبيرا ، مما كاد يؤدي إلى الفشل ، أو

يرتبط تاريخ التنويم المغناطيسي بتاريخ علم الاضطرابات النفسية على يد « مسمر » عام ثمانين وسبعمئة بعد الالف ، وإن كان لا يختلف في كنهه وحالته عما هو عليه في الوقت الحاضر .

كان التنويم المغناطيسي منذ ذلك التاريخ مورد رزق لكل شيء جديد ناشيء ، إلا أن الدجل كان يحوطه ، مما حدا بالدوائر العلمية أن ترفض استعماله ، أو الاشتغال به في محيط العلم ، أو دنيا التجارب الطبية .

والواقع أن التنويم ، نشأ نتيجة الوهم الذي يسيطر على كثير من الناس ، ولا يمكن التغلب عليه إلا بهذا الإيحاء . إذ كثيرا ما يشكو البعض مما يقاسونه من آلام وأمراض ، فإذا ما نهوا وتبين لهم ، أن هذا مجرد وهم ، ثم شجعناهم على السمو على هذه الآلام ، وقهر هذا الذي يشكون منه ، بأن نجعلهم يعتقدون في أعماق نفوسهم ، أنهم أصحاء ، وإن ليس عندهم ما يسبب وجود هذه الأمراض فيهم ، فإنهم لا يلبثون أن يشفوا مما يشكون منه ...

وهكذا كانت تعالج هذه الحالات بهذه الطرق الإيحائية . فالتأثير في المريض واستهواؤه بخلوه من الأمراض ، وبفساد اعتقاده مما يشكو منه ، كانت الطرق المثلى التي يعمد إليها بعض الأطباء الاختصاصيين في العلاج النفسي مع مرضاهم الذي ليس لمرضهم أي سبب عضوي أو غير عضوي ، مما يكون ظاهر الملمس أو يحتاج إلى علاج بالعقار أو الموضع ...

المحدثنة التي ترى ان المشوق الاول ابداع عشاقه بتوسط العقل وتصفه بانه « ليس منه شيئاً مما ابدعه ولا يشبه شيئاً منه ولو كان كذلك لما كان علة الاشياء كلها ... » ولعل تحديد علم الفلك اليوناني للافلاك بعشرة هو الذي جعل الفارابي ثم ابن سينا يحدد العقول المفارقة بعشرة لكي يشرف على كل فلك عقل .. الخ

خاتمة ودعاء :

ان الانصاف يجعل النظرية يونانية الاصل ومحاولة نسبتها للفلسفة الاسلامية - وهي منها براء - انما هو ادعاء تجن على الحقيقة ، واما ارتباطها بالفلسفة اليونانية فهو ارتباط وثيق ، ونحسب ان في اللمحات المقتضبة التي قدمناها ما يكفي لتلمس بعض من ذلك بيسر .. ورغمنا عن ذلك فالنظرية في بنائها النهائي تحمل بين طياتها الكثير من التساؤلات التي بقيت بدون جواب ... ونذكر ان ابن رشد رفض الفيض من اساسه حين خطأ ابن سينا في مقابلته تفرقة الفارابي بين الماهية والوجود بتفرقة ارسطو بين الصورة والمادة . وقبل ابن رشد وبعده رفضت النظرية من حظيرة الفكر الاسلامي وبين الزمان تساقطها .

وبالرغم من هذا التهافت الذي انجرف اليه الفارابي وابن سينا في الفيض الالهي ، فانهما بفضل ما امتازا به من عبقرية واصالة في كثير من اعمالهما العظيمة التي حفظ لنا التاريخ بعضها ، سيستمران على مر العصور كأكبر معالم الحضارة الانسانية .

فرحمة الله عليهما واجزل لهما الثواب والرحمة فما كانا في حياتهما يريدان به تعالى بديلا ، وما قصدا بعملهما الا توحيده وتقديسه ، فان زلت بهما الاقدام في عمل ارادا به الخير فأجرهما ثابت للآثر الوارد ، فيمن اجتهد واخطأ وحسبهما فضلا ان تعد هفواتهما .

لشبونة - عبد الله الحجاجي

ان تسلسل الفيض عند ابن سينا يخضع للترتيب العقلي المتناسق كما تظن لذلك الامام الغزالي عند عرضه الامين للنظرية قبل نقدها ، وذلك ان كل عقل يفيض عنه الاشياء الثلاثة باستثناء العقل العاشر (عقل - نفس فلك - جسم فلك) وهذه الثلاثة متفاوتة في السمو لان العقل اشرف من النفس والنفس اشرف من الجسم ، وهذا التدرج في الاعتبار يتناسب مع ادراكات العقل المتفاضلة فيما بينها ايضا في السمو

فادراك العقل للعقل الذي فاض منه اشرف من ادراكه لذاته وانها واجبة الوجود لعله ، وهذا الادراك بدوره اشرف من ادراك العقل لذاته على انها ممكنة الوجود ، وبهذا ناسب ان يفيض العقل عن الادراك الاول وتفيض النفس عن الادراك الثاني والجسم عن الادراك الثالث ، وعلى هذا الافتراض يتم التناسق بين مستوى الادراك وما يفيض عنه ويسهل تحليل التفاضل بين العقل والنفس والجسم ، وبين ادراك المبدأ الاول وادراك الوجود وادراك الماهية ، وهذا البناء نجد الشيخ ابن سينا ، ومن قبله الفارابي ، يستلهم بعضه على الاقل من الفكر اليوناني وبشيء من التحديد من « الشيخ اليوناني » افلوطين الذي تصور للعقل دائرة استدارت على مركزها الذي هو الخير المطلق وحركتها حول مركزها هي حركة اشتياق ، وتصور للنفس دائرة لا بعد لها ومركزها العقل وحركتها حول مركزها استكمالية خلاف حركة العقل السالفة ، كما تصور للعالم السفلي دائرة مركزها النفس ، وهي دائرة تخضع لترتيب تفاضلي ، حيث نجد حركة العالم حول النفس تطلبها تشبه حركة النفس حول العقل تطلبه وهي بدورها تشبه حركة العقل للخير المحض .

ان حركات العشق هذه في الافلاطونية المحدثنة تتجه صوب المشوق الاول الذي يفيض على جميع عشاقه بنوره اللامتناهي وان كان يقل اثره كلما ابتعدت عنه الموجودات .. كذلك نجد العقول العشرة التي حلت مشكلة صدور الاشياء عن الله في الافلاطونية

التقيد بنظرية سابقة ، ليس لهما فضل ابتداعها
أو استنباطها ... ؟ ؟

يجيب « بروبر » عن سبب هذا العدول عن
هذه النظرية ، بأن السيدة المريضة بعد أن شفيت ،
أخبرته بأنها لا يمكنها أن تفارقه ، ولا يمكنها كذلك أن
تبتعد عنه ، لحبها له وتعلقها به !!

ومن العجيب أن هذه الحادثة عاشها « فرويد »
أيضا مع إحدى السيدات المريضات ، وشعر بحبها
له ، وسيطرتها عليه ، وأن كان « فرويد » لم يمكنها
من أن تشغله عن ما هو بسبيله من البحث والدرس
والاجتهاد والاستنباط ...

وليس يخفى ، أن التنويم المغناطيسي ، قد لعب
دورا هاما في تاريخ البشرية على يد علماء متخصصين ،
وأن كان قد دخله كثير من الدجل ، أخل به ، وأخرجه
عن رسالته ، وباعد بينه وبين نفعه كعلم ، خطأ خطوات
واسعة ناجحة في علاج كثير من الامراض النفسية
المستعصية التي حار فيها الطب ، وتعرش فيها كثير
من الأطباء !!

على أنه أتى بعد « فرويد » علماء وأطباء ، حملوا
الرسالة ، وساروا بها واستحدثوا كثيرا من
النظريات ، إلا أنه أخرجها عن وضعها الذي استحدثت
من أجله ، الجهلة المشعوذون الذين يمشون في
الأسواق ، ويأتون « بالبهلوانية » أمام السذج من
الناس !!

القاهرة : أبو طالب زيان

اليهما إحدى السيدات المعالجات هي : أنه عندما
يترونها لتتكلم تحت تأثير التنويم المغناطيسي عن
اضطرابات النفسية بكلام مطلق صريح ، فإنها تشعر
بهديء وتحسن في حالتها الطبيعية بعد التنويم ،
يمكنها كذلك ، أن تذكر أشياء كانت منسية عن
الاضطرابات النفسية ، فإذا تكلمت عنها مع الطبيب ،
سمرت بالارتياح ، وعادت إلى حالتها العادية .

وقد أجرى هذان العالمان بضع جلسات على هذه
المرأة ، حتى شفيت تماما من مرضها الذي لازمها
زمنًا طويلا ، مما كادت معه أن تفقد الأمل في الشفاء ...

على أن « بروبر » و « فرويد » ، قد شجعهما
هذا النجاح على السير في علاجاتهما للمرضى ، فاتبعوا
التنويم المغناطيسي أولا ، ثم الكلام المطلق ، وهو
المسمى « بالتنفيس العقلي » - ويظهر أن الحوادث
التي تسبب الاضطرابات ويخزنها صاحبها لا شعوريا
في داخل عقله ، تنبعث من رقادها مرة ثانية تحت
تأثير التنويم المغناطيسي .

لكن لم يلبث « فرويد » و « بروبر » ، أن أوقفا
استعمال هذه التجربة الناجحة وعدلا عنها ، إلى طريقة
أخرى ، أجريا تجاربها وثبت جدواها ، وهي طريقة
التنويم دون الكلام المطلق الذي كان يأتي عقب
استسلام المريض ، وافضائه بما ينطوي عليه صدره
أو يختلج داخل نفسه .

ولعل سائلا يسأل عن سر عدول هذين العالمين
عن نظريتهما الناجحة ، أهو التحول من نظرية إلى
أخرى ، أو اثبات علمهما بأكثر من نظرية ، أو عدم

الى اغلاق المدرستين بغية الرياضة ، او السبق في
الاكتشافات !!

كان العالم : « شاركوه » على رأس مدرسة
باريس ، وهو اخصائي في الاضطرابات العصبية ،
ينادي بأن « كل شخص يمكن تنويمه مغناطيسيا يكون
مصابا بنوع من « الهستريا » .

اما مدرسة « نانسي » فكان رايها انه يمكن ان
تجري عملية التنويم المغناطيسي ، على كل فرد عادي
بدرجة معتدلة .. اذ انهم كانوا في هذه المدرسة ،
يعتبرون ان التنويم المغناطيسي ، مجرد حالة استسلام
وقبول للافكار الموحى بها ، حتى انهم قد استعملوا
هذا الراي في علاج الحالات العصبية ، وان كان
« تشاركوه » عميد مدرسة باريس ، قد استعمل
كذلك حقيقته ، او ما اهتدى اليه في فهم اصل
« الهستريا » وعلاجها ، والبحث عن طبيعة التنويم
وماهيته .

ولقد ساعد « شاركوه » على انتشار رايه ،
وذوبوع تعاليمه ، قدرته الغذة ، وتفوقه العجيب في
ابحائه ، فضلا عن اشتهار تلاميذه بالابحاث والتجارب،
وحملهم رسالة استاذهم ، والسير بها قدما في سبيل
انجاحها وربادتها وسيادتها .

والواقع ، انه برز من بين هؤلاء التلاميذ : « بيير
جانيه » وتفوق على اقرانه بدراسة الاضطرابات
العصبية ، كما فعل استاذهم ، و اضاف اليها عام تسعين
وثمانمائة بعد الالف ، انه يمكن تحت تأثير المغناطيس ،
ان يتذكر المريض حوادث لم يكن بمقدرته ان يتذكرها
في اثناء اليقظة .

واستمر « بيير جانيه » يدرس انواعا متعددة
غير « الهستريا » من الامراض العصبية كأنواع
الخوف من الاماكن المغلقة ، او الاماكن الخالية ، وحالات
الخجل الشديد ، او قصور النفس ، حتى اكتشف ان
هذه الاضطرابات تزول باكتشاف سببها الاصلي
وملابساتها التي احاطت بها ، او كانت سببا في حدوثها .

وقد ظهر بعد « جانيه » علامة آخر ، هو
« فرويد » الذي عاش ودرس في « فيينا » وذاع صيته
من هذه العاصمة ، التي اصبحت تعرف به ، او
احتضنت هي علمه وتبنت نظرياته التي ضرب بها
المثل ، وهي عنوان الاصاله ، ومرتبب الانظار .

كان « فرويد » يشتغل بالطب ، ويهتم بالجزء
العلمي منه ، فلما سمع بمدرسة باريس ، سافر اليها ،

واعجب ايما اعجاب بأبحاثها في التنويم المغناطيسي
كعلاج للهستير

وفي اثناء استماعه لدروس « شاركوه »
وانصاته لنظرياته ، علقت بذهنه لمة قالها هذا العالم ،
او هي نظرية من النظريات الكثيرة التي تناولها
« شاركوه » في بحوثه واستنباطاته وتعريفاته : « ان
اساس الاضطرابات العصبية « الهستريا » اضطراب
في حياة الشخص الجنسية في الماضي » .

وما من شك ، في ان هذه الفكرة ، او هذه
النظرية ، كانت موضع ابحاث « فرويد » المستقبلية
التي قلبت علم النفس راسا على عقب ، فحين عاد
« فرويد » الى « فيينا » بعد سنة قضائها في باريس ،
وبدا علاج الحالات العصبية ، وبخاصة الهستريا ،
مستعملا التنويم المغناطيسي كطريقة اساسية ، وجد
بعض الصعوبات في تنويم بعض الاشخاص ، ثم وجد
كذلك : انه اذا نجح في تنويم بعضهم ، فان البعض
الآخر ، لم يشف في كثير من الحالات ، فدفعه هذا الى
ان يذهب الى « نانسي » ، ويتحمل المشاق في سبيل
انتظامه في مدرستها ، وتلقى كثيرا من دروسها ..
وجد « فرويد » مذهب هذه المدرسة : انه لا يمكن
تنويم اي شخص عادي ، تنويما مغناطيسيا ، وانه
يمكن ان تزول الامراض العصبية الى درجة كبيرة
بالايحاء ، تحت تأثير التنويم المغناطيسي .

ولكن « فرويد » علم سر نجاح هذه المدرسة
في نظرياتها من الاطباء انفسهم الذين يقومون بهذه
العلاجات - علم : ان هذا النجاح يرجع الى معالجة
الطبقات الفقيرة غير المتعلمة ، وهي القابلة دائما
للايحاء بسرعة كبيرة ، على حين كانت عيادة « فرويد »
في « فيينا » لا يؤمها غير جماعة الاغنياء من المتعلمين ،
ذوي الدرجات العالية من الكفاية العلمية ، والذكاء
النادر ، وهم بالضرورة ، غير قابلين لهذا الايحاء
النفسي بنفس الدرجة التي عليها اهل الطبقة
الاولى ...

وعندما عاد « فرويد » الى « فيينا » ، كان عليه
ان يمضي في احد طريقين : اما ان يأخذ بتعاليم مدرسة
« باريس » واما ان يسلك نفسه في تعاليم مدرسة
« نانسي » ، حتى ينجح او تكتب لنظرياته البقاء ، غير
انه اخذ يتأرجح بين النجاح والفشل ، او الوصول
الى القمة ، او الهبوط الى القاع ، حتى تعاون معه
صديقه الطبيب « بروبر » وبعد جهد في دراسة
كثير من هذه النظريات ، توصل الى طريقة اوحث بها

واستنتجنا من دراسة الواقع الزوجي بالمغرب ضرورة إعادة هذه السلطة للحكمين على مذهب مالك ، كما رأينا كيف ان القانون المصري - على نقيض القانون الغربي - اخذ برأي المالكية في هذه المسألة بعد ما كان ذلك فيها بمحاكم مصر الشرعية على مذهب إبسي يفة . وهذا كله دليل على ان التحكيم كان ولا يزال موضع مد وجزر بين نظريات فقهاء الاسلام وان هذه التقلبات مردها الى ما تملبه الحاجة وتفرضه الضرورة تمثيا مع التطورات الاجتماعية ومع التعقيدات الطارئة على العلاقات البشرية .

ونفس التقلبات نلاحظها في تطور التحكيم في القانون الغربي ، فلم يستقر رأي المشرع الفرنسي والمحاكم الفرنسية على الاخذ بالتحكيم الارادي وبقاعدة الشرط التحكيمي (1) في عدة مواد الا بعد فترة طويلة من التردد والتزام الحذر ، وكان الباعث على ذلك هو اهتمام فقهاء القانون بمسألة استفحال امر التحكيم واتجاههم للحد من استعماله خشية طفيانته على سلطة القضاء ، الا انه لم يكن بد من اللجوء اليه لمسايرة التطورات البشرية في شتى المجالات الخاصة والمبادلات التجارية وفي عدة مواد تتسم بطابع التقنية .

وظل المشرع الفرنسي اثناء هذه التجربة الطويلة ياخذ بالاحوط في مجال التحكيم فلم يجعل له مكانا ثابتا في مدونات القانون الخاص الا بعد التصويت على قاقانون 18 ابريل سنة 1946 حيث افرغت نصوص التحكيم في قوالب جديدة .

وبعد ، فما هي اصول التحكيم وما هي المراحل التي قطعها ؟ .

اصل التحكيم ومشروعيته في الفقه الاسلامي

اذا نحن بحثنا عن اصول التحكيم في الشرع الاسلامي نجد ان الفقهاء استخرجوها من عدة آيات كريمة سنتناول منها على الخصوص ما ورد في سورة المائدة في شأن تحكيم الاساقفة اليهود للنبي (ص) في نزاع بين يهوديين ، وقد يصعب على الباحث ان يعثر في حديث في التحكيم الا ملجأ في شأن القاضي شريح عراقى وابيه هانيء فيروى ان النبي عليه السلام لما عند لى هانيء هذا مع قومه سمعهم وهم يكنونه « ابا الحكم » فدعاه رسول الله وقال : ان الله هو الحكم

واليه الحكم فلم تكنى - ابا الحكم - ؟ فقال ان قومي كلما اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فارض كلا الفريقين فقال عليه السلام : ما احسن هذا . فمالك من الولد ؟ قال : لي شريح وعبد الله ومسلم ، فقال : فمن اكبرهم ؟ قال : شريح . فقال له عليه السلام : فانت اذن ابو شريح (عوض ابو الحكم) ودعا له ولولده .

فكان اصل التحكيم ومشروعيته في الفقه الاسلامي قوله تعالى مخاطبا رسوله عليه السلام في سورة المائدة : « فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين ، وكيف يحكونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك؟ وما اولئك بالمؤمنين الآية .. »

روى مالك ومسلم والترمذي ان هذه الآية نزلت اليهود لما جاؤوا الى رسول الله (صلم) وحكموه في شأن رجل وامرأة منهم زنيا . فقال لهم عليه السلام ما تجدون في التوراة في شأن الزانيين ؟ قالوا نفضحهم ويجلدون ، فقال عبد الله بن سلام : كذبتهم ، ان فيها آية الرجم فاثبتوا التوراة . فاتوا بها فوضع احدهم يده على آية الرجم وقرا ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح .. فقالوا : صدق يا محمد ، ان فيها آية الرجم ، فأمر رسول الله برجم الزانيين .

وفي رواية ابي داود عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : اتوني بأعلم رجلين فيكم ، فجاءوا بابني سوريا ، فنشدهما الله كيف تجد ان امر هذين في التوراة ؟ فقالا : نجد في التوراة اذا شهد اربعة انهم راوا ذكره في فرجها كالمورد في المحكمة رجما . فقال : فما يمنعكما ان ترجموهما ؟ قالوا : ذهب سلطانا فكرهنا القتل فدعا النبي (صلم) بالشهود فجاؤوا فشهدوا فأمر برجمهما .

وقد تركت الآية الكريمة الخيار للامام ان شاء حكم بين اليهود وان شاء اعرض ، ولذلك انفذ عليه السلام الحكم بينهم ليحقق تحريفهم وتبديلهم وتكذيبهم ما في التوراة : « يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . »

الحكيم في الفقه والفنون

كتاب الحسن المجوسي

- 3 -

اصول التحكيم وتطوراتها :

راينا في البحثين المتقدمين ان التحكيم كمؤسسة للتقاضي كاد ان يصبح على جانب من الخطورة لولا ان القانون قيده بعدة قيود وان فقهاء التشريع حصروه في نطاقات معينة خشية ان يطفى اثره على القضاء الذي هو المؤسسة العامة لاقامة العدل . كما اشرنا الى ان التحكيم يتوفر على عدة مزايا متجسمة في سرعة قراراته وفي قدرته على حل المشاكل ذات الصبغة التقنية .

لقد عرف الانسان التحكيم قبل ان يعرف القضاء، وبالرغم من ان المجتمعات المنظمة نصبت القضاء واحداثت المحاكم لاقامة العدل بين الناس ، فقد ظل التحكيم ملجأ نافعا لفض اصناف النزاعات على طريقة تخفف من مشقة الترافع وتضمن الوصول الى حلول عملية يرضاها الخصوم . ذلك ان التحكيم نابع من الحاجة والضرورة ولم يكن قط وليد فكرة او فلسفة . والمتبع لتطور التحكيم في الفقه والقانون يرى ان التحكيم نشأ وتطور مع التطورات الاجتماعية والاقتصادية وسائر المتطلبات والتقلبات البشرية ، فكان بذلك محظ انظار الفقهاء عبر العصور سواء في الشرق او في الغرب ، واستهدف الى حركة مد وجزر غيرت وجهه ونقحت موادها في سلسلة من المجلدات الذهبية والمدونات القانونية .

والدليل على ذلك مدى الخلاف القائم بين ائمة المذاهب الفقهية حول صفة المحكمين وقوة الاحكام التحكيمية ، فقد راينا ان المالكية ينزلون المحكمين منزلة القضاة ويعطون لاحكامهم قوة الشيء المقضى به بينما المذاهب الاخرى - من شافعية وحنفية - تعتبر حكم المحكمين على وجه الشهادة او الوكالة ، كما ان هذه المذاهب على اختلافها غير متفقة في الراي حول لزوم حكم التحكيم ، فابو حنيفة ومالك متفقان في اللزوم ، والشافعي لا يجيزه ، وبذلك يمكن القول بان فقهاء الاسلام نظروا الى التحكيم نظرة حذر واتجهوا في تطبيقه اتجاهات لم يكن الفرض منها فحسب هو السخيف عن القاضي وعن الناس من مشقة الترافع او الرغبة في ايجاد الحلول الناجعة لثنى النوازل ذات الصبغة الخاصة المتسمة بنوع من التعقيد ، بل اجتهدوا ايضا لحصره في نطاقات معينة وقيدوه بثنى القيود خشية طغيانه على سلطة القضاء لان الاسترسال على التحكيم في نظرهم « خرق لقاعدة الولاية ومؤدي الى تهارج الناس » .

وقد شرحنا في البحث المتقدم كيف ان القانون المغربي تأثر في مدونة الاحوال الشخصية بمختلف آراء الفقهاء في مجال التحكيم فاخذ حديثا براي الشافعية حول المهمة المسندة للمحكمين في النزاعات الزوجية بينما كانت هذه المادة خاضعة فيما سلف لمذهب المالكية . وكان الهدف من هذا الاتجاه الجديد هو تجريد الحكمين من سلطة الحكم بالتفريق بين الزوجين .

اصبح العمل باشتراط التحكيم لاغيا بحكم المحاكم على اثر قرار الغرفة المدنية الصادر بتاريخ 10 يوليوز 1843

منذ ذلك لحين عاش التحكيم بفرنسا فترة كاد ، يختفى فيها اثره ، الا ان متطلبات الانقلاب الصناعي والحركة التجارية والبحرية التي عرفتها بعض دول لعالم في نهاية القرن التاسع عشر الفتت من جديد انظار المشرع الفرنسي الى اهمية التحكيم ، ومع ذلك فلم يستقراري المحاكم بفرنسا على الاخذ باشتراط التحكيم في العقود التجارية الا بعد انصرام فترة طويلة من التردد والمد والجزر وكان ذلك باعشا للبرلمان الفرنسي على التصويت بتاريخ 31 دجنبر سنة 1925 على قانون اضيفت بمقتضاه فقرة جديدة للمادة 631 من المجلة التجارية بجواز اشتراط التحكيم فيما قد ينشأ من نزاعات بشأن تنفيذ العقود التجارية .

ومنذ ذلك العهد اتخذ المشرع الفرنسي التحكيم الارادي او الجبري وسيلة لفض عدة نزاعات (1) ، الا ان اجتهاد المحاكم الفرنسية لم يقر لشرط التحكيم فيما عدى العقود الخاصة بالتأمين البحري ، وبالالتزامات والمبادلات التجارية والاتفاقيات الجماعية للشغل ، والنزاعات الناشئة بين الشركاء المشاعين في العقارات (2) ففي كل هذه المواد صدرت نصوص جديدة لتنظيم الشرط التحكيمي وتقنيته مما يجري به العمل في الحاضر .

وهكذا عرف التحكيم بفرنسا منذ عهد فير بعيد انطلاقته القاية التي لم يكن الداعي اليها انتصار فكرة او تلك ولكن لانها كانت نابعة من الحاجة الماسة والضرورة الملحة . (3)

بعد هذه اللمحة الخاطفة عن اصول التحكيم وتطوراته في الشرق والغرب وبعد ان اتينا على اهم المبادئ العامة في ميدان التقاضي بطريقة التحكيم وعن بعض المقارنات سواء في مجال التشريع او القضاء ، وبرزنا عدة جوانب متشابهة واخرى غير متشابهة ، فهل لنا ان نستخلص شيئا مما قدمناه لنصل الى تخطيط صورة واضحة عن مؤسسة التحكيم في القانون المغربي ؟

ان ما نستخلصه بكل وضوح هو ان المشرع سواء في الفقه الاسلامي او في القانون الغربي ، استقر رأيه على الاخذ بطريقة التحكيم في ميدان التقاضي على ان ينحصر مجاله في نطاق معين ، وان يخضع لمسطرة دقيقة للحد من سلطة المحكمين ، وان تخضع الاحكام التحكيمية لمراقبة القضاء مع توفير وسائل الطعن ؛ وسنرى في ابحاث اخرى كيف عالج المشرع المغربي كل ذلك ، محاولين القاء نظرة فاحصة على اجتهاد المحاكم وسرد بعض الامثلة التطبيقية تكميلا للفائدة

مكناس : حسن الحجوي

- (1) انظر على الخصوص قانون 28 يونيو 1948 بشأن العقارات المشاعة وكذا قانون 18 ابريل 1946 حول الملكية التجارية .
- (2) راجع « هامل » الشرط التحكيمي في العقود التجارية :
- (3) طالع تأليف « جان روبير » في موضوع الحاجة الى التحكيم ومنفعته في بعض الميادين ، الطبعة الثانية سنة 1955 .

Jean Robert : Traité de l'arbitrage civil et commercial en droit interne.

الناس على الولاية والحكام ولا يأخذون الولاية من أيديهم . . فيتضح من مقارنة المذاهب الثلاثة أن المشرع المغربي اتخذ موقفا وسطا بأن قنن مادة التحكيم تقنيا ضيقا وأخضعها لمراقبة القضاء وقرر بأن حكم التحكيم لا يلزم الخصوم إلا بعد إضفاء الصيغة التنفيذية عليه من طرف رئيس المحكمة ، وقد تقدم شرح ذلك في الجزء الأول من هذا البحث (2) .

هذه لمحة عن أصل التحكيم ومشروعيتها في الفقه الإسلامي :

أما في القانون الفرنسي ، فالبرغم من أن التحكيم كان متداولاً بين الناس لفض أصناف النزاعات وأن اللجوء إليه كان أمراً طبيعياً عايش الضرورة والحاجة، فإنه لم يصبح مؤسسة ذات أهمية ولم يعتبره المشرع الفرنسي وسيلة مشرعة من وسائل التقاضي ولم يعره فقهاء القانون عنايتهم إلا بعد أن قضى به مرسوم 16 غشت سنة 1790 فكانت أول بادرة لتقنين التحكيم الإرادي .

وبعد ذلك قضى مرسوم 10 يونيو 1793 بالتحكيم الإلزامي في عدة مواد وبالأخص في المنازعات المتعلقة بعقارات الدولة والممتلكات الجماعية . وادى ذلك إلى إدراج عدة نصوص جديدة بمجلة المرافعات المدنية لتقنين التحكيم الإرادي ؛ ولئن كان قانون المسطرة لم يفرض قط اللجوء إلى التحكيم ، فإن بعض أبواب المجلة التجارية نطحت بكيفية أصبحت معها عدة مواد خاضعة للتحكيم الجبري ، وهكذا قضت الفصول 51 إلى 63 باللجوء إجبارياً إلى طريقة التحكيم في جميع المنازعات الناشئة بين الشركاء بشأن الشركة، إلا أن هذا الإجراء تار عدة انتقادات ومعارضة شديدة أدت إلى إلغاءه بمسعى قانون 17 - 23 يوليو 1856 ، ومع ذلك فقد أكدت المادة 332 من نفس المجلة مقتضى اشتراط التحكيم فيما قد ينشأ من نزاعات حول تطبيق العقود الخاصة بالتأمين البحري ، أي التخصيص بتلك العقود على لزوم اتفاق المتعاقدين لعرض أية منازعة تثار بشأن تنفيذها على محكمين . . . وبالرغم من ذلك فقد كان منهج اجتهاد المحاكم الفرنسية يميل إلى رفض الشرط التحكيمي في مي عقد من العقود إلى حد أن

وبالرغم من أن اتقاد الحكم بين اليهود كان حق الاساقفة فان الامام اذا حكمه اهل الكتاب جاز اتقاده للحكم ولا يلتفت الى الاساقفة ، فيكون من باب الاحروية انه ان حكم مسلمان بينهما رجلا نفذ حكمه من دون ان يعتبر رضا الحاكم ، اذ الحكم ليس بحق للحاكم على الناس وانما هو حق للناس عليه وهكذا لما حكم الكتائبون النبي (صلعم) نفذ عليهم الحكم ولم يكن لهم الرجوع فيه ، وكل من حكم رجلا فاصله هذه الآية . (1)

ولما كان سند المالكية في حكمة مشروعية التحكيم هو المبدأ الذي يقضي بأن الحكم بين الناس إنما هو حقهم لا حق الحاكم وكان الاسترسال على التحكيم خرقاً لقاعدة الولاية ومؤدياً إلى تهاجر الناس أمر المشرع بنصب فاصل وهو القاضي ليحسم قاعدة الهرج وفي نفس الوقت اذن في التحكيم تخفياً عن القاضي وعن الناس في مشقة الترافع لتتم المصلحتان وتعم الفائدة فكان هذا المبدأ أساساً لقول مالك : « إذا حكم رجلاً فحكمه ماض ، وإن رفع إلى قاض (أي في حالة الامتناع) أمضاه إلا أن يكون جوراً بيناً . ومنه قاعدة سحنون « يفضيه إن رآه » « أي أن كان موافقاً للشرع » ، وفسره ابن العربي « وذلك في الأموال والحقوق التي تختص بالطالب فاما الحدود فلا يحكم فيها إلا السلطان والضابط » . طيؤخذ من ذلك أن كل حق اختص الخصمان به جاز التحكيم فيه ونفذ تحكيم المحكم به ، وهو نفس المعنى الذي ورد في الفصل 527 من قانون المسطرة المدنية الذي ينص صراحة على أن لكل الأشخاص أن يتفقوا على التحكيم في الحقوق التي يملكون التصرف فيها ، ولا يجوز التحكيم في المسائل التي تتعلق بالنظام العام الخ . . . وفي المجلة التونسية : « في الأمور المتعلقة بالنظام العام . . . وفي كل النزاعات الأخرى الواجب عرضها على النيابة العمومية » .

ويتفق أبو حنيفة مع مالك في لزوم حكم التحكيم بشرط أن يوافق حكم قاضي البلد . . أما الشافعي وإن كان يجيز التحكيم فهو لا يقول بلزوم الحكم التحكيمي ، فهذا في نظره إنما فتوى لانه « لا يقدم أحاد

- (1) راجع تفسير ابن العربي صفحة 257 .
- (2) انظره تحت عنوان : « المعنى الشرعي والقانوني للتحكيم » دعوة الحق ، العدد 6 ، السنة 10 ، صفحة 55 - راجع أيضاً كيف تذييل صكوك التحكيم التنفيذية ، « الحمد لله بعد عرض صك التحكيم السند الشرعي فامر بامضائه والعمل بمقتضاه »

اضمنا بني الاسلام وحدتنا التي
فان رمت في الارض عزا توحيدوا

* * *

يقام عليها مجدنا ويشيد
فكم نيل بالتوحيد عز وسؤدد

ويا قادة العرب الكرام الى متى
وتلك اراضيكم تضج لحالها
وفي المسجد الاقصى بأول قبلة
وتلك فلسطين الشهيدة كلها
يلاقون من خسف العدو ومكره
وفي قبة الصخراء حيث « محمد »
نرى زمرة الاوغاد شر عصابة
سماحا اذا ما قلت حقا بأننا
فما انا الا مخلص لعروبتى

* * *

يطيب لنا في الدل مرعى ومورد
يعيث بها الباغي الحقير ويفسد
تهدم آثار ويحقر مسجده
ارامل ايتام شيوخ تشردوا
ماسي لا يقوى على حملها الصلد
الى الافق الاعلى ينادي فيصمد
تهدم منها ما تشا وتبدد
على مسرح الاحداث لفر معقد
ولي في بيان الحق قول ومقصد

ايا ابن رسول الله يا خير من دعا
مساعيك يا مولاي يرجى نجاحها
وانت لعمر الحق اول من راي
قدم افقا للدين والعرب جامعا
وعيدك يا مولاي عيد مبارك
رعى الله يا مولاي اسرتك التي
سترفل في عز يواقيت عرشنا

الى الوحدة الكبرى تصان وتعضد
لأنك يا مولاي تسمى وتجهد
بان اجتماع العرب امر مؤكد
تؤمك آمال الشعوب وتقصد
سعيد على مر السنين يجدد
يعز بها الشعب الوفي ويسمد
وشبل امير المؤمنين « محمد »

الرباط : عبد الرحمان الدكالي

السبت 11 - ربيع الاول 1388

ويولاه الحبسلة

فذكرى وعبرة

للأستاذ الشاعر عبد الرحمن الدكالي

بأنك محمود وانك « احمد »
فانت عظيم الخلق انت « محمد »
وما الحق الا ما حيت تردد
وان كان ضوء الشمس بالكفر يجحد
وآثرت لقيا الله والدين يصمد
يعزبها الاسلام طورا وينكد
وفي عهد فاروق يسير فيعهد
وفي كل يوم مجده يتجدد
فما فيهم لله الا الموحـد
او العزم الا عزمه والتجلد ؟
وما كان من جد يقيم ويقعد ؟

هو الله يا خير الورى لك يشهد
سما بك في القراءان وصف مرتل
فما النور الا نور هديك في الدنا
وما زال شما في الورى دين « احمد »
ويا خير خلق الله منذ تركتنا
توالت على الاسلام بعدك اعصر
ففي عهد « صديق » تعاظم شأنه
اتم له النصر المبين على العدا
سلو « قيصر » عنه و « كسرى » وفارسا
هل البأس الا بأسه وثباته
او الدين الا ماراوا من جهاده

* * *

تصاغ لها الامداح في الارض تنشد
نسد فيها ازيانا ونحد
اما زال هذا الدين في الارض يحمد ؟
افى امة الاسلام راى موحـد ؟
يصان بها الاسلام دوما ويسعد ؟

لئن كانت الذكرى احتفالا بمولد
فان لنا فيها اذكارا وعبرة
وننظر للاسلام دين « محمد »
افى امة الاسلام عزم وقوة ؟
امولد هادى الخلق مولد امة

فانعم بها ذكرى تطيب لامة
لقد كان حب الخير يحفز سيرنا
فيا حبذا اوطاننا في كفاحها
ومرحى بميلاد الرسول وعزمه
الم تك ذكراه الحبيبة بلسم
الم يكفه فخرا ومجدا وصوله
لقد كانت الاشواق تحرق اكبدا
لئن لعب الباغون واشتد كيدهم
تهون حياة المرء ان ضاع مجده
لقد ولد العيد السعيد خلاصنا
وما الفضل الا للمليك وسعيه
ومرحى بعيد كان للناس عبرة
ونحن به صرنا من الكون امة
وان لنا في العيد طيبا نشمه
وروح رسول الله نشوى بعاهل
وفي (الحسن الثاني) من المجد امة

ذكرى حلوة ، ومعجزة كبرى

لقد كان ميلاد النبي محمد ،
يباركة فوج الملائك غدوة
ففيه من الذكرى حلاوة وقمها
الم تر مثلي يا اخي الجو دافئا
الم تر مثلي حولك العطر عابقا
اشاهد في عيد النبي محمد ،
وامعن في التفكير حتى كأنني
فلبيك يا تاج الانام وكنزهم
خبث نار كسرى حين أصبحت مشرقا
ويا منقذ الدنيا ، وناشر سلمها
ويا قاهر الشرك البغيض وقومه
لقد كنت برا راحما متمسكنا
ورمت (حراء) في انفراد وخلوة

موحدة ، للحق تهفو وتغضب
وفي قلبنا روح بذلك مشرب
وقد بارك الرحمن ماهي تنجب
وطوبى له ، وهو الهمام المدرب!
تضمد جرح المخلصين وتراب ؟
بان حفه من هبة الله موكب ؟
فما خاب في آماله المترقب
فما كانت الاقدار تلهو وتلعب
وتحلو كؤوس للمنون وتعذب
فراح يباهي الشرق بالعز مغرب
فنحن له الابناء وهو لنا اب
فنحن به بين الانام نرحب
لها شوكة بين الخلائق ترهب
فأحبب به عطرا الى العرش ينسب
تحدر منها ، وهو في النصر يطرب
ارى الدهر من آياتها يتمجب

يشير بالخير العميم ويعرب
وجبريل من لائله يتهيب
وفيه من التاريخ فصل محب
وفيه حياة كلها تتكهرب ؟
الم تشهد الاجواء والارض ترجب ؟
من الفن الواحا تروق وتخلب
اشاهده روحا من الروح يقرب
ويا باعث الآمال حين تخيب
فأمن في انجيله المترهب
اذا ما دهاها في الرزية مخلب
ويا كاسر الاصنام ، والكفر عقرب
بملتك السحاء ، ان راغ ثعلب
فكان عليك الوحي في الفار يسكب

ميدان النور

لأستاذ محمد بن محمد العلي

عواطف شاعر مسلم :

فكم ينجلي بالشعر شك وغيب
كما يأمر الوجدان ، والطبع اغلب
وهل ترجمان القلب يعنى ويكذب؟
يشاهد في الشعر مع المؤدب
وما الحبر الا همه تتوثب
اذا اصبحت ارزاؤه تتألب
ونعم الضمير الطيب والمتطيب
عن الحق لا تلوي ولا تتنكب؟
شقاء لها ، فالحق لا يتحجب
أعز مجال للنفوس وارحب
فان بلادي في الحوادث اشيب،
وفي طفرة التشييد تسمى وتداب
ولكنها في نصرة الله تضرب
فما افلحوا لما تناجوا وغربوا
فنحن لنا الايمان بالنصر مأرب
فقد ملأ الدنيا ، وخاب المكذب
مباركة في ظلها نتقلب
ويضرم روحا في الشباب ويلهب

أرى الشعر اسمى ما يقال ويكتب ،
أصور نفسي في القريض صراحة
وان لسانى كالحسام صرامة ،
ومن مارس الايام مثلي ، فانه
تساورني في ثورة النفس هزة
وليس دليل الحر الا ضميره
فنعم الضمير الحر صوت مجلجل
وما قيمة الدنيا بغير ضمائر
اذا كان في شر النفوس وبغيها
رجوعا الى النهج القويم ، فانه
اذا شاب قلبي في ربيع شبابه
ولكنها في مفرق الدهر درة
لكم رماها كيد الاعادي سفاهة
وقد شرقوا في كل ناد بكذبة
لئن كان الاستعمار لم يقض مأربا
سلام على نور النبي محمد
وفي المغرب الاقصى من العيد نشوة
هو العيد يملئ في البلاد دروسه

وما رمت الا الحق تنشر نوره
وقابلت اهل الظلم بالحلم والحجى
لقد حفظ التاريخ منك روائعا
وتربية الرحمن عز منالها
غزوت قلوبا لا جسوما ، فاسرعت
وشرفت في الانساب نسبة هاشم
و (مازيغ) بالاسلام يزداد نخوة
يوحدنا الاسلام قلبا وقالبا ،

* * *

فما كان يغويك البنان المخضب
فاصبح صرح البغي يهوى ويعطب
وانصتت الدنيا لما انت تخطب
وانت بها فوق الورى تتجلبب
اليك تروم الصلح بكر وتغلب
فباهت بدين الله في الكون يعرب
وذاك لعمرى ما يشوق ويعجب
وتاريخنا آياته ليس تحجب

توحدت الاضداد في حب مرسل
ولولاه لارتد السلام مهددا
فيا ايها المبعوث بالحق شرعة
لقد اصبح الانسان ينحر نفسه ،
وقد سخر العلم الرفيع لغاية
وقد ختم الصاروخ سيرا موقفا
نسير الى غزو الغضاء بهمة
لقد ضاقت الارض الرحيبة بالورى
الى اين نمضي والسلام مهدد ؟
فاما سلام في الوجود جميعه
امانا رسول الله ، ان قلوبنا
امانا حبيب الله ، ان نفوسنا
ارى النور في الصحراء قد لاح فجره
الا يا رسول الله ، ها انت واحدة
اتيت فكان اليمن فيك سجية
فكل فؤاد انت نبض حياته
وانت رييع العالمين جميعهم
فشكرا على ما ابديته من رشاقة
يباركك الله العظيم بلطفه
فياحبذا دين النبي محمد

الى الناس طرا ، في الهداية يداب
بتلك الدماء الحمر اذ تنصيب
الا تلهم الدنيا سلاما يحب ؟
فهذي دماء في البرية تشخب
تهدد أمن العالمين وتنشب
الى القمر العالي ، وفاز المصوب
تجاوز أجواء الثريا وتعقب
فراموا من العلياء منوى يقرب
الى اين نسمى والبناء مخرب ؟
واما فناء ناره تلهب
على فرق ، ترجو ولا تتريب
لها ثقة في العفو ، لا تتهيب
وقد زعموا الصحراء تقسو وتجذب
تراها زكي بالنضارة طيب
واي بلاد من بلادك اخصب ؟
وانت على العلياء تاج مذهب
وان انكر الاسلام جهل مركب
وانت الصريح المستفيد المجرب
وليس لما ابرمته من يعقب
وقد جاء في خير البرية يرغب

وما انت الا الطيب ينشر عرفه
تأملت في سر الحياة وفنها
جمعت جمال الكائنات جميعها
تحملت من شر العداة ومكرهم
اتتك من النصر المبين كتاب
وحاشاك يا نبع الهداية والتقى
دعوك امينا في الشباب فلم تخن
وجدت امام العين شعبا مفككا
فقممت تنادي القوم لله جهرة
وانفسهم لم تقبل النور هاديا
وكم نصبوا احبولة لم تفدهم
وكم قتلوا او شردوا من موحد
وليس يفيد العجب قوما تنكروا ،
لقد طلبوا امرا تمذر نيله
ارى الحق يسمو في سمو جنوده
دعوت لدين الله والفطرة التي
وجئت بقرآن حكيم منزل
فقد اعجز السحر البليغ بيانه
وهاجرت ارض الدل من بعد محنة
تمكنت كالطود العظيم ثباته
تغربت في الحق الصراح ترومه
ولم تفد الكفار ادنى دعاية
وفي ثورة البحر الغضوب تلاحقت
وشيدت للاسلام مجدا وعزة
 واصبح هذا الكون كالروضة التي
وعلمتنا معنى الاخاء ، وبعثتنا
ولقنتنا معنى الثبات وسره
وكننت لنا في الله احسن اسوة
لقد عكر الاتحاد صفوا لامة
ودينك دين العالمين سليقة

وذكرك في كل المجالس طيب
وكننت عن الحق الصراح تنقب
وصرت على هام الخلود تنصب
صنوبا ، فلم يجذبك في الفئ مذهب
تفل طفاة في الضلال تحزبوا
فانت لدين الله والحق تجذب
وانت الى الامثال في الناس تضرب
عقائده في غيها تشعب
فلامك منهم جاهل متعصب
فكانت مع الاهواء تطفو وترسب
فان مراس الحر في الناس يصعب
فما هم تحاشوا مؤمنا او تادبوا
اذا ما انجلي في الحادثات المسبب
وقد حقق الرحمن ما انت تطلب
فيبقى عزيزا ، والباطيل تذهب
تسامت ، فما فيها افاد التعصب
بلاغته آياتها تتلهب
واسراره في الروح لا تتغيب
فلاقتك في الاغراح والانس يشرب
فما كنت تشرى بالوعود وتجلب
وي حبذا من في الملا يتغرب
ولكنهم صفر الاكف وانؤب
من الحق اجناد تضج وتصخب
وقد كنت للشرك اللعين تخرب
تظهر من اغصانها وتشذب
من الحب قوما بأسهم متهب
فانت الذي في الحق لا تتذبذب
وانت زلال سائغ منه نشرب
بعثت بها ، فانزاح وحل وطحلب
وروضته ازكى لنفسي وارحب

فِي ظَنَائِلِ الْفَرَّانِ سِرْنَا ...

للاستاذ الشاعر أحمد بن أبي شعيب الدكالي

عظم اليوم عظم المولود
كان في الارض والسما محمود
فأصوغ القريض والتمجيذا
به وقد نال رفعة وخلودا
لفصيح بأن يكون مجيدا
بقصيدي واستطيب النشيدا
اذ غدا الكل بالسعيد سعيدا
مصلحا قائدا وشهما مجيدا
مشمخرا وعبقريا فريدا
وحباه الاله عزرا تليدا
رب كل العباد درا نضيدا
عريبا ارومة وجدودا
حي فيه النهى وحين جودا
هو دين على المبرة شييدا
ونزاعا وائرة وجمودا
وحبا الكل قوة وصمودا
عبدوا الغير قسوة وجحودا
ومنيرا لنا الطريق الرشيدا
وانشدوا الهدي واطلبوه المزيد

اي نور انار هذا الوجودا
اي شعمر ابشه في نبي
اي لفظ يبين عن كنه نفسي
ليت شعري بأي لفظ احيا
مدحته أي الكتاب واني
غير اني اروم مدحا واشدوا
سعد الخلق كله برسول
فاشد ذا اليوم بالرسول ومجد
سيف حق وخاتم الرسل طودا
قدسته الاملاك والرسل طرا
كان لكل رحمة واصطفاه
صفوة الخلق سيذا وكريما
قد دعا الخلق كله لرشاد
واتانا بدين حق وعادل
لم يشا للعباد شركا وجهلا
بل دعا الكل لاتحاد صفوف
ونهى الكل عن عبادة قوم
داعيا مرشدا امام هداة
اعبدوا الله وحده واشكروه

دماء وإتهال :

فيا رب اني بالنبي وآله
بعثت شفيح العالمين محمدا
وفضلك عم الكائنات بأسرها
الهي ان عز النصير فحالتني
الهي ان حم القضاء فانت لي
اذا كنت ترضى فالحياة لذيذة
بحكمك تبدو الشمس في الصبح للورى
وتحيي مواتا في البلاد سحائب
لقد هالتني صوت الضمير معاتباً
الهي وحد في الاخاء صفوفنا
تسربت الاطماع في كل شيعمة
ورحنا مع الاغراض صرعى ، وداؤنا
الهي الهمني البيان ، فانه
الهي انت المرتجى للممة
أعني على حمل الحقيقة صرفة
فرب شعور كانت الروح تبعه
الهي نور بالصفاء قلوبنا
الهي بارك في النبي وآله
وسلم عليهم كلما حن طائر
ودارك كسور المسلمين بجبرها
وخلص (فلسطين) الشهيدة ، انها
وعم سلاما في الانام جميعهم

اليك دواما بالحشا اتقرب
ومنه اهتدى عرب وترك وصقلب
فما خاب للقصاد عندك مطلب
كما انت تدري حالة ليس تعزب
أمان ، وحمدي في جنابك اوجب
وليس لنا تقضيه فينا تقلب
وتحجبها عند المساء فتغرب
تجود بها ، والروض يزهو ويعشب
واحسن ما في النفس صوت يؤنب
ولا تدع الاحقاد تطفى وتغلب
ولم ندر ما عن مكرها يترتب
عسير ، ولكن انت للحق ترقب
قوام لما يشفي الصدور ويكتب
اذا ما غدا وجه الخطوب يقطب
يصورها مني اليراع المثقب
يلوح كما لاح الحمام المدرب
فقد كانت الاحقاد داء يجنب
ومن كان للذات الشريفة يصحب
وسلم عليهم كلما انهل صيب
فما كنت للآمال فينا تخيب
علي مضض في قيدها تتقلب
فلطفك اجدى للشعوب وأقرب

محمد بن محمد العلمي

مولد النور والسلام

للشاعر محمد العزبي الشاوش

اقدم هذه القصيدة الى مقام حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله على صفحات مجلة « دعوة الحق » الغراء . وقد جادت بها القريحة بمناسبة زيارة جلالتة لمدينة تطوان في صيف سنة 1962 واحيائه بها ليلة المولد النبوي الشريف .

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| بمولد احمد خير الانام | بدت في السماء بدور السلام |
| بذكرى رسول الهدى والسلام | وباتت جميع القلوب تشاوى |
| بذكر النبي الشفيع الامام | فلست ترى غير من يتغنى |
| عليه بلحن كجع الحمام | ولا تسمع الاذن الا صلاة |
| على المصطفى ببديع النظام | فكم منشد بات يتلو ثناء |
| سلاما زكيا بكل انسجام | وكم مادم بات يهدي اليه |
| عليه السلام بدون منام | وكم عاشق بات من حبه |
| ويرجو الشفاعة يوم الزحام | يصلي عليه بكل خشوع |
| اتى بكتاب رفيع المقام | ويذكر في بهجة فضل من |
| فبدد نوره كل ظلام | اتى بكتاب كريم مجيد |
| واخلاقه مع بليغ الكلام | واحي القلوب بحكمته |
| ثناه عن السير زيغ اللثام | وبشر كل الخلائق ما |
| وطورا بطعن القنا والحسام | محا الشرك طورا بدعوته |
| وامست انوف العدا في الرغام | فاصبحت الارض طاهرة |
| حريص على الخلق كهف المضام (1) | بشير ندير رؤوف رحيم |

(1) كهف : ملجأ - المضام : المظلوم المقهور

واعملوا بالكتاب قولاً وفعلًا
انه النور روعة وبهاء
قد دعانا لعزنا وكفانا
ودعانا لخير دين ودنيا
حرر العقل والعقيدة نادى
اجمعوا امركم بجد لتحيا
امة ترهب العدو وترعى
تنشر الامن والسلام وتسمى

* * *

انه الحق قوة وصمودا
هو دستورنا الذي لن يبدا
اننا فى سوى اتباعه لن نسودا
كلنا نصطفيه ذكرا حميدا
حرروا الراي واجعلوه سديدا
امة تنشأ الحياة الجديد
كل ما فيه عزها والعهد
ان ترى الناس فى البناء جنودا

فى ظلال القرآن سدا وكنا
واباة ائمة وهداة
قد حكمنا الشعوب بالعدل دهرًا
وسعدنا بديننا واخاء
ما لنا قد اصابنا الذل حتى
ورمانا بالشر كل عدو
طهر اللهم ارضنا من طفاة
طهر اللهم قدسنا من عتاة
شردونا وامعنوا فى اضطهاد
رب رحماك اننا قد اهنّا
فاجمع اللهم شملنا باتحاد

رغم انف العدو طودا عتيدا
عن حمى الحق والهدى لن نحيدا
ورفعنا لواءنا والبنودا
وركبنا الحياة عيشا رغيدا
اصبح الاسد فى البلاد عبيدا
واستبيح الحمى فصار وحيدا
جعلوا الحق قوة وحديدا
يتوا الشر والخراب المبيدا
قتلوا الشيخ والنسا والوليدا
باختلاف وفرقة لن تفيدا
واخاء ؛ وفك عنا القيودا

الرباط : احمد ابن ابي شعيب الدكالي

فهيأ بني قومي وارنوا اليه
فمن وجهه البشر يشملكم
امام البلاد عليك اعتمادي
قدم للبلاد عزيزا عظيما
وزادك ربك عزا ومجيدا
سلامي عليكم وحسن ثنائي

تفوزون من وجهه بابتسام
ويذهب ما بالحثا من سقام
فانت الملاوذ للمستضام (10)
وللشعب تخطو به للامام
وللمغرب الحر ابقاك حام
وشكري لكم هو مسك الختام
تطوان - محمد العربي الشاوش

(10) الملاوذ : (بفتح الميم وكسر الواو) المؤازر -
المستضام : المظلوم .



بهي جميل حلیم کریم امام الشفاعة فخر الانام

* * *

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| ويا سيد المرسلين الكرام | نبي الهدى وعميد الندى |
| وحوضك فاسقني انه طام (2) | أفغني وكن لي شفيما غدا |
| تنور رمسي بين الرجاء (3) | عليك من الله الف صلاة |
| عليك من المخلص المستهام | والف سلام زكي ندي |
| بنور اليقين وروح الوثام | هديت القلوب انرت العقول |
| يضيء لنا في دياجي الظلام | تركنت لنا الدين نورا بهيا |
| ويحميه صنو الملوك العظام (4) | يقوم عليه امام همام |
| امام الائمة سبط الكرام (5) | حفيدك هذا المليك المفدى |
| جئت ثم حطت بكل احتشام (6) | جميع القلوب لهيبتة |
| وتشهد انه للدين حام | وبانت تغني بامجاده |
| هو العلوي سليل الامام (7) | هو العربي الكريم الابي |
| هو المرتجى للامور الجسام | هو المغربي الزعيم الكمي |
| هو المصلح العدل راعي الذمام | هو العبقرى النبیه الذكي |
| لخير البلاد ونيل المرام | هو « الحسن » المحسن المرتجى |
| كشمس تبدت بدون غمام | له في سبيل الحمى خدمات |
| تفوق ندى حاتم ذي الخيام (8) | له في سبيل النهوض اباد |
| وطالعه في سما السعد سام | تقي نقي عليه وقار |
| فانعم به من امام همام | جواد كريم وشهم نبيل |
| علينا وبرك كالغيث هام (9) | امولاي فضلك حقا عظيم |
| وتفزو السمادة قلب الانام | فاين حللت يحل الهنا |
| لاحياء ذكرى رسول السلام | اتيتم لتطوان في ليلة |
| طلعت عليها كبد التمام | فاذهبت عنها الكروب كما |
| ونيل رضاكم وكل اهتمام | فطوبى لها بزيارتكم |

(2) طعام : ممتليء فائض

(3) الرمس : القبر - الرجاء : جمع رجمة وهي كتلة من الحجارة كناية عن القبر

(4) الصنو : الابن ، الاخ الشقيق - (5) السبط : ولد الابن والابنة ، الحفيد .

(6) جئت : جلست على ركبته - حطت : نزلت ، وضعت الحمل - احتشام : حياء .

(7) سليل : من السلالة ، الولد ، صفوة الشيء وخلاسته ، يقال هو سليل الكرام ، وهو من سلالة طيبة ،

والمراد بالامام : الامام علي كرم الله وجهه . (8) حاتم الطائي العربي الذي يضرب به المثل في الجود

والكرم . (9) الغيث : المطر - هام : هائل متدفق

واين مسيح الله ينقذ مهده
واين رسول الله يرسل جيشه
واين سيوف الله في كف خالد
وحزمة ؟ والمقداد ؟ اين جميعهم ؟
واين صلاح الدين والجيش حوله
واين ابن تاشفين ؟ وطارق قبله



باياته العظمى يدك الرواسيا ؟
يظلل القرآن في الله غازيا ؟
وكف علي كي ترد الاعاديا ؟
جميعهم باعوا النفوس الفواليا
ينظم ابطالا ويجزي جواريا ؟
لاجل رضى الباري يجاهد راضيا ؟

انادي . فلا صوت يجيب ، ولا فتى
الهي . فلن ارجو سواك لمحتني
سألتك بالاسماء طرا وحققها
باسمائك الحسنى وحق صفاتها
فيا مالك الملك العظيم . وخالقي .
واصلح امور المؤمنين وجمعهم
وطهر بلاد القدس من كل معتد
وانقذ مغاني القدس من كل فاجر
والق سلاح الرعب في قلب ظالم
جنودك يا الله سر مغيب
وما « الذر » و « النبال » الا مظاهر
فهيمن عليهم يا مهمين ، واجعلن
دعوتك رحمانا رحيمًا وبارئنا
واشكر وهابا على كل نعمة
تباركت من بر ، عزيز ، مصور
تدارك الهي بالهداية امة
ويا مالك ، حق ، مجيد ، وواحد
وانت بصير ، خالق ، ومهيمن
غفور ، ورزاق ، شكور ، واسع
سلام ، وفتاح ، معز ، ورافع
فيا مؤمن ، امن مخاوف امة
فأنتك ثواب ، لطيف بخلق
سميع خبير ، باسط ، ومقدم

يسمرها حربا تكون الدواهي
تدارك الهي محنتي وشقائيا
سألتك بالاعداد جهرا وخافيا
تقبل ايا ربي . جميل دعائيا
تكرم على الاسلام بالنصر آتيا
وصيرهم قلبا محبا وواعيا
وصير منار الحق في الافق عاليا
وخرب عليهم ملجا وصياصيا
يخرب ابياتا ، ويخضع جاثيا
فأرسل عليهم صيحة وغواثيا
اذا جاء نصر الله صارت اثافيا
ديارهم قاعا يبابا خواليا
رجوتك قدوسا ، دعوتك هاديا
رؤوفا ، حلما للمواهب مبديا
عظيم ، مجيب لا يرد الدعاويا
وكن عونها عدلا ، قويا ، وباقيا
كفى بك جبارا تصد العواديا
عليم ، وقهار لمن كان طاغيا
فأعظم به حيا حفيظا وواليا
جليل ، كريم ، لا يخيب راجيا
انت تترجي الغفار صفحا الهي
اذا بلغ الخطب الشديد التراقي
له الحمد في الاولى ، له الحمد ثانيا

إليك الهى

لأستاذ أحمد بنسودة

حج سفير الملكة المغربية بالجمهورية اللبنانية الأستاذ أحمد بنسودة هذه السنة ... وبعد أن طاف طواف الوداع بعد صلاة المشاء يوم الاثنين 12 ذي الحجة 1387 تذكر مصيبة المسلمين ، واحتلال الصهاينة للمسجد الأقصى فآلهم الله سبحانه وتعالى نظم هذه المناجاة والتوسل بأسماء الله الحسنى لرفع الفيم عن المسلمين ، وإعادة المسجد الأقصى الى آله ...

ولم ينم سيادته تلك الليلة حتى آتم نظم قصيدة سماها « الزمزية » مؤملا ان يستجيب الله دعاء من دعا بها نظرا للمكان التي نظمت به ، ولأسماء ، وانها تشتمل على جميع أسماء الله الحسنى التي أمر الله ان ندعوه بها حيث قال : « ولله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها » .

فبارك الهى حجتى ودعائى
وحاشاك ربي أن ترد بكائى
وان مرضت نفسي فانت دوائى
فيا فرحتى ان صرت عبدا موالى
فأنعم فؤادى حكمة ومعاني
جوادا كريما منعمًا ومواسيا
وما خاب من يهفو لجودك ساعيا
خلاص فؤادى من ذنوبى وما بيا
وملت من الدنيا جديدا وباليا
وقد اصبح القدس الشريف ملاهيا
وقد كان للاطهار قدسا وناديا
وروضة قرآن تعطر واديا
وصيرها للمومسات مغانيا
وما كانت التوراة الا تأخيا
الى الدرك الأدنى قريبا وماتيا
من الحكم القهار يقصم باغيا
يحطم اوثانا ويفحم عاتيا ؟
يهزىء سحارا ويفضح حاويا ؟

إليك الهى قد أتيت ملبيا
قصدتك مضطرا وجئتك باكيا
اذا عطشت روحى فانت شرابها
كفاني فخرا انتى لك عابد
الهى . فانت الله لاشيء مثله
وهبت ولم تسأل ، وجدت ولم تزل
أتيت بلا زاد ، وجودك مطعمى
إليك الهى قد حضرت مؤملا
فقد سئمت روحى بريق حياتها
وكيف يرى الانسان فى الأرض متعة
يجوس به الانزال من كل جانب
معالم اسراء ، ومهبط حكمة
عقابها ، صهيون فدنس طهرها
لقد حرفوا التوراة زورا واولوا
فمهلا بني « غريون » ان مصيركم
فان عدتم عدنا ، وعيد منزل
فأين خليل الله يحمل فأسه
واين كلم الله يظهر سره

أشواق وأحزان

للشاعر: عبد السلام الهراس

في مصيف « قب الياس » بلبنان تذكرت شفشاون ، وتوارد علي
أنباء إبطالنا في « أكنول » . وكنت أعيش مأساة فلسطين والشرق
وأشاهد مؤامرات على منبع عزتنا : الاسلام ، فآثار كل ذلك في
نفسي أشواقا واحزانا فأنشدت مخاطبا روعي :

| | |
|---------------------------|-----------------------------------|
| حطمي القيد بعنف ، واذهبي | واسكب الشوق على قلب أبي |
| واتركيه جثة هامدة | تتلاشى في حنايا السبب |
| واحلمي نحو بلادي عبرتي | وانثريها فوق خلد المغرب |
| والثمي الزهر الذي بادلتـه | روعة الحب .. بأحلام الصبي |
| رتلي أغنية الشوق على | ربوة « الوافي » (1) بلحن اللهب |
| واسبحي في منبع من كوثر | واترعي كأس المنى من « مشربي » (2) |
| واكحلي بالنور عينيك فليـ | ست ترى الا ظلام الكرب |

* * *

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| ابلغي « أكنول » مني زفرة | يرتديها شوق قلب ملهب |
| أي عرين الاسد يا أغلى المنى | دمت تسمو فوق دنيا السحب |
| تتحدى الظلم ، حصنا شامخا | وتشيع النور في ذا الكوكب |
| وتلاشي قوة البغي ، ولن | يدرك البغي خبيث المأرب |
| سوف تحيا فوق أشلاء العدى | وإنـدا كل جيوش الغاصب |
| ليس للمغرب الا كـرة | تدع الشر صريع العطب |

(1) ربوة سيدي احمد الوافي مشرفة على شفشاون

(2) يقصد « رأس الماء » بنفس المدينة .

وانت علي ، يا كبير ، وماجد
حكيم ، ودود ، باعث ، ومؤخر
دعوتك يا محيي لتنعش امتي
مقيت اقت قومي ربيع قلوبهم
قصدتك يا الله فارحم شكائتي
حسيب ، رقيب ، مقسط في عطائه
ويا واجد ، محص ، غني ، وقادر
ويا اول يسمو ولا شيء قبله
ويا جامع ، نور ، بديع ، ونافع
وانت مميت ، يا صبور ، ومانع
ويا متعال ، باطن ، متكبر
ويا قابض اقبض مدادك عنهم
ومننقم ، ضار ، رشيد ، ووارث
ويا حكم عدل قوي في حكمه
وانت عفو لا تهمك سيرتي
وانك ذو الاجلال ترفع من تشاء
وصل على خير الهداة محمد
وسلم على الال الكرام وصحبه

ولي ، وقيوم تخفف ما بيا
وكيل ، متين لا يمهل نابيا
معيد تعيد الدين ابلج زاهيا
ومقتدر هبيء طبيبا مداويا
وهبيء لدين الله اسدا ضواريا
حميد ، شهيد ، ظاهر في خفائيا
ويا صمد ، مغن يقيت المواثيا
ويا اخر يبقى ويفنى الفوانيا
تجل على الاسلام بالنصر باديا
امت كل خوان عدوا مرائيا
مذل جميع الظالمين تجليا
ويا خافض اخفض عدوا مناويا
اذقهم الهى نعمة ودواهيا
تقبل الهى حجتى ودعائيا
وتصفح عن ذنبي وكل مساويا
وانك ذو الاكرام اجزل عطائيا
نبي الهدى من جاء لله داعيا
متى حن مشتاق فجاء ملبيا

لبنان : احمد بنسودة

أرواحها وأمر

للاستاذ: عبد القادر زهمامه

106 - صباح ، في صباح ، في صباح ... !

في ترجمة عبد الرحمن القبائلي وهو من قواد
أبي سعيد بن عبد الحق المريني هذه الأبيات وهي من
شعره ...

اتسمع في الهوى قول اللواحي
وقد ابصرت خشف بني رياح
غزال خلف الصب المعنى
من الوجد المبرح غير صاح
وقد قتلت - ولا اثم عليها -
مواض جفونك كل الصحاح
يقول ولحظه بالقلب يزرى
علام تطيل وصفي وامتداح
فقلت : فنون سحر فيك راقت
قضت للقلب بالعشق الصراح
جبينك . والمقلد . والثنايا
صباح . في صباح . في صباح

107 - اذا لم يشبه قريشا ... فتيس .. !

في صلة ابن بشكوال نقلا عن الحميدي :
انشدني ابو محمد بن حزم . قال : انشدني ابو
عمرو البياني :

اذا القرشي لم يشبه قريشا
بفعلهم الذي بذ الفعالا

فتيس من تيوس بني تميم
بذى العبلات احسن منه حالا

108 - بيت حسان في ديوان سحنون .. !

في ترجمة أبي الفضل يوسف بن النحوي المتوفى
سنة 513 هـ في جذوة الاقتباس ... قوله :
اصبحت فيمن له دين بلا ادب
ومن له ادب عار عن الدين
وقد غدوت لفقد الشكل منفردا
كبيت حسان في ديوان سحنون
يعني بديوان سحنون - المدونة - وليس فيها
من الشعر سوى بيت واحد لحسان بن ثابت .

109 - فضة تغربل ...

في كتاب - التشبيهات من اشعار اهل الاندلس -
لابي عبد الله محمد بن الكتاني الطيب ، ص 36
قال يوسف بن هارون :

نور وغيث مسبل !
وقهوة تسلسل
فالغيث من سحابه
طل ضعيف ينزل
كانه بمرادة
من فضة تغربل ... !

أمة تنشد نورا ، جائما
سجد الدهر على أقدامها
وشدا التاريخ في محرابه
فوق هام الشم ارست راية
ومشت نحو العلى في موكب
وجلل الله يضيفي روعة
انهم أبناء ابطال الورى

* * *

دونه ذئب ، عنيد المقلب
لائما امجاد جند غاضب
ثورة اللحن لشعب محارب
نسجتها من ضياء الشهب
يحمل الراية ثار المغرب
وسناء فوق ذاك الموكب
انهم شعب عزيز وأبي

خبري الابطال عن لؤم العدى
أمة الامجاد اذحت امما
خيم الشر على دنيا الهدى
يمرح الفدر بمسرى احمد
انهم قد وادوا نهضتهم
لبسوا الذل بوشى خلب
اقسموا الا يكونوا اممة
يقفز الراي اضطرابا قاصدا
تنشر الاهواء في ابراجهم
وتهب الحرب من مرقدتها
و « الخراف » العزل اشلاء ترى
تترامى في خشوع مخلص
وتسوس « الامر » كالراعي اذا
اي فلسطين سيمحو العار من
وغدا المدفع في منبرهم

خبريهم عن رزايا العرب
مزقتها « لعبة » المفتصب
وكساها بظلام النوب
بينما « القوم » غدوا في لعب
اذ تخلوا عن مبادي يثرب
وتهادوا في غرور عجب
حرة تسمى لمحو الفيهب
اي شيء !! مثل قفز الجندب
راية الخلف بشتى اللقب
بين اخوان لادنى سبب
عصبة تعنو لامر الاجنبي
تحت اقدام لحفظ المنصب
كان للذئب شقيق النسب
جعلوا الحق وليد القضب
اشعر القوم وادوى خاطب

عبد السلام الهراس

1955 (قب الياس) لبنان

118 - وهل للخوارج الا علي

للاديب العلامة سيدي عبد الله جسوس وقتل
اصابته دماميل

اذا ما - الخوارج - قد خرجت
بجسمي وضافت بها حيلسي
اتيت ضريح ابي غالب
وهل - للخوارج - الا - علي -

119 - بحر موسى .. ونار الخليل .. !

في ترجمة ابي القاسم بن خاتمة اخي ابي العباس
... من (درة الحجال) قوله في حمام سبتة :

حمام سبتة ما ان
يقر عين الخليل
الماء من بحر موسى
والنار نار الخليل .. !

120 - احتراق او غرق ... !

في ترجمة عبد الرحمن بن ابي القاسم
الشفشاوني الشاعر الهجاء من (درة الحجال) يهجو
قصر كتامة :

ارحل عن القصر واسمع قول ذي ثقة
ان المقام به ضرب من الحمق
ان لم تمت في اوان الحر محترقا .. !
لم تنج فيه اوان البرد من غرق .. !

فاس : عبد القادر زمامة

فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد اكسبه قوة ادوية
مسيلة .. ! بنقعهما فيه .. ! او بغليانها معه .. !
ولما شربت الكرمة قوة الادوية المسيلة التي
! ادعا وطالع فيها العنب .. وله تلك القوة .. احمى
... ليقة .. ثم اتاه بعنقود منها . واثار عليه ان
يأكل منه .. وكان حسن الاعتقاد في ابن زهر ...
فلما اكل منه وهو ينظر اليه .. قال له يكفيك يا امير
! مؤمنين .. ! فقد اكلت عشر حبات من العنب .. !!
وهي تخدمك عشرة مجالس ... !!

117 - التلاقي .. مع الشعير ... !

في عيون الانباء ج 2 ص 78 :

« حدثني القاضي ابو مروان الباجي : كنا في
تونس مع الناصر - الموحيدي - وكان في العسكر
غلاء .. ! وقل وجود الشعير .. ! فعمل ابو الحجاج
ابن موراطير .. موشحا في الناصر .. واثى في
ضمنه .. تغيير بيت عمله الحفيد ابو بكر بن زهر في
بعض موشحاته ، وذلك ان ابن زهر قال :

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب
وانما العيد في التلاقي مع الحبيب

فعمل ابن موراطير :

ما العيد في حلة وطاق من الحرير ...
وانما العيد في التلاقي مع الشعير . !!

فاطلق له الناصر عشرة امداد شعير ... »

110 - تحمل لقمان .. ! وأقبل يوسف .. !

وفيه أيضا ص 25 . من شعر يوسف بن هارون
« وكم ليلة قد جمعتنا وادبرت
تنوح على تفريقنا وتلهف
الى ان بدا وجه الصباح كأنما
تحمل لقمان ! وأقبل يوسف »
وقد اشتهر سواد لقمان .. ! وجمال يوسف .. !

111 - اراد راس الطبيب مطبوخا

في كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس
ص 655 :

لا كنت مثل الطبيب تبصره
يدق أهليجا ونانوخا
يلتمس البرد للليل وقد
شكا دماغا له ويافوخا
حتى اذا ما الشفاء لاح له
اراد راس الطبيب مطبوخا .. !

والايات نسبها المؤلف للحمار السرقسطي .. !
والاهليج ، والنانوخ ، من النباتات المستعملة
للدواء عند الصيادلة ..

112 - ما بين مقتول ومبعوث

وجدت في (مرآة الزمان في تاريخ الاعيان)
لسبط بن الجوزي في القسم الاول من الجزء الثاني
ص 28 المطبوع بالهند 1951 م شعرا للامير تميم بن
المعز بن باديس صاحب افريقية المتوفى سنة 502 هـ ..
من جملته هذه الايات :

عاهدتني عهد من للعقد ينكثه
فصرت تاخذ من طرق المناكث
حدثتني بأحاديث ممتعة
فما حصلت على غير الاحاديث
فالوعد ينشرنى والخلف يقتلني
فصرت ما بين مقتول ومبعوث

113 - ولا تصحب حياتك مغريبا .. !

ترجم ابن القاضي في (الدرة) ج 1 ص 274 .

لمحمد بن علي بن يوسف الشاطبي ... المتوفى
بالقاهرة ... اخذ عنه الامام أبو حيان النحوي
الشهير ... ورثاه بعد موته ...
واباه عنه بقوله :

اوصاني « الرضي » وصاة نصح
وكان مهذباً شهماً ايها
بان لا تحسن ظناً بشخص
ولا تصحب حياتك مغرباً .. !

114 - دخل دار ابي نواس ... !

ترجم ابن القاضي في (الدرة) ج 1 ص 230
لمحمد بن راس العين الاندلسي ... رجل جواب رحالة
من اهل الجزائر ... له امداح في الرسول صلى الله
عليه وسلم . وديوان شعر ومقامات ... وامداح في
المنصور الذهبي ...

« حكى ان محمد المذكور دخل دار ابي نواس
بشاطيء وادي دجلة » .

115 - سبب بناء فاس الجديد ...

في السلوة ج 3 ص 144 في ترجمة اسحق بن
يحيى بن مطر الوريغلي نقلا عن ابي مدين الفاسي ...
في كتابه « المحكم » :

« كان اماما بجامع الشطة ... وكان يامر الامير
يعقوب بن عبد الحق المريني بالمعروف .. وينهاه عن
النكر .. فاكثر عليه مرة .. فقال له الامير : اخرج
من بلدي ... !! فلما خرج اصاب الامير وجع
شديد .. فامر برده .. فقال لا ادخل حتى يخرج
هو !! ... ولا اكون انا وهو في بلد واحد ... !! فخرج
في الحين ... فسكن وجعه ... !! وامر ببناء المدينة
البيضاء .. ! اغني فاس الجديد » .

116 - تخدمك عشر مجالس ... !

في عيون الانباء في طبقات الاطباء ج 2 ص 56
الطبعة الاولى 1299 هـ 1882 م في ترجمة الحكيم ابن
مروان بن ابي العلاء بن زهر .

« ان الخليفة عبد المؤمن احتاج الى شرب دواء
مسهل .. وكان يكره شرب الادوية المسهلة ...
فتلطف ابن زهر في ذلك .. واتى الى كرمه في بستانه .

نعم كانت دولة المرابطين منبثقة عن حلقة من حلقات العلم بالقيروان نفسها ، كانت تدور على عالم من علماء المغرب الكبير هو ابو عمران الفاسي .
لنعد الى موضوعنا الذي حددنا نطاقه وارادنا فيه أهمية العلماء بالعربية ذاتا ولم نرد قضية العربية فيه انتشارا بمجرد انتشار الاسلام في هذه البلاد .

وبذلك نفصل بذكر مراكز علمية كانت مبكرة بعلمائها وأدبائها ، ولا شك ان هؤلاء الذين سنضع أيدينا عليهم وهم مبثوثون في كتب التراجم الاندلسية وغيرها انما هم آحاد من عشرات بل عشرات من المئات قد تاهت ذكراهم في بيداء الاهمال والنسيان اللذين عرفت بهما جيدا ذاكرة المغرب منذ اقدم العصور الى احداثها .

ولكن هذه القلة على كل حال توحى الينا بالثقة والعزم وتحفزنا على العمل الدائب والبحث المتواصل عن دفائننا وكشف الغطاء عن تراثنا وهو عمل لا يزداد مع الايام الا اتضاحا ولا يزيد مداركنا الا تنورا ، فلا كيان لامة حقا بدون تراث فكري ولا عزرة لها ترجى بدون الاعتزاز بامجادها والمحافظة على مقوماتها ، عاملة جادة مستبشرة متفائلة بتصميمها وصدق عزمها وعلى هذا الضوء نستطيع ان نراجع حسابنا العسير فنصلح ما به من اخطاء ان شاء الله .

نرى ان المغرب الأقصى ، ما استقرت به الاحوال على عهد موسى بن نصير حتى وجدنا عاصمته الخالدة « طنجة » تعمل على نشر الثقافة العربية بغضل ما كان يبذله هذا الوالي الرشيد من جهود جبارة في هذه العاصمة التي اهتم بها اهتماما خاصا وجعل مقاليدها في يد قائده العظيم طارق بن زياد ، الذي كان يتمتع بشخصية ثقافية عربية ينم عنها بعض ما نسب اليه من آثار ، وأهمها خطبة الفتح التي سجلها له الدينوري في الامامة والسياسة ، فكانت طنجة أولى العواصم العلمية بالمغرب ، وكان لها شأن عظيم في اتصالها بالاندلس الثقافي فيما بعد ، كما نجد ذلك في كتب التراجم التي اشرنا اليها ، وابن خلدون يقول في عهد موسى بن نصير انزل عربا بطنجة مع طارق وأمرهم ان يعلموا البربر القرآن والفقه ، ويقول غيره انهم كانوا سبعة عشر ، ويذكر بعض اسمائهم .

ولم ترد الخلافة الاموية بالمشرق ان تترك الامور يسير في المغرب تلقائيا ، بل كان من خلفائها عمر بن عبد العزيز يهتم بالمغرب اهتماما زائدا ويبعث اليه ببعض علماء الاسلام وعلمائه ليزيد في هذه الحركة المباركة ويمدها بنشاط حيث .

ثم كانت تقوم بالريف امارة عربية ، هي امارة صالح وبنيه بالنكور ، فلقد بنت هذه الامارة الصالحة عاصمتها النكور واتخذت لها جامعا عظيما ، بنته على غرار جامع الاسكندرية ، كما يقول المؤرخون ، فخرج منه علماء لا يقل نشاطهم في الاندلس وغيرها ، عما كانت عليه طنجة آنذاك ، وحسبنا ان نرجع الى كتب تراجم الاندلسيين ، فنراها تسطع بلوامع منهم .

وتمتد عاصفة الخوارج الى المغرب ، وتتوالى هجراتهم اليه ، واذا بالصفرية منهم يؤسسون دولة ويتخذون لها عاصمة في جنوب المغرب الأقصى « سبلماسة » فتكون هذه العاصمة ثالثة العواصم الثقافية في المغرب يؤمها اناس من الاندلس ويغد عليها آخرون من العراق ، وتتطور هذه الامارة الى خلافة يدعيها اصحابها ، ويلقبون بامارة المؤمنين .

وهناك على الشاطيء الغربي من المغرب ، دولة اختلفت في اصلها ، ولكن لم يختلف في ان منشأها كان من جماعة الخوارج الصفرية ايضا ، الذين كان من قوادهم طريف البرغواطي ، فعمل على تكوين جماعة قوية الشكيمة ، صعبة المراس ظهرت بمظهر دولة واتخذت لها مقرا للكلها ، هو بسيط تامسنا الكائن بين آسفي وسلا ، وكان طريف على دين الاسلام لاول الامر ولكن هذه الجماعة ضلت فيما بعد بعقائدها الزائفة وشريعته التي سنها لهم ابنه صالح .

ومع هذا فمما لاشك فيه انها كانت عاملا من عوامل بث الثقافة العربية في تلك الناحية ، فهؤلاء رجالها واولهم صالح العالم بن طريف ، كان منهم من توجه الى المشرق للارتواء من معينه ، وجميعهم كانت اسمائهم عربية اسلامية ، وهذا له مغزى لامحالة ، كما كانت طقوسهم تسمى في معظمها بأسماء اسلامية وسور قراءتهم المزعوم لاتختلف في اسمائها عن تلك السور الموجودة في القرآن الكريم ويذكر ابن عذارى ان صالح ابن عيسى كان شاعرا فصيحاً .

وكانت لهم صلات بالاندلس ، صلات رسمية دولية بمعنى الكلمة ، ويقال ان صالحا اوصى ابنه الياس الذي عهد اليه بربط صلاته مع الاندلس ، وذكر المؤرخون ان الياس هذا اظهر الاسلام والعفاف .

وعلى كل حال فقد كانت لهذه الامارة علاقات دبلوماسية وثقافية مع الاندلس ، استمرت في رجالها الذين ظلوا يتسمون بالبرغواطية ، وان كان بعضهم قد نبذ ضلالتها كصالح ، وبعضهم لم ينبذها كابنه يونس فظهر ديانة جده .

فجر العريضة بالمغرب الأقصى أو المراكز الأولى للتقافة العربية به

للاستاذ محمد بن نادر

ويتدارسونه بينهم عملا بالحديث الشريف ، فكل
مسجد مدرسة عربية ، تلك قضية مسلمة .

ولكننا مع هذا الواقع تؤيده الافتراضات والعكس
نريد ان نقصر كلمة المغرب على الاقصى منه ونترك
الى حين هذا الشمول الذي يتطلب كثيرا من القول
والعمل معترفين في خضوع واعتزاز معا بما كان
للقيروان من فضل عم المشرق والمغرب ، القيروان
الشهيدة التي لفظت نفسها وهي في ريعان شبابها
واكتمال قوتها ، فانتشر عقدها في المشرق والمغرب
بعلماء اعلام وادباء فطاحل من مثل الحصريين وابن
رشيقي وابن شرف الذي نعا القيروان بهذين البيتين
الناضين باللوحة المزوجة بالحيرة ولذاعة النكتة
التونسية :

تري سيئات القيروان تعاظمت
فجلت عن الغفران والله غافر
تراها اصيبت بالكبائر وحدها
الم تك قدما في البلاد الكبائر

ومن فضل الله علينا ان كان المغرب الاقصى وارث
افريقيا في قيروانها فحمل ذلك المشعل في قوة وايمان
وعزة وهو يتلو قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا
اصبروا وصابروا وربطوا » فكان المربطون حقا ورسلا
رشدا حافظوا على ميراثهم الثمين ونموه في المغرب
والاندلس على السواء .

كان علينا ونحن نعالج هذا الموضوع ان نجعل
كلمة المغرب عامة شاملة للاقطار الواقعة بين
صحراء ليبيا الى المحيط حيث انها تعمرها سلالة
بشرية تسيطر عليها مظاهر اجتماعية وتتجاوزها مناح
فكرية متشابهة كما كانت فيما مضى خاضعة لعوامل
اقتصادية كذلك .

لقد عرف العرب هذه الجهات كما عرفها من قبلهم
من الامم ، ولكن سرعان ما طبع اولئك العرب اقطارنا
هذه بطابع قوي بارز بحيث تجانس فيه الجنسان
بصفة تلقائية وتعانقا في السلم كما توطأ على الحرب .

فاذا اعتبرنا المغرب بهذا الاعتبار الشامل ، فان
القيروان كانت تكون المشعل الاول للعروبة في هذه
البلاد والنار المشع الذي كان ينير على هذه الافاق
طيلة اربعة قرون كاملة اذ كانت ثالثة او رابعة العواصم
الاسلامية الكبرى اعترف لها بذلك خلفاء الامويين
فعينوا لها - الوالي حسان بن النعمان - قاضيا من
لذتهم مباشرة ، تقليدا اختصت به العواصم الكبرى
آنذاك ، دون غيرها ...

نعم كان هذا يكون وهو وجيه سليم ، وكان في
الامكان ايضا ان نعمل بقضية مسلمة كذلك فنقول ان
فجر العربية بهذه البلاد كان لاول ما اذن بها اذان
الصبح بفجرها الصادق كما يقول الفقهاء ، وكان اول
مركز لهذه العربية لامحالة في اول بيت اقيم بهذه البلاد
من بيوت الله يجتمع فيه قوم يتلون كتاب الله

مثل سبته ومليلية والبصرة المغربية واصيلا ، فهذه كلها وجدنا لها اصداء علمية اصيلة ، سواء بالمغرب والاندلس ، وكان منها من تولى رجالها مناصب علمية عالية في الخلافة الاموية .

اذن فقد وضعنا ايدينا على شبكة محكمة لمراكز الثقافة الاولى بالمغرب ، وهي مراكز متعددة المشارب فبعضها كان اصحابها على مذهب اهل السنة وبعضها على مذهب الاعتزال وبعضها على مذهب الشيعة المعتدلة وبعضها على مذهب الخوارج وبعضها على شعائر ومعتقدات زائفة - كما قيل - ولكنها جميعا على تعدد مشاربها واختلاف اهوائها كانت تحمل ثقافة عربية ، وترتبط جميعها بمراكز الثقافة بالاندلس والقيروان بالرغم من اختلاف السياسة .

وقبل ان ندخل في التفاصيل ، نرى ان نقف وقفة قصيرة عند قضية اوماننا اليها ، وهي صلة الاعتزال بالشيعة ، فالصلة من حيث التعاليم شديدة وثيقة بين المذهبين ، اذ هما يشتركان ، في القول بالتوحيد القائم على دعائم كانت بسيطة اولا ثم تعقدت جدا وتفرع منها فيما بعد قول آخر كان مثار الخلاف الشديد بين المعتزلة والاشعرية بالخصوص ، وهو العدل الذي اوجبه المعتزلة في الجزاء وثالث الاسس هو القول بالوعد والوعيد ، اي الوعد بالاثابة لمن احسن واطاع ، والوعيد بالعقاب لمن كان على العكس ، ورابعها القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فالعاصي من المسلمين لا يوصف بالايمان الحق ولا بالكفر ، بل منزلته بينهما ، فهو بذلك ليس بكافر ولا مومن ، وخامسها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذا كله داخل حقيقة في التوحيد (انظروا ضحى الاسلام)

هذا ما يتصل بالعقيدة عند الطائفتين ، وهناك ما يتصل باعلام هاتين الطائفتين ورجالهما الكبار ، فواصل الذي انتشر مذهبه بالمغرب كله كان تلميذا لابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وكان واصل نفسه استاذا للامام زيد بن علي بن الحسين ، وكان عبد الله والد المولى ادریس يعد في الطبقة الثالثة من طبقات المعتزلة ، ويذكر قدامة بن جعفر في كتابه الخراج وصناعة الكتابة ان مملكة الادارسة كانت وطنيا للاعتزال اذ يقول : ان وراء تاهرت مسيرة اربعة وعشرين يوما بلد المعتزلة وعليهم رئيس عادل عدلهم فائض وسيرتهم حميدة ودارهم طنجة نواحيها والمستولي عليها في هذا الوقت ولد محمد بن ادریس . كما ان معاصره ابن خرداذبه يقول بوجودهم

في ايزرج ونحوه يقول به ابن الفقيه الهمداني معاصره ايضا ، وفي القرن الرابع يزور المقدسي المغرب ويتحدث عن الشيعة فيقول : نظرت في كتاب الدعائم فاذا هم يوافقون المعتزلة في اكثر الاصول ، وهذه الاصول هي مذهب الادريسية وغلبتهم بكورة السوس الاقصى . وينقل ابن عذارى في الجزء الثاني عن ابن حزم ان الادارسة هم اصحاب الاعتزال والشيعة بالمغرب ، وزاد فنسب اليهم حتى الخارجية .

والنتيجة ان الاعتزال بالمغرب انساح في الخارجية والشيعة وانتهى اجله بالمغرب قبل ان ينتهي بالشرق .

ولا يفوتنا ان نذكر - على سبيل الاستطراد - ان المولى ادریس كان مهتما بتلمسان اهتماما زائدا فبنى بها مسجدها الجامع ، ثم استقل بها اخوه سليمان او ابنائه من بعده ، ويظهر ان ابنه المولى ادریس الاصغر اراد ان يجعلها امانة حاضرة بينه وبين الرسميين وهو ما يعرف في العرف الدولي بـ (Buffer State) وعلى كل فقد انتشر ابناء عمه في هذه الجهات وكونوا بها اقطاعات عديدة فيما بعد ، حتى قال معاصرهم اليعقوبي في معجم البلدان عن ولد محمد بن سليمان ، كل رجل منهم مقيم متحصن في مدينة وناحية وعددهم كثير حتى ان البلد يعرف بهم وينسب اليهم وآخر المدن التي في ايديهم المدينة التي تقرب من ساحل البحر يقال لها سوق ابراهيم وهي المدينة المشهورة فيها رجل يقال له عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله

وعلى الجملة فتلمسان كان لها شأن في انجاب كثير من العلماء الذين استفادت منهم الاندلس واستفادوا هم منها ، مثل ابي الحسن خطاب بن احمد ابن خطاب بن خليفة الشاعر ويحيى بن عيسى المعروف بابن الصيقل المري سمع بمرسية من ابي علي الصدفي وعمر اكثر من مائة سنة ، ويعقوب بن محمد الاغماتي الفقيه الحافظ الذي سمع من ابي علي الصدفي كذلك جامع الترمذي وغيره ، وعلي بن عبد الرحمن المعروف بابن أبي جنون وهو كذلك من اصحاب الصدفي ومن المؤلفين في اصول الفقه ، كما قصد تلمسان من علماء الاندلس جابر بن محمد الانصاري الحافظ والراوي ابو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي ، وعبد الملك الوراق من رجال القرن الثالث ، وقد امها من الشعراء مثل بكر بن حماد الذي قال شعرا في قومها كما نجد ذلك بالبيان العرب .

والى جانب الخارجة ، وما كان لها من اثر محمود في الحقل الثقافي ، نجد هناك موجة من الاعتزال طفت في بلاد المغرب ايضا ، ويذكر ياقوت وغيره ان الواصليّة من المعتزلة كانت في المغرب تربو على ثلاثين الفا ، فكانت هذه تضرب في بلاد المغرب طولا وعرضا وهي تدعو الى مبدئها بالسنة حداد غير اشحة ببيانها المعروف ، ولقد رأينا من شعراء الاعتزال من يشيد بزعيم الواصليّة فيقول :

له خلف شعب الصين في كل ثفيرة
الى سوسها الاقصى وخلف البرابر

رجال دعاة لا يفل عزيمهم
تهكم جبار ولا كيد مآكر

وكان جمع من الاعتزال اتى بالواصليّة الى المغرب ، ذكر التاريخ منهم زيد بن سنان الزناتي الذي كان يعيش اوائل القرن الثاني ، وقد تركت جماعتهم اخيرا في ايزرج قرب تاهرت .

وعلى العموم فان هؤلاء المعتزلة انتشروا في جهات من المغرب ، فاقاموا لهم مراكز عديدة في المغرب الاقصى وفي مزاب والزاب ، وكونوا لهم امانة يمكن يذكره الجغرافيون القدامى باسم « ايزرج » وهي تلي تاهرت كما يقول ابن خرداذبه ، وذكر انها كانت لعهد ييد ابراهيم بن محمد البربري المعتزلي ، وغيره يذكره بمحمد بن محمد ، كما كان نفوذهم يقوى في المغرب الاقصى ويتركزون في طنجة ووليلي التي وجد عليها المولى ادريس بن عبد الله اميرها عبد الحميد بن اسحاق الاوربي المعتزلي وكان اعتزاله هذا مما مهد لادريس ان يقيم دولته في يسر وطاعة لما بين الاعتزال والعلوية من صلة .

والنتيجة ان هذه العواصم تشابكت فيما بينها ، وعملت على نشر الثقافة العربية بهذه البلاد واسط القرن الثاني .

وكما معنا اليه ، فقد انضمت الى هذه الطوائف طائفة الشيعة التي قام بالدعوة اليها رجال منهم وعلى رأسهم اخوة النفس الزكية ، فاستقر منهم عيسى او علي بالقيروان ، ثم توغل آخرون في المغرب الاقصى ، مثل ادريس السالف الذكر واخيه سليمان الذي نزل بنواحي تلمسان ، فاستقل بها بنوه ، فكانت عاصمة ثقافية اخرى ، تكونت بعد عاصمة فاس التي اتخذها ادريس او ابنه ادريس عاصمة له .

ويذكر المؤرخون ان بناء فاس كان لما ضاقت ويلي بالعرب النازحين اليها من الاندلس والقيروان وبذلك صارت فاس على عهد ادريس الاصغر عاصمة عربية ، بل اهم العواصم العربية بالمغرب الاقصى ، تضم عدوتها عرب الاندلس من ناحية وعرب القيروان من ناحية اخرى ، وكان في كل عدوة مسجد جامع عظيم ، فهذا مسجد الاشياخ بالاندلس وهذا مسجد الاشرف بالقرويين ، ويذكر المؤرخون ان الوافدين على ادريس الاصغر من عرب القيروان والاندلس كانوا من مهاجرة قرطبة وحدها نحو ثمانية آلاف بيت ومن مهاجرة القيروان نحو ثلاث مائة بيت ، وقد ذكرت قبائلهم او بطونهم اليمنية من قيس وازد ومذحج ويحصب والصدف وغيرهم ، كما ذكرت بعض اعيانهم مثل عمير بن مصعب الازدي المعروف بالملجوم وزير ادريس الاصغر ، وعامر بن محمد بن سعيد القيسي قاضيه ، وابي الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي كاتبه ، وعلى كل فقد كانوا من الكثرة والمكانة لدرجة انهم شطروا العاصمة الجديدة شطرين اختص كل فريق بأحدهما وكان كلا جامعي العدوتين قائما على نشر الدين والثقافة العربية ، بين الاندلسيين وجوارهم البربر والقرويين وجوارهم كذلك ، ومن محاسن مهاجري القيروان ، ان تكون فيهم سيدة فاضلة عربية الاصل ، هي فاطمة بنت محمد الفهري ، تراث مالا فتنته في بناء مسجد ، حمل راية الثقافة بالمغرب ، وهو مسجد القرويين ، الذي انضم الى تلك المساجد الثلاث ، ولكن الله اثره فيما بعد بالبركة والخلود ، فهو من اقدم جوامع الاسلام حيث بني عام 245 .

اجل هكذا أصبحت فاس العاصمة الكبرى في المغرب ، وكان لها صلات مع الاندلس وثيقة في بعض الاحيان ، كما كانت لها مع القيروان كذلك وان اختلفت السياسة ، وهذا مما يحدد بين دول الاسلام ، ان اختلاف السياسة بين الاقطار لم يكن بالمرّة عائقا عن اتصال المسلمين بعضهم ببعض في تلك الاقطار المتباعدة ، ولم تحاول الدولة ان تحد من هذا الاتصال بالمرّة .

وطبعا حينما يكون هناك انسجام او اتحاد تكون الفوائد اعم والصلات اقوى ، وهذا ما حدث واخبر القرن الثالث واوائل الرابع حيث امتد سلطان الاندلس الى المغرب ، فكان ممن تخرج من القرويين علماء عرفوا في اروقة جامع قرطبة

وبعد فلا يغوتنا ان نذكر مدنا اخرى كان لها شأن في نشر الثقافة ، الى جانب المذكورات آنفا ، وذلك م

الجرأوي المليلي ، وكلاهما رحل الى الاندلس فأخذ عن رجالها واخذوا عنه .

ولما كان الغزو العبيدي ، كانت مليلية من المدن النورية التي ضمها الى الاندلس عبد الرحمن الناصر فزادت بذلك تعريبا

واما سبتة فقد كانت الحركة الثقافية بها نشيطة بلغت أوجها أوائل القرن الرابع ، وكانت قد ضمت الى الاندلس كذلك ، فوجدنا لأول ما ضمها اليه الناصر الاموي ، شعرا لامير ادريسي بهذه المناسبة ، وهو عبيد الله بن يحيى بن عمر بن ادريس حيث يقول :
— مخاطبا للناصر —

بسيبك دانت عنوة واقرت
بصائر كانت برهبة قد تولت
وما قربت أهواؤها ان تقربت
ولا حليت بالزني لما تحلت
ولكن ازلت راسيات عقودها
عزائم لو ترقى بها العصم زلت
ودولة منصور اللواء مظفر
تدال بحمد الله من شر دولة
فهذا اوان النصر منها وهذه
تباشرها تروي الاقاحي بسبتة

والمهم من هذه الاشعار التي وان لم تكن في مرتبة سامية ، فهي على كل حال تثبت اصداء للعربية كانت تتردد في كثير من المناسبات وكان من الادارسة انفسهم شعراء ، منذ ادريس الثاني فأبنائه ثم احفاده الذين كان منهم شاعرنا هذا ، ونعود الى سبتة بالذات فنجد منها مثل خلف بن علي بن ناصر البلوي ومحمد بن علي الاموي وعتيق بن عمران بن محمد الرفعي النفزاوي قاضي سبتة ثم ابراهيم بن ابي العباس القيسي ريوسف بن حماد بن خلف الصدفني وعبد الله بن غالب الهمداني ثم محمد بن يعلى المعافري ثم ابا حمد بن ابراهيم السبتي وعيسى بن علاء بن نذير بن عنب ، ونجد آخرين يذكرون بكتب تراجم المالكية ، على راسها ترتيب المدارك ليعاض ، وهذه ترجمة حد قضاتها من المدارك : ابو بكر محمد بن عيسى حمه الله ويعرف بابن زويج من اهل سبتة ، وقال ابن بيان ابن زويج من اهل العلم والادب واجل قضاة سبتة ، وكان تخطط بالشرطة العليا وقضاء سبتة اصيللا والمغرب ، كذا رايت السجلات تنعقد عليه .

ويقال ان اصله من البصرة وله رحلة الى اندلس ، ويقال انه دخل العراق وحج ولقي علماء

البلاد ، ورجع الى قرطبة فاختص بابن ذكوان وهو كان الحفي به لما وجد عنده من العلم . وكان له مال واسع ، وذلك ان قاضي الجماعة تسلف له مالا من مال الاجناس باشبيلية ، واخرجه في زيت باسمه ، فعاد عليه منه عائد كان اصل ماله فيما ذكر .

وكان حسن السيرة في قضائه ، وابامه مشهورة لعلو مكانه وسعة علمه وبعد صيته . قال لي بعض الشيوخ وكان متفنا في علمه ، نظارا صاحب حجة وجدل ، علما بالحديث .

وقال ابن حيان : وكان له منزلة عالية عند سلطان الاندلس متمكن الاسباب لديه ، وهو آخر قضاة بني امية بسبتة . قال ابو مروان بن حيان : وكان من وجوه اصحاب ابن ذكوان وله في العلم والفقه والصرامة درجة سامية وقدم صدق ادته الى المنية .

وقال : وقلده المظفر قضاء سبتة بلده وعمله بارشاد ابن ذكوان اليه ، وذلك عند اختياره لخطبة قضاء اهله ، فحدثت ولايته واتصلت الى ان قامت الفتنة ، وسما قاسم بن حمود الى الخلافة على بني مروان بسبتة ، فكان من قاضيه هذا عنه بعض التأخر ، فاغرى به العامة وقتله ، ورعب الناس بقتله ، فلم يختلفوا عليه ، وخبره مشهور .

وما قاله ابن حيان من اغرائه للعامة غير صحيح فقد كان اجل في قلوبهم من ذلك ، وانما قتله رجال بني حمود ، والصحيح ان الامر بقتله علي بن حمود واخوه قاسم ، وذلك بعد الاربعمائة ، وقد بسطت اخباره في ذكر قضاة سبتة من تاريخها .

وكانت سبتة في القرن الخامس اسعد حالا واثري ادبا — خصوصا الشعر — من باقي المدن المغربية ، وحسبنا ان نقرا ترتيب المدارك السالف الذكر والخريدة للعماد والمطرب لابن دحية وعنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد ، فنجد ادباء وشعراء غير من تقدم بهم الذكر ، من مثل الشاعر ابن يقظان وابن شقرة وابن غالب وغيرهم ، وفي هذا القرن بالذات نجد المعتمد بن عباد ، وهو من هو ادبا ووفرة قصره بالعلماء والشعراء ، يحسد سبتة على ثلاثة نفر من رجالها ، قال ، — كما في معجم البلدان لياقوت — : اشتهيت ان يكون عندي من اهل سبتة ثلاثة نفر ، ابن غيازي الخطيب ، وابن عطاء الكاتب ، وابن مراثة الفرضي .

نعم ، حتى الخطيب من هؤلاء والكاتب كذلك ، كان لهما شعر احتفظت ببعضه كتب التراجم ، فلابن

وبعد تلمسان التي كانت على اتصال بامارة عظيمة لعبت دورا هاما في الثقافة العربية في المغرب الاوسط عامة ، وهي امارة تاهرت، التي كانت تسمى بلخ المغرب او عراق المغرب ، تاتي امارة استقلت بنفسها في الريف ، على اوائل القرن الثاني ، وكان لها شأن عظيم في الحقل الثقافي ، كما كانت على اتصال وثيق بالاندلس من ناحية ، وتاهرت من ناحية اخرى ، وهي امارة النكور ، التي كانت عاصمتها ، مدينة النكور ، تقع قرب المزمة ، بنحو خمسة عشر ميلا

وكانت هذه الامارة قد تأسست على يد عائلة تنتمي الى حمير العربية ، وكان على راسها صالح بن منصور المعروف بالعبد الصالح ، ويذكر اليعقوبي في معجمه السالف الذكر ، ان اهل البلد يزعمون انه من اهل البلد نفزي وهذا مهم ايضا ثم قال ومن هذه المدينة جاز رجل من ولد هشام ومن معه من آل مروان الى جزيرة الاندلس ، يريد عبد الرحمن الداخل الذي كانت امه من نفزة هؤلاء ، وقد نشر صالح تعاليم الاسلام بهذه المدينة الساحلية ، ولما توفي اوائل القرن الثاني خلفه ابنه المعتصم فصار على منهاج ابيه ثم تولى بعده شقيقه ادريس وهو الذي اختط مدينة النكور واتم بناءها ابنه سعيد وبني الجامع بها ، ومهما يكن فقد ازدهرت المدينة في القرن الثاني وقصدها الناس وكان فيها علم وادب يتمثل في كثير من رجالها مثل ابراهيم بن ايوب الشاعر ، والعالم موسى بن ياسين مولى صالح ، وحسين بن فتح الذي روى عنه الباجي واثنى عليه ، وهؤلاء كانت لهم صلة بالاندلس كما كان من الاندلس من اتى الى النكور واقام بها مثل الاحمسن الطليطي شاعر الامارة ، ومن شعر ابراهيم بن ايوب قوله :

يا املني الذي ابغى وسولي
ودنيائي التي ارجو وديني
احرم من يمينك ري نفسي
ورزق الخلق من تلك اليمين
ويحجب عن جبينك طرف لحظي
ونور الارض من تلك الجبين
وقد جبت المهامه من نكور
اليك بكل ناجية امون

فلعل هذه الايات كانت مدحا لامير من امراء الادارسة ، كما كان من بيت الامارة ايضا مثقفون منهم مثل الفقيه المالكي عبد الرحمن بن سعيد

ومن الطريف ان نجد ان زامر عبد الرحمن الناصر كان من النكور ، فلقد وصفه ابن عميرة كما وصفه الحميدي وهو في بعض مجالس الانس ، وعلى اوائل القرن الرابع ، نجد بين شعراء النكور والعبديين نقائض تسجلها لهم التواريخ كما في ابن عذارى وغيره فقد كان عبيد الله كتب الى اهل المغرب عامة ، يدعوهم الى الدخول في طاعته ، وكان من جملة من كتب اليهم سعيد بن صالح الذي وصل اليه الكتاب مذيلا بهذين البيتين :

فان تستقيموا استقم لصلاحكم
وان تعدلوا عني ارى قتلكم عدلا
واعلو بسيفي قاهر لسيفكم
وادخلها عفوا واملاها عدلا

فلما قراهما امر شاعره بتقضهما فقال :
كذبت ورب البيت لا تعرف العدلا
ولا عرف الرحمن من قولك الفضلا
وما انت الا كافر ومنافق
تميل مع الجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد
وقد جعل الرحمن همتك السفلى
كما نجد في سقوط هذه المدينة بيد قائد عبيد الله على تاهرت ، مصالة البربري ، رجزا لشاعرهم كالآتي ، يتشفى فيه من سعيد وقد قتل :

لما طفا الارذل وابن الارذل
في عصابة من الطفاة الجهل
قال نكور دون ربي معقلي
اتاه محتوم القضاء الفصيل
من الاله المتعال الاعدل
حطم اهل كفرها بالكلكل
على قنا من الرماح الذبل
ذو لمة شعشاء لم تفتل
ولحية غبراء لم ترجل
وللمكانة التي كانت عليها النكور لدى الامويين
الف فيها لهم ابن الوراق

وكذلك مليلة بنيت اوائل القرن 2 او جدد بناؤها ونسبت الى ميلل البربري ، وكان اسمها الفنيقي روسدير ، وكان ميلل من يفرن الذين كانوا مع ادريس بن صالح المذكور ، وظهر نشاطها العلمي مبكرا حتى كان منها احمد بن فتح يضاها بيكر بن حماد معاصره في العلم والادب ، وخلف بن مسعود

يريد ان كنتم اصحاب ميسرة المعروف الخارجي
المصغري الذي ثار عام 122

وبهذا نرى ان احداث المغرب كانت تسيرها
اشعار تقال فيها ، وقد نسب بعضها الى المولى ادريس
لاول عهده

وبقيت هناك مدن اخرى اشتهرت ببعض رجالها،
مثل مدينة جراوه التي كانت بازاء تلمسان ، وقد تقدم
ذكر بعض النسوبين اليها عند ذكر مليلية ، وممن
اجادوا وصفها ابن عذارى في الجزء الاول من كتابه،
وذكر انه كان بها خمسة حمامات ، مما يدل على عظم
امرها ، قال اسمها ابو العيش عيسى بن ادريس
سنة 257 ، ويظهر ان العبيدين لم يخربوها في زحفهم،
كما فعلوا بالنكور ، ولهذا نجد لها اهمية حتى في اواسط
القرن الرابع ، بل ان موسى بن العافية ، استولى عليها
لعبد الرحمن الناصر واخرج عنها الحسن بن ابي
العيش

وقد ورد ذكرها في شعر بكر بن حماد حيث قال:
سائل زواغة عن طعان سيرة
ورماحه في العارض التهلل
وديوار نفزة كيف داس حريمها
والخيل تمرغ في الوشيع الذبل
غشى مغيلة بالسيوف مذلة

وسقى جراوة من نقيع الحنظل
وكذلك كانت طنجة من المدن التي حاول الامويون
ان يضموها اليهم ، ووقفوا فعلا في ذلك ، فكان بها للعلم
والادب شأن ، وكانت قد تعرضت في اواخر القرن
الثالث واولل الرابع ، لفننة متنبئ قد تنبا بها او
بأحوازا التي هي ما بينها وبين سبتة ، وكان لهذا
الرجل ما كان للبرغواطيين ، من ادعية عربية وقرءان
مزعوم ، يهمنها لعريته ، وكان اسم الرجل حم ، فلما
قضي عليه اوائل القرن الرابع قيل شعر وهو :

وقالوا افتراء ان حاميم مرسل
اليهم بدين واضح الحق باهر
الى ان يقول :

فان كان حاميم رسولا فأنسي
بمرسل حاميم لاول كافر
رووا عن عجوز ذات افك بهيمة
تجاوز في اسحارها كل ساحر
احاديت افك حاك ابليس نسجها
يسرونها والله مبدي السرائر

واما سجلماسة ، فمن رجالها عيسى بن سعادة
اللقية له رواية بالاندلس ورحلة الى المشرق صحب
فيها ابا الحسن الفاسي واما محمد الاصيلي ولقي
محمدا حمزة بن محمد الكتاني ، وكان القابسي يشهد
بالاتقان ، اخذ عنه ابو محمد بن ابي زيد القيرواني
وعبره من العلماء ، ومن رجالها يحيى بن زكرياء
المعروف بابن الرباطي روى عنه محمد بن مخارق
وحدث عنه يحيى بن هلال بن فطر ، ومن رجالها
جساس الزاهد له رحلة الى المشرق ، سمع عنه عبد
الرحمن بن خلف التجيبي الثغري بمجريط كتاب
الزهد ، وغير هؤلاء نجدهم ماثولين في تراجم
الاندلسيين وغيرهم . وكذلك كان من امرائها رجال
لهم وزنهم في الثقافة الاسلامية ، مثل سمكو الاخذ عن
عكرمة ، ومثل محمد بن الفتح بن ميمون

وتقدم ان مملكة البرغواطيين الزائفة كان لها
ولا شك حظها من العروبة ، وليس هذا من باب
الافتراض وحده ، لانها كانت على صلة بالاندلس وان
مدنا كانت في بسطها تامسنا مثل شالة وأنفى عاصمتها
وفضالة ميناها ، بل وجدنا من رجالها علماء كطريف
وابنه صالح والياس ابنه وابنه يونس وصالح بن عيسى
الذي تقدم انه كان شاعرا بليغا فصيحاً ، على ان طريفا
كان مسلما اول الامر وكان الياس يظهر الاسلام كذلك .
وقد ملك هذا خمسين سنة .

ومن ملوكهم المشهورين ابو عفير محمد بن معاذ بن
اليسع ، وقد ملك اواسط القرن الثالث ، وكانت له
وفائع مشهورة في قومه منها وقعة بهت التي قال فيها
شاعر مصمودي ، اسمه سعيد بن هشام ، قصيدة
عارض بها قصيدة عمر بن كلثوم النونية ، حيث قال :

ففي قبل التفرق فاخبرينا
وقولي واخبري خبرا مينا
هموم برابر خسروا وضلوا
وخابوا لا سقوا ماء مينا
ينولون النبي ابو عفير
فأخزي الله ام الكاذبين
الم تسمع ولم تر يوم بهت
على آثار خيلهم ريننا
رسن الباكيات بهم ثكالي
وعاوية ومسقطه جيننا
هالك يونس وبنو ابيه
يوالون البوار معظمينا
فيس اليوم ردتكم ولكن
ليالي كنتم مستيسرينا

غازي شعر مذكور في المطرب لابن دحية ، يصف به
ناقلة فيقول :

حرف كمثّل الصاد الا انها
بعد السرى جاءت كحرف النون
كالبدّر قدره الاله منازل
في الافق حتى عاد كالمرجون
ولا بي بكر بن عطاء هذه الايات :
سامنع قلبي ان يكون لكم مشوى
واستدفع البلوى واستصرف اللها
وما سرنى بعد الرضى اذ غدرتكم
وغادرت بين الحشا هضبتي رضوى
وصيرتم العتبى عتابا فكلما
ابثكم شجوى تزيدونني شجوى
قضى الله ان اقصى واصفيكم الهوى
وغيري يستندنى وان كان لا يهوى
وما كان ظنى قبل ذا ان حاسدي
بمنهلكم يروى وانى لا اروى
وما جلت البلوى علي وانما
شامة اعدائي اجل من البلوى

واما اصيلا فقد كانت كذلك ذات حظ لا يستهان
به من الثقافة المبكرة ، كان رجالها مثل عبد الله بن
ابراهيم بن محمد الاصيلي الذي قدم قرطبة فأخذ
عن رجالها ثم اتجه الى المشرق فأخذ عنه علماء جلة
ثم عاد الى الاندلس فتتلمذ عليه خلق كثير وكان حافظا
عالما بالكلام والنظر الف كتابا في اختلاف مالك وابي
حنيفة والشافعي ، سماه كتاب الدلائل على امهات
المسائل ، وكذلك ابنه محمد الذي اشتهر في الاندلس ،
وكلاهما من رجال القرن الرابع ، ومثّل ابراهيم بن
محمد الاصيلي الشاعر الذي مدح بني زياد القاطنين
كانوا حول اصيلا بقصيدة يقول فيها :

سقى غربي ارض بني زياد
سحائب ما يجف لها غروب
ولا زال النعيم يعم قوما
ازاؤهم من الشرق الكثيب

ومثّل احمد بن عبد الله بن موسى الكتامي الفقيه
الشاعر دخل الاندلس فسمع من وهب بن مسرة
وغيره ، وكان بيت هذا العالم مشهورا بالعلم والادب
حتى القرن الرابع ، ومثّل عبد الله بن ايمن الزويزي
قاضيا لذاك العهد .

ولم تكن البصرة تقل عن هذه ، فقد نسب اليها
علماء جلة مثل يحيى بن خلف الصدفى الذي رحل الى

المشرق فسمع بمكة من ابي سعيد ابن الاعرابي ، ومن
غيره واخذ عنه كثير من الاندلسيين ورجال سبتة
التي توفي بها ، ومثّل احمد بن حذافة الفقيه المالكي ،
ويشار بن بركانة ، وغيرهم من فقهاء المالكية الذين
يذكرون بطبقاتها الاندلسية وغيرها . وكان امراء
البصرة يعملون جاهدين على جلب الشعراء اليها ،
وخصوصا احمد بن القاسم الذي كان يجزل لهم
الصلات ، كما فعل مع بكر بن حماد الذي مدحه
بأمداح كثيرة ، بعد ان كان قد بعث اليه بهذه الايات :

ان السماحة والمروءة والندى
جمعوا لاحمد من بني القاسم
واذا تفاخرت القبائل وانتمت
فافخر بفضل محمد وبفاطم
وبجمفر الطيار في درج العلى
وعلى العضب الحسام الصارم
انى لمشتاق اليك وانما
يسمو العقاب اذا سما بقوادم
فابعث الي بمركب اسمو به
علي اكون عليك اول قادم
واعلم بانك لن تنال محبة
الا ببعض ملابس ودراهم

كما مدح القاضي احمد بن فتح التاهرتي
اميرها عيسى بن ابراهيم بن القاسم بن ادريس
بقصيدة يقول فيها :

ما حاز كل الحسن الا قينة
بصرية في حمرة وبياض
الخمير في لحظاتها والورد في
وجنتها هيفاء غير مفاض
فكان الشعر يتردد في هذه الجهات ، من ذلك
ان شاعرا كان آنذاك سكن في حصن كان مقاما على
وادي ورغة فقال :

الا هل اتى اهل المدينة انني
بورغة بين الاعجمين غريب
اذا قلت شيئا قيل ماذا تريده

لهم بين احرار الوجوه قطوب
وهذا يذكرنا بما قاله المتنبي في شعب بوان ،
والنتيجة ان الشعر في هذه الجهات كانت تتردد
اصداؤه في القرن الثالث مدحا كان ام غيره
ولا همية المدينة نرى محمد الوراق المتوفى عام
292 ينظمها في سلك المدن المغربية التي الف فيها
للامويين

المغرب العربي والاندلس وغيرها ، وفي هذا القرن بالذات صارت فاس ينبغ فيها شعراء موهوبون ، وكانت من قبل موطنًا للعلماء والحفاظ

واخيرا ، فلا بد ان نقول ان الحركة الادبية بالمغرب الاقصى خصوصا ، ظهرت متأخرة عن غيره زمنيا ، والسبب في ذلك لا يمكن ان نحصره في واحد ، بل ان اسبابا كثيرة اعتورت المغرب المذكور ، فجعلت العربية فيه تبدو كما قلنا ، وكان عامل الاستقرار ، اهم العوامل ، فالمغرب كان آخر الاقطار التي تنعم بالاستقرار ، بل بفترات من هذا الاستقرار ، والزوابع التي تهب عليه من خارجه او تنبعث في داخله كانت من الزوابع التي لا تبقى ولا تذر ، فأول استقرار نجده به كان على عهد موسى بن نصير ، ولكن ما حدث ، من فتح الاندلس في عهده ، كان وبالا على المغرب من هذه الناحية ، ناحية التعريب ، فلقد عرف اولئك العرب وعلى رأسهم موساهم وبنوه الاندلس ، فهرعوا اليها ، ولم يعودوا الى المغرب ، بل ظل بالاندلس حتى احفاد لطارق ذكرهم ابن حزم في جمهرته كما ان اتجاه حبيب بن عبد الرحمن الى صقلية كان فرصة للثورة فلما عاد لم يتعد منطقة القيروان وترك المغرب ، وعلى كل حال فقد تعرب الاندلس قبل ان يتعرب المغرب الذي امده بأولئك العرب ، وبذلك سكت صوت العروبة والادب العربي الى حين ، ان كان قد نطق به اصحابه ، وهذا لا نستغربه ، بل هو ما حدث في الجزيرة العربية نفسها ، وقد نزع عنها شعراؤها والهادرون بلغة الضاد فيها ، فترددت اصداؤهم خارج الجزيرة وخفت اصواتهم بها ، ولهذا لا نستغرب ايضا اذا قرانا في التاريخ ان المولى ادريس الاصغر كان فريدا بين البربر ولم يكن معه عرب ، الى ان اتاهم منهم عرب القيروان والاندلس ، كما قلنا ، حقا لقد نعم المغرب باستقرار على عهد هذا الملك ، ولكن سرعان ما قامت الفتن بين اولاده واحفاده ، وقضت على الاخضر واليابس ، وحق كذلك ان الفتن والحروب كانت بالنسبة للعرب من عوامل تنشيط اللغة والشعر

والخطب منها بالخصوص ، ولكن هذا ان كان في العرب وهم اصحاب اللغة الاصلية فيهم ، لا يكون في غيرهم واللغة طارئة عليهم غريبة بينهم تنتظر منهم التعرف عليها والاصاخة الى نداءاتها ، ولا بد في هذا كله من هدوء بال واطمئنان حال ، وما كان هدوء وما كان اطمئنان ، ففتن داخلية بين ابناء الادارسة الى اخرى بينهم وبين غيرهم ومن ورائهم العبيديون النازفون للبقية الباقية ، ان كانت هناك بقية ، والنازحون بها الى المشرق ، حيث لا عودة لهم كانت ، الا بالرماح والسيوف تتقص وتتكسر على رماح وسيوف اخرى امتدت الى المغرب من الاندلس ، فكان المغرب لهؤلاء وأولئك الميدان الخارجي الذي عرف في ايامنا ميدانا لاصحاب الحرب العالمية

وقد لاحظنا ان الاندلس صارت تمد المغرب من حيث درت او لم تدر بثقافة عربية ، فكانت المراكز القريبة منها اسعد حظا من غيرها ، وبذلك يكون المغرب آخذا بعد ما كان معطيا ، بل كان بالاندلس نفسها مغاربة نبغوا فيها ، قبل ان ينبغ زملاؤهم بالمغرب ، وهذا غير غريب ، ونحن نعلم ان امارة مغربية خالصة كانت قد تكونت بشمال اسبانيا وان عبد الرحمن الداخل ما استطاع التغلب عليها الا بمكر ودهاء ، وكان الذي اسس تلك الامارة امير برية Santa-Maria جنوبي غربي طليطلة Toledo

اما الذين نبغوا في الاندلس من المغاربة قبل ان ينبغ مثلهم في المغرب فيكفي ان نعد على رأسهم الشاعر العظيم ابا عمر بن دراج الصنهاجي الاصل .

وهناك شعراء وكتاب وعلماء من المغاربة يذكرون في كتب التراجم الاندلسية بانسابهم المغربية ، ولكن المغرب ما احتفظ منهم الا بهذه النسبة التي ليست كلها جديدة على صاحبها بل هي اصيلة في جلهم كما نفهم ذلك من النص عليه في كتاب جمهرة الانساب لابن حزم رحمه الله .

تطوان : محمد بن تاويت

وكان من علمائها وادبائها اجلة مثل عبد الله بن سمجون وابي عبد الملك مروان بن سمجون ، الذي رحل الى المشرق وقال لم ادخل الى المشرق حتى حفظت اربعة وثلاثين الف بيت من اشعار الجاهلية ، واقام به سبع عشرة سنة ويذكر ياقوت في معجمه انه كان من فطاحل الخطباء . ومنهم عبد المنعم بن عبيد الله بن علوش المخزومي واحمد بن سليمان ابن احمد الكناسي وقاضيها علي بن هارون وسليمان بن يحيى بن سرواس الجمحي الذي روى عن ابن سمجون اللواتي وعنه حدث ابو القاسم بن بشكوال بمسند الموطأ رواية الجواهري ، وهؤلاء زاروا الاندلس التي وفد منها على طنجة كثير منها مثل ابي اسحق ابراهيم بن صواب الشاطبي وكان من اهل المعرفة في الطب والنحو واللغة والادب فتصدى للاقراء بطنجة والمعالجة بها ثم توجه اخيرا الى فاس ، ومنهم محمد بن عبد الله بن الغازي المتوفى عام 296

وتاتي فاس التي عرفت قبل تأسيسها هجرات من عرب افريقيا والاندلس ومن فرس العراق كذلك الى مؤسسها ، ولا شك ان هؤلاء الفرس الاتين من العراق كان لهم شأن في الثقافة وغيرها ، لدرجة ، ان من المؤرخين من يرى ان اسم فاس نفسه محول عن فارسي كما في روض القرطاس الذي اثبت ان احد ابواب المدينة كان يدعى باب الفرس وهذا الاشتقاق لا يهنا الآن بقدر ما يطلعنا على أهمية وجودهم في العاصمة الادريسية ، ولا نستبعد ان تكون لهم يد عربية ان لم يكن لهم لسان كذلك ، وهم آتون من العراق العباسي

ومهما يكن فقد احتفظت كتب التراجم بأولئك الذين كانوا يزاولون اعمالا ثقافية على عهد المولى ادريس الاصغر ، كما تقدم وكان ابوه ومولاه راشد من المثقفين ثقافة عالية ، ادب راشد بها المولى ادريس الاصغر فكان عالما يقرض الشعر ، ويستعمله في الصراع السياسي الذي كان بينه وبين الاغلبية ، ويخاطب بعض رجاله به . وكان هو وابوه وابناؤه من بعده على حظ من العلم كما تحدثنا به التواريخ ، ولا تبخل علينا بنماذج من خطبهم او اشعارهم كالتي ذكرت في روض القرطاس والجزء الاول من البيان المغرب لابن عذاري ، الا ان هذه المدينة تعرضت لاهوال لم يتعرض لها غيرها فانبهت معالمها الثقافية في عهودها الاولى ، وان كنا على كل حال نحس لها ركزا في الفينة بعد الاخرى ، لقد ادم هذه المدينة شعراء في القرن الثالث ، منهم المادح ومنهم الهاجي ، وكلهم

نستفيد منهم باديء ذي بدء ، لانها ما لفتت الانظار حتى كان اصحابها يعلمون انها تنعكس عليهم بالخيرات ممن يفهمون شعرهم ، ولم تكن هذه الاهاجي تنصب على البقعة نفسها ، كما وجدنا في غيرها ، بل كانت تنصب على اصحابها ، وهذا مهم ايضا ، فابن اسحق الجليلي الذي نجده كما في ابن عذاري وياقوت يمدح عدوة القرويين بقوله :

ياعدوة القرويين التي كرمت
لا زال جانبك المحبوب مطبورا
ولا سرى الله عنها ثوب نعمته
ارض تجنب الأثام والزورا

نستفيد منه بقدر ما نستفيد من هجو ابراهيم ابن محمد الاصيلي لها ، واحمد بن الفتح القاضي التاهرتي كذلك والمبكي المفتح ، فالمدح والذم لا يهانا لمجردهما ، فكل ممدوح للشعراء مذموم لهم ، ولكن المهم ان العاصمة العلمية كانت بحق كذلك ولو خفت صوتها لعوامل ما ، ولهذا لانجد من مذكوريتها في التراجم الا من كان يعيش اواخر القرن الثالث فما بعدها ، مثل ابي محمد عبد الله بن علي الفارسي والعالم ابي الحسن بن محمد الصدفى والحافظ دراس بن اسماعيل المكنى بابي ميمونة ، الذي كان من كتبه ما الفه في فضل فاس علما ودينا ، والذي قصده من القيروان عبد الله ابن ابي زيد النفزاوي السالف الذكر ، والمعروف بمالك الصغير ، وله رحلة الى الشرق لقي فيها بالاسكندرية علي بن عبد الله بن ابي مطر وسمع منه كتاب ابن المواز وحدث به بالقيروان ودخل الاندلس طالبا ومجاهدا وسمع بها منه غير واحد ، وكان من فقهاء فاس وحفاظها كذلك خير الله بن القاسم وابو موسى عيسى بن سعادة ، وعبد الملك الكوري ، وموسى بن يحيى الصديني الحافظ العالم بالراي ، وله رحلة الى الشرق وحدث عنه وعن سابقه عبدوس بن محمد بالاندلس ، ثم كان في القرن الرابع علماء على راسهم فقيه فاس ابو جيه ابن احمد ، وقد انضوت فاس في هذا القرن تحت لواء الامويين حينما من الزمن والعبيديين حينما آخر الى ان كان محمد بن ابي عامر يعيد كرتة عليها فيضمها الى الاندلس كما ضم غيرها اليها ، فقويت الحجر بينهما ولهذا وجدنا بعض رجالها يذكرون لاول مر في فهارس الاندلسيين ، كما حصل فيما بعد بالنسبة للقيروان التي كان بها مثل ابي عمران موسى بن عيسى بن ابي حاج الذي اشتهر بالقيروان في القرن الخامس اشتهارا عظيما ، فقصده تلاميذ من اقطا

والف في الوقف كثيرون ، من بينهم : أبو حاتم السجستاني ، وأبو جعفر النحاس ، والزجاج ، وأبو سعيد السيرافي ، وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو محمد النعمان ، وأبو جعفر السجاوندي ، وأبو عمرو الداني ، والخزامي ، وأبو محمد التكرائي .

وفي الوقف مذاهب ، لكل مذهب مغزاه ومبناه ، فنافع كان يراعي حسن الوقف والابتداء بحسب المعنى . والمكي يراعي الوقف على رءوس الآي ، ولا يعتمد وقفا على أواسط الآي الا في ثلاثة مواضع : - وما يعلم تأويله الا الله (آل عمران) - وما يشعركم (الانعام) - انما يعلمه بشر (النحل) . والبصري اختلفت الرواية عنه ، ف قيل انه كان يعتمد الوقف على رءوس الآي ، ويقول هو احب الي ، وقيل انه كان يطلب حسن الابتداء ، وذكر الرازي عنه انه كان يطلب حسن الوقف . والشامي كنافع يراعي حسن الحالتين وقفا وابتداء .

وعاصم اختلف الرواة عنه ، روي انه كان يطلب حسن الوقف ، وقيل انه كان يطلب حسن الابتداء . وحزمة اتفق الرواة عنه انه كان يقف عند انقطاع النفس ، فالقرءان عنده كسورة واحدة ، ولذا لم يعتمد وقفا معينا ، وأثر وصل السورة بالسورة . والكسائي كماصم اختلفت الرواية عنه . قال السفاسي : وهذا عند قراءة كل بانفراد ، وأما مع جمعهم ، فالذي عليه شيوخنا مراعاة حسن الوقف والابتداء ، كنافع لانه المبدوء به ، وهو مذهب جمهور القراء ، وهو ظاهر ضيع من الف في الوقف والابتداء ، لانهم لم يخصصوا قارئاً دون قارئ

ويرجع هذا الاختلاف الى مذهبين اثنين : احدهما اعتماد كلمات هي رءوس الآي . والثاني مراعاة كلمات يتم المعنى والاعراب عندها ، او الاعراب دون المعنى ، او المعنى دون الاعراب . وعلى المذهب الثاني بنى الهبطي وقفه ، فهو يراعي الاعراب والمعنى في الوقف والابتداء .

ويجوز ان تقسم الوقف الى ثلاثة اقسام : - قسم وافق فيه الهبطي غيره كالدرني وابن الأنباري وسواهما ، وهو اكثر وقفه . - وقسم تركه ولم يعتمد - لتجاذب الدليلين فيه - او لترجيح ادلة الوصل عنده ، او لانه الاصل ، والوقف طاريء .

(*) انظر مقدمة الكتاب ص 9

- وقسم انفرد به ؛ والناس امام هذا القسم فريقان : فريق مؤيد ، وفريق منتقد ؛ فمن الذين انتقدوه وخطأوه في مواضع - ابو عبد الله محمد المهدي الفاسي ، فقد ألف كتاباً سماه « الدررة القراء » في وقف القراء « كما اشرنا الى ذلك صدر هذا البحث . وقد جاء في مقدمة الكتاب قوله : « .. وكان مما قيد في ذلك عن الاستاذ المقرئ أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي الفاسي ، تفمده الله برحمته .. على قراءة نافع ، الذي جميع بلاد المغرب له فيه تابع ؛ - قد شاع في هذه البلاد ، وكان قد احتوى على مواضع ضعيفة ، واخرى بعدم الصحة موصوفة ؛ - اردت ان ارسم في ذلك تقييداً ، يكون بذكر ما للناس في ذلك مقيداً ، ذكر ما في اعرابه او معناه خلاف او احتمال ، مما ينبغي وقفه على ذلك ، ولا يخرج عنه بحال .. »

ومن المواضع التي انتقدت على الامام الهبطي ، واعتبرت من الوقف الممنوع - قوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » (سورة المائدة) . فالوقف على « مغلولة » - ربما يوهم القارئ او السامع ، ما لا يليق به سبحانه وتعالى ؛ وكان من المتشددین في ذلك ، عالم تطوان الشيخ علي بركة ، فقد قيل لي انه اوقف حبساً على من ينه القارئ عند وقفه على مغلولة .

والذي عليه المحققون من ائمة هذا الفن - انه من الوقف الكافي ، وعده بعضهم من الوقف الجائز؛ ومثله قوله تعالى : « وقالت اليهود عزيز ابن الله - وقالت النصارى المسيح ابن الله » - (سورة التوبة) . فالوقف على عزيز ابن الله ، والمسيح ابن الله - عده بعضهم من الوقف الممنوع بل الحرام الذي يكفر صاحبه ، وقد تصدى ابو العباس الاشعوني في كتابه « منار الهدى في الوقف والابتداء » (*) للرد على صاحب هذا القول ، قال وما نسب لابن الجزري من قوله :

مغلولة فلا تكن بواقف

فانه حرام عند الواقف

ولا على المسيح ابن الله

فلا تقف واستمذه بالله

فانه كفر لما قد علما

قد قاله الجزري نصاً حسبما

قال هو مخالف لما عليه الائمة ، والصواب انه

من الوقف الجائز . وذكر ابن عبد السلام الفاسي

انه من الوقف الكافي لتناهي مقول القولين . وذكر

أبو عبد الله الهبطي

واضع وقف القرآن بالمغرب

للمؤلف: الأستاذ سعيد أعراب

- 2 -

العربية ، عالم بالقراءات والتفسير والفقه ، عالم باللغات التي نزل بها القرآن .

والاصل فيه ما أخرجه أبو جعفر النحاس عن ابن عمر (رض) قال : « لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد (ص) فتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ؛ ولقد رأينا اليوم رجلا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته وخاتمته ، ما يدري ما أمره ولا زجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده .. »

ولعل الحكمة من وضعه ، أنه لما لم يمكن القاريء أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ، ولم يجر التنفس بين كلمتين حالة الوصل ، بل ذلك كالتنفس أثناء الكلمة - وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة ، وارتضاء ابتداء بعده .

وقد حض الأئمة على تعلمه ومعرفته ، وتواتر عن السلف الصالح الاعتناء به والاهتمام بشأنه ؛ حتى لقد اشترط بعضهم على المجيز أن لا يجيز أحدا إلا بعد معرفته للوقف والابتداء . ومن اشتهر عنهم هذا الفن - أبو جعفر بن القعقاع ، ونافع بن رويس المدني ، وأبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب الحضرمي ، وعاصم بن أبي النجود ، ومحمد بن عيسى ، وأحمد بن موسى ، وعلي بن حمزة الكسائي ، والإخفش الأوسط ، ومعمّر بن النشئ ، ومحمد بن يزيد ، والقنبي ، والدينوري ، وسواهم .

تحدثت في مقال سابق(*)، عن حياة أبي عبد الله الهبطي ، واضع وقف القرآن بالمغرب ، وعن الظروف والملابسات التي وضع فيها ذلك الوقف ؛ وكيف أن الناس اقبلوا عليه خلقا عن سلف ، لا في المغرب وحسب ، بل وفي سائر اقطار افريقيا ، وقد جاء خطاب عميد جامعة الزيتونة ، وهو يتحدث عن الروابط الفكرية ، والعلاقات العريقة بين تونس والمغرب - قوله : « .. اننا نقرأ القرآن بوقف الهبطي ، وندرس العربية بآباء أجروم والمكودي .. »

والآن فلنلق نظرات عن هذا الوقف :

هناك ثلاث كلمات ، تدور عند أرباب هذا الفن: **الوقف ، القطع ، السكت** ؛ وهي الفاظ مترادفة عند الاقدمين ، وفرق بينها المتأخرون ، فجعلوا الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمانا ، يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، لا بنية الاعراض . والسكت عبارة عن قطع الصوت زمانا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس ، فان طال صار وقفا يوجب البسطة .

اما القطع فهو عبارة عن قطع القراءة راسا ، ولا يكون على رؤوس الآي .

والوقف فن جليل القدر ، عظيم الخطر ، به يعرف كيف اداء القراءة ، ولا يتأتى لاحد معرفة معاني القرآن ، ولا استنباط الادلة الشرعية الا بمعرفة الفواصل . ولا يقوم بهذا الفن الا من له باع في

(*) انظر العدد الرابع - س 11 - ص : 91

استقرار كثير من أصول القومية المغربية في الفترة المربنية والوطاسية

لأستاذ: محمد المنونجي

مقدمة :

المغربية المعاصرة ، والمعني بالامر هنا هي الوحدات التالية : الوحدة اللغوية - وحدة التشريع - وحدة العقيدة - وحدة دفاعية - ميزات وعوامل أخرى للوحدة القومية .

1 - نحو لغة موحدة :

من ابرز ميزات هذه الفترة التقدم الذي احرز عليه توحيد اللغة القومية في نطاق تعميم اللغة العربية الى اقصى حد ممكن ، فعلى خلاف الحال في دولة الموحدين ، يلاحظ انه انعدم تقريبا في هذه الفترة ، استخدام اللهجة البربرية في اغراض تأليفية ، على نحو موضوعات المهدي ابن تومرت في العقائد (2) ، كما الفيت هذه اللهجة من خطبة الجمعة ومن الاذان للصلاة ، بعدما كان يعقب بها بعد كل من الشيعرتين ، وقد استنكر الونشريسي في المعيار (3) النداء للصلاة بالبربرية عند كمال الاذان بالعربية ، وعد ذلك من البدع ، ومن الواضح ان اللغة العربية هي التي حلت محل اللهجة الاخرى في هذه الاغراض .

ومن مظاهر التزام اللغة العربية في التأليف ما يسجله مؤلف « المنهاج الواضح في مآثر أبي محمد صالح » ، حيث يذكر في طالعة هذا التأليف (4) انه تلقى جل فضائل جده بلسان الرطانة : « البربرية » ، ثم دونها باللسان العربي .

وهكذا نتبين ان وحدة اللغة العربية تتحرك من هذه الحقبة نحو هدفها ولو في نطاق محدود .

شهد النصف الاول من القرن الثالث عشر م تقسيما جديدا للغرب الاسلامي ، حيث قام - على انقاض الامبراطورية الموحدية - اربع دول اسلامية جديدة ، تقاسمت النفوذ في الرقعة الموحدية بشمال افريقية ، والاندلس ، وقد صارت تونس وما اليها من نصيب الحفصيين ، واستولى بنو عبد الواد على الجزائر ، وانتصب المرينيون بالمغرب الاقصى ، بينما استقر الامر فيما تبقى من الاندلس المسلمة لبني الاحمر ، بعدما استولى على معظم هذه الاخيرة القشتاليون والقطالانيون (1) .

وقد استمر هذا التقسيم الجديد للغرب الاسلامي زهاء ثلاثة قرون ، انتهت باستيلاء القشتاليين على مملكة غرناطة ، ثم استيلاء العثمانيين على مملكتي الجزائر وتونس ، وقيام السعديين بالمغرب الاقصى .

وكان اعظم هذه الدول الاسلامية الجديدة هي الدولة المربنية ، التي كانت تطمح الى استعادة الامبراطورية الموحدية بشمال افريقية ، ثم استعادتها - بالفعل في فترتين قصيرتين - على عهد كل من ابي الحسن المريني وابنه ابي عنان ، غير انه في معظم هذه الفترة كان المرينيون يقتصرون على حكم المغرب الاقصى .

وبهمننا - بعد هذا المدخل - ان هذه الفترة الطويلة كانت ميدانا لاستقرار كثير من اسس القومية

(1) مجلة دعوة الحق ، السنة الثالثة ، العدد 2 ، 3 .

(2) انظر الحلال الموشية ط تونس - ص 80 .

(3) ج 2 ص 361 - 362 .

(4) ط المطبعة المصرية عام 1352 هـ - 1933 م - ص 16 .

يقولي كاف ، اذ معنى التمام ، يمز الا على البصير
الاعلم .. »

وابن عبد السلام هذا على كثرة انتقاده للدري
واضرابه ، قلما نجد له فيه مغمزا ، او عليه مطعنا ؛
فتراه اذا اعوزه الدليل ، او خائته الحجة ، يقول:
وكان معتمد الهبطي كذا ، او لعل ملحظ نظره كذا .

ونحن لا نعفي الهبطي من خطأ في استدلال ، او
ضعف في وجهة نظر ، مما لا يخلو عنه بشر ؛ فالوقف
مثلا على قوله تعالى : « ولا تستعجل » - من سورة
الاحقاف ، - قد يدخل في دائرة الوقف الجائز او
الكافي - اذا طبقنا قاعدة ابن عبد السلام في هذا
الباب ، فهو مبني على اعراب « لهم » خبرا عن
« بلاغ » من قوله تعالى « كأنهم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ » وبه قال ابو مجلى ،
وربما يعضده طول الوقف في الآية ؛ لكنه لا يخلو من
ضعف ، ففيه تفكيك الكلام بعضه من بعض ، اذ ظاهر
قوله « لهم » انه متعلق بقوله : « ولا تستعجل . اي
لا تستعجل للمشركين بالعذاب ، والحيولة الجملة
التشبيهية بين الخبر والمبتدا - كما يقول ابو حيان(2)
في امثلة اخرى من هذا القبيل .

لكن ومع ذلك ، ورغم ما وجه اليه من نقد ، فيه
بعض الحق او الحق كله ، - فقد تواترت روايته ،
وتناقله التلاميذ عن شيوخهم كوجه من وجوه الاداء
في التلاوة ، حتى قال بعضهم : انه يجب الوقوف
عنده ، ولا تجوز مخالفته ؛ وقد احتدم النزاع بين
القراء المتأخرين في ذلك ، على ما سنذكره في عدد
آخر بحول الله .

تطوان - سعيد اعراب

الاشموني انه لا وجه لمنع الوقف على قوله تعالى « فلما
اضاءت ما حوله » فهو وقف جائز ، بل كاف ، على ان
جواب لما محذوف تقديره طفئت النار ، والسياق دال
عليه ، وذهاب النار لا يعيق انطفاء النار ، المسلزم
عدم انتفاعهم بشيء من اعمالهم المراد من التشبيه ،
وعلى استئناس جملة « ذهب الله بنورهم » والضمير
للمنافقين .

قال الجعبري : وليس في القرآن وقف واجب
ولا ممنوع . على انه يطول بنا الكلام لو تتبعنا
ما نوقش به الهبطي في هذا المقام .

- ومن الذين ايدوه ودافعوا عنه - ابو عبد الله
محمد بن عبد السلام الفاسي ، فقد تتبع في كتابه
« الوقف والابتداء » (1) مواضع وقف الهبطي ،
وخصوصا الذي انفرد به ، وارجع اكثره الى الوقف
الكافي ؛ والوقف عنده ثمانية مراتب : تام واتم ، وكاف
واكفى ، وحسن واحسن ، وصالح واصلح ، ويعبر
عنه بالجائز . وفي هذا الصدد يقول : « .. فأردت
بعون الله ان اتبع كل موضع عينه للوقف بالنص على
انه تام ، او كاف ، او حسن ، ان ظفرت بذلك فيما
نص عليه الحافظ الدري ، مقتصر على ذلك ، غير
متعرض لوجه مبناه ، من حيث المعنى والاعراب ،
تقليدا له ، وتيسيرا على نفسي ، وسترا علي ،
لصعوبة المحل ، وضيق المعطن ، فان لم اجده عنده ،
فاني ابين بحول الله وقوته ، ما اراه صالحا لان يكون
اعتمده الهبطي في ذلك ، حسب الاستطاعة ، على
ازجاء البضاعة . لكنني اتشبهت بذيلهم ، وان لم اطمع
في الحصول على نيلهم ، رغبة في الدخول في خدمة
كتاب الله العزيز ، وطمعا في العثور على معنى غامض
عزيز ، يتبين به وجه ما اعتمده ، وينفى عنه به الوهم
فيما قصده ؛ على ان اقتصر فيما كان غير خاف ،

(1) ويوجد مخطوطا بالخرانة الملكية تحت رقم 1953 .

(2) انظر تفسير البحر - سورة الاحقاف

يرفع نسبهم الى اصول عربية ، ولسنا نحاول هنا تصديق هذه الدعوى او تكذيبها بقدر ما يهمنا أثرها في تعزيز جانب التعريب .

والى هنا نتبين من هذا العرض مدى الخطوات التي سار فيها التعريب ، مما عزز الوحدة في هذه الفترة ، ثم مهد لاكتمالها بعد ، حتى قال الفريد بيل في الكتاب الذي صنّفه حول البربر وديانتهم (13) :

« ان رجال البربر أصبحوا - اليوم - كلهم يتقنون اللغة العربية في الجبال الاطلسية ، لاسيما منها الناحية الشرقية » .

وحدة التشريع :

وهي وحدة واضحة تحققت في نطاق المذهب المالكي الذي عاد للظهور مرة أخرى بعد الفترة الموحدية، ليوحد المغرب المسلم في ميدان التشريع خلال هذه الفترة وبعدها .

ومما يدل على قوة هذا العامل في الوحدة القومية ، ان بعض الجهات المغربية التي كانت تخضع للقانون الجنائي العرفي رجعت -- بدورها - لتطبيق التشريع الاسلامي في هذا الصدد ، فقد نشرت مجلة هسبريس ج 18 سنة 1934 ص 46 وثيقتين ذكرت انهما اقدم ما يوجد في القانون الجنائي العرفي بالمغرب، ويرجع تاريخهما لعام 1512 م (917 - 918 هـ) ، وقد ورد في مقدمتهما : انه « بعد التعرف الى الضلال الذي تنطوي عليه الاعراف العتيقة أصبح رئيس القبيلة يطبق ما ورد في القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في خصوص الجرائم ، تبعا لآلة القصاص (14) » .

ولا شك ان هذه الظاهرة في القانون الجنائي العرفي جاءت نتيجة لموقف العلماء المغاربة من وحدة التشريع المغربي ، ومن هؤلاء الامام ابو زيد عبد الرحمن الجزولي ، المتوفى عام 741 هـ - 1340 م ، فقد اورد في تقييده على الرسالة القيروانية قولة لعمر بن عبد

العزير الخليفة الاموي ، ثم علق عليها وقال : « ويقول عمر هذا يستدل اشياخ السوء من القبائل فيما احدثوا: ان من سل سيفه فضرب به يلزمه كذا ، ومن وضع يده عليه ولم يسله يلزمه كذا ، ومن لطم يلزمه كذا . ومن شتم يلزمه كذا ، ويحلفون في البرانس والمناجل ، وكل ذلك بدعة اماروا بها السنة (15) » .

وممن حمل على هذه الاعراف المحلية الشيخ عبد الله الهبطي ، المتوفى عام 963 هـ ، فقد تناولها في ارجوزته - في البدع - التي تحمل اسم « الالفية السنية في تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا في الملة الاسلامية » ، وخصص للتنديد بها بابا خاصا يشتمل على ستين بيتا (16) .

وحدة العقيدة :

ومما عزز الوحدة القومية في هذه الفترة اجتماع المغاربة على العقيدة الاشعرية بعد الفاء ما كان يشوبها من افكار اخرى في المرحلة الموحدية ، وبهذا استطاع المغاربة ان يبتعدوا عن الفرق والخلافات العقيدية ، وقد كان موقف الدولة قويا في مقاومة الذين يحاولون الخروج عن هذه الوحدة ، وهناك قصة من هذا القبيل وردت الاشارة لها قبيل فصل البدع من المعيار (17) للونشريسي .

وحدة دفاعية :

ان اروع مثال لهذه الوحدة يوجد في رد الفعل المغربي ضد حملة البرتغال على السواحل المغربية ، وقد صور هذه الظاهرة الناصري في الاستقصا (18) ، وعقب على ذكر اخبار البرتغال في هذا الصدد ، وقال في اسلوب يفلب عليه الشجع :

« ولما نزل باهل المغرب الاقصى ما نزل من غلبة عدو الدين ، واستيلائه على ثغور المسلمين ، تباروا في جهاده وقتاله ، واعملوا الخيل والرجل في مقارعتة ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامة على

(13) معطيات الحضارة المغربية ج 1 ص 61 .

(14) المصدر الاخير ج 2 ص 42 .

(15) نقله محمد ميارة في شرح لامية الزقاق ط ، ف م 44 ، ص 1 .

(16) يلاحظ ان الهبطي عاصر وضع وثيقتي القانون الجنائي العرفي بالمغرب ، وقد طبقنا - كما رأينا قريبا - التشريع الاسلامي في الميدان الجنائي ، فعلى هذا يكون هذا العالم يحمل على اعراف ناحية معينة .

(17) ج 2 ص 358 .

(18) ط دار الكتاب ، ج 4 ص 111 - 112 .

ومما يسجل لهذه الفترة ان الادب المغربي كان في لفته العربية الفصحى - لا يزال يحتفظ بأصالته لغتت اليه انظار الاندلسيين بالخصوص ، قال ابو اسحاق الشاطبي في الافادات والانشادات (5) :

« افادني صاحبنا الكاتب ابو عبد الله ابن زمرك امر اياه الى وطنه من رحلة العودة في علم البيان فوائد ، وذكر منها ثلاثا : احداها : الفقه في اللغة ، وهو النظر في مواقع الالفاظ واين استعملتها العرب... والثاني : تحرير الالفاظ البعيدة عن طرفي الغرابية والابتدال ، فلا يستعمل الحوشي من اللغات ، ولا المبتدل في السن العامة ، والثالث : اجتناب كل صيغة تخرج الدهن عن اصل المعنى او تشوش عليه... قال : واخبرني ان كتاب المغرب يحافظون في شعرهم وكتابتهم على طريقة العرب ويذمون ما عداها من طرق المولدين ، وانها خارجة عن الفصاحة ، وهذه المعاني الثلاثة لا توجد الا فيها » .

وقد استمرت هذه الظاهرة في ادباء المغرب حتى قال الشيخ محمد بيرم التونسي (6) اواخر القرن التاسع عشر :

« ولعمري ان صناعة الانشاء في الدول باللغة العربية كادت الآن ان تكون مقصورة على دولة مراکش، واما غيرها من الدول العربية فقد تبدلوا ، وكادت كتابتهم ان تخرج عن الاسلوب العربي ، بل صاروا لا يتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية ، بخلاف كتاب المغرب ، وهذا ديدنهم من قديم » .

ونحو من هذا يسجله - عن المغرب - ابو العباس الناصري في رسالته : « الفوائد المحققة في ابطال دعوى ان التاء طاء مرققة » ، خ ، ع ، د 1724 ، ص 51 .

ومن جهة أخرى فان ظهور الدولة المرينية احدث عاملا جديدا في انتشار العربية في لغة التخاطب

« العامة » ، حيث ان معظم العناصر العربية التفت حول يعقوب بن عبد الحق عاقل هذه الدولة ، وبذلك اصبح للعرب ضلع في تركيز الحياة السياسية والاجتماعية ، والسيطرة على الكتل البربرية ، ثم التسرب الى جهاز الدولة . يضاف لهذا انه في اثناء هذه الفترة كان العرب - على حد تعبير ابن خلدون (7) - قد كثروا البربر وغلّبهم ، وانتزعوا منهم عامة الاوطان ، وشاركهم فيما بقى من البلدان ، بملكتهم وبأسهم ، وقد تمخض عن هذا وذاك - في غير الاطلس - ان توطدت اللغة العربية في اصقاع متناحية ، وبذلك تعززت الوحدة السياسية في البلاد عن طريق التعريب في لغة المحادثة في هذه البوادي ، كما هو الحال في الحواضر (8) .

ومن مظاهر انتشار التعريب انذاك شيوع قصائد هؤلاء العرب بالمغرب ، قال ابن خلدون في المقدمة (9) :

« ... فاما العرب اهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر ، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض ، على ما كان عليه سلفهم المستعربون ، ويأتون منه بالمطولات ، مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ، ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام ، وربما هجموا على المقصود لاول كلامهم ، واكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد ذلك ينسبون ، فأهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات (10) ، نسبة الى الاصمعي راوية العرب في اشعارهم ... »

واذا كان هذا اللون من الشعر قد غلب بالمغرب على البوادي العربية ، فان الامصار شاعت فيها الازجال التي اورد ابن خلدون بعضها منها اواخر المقدمة (11) . واخيرا : فقد كان من عوامل تعزيز التعريب في هذه الفترة ، ان الحكام المرينيين انفسهم كان البعض (12)

(5) نقل هذا ابن الازرق في روضة الاعلام ، خ .

(6) ج 1 ص 61 .

(7) المقدمة ص 27 ، وانظر تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ج 1 ص 136 - 137 .

(8) انظر تاريخ المغرب لهنري طيراس ج 2 ص 28 ، مع تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ج 1 ص 136 - 137 .

(9) ص 533 .

(10) هو العروبي حسب تفسير البعض .

(11) ص 553 - 556 .

(12) ورد هذا في ارجوزة ابي فارس المززوي نشر المطبعة الملكية بالرباط ، وفي شعر لابن المرحل حسب الدخيرة السنية ص 10 .

كانت غير كثيرة ، يدل لهذا قول ابن سعيد (21) لدى حديثه عن بعض اخلاق اهل المغرب الاقصى :

« ولكن الاوقاف عندهم على عظمة سلطنة بنى عبد المومن والمرابطين قبلهم قليلة ، لا يقولون بها » .

وفي هذه الفترة وضعت تنظيمات جديدة لعلاقات المغرب بعدد من الدول الشرقية والغربية .

كذلك تدين العصور التالية لهذه الفترة بما حدث في هذه من تنظيم ركب الحجيج المغربي ، وتعميم عيد المولد النبوي في سائر المغرب .

ومما يزيد في اهمية هذه الظاهرات ان عددا منها جاء تجاوبا مع ارادة مغربية ، فقد كان رجوع المغاربة عن الظاهرية الى المذهب المالكي برغبة اتت من جهة الفقهاء (22) ، وكان تنظيم ركب الحجيج المغربي امتدادا لعمل جماعة أبي محمد صالح الماجري ، حيث كان من مبادئ الدعوة الى حج بيت الله الحرام ،

وزيارة السيد الرسول عليه وآله الصلاة والسلام ، وتسهيل الطريق للحاج (23) ، كما ان العزفيين هم الذين ندبوا يوسف المريني الى تعميم الاحتفال بالمولد النبوي ، واتخاذ يوم ثاني عشر ربيع الاول عيداً مغربياً (24) ، بعد ما كان هؤلاء ابتدأوا من ذي قبل الاحتفال بهذا المولد في سبتة .

يضاف لهذا ان الانظمة والاضاع التشريعية والدراسية التي سبقت الاشارة لها ، قد كانت هي الاخرى منبعثة من طرف العلماء المغاربة ، وكان دور الدولة في هذا كله لا يعدو التقرير والتنفيذ ، مجارة للطابع الشعبي الذي كان يطبع السياسة المرينية في هذه المواضيع واشباهها (25) .

وهكذا يتبين من هذا العرض مدى اسهام الفترة المرينية والوطاسية في بناء القومية المغربية المعاصرة

الرباط - محمد النوني

- (21) قسم الممالك من مسالك الابصار للعمري، مخطوطة خاصة .
- (22) ذكر مشاهير اعيان فاس في القديم عند بيت بني عشرين رقم 11
- (23) انظر المنهاج الواضح ص 351 .
- (24) روض القرطاس على ما في بعض نسخه المخطوطة .
- (25) انظر مجلة « البحث العلمي » ، العدد الثاني - ص 213 .

هم المؤلفين

ورد في شرح بديعية البيان للحافظ ابن ناصر الدمشقي ان يعقوب بن شيبة السدوسي البصري نزيل بغداد صنف مسندا في خمس مجلدات كبار لزمه على تخريجه عشرة آلاف دينار ، وكان في بيته اربعون لحافا مرصدة لمبيت الوراقين الذين يبيضون مسنده .

المغربي الاسلامي ، بما في ذلك اساليب التوثيق التي كانت موضوع بعض مؤلفات وشروح .

وفي هذا العصر وضع او قرر عدد من المؤلفات التي صارت كتباً دراسية بالمغرب في هذا العهد وبعده ، ومن ذلك المقدمة الاجرومية ، وشرحها لابي عبد الله الشريف ، ومنظومة الجمل للمجراد السلوي ، وشرح عبد الرحمن المكودي على الالفية لابن مالك ، والدرر اللوامع في مقرا الامام نافع لابن بري ، ومورد الظمئان في رسم القراء للخرز ، وعمدة البيان ، في الرسم لنفس المؤلف ، والقصيدة التلمسانية في الفرائض ، والمباحث الاصلية لابن البنا الصوفي ، وشرح ابن عباد على الحكم العطائية ، وشرح الازموري على القصيدة الخزرجية ، والتلخيص ورفع الحجاب في الحساب ، ومنهاج الطالب في تعديل الكواكب : الثلاثة لابي العباس احمد ابن البنا المراكشي ، وروضة الازهار في علم وقت الليل والنهار لعبد الرحمن الجادري .

كذلك قرر في هذا العصر دراسة المختصر الخليلي ، ومختصري ابن الحاجب الاصلي والفرعي ، والفية ابن مالك ، والشفا للقاضي عياض ، وقصيدة البردة للبوصيري ، وسوى هذا وذاك ، وهو كثير .

ومن الواضح ان دخول هذه الكتب للدراسة ، كان له اثر في توحيد او تقريب المناهج الدراسية في هذه الفترة وبعدها .

ومن هذا العصر يتبدى المغاربة بكتابة تاريخ عام لبلادهم ، وكان ممن دشّن هذه الظاهرة ابن ابي زرع بكتابه : روض القرطاس ، كما اشتغلوا بكتابة الرحلات ، وظهر - على التوالي - رحلات العبدري ، فابن رشيد ، فالتجبي ، فابن بطوطة .

ومن هذا العصر تبديء الجامعة الحقيقية للقرويين ، التي تعززت بما احاط بها من مدارس ، وما الحق بها من خزائن ، ثم ما احدث فيها - تباعاً - من كراسي (19) .

والى هذا العصر ايضا يرجع تنظيم الدروس الوعظية في فاس بالخصوص (20) ثم بغيرها .

اما فكرة التحبّيس على المشاريع العامة ، فانما شاعت اكثر بالمغرب في هذه الفترة ، اما قبلها فقد

ذلك ، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكم من رئيس قوم قام لنصرة الدين عبّرة واحتساباً ، وكم من ولي عصر او عالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صواباً ، حتى لقد استشهد منهم عدد واسرء آخرون ، وبلغ الله - تعالى - جميعهم من الثواب ما يرجون .

وبعد ما استعرض الناصري اسماء جماعة ممن استشهد او اسر قال :

« ولقد الف الناس في ذلك العصر التأليف في الحض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والادباء فيه ونثروا ، فمن الف في ذلك الباب فافاد : الشيخ المتفنن البارع الصوفي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجيش التازي ، قال في الدوحة : وقفت له على تأليف الفه في الحض على الجهاد في سبيل الله ، فكان مما ينبغي ان يتناول باليد ، ويكتب دون المداد باللجين ، اودعه نظماً ونثراً ، ومن نظم في ذلك فأجاد : الشيخ الصالح ، المتصوف ، المجاهد ، ابو عبد الله محمّد بن يحيى البهنزلي ، قال في الدوحة : كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله في ذلك اشعاراً ، وقصائد زجلية ، وغيرها ... »

وقد اورد في الاستقصا نتفا يسيرة من هذه الاشعار نقلاً عن دوحة الناشر ، ولا يزال لم يقع العثور على مجموعها ، اما تأليف ابن يجيش في الجهاد فالغالب ان المقصود به الرسالة التي تحمل اسم « تنبيه الهمم العالية ، على الصدقة والانتصار للملة الزاكية ، وقمع الشرذمة الطاغية » ، ويعرف منه لحد الآن نسختان : احدهما تامة ، وهي تقع ضمن مجموع يحمل رقم ق 336 بالخزانة العامة بالرباط ، والثانية نسخة خاصة بتخللها بتر .

مميزات وعوامل اخرى للوحدة القومية :

وهي مجموعة أنظمة وتقاليد تنتسب الى هذه الفترة ، وقد صارت من مميزات القومية المغربية او من عوامل وحدتها .

واول ما يلاحظ في هذا الصدد انه الى هذه الفترة يرجع تنقيح وتنظيم كثير من قضايا التشريع

(19) انظر عن هذه الكراسي بالخصوص مجلة دعوة

(20) انظر زهرة الاس ، وبالخصوص مخطوطتي المكتبة الملكية بالرباط ودار الكتب المصرية .

والسياسة (4) والوفيات يدل على ان المصدر واحد .
3 — تتفق جميع النصوص السالفة في السطرين
الاولين من الخطبة باستثناء الريحانة ، حيث ورد
فيها بعض اختلاف ومن الجدير بالملاحظة ان الجزء
الوارد من الخطبة في تاريخ ابن حبيب يوجد في جميع
تلك النصوص الواردة في المصادر الاخرى بتغيير
بسيط في بعضها .

4 — ان الخطبة التي اوردها الاستاذ عنان نقلا
عن مخطوطة تحفة الانفس تجمع بين النصين الواردين
في كل من الوفيات والنفخ من جهة والامامة والسياسة
من جهة اخرى فالخطبة ، اذا ، كما هي في النفخ كانت
موجودة في مصادر قبل عصر ابن خلكان وان للمواعيني
مصدرا مختلفا عن مصدر الاثنين ، ونستبعد ان يكون
هذا المصدر غير اندلسي وان صح هذا فان نص
الخطبة كما هو وارد في هذا المخطوط كان مثبتا في
مصادر اندلسية افاد منها ابن هذيل كما افاد منها
سابقا كل من ابن خلكان وصاحب الامامة والسياسة ،
وان ظل هناك احتمال وهو ان يكون ابن هذيل نقل
الخطبة المشهورة من مراجع اندلسية والجزء الثاني
من الامامة والسياسة واثبتها كنص واحد !!

5 — ان سؤالا ملحا يتبادر الى الذهن عما يتصل
بكتاب الامامة والسياسة وهو من مؤلف هذا الكتاب
الذي نسب الى ابي قتيبة ؟ وان محاولة الجواب عن
هذا السؤال تعرفنا فقط بالمؤلف وانما نستقودنا الى
عنصر جديد يدعم نسبة الخطبة لطارق لما بين المؤلف
وفتح الاندلس من صلة وثيقة . ان الشك في نسبة هذا
الكتاب لابن قتيبة قد ساهمت الاندلس في اثاره
هذا الشك يقول القاضي ابو بكر بن العربي (5)
« فاما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذكر للمصاحبة
رسما في كتاب الامامة والسياسة ان صح عنه جميع ما
فيه » .

اما الدراسات الحديثة فقد انتهت الى ان هذا
الكتاب ليس لابن قتيبة الا المستشرق اماري فانه
يقبل ان يكون هو المؤلف ولكن هذه الفكرة هدمها
مستشرقون آخرون :

مرجليوت بعد ان ينفي هذه النسبة لاسباب
عدة . يرى ان الكتاب من نتاج القرن الثالث ولعمل
مؤلفه قصاص اسباني (6) .

فاما كاينكوس فينتهي الى ان الكتاب ينفي ان
يكون مكتوبا في اوائل القرن التاسع للميلاد بعد اعوام
قليلة من موت هارون الرشيد .

ويعتقد دوزي بأن الكتاب لا يمكن ان يكون قد
الف قبل الحادي عشر للميلاد وقد بنى رايه هذا على
وجود نص في الكتاب يذكر مدينة مراكش ، وهذه المدينة
انشئت في عهد المرابطين سنة 454 هـ (1062) وقد
نقد بريس هذا الدليل وابان عن ضعفه الشديد بأدلة
منها ان هذا التنصيص لا يوجد الا في نسخة الرباط
دون النسخ الاخرى .

ويصل « دي خوية » في دراسته لهذه القضية الى
ان الكتاب قد يكون الف في اواسط القرن التاسع اي
حوالي العقد الرابع من القرن الثالث للهجرة وان
مؤلفه كان معاصرا لابن قتيبة وقد نسبه الى هذا
المؤلف ذي الشهرة الواسعة ليتاح للكتاب الذيعوع
والانتشار . وقد يلجأ بعض المؤلفين لهذه الوسيلة لسبب
او لآخر .

ثم ينتهي هنري برس من دراسته عن هذا
الموضوع الى ان المؤلف ينبغي ان يكون قد عاش
اواخر القرن التاسع للميلاد (7) .

وقد حدد الدكتور محمود في دراسته القيمة لهذا
الموضوع مكان وزمان تأليف هذا الكتاب فقال بأنه الف
في مصر وفي القرن التاسع الميلادي . ويعتقد الدكتور
مكي بأن الكتاب قد اشترك في تأليفه اكثر من واحد .
وفيما يخص الجزء الخاص بالاندلس يرجح الدكتور
مكي بأن يكون مؤلفه مصريا قد عاش اوائل القرن
التاسع الميلادي اي قد وجد ان هذه القطعة التي تتعلق
بفتح الاندلس وبموسى بن نصير تتفق مع ما ذكره
المؤرخون عن كتاب معارك بن مروان بن عبد الملك بن
مروان بن موسى بن نصير وبأدلة قوية وحجج معقولة
ودراسة مثبتة . يصل الدكتور مكي الى ان المؤلف هو

(4) ورد في الامامة والسياسة نفس المقدمة التي وردت في كل من المصدرين المذكورين اعلاه . مع
اختلاف طفيف جدا .

(5) المواسم والقوامص ص 284 وانظر التعليق رقم 2 للاستاذ العظيم محب الدين الخطيب ناشر الكتاب
ومحققه .

(6) انظر مرغليوث: دراسات المؤرخين العرب ترجمة د. حسين نصار ص 134 — 136

(7) انظر مجلة الدراسات الاسلامية التي يصدرها المعهد المصري بمطبعة 210/5 وما بعدها حيث عالج
المحقق الدكتور محمود مكي هذا الموضوع في بحث قيم باللغة الاسبانية .

خطبة طارق بن زياد من جديد *

للكور عبد السلام الحراس

- 2 -

وهو على سريريه بين دابتين عليه قبة مجللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه دواب تحمل الحبال لا يشك في أسرهم .

فلما بلغ طارقا دنوه منه قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم حض الناس على الجهاد ، ورغبهم في الشهادة ثم قال :

« أيها الناس ، أين المنر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم ؟ فليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، إلا واني صادم طاغيتهم بنفسي لا أقصر حتى أخالطه أو أقتل دنوه » .

ولسنا في حاجة الى ايراد نص نفح الطيب فهو مشهور متداول ، ثم انه نفس النص الوارد في الوفيات الا في الفاظ يسيرة .

وبعد هذا نود أن نعلق ببعض الملاحظات على بعض السالفات :

1 - اتفق جميع من تناول فتح الاندلس من المؤلفين المذكورين سابقا بأن طارقا خطب جنوده وأورد كل منهم الخطبة جميعها أو جزءا منها ولم يقل أي واحد منهم بأنه خطب جيشه بغير العربية ، ولو كان طارق خطب بالبربرية لما غفل عن ذلك أولئك المؤرخون الذين يوجد من بينهم من كان قريبا من عهود الفتح .

2 - ان التشابه في مقدمة الخطبة بين النصوص الواردة في كل من تاريخ عبد الملك ابن حبيب ، والامامة

(د) نص ربحانة الالباب (1) :

« ولما أجاز طارق البحر ودمرهم (2) (كذا) وقال :

« انكم بين عدوين بين اهل الكفر وبين البحر فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، وأحرق سفن الجواز ..

« فلما أشرف طارق على جمعهم قال لأصحابه : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ، واني مصمم بنفسي نحو طاغيتهم حتى يحكم الله بيني وبينه ، وقد فرض الله الواحد منكم للعشرة فأحملوا كما أمركم الله ينصركم وان ينصركم فلا غالب لكم » .

وبعد هذا يقول :

قال عبد الملك بن حبيب : « دخل الاندلس من التابعين زهاء عشرين رجلا » .

(هـ) نص عبد الملك بن حبيب (3) :

« فلما بلغ تدمير نزول طارق بمن معه من المسلمين كتب الى لذريق - وهو يومئذ ملك الاندلس - « انه وقع بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا أم من الارض خرجوا » .

فلما بلغ ذلك لذريق أقبل راجعا الى طارق في سبعين ألف عنان ، ومعه العجل تحتمل الاموال والمتاع

* بقية البحث الذي نشر في العدد السابق ، ولعل الطابع سها فأسقط كلمة « يتبع » .

(1) ربحانة الالباب وريحان الشباب في مراتب الاداب للمواعيني مخطوطة الخزانة الملكية رقم 2647 .

(2) قد تكون العبارة لمحاربة الكفار دمرهم الله ، أو دمر السفن !!

(3) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد المجلد 1/5 - 2 ص 222 ، وقد نشر هذه القطعة من

تاريخ ابن حبيب الاستاذ المحقق الدكتور محمود مكي .

العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)

للووزير لسان الدين ابن الخطيب
تحقيق د. محمد كمال شبانة

- 2 -

تقديم :

فأما الوثيقة الاولى فقد تضمنت -على الاخص- اعلام ملك المغرب بما وقع مؤخرا من حوادث قشتالية داخلية ، أهمها نشوب الحرب الاهلية بين انصار « بيدور الثاني » الجالس على العرش من جهة ، وبين طبقة الاشراف بزعامة « هنري تراستمارا » الاخ غير الشرعي لهذا الملك من جهة أخرى ، الذي كان يطمع في اعتلاء عرش المملكة وكان لهذا الصدام القشتالي صداه في دوائر مملكة غرناطة ، حيث استنجد « بيدرو » بالسلطان يوسف الاول ليده بفرقة من جند المسلمين تكون عوناً له في محنته ، فأجابه ابن الاحمر الى ما طلب ، وتمكن الملك القشتالي بنفوذه وتأييد غرناطة له من القضاء على تلك الثورة ، على نحو ما سيرى القارئ للوثيقة من تتابع الاحداث في دولة قشتالة .

واذا كان ملك قشتالة هذا قد استنجد بغرناطة ، فقد استنجد اسلافه من قبل بملوك المغرب ايضا . وكان لاستجابة صريخهم فضل سحقتهم للشعورات وتمكينهم من عروشهم ، فها هو « الفونسو العاشر » المعروف بلقب « الحكيم » يطلب الى ملك المغرب يومئذ السلطان يعقوب المنصور المريني (ت 685 هـ) ان يعينه حربيا في القضاء على ابنه الثائر ضده « شانجه » ، فحقق له ملك المغرب امنيته . ثم يطلب اليه بعدئذ ان يعينه ماديا لاصلاح احوال دولته . فبيعت اليه المنصور بحوالي مائة ألف دينار . وكان « الفونسو » قد بعث الى ملك المغرب بتاجه الذهبي ضمنا .

نبدا في هذا العدد من المجلة بنشر القسم الثالث من وثائق مخطوطة « كناسة الدكان » ، بعد انتقال السكان « لمؤلفه المؤرخ ابن الخطيب » ، وهذا القسم يشكل رسائل سياسية ذات طابع تغلب فيه الاحداث الاندلسية ، وما كانت تتمخض عنه بهذا القطر ، وطبقا للصلات الاندلسية المغربية منذ الفتح العربي لاسبانيا ، نرى ملوك الاندلس ينسقون سياسة دولتهم الخارجية تجاه النصارى مع اخوانهم سلاطين المغرب . وظل الحال كذلك حتى انحسرت دولة المسلمين في رقعة ضيقة صغيرة . وقد احاطتها القوات الاسبانية ، وخاصة في زمن ملوك بني الاحمر اصحاب غرناطة ، حيث عبر المزيد من الكتابات المغربية ، وتدفقت المعونات الحربية ، مما كان له اكبر الفضل في صعود دولة بني نصر - رغم ظروفها - من ان تعيش قرابة قرنين ونصف . تصابر الاحداث العظام ، وتجالس المحن بأرض الجهاد . وها هو سابع ملوك بني الاحمر يوسف بن اسماعيل بن نصر في تلك المملكة يجسّد العلاقات بينه وبين معاصره السلطان أبي عنان فارس المريني ملك المغرب ، جريا على سنة الاسلاف . وتوطيدا للدعائم الاسلامية التي لا تفصلها حدود ، ولا تحول بينها الحواجز مهما كانت .

وفينا يلي نقدم وثائق ثلاث من انشاء وزير غرناطة ابن الخطيب ، بعث بها سلطانه يوسف الاول الى أبي عنان فارس .

(١ - ب) باعتباره تركيباً جديداً ، والسؤال الذي يرد هنا : ما هي خطبة طارق منها ؟ هل هي النص (١) أو (ب) أو (ج) أما النص (١) فان نسبته الى طارق من الناحية الفنية لا تثير اي ارتياب فأسلوبه خال من تلك العناصر التي احتج بها استاذنا الدكتور هيكل لينفي الخطبة عن طارق كالصنعة والتكلف والترغيب في الغنيمة والسبي وغير ذلك ، وان هذا النص يبدو فيه تأثر طارق بالقرآن الكريم والروح الدينية المشبوبة . وأسلوبه يتميز بالبساطة والعفوية .

أما النص (١) فهو الذي اشار المشاكل من الناحية الفنية لكن ليس من السهولة ان ننفي هذا الجزء بتمامه عن طارق خصوصاً وقد رأينا انه مثبت في مصادر القرن السابع التي استقتته من مصادر أقدم ثم ان المقرئ كان يملك اصولاً مهمة عن تاريخ الاندلس وآدابها وان كنا نلمس من الناحية الفنية آثاراً اجنبية وملاحج غريبة في هذا النص . ولكن وجود هذه الملاحج وتلك الآثار لا يجتث هذا النص من أساسه ويلغيه من أصله . وقد يكون النصان قد قيدا في موقفين مختلفين : قيل أحدهما اثر نزول الجيش الفاتح في التراب الاندلسي .

وقيل الآخر اثناء المعركة . فكان أحدهما مهيباً قبل القتال .

وأخر قيل ارتجالاً وعفواً . ويدلنا على هذا . ان بعض المراجع تنص على انه خطب في جنوده اثر حرقه للسفن . ومرة أخرى عندما اشرف على جمع النصارى (10) ، وان ابن هذيل يمهّد لخطبة طارق بقوله : لما التقى العرب والقوط واقتتلوا ثلاثة ايام اشد قتال فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام يعظهم ويحضهم على الصبر ويرغبهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم يورد نص الخطبة (11) وهذا يدل ان طارقاً خطب مرتين على الأقل ولا نستبعد ان يكون قد خطب جنوده عدة مرات لتعدد المعارك والمناسبات ..

وبعد .

فان ثمة تساؤلات أخرى أوردها على نفسي . ولكن البحث العلمي لا يسمح لي بمعالجتها الآن فالى فرصة أخرى ان شاء الله .

فاس - د . عبد السلام الهراسي

مبارك هذا الذي كان يعيش في مصر اوائل القرن الثالث او واسطه ، واعتماداً على ذلك نصل الى ان طارقاً قد خطب جنوده بالعربية وان جزءاً من تلك الخطبة كان متداولاً في المصادر القريبة من الفتح بل وتتناقله الاسرة الفاتحة ، وهناك ملاحظة قيمة وهي ان هذا المؤلف قد اُشاد بدور جده موسى بن نصير . ومن المعلوم ان علاقة هذا لم تكن على ما يرام مع طارق الفاتح الاول الذي تعرض لغضب رئيسه . ولو ان طارقاً خطب بالبربرية او لم يخطب للمرة لما ضيع حفيد ابن نصير الفرصة للتخصيص على ذلك ، في حين نجد العكس ، اذ ينص على انه خطب ويورد نص هذه الخطبة وان كان مختلفاً عما وجدناه في القرن السابع . 6 — يقول بروكلمان بأن بعض اقسام كتاب الامامة والسياسة مأخوذ عن كتاب في التاريخ ينسب لعبد الملك ابن حبيب (8) .

ويرى دوزي ان ما ورد في كتاب ابن حبيب من أساطير حول افتتاح الاندلس اخذه المؤلف عن شيوخته من المصريين كما يؤكد ابن حبيب نفسه ذلك في اكثر من موضع في كتابه (9) ولعل ذلك بدافع اعجاب الاندلسيين الوافدين على المشرق باسائدتهم المشاركة وانه قد يكون من المستبعد ان يأخذ ابن حبيب وهو اندلسي عالم قريب في زمان ومكان الفتح ان يأخذه فيها اخذه عن اسائذته المصريين ، خطبة طارق ، وقد يكون من المعقول ان يأخذ معارك عن ابن حبيب بعض ما يتصل بالاندلس ومن ضمن ذلك خطبة طارق كما اشار الى ذلك بصفة عامة بروكلمان وان كانت هذه النقطة ستظل مثار جدال ما لم تظهر عناصر جديدة تقوي جانباً على آخر ومهما يكن من شيء فان لدينا مصدرين ، متعاصرين هامين لخطبة طارق وكلاهما قريب من الفتح والفاتحين .

7 — هناك ملاحظة أخيرة وهي اننا امام نصوص ثلاثة مختلفة :

١ — نص الامامة والسياسة

ب — نص ابن خلكان ونفع الطيب وهو المعروف المتداول .

ج — اما نص ابن هذيل فيجمع بين النصين السالفين فهو يعتبر نصاً ثالثاً مختلفاً عن كل واحد من

(8) تاريخ الادب 229/2 — 230 .

(9) تاريخ الفكر الاندلسي 195 — 196 وانظر مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمديرد في العدد المشار اليه سابقاً ص 230 (القسم الاسباني) .

(10) انظر ريحانة الالباب وريمان الشباب للمواعيني مخطوطة الخزائن الملكية رقم 2647 .

(11) انظر دولة الاسلام في الاندلس عنان 1/47 .

والانصار والصحابة والال ، سيوف جلاده اذا اشتد
النزال ، والسنة جداله اذا اعمل في الدين الحجاج
وتعوطى (29 : 1) الجدل ، والنجوم الزاهرة من
بعده في سماء دينه التي سمت منها خلال ، فبهم عرف
الحرام والحلال ، ووضحت المقاصد وزال الاشكال .
والدعاء لمقامكم الاعلى بالصنع الذي رحب منه المجال
والنصر الذي راق منه الجمال ، والعز الذي لا يرومه
المقال ، والسعد الذي تساعده المطالع والمواضع
والاجتماع والاستقبال ، ولا زال ملككم تضىء منه في
اعداء دين الله النصال ، وتخدمه البكر والاصال ،
ويتجدد — بينه وبين عناية الله — الاتصال . فانا كتبناه
اليكم — كتب الله لكم فتوحا منظومة ، ومنوحا باليزيد
موسومة ، وصنائع في صحف الايام مرسومة ، وعناية
الاهية منظومة ودلائها مفهومة — من حمراء غرناطة
— حرسها الله — ونعم الله واكفة ، ومواهب مترادفة ،
ومذاهب التشيع — على رسوم الاعتقاد بها — عاكفة ،
وركايب الاستعداد — بركن مقامكم الرفيع العماد —
طائفة .

والى هذا ، ايد الله امركم ، واعز نصركم ، كما
شرح لشكر انعمه صدركم ، واعلى باضمار ما يرضيه
امركم — فاننا ورد علينا كتابكم الكريم الوفاة ، العميم
الافادة ، الذي رقمته اطراف اليراع ، وانهاء اصناع ،
وجادته سحائب الابداع ، فجاء روضة ذات ايناع ،
وما على الصبح غطاء ولا على الشمس قناع . تعرفون
اتساق الطاعة وخطبة البلاد الافريقية لامرتمكم المطاعة ،
(29 : ب) وما كان من دخول اشياخ القبائل الذي
سميتم في دينها افواجا ، وان دواء السياسة الفارسية
اوسع ادواءها علاجا ، وملأ القلوب بها بعد الهم
ابتهاجا . وانكم اعدتم حاجبكم الى سد مدينة بجاية ،

بعد القدوم عليكم بمن خلصت نيته من اعيانها ، وما
اعتمدتم به تلك المثابة من احسانها ، وما ضمن وليكم
الشيخ ابو يعقوب بن مزنى من اصلاح شأنها (وتمهيد
اوطانها (3)) واطفاء نار عدوانها ، وصرف العزائم .. «
ومنه : وان تشوقتم الى ما تزيد في هذه البلاد من
الاخبار — بما يقتضيه فضلكم الباهر الانوار — فاعلموا
ان صاحب قشتالة (4) توجه في هذه الايام الى بلاد
« جوان منويل » التي هلك صاحبها ، والتبست
مذاهبها ، لينظر في مصرف امرها ، الذي رجعت اليه ،
واحكامها التي توفقت عليه ، بعد ان صالح (القند (5))
اخاه الذي كان حربا ، وعليه البا ، ووجه الينا رسوله
يعرفنا بعزمه على الخروج الى منازل حصن « دلى »
المخالف لطاعته ، الخارج عن حكم جماعته ، ويطلب
منا مددا كبيرا من الرماة والرجال ، واعانة على القتال .
فراجعناه باننا انما نقف في المدد عندما وقع به الشرط ،
وتضمنه العقد والربط ، من تعيين ثلاثمائة من الفرسان
يكونون في جملة اتباعه ، يستظهر بهم على من يخالف
من اشياعه بطول ثلاثة اشهر من العام الذي يتوجه
فيه اليهم احتياجه ، ويصح في تعيينه بسبب الصلح
احتجاجه . (30 : 1) ويوم كتبنا هذا كان رسولنا اليه
متوجها في هذه الامور ، والله يطلع على ما يكون فيه
للاسلام سبب الظهور . عرفناكم بذلك عملا على بركم
الماثور . وما يتزيد فمقامكم يطالع به صلة لسبب البر
بسببه . والسلام » (الكريم يخلصكم ورحمة الله
وبركاته (6)) .

الوثيقة الثانية

ومما خوطب به (7) — قدس الله روحه — فيما
يظهر من اغراض المخاطبة :

- (3) زيادة بنسخ الريحانة ساقطة من الكناسة .
- (4) هو الملك « بيدرو الثاني ابن الفونسو الحادي عشر » الملقب بالقاسي ، حكم قشتالة قرابة خمسة عشر عاما (1350 — 1368 م) .
- (5) وردت هذه الكلمة في كتب المؤرخين العرب ، مرادا بها « الكونت » اللقب الشرفي المعروف وصاحبه هنا الملك « بيدرو الثاني » الذي تقدمت الإشارة اليه ، ويقصد بأخيه « الكونت هنري دي ستراسمارا » الذي نبذ طاعة العرش ، وانضم الى الاشراف في المعارضة ، حتى نشبت بالبلاد القشتالية حرب اهلية ضروس ، استعان فيها الملك — على أخيه الثائر — بولي عهد انجلترا حينئذ الامير ادوارد ، المعروف بالامير الاسود ، وتمكن بمعونته من أن يسترد عرشه لفترة من الوقت ، ولكنه هزم من بعد وقتل في موقعة « مونثيل » عام 1368 م ، فتولى سلطة الحكم الاخ الثائر الكونت هنري المذكور . راجع في هذا / ابن الخطيب في الاحاطة ج 2 ص 24 — 26 . ط القاهرة 1349 هـ .
- (6) زيادة في نسخ الريحانة .
- (7) هذا الكتاب ثابت في الريحانة وان لم يذكر ذلك بهامش الرسالة في اصل « الكناسة » .

وأما الوثيقة الثانية فهي صادرة أيضاً من السلطان يوسف الأول إلى مغاصره بالمغرب السلطان أبو عنان فارس ، وهي تشير إلى استعدادات مملكة غرناطة الحربية بالتعاون مع المغرب ، ولاسيما فيما يتصل بتحسين الشواطئ الأندلسية ، التي كانت همزة الوصل بين المملكتين ، وطالما بذلت دول النصارى في الشمال جهوداً بحرية ضخمة للاستيلاء عليها ، فتقطع صلة الأندلسيين بأخوانهم في عدوة المغرب .

وقد وردت هاتان الرسالتان غير مؤرختين ، ولكن مجرى الحوادث يجعلنا نميل إلى أنهما قد أرخا في عام 1351 م — أوائل عام 1352 م .

وأما الوثيقة الثالثة فهي عبارة عن رسالة صادرة أيضاً من أبي الحجاج إلى أبي عنان ، بغرض اعلام هذا الأخير بالعلاقات الغرناطية القشتالية . في ضوء العلاقات التي أبرمت بين هاتين المملكتين ، مما استلزم احاطة أبي عنان بمجريات الحوادث الراهنة ، وذلك اثر شكايات كانت قد تبودلت حينئذ بين غرناطة وقشتالة .

وقد وردت هذه الرسالة غير مؤرخة . ولكن تاريخها — لمضمونها — يحتمل أن يكون خلال عام 1344 م .

وها هي الوثائق الثلاث :

الوثيقة الأولى

ومنها : مراجعة كتاب فارسي [1] . يعرف بها كان من استقامة أحوال البلاد الشرقية على طاعته . بها نصه :

« المقام الذي جياذ سمعده إلى الآية القصوى ذات استباق ، وأكواس فتوحه المؤيدة بملائكة الله (28 : 1) وروحه تحثها أيدي اصطباح واغتيباق . وعقود حمده ذات انتظام في لباب الليالي واتساق . وآثار مجده كواكب آفاق ، وأحكام وده مذاهب أجماع وأصفاق ، فله — من عناية الله — واق . ومن عصمته أي رواق ، والقلوب — على طاعته — ذات اتفاق . وجداول سيوفه قد آلت أن لا تبقى على الأرض شملة نفاق . مقام محل أخينا الذي قضيا سعده وجودية

منتشرة ، ورياح نصره مبشرة . ووجوه الدين — بها يتحبه الله لملكه الحكيم من النصر العزيز والفتوح المبين — مستبشرة ، وقدرة عزمه وصفات كماله على توحد جماله متكررة ، ونهار نصره آية مبصرة ، وأقلام اللوح المحفوظ عند قسم الحدود والحظوظ مطلية لا مختصرة ، وموارد العيش الهني للملكة السني باردة خضرة ، السلطان الكذا (أبو عنان فارس) ابن السلطان الكذا (أبي الحسن علي) . ابن السلطان الكذا (أبي سعيد (2)) أبواه الله ناصر الكلمة العليا يهد منها الإيالة ، ويؤسس لها الجلالة . ويستدر من صنع الله الزيادة والإنالة . معظم مقامه التعظيم الذي لا يبرح ، وناشر كماله الذي يطور حمده في روضات مجد ، الدهر تسرح . وجياذ ثنائه في ميدان علائه نهرح ، وأقلام اطابة ذكره في صحف فخره تسهب ونشرح .

سلام — كما تأرج غب السماء زهر . وفناض للصبح على دوحة الليل نهر ، يخص مقامكم الأعلى . ومثابتكم الفضلى . ورحمة الله وبركاته .

(28 : ب) أما بعد حمد الله الذي جعل الفتوح لملككم السعيد ديباً تطوف وتنثال . والصنائع عجائب تضرب بها الأمثال . وروى نصائمه في ولائه النصر العزيز . والصنع الوحي الوجيز . حديث أطعمني وسقاني . بعد أن عظم الاحتفاء والإحتفال . وسماكم فارس هذا الملك لما ادخركم لنظم منتثر السلك . فصدقت السمة ونجح المنال . مبها رميته غرضاً أصابت شاكلته النبال . ومبها انرمه عزماً وجفست الجبال . ومبها ادرتم رأياً نجحت بعده الأعمال . ومبها خطبتهم عناية من الله تسنت منها الإمال . ومبها رميتم وجهة سحب ركابكم اليمن والاقبال . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ونبيه الذي ختم به النبيون والارسال . الملجأ الذي له الأفياء الوارفة الظلال . والمورد الذي هو العذب الزلال . نور الله الذي لا يفارقه التمام — حسب وعده — والكمال . ورايته التي لا يلحقها الدثور ولا الإضمحلال . الهادي إلى الحق وقد ارتبك الظلام واشبك الضلال . صاحب المقام المحمود إذا اشتد الظما وعظمت الأهوال . والشفاعة المدخورة إذا شهدت الجوارح وحقق الحساب ودقق السؤال . والرضا عن آله وصحبه وانصاره وأشياعه وأتباعه . فنعمة الإشياح والاتباع

(1) نسبة إلى لقب أبي عنان (فارس) . وقد وردت الرسالة في نسخ الريحانة . وإن لم ينس الناسخ للكناسة على هذا .

(2) راجع الوثيقة السابقة ، حيث أفصح ابن الخطيب عن ملوك بني مرين .

من جميل (10) الولاء في اخوتكم الرفيعة العلاء ، ويتكلم بين يديكم في هذه الاشياء ، ويجري من تبين الخلوصل على سبيل السواء ، وهو القائد الكذا أبو فلان ، وصل الله عزته ، ووالى رفعتة . ومقامكم يتفضل بالاصفاء اليه ، والقبول من ذلك على ما لديه ، والسلام .

الوثيقة الثالثة

« ومن المكاتبات في الاغراض التي تخص العدو ، ومحاولة امره ، ما نصه :

المقام (11) لكل بصلاح الامور نظره الجميل ، ويعملها كلها همت بأن تهمل ، ويبلغ هذه المستمسكة بأسبابه القصد والتأميل ، ويلاحظ من مصالحها الكثير والقليل ، ويذهب عن مذهب امانها التأويل والتعليل ، ويؤويها من جناب رعيه الظل الظليل .

مقام محل اخينا الذي على وداده الاعتماد ، والى جميل نظره الاستناد ، وبه الانتصار اذا وقع العناد ، ومن جهته التهيد اذا قلق المهاد ، ومن تلقاء تدبيره العلاج اذا تطرق الى كون (32 : 1) الهدنة الفساد ، فمكارمه قد وضحت منها الاشهاد ، ومفاخره يعرفها الحسام العضب والقنا المياد ، وعزماته يدخرها الجهاد ، وفضائله يعرفها العناد والبلاد . السلطان الكذا (ابو عنان) ، ابن السلطان الكذا (ابي الحسن علي) ، ابن السلطان الكذا (ابي سعيد المرينسي) . ابقاه الله مؤمل النظر ، كريم المخبر والخبر ، كفيلا عدله يرفع المصلحة ودرء الضرر ، ولا زالت سعوده متألقة الغرب ، ومكارمه هامية الدرر ، مرجوا للنصر المنتظر ، حيد المساعي مرضى السير ، محروسا مقامه من الحوادث والغير . معظم قدره وملتزم بره ، المطنب بهلي اللسان في حمده وشكره ، العارف بكبير محتده واصيل نجده ، فلان (أبو الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر) .

اما بعد — حمد الله الواجب حمده ، المتوالي انعامه ورفده ، الذي جعل التواصل في ذاته سببا لا يفصم عقده . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الرفيع قدره ، الكريم مجده ، رسول الرحمة ، الذي اشرق بدعوته غور المعبور ونجده ، الداعي الى الدين القويم والصراط المستقيم الذي لا يضل قصده .

والرضا عن آله واصحابه الذين انجز بنصرهم وعده ، ورفعت بهم اركان ملته بعد ما ضم عليه ضريحه الطاهر ولحده . والدعاء لمقام اخوتكم العالية بالسعد الذي لا يبلغ حده ، والتأييد الالهي (32 : ب) الذي لا يتقلص ممتده . فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم سعدا باهر الانوار ، ومجدا عالي المقدار ، وصنعا تجري بمساعدته احكام الاقدار ، ويتصرف وفق ارادته حركات الفلك الدوار ، واجرى امور هذه البلاد الغربية والاقطار من تدبيركم الحيد الآثار ، ونظركم الجميل الاعمار والاخبار ، على ما يقع من الاسلام موقع الاختيار ، ويتكفل بتأمين الخلال والديار — من حمراء غرناطة ، والاعتماد عليكم — بعد الله — وثيق السبب واضح المذهب ، والتشيع لكل كفيل للدين بنيل الارب .

والى هذا — وصل الله سعدكم . وحرس مجدكم — فاننا ان عقدنا سلما عقدناه بريحكم النفيحذر العدو هبوبها ، وان شئنا (12) حربا استعنا بعزماكم التي تنال بها الملة مطلوبها ، وان ضفنا عنكم امرا صدق الضمان ، وان وثقنا بكم انقاد الزمان . وراى سره الامان . فاحوال المسلمين في هذا القطر على جميل نظركم معتدة ، وعنايتكم بها في كل يوم متجددة ، فكلما توقع في اسباب هذنتها مرض عرض منكم على الاسى الطبيب ، او حذر من عدوها مكروه صرفت الوجوه منكم الى الولي الحبيب ، فوجوه لحظكم سافرة على حال المغيب ، وهي وان كانت بعيدة منكم توجبون لها بدينكم حق القريب . وان هذا الصلح — الذي تسنى في ايامكم ، وانقاد اليه العدو بسبب (33 : 1) اعترامكم ، واتصل اليد بمقامكم — تكاثرت فيه بين الفريقين شكايات ، وهي اذا تكاثرت في النفوس نكايات . وان تغوفل في حسم عللها ، واصلاح خللها . والتنزل فيها لانصاف ، ورفع النزاع في سببها والاختلاف ادت لانطلاق الايدي ، ومجازاة التعدي بالتعدي . حتى يتقلص ظلال الهدنة والمسالمة . وينتقل الحكم من الكلام الى المكالمة ، والحاجة الى الهدنة لاخفاء (ما) (13) بها مقامكم الرفيع العباد ، اذ في اقتضاء ما عين لها الآن من الاماد جبر الاعداء . وامكان الاستعداد ، بخلاف ما يستوفي — ان شاء الله — على المهل اغراض الجهاد .

(10) في الريحانة « دليل » بدل « جميل » .

(11) وردت هذه الرسالة في الريحانة كما نص الناسخ على ذلك هنا .

(12) في نسخ الريحانة « شئنا » وهو مناسب ايضا .

(13) ساقطة من الكناسة ، ثابتة في نسخ الريحانة ، وهو اولى .

والدعاء لمقام اخوتكم الفارسية بتوالي اليمن والاقبال، ولا زالت مقاصدها خالصة في رضا الله ذي الجلال، وعزائمها يحفها التوفيق عن اليمين والشمال. فانما كتبناه اليكم - كتب الله لكم من السعادة او فرها نصيبا، وسلك بكم السداد (31 : 1) والاسماد مأخذا قريبا، وجلالك من وجه العناية وجها عجيبا، وبواكم من منازل القبول جنبا رحيبا - من حمراء غرناطة، حرسها الله، ونحن نحض لكم السود في شاهد الامر وغائبه، ونثني عليكم ثناء يبين قصد مذهبهم.

والى هذا - وصل الله سعدكم، وحرس مجدكم، ووالى النعم عنكم - فاننا نعرفنا في هذه الايام من خدامكم الوافدين علينا بهديتكم، ما عنكم من استدعاء الاساطيل المنصورة من محل انشائها، والاستكثار من عدد حركاتها واقتنائها، وان فروض العزائم شرع في ادائها، واولياء الملة قد تذامرت على اعدائها، وحكماؤها (قد) (9) شمريت لازالة دائها، فسألنا الله اتاحة الخيرة، وتكليف الصنائع المسرة، وبادرنا لسبر ما عنكم من التشوف الى مالنا من الاساطيل الجهادية، والمقاصد الودادية. فان توفر لكم في الاستعانة بها ارب، او بان في الاحتياج اليها مذهب، نشرع في اصلاحها وتيسيرها، وننظر في ابرام امورها، لتكون مرهفة الحد، آخذة اهبتها قبل القصد، ونعلمكم - مع ذلك - ان رسولنا اليكم في الايام الماضية والاشهر المتقاضية فلانا، لما وصل من لديكم اوصل في الطعام المعتاد من سلفكم - قدسهم الله - الى هذه الجزيرة وعدا، وأنهى اليها اجتهادا في امره وجدا، وانكم جددتم من حسنات بيتكم عهدا، فأورينا في الشكر زندا، واوضحنا في الثناء قصدا.

(31 : ب) وقد كانت عادة والدكم - ازلفه الله اليه، وجدد ملابس الرحمة والرضوان عليه - ان يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الامداد، وتعيين موضعه من سواحل البلاد. ونحن نأمل أن تسلكوا ذلك العمل في سبيل الجهاد، وتخلدوا من الاعمال الصالحة ما يجده من يؤمل حسن المعاد. اذكرناكم بذلك على سبيل الوداد وكرم الاعتقاد. ووجهنا من يقرر لديكم ما عندنا

« المقام الذي يجب الى مرضاته التسرع، ويحق البدار الى وصل اليد به والتبرع، ويدعو الى الاستمسك بوده التدين والتسرع، ويخلص الى الله في حمله ما فيه (من) (8) رضاه التضرع. مقام محل اخينا الذي نعطي اخوته حقها، ونسلك من مودته طرقتها، ونشيم من عزائمها في الجهاد برقتها، ونشكر غيبتها وودقتها. السلطان الكذا (ابي عنان فارس المريني) ابقاه الله موفق المقاصد، منها الموارد، معمور النوادي بالصالحات والمعاهد، قائما من حقوق نعم الله عليه مقام الشاكر الحامد، ولا زالت عزائمها قاطعة بالمعاهد، متلفة منه للطارف والتالد، ومكارمه شاملة للاتقارب والاباعد، واقواله واعماله خالصة في طاعة الله الملك الواحد. معظم مقداره، وملتزم اجلاله واكباره، ومؤاخيته في الله على اعلاء دينه الحق واظهاره، المعارف بكرم نجاره وفضل آثاره، فلان (السلطان ابو الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر) .

سلام كريم، طيب عميم، يخص مقامكم الاسمى، واخوتكم العظمى، ورحمة الله وبركاته.

اما بعد حمد الله (30 : ب) الذي تجبى من افنان التوكل عليه ثمار الاعمال، وتقتنص من مطالب اللجوء اليه نجاح الاعمال، جاعل المودة في ذاته وسيلة نافعة يوم العرض والسؤال، وظلا على عباده يتكفل بصلاح الاحوال، مجازي من اخلص في وسيلة قصده بالصنع الباهر الجمال، والمنح الوافرة التي فوق الكمال. اقامنا بهذا الصقع الاقصى ندافع عداه بالبيض القصار والسر الطوال، وندعو الى ما فيه رضاه اهل الانتصار لطاعته والامتثال، ليصبح الامن مديد الظلال. والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الشفيع عند تعاضم الاهوال، والملجأ المنيع عند اعواز الاحتيال، ذي المعجزات التي استقلت عقودها كل الاستقلال، خاتم الانبياء وسيد الارسل، الذي نلتبس ببركته في الدنيا والاخرة من الله مؤمل الافضال، ونحارب ونسالم عملا بمقتضى سنته في الحال والمآل، ونتمسك بأخوة من نرجو دفاعه عن دينه حتى نبليغ قصيات الآمال. والرضا عن آله واصحابه اكرم الصحابة واسنى الآل، الذين كانوا في قلادة ملته مثل اللال، وفي الاهتداء لامته بمنزلة النجوم في الليال.

(8) زيادة في « الريحانة »، والسياق يستلزمها.

(9) زيادة في الريحانة.

في شؤون الحياة لاقتصادنا وبنينا

للمستاذ عبدالقادر الخلدوي

(1) « اللي ما عنده فلوس كلامه مسوس »

الشعب يعرف قيمة « الدراهم » ويعرف انها اللسان لمن اراد فصاحة ، والسلاح لمن اراد قتالا ، وانها هي التي تجعل الحياة طيبة ، اذ

(2) « الفقر مشين القعدة ومقبط الرعدة »

يجعل الحياة « مسوسة » لا يستساغ طعمها . ومن المعلوم ان هذا « حكم من يعتبر المال وسيلة للحياة لا الحياة وسيلة للمال » . وقد اورد ابن خلدون ما يؤيد « ثقل وزن الفنى » وما يلاقيه المثري من تقدير وتبجيل ، حينما ذكر في مقدمته نموذجا مما كان يسمى « بالاعاريض المزدوجة » وهي الموشحات المنظومة باللغة الحضرية وتسمى كذلك « عروض البلد » ، والنموذج المذكور منسوب لابن شجاع التازي ، وهو :

المال زينة الدنيا وعز النفوس

يبهي وجوها ليس هي باهيا

فها كل من هو كثير الفلوس

ولوه الكلام والرتبة العالي

وقديما سمعنا العامة تقول :

(3) « الاقرع بفلوسه جيب ذاك الراي نبوسه »

لان الثراء يضفي على صاحبه رداء التقدير والاكبار ، فترى الناس ينظرون اليه بعين الرضى متفاضين عما يكون به من عيوب ونقائص ، يستمعون

ان الامثال والحكم الشعبية تكون ، في غالب الاحيان ، مسبوكة في عبارات وجيزة ومسجوعة ؛ وكثيرا ما تكون متداولة في الاوساط الوديعية لانها وليدة الحياة اليومية والخبرات الذاتية . فهي تنبع وتنشأ في الاسواق والحانات والفنادق والحمامات والمقاهي الخ . ولا يهتم بها الكتاب والادباء الا لجمعها ولتبويبها او لدراسة ما تشتمل عليه من الفاظ عامية ، وفصيحة وغريبة في آن واحدة .

فاننا لا نسمع اليوم الامثال الا في « الحلقات السوقية » او « المسرحيات العامة » واكثرها عرف منذ احقاب ، لان زمان « السرعة » و « المطبعة » لا يساعد على انبثاقها ورسوخها في الازهان ؛ ورغم اقدميتها ، فانها تعبر عن حقائق ما زلنا نعتبرها واقعية بالنسبة لبيئتنا الاجتماعية ، وذلك لانها تعبر عن عواطف وعادات جماعية متأصلة الجذور ، متمكنة من النفوس ، ولا تتغير بسرعة شأن الافكار والآراء .

واني اسوق هنا امثالا شعبية ذات صلة وثيقة بطرق الكسب والحياة المعاشية ؛ فانها بمثابة حكم ووصايا قد تبدو ساذجة وبسيطة الا انها ما زالت توحى بالتيقظ والحذر في مواقف شتى من مواقفنا الحياتية ، وهي ، على كل حال ، تصور جوانب كثيرة من الحياة الاقتصادية التي عرفها المغرب قبل عهد التصنيع ، وتشخص عادات وتقاليد واحكام قد يكون بعضها تغير مع تغير النظم والامور ، الا ان اكثرها لم تزده الايام الا قيمة واعتبارا .

وان سلطان قشتالة (14) ردد الينا الرسل يطلب خلاص ناسه مما به اليه استظهروا ، وقد حشدوا كثيرا من الشكايات واستكثروا ، وحضروا بين يدينا ، فالحقوا ما يختص بايالتنا ، منسوبا الى مواضع البلاد ، وما يختص بما يرجع لايالتكم الرفيعة العماد ، وطلبوا بالانصاف مما ثبت دعواه ، وخلاص كل شك من شكواه ، فبلغنا الجهد فيما يرجع الينا من دفع الحجة التي فيها مدفع ، والاثيان بما فيه مفتح ، وغرم ما لزمنا غرمه ، واتجه علينا حكمه ، عملا بحسب التسديد الذي تتمشى به الاحوال ، ويحمد فيه بفضل الله المال ، وقيدوا بتلك الجهة التي لجميل نظركم قضايا مقرر ، ودعاوي مفسرة ، وذكرنا لكم منها (33 : ب) في مدرج كتابنا أشهرها عند الاعتبار ، واولاها بالايثار ، وسائرهما كثير يقع الكلام فيه بين منتحلي الجوار ، من المسلمين والكفار ، وتبني الاحكام فيها على ثبوت الآثار ، ولم نجد فيها حيلة الا مخاطبة مقامكم الرفيع المقدار ، اذ وجوه خدامكم بهذه البلاد — اعزهم الله — قد تنزلوا من هذه الدعاوي منزلة الخصوم ، وطال الكلام في المنطوق منها والمفهوم .

فنحن الآن نرغب من مقامكم الاعلى ومثابنتكم الفضلى ، ان يعين من بابكم من يصل الخلاص ممن يجب خلاصه ، واستخلاص ما يحق استخلاصه ، ممن يمضي بأمركم العلي الحق حيث تعين ، ويفصل بالواجب فيما ظهر وتبين . ونعين نحن من يقوم فيما يختص

بجهتنا هذا المقام . ويعين سلطان قشتالة من جهته من يروم هذا المرام ، حتى يرتفع النزاع ، ويظهر للحق الشعاع ، وتستأنف الهدنة والامان الاصقاع . فما زال مقامكم يلتمس لها اسباب الرفق ، ويدر لها سحائب الرزق ، ويلتمس من التماس صلاحها أوضح الطرق . وبهذا النظر الذي سألناه من علاكم تتمشى الامور : وتشرح بالحق الصدور ، ويطلب بجميع المسلمين من الشكايات على ما تضمنه العهد المأثور والعقد المسطور . وملك الروم في الوقت قريب الدار . داني الجوار ، يفتنم دنوه لخلاص هذه الامور ، التي يعوق عنها المطال اذا بعد مكانه ، (34 : ا) وشطت داره ، ونزحت اوطانه .

عرضنا عليكم هذا الامر المهم قبل ان يخيل ما عقد ، وينهي ما سدد ، وانتم اكفى واكفل ، وجميل نظركم المؤمل ، وعلى مقاصدكم الكريمة المعول ، وقد وجهنا الى بابكم في هذا الغرض من يشرح الامور فيها . ويقرر المقاصد ويستوفيها ، وله بها درية وخبرة . ومعرفة مستقرة ، ذلك القائد الكذا ، ومقامكم يتفضل بالاصفاء لما يلقيه ، والقبول على ما يؤديه . والله تعالى يبقي مقامكم سامية معاليه ، عائذا جميل نظره بالخير على من يواليه ، والسلام (الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته (15)) .

حقيقه الدكتور
محمد كمال شبانة

القاهرة

- (14) هو « الفونسو الحادي عشر » الذي حكم قشتالة سنة 1312 — 1350 م .
(15) زيادة في نسخ الريحانة ، دون الكناسة .

(17) « المكسي بديال الناس ، عريان »

(18) « ما يغلبك غير اللي يقول لك : اخرج من داري ، والا اعطيني دياالي »

(19) « حبة قرض ، تخلي ارض »

نعم كل منا يعرف ما ينتج عن « القرض » من تقييد للحرية وتضييق لمجال التصرف ، فالدائن غالبا ما يكون من المرابين الذين شغفهم حب المال وخلت قلوبهم من الرحمة والاحسان ، يطففون في الكيل والميزان ، ويبيعون الدوني من البضائع بأفحش الاثمان ، وقد يفرضون على صاحب الارض لونا من اللوان الفلاحة ، وطريقة من طرائف الاستثمار ، وعلى التاجر اسلوبا من اساليب المعاملات حتى يضطر المدين الى فك رقبته بوسيلة من الوسائل ولو كان ذلك ببيع ارضه او باخلاء داره او مغادرة وطنه .

ولا يخفى على ذوي الاطلاع ان « القرض » كثيرا ما افضى بامم ذات ماض مجيد بالوقوع في ايدي الاستعمار الخائفة ، وانها لم تفلت منها الا بالرجوع الى حسن استغلال ما لديها من خيرات مادية وطاقات بشرية .

هذا واذا كان « الدين » وخيم العواقب فان الاقتصاد (التوفير) يعتبر لدى الشعب من الصفات المحمودة .

(20) « الاقتصاد في المعيشة ، نصف المعيشة »

(21) « الاقتصاد في الكشينة ، (المطبخ) يبنى مدينة »

وهناك امثال شعبية تحت على التقدير بل تدعو الى الصبر على الجوع اذا كان ذلك يفيد الاعتزاز بالنفس وادخار ما قد يساعد على تحسين الحالة وتوفر الكرامة .

(22) « بات بلا لحم ، تصبح بلا دين »

(23) « اللي خلى غداته لعشاته ، ما تشفوا فيه اعداته »

(24) « عمر كرشك بالتبن ، وادهن شواربك بالسمن ، ودز على عدوك مصبن »

فالحج يغدي العواطف الدينية ويسر زيارة البقاع المقدسة ، والاتصال بمؤمنين يأتون من اقطار مختلفة ، الا انه قد يفهم من « الحج » اقامة « المواسم » وزيارة « الاولياء » وما يترتب على ذلك من تنظيم الحفلات والرقصات « الفلكلورية » .

والزواج يضمن استمرار النسل ويوثق اواصر المصاهرة ، الا انه يفتح باب الاسراف ، وكثيرا ما يؤدي الى التنافس في اللواتم والتفاخر في الملابس والتباهي في محتويات « الشوار » .

واما البناء فانه يوسع ميدان الشغل ويشجع المحترفين والفنانين من « زلايجية » و « جباية » و « نقاشة » و « رقائعية » الخ .

فالمغاربة ، ولا سيما اهل المدن منهم ، مولعون بالتعمير ، ويقومون بالبنائات ، اما للترفيه ، واما للكسب ، واما في سبيل البر والاحسان ، ويعتنون عادة عناية كبرى بتزيين الابواب ، وتزليج اُفنية الدور ونقش الابهاء والحنايا الخ .

واما الموسرون منهم وذوو البيوتات والمناصب العالية فانهم يتبارون في تشييد « القصور » و « المنزهات » ولا يتأخرون عن استخدام امهر الصناع ، واغلى المواد واقتناء انفس الاواني واجمل الزرابي الخ .

(14) « الشنعة ، خير من الشبعة »

نعم ، فان الرغبة في « الشنعة » اي « السمعة » هي التي تدفع بالانسان ، في غالب الاحيان ، الى تشييد الدور الفخمة ، واقتناء الملابس الانيقة ، وارتداد المصاييف المشهورة ، وركوب السيارات ذات الالوان الزاهية ، وتنظيم الحفلات والسهرات ، والاستقبالات الخ .

كل ذلك طيب ما دامت تلك « الرفاهيات » في نطاق الامكانيات ، ولكن اذا كان الوصول الى هذه « الشنعة » ، لا يتم الا بقبیح الصنعة او بالتقتير في « الضروريات » المعاشية او بالاقتراض من عمر او زيد ، فان الحكمة الشعبية لا تقرر ذلك .

(15) « الزوق من برا ، اش حالك من داخل »

بل تسفه من يعتمد على « الدين » ليظهر في مظهر « زين » فمن الامثال المغربية في هذا الموضوع :

(16) « الدين ، مسود الخدين »

التسارع الى اقتناء الكماليات سيما بالنسبة لمن لا
تسع امكانياتهم حتى الضروريات .

(8) « الشيء من الشيء نزهة ، والشيء من قلة الشيء سفاهة »

السفيه هو الذي لا يحسن التصرف ، ولا يوثق
بمشروعية معاملته اذ السفاهة من موجبات « الحجر »
والمنع من « النزهة » لان « النزهة » تليق بمن
يعرف اين يضع رجله ويحسن اختيار ما يدخل عليه
السرور ، ويستطيع على كل حال ، ان يؤدي ما
تستوجبه « نزهاته » من مصروفات ، حتى اذا
انحرف عن الذوق السليم ومال عن « العرف »
المقبول .

(9) « اللي عنده سميد ، كل يوم عيده »

(10) « اللي كثر زعفرانه ، يعمله في اغلال »

« اغلال » يكفيه الصعتر « والكمون » « قشور الليمون »
لتطيب رائحته ، و « يطيب » مرقه ، ولا يتوقف على
الزعفران وهو « مادة » غالية الثمن تستورد من
الخارج ، وتستعمل بمقدار ، وفي الوان خاصة من
« الطواجين » فاستعمال الزعفران في « اغلال » اذن
امر نادر ، ولا يقدم عليه الا من لا يهجم ان يراعي ما الفه
الناس ، « للناس فيما يعشقون مذاهب » ومن المعلوم
ان الحاجيات تتفتق بازدياد الدخل .

(11) « منين تشبع الكرش ، تقول للراس غني »

(12) « اس خصك العريان : الخاتم امولاي ! »

اذا امتلا بطن الانسان وبطن من يعولهم فانه
يسوغ له ان يفرج عن نفسه بالفناء ، وقد يسرت ذلك
الاذاعات . ولكن كيف يسمح للعريان بشراء الخاتم ؟ !
والماولف ان ،

(13) « اللي كثر فلو سه ، يحج ، والا يتزوج والا يهدم داره ويعاود بينها »

حقيقة فان المغاربة الاثرياء يرون في هذه « المنافذ »
الثلاثة استجابة لواجبات دينية ويسرون فيها كذلك
تنشيطا لحركات اقتصادية .

لاقواله ، ويؤمنون لدعواته ، ويحضررون حفلاته - وان
كان هو نفسه لا يدعو الا الاثرياء امثاله - ويعودونه اذا
مرض ويقفون بجانبه في المحاكم ، ويزوجونه اذا رغب
في الزواج متغافلين ، في بعض الاحيان ، عن كبر سنه ،
وارتخاء عضلاته ، وارتعاش مفاصله .

والفني اذا توقف على قسط من المال يجد
بسهولة من يقرضه .

(4) « اللي عنده القمح يتسلف الدقيق »

والفني اذا مات تشيع جنازته افواج من ذوي
الجلاليل والسلام ، وطوائف من الفقراء وحفظة
القرآن ، ويترحم عليه الاقارب لاسيما اذا كانوا ممن
يستفيدون مما يخلفه من مال او عقار او عروض .

(5) « الله يرحم من مات ، وخلي الميدة (المائدة) عامرة بالفتات »

ولكن لا ننسى ان الشعب يميز بين الاغنياء ذوي
النعمة الحديثة ، والاغنياء الذين « ولدوا في الخير
والخمير » وورثوا المال خلفا عن سلف ولم يذوقوا
مرارة الجوع ، ولم يسبق لهم ان اهيئوا او احتقروا .
والحديث النعمة ، مثل اولئك الذين « دعوا باغنياء
الحرب » او « المارشى نوار » (السوق السوداء) ،
يكون عادة جامد الكف ، مغلول اليد ، وكثيرا ما يتعالى
عن الفقراء وخصوصا عن اولئك الذين يكونون قد
عرفوه ايام البؤس والشقاء ، لانه يعرف قيمة « الفلس »
وقد يكون سبق له ان وقف بين يدي اثرياء ذوي
نفوس قدرة ونوايا فاسدة او اغراض خبيثة .

(6) « تاكلها من يد الشبعان اذا جاع ، وما تاكلها شي من يد الجيعان اذا شبع »

والشعب اذا كان يقدر المال ويعتبره اقوى
مدلل للمصاعب ، وانجع وسيلة لتحقيق الرغائب
واكبر مشجع على خير الدنيا والاخرة ، واذا كان
يفرط احيانا في تبجيل الاثرياء ، حتى ذوي الصناديق
الثقيلة والقلوب القاسية ، فهو لا يرى من الحكمة في
شيء ان يعيش الانسان فوق مستواه .

(7) « على قدر فراشك ، مد رجلك »

ولا يحذ الاسراف والتبدير او على الاقل

ولكن كثيرا ما ترى ايضا اصحاب الصنائع التقليدية المشهورة بأنفون من تعليمها لمن ليس من اقاربهم .

(33) « صاحب صنعتك عدوك ، واخا يكون بوك »

اذ كثيرا ما تؤدي المشاركة في الحرف الى التحاسد العقيم بدل ان يؤدي الى التنافس الثمر الراجع الى ما تركز عليه السمعة الطيبة من اتقان في العمل وتحسين طرق انجازه ، وهذا ما يحمل من جهة اخرى العملة الذين لم يحرصوا اباؤهم على تعليمهم صنعة معينة ، ان يقبلوا تارة على هذه الصنعة وطورا على تلك ، فلا يستطيعوا الوصول الى المهارة التي تضمن لهم الدخل المنظم :

(34) « سبع صنائع ، والرزق ضايع »

لقد قيلت عدة امثال في الحرف ، واصحاب الحرف وفي معاملاتهم ، خصوصا فيما يجب مراعاته ؛ فانه مثلا من اللازم ان تحدد للصانع شروط العمل من حيث الكم والكيف ، ومدة الانجاز والتمن ، وطريقة الاداء الخ ! .

(35) « الشرط سيد الاحكام »

(36) « اللي اوله شرط ، آخره سلامة »

واذا كانت الماطلة في تادية اجرة العمل تعد من اكبر العيوب فان تسبيق الاجرة كثيرا ما يفضي الى النزاع ، اذ يقولون :

(37) « تسبيق الاجرة ، من تبطل العمل »

لان العامل الذي يتوصل بالاجرة قبل ان ينجز العمل المطلوب منه يميل عادة الى التهاون ، موهما انه لا يقصد الا الخير ومتعللا بالامثال التالية :

(38) « لا زربة على صلاح »

(39) « ازرب تتعطل »

فاذا كان القرويون يهجرون الى المدن للبحث عن العمل ، ويتحملون انواع المشاق للحصول على القوت والمأوى فانهم يقدرون ما للاستقرار من فوائد

« اللي تبت نبت » ولا يغادرون البادية الا عندما لا يبقى لهم بها عمل مجد او عندما ينزل بهم فيها ظلم او حيف ، وحينئذ يخضعون لما قد تفرضه عليهم الظروف القاسية :

(40) « الخدمة مع النصارى ولا لجلال خسارة »

(41) « اللي ترهنه بيعه ، واللي تخدمه طبعه »

واما اذا كان لهم اراض او كان من المتيسر عليهم ان يكرؤا فدادين يحرنونها او ان يعملوا كخماسة فانهم يقبلون على الفلاحة لما قد تدره الارض من خيرات ، ولانهم يرون ان الاقتصاد بني على الفلاحة - اذ لم يعرف المغاربة التصنيع الحقيقي الا في العشر سنوات الاخيرة - بل يرون ان الخير كل الخير فيما تجود به عليهم على الارض واما المكاسب الاخرى فما هي ، في نظرهم الا روافد .

(42) « جرثة ولا ورثة ولا سر حتى »

(43) « احرث وطول المرجع ، فلوس التاجر لك ترجع »

وهناك امثال تبين فوائد « اراحة الاراضي بتركها بورا وفوائد التوسيع بين الاشجار :

(44) « بور ارضك يكبر حظك »

(45) « الشجرة تقول لاختها بعدي ظلك على ظلي نجيب حملك وحلمي »

فلنتقل الان الى التجارة ، ان لفظة « تاجر » كثيرا من يكون لها في العامية معنى « الغني » «الموسر» وغالبا ما يطلق في المدن الكبيرة مثل فاس ومراكش والدار البيضاء على « اليهودي التاجر » وفي البداية على « المعمار الاوربي » صاحب « الفرمت » (الضيقات) .

وجولة قصيرة في الاحياء التجارية ، وفي الاسواق الاسبوعية ، ومراكز الجماعات القروية وفي المعارض الوطنية والدولية ، كافية لبدء ما للمغاربة من نشاط مثمر في الميدان التجاري .

ففي « القيساريات » و « الفنادق » والازقة المخصصة لانواع المبيعات نرى الاكوام من البضائع

ولكن اذا كانت الامثال تحض على الاقتصاد وحسن التصرف فان الشعب لا يرى خيرا ولا نفعا ، في اكتناز الاموال في الصناديق ، والامتناع عن ترويجها واستثمارها في ما يحل ويطيب من طرق الاستثمار .
يقول المصوام :

25 « اصرف ما في الجيب ، ورب يجيب ، ما في الفيب »

الا ان من الناس من يذكرون هذا المثل للصد عن الشح وللحث على استخدام الاموال طلبا للربح وتنمية رؤوس الاموال ، وعلى المغاربة في الاخذ والعطاء ، ومنهم من يسوقونه حضا على التبذير والاسراف ، بل على « الاتكال » و « التوكل » الذي لا يسانده عمل ولا سمي كان من شأن السماء « ان تمطر الذهب والفضة » فان هذا الصنف من الناس يرون انه من العبث ان يضع لموارده ومصاريفه « ميزانية » .

26 « ما كيجسب غير الزلوط »

« الزلوط » هو الذي يعيش في الفقر والمسر وهو قلما يطبق قول القائل :

27 « اللي جابوا النهار ، يديه الليل »

بل كثيرا ما يضرب الاخماس في الاسداس عسى ان يحظى بما قد يلقي على ايامه القاتمة بصيصا من النور وذلك لكي :

28 «نجمع قريش على قريش، حتى يعمل كديس »

ومهما يكن من امر فان المغاربة ، بصفة عامة لا يضعون لانفاقاتهم المنزلية « ميزانية » فالعامل مثلا او الموظف يعرف ما يقبض ، ولكنه لا يستطيع ان يتوقع بكيفية دقيقة ما قد يفتح امامه من ابواب الانفاقات الاستثنائية ، فالضيوف كثيرا ما « يفاجئون » في ايام قد يكون فيها رب البيت في حيرة من امره بسبب « هزال كيسه » والاقارب و « المعاريف » كثيرا ما « ينزلون » « بدجاجة » ولا يرحلون الا بعد ان يأكلوا « أخرافا » و « ديوكا » وأحيانا الا بعد ان تجدد لهم الملابس وتقدم لهم اجرة السفر .

فالمغربي وبالأخص الفلاح او التاجر الموسر كان ، الى عهد قريب ، لا يشتري ما قد يتوقف عليه

من مواد غذائية اساسية بالتقسيط وبالكيلو « والرطل » بل كثيرا كان يشتري ، في الابان المناسب ، ما يكفيه لسنته ، من قمح وشعير ، وزيت وسمن و « خليع » الخ ويدخر في « خزين المنزل » يدفع « مفاتحه » لزوجته او لأمه او لحاضنته « دادة » اي لامرأة رصينة تحسن التصرف ، وتضع الاشياء في مواضعها ، والمغربي الذي تكون هذه حالته ، يعيش عادة في دار كثيرة المرافق ولا يتضيق من « الضيوف » سيما اذا كانوا من اقاربه او من الذين بينه وبينهم معاملات تجارية او فلاحية تعود عليه وعليهم بالنفع والفائدة .

اما في ايامنا هذه فان المغربي وبالأخص بالمدن ، موظفا كان او عاملا او تاجرا فانه قلما يفكر في « العولة السنوية » لان « قضاء الحيوي » من حيث المنزل ، ومن حيث الاثاث ومن حيث الاواني . ومن حيث « العملة » لا يسمح له بذلك :

29 « بنات اليوم ، بنات الرطل والنص رطل ، من القفيقة للصحيقة »

فلننظر الان ما هي طرق الاكتساب والارتزاق التي عرف المغاربة فضائلها وتواصوا باتباعها .

ان الطبقات الشعبية من اهل المدن لا تستنكف من الاحتراف ولا ترى غضاظة في الاعمال اليدوية .

30 « الحر حر ، والصنعة ما انصر »

والمغاربة ، بصفة عامة ، يقبلون على الصنائع ويرون فيها مكتسبا حلالا يضمن لهم العفاف والكفاف والفنى عن الناس ، الاحياء منهم والاموات :

31 يمشي مال الجدين ، وتبقى صنعة اليدين »

وكثيرا ما نرى افراد اسر معينة يتوارثون الونا من الحرف و « الصناعات التقليدية » ويعلمها كبيرهم لصغيرهم حتى نرى أسماء بعض الحرف تصير اعلاما لبعض الاسر « الصباغ » و « النجار » و « عواد » و « الخياط » و « الكباش » و « الحرار » . وما ذلك الا لان افراد تلك الاسر تسابقوا الى تعلمها حتى عرفوا بها او عرفت بهم .

32 « صنعة بوك ، لا يغلوبك »

ومراقبة الموازين والمكاييل ، ومحاربة الغش والتدليس
ولكن :

(52) « كل واحد عينه ، هي ميزانه »

ولا يجوز لنا ان ننسى ان المقاييس تختلف باختلاف البيئات والعقول والنفوس والمراكز الاجتماعية والمستويات الحياتية والاعتبارات السلالية:

(53) « لو كان تتقاد العقول، لو كان تبور السلوع»

(54) « كل فولة مسوسة ، كيجيب لها الله فروج اعور »

واذا كان الكل يعرف ان الصفاء وحسن النية من مستلزمات التعارف والتعايش ، فالمشتري يحرص على ان يختار احسن البضائع صنفا واجملها منظرا واطيبها طعما ، غير مفتر « بتزويق العرض » او رخص الثمن ، او تاخير في الاداء ، مطبقا المثلين التاليين :

(55) « اقض وامض ، ورد فلوسك معك »

(56) « اللي عجبه رخصه ، في الدار يرمي نصه »

او (57) « عند رخصه ، تخلي نصه »

والبائع كثيرا ما يكون سمحا ولين المريكة مع المشتري الذي يؤدي الثمن نقدا ، لانه يعرف .

(58) « ان البائع بالطلق ساعي ولا داعي (ساع) او (داع) »

اي قلما يصل الدائن الى استيفاء ما على المدين بدون الوقوف امام المحاكم او على الاقل بدون « روحات وغدوات » الى منازل المدينين او تردد على الادارات والمصالح التي يعملون بها .

وغالبا ما نرى بالتاجر والدكاكين أوراقا معلقة عليها هذه العبارات .

(59) « الطلق ممنوع ، والعتب مرفوع ، والرزق على الله »

ومهما يكن من امر فان « الدين » من مستتبعات المعاملات التجارية ، لان للدنيا « اقبالا وادبارا » .

(60) « الى جات تجرها سبيبة ، والى مشات تقطع السلاسل »

(61) « والسلطان بالتاج ويحتاج »

وقد انشئت الابناك وصناديق القرض والاستثمار ، لتيسير المعاملات وليمكن للمعسر ان ينتظر الميسرة ، ولكن المصارف ومؤسسات القرض لا تهتم بصغار التجار او الزبناء الذين لا يتوفرون على موارد ذات شأن ، ولذا نرى اصحاب المتاجر الوديمة لا يرون بأسا في البيع « بالطلق » ولا سيما لصغار الموظفين والمستخدمين الذين يسكنون بجوارهم لان المدينين الاوفياء يكونون بمثابة الشركاء :

(62) « اد ورد ، في المال شريك »

واذا ثبت صدق البائع وصدق المشتري فلا يلبث الوثام ان يسود بين الاثنين ، فيطمئن البائع وتزدهر تجارته ، ويستريح بال الزبون فتنتظم حياته :

(63) « الدنيا على المليح تولي »

(64) « والانسان راس ما الانسان »

واذا ما اكرم الله الأزواج بزوجات يحسن التصرف ويقدرن عواقب التهور والاسراف ، فان الاسر تعيش عيشة منزلية كريمة سعيدة ، « والطيب لا ينبت الا طيبا » .

(65) « الخير مرآة ، والشر مرآة »

اجل فالثروة الحقيقية هي « الثروة البشرية » اي ما يتسم به افراد « الوحدات الاجتماعية » من ضبط وحزم ومن حرص على مراعاة مقاييس التطور المعقولة في الميادين الروحية والاخلاقية وفي المجالات الاقتصادية سواء عند الانشاء او الانتاج او العرض او الاستهلاك .

يقال :

المستوردة من الخارج أو المعدة للتصدير ، ونرى الدكاكين المثقلة رغوفا بالاثواب والملابس ، والاحدية والاواني ، ونرى كذلك اكياسا وصناديق وسلالا من « القطنيات » والخضر ، والفواكه ، الخ ...

وفي الاسواق القروية نرى نماذج عديدة من البضائع والسلع وقطعانا من الغنم والبقر ، والحمير والبغال .

واذا انت دخلت ، في ايام معينة من الاسبوع او في اوقات محددة من كل يوم ، بعض الاسواق او الرحاب المعدة للبيع والشراء فانك تشاهد طوائف من الباعة القارين او المتنقلين ، وافواجا من الرانحين والغادين لقضاء مارب ، وتسمع اصوات الحمالين ، والسقائين والدلالين .

وعلى ذكر الدلائل نسوق هذا للمثل :

(46) « اللي صدق دلاله لا ربحه ولا رأس ماله »

وهذا مثل قد يصدق على « السماسرة » لانهم يعملون تحت ستار السر والكتمان عندما يتوسطون في بيع دار او دكان او ضيعة ، فانهم في غالب الاحيان يزينون المكان في نظر الشاري ليدفع الثمن المطلوب و « يظهرون » للبائع العيوب لكي يتنازل عن قدر من الثمن . هذا وقد يقع اتفاق بين السمسار والشاري لفين البائع بوسيلة من الوسائل .

ان كثيرا من الامثال المتعلقة بالتجارة اي بالبيع والشراء تشير الى ان المشتري ، وخصوصا الذين يؤدون ثمن مشترياتهم نقدا ، قلما يتقنون بضاعة من غير ان يتحققوا من سلامتها وصلاحياتها ، ومن ان يطيلوا المساومة ، لانهم مقتنعون بان التجارة لا يستنكفون من الفس والتدليس وان خصائصهم ترديد الايمان المغلفة لتوكيد « قناعتهم » فيما يخص الارباح ولتزكية ادعاءاتهم فيما يخص قيمة بضائعهم وجودتها من المتعارف ان :

(46) « مول الفول ما كيقول غير طياب »

وان شعار التاجر هو :

(47) « عل ، تصيب ما تخلي »

ومعنى هذا ان البائع ينظر دائما « بعين الرضى » الى كل ما يحتوي عليه دكانه ، وانه يرى دائما في

« الشاري » رجلا يجد لذة في المساومة ، ويتهاود في الائمان . ولذا يعتبر ان لا فائدة في اشهار الائمان و « التعاريف » .

ومن طبيعة الحال ان تضيق صدور التجار بالزبناء الثقلاء المفرطين في المساومة و « المهادنة » . ولذا نسمع بعضهم يقولون :

(48) « كساد عام ، ولا مشتري حنكور »

الا ان التجار الصغار لا يرون خيرا في الاحتكار ولا في « الكساد » لان بضائعهم قليلة او سريعة الفساد ورؤوس اموالهم طفيفة ، وارباحهم ضئيلة ، وحينما ينتشر الكساد تبيت البطون طاوية وتظل الوجوه مكفهرة وتشمئز النفوس من الركود والوار حتى اذا كان في ظل الامن والعدل . وهذا ما ادى الى دبعو المثل التالي :

(49) « حكم جانر ولا سوق بانر »

هذا ولا يخفى على احد ان كثيرا ما تخصص في المدن المغربية - بل الشرقية الاسلامية على العموم - اماكن معينة للباعة ولاصحاب الصنائع والحرف . وكثيرا ما تكون دكاكين اصحاب الحرفة الواحدة او البضائع المتشابهة في ازقة او ساحات تصبح معروفة بها ، ولا ادل على ذلك من اسماء الاسواق والحارات بفاس مثلا او مراكش او سلا او الرباط الخ ، فهناك « الحارارين » و « العطارين » و « الشرايلية » و « النيارين » و « العوادين » و « القطنيين » و « السلايين » و « النخالين » الخ . بحيث يتسنى للزبناء ان يتجولوا بين الدكاكين قصد الشراء او التطلع الى ما قد يليق بهم اقتناؤه .

(50) « الحوانيت مصطفة والارزاق مختلفة »

ويتسنى لهم كذلك ان يقارنوا بين البضائع المعروضة والائمان المطلوبة ، فيمكنهم ان يختاروا ما يناسب ذوقهم او « طاقتهم الشرائية » .

(51) « هود سحاري ، واطلع شاري »

ومن المعلوم ان بكل سوق من الاسواق الكبيرة ، محتسبا مهمته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر



حضارات الصحراء

للمستاذ محمد العربي الخطابي

وان بين ايدينا الان طائفة من المؤلفات والمراجع الهامة ، باللغات الاوربية ، عن الصحراء ، شرقيها وغربيها ، من هذه المؤلفات ما يتناول بالدرس عصور ما قبل التاريخ ويدرس المآثر والمخلفات المكتشفة في عدد من انحاء الصحراء ، ومنها ما يهتم بمسالكها وطرقها التي كانت تمر بها القوافل التجارية التي كانت تتجمع في غدامس وسجلماسة وغيرهما متجهة نحو الجنوب متوغلة في بلاد افريقيا السوداء . ومن هذه المؤلفات ما يبحث في جغرافية الصحراء ويدرس سطح ارضها وباطنها ، ومنها ما يدرس احوال سكانها الاجتماعية والانثروبولوجية ، ومنها ما يهتم باقتصادياتها . ومعظم هذه المؤلفات مكتوب باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية والاطالية والالمانية ، ولست اعرف لاهمها ترجمة الى اللغة العربية .

وآخر هذه المؤلفات التي صدرت في أوروبا ، فيما أعلم ، كتاب « حضارات الصحراء » (*) اخرجته دار للنشر في بلجيكا اعتادت ان تصدر نقائس المؤلفات في شتى العلوم والآداب والفنون .

يشتمل هذا الكتاب على قسمين كبيرين : عنوان القسم الاول : « على طريق العربات الفرمة من طرابلس الى النيجر » ، يهتم فيه المؤلف بالصحراء الشرقية فيتعرض لثرواتها الانثوية الهامة التي اكتشفت في تاسيلي ونواحي فزان وغيرها . ويتحدث عن الصحراء في عصور القرطاجنيين والرومان والفتح الاسلامي ، ثم ينتقل الى الكلام عن قبائل ترغرة (الطوارق) الملثمين ومواطن اقامتهم وتوابعهم . وعن

لم تكن الصحراء في تاريخنا ، في تاريخ المغرب الكبير ، مجرد باب أو طريق نتصل منهما بالطرف الاخر من افريقيا ، بل ان الصحراء كانت امتدادا حضاريا لا يكتمل كياننا الجغرافي والتاريخي والبشري بدونه .

ومع ذلك ما اكثر ما نجعله عن هذه الصحراء ، وما اقل ما نغنى بدراسة احوالها وشؤونها ، الماضية منها والحاضرة !

فاذا كان بعض القدامى من مؤرخينا ورحالتنا وجغرافيينا قد اهتموا بالصحراء فدرسوها ودرسوا احوال سكانها ، او جابوها فعرفوا مسالكها وشعابها ، فان المحدثين منا قد اهملوها اهمالا مزرية كأنها ليست جزءا يرتبط ببلادنا ارتباطا عضويا ، جغرافيا ، وتاريخيا ، وروحيا .

من المؤلفين والرحالين القدامى الذين اهتموا بالصحراء اهتماما يزيد او ينقص وحدثونا عنها وعن احوال سكانها : ابن حوقل ، والبكري ، والادريسي وابن خلدون ، والحسن الوزان ، وابن بطوطة ، وعبد الرحمن السعدي .

وجاء العصر الحديث فأبدى المؤرخون والجغرافيون والرحالون الغربيون اهتماما بالصحراء ، فدرسوها من النواحي الجيولوجية والجغرافية والانثوية والانثروبولوجية والاقتصادية ، وحفروا فيها ونقبوا عن الاثار القديمة وعن النفط والمعادن ، واكتشفوا فيها ثروات لا تقدر بثمن .

66 « السوق لمن أصبح فيه ماشي لمن سمع به »
وهذه حكمة ترمز الى ما يترتب عن التقليد
الاعمى الذي تبدو خصائصه ، في « الخضار » مثلاً
الذي يقصد باحمال من « البصلة » سوقا بيعت فيها
البصلة غالبية في الاسبوع المنصرم ، او يستورد من
بلاد بعيدة كتباً كثر الطلب عنها الخ . لان السمع
« بالطلب » يكثر « المعارضين » ويؤدي ذلك بطبيعة
الحال ، الى انخفاض الائتمان ، بل الى الخسارة .

« فالقلد تاجراً » كان او موظفاً او محترفاً قلماً
ينبغي ويصل الى ما يثلج الصدر في « معترك الحياة »
بيد ان الفرد المنتج ، صاحب المبادرات المفيدة المثمرة
الذي يعرض بضاعة جديدة ، او يتكفل بخدمة طريفة ،
لاشباع حاجات جديدة يتمتع بمكافأة « مزدوجة » :
هي الربح المادي ، والشعور بالقيام بعمل عظيم .

الرباط : عبد القادر الخلافي

انسى نفسك

قال ابليس : انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .
وقال النمرود : انا احيى واميت .
وقال فرعون : انا ربكم الاعلى .
وقال قارون : انما اوتيته على علم عندي .
وقال صاحب الجنتين : انا اكثر منك مالاً واعز نفراً .

والا

| | |
|------------------|---------------------------------|
| عاقبة ابليس | فاخرج منها فانك رجيم |
| عاقبة النمرود | فبهت الذي كفر |
| عاقبة فرعون | فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم |
| عاقبة قارون | فخسفنا به وبداره الارض |
| عاقبة صاحب الجنة | فاصبح يقلب كفيه |

وتبدأ المرحلة الثالثة حوالي سنة 1200 ق. م. في عصر التاريخ . وهي **مرحلة الحصان** حيث يشاهد على الجدران الصخرية صورة تمثل محاربين يمتطون عربات تجرها الخيول . ويعتقد بان السكان الليبيين الذين ظلوا الى ذلك العهد قاطنين في شمال الصحراء قاموا بحركة توسعية . وقد مكنتهم انفرادهم باستخدام العربات من مد سلطانهم الى ضفاف النيجر . وربما ينحدر (الطوارق) الحاليون من هؤلاء الفرسيين (Garamantes) الذين وصف لنا هيرودوت عاداتهم .

اما **مرحلة الجمل** فقد بدأت قبل بضعة عقود من ميلاد المسيح ، حينما طرات على الصحراء تغيرات لم تعد معها صالحة للسكنى بسبب ما أصابها من جـدب .

لقد اكتشفت في اماكن متعددة جنوب طرابلس صور محفورة على الصخور تخلد حيوانات الصحراء قبل تحولها الى منطقة قاحلة ، ومن هذه الحيوانات : الفيل ، والنعام ، والبقر ، والغنم ، والتماسيح ، والغزلان ، والاسود ، وعجول الماء . وبفضل هذه الصور وبما عثر عليه من رميم العظام امكن التعرف على البيئة البشرية والحيوانية والنباتية لذلك العصر .

وما كان لتلك الحيوانات ، النباتية منها والمفترسة ، ان تعيش الا في ارض غزيرة الماء وفيرة العشب . ولقد كانت بالصحراء الوسطى سهول ندية ومخضرة ، ووديان آهلة بالاشجار التي تقات منها الزرافات والفيلة والنعام فضلا عن اقوام من الرعاة والصيادين .

وقد اضطرت تلك الحيوانات ، بسبب ما طرا من جفاف وارتفاع درجة الحرارة ، الى مفادرة شمال افريقيا كما غادرت اوربا من قبل ، ونزحت الى غابات افريقيا الوسطى وسهوبها حيث بقيت الى ايامنا هذه . ولم تصبح اسباب العيش شاقة عسيرة في الصحراء الا في العصر الحجري الجديد حيث لم يبق فيها سوى قلة من الناس يقيمون حيث يوجد قليل من ماء . وانا لندين لهؤلاء القوم الصحراويين من العصر الحجري الجديد الذين صاروا رحلا يبحثون عن الماء والمرعى ، اننا لندين لهم بتلك العصور المحفورة على الصخور ، وهي تمثل المرحلة الثانية التي امتدت الى عصر الجمل .

هذا وقد اكتشفت في جبل « عوينات » ، على بعد نحو الف كيلومتر شرقي فزان ، صور صخرية اخرى نقلها بدقة العالم الطبيعي الايطالي (الكونت دي

كابورياكو de Caporiacco) ودرسها ونشرها فيما بعد المؤرخ (باولو كرازبوزي P. Graziosi) وتمثل هذه المحفورات حياة سكان ما قبل التاريخ ، اسلاف البربر ، الذين يحتمل انهم كانوا من النوبيين . ويعتقد بعض الباحثين ان هذه الرسوم المنقوشة يرجع عهدها الى نحو 7500 - 5000 ق. م. وتظهر فيها اسلحة ، وحيوانات اليفة ، وادوات مختلفة وملابس .

وقد اعار (كرازبوزي) ، اثناء دراسة لحضارة فزان القديمة ، اهتماما كبيرا لبعض الرسوم التي تصور عربات تجرها خيول راكضة وبركبتها محاربون مسلحون بالرمح والاقواس والتروس ، وهي صور لا يوجد لها شبيه في مكان آخر بالصحراء .

2 - الصحراء في عصر التايخ :

اول المؤلفات المكتوبة التي تتعرض لسكان الصحراء عند الانتقال لعصر التاريخ هي ما خلفه لنا هيرودوت (القرن الخامس ق. م.) وديودور الصقلي (القرن الاول الميلادي) ، اللذان حدثانا عن حياة هؤلاء الرحل الليبيين البربر الذين كانوا يجوبون الصحراء من النيل الى الاطلس .

لقد بدأت الصحراء (حوالي سنة 1000 ق. م.) تتحول الى ما آلت اليه من جفاف . واذا كان اليونانيون والقرطاجنيون والرومان قد بذلوا جهودا في سبيل استكشاف هذه الاصقاع ، فان معرفتنا عنها ظلت مع ذلك ضئيلة ، كما علق بوصفها كثير من الاساطير . لقد خلف لنا هيرودوت معلومات دقيقة عن الاقوام الليبيين ، وحدثنا عن الطرق الذهبية من (غرمة) الى الاطلس ، كما حدثنا عن بيروت مبنية باجر من ملح ، وذكر هؤلاء القوم الرحل المجاورين للبحر الابيض المتوسط ، ووصف سكان ليبيا الاهلة بالحيوانات الوحشة . وهنا توقفت معارف هيرودوت حيث قال : « انني اجهل ما وراء ذلك ، الا انه يقال ان تلك الارض يعمرها قوم من العمالقة والافزام وعجائب المخلوقات . وليس في مقدور احد ان يذهب الى تلك الارض ما دامت الحرارة سائدة فيها » .

وقد كانت قرطاجة اول دولة من دول البحر الابيض المتوسط عرفت ان الصحراء ليست بلاد الشمس المحرقة فقط ، كما عرفت ان سكانها لم يكونوا من الهمج ، لذلك فانها لم تسع الى اخضاعهم لسلطانها بل انها عرفت كيف تجعل منهم شركاءها في مكاسب تجارة منظمة عبر الصحراء . وبذلك كانت قوافل

عاداتهم وطبائعهم ومجتمعهم . ويختتم هذا القسم بالحديث عن مشاريع استثمار الصحراء وتجهيزها والاستفادة من ثرواتها .

ويأتي القسم الثاني من الكتاب ، وهو بعنوان : « على طريق الذهب والملح ، من تافيلالت الى تمبكتو » ، فيعطينا فكرة عن الثروات الاثرية المكتشفة في الصحراء الغربية ، ثم ينتقل للحديث عن تافيلالت ومدينة سبلماسة وما كان لها من أهمية ثقافية واقتصادية قبل تخريبها ، ثم يتكلم عن الحركة التجارية وطرق القوافل بين تافيلالت وتمبكتو ، وعن وادي درعة وقبيلة أبت عطا وبلدتي تمكروت ونسرات وعن الجالية اليهودية في هذه الاقصاد ، ثم يتعرض للصحراء الغربية فيتحدث عن الرقيبات وعن بلدة سمارة ومؤسسها الشيخ ماء العينين ومقاومته الباسلة للاحتلال ، ثم ينتقل الى الكلام عن سكان موريطانيا ومجتمعهم وعاداتهم ، ويخصص فصلا للحديث عن تمبكتو وأهميتها التجارية والعلمية قديما . ويختتم المؤلف هذا القسم بكلام عن مشاريع المواصلات عبر الصحراء وحالتها الراهنة .

والكتاب مزدان بالصور العديدة والخرائط . واسلوبه ممتع سلس يجمع بين طلاوة السرد الادبي ورصانة البحث التاريخي ، ولو ان الخيال يشتط احيانا بالمؤلف فيوقعه في بعض المآخذ والهفوات ، الا ان شفيعة في ذلك . كما يبدو ، ولعه الشديد بالصحراء التي جاب اطرافها وخبر شعابها وتعرف على سكانها فاستقى بذلك معلومات مباشرة فضلا عن المصادر المكتوبة التي رجع اليها واثبت قائمة منها في نهاية كتابه .

وسوف الخص فيما يلي بعضا من فصول هذا الكتاب للقراء بقدر ما يسمح به المجال :

على طريق الغربات ، من طرابلس الى النيجر

1 - الثروة الاثرية :

كانت الوديان تتخلل سهول الصحراء وهضابها ، في زمن سحيق ، فتبعث في ارجائها الخضرة والحياة . وقد ابانت التنقيبات والحفريات عن وجود بقايا من ذلك الزمن السحيق نحو اسماك وضفدعات ، كما شوهدت اشجار من فصائل البحر الابيض المتوسط مثل السرو والزيتون والفسق . وعثر العلماء على معالم ومخلفات دالة على ان حياة بشرية كانت قائمة

على طول الوديان القديمة ، فوجدوا اسنة رماح من الصوان وشواقيير من الحجر وحطام الخزف .

في سنة 1956 قام هنري لوط (H. Lhote) برحلة شاقة الى (تاسيلي) حيث اكتشفت منذ حوالي نصف قرن مغاور زينت جدرانها بصور محفورة وملونة ، فدرس هذه المواقع وجرّد الوثائق والادوات . وتبين من فحص الصور الرائعة العديدة المنقوشة على الصخور المحجوبة عن اشعة الشمس والرياح الرملية ، ان الصحراء كانت في قديم الزمن مغطاة بالاعشاب الاستوائية أهلة بحيوانات استوائية متعددة ومختلفة ، كما تبين ان هذا المتحف الصخري الهائل يلخص تاريخ الصحراء قبيل بزوغ العصر الحجري الجديد .

وقد تمكن هنري لوط ، بعد فحص الفني صورة من الرسوم المحفورة في صخور تاسيلي ، من استخلاص مختلف مراحل هذه الحضارة الصحراوية وتطورها . فالمرحلة الاولى تبدأ مع نهاية العصر الحجري القديم (6 و 7 آلاف سنة قبل ميلاد المسيح) ، وهي مرحلة **الصيدان** ، وتمثل الصور التي تنتمي اليها اشخاصا قصار القامة ذوي رأس مستدير ، وحيوانات . ومن فحص هذه الصور استنتج ان السكان في ذلك الطور كانوا ذوي بشرة سوداء . وهناك صور من حجم كبير تمثل بعض « الالهة » تنتمي الى مرحلة انتقالية ، ويظهر عليها التأثير المصري . وتمتاز هذه الصور بتعدد الوانها ، وهو امر يندر مثيله في الصور الصخرية التي تنتمي الى عصر ما قبل التاريخ التي لم يستعمل فيها من الالوان غير الاحمر (المفرة) والابيض .

وتقع المرحلة الثانية في العصر الحجري الجديد (حوالي 4000 سنة) وفيها اثار على الوديان اقوام جدد يختلفون عن السكان الذين استوطنوا الصحراء منذ آلاف السنين . وقد جاء هؤلاء الفراء الجدد وهم يسوقون قطعانا هائلة من الابقار . وبمجيئهم امتلأت مغاور تاسيلي بصور اشخاص وحيوانات جديدة حفرت على صخورها . وتعرف هذه المرحلة بـ **مرحلة الرعاة** . وربما جاء هؤلاء المفيرون الجدد من الشرق ، وربما كانت لهم صلة بالحضارة المصرية . اما الصور التي حفرها على الصخور فتتسم بالحركة والواقعية ، وتدل على ان الذين نقشوها كان لهم نصيب من حسن الملاحظة ؛ فالالوان متعددة رائعة الانسجام ، فيها الاخضر والبنفسجي والازرق . وقد لقيت سوائهم في هذا الاقليم عشبا وفيرا ، وانهارا تتدفق ماء ، وجوار طبيبا .

الاسواق والبضائع ، ولما قامت به من حفر الآبار وتأمين سلامة القوافل في المسالك الصحراوية .

وفي سنة 1962 اغار الاعراب الرحل على سبلماسة فافسدوا البساتين وحطموا قنوات السقي ودمروا البيوت والاسوار . وجاء مولاي اسماعيل العلوي فحاول ترميم ما تخرب منها واعاد بناء قصبتها ، وبدأت الحياة تدب فيها لولا ان اغار عليها من جديد اهالي (ايت عطا) سنة 1818 ، فدمروها ونهبوها فاصبحت منذ ذلك الحين اثرا بعد عين .

3- الصحراء الغربية بين امس واليوم

برز عصر التاريخ في الصحراء الغربية مع قدوم الاقوام الرحل الاوائل الذين انحدروا بجمالهم من صحراء ليبيا ومن شمال افريقيا . وذلك في العهد الروماني الذي دفعت فيه اعداد من البربر داخل الصحراء حيث اختاروا حياة الترحال والغامرة . وفي هذا العصر نفسه ازدهرت تجارة القوافل واتسعت نتيجة استخدام الجمل المستوردة من بلاد ما بين النهرين وفارس .

لقد اغارت قبائل زناتة وصنهاجة على الصحراء الغربية في القرن الثالث الميلادي ، وما زالوا يتوغلون فيها حتى وصلوا إلى السنغال والسودان . وكانوا كلما توغلوا عملوا على حفر الآبار وغرس النخيل ، واقامة المضارب في الواحات .

وحينما فتح العرب هذه البلاد ، وكانوا على جانب من الرقة والثقافة ، بدأ الاحتكاك بينهم وبين البربر الرعاة البدائيين ، فكان ذلك بداية وحدة روحية وسياسية ، وسلالية الى حد ما . وقد نشأ عن هذا الاختلاط ، بمرور الزمن ، هؤلاء القوم الصحراويون الذين حافظوا على البنيان الاجتماعي والصادات والاعراف البربرية ، واخذوا عن العرب اللغة والكتابة والدين والثقافة .

وعند قيام دولة المرابطين اللمتونيين عرفت الصحراء الغربية حركة اصلاح ديني عميق . وتحالفت القبائل العربية البربرية في جنوب المغرب ، وتآلف هذا التحالف من لمتونة وجزولة ومقل وبني هلال وبني سليم وبني حسان . الا ان عقد هذا التحالف قد انفرط في القرن الحادي عشر عند سقوط دولة المرابطين ، فتشتتت هذه القبائل في انحاء الصحراء ،

تأسست سبلماسة قبل فاس فكانت اولى المدن الاسلامية في شمال افريقيا بعد القيروان التي تأسست سنة 670 م . وقد أصبحت سبلماسة حاضرة صحراء المغرب وعرفت نشاطا سياسيا واقتصاديا ودينيا كبيرا ، وظلت طوال ثلاثة قرون مملكة مستقلة شاسعة الاطراف تمتد من الاطلس الى وادي درعة . استقر بها تجار تواردوا عليها من امهات مدن المشرق واقاموا بها متاجرهم وكلاءهم . ولم يكن ازدهارها الثقافي فيما بين القرنين الثامن والحادي عشر بأقل من ازدهارها التجاري .

وقد اشتهر من قصور سبلماسة (قراها المحصنة) البالغ عددها ثلاثمائة : قصر تانيجنت ، وكان به الف بيت ؛ وقصر تاتو حسنت الذي كان يسكنه التجار الاجانب والصناع واليهود ؛ وقصر مامون . وكان لكل من هذه القصور الثلاثة رئيس واشباع ، وكتبيرا ما كانت تنشب بينهم الخلافات فيتقاتلون ويؤدي بينهم الحال الى كسر قنوات الري وقطع اشجار النخيل . وكان كل رئيس يسك نفوده الذهبية والفضية . وبعد استيلاء المرابطين عليها سنة 447 هـ (1055 م) كانت تعمل بها دار لضرب العملة .

وقد بلغ من رخاء تافيلالت انها كانت تدفع لبيت مال الدولة الفاطمية في القيروان (وكانت سبلماسة مقاطعة لها) مبلغ 400.000 دينار سنويا ، أي نصف ما كان يجبي من افريقيا الشمالية كلها .

وحيث كانت سبلماسة واقعة في سهل خصيب غزير المياه ، فقد كانت تزرع في حقولها الكروم والحبوب كما كان يزرع على طول وادي زيز القطن والكامون والكروياء والحناء . ومنها كانت تصدر هذه المحاصيل الى جميع انحاء افريقيا الشمالية .

لقد كان الملح ، حتى القرن الثاني عشر ، بضاعة التصدير الاساسية في تجارة الصحراء ، يحمل على ظهور الجمال ويباع في غانة بمثل وزنه ذهباً ، وربما بيع بضعف وزنه . وبعد الملح أصبح التمر من الصادرات الاساسية ، يستورد في مقابله من السودان الرقيق والتبر والعاج والابنوس والجلود .

وكان والي سبلماسة يبذل قصارى الجهد لضمان سلامة التجارة عبر الصحراء بما يبث في مسالكها من رجال الشرطة . وتأسست في ذلك العهد شركات تجارية حقيقية اشهرها شركة الاخوان القري التي احتلت مكانة هامة في عالم التجارة بما كانت تقوم به من اعمال البيع والشراء وتزويد التجار بمعلومات عن مختلف

هذا وقد اكتشف كل من (اوديت دي بوينكودو وماريون سينوس (O. de Puigauveau - M. Sinons) أربع محطات صخرية أخرى خلال رحلتين قاما بهما سنة 1937 وسنة 1950 ؛ وهذه المحطات هي : الهويرة ، وسيدي بولنوار ، وعسا ، وفم الحصن . وتضم هذه الأخيرة أهم مجموعات الصور المكتشفة في هذا الاقليم واكثرها تنوعا . ويبلغ مجموعها 114 صورة . وقد عثر في هذا المكان على عدد من بقايا عصر ما قبل التاريخ .

ان صور العربات المنقوشة على الصخور تنطوي على اهمية خاصة حيث انها تطلعننا على حدث تاريخي دقيق، وهو قدم العلاقات بين بلاد البربر وبلاد أفريقيا السوداء . ولقد كانت هذه الرسوم بمثابة علامات على الطريق يهتدي بها المسافرون وتسترشد القوافل عند رجوعها .

2 - تافيلالت ، ملتقى قوافل الصحراء المغربية

تافيلالت ارض شاسعة خصبة في اطراف الصحراء تستهوي النفس بتنوع سكانها وبذكرياتها التاريخية والاسطورية . وهذا الاقليم الذي تتخلله البساتين الفيحاء والقصور ذات الشرفات ، والذي يشق أرضه وادي زيز ، يعد باب الصحراء ؛ وقد بقي طوال قرون محط التقاء القوافل والمبادلات عبر الصحراء ، حيث كانت الاتصالات تجري على نطاق واسع ، منذ فجر العصور الوسطى ، بين المغرب وأفريقيا السوداء . وكانت تربط بين المغرب ووضفاف السنغال والنيجر طريقان هامتان تمر احدهما في المنطقة الساحلية بين تيزنيت وكوليمين ، بينما تمر الاخرى في تافيلالت .

ان السوق الاخاذة العامرة التي تعقد في ساحة (ارفود) الكبرى ليست الا صورة شاحبة لما كانت عليه الفنادق ومرباط البعير قديما .

تأسست مدينة سجلماصة سنة 140 من الهجرة (755 م .) ، وسرعان ما اصبحت ملتقى طرق تجارية كبرى تنطلق من مصر وتمتد على الحافة الشمالية من بلاد البربر حتى تصل الى المغرب ، وهي طريق ارتادها تجار كانوا يأتون من العراق وفارس .

كان الطابع الشرقي غالبا على سجلماصة . وقد ذكر المؤلفون القدامى التشابه الموجود بين عمائرها وعمائر اليمن .

لبية تجوب بانتظام ثلاثة آلاف كيلومتر في الصحراء فتجلب من افريقيا السوداء الى شمال افريقيا بضائع تقوم على العاج والتبر والزمرد والياقوت وريش النعام، كما تتألف من الرقيق الاسود . وكانت واحة غدامس (على بعد 600 كم جنوب طرابلس) اكبر مراكز هذه التجارة الصحراوية . وقد بقيت القوافل التجارية تسلك ، طوال نحو الف عام ، نفس السبل بين سواحل طرابلس واقاليم وسط افريقيا وغربها ؛ وهي السبل التي تتوفر فيها منابع الماء . وما تزال هذه الطرق في وقتنا الحاضر هي السبل الرئيسية الداهية من الساحل الى الداخل . ومن المرجح ان يكون الرومان قد جابوا هذه الفجاج اثناء بعوثهم العسكرية ، مع انهم كانوا يجهلون الجمل . وكانت الغاية من هذه البعث تأمين المواقع الرومانية في افريقيا التي كانت تمتد الى نوميديا وموريطانيا .

وفي سنة 665 م توغل العرب في الصحراء الوسطى بقيادة عقبة بن نافع ؛ وقد اتاح مجيء العرب ازدهار الروابط الصحراوية وامكن للمغرب الكبير ان يكتب اروع الصفحات عن صلاته بافريقيا السوداء .

على طريق الذهب والملح ، من تافيلالت الى تمبكتو

1 الثروة الاثرية . - كرس جان مالوم (J. Malhomme) - وكان يشتغل بالتدريس في معهد سيدي محمد بمرآكش - عدة سنوات قضاها مستكشفا باحثا فدرس خلالها نحو 3500 صورة وجدت مرسومة ومحفورة على الصخور في اكيمن وجبل ياغور وتيزي نترلست . وتمثل هذه الصور أسلحة وخناجر من البرونز ، وأشخاصا وحيوانات ، وعربات ذات عجلتين تشبه العجلات التي اكتشفت في تاسيلي ، كما تمثل رموزا يبدو انها ذات دلالة تعبدية .

واذا كنا نفتقد اية وثيقة اركيولوجية عن عصر البرونز في المغرب ، فان اللغز الذي يظل قائما هو من أين كان هؤلاء القوم الذين حفروا هذه الصور يأتون بالبرنز ، واين كانوا يخدمونه ؟ ان الحفريات الاثرية لم تمدنا لحد الان بأية اداة من ادوات البرونز التي تظهر في الصور الصخرية ، كما لم يعثر على اثر لعمل او منجم من ذلك العصر السحيق .

لقد برهنت بحوث (جان مالوم) على ان الاطلس الكبير لم يكن سدا منيعا بين الحضارات الصحراوية وحضارات السهول الشمالية في عصر ما قبل التاريخ .

السعدي ، مؤلف كتاب السودان (القرن السابع عشر)
وبابا شير في (الربع الاول من القرن العشرين) .

وقد اسهم التجار واصحاب القوافل من العرب
والبربر اسهاما كبيرا وموصولا في سبيل اثراء الحضارة
الزنجية بافريقيا . وبواسطة العرب تلقى غرب افريقيا
رفدا خصبيا من ثقافة البحر الابيض المتوسط وطرق
معاش سكانه . واصبحت تمبكتو ، بفضل المبادلات
التجارية عبر الصحراء ، عاصمة الساحل الاقتصادية
وحاضرة العرفان منذ القرن الرابع عشر ، كما غدت
مركزا دينيا وعلميا وادبيا للاقاليم المحيطة بصفاف
النيجر . وقد قيل : « ان الملح ياتي من الشمال
والذهب من الجنوب والفضة من ارض البيض ، غير
ان كلام الله والعلوم والروايات والحكايات الجميلة لا
توجد الا في تمبكتو » .

لقد كانت هذه المدينة من اكبر المراكز العلمية
الاسلامية . وكانت جامعتها اختا صفري لجامعات
القاهرة وقرطبة وفاس ودمشق . ذلك ما تشهد به
مخطوطاتها القديمة التي تمكننا في نفس الوقت من
التعرف على ماضيها واستقصاء تفاصيله .

توارد على تمبكتو علماء وادباء من الاندلس
للالتجاء بها فحملوا اليها ثقافة غرناطة وقرطبة ، ونقلت
اليها القوافل الآتية من الشمال حضارة فاس ومراكش
وتونس ، وعرفت عن طريق الحج ما انتهت اليه
المعارف في القاهرة . وبذلك استطاعت تمبكتو ان
تستفيد من فتوحات العقل العربي ، وان تحصل على
الجديد من المكاسب الثقافية ، وان تؤلف خزانة تعد
من اكمل خزانات الكتب . وفضلا عن ذلك كانت
تمبكتو مختصة ببيع المخطوطات وشراؤها ، حتى لقد
قال الحسن الوزان ، المعروف في المغرب بليون
الافريقي : « ان الكتب تباع هناك بكثرة وتدر من
الارباح مالا تدره اية تجارة اخرى » .

* * *

الان وقد اتينا على نهاية هذه الخلاصة التي
اقتبسناها من كتاب « حضارات الصحراء » الذي

يعد من الكتب الجديرة بنقلها الى اللغة العربية ،
تطالعنا اسئلة كثيرة من الصنف الذي يدور بخلدنا كلما
كان الموضوع متصلا من قريب او من بعيد بالمغرب
العربي الكبير ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

هل من سبيل الى الخروج من هذا الغموض
المحير الذي يحيط باصل سكان هذه البلاد الذين
اطلق عليهم اعتباطا اسم « البربر » ، والذين قسمهم
المؤلفون العرب القدماء الى بتر وبرانس ؛ وبشكك
المؤلفون المحدثون في هذا التقسيم وما يتفرغ عنه ،
كما يشككون في حقيقة الجهة التي انطلقوا منها الى
هذه البلاد الافريقية ؟ ما مدى هذا الاختلاط الذي
حدث بين كل الوافدين على هذه البلاد منذ عصور ما
قبل التاريخ الى وقت انتشار الاسلام ، هذا الاختلاط
الذي تبدو معالمه واضحة لدى الدارسين المحدثين من
علماء الانثروبولوجيا في السحن والالوان والصفات ؟

ما هي الحلقة الضائعة في تاريخ المغرب منذ ان
تعرض للتوسع الاوربي وللتجزئة التي كانت تتفق مع
اهداف هذا التوسع وراحة القائمين عليه ؟ وبمعنى
اوضح اين تبدأ اطراف هذا المغرب واين تنتهي ، وهل
نحكم في « تحديد » هذه الاطراف التاريخ الحضاري
ام التاريخ السياسي ام العوامل الجغرافية الطبيعية
منها والبشرية ؟

وماذا عن هذه الطرق والمسالك الصحراوية
التي شهدت احقابا طويلة حركة تجارية مزدهرة شملت
البلاد الواقعة جنوب الصحراء وشمالها وفي حوض
البحر الابيض المتوسط ، وماذا عن مستقبل هذه
الطرق وعن المشاريع الحديثة الرامية الى ربط
المواصلات عبر الصحراء . وما هي اهميتها الاقتصادية
والتجارية والسياسية ؟

اسئلة كثيرة تتردد وتنتظر الجواب الفاصل
الحاسم ، وتاريخ ينتظر تقويمه وانصافه وتحقيق
معالمه ودراسته دراسة شاملة ، علمية وموضوعية .

الرباط : محمد العربي الخطابي

ومنها انحدرت عشائر الرحل الذين يجوبون الصحراء الغربية في عصرنا الحاضر (تكتة ، والرقيبات ، والمور) .

اننا ونحن ندرس التاريخ الاستعماري بالصحراء الغربية في الخمسين سنة الاخيرة لنفاجأ حينما نتبين ان شتى محاولات التوغل والتهدئة التي بذلتها الجيوش الاسبانية لم تتمكن ابدا من اخضاع المحاربين من قبائل الرقبات اخضاعا تاما ، حتى بعد ان القى الطوارق اسلحتهم . ومن اسباب ذلك قيام الشيخ ماء العينين ببعث هم سكان الصحراء الغربية وايقاظ عزائهم . وكان هذا الشيخ زعيما روحيا وسياسيا كبيرا دعا قومه الى الجهاد ضد المغيرين الاجانب ، وأحدث في نفوس سكان الصحراء اثرا عميقا ، فكانت له بذلك هيمنة روحية وسياسية تامة .

حينما حل الشيخ ماء العينين بزمور سنة 1899 كانت تراوده أمنية طالما فكر في تحقيقها ، ذلك انه كان يحلم ببناء مدينة جديدة في الصحراء الغربية تكون بمثابة محطة للقوافل وسوق صحراوية كبرى في ذات الوقت . وقد اطلع سلطان المغرب على مشروعه هذا فتحمس له ووعد الشيخ بامداده بكل ما يحتاج اليه لانجاز هذا العمل . وهكذا انفذ له السلطان سفنا نقلت ادوات البناء من اكادير الى الساقية الحمراء ، واستقدم الشيخ المهندسين والصناع والبنائين من فاس وتطوان وطنجة ، وجنب الزليج من الصويرة . وعمل على شق طريق من تفروت الى المكان الذي اختاره لبناء المدينة . وسرعان ما بدأت اعمال البناء وحفر الآبار ومد القنوات وغرس النخيل . واطلق على هذه المدينة التي انبثقت من الرمال اسم « سمارة » ، وكان بقصبتها 18 بناية من طراز عربي مغربي يقوم في وسطها مسكن الشيخ ماء العينين ، ويحيط بها سور ذو خمسة ابواب . وكان بمدينة سمارة اسواق وحي تجاري ومخازن للحبوب وخزان كبير لحفظ الماء . وأسس بها الشيخ معهدا علميا كان يشرف عليه بنفسه، وشيد للمريدين والطلبة مساكن أوقفها عليهم . وكان بالمعهد العلمي مخطوطات ثمينة ضاعت مع الاسف . وفي سنة 1913 قام الكولونيل موري بحملة انتقامية

ضد مدينة سمارة بسبب الهزيمة التي الحقها به ثوار الرقبات في قلب الصحراء . وفي اثناء الحملة احرق الكولونيل موري هذه المدينة الوليدة ، فلم يبق منها سوى الانتقاض . ولم يشهد الشيخ ماء العينين هذه النهاية الحزينة التي ادركت مدينته حيث كان قد تمكن من الالتجاء بتزنييت . وقد خلفه بعد وفاته ابنه الاغضف الذي بقي نحوا من ثلاثين سنة ممثلا رسميا لخليفة تطوان في الصحراء المغربية التي كانت تحت الحماية الاسبانية . ولم ينس الاغضف عهد والده وما قدمه له السلطان مولاي الحسن من عون وما اختصه به من حسن وفادة واکرام في ايام محنته الاخيرة (*) ، لذلك وفد الاغضف في جماعة من اتباعه الى الرباط لمبايعة ملك المغرب محمد الخامس (طيب الله ثراه) على الولاة والطاعة .

4 - تمبكتو

تظهر على مدينة تمبكتو مسحة مغربية اكثر مما تظهر على اية مدينة اخرى من مدن جنوب الصحراء ، وذلك من حيث اهلها وطبيعتها .

اسس الطوارق هذه المدينة سنة 1100 م . ومنذ ذلك الحين وهم يعتبرونها مدينتهم . وقد اشتهرت تمبكتو بجامعة علمية وبما عرفته من ازدهار تجاري حتى سموها : « ملكة الصحراء » و « مفتاح الصحراء » و « جوهرة السودان » .

وحيث كان المغرب اقرب الاقطار الى السودان فقد كانت بينه وبين تمبكتو حركة تجارية نشيطة ، تنطلق القوافل اليها من تندوف والصويرة ومراكش وفاس وتافيلالت . اما الجزائر ، التي تأتي في الدرجة الثانية من حيث المبادلات التجارية مع تمبكتو ، فان اتصالاتها بهذه المدينة لم تكن تقع راسا بل بواسطة توات . كما كانت التجارة بين طرابلس وتونس ، من جهة ، وتمبكتو ، من جهة اخرى ، تقع بواسطة غدامس .

واذا كانت تمبكتو قد فقدت شهرتها العلمية فقد خرجت من قبل علماء وفقهاء وادباء ذاع صيتهم من امثال احمد بابا (القرن السادس عشر) وعبد الرحمن

(*) توفي السلطان مولاي الحسن سنة 1894 . اما الشيخ ماء العينين فقد حل بفاس سنة 1906 ، وكان قد بدأ جهاده حوالي سنة 1895 - أي في عهد المولى عبد العزيز . وفي سنة 1909 انتقل الشيخ من عين سمارة الى تيزنيت . وتوفي سنة 1910 - على عهد المولى عبد الحفيظ ، وخلفه ابنه الشيخ محمد الهبة الذي تابع النضال ضد الاحتلال الاجنبي في جنوب المغرب . ويظهر ان المؤلف قد اختلط عليه الامر كما وقع له في بعض فصول الكتاب الاخرى .

والتي لا يقودها أي مثال تقارن بواسطته وتختار حسب مقاييسه . هذه الطائفة تعامل الآثار الأدبية والثقافية كما تعامل إية بضاعة مادية ، والرؤية التي تقرها هي رؤية التاجر إلى الأسواق . فالتاجر لا يمكنه أن يستورد أو يدفع ماله إلا فيما يعلم سابقا أنه قابل للرواج . وهنا يكمن الخطر لأن الناشر من هذا النوع ، لا ينظر إلى دوره كمرب بإمكانه أن يوجه الجمهور ، إلى ما ينفع وإلى ما يرتقي ذوقه . إذ من الواضح أن الأسواق الثقافية والأدبية كآية أسواق أخرى ، يمكن للزبائن فيها أن يقعوا ضحية الرديء المبذل إذا لم تكن هناك منافسة ، وإذا لم يوجد الراقي الجيد بجانب الهزيل الفث . ويكفي أن يمر المرء بنظرة على قوائم المبيعات والمعرضات من الكتب ليدرك المستوى الذي تتدهور إليه المطالعات الثقافية والأدبية عندما يغمر الفث سوقها .

على أن المشكلة لا تنحصر في هذا الجانب فحسب ، أي أن نتائج النظرة التجارية المحضة إلى عملية النشر لا تتقف عند حد يجعل المستهلك ضحية تقدير عقلي ، ويجعل الناشر يحقق الأرباح الطائلة فحسب ، بل أن لهذه النظرة ، جانبا أخطر هو نتيجة حتمية لكل ما تقدم ، وذلك من جانب المؤلفين . فالمؤلف أمام واقعة مرة كهذه ، مضطر إما إلى أن ينزل بمستواه وينحرف عن أسلوبه وطريقته في العرض ، وإما أن يعاني الأعراض والتجاهل والتفافل ، وما يترتب عن ذلك من فل العزيمة وتثبيطها .

ولعلنا نتساءل هنا هل يعتقد « الناشر - التاجر » أنه ذكي وأنه محافظ على تجارته ، عندما يصرف النظر إلا عن الفث والسهل ، الميسر للاستهلاك ؟ أنه مخطيء بدون شك أن ظن ذلك . لأن الأولى بالمهارة التجارية أن تتبنى بعد النظر ، أن يعلم صاحبها أن السوق أن كانت اليوم لبضاعة معينة ، فسينقلب الأمر غدا ، مع ارتفاع المستوى الثقافي وتحسنه ، أو على الأقل مع انتشار التعليم ، وتوافر القراء . فالأولى إذن للناشر أن يكتسب السوق قبل قيامها ، بل أن يعد زبائن المستقبل سواء من القراء أو من المؤلفين . على كل ، ومهما تكن الجوانب التي يمكن أن ينظر منها إلى هذا المشكل ، فإن هذه الطائفة من الناشرين مدانة من الوجهة الثقافية والوطنية وهذا ما أثبتته بيير دكارج في هذه العبارة التي اردف بها تصنيفه للناشرين في فرنسا « ... نحن إذ نهنيء الطائفة الأولى ، ندين الطائفة الثانية ، ونصافح الطائفة الأخيرة من حيث المبدأ »

والطائفة الأولى التي يهتؤها الكاتب ، هي التي تختص بإصدار المجموعات المسلسلة سواء كان ذلك في مجال الدراسات العلمية أو الأدبية ، أو في مجال التراجم أو التعريف الجغرافي أو مجال الروايات والقصص ... الخ . والذي بالطبع يدعو إلى تهئية هذه الطائفة هو أنها بدون شك لكي تختص بنشر مجموعة معينة لابد أن تكون قد وضعت مخططا ذاتيا ، وفهمت دورها ، وحددت أهدافها . وبالطبع هذا لا يمنع من أن تكون هذه المبادئ نفسها مبنية على اختيارات رديئة في بعض الأحيان ، ولكن هذا أن حدث - وقلم يحدث - فهو خير من التذبذب والاضطراب دون هدف ، والجري وراء أسرار السوق . أن الدور التي تنشر المجموعات ، إنما هي في الحقيقة تخلق أسواقا خاصة بها ، وهذا ما يدفعها في غالب الأحيان إلى التوفيق في الاختيار وإلى الاحتفاظ بالزبائن ، وكسب المزيد منهم . وهنا نلاحظ بالطبع تلك النقطة التي صادفناها سابقا ، والتي رأينا فيها أن المهارة التجارية ، تتطلب من الناشر ، أن يكسب السوق قبل قيامها ، أي أن يخلق سوقه الخاصة به ، وهنا يأمن المزاحمة وخطارها .

ولندرك جيدا أهمية هذه الطائفة التي تختص بنشر المجموعات المسلسلة ، يكفي أن نستعرض بعض ما ظهر منها في العالم العربي ، على قلة ما عنده في هذا الباب ، إذا قيس بالدول الراقية كفرنسا التي يكتب عن حركة النشر فيها كاتب هذا المقال . لنذكر مثلا سلسلة « الألف كتاب » و « علم النفس التكاملي » و « الدراسات الفلسفية » و « نوابغ الفكر الغربي » . الخ أن اسم السلسلة في مثل هذه الأحوال ، يصبح شعارا له قيمته ، ويصبح ضمانا للسير المرضي للسوق التجارية .

أما الطائفة الثالثة وهي التي قال عنها صاحب المقال أننا نصافحها ، فهي بحق المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه الناشر ، فهي طائفة من الناس ينشؤون دورا للنشر ، ولكن عملهم لا يقف عند حد تصريف المال والأمور التجارية للكتاب ، بل أنهم ليؤلفون أيضا ، أو يشاركون في التأليف ، وغالبا ما يكون المبدأ الذي ينطلق منه هؤلاء ، هو غيرتهم على أن يقع رجال الفكر ضحية رجال المال ، فيجتمعون ويكونون لجنة من الأدباء والمفكرين ، تضع اعتمادات مادية لعملية النشر ، كما تزودها بالاعتمادات المعنوية التي هي ما ينشر طبعا . وكما تكون هذه الطائفة موفقة في اختياراتها نظرا ، لثقافتها ومعرفتها بشؤون



الكتاب بين النشر والاستيراد

لأستاذ: ميارث ربيع

الاولى ، حالة وفرة الانتاج والنشر بالرغم مما فيها من مخاطر ، ذلك اننا لن نعدم في خضم الوفرة والكثرة ، ان نجد بعض المبدعين المتفردين . ولعل من المفيد ان تطلع على الطريقة التي يعالج بها رجال الفكر في الامم المتقدمة مشكلة النشر ، وهذا ما اوضحه « بيير دكارج » في مقال اخير له (1) .

لقد تناول الكاتب مشكلة النشر والانتاج في فرنسا من جميع جوانبها والقى نظرة على قيمة كثير من الانتاج الادبي والثقافي في هذا البلد ، بل لقد صنف كثيرا من انواع هذا الانتاج ، انطلاقا من تصنيف الناشرين له . ولعل من الغريب ان يكشف تصنيف الناشرين في فرنسا على كثير من المشابهات بينه وبين انواع الناشرين في البلاد المتخلفة وخاصة ما اسمى من ذلك بالروح التجارية التي تسود الكثير من رجال النشر وتوجه اعمالهم . وقد ميز كاتب المقال بين انواع ثلاثة من الناشرين . فهناك « الذين يصدرون المجموعات المتسلسلة » وهناك طائفة ثانية لاتوجهها الثقافة ، ولا التدقيق الادبي وهؤلاء « عملهم تجاري محض » وطائفة ثالثة هي التي تمثلها بعض « دور للنشر التي تشارك في الانتاج ، كما تشارك وتشارك في النشر » . وما من شك في ان لكل من هذه الطوائف الثلاث ، بعض المحاسن وبعض المساويء ، ولكن ذلك على درجات . فمن هذه الطوائف مثلا الطائفة الثانية ، التي تمارس عملية النشر ، دون وعي لدورها في خدمة الثقافة والادب ،

لا يمكن ان يتناول احد مشكلة الادب او الثقافة دون ان يعرج على مشكلة النشر والطبع . وقد تتداخل مشكلتنا النشر والطبع فيتحدث عن مشكلة النشر وحدها باعتبار ان الطبع متضمن فيما ينشر . وادبنا في المغرب بالخصوص يعاني من أزمة النشر عناء كبيرا ، اذ ما من شك في ان وسائل النشر لو توفرت ، لتمكن ان تظهر نماذج عدة الى الاسواق بإمكانها ان تعطي نظرة على حياتنا الادبية وطريقتنا في التفكير ؛ وذلك من دون شك ، من شأنه ان يقرب بين الاطراف التي تتناول ادبنا وثقافتنا بالدرس حتى لا يذهب البعض الى حد الادعاء بان هذا الادب غير موجود ، او ليس له كيان . ان مشكلة النشر تكاد تعم البلاد التي هي في طريق النمو . نعم ، ولكن هناك استثناءات عدة ، ففي بلاد الشرق العربي ، هناك اكثر من قطر انحلت عنده مشكلة النشر ، بل ان هناك من الاقطار العربية ، ما يشكو او يمكن ان يشكو من مشكلة تضخم النشر ؛ وقد رأينا في كثير من الحالات ان لبنان الشقيق ينشر الترجمة العربية لبعض الكتب قبل ان تظهر مطبوعة في نصها الاصلي ، وبلغتها القومية ، وهذا اقصى ما يمكن ان يبلغه نشاط دور النشر . وبالطبع لكل من تضخم النشر او وفرة ، كما لقلته وندرته خطورة . فكما ان الاولى قد تذهب بالمستوى الرفيع للادب ، وقد تكون على حساب الثقافة العالية ، فان الثانية ايضا تؤدي الى قبح المبيعات الادبية ، واعاقة بوادر الابداع من الظهور . ومع ذلك فلربما كان المرء اميل الى ان يختار الحالة

ودرجة التدوق الادبي والفني ، أو أن يسمو بهما ؛ فان هذا ليس أمرا مطلقا ؛ وان وعي المستهلك كفيلا أن يحد من قوته ، ويكف من فعاليته ، ان وعي المستهلك هو الملاذ الاخير والحسن النتيح الذي بإمكانه أن يصمد أمام تيارات الابتذال والسخف . وبإمكان التعاون والتآزر بين همة الناشر والمستورد من جهة ، مع همة المستهلك والمؤلف من جهة أخرى أن يحققا التوازن الثقافي ، والازدهار الفكري للامة . وهذا مجمل ما يمكن أن نخرج به ، من بسط مشكلة الكتاب . فالعلاقة بين هذه الاطراف المشاركة في عملية تصدير الكتاب الى السوق واستهلاكه ، يجب ألا تكون علاقة عمادها « الشطارة » ، علاقة تفصيل

البعض للآخر ، لان هذه العلاقة من شأنها ، ان تزيد في اقبار الجهود الادبية ، في ادراج النسيان عند المؤلفين ، كما تؤدي الى امتلاء سوق الكتاب بما هو رديء ورخيص في مضمونه . واذا كان الفيورون من رجال الفكر في فرنسا ، ينددون بوضع كهذا ، ويدعون علاقة « الشطار بالمغفلين » في دنيا الكتاب ، ويدعون الى تخطيط محكم ، في النشر والتأليف والاستيراد ؛ اذا كان ذلك في فرنسا وفي غير فرنسا من الدول المزدهرة ثقافيا ، فما اجدرنا نحن بالانتباه الى هذا ، والاهتمام به ، والعمل على تغييره وتبديله .

الرباط - م . ربيع

صبر المومن

قال الشعبي :

لقد صبر خباب بن الارت ، ولم تلن له بين الكفار قناة ، فجعلوا يلصقون ظهره العاري بالارض (حجارة محماة) حتى ذهب لحمه .

وقال عمرو بن الحكم :

كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدري ما يقول .

الفكر ، مما يفتقر اليه كثير من الناشرين ، فانها ايضا تكون موفقة فيما تؤلف ، لنفسى العوامل والاسباب ، وبذلك يمكنها أن تؤدي دورها على اكمل وجه .

* * *

واذا كنا في المغرب ، البلد الذي لازال مجرد متطلع الى حياة الانتاج الادبي ، والى غزو الاسواق الداخلية والخارجية بالكتاب المغربي ؛ اذا كنا في هذا البلد لانطمح حاليا في ان تظهر دور النشر او رجاله بالتخصص في نشر السلسلات المعينة في ميدان من الميادين ، واذا كنا كذلك نلاحظ بكامل الاسف ان من يقومون بالنشر لا ينظرون الى الكتاب الا كبضاعة لا تختلف عن غيرها من البضائع المادية ، التي تزخر بها الاسواق كالمأكولات والملبوسات ، واذا استرضى عن هذا ولا نرتضيه ، فان لنا ان نطمح ، في ان تجتمع كلمة رجال الفكر ورجال المال جميعا ، في تكوين لجنة للنشر ، تتوفر على الخبرة المالية ، والثقافة والدراية بشؤون الفكر ، قد يبدو هذا مجرد حلم ، ولكنه ليس مستحيل التحقيق ، ثم انه الكفيل بانقاذ حياتنا الادبية ، وتراثنا الثقافي من الاهمال والفن والضياع .

* * *

تلك بعض مشاكل النشر ، بعض المشاكل فحسب . اما مشكلة الكتاب عامة ، فلا تتمثل في نشره فحسب ، بل ايضا في استيراده ، فكما تستورد الدول ما تحتاجه لبناء اقتصادها وحياتها التجارية ، كذلك يستورد الكتاب . بيد ان عملية الاستيراد قد تكون لاسباب مختلفة ، فبينما هي عند بعض الدول ، قد تكون وليدة حب الاطلاع ، او التلاقح الثقافي ، والتعرف على آداب الغير وثقافته ، وطريقته في التفكير ؛ اذا هي بالعكس من كل ذلك وليدة اسباب تلخص في الاملاق الثقافي والادبي ، في البلد المستورد منه عند كثير من الدول ، وخاصة منها تلك التي لم تستكمل بعد اسباب النمو الثقافي والازدهار الادبي . وبالطبع لن نقول ان مشكلة الاستيراد الثقافي بالنسبة للبلاد التي تسمى الى التلاقح الحضاري والتعرف ، هي مشكلة ثانوية ، بينما هي مشكلة اساسية واولية عند البلاد التي تعاني املاقا او فقرا في باب الانتاج الادبي والثقافي ، لجرد ان هاته البلاد تستورد في الحقيقة غذاءها الفكري الاساسي ، عندما تستورد الكتاب من الخارج ؛ كلا فليس المجال هنا مما يسمح بوضع الدرجات ، او تصنيف هذه المشاكل الى اولية وثانوية ، لان عملية التغذية الفكرية مهما تبد اساسية ، فان عملية التلاقح

الثقافي لا تقل عنها اهمية . ولئن امكن في كثير من الاحيان والظروف ، ان يتحدث الناس عن الاكتفاء الذاتي ، ولئن امكن أن يستحسن هنا الحديث في غالب الاحيان ، ويؤخذ معيارا للوطنية الصادقة والغيرة القومية ، لئن امكن ذلك فان الحديث عن الاكتفاء الذاتي في مجال الثقافة والادب يكون مدعاة الى اثاره الشبهات حول صاحبه ، وعاملا يدعو الى التشكك في حسن نيته ، او على الاقل في نظرته الجدية والسديدة للموضوع .

ان مجال الثقافة والادب ، ومجال الكتاب بصفة عامة ، هو المجال الذي لا يعرف الاكتفاء الذاتي ، وهو الذي يتطلب باستمرار عملية التلاقح الفكري بين الشعوب . اما الانفلاق على الذات وعلى التراث القومي والانتاج الوطني وحده ، فهو تفاعل وغفلة عن رسالة الكتاب عامة . ومن هنا تكون اهمية الاستيراد والمستوردين لاتقل عن اهمية النشر والناشرين « فاذا كنا بدون شك ، مضطرين الى اعطاء الاهمية الى الناشرين الذين ينتجون كتبا جديدة فيجب الا تغيب عنا اهمية الذين يستوردون الكتب من الخارج ، ولو كان ذلك بدافع المنافسة التجارية اكثر مما هو بدافع وطني .. » ولكن بالطبع ، يجب الا تطفئ المنافسة التجارية ، والا عدنا الى مشكلة النظرة التجارية المحضنة الى سوق الكتاب . فالاستيراد يجب ان يخضع لتخطيط عميق حتى يمكن ان يؤدي دوره في التلاقح الفكري . اما اذا خضع الاستيراد الى العوامل التجارية وحدها فسنجد السوق قد امتلأ بالفت والسخيف ، وسنجد كذلك مستوى التذوق العام ينحط ، وبالتالي ستتسع الهوة بين رجال الفكر ، وعموم القراء . فدور المستورد بالضبط هو دور الناشر ، ولا يمكن لاحد منهما أن يتخلى عن جزء من مهمته الاساسية دون أن يخلل المستوى الثقافي في البلد . اما اذا امكن للمستورد أن يخطط ويختار ، فبالامكان حينئذ ان نطلع على الفنون والآداب وسائر مرافق الثقافة ، عند الغير ، فستأثر ونؤثر ، ونظل في تفتح دائم واستقبال مستمر .

ولعله يجمل بنا اخيرا ان نتساءل عن دور المستهلك ، في سوق الكتاب ايضا . لا شك في أن هذا الدور اذا احسن المرء ادائه واتقنه باستطاعته ان يوجه اختيارات الناشر والمستورد ، ويجبره على مراجعة عملياته ، واذا كنا قد اثبتنا سابقا ان دور الناشر ، كفيل بأن ينحدر بالمستوى الثقافي العام ،

للمغرب ، لاقاء سلسلة من المحاضرات في موضوع « القراءان » ، وذلك في نطاق الاحتفال بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزوله .

* يوجد في المغرب الكاتب السوري المعروف الاستاذ نزار المؤيد المظم ، وقد قام بكتابة عدة تحقيقات صحفية في مختلف المجالات ، في مجلات وجرائد شرقية .

* صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي العدد الحادي والثاني عشر من مجلة « البحث العلمي »

* احتفل بالمغرب بالاسبوع الثقافي البلغاري .

* زار تونس وفد عن المنظمة العلوية للمكفوفين بالمغرب ، لتمتين اواصر الاخوة بين البلدين ، واطلاع هذا الوفد المغربي على التجربة التونسية ، وما وصلت اليه تونس في هذا الميدان .

* اقيم في طنطان موسم ثقافي ، القيت خلاله عدة محاضرات ، ونظمت فيه ندوات ثقافية .

* عقدت بمدينة طنجة المناظرة الخامسة التي نظمها المركز الافريقي للتكوين والبحث الاداري . وافتتح هذه المناظرة وزير التربية الوطنية ، والفنون الجميلة .

* زار المغرب أخيرا وفد عن لجنة انقاذ القدس الذي تنحصر مهمته في لفت الانظار الى الاخطار المحدقة ببيت القدس ، وبفلسطين المحتلة ، مع تقديم وثائق ومستندات وكتب عن فلسطين العربية .

* نظمت « جمعية الشباب والمجتمع » ندوة حول مكافحة الامية واثرها الاقتصادي والاجتماعي ، وذلك بوزارة الشبيبة والرياضة بالرباط .

* صدر للاستاذ ابراهيم حركات ، كتاب مدرسي بعنوان : « طريقة التربية الاسلامية » .

* تستعد جمعية اصدقاء « المعتمد » بشفشاون لتنظيم مهرجان الشعر الرابع الذي سيكون موعدا الاحتفال به في منتصف شهر سبتمبر القادم في موضوع « الشعر العربي ومعركة الحرية » .

* عقد بمدينة مراكش المؤتمر السابع لمنظمة المحامين المغربية .

* قدم وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة الى مجلس الحكومة مشروع تأسيس مجلس وطني للتربية . وسيصدر به قرار بعد موافقة صاحب الجلالة عليه .

* اقيم في معرض « باب الرواح » بالرباط معرض للفنان المغربي اليعقوبي . وقد سجل هذا العرض نجاحا كبيرا .

* « متنوعات الاستاذ الفاسي » اسم كتاب سيصدر لجماعة من الكتاب المغربية ، تنويها بمجهودات الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس . بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس هذه الجامعة .

* اقيم بمدينة الدار البيضاء ، المناظرة العلمية الرابعة لاطباء وجراحي المغرب .

* توفي بمدينة طنجة العلامة الجليل سيدي محمد افيلال ، أحد علماء المغرب الافذاذ . وقد كان المرحوم وزيرا للعدل في الحكومة الخليفة بتطوان . وقد خلف الفقيه عدة مخطوطات مهمة في الشريعة والاجتماع . وتلمذ على يديه المع العلماء في الشمال . رحمه الله رحمة واسعة ، واسكنه فسيح جناته .

* عين سفيرا للمملكة الليبية بالمغرب الاستاذ خليفة محمد التلسي ، أحد الادباء والمؤلفين اللامعين في ليبيا .

* القى الاستاذ جيلبو محاضرة قيمة بالدار البيضاء في موضوع « المغرب في الادب الفرنسي » .

* احتفل المغرب في مهرجان ثقافي كبير بمدينة فاس بمهرجان « سلطان الطلبة » تحت الرئاسة الفعلية لصاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني ، وبحضور السلك الدبلوماسي ، وعدة شخصيات تنتمي الى عالم الفكر والادب ، وجمهرة الطلبة .

* يوجد تحت الطبع الديوان الاول الذي سيصدر للشاعر المغربي ، الخمار .

أنباء ثقافية

* قرر المعهد السويدي للعلاقات الثقافية منح جامعة محمد الخامس سلسلة من الكتب باللغة الفرنسية . وتعالج هذه الكتب مختلف أوجه المجتمع الحديث في السويد .

* جرت في رئاسة جامعة محمد الخامس حفلة سلم خلالها سفير بريطانيا الى رئيس الجامعة الاستاذ محمد الفاسي ، آلة ميكرونيش كهديّة من الحكومة البريطانية الى المركز الجامعي للبحث العلمي . وهذا الجهاز سيمنح الجامعة من الاطلاع على جميع سجلات العالم .

* اقيمت بمدينة مكناس مناظرة ، شارك فيها جميع المهندسين التابعين لوزارة الاشغال العمومية والمواصلات .

* تعقد اجتماعات لمشروع تأسيس جمعية من صحفيي المغرب .

* زار المغرب السيد كونراد كادلو بوسكي مدير مكتب بون لدار « الجمعية الاوربية للصحافة » . وذلك لتمتين الروابط مع الصحفيين المغاربة .

* « هجرة الايام » ديوان شعر صدر اخيرا بالفرنسية للشاعرة المغربية السعدية القمرية . وقد طبع بالديوان بباريس .

* قامت الفرقة الفنية الشعبية التابعة للاذاعة الجهوية لمدينة مكناس ، بجولة فنية في القطر الجزائري توثيقا للعلاقات الفنية بين البلدين .

* بدعوة من وزارة التربية الوطنية ، قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطيء) بزيارة

* بأمر من جلالة الملك ، قام وفد من العلماء المغاربة برئاسة معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد الحاج احمد بركاش بزيارة الى الاتحاد السوفياتي . ويتألف الوفد من الاساتذة :

عبد الرحمن الدكالي ، عبد الله كنون ، عبد الكبير الفاسي ، محمد بنعبد الله ، وذلك تلبية لدعوة رسمية تلقاها وزير الاوقاف من طرف الحكومة السوفياتية ، في نطاق تمتين الروابط بين القطرين .

* وقع في وزارة الشؤون الخارجية ، اتفاق ثقافي بين المغرب وبلغاريا .

* زار المغرب بدعوة رسمية الاستاذ الفاضل بن عاشور مفتي الديار التونسية . وقام بالقاء عدة محاضرات في مختلف المدن المغربية ، كان لها صدى بعيد ، وتدخل هذه الزيارة في نطاق الاحتفالات بذكرى مرور 14 قرنا على نزول القرآن الكريم .

* توجه الى باريس في الشهر الماضي السيد محمد ازنيبر الاستاذ بكلية الادب بجامعة محمد الخامس ، واحد مساعدي اسرة مجلة دعوة الحق وعمدائها لاجتياز امتحان في السربون لنيل شهادة التبريز . وقد نجح الاستاذ محمد ازنيبر بتفوق كبير ، فكان على راس قائمة الناجحين .

واسرة مجلة « دعوة الحق » تهني صديقها الاستاذ السيد ازنيبر ، وتتمنى له مزيدا من النجاح في غابر الازمان .

* نظمت وزارة الانباء خلال شهر يونيو بالعاصمة التونسية (اسبوع المغرب في تونس) . وسيقوم بتدشينه وزير الانباء المغربي .

* صدرت للشاعر اللبناني فؤاد الخشن مجموعة شعرية بعنوان : « الهوى ، وحديث العنين » .

* صدرت عن منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت كتاب : « العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد » للاب هنري فليش اليسوعي ، قام بتعريبه وتحقيقه الدكتور عبد الصبور شاهين .

* « ارا الجميل » اسم ملحمة شعرية تاريخية صدرت ببيروت للويس رزق ، وتقديم سعيد عقل .

* صدر عن منشورات عويدات ببيروت كتاب : « القرن الثامن عشر » وهو المجلد الخامس من موسوعة « تاريخ الحضارة العام » ويقع في نحو 700 صفحة ، قام بترجمته يوسف أسعد داغر ، وفريد داغر . ومن المنتظر ان يصدر الجزء السادس والسابع من هذا الكتاب .

* صدر في منشورات وزارة الثقافة بدمشق كتاب : « تاريخ معرة النعمان » للاستاذ محمد سليم الجندي في ثلاثة اجزاء ، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه الاستاذ عمر رضا كحالة ، كما صدر في نفس المنشورات كتاب « اغنية المهدي » وهي مسرحية لغريغوريو مارتينس سييرا ، قام بترجمتها الاستاذ محمد جلال الخطيب .

* عقد للمرة الاولى بمدينة براونشفايج بألمانيا الاتحادية مؤتمر المؤرخين الالمان لاجل تصحيح كتب التاريخ المدرسية ، ورفع جميع التعابير التي تتنافى مع الحقائق .

* سيقام في دلهي الجديدة احتفال كبير للشاعر الاردني الكبير غالب ، بمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

* توفي في الشهر الماضي البروفسور لاندאו الذي كان يعتبر من كبار العلماء النوويين في العالم الى ما قبل ست سنوات .

* ستقوم امانة سر اتحاد الادباء العرب بنشر وقائع المؤتمر السادس للادباء العرب من بحوث ، مناقشات ، وقرارات ، وتوصيات في كتاب خاص يصدر قريباً .

* صدرت بباريس موسوعة باللغة الفرنسية « الشعر العربي المعاصر » بقلم الشاعر المهجري جورج صيدح .

* صدر في العراق كتاب « بريطانيا والعراق حتى سنة 1914 » ويتضمن دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري وهو من تأليف الدكتور زكي صالح .

* « مجامر في الكهوف » مجموعة شعرية جديدة، صدرت للشاعرة ثريا ملحس في بيروت .

* قام الاستاذ يوسف يعقوب بترجمة كتاب « فتح العرب للصين ومعركة طلس ، او الطلخ لفزو بلاد الصين » وهو من تأليف المستشرق الانجليزي الدكتور دي . ايم دنلوب .

* صدر حديثاً عن مجلة « العرفان » اللبنانية كتاب جديد للدكتور محمد يحيى الهاشمي بعنوان : « لغز أبي العلاء » .

* « الاسلام والقضية الفلسطينية » عنوان كتاب صدر في هذه الايام للاستاذ عبد الكاظم البديري .

* الشاعر السوري عدنان مردم بك . صدرت له في لبنان مسرحية بعنوان : « العباسية » عن منشورات عويدات ببيروت .

* قام الاستاذ خليل ابراهيم العطية بتحقيق : « ديوان توبة بن الحمير الخفاجي » صاحب ليلى الاخيلية ، وصدر في هذا الاسبوع .

* « جغرافية الاندلس واوروبا » من كتاب « المسالك والممالك » تأليف ابي عبيد البكري المتوفى في قرطبة عام 1094 م . صدر بتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي .

* حلت ببلادنا بعثة ثقافية سوفياتية تتألف من العلماء ورجال الفكر ، وذلك للتعرف على مختلف النشاطات الفكرية في المغرب .

* احتفل بمدينة مراكش في قصر « البديع » بالمهرجان الوطني التاسع للفلكلور ، بحضور عدة شخصيات وسياح . وقد ساهمت في هذا المهرجان مجموعة ضخمة من الفرق الفلكلورية التي تمثل مختلف نواحي المغرب .

* يصدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الجزء الثالث من كتاب « المدارك » للقاضي عياض ، الذي قام بتحقيقه الاستاذ السيد عبد القادر الصراوي

* صدر عن الدار التونسية للنشر « ديوان المدني » للشاعر التونسي الهادي المدني .

* كما صدر عن نفس الدار ، كتاب « آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية » للدكتور محمد فاضل الجمالي ، الأستاذ بكلية الآداب ، بالجامعة التونسية .

* اعارت جامعة القاهرة 12 أستاذا جامعيًا للتدريس في جامعة ليبيا ابتداء من السنة الدراسية المقبلة .

* يصدر قريبًا في تونس كتاب « المتنبي » للشيخ الطاهر ابن عاشور ، كما يصدر فيها كتاب « القزاز : حياته وتراثه » للأستاذ المنجي الكمي .

* « ابن فرحان » هو اسم لناد أدبي سؤسس بمدينة « قابس » .

* قام الأستاذ هلال ناجي بتحقيق كتاب « العمدة » لعبد الله بن علي الهيتي ، وقدمه للطبع بتونس .

* نعت القاهرة الشيخ الدسوقي الملاح ، المراقب العام لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالأزهر .

* ستصدر جمعية الأدباء بالقاهرة مجلة بعنوان: « الكلمة الجديدة » .

* قرر معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ، إصدار مجلة للدراسات والأبحاث العربية .

* في القاهرة ، صدر العدد الأول من مجلة « الأدب الإفريقي الآسيوي » .

* صدرت في بغداد مجلة فنية أدبية باسم : « الفنون المعاصرة » .

* قدم للطبع الباحث العراقي عبد الله الحيدري كتاب « ديوان ابن النبيه » ، بعد ما قام بتحقيقه على نسختين مخطوطتين .

* صدر بالقاهرة ديوان الشاعر العراقي ابراهيم ادهم الزهاوي ، وقد قام بتحقيقه الأستاذ عبد الله الحيدري .

* « ديوان النعمان بن بشير الأنصاري » قدمه للطبع الدكتور يحيى الحيدري ، بعد ما قام بتحقيقه على مخطوطة آيا صوفيا .

* انتهى الأستاذ ساطع الحصري من تحرير الجزء الثاني من مذكراته التي تتناول الفترة المنتهية بنزع الجنسية العراقية عنه ، وإعادة سنة 1941 .

* أعد الشاعر العوضي الوكيل أربعة كتب عن المرحوم عباس محمود العقاد .

* « شهداء العروبة والإسلام » اسم كتاب صدر للأستاذ علي الجملاطي .

* الدكتور محمد خلف الله ، صدر له كتاب : « القرآن - ومشكلات حياتنا المعاصرة » .

* تقدم السيد عبد المنعم شحاتة بأطروحة لنيل الدكتوراه في موضوع : « الروائي نجيب محفوظ » .

* « دراسات في المذاهب الآبية والاجتماعية » عنوان كتاب للأستاذ عباس محمود العقاد .

* قامت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، بترجمة « تاريخ الأدب العربي » للمستشرق بروكلمان .

* « أصالة الحضارة العربية » ، كتاب صدر في بغداد ، للأستاذ ناجي معروف .

* صدرت في لبنان مجلة بعنوان : « صدى الأرز » .

* أقيمت في لبنان عدة احتفالات تأبينية للفقيه اللبناني الدكتور نبيه أمين فارس .

* صدر عن دار المشرق ببلبنان كتاب : « من مقدمة ابن خلدون » للدكتور البير نصري نادر الذي يقوم بالتدريس في الجامعة اللبنانية .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد :

| مقدمة | دراسات إسلامية : |
|-------|--|
| 1 | 1 ما وجدت ليفي |
| 7 | 7 الإسلام والمرأة : |
| | عدد أسطورة وموروثه حرزا منها كتاب الإسلام |
| 10 | 10 العلوم في العهد النبوي |
| 15 | 15 الشخص في الإسلام : وضع المرأة (2) |
| 19 | 19 سبعة مشرفه من تاريخ الإسلام في مواجهة |
| | الفكر والعقائد |
| 22 | 22 الإسلام والمسلمون |
| | إبحاث ودراسات : |
| 28 | 28 كلمة السيد وزير الدولة الأستاذ عبد الهادي بوطالب |
| | في جلسة افتتاح مؤتمر كتاب المغرب |
| 31 | 31 نظره في منجد الآداب والعلوم |
| 33 | 33 علوم السنين |
| 38 | 38 إجماع التعليم في العالم العربي |
| 49 | 49 من الرواية إلى التوثيق |
| 57 | 57 زيارة الوفد المغربي للاتحاد السوفياتي |
| 66 | 66 وجه آخر من وجوه التداخل بين العلم والفنون |
| | مفاهيم زرع الأنف من زاوية أخلاقية وحقوقية |
| 72 | 72 بين مهتمين في أفريقيا |
| 76 | 76 من أعمال الفوق في مجال البطولة : |
| | الشيخ عبد القادر شمل بلل الثورة الفولانية |
| 79 | 79 ناصات في استعمال اللغة العربية ونحوها |
| 84 | 84 الحسد لله وحده |
| 86 | 86 الوجعادات |
| | ديوان الجلبة : |
| 89 | 89 المداليون الفلسطينيين |
| 91 | 91 المنحة المنبهة |
| | دراسات مغربية : |
| 93 | 93 أسماء في الأدب المغربي |
| 108 | 108 محمد بن الحسين المرانسي شيخ الجماعة بكناس |
| 116 | 116 الشيخ عبد الرحمن الجديوب |
| | مصره وآثاره : 909 - 976 هـ - 1503 - 1569 م |
| 126 | 126 أبو عبد الله الهبطي ، واقع وفد القرآن بالمغرب |
| 128 | 128 روايات متينة بين دولة الإسلام في الأندلس |
| 134 | 134 والتهدد الإسلامي الصديقه |
| | ولانسق استغنية |
| 141 | 141 أزمة المذاهب بين الغرب والبلدان الاستعمارية |
| | في القرن الثامن عشر |
| 145 | 145 نكبة فلسطين في التمر المغربي الحديث |
| 150 | 150 الأدب النبوي في الأندلس |
| 154 | 154 السكر في المغرب القديم |
| | قصص الصدد : |
| 159 | 159 مناسا العباسي |
| | أدب وفكر : |
| 163 | 163 المشكلة الأخلاقية لمصائب أبدال القلب وإعادة الحياة |

الأستاذ محمد أحمد اشعاع

الأستاذ م . ربيع

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

ش. العدد درهمان

الذي حقق هو كذلك الجزء الثاني الذي صدر منذ سنة . اما الجزء الاول فقد قام بتحقيقه الاستاذ السيد محمد بن تاويت الطنجي .

* يصدر للاستاذ اشتوان بوكا ، المستشرق المجري الذي يعمل استاذاً بشانوية عمر الخيام بالرباط، معجم مجري عربي ، في 1200 صفحة . ويقوم بطبعه الجمع العلمي المجري .

* تنظم وزارة الشبيبة والرياضة خلال عطلة الصيف ثلاثة ملتقيات دولية للشباب ، يحضرها شبان من ألمانيا ، وفرنسا ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر الى جانب الشبان المغاربة ، الغاية منها الاطلاع على مختلف اوجه النشاطات الثقافية بالمغرب، وتمتين الروابط بين شباب المغرب ، وشباب هذه البلاد .

* اقيمت بمدرج كلية الاداب بالرباط ندوة تحت اشراف وزارة التربية الوطنية في موضوع « الانسان في القرآن الكريم » ، وتدخل هذه المناظرة في اطار تخليد ذكرى مرور اربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم .

* نوجد نحت الطبع مجموعة قصصية للكاتبة المغربية خاتمة بنونة .

* قام وفد اتحاد النساء العربي الفلسطيني بزيارة للمغرب بقصد جمع التبرعات لفائدة المنكوبين الفلسطينيين .

* صدر عن المكتب الوطني للسياحة عدد ممتاز من مجلتها : « المغرب السياحي » وذلك بمناسبة المهرجان الوطني التاسع للفلكلور الذي اقيم مؤخراً في مدينة مراكش .

* باغتت المنية الشاعر الدكتور سيف الدين الكيلاني ، سفير المملكة الاردنية بالمغرب سابقاً . وقد احدثت وفاته موجة من الاسى في الاوساط الثقافية والديبلوماسية بالمغرب . تعزيتنا الحارة لدويه ، ولعقدي اديه .

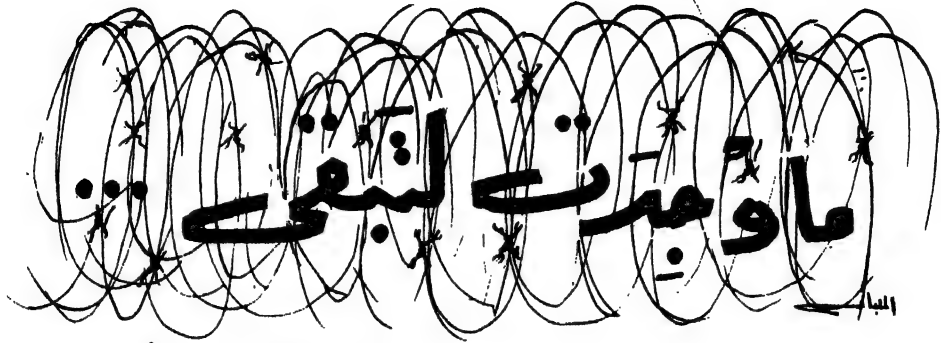
* حصل الاستاذ المكي السنتيسي على دكتوراه الدولة في الحقوق عن رسالته « تدابير الوقاية في التشريع الجنائي المغربي » وذلك يوم 14 يونه .

* العهد المخضرم في سوريا ولبنان - 1918 - 1922 ، للاستاذ الكبير محمد جميل بيهم ، وهو كتاب للحلقة الاولى من مذكراته خلال جيل تحدث فيه عن العهد المخضرم في سوريا ولبنان ، وقدم لحدثه عن هذا العهد مقتطفات قيمة تناولت الاحداث التي سبقته ، وعلى راسها الثورة العربية التي اعلنها الشريف حسين بمكة ، وقد اسند المؤلف في ذلك الى مذكرات الامير سعيد الجزائري الذي اعلن الحكم العربي بسوريا ولبنان ، تلك المذكرات التي خص المؤلف بها .

* اصدر المجلس البلدي لمدينة القصر الكبير النشرة الثانية التي تتضمن تاريخ هذه المدينة العريقة المجاهدة وعن رجالات وامجادها العتيقة في القرن العاشر الهجري .

وقد سبق لهذا المجلس ان نشر في نشرة اولى لمحة تاريخية عن مدينة القصر الكبير سنة 1964 مع تقرير شامل اتخذه برنامجاً له .

وهذا التقرير بقلم رئيس المجلس البلدي السيد محمد بوخلفة .



لسماعة الشيخ نديم الجسر

نص المحاضرة العلمية الفلسفية التي القاها في حفلة افتتاح الموسم الثقافي للمعاهد الثانوية العليا في طرابلس العلامة الجليل والاديب الكبير صاحب السماحة مفتي طرابلس ولبنان الشمالي الاستاذ الشيخ نديم الجسر عضو مجمع البحوث الاسلامية في الازهر .

(ما هلك امرء عرف قدره) .

ومما اشتهر على السنة الناس من كلام الحكماء،
من عهد الاغريق ، قولهم (اعرف نفسك) .

ولكن اكثر الناس يحملون ، هاتين الكلمتين
الذهبيتين الجامعتين ، على وجه واحد من النصيحة،
وهو ان يعرف الانسان جوانب ضعفه ونواحي عجزه .
وقل ان يتبادر منهما الى الذهن ذلك المعنى الاعم
الاوسع ، الذي نحن احوج اليه اليوم .

ان غفلة الانسان عن معرفة نفسه ، في حقيقة
ضعفها وعجزها ، لبست اكثر ضررا من غفلته عن
عرفان نفسه في حقيقة قوتها ، وقدرتها .

ويزداد هذا الضرر ضراوة واستشراء اذا كانت
هذه الغفلة في حادث يتعلق بالجماعة او الامة :

لان للخور والتهلك والياس ، عند صدمة البلية ، وبفتنا
النازلة ، عدوى سارية طاغية ، تنتقل من الضعفاء الى
الاقوياء ، بل من السفهاء الى الحكماء ... ولولا ذلك
لما تهلكتنا ، كلنا ، امام المعركة المفاجئة حيارى
مولولين ، يائسين ، قانطين ...

ان الكلام مع النخبة من العلماء والفهاء هو من
سبب الصعاب ، واهون الهينات .

اما السهولة فهي من جهة ان المتحدث الى النخبة
جد نفسه غير محتاج الى مزيد من الاسهاب ،
التبسط ، والتهبط عن مستواه ، ثم يجد نفسه ، في
وضوعات الدقيقة الشائكة ، التي تفتقر الى كثير من
لطف والحد في التعبير ، مستغنيا عن التصريح
لتلميح ، وعن العبارة بالاشارة ...

اما الصعوبة ، فهي من جهة ان العلماء والفهاء
يؤخذون بسحر الخطابة ، والسفسطات ، والاغاليط،
المبالغات ، ولا يمشي الحال معهم بالبهلوانية ،
النطيط ، والقفز من المعقول الى اللامعقول على قنطرة
بوائية من المستحيل ، بل لابد للكلام ، معهم ، ان
يتمهد على المنطق الصارم .

وبهذا المنطق الصارم سأحدثكم عن بعض جوانب
النكبة ، وعن اسرائيل ، بلا غرور ، ولا غلو ، ولا خרט،
ولا اوهام ، ولا احلام .

من جوامع الكلم المروية ، عن محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوله :

العدد التاسع والعاشر
السنة الحادية عشرة
جمادى الأولى 1388
غشت 1968
ثمن العدد
درهمان

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الاوقاف والشؤون
الاسلامية بالملكة المغربية

مجلة شهرية تقنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

نبحث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف

الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
مأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

ندفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط

**Daout El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف -

الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط

تليفون 308.10 - 327.03 - الرباط

يقول بعض الذين خلقوها انها وجدت لتبقى ...
وانا اقول : انها وجدت لتزول ...

لا اقولها مغرورا ولا موتورا ، ولا مدجلا ولا مهولا ، ولكني اقولها عالما بنواميس الاجتماع ، التي بنى عليها وجود الامم ، وبقاؤها ، وزوالها ، بأمر الله ، وحتمية التاريخ ...

دولة اسرائيل هذه لن تبقى في فلسطين ، ولو اجتمع يهود العالم ، بملايينهم العشرة ، المتفرقين في اطراف الارض ، وجاؤوا كلهم الى فلسطين ، وحمل كل واحد منهم ، مدفعا في سيارة ، وصاروخا في طائرة ...

وقبل ان اقول لكم لماذا لن تبقى دولة اسرائيل في فلسطين ، امهد لكم بكلمة عن دولة اسرائيل في التاريخ ، ودورها ، ونصيبها من البقاء ، في صراع ناموس تنازع البقاء .

ما هي دولة شاوول وداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ، اللذين نقرأ عن امجادهما ، في تاريخ الدين وتاريخ الدنيا ، صفحات ذهبية مشرقة ، تكاد قرأتها الخاطفة ، توهمن انها دولة عظيمة ؟

انها دولة ، بل اصغر من دولة ، لا تتعدى حدود رقعة صغيرة ، من قطر فلسطين الصغير ، القاحل ، الضيق ، محصورة بين الامبراطوريات الفرعونية ، والكلدانية ، والاشورية ، والفارسية ، واخيرا الرومانية ، المتطاحنات في حروب ، لا نهاية لها ، للسيطرة على العالم القديم ، الذي تقع دولة يهوذا في وسطه وقلبه وسرته ... فهي ، كدولة ذات كيان سياسي (ويقطع النظر عن الرسالة السماوية التي كانت ملقاة على عاتقها) لا تكفي ، بأرضها ، وسكانها ، وهيكلها الذهبي ، ان تكون لقمة ، في اشداق تلك الامبراطوريات ، التي تقوم على جوانبها من الشروق والغروب .

هذا من بدبيات الناموس الالهي الاجتماعي الذي يسمى ناموس (تنازع البقاء وبقاء الانسب) وهو الاقوى .

ولكن دولة شاوول وداود وسليمان قد وجدت ، بتدبير الله ، كما يقول المؤمنون ، او بتفاعل النواميس الاجتماعية ، كما يقول الملحدون ، لغاية عظيمة استنفذت اغراضها ...

انها وجدت لحمل رسالة ، في سبيل غاية سامية ، يريدتها الله ، ويريدها الناموس الاخلاقي ، الذي سيبقى مسيطرا على البشر ، مهما فسدت الاخلاق . وهذه الغاية هي : حماية الشعب الوحيد الباقي ، (بعد ابراهيم ونسله) ، على عبادة الله الحق ، من مظالم الوثنية الفرعونية ، والكلدانية ، والاشورية ، والفنيقية . وقامت هذه الدولة الصغيرة ، وازدهرت ، في عهد داود وسليمان ، على اساس مبادئ الحق والخير .

ثم فسد الشعب ، فخرج عن مبادئ الحق والخير ، بظلمه ، وترفه ، وقتله الانبياء ، فخرت الدولة سبب بقاءها الوحيد ، وخرت الديانة مقومات صلاحها ، فارسل الله السيد المسيح ، صلوات الله عليه ، بالانجيل . والدين الحق ، ليحل محل الديانة التي افسدها اهلها .

وسلط الله . على الدولة الفاسدة . من زلزلها ، وعلى الشعب الظالم الفاسق ، من مزقه ، وفرقه ، وشرده تشريدا لم يعرف التاريخ نظيره . في اي شعب من شعوب العالم : فكان الاجلاء الاول : الى بابل ، على يد بختنصر . وكان بعد ذلك هدم الهيكل والتشتيت الابدي ، على يد تيطوس الروماني . الذي لا تزال نزال نقرأ اسمه ، وذكرى نصره على اليهود . منقوشين على قوس النصر المنصوب له في روما .

وهكذا انتهت الديانة اليهودية . المنسوخة بالمسيحية : التي تبنت خيارها . وابطلت شرارها ، لانه لم يبق مبرر لوجودها الهيا . . وانتهت الدولة الاسرائيلية ، لانه لم يبق لوجودها مبرر وهو : حماية الدين الحق ، والاخلاقية الكريمة .

وانتهى الشعب اليهودي ، كوحدة اجتماعية ، لانه لم يبق لوجوده اي مبرر الهيا ، ولم يبق لبقائه ، كوحدة ، اي مبرر اجتماعي ، بحكم قتلته وضعفه ، وبحكم (ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب) ، فتمزق الشعب في الارض ، ابايد ، وضربت عليه الدلة والسكنة ، وعانى ، من ضروب الاضطهاد ، والقتل ، والحرق ، والتعذيب ، على ايدي الكلدانيين ، والرومان ، والاوروبيين ، ما لا يمكن ، عقلا ان يكون بلا مبرر رباني ، او اجتماعي ...

بعد هذا التهميد ، التاريخي والفلسفي ، عن دولة اسرائيل القديمة ، ارجع لكرر لكم القول : ان اسرائيل الدولة الحالية في فلسطين ، ما خلقت لتبقى .

نكبة (أحد) ، التي جرح بها النبي القائد الأعلى،
في قلب معقله ، هي معركة خاسرة ، ولم تكن نكبة الأبد
وهزيمة (حنين) التي بقي ، فيها ، القائد الأعلى،
وحده ، على سرجه ، لم تكن نكبة الأبد .

وفتح الأفرنج لبلاد الشام ، واستيلاؤهم عليها
مدة قرنين ، لم يكونا نكبة الأبد .

وفتح بغداد ، وتخريبها ، بعد قتل الخليفة
المستسلم الذليل ، ووزيره الخائن ، لم يكونا نكبة الأبد
على شعب استطاع أن يصنع معركة (حطين) ، ثم
استطاع أن يبني ، أباد ، جيوش المغول المتحالفة مع
الأفرنج في (عين جالوت) .

وهزيمة (دمياط) و (المنصورة) ، التي كانت
تحمل كل عناصر النكبة : بخيانة القائد ، وموت
(الملك الصالح) ووضع الخلافة الإسلامية ، لأول
مرة في التاريخ ، في حضن الجارية (الصالحية) ،
وتقهقر الجيش ، وتضعيف الشعب ، لم تكن نكبة
الأبد ... وانحلت الازمة بأسر (الملك العظيم) ،
ووضعه في دار القاضي لقمان ، غير (الحكيم) ...

واسر (الملك القديس) هذا ، في المنصورة لم
يكن ، نكبة الأبد ، كما أن أسر فرانسوا الأول في معركة
(باقيه) ، التي خسر فيها ، على قوله ، (كل شيء إلا
الشرف) ، لم تكن نكبة الأبد على شعب استطاع ، بعد
ذلك ، بامد غير طويل ، أن يخلق (الملك الشمس) ،
الذي تحكم بمقدرات أوربا والعالم .

واحتلال الألمان لباريس وفرنسا ، في الحرب
على شعب استطاع ، بعد ذلك بامد قصير ، أن يخلق
بسمارك ، ويصنع معركة (سدان) ، ويأسر نابوليون
الثالث ...

واحتلال الألمان لباريس وفرنسا ، في الحرب
العظمى الثانية ، لم يكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع
أن يخلق (ديغول) ، الذي بدأ طريدا شريدا ، وانتهى،
اليوم ، أن يتحكم بمقدرات أوربا ، بل بمقدرات العالم .

واحتلال الاستعمار الأوربي ، في القرن الماضي ،
للهند ، واندونيسيا ، ومصر ، وسوريا ولبنان ،
وفلسطين ، والعراق ، والسودان ، والجزائر ، وتونس،
والمغرب الأقصى ، وليبيا ، أي للعالم العربي والإسلامي
كله ، تقريبا ، لم يكن نكبة الأبد ؛ بدليل أن هذه الاقطار
كلها ، تتمتع اليوم بالاستقلال ، وتقع مع تلك الدول
المستعمرة ، على مائدة واحدة ، في الأمم المتحدة .

واحتلال الحلفاء في سنة 1918 لاستنبول عاصمة
الخلافة العثمانية ، ثم اذلال الشعب التركي ، الى الحد
الذي سمح به الحلفاء ، المنتصرون على الرجل المريض،
اليونان ، باحتلال أزمير واختراق الأناضول ، لم يكن
نكبة الأبد على شعب استطاع أن يخلق (مصطفى
كمال) ، وينتهي ، بعد 27 سنة فقط ، الى أن يرى
نفس الحلفاء ، الذين اذلوه ، يركعون امامه ،
مستجدين منه أن يدخل معهم في (حلف الأطلسي) .

في معركة (المصير الأبدى) للامم عناصر ثلاثة ،
اساسية ، ضرورية ، يقوم عليها بقاء الامة :

الارض الكافية الوافية للبقاء .

العدد الكافي للبقاء .

الوحدة الفكرية الكافية لجمع القلوب .

وكل نقص ، في غير هذه الثلاثة ، من علم ،
وتصنيع ، وتسليح ، يمكن تلافيه مع الزمن .

فان قيل لكم ان امة على وجه الارض ، بل في
تاريخ الارض ، قد اجتمعت لها هذه العناصر الاساسية
الثلاثة ، اكثر مما اجتمع للامة العربية والإسلامية فلا
تصدقوا ...

ومهما قيل لكم عن ضعف العرب والمسلمين ،
وعجزهم ، وخورهم ، وتنازعهم ، وفشلهم ، وذهاب
ريحهم الى الأبد ، فلا تصدقوا ...

ان امة تبلغ ثلث سكان الارض ، وتملك ، في سرّة
الدنيا ، أكبر وأوسع وأغنى وأشرف رقعة ، متواصلة،
غير متفاصلة ، تمتد من أقصى المغرب الى أقصى
المشرق ، وتمتلك ثلاثة من أعظم انهار العالم الستة ،
وتمتلك أطول سواحل البحر المتوسط ، وتسلط على
معابره الثلاثة ، وتمتلك البحر الأحمر بكامله ، وتنام
على بحر من البترول ، لا تنتهي أغواره ، ولا تنضب
آباره ، ويشد قلوب ابنائها كتاب واحد ، نحو ايمان
واحد ، بآله واحد ، وأخوة واحدة ... (انما المؤمنون
أخوة) - (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار) - (مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو
تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) ليست هي
بالامة التي تغلب وتقهقر الى الأبد ...

اما اسرائيل فلن يكتب لها البقاء ... لانه لم
يكتب لها البقاء ...

تكون شوكة في صدر الامة العربية،انما خلقتها لمصلحة سياستها الاستعمارية والبتروولية ، ولم تخلقها للعاطفة . وستظل تحميها ما دامت لها مصلحة في حمايتها ... فاذا قيل لكم انها سوف تحميها الى الابد فلا تصدقوا ، مما في سياسة المصلحة شيء ثابت الى الابد ...

هذه حقيقة يؤيدها المنطق ، ويؤيدها التاريخ .

فمن بعد الحروب الصليبية الى اليوم ، لم تحفل ابدا ، من دول اوربا حروب على المسلمين لمجرد فكرة نشر الدين المسيحي ، بل كانت الحروب كلها ، للاستعمار والمصلحة . واذا كانت هذه الدول المستعمرة تسمح للتبشير ان يلعب دوره ، فانما تسمح له ليساهم في معركة الاستعمار ، سماحا سياسيا ، يقصد به ارضاء الجهات المسيحية التي يهمها امر التبشير ، ويقصد به من جهة ثانية اضعاف الجبل ، الذي يشد وحدة المسلمين ، ويقوي فيهم روح المقاومة للاستعمار .

فالمصلحة السياسية والاقتصادية تكاد تكون ، وحدها ، المنطق الاساسي الرئيسي لاستعمار البلاد العربية والاسلامية ... والمصلحة السياسية والاقتصادية ، هي ، وحدها ، المنطلق للتخلي عن البلاد العربية والاسلامية ، واعطائها استقلالها .

واذا كان هذا واضحا ، فواضح منه ان مساعدة الغرب لاسرائيل تنطلق من المصلحة السياسية ، وليس من حب اليهود ، او لتأييد الديانة اليهودية ...

واذا كان هذا مقرورا ، وظاهر البدهة ، فانني اطرح الاسئلة الاتية :

هل التخلي ، عن تونس والمغرب والجزائر ، اعظم واوجع ، في ميزان المصلحة الاستعمارية الافرنسية من التخلي عن مساعدة اسرائيل ؟

وهل التخلي عن الهند الدرة في التاج البريطاني اعظم واوجع ، في ميزان المصلحة الاستعمارية الانكليزية من التخلي عن مساعدة اسرائيل ؟

الجواب واضح وبديهي .

ومع ذلك فانه بحكم سياسة المصلحة لفرنسا وانكلترا ، وبقوة تيار السياسة الدولية العامة ، اجبرت فرنسا وانكلترا على ترك هذه المستعمرات العزيزة الغالية .

هذه السياسة الدولية العليا ، التي تتفاعل على الارض ، فترغم الجبابرة على ان يتخلوا عن جبروتهم وطفيتهم ، بحكم تدافعهم ، هي الناموس الاجتماعي ، الذي عبر عنه القراء بقوله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) .

وبقوة هذا الناموس يقوم التوازن الدولي بين الغرب والشرق اليوم ...

وبقوة هذا الناموس ارغمت ، فرنسا وانكلترا وهولاندة وايطاليا ، على ترك اعز واعظم مستعمراتها .

وبقوة هذا الناموس دفن الانكليز والفرنسيون اربعين الف عسكري ، من شبابهم ، امام حصون سيفاستابول ، ليردوا روسيا المسيحية عن تركيا المسلمة ...

وها هو الناموس الالهي نفسه يعود ، ليتجلى من جديد في سياسة الدولتين الاوربيتين ، اللتين هاجمتا بورسعيد ، بالاشتراك مع اسرائيل ، من عهد قريب .

فمن الذي كان يصدق ان ميزان السياسة في فرنسا سيتحول عن اسرائيل ، ويميل نحو العرب ؟

ومن يصدق ان ميزان السياسة العميقة في انكلترا التي خلفت اسرائيل ، يتحول ويميل نحو العرب ، ميلا بدات خيوطة الخفية تلوح للعيون القوية ، في ظلمة الاسبوع الاول من النكبة ؟ .

قد اكون متوهما ، وقد تكون هذه الرقصات في بارومتر السياسة من نوع الخداع ، الذي تعودناه ... ولكنني احب التفاؤل من غير اتكال ولا تواكل ... وافضل ان ارد على التيسم بالتيسم فان كان خصمي صادقا زدته صدقا . وان كان كاذبا قطعت عليه طريق العذر في مخاصمتي ، امام الراي العام في بلاده نفسها ، بل عند الراي العام العالمي ، الذي لا يخلو ، مهما تألبت الدعاية الصهيونية ضدنا ، من بعض قلوب طاهرة ، ونفوس كريمة ، وعقول نيرة ، رايناها تساعدنا وتساندنا في محنتنا مع الاستعمار ومع اسرائيل ، وتستطيع ، على قلتها ، ان تؤثر ، بعض التأثير ، في تحويل بعض جوانب التفكير للراي العام الغربي المسيحي .

والا فمن منا كان يتوقع ان نسمع ، في عيد الميلاد المجيد ، من سيد احبار النصرانية هذه النعمة الكريمة الحلوة في الحث على التعاون بين المسيحية والاسلام ؟

اولا - لان كيان الدولة الاسرائيلية قد فقد مبررات وجوده ، الدينية ، والاجتماعية ، فاعطاها لغيره .

ثانيا - لان دولة اسرائيل ، الجديدة الاصطناعية غير الطبيعية ، التي فقدت مبررات وجودها التاريخية والاساسية ، هي بذاتها ، وبقطع النظر عن النظرة الدينية ، غير صالحة للبقاء ، بحكم ناموس القوة في تنازع البقاء ، لانها تفتقر الى العنصرين الاساسيين من عناصر البقاء : وهما (الارض الكافية) ، (العدد العديد الكافي) كما سبق البيان في صدر الكلام .

ثالثا - لان هذه الدولة الاصطناعية غير الطبيعية ، قد وقع الفلاسفة ، الذين وضعوا نواتها ، في سوء اختيار البقعة الصالحة لتكوين دولة يمكن ان يكتب لها البقاء ، بل وقعوا في الفخ الذي نصبه لهم الاستعمار حين وافقهم على اختيار بقعة فلسطين ، بالذات ، لتأسيس الدولة الاسرائيلية الجديدة : فالاستعمار اراد ان يجعل اسرائيل شوكة في حلق الامة العربية ، من غير ان يبالي بالمصيبة على من تقع من الطرفين (فبابهما جاءت فبالعدو ...)

ولو قدر ، للفلاسفة اليهود ، الذين وضعوا نواة الفكر لاعادة دولة اسرائيل ، ان يختاروا بقعة اخرى ، في احدى بلاد الوثنية الافريقية ، مثلا لكان من الممكن ان تتكون لهم دولة اسرائيلية قابلة للحياة والبقاء ، حتى ولو كانت البقعة المختارة صغيرة وقاحلة مثل فلسطين ، لانهم ، في جوار الوثنية ، سيوفقون ، من غير ريب ، الى نشر ديانتهم ، التي تظل ، مهما افسدها اهلها ، ديانة ذات اصل سماوي ، صالح للتغلب على شرك الوثنية . وبهذا يتمكنون من توسيع رقعة الدولة الى المدى الكافي ، ومن تكثير عدد اليهود الى المقدار الكافي ، فيكتمل لهم ، بذلك ، الشرطان الاساسيان ، اللذان بينا انه يقوم عليهما بقاء الامم الى الابد .

ولكن فلاسفة اليهود خدعوا انفسهم ، حين ركزوا انظارهم على جاذبية الدعاية الدينية ، التي يتأثر بها كل يهودي ساذج يقال له : انك سوف تحيي دولة داوود وسليمان في نفس هيكل داوود وسليمان . فما لعباء الفلاسفة ما اغربه ...

هنالك قول مشهور لا ادري اهو من كلام الانبياء ، ام من كلام الحكماء يقول :

(اذا اراد الله انفاذ امر سلب من ذوي العقول عقولهم) .

وهذا ما يصدق على فلاسفة اليهود . انهم فكروا في جاذبية الدعاية الدينية ، وغفلوا عن رد الفعل العنيف للدعاية الدينية ، نفسها ، عند المسلمين ، الذين يدخل في صميم عقيدتهم ، تقديس المسجد الأقصى وما حوله ، والذين بذلوا في الحروب الصليبية ، دماء غزيرة ، حتى استردوها ، والذين مضى على وجودهم التاريخي فيها اربعة عشر قرنا ، حتى رأت الدول المسيحية العظمى ، التي هي اقدر على انتزاعها من ايدي المسلمين ، ان تحترم ذلك الاستقرار التاريخي الزمن ، فتركتها لهم ، بل تركت سدانة معابدها في ايديهم ، حتى في عهد الانتداب الانكليزي .

من كل هذا يظهر بوضوح ، ليس بعده وضوح ، ان خلق دولة اسرائيل ، في ارض فلسطين الضيقة القاحلة ، التي لا تكفي ، بمساحتها وثروتها الطبيعية ، لتكوين دولة ، ومن شعب لا يكفي ، بعدده ، ولو اجتمع كله ، للصمود ، وفي وسط بحر من الامتداد العربي الاسلامي الهائل ، الذي وصفناه ، وفي اتون من نار الفيرة الدينية الاسلامية والمسيحية ، ومع التجاهل لاثر الحق الناتج من الاستقرار التاريخي ، كان خلقا اصطناعيا ، يحمل ، في صدره عناصر زواله ، لانه لا يعتمد للوجود والبقاء على اي مبرر ، من المبررات الدينية ، والاجتماعية ، والتاريخية والارضية ، او العديدة او الاقتصادية .

وان قيل لكم ان هذا الكيان الاصطناعي تحميه الدول الغربية الى الابد ، فلا تصدقوا لانه لا مبرر طبيعي واساسي لحماية هذا الكيان الى الابد .

فالحماية اما ان تكون للعاطفة ، واما ان تكون للمصلحة .

اما العاطفة فلا عاطفة ... وتاريخ الاوربيين مع اليهود هو سلسلة من القتل ، والذبح ، والخنق ، والحرق ، ومن هذه المآسي ، التي وقعت في اوربا على اليهود ، ابتلي الشمال الافريقي المسلم بهذا العدد الكبير من اليهود ، الذين فروا اليه ، ليأمنوا على ارواحهم واموالهم ، وما زالوا آمنين ، حتى بعد المذابح التي وقعت على المسلمين في (دير ياسين) ... وبعد العدوان الاسرائيلي الاخير ... وهذا من مفاخر دين الاسلام ، الذي يمنع الاعتداء على اي انسان ما دام غير محارب .

وتبقى المساعدة للمصلحة . وهذا هو الواقع . فالدول الاستعمارية ، التي خلقت دولة اسرائيل ،

الاسلام والمرأة ، عقد أسطورية وموروثة مرزنا منرا ،

كتاب الاسلام

للكتورة بنت الشاطي

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

صدق الله العظيم

« ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنى ولم نجد
له عزما ، واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا
ابليس ابى ، فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا
يخرجكما من الجنة فتشقى ، ان لك الا تجوع فيها
ولا تعرى ، وانك لا تظما فيها ولا تضحى ، فوسوس
اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا
يخضفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه
ففسوى . »

* * *

وحررني الاسلام كذلك من الفكرة المسوخة
التي صورت لاجيال من امهاتنا ، ان المرأة مخلوقة
هامشية من ضلع الرجل ، وشتان بين المخلوق الكامل
الاصيل ، وبين مخلوقة منتزعة من جانبه او ضلع .
لا ادري !

وليس في كتاب الاسلام ان المرأة مخلوقة من
ضلع آدم ، وانما الذي فيه انه تعالى خلقنا من نفس
واحدة وخلق منها زوجها ، واتلو من كتاب ديني :

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا

ما يزال فهمنا لكتاب دننا ، تشوبه شوائب
دخيلة عليه من اسرائيليات مدسوسة واسطوريات
موروثة ، وما يزال علينا ان نجاهد طويلا لكي نححر
هذا الفهم مما داخله من عناصر مقحمة على القرءان
الكريم ، بعيدة عن روح تعاليمه وهده ، ونصوص
آياته المحكمات .

* * *

وأعرض في هذا المقال ، بعض تلك الاسطوريات
والموروثات التي حررنا منها كتاب الاسلام ، مع لفنة
الى ما اضفى على المرأة من حماية وحرمة تفتقدتهما
في هذا العصر الذي يزعمون انه عصر تحرير المرأة .

* * *

كتاب الاسلام هو الذي حررنا من عقدة الذنب
التي ظلت تلاحق جنسنا من بدء الخليقة ، وتتهم اول
انثى على الارض بانها بدات حياتها بالفواية وكانت
ذريعة الشيطان لاغواء آدم واخراجه من الجنة . وقد
ظلت هذه اللعنة تطاردنا جيلا بعد جيل ، حتى قرأت
كتاب الاسلام فتحررت من هذه العقدة ، لانه ابرأني
من لعنة اغواء آدم ، ولم يقل قط ان زوجه كانت ذريعة
الشيطان اليه ، واتلو من سورة طه :

وتبقى أمريكا . وسوف يأتي دورها وتنقشع
الغشاوة الصهيونية عن عيون الشعب الأمريكي ، الذي
لا يخلو من قلوب كريمة ، وعقول نيرة ترتفع أحيانا
فوق الدعايات وفوق الرواسب .

في العالم ثلاثة مدارات تصلح للبقاء الأبدى ، لأن
لها كل مقومات البقاء التي ذكرناها .

المدار المسيحي ، والمدار الإسلامي ، والمدار
الصيني الوثني . وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيقول
به الشعب الأمريكي :

يا ويلنا من الخطر الأصفر ...

وليس ببعيد ذلك اليوم الذي ستقف به أمريكا
المسيحية تستجدي مساندة المدار الإسلامي ، المؤمن ،
في حربها مع الوثنية الصفراء .

هذه المعاني كلها بحذافيرها قد ارتضت لها
نفسى ، منذ أسبوع النكبة ، ونفثت بعضها في أسماع

الناس الذين كاد إيمانهم أن يتزعزع ، في خطبة أول
جمعة بعد الاثنين المشؤوم .

وذهبت إلى المغرب الأقصى ، وتلاقيت مع وفود
من علماء العرب والإسلام ، وكانت أحاديث ، ومناورات ،
ومجادلات فعدت أكرر هذه المعاني لأحيي بها أمل
اليائسين .

ونضجت هذه المعاني في ضميري من كثرة ما
تخضخضت في رأسي وعلى لساني .

وكانت سفرة إلى طنجة ... وقفنا على مشارف
الاندلس ، وعاد إلى القلب الكبير حينه ...

وتهافتت على العقل العبر ، كما تهافتت على
العيون الدموع والعبرات ، فكانت تلك القصيدة (1) ، التي
تحمل أكثر تلك المعاني ...

إن الشعر أبقى على الدهر ، وأهون على الذكر .
واني ، على أن تذكروني ، وتترحموا علي لحرص ، جد
حريص ...

لبنان : نديم الجسر

(1) نشرت القصيدة في العدد الماضي .

فاطمة بنت محمد لقطع محمد ، عليه الصلاة والسلام،
يدها . واتلو من كتاب الاسلام :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة
لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما
فلم يفنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع
الداخلين . وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون
اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من
فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين . ومريم ابنة
عمران التي احصنت فرجها فننفخنا فيه من روحنا
وصدقت بكلمات ربها وكانت من القانتين » .

والاسلام لم يحرر المرأة من تلك العقدة الموروثة
فحسب ، بل صان سمعتها وشرفها بسياج منيع من
الحصانة والحرمة ، فحين يبتذل ناس سمعة الحرائر
المحصنات الغافلات ، ويخوضون في اعراضهن بمثل

البسطة التي يتحدثون « بها عن سعر الخضر وفكاهات
الموسم ، نتلو آيات النور :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة
ابدا وأولئك هم الفاسقون » .

الى قوله تعالى :

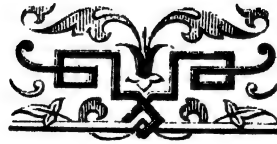
« ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون » .

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

استاذة بجامعة عين شمس



ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا .

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

فمن اين جاءت حكاية الظلع هذه وليس في القرآن كله اشارة اليها من قريب او بعيد ؟

ارجح انها من الاسرائيليات التي روجها من اسلموا من اليهود في عصر المبعث . وقد دخلت كتب التفسير وظن كثير ان لها ما يؤيدها من حديث رووه ، اوصى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالترفق في معاملة النساء وشبههن بضلع ان انت حاولت تقويمه بالشدة كسرتة . وقد تأولوا الحديث على معناه الحرفي ، وما اراه الا من البيان المجازي ، ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام : « رفقا بالقوارير » فهل يتأولونه باننا ، معشر النساء ، خلقنا من زجاج القوارير ؟

* * *

المرأة في الاسلام مخلوق كامل ، خلقت والرجل من نفس واحدة ، وحققها في الحياة يتقرر بحكم انسانيته وليس منحة من غير خالقها ، ولا هو متوقف على كونها تلد او لا تلد ، تنجب ذكورا او لا تنجب .

وقد غبرت عصور والمجتمع يهدد حق المرأة في الحياة اذا لم تلد ، وينبذها اذا لم تنجب الذكور ، وما تزال الامهات منا يعانين من مثل هذه العقدة الموروثة ، وما يزال في مسمعي صدى من اغنية شعبية روعت مهدنا وأرقت صبا . تقول الاغنية على لسان ام :

لما قالوا د غلام
انشد عظمى وقام
وجابوا لي البيض مقشر
وعليه الدهن عام

* * *

ولما قالوا دي بنيه
انه ركن البيت عليه
وجابوا لي البيض بقشره
وعليه الدهن ميه !

والتقط سم الزمان من تاريخنا الادبي ، ما سجله « الجاحظ » في « البيان والتبيين » من شكوى ام هجرها زوجها الى بيت جارتها ، غضبا عليها ان لم تلد ذكرا :

ما لأبي حمزة لا ياتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان الا نلد البنينا
تالله ما ذلك في ايدينا

عقدة موروثة ، لم تنج منها مريم المصطفاة :

« اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى ، والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .

وكتاب الاسلام قد حررنا من تلك العقدة الموروثة ، وحمى الانثى ساعة مولدها من ذلك الاستقبال البغيض ، وأتو من كتاب ديني :

« واذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون ام يدسه في التراب ، الا ساء ما يحكمون » .

* * *

وكانت العصور الخالية تتصور ان المرأة لا تملك عفتها ، ومن ثم راحت تحكم عليها الابواب والاقفال ، وتقيم الحراس الذين يحمون فضيلتها وشرفها . وقد غاب عنهم ان فضيلة المرأة بيدها ، وقد كانت دائما ، حتى في احلك العصور ، تملك عفتها رغم الاقفال الموصدة والحراس الاشداء والابواب المحكمة .

وكتاب الاسلام قد حررنا من تلك العقدة الموروثة ، وقرر مسئولية المرأة عن سلوكها وفضيلتها ، وشرفها بتبعة التكليف شرعا . فهي مكلفة كالرجل سواء بسواء ، تحتل تبعة عملها خيرا او شرا ، وتلقى جزاءه ثوابا او عقابا ، والقرءان الكريم فينا نتلو آياته المحكمات :

« من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » .

« الا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » .

فليس اب او زوج او اخ بالذي يحمل عن احدانا تبعة عملها ، وانما تحتملها كاملة بالاصالة ، ولو سرقست

علم الفقه

- القضاء الشرعي . انظر اقضية الرسول .
(وزاد المعاد لابن القيم) .

علم الاصول

الجمع المعروف باللام او الاضافة للعموم : فانكم اذا قلتم ذلك اصاب كل عبد الله صالح في السماء والارض (الجمع بين الدليلين) كلاهما قتله (القياس) ارايت ان كان على ابيك دين اكننت قاضيه .

(انظر اعلام الموقعين) هل فيهما من اوراق .
لعله عرق نزع .

وقد نهى عمر رضى الله عنه عن فتح منازل السويس لئلا يتخذ الروم منه طريقا الى الحجاز (1) وهذا النهي يدل على تمكنه من معرفة جغرافية بلاد العرب والروم برا وبحرا . وقد اذن في فتح الخليج المسمى بخليج امير المؤمنين نسبة اليه لتيسر نقل الميرة منه الى المدينة . والحديث عنه شهر فانظروا في (حسن المحاضرة للسيوطي) .

علم التاريخ

في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع للناس . فقال : مكة . قبل ثم اي ، قال : بيت المقدس . قيل : فكم بينهما . قال : اربعون سنة ، وقد استشكل هذا بان الكعبة من بناء ابراهيم ، وبيت المقدس من بناء سليمان . وما بينهما ينيف على الالف . واجاب ابن خلدون بان المراد بالموضع التعيين للعبادة لا البناء . ولا يبعد ان يكون بيت المقدس . (ص 297 في المقدمة) .

الاجتهاد

اجتهاده صلى الله عليه وسلم امور على ظاهرها قياس ، او استنباط من القرءان الكريم ، هل تحمل على الاجتهاد او هي بوحى خاص . (انظر الموافقات الشاطبي) .

الشعر

جاء مدح الشعر في غير ما حديث ، وقد تمثل به النبي (ص) وكان اصحابه يشدونه بينهم فيبتسم ،

اثلاثا ، واكل منها ثمانية وبقي سبعة ، واكل لك واحد من تسعة ذلك واحد وله سبعة ، فقال الرجل رضيت الان .

وجوابه في المسألة المنبرية كذلك مشهور في كتب الفرائض واخرجه البيهقي في سننه كذا تلقيه في بعض الاثبات ، وعنده جواب في الدينارية الكبرى وهي معلومة في كتب الفرائض ايضا ونظمها هو :

وصالحة جاءت عليها لتشتكي
شريحا تنادي الظلم شرا واجهارا

فقال اخ في نصف الف وخمسها
توفي فاعطاني في الكل دينارا

فقال علي مات عنك وزوجة
وبنتين مع ام اتى الخير مدرارا

ومثل شهور العام خلف اخوة
لحظك ما اعطى شريح وما جارا

ونسب الفريدة في طبقات الشافعية للامام
الشافعي ، ولا يبعد التعدد

الشركة 600

البنات 400

الام 100

الزوجة 075

اثنا عشر اخا واختا 25

600

روى الترميدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة ، وهو بلا ريب خاص باهل المدينة ، ومن كان على سمتهم فمن كانت قبلته جنوبية ، وكذا من كانت قبلته شمالية ، وقد اخذ بعمومه جمع من اهل العلم وهو منشأ ما وقع من الانحراف في كثير من المحاريب القديمة بعلم هذا من كتاب التاجوري وغيره ، وينبئ بهذا الخصوص حديث ابي ايوب : اذا اتى احدهم الفائط فلا يستقبل القبلة ولا يولي ظهره ولكن شرقوا او غربوا .

علم الجغرافيا

من اصول هذا الفن كتاب عمر بن الخطاب يصف له فيه جغرافية مصر الاقتصادية ، وهر قيم .

العلوم في الحديث النبوي

للمرحوم الأستاذ محمد السائح

كتب كثيرون عن العلوم في القرآن الكريم ، وليست هذه الناحية غفلا في كتب السنة ، وقد كتب المرحوم محمد السائح بداية لبحث في الموضوع لم تمهله الايام لتفصيله وتركيزه . ونشره في مجلة (دعوة الحق) كوثيقة لهذا العمل .

(الهندسة)

روى الشيخان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحوض (زواياه سواء) والزوايا جمع زاوية وهي ما يحصل من تلاقي خطين من داخله وهو يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمهما ، وقال ، نعم موضع الحمام هذا ، انظر ابن سلطان ، ص 265 ج3

(الحساب)

قال صلى الله عليه وسلم في المعقبات ان الحسنة بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان والالف وخمسمائة في الميزان . رواه ابو داود وابن ماجه . قال ابن سلطان ، وهذا استدلال من المصنف يعني القاضي عياض على معرفته صلى الله عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة لمقامه وحده ذهنه امر سهل ، ومن هذا الباب قال علي في مسألة الارغفة ، روى الحافظ جمال الدين المزني في تهذيبه عن زر بن حبیش ص 204 ج 2 هامش المسند ، قال جلس رجلان

بتغذيان ، أحدهما معه خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلما وضع الفداء بسهم من بهما رجل فسلم فقللا اجلس للفداء فجلس وأثر معهما واستنوا في اكلهم الارغفة الثمانية ، فقام الرجل فطرح اليهما ثمانية دراهيم وقال خذوها عوضا عما اكلت لكما ونلت من طعامكما فتنازعا ، فقال صاحب الخمسة الارغفة لي خمسة دراهم ولك ثلاثة ، وقد صاحب الارغفة الثلاثة لا ارضى الا ان تكون الدراهم بيننا نصفين فارتفعا الى امير المؤمنين فقضا عليه قصتهما ، فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبره اكثر من خبزك فارض بالثلاثة ، فقال والله لارضيت الا بمر الحق ، فقال علي ليس لك في الحق الا درهم واحد وله سبعة دراهيم ، فقال الرجل سبحان الله ، قال هو ذاك ، قال فعرفني الوجه في مر الحق حتى اقبله ، فقال علي اليس الثمانية الارغفة اربعة وعشرين ثلثا ، اكلتموها وانتم ثلاثة انفس ولا يعلم الاكثر منكم ولا الاقل فتحملون في اكلكم على السواء . فاكلت انت الثمانية اثلث وانما لك تسعة اثلث ، واكل صاحبك ثمانية اثلث وله خمسة عشر

الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
ومما لا يعلمون » .

قانون المناعة

انظر كتاب العلم الحديث وكلام ابن طرخان .

علم الفسيولوجي والبيولوجي

وردت احاديث كثيرة في اطوار الجنس وامر
ملك الرحمة بأربع كلمات ، فكتب رزقه واجله وعمله ،
وشقي أو سعيد .
(انظر سبك الذهب اللجين) .

علم البيداجوجي

نشر العلم والادب والاخلاق

حديث : ما بخل والد ولدا من نحل افضل من
ادب حسن ، (انظر التاج) ، معاشره الناس ، (انظر
كتاب البر والصلة في الجامع) كتاب نشر العلم) .

اصل الحياة من الذكر

انظر كتاب سبك الذهب واللجين

ممن يكون الشبه

ظهور الشبه ولو في نسل غير مباشر ،
(انظر البخاري) .

ظهور اثر الوراثة ولو في نسل غير مباشر

ضعف عقل المرأة وتقصانه عن عقل الرجل

من علم النباتات

فيه قوله صلى الله عليه وسلم في تلقيح النبات
ان كان ينفعهم ذلك فليصنفوه :

تكثر الفراسة وتحسين المناظر وانشاء مشاريع
الري وتكثر المياه .

دخل رجل على عثمان بن عفان وهو يفرس غراسا
فقال له : يا امير المؤمنين ، الفرس وهذه الساعة قد

جاءت ، فقال : تاتي وانا من المصلحين ، خير واجب
الي من تأتينني وانا من المفسدين . (ابن جرير . منتخب
ج 2 ، ص 128) .

كان صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى
الخضرة والى الماء الجاري .

كان صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى
الانترج (انظر الجامع الصغير) .

تعلم اللغات الاجنبية للحاجة

حديث يزيد بن ثابت .

اول المخلوقات

في حديث عمر ابن حصب . وسؤال عمران عن
اول المخلوقات (في الصحيح) .

وفي ابي ماجه اول المخلوقات الغمام .

وفي حديث اصل المخلوقات الماء (الجامع الصغير)
وانظر قصة الفلسفة الحديثة .

حديث السيارات

ومن الارض مثلهن (في كل ارض خلق من خلقه
وامر من امره (انظر الالوسي) ، خلق الله سبع
اراضي (الحديث) ، انظر الالوسي في قوله تعالى :
« وما بث فيهما من دابة » .

ارتباط العالم السفلي بالعلوي

انظر سفية الراغب

في جامع الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا : من
احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة واحدى
وعشرين كان له شفاء من كل داء ، (وفي كنز العمال)
الحجامة تكره في اول الهلال ولا يرجى نفعها حتى
ينقضى الهلال ، عن ابي حبيب عن عبد الكرم معظلا ح 4 ،
وانظر شرح الشفا .

من علم الانواء والجو

اذا نشأت بحرية ثم تشامت فتلك عين غرنة .

خلدون ان طب العرب بني على التجربة ، ويرد عليه بان منهم من تلقاه في الجامعات .

مراعاة الطب في الطعام

كان الرسول يجمع بين القثاء والرطب ، وحديث من هذا فأصب (الترمذي) .

سبب انتشار الاوبئة ، وفيه البحث عن اسباب المرض

في الصحيح عن عائشة ، قالت : فقدنا المدينة وعلي اوبا أرض الله فكان بطحان يجري نجلا (تعني ماء أجنا) .

استصلاح التربة والهواء

سأل صلى الله عليه وسلم فروة بن مسيك رضى الله عنه ، فقال يا رسول الله انا بارض يقال لها ايين ، وهي ريفنا ومربنا ، وهي وبيئة ، او قال وباءها شديد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها عنك فان من القرب التلف ، قال ابن القيم فيه دليل على نوع شديد من انواع الطب ، وهو استصلاح التربة والهواء كما ينبغي استصلاح الماء والغذاء ، فان بصلاح هذه الاربعة يكون صلاح البدن واعتداله . (ص 558 ج 3 اعلام الموقعين) .

ذكر الاحياء الدقيقة المسماة عرفا بالميكروب

في حديث ابن ابي الدنيا ، خلق الله الجن ثلاثة اصناف ، صنف حيات وعقارب وخشاش الارض ، وصنف كالريح في الهواء ، وصنف عليهم الحساب والعقاب . (انظر منتخب كنز العمال ص 455 ج 2 بهامش المسند) ، (انظر كتاب علم الصحة ص 5) .

وقد اطلق الشيخ رشيد رضى على هذه الاحياء الدقيقة اسم الجن ، والحديث يشهد له فيما نرى ، اذ من المعلوم ان من هذه الاحياء ما ينتشر في الهواء من المستنقعات ويصعد مع بخار الماء ، (الطنطاوي ج 2 ص 17) ، وقد ذكروا ان من الميكروب ما يملأ مدينة في اسبوع ، كمكروب الحصبة والجدرى ، ومن المعلوم ان هذه الاحياء كثيرة الوجود لحد مدهش ، ولها اثر عظيم في الابدان والنباتات وغيرها ، ويبعد ان لا تقع اليها اشارة في السنة ولو بطرق خفى ، كما يظهر في انه وقعت الاشارة اليها في قوله جل علاه : « سبحانه

واجاز كعب بن زهير على مدحته ورق لسماع شعر قتيلة ، وبكى حتى اخضلت الدموع لحيته ، وقال تعلموا الشعر فان فيه محاسن شتى ، وقبل الشعر ديوان العرب .

الرياضة الشرعية

المسابقة على الخيل والابل :

في البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم بين الخيل المضمورة وبين التي لم تضمر ، وبين الابل واخرج احمد في المسند عن ابن عمر ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل وراهن ، وفي الحديث الاسبق الا في نصل او خف او حافر . قال القرطبي لا خلاف في جواز المسابقة على الخيل وغيرهما من الدواب ، وعلى الاقدام وكذا الترامى بالسهم ، واستعمال الاسلحة لما في ذلك من التدريب على الحرب .

المسابقة على الاقدام

حديث مسلمة بن الاكوع في المسند ص 53 ج 4 .

المصارعة

انظر الخصائص الكبرى ص 129 .

التدريب على الرماية والانتضال

وردت فيه احاديث .

لباس الجبة الرومية والخف الاسود للاستعانة على الحربات العسكرية

فيه حديث المفيرة في الصحيحين .

السباحة

وردت فيه احاديث .

علم الطب

الاحاديث في الطب كثيرة ، وقد خصصها ابن طرخان الحميري بتأليف سماه الاحكام النبوية في الصناعة الطبية . (انظر ابن حجر) - دعوى ابن

الشخص في الاسلام

مذكرات

(2)

للمعيد: محمد عزب الحجابي

واستوصوا بالنساء خيرا ! فانهن عندكم عوان،
لا يملكن لانفسهن شيئا . وانكم اما اخدتموهن بأمانة
الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله (...)
اتقوا الله في النساء . وعاملوهن بالمعروف (...)
ايها الناس !

اسمعوا ما يلى واعقلوه . يعلمن ان كل مسلم اخ
للمسلم " (3) .

* * *

كذا تعلي « خطبة الوداع » من شأن المرأة ،
بيد ان الرجال ، وبالإلأسف ! كثيرا ما كانوا ، في
معاملتهم لها ، انانيين يستأثرون بالامتيازات . حقا ،
يلاحظ ان ذلك التعسف ظاهرة عرفت في الإنسانية على
ممر تاريخها واختلاف اديانها ، فليست من خاصيات
العالم الاسلامي . فيما ان كل الفقهاء الا من ندر ، هم
من الرجال ، فقد اولوا معطيات المشاكل حسب منظور
الرجل اكثر من اللازم .

ان المرأة تفرق بالرجل ، كلما خاطب الله الناس ،
وها مثالا من سب عشرات اخرى .

« ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات .
والقانتين والقاتنات . والصادقين والصادقات ،
والصابرين والصابرات . والخاشعين والخاشعات ،
والتصدقين والتصدقات . والصالين والصالئات ،
والحافظين فروجهن والحافظات ، والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات ، اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما . »
(33 : 35) .

والسنة ، كذلك ، تضم كثيرا من امارات العناية
بالمرأة ، نذكر منها خطبة الوداع حيث نجد عدة مقاطع
هامية تتصل بموضوعنا :

« اما بعد ، ايها الناس !

فان لكم على نساكم حقا ، ولهن عليكم حقا .
لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه (1) ،
وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة (2) . فان فعلن فان
الله قد اذن لكم ان تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن
ضربا غير مبرح . فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن
بالمعروف .

(1) يدل الفراش ، كذلك ، على الشرف والشهرة . بعض هذا الحديث الذي يطلب فيه من المومن ان
لا يقف موقف الشبهات .

(2) الفاحشة ، هي الكلمة الخاصة بالفقه . فاستعمالها هنا بعض مفهوم كلمة « فراش » في التعليق السابق .

(3) عن سيرة ابن هشام ، ج 3 ، ص 1023 ، تحقيق م . محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1963 .

البحث عن الآثار القديمة واستخراج الدفائن

قالوا متوكلون ، فقال : كذبتهم ، فما انتم متوكلون ، انما المتوكل رجل القى حبة في بطن الارض وتوكل على الله ، (الحكيم وابن ابي الدنيا في التوكل) ، (والعسكري في الامثال) ، (والدينوري في المجالسة ص 216) ، ان الله يحب العبد الكاسب ويبغض البطال ، (الجامع الصغير) .

جاء رجل الى النبي (ص) فذكر له انه رأى السد فقال له (ص) هل تستطيع ان تصفه ، فقال كانه بمجرد محبر . فقال رايته ، والرحلة الى المدينة ، فقد كان يرحل فيما دونها .

الاحتفاظ بالآثار القديمة

الاكتساب بالفلاحة والزرع والتناج

خير مال المرء مهرة مأمورة ، او سكة مأبورة ، (رواه احمد) .

فيه استخراج العمود او الفصن من الذهب من قبر ابي رغال (المنتخب ج 5 ص 298) ، وحفر المامون للآهرام ووقوف العرب على فلم الطير الهريقليفي .

البعثات العلمية

بعثته (ص) لتعلم الدبابات .

العناية بالآثار

فيه الاحتفاظ بالجرس (انظر سنن المهديين) .

في التجارة

عليكم بالبز فان صاحب البز يعجبه ان يكون الناس بخير ، وفي خصب وهو عن ابي هريرة سأل رجل النبي (ص) بما تأمرني ان اتجر ، قال وذكر الحديث (انظر المنتخب ج 2 ص 16)

الحث على العمل والاحتراف

تقبيل صلى الله عليه وسلم يد سعد بن سعد الانصاري المحترف (انظر الاصابة)

قال عمر اني لارى الرجل فيعجبني فاقول : اله حرفة ، فان قال لا ، سقط من عيني (الدينوري) .

ولقى عمر ناسا من اهل اليمن ، فقال : ما انتم ؟

العمارة والبناء

ارفع بنيانك وسل الله السعة ، مع النهي عن الغلو في البناء ما لم تدع اليه الحاجة .

الحمى

فيه حديث حمى النقيع ، وموت عمر في آخر الموطأ .

احسن التجارة وفضل الصدق فيها

سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم بما تأمرني ان اتجر ، فقال : عليك بالبز ، فان صاحب البز يعجبه ان يكون الناس بخير وفي خصب .

الرباط : المرحوم محمد السائح

النبي : « شقائق الرجال » فالمرأة والرجل متماثلان في الحقوق ، متماثلان في الواجبات .

* * *

د - الرجال قوامون على النساء

لا مناص لنا ، ونحن نقر بالنظرة الأصلية الأصلية في الإسلام ، من أن نلاحظ ، وبإلأسف ! أن كثيرا من المسلمين كانوا ، في أغلبية الأزمنة ، يعملون على الحيلولة دون التساوي بينهم وبين المسلمات . فحتى في الاتجاه السلفي المعاصر (جماعة المنار) ، نجد مسحة محافظة تعطي أحكاما عامة اعتباطية ، بغية الدفاع عن الإسلام ، أكثر مما ترمي إلى دراسة أحواله بتدقيق مجتمعي وتاريخي للواقع المعاش . أن التزام الأستاذ الإمام محمد عبده كان مناداة بإصلاح أخلاقي لا بإصلاح مذهبي . حقا ، أن الحركة السلفية التي تزعمتها جماعة المنار نيرة ، و « تقديمية » في دفاعها عن المرأة ، لذا قد يستغرب من كون محمد عبده ، بعد أن قرر مبدأ تساوي المرأة بالرجل ، يتراجع ليؤكد أن الأسرة والمجتمع في حاجة إلى رئاسة ، وأن الرجل هو الأحق بها : « لأن الرجل أعلم بالمصلحة ، وأقدر على التنفيذ بقوته وماله » (1) .

ربما قيل عن هذه الأحكام ، أنها غير مدعومة ، لا منطقيا ولا اجتماعيا ولا بيولوجيا . فالرجل ليس (بكيفية مطلقة) « أعلم » من المرأة ، والتاريخ على ذلك شهيد ؛ وليس الرجل (دائما) أقوى من المرأة ، ولا أغنى . ولنتقنع بذلك ، ما علينا إلا أن ننظر حولنا !

فخديجة كانت أثري (ماديا) من زوجها محمد ! والنبي الرسول نفسه يصرح بأن « ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » (البخاري ومسلم) . والقوة ، هي أيضا ، ليست ميزة كافية للرئاسة والأفضلية ، فبمسألة الجنود في الحرب ليست بالحجة الكافية على التفوق الفكري والأخلاقي ، أو على

الدهاء في التدبير المنزلي والسياسة العامة . وهذا واضح بين في الحديث النبوي : « رجعنا من الجهاد الأصغر ، إلى الجهاد الأكبر ، جهاد النفس » (2) . فأمهات المؤمنين ، بشهادة ما ورد في « السيرة » ، كن أقدر من كثير من الرجال ، على « الجهاد الأكبر » : « يا نساء النبي ! لستن كأحد من النساء إن اتقيتن » (33 : 32) . فأمهات المؤمنين مفضلات إن اتقين . وفعلا ، قد امتزن بالتقوى ، فكن خيرا من كثير من المؤمنين الصادقين ، وبالأحرى من مطلق الرجال !

أن ما دفع بـ (المنارين) إلى أن يعطوا حق الرئاسة (أي الإقرار بعدم المساواة ، من بعض الوجوه) هو ، على ما يظهر ، حرصهم على تأويل الآية (34) من (سورة 4) ، فجاء تأويلا متأثرا بالنظام الإبيسي (3) ، وأن لم يقصدوا ذلك . نعم ، الآية تؤكد أن « الرجال قوامون على النساء » ، لكن ، ما معنى « قوامون » ؟

أن الجذر : ق. و. م. (= قام ، قياما ، فهو قائم) الذي اشتق منه لفظ « قوامون » يدل على العناية والاعتناء ، والحماية ، و « القيام » بشؤون الغير ، كما قاله كثير من اللغويين . فـ : « قيام للشيء » هو المراجعة للشيء والحفظ له (...) . ومن القيام الذي هو بالاختيار ، قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » وقوله : « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » . والقيام في الآيتين جمع « قائم » (4) . فالرجال « قوامون على النساء » ، أي يتكفلون بمصالحهن المادية ، ما دامت النفقة فرضا على الرجل . نقرأ في مقاييس اللغة : « قام قياما ، إذا انتصب ، ويكون قام بمعنى العزيمة ، كما يقال : قام بهذا الأمر ، إذا اعتنقه » (5) . تستعمل الدبلوماسية المعاصرة تعابير ، منها : « قائم بأعمال » ، و « مكلف بمهمة » ، وتعني موظفا ليست له أية سلطة مطلقة ، وإنما هو في « خدمة » السفارة . ومن هذا الباب : قومت الشيء ، تقويما ، وأصله « أنك تقيم هذا مكان ذاك (...) » .

(1) تفسير المنار ، ج 2 (ط 3) ص 380 ، دار المنار ، القاهرة 1367 .

(2) وفي حديث آخر : « الجهاد أربع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصدق في مواطن الصبر ، وشنان الفاسق » ابن نعيم ، الحلية . انظر : السيوطي ، الجامع الصغير ، عبد الحميد حنفي ، ج 1 ص 146 .

(3) انظر الإبيسية (Patriarcat) في المصطلحات الفلسفية ، نشر دار الكتاب بالدار البيضاء .

(4) الراغب الإصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 416 ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1961 .

(5) أحمد بن فارس ، ج 5 ، ص 43 .

رغم ذلك ، ان وضع السلمة وضع تحرري ممتاز ، اذا قورن بما كانت عليه المرأة العربية في الجاهلية ، او المرأة عند الشعوب القديمة « العربية في المدنية » .

مرت قرون على (اثينا) والمرأة لا تعتبر الا بضاعة من البضائع تستعمل في المقايضات المختلفة . وكان للروماني الحق في ان يقتل زوجته ، وعبيده ، واماءه ، وسمح القانون بتعدد الزوجات ، مع اسناد سلطة تسيير القطيع النسوي الى الزوجة الاولى . ونجد في تاريخ الفرس نظاما اكثر تعقيدا من نظام الرومانيين . فاذا رغب الفارسي في نكاح امه ، او اخته ، او عمته ، او خالته ، لم يكن يجد اية معارضة من القانون او من اي احد . وقد ساد الاعتقاد بأن الدم نجاسة ، لذا ، كلما حاضت المرأة اضطرت الى الانزال كي لا يقترب منها احد ، لانها دنس يحرم عليها مس اي كائن ممن يحيط بها .

* * *

نواجه الان مشكلا آخر . بما ان المرأة مساوية للرجل ، من الجانب الانطولوجي ، ايمنها ان تكون نبيلة ؟

انها مشكلة وضعت ، اكثر من مرة فيما مضى ، فاكد كثير من علماء الاسلام المرموقين انه قد اوحى الى نساء . ولم لا يجوز ذلك ؟ فبعضهن لم يكن ملهمات فحسب ، اذ هذا شيء طبيعي ، ولكنهن ارتفعن الى درجة عليا من النبوة . وتدعيما لهاته القولة ، يورد ابن حزم آيات من القرءان ، ويعطي اسماء نساء اوحى اليهن ، مثل (ام اسحاق ، وام موسى ، ومريم ام عيسى) (1) .

فليس من تبرير يجعل النبوة امتيازاً خاصاً بالرجال . اليس النساء ، عند الله ، شقيقات للرجال ؟ فلن تكون ابدا قابلة الاكتمال خاصة بالرجال : ان للمرأة ، مثل ما للرجل ، من الامكانيات في العمل على التجاوز الذاتي (2) .

* * *

(1) ابن حزم ، **الفصل** ، ج 5 ، ص 17 .

(2) امكانية نبوة المرأة مثال يظهر الى اي حد يعتبر من الاجحاف ان نسب الاسرة الاسلامية بانها ايسية . توجد ، الى يومنا هذا ، مجتمعات اسلامية قريبة من المجتمعات الاموسية ، نذكر منها الطوارق في الجنوب الجزائري .

(3) انظر : القسم الاول ، الفصلين 1 و 2 .

قضية مساواة المرأة بالرجل نقطة ارتكاز في كل اتجاه شخصاني ، لذا نرانا ملزمين بان نتفحصها من جوانب مختلفة .

تساوى المرأة مع الرجل ، كامل التساوي ، من حيث التركيب البيولوجي ، كما وضحناه سابقا (3) . ونضيف ، الى ذلك ، آية قرآنية نظنها بينة لا تبقى مجالا للريب :

« والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ، ثم جعلكم ازواجا » (35 : 11) .

كذلك التساوي من حيث التكوين السيكلوجي :

« ومن آياته ان خلق لكم ، من انفسكم ، ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة . ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . (30 : 31) . فالخلق قد حصل ، من نفس واحدة ، ليتكامل الزوجان ، فبنى الله علاقتهما على الحب ، اي على « المودة والرحمة » ، وهي امتن واعمق عروة بين شخصين .

وتتبعنا لهذه المعاني ، ناتي بالآية الاولى من السورة 4 :

« يا ايها الناس !

اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ،

وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .

واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام .

ان الله كان عليكم رقيبا » .

يطلق « زوج » على الذكر والانثى (الرجل والمرأة) ، كما تنص عليه الآية ، في خطاب موجه لآدم : « وقلنا يا آدم : اسكن انت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا ! » (1 : 34) .

وتساوى النساء ، في الاحكام ، مع الرجال من الجانب الديني . فهن ، كما كانت تقول عائشة زوج

صفحة مشرفة من تاريخ الاسلام

في مؤامرة الغزو الخارجي فتح الاسلام أرضاً جديدة

لأستاذ أنور المجدي

الضعف وما بلفته من الانكماش والنضال في نفوذها الحقيقي .

غير ان النظرة الاوسع تكشف عن حقيقة عجيبة، هي انه في نفس العام (656 هـ) الذي سقطت فيه بغداد : مركز القيادة السياسية الاسلامية في يد المفلول في نفس هذا العام غزا الاسلام واحدة من اضخم قبائل التتار هي قبيلة بركه خان وفتح طريقه بالسيطرة على عقول الكوب هذه القوة العاتية التي كانت قد هزت العالم كله وزلزلت قواعده منذ اربعين عاما قبل فتح بغداد ، وكانت موضع تطلعات الغرب الطامع في ان يضمها الى دينه وثقافته ليجعل منها احدى فكي الكماشة في الاطباق على عالم الاسلام ، غير ان ذلك لم يتحقق ، فقد كان « دعاة الاسلام » البسطاء اقدر على كسب ايلخانات المفلول من حملات التبشير الغربية، ويرى توماس ارنولد في كتابه (الدعوة الى الاسلام) انه ليس في تاريخ العالم نظير لهذه المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والاسلام حيث كل ديانة تنافس الاخرى لتكسب قلوب اولئك الفاتحين القساة .. غير ان ظهور الخلافات بين المسيحية من اللاتين والاعريق والنسطوريين والارمن وامتدادها الى وسط معسكر المفلول ذاته قد جعل الامل ضئيلا في احراز نجاح اكبر .. وقد تحطمت كل الخطط عندما دخل بركه خان وقبيلته في الاسلام ثم تحالف مع الظاهر بيبرس سلطان المماليك وكان بركه خان (1256 - 1267) اول من اسلم من امراء المفلول ،

تكشف حركة التاريخ الاسلامي عن ظاهرة بعيدة المدى على طول مرآسه هي مدرة الاسلام على كسب النصر في مجال النكسة وتوسيع نطاقه حين تحاول القوى الاجنبية الانتقاص منه ، وامتداد ظلاله الى شعوب جديدة حين تنكسر قواه وتلحقه الهزيمة او الضعف في احد مراكزه المقدسة .

وفي مرحلة الغزو الخارجي واجه عالم الاسلام هجوم ثلاثي قوي :

- (1) هجوم الصليبيين في حملاتهم المتوالية التي لم تتوقف .
- (2) هجوم الفرنجة والاسبانيين على الاندلس وشواطئ المغرب .
- (3) هجوم التتار والمفلول في زحفهم الضخمة .

ولقد كان وقع سقوط بغداد في قبضة الغزو المفلولي بالغ الاثر في المجتمع الاسلامي كله ، فقد زلزل النفوس واصابها بالاضطراب والتشاؤم واضفى على المسلمين روحا من اليأس القاتل ، فقد خيل للناس من ضخامة وقع الحدث وعمق الضربة ، ان الاسلام قد انتهى حتى ان مؤرخا كبيرا هو « ابن الاثير » ظل معرضا عن ذكر الحادثة بضع عشرة سنة ، بل لقد كان وقع سقوط بغداد اكثر دوبا واخطر اثرا في النفوس من الحملات الصليبية ، ذلك انها كانت تمثل ضربة رئيسية موجهة الى مركز القيادة السياسية لعالم الاسلام وقاعدته بالرغم مما منيت به هذه القاعدة من

في الاقتصاد والسياسة ، اي السلطة المطلقة في الاسرة والمجتمع ، وله وحده .

لقد حرر الاسلام المرأة من الواد : « من كانت له انثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها ، ادخله الله تعالى الجنة » . (3) وحرم الاسلام السبي ، والطيرة ، اذ كان عرب الجاهلية يقولون : « الطيرة في ثلاث : في المرأة ، والدابة ، والدار » . فالاسلام بمواقفه تلك ، اعاد للمرأة كرامتها الانسانية ، اذ سوى بينها وبين الرجل في حد القذف ، وهو تساوى في العرض ، كما اقر الحكم بالقتل على قاتلها ، لان دمها مساو لدم الرجل (4) . ومنح الاسلام المرأة حقوقا كثيرة ، على راسها ، حق الحكم ، وحق الفتوى ، اعترافا بانها لا تقل عقلا ودراية من الرجال (5) . ان عمشان ابن عفان ، في ايام خلافته ، تردد على بيوت امهات المؤمنين مستشيرا في شؤون الدولة . فلقد نصحته مرة ام سلمة ، نصيحة فيها من النقد السياسي بقدر ما فيها من الوعظ ، فرد عليها الخليفة معترفا ، مقدرا ، شاكرا : « اما بعد ، فقد قلت فوعيت ، ووصيت فاستوصيت ، ولي عليك حق النصيحة ... » (6) فبينما كانت المرأة في الجاهلية تورث وتباع أصبحت المسلمة ترث وتتمتع بحق الملكية الشخصية والتصرف التام فيها ، وتستشار في تسيير امور الدولة .

تلك هي المرحلة الاولى في تحرير المرأة ، وان لم تكن المرحلة الحاسمة والاخيرة .

(يتبع)

الرباط : محمد عزيز الحبابي

وهذا قوام الدين والحق ، اي به يقوم » . (1) فعندما « ينتصب » الرجل خادما لاهله ، يكون للبيت « القوام » ، لا « الرئاسة » ، لانه اذا جعل القوام في القمة لا في القاعدة ، تصدع الكيان .

لقد انزلق المفسرون من المعنى السابق الى ما يصدر عنه من انحرافات ، في وسط غير سوي مجتمعا وسياسيا . حقا ، فد اصبح الرجال ، كما يصرح المناريون « اعلم » و « اقدر » و « اغنى » من النساء ، عندما سيطروا بانانية على زمام السياسة والاقتصاد . فتفوق الرجال مفتصب ، وليس أصيلا في الطبيعة البشرية ، كما تبنيه السيكولوجيا الحديثة . انه تفوق كسبي ، في مجتمع سادته الايبسية المطلقة ، الى حد ان النساء صرن ، كما يصفهن المناريون انفسهم : « كالاتن الحاملة ، والبقر العاملة ... » فسق الرجال عن امر ربهم (في العالم الاسلامي) فوضعوا النساء في هذا الموضع بحكم قوتهم ، فصرت نفوسهن ، وهزلت آدابهن ، وضعفت ديابتهن ، ونحفت انسانيتهن ، وصرن كالدواجن في البيوت (...) فساءت تربية البنين والبنات ، وسرى الفساد الاجتماعي من الافراد الى الجماعات (...) لبث المسلمون على هذا الجهل الفاضح احقابا ، حتى قام فيهم اليوم من يعيرهم باحتقار النساء واستعبادهن ، ويطالبونهن بتحريرهن ومشاركتهن في العلم والادب وشؤون الحياة ... » (2) .

نعتقد ان الوضع سيبقى على هذا الشكل اذا لم تتحرر المرأة ، عمليا ، تباعا لهدي الاسلام وما جاء به من الاصلاح ، نعني اذا بقيت للرجل وحده اليد العليا

(1) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(2) تفسير المنار ، ج 3 ، ص 323 - 324 ، ط 4 القاهرة 1960 . هاته التصريحات التي تعض على واقعنا المتخلف عن مبادئ الاسلام الحق ، وعن تقدم الحضارة المعاصرة ، مظهر من « تقديمية » محمد عبده ، وليست آراء مجموع المناريين . فالسيد محمد رشيد رضا يقف من قضية المرأة دون موقف استاذ بكثير ، فنجدده يبرر تعدد الزوجات ويؤيده ، كما يدافع عن « مزايا الحجاب » ، (انظر كتابه : نداء الى الجنس اللطيف . انظر كذلك : المنجي الشملي : « قضية المرأة في تفسير المنار » في حولية الجامعة التونسية ، العدد 3 ، سنة 1966 ، ص 5 الى 27) .

(3) حديث نبوي نقله عن (تيسير الوصول) الاستاذ سعيد الافغاني في كتابه الاسلام والمرأة ، ط 2 ، ص 59 ، دار الفكر ، دمشق ، 1964 .

(4) بينما كان الرومان وغيرهم من الدول المتحضرة يبيحون للرجل قتل أزواجه .

(5) انظر مثلا ابن الجوزي سيرة عمر ابن الخطاب حيث يروي مناقشة تشريعية بين امرأة وابن الخطاب ، اضطر الخليفة في آخرها الى ان يعترف بخطئه ، فتراجع عن حكمه : « امرأة اصاب ورجل اخطأ ... كل الناس افقه من عمر ! » .

(6) امالي الزجاجي ، ص 125 ، المطبعة المحمدية التجارية ، 1935 .

المسيحيين لما وقع بيت المقدس في ايدي المسلمين نهائيا 1244 م رجبوا بالقادة الجدد واطمانوا اليهم ورضوا بحكمهم ، وقد دفع هذا الشعور كثيرا من مسيحيي آسيا الصغرى الى الترحيب بمقدم السلاجقة باعتبارهم مخلصين لهم من الحكومة البزنطية البغيضة ، لا لسبب نظام الضرائب المجحف وحده ، ولكن لسبب روح الاضطهاد التي ظهرت بها الكنيسة الاغريقية (وذلك على حد رواية توماس ارنولد) .

* * *

وقد انتشر الاسلام ذاتيا في افاق اخرى ، هي المغرب وشمال افريقيا ، وكان لتقبل البربر له ابعاد الاثر في انتشاره في افاق افريقيا ، ويرى المؤرخون ان ظهور المرابطين كان بعيد الاثر في انتشار الاسلام بوصفه حركة قومية عظيمة جذبت عددا كبيرا من قبائل البربر نحو الاندماج في الامة الاسلامية على حد عبارة الدكتور حسن محمود ، وقد ظهر في مستهل

القرن الخامس « عبد الله بن ياسين » ذلك المعلم التقى الذي اكتشفه يحيى بن ابراهيم شيخ قبيلة صنهاجة ، وكان مقدمه للنهضة الضخمة التي قادها من بعد يوسف بن تاشفين ، فقد عمل عبد الله بن ياسين على نشر الاسلام في مختلف انحاء قطاعات افريقيا التي تعرف بالسودان ، وقد بنى (رباطا) في جزيرة السنغال حيث كون مجموعة ضخمة من التلاميذ المدربين على الدعوة بلغ عددهم الف شخص ، ثم دفعهم الى قبائلهم وعشائهم ، ثم زاول الدعوة في القبائل المجاورة ، واستطاعت حركة (عبد الله بن ياسين) ان تحقق توسعا في قلب افريقيا حيث اسلمت قبائل كبيرة من البربر الوثنية ، ثم كانت حركة الموحدين امتدادا لحركة المرابطين من حيث جذبت الى الاسلام قبائل اخرى كانت بعيدة عن الاسلام ، فقد استطاع ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين ان يكسب الكثير للاسلام عندما كتب رسائل التوحيد باللغة البربرية وشرح قواعد الاسلام وامر بالاذان بها .

القاهرة : انور الجندي



وكان رئيسا للقبيلة الذهبية في روسيا ، غير ان تحالف هولوكو مع القوات المسيحية في الشرق كملك ارمنية والصليبيين ، ربما قد حجب الامل في انتشار الاسلام بين المغول قليلا ، وكان ابن هولوكو (اياقا خان) قد تزوج من ابنة امبراطور القسطنطينية، وكان يرسل السفراء الى القديس لويس ملك فرنسا وشارل ملك صقلية ، وجيمس ملك ارغونة يطلب اليهم التحالف معه على المسلمين ، غير ان ذلك لم يحقق نتيجة ما على النحو الذي كان يريجه ملوك اوربا ، فان اخوه تكودار 681 هـ - 1282 م الذي اعتلى العرش من بعده ، كان قد اعتنق الاسلام منذ صباه عن طريق اتصاله بالمسلمين ، فلما تولى السلطة رغب في تحويل كافة التتار الى الاسلام ، وارسل نبا اسلامه الى سلطان الممالك في مصر « قلاوون » قال في رسالته:

* * *

ولما تولى اوزيك خان زعيم القبيلة الذهبية السلطة عمل على تحويل كثير من الاهليين الى الاسلام، وقد وضع خطة لنشره في كافة ارجاء بلاد روسيا وبالرغم من تحمسه لنشر الاسلام وتغانيه ، كان كثير التسامح نحو رعاياه المسيحيين وقد منحهم الحرية التامة في اقامة شعائهم من غير ان يتعرض لهم احد بسوء . وفي هذا يقول توماس ارنولي :

« انه بالرغم من كل المصاعب اذهن هؤلاء المغول والقبائل المتبربرة آخر الامر لدين هذه الشعوب التي ساموها الخسف وجعلوها في مواطي اقدامهم ، ولا بد ان يكون هناك كثير من انصار النبي قد انتشروا في طول امبراطورية المغول وعرضها مجاهدين في طي الخفاء لجذب غير المسلمين الى حضارة الاسلام » .

« لقد ابتدانا بتوفيق الله باعلاء اعلام الدين وازهاره ، وفي ايراد كل امر واصداره تعدي لنا موسي الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الاحمدي اجلالا وتعظيما ، ان الاسلام يجب ما قبله ، وانه تعالى القى في قلوبنا ان نتبع الحق واهله ، عفا الله عما سلف وتقدمنا باصلاح امور المساجد والمشاهد والمدارس ، وعمارة بقاع الدين والربط الدوارس، وامر بتعظيم امر الحجاج وتجهيز وندها وتأمين سبلها وتيسير قوافلها، وانا اطلقنا سبل التجار المترددين على تلك البلاد يسافروا بحسب اختيارهم : توقيع «تكداد احمد»

* * *

وتوالى الايلخانات المسلمين حتى كان اعظمهم شانا « غازان » 695 هـ 1295 م سابع الايلخانات الذي جعل الاسلام دين الدولة الرسمي في فارس ، وتوالى الاسلام امراء التتار وملوكهم ، اسلم طرما شيرين ملك جفطاي 727 هـ 1326 م وتغلق تيمور خان ملك كاشغر 848 هـ 1347 م على يد الشيخ جمال الدين ، وعندما تولى تغلق تيمور السلطة استقبل امراء دولته وكان اولهم الامير توك : وقال له الخان : الا تدخل الاسلام ، عند ذلك سالت عبرات الامير وقال : قد دخلت في الاسلام منذ ثلاث سنين على يد أحد رجال الدين في كاشغر واصبحت مسلما منذ ذلك الحين ، ولكني لم اصرح بذلك خوفا منك ، وعرض الاسلام على سائر الامراء فقبلوه جميعا ، الا واحدا ، وفي هذا اليوم قص 160 الف رجل شعورهم ودخلوا في الاسلام .

كذلك حقق الاسلام توسعا ذاتيا في هذه المرحلة في قلوب الصليبيين انفسهم ، فان روح الاسلام وعدالته التي لمسها الغربيون عن قرب ، وما ادهشهم من شمائل نور الدين وصلاح الدين قد شدهم الى الاسلام .

وقد ادى اختلاط علماء اللاهوت المسيحيين بالاسلام الى تغير مفهومه عن المسلمين ودينهم . وبدا رايهم اقرب الى الانصاف .

بل لقد انجذب كثير منهم الى حظيرة الاسلام .

يقول توماس ارنولد : « يظهر ان اخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة قد احدثت في اذهان المسيحيين في عصره تأثيرا سحريا خاصا حتى ان نفرا من الفرسان المسلمين قد بلغ من قوة انجذابهم اليه انهم هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا للمسلمين . حتى ان صيغة القسم التي عرضها على القديس لويس اولئك المسلمون الذين اسروه حين طولب بان يتعهد بقاء ما فرض عليه من الفدية 1250 م كانت من املاء بعض المسلمين الذين كانوا قسيسين من قبل ، ثم اعتنقوا الاسلام حسب رواية جونفيل في تاريخه .

ويتصل بهذا ان المسلمين حين استعادوا سلطانهم على بيت المقدس بسطوا على المسلمين روح التسامح التي كانت من قبل . ومن المؤكد ان المسيحيين من اهالي هذه البلاد قد اثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين ، ويظهر ان اهالي فلسطين من

المعقيدة التي تقر التوحيد الخالص والتفريخ
البالغ ارقى صورته واشكاله . عقيدة ترفع من قيمة
الانسان لانها تصله بالله الواحد الذي لاشريك له في
ذاته ، ولا في صفاته ولا في افعاله (قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) .

ولا تبيح تلك العقيدة الإسلامية للإنسان أن يتعلق بالخلوقات أو يدعو ويعبد غير الخالق الذي أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس أو يعترف بوجوده في هذا الكون الفسيح «إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله» . والإسلام من جهة أخرى دين اجتماعي يراعي حاجة الإنسانية ومصالحتها الحيوية في حدود الحق والفضيلة والشرف وباعتبار هاتين الحقيقتين — التوحيد الخالص ، والاجتماعية — يمكن للإسلام أن يقيم المجتمع على أسس القيم الأخلاقية العليا ، وأن يرضي مطالب الروح والجسد ، حتى تترافقا في اعتدال ، وكونا حقيقة الإنسان المهدب والمؤمن الكامل .

وبالجمع بين السمو الروحي والتهذيب الاجتماعي
 أمكن للإسلام أن ينتشر في أركان الدنيا بالعدل والحق
 والأخلاق وسمو المبادئ .

والاسلام وليد العقيدة الرائقة الرائعة التي
تطهر النفس وتذكي القلب وتربي الخلق وتغذي العقل
وتوقف الغريزة عند حدها ، وتعطي كل مطمح من
مطامح الانسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .

والعقيدة الاسلامية : عقيدة استعلاء من اخص
 خصائصها : انها تبعث في روح المؤمن بها الاحساس
 بالمعزة من غير كبر ، وروح الثقة في غير اغترار .
 وشعور الاطمئنان في غير تواكل .

والعقيدة الإسلامية قوة لاتدانيها قوة في شد
الاعصاب وشحن الدماء بالتضحية والفداء
ونكران الذات . واثار الإيمان بالعقيدة
السليمة يبرز بوضوح في الدعوات التي غيرت وجه
التاريخ . لذا يعدّ سبب الانسحاب الى اختيار
العناصر المشيئة بروع عبادة الله تعالى ونحو نظره
عن الكثرة فهم ان يريدون (الله) ان يكونوا

ذلك ان العقيدة هي الروح التي تشرق فوق الجسد وتبعث فيه الحياة والرعيال الاول ثانيا اساتذة الدنيا بقوة عقيدتهم وايضا وقد لاقوا الاثاما شديدة لو صبت على غيرهم لاشبهوا وقفهم ولكن الايمان بالعقيدة حين يخالط قلب الانسان يوصله الى انسان فوق العادة .

وإذا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والنوع ، وما لهما من خصائص ومميزات ، وما بهما من كنوز وخيرات ، ومن الحديث عن خصائص العالم الاسلامي التي برز بها غيره ، الى الحديث عن الاسلام نفسه : فاننا نجد انه دين العقيدة الحية الصحيحة التي جاءت وقت بلوغ العقل البشري طور رشده وكماله وتفتقه .

الاسلام والمسلمون

للأستاذ: أحمد عبد الرحيم السائح

ويمكن ان نعبر عن هذا الامتداد النادر بأكثر من طريقة فنقول : ان الاسلام يمتد في قوس محدد من بكين الى كازان الى بلغراد في الشمال ، او في قاطع من فرغانة الى غانة — كما كان يقول مؤرخو الاسلام — او في قاطع آخر من جبل طارق الاطلس الى سنغافورة جبل طارق الهادي ، او من مالاجا بالاندلس الى ملقا بالملايو الى قبائل المورو بالفلبين ، كذلك يمكن ان تحدد قاعدة العالم الاسلامي في الجنوب بمحور «يمتد من قبائل السنغال ، حتى قبائل التاجال بالفلبين ، او من غينيا الى غينيا الجديدة ، اما بالطول فدونك من الفولجا والدانوب حتى الزمبيزي والليمبوبو .

وتلك ابعاد لا تقل بحال عن نصف مساحة العالم القديم .

فالاسلام دين عالمي او كوكبي — بلا مرأى — رغم ما يدعيه البعض من أنه دين جزئي ، او اقليمي أحيانا ، او من أنه دين «افريقاسي» أحيانا أخرى . اذ يوشك الا تكون هناك دولة في عالم اليوم ، لا يمثل الاسلام فيها ولو ببضعة عشرات من الالاف كما في استراليا وغرب أوروبا مثلا .

وبالعالم الاسلامي قابليات بشرية فائقة ، والمسلمون يمثلون تقريبا 15٪ من مجموع سكان هذا الكوكب الذي يبلغ اليوم قرابة 3300 مليون نسمة .

ان العالم الاسلامي يربض على الثروات المعدنية الهائلة ويتربع على الكنوز الثمينة ، ويملك من الحقول البترولية ، أجداها نفعا ، وأكثرها ثراء وسخاء ، وأقواها تدفقا ودفعا . ويتبوا استراتيجية هامة ، ويشغل من خريطة الدنيا حيزا جغرافيا عظيما .

فالاطار الخارجي الاقصى للعالم الاسلامي يصل شمالا حتى أعالي الفولجا ، غير بعيد عن دائرة العرض 60 درجة شمالا ، ويتراعى جنوبا حتى نهاية افريقيا عند الرأس على خط عرض 35 درجة جنوبا .

اما شرقا بغرب فنحن مع الاسلام من خط طول 120 درجة شرقا حيث الفلبين الى حوالي 20 درجة غربا ، عند الرأس الاخضر، نهذه شقة تبلغ 95 درجة بالطول، ونحو 140 درجة بالعرض أى حوالي ربع وثلاث محيط الارض على الترتيب ، او ما يعادل نصف دورة من دورة الليل والنهار ، ونصف دورة من دورة فصول السنة على التوالي .

ومحيط العالم المسلم يتحدد اساسا بنصف الكرة الشمالي أولا ، ونصف الكرة القديم ثانيا ، فالاسلام جنوب خط الاستواء اطراف او اصابع ثانوية وهو في العالم الجديد شظايا سديمية متطايرة .

وذلك دون ان يتبع المجتمع الاسلامي اي شكل من الاشكال التي يعانها الاسلام وتجهها الفطرة الانسانية الصافية .

واذا كان المجتمع الاسلامي ، له من الميزات ما لا يتوفر لغيره ، وله من التعاليم والقيم والآداب ما يسمح له ان تكون فلسفته الخاصة بوجوده . فهل ممكن لحضارته ان تعود الى اشراقها من جديد فتتقذ الانسانية من هوة الفوضوية وتقشع عنها السحب الداكنة والاعاصير المقلقة وتزيل الاصفاذ والقيود المحيطة بكل تقدم ، والمعركة للنهوض ، وتمعيد للعالم الانساني السلام الحقيقي والحق والعدل والنور والامن والاطمئنان ؟

ان تعاليم الاسلام الغراء صالحة لكل زمان ومكان ، وفي الاصلاح الاسلامي من كليات وجزئيات ، كفيل بقيام مجتمع انساني تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والاخلاص ولكن ذلك رهين برجوع المسلمين الى منابع عزهم ومجدهم والتمسك باسمى القيم والاخلاق الاسلامية . والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابضة بالسمو ، المليئة بالجزوات المتقدمة التي لا يخبو ضوؤها . قال الدكتور جورج سارطون : «ان المسلمين يمكن ان يعودوا الى عظمتهم الماضية والى زعامة العالم السياسية والعلمية — كما كانوا من قبل — اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة في الاسلام والعلوم التي حث الاسلام على الاخذ بها (1) » .

وقال العلامة وامبرى : «ان روح نظام المسلمين هو الدين ، والذي احياهم هو الدين ، والذي يكفل سلامتهم في المستقبل هو الدين ليس الا (2) » .

ويرى الدكتور فيليب حتى : «ان الشرق الاسلامي هو اليوم في مطلع دور جديد في حياته العلمية كما انه في فجر طور جديد في حياته السياسية ، وهو دور يمكن ان نسميه : دور الابداع والابتكار ضمن اطار الميراث الخالد من القيم الدينية والادبية . ولنا ان نتكهن ان ابناء الثقافة الاسلامية على اختلاف بيئاتهم سيقومون بقسطهم في خدمة المدنية والانسانية ، وبما يجعلهم خلفاء جديرين بالميراث الذي تركه لهم اجدادهم (3) » .

آراء كوكبة من الباحثين وكبار المستشرقين فيها انصاف واعتراف بقيمة الاسلام وذلك حينما يكتبون لمرضاة العلم في ذاته . وحين لاقتادهم السطحية .

وحضارة : لانه متصل بشئون الحياة والحكم والفكر ، والاسلام قادر بطبيعته الذاتية على مواجهة تطور الازمان واختلاف البيئات والمجتمعات وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التبلور والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجهد ، ولا يتعارض مع طبائع الامم في حركتها الداخلية الممتدة عبر العصور .

والاسلام ينظر الى الحياة نظرة كاملة وشاملة ، ويتدخل في جميع شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالاضافة الى انه دين يهتم بالجانب الروحي من الانسان ويريد منه ان يتحمل الخلافة في الارض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الاسلام بالحرية والاخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها ، واقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا الى التعاون والتبادل والمودة والالفة .

ويمكن ان نقول بعبارة اوجز : انه ما من شيء يهم الانسانية ويشغل بالها ، يأخذ قسطا من عنايتها الا وله في الاسلام هدى وبيان واهتمام .

وما من شيء يلامس حياة الناس او يتعمقها الا وله في الاسلام عرق ينبض واصل عريق .

ولقد اكتملت قوة الاسلام بوحدة العقيدة ، وجامعة اللغة العربية ، واشتراك المجتمع في مظاهر العبادات والعادات والتقاليد زيادة على توحيد الأهداف والغايات من الحياة .

ونخلص من كل ماسبق : الى ان الاسلام دين عالمي . ولهذه العالمية كان الاسلام وما زال ملائها لجميع الاجناس البشرية ، وقد اثبت منذ ظهوره حتى اليوم أنه الدين الذي يتلاءم مع كل عقل وتفكير ، ويتجاوب مع تطور الزمن .

وان آداب وتعاليم الاسلام كفيلة بأن تجعل العالم الاسلامي في وضع يسمح له ان ينمي فلسفته الخاصة به ، المتميزة عما عداها ، والتي تنبع من الفكر الاسلامي النير ، تستمد عناصر وجودها من كتاب الله القرآن الكريم وسنة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

(1) كتاب «الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكين» ترجمة عمر فروخ ، بيروت .

(2) راجع كتاب «الاسلام في غزوة جديدة» للاستاذ انور الجندي ، القاهرة .

(3) انظر كتاب «الثقافة الاسلامية» طبع مؤسسة فرانكلين .

فبالاحبشي ، وعمار بن ياسر ، ومصعب بن عمير ، وصهيب الرومي . ضربوا الرقم القياسي في صلابة العقيدة وصدق النية وقوة الايمان . وهم الذين لم يدرسوا كتب الفلسفة ولم يقرأوا علوم اليونان والرومان . ولكنهم درسوا القرآن الكريم وتلمذوا في مدرسة محمد بن عبد الله رسول الله الى الناس كافة .

وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد والمقداد بن الاسود وطارق بن زياد وموسى بن نصير قادوا الدنيا وفتحوا البلاد وهم الذين لم يدرسوا في الكليات الحربية ولم يقرأوا علوم اليونان والرومان الحربية . ولكنهم درسوا القرآن العظيم وتلمذوا في مدرسة محمد رسول الله .

فالايمان بالعقيدة هو الجذوة المتقدة ، والقوة الخلاقة ، التي تكون النفوس وتشحنها بأنبل القيم واسماها ، وتبينها على الحق والاباء والعزة والكرامة .

والاسلام : دين ومجتمع وحضارة :

دين : لانه عقيدة توحيد وتنزيه لله — سبحانه وتعالى — تعتقدها القلوب وتدين بها ، ونطق بها اللسان في كل صلاة وذكر ، وتتركى بها النفوس ، فتتجلى عنها كل شدة وبؤس .

ومجتمع : لانه ليس طائفا ولا عنصريا ، ولا جاهلا ، ولا جامدا ولا خامدا ولا يتوخى استعباد جنس لجنس ولا قوما لقوم ، ولا طائفة لطائفة «انما المؤمنون اخوة» . «يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن» .

والفرد في المجتمع الاسلامي جزء من كل يكمله ويكتمل به ، ويعطيه ويأخذ منه ، ويحميه ويحتمي به ، وليس في الاسلام انفصال بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ومسؤولية المجتمع نحو الفرد لان هاتين المسؤوليتين هما اولى وسائل الاسلام في الاصلاح العام ، والاسلام من ناحية اخرى اعترف بالقيمة الذاتية للأفراد باعتبارهم مدينين بوجودهم لله ومسؤولين امامه عن اعمالهم «كل نفس بما كسبت رهينة» . «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم» «ولا تزر وازرة وزر اخرى» . والاسلام

الحنيف حينما جعل الفرد مسؤولا امام الله عن اعماله والمسؤولية تقع عليه وحده . الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الفرد الذاتية ويوصل به الى اعمال الخير والدفع البناء وفي الوقت نفسه لبنة من لبنات المجتمع المسلم وعضو من اعضائه يعمل لصالح الجماعة والجماعة تسمى لخير الفرد .

والاسلام لايعترف بالقهرية التي يدمج بها الفرد في المجتمع قسرا ورغما عنه كما في الشيوعية لان الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغني عن الفرد ان لم يخدم غرض الدولة او ان لم يتبع طريقة الحزب دون نقاش .

فالاسلام دين اجتماعي يرقى بالمجتمع الى اسمى ما قدر من سلام ورخاء وتعاون وتكافل وتساند وتوادد «والؤمنون بعضهم اولياء بعضي» .

قال المستشرق الفرنسي (ماسينيون) : « ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في فكرة المساواة وذلك بفرض الزكاة التي يدفعها كل فرد لبيت المال . وهو يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الاولية الضرورية ، ويقف في نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس المال التجاري (1) .

والاسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهها وليس من مجتمع آخر له مثل ما للاسلام من ماض حافل بالنجاح في جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات» .

وقال المؤرخ الانجليزي (توماس كارليل) : «وفي الاسلام صفة اراها اشرف الصفات واعظمها وهي المساواة بين الناس ، وهذا يدل على صدق النظر وصواب الراي ، والاسلام لم يقنع بجعل الصدقة سنة محبوبة بل جعلها فرضا على كل مسلم وجعلها قاعدة من قواعد الاسلام (2) .

وقال العلامة (البودوروس) : «ولقد وجدت في الاسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم طرا ، الاولى في القرآن «انما المؤمنون اخوة» والثانية مرض الزكاة على كل ذي مال» (3) .

(1) راجع كتاب «الاسلام والنظام العالمي» تأليف محمد علي الهندي ترجمة احمد جودة السحار

(2) انظر كتاب «نبي الاسلام» الاستاذ عز الدين مرج

(3) كتاب «اشتراكية الاسلام» مصطفى السباعي

وفي التوحيد اللهم
ولن تبنا العلامتينا
تساندت الكواكب فاستقرت
ولولا الجاذبية ما بقينا
ولتكن حياتنا كلها حركة وبناء
جهاد المؤمنين لهم حياة
الا أن الحياة هي الجهاد
عقائدهم سواعد ناطقات
وبالاعمال يثبت الاعتقاد

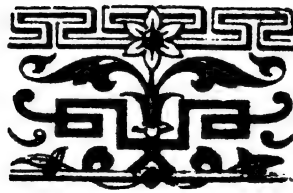
وليفتح المسلمون في مشارق الارض ومغاربها
اعينهم وليبينوا خطتهم على أن لا أمل في انفسهم ولا
حياة الا ببذل الجهد في سبيل تدعيم البناء الروحي
والمادي . وبهذا :

سنمضي في طريق النور قدما
وان طفقت تعارضنا الشعوب

سنمضي حاملين لواء عز
به يتفتح الامل الرحيب

احمد عبد الرحيم السايح

من علماء الازهر



والدكتور سميت أستاذ ورئيس قسم الديانات
بكلية ووتر بولاية أوهايو يرى : «أنه لو أمكن إثارة
التماسك الاسلامي في سبيل أغراض ايجابية وتكتيل
الامم الاسلامية الكثيرة المتخلفة في وحدة حية لا يمكن ان
تصير هذه الوحدة قوة ايجابية في العالم (1) » .

وكلام اولئك الافاذ من ائمة البحث وكوكبة
الاستشراق قد يكون انصافا ولمرضاة العلم في ذاته
بعيدا عن السطحية والاغراض التعصبية .

وقد يكون بمثابة التحذير لاقوام اوربا الحاقدين
على الاسلام والمسلمين . ليعرف الاوربيون ان المسلمين
اذا اجتمعت كلمتهم في ظل العمل بالاسلام ، كان ذلك
خطرا على الاستعمار والاستعباد والظلم .

وعلى أي حال وسواء كان هذا او ذاك فان
العالم العربي والاسلامي لانهض الا برسالة التي
وكلها اليه رسول الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام
والايمان بها والاستماتة في سبيلها ، وهي رسالة مشرقة
قوية واضحة لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ، ولا
افضل ، ولا ايمن للبشرية منها .

وهي نفس الرسالة التي حملها المسلمون في
فتوحاتهم الاولى ، والتي بلغوا بها ذروة ما قدر لهم من
سؤدد ومجد وسلطان .

كانوا اقوياء في عقيدتهم بالله واقوياء في نفوسهم ،
لا يرهبون الردى ولا يخافون من الموت سواء وقعوا
عليه ام وقع عليهم ، غير هيايين ولا وجلين :

اذا صنعوا فصنعهم المعالي
وان قالوا فقولهم الصواب

مرادهم الله فلا رياء
ونهجهم اليقين فلا ارتياب

لامتهم وللأوطان عاشوا
فليس لهم الى الدنيا طلاب

كمثل الكأس تبصرها دهاقا
وليس لاجلها صنع الشراب

ويعرب عن كل ذلك الفيلسوف الاسلامي محمد
اقبال الشاعر الباكستاني فيقول :

كم زلزل الصخر الاشم فما وهي
من بأسنا عزم ولا ايمان

(1) نفس المصدر .

لو ان آساد العرين تفزعت
لم يلق غير ثباتنا الميدان
وكان نيران المدافع في صدور
ر المؤمنين الروح والريحان

توحيدك الاعلى جعلنا نقشه
نورا تضيء بصبغه الزمان

نفدت صدور المؤمنين مصاحفا
في الكون مسطورا بها القرآن

* * *

لم نخش طاغوتا يحاربنا ولو
نصب الهنا حولنا اسوارا

ندعو جهارا لاله سوى الذي
صنع الوجود وقدر الاقدار

ورؤسنا يا رب فوق اكفنا
نرجو ثوابك مغنما وجوارا

كنا جبالا في الجبال وربما
سرنا على موج البحار بحارا

كنا نقدم للسيوف صدورنا
لم نخش يوما غاشما جبارا

ولقد مرت على المسلمين والاسلام زهاء اربعة عشر
قرنا من الزمان ، حارب فيها الاسلام وحارب وانتصر ،
وشاهد فرقا واحزابا تالفت ضده واندرجت وجميعات
سرية هدامة ، عملت جهدا لتشويه الحقائق ، وقد
باعت بالفشل ، ودولا عديدة انقضت على بلاده تريد
نهب الخيرات والقضاء على القيم العليا ولكنها منيت
بالهزيمة .

ولا زال الغرب مدفوعا بدوافع نفسية حاكمة
متعصبة حينا ، وأخرى استغلالية اثنائية ، ولقد حاول
الغرب تحقيق اغراضه الخبيثة بالتوجيه الثقافي والغزو
الفكري مرة ، وبالضغط السياسي والاقتصادي مرة
أخرى ، وبالقوة أحيانا ، وما حدث بالبلاد العربية لدليل
واضح على الحقد الذي يسيطر على الغرب تجاه
الاسلام والمسلمين « قد بدت البغضاء من افواههم وما
تخفي صدورهم أكبر » .

فليستيقظ العرب ، ويعيدوا صنع حياتهم على
ضوء المفاهيم الصحيحة ، وليجمعوا الصفوف ويوحدوا
الاهداف :

واذاعتها ، وتآزر القصيدة والمقالة ، والبحث والمسرحية والقصّة ، والفنون التشكيلية في معركة البناء ... وستناقشون قضايا الإنتاج الفكري والوجداني وكل ما يعبر التعبير عن حركة الجماهير وتوجيه حماسها ، وانقاذ ذلك التعبير من العيب والاسفاف ، والبعد به عن الانزلاق والانحراف .

وهذا موضوع من الصعوبة بمكان فمن واجبك ان تكونوا مؤمنين برسالتكم . واذا كان من السهل ان تخطئوا فان من الواجب ان تلتزموا بين رسالتكم وهدفكم ، وما يتطلبه ذلك من جد واناة ومثابرة . وما تنتظره الامة منكم من توجيه صادق ، لتقاوموا الانحرافات الخلقية والفكرية فقد أصبح من اعظم ما نلاقي من نكبات ان نبتيء ولا نستمر ، وان نقول ولا نفعل ، ونعد ولا نفي ، وان نكتفي من الحقيقة بمداعبة الحلم بها . فالخطيئ ليس بعملية انطلاق فحسب ولكنه عملية استمرار .

ان امتنا تنتظر منكم حماة لتراثها الخلقى . والروحي ، والادبي . وواجب انقاذ المجتمع من التخلف والحيرة ملقى على كاهل الكتاب ، فهذا هو ميدانهم ومجالهم الحيوي . واذا كان مجتمعنا يعاني من الانحلال وامراض التخلف وقسوة العادية وانهيار القيم . فالكتاب هم دعاة الاخلاق لا بأساليب الوعظ ، ولكن بأسلوب التحليل ، واستخدام الكلمة الهادفة في شحن العقل والوجدان بمبادئ الاخلاق الانسانية .

ان الكتابة ليست فنا للتلاعب بالزخرف البلاغي ، وليست مجرد هواية والهة مهما تكن متمتها ، وانما هي دعوة ملتزمة لخدمة المبادئ الكريمة والقضايا الانسانية النبيلة ، وكل ما يعين المواطن على تحقيق سعادته كفرد في مجتمع شريف .

ان رسالتكم ايها الكتاب لعظيمة ، وصعبة ايضا . ان سلاحكم هو الكلمة ولكن كيف تبلغون الكلمة الى القلب وكيف تجعلون منها كلمة نبيلة ؟ ان الايمان بها والصدق في التعبير عنها شرطان اساسيان لذلك ومن اجل ذلك يجب خلق الحوار بأسلوب الحوار الصادق الهادف ولفته الرصينة .

ومسألة اخرى ستعرضكم ... فنحن امة نجتهد لتساير العصر ، فكما نستخدم لأول مرة أدوات الفلاحة العصرية ونسخر لنا المواصلات المعاصرة ، ونعمل للاستفادة من التقنية الحديثة بمزاولة طرقها واساليبها نزاول نوعا جديدا من العمل الادبي في

الشعر والقصّة والمسرحية والفنون التشكيلية . فهي فنون من التعبير جديدة في لغتنا تتطلب المزيد من الابداع الشخصي وتسمو عن مجرد المحاكاة والتقليد . واذا كان ميدان التزامكم وعقيدتكم سهلا واضحا لانكم مسلمون وعرب تحمون الوطن بما يحمله من معاني الحق والعدل والعقيدة والجمال ، وتدافعون عن قضايا شريفة وعادلة ، فان اساليب التعبير مع ذلك يجب ان تجدد في ادائها وقوايلها . واذا كنتم لا تحتاجون لفلسفة ولا لشروح فيما تتوخونه من مقاصد واهداف فانتم مع ذلك في حاجة الى ان تصقلوا لغتكم واسلوبكم حتى يكون اكثر نفوذا وواضح في الدلالة وذلك لفائدة القضايا التي تشرحونها .

ان كتاب بلادنا يحملون القلم في معركة البناء . ومن واجبه ان يعوا مسؤولية الكلمة قبل خوضها . وعليهم ان يتقنوا مهنتهم قبل معالجة الموضوع . فاذا كانت معالجة المريض لا تجوز الا للطبيب ، فليس لكل من ينسق بين الاوزان والقوافي ان يطمح في ان يكون شاعرا ياخذ بمجامع الاحاسيس ، وقديما فرقوا بين الشاعر والناظم وقارنوا ان تأتت المقارنة بينهما مقارنة رفعت مكانة الاول ونزلت بمكانة الثاني ، ولهذا فليس شاعرا كل من يفرض الشعر موزونا مقفى ، وليس المهم ان يفرض الشاعر شعره ملتزما بمقتضيات العروض او ان يثور عليها ليخط كلمات مهلهلة متناثرة بدعوى حرية الشعر والبعد به عن القيود . وانما يجب ان يكون الشاعر ملما بثقافة الشاعر ، لان منبع الشعر هو الشاعر نفسه . والتجربة الشعرية لها مواهبها وشروطها الثقافية ومعطياتها ومنطلقاتها وابعادها .

كما ان القصة ليست مجرد سرد للاحداث ولكنها عبقرية في التحليل والاستنتاج والتأثير .

وليس الفن تعبيراً بالالوان والانتماء الى المذاهب او الثورة عليها ولكنه القدرة على ربط الجزئيات بالحقيقة الكبرى وتكوين الصور الذهنية وتفاعلها في انسجام هادف . ان الفنان هو الذي يسيطر ، والكاتب فنان طبعاً ، على الكلمة الباطنية ويدرك الصور الادبية ادراكاً جلياً متكاملًا قبل التعبير عنها بالكلمة او الريشة او النظم .

ومهما تختلف اساليب التعبير بالنسبة للناس نحن ، فثقافتنا اصيلة خالدة ، عربية في لغتها ، اسلامية في فلسفتها ، انسانية في اهدافها ، ولن يعسر بعد ذلك على كاتبنا ان يعبر فيحسن التعبير ، ويبلغ

كلمة السيد وزير الدولة
الاستاذ عبد الهادي بوطالب

في مجلسه الافتتاحي مؤتمر لكتاب المغرب

في الشهر الماضي عقد اتحاد كتاب المغرب مؤتمره الثاني تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده .
وقد ناب عن جلالتة في حفلة الافتتاح وزير الدولة الاستاذ السيد عبد الهادي بوطالب حيث القى كلمة باسم صاحب الجلالة حي فيها المؤتمرين .
وهذه نص الكلمة :

فلم يعد الكاتب يعيش لنفسه في انانية او يأس او تعال ، ولم يعد الادباء شعراء اطلال يقفون ويستوقفون ، ويكون ويستبكون ، ويتذكرون الاحباب والمنازل ، وانما اصبح الكاتب رائدا يسير في الطبيعة يحمل قلمه كما يحمل الجندي سلاحه ، والعامل مسحاته وفأسه .

واصبح الادباء بناءة عاملين وعمالا مشيدين للاخلاق ، وجنودا يدافعون عن الحق ، واطباء يعالجون الارواح : سلاحهم الكلمة المشحونة عزما وبقينا وثقة ، وهدفهم خدمة الانسان والسمو بوجدانه واسعاذه في قومه ومجتمعه وعالمه . .

ان الكاتب اذن رجل رسالة ، يسخر مشاعره الفكرية والوجدانية لخدمة قضايا امته التي تكدح من اجله ، وتوفر له انتاجها ليهبها بالمقابل انتاجه ايضا .

انكم ايها الكتاب تجتمعون في مؤتمركم الثاني تحت شعار (الفكر في خدمة المجتمع) لمدارسة قضايا الحرف ووسائل التعبير ، واساليب نشر الكلمة

انه لشرف عظيم ان افتتح باسم صاحب الجلالة الملك المعظم مؤتمر اتحاد كتاب المغرب العربي .
وانه ليسعدني ان اجدد لكم عناية صاحب الجلالة بكتاب المغرب العربي الذين سخروا سنتهم واقلامهم لخدمة قضية بلادهم فحطموا اغلال الاستعمار ، وما يزالون يجاهدون بنفس السلاح لتحرير مغربنا الكبير من التخلف وللدفع به نحو النماء والتقدم .

ومن الطبيعي والمغرب العربي يخوض معركة البناء والتنمية ان يجتمع حملة الاقلام ورجال الفكر ، ليتحملوا امانتهم كرواد وبناءة ، يشيدون بالحرف والكلمة ، سلاحهم الايمان المتدفق على اقلامهم والنابع من عقول واعية وقلوب حية .

ولقد اصبح من الطبيعي بعد ان حقق مغربنا خطوات في ميدان التنمية الاقتصادية والفلاحية ان يجتمع الكتاب في هذا المؤتمر تحت شعار (الفكر في خدمة المجتمع) ليحددوا دورهم في المعركة ، ويخططوا للمستقبل في ثقة وعزم .

نظرة في مُجد الآداب والعُلوم

للمتأذ عبد الشككون

(23)

حرف الواو

المذكور معروف بدونها . وزاد قائلا وهي محجة ومركز الطريقة الطبية وهو يعنى انها محجوجة اي مزاردة لكن تعبيره يومه معنى الجادة والطريق . وما ذكره من كونها مركز الطريقة الطبية لو قال الوزانية لكان اعم واشمل ومطابقا لما نعرف به على لسان العموم .

638 في هذا العمود ايضا بعنوان الوزاني الزياني . ذكر اسم حسن . مقتضرا عليه مع الاحالة على اسم لاون الافريقي ومراده الحسن الوزاني المعروف . انما الامر الذي يستوقف النظر هو نسبته الزياني هذه . ولا ندرى سنده فيها . والذي عند الاستاذ محمد المهدي الحجوي في كتابه عن الحسن الوزاني : الزياني بالزاي فهل تصحفت على المنجد بالزياني ؟

639 وفيه كذلك ترجمة للعلامة المهدي الوزاني ضبط فيها اسم والده الخضر بضم فسكون وهو بفتح الخاء وكسر الضاد كما في نظائره .

640 في ع نى من الصفحة نفسها ترجمة لابي الطيب الوشا ، قال فيها : له الموشى فيه المواعظ وفصول في الازياء وآنية الشراب والعيذان ، مخطوط في ليون . وكتاب الموشى كما سبق لنا ذكره يعرف بكتاب الظرف والظرفاء ، وهذا كاف لتحديد موضوعه فهو ليس كتاب وعظ وليس فيه شيء من المواعظ ، ثم هو مطبوع من زمن بعيد ، فالقول بأنه مخطوط في ليون قصور .

632 في ص 562 . ع ل كلمة عن بلد الوليد باسبانيا جعلها وادي الوليد او وليدا مع انه كتب اسمها بالاسبانية هكذا (Valladolid) وهو واضح في لفظ بلد ، وعليه فحقها ان تذكر في حرف الباء .

633 في نفس العمود بعنوان الواردات لمؤلفه محمود بن اسرائيل المعروف بابن قاضي سماونة جعله ابن اسرائيل بياء وهو بدونها ولعله خطأ مطبعي .

634 في العمود الثاني من هذه الصفحة بعنوان واشنطون عاصمة الولايات المتحدة قال : فيها الدار البيضاء مقر رئيس الجمهورية وعرف المقر بترجمته للعربية بالبيت الابيض ، وهو احسن ، دفعا للالتباس بالدار البيضاء المدينة المغربية المعروفة .

635 في ص 564 ، ع نى كلمة عن مدينة وجدة المغربية ضبط فيها اسمها بضم الواو وهو بفتحها ، وقال مدينة في شمالى المغرب الاقصى ولو قال شمالى شرق المغرب لكان اصح .

636 في ص 565 ، ع نى ترجمة لورش الامام المغرّي الشهير عثمان بن سعيد ، ضبط لقبه بفتحيتين وهو بفتح الواو وسكون الراء لا غير .

637 في ص 566 ، ع ل كلمة عن مدينة وزان قال فيها زاوية مولاي عبد الله الشريف الوزان ، والصواب الوزاني لو اراد النسبة ، على ان الشريف

فيحسن التبليغ ، ليكون كاتباً قائداً رائداً كما قال الشاعر القديم .

ولولا خلال سننها الشعر ما درى
بناة المعالي كيف تبنى المكارم

أيها الكتاب والكاتبات

لعلكم كنتم تنتظرون مني ان افتتح مؤتمرکم بكلمة رسمية كما تفتح المؤتمرات عادة ، غير ان انتمائي الى اتحاد المغرب العربي ، وعضويتي في أسرته ، فرضا علي ان ادلي برأيي ككاتب حمل الكلمة في معركة التحرير ، وما يزال يحملها في معركة البناء . . . وقد اكون عرضت عليكم آراء متداولة غير انها نابعة من قلب صادق مؤمن بالكلمة ، لم يستطلع اي شيء ان يشغله عن عالم الحرف والكلمة كما قال الشاعر أبو العلاء :

ولو طار جبريل بقية عمره
من الدهر ما استطاع الفرار من الدهر

أيها السادة المؤتمرين

احرص مرة اخرى على ان اجدد لكم في هذا المحفل الكريم مشاعر العناية والرعاية التي امرني

جلالة الملك المعظم نصره الله ان اعرب لكم عنها باسمه، وعن أمله في أن ينبثق عن مؤتمرکم هذا من التوصيات ما يزيد رسالة الكتاب تبلورا ووضوحا واهدافهم اصالة ونبلا . فجلالته كملك مكافح عاش مع والده وشعبه نكبة الحرية هو حامي الحرية في هذه البلاد ، وهو يحرص على ان يوفرها كاملة لدوي الاقلام ، وجلالته كمسؤول عن مصير هذه البلاد اكبر من يقدر رواد الفكر فيها ، وكمثقف اصيل يتجاوب وجدانه مع مشاعرکم واحاسيسکم لذلك فهو يبارك جهودکم ويرعى نشاطکم لتؤدوا رسالتکم في خدمة بلادکم ولتساهموا عن طريق التوعية في المعركة التي يشنها جلالته بعنف وفي غير هوادة ضد التخلف في جميع مظاهره واشكاله .

واحرص قبل ان اختتم كلمتي على ان ارحب بالوفود الشقيقة الحاضرة معنا باسم حكومة صاحب الجلالة مشيدا بظاهرة التآزر والتجاوب التي اخذت تعم جميع مرافق نشاط المغرب العربي وتقرب الخطوات نحو بنائه وتحقيقه متمنيا لكم كامل التوفيق والنجاح .

والسلام عليكم ورحمة الله .



تَفْهِيمُ اللِّسَانَيْنِ

للدكتور تقي الدين العراقي

(7)

المدح والثناء . ومراد سعيد بن المسيب بتلاوة الآية انه يقول فيهما خيرا .

وبيان ذلك ان الله تعالى اثنى على المهاجرين في سورة الحشر بقوله (8) للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، اولئك هم الصادقون) ، واثنى على الانصار بقوله : (9) والذين تبواوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) ، واثنى على التابعين لهم باحسان بقوله : (10) والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

« ذكر تفسير الحافظ ابن كثير لهذه الايات باختصار »

قال ابن كثير : يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفئء انهم الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، اي خرجوا من ديارهم ، وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه (وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) اي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهم سادات المهاجرين . الفئء كل مال اخذه المسلمون من اعدائهم بدون قتال كاموال بنسي النصير ، وهي المنية بهذه الآية .

37 - قال عنه :

من البدع المحدثات في الكلام العربي التي شاعت وذاعت في زمان الاستعمار ، وكثرة ما يترجم من اللغات الاعجمية حين ضعفت الشعوب العربية ، ولم يبق لها قول الا ما تنقله من كلام المستعمرين المتغلبين فولهم (قال عنه) انه كذا وكذا مدحا او ذما ، وهذا خطأ ، والصواب ان يقال (قال فيه) . والادلة على هذا اكثر من ان تحصى اقتصر على قليل منها .

قال ابن منظور في مادة (ق و ل) وفي حديث سعيد بن المسيب حين قيل له : ما تقول في عثمان وعلي ؟ فقال : اقول فيهما ما قولني الله تعالى (59 : 10) والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) .

وفي حديث علي عليه السلام : سمع امرأة تندب عمر فقال : اما والله ما قالت ، ولكن قولته ، اي لقنته وعلمته والقي على لسانها ، يعني من جانب الالهام ، اي انه حقيق بما قالت فيه . اهـ

الشاهد هنا في ثلاثة مواضع ، في قول سعيد بن المسيب : اولهما قوله : (اقول فيهما ما قولني الله تعالى) ، والثاني في سؤال من سأل (ما تقول في عثمان وعلي) ، والثالث في خبر علي مع المرأة ، وقد فسره صاحب اللسان بقوله : (انه حقيق بما قالت فيه) . ومعنى حقيق هنا : جدير بما قالت فيه تلك المرأة من

(641) في ص 567 ، ع ل تعريف بحزب الوفد المصري المشهور قال فيه : زعيمهم سعد باشا زغلول فسمى الحزب ايضا « الحزب السعدي » وهذا خطأ ، فان الحزب السعدي او الهيئة السعدية حزب انشق على حزب الوفد بعد وفاة سعد وتولى مططفى النحاس رئاسة الوفد .

(642) في العمود نفسه تعريف بكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ضبط اسمه هذا بكسر الفاء وتشديد الياء ، وهو خطأ ، صوابه فتح الفاء والياء مع التخفيف .

(643) وفيه ايضا بعنوان الوقف والابتداء ما يلي : كتب في النحو الفها السيداني والنحاس الخ . وليست هذه الكتب في النحو بل في فن من فنون القراءات التي هي من علوم القراءان ، وان كان لها ميسر بالنحو من بعيد . ثم السيداني الذي ذكره اولاً من المؤلفين في هذا الفن لعلة الداني ابو عمرو أحد أئمة القراء والمؤلفين في القراءات ، تصحف عليه بالسيداني .

(644) في ع نى من هذه الصفحة كلمة عن ولبة ، مدينة اندلسية معروفة ضبطها بضم الواو وهي بالفتح .

(645) وفيه تعريف بولادة بنت المستكفى ، الادبية الاندلسية الشهيرة ، جعلها الولادة بالالف واللام على عادته في الحاق ال بالمجرد منها وتجريد المحلى بها .

(646) في ص 568 ، ع ل ترجمة للوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي المعروف ، تعرض فيها للبلاد التي فتحت على عهده فذكر منها صقلية ولكنه كتبها بالالف بدل التاء ، وطشقد وقد كتبها تشكنت بالتاء اولاً بدل الطاء وءاخرا بدل الدال ، ثم ان جعله صقلية

مما فتح في ايام الوليد بن عبد الملك ليس بصحيح فان فتحها تأخر كثيراً عن ايام الدولة الاموية الى عهد العباسيين في خلافة المأمون ، وذلك سنة 212 ، وكان فاتحها هو القاضي اسد بن الفرات كما هو معلوم .

(647) في هذا العمود ايضا كلمة تعريف بالوليد ابن عقبة ، ضبط فيها عقبة بفتح العين والقاف ، ظنه مفرد عقبات وهو بضم العين وسكون القاف اسم من أعقبه اي راكبه عقبة اي ركة ، تسمى به العرب ، وذكر المنجد انه اخو عثمان بن عفان بموجب وسكت ولم يقل انه اخوه لانه اختلاف اسم من العربي .

(648) وفيه كذلك تعريف بالوليد بن المفيرة ، ضبط فيه المفيرة بفتح الفين وهو بكسرهما مفعلة من الاغارة قال تعالى : (فالمفيرات صباحا) .

(649) في ع نى من الصفحة ذاتها كلمة عن مدينة وهران قال فيها : انها قاعدة مقاطعة ادارية في القطر الجزائري ، من مدنها مسكرة بالميم اولها ولا نعرف مدينة بهذا الاسم في الجزائر ، فان كان يريد مسكرة بالباء اولها فانها من مقاطعة قسنطينة لا وهران . نعم يمكن ان يكون اراد مدينة معسكر وهي حقا مقاطعة وهران ، ولكن التحريف الذي ادخله عليها بسبب الترجمة كثير . ثم قال : يتاجرون فيها بالخمير (والالف) وهو نوع من القنب ولا شك انه يريد الحلفاء فغيرها الى ما راينا وفسرها بما ذكر . وصاحب المنجد يفعل في منجده ما يشاء .

(650) في ص 569 ، ع نى ترجمة لونيادوس ، كيميائي الماني ، قال فيها نال جائزة نوبل على (دروساته) الفيتامينات المعنوية للعظام ، وجمع درس على دروسات في معجم يوضع بين ايدي الطلبة العرب مما لا يصح السكوت عنه .

طنجة : عبد الله كنون

والذي نفهمه من أدلة الكتاب والسنة أن الكذب في مثل هذا لا يجوز ، فهي هفوة ارتكبها هذا الصحابي الناشيء حرصا منه على الخير ، واكتشاف الاسرار ليعرف ما يقوم به ذلك الانصاري من العبادة بالليل حتى شهد له النبي (ص) أنه من أهل الجنة ثلاث مرات في ثلاثة أيام متوالية .

ثم قال ابن كثير : وقوله تعالى : (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) يعني حاجة ، أي يقدمون المحاويع على حاجة انفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم الى ذلك . وقد ثبت في الصحيح عن النبي (ص) أنه قال : أفضل الصدقة جهد المقل ، وهذا المقال أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى (76 : 8) ويطعمون الطعام على حبه) ، وقوله (2 : 177) وآتى المال على حبه) فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة اليه ولا ضرورة به ، وهؤلاء آثروا على انفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما انفقوه .

ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله ، فقال له رسول الله (ص) : ما بقيت لاهلك ؟ فقال بقيت لهم الله ورسوله . وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة واصحابه يوم اليرموك ، فكل منهم امر بدفعه الى صاحبه ، وهو جريح مثقل احوج ما يكون الى الماء ، فردده الآخر الى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ، ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وارضاهم .

وقال البخاري بسنده الى أبي هريرة قال : أتى رجل رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله ، أصابني الجهد ، فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال النبي (ص) : الا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ، فقام رجل من الانصار فقال : انا يا رسول الله ، فذهب الى اهله فقال لامراته : هذا ضيف رسول الله (ص) لا تدخره شيئا ، فقالت : والله ما عندي الا قوت الصبية ، قال : فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهن وتعالى فاطفتي السراج ، ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ، ثم غدا الرجل على رسول الله (ص) فقال : لقد عجب الله عز وجل ، أضحك من فلان وفلانة ، وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) وفي رواية لمسلم تسمية هذا الانصاري بأبي طلحة .

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح . روى أحمد ومسلم بالسند الى جابر بن عبد الله أن

النبي (ص) قال : اياكم والظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فان الشح اهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم .

وقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقرؤهم من مال الفء ، وهم المهاجرون ثم الانصار ، ثم التابعون لهم باحسان ، كما قال في آية براءة (100) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة واوصافهم الجميلة ، الداعون لهم في السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) أي قائلين : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي بفضا وحدا (للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

وما احسن ما استنبط الامام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة ان الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفء نصيب لعدم اتصاله بما مدح الله به هؤلاء في قلوبهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

وقال ابن ابي حاتم بسنده الى عائشة انها قالت : امروا ان يستغفروا لهم فسبواهم ، ثم قرأت هذه الآية : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) الآية .

وروى البغوي بسنده الى عائشة ايضا قالت : امرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم ، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها . اهـ

قال محمد تقي الدين : وهذا ما قصده الامامان سعيد بن المسيب ومالك ، اذ فهما من الايات الثلاث ان الله قسم المسلمين ثلاثة اقسام : المهاجرين والانصار ، والذين جاءوا من بعدهم اذا كانوا يحبونهم ، ويستغفرون لهم ولا يسبونهم ، فمن سبهم فلا حق له في الفء ، لانه خارج عن الاصناف الثلاثة التي استوعبت المسلمين . فالتابعون لهم باحسان كما في سورة التوبة لا يقولون فيهم الا خيرا ، ولا يتشيعون لبعضهم ويسبون غيرهم ويبغضونهم .

أوتوا (قال قتادة : يعني فيما أعطى اخوانهم ، وكذا قال ابن زيد .

ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه احمد بسنده الى انس قال : كنا جلوسا مع رسول الله (ص) فقال : يطلع عليكم الان رجل من اهل الجنة ، فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته (اي تقطر) من وضوئه ، قد علق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال رسول الله (ص) مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الاولى ، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله (ص) مثل مقالته ايضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الاولسى .

فلما قام رسول الله (ص) تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال : اني لاحيت ابي (اي خاصسته) فاقسمت اني لا ادخل عليه ثلاثا ، فان رأيت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت ، قال : نعم ، قال انس : فسكان عبد الله يحدث انه باب معه تلك الثلاث الليالي ، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير انه اذا تصار (اي استيقظ) تقلب على فراشه ، ذكر الله وكبر ، حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبد الله : غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا ، فلما مضت الثلاث الليالي ، وكدت ان احتقر عمله قلت : يا عبد الله ، لم يكن بيني وبين ابي غضب ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول لك ثلاث مرات : يطلع عليكم الان رجل من اهل الجنة ، فطلعت انت الثلاث المرات ، فأردت ان آوي اليك لانظر ما عملك فاقتردي به ، فلم ارك تعمل كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله (ص) ؟ قال : ما هو الا ما رأيت ، فلما وليت دعاني فقال : ما هو الا ما رأيت ، غير اني لم اجد في نفسي لاحد من المسلمين غشا ، ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه ، قال عبد الله : فهذه التي بلغت بك ، وهي التي لا تنطق . اهـ

استفدنا من الآية والحديث الذي رواه عبد الله ابن عمرو عن الرجل الانصاري ان العمل القليل مع سلامة الصدر من الحسد والغفل والفش خير من العمل الكثير الذي ليس معه تلك السلامة ، ولكن عندنا هنا اشكال في ادعاء عبد الله بن عمرو انه خاصم اياه فغضب عليه ، واتخذ ذلك وسيلة الى ان يكون ضيفا عند الانصاري ليراقب عمله بالليل من صلاة ، وقراءة قرآن ودعاء ، فهل كان ذلك جائزا ان يتدرع المرء بالكذب البحث ليتوصل الى خير ، وهو ما يسمونه في لغة اهل هذا الزمان الماخوذة من اللغات الاجنبية : الغاية تسوغ الوسيلة .

ثم قال تعالى مادحا للانصار ، ومبيناً لهم فضلهم وشرفهم وكرمهم ، وعدم حسدهم ، وابشارهم مسح الحاجة فقال تعالى (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) اي سكنوا دار الهجرة من المهاجرين ، وآمنوا قبل كثير منهم .

قال عمر (يعني في وصيته عند موته) : وأوصى الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم كرامتهم ، وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبل ان يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئتهم . رواه البخاري .

ثم روى عن احمد بسنده الى انس قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ، ما رأينا مثل قوم قد منّا عليهم احسن مواساة في قليل ، ولا احسن بذلا في كثير ، لقد كفونا المؤونة ، واشركونا في الهنا (الهنا ما اتاك من الرزق بلا مشقة) حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله ، قال : لا ما اتيتهم عليهم ودعوتهم الله لهم . اهـ

ومعناه ان النبي (ص) لما آخى بين المهاجرين والانصار صار الاخ الانصاري يقوم بالعمل كله في ارضه ويقاسم اخاه المهاجري الغلة والثمر . فخاف المهاجرون ان كل ما عملوه من عمل مقبول عند الله يكون اجره لاخوانهم الانصار الذين كفوهم مؤونة العمل ، واشركوهم في الغلة والثمرة ، فأخبرهم النبي (ص) ان اجرهم ثابت لهم ، ان كافأوا اخوانهم الانصار بالثناء والشكر ودعوا الله لهم . روى احمد والترمذي من حديث ابي سعيد ان النبي (ص) قال : من لم يشكر الناس لم يشكر الله .

وروى عن البخاري بسنده الى يحيى بن سعيد سمع انس بن مالك حين خرج معه الى الوليد قال : دعا النبي (ص) الانصار ان يقطع لهم البحرين ، قالوا : لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها ، قال اما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم اثره . اهـ

قال في مجمع البحار : وفي الحديث ستلقون بعدي اثره - بفتحين - اسم من اثر يؤثر اثارا ، اي اعطى ، اراد انه يستأثر عليكم ، فيفضل غيركم في نصيبه من الفداء . والاستئثار : الانفراد بالشيء . اهـ

ثم قال ابن كثير : (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) اي ولا يجدون في انفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف ، والتقديم في الذكر والرتبة . قال الحسن البصري (ولا يجدون في صدورهم حاجة) يعني الحسد (مما

وفيما سوى هذين الطعامين لا يتقيد الاكل بوقت معتاد متى جاع الانسان اكل . ومن امثال العرب : خير النهار بواكره ، وخير العشاء سوافره ، والبواكر هي ساعات الابكار ، الساعات الاولى من الصبح . والسوافر ساعات العشي التي لا يزال فيها ضوء النهار موجودا قبل ان يجيء الظلام ، ومرادهم بذلك التبكير للاشغال والاعمال ، وتعجيل العشاء قبل ان ياتي الظلام .

ولا يزال كثير من العرب عاملين بذلك الى يومنا هذا ، فاني كنت اسكن بقرية الزبير بقرب البصرة ، وسكانها من اهل نجد ، وهم محافظون على العادات العربية ، فكنت اذا خرجت الى المسجد لصلاة المغرب ، ووقفت في الصف اشم رائحة الدسم تنبعث عن يميني وشمالي ، وذلك دليل على انهم تعشوا قبل غروب الشمس ، ولكنهم لم يحافظوا على الفداء في وقته الذي كانت عليه العرب ، فانهم يفطرون في الصبح بما تيسر ، ويؤخرون الفداء الى ان يصلوا الظهر .

ولما كنت ساكنا بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة الف وثلاثمائة وست واربعين وسبع واربعين رايت سكان المدينة كلهم يتغدون في الضحى ، ويتعشون بين العصر والمغرب كما كان العرب الاولون

يفعلون . اما في هذه السنة فقد اقامت في المدينة ستة عشر يوما ودعاني كثير من الاخوان الى الطعام ، فرايت تلك العادة قد تبدلت ، وصار سكان المدينة يأخذون بعادة اهل المدن وهي ثلاث اكالات في النهار حين يصبحون ، وحين يظهرون ، وحين يمسون .

وقد تجنبت ذكر الوجبة التي اعتاد الكتاب التعبير بها عن كل واحدة من الاكلات الثلاث المعتادة ، لانهم يستعملونها خطأ .

قال صاحب اللسان : الوجبة : الاكلة في اليوم والليلة . قال ثعلب : الوجبة اكلة في اليوم الى مثلها من الفدا . ١ هـ

والاوربيون ايضا يعملون بشرط المثل العربي ، وهو خير العشاء سوافره ، فانهم يأكلون عادة اعشيتهم بين الساعة السادسة والسابعة ، وتكون الشمس في الصيف لا تزال مرتفعة . ويقول علماء الصحة : ان ذلك خير من تأخير الطعام الى ان يكون قبيل النوم ، فان النوم على امتلاء المعدة تنشأ عنه امراض ، ولا يكون النوم معه هنيئا . اما اذا تعشى الانسان مبكرا ، فانه يتحرك بعد العشاء ، فلا ياتي وقت النوم حتى يتم الهضم الاول للطعام .

مكناس : تقي الدين الهلالي



قال الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) إبان بن جبلة الكوفي أبو عبد الرحمن ، ضعفه الدارقطني وغيره . قال البخاري : منكر الحديث ونقل ابن القطان أن البخاري قال : كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه .

ثم قال : اعلم أن كل من أقول فيه : مجهول ، ولا أسنده إلى قائل ، فإن ذلك قول أبي حاتم فيه . ١ هـ فقلوه (أقول فيه مجهول) وقوله (فإن ذلك قول أبي حاتم فيه) مطابقان للاستعمال العربي السليم . والشواهد في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الجرح والتعديل كتهديب التهذيب للحافظ ابن حجر . ولسان الميزان له أكثر من أن تحصى ، ولم يرد في شيء منها قال عنه أو قالوا عنه .

وإذا سأل سائل ماذا يقول النصارى في عيسى ابن مريم ، يكون الجواب : يقولون فيه : أنه ابن الله ، وأنه ثالث ثلاثة ، وأنه الاقنوم الثاني ، تعالى الله عن ذلك . وقال البوصيري في الهمزية في وصف امرأة أبي لهب وعداوتها للنبي (ص) :

يوم جاءت غضبي تقول أفي مثـ

ـلي من أحمد يقال الهجاء

تعني أفي يقال الهجاء الصادر من أحمد صلى الله عليه وسلم ، تعني بالهجاء سورة (تبت يدا أبي لهب) فقال (في مثلي ، ولم يقل : عن مثلي) والقول يعدي بـ (في) في المسائل كذلك يقال : ما تقول في مسألة كذا وكذا . وقال عبد الله بن مسعود في مسألة سئل عنها : أقول فيها برايي ، فإن كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان .

وقد أكثر من ذلك ابن بري في منظومته كقوله :

القول في التعموذ المختار

وحكمه في الجهر والاسرار

كيف تستعمل قال عنه

فإن قلت : قد فهمنا من كلامك أن تعبير عامة الكتاب يقال عنه في موضوع قال فيه خطأ ، فإن تستعمل قال عنه ؟ فالجواب : يستعملها المحدثون في الرواية ، وقد أكثر من ذلك البخاري رحمه الله . فمن ذلك قوله في كتاب العلم من صحيحه . وقال شقيق عن عبد الله سمعت النبي (ص) . وقال أبو العالية عن

ابن عباس عن النبي (ص) . وقال أنس عن النبي (ص) . وقال أبو هريرة عن النبي (ص) . ١ هـ

فمعنى قال هنا : روى وحدث . فهذا هو الفرق بين قال فيه وقال عنه . يجب علينا أن نميز بينهما وأن نستعمل كلا منهما فيما يناسبه . والله الموفق .

38 - الخلط والخط في استعمال الفداء

بالمهلة واستعمال الفداء بالمعجمة . إذا استمعت إلى الإذاعات ، أو قرأت الصحف تجد أكثر المتكلمين والكتاب لا يميزون بين الفداء والفداء . ودونك معناه وضبطهما . فالفداء - بفتح الفين المعجمة ودال مهمل - معدودا ، هو طعام القدوة . وهي أول النهار . قال الله تعالى في سورة الكهف في قصة موسى مع الخضر : 62 فلما جاوزا قال لفتهاء آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا .

قال البيضاوي : (فلما جاوزا) مجمع البحرين (قال لفتهاء آتنا غداءنا) ما نتغدى به . (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قيل لم ينصب حتى جاز الموعد ، فلما جاوزه وسار الليلة والفد إلى الظهر القى عليه الجوع والنصب . ١ هـ

وقال الراغب في غريب القرآن : (غدا) القدوة والفداء من أول النهار . والفداء طعام يتناول في ذلك الوقت . ١ هـ

وقال صاحب اللسان : والفداء : الطعام بعينه . وهو خلاف العشاء . ابن سيده : الفداء طعام القدوة . والجمع أغذية ، عن ابن الأعرابي . أبو حنيفة : الفداء رعي الأبل في أول النهار ، وقد تغدت وتغدى الرجل وغديته . ورجل غديان وامرأة غديا ، على فلعى . وأصلها الواو ، ولكنها قلبت استحسانا ، لا عن قوة علة ، وغديته فتغدى . ١ هـ

إذا فهمت هذا علمت أن تسمية الناس اليوم للطعام الذي يؤكل بعد الظهر غداء مخالف لاستعمال العرب ، لأن العرب لم يكونوا يأكلون في وقت الظهر ، وليس في لغتهم اسم لطعام يؤكل وقت الظهر ، ولم يكونوا يأكلون بالليل ، ولذلك لا يوجد في لغتهم اسم لطعام يؤكل بالليل ، وإنما كان عندهم غداء وعشاء . فالغداء تقدم بيانه ، والعشاء طعام العشي .

قال صاحب القاموس : والعشي بالكسر ، والعشاء كسواء طعام العشي ، الجمع أعشية ، وعشى وتعشى أكله ، وهو عشيان ومتعش ، وعشاء عشوا ، أطعمه إياه كعشاء وأعشاء . ١ هـ

الثروة الحيوانية وإذا تركناهم على ما هم عليه فانهم يظلون على حالهم من التخلف الصحي والثقافي ولا يقومون بأدوارهم كاملة كمواطنين .

هذه نظرة عاجلة مبتسرة نضيف اليها خاصية تميز العالم العربي عن غيره من اجزاء العالم وهذه الخاصية تثير تساؤلات كثيرة في بقية انحاء العالم فالكثيرون يسألون ما هو هذا الذي يجعل من العالم العربي تلك الوحدة أو ذلك التماسك . ولا ضرورة لمحاولة اجابة كاملة عن هذا السؤال الهام ، ولكن الذي لامرأ فيه ان حضارات كثيرة كانت على جانب كبير من القوة والسلطان وقد ظهرت هذه الحضارات وبقيت لها بعض آثارها ، غير انها لم تبق بكيانها ووحدتها . فرغم ما كانت عليه الحضارة الاغريقية من قوة فلا يوجد عالم اسمه العالم الاغريقي ، ورغم ما كانت عليه الحضارة الرومانية من سلطان فلا يوجد ما يسمى العالم الروماني ، ولكن يوجد ما يسمى العالم العربي، ولاشك ان لهذا دلالة فعلية على الرغم مما يتصف به العالم العربي من تنوع وسعة وعلى الرغم مما مر به من أحداث وأزمات فان هناك نوعا من التكامل والترابط والوحدة والتماسك يجعلنا نتكلم عن العالم العربي أو الوطن العربي .

وهناك مجموعة من العوامل تدخل في تكوين هذه الوحدة منها الدين ومنها اللغة ومنها التصاهر ومنها الكفاح المشترك والتاريخ المشترك ، ومنها الشعور المشترك بالخطر المشترك . هذا الشعور الذي لا تتوقف درجات حدته وشدته الا على ما يوجد من مسافات زمانية ومكانية تتلاشى مع اليقظة وحدة البصر ووضوح الرؤيا ، وتتلاشى كذلك مع وجود الاستعداد بالاساليب العلمية والتكنولوجية الحديثة .

والذي لا شك فيه كذلك ان الحضارة العربية وما تتضمنه من ثقافة لها ابعادها في العمق والاتساع والتنوع ولها ابعادها الزمنية السحيقة المستمرة مما اكسبها من الخصوبة والقوة والتماسك ما لانجده في ألوان الحضارات الاخرى . وهذا هام نريد ان نحسن استخدامه .

فهذه الظاهرة المميزة لكل ما هو عربي من فكر وثقافة وحضارة تجعل من غير الممكن للعالم العربي ان ينطلق في نهضته الا اذا كان انطلاقه الى مستقبله من حاضره مستندا على ماضيه ، وتلقى هذه الظاهرة على المسؤولين عن التعليم عددا من الاسئلة الملحة الهامة .

يريد العالم العربي ان يتقدم وأن يواكب الحضارة ، وأن يرفع من مستوى حياة

أفرادهم وأن يؤمّن لهم القوة والكرامة واحترام الذات والحرية والعدالة والطمأنينة ، يريد أن يزيد من انتاجه وأن يزيد من دخله وثرواته ، يريد أن ينمو وأن يكون نموه متتابعا مستمرا . لابد أن يهدف الى هذا كله ، فكيف السبيل ؟ يلتقى في روعه أحيانا أن الفساد كامن في جذوره فليحرقها ويقتلع نفسه منها فهي قديمة بالية .

ويلتقى في روعه أحيانا أن لجذوره ماضيا مجيدا فليحافظ عليها وليتمسك بها . ويمثل الاتجاهان صراعا هائلا بين ما هو شرقي وما هو غربي ، بين ما هو استقلالي وما هو استعماري ، بين ما هو قديم وما هو حديث ، بين ما هو مادي وما هو روحي ، بين ما هو أصيل وما هو مستورد ، بين ما هو تقليدي وما هو تجديدي . فليكن سؤالنا كيف يمكن للعالم العربي أن ينطلق بشخصيته العربية وبكيانه العربي مع بقية اجزاء العالم حتى يقوم بدوره في رعاية أمر نفسه وفي الاسهام في تقدم البشرية وسعادتها وسلامها مع احترامه لنفسه وصيانيته لحقوقه وخلق الظروف التي ترغم غيره على احترامه واحترام حقوقه ؟

هنا تظهر اسئلة كثيرة في ميدان التعليم في ماضيه وحاضره ومستقبله ، في مناهجه وكتبه ، في وسائله ولغته ، في أهدافه وفلسفته ، وفي الصورة التي يرى التعليم ان يكون عليها المواطن حتى يتسق مع ما تتجه اليه الدولة أو ما يجب ان تتجه اليه .

وينطلق من هذا سؤال آخر عن شكل المعلم المطلوب لتعليم هذا المواطن .

ولكي نوضح الموقف بعض الشيء نقدم بمقدمة تاريخية سريعة . فقد ظهر الاسلام في القرن السابع الميلادي وكان له اثره الشامل الواسع العميق في كل نواحي الحياة من عقيدة وسياسة وتنظيم واجتماع وحياة يومية فردية وجماعية وعالمية . وفي مدى قرن من الزمان انتشرت موجة عربية عارمة من اواسط آسيا الى المحيط الاطلسي واستمرت هذه النهضة قرابة الخمسة قرون ثم بدأ نوع من الحكم الاجنبي اصاب البلاد بالركود والتجمد واستمر هكذا حتى أوائل القرن الحالي .

كذلك كان العالم العربي قد انفزل عن أوروبا بسبب كشف رأس الرجاء الصالح خلال القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي . فبعد أن كانت تمر في الأرض العربية قوافل التجارة من أوروبا أصبحت هذه تمر حول أفريقيا في طريقها الى آسيا

أوضاع التعليم في العالم العربي

للدكتور عبد العزيز القويحي

كنسبة 1:1 ، وإما في أوروبا فهي كنسبة 4:3 . ومعنى ذلك أن مسؤولية الكبار نحو الصغار في العالم العربي مسؤولية مضاعفة إذا هي قورنت بنظيرتها في أوروبا وأمريكا . وإذا تذكرنا أن وسائل التعليم والصحة والرعاية في العالم العربي أقل منها في أوروبا وأمريكا فمعنى ذلك أن على الكبار في العالم العربي أن يضاعفوا الجهد ليضاعفوا الإنتاج ويضاعفوا الدخل حتى يحسنوا رعاية الأعداد الهائلة من الصغار والناشئين في الظروف الحالية . فعلى الكبار في العالم العربي مسئوليات مضاعفة إذا قيسست بمسئوليات الكبار في العالم الأوروبي .

فالظاهرة السكانية الأولى هي سرعة زيادة السكان وثانية هذه الظواهر هي كثرة الصغار بالنسبة للكبار ، ولهاتين الظاهرتين مشكلتهما في ميدان التعليم .

وأغلب هؤلاء السكان موزعون في الأودية وعلى شواطئ البحار والعمل الأساسي لهم هو الزراعة . ومعروف أن المشتغلين بالزراعة يميلون عادة إلى المحافظة وعدم التجديد ويتقدمون بحذر شديد أكثر من غيرهم مما يخلق مشكلة أخرى أمام المسؤولين عن التعليم . ومن بين هؤلاء السكان أعداد كبيرة من المشتغلين بالرعي والمتنقلين وراء الثروة الحيوانية بوجه عام ، ويتقدم هؤلاء ببضعة ملايين ، ويشكل هؤلاء مسألة أخرى تواجه المسؤولين فإذا عملنا على سرعة توظيفهم قضينا على مصدر هائل من مصادر

إذا أردنا أن ندرس أوضاع التعليم وتطوره في الوطن العربي فلا بد أن نتفق أولا ولو بصورة إجمالية على حدود هذا الوطن من جوانبه المختلفة ، جوانب أرضه وسكانه وخيراته وماضيه وحاضره ومستقبله .

والوطن العربي هو مجموعة الدول والبلدان الواقعة من الخليج شرقا إلى الأطلسي غربا ويحده في الشمال البحر الأبيض ، ويمتد في الجنوب إلى الجنوب العربي والسودان والحدود الجنوبية لليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، وهناك دول أخرى تشترك لأن تكون ضمن المجال العربي ومن هذه موريتانيا والصومال وغيرها .

مجموع السكان في العالم العربي وصل إلى 105 مليون في العام الماضي ، وقد كان 80 مليون من عشرة أعوام ، 98 مليون من خمسة أعوام ، أي أنه يزيد بما يقرب من 3 ملايين في كل عام .

ونلاحظ أن الأسرة في العالم العربي كبيرة الحجم بها أب وأم وعدد كبير من الأطفال والناشئين ، هذا بخلاف الأسرة الأوروبية ، معنى ذلك أن نسبة الصغار في الأسرة العربية أكبر منها في غيرها ، ونجد بالدراسة الإحصائية الدقيقة أن نسبة الصغار إلى مجموع السكان في العالم العربي نسبة كبيرة ، فالذين تقل سنهم عن عشرين عاما تبلغ نسبتهم في العالم العربي 50٪ تقريبا ، ولكن نسبتهم تبلغ في بعض دول أوروبا وأمريكا 30 ٪ أي أن نسبة الصغار للكبار في العالم

ومدد تلاميذ الابتدائي في سوريا كان 148 ألف في عام 45/44 وأصبح 647 ألف في عام 65/64 .
ومدد تلاميذ الابتدائي في العراق كان 37500 في عام 1932 وأصبح 957 ألف في عام 65/64 .

ومدد تلاميذ الابتدائي في مصر كان 380 ألف في عام 1922 وأصبح 1400 ألف في عام 1952 ، و 3ر5 مليون في عام 1966 . كذلك تفز تلاميذ الثانوي في 30 عاما من 10 آلاف الى 160 ألف طالب وطلاب العالي من 4 آلاف الى 40 ألف في نفس المدة .

وقد تناول الإصلاح نواح كثيرة من التعليم غير
افتتاح ابواب التعليم وزيادة الميزانية اذكر منها ما يأتي :

أولا) — توحيد التعليم الابتدائي والاصرار على المدرسة الواحدة تحقيقا للعدالة والديمقراطية وتكافؤ الفرص وتحقيقا للتجانس العقلي المؤدى الى وحدة الامة .

ثانيا) — التوسع في التعليم العالي والتعليم المهني والعلمي والعمل مما يؤدي الى تكوين القيادات والقوى العاملة المنتجة الحديثة .

ثالثا) — تقارب نظم التعليم في البلاد العربية ، فهناك توحيد السلم التعليمي والقدر المشترك والاتفاق على توحيد الاسس مع مراعاة الاختلافات في الظروف والبيئات .

رابعا) — العناية بتعليم الكبار وتعليم المعوقين واعداد المعلمين وتحسين الوسائل التعليمية .

خامسا) — العناية بدراسات البيئة وانماء الناحية القومية المحلية والعربية ودراسة مصادر الثروة في البلاد ودراسة احسن الطرق لاستغلالها .

سادسا) — الإصلاح الاداري وزيادة من اللامركزية مما ينمي روح التعاون وروح الاستقلال في وقت واحد .

سابعا) — وضع المدارس الاهلية والاجنبية في وضعها المقرر طبقا لاتجاهات الدولة .

وليس معنى هذا كما قلت ان التحرر السياسي (أو العسكري) صجبه تخطيط كاف للتحرر الثقافي والاقتصادي ، فكثير من الدول التي تحررت حديثا ييهرها التحرر العسكري والسياسي ثم تظل تتعثر في ألوان من الاحتلال الثقافي والاقتصادي مما يجعل

ألوان التحرر السياسي والعسكري شكلية سطحية ، ولذلك وجب أن يخطط للتعليم تخطيطا دقيقا يظهر الأرض العربية من الانضمام الثقافية ويظهر العقول العربية من السوم الفكرية ويعطيها المناعة والقوة حتى تنشئ المواطنين الاقوياء الذين يتحكمون بأيديهم في حقوقهم ومصائرهم وهنا يمكن أن نوجه عددا من الاسئلة :

(1) هل نحن نربي ابناءنا على الطاعة والامثال والخضوع لوامر خارجية أم نربيهم على التفكير والناقشة والانطلاق والتحرر وأصالة الرأي . وهل يمكن الجمع ؟

(2) هل نحن نربي ابناءنا على عادات ثابتة منظمة أم نربيهم على حسن التصرف وسعة الحيلة وتوقع الاحتمالات وخصوبة الافكار . وهل يمكن الجمع ؟

(3) هل نحن نربي ابناءنا على الواقعية وعلى المواجهة العملية للأمور أم نربيهم على مثالية خيالية لا مجال لتحقيقها الا في العبارات الجميلة والنصائح الثمينة وقصائد الشعر وقلائد النثر ؟

(4) هل نحن نربي ابناءنا على تحمل مسؤولياتهم أم نرعاهم ونعطف عليهم ونحمل مسؤولياتهم عنهم ، ونربيهم على الرخاوة والنعومة ونفقدهم الخشونة والصلابة والقوة والقدرة على تحمل التبعات . وهل يمكن الجمع ؟

(5) هل نحن نربي ابناءنا على الانفرادية أم على العمل المتعاون في جماعات تقف كالبنيان يشد بعضه بعضا . وهل يمكن الجمع ؟

هذه اسئلة عامة تؤدي بنا في طريق واضح الى اسئلة خاصة تتناول المناهج والكتب والطرق واعداد المعلمين . فنحن نريد ان نربي اجيالا متحركة اكثر منها ساكنة مستمتعة مطيعة ، اجيالا مفكرة اكثر منها حافظة .

لم تفكر الدول العربية حتى الان تفكيرا جديا في هذا الاتجاه ، لم تفكر في التربية المؤدية الى بناء الشخصية وانما فكرت في اناس يحفظون العلم ويؤدونه في الامتحانات ويأخذون الشهادات وهذه الشهادات هي لهم مفتاح الحياة سواء بنيت الشخصية أم لم تبين يرضعون بها من الدولة ما يشبه ما كانوا يرضعون منه من امهاتهم عندما كانوا اطفالا صغار السن .

ولننظر الان الى الارتام بصورة اعرق فنجد أن عدد التلاميذ والطلاب في كافة المراحل في العالم العربي

متجنبة البلاد العربية ، كل هذا زاد في عزل البلاد وفي تأخرها السياسي والاقتصادي .

وقد صاحب هذا التخلف والتجمد تخلف وتجمد في التعليم .

فحتى القرن الماضي كان التعليم المنتشر هو تعليم الكتاتيب وكان الغرض من التعليم قاصرا على الغرض الديني بمفهومه المحدود ، أما تعلم العلم للتعامل السليم والحياة الطيبة فلم يكن هو الأساس . ونظر المجتمع العربي للعلم نظرة ضيقة محدودة فاعتبروا الفلاسفة زنادقة واعتبروا علماء الطبيعة والرياضيات كفارا ، حتى ان الحسن ابن الهيثم (ونظرياته في البصريات تعتبر أساسا حتى اليوم) قد اعتبر في تلك الايام مارقا واتهم صراحة بالزندقة والكفر .

معنى هذا ان التعليم في العالم العربي كان خلال القرن الحادي عشر الهجري والثاني عشر الهجري او السابع عشر والثامن عشر الميلادي ، في حالة متجمدة راكدة متخلفة ثم بدأ الغرب يجرّد حملاته على العالم العربي، خصوصا بعد ان بدأ يتقلص الحكم التركي ، واستعمل الغرب في ذلك نتائج العلم الحديث مما كان قد كسبه من علوم العرب . وبدأ العالم العربي يصحو على ضربات الغرب ولكن هذه الضربات استمرت حتى تحولت الى غزو واحتلال بعضه من جانب انجلترا وبعضه من جانب فرنسا وبعضه من جانب ايطاليا وبعضه من جانب اسبانيا .

واتجه الفرنسيون في ذلك الوقت الى فرنسة البلاد التي دخلوها فقصّدوا الى محو الشخصية العربية وازالتها واحلال شخصية مفرنسة تابعة لهم. كذلك الانجليز اتجهوا في ذلك الوقت الى طبع البلاد بطابع يسهل لهم استمرار الحكم . ولا نريد ان ندخل في تفاصيل النظم والمناهج والطرق ولغة التعليم ، فهذه كلها أمور معروفة وما زالت بقاياها وآثارها موجودة حتى الآن . ولكن عهود الاحتلال تميزت بتضييق أبواب التعليم والتقييد عليه وجعله وسيلة لاعداد الموظف الطبع الذي يستخدمه لصالحه . وتميزت بالحد من التعليم العلمي والعملية والمهني واستخدام التعليم لايجاد طبقات ثقافية منفصلة بعضها عن بعضها الآخر .

ولنأخذ ناحية التقدير كمثال ، كان عدد المدارس الابتدائية الحديثة اول الاحتلال الانجليزي في مصر 34 مدرسة أصبحت هذه عددها 39 مدرسة بعد أربعين عاما،

وكانت نسبة موازنة التعليم الى موازنة الدولة 0.8٪ وقد تقدمت ببطء حتى أصبحت 4 ٪ بعد أربعين عاما وقد أصبح الآن ما يصرف على التعليم 17٪ من جملة ما يصرف من مجموع اعمال الدولة .

وخلال القرن الحالي بدأت الدول العربية تتحرر الواحدة بعد الأخرى .

ففي عام 1922 استقلت مصر بتحفظات مشهورة أربع ، والعراق في عام 1932 . ولبنان في عام 1943 . وسوريا في عام 1944 . وجمهورية جنوب اليمن الشعبية في عام 1967 . وليبيا في عام 1952 . وتونس في عام 1956 ، والمغرب في عام 1956 . والجزائر في عام 1962 . وهكذا تحرر العالم العربي من اوله الى آخره تقريبا والجزء الباقي في منطقة الخليج في سبيله الى التحرر النهائي .

وكل حركة تحررية تصاحبها ثورة تعليمية . هذه الثورة جزء من ثورة اصلاحية عامة تكون قوية قبيل الاستقلال وبعيده ، ثم تضعف حدتها ثم تعود قوتها مرة أخرى ، هذه ملاحظة تاريخية عامة . وتتناول هذه الثورة عداد من يتعلمون وتتناول كذلك انماء الروح القومية وانماء الصفات التي تساعد على المحافظة على الاستقلال وعلى تدعيمه وخلق الفرق بين نظام تعليمي يسبق التحرر ويعمل على خلق الانباع ونظام تعليمي يرافق التحرر ويحافظ على مكاسبه . فرق بين اعداد الشخصية التابعة واعداد الشخصية المستقلة . فرق اعداد الشخصية المتوقعة واعداد الشخصية المنطلقة البناءة .

وهنا نجد ان الدول العربية قفزت في ناحية الكم ولكنها من ناحية الكيف ومن ناحية محتوى التعليم حافظت أحيانا على ما درجت عليه مع الدول الحاكمة وأحيانا تدافع عنه حتى بعد ان تخلت عنه الدولة الحاكمة نفسها . اي انها تدخر بعض رواسب الماضي المتخلفة من المستعمرين ولهذا أسباب سيكولوجية يسهل تحليلها وفهمها في ضوء ما يسميه علماء النفس بالتناقض العاطفي Ambivalency حيث يجمع الانسان في نفسه بين الكراهية والاعجاب للموضوع الواحد .

ومن أمثلة القفزات التعليمية ان عدد تلاميذ الابتدائي في ليبيا كانوا 40 000 في عام 1952 واصحوا 159 000 في عام 63/64 ، واصبحوا 219 000 في عام 66/67 فكانت القفزة الاولى بمعدل 30٪ ، ولكن عندما اقترب التعليم من درجة التشبع وصلت 15٪

كان سلم التعليم مضطربا قبل التحرر وكان للمرحلة الواحدة انماط مختلفة منها نمط يحتوي الكتابات التقليدية والمدارس الاولى والمدارس الابتدائية والمدارس الاجنبية بانواعها المختلفة أي انه كان هناك أربعة أنواع من التعليم على الأقل في المرحلة الاولى مما يمزق وحدة الفكر في منبعه وبذلك يمزق الوحدة الوطنية .

فكان الوضع في تونس مثلا على النمط الآتي :

كانت هناك المدارس الفرنسية للذكور أو للبنات أو المختلطة .

والمدارس الفرنسية العربية للذكور .

والمدارس الفرنسية العربية للبنات .

والمدارس القرآنية العصرية .

والكتاتيب والمعاهد ذات الصبغة الفرنسية البحتة

والمعاهد التي سمي تعليمها صادقا أو تونسيا وفيها جمع بين الفرنسية والعربية .

والمعاهد الزيتونية الجارية في مناهجها وطرقها على المذاهب التقليدية الموروثة .

هذه الحال أو ما يشبهها كانت موجودة في كل بلد عربي تقريبا ما عدا المملكة العربية السعودية وكان الاحتلال يشجع هذه الفروق بل ويؤكد لها بأساليب مختلفة كالمصروفات المدرسية والامتحانات ومواد المنهج وتفاصيله وفرص العمل بعد التخرج ... وغير ذلك .

ويلاحظ أن هذه الأنواع يمكن تقسيمها الى تعليم ديني تقليدي ، وتعليم أجنبي ، وتعليم وسط يأخذ بجانب من النواحي التقليدية وبجانب من النواحي الأجنبية .

ولذلك كان أول ما اتجهت اليه البلاد العربية هو أن يكون في الدولة تعليم ابتدائي واحد لجميع أبناء الشعب مدته في العادة ست سنوات . وهذا حجر الأساس في تطبيق مبادئ العدالة والديمقراطية وتكافؤ الفرص وتكوين عقلية متجانسة متفاهمة داخل كيان الأمة .

وقد قامت الدول العربية إما منفردة أو خلال الجامعة بمحاولة توحيد سلم التعليم جملة وتفصيلا في البلاد العربية ، وقد اتفقوا على هذا في مناسبات مختلفة نذكر منها اتفاق الوحدة الثقافية وميثاق الوحدة الثقافية بين مصر وسوريا والأردن في سنوات 1957 و 1958 ،

واجتماعات وزراء التربية في بيروت وبغداد وطرابلس ليبيا، فقد اتفقوا على أن يكون سلم التعليم 6 للإبتدائي 3 للاوسط و 3 للثانوي . وتسير أغلب الدول العربية على هذا النظام فيما عدا الكويت ، فهي تسير على نظام 4 - 4 - 4 والمغرب 5 - 4 - 3 ولبنان 5 - 4 - 3 وبعض بلدان الخليج .

يسير السودان كذلك على نظام 4 - 4 - 4 وهو يبحث ويدرس في الوقت الحاضر ليسير على نظام قريب من 6 - 3 - 3 . وتسير المملكة العربية السعودية على النظام 6 - 3 - 3 وهو النظام الذي أوصى به مؤتمر بغداد عام 64 وأوصت به الاتفاقيات والمواثيق وهو النظام الشائع في العالم في الوقت الحاضر . ويجدر بي أن أذكر أن ليبيا كانت رائدة في هذا المضمار فقد وضعت هذا النظام وطبقته ابتداء من عام 1955 .

فيوجد الآن في كل بلد عربي قاعدة للتعليم الابتدائي مدتها في أغلبها 6 سنوات ثم تتدرج الى الثانوي من جزئين كل منهما طوله في أغلبها 3 سنوات ثم تتدرج الى التعليم العالي .

ويزداد التنوع في التعليم كلما ارتفع في سلمه . فبينما التعليم الابتدائي موحد للجميع يتنوع بعض الشيء في المتوسط ثم يتنوع أكثر في الثانوي ثم يتنوع في العالي أكثر وأكثر . هذه كلها أمور طبيعية منطقية .

والسؤال الذي يشغل المسؤولين في التعليم هل تكون هناك مدرسة واحدة متنوعة للمتوسط ينتقل التلميذ داخلها في خبرات مختلفة ويكشف فيها اتجاهاته ثم يختار طريقه أم تكون هناك مدارس متنوعة . وهل تطبق للتوجيه اختبارات أم خبرات وموضوع التوجيه في المرحلة الوسطى موضوع صعب يحتاج الى درس وتدقيق . ولا يكفي فيه الاقتداء بما يجري في الغرب .

وقد جربت على أية حال فكرة المدارس المتوسطة المنوعة التجارية والصناعية والزراعية والنسوية فلم تنجح ثم عدل عنها أخيرا في كثير من الدول .. وهذا موضوع طويل لا داعي للتوغل فيه الآن .

خلاصة الموقف أن جميع الدول العربية فيها تعليم ابتدائي للبنين والبنات أو مختلط ، ثم تعليم ثانوي مكون من جزئين ثم تعليم عال وبالدول العربية 26 جامعة منها جامعة الكويت والجامعة الليبية والجامعات الإسلامية والجامعات الأمريكية والفرنسية وغيرها ، يضاف الى هذا كثير من المعاهد العالية والكليات

السكانية فتعليم البنين اقرب الى درجة التشبع من تعليم البنات ولذلك نجد معدل النمو في الاول ابطء من الاخير . والتغير النسبي في تعليم البنات مازال ضئيلا مما يدل على ان القوى المحافظة في المجتمع العربي ما زالت تعمل بشدة في هذه الناحية .

* * *

ويمكن ان نسال هنا عن المسافة الواقعة بيننا وبين تحقيق تعميم التعليم الابتدائي لجميع من هم في سن التعليم الابتدائي في المجتمع العربي .

لكل الف من السكان العرب يوجد 170 طفلا من سن 6 الى سن 12 منهم 85 ذكر ، 85 انثى . من هؤلاء في عام 65/64 يوجد 60 ولدا ، 32 بنتا في المدارس الابتدائية . يوجد خارج المدارس لكل 1000 من السكان 25 ولدا ، 53 بنتا اي 8 مليون ونصف طفل في سن الدراسة الابتدائية لايتعلمون . يلاحظ ان بين المسجلين بالمدارس تلاميذ كبار وصغار وهذا يدخل في الاحصاء بعض التصحيحات التي تجعل ارقام 65/64 تقفز الى 9 ملايين .

اضف الى هذا ان السكان العرب ينمو عددهم بمعدل 2.8٪ تقريبا اي انه يتضاعف كل 25 سنة . معنى هذا ان عدد السكان في سن الدراسة الابتدائية سيكون 36 مليون في عام 1990 اي 3 مرات ونصف قدر المسجلين حاليا في المدارس . يصبح على العالم العربي ان ينفق 3 مرات ونصف قدر الميزانية الحالية على التعليم الابتدائي . هذا اذا افترضنا ثبوت الاسعار وثبوت التكلفة وعدم ادخال اي تحسين على نوعية التعليم . ولكن الابحاث التي اجريت قد دلت بأنه يمكن **ضبط الزيادة في حجم الاسرة** بتعليم الفتاة فكلما ازداد تعليم الفتاة نقص الانجاب وهذا امر يسهل تفسيره وبذلك يكون الانطلاق في تعليم الفتاة عاملا مهما في نشر التعليم اذ تصبح الاسرة عاملا في هذا وعاملا مهما في تخطيط الاسرة وتنظيم الانجاب وبالتالي عاملا اقتصاديا هاما في تحديد نفقات التعليم ورفع المستوى السكاني كيف لا كما .

* * *

وهنا انتقل الى نقطة اخرى تتعلق بسلم التعليم وتتابع مراحلها .

كله زاد من 8 مليون عام 1960 الى 12 مليون عام 1965 وازداد عدد تلاميذ الابتدائي من 6.3 مليون الى 9.7 مليون اي بمعدل سنوي قدره 11٪ منها 10٪ للبنين و 12٪ ونصف للبنات في نفس الفترة نجد ان عدد تلاميذ الثانوي (بمافيهم اعداد معلمي المرحلة الاولى والمدارس الفنية) قد ازدادوا من 1 مليون ونصف الى 2 مليون وذلك بمعدل 15٪ ، 63٪ للبنين ، 19٪ للبنات ونجد في التعليم العالي ان العدد ارتفع من 157 الف عام 1964 الى ربع مليون عام 1966 اي بزيادة معدلها 29٪ .

وعند التدقيق نجد ان معدل الزيادة لدى البنات في اي مرحلة من مراحل التعليم اعلى منها لدى البنين . وان معدل الزيادة في اي مرحلة اعلى منها في المرحلة السابقة فمعدل نمو العالي اعلى من معدل نمو الثانوي ومعدل نمو الثانوي اعلى من معدل نمو الابتدائي . هذا مع العلم ان نسبة البنات الى المجموع لم تتغير كثيرا في اي مرحلة ففي عام 1960 كانت 33٪ للابتدائي وفي عام 1965 اصبحت 35٪ وفي عام 1960 كانت 25٪ للثانوي وفي عام 1965 اصبحت 26٪ للثانوي ، وفي الجامعة ارتفعت من 17 الى 19٪ .

ونجد بالنسبة لليبيا ان اعداد التلاميذ والتلميذات قد نمت بنسب كبيرة ونجد ان هناك نوعين من النسب بعضها يرجع الى ما بعد الاستقلال وقبل ظهور البترول وبعضها يرجع الى ما بعد ذلك ، ففي الفترة الاولى نجد ان معدل نمو الابتدائي 10.2٪ وفي الاخرة نجده 14.8٪ وبالنسبة للفني نجده في الاولى 5.1٪ وفي الثانية 12.4٪ ، ولاعداد المعلمين نجد في الاولى 5.4٪ وللثانية 47.9٪ .

كذلك نسبة البنات الى المجموع نجد بها بعض الظواهر التي تستحق الدرس فقد تغيرت هذه النسبة للابتدائي من 18٪ في عام 60/59 الى 28.9٪ في عام 67/66 وتغيرت بالنسبة للثانوي من 4.2٪ في عام 60/59 الى 8٪ في عام 67/66 وتغيرت بالنسبة لاعداد المعلمين من 15.8٪ في عام 60/59 الى 35.7٪ في عام 67/66 .

وتوجد في هذه الارقام وفي غيرها ظواهر كثيرة يمكن تفسيرها . من هذه الظواهر ما ذكرناه من فروق في معدل النمو في مختلف المراحل الابتدائي والثانوي والعالي والبنين والبنات ومن تقدم ظاهر في تعليم البنات مع قلة في التغير النسبي ويمكن ارجاع هذا كله الى البعد والقرب من درجة التشبع بالتعليم في البنية

الانريقي التابع لمنظمة اليونسكو الموجود بالخرطوم والمختص بالمباني المدرسية وذلك لتخفيض النفقات ليتمكن التوسع في المباني .

أما موضوع المعلمين فقد دلت الدراسة على أن بالعالم العربي ما يقرب من 66 ألف مدرس بالابتدائي غير مؤهلين وهؤلاء يعلمون ما يزيد على 2 مليون تلميذ فإذا عرفنا أن المعلمي المؤهلين بينهم نسبة قليلة الكفاءة ارتفع العدد فوق 2 مليون وإذا عرفنا أن الإقبال على مهنة التعليم قليل وأن العناصر الطيبة تميل إلى الابتعاد وجدنا أن الأمر في حاجة إلى علاج حاسم . ويقل الإقبال على مهنة التعليم أكثر وأكثر في البلدان المنتجة للبتروول ففي المملكة العربية السعودية نجد 49٪ من الذكور و 90٪ من الإناث في مهنة التعليم الابتدائي هم من غير السعوديين ونجد في الثانوي 73٪ من الذكور و 100٪ من الإناث من غير السعوديين .

وقد أحست ليبيا بهذه المشكلات وأنشأت عددا من معاهد المعلمين والمعلمات العامة تطورت بعضها إلى ما يسمى بالمعاهد الخاصة ، هذا لأعداد المعلمين والمعلمات للمدارس الابتدائية ، وسواء في أعداد المعلمين والمعلمات للمرحلة الأولى أو المرحلة الثانية ، فإن هناك معونات ومكافآت لاجتذاب خير العناصر إلى مهنة التعليم ، وأشير بهذه المناسبة إلى أن منظمة العمل الدولية بالاتفاق مع منظمة اليونسكو قد وضعت مجموعة قيمة من التوصيات بالنسبة للمعلمين وهي تتناول رواتب المدرسين وتدريبهم وأعدادهم وظروفهم وهي دليل طيب لكل وزارة تعنى بشئون المدرسين وتطوير أحوالهم وتصلح دستورا للعمل الطويل المدى .

ومشكلة المشاكل في أعداد المدرسين هي أننا لا نريد مدرسا فحسب وإنما نريد أن نعد مدرسا يعد مواطنين لمجتمعات متطورة ومتغيرة وأن سرعة هذا التغير متزايدة ولابد أن يكون هناك فرق بين المدرسين المألوفين الذين يساعدون التلميذ على حفظ مادة أو فهمها للنجاح بها في امتحان تقليدي لم يتغير تغيرا يذكر (ولا في أمريكا بلد التجريب) منذ أن ابتدعه الصينيون منذ آلاف السنين وبين المدرسين الذين يراد منهم أعداد مواطن واقعي عملي مسئول واضح الرؤية سريع التصرف واسع الحيلة سهل التكيف فيما يواجهه من عالم سريع التغير أبعاده دائمة الانكماش .

وبمناسبة الامتحان توجد مسألة أخرى وهي رسوب التلاميذ وتسربهم وقد لوحظ أن التسرب في مدارس

الريف أكثر منه في مدارس المدن وأن التسرب في مدارس البنات أكثر منه في مدارس البنين وأن تسرب البنات في المدارس المختلطة أكثر من تسرب البنات في المدارس غير المختلطة ونسبة التسرب في مجموعها عالية جدا مما يزيد الإهدار ويزيد التكلفة وتصل نسبة الإهدار أحيانا إلى أكثر من 10٪ مما يخفض تلاميذ السنة السادسة إلى أقل من نصف تلاميذ السنة الأولى .

ويظن البعض أن الريف لم ينل حظه من المدارس وأن البنات لم ينلن حظهن من المدارس ، ولكن يلاحظ أن مدارس الريف الحالية أكثر تخلخلا من مدارس المدينة وأن مدارس البنات أكثر تخلخلا من مدارس البنين ومعنى هذا أن وجود المباني المدرسية شيء واقبل الناس عليها شيء آخر ، فليس المهم إذن أن نكثر من المباني وإنما المهم أن نعالج أفكار الآباء واتجاهاتهم نحو التعليم وربما كان التعليم نفسه في حاجة إلى إصلاح لبعض المواءمة .

وهناك موضوع هام بالنسبة للتنمية الاقتصادية وهذا الموضوع يتعلق بالتعليم الفني والمهني . إذا درسنا نسبة التعليم المهني إلى مجموع التعليم الثانوي ودرسنا تطور هذه النسبة على سنوات فأننا نجد أنها ارتفعت في الأردن في سبع سنوات من 2٪ إلى 4٪ وفي السودان من 3.5٪ إلى 7٪ وفي الج.ع.م من 13٪ إلى 19٪ . ليس معنى هذا أنه ليس هناك تقدم في أعداد من ينتسبون للتعليم الفني فالتقدم كبير ولكن التقدم النسبي للتعليم الفني إذا قيس بالتعليم العام صغير جدا .

وواضح أن البلاد في حاجة ماسة إلى المهارة الفنية واليدوية في كل الميادين ففي السودان نجد أن 86٪ يعملون في الزراعة و 8٪ في التجارة والخدمات ، 6٪ فقط يعملون في الصناعة وفي الجزائر نجد 42٪ يعملون في الزراعة ، 55٪ في التجارة والخدمات ، 3٪ فقط في الصناعة والذين يعملون في الصناعة نجدهم 11٪ في المغرب ، 10٪ في تونس ، 14٪ في العراق ، 20٪ في سوريا ، 6٪ في ليبيا .

ولعل للمشكلة أساسا نفسيا قديما يشاهد منذ زمن بعيد فالتناس في العالم العربي لا يحبسون العمل اليدوي أو الفني خصوصا إذا قارناهم بأهل العالم المتقدم لأن العمل الغير اليدوي (أو الذهني) ارتبط في أذهان الناس بالسلطان ووظائف الحكومة والجاه

المستقلة يزيد عددها عن الخمسين وتركز على تخريج فنيين متخصصين من مستوى عال .

وهنا نجد أن كل مسؤول عن التعليم يسأل نفسه عن شكل الهرم التعليمي والنسب بين أجزائه فالقاعدة هي الابتدائي يليها الثانوي بأجزائه وأنواعه ثم العالي بأجزائه وأنواعه . ويمكن أن يدرس الهرم وذلك بتحليل أجزائه من حيث الشكل والمحتوى أو من حيث ما ينفق على كل جزء أو من حيث أعداد التلاميذ في كل مرحلة . فإذا أخذنا الهرم من حيث أعداد التلاميذ نجد أن الشكل العام للهرم يختلف باختلاف درجة تقدم الدولة .

ففي فرنسا مثلا كل 100 تلميذ في الابتدائي يقابلهم 56 في الثانوي و 7 ونصف في العالي . وفي أمريكا الشمالية كل 100 تلميذ في الابتدائي يقابلهم 40 في الثانوي و 10 ونصف في العالي .

ومتوسط العالم كله به 100 للابتدائي و 26 للثانوي و 6ر3 للعالي . بينما العالم العربي والمتوسط به 100 للابتدائي و 7ر20 للثانوي و 3 للعالي . وفي المغرب 100 للابتدائي يقابلهم 16 في الثانوي و 8ر0 في العالي . وفي السودان 100 للابتدائي يقابلهم 2ر12 للثانوي و 7ر0 في العالي . وفي المملكة العربية السعودية 100 للابتدائي 9 للثانوي ثم 2 للعالي .

ونجد الموقف في ليبيا في عام 60/59 إذا كان للابتدائي 100 يكون الثانوي 7ر10 وللعالي 5ر0 وفي عام 66/67 إذا كان للابتدائي 100 يكون للثانوي 7ر15 والعالي 8ر0 . وقد حسبنا في هذا التعليم الزراعي ولكن لم نحسب من يتعلمون في الخارج وهم جد كثيرون .

والذي يهمنا الآن انه إذا كان عدد التلاميذ في المرحلة الابتدائية يمثلون فعلا 60٪ ممن هم في سن التعليم الابتدائي فإن 20٪ من هؤلاء فقط يذهبون للثانوي و 3٪ منهم يذهبون للعالي .

هذا من جهة ومن جهة أخرى إذا قارنا فرنسا مثلا بالعالم العربي نجد بحسب الدراسات لعام 1966/1965 أن في فرنسا لكل 1000 من السكان يوجد 118 في الابتدائي و 66 في الثانوي و 5ر8 في العالي .

بينما في العالم العربي كله لكل 1000 من السكان يوجد الآن (أي في عام 1966) 100 طفل بالابتدائي و 20 في الثانوي و 3 في العالي .

وليست المشكلة قاصرة على قلة تشبع المجموعة السكانية بالأعداد التي تتعلم من كل نوع وإنما تنعدها إلى تفريع التعليم وتنويعه وإلى ربط المراحل والأفرع بالحاجات الاقتصادية وما تتطلبه من قوى عاملة وإلى تكوين المواطن الذي يمكنه أن يضطلع بمسؤوليته ويحافظ على مكاسبه وينميها .

* * *

وواضح أن وجود الجامعات له تأثير طيب على التعليم الثانوي ووجود التعليم الثانوي له أثر طيب في رفع مستوى الابتدائي . ولكن هناك خطر يجب الالتفات إليه فهناك نزعة لجعل برامج الثانوي كبرامج مصفرة للجامعة وبرامج الابتدائي كبرامج مصفرة للثانوي ، فإذا درسنا المدارس الزراعية الوسطى مثلا في بعض البلدان نجد أنها برامج مضغوطة لما يعطى في كليات الزراعة ، وهذا يؤدي إلى التكديس ويفقد كل مرحلة من مراحل التعليم أهدافها وخصائصها . وللجامعة خطر آخر وهي أنها تجتذب أنظار التلاميذ فتصرفهم عن الالتحاق بالدراسات المهنية والفنية . وقد لوحظ في بعض البلدان العربية أن تيسير دخول الجامعات يتبعه خفض في أعداد الملتحقين بالمدارس الفنية والمهنية ولذلك يجب أن تكون لهم فرص مناسبة لدخول الجامعات . لست بهذا أنادي بعدم تشجيع الجامعات بل على العكس وقد كنت ممن أشادوا بفتح الجامعة الليبية في عام 1955 واعتبرني البعض في ذلك الوقت رجلا خياليا نظريا . ومع ذلك فقد صدر الرسوم في أواخر عام 1955 والذي أنادي به هو كما كررت وجوب مراعاة التوازن بين المراحل المختلفة بعضها وبعضها الآخر وجوب التوازن بين ما يقدمه التعليم وما يحتاج المجتمع لكي ينمو وينمي نفسه باطراد مستمر .

* * *

ويمكنني الآن أن أنتقل من الكلام عن المراحل إلى مسألة أخرى . معدل النمو في تلاميذ الابتدائي 11٪ ، ولكن معدل نمو المعلمين 5٪ ، ومعدل نمو المباني 3٪

أما سرعة نمو التلاميذ فمعناها التعطش الشديد للتعليم والبطء في نمو أعداد المعلمين له عوامله الكامنة في المهنة وروايتها ومسئوليتها وجاذبيتها . أما البطء الشديد في نمو المباني فسببه كثرة التكاليف والافتقار إلى العقلية التخطيطية . ويمكن الاستفادة من المركز

ج - أن تكون فحوى المنهاج عربية فيدرس الطالب ديانته وتاريخ بلاده وجغرافيتها وتكوينها الاجتماعي وعاداتها وتقاليدها وآدابها ونظمها كما يدرس موارد الثروة الطبيعية فيها ويعرف مواطنها ولا يجوز أن يستغرب النص على هذا فلم يكن هذا هو الواقع في كثير من البلاد العربية حتى عهد قريب فكان هم المستعمر أن يجعل عقل المواطن غريباً عن وطنه وأن يضعف ثقته في نفسه وفي بلده وكان يتم له كل ذلك بواسطة التعليم .

وهذا كله يقتضي علاجاً للكتب والمناهج واعداد المعلمين وتجهيزات المدارس واستعداداتها وطرق التدريس والتوجيه والامتحانات ويقتضي دراسة جيدة للغة الأجنبية ، هل تكون لغة أو لغتان ، ومتى يبدأ تعليم اللغات الأجنبية وفي أي سن وكيف يكون السير فيها .

ويجب بمناسبة اللغة أن نثير موضوع التربية اللغوية وأن نبحث ما إذا كانت اللغة مجرد وسيلة لنقل الافكار أم هي أمر أعمق وأدق من ذلك بكثير أم هي جزء لا يتجزأ من حضارة الأمة وثقافتها وكيانها .

وهناك بعض ملاحظات خاصة بالتعليم الجامعي والعالي ، فهو يتقدم الآن سنوياً بمعدل 29٪ غير أنني أود أن أوضح بعض الخصائص ، ولنأخذ مثلاً بارزاً جداً من العراق . فقد نمت اعداد الطلاب في الجامعات في ست سنوات بمقدار 250٪ بينما زاد عدد المدرسين بمقدار 76٪ فقط . وهذه الظاهرة ليست قاصرة على العراق وحده .

يلاحظ كذلك أن التعليم الجامعي ينمو متأثراً بالضغط الاجتماعي أكثر مما ينمو متأثراً بمطابقته لحاجات البلاد . وقد أصبحت لدى الناس فكرة أن كل من ينهي تعليمه الابتدائي صالح لمتابعة الثانوي وكل من ينهي تعليمه الثانوي صالح لمتابعة الجامعي وكل من ينهي الجامعة صالح لنيل الماجستير والدكتوراه . واهتمام الناس بالتعليم الجامعي وتيسير الدخول له هو كما قلت أحد العوامل التي تضعف التعليم الفني المتوسط والثانوي وتخفف كذلك من مستوى التعليم الجامعي نفسه . فيجب أن يبنى دخول الجامعة على أساس القدرة على متابعة الدراسة لا على أساس مجرد النجاح في الثانوي .

والظاهرة الأخرى هي أن الجامعات العربية كما ذكرنا تضم طلاباً يقومون بدراسات نظرية أكثر مما

تضم طلاباً يقومون بدراسات عملية وقد سهل هذه الظاهرة فتح باب الانتساب . وقد أصبح من يدرسون دراسات نظرية إلى مجموع الطلاب يتراوح بين 55٪ في أحسن أحواله و 85٪ . ولكن وجد أن المبعوثين للدراسة في الخارج على نفقة الحكومات تتغير نسبتهم بسرعة واضحة نحو الدراسات العلمية والعملية مما يبين عن اتجاه صحي سليم .

وقد دلت الدراسات التي أجريت بإسهام مكتب العمل الدولي أن نقص الأيدي العاملة ليس فيمن يدرسون المواد الأدبية والاجتماعية وإنما هو في المهندسين بكافة أنواعهم وفي العلماء العلميين والتطبيقيين وفي الطبقة العاملة الماهرة الوسطى .

ومما قلناه عن التعليم والمتوسط والعالي يمكننا أن نرى بوضوح فقدان التوازن بين اتجاهات التعليم من جانب وبين ما تتطلبه النهضة الاقتصادية في العالم العربي من جانب آخر . وهذا الذي نشاهده في العالم العربي جملة نشاهده في كل دولة عربية تقريباً .

الآن وقد تكلمت عن التعليم العالي فمن الطبيعي أن أتكلم عن أسس تطويره وأن أتكلم عن ما يتبع التعليم العالي وما يصاحبه من بحوث ودراسات علمية . وقد بدأ العالم العربي يهتم بالبحوث وقد ظهر فيه باحثون متميزون ، ولكني أحب أن أنوه هنا بأن الدراسات قد أثبتت أن ما ينفق على البحوث العلمية له مردود اقتصادي عظيم وقد أثبت الاقتصاديون في بعض الحالات أن مردود البحث العلمي يعادل 600٪ مما ينفق عليه ، ولذا وجب على العالم العربي أن يعطي عناية أكبر للبحث العلمي فيما يتعلق بموارده وواقعه ، والا يقصر العمل في الجامعات على التدريس الروتيني الذي لابد أن يتدنّى بغياب البحوث .

* * *

بقي أن أتكلم عن الإدارة التعليمية وتطورها في السنوات الأخيرة وبدء التمييز بين المركزية واللامركزية وليست المشكلة مشكلة مركزية أم لامركزية وإنما هي أن تتفرغ الوزارات للبحوث والدراسات والتخطيط والتوجيه العام وأن تتفرغ الإدارات المحلية للتنفيذ على أن الإدارات المحلية لها دور تلعبه في التخطيط لا يمكن التفصيل فيه هنا . وعلى الوزارات دور تنفيذي كذلك يتناول المتابعة والتقييم .

والانتساب للعائلات الكبيرة الكريمة وغير ذلك . واما العمل اليدوي فقد ارتبط بالكد والعبودية والاجانب ولذلك نظر الناس للتعليم على انه وسيلة لتجنب **ابنائهم مزاولة العمل اليدوي** . وكنا نأمل ان يعالج المدرس هذه الناحية ولكننا نجد عادة ان مدرس القرية نفسه هو الشخص الذي تجنب العمل اليدوي بمتابعة قسط من التعليم جعل منه مدرسا واعطاه زعامة في القرية فهو يكره العمل اليدوي كراهية لاشعورية ، ولذلك فلا يمكن ان يغرس في تلاميذه ما تخلص هو منه .

ولهذا يتضاfer الوالد والمدرس وتتضاfer النظرة الاجتماعية ، كل هذا بطريقة لاشعورية غالبا لتعطيل تقدم التعليم الفني ، ومعروف ان الناس لايقبلون على المدارس الفنية الا اذا اقبلت في وجوههم ابواب المدارس النظرية الاخرى . فالمدارس النظرية هي الطريق للجامعة وبعبارة اخرى هي السلم الذي يرتقي عليه المتعلم فينتقل من طبقة الى طبقة اعلى .

كذلك نعلم ان تقدم الصناعة يقوم على اليد العاملة الوسطى وهذه تختفي دائما ذلك لان من يتم التعليم الابتدائي يدفع بنفسه حتى آخر الشوط ومن لا يتمه يبقى في طبقته .

ولذلك تتصف القوة العاملة في بلادنا العربية بتوفر نسبي في القوة العاملة العليا الاطباء والمهندسين والمحامين والقوى العاملة الصغرى وهي العمال مع فراغ كامل او يكاد يكون كاملا في القوة الفنية العاملة الوسطى كمهندسي العمليات ومساعدى المختبرات والمعامل . ولذلك نجد ظاهرة اهدار في العمل . فالعامل البسيط يقوم بعمل اعلى من مستواه فيفسده ، ويقوم الطبيب مثلا بعمل يمكن ان يقوم به الممرض او مساعد العمل او المختبر .

* * *

بعد هذا نلاحظ في التعليم الثانوي ظاهرة اخرى وهي تحول في التخصص من المواد الفلسفية والاجتماعية والادبية الى العلوم العلمية والعملية لان هذه الاخيرة تؤدي الى كليات الهندسة والطب وخريجو هذه اكثر رواجاً من خريجي الكليات الادبية .

غير ان الكليات النظرية مع قلة رواج خريجيهما اكثر انتشارا من غيرها وذلك لسهولة انشائها (فلا

ورش ولا مختبرات) ولقلة تكاليفها . هذا اذا تيسرت بالكليات العلمية والعملية .

وليس معنى ذلك انه ليست هناك محاولات من المصلحين فقد شهدت الدول العربية اهتماما بالتعليم الفني منذ اكثر من عشرة اعوام وذلك بايجاد تعليم فني متوسط وتعليم هندسي وعلمي عالي . ولذلك اكتملت مراحل التعليم المهني والفني فأصبح فيها المتوسط والثانوي والعالي وأصبح هناك مجال لاعداد المعلم للمدرسة الصناعية داخل المعاهد التربوية الصناعية الموجودة حاليا في مصر والمملكة العربية السعودية .

ومعنى هذا ان هناك جهدا مشكورا ومعناه كذلك ان الطريق ما زال طويلا وانه لابد من مضاعفة الجهود . ومشكلة التعليم الفني ليست مشكلة وزارة التربية وانما هي مشكلة الدولة كلها وهي في حاجة الى جهود جريئة خلاقة .

* * *

وبالنسبة للتعليم الثانوي كذلك طرأت في البلاد العربية **تعديلات في المناهج** لعل اهمها ما انجحت اليه بعض البلاد اخيرا من العناية بدراسة الجيولوجيا والعلوم البترولية والمجتمع العربي من حيث موارده واقتصاده وبنيته . وحيث ان البلاد العربية قد تختلف في تفاصيل برامجها وان اتفقت في الاهداف فانه يمكن تلخيص التحول في برامج التعليم الثانوي في العالم العربي على انه يتناول النواحي الآتية :

1 - العناية بالعلوم العلمية التطبيقية والتجريبية .

2 - العناية بالعلوم ذات الصلة بالموارد الطبيعية .

3 - العناية بالعلوم الاجتماعية المتصلة بالمجتمع العربي .

4 - التعريب ومشكلاته كثيرة ويتناول التعريب ثلاث نواح :

أ - أن يكون المدرس عربيا وأن لا يكون اجنبيا الا اذا افترق العربي الكفاء تماما . ويفضل دائما المدرس الليبي لليبيا والعراقي للعراق .

ب - أن تكون لغة التدريس هي اللغة العربية فيها تدرس جميع المواد ما عدا اللغة الاجنبية ذاتها .

من الرواية إلى النثر (١)

للدكتور طاهر أحمد مكي
أستاذ الأدب الاندلسي بكلية العلوم
جامعة القاهرة

ولاحقه . ومن تأمل هذا الاسناد ندرك ان الرواية قد يكون ابن الشاعر ، او احد اقربائه ، وقد يكون غريبا عن القبيلة كلها ، فالخطبة عسى من مضر ، وهدبة عدرى من حمير . ويصبح دور الراوي اكثر اهمية بعد وفاة الشاعر ، لانه يتعدى مهمة نشر قصائده الى جمعها ، واظهار الظروف والمناسبات التي اوجت بها ، وتفسير الاشارات التاريخية التي تتضمنها ، ويصبح بحكم الواقع امينا على تراث هو ثمرة حياة صانعه ، ومناطق اهتمام القبيلة التي ينسب فيها .

وكان شعراء كل قبيلة وافرادها يروون شعر اسلافهم ، وظهور شاعر كبير في القبيلة مدعاة للفخر ، والاحتفاظ بآثاره شيء تفرضه العصبية ، وضياها امر يمس شرف القبيلة ، واصدقاء الشاعر يستظهرون بعضا من قصائده . وئمة فارق بين حفظ القبيلة وحفظ الرواية ، القبيلة تحفظ من قصيد شاعرها ما يعلى شأنها ، ويسجل امجادها ، فاذا تعرض لحرب هزمت فيها تناست ذلك الشعر ، او ما يمسها منه على الاقل ، وروايتها له لا تجري على نسق واحد ، وانما ترتبط بأعمار افراد القبيلة وامزجتهم . يحفظ منه الشباب ما كان غزلا يمس العواطف ، ويردد الرجال ما كان حماسة تلهب المشاعر ، ويتمثل الشيوخ بما كان حكمة ترضي العقل ، اما الرواية المحترفة فيحفظ ذلك كله ، الغزل والحماسة والحكمة ، الرثاء والهجاء والفخر ، ما بلغ فيه الشاعر القمة او قصر عن الاجادة .

لم تعد معرفة عرب الجاهلية للكتابة موطن شك ، ان كثرة منهم في الحواضر ، وقلة في البادية ، كانت تقرا وتكتب . ولم يعد مناخ اختلاف ان بعضا من آثارهم الادبية قد دون ، لكنها احاد لا تبرر التعميم ؛ لان الشعر اكثر ما يكون في البادية ، والبادية اكثر ما تكون راحلة ، وما يكتب عليه في تلك الحقبة من التاريخ - حجارة او عظما او خشبا او اديما او عسيرا او فمasha ، وكان اندرها واغلاها تمنا - لا يتهيا نقله في سهولة ، فقصورا تدوينهم على ما اقتضته الضرورات الاجتماعية والاقتصادية من الصكوك والعهود والاحلاف والمواثيق ، والرسائل المقتضبة ، والكتب الدينية ، والقليل من الشعر ، اما كثرته الغالبة فكان مجال حفظها الذاكرة والرواية .

وقد اضطلع الشعراء انفسهم بدور هام في الرواية ، فكانت لهم المدرسة التي يتعلمون فيها صوغ الشعر ونظمه ، والتمرس بأساليب الكلام وفنون القول ، ومن اراد ان يصبح شاعرا لزم واحدا من فحولهم ، يحفظ عنه ، ويروي له ، ويترسم خطاه ، ولدنيا معلومات لا بأس بها عن اتصال هذه الروايات . كان زهير بن ابي سلمى راوية اوس بن حجر ، وكان كمب ابن زهير والخطبة راويتي زهير ، وكان هدبة بن خشرم العذري راوية الخطبة ، وجميل بثينة راوية هدبة ، وكثير غزة راوية جميل ، وتكاد الخصائص الفنية لشعر كل منهم تتقارب مع خصائص سابقه

والمهم في الإدارة الفاجحة أن تكون أداة لانجاز الأعمال في سهولة وسرعة وكفاية وهذا يتطلب تحديد المسؤوليات وأن يكون لدى المسؤول من القوة والمقدرة والسلطة ما يمكنه من حل مسؤوليته وأن يكون لديه من حرية التصرف ما يمكنه من سرعة البث على أن يكون هناك كذلك نوع من الرقابة التي لاتضعف حتى يصاب العمل بالاهمال والتراخي ولا تشتت حتى يصاب العمل بالتوقف والتعقد .

ومعروف أن هناك نوعا من الشدة بين القوى المحلية والقوى المركزية ، فالمركزية تنهم المحلية بعدم الكفاءة . والمحلية تنهم المركزية بعدم لاسها للمشكلات وبتعطيل العمل عن طريق التركيز . وهكذا مما هو معروف من أنواع الاتهام .

وقد أحرزت الدول العربية تقدما عظيما في الإدارة التربوية كما شوهد ذلك في قانون رقم 16 لعام 1964 في الاردن وكما شوهد حديثا في الجزائر وما يشاهد في كل بلد عربي تقريبا .

* * *

وهناك موضوعات كثيرة يمكن معالجتها ، فهناك تكلفة التعليم وتمويله وموازناته وعلاقتها هذه بالموازنة العامة للدولة وعلاقتها كذلك بالدخل القومي العام وتدل دراسة الموازنات على نمو مستمر في ميزانية التعليم في البلاد العربية وفي المملكة الليبية بنوع خاص فقد وصلت النسبة الى 4٪ من الدخل القومي العام ، وهذه هي النسبة التي وصلت اليها أكثر البلاد انفاقا على التعليم . وتتراوح نسبة ميزانية التعليم الى ميزانية الدولة في العالم العربي بين 9٪ - 23٪ .

وهناك أمور كثيرة أخرى ، هناك الامية ومعالجتها والوقاية منها . هناك تعليم الكبار في مجتمع متغير يغير الانسان فيه بيئته وعمله وطبقته . هناك تعليم المعوقين من صم وبكم ومكفوفين وعجزة من مختلف الصنوف والالوان . هناك استخدام الوسائل الجماعية التي ظهرت والتي ستظهر من تليفزيون وراديو وصحافة وسينما وتلستار استخداما في اطار المدرسة وفي الاطارات اليومية العادية . هناك تطوير المدرسة في ضوء المتغيرات السكانية وتفجر الوعي وتفجر المخترعات والمكتشفات ، وفي ضوء الانتشار

للمعلم والمبنى والتجهيزات والاموال مما سنواجهه بعد اقل من عشر سنوات من الان ، هناك مسائل أخرى بسيطة كالمناهج والكتب والامتحانات والتفتيش وهي بسيطة اذا قيست بما هو أكبر منها وما يشملها وهو التربية العلمية والعملية الواقعية التكنولوجية التخطيطية اللازمة لاساب جسم الامة المناعة والقوة لاسترداد حقها وحمايتها والقدرة على تطوير نفسها وتنميتها .

وواضح انه ليس من الممكن أن نستعرض أوضاع التعليم بصورة شاملة . ولكن أهم ما فيه انه يتقدم بسرعة كبيرة ، ومع ذلك فاذا نظرنا للمستقبل نجد انها غير كافية . واضح ان التعليم يرتفع كما وينحدر كيفا ، واضح كذلك ان التعليم يتقدم بصورة منعقدة التوازن ، فليس هناك توازن بين نمو التلاميذ ونمو المباني ونمو المعلمين . ليس هناك توازن بين تعليم البنين وتعليم البنات . ليس هناك توازن بين التعليم الفني والتعليم العام ، بين التعليم في الريف والتعليم في المدينة ، وبين اجزاء السلم التعليمي المختلفة الابتدائي والثانوي والعالي بين التعليم جملة وما تتطلبه التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفي الفرد نفسه . غنيا بالعقل أكثر مما غنيا بالقلب واليد . غنيا بالعقل أكثر مما غنيا بالوجدان والحس والخلق والشخصية . وحتى هذا العقل غنيا فيه بالحفظ والاستذكار أكثر مما غنيا بالتفكير والمبادرة والابتكار . ولهذا نكون مواطننا ضامر القلب والبدن واليدين كبير الرأس وحتى هذه الرأس محشوة حفظا وتسجيلا فارغة ابتكارا وتفكيراً . اتجهنا الى تكوين الانسان المطيع السلبي القليل التصرف المسلوب الهمة أكثر مما اتجهنا الى بناء الشخصية القوية المنطلقة الحرة المتصرفة .

هذه بعض مظاهر التعليم ولهذا فان التعليم يحتاج الى تنسيق وتخطيط حتى ينمو نموا متوازنا ويحتاج الى اصلاح قائم على البحث العلمي السليم ، ويحتاج ونحن في ازمتنا الراهنة أن نشخص ازمتنا من روائها .

وهذا ينقلني الى أهمية التخطيط وأهمية البحث العلمي في التربية ، وأهمية أخذ نوعية التعليم وكيفية ومستواه وإدارته ومعالجته مأخذ الدرس الجاد ومأخذ الجراة .

لبنان : عبد العزيز القوصي

« مصور جغرافي » في العربية يعود الى هذا الجيش ، فعند ما استنبط الحجاج حصار قائد لبخاري ، ارسل اليه يطلب منه « مصورا جغرافيا » للمنطقة ، وعندما تلقى هذا « المصور » درس الوضع الحربي في ضوئه ، وارسل الى القائد بتعليماته . وفيما بين عامي 80 و 84 هـ وجد في كرمان (1) ديوان شعر لابي جلدة اليشكري . وفي نفس هذه الفترة اتخذ عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله الجمحي بيتا جعل فيه شطر نجات ونردات وقرقات (2) ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار أوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جر دفترا فقراه ، او بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم . وكان في « كتاب » معاصره الضحك ابن مزاحم ثلاثة آلاف صبي يتعلمون القراءة والكتابة ، وكان يطوف بهم على حماره .

فاذا وصلنا الى نهاية القرن الاول الهجري ، بداية الثامن الميلادي ، أصبح بين أيدينا من الدلائل ما يجعل تدوين الشعر امرا مقرا . فالخطاط خالد بن ابي الهياج كان يكتب للخليفة الوليد بن عبد الملك (ت 96 هـ - 715 م) « المصاحف والشعر والاخبار » . وسلامة القس كانت تملك بعد وفاة عمر بن ابي ربيعة (ت 101 هـ - 719 م) مجموعة من اشعاره التي يغني بها . والخليفة الوليد بن يزيد (ت 127 هـ - 744 م) امر بجمع « ديوان العرب وأشعارها واخبارها وانسابها ولغاتنا » . لكن هذا التدوين كان ، فيما يبدو ، عملا عفويا وفرديا ، يخضع لاذواق الاشخاص ومتطلبات السياسة . ويخيل الي ان طريقة الكتابة في البدء كانت وراء قلة التدوين ، وانتشار الرواية ، لانها - رغم الاصلاحات التي ادخلت على النقط والاعجام زمن الوليد بن عبد الملك - لم تكن كافية لرسم النصوص الصعبة المحشوة بالكلمات النادرة ، واسماء الامكنة الغريبة ، فبقى الاعتماد على الذاكرة امرا ضروريا لقراءة القصيدة المكتوبة قراءة دقيقة وصحيحة ، الى ان ثبتت فيما بعد قواعد الرسم والاعجام ، على نحو ما سندرسه بعد قليل .

(1) كرمان : مقاطعة في ايران .

(2) النرد : ما يعرف اليوم بالطاولة . قرقات : جمع قرقة ؛ وهي لعبة للصبيان .

(3) محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، ابو النضر ، من اصل عربي ، قضى حياته بين البصرة والكوفة في دراسة التفسير والانساب والتاريخ ، توفي سنة 146 هـ - 763 م .

(4) ابو الحكم ، من بني كلب ، كان عالما بالشعر والانساب والاخبار ، توفي عام 147 هـ - 764 م . ذكر ابن النديم في الفهرست انه ألف « سيرة معاوية وبني امية » ، وقد ضاع ، واغلب العلماء على انهما كتابان منفصلان ، واراها كتابا واحدا .

ولا تكاد نتجاوز القرن الاول الهجري . ونمضي في الثاني شيئا ، حتى نلتقي بطبقة جديدة من الرواة العلماء ، من العرب او الموالي . يعيشون في الحضر ، وعلى دراية واسعة بحياة البدو . يحدون لغة الاعراب ، ويعرفون اساطيرهم واخبارهم وانسابهم ، ويتمتعون بذواكر قوية ، وعلى اتصال دائم سكان البادية ، يرحلون اليهم في منازلهم ، او يلقونهم في الحواضر ، يمتنون جمع الشعر وحفظه وروايته . ودرسه وتفسيره واذاعته ، ويجمعون الى مشافهة الاعراب ما قراوه مدونا ، او تلقوه عن شيوخهم علما . والجيل الاول منهم ، كابن السائب الكندي (3) ، وعوانة بن الحكم (4) ، وحمام الراوية . ثم يدور من روايته شيئا ، فقد نكف هشام بن السائب برواية مانور ابيه ، وكان عوانة كفيلا يملئ ولا يكتب . ويقال ان التنديم في كتابه « الفهرست » : « لم يرد لحمام السائب . وانما روى عنه الناس وصنعت الكتب بعده » . انما تار الجيل الذي تلقى عنهم الرواية ، او عاشرهم في تلقاها وكان احداث منهم عهدا ، ان يدس ما سمع . او يترك لتلاميذه مهمة التدوين . ولم يكن علماء الطبقة الاولى بسندون رواياتهم . وكان من بعدهم رافع بها اليهم ، وينتهي عندهم .

كان هؤلاء الرواة يتفاوتون فيما بينهم صدقا وامانة ودقة ، تبعاً لتكوينهم الطائفي والمنصري والثقافي ، وصمودهم امام حواغظ البيئة حولهم ، سياسية واجتماعية وعلمية . او استجابهم لها . حتى اذا استكملت الحياة الثقافية مفوماتها في البصرة والكوفة . تميزت كل منها بطابع ابرز عنها . عرفت به ، وربما كان اهم الفروق الاساسية بين المدرستين ان مدرسة البصرة اسهدفت وضع قواعد عامة للفقة تلتزمها وتسير عليها في دقة وحزم . فاهدرت الشواذ ، وخطات بعض العرب ، واذا اصدمت قواعدهم بما هو ثابت من صحيح الرواية قالوا : « يحفظ ولا يقاس عليه » . بينما احترمت مدرسة الكوفة كل ما جاء عن العرب ، تجيز للناس استعماله ، ولو كان لا يلتزم

ويصمت الحديث عن تدوين الشعر وتخف حدة روايته بعد البعثة المحمدية ، فقد كان من العسير ، والاسلام في نشأته يقيم نظاما ، ويؤسس دولة ، ويضع نماذج جديدة للسلوك العربي ، ان تجد فكرة تدوين ، او حتى رواية ، شعر مليء بالمفاخر القبلية ، وبما كان الاسلام ضده ، ترحيبا او قبولا من احد ، الى جانب ما شغل به الناس من غزو وتشريع ، وما ملأ وجدانهم من افكار ومثل . اورد ابن سلام في طبقاته قول عمر بن الخطاب : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه (1) » ثم عقب عليه بقوله « فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتساغلتوا بالجهاد وغزو الفرس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفسوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا روايه الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، والقوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ؛ فحفظوا اقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير (2) . وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه اشعار الفحول ، وما مدح هو واهل بيته به . فصار ذلك الى بني مروان ، او صار منه » .

ويأتي ابن خلدون فيعطي الامر مزيدا من الايضاح والتفصيل والتحديد : « اتصرف العرب عن الشعر اول الاسلام بما شغلهم من امور الدين والنوبة والوحي ، وما ادهشهم من اسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك ، وانس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم واثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى دينهم منه » .

الا انه لم يكد النظام الاسلامي يستقر وتنوطد دعائمه ، بقدر لا يخشى معه رواية قصيدة او تبجح قبيلة ، حتى عاد الناس يروون الشعر ويكثرون من روايته ، ويحدثون عن تدوينه كخاطر يرد في الاذهان ويمكن ان يحقق ، ولدينا اشارة عن تدوين نم تعود الى النصف الثاني من القرن الاول للهجرة ، فقد كتب أعشى همدان - عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، قصيدة عام 65 هـ - 671 م عن احداث تلك السنة ، وكان الاعشى جنديا في الجيش الذي وجهه الحجاج بن يوسف الثقفي لفتح بلاد ما وراء النهر ، بقيادة قبيلة ابن مسلم الباهلي ، ومن نوافق الصدف ان أقدم

- (1) خلط الدكتور محمد مندور في كتابه «النقد المنهجي عند العرب» (ص 9 ، القاهرة 1948) ، بين هذه الفكرة وتعقيب ابن سلام عليها ، وجعلهما قولاً واحداً لواحد ، ونسبها خطأ الى أبي عمرو بن العلاء .
- (2) اقتصر الدكتور ناصر الدين الاسد في كتابه القيم « مصادر الشعر الجاهلي » على هذا القدر من رواية ابن سلام ، لسبب لا أعرفه ، ومضى يعقب عليه في فسوة : « كلام ابن سلام هذا ثلاثة اشطر : آخرها حق - وموسطها باطل ، واولها يحتاج الى فضل بيان يوضحه ، أما الحق الذي لا مرية فيه فقوله : « فحفظوا اقل ذلك وذهب عليهم منه كثير » .

وأما الباطل الذي لم نعد نشك في بطلانه ومساده فهو هذا التعميم الواسع في قوله « فلم يؤولوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب » . وفي حماسة اخذ يورد امثلة من كتاب ابن سلام تنقض قوله هذا .

ولو مضى الاستاذ الدكتور بالرواية الى نهايتها كما اتهمنا بها ، لما كان في حاجة الى اتهام او دفاع لان الرجل كما نرى ، في بقية الرواية ، يعرف من الشعر العربي ما كان مدونا ، ومنذ العصر الجاهلي ، لكنه يتحدث عما هو غالب وشائع وعادة .

وفي بادئ الامر تصورت ان الدكتور ناصر الدين رجع الى نسخة من طبعات ابن سلام غير التي ارجع اليها ، وان الفقرة الاخيرة ساقطة منها ، ثم تبين انه يستخدم نفس النسخة ، وهي بشرح العالم الجليل الاستاذ محمود شاكر ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، والنص فيها كامل ، فلم يبق الا انه اجتزا النص لسبب غير واضح ، او سها عن بقيته ، وهو ما اميل اليه .

الدكتور ناصر الدين الاسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ص 194 و 195 ، دار المعارف ، القاهرة 1956 .

ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص 22 و 23 ، شرح الاستاذ محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة 1952 .

له ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » ، كون من الفكاهة المستحلّة في ذم جماعة من الحجاج البخلاء :

سقى حجاجنا نوء الثريا
على ما كان من بخل ومطبل
هم جمعوا النمل وأحزروها
وشدوا دونها بابا بقفل
فان اهديت فاكهة وجديدا
وعشر دجائج بمشوا بنعل
ومساكين قدرهما ذراع
وعشر من ردي المقل خشل (1)

اناس تائهون لهم رواء
تقيم سماؤهم من غير وبيل (2)
اذا انتسبوا ففرغ من قريش
ولكن الفعّال فعّال عكل (3)

وقد مر خلف بالازمة النفسية التي مر بها استاذهم ابو عمرو بن العلاء ، من قبل ، فسلك وتقرأ في اواخر حياته ، وكان يختم القرآن في كل يوم ليلة ، « وبلل له بعض الملوك مالا عظيما خطيرا على ان يتكلم في بيت شعر شكوا فيه فأبى ذلك ، وقال : قد مضى لي في هذا مالا احتاج الى ان ازيد فيه » .

اتهم خ . ، كما اتهم غيره ، بالوضع والنحل ، فقبل انه كان يعمل على السنة الناس فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه ، وأنه وضع على شعراء عبد القيس شعرا موضوعا كثيرا ، وعلى غيرهم ، عشا بهم ، وأنه نحل ابا دواد الايادي اربعين قصيدة ، وكان يأخذ من حماد الراوية الصحيح من اشعار العرب ويمطيه المنحول ، « فيقبل ذلك مني ويدخله في اشعارها » وكان فيه حمق « ، وأنه نظم لامية العرب المشهورة ، التي اولها :

اقموا بني امي صدور مطيكم
فاتي الى قوم سواكم لاميل
ثم نسبها الى الشنفرى كما صنيع القصيدة التي مطلعها :

ابي موسى الاشعري ، فامتقته وأعتق ابويه . وأمضى طفولته ، وكانت شقية ، في اوساط البصرة العلمية ، اخذ اللغة عن ابي عمرو بن العلاء ، واخذ النحو عن عيسى بن عمر النحوي (ت 149 هـ - 766 م) ، وجمع علما كثيرا ، فكان عالما بالغريب والنحو والانساب والأخبار ، شاعرا كثير الشعر جيدة ، ولم يكن بين نظرائه من هم اكثر شعرا منه ، وله خطرات نقدية صائبة . « سئل : من اشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهي هذا الى واحد يجتمع عليه ، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس . فقيل له : ايهم أعجب اليك يا ابا محرز ؟ قال : الأعشى » . فهو لا يرتضي ما كان شائعا في عصره من نقد يقوم على الخاطرة والدوق والهوى ، دون احتياط أو استقراء أو تفصيل في التعليل ، وعنه تصدر أحكام التفصيل المطلق للبيت أو القصيدة أو الشعر ، ولكنه لا يتردد في ان يصرح بمن يلتقي مع هواه من الشعراء . حق يراه لغيره ، كما ارتضاه لنفسه ، وبتقريره يستحيل ان يلتقى الناس على رأي اذا ما سئلوا : من هو اعظم الشعراء ؟ .

كان خلف اول من احدث السماع في البصرة ، وقرا عليه اهل الكوفة اشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، لانه اكثر الاخذ عنه ، وبلغ مبلغا لم يقاربه حماد ، واجمع الناس في الكوفة والبصرة على الاقرار بمعرفته الدقيقة والواسعة بالشعر الجاهلي ، وقدرته المصيبة على تمييز الصحيح من المنحول ، يقول ابن سلام : « اجتمع اصحابنا انه كان افرس الناس بيت شعر ، واصدقهم لسانا ، كنا لا نبالي اذا اخذنا عنه خيرا ، او اشدنا شعرا ، الا نسمعه من صاحبه » . ويذكر ابن النديم في « الفهرست » ان له « كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر » ، وقد ضاع الكتاب نفسه ، ولكن الجاحظ احتفظ ب فقرات منه في كتابه « الحيوان » . وكان خلف شاعرا ورويا ياقوت في كتابه « ارشاد الارب الى معرفة الاديب » : « ان له ديوان شعر جملة عنه ابو نواس » ، ويكثر قول الشعر في وصف الحيات ، وارجيزه في ذلك كثيرة ، وما وصلنا من شعره يمكس مقدرة فائقة على النظم ، ولا يدل على موهبة شعرية حقيقية ، والابيات التي رواها

- (1) المقل : حمل الدوم ، والدوم : شجرة معروفة النخيل . الخشل : الرديء من كل شيء ، وقيل ، هو رطب المقل وصغاره الذي لا يؤكل .
- (2) الرواء : المنظر الحسن . الويل : المطر الشديد .
- (3) عكل : « قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحق عكلى »

ينميه من مازن في فرع نبعثها

اصل كزيم وفرع غير خوار (2)

دون أبو عمرو قدرا كبيرا من الشعر العربي ، وبخاصة الجاهلي منه ، الى جانب الاخبار المتعلقة به ، وطبقا لرواية أبي عبيدة ، فان ما كتبه ملا بيتا له الى قريب من السقف ، ثم تقرا - اي تنسك - فأحرقها » ولم يعد يهتم أحراقها الا بالقراءة ودراساته . ولا يعني ذلك ، فيما ارى ، انه اعرض عن الشعر تماما ، فدراسة القراء ، في تلك الفترة من الزمن ، كانت تقوم في جانب منها على تفسير غريب القراء ومجازه بالشعر ، لكن القصة تدل ، دون شك ، على ان بعض المتسكين كان يستشعر الحرج في دراسة وتدوين آثار أدبية ، تمجد من الاخلاق ، او تبيح من المحظورات ، ما لا يرضى عنه الاسلام . الا ان ضياع كتبه لم يحرمنا كلية من علمه الواسع ، فقد كان له طلاب كثيرون تثقفوا من علمه ، ونهلوا من فيضه ، وحفظوا كثيرا مما روى وما جمع ، ونقلوه اليها شفاها ، او مدونا بيد طلابهم فيما بعد .

ثم خلفه في مدرسة البصرة انجب تلاميذه ، خلف بن حيان ، ويكنى ابا محرز البصري ، ويعرف بخلف الاحمر ، (ولد 115 هـ - 733 م وتوفي 180 هـ - 796 م) ، من ابناء الصفد من فرغانة ، سباهم قتيبة ابن مسلم الباهلي اثناء افتتاح بلاد ما وراء النهر ، وحيء بهم الى البصرة ، وكان خلف مولى أبو بردة ابن

القواعد العامة وهم بهذا اقرب الى فهم طبيعة اللغة ومنطقها - ان كان للغات منطق - وكانت الخصائص العامة لكل مدرسة لا تظهر في اللغة وحدها ، وانما تتجاوزها الى ما وراء ذلك من الآثار والاخبار . وادى التنافس بين المدرستين الى تعصب كل فريق لمدرسته ، واتهام وتضخيم المدرسة الاخرى ، وتبادل العلماء لهم الجهل والوضع والتحريف ، امر يجعل مهمة الباحث اكثر مشقة وهو يوازن بين الآراء والروايات ، يتخللها ويصفيها من الدوافع الشخصية والحزازات .

كان رأس هذه الطبقة أبو عمرو بن العلاء ، عربي من نعيم ، مؤسس مدرسة البصرة في النحو وشيخها ، وأحد القراء السبعة ، ومن اعلم الناس بالقراء ولغاته وتفسيره وغريبه ، وكان اماما في الشعر والنحو واللغة وإيام العرب ، ثقة مأمونا حتى عند الكوفيين ، ولسد بمكة سنة 69 هـ - 689 م ، ونشأ في البصرة ، وتوفي في الكوفة قافلا من رحلة الى دمشق عام 155 هـ 770 م ، وكان أبوه مشهورا معروفا وقائما على « طراز » الحجاج (1) ، وجده عمار من اصحاب علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه . وقد مدح الفرزدق الشاعر ابا عمرو ابن العلاء واثنى عليه في ابياته :

ما زلت أفتح ابوابا وأغلقها
حتى آتيت ابا عمرو بن عمار
حتى آتيت فتى محضا ضربته
مر الميرة حرا وابن احرار

- (1) فيما على نسيج ثياب الحجاج .
- (2) اختلف القدامى في معنى « أفتح ابوابا وأغلقها » بعض شراح شواهد سيبويه ، والبيت الاول منها ، قالوا : اراد « اني كشفت عن احوال الناس وفشتهم فلم ار فيهم مثل ابي عمرو » . وقال ابن السيد البطليوسي ، في شرح ادب الكاتب : « الفتح والاعلاق هنا مثلان لما استفلق عليه - على الفرزدق - من الامور وما انفتح » . وروى أبو بكر محمد التاريخي في كتابه « طبقات النحاة » بسند الى الاصمعي انه قال : حدثني ابو عمرو بن العلاء قال : دخلت على الفرزدق ففلقت ابوابا ثم ابوابا ، ثم فتحت ابوابا ثم ابوابا ، فأنشأ الفرزدق : « ما زلت أفتح ... البيت » . واورد رواية اخرى ، بسند آخر ، الى الاصمعي نفسه : دخل الفرزدق على ابي عمرو بن العلاء ، وصعد الى غرف فقال « ما زلت ... » . وقال أبو عبيدة البكري في شرح امالي القالي : « ان ابا عمرو بن العلاء كان هاربا من الحجاج مستترا ، فجاء الفرزدق يزوره في تلك النحالة ، فكان كلما يفتح له باب يفلق بعد دخوله ، الى ان وصل اليه فأنشد الأبيات » .

والحق مع شراح الشواهد وابن السيد ، فما اظن الفرزدق ذهب ليعد ابواب بيت ابي عمرو وغرفة ، وهي على التاكيد لم تبلغ حدا من الكثرة يثير عجب الفرزدق وخياله . ورواية ابي عبيدة البكري ينقضها معنى البيتين الثاني والثالث ، وان الحجاج حين كان في قمة تجبره كان أبو عمرو طفلا صغيرا ، او صبيا ناشئا على اكثر تقدير .

وكانوا مع يحيى بن زياد الحارثي ، ومطيع بن اياس يتهاجون ويتغزلون ، ويقولون شعرا لا يخلو من رقعة وبساطة .

كان حماد يتمتع بذاكرة قوية حافظة ، تعجبه الاسطورة ، وبهوى النادرة ، يستطيع ان يسترجع مئات القصائد المطولة من الشعر الجاهلي ، وان يميز بينها وينسبها الى قائلها ، و « المعلقات » التي بين ابدينا من روايته ، وكان الى جانب ذلك شاعرا ممارا ، وروى له الاصمعي شيئا من شعره ، واحيانا عامدا او ناسيا يخلط شعره بشعر غيره ، ومن المؤكد ان طبيعة العبث فيه كانت تتجاوز حياته الخاصة الى نشاطه العلمي . فاصبحت نراهته موضع شك كبير وجدال عنيف .

كان المفضل الصبي (ت 170 هـ - 786 م) ، وهو كوفي مثله . يقول عنه في مرارة : لقد سلط على الشعر من حماد الراوية ما اسفده فلا يصلح ابدا ، ففيل له : وكيف ذلك ؟ اخطىء في روايته ام يلحن ؟

قال : لينه كان كذلك ، فان اهل العلم يردون من اخطا الى الصواب ، لا ... ولكنه رجل عالم بلغات العرب واسعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يتسبه مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل عنه ذلك في الآفاق ، فتختلط اشعار القدماء ، ولا ينمير الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، واين ذلك ؟ .

ويقول ابن سلام « في طبقات فحول الشعراء » : « كان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها : حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الاشعار . » ويضيف ابن سلام . « وسمعت يونس (ابن حبيب) يقول : المعجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر » .

ولكن الحملة على حماد ، رغم كل شيء ، يجب ان تأخذ في حذر شديد ، ونحن « نميل الى ان نعد اكثر ما اتهم به حماد موضوعا ، دعت الى وضعه عوامل عدة منها : هذه العصبية التي كانت متأججة بين البصرة والكوفة ؛ ومنها تلك المنافسات والخصومات الشخصية كالتي كانت بين المفضل وحماد ؛ ومنها العصبية السياسية ، فقد كان حماد اموي الهوى والنزعة ، وكانت دولة بني امية قد ولت واقبلت دولة جديدة

تناصبها العداء ، وتريد ان تمحو محاسنها واثارها ، وتحط من قيمة من اشتهر فيها او نال لديها حظوة ؛ ومنها : ان حمادا كان - باعتراف الرواة - كثير الرواية واسع الحفظ ، فكان يروي ما لا يعرفه غيره ، ويحفظ ما لا يحفظون ، فاتهموه بالتزويد والوضع . وقد ساعد على كيل هذا الاتهام له وتضعيفه وتجريحه انه كان ماجنا مستهترا بالشراب مفضوح الحال » (1) .

الرجل الثاني في مدرسة الكوفة ، ويلي حمادا الراوية في العلم ، ويسبقه في الثقة ، هو المفضل الضبي ابو عبد الرحمن المفضل بن محمد بن يعلى ، من اصل عربي ، ولد في فارس حيث كان ابوه من موظفي الديوان ، وشارك في ثورة العلوي ابراهيم بن عبد الله الملقب بالنفس الركية ضد الخليفة المنصور ، واجاره في بيته زمنا ، وقد سجن ثم اُحلى سبيله فيما بعد ، واصبح استاذا للمهدي ابن الخليفة . كان عالما بأخبار الجاهلية وانسابها ، رواية للشعر وايام العرب ، قال عنه ابن سلام : « اعلم من ورد علينا من غير اهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي » ، وتلمذ عليه جلة من كبار رواة عصره وعلمائه ، فكان من تلاميذه : ابو عمر اسحاق بن مرار الشيباني ، وابن العربي ، والفراء ، وخلف الاحمر ، وابو زيد الانصاري البصري وغيرهم . وترك لنا كتابين : الاول « المفضليات » مجموعة رائعة من الشعر الجاهلي ، والثاني « كتاب الامثال » ، وارجح انهما من روايته ، وان الذي تولى عملية الجمع والتدوين هم تلاميذه من بعده . وقد توفي المفضل في الكوفة في بدء خلافة هارون الرشيد ، حوالي عام 170 هـ - 786 م .

كان هؤلاء هم الطبقة الاولى من العلماء الرواة ، وقفوا جهدهم على رواية التراث العربي ، حين لم تكن الكتابة اداة حفظه الاولى ، يجمعون ما تبحر من خبره ، وينخاون ما اختلط من امره ، واليهم تسند روايته ، وهم يذيعونه بين تلاميذهم في حلق الدرس ، ويجادلون حوله في مجالس السمر ، فصنعوا الطبقة الثانية ، تسمع منهم ، وتعني عنهم ، وتحفظ مآثورهم وتقيده احيانا ، فاذا اقتربنا من نهاية القرن الثاني الهجري ، وتجاوزناه الى الثالث ، القرن التاسع الميلادي ، ظهرت لدينا طبقة ثالثة ، على راسها ابن الكلبي (ابو المنذر هشام ابن محمد ت 206 هـ - 821 م) ، والهيثم بن عدى (ابو عبد الرحمن ت 207 هـ - 822 م) ، وابو عمر الشيباني (اسحاق بن مرار ت 213 هـ - 828 م) ،

ان بالشعب الى جنب سلع
لقتيلا دمه ما يطل

ونحلبها ابن اخت تابط شرا . « فلما تقرا ونسك
خرج الى اهل الكوفة ، فعرّفهم الاشعار التي قد
ادخلها في اشعار الناس ، فقالوا له : انت كنت عندنا
في ذلك الوقت اوثق منك الساعة . فبقى ذلك في
دواوينهم الى اليوم » .

هذه الفقرة الاخيرة تكشف في جلاء قيمة
الروايات التي ترمي خلفا بالوضع ، وتنزع القناع عن
الاسباب التي وراءها ، فليس خلف هدفا في ذاته انما
الهدف المدرسة الكوفية وعلماؤها ، فما داموا قد
تلقوا عنه ، وسمعوا منه ، فلا بد ان يكون وضاعا ،
ويصبح ما بين يدي الكوفيين من روايات موضع شك
ومطعون في صحته . والرواية تفضح نفسها بنفسها ،
فمن العجيب ان يمضي عالم الى قوم اخذوا عنه ،
فيدلهم ، حقا او افتراضا ، على ما زل منه عفوا او
قصدا ، فيرفضوا تصحيحه ، ويعرضوا عن اعترافه ،
ويبقوا على زيفهم ، « وبصير ذلك في دواوينهم الى
اليوم » ! (1) .

اكثر تلاميذ ابي عمرو بن العلاء ثقة وشهرة هو
الاصمعي ، عبد الملك بن قريب ، من اصل عربي
ينتسب في باهلة ، الضاربة في الجنوب الشرقي من
البصرة ، ولد عام 122 هـ - 739 م ، وتوفى عن
تسعين عاما في 215 هـ - 831 م ، نقل عن فصحاء
الاعراب الذين كانوا يقدون الى البصرة ، واكثر
الخروج الى البادية ، وشافه الاعراب ونقل عنهم ،
وربما استغرقت رحلته اليها سنوات ، وامضى جانبا
من حياته في الحجاز وبغداد ، فاكسبه ذلك علما واسما
بالجاهلية ، لغاتها واخبارها واشعارها ، فاكسب
مكانة ممتازة في الاوساط الادبية كاستاذ وعالم ، وكان
موضع اجلال الخليفة هارون الرشيد . وكافاه مرة
بمشرة آلاف درهم لانه اجداد في وصف فرس له ،
مستدلا على كل صفة بيت من شعر جرير بن عطية
الخطمي الشاعر المشهور (2) . وتميز عن سابقيه بتقواه
العظيمة ، شديد الاحترار في تفسير القرآن والحديث ،

فاذا سئل عن شيء منهما يقول : العرب تقول معنى
هذا كذا ، ولا اعلم المراد منه في الكتاب والسنة ،
وخلال فتنة خلق القرءان ، اعتزل الناس وقبع في بيته ،
وحرص العامون على ان يصير اليه ، فاحتج بضعفه
وكبر سنه ، فكان العامون يجمع المشكل من المسائل
ويسيرها اليه ليجيب عنها . ورئى بعد ذلك راكبا
حمارا دميما ، فقيل له : « ابعد يراذين الحلفاء تركب
هذا ؟ فقال : هذا واملك ديني احب الي من ذاك مع
فقدته » .

كتب الاصمعي كثيرا ، في مجالات مختلفة ،
وتبلغ مؤلفاته اثنين واربعين مصنفا ، بينها كتاب خلق
الانسان ، وكتاب الاجناس ، وكتاب الخيل ، وكتاب
النوادر ، وكتاب معاني الشعر ، وكتاب الاراجيز ،
واغلبها غير مطبوع ، ورويت عنه دواوين كثيرة . منها
ديوان امرئ القيس والناطقة وزهير وطرفة وعنترة ،
وعلقمه الفحل ، وله مجموعة مختارة من الشعر القديم
تحمل اسمه « الاصمعيات » ، وقد طبعت اخيرا ،
وصدرت عن دار المعارف بالقاهرة .

في الجانب الاخر كان حماد راس مدرسة الكوفة .
واسمه حماد بن سابور ، وشهرته حماد الراية ، واليه
وحده تنجھ كلمة « الراوية » اذا ارسلت . من اصل
فارسي ، وقع ابوه سابور اسيرا في الحرب ، وينتمي
الى اسرة محاربة من الديلم . وقد ولد حماد في الكوفة
في عام 95 هـ - 713 م ، وتوفى فيها مغمورا عام
156 هـ - 774 م ، وعبر التاريخين امضى حياة عاصفة
مضطربة ، فكان في بدء حياته لصا يتشطر ، فنقب بيتا
على رجل فاخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الانصار ،
فلما قرأه استحلاه وحفظه ، ثم ترك التشطر ، واقبل
على الادب والشعر والاخبار ولغات العرب . وكان مع
حماد عجرد الشاعر ، وحماد بن الزبرقان النحوي
يكونون في الكوفة ثالوثا مزعجا ، يعيش حياة لاهية ،
منطلقة غير مسؤولة ، يتنادمون ويتعاشرون وكانهم
نفس واحدة ، ويرمون جميعا بالزندقة ، وتثير حياتهم
نقمة الطبقة المحافظة ، وكثيرا ما كان يلقي بهم في
السجن فلا يبرحونه الا بعد شفاعة من كبير يمدحونه ،

1 ناقش الدكتور ناصر الدين الاسد الروايات التي تنهم خلفا بالوضع مناقشة علمية مفصلة في كتابه
« مصادر الشعر الجاهلي وحقيقتها التاريخية » ص 451 وما بعدها ، وانتهى الى شجب هذه الاخبار
رغم ان رواها بصريون ، ليسوا مظنة تمصّب ، ولكنهم - فيما يرى - اتخذوا خلفا « معبرا يجتازونه
ليصلوا منه الى اتهام علماء الكوفة ورواياتها » .

2 تفصيلات الوصف في : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، الجزء الاول ، ص 166 وما بعدها ، الطبعة
الثانية ، بتحقيق احمد امين وآخري ، القاهرة 1367 هـ 1948 م .

زيارة الوفد المغربي للاتحاد السوفياتي

للاستاذ محمد بن عبد الله

(1)

الكس القائم بأعمال الرئيس لمجلس الشؤون الدينية لدى رئاسة الحكومة ، والسيد مكارتسف بوتر نائب رئيس المجلس في الشؤون الدينية للاتحاد السوفياتي والسيد شويدوف رئيس قسم افريقيا بوزارة الخارجية الذي كان سفيرا لبلاده في المملكة المغربية ، والسيد ميراغظوف مير صالح عضو المجلس الديني ووكيله في جمهورية اوزبكستان ، والسيد كادوكوف ميخائيل من موظفي المجلس ، والسيد تشيمودين مراسل وكالة نوفوستي وامام مسجد موسكو وعضو لهيئة الادارة الدينية لمسلمي اوربا وسبيريا السيد احمد جان مصطفى ...

وبعد تبادل التحايا بين اعضاء الوفد ومستقبله غادر مطار موسكو العظيم ممتطيا سيارات خاصة ، متوجها الى المنزل الذي اعد لاقامة اعضائه .

كان الجو صحو ، وشمس الاصيل تنفض تبرها على سطوح المنازل ، وحواشي الافق ، والطبيعة الفناء ترقص فرحة ضاحكة بعد ما اجهدتها فصل قارس البرد شديد الزمهرير ، يخترق الثياب الى اللحم فالعظم .

وموسكو المتفتحة ، تستقبلك ببشاشة وبشر وجور وانسراح ، وقد تبدت في حلة رائعة اضفاها عليها فصل الربيع الجميل الضاحك الذي يملأ الجو عطرا ، والعيون سحرا ، والقلوب فتنة وبهاء .

حينما استدعت حكومة الاتحاد السوفياتي الوفد الاسلامي المغربي منذ شهور بعيدة لزيارة اقطار الاتحاد السوفياتي وجمهورياته الاسلامية ، رأى سماحة الشيخ السيد ضياء الدين باباخانوف ان تقع هذه الزيارة في اعقاب فصل الشتاء ، واولئل الايام الجميلة لفصل الربيع حيث تكون الطبيعة الانيقة الفناء تنعم بالصفاء والبهاء والدفاء ، والنسيم القاتر العاطر ينفع الجسوم ، والجو المنعش الرائق يملأ الصدور .

وقد تم ذلك بعد الرغبة الكريمة والاذن المولوي السامي ...

وهكذا غادر الوفد الاسلامي المغرب متوجها الى موسكو في اليوم العشرين من شهر ماي الماضي حيث وصلها في اليوم التالي في الساعة السادسة مساء بعد ان قضى ليلة بمدينة بروكسيل العاصمة البلجيكية .

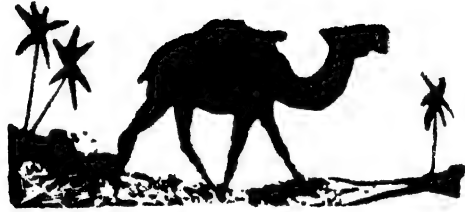
وترأس الوفد معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد احمد بركاش وعضوية السادة الاساتذة : عبد الرحمن الدكالي ، وعبد الله كنون ، وعبد الكبير الفاسي ، ومحمد بن عبد الله .

ولدى وصوله وجد في استقباله بالمطار سعادة سفيرنا بموسكو الاستاذ السيد عبد الهادي الصبيحي، وسماحة الشيخ السيد ضياء الدين باباخانوف رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان ، وممثلي الحكومة ، وفي مقدمتهم السيد بارمينكوف

وثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى ت 291 هـ - 904 م) وهي طبقة جعلت همها الأول ترتيب وإكمال وتدوين ما انتهى اليهم من علماء الطبقتين الأولى والثانية ، ومعهم بدأ التخصص في الدرس يعرف طريقه ، وبهم بدأ التدوين يصبح محور الثقافة وأداتها .

الدكتور طاهر أحمد مكي

وإبن الأعرابي (أبو عبد الله محمد بن زياد ت 225 هـ - 839 م) ، وابن حبيب (أبو جعفر محمد ت 245 هـ - 859 م) ، وابن السكيت (أبو يوسف يعقوب ت 245 هـ - 859 م) ، والطوسي (أبو الحسن علي ابن عبد الله ت 250 هـ - 864 م) ، والسكري (أبو سعيد الحسن ابن الحسين ت 275 هـ - 888 م) ، وابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم ت 271 هـ - 885 م) ،





السيد ضياء الدين بباخانوف وهيئة الاستقبال بمطار موسكو في انتظار الوفد المغربي



اعضاء الوفد المغربي لدى نزولهم الطائرة ومفادرتهم مطار موسكو

لقد دبت الحياة في هذا الفصل في كل شيء ،
فانتعشت الفصون الذابلة التي كان يجللها الثلج ،
وتفتحت الافنان السلبية وقد اخذت تتضوع بعبير
الخمائل ، وتنتشي بمرح الطيور ، وتسكر برياحين
الرياض والفياض .

هكذا استقبلتنا موسكو الضاحكة ، التي طاب
نسيمها ، ورق هواؤها في فصل الزهور والرياحين ..
وهكذا وجدنا مستقبلينا الذين اظهروا من
الحفاوة والاكرام ، والبشاشة والترحيب ما سيبقى
عالقا بنفوسنا وهو يحمل اجمل الذكريات ...

وقد رافق الوفد في جميع تنقلاته داخل الاتحاد
السوفياتي شخصيات مرموقة ، لها مقام معلوم ،
ومكانة في بلادها ، كالفتي السيد ضياء الدين والسيد
ميرازموف « صالح » ممثل مجلس الشؤون الدينية
لدى المجلس الوزاري للاتحاد السوفياتي ، والسيد
شاكروف « يوسف » مترجم ، والسيد تشيمودين
مراسل وكالة الاخبار بنفوستي ، والسيد اكاميتشين
ممثل الادارة الدينية الاسلامية بموسكو ، وثلاث
صحفيين لآخذ المعلومات والافلام عن حركات الوفد المغربي
وتنقلاته في رحلته عبر اقطار الاتحاد السوفياتي .

وكان اول عمل قام به اعضاء الوفد في اليوم
التالي هو زيارتهم للمجلس الاعلى للشؤون الدينية
بمدينة موسكو ، حيث كان في استقباله السيد
بارمينكوف اليكس الذي رحب بهم ، وتمنى لهم اقامة
طيبة في الاتحاد السوفياتي وجمهورياته الاسلامية
راجيا من اعضائه ان يطلعوا على الحرية التي يمارس
المسلمون بها شعائرهم الدينية في الاتحاد السوفياتي
في امن وسلام ، ويقفوا في عين المكان على الجهود التي
تبذلها الحكومة الاتحادية لاسعاد المواطنين المسلمين .

وبعدها تناول رئيس الوفد المغربي الكلمة فشكر
حكومة الاتحاد السوفياتي والادارة المركزية للشؤون
الدينية على دعوتها الكريمة ، وحفاوتها البالغة بالوفد
المغربي الذي عينه صاحب الجلالة مولانا الحسن
الثاني نصره الله بمجرد بلوغ الدعوة الى الحكومة
المغربية ، وذكر لهم الروابط القديمة والحديثة التي
تربط المغرب بالاتحاد السوفياتي ، والتي توجت
بالرحلة الملكية الميمونة التي قام بها صاحب الجلالة
نصره الله في عام 1966 ، كما تمتعت بالاتفاقيات
الاقتصادية والثقافية المبرمة بين البلدين ...

وبعد هذه الزيارة التي قام بها الوفد المغربي
للمجلس الاعلى للشؤون الدينية بمدينة موسكو اقام

هذا المجلس حفلة غداء تكريما للوفد المغربي ، وقد
تبودلت اثناء هذا الغداء كلمات بين السيد باباخانوف
ورئيس الوفد المغربي ، حيث اشاد السيد باباخانوف
بالروابط الاسلامية التي تربط المسلمين المغاربة وبين
اخوانهم مسلمي آسيا الوسطى ، كما نوه بعناية صاحب
الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله
وايده بالوفد الاسلامي للاتحاد السوفياتي لدى زيارته
في شهر رمضان المعظم بمناسبة ذكرى نزول القرآن
الكريم ، وتمنى للوفد المغربي اقامة طيبة حتى يحملوا
معهم الى بلادهم ارتسامات لطافا وصورا حية عن
اخوانهم المسلمين بالاتحاد السوفياتي ...

وفد اجابه السيد رئيس الوفد المغربي الذي
تحدث عن مبادئ الاسلام السمحة ، ومبادئه السامية ،
واصوله العامة مشيدا بالمواقف البطولية الفذة التي
نهض بها الاسلام عبر القرون ، في حدود لا اكراه في
الدين ، لان الاسلام دين عام خالده ، وقد بلغهم عناية
صاحب الجلالة بالمسلمين وتحياته السامية ، واثنى
على جهود سماحة المفتي الشيخ ضياء الدين باباخانوف
لخير الاسلام والمسلمين الذي يعتبرونه نقطة اتصال
بين مسلمي آسيا الوسطى والجمهوريات الاسلامية ،
وبين العالم الاسلامي .

* * *

ومعلوم ان الاتحاد السوفياتي يضم ست
جمهوريات اسلامية ، فيها اغلوية كثيرة من المسلمين ،
وهذه الجمهوريات هي : عزيكستان ، وتاجيكستان ،
وتركمانيستان واذريجان ، وقازاكستان وقرغستان .
وهذه المناطق تعد من الاقطار التي للمسلمين فيها
الغلبة العددية . غير انها في الواقع لا تعدو ان تكون
مجرد مقاطعات خاضعة لموسكو ...

ومعلوم - ايضا - ان الدستور السوفياتي
افرد بابا خاصا لتنظيم الشؤون الدينية ، وبيان
موقف الدولة منها . اذ ليس للاتحاد السوفياتي دين
رسمي ، اذ كل بيوت العبادة فيه تتمتع بحقوق
متساوية .

فالمادة 124 من الدستور تقضي بانفصال
الكنيسة عن الدولة ، وانفصال المدرسة عن الكنيسة ،
بمعنى انه لا يسوغ للكنيسة ان تتدخل في النشاط
السياسي للدولة ، وليس للدولة ان تتدخل في
شؤون الكنيسة او المسجد ، ولا تمويلها بنقود ، بل
ان المسلمين هم الذين يتبرعون باخراج الصدقات ،
وما افاء الله عليهم من مال لمساعدة العلماء والائمة



السيد الوزير مع رئيس قسم افريقيا بوزارة الخارجية للاتحاد السوفياتي



السيد الوزير بين السيد ضياء الدين ، والوزير للشؤون الدينية بالاتحاد السوفياتي في قاعة الانتظار بمطار موسكو

لاحياء الدين الاسلامي ، واقامة شعائره في ارجاء الاتحاد السوفياتي ، ولا سيما بعد تأميم الاوقاف من قبل الحكومة السوفياتية .

وقد اشار الدستور السوفياتي -ايضا - الى ان الدولة لا تفرق بين المواطنين بسبب دينهم ، ولا يسوغ ان يثبت دين المواطنين في الوثائق الرسمية ..

فالديانة مسألة شخصية تخص المواطن وحده وترجع اولا واخيرا الى ضميره وعقيدته . ويتجلى ذلك بصفة خاصة في حياتهم العملية ، فقد ادلى الرئيس السابق السيد خروتشوف بتصريح اثناء زيارته للهند في احتفال اقامه السيد غلام محمد رئيس وزراء كشمير يقول فيه :

« ان مسألة العقيدة هي مسألة تتعلق بضمير هذا الشخص او ذاك ، وهذه او تلك ، ووفدنا هذا يضم بين اعضائه ، جابر رسولوف ، وزهرة رحيمبا بايفا ، وشرف رشيدوف ، وهم يمثلون ازبكستان ، وتاجيكستان ، وشعوب هذه البلاد تعتنق الاسلام .. » غير اننا نجد مادة في نص دستورهم تقول :

« لكي يتمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل الكنيسة في الاتحاد السوفياتي عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة ، وتكفل لجميع المواطنين حرية العبادة الدينية ، كما تكفل لهم حرية الدعوة ضد الدين » .

ويتضح من هذا النص الصريح ان الملحدين قد وجدوا ضالهم المنشودة ، لحمل سلاح مشروع لشن حملاتهم المتوالية ضد الاديان في ظل القانون ورعايته !

* * *

والاغلبية الساحقة من المسلمين في الاتحاد السوفياتي من اهل السنة ، ويوجد عدد كبير من الشيعة في جمهورية اذربيجان ، وفي الجمهوريات الاسيوية الوسطى ، وفي انحاء متعددة من الاتحاد السوفياتي .

وقد انشأت الحكومة الاتحادية مجلسا لمسائل الطقوس الدينية ، وهذه المجالس تساعد الهيئات الدينية على حل المسائل التي يحتاج حلها الى تدخل السلطات او المنشآت الحكومية ، وتراعي هذه المجالس التطبيق الصحيح لحرية العقيدة ، وحرية العبادة كما نص عليها الدستور .

والادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان تعتبر اليوم مركزا روحيا للمسلمين ، يقوم بتوجيه وتسيير الامور الدينية . وتنتخب هيئة رياستها العليا من قبل ممثلي جميع مناطق آسيا الوسطى وقازاغستان في المؤتمر الذي ينعقد في كل

خمس اعوام ، وهي عبارة عن احد عشر عضوا يلقب الرئيس بالفتي ، وهو اليوم الشيخ ضياء الدين بياخانوف ونائبه بمعاون الرئيس ، وهو الشيخ اسماعيل المحذوم الذي حج هذه السنة على راس وفد كبير من المسلمين ، والباقون بالاعضاء ، وهم يعملون في مناطقهم بالوكالة عن رئاسة الادارة الدينية .

ففي كل جمهورية عضو ممثل دائم يشرف على شؤون الاسلام في نطاق الجمهورية ، ويبلغ المسلمين الارشادات والفتاوي الدينية التي يتلقاها من المركز . كما يقوم بالقاء الخطب الدينية في المساجد تختلف مواضعها حسب توجهات الآيات القرائية ، والاحاديث النبوية ، ويرسل التعليمات الى خطباء الجوامع والمساجد في تلك الجمهوريات ، ففي جمهورية قازاغستان يشغل وظيفة ممثل الادارة فضيلة الشيخ مقصود حاجي ابن نظريك . وفي تركمانستان الشيخ آناجان بن عبد الله ...

كما ان للادارة الدينية دستور عمل خاص يسمى « بميثاق الادارة » ، وتتخذ جميع تدابيرها المتعلقة بشؤون الدين وغيرها حسب مواد هذا الميثاق .

والهيئة العليا للادارة الدينية مكونة من ثلاثة اشخاص . رئيس . وعضوين . هذه الهيئة تجتمع كل ثلاثة اشهر لبحث القضايا المتعلقة بشؤون الدين . وكثيرا ما يشترك في جلسات الهيئة جميع ممثلي الادارة في الجمهوريات الستة . واعضاء لجنة التفتيس الذين يستمعون الى تقارير رئيس الادارة عن اعمالها ومشاريعها ، وهم من جهنهم ايضا يقدمون التقارير عن اعمالهم واحوال المساجد والجوامع وطلبات المسلمين عامة ..

وفي مستهل كل سنة تجتمع الهيئة لجلستها الرئيسية التي تصادق عادة على الميزانية السنوية ويحضرها الاعضاء ، وفي كل سنتين على الاقل يعقد اجتماع عام لاعضاء الهيئة العليا والممثلين ومندوبي المسلمين من الجوامع ، ويتناولون البحث في تحسين شؤون وامور المساجد وعمرائها ، وشؤون التعليم والتدريس في المعهد الديني والوعظ والارشاد وغير ذلك ...

وحسب ميثاق الادارة الدينية ، فان جميع خطباء الجوامع وائمتها يختارون من قبل الادارة الدينية ، وهي التي تقرر صلاحية اولئك الرجال لاداء المهام الدينية ، وتعزلهم عن وظيفتهم اذا تبين عدم صلاحيتهم لتلك الوظائف ..

مع انه قد اجريت احصائيات خلال عامي 1926 - 1939 لم يراع الدين فيها ، وانما روعيت التبعية العنصرية ، وقد اتضح من هاتين الاحصائيتين ان عدد المسلمين قد صار من 18 الى 21 مليوناً في مختلف انحاء الامبراطورية السوفياتية .

ويسود الاعتقاد عند آخرين بان عدد المسلمين في العقد الاخير يبلغ نحو 25 مليون نسمة ، اي ان نسبتهم تبلغ 12 ٪ من مجموع عدد الرعايا السوفياتيين ونحن نعتقد بان عدد المسلمين يربو على اربعين مليون نسمة .

فمنذ سنة 1921 سال امير البيان شكيب ارسلان الذي ذهب الى موسكو لتفحص الاحوال عن قرب الشيخ عبد الودود فتاح الدين قاضي المسلمين في موسكو وبتروغراد عما يقال عن عدد المسلمين بالاتحاد السوفياتي كله : فقال له : « في ولايات قازان ، واورنبورغ ، واوفا ، وتوابعا مع الباشقرد 5 ملايين . والفرغيز 5 ملايين ، وتتر سيبيريا نصف مليون ، وولايات تركستان ، طشقند ، سمرقند ، وخوقند 12 مليون ، وبخارى مليونان ، وخيوه مليون واحد ، فهذه 25 مليوناً ونصف مليون ... »

قال امير البيان لمحدثه : « وفي القوقاز ثلاثة ملايين الى اربعة طاغستانيون وجركس ، وثلاثة ملايين في اذربيجان وكرجستان ، ونصف مليون او اكثر في القريم ، فهذه نحو 33 مليوناً .

فوافق السيد عبد الودود الامير شكيب على هذا القول .

ثم سأل امير البيان المجاهد غير الشيخ عبد الودود حتى ممن كانوا اذذاك من اعضاء مجلس الدوما الروسي ، فقال ان عدد المسلمين نحو 35 مليون نسمة

هذه لمحة سريعة عن حياة المسلمين بالاتحاد السوفياتي وعددهم ، وقد اتينا بها قبل زيارة الاماكن والبلدان التي سنتحدث عنها في اعدادنا المقبلة حتى يكون القارئ الكريم على بصيرة من حياة المسلمين في هذه الاقطار الشاسعة الاطراف المترامية الاجزاء .

زيارة سريعة لمعالم مدينة موسكو

قام الوفد المغربي بزيارة سريعة في يومه الاول لمعالم المدينة الباسمة التي كانت سماؤها في ذلك اليوم صافية الاديم ونسيمها فاتر عاطر ، وقيد بدت على

ولما اجتاحت المغول بلدانهم كان اكثر هؤلاء صاروا مسلمين من اشد انصار الاسلام ، واحمسمهم في بث دعوته ، ونشر عقيدته ، وان اكثر اشراف الطاغستان يدعون انهم من اصل عربي ، وان آباءهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك .

وان صفحة الامة التركستانية في ميدان الحضارة والمجد ، والبطولة والعز لهي صفحة مشرقة القسما تنبض بالحياة والحماس ، وتحدث اليك سطورها عن جنودها الابطال ، وابنائها الفر الميامين من حكماء وعلماء الذين نبغوا في شتى العلوم والمجالات ، والذين ما برحت سماؤهم اغرودة حلوة عذبة لكل من يتغنى ويشدو بمفاخر الاسلام ، وعظمته الاولى ...

والتركستان تعتبر اليوم من اغنى بلاد العالم ، بثروتها المعدنية ، بخصوبة ارضها ، بوفرة مياهها ، بجمال طبيعتها ، بعقريه رجالها ، بما فيها من البترول والاورانيوم ، والحديد ، والبلاطين ، والفحم والذهب وغيرها من المعادن ، كما يزرع في ربوعها القطن والقمح ، لذلك كانت عرضة لهجومات متوالية ...

هذه الامة التركستانية ذات التاريخ الامجد والعز الاقص ، والسناء الاسنع ظل مسلموها يقاومون الظلم ، ويناضلون الطغيان الى آخر رمق ، والى آخر نقطة ، والى آخر لحظة في سبيل المحافظة على عقيدتهم وديانتهم ورسالة السماء .

عدد المسلمين بالاتحاد السوفياتي :

من الصعب جدا ان يظفر السائل بعدد المسلمين بالاتحاد السوفياتي . فالاحصائيات الرسمية بالاتحاد لا تغطي العدد المضبوط للمسلمين لانها لا تقوم على اساس الدين ، لانه غير معترف به كوسيلة لتكوين قطاع اجتماعي ، ولان الاديان لم تعد عناصر مميزة بين السكان ، ولهذا فمن العسير ان يحدد ضبط تعداد المسلمين داخل الحدود السوفياتية ، اذ ان الاحصائيات الوحيدة التي يمكن الاستناد اليها ترجع الى عهد القياصرة في عام 1897 ، فقد دلت وقتئذ على وجود نحو خمسة عشر مليوناً من المسلمين .

والعجيب انه طبع اخيرا كتاب عن حياة المسلمين في الاتحاد السوفياتي صدر عن الادارة الدينية لمسلمي قسم الاتحاد السوفياتي الاوربي وسيبيريا ، ذكر بان عدد القاطنين من المسلمين في الاتحاد في الوقت الحاضر يبلغ اكثر من 15 مليون مسلم .

هذه المراكز تقع كلها في آسيا الوسطى . . وآسيا الوسطى عبارة عن أربع جمهوريات داخلية ضمن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية التي تبلغ خمسة عشر جمهورية وثلاث مقاطعات . . .

وقد كانت آسيا الوسطى تعرف فيما قبل بالتركستان ، وهي بلدة اسلامية صميعة خالصة ، ومساحتها تقدر بنحو 5.988.000 كلم2 وهي شرقية وغربية ، اما الشرقية فهي ثن تحت نير الاستعمار الصيني ، واما الغربية فهي ضمن الاتحاد السوفياتي . كانت التركستان مهدا لرجال الدين والعلم ، ومركزا للفن والادب ، وموطنا للدول المستقلة الحرة والامبراطوريات الذائعة الصيت في العصور المتعاقبة قبل الاسلام وبعده .

وقد دفع العرب المسلمين الذين فتحوا تلك البلاد الشاسعة الاطراف ايمانهم الصادق وعقيدتهم الراسخة الى ان يتجشموا تلك المخاطر ، ويركبوا المخاوف غير مبالين في سبيل نشر العقيدة الاسلامية ، بتلك الصحاري المجربة ، والاجزاء الماحلة ، والفقر الواسعة ، يحفزهم الى ذلك شرف المقصد ، وبعد الهمة ، وبذل الفاية ، واعلاء كلمة الله ، ونشر العقيدة ، واخراج الناس من الظلمات الى النور .

فقد فتحوا بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي الذي وجهه الحجاج بن يوسف الثقفي في عام 65 - 671 م فقد خاض حربا عوانا لنشر عقيدة الاسلام ، وبث الدعوة المحمدية بين السكان .

وفي هذه الحملة الاسلامية ، كتب الشاعر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، اعشى همدان قصيدة عن أحداث هذه السنة ، لانه كان جنديا في الجيش الذي وجهه الحجاج لفتح بلاد ما وراء النهر .

ومن توافق الصدف ان اقدم (مصور جغرافي) في العربية يعود الى هذا الجيش ، فعندما استبطن الحجاج حصار قائده لبخاري ، ارسل اليه يطلب منه (مصورا جغرافيا) للمنطقة ، وعندما تلقى هذا (المصور) درس الوضع الحربي في ضوئه ، وارسل الى القائد بتعليماته .

وفي خلافة هشام بن عبد الملك فتحوا الطاغستان عام 105 ، ووطد اخوه مسلمة الحكم العربي في تلك الديار ، وكانت تغرا من تغور العرب ، ومنها انتشر الاسلام في تلك الاقطار بعدما كان الاهالي من قبل وثنيين ويهودا ونصارى .

ولدى الادارة الدينية معهد لتدريس العلوم الدينية ، واعداد رجال العلم لتغطية حاجات الوعظ والارشاد ، ونشر علوم الدين بين عامة المسلمين في أرجاء بلاد آسيا الوسطى وقازاغستان المترامية الاطراف .

وسماحة المفتي ونائبه وسائر مسؤولي الادارة الدينية يقومون ، بانتظام ، برحلات الى المدن والقرى للتفتيش في اعمال المساجد والجوامع ودراسة حاجاتها وامكانيات اصلاحها وغيرها ، ويجرون المقابلات ، وقيمون الحفلات الدينية في تلك المناطق .

والنظارة الدينية الاسلامية التي يشرف عليها السيد المفتي ضياء الدين توجد بطشقند عاصمة الجمهورية الازبكية ، وهي تخدم مصالح المسلمين ، وما ذكر من المراسم الدينية والاحوال الشخصية ، ولديها من الموظفين ما يبلغ عدده اكثر من ستمائة موظف ديني من النواب والقضاة والمفتشين والائمة الكبار .

ويمكن تقسيم المراكز الدينية الاسلامية كما ياتي:

(1) المركز الديني الاسلامي في الاول والقديم ، وهو مركز النظارة الدينية للمسلمين في بلاد سيبيريا والقسم الاوربي ، ورئاسته للسيد احمد جان مصطفى خطيب المسجد الجامع بموسكو .

(2) المركز الثاني بآسيا الوسطى ، وبها خمس جمهوريات : عزبكستان . تاجيكستان . وقازاغستان وفرغستان وتوركمانستان . والمركز الديني الاسلامي في طشقند عاصمة اوزبكستان ، وهذه الجمهورية تضم كثيرا من البلدان الاسلامية والمؤسسات العليا للعلم والعرفان في مختلف العصور كسمرقند . وبخارى وفرغانة ، وترمد ، ونسف ، وخوارزم . .

(3) المركز الثالث للادارة الروحية للمسلمين فيما وراء القوقاز باذربيجان ، والمذهب الشائع في هذه المناطق شيعي جعفري ، وفي البلاد التابعة لهذا المركز الثالث كثير من السننيين . وللشيعية شيخ الاسلام ، وهو اليوم السيد علي آغا سليمان زاده . ولاهل السنة مفتي اسلام وهو السيد احمد افندي .

ومقر ادارة هذا المركز مدينة باكو العظيمة التي تشرف على بحر الخزر او قزوین بالجمهورية الازبكية .

(4) المركز الرابع للادارة الدينية الاسلامية للمسلمين في مقاطعات داغستان والقلم . . .

* * *



اعضاء الوفد المغربي ينزلون من الطائرة وهم السادة الاساتذة : عبد الكبير الفاسي ،
عبد الرحمن الدكالي ، عبد الله كنون ، محمد بن عبد الله

وان المرء ليقف مشدوها واجما امام هذا المنظر
الرائع ، الذي يخيل اليك وانت تراه ، انك تحضر
المعارك الحية ، وتفشى صفوف المقاتلين ، وتتخطى
الاشلاء والاعضاء في صمت واعتبار .

والحق انه قد يكون ترك الوصف ابلغ من الوصف
لهذه اللوحة الرائعة في معرض بنوراما .

الى لينينغراد :

(يتبع)

الرباط : محمد بن عبد الله

في هذه اللحظة جمع كوتوزوف جموعا جديدة
لحماية الوحدة وقرية سيمينوفسكايا .

حوالي الثانية زوالا استأنفت الحرب بشدة
ودامت حتى الليل ، وكان عدد القتلى والجرحى 5800
رجل في مدة خمسة عشر ساعة . ووجد نابليون نفسه
مكرها على الرجوع بعساكره الى نقطة الانطلاق
والجيش قد وقع في غمء ، فلا يعرف له قائد ، ولا
علم . وقد جمدهم الصقيع ، وغشاهم البرد .

وربحت المعركة من طرف الجيوش الروسية .

هذه اللحظات العصيبة من المعركة هي التي
صورها الرسام روبو في لوحته ...

انجزه الرسام الشهير الذائع الصيت « فرانتسز الكشفش رويو » .

هذا المنظر الرائع الذي رسم في قماش محيطه 15 مترا ، طوله 115 مترا) تتحد فيه كل الاشياء التي وقعت في المعركة ، وكأنك - اطلال الله حياتك - في صميمها ، فكل الصور فيه تنبض بالحياة تحكي ساعاتها الخالدة ، فيبدو لك وكأنك نعيش تلك اللحظات المروعة ، والساعات الحرجة التي اصبح عليها الرسام « رويو » لونا من عبقريته وعظمته . انه ينقل اليك ، بأمانة وصدق ، تلك اللحظات الحرجة من معركة برودينو التي ابتدأت في ساعة مبكرة .

انك حقا تشاهد الجناح الايسر من الجيوش الروسية ، التي تحمي قرية سمينوفسكايا المسرح الاساسي لهجومات الفرنسيين . والتي كانت تحت قيادة الجنرال بكراسيون .

ما هي احداث هذه اللوحة التي تسجل هذه الحقبة التاريخية من حياة الشعب الروسي اذذاك ؟ .. حوالى الساعة الثانية عشرة زوالا قاوم الروس سبع هجومات من هجومات العدو ، غير ان الهجوم الثامن اضعف الجيوش الروسية ، فراجعوا الى الوراء ، بعد خسائر فادحة في الارواح والعتاد ، وجروح خطيرة لحقت بالجنرال بكراسيون ..

لقد كان التراجع في انتظام الى ما وراء حافة سيمينوفسكي .

وفي الصباح هاجم الفرنسيون قلب الجيوش الروسية ، فتكسرت هجماتهم ، وقضى على اول هجوم في الساعة العاشرة صباحا ...

ثم هاجم الفرنسيون هذه الوحدة مرة ثانية ، واستطاعوا ان يصلوا اليها ، لكن الروس ولوهم الادبار بعد عراك عنيف ...

هاجم المشاة الاشداء ، بالمدافع الثقيلة قريبة سيمينوفسكايا ، لكن المدفعية الروسية التي بعثت من طرف الكومندار الروسي الكبير كوتوزوف باغثت الجيوش الفرنسية من الوراء .

وجم نابليون من شدة هذه الضربة المفاجئة واحتار في امره حتى انه اوقف لمدة ساعتين فصول هذه المعركة الدامية .

سكانها امارات البهجة والانسراح ، وتالقت وجوههم ببسمات الضبطة والانبساط ، لانهم استقبلوا شمساً جميلة منعشة ، وسماء حافلة بالبحر والجمال ، وجوا ضاحكا تنتشر فيه سكينه الدفاء فهم يدرعون في نشوة وزينة شوارعها الفسيحة ، واحياءها المصرية الرائعة التي تمتاز بعمارات جديدة لا تغلو في الارتفاع ، وانما الى الحد الضروري الذي يقدر بقدره ، ويبقى للمدينة بهاءها ورواءها ، وتفتحها واشراقها ، وقد فرشت ارضها او كادث ، بالكلا الاخضر الناضر الذي ينم عن انه ارتوى حتى طفع .. تتخلله اشجار ذات اوراق يانعة ، ورياحين يتضوع اريجها عطرا وشذى مما يترك الانسان يهيم في الجمال والفتون ...

والحق ان هذه المدينة لا توحى بالجهامة والقنامة كغيرها من العواصم الاوربية ، وانما تحتضنك وانت داخلها في وداعة واحتفاء ، وشوق وبشاشة ...

عرجنا على جامعة موسكو ، ولم تيسر لنا - لضيق الوقت - زيارتها ، وانما علمنا بان بناءها ابتدا في عام 1948 ، وانتهى عام 1953 ، وهي تضم 288.000 غرفة على الطراز المصري الحديث ، وبها مقاربة يتلقون دراساتهم العليا ...

ثم توجهنا الى بنوراما ، وهي عبارة عن معرض ذي منظر عجيب عملاق ، وفن ينم عن العبقرية الانسانية ، ومدى ما وصلت اليه رهافة الذوق وفرط الاحساس مما ينتزع الدهش والاعجاب من الانسان .

وقد افتتح هذا المعرض العظيم الرائع في سنة 1962 بمناسبة ذكرى مرور 100 سنة على الحرب الوطنية لسنة 1862 التي تشخص معركة برودينو المشهورة التي وقعت عن بعد 120 كلم من موسكو بين الشعب الروسي وجيوش الامبراطور الفرنسي نابليون الذي غزا تقريبا كل اقطار اوربا الغربية .

وقد كانت هذه المعركة اهم حدث تاريخي في هذه الحرب حيث لقبها نابليون ب « صراع العمالق » ، وكتب عنها في مذكراته : « ان معركة موسكو كانت اصعب المعارك التي خضناها رغم الجهود الجبار الذي بذلناه فيها » .

فلا غرو اذا اصبحت حقول قرية برودينو فخر حرب روسيا .

بنى معرض « بنوراما » من قبل مشروع المهندسين اللامعين ، واهم شيء فيه يثير الاعجاب والدهش هو المنظر العملاق لمعركة برودينو الذي

القلوب ، تعودوا على تصور ان يعيش هذا الطبيب ، بقلبه المستعار ، وان يواصل حياة عادية كما يؤكدده المحيطون به ، ومن الجائز ان يفرض علم زرع القلوب الذي لا يزال في بدايته الان - من الجائز ان يفرض الى تطور متسلسل ، يكون من نتائجه انشاء ابنك للقلوب ، مثل ما هنالك من ابنك لبعض الاجهزة والمواد الجسمية الاخرى التي امكن ان تنشأ لها ابنك ، على انه اذا كان من السهل ، ان يتلقى المرء نجاح هذه المآثر او تلك ، ثم يتعود ذلك فلا يعود يلقي اليه بالا فيما بعد ، فليس من السهل بنفسه المقدار - حل جميع المشاكل الانسانية التي يحدثها التقدم العلمي من هذا القبيل ، وهي مشاكل عديدة ومتنوعة ، ولها من الوجة ما يذهب في مجال التشعب الى حد كبير ، ومن الجائز القول - بهذا الصدد - ان علم زرع القلوب - اذا كانت له جوانبه العلمية الطبية ، فان له ايضا جوانب اخرى ، لا تقل اهمية عن غيرها ، والمراد بذلك ، الجوانب الفكرية والسيكولوجية والاجتماعية التي تتصل بهذا الموضوع على نحو او آخر ، وتنبور من خلالها مشاكل كثيرة تتعلق بها صورة او غيرها ، فهناك اذن - على هذه الحال - تقنيتان ، تدخلان في موضوع القلوب هذا . احدهما لها صبغة تاسيسية ، وهي التقنية الطبية المتعلقة بعملية الافسال نفسها ، والثانية من هاتين التقنيتين لها صبغة فرعية ، وهي التقنية القانونية في الموضوع اي مجموع السبل والوسائل الفكرية التي تتخذ بشكل او بآخر للتغلب على المشاكل الاخلاقية ، التي يحدثها طب الافسال هذا . سواء اكانت هذه المشاكل متعلقة بالافراد ، كل على حدة ، او بالجماعة في عمومها ! وهذا الجانب من الموضوع ، الجانب القانوني هو الذي يعني بطبيعة الحال الحقوقيين والمرعين ورجال الفكر بصورة اعم ، اولئك الذين يدخل في حسابهم - على الخصوص قضية الحق والكرامة والمشروعية في حياة الناس ، وعلاقة بعضهم ببعض . ويلج عليهم اكثر ما يلج ، ان تسير الاشياء باتجاه منطقي متوازن . او ما يبدو انه كذلك .

على ان هنالك مداخلة اخرى تتصل بالموضوع ، موضوع زرع القلوب وقد لا يكون للحقوقيين والانسانيين فيها تدخل مباشر ، لان لها اتصالا بعالم الطب والعلاج اكثر مما لها من ارتباط بأمر الحقوق ، وما يدخل في ضمن ذلك من قضية العلائق بين الناس وتنسيق المصالح القائمة فيما بينهم ، هذه المداخلة التي نشير اليها ، تتعلق بأمر العواقب النفسية التي قد تنشأ عن عمليات زرع القلوب في الامد البعيد ، اي

ما يمكن ان ينتج عن حالة تداخل الاجسام الغريبة بعضها مع بعض من آثار محتملة على نفسية الفرد الذي يتحمل جسمه هذا التداخل ، ويتحمل بالتالي النتائج القريبة والبعيدة ، المترتبة على ذلك .

وعلى الرغم من اهمية الجانب النفسي في موضوع من هذا القبيل ، فان هذا الجانب لا يشغل من الاهتمامات ، مقدار ما تشغله الجوانب الاخرى من امر زرع القلوب ، ولعل مرجع ذلك ، هو ان الملابس النفسية في قضية زرع الاعضاء ، لا تبدو ذات اهمية ملحة في الوقت الحاضر ، بل ولا يظهر لهذه الملابس الان وجود موضوعي يبرز العناية بها مثل ما تنصرف العناية الى الجوانب الجراحية والقانونية في هذا المجال والعملية الجراحية هذه - كما اسلفنا - اساس جوهري في الامر ، ومن عوامل الاهتمام بها ، ان الجراحة على هذا النحو ، هي من احدث ما عرفه الطب من انواع الجراحة ، ومن ثم ، فمن الضروري ان تتركز الانظار العلمية حول طبيعة هذه الجراحة بالذات ، واي الطرق انجع واشد فاعلية في هذا المضمار ، ومن الضروري ايضا ان تتركز الانظار - ربما بقدر اقل - ولكنها تتركز على اي حال في موضوع الحق الانساني الذي تمسه القضية من جانب او آخر ، حق الفرد الذي ينتزع منه العضو ، وايضا حق الفرد الذي ينقل اليه ، فالانسان محور العملية من اساسها ومن ثم ، فان القيم والمثل التي تتحقق منها انسانيته ، توجد هي من جهتها - محورا رئيسيا في الامر ، اصف الى ذلك ، ان الموضوع بهذا الشأن - غير منحصر في النطاق المثالي ، وما يندرج فيه من مبادئ ومثل ، بل انه يمس كذلك - وبصورة اكثر - جانب الحياة العملية ، حياة الناس اليومية ، اذ ان عمليات زرع القلوب - اذا ما ترسخت في تقاليد الطب وصارت عملية مألوفة من عملياته ، فانها ستدخل بذلك طابعا شديد الالاحاح على واقع الحياة اليومية ، وبالنتيجة لذلك ، فان المجال الذي تفتحه - مجال الاحتكاك بين مصالح الناس ، لا بد ان يتسع - بسبب هذا - اكثر فاكثر ، وتتسع معه جملة المسائل القضائية وغيرها مما قد يثيره ذلك على صورة او غيرها ، وكل هذه الاعتبارات وكثير غيرها ، قد البست موضوع زرع الاعضاء اهميته القانونية المتزايدة ، وجعلت الموضوع ، في اوربا مثلا مجالا لكثير من الاخذ والرد الفلسفي والقانوني بل وتقلت القضية في اطارها الحقوقي هذا الى المحافل السياسية والقانونية العليا في عدد من اقطار الغرب ، كبريطانيا وفرنسا واطاليا وغير هذه

وجه آخر من وجوه التدّاخل بين العلم والفانون ، عمليات زرع الأعضاء من زاوية أخلاقية وعقوفية

د.أستاذ: المهدي البرهاني

التوسع في البحث القانوني ظاهرة من ظواهر العصر ، مثل ما هو الحال ايضا بالنسبة الى التوسع الهائل ، الذي يعرفه العلم المادي ، والتكنولوجيا الناشئة عنه .

وقد تعرضنا في فصول سابقة - ضمن « دعوة الحق » - الى اوجه مختلفة من ظاهرة التوسع القانوني هذا ، وبالاخص ما يتعلق من ذلك بموضوع الارتداد الفضائي ، وتطورات وسائل الاعلام الحديثة ، وفي هذين الموضوعين ، لا يزال البحث بكرا السجدا ، وما فتئت المسائل من هذا القبيل ، موضوع توسع في البحث والنظر قبل ان تنال درجة كافية من الرسوخ والاصالة

ونتعرض في الفصل الحاضر الى قضية اخرى من قضايا التوسع القانوني الحديث هي من احداث القضايا من هذا القبيل ، ومن اكثرها اخذا بالاهتمامات العامة في الوقت الراهن ، ونريد بذلك ، حالة زرع القلوب ، او افسال القلوب ، وهذه الحالة قد فرضت نفسها على مدار الاهتمام القانوني ، بعد ان تكررت بغدر غير يسير ، وتصدت الاحوال والصور التي ظهرت بها ، واختلفت النتائج التي استقرت عنها . وما تزال مع ذلك في البداية ، وحقيقة التطور تدفع بها - ولا شك - الى توسع متزايد .

فما هي الالوجه القانونية التي تبدو بها قضية « زرع القلوب » ؟ وعلى ماذا تقوم هذه الالوجه القانونية ، والى اي مدى تذهب اليه ؟

في الثالث من شهر دجنبر من السنة المنصرمة ، صل الدكتور « برنارد » الى تحقيق المأثرة الطبية ، نبي اصبحت شهيرة الان في تاريخ الطب ، والتي رف عند البعض باسم « عملية مدينة الراس » .

لقد بدت القضية في اول امرها مذهشة الى حد يقارن الا بشعور العجب والمباغلة الذي احده في مالم ، اطلاق اول كوكب فضائي في اكتوبر من سنة 195 ! وبطبيعة الحال ، فان الاثارة التي احدثتها عملية مدينة الراس « قد فقدت حدتها فيما بعد ، مرور بضعة اسابيع فقط ، والان فان انباء زرع للوب او افسالها قد غدت من بين الانباء المألوفة لما ، لدى عموم الناس ، فلم يعد من شأنها ان تثير جبا ! والامر كذلك طبعا بالنسبة الى موضوع الفضاء

واطلاق الاقمار الاصطناعية ! فقد فقد كل ذلك - او كاد - اتارته الاولى ، واضحى من المؤلفات التي يغدو الناس عليها ويروحون ، وربما يصير الامر من الابتذال عند الناس ، الا يثير دهشتهم نزول انساني محتمل على ظهر القمر ، يوم يتحقق هذا النزول ، اذ ان الاقمار الاصطناعية المرسلة اليه لحد الان ، قد حققت فيه من الاتصالات مع الارض ، ما غدا معه امر القمر الطبيعي ، مألوفاً عند الناس بقدر كبير .

وفي موضوع القلوب ، حدثت اخفاقات عديدة اكثر مما تحقق من نجاح ، الا ان الموضوع من اساسه موضوع زرع القلوب ، قد اصبغ من جملة القضايا الجارية ، وتعود الناس على تصور ان يعيش الطبيب الذي كان موضوع العملية الثانية في تاريخ طب زرع

عن اعطاء الدم ، بالحالة الاخرى الناتجة عن اعطاء عضو ، لا يعوض كالكلية مثلا ، وهنا مدخل الناظر في الموضوع من الناحية القانونية ، وثمت مدخل آخر تعرض لنا فيه ايضا حالتان من حالات نقل الاعضاء بين الاجسام (الحالة الاولى) موافقة المعطي او المنقول منه على مجموع العملية التي سيكون طرفا فيها ، (الحالة الثانية) موافقة المنقول اليه العضو ، وهو السبب الاصيلي او السبب المؤسس لمبدأ العملية ومدخلها وما قد ينتج عنها من عواقب ؛ اما موافقة المعطي فهي حجر زاوية في القضية من اساسها ، فالحالة التي يتعرض لها المعطي - فضلا عن كون جسمه لا يفيد منها شيئا في الغالب ، فان هذا الجسم قد يتعرض - اكثر من ذلك - الى عواقب محتملة في الحال او المال ، ان المعطي هو في كثير من الاحوال ، شخص انساني النزعة ، او المفروض فيه كذلك اذ ان القضية التي يجعل من نفسه طرفا فيها ، وتسبب له حرمانا عضويا لا يعوض - علاوة على الالام المحتملة التي قد يتحملها - هذه القضية ، يقحم نفسه فيها ، بينما هو غير ملزم بهذا الاقتحام من الناحية الفسيولوجية او البيولوجية ، اي انه ليس هناك دواع جسمية تتعلق بذاته ، تجعل منه هذا الطرف المقحم في قضية طبية عويصة ، قضية عطب كلية شخص آخر ، واقتارها بسبب ذلك للتعويض ، وقد يتصور احدنا ان يكون هناك مصلحة للمعطي احد اعضائه الى آخر ، مصلحة مادية مثلا ، كان تكتسي القضية صبغة صفقة تجارية ، فيكون اعطاء العضو اذن مقابل مقدار مالي او ما في حكمه متفق عليه بين طرفين ، والواقع ان مثل هذا الاحتمال ، مما قد يترجح في ذهن البعض من الناس ! لكن النظرة القانونية الى الموضوع تختلف عن هذا في التطبيق ، اختلافها عنه في المبدأ ! فالروح القانونية ليس المفروض فيها ان تسمح دائما بتبادل الاعضاء عن طريق البيع والشراء ! وبعض التقنيات الحديثة - في أوروبا - تعبر عن معارضة صارمة لمثل هذا السلوك ، بل وتنص على عقوبات بدنية ومالية في نطاق ردهه ، والمغزى الذي يرمي اليه القانون بهذا الصدد من الوضوح بدرجة كبيرة ، وهو مغزى اخلاقي بالدرجة الاولى ، ومغزى اجتماعي كذلك ، ومن ثم فانه لا يبقى دافع في هذه الحالة للمعطي ، يحثه على منح احد اعضائه لشخص آخر ، الا الدافع الاخلاقي او العاطفي او ما هو من نوع ذلك ، وقد تتدخل الدوافع المصلحية في الامر ، ولكنها في كثير من الاحيان ، تكون ممزوجة بنسب من العاطفة تقل او تكثر ، كالزوج الذي يعبر

عضوا له الى زوجه بغية انقاذها من الموت او من عطب دائم ! وهي سنده في الحياة والقائمة على شؤون اولاده ، وهكذا مثل هذه الصور ، التي تتمازج فيها العاطفة بالمصلحة ! الا ان المصلحة هنا مصلحة نبيلة في الغالب ، وذات ملاسبات اخلاقية ايجابية في المحط الاول .

ومن مجمل كل هذا تبدو عملية منح الاعضاء كقضية تضحية وايتار من جانب المعطي ، اكثر مما هي اي شيء آخر ! وتؤكد جلية العوامل الاخلاقية والعاطفية التي تتدخل في مثل هذا الامر وتقوم فيه بدور الحافز الاساسي ، لكن الاخلاقية هنا اذا كانت محورا تدور به او حوله الاعتبارات القائمة في هذا الموضوع ، فان هذه الاخلاقية ، لا بد ان يكون لها نطاق شامل في مجموع العملية بمختلف اطراف المشاركة فيها ، اي ان هذه الاخلاقية اذا كانت دافعة للجانب المعطي على ان يعطي لصالح الجانب المستفيد ، فلا ينبغي اخلاقيا كذلك ان يكون هذا الجانب المعطي مجرد ضحية تغرير به لصالح الجانب المستفيد ، وذلك بان يستدرج المعطي الى التنازل عن عضو من اعضائه ، لا لانه يتقبل ذلك عن طوعية ، وتحمس ، ملجأ علمه بتفاصيل كل ذلك وتبعاته ، بل لانه فقط لا يدري اهمية ما يقدم عليه ، وما قد ينشأ عن ذلك من عواقب واحتمالات بالنسبة اليه شخصا ، اما في المستقبل القريب او البعيد ! مثل هذه الحالة ، حالة غير معقولة ومرفوضة مقدما من الناحية الاخلاقية ، اذ ان الاخلاقية التي تتمثل في ضرورة الانقاذ ، انقاذ الجانب المستفيد ، تنتفي - من ناحية اخرى - بالنسبة الى الجانب المعطي نظرا الى ما يحصل لهذا الجانب الاخير من غبن كنتيجة لعدم علمه العلم الكافي بمدى ما يقدم عليه ، والابعاد التي تمتد عليها مبادرته ؛ والاخلاقية - كما نسلم به جميعا - هي كل لا يتجزأ ! فلا يمكن ان تتحقق اخلاقية حالة من الحالات على اساس اعتماد الاخلاقية في نفس الحالة ، وانطلاقا من هذه الاعتبارات وما في حكمها ، يذهب القانون الى التشدد في موضوع مصادقة الطرف المعطي للعضو ، ويقتضي وجود هذه المصادقة في اكثر صورها تدقيقا وثبوتا ، محترا في ذلك احترازا يتناسب مع اهمية الحياة في نظر القانون ، وحرصه على الحفاظ عليها ، اكثر ما تمكن المحافظة ، وهذه الناحية من موضوع تدخل القانون في الطب ، اي الناحية المتعلقة بمصادقة الجانب المعطي ، مصادقة واعية ، متبينة ، اختيارية حرة ، هذه الناحية تنشأ عنها قضايا وملاسات مهمة يتدخل فيها القانون كذلك

الاقطار ، ففي انجلترا ، عرضت قوانين بشأن افسال الاعضاء وخاصة القانون المتعلق بنقل الكلى من اجسام المرضى الذين تدرتهم الوفاة في المستشفيات ، وفي الولايات المتحدة ، يتوالى نشاط قانوني من اجل تعقيد الاحوال التي يتم فيها نقل القلوب بين الاجسام، واعطائها اطارا قانونيا قارا لتحديد به الحقوق والواجبات بهذا الصدد .

وفي ايطاليا ، وفي الدانيمارك ، وفي غير هذه الاقطار ، يشتد الاهتمام بمثل هذه القضايا ، وليس من شك في ان هذا الاهتمام ، لا يعود الى مجرد الرغبة في تعقيد حالة قانونية ناشئة ، بل يؤول - اكثر من ذلك - الى حرص مشروع على تلافي مشاكل ، يجب تلانيها قبل ان تصير اكثر تعقيدا .

* * *

الافكار القانونية التي تدور حول موضوع زرع الاعضاء ، ليس مرجعها هذه الشهور الاخيرة ، اي حينما نشطت حركة افسال القلوب، كما يتصور، فالامر سواء من ناحيته الطبية والحقوقية ، يعود - بطبيعة الحال - الى عهد اقدم ، فالعملية التي اجريت في « مدينة الرأس » اواخر السنة الماضية ، لم يكن لها لتحدث ، لو لم يقع التمهيد لها بأبحاث طويلة في هذا المجال ، ولو لم تحدث في مضمار ذلك تطورات متلاحقة، بلغت قممها بعملية دجنبر الشهيرة ! وكذلك الامر بالنسبة لموضوع الصلة بين عمليات زرع القلوب من جهة ، والملايسات القانونية المتعلقة بذلك من جهة اخرى ، فالتفكير في هذا الامر ، وبروز النظريات في موضوعه - وان كان قد اتخذ صبغته الواسعة في اثناء الشهور الاخيرة، - غداة اجراء عملية «مدينة الرأس» - الا ان هذا التفكير كان مع ذلك موجودا منذ عهد غير قصير ، وقد برزت في السنوات الاخيرة عدة اشهادات بهذا الشأن ، يعتبر بعضها ذا صبغة وثائقية ، ويعود الامر في ذلك الى ان الموضوع ، كما فكر فيه اربابه من قبل - لم يكن منحصر بالضرورة في قضية زرع القلوب التي كانت لم تدخل بعد في حيز التطبيق ، بل ان الموضوع كان دائما موضوعا عاما يتعلق بنقل الاعضاء عموما من اجسام الى اخرى .

ومن المعلوم ان الاعضاء التي يجري عليها مثل هذا ، هي عديدة ، ومنها الكلى ، وغير ذلك ! ويحاول الان زرع الكبد والبنكرياس وسواهما ! فالموضوع كما نراه هو اوسع بكثير من موضوع القلب الذي تركزت

حوله الانظار غداة عملية يوم 3 دجنبر 1967 ، ومن ثم فان المسالة القانونية القائمة اليوم ، هي مسالة زرع الاعضاء ، لا زرع القلب فقط ، والاطر الذي يدخل فيه مفهوم زرع الاعضاء ، اطار واسع جدا ، ومن المنتظر ان يزداد توسعا كنتيجة مباشرة ، للمزيد من التطورات التي يمكن ان تحققها الجراحة الحديثة بهذا الشأن !

* * *

هنالك حالتان تعرضان في موضوع الاستعارة من الاجسام ، (الحالة الاولى) وهي التي تتمثل في استعارة مادة جسمية يمكن للمعطي ان يعوضها في فترة تقل او تكثر ، وبهذا ، فان الامر لا يؤدي به الى حد حرمان نهائي من العضو او المادة التي منحها من جسمه الى جسم آخر ، والمثال البارز هنا ، هو مثال تحاقن الدم ، حيث يتنازل شخص من الاشخاص عن جزء من دمه ، فيقبل ان يعتصر منه ، لينقل الى جسم شخص آخر ، اما شخص معين في حاجة الى دم لم يجده ، واما الى اي شخص ، وفي هذه الحالة يكون الدم المعطى هبة للعموم ، ولا يسال المعطي عادة عن سينقل اليه ذلك الدم، وسواء كان الدم معطى لشخص معين ، او هبة الى العموم ، فان هذه الحالة ، حالة تحاقن الدم ، هي من اشيع حالات التعاطي بين الاجسام ، ولا تثير اليوم اعتراضات حقوقية مبدئية ، الا اذا كانت هنا احوال خاصة ، يمكن ان تقوم في مضمونها ملايسات قانونية خاصة ايضا ، وهذه الحالات الخاصة لا يعتد بها ، لان الاساس القانوني والطبي الذي يقوم عليه تحاقن الدم اساس راسخ بالقدر الكافي ، وله الان تقاليدته التي لا يجادل فيها احد .

(الحالة الثانية) ، هي الحالة التي لا يستطيع المعطي فيها ان يعوض لنفسه العضو او المادة التي منحها لغيره ، وهذه الحالة كما نرى ، تختلف في عواقبها بالنسبة للمعطي عن العواقب الناشئة عن اعطاء الدم ، ان المعطي في هذه الحالة ، يتعرض لحرمان حقيقي ودائم ، حرمان من العضو او المادة التي فقدتها بتنازله عنها لغيره ، ومثال اعطاء الكلية واضح في هذا السياق ، فالكلية اذ تنتزع من جسم لتنتقل الى جسم آخر ، فان الجسم المعطي اياها ، لا يمكن ان يسترد بدلا لها عن طريق التفاعلات الحيوية داخل الاجسام كما هو الشأن بالنسبة للدم مثلا ، فالفرق هنا هو اذن فرق شاسع ، ولا يمكن بهذا مقارنة الحالة التي تنجم

نهائيا احتمالات الخطورة التي هي لازمة من لوازم مثل هذه العمليات الدقيقة .

ويتساءل من جهة أخرى عن حتمية عملية الاستبدالات اذا كان يقدم عليها احيانا دون ان يكون ذلك ضروري ، ضرورة مطلقة لا خيار فيها ، ولا بديل عنها على اية صورة أخرى يكون البديل ! فالمريض الذي ينقل اليه العضو البديل ، ليس من شأن جسمه ان يتلاءم مع ذلك العضو المستعار ويتكيف بكيفه ، الا بعد ان يجتاز المريض من اجل ذلك فترة امتحان عسيرة، قد لا يكون اعسر منها في حالة علاجية مشابهة، وكل هذا يفرض على الضمير القانوني اعتبارات احتياطية مهمة بالنسبة للمستفيد ، بقدر ما هنالك من اعتبارات احتياطية تتعلق بالمعطي ، ومن ذلك استحمال المصادقة ، مصادقة المستفيد ، مثل ما هو ضروري ايضا الحصول على مصادقة الشخص المتطوع

باعطاء العضو المنقول ، وبطبيعة الحال، فاننا نتصور المصادقة في اطار التسليم بان المعطي للعضو يكون في حالة قدرة على ادراك ما يقدم عليه ، ليتمكن المصادقة على ذلك او رفضه ، ويعني ذلك انه حيا في حالة اعرابه عن الموافقة ، وينتج عن ذلك في كثير من الاحيان، انه سيبقى حيا - كما هو المفروض - بعد استئصال العضو المنقول من مثل ما هو الامر بالنسبة الى نزع الكلية ! لكن ما الامر اذا كان « المعطي » فاقد الادراك في حالة اقدام الطب على انتزاع العضو المنشود منه ، وما الامر ايضا اذا كان المفروض في المعطي ان يفارق الحياة اثناء او على اثر انتزاع عضوه منه ؟ .

ذلك افق آخر من البحث في هذا الموضوع سنحاول النظر فيه - بحول الله - في الفصل القادم .

سلا : المهدي البرجالي



وعلى نحو تتزايد تشعباته بمقدار ازدياد التقدم التقني الذي تحققه جراحة نقل الاعضاء بين الاجسام ، وسنفحص بعضا من ذلك في الفصل القادم بحول الله . ولننظر الان - كتتمه - لموضوع المصادقة من الناحية المبدئية ، ننظر في مصادقة الطرف الثاني الذي يعنيه الامر ايضا ، ونريد الطرف المنقول اليه العضو ، او الطرف المستفيد من عملية نقل العضو! فهذا الطرف له ايضا اعتباره - الذي يمكن ان نصفه بـ « المهم » - اعتباره في موضوع المصادقة التي تقتضيها الاخلاق ، وتلح عليها ، كشرط اجرائي اساسي ، قبل محاولة اية عملية لنقل الاعضاء بين الاشخاص ! وقد يرى البعض في اشتراط موافقة المستفيد انه من قبيل الترتيبات الشكلية التي لا تسندها اعتبارات اخلاقية ملحة كالاقتدارات الاخلاقية التي توجب موافقة الشخص المعطي للعضو ، وتوجب ذلك بأشد ما يكون من الالاح ، وينبغي نظر من يذهب الى قول كهذا - ينسب على اساس الاعتقاد بان العملية في مجموعها هي عبارة عن تضحية يتضرر منها الطرف المعطي ، بينما الطرف المستفيد هو مستفيد فقط ، لا يتحمل تضحية في الامر ، ولا يمس منه سوء محتمل ، بل ان مصلحته في هذا الامر هي كل شيء ، وهي مبدأ الامر ومآله ! فليس هناك - بهذا الاعتبار - تعادل في الحالة بين الطرفين ! فهل يجب لذلك - العناية باتخاذ نفس الاجراءات الاحتياطية بالنسبة الى كلا الطرفين ، والحال انهما لا يعترضان الى نفس المحذور ، وبالتالي ، فان « الضغط الاخلاقي » الذي يخلقه كل منهما ، مؤثرا به على ضمائرنا - لا يجب ان يكون في نفس المستوى وداعيا الى اتخاذ نفس الاحتياطات ؟ وابدأ - اولاً - الى القول ، ان هذه النقطة الاخيرة ، المتعلقة بامر المستفيد ، ووضعيتها داخل مشتبك العملية الجراحية المتعلقة بنقل الاعضاء بين شخصين ، هذه النقطة ، توجد موضوع نظر وتأمل ، واحيانا موضوع نقاش وجدل ، ويتركز الاهتمام في ذلك حول الاعتبارات النظرية ربما اكثر مما يتركز في النطاق التقني الذي تشكل به المسالك الاجرائية بعدد نقل الاعضاء ولكن اهمية النظريات التي تروج في الموضوع ليست في مجرد صفتها النظرية الاكاديمية ، بل بما لها من تعلق بالاعتبارات القانونية الاكثر اتصالا بالحياة وما يمكن ان تؤدي اليه من تقنيات تتعلق باحقاق الحقوق ، وتحديداتها في موضوع نقل الاعضاء بين الاجسام ، اما القول ، بان المستفيد في اية عملية للنقل العضوي هو مستفيد على اي حال ، ولا يتحمل من التضحيات ما يتحملة المعطي للعضو ، ومن ثم وجب ان

تكون الاحتياطات الاجرائية المتخذة في حق المعطي اشد صرامة ، واوفى نطاقا من اية احتياطات اخرى ، تتخذ في نطاق اجراء عملية نقل العضو - القول بهذا ، لا شك انه مبني على جهل او تجاهل المشاكل الواسعة التي تحدث لـ « المستفيد » نفسه بسبب نقل عضو من جسم آخر الى جسمه هو ، اي جسم المستفيد ، ان الجسم المنقول اليه العضو ، هو مستفيد من ناحية مبدئية كما هو ظاهر بالبداهة ، لكن هذه الاستفادة ، ليست دائما مأمونة العواقب ، كما يلحظه حتى المراقب من بعيد لانباء عمليات نقل الاعضاء بين الاجسام ! فهناك لحد الان نجاحات عملية بسيطة ، تحققت ، في هذا المدار ، بالنسبة الى الانفاقات الكثيرة التي اودت بحياة الكثيرين او بالاصح ، انتهت بهم الى نفس النهاية التي كانت متوقعة لهم ، قبل اجراء عمليات نقل الاعضاء المعارة لهم ! وقد يقال ، ان هذه مرحلة موقنة من مراحل تطور التقنية الطبية بصدد موضوع نقل الاعضاء ! ولا بد ان يؤدي التقدم المستمر في هذا المجال ، الى تقليل نسبة الخطورة التي يتعرض لها المستفيد ، وتوفير اكبر حظوظ النجاح للعمليات الاستبدالية التي تجري في المستقبل ! وقد يقال ايضا انه حتى في هذه الظروف الاولى ، التي تقع فيها عمليات نقل الاعضاء في الوقت الحاضر فان حظ المريض الذي ينقل اليه العضو هو على اي حال - احسن من حظه - فيما لو ترك على حالة مرضه المزمنة ، وبعضه الاصلي المعطوب ، وهو عضو يعتبر عمله الفسيولوجي او البيولوجي في حكم المنتهى او يكاد يكون كذلك ! كل هذا وغيره وارد ، بصدد النظر في موضوع حالة المستفيد من نقل الاعضاء ! الا ان ما برد منه مثل هذه الاقوال ، لا يغير من المشاكل القائمة في هذا الموضوع ، وان كان يدخل على النظريات المدلى بها في هذا المجال بعض التنوع الهامشي ! ذلك ان مشكلة الاحتمالات في مصير المريض ، المستفيد من نقل العضو ستبقى قائمة ، بكل ما تنطوي عليه من خطورة ، الى ان يتم هذا التقدم العلمي الذي يزيل غالب الاحتمالات السلبية في عمليات الافسال ويوفر بهذا للمستفيد حظوظا افضل ، وفي انتظار ذلك ، فان « الضمير » القانوني لا يستطيع ان يتغاضى عن الاحتمالات التي يتعرض لها هذا الجيل من المرضى الذين يعيشون فترة التجربة العلمية التي تجتازها تقنيات نقل الاعضاء اليوم ، وهي احتمالات مأساوية في كثير من الحالات ، كما نلاحظه اليوم ، وحتى عندما تتقدم التقنية الطبية في هذا المضمار ، وتصبح العمليات الاستبدالية مأمونة بقدر كبير ، فان ذلك لا يرفع

تبنى العمارات الادارية الشاهقة والفنادق العظيمة والمعاهد والكلية الضخمة ، كانت تبعث بالمدرسين والمعلمين وتوزع المنح الدراسية بسخاء على ابناء افريقيا حتى يقبلوا على مدارسها للدراسة والتحصيل والتخصص . وكانت تقوم بدعوة رؤساء الدول الافريقية ووزرائها ومختلف اطاراتها واعضاء مجالس النواب فيها وارباب المهن الحرة لزيارة اسرائيل وقضاء اسبوع على الاقل في ربوعها حيث يلقي الجميع الاستقبال الحار والحفاوة الفاتكة والاکرام المتناهي ، وليت الامر انحصر عند هذه الاشياء ولكنه كان يتجاوزها الى حد بعيد حيث تلبى جميع الرغبات والشهوات مهما كان نوعها فتعرض المشروبات الشهية وتنظم السهرات الممتعة التي يجد فيها الزائر جميع ما لذ وطاب . واي دولة غير اسرائيل يمكنها ان تقدم لزوارها وضيوفها ما يرغبون وما لا يرغبون فيه من ملذات وان كان ذلك على حساب الاعراض والاخلاق ؟ واذكر ان غالبية رؤساء الدول الافريقية آنذاك كانوا زاروا اسرائيل بدعوة من حكومتها ، كما كان رئيس دولة الصهاينة وبعض مساعديه يستعدون للقيام بجولة عبر كثير من الاقطار الافريقية لرد الزيارة واحترام قواعد الضيافة والمجاملة . واذكر ان رئيسا افريقيا واحدا لم يكن زار دولة عربية ما في ذلك الوقت او كان حدد موعدا لزيارتها ، اللهم ما كان من الدول الاعضاء في منظمة دول افريقيا الثورية التي كان رؤساؤها زاروا بلادنا للحضور في مؤتمر الدار البيضاء الاول والثاني ومؤتمر القاهرة .

الم يكن من المعقول مع هذا ان تكون ميول الدول الافريقية تسير في اتجاه السياسة الاسرائيلية وان يكون المسؤولون الافارقة يجذبون موقف اسرائيل التي كانت السبابة الى شرح وجهة نظرها والمسرعة للحصول على رضاهم وموافقتهم نظرا للجهود التي بذلتها والمساعدات التي قدمتها ؟ الم يكن من المعقول ان يتخذ رؤساء الدول الافريقية وشعوبهم مثل هذا الموقف بعدما تقاعس العرب ولم يتفضل احد منهم للتعريف بقضيتهم وعرضها على انظار الافارقة حتى يدركوا الحقيقة ويستطيعوا اتخاذ موقف مناسب بعد دراسة مقارنة لنظريتين متعارضتين وموقفين متباينين ؟ الم يكن من المعقول ان تسير الدول الافريقية ورؤساؤها في ركاب اسرائيل بعد ما سمع معظم هؤلاء القادة الافريقيين بعض الاذاعات العربية تسبهم وتنتعهم بعملاء الاستعمار الجديد في افريقيا وتخص بالذكر منهم هو فويت بوانبي وسنغور وحماني ديوري ؟

ان آفة الامة العربية في الماضي وطامتها العظمى في الحاضر ونرجو ان لا تظل آفاتنا في المستقبل هي ضعف اجهزة الاعلام والدعاية العربية التي لا تعتمد على الطرق العلمية والواقعية لكسب المؤيدين والمناصرين وريح الموافقين والمعضدين والتي تبني برامجها الضحلة الفتنة على أسس من العواطف الهوج والمشاعر الكاذبة والافتراءات الفارغة في هذه الظروف القاسية التي لا تتلاءم مع موقف الاقطار العربية قام وفد مؤتمر العالم الاسلامي بمهمته في سنة 1962 . وقد اقتضت هذه المهمة على اتصال برؤساء الدول الافريقية التي تمكن اعضاء الوفد من زيارتها وبعض القادة الشعبيين وشيوخ الطرق والزوايا والجاليات العربية التي تعيش في الاقطار الافريقية والتي كانت تقضي حياتها في عراك مرير ونزاع اليم وخلافات قوية بسبب التيارات السياسية التي كانت تهز العالم العربي والمذاهب المتنازعة في سبيل البقاء والانتصار في الشرق الادنى . فقد كان من بين اعضاء هذه الجالية من يناصر القومية العربية التي كانت قوية الشوكة آنذاك ، كما كان من بينهم من يناصر الاتجاه العربي المتحرر .

اما فيما يتعلق بفلسطين فقد كان من بين افراد هذه الجالية من يجاهر بعدائه لمفتي فلسطين الشيخ الحاج امين الحسيني ويؤيد الفئات التي قامت ضده كما كان فيهم من يرى ان مفتي فلسطين قد ابلى البلاء الحسن في الدفاع عن الحق العربي في فلسطين وان اخفاق مساعيه يرجع لتكالب قوي الشر والعدوان ضده وضد العرب . وقد وجدنا آنذاك من افراد الجالية العربية من كان يتعاون مع اسرائيل داخل الشركات التجارية والمؤسسات الصناعية التي كانت تشرف عليها اسرائيل بصفة مباشرة او غير مباشرة .

واذا كان من المعقول ان لا يصل وفد مؤتمر العالم الاسلامي الى نتائج ايجابية نظرا لهذه الظروف الصعبة والعوامل المعاكسة فان من باب الصدع بالحق ان نؤكد ان الوفد لم يكن مستعدا للقيام بامورياته السامية على الوجه الاكمل رغم نوايا اعضاءه الحسنة واستعداداتهم الطيبة . ويرجع هذا الى العقيلة العربية السائدة في الشرق والتي ما زلت بعيدة عن التنظيم العملي والحياة الواقعية وتقدير المسؤوليات . كان اول خطأ ارتكبه الوفد هو عدم الاضطلاع بالمهمة الى نهايتها ؛ فقد اكتفى بزيارة ببعض الاقطار وفضل العودة دون ان يزور بلدانا اخرى كان من المقرر الوصول اليها والاتصال بالمسؤولين فيها . فقد بلغ الجهد

بين مرهين في إفريقيا

للمأستاذ عبد اللطيف خالص

يجعلهم يدركون قيمة وزنهم في الميدان الدولي
 ويفرضون رأيهم في المنظمات العالمية بل كانوا كما قال
 الشاعر :

« خليفة » في قفص
 بين وصيف وبغا
 يقول ما قيل له
 كما تقول البغا

كانت فكرة الوحدة الافريقية ما زالت غريبة عن
 اسماع رؤسائهم ومرؤوسيههم وكان اهتمامهم بالقضايا
 الدولية بسيطا جدا ، فلم يكونوا يعرفون عن مشكلة
 فلسطين اي شيء ولم تكن حرب الفيتنام لتشفلهم ولا
 حصار كوبا يهمهم ولا السباق نحو التسليح يزعجهم .
 ولعل من القضايا التي كانت تثير بعض الاهتمام عندهم
 قضية الميز العنصري الذي كان آخذا في الاستفحال
 في افريقيا وامريكا ، ومشكل الكونغو الذي تأزم واحتد
 بعد فشل الامم المتحدة .

اما عن قضية فلسطين المقدسة فلم يكن الافارقة
 يلمون بها البتة لانهم كانوا يعيشون تحت ضغط
 الاستعمار المستر وراء المساعدات والمستشارين
 التقنيين كما كانوا متأثرين بالدعايات الاسرائيلية التي
 كانت متعددة الوجوه ومتنوعة الاشكال . فقد جعلت
 اسرائيل رهن الشعوب الافريقية كامل امكانياتها
 البشرية والمادية فكانت تمدّها بالمساعدات المالية
 والفنية والتجهيزات الاساسية . كانت اسرائيل
 آنذاك تدرب جيش ساحل العاج وتجهزه كما كانت

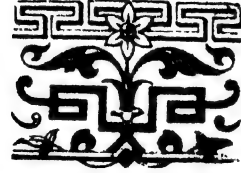
منذ ست سنوات قمت بجولة عبر افريقيا زرت
 فيها السنغال وليبيريا وغانا وساحل العاج ونيجيريا
 وسيراليون التي منعنا من دخولها رفقة اعضاء وفد
 مؤتمر العالم الاسلامي ضد الدعاية للقضية الفلسطينية
 والحصول على تأييد الشعوب الافريقية وحكوماتها
 لجانب الحق والعدل . وكان الوفد يتركب من السادة:
 موسى ابي السعود وهو فلسطيني الاصل وعضو في
 الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ورياض العابد وهو
 سوري الاصل وكان يعمل محاميا في دمشق وكاتب
 هذه السطور وقد كنت في ذلك الوقت رئيسا لمصلحة
 الاذاعة والتلفزة التربوية بوزارة التربية الوطنية . وقد
 قمنا بهذه الجولة آنذاك والشعوب الافريقية التي
 زرتها لم يكن مر بعد على حصولها على الاستقلال الا
 سنة او سنتان باستثناء غانا التي كانت استقلت منذ
 اربع سنوات . ومعنى هذا ان الشعوب الافريقية في
 ذلك الحين لم تكن استكملت بعد استقلالها ولكنها
 كانت ما تزال تخضع في الميادين الاقتصادية والادارية
 والعسكرية للنفوذ الاجنبي الذي كان يفرض عليها
 سيادته بواسطة المساعدات المادية والتقنية . وكان
 معظم حكام هذه الاقطار التي حظيت بالاستقلال دون
 بذل الارواح وتقديم الضحايا في مقاومة الاحتلال
 الاجنبي يعملون تحت تأثير السلطات الاستعمارية التي
 تكرمت على بلدانهم باستقلال صوري بعدما احتفظت
 لنفسها بالسيطرة الفعلية على اهم اجهزة هذه الدول
 حتى توجهها حسب مشيئتها ووفق ادارتها . ولم
 يكن غالبية الافارقة آنذاك يتمتعون بوعي سياسي

الفعل لدى هذه الاقطار الافريقية ؟ وما هي الاصداء
والآثار التي خلفتها زيارة وفد مؤتمر العالم الاسلامي
عند قاداتها وشعوبها ؟ وكيف تلقى اخواننا المسلمون
في افريقيا هذه البعثة ؟ وهل عرفت قضية فلسطين
تطورا ما بعد هذه الجولة ؟ وما هي النتائج الايجابية
التي توصل اليها الوفد بعد اداء مهمته ؟ ذلك ما
سنحاول ان نقف عليه في الحلقة المقبلة بحول الله .

(يتبع)

الرباط : عبد اللطيف أحمد خالص

كما قام بزيارة كامبيا وسيراليون وغينيا وساحل
العاج وفولتا العليا والنيجير ومالي ، حيث ربط
اتصالات مهمة مع رجالها وقاداتها وعقد اجتماعات
مفيدة مع منظماتها السياسية والدينية والثقافية
 والاجتماعية . وقد عرض الوفد قضية فلسطين في
اطارها الاسلامي والسياسي وبسط العواقب الوخيمة
التي نتجت عن الاعتداء الصهيوني على بيت المقدس
والاقطار العربية المجاورة لاسرائيل ، كما بين الواجب
الذي فرضه الدين والحق على المسلمين لانتشال هذه
البقاع الطاهرة من ايدي المعتدين . فكيف كان رد



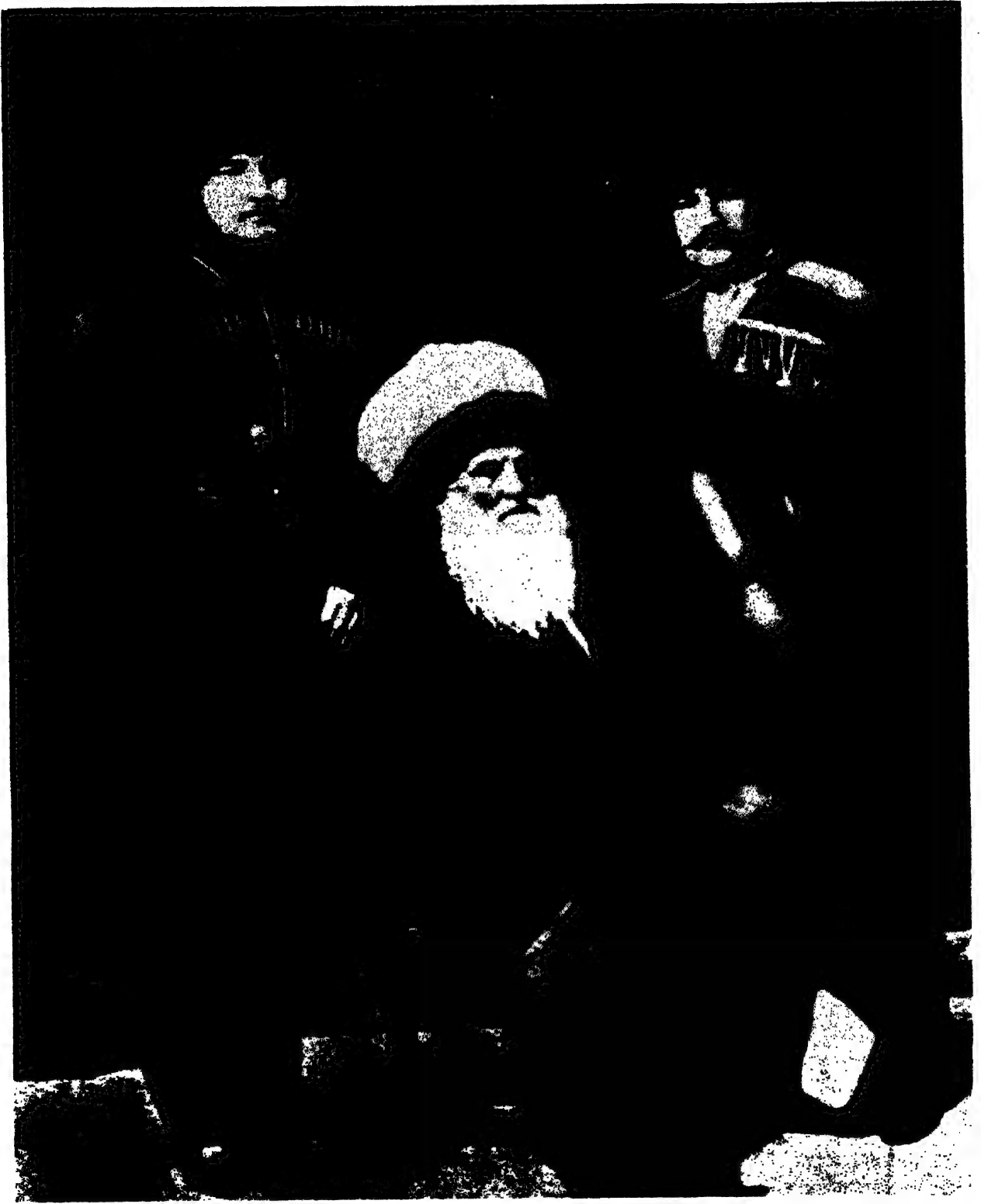
والعلماء من أعضاء الوفد مبلغا كبيرا حتى فضلوا الرجوع الى ديارهم راضين من الغنية بالاياب كما يقول امرؤ القيس . والواقع ان المقام في افريقيا صعب فقد كانت معظم الاقطار لا تتوفر على فنادق صالحة للاقامة كما كانت وسائل المواصلات وما زالت عسيرة وقليلة الشيء الذي جعل المقام يطول دون الوصول الى اية فائدة . ومن الاخطاء التي ارتكبها الوفد آنذاك توجيهه الخطاب للافارقة بلغة حماسية لا تعتمد على الواقع والمعقول وعدم عرض القضية في اطار سياسي واسلامي يجعلها مقبولة في الاسماع ، وانما كانت ترتكز على اذكاء الحماس وانتزاع التأييد انتزاعا من الاخوان الافريقيين وبلهجة قوية لا تخلو من السب والشتم والتحطيم . ومع ذلك فقد وجد الوفد نوعا من التأييد بلغ درجة الحماس في بعض الاحيان ، كما نجح الوفد في تبليغ الاخوة العربية وطرح قضية فلسطين في ربوع الاقطار الافريقية لأول مرة رغم التطفل الاسرائيلي الذي كان قوى الشوكة تابت الدعائم ، والعملية في حد ذاتها خطوة ايجابية كان من اللازم ان تتلوها خطوات اخرى لتركيز الفكرة وشغل الافكار بها وتركها تختمر في نفوس ابناء افريقيا مدة من الزمن قبل اقدام على المطالبة بالتأييد المطلق والمنصرة التامة .

وقد جاءت مهمة الوفد المغربي لمؤتمر العالم الاسلامي هذه السنة لترتبط الحلقة بالمهمة السابقة وتحقق نفس الرسالة . واذا كان مؤتمر العالم الاسلامي قد قرر في دورة عادية عقدها في العراق سنة 1962 ارسال بعثات لمختلف الاقطار للدعاية للقضية الفلسطينية فان المؤتمر عقد هذه المرة دورة استثنائية في عمان على اثر العدوان الصهيوني الغاشم على الاراضي العربية والبقاع المقدسة واتخذ ، بعد دراسة الاوضاع التي نتجت عن هذا العدوان الاثيم في العالم الاسلامي وما تركه احتلال المسجد الاقصى في نفوس المسلمين من عواطف الالم والحراسة ، قرارا بتوجيه وفود عنه الى مختلف البلدان الاسلامية للاتصال برؤسائها وشعوبها وقادة الراي والدين فيها وعرض قضية البقاع المقدسة عليهم ومطالبة جميع المسلمين بالعمل المتواصل والسعي المستمر لتحرير المسجد الاقصى والاماكن الاسلامية الطاهرة من دنس اليهود وعبيث الصهاينة الاثمين .

وقد انتدب ممثل المملكة المغربية في مؤتمر العالم الاسلامي اخونا الاستاذ ابو بكر القادري للاضطلاع

بهذه المهمة النبيلة في القارة الافريقية كما تقبلت الحكومة المغربية وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني هذا التكليف بفرح عظيم وحماس كبير . فما ان اشعر اخونا الاستاذ ابو بكر القادري بالعمورية الملقاة على عاتقه حتى رفع الامر الى صاحب الجلالة الذي شجعه على القيام بهذه المهمة السامية وبذل له المساعدات اللازمة لاتمامها على الوجه الاكمل . وكان من جملة هذه المساعدات تعيين عضوين آخرين في الوفد لمؤازرة الاستاذ القادري في رحلته وتكليف سفارات المملكة المغربية في الاقطار الافريقية بتسيير مهمة وفد مؤتمر العالم الاسلامي وتزويد أعضاء البعثة بنسخ عديدة من القرآن الكريم قامت بطبعها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بأمر من صاحب الجلالة بمناسبة احتفال المغرب بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القراءان . وسوف لا اعدو الواقع اذا قلت بان هذا المصحف الجليل لعب دورا كبيرا في نجاح مساعي البعثة ، وقد كان اخونا ابوبكر القادري ملهما عندما فكر في اخذ هذه النسخ وحملها معه الى القارة الافريقية . فقد اثر هذا المصحف تأثيرا عظيما في نفوس اخواننا الافريقيين الذين كانوا يتلهفون شوقا للحصول عليه ويتسابقون للتبرك به ويتهللون بشرا وانشراحا كلما تمكنوا من حيازته ، كما كان لهذا المصحف مفعول عجيب في تعزيز اواصر الاخوة الاسلامية وتقوية معنوية المسلمين الافارقة الذين اعتبروه اجل هدية يمكن ان يقدمها وفد اسلامي بين يديه . ورغم ان الوفد لم يكن يحمل صفة رسمية فان جنسية اعضائه كان لها اكبر الاثر نظرا للروابط العديدة التي تجمع بين المملكة المغربية وغالبية الاقطار الافريقية والتقدير الكبير الذي يحظى به صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله ونصره لدى قادة هذه الاقطار وشعوبها بسبب العطف المكين الذي يكنه جلالاته لهذه البلدان والرعاية الفائقة التي يوليها لابنائها .

وهكذا فقد تمكن وفد مؤتمر العالم الاسلامي الذي كان يتراسه هذه السنة اخونا الاستاذ ابو بكر القادري عضو المؤتمر والذي كان يتركب من السيد عبد الكريم حجي رئيس مصلحة اللاجئين بوزارة الشؤون الخارجية وكاتب هذه السطور من الاضطلاع بالعمورية النبيلة الملقاة على عاتق اعضائه واداء الامانة الجليلة التي نيظت بافراده . وقد قام الوفد بزيارة الجمهورية السنغالية وطاف بين مختلف ربوعها وارجائها خصوصا توابون وطوبى وكولنج وسان لوي ،



• الزعيم القوقازي الشيخ شامل زعيم القوقاز المسلمين وقد توفى بالمدينة عام 1871 .
وتراه في الصورة يتوسط نجليه غازي محمد وشافع

من أعلام القوقاز في مجال البطولة :

الشيخ عبد القادر شاميل بطل الثورة القوقازية

(1798 - 1871)

مؤتاد عبد القادر القادري

ولادته ونشأته :

ولد عام 1798 م ببلدة نجورخان شورا من بلاد داغستان التي تعد اليوم إحدى الجمهوريات الإسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي والتي فتحها العرب في خلافة هشام بن عبد المالك .

نشأ في بيت علم وصلاح وتقوى وزهد فخرج من مشيخة الطريقة النقشبندية التي أسسها محمد البخاري نقشبند في القرن الرابع عشر الميلادي (1317 م - 1383 م) - إلى الإمارة وتناول السيف من طريق القلم .

عصره :

ما كاد ينهي دراسته حتى وجد أبناء جلدته يقاومون جيوش قيصر روسيا إما مقاومة بقيادة زعيمهم العظيم غازي محمد فترك القلم وانضم إلى صفوف المجاهدين .

جهاده :

لما أحيط في 29 شتنبر 1832 م بعد جهاد طويل بغازي محمد في قرية جيموى واستشهد في معمرة القتال رحمه الله خلفه حمزة بك الذي استشهد أيضا رحمه الله بالقرب من غزراق بعد ذلك بستين تولى زعامة الثورة الشيخ عبد القادر شامل المقصود بهذه الترجمة .

وهو يقول - الأمير شكيب ارسلان - في تعليقاته على حاضر العالم الإسلامي : « على نمط الأمير عبد القادر الجزائري خرج من المشيخة إلى الإمارة وتناول السيف من طريق القلم ، ولم يكن الشيخ شامل أعلم سلفيه ولكنه كان أحسن منهم إدارة للأمور وبصيرة بالحروب فشرع عن ساق الجهاد والتف ذلك الشعب الأبى من حوله فذب عن حوض ملته نحو 35 سنة ظفر فيها بالروس في وقائع عديدة والقي الرعب في قلوبهم وجلاهم عن جميع البلاد إلا بعض مواقع تبتوا فيها من الناحية الجنوبية ، وكانت أعظم ولاية التي ولاها عليهم هي في سنتي 1843 و 1844 حيث افتتح جميع الحصون التي كانت لهم في الجبال ، وغنم منهم 35 مدفعا واعتادا حرية ومؤنا وإفراة وأخذ عددا كبيرا من الأسرى فجردت الروسية بعظمة ملكها وسلطانها جيوشا جراءة ونادت هي بالجهاد في الطاغستان ، ونظم شعراء الروس القصائد في وصف تلك المعارك ، وما زالت توالي الزجوف حتى تمكنت من البلاد ، ولكن بقي الشيخ شامل عشر سنوات يناوشها القتال في الجهات القريبة من الجبال . ولم يسلم هذا المجاهد العظيم للروس إلا في شتنبر 1859 م « فاعتقل أولا في سان بطر سبورغ التي أصبحت اليوم تدعى لينفراد ثم في كالوجا فمكث فيها زهاء خمس سنين سمح له بعدها قيصر روسيا إسكندر الثاني عام 1863 م بالذهاب إلى مكة المكرمة . فلقى هذا البطل القوقازي في عبوره قنال السويس الأمير عبد القادر الجزائري .

وفي مجلة الرسالة المصرية عدد 758 من بحث عن رسائل شامل مكتوبة بالعربية التي كان يحسنها مع

نأملات في استعمال

اللغة العربية ونحوها

للأستاذ الرجاوي الرهايمي الراشدي

1 - فاعل ومفعول

الذي يبالغ في الضحك نسميه ضحكه ، على وزن فعلة ، بضم الضاد وفتح العين والذي يضحك عليه كثيرا نسميه ضكة بضم الضاد وسكون الحاء ، وليس هذا خاصا بالضحك بل هو قياس مطرد ، فكلما اردت ان تعبر عن من يفعل الشيء وببالغ فيه قلت فعله ، وكلما اردت ان تعبر عن من يقع عليه الفعل بكثرة قلت فيه فعلة ، وهكذا تقول في الذي يتعاطى كثيرا اللعب لعبة وتقول في الشيء الذي يلعب به الطفل ، طيلة يومه وجزءا من ليله ، لعبة ، كما تقول همزة وهمزة ولمزة ، ولمزة وسخرة وسخرة .

حاول الان ان تترجم هذه الاشياء الى اللغة الفرنسية ، تر انك في حاجة الى جملة طويلة لترجم مفردة واحدة جمعت فاعوت ، ولم تجمع المعنى فقط ، وانما حوت ايضا معنى الفاعل حين فتح العين ومعنى المفعولية حين سكونها . تأمل رحمك الله ، هذا الضبط وع ذلك .

وبعد هذا يوجد منا او من غيرنا من يدفعه جهله او تعصبه او سداخته ، فيذكر لفته بسوء ويشني الشاء الحسن على لغات اجنبية هي منه براء لانها في غنى عن ثنائيه .

هي منه براء لانها ليست منه وهي زيادة على ذلك غنية عن ثنائيه ، والولد العاق لا ينفع نفسه كما لا ينفع غيره ، والولد البار مفيد لنفسه نافع لغيره ، فكن بارا بلفتك ، تجلب لنفسك ولغيرك من بني بجدتك العزة والفخر .

كلما تدبرت هذه اللغة التي يشرفني انني من الناطقين بها ازددت يقينا على انها لغة صالحة لكل عصر ، ولكل مكان ومقال ، وبقدر ما هي مضبوطة ، واضحة ، بقدر ما هم (واعني المنتسبين اليها) غامضون في حديثهم مضطربون في استعمالهم لها .

هؤلاء قوم من الله عليهم بلغة عجيبة ، مدروسة ، مقننة ، فأهملوا هذه النعمة وجعلوها وراء ظهورهم ، فانقلبت نعمة عليهم وصارت عارا في جبينهم ، عوض ان تكون مفخرة يباهون بها غيرهم .

قل لي بربك انت الذي اتقنت اللغة الفرنسية كيف تسمون من يبالغ في فعل ما ، عفوا ، نسيب ان اللغة الفرنسية لا يمكنها ان تضع الصيغة للشيء قبل ذكره بمادته الحقيقية لانها لا تعرف هذه الطريقة الموجزة بل لابد لها ان تذكر الشيء بصيغة خاصة به ، ولا تنسج على منواله ابدا ، قل لي اذن كيف تسمون من يضحك كثيرا ، وقل لي كيف تسمون من يضحك عليه كثيرا .

لا شك انك ستاتي بكلمة او بجمل تعتقد انها صحيحة لكنك عندما تتدبر ما ساقوله لك وتحاول تطبيقه ، ستلاحظ انك مضطر ان تلاحظ ان بين ما قلت لي في اللغة الفرنسية وبين ما ذكرت لك في اللغة العربية بون شاسع ، الاولى مضطربة غير واضحة ، لا تعتمد على قانون ثابت ، والثانية مضبوطة ، واضحة ، مقننة الى درجة انها تبثير الاستغراب .

عباراته الماثورة في ذلك نداؤه للشعوب المستضعف بقوله :

« يا شعوب العالم : ليكن قتال القوقازيين من أجل حرياتهم درساً لكم تعلموا منهم الدفاع عن الحرية القومية » .

والمؤرخ الروسي فادييف Fadiev نفسه لم يتردد في القول بأن الحرب في القوقاز (1832 - 1859) شلت حركات الجزء الأكبر من الجيوش الروسية بعض الوقت كما اضطر إلى الاعتراف بأنه لولا الحرب القوقازية التي عاقت تقدمنا لاستطاعت الجيوش الروسية أن تحتل الشرق بأجمعه ، من مصر إلى اليابان ، وهي تسير على نغمات فرقها الموسيقية ولم يكد يستتب الأمر لروسيا القيصرية في القوقاز حتى أخذت تسير جيوشها نحو التركستان وغيرها من البلاد الإسلامية في آسيا الوسطى وما وراء القوقاز .

وقد شارك القصاص الروسي الشهير ليونولستوى في حرب القوقاز برتبة ضابط في فرقة الكوساك Les Cosaques ودون الانطباعات التي تكونت لديه في تلك الفترة في روايته « الكوساك » وفي قصته حاجي مراد Hadji Mourad والفارة . وتجدر الإشارة إلى أن إحدى الشركات السينمائية الأمريكية أخرجت قصة حاجي مراد في شريط عرض في الرباط منذ سبع سنوات بإحدى قاعات العرض . ومن العجب أن جميع قصص ليونولستوى ترجمت إلى اللغة العربية ما عدا قصة حاجي مراد ولعل أيد اجنبية خفية تعمل على عدم ترجمتها إلى اللغة العربية ، لأنها تصور كفاح أهل القوقاز في الدفاع عن حرة وطنهم .

هذا الشيخ عبد القادر شامل أحد اعلام آسيا الوسطى الإسلامية الذي غفل عن ذكره العرب والمسلمون حتى أن الأستاذ فريد وجدي لم يذكره في دائرة معارفه ولا الأستاذ جورج زيدان في كتابه مشاهير الشرق ، ولا أمير الشعراء أحمد شوقي في دواوينه ، ولا شاعر القطرين خليل مطران في ديوانه . اللهم الا الشاعر المغربي المدني الحمراوي في مجلة دعوة الحق في العدد التاسع والعاشر لشهر يوليوز وغشت 1965 .

فلعل وعسى يهتم الكتاب والشعراء العرب والمسلمون بهذا البطل القوقازي ، فيعملون على التعريف به نثراً وشعراً ، والله ولي التوفيق .

الرباط : عبد القادر القادري

لفته وفيها « ان سليم داتوفل مدرس العربية في جامعة بطرسبورغ كان الترجمان بينه وبين القيصر اسكندر الثاني » .

تنويه الصحافة الاوربية وعظيم انجليزي وشاعر مغربي فيه :

قد نوهت به الصحافة الاوربية ايما تنويه حتى اطلقت عليه اسم « عبد القادر القوقاز » .

وقال عنه المرشال سولت الانجليزي عام 1243: هناك ثلاثة رجال على قيد الحياة اليوم يمكن أن يطلق عليهم عظماء : عبد القادر الجزائري ومحمد علي وشامل .

وقال فيه الشاعر المغربي المدني الحمراوي هذه القصيدة :

اذكروا « شامل » فقد كان يردى

دولة « الروس » في حروب الجبال

بطل « القوقز » الذي قاتل القيـ

صر كي تستقل ارض « الهلال »

ففضى خمسة وعشرين عاما

حاملا في الوغى لواء النضال

انه التهم قد سعى لعظيم

يتخطى مراقى الامال

قام في دولة الصليب جهازا

يتحدى بالحق كل ضلال

قام يحيى للمسلمين بعزم

دولة ذات صولة ومعمال

ترك الشيخ شامل حلقة الذكـ

ر الى حومة الوغى والنزال

ترك الدرس والمحابر دهرا

وارتمى في معامع الاهوال

انها همة الرجال اذا ما

صمموا لايرادهم اي حال

وفاته :

توفى بالمدينة المنورة عام 1871 م ودفن فيها رحمه الله .

بطولات أهل القوقاز :

لقد اشاد كارل ماركس نفسه ببطولة المسلمين في القوقاز واستبسالهم للدفاع عن اوطانهم . ومن

وبلاد اللغة الفرنسية سهول وجبال ووديان
وخضر ، ينعشها ماء جار كثير ، وتفرّد فيها طيور
مختلفة الاشكال والالوان .

واثر كل ما تقدم باد لكل ذي عقل في اللغتين .

انت اذا اردت خيرا للعربي قلت له (اثلج الله
صدرك) وهو يحب ذلك طبعاً ، لان الجو عليه شديد
الحرارة ، كما شرحت لك ، ودعاؤك يبرده عليه ، فهو
دعاء عزيز عليه ، مناسب لبيئته ، عبرت عنه لفته
بما بهوى .

اما اذا اردت نفس الدعاء تقدمه للفرنسي باللغة
الفرنسية ، فحذار ان تترجم ذلك حرفياً ، حذار ان
تقول له في لفته ، اثلج الله صدرك . فما ذا تريد - بالله
عليك - ان يفعل بالبرودة في صدره ، وهو يرتعد من
شدة البرد القارص طيلة السنة تقريبا ، قل له ،
ويحك ، ادفا الله صدرك ، ربما هو كلام لا تقبله اللغة
العربية ولكن ترجمه الى اللغات الاوربية وقله للاروبي،
تري ، بحول الله ومعاونته ما يسرك ، والله في خلقه
شؤون .

- 4 -

4 - وجها لوجه ، بدا بيد

كم من مرة راينا الناس يتلذذون بالعبارة
يسمعونها او يقرأونها ، ثم يحلو لهم بعد ذلك ان يطنّبوا
في التشهير بجمالها ورونقها . وقد يحملهم هذا الزهو
الى محاولة مقارنة هذه العبارات الجميلة بما يخيل
اليهم انهم يعرفونه في اللغات الاخرى . ويتفق ان هؤلاء
الذين يستحلون هذه العبارات ، يستحلونها في اللغات
الاجنبية على العموم والفرنسية على الخصوص وانهم
يقارنونها بما في اللغة العربية التي يجهلون عنها الكثير ولم
يقدر لهم ان يتعبوا انفسهم في معرفتها ، فضلا عن
الفوص الى اعماقها . ولهذا يصلون حتما الى تفضيل
اللغة الفرنسية على لغة الام . انا اعرف كما تعرف
ويعرف الناس معنا ان من حقهم ان يقوموا اللغات ،
ويفاضلوا بينها ، ثم يصدرون احكاما ينشرونها او
يكتمنونها . ولكنني مع ذلك لا اجهل كما لا تجهل وكما لا
يجهل الناس معنا ان التحيز للغة ما ، عمل مقنوت
رديء يحسن الترفع عنه . وانا ارى كما لا شك ترى
معي ويرى الناس جميعهم معنا ان الحكم النزبه هو
الذي يعتمد على المعرفة الصحيحة الشاملة الكاملة
لجميع عناصر المسألة .

فالذي يعرف العبارة الفرنسية ولا يعرف غيرها،
لم يتمكن من جميع العناصر ؛ ولهذا ستراه . طبعاً ،
يميل الى اللغة الفرنسية ، تدفعه نحوها دوافع لا
يستطيع ان يصفها ، ويفر من اللغة العربية يحمله على
الفرار منها محامل يصعب تحديدها ، فهو اذن يحب
الاولى ويكره الثانية ، وهذه سنة الكون والذي يعرف
العبارة العربية ويجهل مثيلاتها في اللغة الفرنسية
يحترم الاولى ويقدرها ، ويبغض الثانية ويحتقرها ،
وهو امر طبيعي يساير القانون البشري ولا يخالفه .

والعبارة التي احب ان احدثك عنها اليوم . والتي
كانت سبب هذا البيان اعلاه ، هي قول الفرنسية
(En tête à tête) ولقد وجد بعض اصدقائي في
هذه العبارة جمالا لا يوصف ، كما يقول . ولا اكتمكم
ان قلت لكم ، انني - رغم محاولات مخلصة نزبه -
لم اجد فيها جمالا ، لا الذي يوصف ولا الذي لا يوصف -
رغم ان ثقافتي فرنسية لا عربية . ولا يمكن ان يكون
فيها جمال ، وهي عبارة محرفة عن اصلها مستحدثة
في اللغة الفرنسية لا لجمالها ؛ وانما اوحاها هذا التيار
الجارف العاتي الذي بدا يهب على الفرنسية ايضا ،
دون شفقة ولا رحمة ؛ يغلب الاستعمال على النحو لا
يعباً بجمال ولا يحترم فنا .

ولا ادري هل صديقي الكريم المنوه بهذه العبارة
يعرف انها كانت محاربة من طرف علماء اللغة الفرنسية
وان العبارة الصحيحة المقبولة هي (Tête à tête)
ام لا ؟ .

فليعلم - امتع الله به - ان هذه العبارة الفاسدة
التي يحلو له ترديدها لم تظهر الا منذ حوالي قرنين
من الزمن .

ان موليير لم يقل في روايته « المنافق الا »
(Tête à tête) التي اترجمها بـ « وجها لوجه »
لان جاز لنا ان نقارن بين العبارتين ، نفاضل
بينهما ، نعارض هذه بتلك ، نبحت عن سهولة النطق
وصعوبته ؛ وعذوبة الجرس ، وسلاسة الصوت في
كليتهما .

انا لا احب ان اؤثر في نتيجتك ، بل اتمنى ان
تكون حراً في اختيارك ، واختيارك ، ولا شك سيكون
مطابقاً للذوق السليم . والذوق السليم هنا واضح
بين .

ومثل هذه العبارة قولهم (En main propre)
التي يقول فيها العرب : « بدا بيد » والتي يستنكف

الحضرة ، والمقام الرفيع ، وصاحب العزة ، وصاحب المال ، والكريم المحتد ، الى آخر هذه العبارات التي كان يخاطب بها المولى سيده في كل صغيرة وكبيرة . والتي لا نستطيع نقلها الى اللغة الفرنسية لان هؤلاء لم يسموا بالشكل الذي سما اليه العرب ولم يخضعوا طيلة تاريخهم الطويل شعوبا مثل ما اخضع العرب .

رحم الله ذلك الزمان ، يوم كان العربي يفخر بعرويته ودينه ، ويرفع راسه عاليا من اجلهما ، واعادنا الله من هذا الزمان الذي صار العربي يخجل من اتسابه الى العروبة والاسلام .

واللهم ارحم اعزاء كرماء نبلاء ذلوا واهينوا ، فانحطت لغتهم الدالة عليهم والمشييرة اليهم .

لم تفهم هذه الجماعة منا - غفر الله لها - التي تتمصب للغة الفرنسية او الانجليزية وتفضلهما على لغة امها في كل وقت وحين ، ان اللغة العربية ، التي يطيب لهم الطعن فيها والنيل من امرها ، ليست من جنس الفرنسية ولا من جنس اللغة الانجليزية ولا من احدى مثيلاتها في شيء ، وكان على هذه الجماعة ، التي تتبجح علينا بأنها نالت في المدارس والمعاهد والكلليات العصرية التي مرت منها ثقافة عميقة صحيحة ، ان تعرف ان اللغة العربية ، كسائر اللغات متأثرة بالبيئة التي ولدت ونمت ، وترعرعت فيها .

ومن الجهل بالامور ان يطالب المرء اللغة العربية بما يطالب به الفرنسية او الفرنسية بما يطالب به اللغة العربية ، والعاقل اللبيب هو الذي يقدر لكل امر قدره ، وكل - حتى في ميدان اللغات - ميسر لما خلق له .

واللغة العربية منشأها الصحراء واهلها الناطقون بها صحراويون بدو ، رعاة ابل ، وسكان وبر ، وهم معتزون بهذه الحياة مقبلون عليها بفرح وسرور .

واللغة الفرنسية منشأها بلاد باردة شديدة البرودة ، واهلها الناطقون بها سكان مدن وارياف ، تغمرها المياه من كل جانب في جميع فصول السنة وتغطيها الثلوج في جزء مهم من فصل الشتاء ، وبلاد اللغة العربية سهول واودية يغطيها في كثير من الاحيان رمال مختلف الالوان ، لا يستقر على قرار ؛ تتحكم في مصيره رياح حارة ، عاصفة تذرود في كل اتجاه .

سألني احد طلبتي في المدرسة الوطنية الفلاحية: لماذا لا نستطيع ان نترجم تلك العبارات التي يكثر استعمالها في اللغة العربية مثل الحضرة والمقام الرفيع القدر وصاحب العزة وما الى ذلك من العبارات التي يأتي بها الكتاب عن قصد او عن غير قصد ، في مناسبة او في غير مناسبة . ولماذا لا يوجد مقابل هذه العبارات المتحجرة ، عبارات فرنجية ؟

كنت اجبت هذا السائل ان هذه العبارات ليست متحجرة كما يظن ، او بالاحرى لم تكن متحجرة ولا ميتة يوم دخلت الاستعمال ، وتناقلتها الالسن خلفا عن سلف . ولم تتحجر الا بعد ان تغيرت الظروف التي ولدتها ، وانمحت الاسباب التي انتجتها .

اما لماذا لا نستطيع ترجمتها الان الى اللغة الفرنسية او الاسبانية او الانجليزية فهذا عائد كما شرحت في احاديث سابقة الى ظروف الناطقين بهذه اللغة وبیشتهم وحضارتهم .

فاذا اردنا ان نعرف سر وجود هذه العبارات رجعنا الى وقت ظهورها ودرسناه من جميع جوانبه . آنذاك سيتضح لنا سبب استعمال هذه العبارات ، وسر صعوبة نقلها الى لغة اخرى .

كان العرب قبل البعثة النبوية الشريفة يعيشون في الصحراء ، بدو ، رعاة ابل ، يسرون في كثير من الاحيان وراء الكلا حيث كان ينزلون ؛ واين ظهر ونما يستقرون ، ثم يرتحلون عنه كلما جف ونذر . او بدو مقيمون حول مياه قليلة ، لا تتعدى حضارتهم جماعات ، ولا ينتشر صيتها ، ويداع امرها ، الا في احاييس نادرة جدا .

فلما ظهر الاسلام ، غزوا وشرفوا ، فرفع من قدرهم ، ونزحوا من صحرائهم الى بلاد الله الواسعة الخصبة معتزين بعروبتههم ، مفتخرين بانفسهم ، فأخضعوا لامورهم شعوبا وقبائل اذلوا ولم يرفعوها الى منزلتهم ؛ فبقيت ، والحالة تلك ، خاضعة ، ذليلة حقيرة امام الاباة الاعزاء ، حاملي دين الحق ، وناطقين لسانا عربيا مبينا .

فكان لزاما - والحالة ما بينت - ان يجد هؤلاء الاذلاء المغلوبون على امرهم ، الشعاعون بحقارة نسبهم ، وضعة محتدهم ، الفاظا يخاطبون بها هؤلاء السادة النبلاء النجباء الاعزاء . فبحثوا ووجدوا ، فكانت

فهذه الالفاظ وامثالها كثيرة مقتولة غير مستعملة بذاتها ، وان كان القاموس العربي يشملها هي وشرحها .

وكثيرا ما نغير اللفظة التي توحى بفجور أو مجون بلفظة « طاهرة » تدل على معناها ولكن هذه اللفظة « الطاهرة » تنزل مع الاستعمال ومع طول المدة الى الدرك الوسخ ، فتبدأ توحى بما كانت توحى به اللفظة القديمة التي سبقتها .

والامثلة على ذلك في اللغة العربية كثيرة جدا ، واخاف ان اقتصرت على اللغة العربية لم تعم الفائدة لاننا نقولها متأسفين - لا نهتم بعد بتطور لفتنا، حتى نستطيع ان نأخذ العبرة من امثلتها . ولذا اراني مضطرا ان امثل باللغة الفرنسية وما يقال في لغة يقال في سائر اللغات . (1) كانوا يطلقون في اللغة الفرنسية على مكان الخلاء Cabinet ثم راوا انها كلمة ساقطة يجب الترفع عنها فقالوا w.c. وهما الحرفان الاولان من كلمتين ساكسونيتين . لكن بعد استعمال طويل اتضح انهما صارتا بدورهما توحيان بما لا نحب ان نسمعه ، ولهذا نرى الان في عصرنا هذا الميل الى تغيير w.c.

بـ Toilette وهي مفردة لا زالت طاهرة ، واعتقد انها ستبقى ظاهرة لمدة طويلة وبعد ذلك تقتل كما قتلت مثيلاتها . هذه هي نهاية كل كائن حي ؛ ولله الامر من قبل ومن بعد .

اكادير : الراجي التهامي الهاسمي

1 انظر شرح ذلك في مقالي جولة عبر الالفاظ (مجلة الايمان السنة الاولى العدد 6) .

بالحديث اسماء عادية يستطيع ان يذكرها الكل للجميع ، دون حياء ؛ بل فيها كلمات يطلب الادب من الناس ان يترفعوا عن ذكرها مع الاخرين او اذا جاز الحديث بها مع الاجنبي ، كره الحديث بها مع فرد من افراد العائلة قريب او بعيد .

ومن بين هذه الكلمات المفردة التي وردت في بيت الشاعرة حاجة بنت الحفص الركونية للشاعر ابي جعفر ، والتي نطلق عليها حياء الخلاء .

ومن بين هذه الالفاظ التي نستحي من ذكرها امام من نحترمه ، ما جاء في البيتين الشهيرين الذين وصف بهما ولادة بنت المستكفي الشاعر الاندلسي ، ابن زيدون حين قالت له :

ولقبت المسدس وهو نعت
تفارقك الحياة ولا يفارق

وديوث وقرنان وسارق

اعوذ بالله من هذه الالفاظ ، تصدر من امرأة عالمة نشأت في بيت الخلافة .

- 8 -

هذه الالفاظ ومثيلاتها التي مرت بنا آنفا ، لا نقولها بذاتها ، وانما نعبر عنها ، اما بما يشعر بها ، واما بوصف يقارب معناها . كل حسب مداركه .

شبابنا - عفا الله عنه - عن استعمالها . وحجته في هذا الصدد أن العبارة محملة دينا ، وإن رائحة الفقه تصبغ منها من بعيد ، عفا الله عن شبابنا وهداه السبيل .

- 5 -

اللغة كما قال أكثر من مفكر « كائن حي » وهو كالكاين الحي ، تولد وتنمو وتشب وتهرم ثم تموت . تمر في حياتها بما يمر منه كل كائن حي . ولابد لكل كائن حي من مسببات ليولده ، والولادة قد تكون عسيرة ، وقد تكون صعبة ، والولد قد يكون معروف الوالدين ، وقد يكون مجهولهما . وليس ثمة أي فرق بين الولد يولد من بطن الأم ، بعد مخاض قد يطول وقد يقصر ، وبين الكلمة تولد في فم الناس .

ولابد لكل كان حي من مسببات ليموت ، والموت أصعب مما نظن ، يعرف علاماتها الأطباء ويشاركونهم في بعضها عامة الناس . والالفاظ - لأنها كائنات حية أيضا - تموت ؛ وعلامات قرب فنائها معروفة عند المهتمين بهذا الامر . ولا بأس بذكر بعضها هنا ؛ فقد يفيدنا ذلك في معرفة لغتنا ، وهي الغاية التي نريد الوصول إليها . وأكرم بها من غاية ! يصيب اللفظة بعد الاستعمال الطويل عياء لا قبل لها به ؛ فتبدأ أجزاؤها تتقلص وتسقط الواحدة تلو الأخرى ، وتشرف على خطر داهم يقودها الى نهايتها .

لكن لكل داء دواء ، فداء السبل كان يميئ الناس دون شفقة ولا رحمة ، فوجد الأطباء له علاجا بعد بحث مضن ، متواصل ، وهم الآن يبحثون عن دواء لداء السرطان ، ولن تخيب جهودهم أبدا .

فحقن B.C.G. تقتل مكروب Koch الفتاك ، فتطيل عمر المصاب بداء السل الى أن يشاء الله ، ولكنها لا تمنحه الأبدية .

وعلماء اللغة توصلوا الى نفس النتيجة التي توصل اليها اخوانهم الأطباء . استطاعوا أن يجدوا دواء لللفظة التي أصيبت بداء فتاك كداء السل وأطالوا بذلك عمرها الى أن يشاء الله ، ولكنهم لم يمنحوها ولن يمنحوها الأزلية على كل حال ، وما هم بقادرين .

قلنا اعلاه أن اللفظة تولد وتموت كما يولد كل حي ويموت ، وقلنا أن للولادة أسبابا ، وللموت أسبابا ، ولكننا لم نمثل لذلك بعد .

أما ولادة اللفظة فأمر معروف لا يحتاج الى بيان ، فكلمنا دعت الضرورة لتمتين شيء أوجدوا له ، في

أحوال كثيرة ، لفظة تدل عليه ، أما كيفية إيجاد هذه اللفظة ، وتوليدها فأمر يطول شرحه ولا تسمح بنشره الظروف الحالية .

أما فناء اللفظة فهو الذي سنسبب الكلام فيه ، لأسباب أهمها أن الناس لا يعرفون بعد ، أن اللفظة تموت ، ولا يعرفون تبعنا لذلك علامات فنائها ، ويشرفني أن أكون في اللغة العربية من السابقين لهذه الفكرة وليست هي على كل حال فكرة نهائية لا تقبل النقاش ، بل هو رأي اعتقدت أنه صوابا ؛ فإذا عن لغيري عكس ما رأيت ، فليفضل مشكورا لاوشرادنا .

أشرت الى علامات قرب فناء اللفظة حين قلت « تبدأ أجزاء اللفظة تتقلص الواحدة تلو الأخرى ، وتشرف على خطر داهم يقودها الى نهايتها ، وأحسن مثال لذلك كلمة ، أو على الأخرى عبارة « إيمان الله » فقد أصابها مرض عضال ، بدأ ينقص من أطرافها ، فسقط أولا النون من « إيمان » فصارت « إيم الله » ثم سقطت الألف فصارت « يم الله » ثم سقطت الياء فصارت « م الله » آنذاك تدخل أطباء اللغة محاولين تمديد عمر هذه الكلمة فمنحوها دواء ناجعا ، أطال عمرها الى أمد غير مسمى ، فقالوا أنها صارت حرفا ، والحرف مبني أبدا . والبناء دواء فعال في مثل هذه الظروف ، لا يشك أحد في فائدته ، نرجو لهذه المفردة المريضة ولثيلتها طول العمر .

- 7 -

تموت الأفراد لسبب من الأسباب ، ولكنها تقتل أيضا لجريمة ارتكبتها .

تحدثنا فيما سبق عن الموت الطبيعي يصيب الأفراد كما يصيب الالفاظ ، والان نتحدث عن القتل الذي تستحقه الفاظ اللغة لجريمة اقترفتها كما تستوجب جميع الكائنات الحية ، حين الاجرام الكبير .

وسبب قتل الكلمات نوعان : نوع مدني ، ان صح هذا التعبير ، تفرضه الحياة التي نعيشها وعوائد الناس من أدب وحشمة ووقار وعفة ، ونوع ديني يحتمه الدين الحنيف ، وتفرضه مبادئ الشريعة السمحاء .

نضطر في الحياة اليومية التي نعيشها ان نسمي الاشياء بأسمائها ، وليست كل الاسماء التي نتناولها

المذكورين الذي جملته تسعون ربايعا فقبضا ذلك منه وصار اليهما وتوزعاه بينهما شطرين بحسب اشتراكهما في المبيع المذكور وأبرا في ذلك زكري والقائد غفور المشتريين ابرة تامة براءة قبض واستيفاء واذا له في قبض النصف من الفوار المذكور فقبض ذلك منهما بأمرهما قبض مثله وحازه باذنهما حوز شكله من الاجزاء المشاعة وصار ذلك اليه وفي يديه تامة للقائد المشتري به وبراهما بتسليمه اليه البراة التامة وتبايعوا جميعا جميع ما ذكر تبايعهم اليه في هذا الكتاب بعد اقرار ارغيسة وزكري المتبايعين المذكورين بالنظر الى جميع الفوار المذكور والوقوف عليه والتقليب فيه والاحاطة بجميع حقوقه كلها وقصبه الفارسي الذي به وبعد ان وصفه لعايكة البايعة المذكورة واوهى ثقة عارف صفة قام لها مقام العيان والمشاهدة فبعد الاحاطة منهم بذلك كله كما يحاط بمثله عقدوا بينهم التبايع من النصف المذكور فيه بما سمي ونسب عليهم وذلك بينهم بالابدان المتباينة وهي المعرفة التي لا خلاف بين العلماء في تمامها وما كان في هذا المبيع من درك يدرك القائد غفور المذكور المشتري له واجبا لجنبه بقدر ذلك وعهد به على ارغيسة والدته عايكة البايعين المذكورين ضمنا صحيحا واجبا عليهما لازما

لاموالهما وذمتهما على ما يجب بيع الاسلام وعهده وتقضي به احكامه وسنته واقر زكري المشتري المذكور اقرارا فرديا بجميع ما ولي اشتراه في هذا الكتاب للقائد غفور المذكور ومن ماله دفع الثمن المذكور وان اشهد معه عارفه في هذا الكتاب فيما يجب الاستشهاد عنه وانه ابراه من الثمن المذكور براءة تامة وقبل لذلك منه في يده قبولا والذين شهدوا على عايكة بنت الكاتب احمد البايعة المذكورة بما سمي ونسب اليها في هذا الكتاب من البيع او القبض والتسليم من عرفها بحال الصحة وجواز الامر هما من اثبت ... في الفصل منهما، وشهد على شهادتهم بذلك كله ثم شهدوا اجمعون على معرفة ارغيسة عبد الرحمن الكاتب المعلم البايع المذكور وعلى معرفة زكري بن سليمان العطار النصراني المشتري المذكور وعلى اقرارهما واشهادهما على أنفسهما بجميع ما سمي ونسب اليهما في هذا الكتاب من عرفها بحال الصحة وجواز الامر وذلك بتاريخ العشر الاول من رجب من سنة ست وخمسمائة شهد بذلك كله : مجاهد بن حسين الكندي محمد .. ابن محمد القيسي ، علي بن ابي الفتح بن ... محمد ابن ابي الفتح بن ...

تطوان : محمد بن تاويت



الحمد لله وحده

الاروطو حرسه الله بامرہ وما له من الکاتب ارغیسة العلم عبد الرحمن القرشي ومن والدته عایكة بنت الکاتب احمد بن التميمي اشترى منهما له باذن كل واحد منهما لصاحبه في البيع والقبط والتسليم والابرا جميع حظهما ومبلغ ملکهما الذي بينهما نصفان بالسوا وذلك النصف يتبايعاه من جميع الفوار ذي القصب الفارسي الذي من رباع مدينة بلرم بقرب الدجاجين هو الذي نصفه الباقي من املاك القائد غفور المشتري له جميع هذا الفوار المبيع نصفه في هذا الکتاب وتحيط به حدود اربع هي نهاياته وآخر غاياته فالحد القبلي منه ينتهي الى ... لعبد الحميد العلالي والحد الشرقي منه ينتهي الى الطريق الحاملة الى باب سور... ومنه مدخله ومخرجه والحد الغربي منه والدبور منه ينتهيان جميعا الى ربع سدوس فاشترى زكري بن سليمان المشتري المذكور من ارغیسة ووالدته عایكة البایعين المذكورين جميع حظهما ومبلغ ملکهما في الفوار المذكور وهو النصف على المشاعة من جميعه بجميع ما لذلك من حق في جميع حقوقه كلها أرضه وقصبه الفارسي الذي به وفي حدوده كلها وما يعد له وينسب اليه من جميع جهاته وسائر امكانه وجناباته اشترى صحيحا جازيا لا شرط في عقده يفسده ولا عدة تنقضه ولا خيار يبطله ولا على جهة رهن ولا تليجة سوى شروطه المذكورة في هذا الکتاب بثمن جملته تسعون رباعيا دوقية جيازا حول بصقلية دفع زكري المشتري المذكور الى ارغیسة ووالدته عایكة البایعين

من المعلوم جدا ان الحمدلة هذه كانت مما اختصت به الکتابه الموحدية ، فقد اتخذوها علامة لهم ، ووجدنا الشاعرة حفصة الركونية تخاطب عبد المومن بهذه الايات :

يا سيد الناس يا من
يؤمل الناس رفده

امنن علي بصك
يكون للدهر عده

تخط بمنك فيه
الحمد لله وحده

ويذكر بعض المؤرخين المعاصرين ان يوسف ابن عبد المومن هو الذي اتخذ علامته هذه .

والواقع ان هذه الحمدلة ، كانت معروفة فيما قبل بما يزيد على خمسين سنة ، على الاقل ، فقد عثرنا على وثيقة كتبت بصقلية عام 506 ، مفتوحة بهذه الحمدلة ، فيظهر انها كانت معروفة هكذا ، وان الموحدين اتخذوها - متبنين لها - علامة لهم ، او ان ذلك كان من محض الصدف ، والوثيقة هي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده

هذا ما اشترى زكري النصراني بن الشيخ سليمان العطار شري وكالة للقائد غفور بن الشيخ

139 - في مدتك المباركة ... !

في كتاب « الذخيرة السنية » ص 28

« يحكى ان السيد ابا ابراهيم (ابن واندسين . الموحيدي) لما وصل الى مدينة فاس مهزوما .. وقف بباب الفتوح ... ليتبارك به الناس ... فيدخل بهم البلد ... فيبينما هو واقف هناك اذ اقبل عليه من اهل عسكره حفاة مستترين بالمشعلية (*) فقال لهم : ما هذا ... ؟

فقالوا له : في مدتك المباركة ... ! وتحسنت لوائكم المنصور ... !! »

140 - ويختار الودع ... !

وجدت في ديوان الشاعر الفحل الفقيه سيدي محمد غريظ :

بنس هذا الدهر من دهر به
كل من شب على الخفض ارتفع
فكان الدهر زنجي غدا
يترك الدر .. ويختار الودع .. !

141 - الشاذلي « بضم الذال »

في الرحلة الناصرية المطبوعة على الحجر بفاس ص 17 .

« لطيفة : وجدنا بسجلماسة في حجة سنة ستة وتسعين في كتاب « الاذكار » للمديوني . وهو كتاب جليل كبير ضبط سيدنا ابا الحسن الشاذلي بضم الذال المعجمة ... !! وعبارته الشاذلي بضم الذال ... ! »

والمعروف الجاري على الالسنه كسرهما ...

142 - قد نزل العسل من السماء ... !!

في كتاب (ضياء النبراس في حل مفردات الانطاكي بلغة فاس) تأليف سيدي عبد السلام العلمي ... المطبوع على الحجر بفاس ...

(*) نبات معروف .

« خشكنجيين » : ظل كالمن . وقد نزل يوما

عندنا على الصوابر التي هي خارج باب الفتح احد ابواب فاس كالعسل فكانت الصبيان تاتي بعبدان الصابرة للمدينة وعليها ذلك العسل غير انه كالعسل المر ... اعني فيه طعم الصابرة ... وعامة الناس تقول :

قد نزل العسل من السماء !! »

143 - العياشي .. وبردلة .. وابن الحاج ..

اجتمع هؤلاء الاعلام : ابو سالم العياشي المتوفى سنة 1090 هـ وابو حامد العربي بردلة المتوفى سنة 1133 هـ وابو العباس ابن الحاج المتوفى سنة 1109 هـ في جنان الشيخ حمدون المزوار المتوفى 1088 هـ وهذا الجنان كان يسمى قصبة ...

فأنشد ابو سالم العياشي :

يا صاحبي . فما العمر باجمعه
وان تطاول من يوم السرور بدل

فاغتنما اليوم بستان قصبة
عشية هي للمشتاق اقصى أمل

ما بين دوح وازهار منقصة
وجدول مثل دمع في الخدود همل

فاجابه ابو حامد بردلة :

في فتية كبدور التم قد طلعت
اذا ارى حسنهم بدر السماء اقل

فقال ابو سالم :

وغنت الطير والاغصان مطرقة
وقد كساها اصيل اليوم ثوب خجل

فقال بردلة :

فياله زمنا نلنا السرور به
وغاب عنا الاسى لو كان فيه مهمل

ثم تتابعت المداعبات بينهم الى ان توجه ابو حامد بردلة الى ابن سالم العياشي قائلا :

لنا خليل لا يفنى
بوعده اذا وعده

الروح والامر

للأستاذ: عبد الفادرزهاقه

134 - لولا مصائب الدنيا ... !

ارى مسكة الليل البهيم غدت
كافورة اخلقتها راحة الزمن
فقلت : طيب بطيب ! . والتبدل في
روائبح الطيب غير ممتهن
قالت : صدقت ولكن ليس ذاك كذا
المسك للعرس ..! والكافور للكفن .

تحدث الحافظ ابو نعيم الاصبهاني في «الحلية»
ج 10 ص 164 قال :
«... حدثنا محمد بن الحسين ، قال سمعت محمد
ابن عبد الله يقول : دخلت على ابراهيم المغربي ... ؟
وقد رفته بغلة فكسرت رجله .. ! فقال :
لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس .. !

137 - الجميلات ... قبل القبيحات

في (الذخيرة السنية) ص 42 اثناء الحديث عن
ابي العباس السبتي .
« وكان مذهبه رحمه الله ... ان اهل الجمال
من النساء الفقيرات .. تجب الصدقة عليهن مخافة
فسادهن ، وان القبيحات .. لا يتصدق عليهن بشيء
حتى يستغني الملاح ... ! ! »

135 - صلاح الدين .. وابو زكرياء المغربي ... ! ؟

تحدث العماد الكاتب الاصفهاني في كتابه «الفتح
القيسي » ص 263 ... قائلا عن صلاح الدين
الايوبى .. :
« وتيمن السلطان بزيارة الشيخ الفقيه الزاهد
التقي ابي زكرياء المغربي ... وهو مقيم في مسجده .
عند قبر عمر بن عبد العزيز ومشهده ... وقصده
السلطان على فراسخ ... ولقي منه في الحلم والوقار
الطود الراسخ ... واهتدى بسجاياه ... ! واقتدى
بوصاياه ... ! ! »

138 - فكانت مباركة ... !!

في (الذخيرة السنية) ص 66
« وفيها (سنة 641 هـ) نقض امير المؤمنين
السعيد (الموحد) جامع حسان الذي يرباط الفتح
وصنع بخشبه الاجفان الغزوانية .. ! فكانت
مباركة ... ! فأحرقت بوادي ازموور ... ! ! !

36 - مسك .. وكافور ... !

وجدت من شعر العلامة ابن عبد الله المسناوي
الدلائي المتوفى سنة 1136 هـ ...
قالت :

ويولاد الحسنة

الغالب النوري الغالب الطيوني

للشاعر اللبناني الأستاذ حسن الأمين

ازكى ربيعنا ربيع جهاد
وتصايح الاجناد بالاجناد
في كل واد صرخة استشهاد
اشلاؤهم وجه التراب الصادي
وغضارة الاغوار والانجاد
وغناؤهم غير الرصاص الشادي
من صوت كل مناضل نواد
في القدس طاقات من الاوراد
بجمالك الزاهي وغير زيادي
من فيك شعرا ملهب الانشاد
عن كل مقدم وكل جواد
كم يستفيث ويرتجي وينادي
متضاحكات للنضال شوادي
ويهجن بأس الفتية الانجاد
متابع الابراق والارعاد
ويسيل بالنيران قلب الوادي

حييت طالعة الربيع وانما
شارت به يافا وهبت غزوة
قومي ربيعهم السيوف وعيدهم
زانت دماؤهم الجبال ونضرت
سل عنهم ريا السهول وطبيها
هل غير محمر الدماء زهورهم
اربيع طبت ففي نسيمك عبقة
وعلى رياضك من جراحة يعرب
اربيع لن تهتاج غير حماسي
يا منشدا غر القصائد هاتها
حدث عن الابطال عن غزواتهم
حدث عن الوطن الذبيح واهله
الناعمات الغيد بعد وجومها
يهتفن للحرب العوان ثائرا
فيجيبهن رصاص ابطال الحمى
فتميد في البر المديد جباله

* * *

ان الرصاص الى القتال ينادي

صمتا فقد نطق الرصاص وحسنا

يرتاح للجبدوي اذا
كان لوقتها امد
ثم اذا استنجزته
عند حلولها جحد
فاجابه ابو العباس ابن الحاج :

استغفر الله ولا تقل مقالا ينتقد
فمن وصفت لا يفي مثل وفائه احد
فقال ابو حامد بردلة :

بل اتق الله ولا
تشهد شهادة تردد
وقل بما تعلمه
فقولك الحق اسد

144 - « صلوات » الانفاس ... !!

من اغرب واطرف ما وجدت في تحريف اسماء
الكتب والمؤلفين ما ذكره الفيلسوف الوجودي الدكتور
عبد الرحمن بدوي في كتابه « التراث اليوناني في
الحضارة الاسلامية » الطبعة الثانية ص 233 ...
التعليق رقم - 1 -

« يروي الكناني (كذا) في صلوات الانفاس (كذا)
طبعة فاس سنة 1314 هـ ج 2 ص 190 ... عن سيدي
محمد بن الهاشمي المتوفى سنة 823 هـ ... انه لقب

بصاحب النور المحمدي لانه كان اذا راى احدا يقول :
اهلا بالنور المحمدي »
ولا شك انه يقصد : « الكتاني » كما يقصد كتابه
الشهير « سلوة الانفاس »

145 - ودع الميش ... !

وجدت من شعر المؤرخ الشاعر الفحل مولاي
احمد النميشي رحمه الله .. :

جس الطبيب يدي كي يدرك الالما
وصاخ بالسمع نحو القلب فابتسما
وقال ماذا الذي تشكو ، فقلت له :
انت الطبيب الذي يشخص السقما

فقال لي: قد فحصت الجسم منك فما
الفيت ضرا به . ولم اجد الما

فقلت : دائي عياء لست تعرفه
قد حار قبلك في تشخيصه الحكمما

دائي صدود الذي اهوى وجفوته
ووصله يذهب الاسقام والالما

فقال : داء عضال قد اصببت به
فودع العيش وارقب بعده العدما.!

فاس : عبد القادر زمامة

الحسنة والنبهة

للشاعر المديني الحمراوي

واسلت دمعاً غاليا
يا مخبراً بل ناعياً
شغنت مدى آماليا
وجنوا هناك مخازيا
فعلوا بهن مساويا
ذبحوا لهن ذرايا
ورموا بهن عواريا
ضربوا وقتلاً ضاريا
صبوا جحيماً حاميا
به يبلغون معاليا
لراوه خزيًا باقيا
بوباله متراميا
الا تدحرج هاويا
وليرقبوا به جازيا
صبوا عليه دواهيا
واتو شناراً باغيا
ويرون يوماً عاتيا

روعت قلباً ساليا
واثرت شجوا في الحشا
أودت فلسطين التي
عاش اللصوص بتدسها
كم قتلوا من نسوة
وامامهن — بعلطه —
بقروا بطون حوامل
وعلى الشيوخ تجمعوا
وعلى ضعاف عالمة
حسبوا التوحش مكسبا
لكنهم لو حققوا
وغدا يعود عليهم
ما جار — قط — ملبط
فليذكروا اجرامهم
والمسجد الأقصى الذي
وجنوا على حرمانه
سيحاسبون بقسوة

وعلى جبال القدس صوت جهاد
كل يردد صرخة استنجداد

في سفح نابلس لهيب معارك
كل يلوذ بنخوة عريضة

* * *

ويذب عنها جاهدا ويفسادي
علجا يدوس مراقدا الاجساد
اشجاك في ليل الوغى انشادي
يذكي الجبان ويستهيح الهادي
نظمت ومن قاني دماك مدادي
نارية الترجيع والترداد
ماذا يراوح « قدسكم » ويفسادي
انا ننام على فراش قتاد
الا الحصار في القفر ظهر وساد
غدر اللثام وخسة الاوغاد
أم ان عين الموت بالمرصاد
لسنا نذوق اليوم طعم رقاد

يا ثائرا بالنار يحمي ارضه
لم يستكن للغاصبين ولم يدع
انشدني لحن الرصاص وربما
قد صفت فيك الشعر حرا ثائرا
ارنو اليك فمن لظاك قصائدي
ردد على الاسماع انغام الطبى
قل للغفاة عن القتال الم ترورا
يا نائمين على الحرير وما دروا
متلفعين دم المعارك ما لنا
نغدو على النيران يذكيها لنا
ونبيت لا ندري انصبح بعدها
يا نائمين وما دروا انا هنا

لبنان : حسن الامين

أصداء في الأدب الموحدي

للمؤلف محمد بن ثاوية

ولا يمكن أن يعطل هذا بعدم الوفاء بل بالطبيعة
أولا وبالحرص الذي كان يحس به الشعراء ثانيا
فاظهار اللوعة كان لابد ان يقتصر بالفرحة وغالبا
ما يكون هذا المطلوب مدعاة للكلفة التي تجعل صاحبها
يضعف في شعره ازاء تصوير هذين الانفعاليين كما
سنجد قريبا في بعض مرثي ابن دراج

ثم ان هذه الاصداء التي نعنيها في الادب الموحدي
لا يسمح لنا الوقت باستيعابها ودراستها كما يجب
بل اننا نكتفي فيها الآن بنماذج قليلة تاريخية
الاخير فيها لمناسبة اطول من هذه هنا في بلدنا هذا
او في بلدكم المغرب ان شاء الله

وبهذا فموضوعنا نماذج من اصداء في امداح
الموحدين ثم في النهاية نوميء الى مصدر او مصدرين
من هذه الاصداء في نشرهم ونكتفي بذلك

نهضت الدولة الموحدية على حلم عظيم ارادت
ان تحققه بكل عزم وفي كل ميدان ، ذلكم الحلم هو
الثورة على كل شيء ، الثورة على الاوضاع السياسية
والاجتماعية ، الثورة على مناحي التفكير في العقائد
والاحكام والعلوم عامة ، الثورة بالتجديد في كل شيء ،
وباعادة صرح الدولة الاسلامية الكبرى قويا شامخا
عظيما مهيبا .

فكانت الاطاحة بدولة الفاطميين ، بعد انتقاد
المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه ، كما نعلم من مناظرة
ابن تومرت وتصرفاته الاولى ، وكان نظام تفكير في
العقيدة يختلف تمام الاختلاف عما كان عليه في المغرب

نريد بالادب الموحدي الشعر منه اكثر مما نريد
النثر . ونريده متصلا بهذه الدولة بالذات ، وهو بذلك
شعر الامداح وما اليها من تهنئات ووصف انتصارات
فيها او في بعضها

وليس بيدنا بعد ذلك شيء لو اردناه الا بعض
القوائد لابن جيسوس فابى حفص الاغماتي
ثم ابي الربيع سليمان الموحدي .

كما انه ليس بيدنا ايضا من هذا الشعر قصائد
في الرثاء والثناء كما كانت الجمهرة تتصوره اخو
الملح الا ما كان من ابي الربيع في بعض اخوته

اما رثاء الملوك والامراء من حيث انهم كذلك فهو
باب في الادب العربي عامة باب ضيق جدا بقدر ما باب
الامداح واسع جدا

فمن الاول الرثاء في الشرق البحري في رائيته
التي تحولت الى رثاء الايووان ، ولا نعلم على عهده
وحتى في العهد الموحدي من رثى الملوك ممن مدحهم او
غيرهم

ويبدو ان الرثاء لم يكن من طبيعة شعرائنا فاننا
لا نجد في ذلك الوقت وحتى بعده بنحو قرنين من
الزمان الا في اولئك الشعراء الذين اتصلوا بالاندلس
فقلدوها كمثل ابي الربيع المذكور في القرن السادس
وابن شهيد في القرن السابع

الى ان كان القرن العاشر فوجدنا بعض الرثاء
لامراء سعيدين مثل محمد الحراف

حتى تقول ذئابهم
فلنمحقن غرورهم
ولنكتبن صيحة
من بعد نصرنا لله
لن نسلم الاقصى ولن
سنذود عنه عصابة
حتى يعود مطهرا
مسرى الرسول محمد
كيف السكوت واحمد
ربط البراق ببابه
ثم استقله صاعدا
هل بعد هذا رخصة
كلا فان القدس لـ
عمر اتاه مصليا
وغدا نعيد حرامه
حتى يكون الحق يـو

جاء القصاص مساويا
بالنار محقا قاسيا
ما ان ترى لها طاويا
سلف سندرك ثانيا
نرضي عليه تفاضيا
قد دنسته تعاميا
منهم ويبقى ساميا
ما ان ترى له ناسيا
صلى هناك مناجيا ؟
حتى تعبد داعيا
في الجو يعرج ماضيا
تدع الموحد لاهيا ؟
للاسلام كان مأويا
وصلاح فكه تاليا
يوما قريبا آتيا
م الفتح عنا راضيا
الرباط — المدني الحراوي



ومدارسا تسع الرياضة لو رأى
سقراط سيرتها لدم الهيكل
وبصرت بالطوسي يفهم حوله
وابي المعالي مجلا ومفصلا
لم الف الا مصقعا او مقلعا
ومجادلا عن دينه ومرسلا
والكل في علم الامام مقصر
حسب المبرز منهم ان ليلا
فاترك عكاظا والوفود بسوقها
حذقا وسحبا الخطيب ودغلا
يعشو لها الاعشى بنار محلق
ويضم علقمة اليها جرولا
والحق بحضرته السنية واستمع
للقول واحذر - وبك - ان تتقولا
فيها كمال الدين والدنيا معا
وسعادة الارواح في ان تكملا
فهذه القصيدة قدت على قصيدة معروفة مدح
بها المتنبي ابن العميد على اول وفوده عليه ، ومطلعها:
باد هواك صبرت ام لم تصبرا
وبكاك ان لم يجر دمك او جرى
ومن اغرب ما نجد في هذا الباب ، ان الشاعر
ابن جوس : ذا ، اغار على بيتين في مطلع قصيدة
للمتنبي ، يمدح بها سيف الدولة ، فجعلهما في مطلع
قصيدة يمدح بها احد الامراء فقال :
سر حل حيث تحله النوار
واراد فيك مرادك الاقدار
واذا ارتحلت فشيعتك غمامة
انى حللت وديمة مدرار
تنفي الهجير بظلمها وتنيم بالر
رش القتام وكيف شئت تدار
وقضى الاله بان تعود مظفرا
وقضت بسيفك نجها الكفار
وكان المتنبي قد قال :
سر حل حيث تحله النوار
واراد فيك مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة
حيث اتجهت وديمة مدرار

لا شك ان الشعراء المحترفين يجدون انفسهم
مضطرين الى من يرفدهم في حرفتهم التي يتنفسون
بانفاسها حتى الرق الاخير ، ولهذا فاننا نجد صورهم
تكرر ، تكرر انفاس اطماعهم ، وقد يختنقون
فيتنفسون تنفسا صناعيا يسعفهم غيرهم ، وما اشد
ما يكون هؤلاء من رجال الاسعاف ، اذا ما شهبوا
بالقدرة والمهارة في عملهم ، بل كثيرا ما يكون اولئك
الضعاف من الشعراء متنفسا لهؤلاء الاقوياء منهم ،
كما نجد ذلك في اخبار ذي الرمة مع غيره من
المستضعفين واخباره هو - مستضعفا - مع اولئك
الفحول من نحو جرير وغيره .

وعلى كل حال ، كان شعراؤنا بالبلاط الموحي
يبحثون عن الاقوياء لينجدوهم ، وكانت ابصارهم
تشخص غالبا الى الشرق والاندلس .

اما الذين آووا الى الشرق فالتمسوا بفيتهم في
المتنبي ، واولهم محمد بن حبوس الفاسي ، الذي كان
اول من انشد عبد المومن من الشعراء الذين اجتمعوا
على بابيه بالمناسبة الآتفة الذكر ، فقد انشده قصيدة ،
اولها كما في المعجب :

بلغ الزمان بهديكم ما املا
وتعلمت ايامه ان تعدلا

وبحبه ان كان شيئا قابلا
وجد الهداية صورة فتشكلا
ومنها ابيات نجدها في نظم الجمان ، وهي :

بخليفة المهدي سيدنا اغتدى
نهج العلوم معبدا ومذلا

وتفجرت عين النباهة بعدما
قد كان خاطرها اكل واجبلا

قد صير العقول قلبا مائلا
فمتى رميناه اصبنا المقتلا

ورعى جسيم العلم في اوطانه
من كان يدي الضعف ان ينتقلا

وافيت حضرته المقدس تربها
فاذا الذي ابصرت لن يتخيلا

ووقفت وسط سماطه فوجدته
سوقا تقام على المعارف والعلا

لم الق الا عالما وازاءه
متعلما متكثرا متقللا

بل في العالم الاسلامي عامة ، تفكير قالوا انه اشعري ولكنه في الواقع لم تكن فيه بيزنطية الاشعري كما عهدنا في الشرق ، اذ كانت فيه عناصر عملية تنفجر بالاعتزال وآونة بالخارجية ان وجدت في هذا وذاك متنفسا لها ، وتنظر في مناهج العلوم ، فتجد المنهج الاول منها يحتاج الى ثورة عارمة ، فيعهدون الى ابن مضاء ، واذا به يحمل راية الثورة على منهج النحاة ويؤلف كتابه المعروف ، وهذا الفقه كان قد وصل الى مرحلته الراكدة واغلق ابوابه على الفكر الاسلامي ثم اغلق نوافذه فاختنق به من كان على رمق من الحياة ، فجاء الموحدون ، وحطموا أو حاولوا ان يحطموا هذا السجن ، وقالوا بالانطلاق ، اجل . الانطلاق والعق والتحرر من كل قول وكل مذهب ، والاعتصام بالمنبع الاول الكتاب والسنة ، فالفت التآليف العديدة ، ولم يكونوا كذلك في ظاهرية او حزمية بالحرف ، بل كانوا الى جانب الفكرة عمليين يربون النشء على هذا التحرر ، كما يربونه على الفتوة والجهاد في سبيل العقيدة والدين .

هذه مبادئ اجملها الناس فيما وسموا به نورة ابن تومرت ، ولكن ابن تومرت وتورته بعد هذا في حاجات الى دراسات ودراسات لم ينته اليها الدارسون حتى الآن ، وكل ما يمكن ان يقال ان الرجل بدأ بالعمل تلاه الظهور بالفكرة على عكس ما عهد في غيره

وعلى كل حال فالثورة الجذرية حاصلة ، وتدعيم الثورة لابد له من ايمان قوي ونقة عميقة وطامة متفانية لهذا القائم بالثورة وبهذا الزعيم في الفداء ، وفي هذا الداعي الى خلق المعجزات ، فناخذ اذن بمذهب الشيعة ، القائم على الايمان بالحق الالهي والطاعة لمن تحقق بذلك ، والثقة بالمصير فهو خالد خلود الدهر وهو وارث الارض وهو الجبل الذي لا تنفصم عراه ، الا ان هؤلاء لم يركنوا الى التشيع ركونا نظريا يرجع الى الماضي فيحاسب عليه ويطمح الى المستقبل فيفرق في حلمه ، ويبقى بين الماضي وبين المستقبل يدفعه هذا ويجذبه ذاك ، وانما اراد ابن تومرت ان يرى للاصحاب هذه الحقيقة عيانا ، ففعل فيها ما فعل ووفق في فعلته القاسية ، فكان النصر حليفا وكانت دولة الموحدين ، تهدر بالعظمة وتجيئش بالقوة ، فلا يحدها البحار الهائجة ولا الجبال الماردة ولا الصحاري الشاسعة

من المعلوم ان الدولة الموحدية كانت اول دولة مغربية ، حرصت على الشعر يقال فيها ، والمدح يسجل

مفاخرها ، ولهذا وجدنا اول خلفائها ، عبد المومن ، يستدعي اليه الشعراء ، وقد حل بجبل الفتح ، فيقول فيه هؤلاء ما قالوا ، ويتولاه بالتعليق عليه استحسانا او استهجانا أو استيثارا ، فيقول مثلا بهذا تمدح الخلفاء تعليقا على مدح الشريف الطليق ، وحينما يقول هذا : ما للعدا جنة اوقى من الهرب يرفع صوته بقوله : الى اين ؟ الى اين ؟ فيتم الشاعر بينه بقوله : اين المفر وخيل الله في الطلب ، ويقول معلقا على بني ابن سيد ، غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل

وانظر الى الجبل الراسي على جبل انى استقر به انى استقل بسم انى راي شخصه العالي فلم يزل لقد تقلتنا يا رجل

نعم ، هذا ما كان من عبد المومن وهو ما كان من الخلفاء بعده ، حرصا متناهيا ، ونفذا بارعا ، تحلوا به منذ عبد المومن الى المامون على الخصوص

فما اللون الذي كان هؤلاء الخلفاء يحسونه في هذه الامداح ؟

لقد كان الموحدون يهتولون بالعظمة ما حوذين بها في كل شيء ، ومن تلك تسميتهم لانفسهم بالخلفاء ، كما رايها من عبد المومن ومن تلك العظمة المتأصلة لنا حتى الآن في مبانيهم بالغرب وغيره ، وكذلك وجدناهم مسحورين بهذه العظمة في تلك الامداح التي تصلصل بأجراسها ، وتطفئ بمعانيها ، طفيانا لا حد له ، ولكنه في ذوق يستسيغه وسياج من الحكمة يحيطه . ولهذا رفض عبد المومن من الشاعر هذا الجبل الذي تعجب ان يستقر على جبل طارق وان يستقل به جبل طارق الذي راي شخص عبد المومن فلم يزل ... بينما نراه تقبل هذا الجبل من الشريف الطليق حينما قال :

وطود طارق قد حل الامام به كالطور كان لموسى ايمن الرتب لو يعرف الطود ما غشاه من كرم — لم ييسط النور فيه الكف للسحب ولو تيقن بأسا حل ذروته لفار كالعين من خوف ومن رهب

فانظروا الى الفرق بين تناول الشاعرين ، ولهذا كان التعليق عليهما مختلفا ، كما رايانا

من ناحية المعاني اغراق في المبالغة ، ولكن تناول تناول الفنان البليد ، هو ابن سيد اللص ، وتناول الفنان اللبق هو الطليق

ومطلع الاخرى فيه :

المجد عوفي اذ عوفيت والكرم
وزال عنك الى اعدائك الالم
ولم يحاول ابو الربيع ان يخفي اخذه بل عمد
فضمن من القصيدة شعره وقال :

قلنا نترجم عن اخلاص حاكم
اذا سلمت فكل الناس قد سلموا
فليها وجميع الخلق راحة من
وجدان كل حياة بعدكم عدم
واراني في غنى ان اذكر حضراتكم هنا ببיתי
المتنبى :

وما اخصك في برء بتهنئة
اذا سلمت فكل الناس قد سلموا
يا من يعز علينا ان نفارقهم
وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ويقول ابو بكر بن النخل مادحا لعبد المومن بهذه
المناسبة ، بقصيدة مطلعها :

فتحتم بلاد الشرق فاعتمدوا الغربا
فان نسيم النصر بالفتح قد هبا
بانبا قصيدته على قصيدة للمتنبى في مدح
سيف الدولة :

فدينك من ربع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا
ففيها نجد ابياتا كثيرة شديدة الاتصال بالتي
للمتنبى ، وخصوصا في هذه :

وكيف التذاذي بالاصائل والضحي
اذا لم يعد ذاك التسيم الذي هبا
ويقول شاعرنا :

رميت بها مثل السهام فاصبحت
كعاتهم صرعى واموالهم نهبا
وقول المتنبى :

سراياك تترى والدمستق هارب
واصحابه قتلى وامواله نهبا
ويقول :

فلو لم تجزها السفن نحو عدوها
لجازت اليه البحر تقطعه وثبا

وقال المتنبى :

ذكرت به وصلا كان لم افز به
وعيشا كانني كنت اقطعه وثبا
ويقول :

اتوكم يجرون الحديد سوابغا
كانهم البحر الغمالط قد عبا
ويقول المتنبى :

ويخشى عباب البحر والبحر ساكن
فكيف بمن يفشى البلاد اذا عبا
ويقول :

اذا اجذبت ارض نحاها بجوده
فما اغزر السقيا وما اكثر الخصبا
ولو علم الناس الخفيات امره
لما درسوا صحفا ولا صنفوا كتبها
ويقول المتنبى :

فيا شوق ما ابقى وبالي من النوى
ويا دمع ما اجرى ويا قلب ما اصبا
عليم باسرار الديانات واللفى
له خطرات تفضح الناس والكتبا
ويقول :

فلما تلاقيم وبينت الوغى
تولوا وقد طارت قلوبهم رعبا
ويقول المتنبى :

كذا يترك الاعداء من يكره القنا
ويقفل من كانت غنيمته رعبا
ويقول :

فما اعطت العرب القياد طواعة
ولا اسمحت ودا ولا اذعنت حبا
ويقول المتنبى :

ولم تفترق عنه الاسنة رحمة
ولم تترك الشام الاعادي له حبا
ويقول :

ضمان عليكم ان تبيحوا حريمه
وان تكسروا فيها التماثيل والصلبا

وبهذا نرى شاعرنا ابن جبوس لم يغير الا تغييرا طفيفا لا يذكر ، ثم موه على ذلك كله بما نجده في ادراك العوام ، وهو ما في البيت الثالث

قال عبد الواحد المراكشي في هذا الشاعر : كانت طريقته في الشعر على نحو طريقة ابن هانيء الاندلسي ، في قصد الالفاظ الرائعة والقعايق المهولة وايشار التقدير ، وهذا قد يكون صحيحا في بعض قصائده المتصلة بهذه الدولة ، ولكننا وجدناه متصلا بالمتنبي فيما بأيدينا من اشعار تتصل بالدولة .

وللشاعر اشعار وقصائد اخرى في اغراض خاصة لا تبدو عليها مسحة لا للمتنبي ولا لابن هانيء ، وكذلك القول في غيره من مثل الاغماتي وابي الربيع الموحي ممن سيذكرون فيما بعد . ولهذا فهذا اللون كان مطلوبا من الدولة في عهود عظمتها الاولى قبل ان يكون صادرا عن سلائق الشعراء انفسهم .

ومن الشعراء الذين يعتبرون شعراء البلاط الموحي ، شاعر كانت له مواقف مع ابي العباس الجراوي ، شاعر الخلافة كما قيل ، هذا الشاعر هو ابو حفص عمر الاغماتي ، الذي نجد من قصائده في الدولة قصيدة يفتتحها بقوله :

الا هكذا بنى العلا والمآثر
وتسمو الى الامر الكبير الاكابر
ولا شك ان هذا المطلع نظر الى مطلع القصيدة التي شهرت جدا عن المتنبي في سيف الدولة :

على قدر اهل العزم تاتي العزائم
وتاتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصفير صفارها
وتصغر في عين العظيم العظام

ومن الاسف ان ليس بيدنا من قصيدة الاغماتي الا مطلعها ، والا لكننا لا محالة نستشف منها الوانا وصورا من فن المتنبي عموما او قصيدته تلك خصوصا .

وهذا الجراوي نفسه نجده في مدحه لابي يعقوب يوسف بن عبد المومن يقول :

ستملك ارض مصر والعراقا
وتجري نحوك الامم استباقا

اذا لم يتفقق رأي وراي
افادا في محبتك اتفاقا

صفا لك كل قلب غير صاف
وزحزح عن ضمائره النفاقا
وحقكم وحقكم عظيم
لقد حسن الزمان بكم وراقا
وقد بلغ الوجود بكم منها
وقد امنت عصا الدين انشاقا
تبادرت الفتوح اليك تجري
غرائبها وتستبقي استباقا
امير المومنين ومن عليه
سنا الاسلام ياتلق ائتلاقا
ويا ملكا احنت كل ارض
الى ارض اقام بها اشتياقا
يحن اليك يوم غير عات
ويشكو الذاهب الماضي الفراقا
شكوت فأي قلب غير شاك
وأي العيش لم يمرر مذاقا
ولولا عطفة الابلال كنا
بنار الوجد نحترق احتراقا
فهذه القصيدة تنظر الى قصيدة المتنبي في سيف الدولة ومطلعها :

ايدري الربيع اي دم اراقا
واي قلوب هذا الركب شاقا
فهو ايضا من هؤلاء الشعراء الذين رددوا اصداء المتنبي في امداحهم لهذه الدولة ، الا ان ما بيدنا من اشعاره ، يجعلنا نعتقد على عكس ابن جبوس انه كان يعتمد على ابن هانيء الاندلسي اكثر من اعتماده على المتنبي ، كما سنرى .

وهناك شاعر آخر اخذ بنصيبه من الشرو والاندلس وهو الامير ابو الربيع الموحي حيث نجده في قصيدة قالها في المنصور بمناسبة شكوى المت به ومطلعها :

الم بالملك من الامك الالم
ومال بالملوك الساق والقدم
يعتمد على قصيدتين للمتنبي في سيف الدولة مطلع احدهما :

واحر قلباه من قلبه شيم
ومن بجسمي وحالي عنده سقم

تنومهم بيض الخدود نواعس
وتوقظهم سمر القنا والسوابق

وفي بعض الاحيان قد تكون المعاني غير واضحة
القرابة الا ان اتساق القافية على وتر واحد يجعلنا
نطمئن الى ان الشاعر كان ينظر اليها ، ويقال ان
القرشي الطليق ، لما مدح عبد المومن ببائيته التي
استحسنها ، فقال بهذا تمدح الخلفاء ، كان يعارض
بها ، كما يقول المقرئ ، بائية ابي تمام في المعتصم ،
والواقع انه كان ينظر الى بائية للمتنبي في رثاء اخت
سيف الدولة ، ومطلعها :

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب
كناية بهما عن اشرف النسب

اما قصيدة الطليق فمطلعها :

ما للعدا جنة اوقى من الهرب
ابن المفر وخيل الله في الطلب
فهذا المطلع مأخوذ من :

وعاد في طلب المتروك تاركه
انا لنغفل والايمام في الطلب

ويقول شاعرنا :

ان آب من غزوة افنت اعاديه
كان الاياب لآخرى اعظم النسب

ناظرا فيه الى مطلع المتنبي
ويقول :

جرت معارفكم في الناس كلهم
جري الصقال على الهندية القضب
ويقول المتنبي :

فما تقلد بالياقوت مشبهها
ولا تقلد بالهندية القضب
ويقول :

وطود طارق قد حل الامام به
كالطور كان لموسى ايمن الرتب
وقال المتنبي :

اذا راى وراها راس لابس
راى المقانع اعلى منه في الرتب
وغير هذه ابيات ينظر فيها من بعيد الى المتنبي ،
ولا علاقة للقصيدة مع بائية ابي تمام :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
ولا شك ان التناول غير واضح تماما ولكنه على
كل حال محسوس ، كما انه محسوس في ابيات اخرى
للمتنبي اخذه فيها من بائية ابي تمام وان لم يتنبه
لهذا احد على ما في علمي .

ويقول اسماعيل بن عمر الشواش قصيدة في
تهنئة عبد المومن بعيد الفطر يستهلها بقوله :

بأمرك اسمع الداعي المهيب
وسعدك بسر الفتح القريب

ناظرا الى قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة :

ايدري من اراك من يريب
وهل ترقى الى الفلك الخطوب

وهذه قصيدة اخرى قالها صاحبها - وهو ابو
عمر بن حربون - مهننا يوسف بن عبد المومن بالبيعة
يقول في مطلعها :

لكم بعد حمد الله تهدي المحامد
وفي وصف علياكم تصاغ القلائد

فقد نظر فيها من بعيد الى قصيدة للمتنبي في مدح
سيف الدولة ومطلعها :

عواذل ذات الخال في حواسد
وان ضجيع الخود مني لماجد

وهذه قصيدة اخرى لعمر بن حربون ايضا يهنئه
فيها بالايباب من جبل الفتح ويقول في مطلعها :

بايمن طائر كان الاياب
وانجح مطلب بلغ الطلاب

فقد نظر فيها الى قصيدة للمتنبي في مدح سيف
الدولة يقول في مطلعها :

بفورك راعيا عبث الذئاب
وغيرك صارما تلب الضراب

وهذه اخرى له في مدح الامير ابي حفص الموحي ،
اخى الخليفة يوسف ، يقول في مطلعها :

وجد النسيم نناءكم فتعطرا
ورأى الوشيع مضاعكم فتأطرا

نظر فيها الى لامية المتنبي في ابن العميد التي تقدم
ذكرها

ويقول المتنبي :

وخلى العذارى والبطاريق والقرى
وشعث النصارى والقرابين والصلبا

الى غير هذه الايات التي شعر ابن المنخل فيها
بالحرج ، فأراد ان يتخلص منه بلباقة في قوله :

ويستنشد البطريق في عرساتكم

« فديناك من ربع وان زدتنا كربا »

فهو يأتي بهذا الايداع ليفهمنا انه قد ما يشبه
المعارضة .

ويخاطب ابن سيد المالقي عبد المومن بقصيدة
ذيل بها كتابا كان جوابا عن آخر ذيل بشعر كذلك،
فيقول في مطلعها :

هو الامر امر الله ليس له رد

يؤيده ايد ويسمو به جد

ناظرا فيها من بعيد الى قصيدة للمتنبي يمدح
بها علي بن سيار ومطلعها :

اقل فعالي بله اكثره جد

وذا الجد فيه نلت او لم ائل جد

وكذلك نجد اللامية التي مدح بها اللص عبد
المومن بجبل الفتح ، تنظر الى قصيدتين للمتنبي في
سيف الدولة ، مطلع احدهما :

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل

دعا قلباه قبل الركب والابل

و مطلع الاخرى :

اعلى الممالك ما يبنى على الاسل

والطعن عند محبيهن كالقبل

ويمدحه عبيد الله بن صاحب الصلاة بقصيدة
طويلة مطلعها :

تلالا من نور الخلافة بارق

اضاءت به الافاق والليل غاسق

ناظرا الى قصيدة للمتنبي في مدح الحسين بن اسحق
التنوخى ومطلعها :

هو البين حتى ما تأنى الحزائق

ويا قلب حتى انت ممن افارق

فنجد في هذه ابياتا تنظر الى اخرى قصيدة

المتنبي ، منها هذه

يقول شاعرنا :

تكاد الربى تنحط عند لقائه
وتسرع نهضا للقاء السالمق

فاو شاء لم يركب جوادا بجحفل
ولا حملته في السفار الايانق

ويقول المتنبي :

وليل دجوجي كانا جلت لنا
محيالك فيه فاهتدينا السالمق

فما زال لولا نور وجهك جناحه
ولا جابه الركبان لولا الايانق

ويقول :

ففي ظله امن من الخوف مانع
وفي كفه بحر من الجود رازق

ويقول المتنبي :

فما ترزق الاقدار من انت حارم
ولا تحرم الاقدار من انت رازق

ويقول :

فلولاك لم يقطع حسام لضارب
ولا فتق الخطي ما هو فاتق

ويقول المتنبي :

ولا تفتق الايام ما انت راتق
ولا ترتق الايام ما انت فاتق

ويقول :

اذا هم امرا لم يلح بحقيقة
وغاب دليل للتفهم صادق

بدا من ضياء العقل هدي يده
عليه ومن نور البصيرة سابق

ويقول :

فلا ذو يد الا لامرك ناصر
ولا ذو فم الا لشرك ناطق

ويقول المتنبي :

يحاجي به ما ناطق وهو ساكت
يرى ساكتا والسيف فيه ناطق

ويقول :

الحب حيث العشر الاعداء
والصبر حيث الكلة السراء
قوله :

جهل البطارق انه الملك الذي
اوصى البنين بسلامه الابهاء
فتصرف في هذا الاخذ تصرفا بينا
والى جانب الادماج في قصيدته ، نرى على
العكس تفريقا ، كما في قوله السابق في المطلع :
لمن الخيول كأنهن سيول
غصت بهن سبائب وهجول
طويت لها الدنيا فأبعد ما انتحت
دان وأبطأ سيرها تعجيل
اذ فرق فيهما البيت :

ووراءهم حيث انتحوا وامامهم
تطوى بهن تنائف وهجول
كذلك نجد للجراوي قصيدة اخرى يقول فيها :
كانت محسب اناس قبلنا فخلوا
عنها وآثارهم فيها مقيمات
نالله لو علمت مقدار وارثها
هبت اليك رباهها والقرارات
الى ان يقول :

ومن تكن من امير المؤمنين فقد
قامت على فضله منه الشهادات
اهنا امام الهدى فالعدل منبسط
والدين منتظم والكفر اشثات
اعيت مآثركم من ان تنال وكم
شئت عليها من الاقوال غارات
وكم ارادت ولادة الشعر تحصرها
فاخفقت دونها منهم ارادات
هذي ابيات عبد مخلص لكم
محض اعتقاد وما تغني الايات
الامر اعظم مقدارا وارفع من
ان قد تحيط به منا مقامات
ففي هذه نجد معاني من القصيدة التي استهلها
ابن هاني في المعز بقوله :

ما شئت لا ما شئت الاقدار
فاحكم فانت الواحد القهار
الى ان يقول في انتصاراته على الروم :

كانت جنانا أرضهم معروشة
فاصابها من جيشه اعصار
امسوا عشاء عروبة في غبطة
فاناخ بالموت الزؤام شيار
واستقطع الخفقان حب قلوبهم
وجلا الشرور وحلت الازعار
ويختم القصيدة بقوله :

والبحر والينان شاهدة بكم
والشامخات الشم والاحجار
والدو والطلعان والذئبان والغـ
زلان حتى خرنق وفرار
شرفت بك الافاق وانقسمت بك الـ
ارزاق والاجال والاعمار
عطرت بك الافواه اذ عذبت لك الـ
أمواه حين صفت لك الاكدار
جلت صفاتك ان تحد بمقول
ما يصنع المصداق والمكثار
والله خصك بالقرآن وفضله
واخجلتي ما تبلغ الاشعار
وهذه قصيدة قالها الجراوي في عبد المؤمن
بمناسبة انتصاره على طاغية الروم بالاندلس ، ومطلعها :
اعليت دين الواحد القهار
بالمشرفة والقنا الخطار
فياخذ فيها من قصيدة لابن هاني في المعز
بمناسبة انتصاره على الروم البزنطيين ومطلعها :
اقول دمي وهي الحسان الرعايب
ومن دون استار القباب محارب
قباب واحباب وجلهمة المدى
وخيل عراب فوقهن اعارب
فأخذ البيت وصيره في قوله :

بعراب خيل فوقهن اعارب
من كل مقتحم على الاخطار

وبأمر من هذا الأمير نظم قصيدة على لسانه
يتشوق فيها الى اخيه الخليفة يقول في مطلعها :

سلام ايها الملك الهمام
على ناديك دام له السلام
فنظر فيها الى قصيدة للمتنبى في مدح المغيث بن علي
العجلي ، ومطلعها :

فؤاد ما تسليه المدام
وعمر مثل ما تهب اللثام
ولابن حربون قصائد أخرى في الموحدين كان
ينظر الى المتنبى في أغلبها

وأما الذين اتجهوا الى الاندلس حيث ابن هانيء
فأبو العباس الجراوي السالف الذكر

لقد اشتهر الجراوي بالمدح كما اشتهر ابن
هانيء به ، وكان مدحا قاصرا على الدولة الموحدية ،
او ما حفظ لنا منه قاصر عليها ، كذلك ما حفظ لنا من
مدح ابن هانيء يكاد يكون قاصرا على الدولة الفاطمية،
الا ان هذا فيه قواد ورجال دولة الى جانب الخليفة
المعز لدين الله ، بينما الذي حفظ لنا من مدح
الجراوي قاصر على الخلفاء الأربعة ، الاول : عبد
المومن فابنه يوسف فابن هذا يعقوب فابنه محمد
الناصر ، ولهذا كان على حق من سمى هذا الشاعر
بشاعر الخلافة الموحدية ، وكان ابن هانيء أثير لدى
المعز لدين الله ، حتى أنه قال عنه ، وقد بلغه نعيه : انا
كنا نريد ان نباهي به المشرق . وكذلك كان الجراوي
لدى عبد المومن ، فقال له : يا أبا العباس انا نباهي بك
الاندلس . وكان الجراوي يعتمد في قصائده على
قصيدة لابن هانيء قالها في انتصارات المعز على الروم
بتخوم الشام مطلعها :

يوم عريض في الفخار طويل
ما تنقضي غرر له وحجول
وكان ذلك اواسط القرن الرابع

وفي منتصف القرن السادس كان الخليفة الاول
عبد المومن الموحي يسترجع المهدية من يد النصارى،
واذا بالشاعر الجراوي ينظم قصيدته في هذا الحادث
الجليل ، على وتيرة قصيدة ابن هانيء المذكورة
واستهلها بقوله :

لمن الخيول كأنهن سيول
غصت بهن سائب وحجول

طويت لها الدنيا فأبعد ما انتحت
دان وابطأ سيرها تعجيل

يفزرو اديم الارض من صهلانها
مثل اسمها حتى تكاد تزول
فصهيلها محض الشاء وان يكن
لا يفهم الاسماع منها صهيل

تنشي على الملك الذي ايامه
ستر على هذا الوري مسدول
عم البسيطة ملكه فكانه
سيل على كل البلاد يسيل

جهل النصارى انه الملك الذي
يرث البلاد وعذرهم مقبول

اهل الجهالة هم فكيف الوهم
وعلمت ان الطبع ليس يحول
وكان ابن هانيء قد قال في قصيدته تلك :

انت الذي ترث البلاد لديهم
فالارض فال والسجود دليل
اهل الفرار فليت شعري عندهم

هل حدثوا ان الطباع تحول
وليسمعن صليها في هامهم

ان كان يسمع للسيوف صليل
ووراءهم حيث انتحوا وامامهم

تطوى بهن تائف وهجول
واستشعرت اقبالها لك هيبة

حتى حسبنا انها ستزول
ورعية هدا ب عدلك فوقها

ستر على مهجاتها مسدول
ومن اخفى فعله اخذه هذا البيت :

شهد البرية كلهم لك بالعلی
ان البرية شاهد مقبول

وقلبه في قوله :

جهل النصارى انه الملك الذي
يرث البلاد وعذرهم مقبول

على انه اخذ مما سبقه الوصف بـ « الذي يرث
البلاد » كما انه اخذ من قصيدة أخرى في الموضوع
ومطلعها :

وهل يرد الفيران ماء وردته
إذا ورد الضرغام لم يبلغ الذئب
وللجراوي قصيدة كان قد قالها في أبي يعقوب
يوسف بن عبد المومن ، بمناسبة انتصاره على نصارى
الاندلس استهلها بقوله :

نظر بكل سعادة مقرون
نالت به الدنيا المني والدين
تقديم من شهد الوجود بأنه
ما زال بالتقديم فيه قمين
ثم يقول :

تفزو المهابة عنه كل معاند
ولو أنه اشتملت عليه الصين
وتشب حيث توجهت عزماته
حرب كما وصفت لنا صفين
الى ان يقول :

وكفاهم ان كان منهم مفخرا
معنى الوجود وسره المكنون
ملك اذا اضطرب الزمان مخافة
لم يعيه التسكين والتامين
ثم يقول :

وجرى الى الامد الذي لم يجره
ملك ولم تصعد اليه ظنون
عذرا ابا يعقوب ان علاكم
قد افنت الامداح وهي فنون

لا يبلغ المنشور الا بعض ما
ترضى لك العليا ولا الموزون
وكم مدحة لك بعدها مذخورة
تزن المدائح كلها وتزين
لو لم يسد الا نظيرك لم يجز
فيه الامين مدى ولا الامون

قد كان ما نلت يرقب حينه
حتى اتى ولكل شيء حين
ما زال امركم الذي هو عصمة
والعز لا يعدوه والتمكين

فهو في هذه القصيدة ينظر الى اخرى لابن
هانيء قالها في المعز ، ويقال انها اول قصيدة له
فيه ، ومطلعها :

هل من اعقة عالج يبرين
ام منهما ما بقر الحدوج العين
وفيها يقول :

هذا معد والخلائق كلها
هذا المعز متوجا والدين
هذا ضمير النشاة الاولى التي
بدا الاله وغيبها المكنون
الى ان يقول :

القت بايدي الذل ملقى عمرها
بالثوب اذ فغرت لها صفين
ثم يقول :

اولم تشن بها وقائعك التي
جالت وراء الهند منها العين
بل لو سريت الى الخليج بعزمة
سرت الكواكب فيه وهي صفين
ثم يقول :

قد جاء امر الله واقترب المدى
من كل مطلع وحنان الحين
ورنا الى البلد الامين بطرفه
ملك على سر الاله امين
وهذه قصيدة له في المنصور يهنئه بسلامة
ايابه من سفر :

اياب الامام حياة الامم
توالى السرور به وانتظم
فهو في هذه القصيدة ينظر الى قصيدة لابن
هانيء في مدح القائد جعفر بن علي الاندلسي ،
ومطلعها :

اما والمذاكي يلكن الشكم
وضرب القوانس فوق البهم
يقول الجراوي :

وجاد به الارض صوب الحيا
وجلّى الظلام به بدر تم

بعد ما اخذ مطلع القصيدة من اخرى ، وهي
الهمزية التي سبقت الإشارة إليها ، قوله :

أعليت دين الله يا ابن نبينه
فاليوم فيه تخمط. واباء

وهذه قصيدة أخرى له قالها في المنصور
بمناسبة استرداد قفصة من ابن غانية استهلها بقوله:

عدوكم بخطوب البين مقصود
وامركم باتصال النصر موعود

وملككم مستمر ما له امد
موقت دون يوم الحشر محدود

القي على كل جبار كلاكه
كانه وهو في الاحياء مفقود

الى ان يقول :

القي السلاح وولى يتفي امدا
ينجيه وهو مروع القلب مفؤود

ما مر يوما بباب ظنه سببا
الى التخلص الا وهو مسدود

وهبه عاش ليس الموت ارواح من
عيش يخالطه هم وتنكيد

ويختمها بقوله :

قد ابهج الدين والدنيا مقامكم
وكيف لا وهو عند الله محمود

جاري مناقبكم شعري فقصر عن
بلوغ أدنى مداها وهو مجهود

من ليس معتقدا ايجاب طاعتكم
فليس يغنيه ايمان وتوحيد

وضاكم الدين والدنيا وعدلكم
ظل ظليل على الايام محدود

دعتم حياة بني الدنيا ودام لكم
نصر وفتح وتمكين وتأيد

ففي هذه القصيدة نجد ريحا لقصيدة لابن
هانيء قالها في المعز بمناسبة ورود رسل الروم طالبين
للصلح ومطلعها :

الا طرقتنا والنجوم ركود
وفي الحي ايقاظ ونحن هجود

الى ان يقول في ملك الروم :

وما حلفت الا الهجوم وراءه
وان قال قوم انهن حشود

ولكن راي ذلا فهانت منيته
وجرب خطبانا فلذهيد

وعرض يستجدي الحمام لنفسه
وبعض حمام المستريح خلود

الى ان يقول في ممدوحه :

من الخطل المعداد ان قيل ماجد
ومادحه المثني عليه مجيد

وهل يستوي وحي من الله منزل
وقافية في الغابرين شرود

ولكن رايت الشعر سنة من خلا
له رجز ما ينقضي وقصيد

شكرت ودادا ان منك سجية
تقبل شكر العبد وهو ودود

فان يك تقصير فمني وان اقل
سداد فمرمى القائلين سديد

وان الذي سماك خير خليفة
لمجري القضاء الحتمي حيث تريد

اذا هجروا الاوطان ردهم الى
مصارعهم ان ليس عنك مجيد

الى ان يقول :

وملكك ما ضمت عليه تهائم
وملكك ما ضمت عليه نجود

ويختم القصيدة بقوله :

اليك يفر المسلمون بأسرهم
وقد وتروا وترا وانت مقيد

وان امير المؤمنين كمهدهم
وعند امير المؤمنين مزيد

على ان الجراوي اخذ في قصيدته تلك بعض معان
من غير ما ذكرنا كهذا البيت :

اذا حمى الاسد الغضبان ناحية
لم يفترس ثعلب فيها ولا سيد

من قول ابن هانيء في قصيدة سنذكرها بعد :

هو الدوحة السماء في الارض اصلها
وقد زاحمت منها السماء الدوائب

له نسبة قيسية قرشية
تقر لها بالمعلومات المناسب

حقيق بميراث النبوة والهدى
ولا عجب ان المزاييا مواهب

بقيتم امير المؤمنين وسعدكم
تهز قنا منه وتنضى قواضب

وبالجملة فان شاعر الخلافة ابا العباس
الجراوي لو انصف لقال قولة البحرى في ابي تمام
« ما اكلت الخبز الا به »

ومن الدين اخلوا بنصيبهم من الاندلس كما
قلنا الامير سليمان الموحدى كما نجده في قصيدة يمدح
بها النصور بمناسبة استرداده لقصة كما سلف
يستهلها بقوله :

ضاءت بنور ايابك الظلماء
وتباشرت بقدموك الارجاء

وهل البلاد وانت الا روضة
عطشانة وسحابة هطلاء

الى ان يقول :

ومواكب اردفتها بمواكب
ضاء الفضاء بها وغص الماء

ثم يقول :

وارتج بفسدان وماج بفره
ارض الشام ومصر والبلقاء
ففي هذه استعان بقصيدة لعبد الحق ابن عطية

كان قد مدح بها الامير المرابطى عبد الله بن مزدلي
فقال :

ضاءت بنور ايابك الايام
واعترز تحت لوائك الاسلام

الى ان قال :

كم صدمة لك فيهم مشهورة
غص العراق بذكرها والشام

واخيرا نجد الى جانب هؤلاء من توجه الى
افريقية في هذه الامداح كما حصل من الشاعر
الاندلسي ابي بكر بن مجبر في قصيدة مدح بها النصور

وهي في نفس المناسبة التي وجدنا فيها الجراوي
يستعين بآبن هانيء وآبى الربيع الموحدى بآبن عطية
وكان هذا يستعين بشاعر افريقى لم نعر على اسمه
بالعين وانما عثرنا على شعر قاله بمناسبة انتقال
عبيد الله الفاطمى الى المهديا يستهله بقوله :

ليهنك آبها الملك الهمام
قدوم فيه للدهر ابتسام

حططت الرحل في بلد كريم
رعته لك الملائكة الكرام

لئن عظم الحرام وما يليه
كما عظمت مشاهد العظام

لقد عظمت بأرض الغرب دار
بها الصلوات تقبل والصيام

هي المهديا الحرم الموقى
كما بتهامة البلد الحرام

كان مقام ابراهيم فيه
ثرى قدميك ان عدم المقام

وان لثم الحجيج الركن اضحى
لنا بمراس قصركم التثام

لئن شاب الزمان وشاب ملك
دعائمها اذا عجمت حطام

اما ابن مجبر فقال :

اسائلكم لمن جيش لهام
طلائمه الملائكة الكرام

انت كتب البشائر عنه تترى
كما يتحمل الزهر الكمام

تم ولم تفض ولا عجب
ايحجب نفحة البدر الختام

كان النصر اضحكها ثفورا
فلأيام عنهن ابتسام

وبالناس يرغب عن اناس
لهم بالدين والدنيا قوام

امامهم اذا سلكوا سبيلا
كتاب الله يتبعه الامام

يصاحبه فيصحه امانى
ويتبعه فيتبعه الانام

فشكرا لخييل وفلك دنت
بمستأصل الظلم ماحي الظلم
إذا حل في بلدة امرعت
فطاب جناها وفاح المشم
وقال ابن هانيء :

خلقت شهابا يضئ الخطوب
ولست شهابا يضئ الظلم
فلو كنت حيث نجوم السماء
لما كان في الارض رزق قسم
كرمت فكنت شجى للكرام
فلم تترك القر حتى لؤم

واخرى قالها في ابي يوسف يعقوب المنصور
بمناسبة انتصاره على الفنصو التاسع في وقعة العقاب
عام 591 ، يقول في اولها :

هو الفتح اعياء وصفه النظم والنثرا
وعمت جميع المسلمين به البشرى
الى ان يقول في المنصور :

معز الهدى عليه حامي ذماره
يجير على اعدائه البر والبحر
ويقول في اواخرها :

معان بامداد الملائك منزل
من المعقل الاسمى مناوئه قسرا
يقصر فيه كل مثن وان علا
واجرى الى اقصى نهايته الفكرا

ففي هذه كان على ذكر من قصيدة لابن هانيء
في المعز ، قالها عام 348 بمناسبة انتصار جوهر ببلاد
المغرب الاقصى ، ومطلعها :

الا هكذا فليهد من قاد عسكرا
وأورد عن رأي الامام واصدرا
الى ان يقول :

إذا حاربت عنه الملائكة العدى
ملآن سماء الله باسمك مشعرا
ويقول في اواخرها :

بلغت بك العلياء فلم أدن مادحا
لاسال لكنني دنوت لاشكرا

ودون هذا في الاخذ من ابن هانيء قصيدة
لشاعرنا قالها في الخليفة الرابع محمد الناصر
بمناسبة بيعته ومطلعها ، صنع جميل جل عن ان يوصفا
وفيها يقول :

هي بيعة احيى الاله بها الورى
وحى بها دين النبي المصطفى
فأبيات هذه القصيدة تذكرنا بقصيدة لابن
هانيء في مدح المعز يستهلها بقوله :

هذا المعز ابن النبي المصطفى
سيذب عن حرم النبي المصطفى

وهناك قصائد اخرى للجراوي نحس فيها بنفس
ابن هانيء ولا نستطيع رجوعها الى قصيدة او
قصيدتين ومن تلك القصائد هذه التي قالها في مدح
المنصور وافتتحها بقوله :

لواؤك منصور وسمرك غالب
وعزمك للاعداء عنك محارب

لفد ثكلت ام المناويء وغررت
مباديء من احواله وعواقب

سما لاستراق السمع من وهداته
ودون سماء الملك شهب ثواقب

تلاق عليه البر والبحر ترمي
سفين الى استيصاله وكتائب

وفي الغيب من انجاد طائفة الهدى
ونصر امير المؤمنين غرائب

وختمها بقوله :

هو الامر امر الله ليس يفوته
مناو ولا يشئ عليه مناصب

وما هارب منه ولو بلغ السها
بناج وهل ينجو من الله هارب

بناصرها المنصور تاهت خلافة
تناسبه في حسنه ويناسب

امام له فضل على الخلق باهر
ومرتبة تنحط عنها المراتب

مناقبه مثل الكواكب كثرة
ونورا الا لله تلك المناقب

وانت بالسور السبع الطوال
على كل الوري حاكم بالله محكوم

وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة
بوعد ربك هيهات التناجيم

تسمو بنفس على السبع الشداد
فيما وثم لها زلفى وتحكيم

ويختم القصيدة بقوله :

صل بالصلاة عليه صدق مدحته

ذاك رحيق بهذا المسك مختوم

فالعدد سبعة سر من اسرار الاسماعيلية ولهذا
يقول عليك من سرها معنى وتقويم . فهناك آدم ونوح
وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد واخيرا محمد بن
اسماعيل المنسوب اليه المذهب الاسماعيلي وبه
- كما يقولون - بلغت الفترة السادسة نهايتها وابندات
السابعة بابنه محمد الذي يعقبه كذلك سبعة من الائمة
اولهم ابنه جعفر الصادق وثانيهم ابنه محمد الحبيب
(ولد عبيد الله المهدي كما قيل)

ولهذه الدعائم في التاويل الباطني امثال ، فالولاية
مثلها آدم والطهارة مثلها نوح والصلاة مثلها ابراهيم
والزكاة مثلها موسى والصوم مثل عيسى والحج مثل
محمد والجهاد مثل سابع الائمة الذي هو صاحب
القيامة .

ولا شك ان اعتقاد السبعة هذا خروج عن جادة
الاسلام وان الاغماتى كغيره من رجال الدولة في منأى
عن هذا الاعتقاد الفاسد ، بل اننا نلاحظ في سبعته تلك
روحا اسلاميا صرفا يحتمي بالقرءان « ولقد آتيناك
سبعا من المثاني » ويتبرا من تاثير النجوم ضمنا
في قوله :

وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة
بوعد ربك هيهات التناجيم

لكننا مع هذا ما زلنا عند القول بان الاغماتى
استغل السبعة الامامية وحولها ما امكن الى صراطها
المستقيم ثم ختم قصيدته بالصلاة على الخليفة الامام
كما يفعل الشيعة فقال :

صلى بالصلاة عليه صدق مدحته
ذاك الرحيق بهذا المسك مختوم

والواقع ان رسائل الموحدين تبدو عليها فكرة
المهدية صارخة اكثر مما تبدو على الاشعار المتصلة
بهذه الدولة وحسبنا ان نرجع الى مجموعة الرسائل
الوحدية على عهد عبد المومن لنجد فيها ما قلنا
كما نجد ذلك ايضا في خطبة الجمعة التي كانت فيها
ادعية تقليدية لاتتغير وهي مثبتة بكتاب المعجب
لعبد الواحد المراكشي .

واخيرا فمهارة كانت من اولئك الناس ان مازجوا
بين انماط من الفكر ولاءموا بين امشاج من النزعات
فما وهنوا فيما صنعوا ولا ضاقوا بما سنوا الا فترة
ثار فيها المامون وحده وسرعان ما عادوا الى ما كانوا
عليه وسجلوا للتاريخ موقفهم في المن بالامامة ولكن
النشاط الفكري تحول الى تونس مرة اخرى وتجددت
الدولة بالحفصيين منها ولا نستبعد ان يكون ابن البار
كتب لهم درر السمط وهي آخر ومضة للتشيع في
هذه الدولة الى ان كانت دولة السعديين فعاد المنصور
الى هذه النعمة في اشعار بلاطه التي ترددت في مولديات
الفشتالي وعبد الواحد بن احمد الشريف وابي
الحسن الشياظمي . وقد جازى المنصور سعيد
الماغوس بالالاف على شرحه لدرر السمط
وكان للسياسة عملها .

تطوان : محمد بن تلويت

هو الملك الكريم وما أصبنا
 اذا قلنا هو الملك الهمام
 فسل ما حل بالاعداء منه
 وكيف استوصل الداء المقام
 لقد برزت الى هون المنايا
 وجوه كان يحجبها اللثام
 وما اغنت قسي المزعزعة
 فليست تدفع القدر السهام
 عدوا فوق الجياد وهم شخوص
 وامسوا بالصعيد وهم رمام
 هو الامر الرضى طوبى لنفس
 يكون لها بعصمته اعتصام
 حياة الدين دولته فدامت
 لامر قد اتيح له الدوام
 سلام الله من قرب وبعد
 عليه وحسبما نزل السلام
 هذا ما يتصل بالناحية الفنية ، وهناك ناحية
 مذهبية اعني بها المذهب الشيعي ، ولا شك ان
 الشعراء في ذلك اعتمدوا كلياً على ابن هانيء ولكن
 اعتمادهم لم يكن منطوقاً ، كما اعتمدوا كذلك على
 مبادئ شيعية متطرفة الا انهم لم يفهموا خطر تطرفها
 او فهموه واخذوا بجانب منه دون الرجوع به الى
 اصل المذهب فيه ، فالشاعر الجراوي له قصائد
 تبدو فيها معالم التشيع كقوله فيها مادحا عبد المومن:
 لو انها نصرت عليا لن ترد
 خيل ابن حرب ساحة الانبار
 هم اظهروه مع النبي وواجب
 ان يتبعوا الاظهار بالاظهار
 الى ان يقول :
 اخليفة المهدي دمت مؤيدا
 بالله منتقما من الكفار
 ومن قصائده محم في رثاء الحسن وهي
 لا تختلف عن تلك المراثي التي نعرفها للشيعية تقرا
 صبيحة يوم عاشوراء الا بهذا العبث حيث بنى اعجازها
 على اعجاز معلقة امرئ القيس ونظمها للمنصور
 الموحي فقال فيها :

الا يا رسول الله صدي توهجا
 لمصرع سبط في الدماء تضرجا
 فمطلت جيد اليأس من حلية الرجا
 فتصا لاقوام يريدون لي نجا
 يقولون لا تهلك اسي وتجمل
 ويقول :
 اقول لحزن في الحسين تاكدا
 تملك فؤادي متهما فيه منجدا
 ولو غير هذا الرزء راح او اغتدى
 لناديتيه قبل الوصول مرددا
 عقرت بعيري يا امرا القيس فانزل
 ويقول :
 وركب اذا جاراهم البرق يعثر
 تذكرت فيهم كربلا فتجسروا
 وغيداء لا تدري الاسى كيف يخطر
 بثت لها ما كنت بالطف اضرر
 فالهيتها عن ذي تائم محول
 ويقول :
 اما لمهود الهاشميين حافظ
 السبط يوم للرسالة غائظ
 على ثكله قلب الكريم محافظ
 فيا مهجتي اني على السبط فائظ
 فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي
 ويقول :
 ايا فاسقا قاد الفرور شكائمه
 فاورد في صدر الحسين صوارمه
 تها ليوم الحشر تجرع علاقمه
 فما لك منجى من خصومة فاطمة
 وما ان ارى عنك العماية تنجلي
 ولابي حفص الاغماتي قصائد كذلك ، حشر في
 بعضها مبدءا خطيرا للتشيع فهو يقول في قصيدة :
 الله حسبك والسبع الحواميم
 تفزرو بها سبعة وهي الاقاليم
 سبع المثاني التي لله قمت بها
 عليك من سرها معنى وتقويم

قاضيا بها ، كما كان القائد ابو العباس احمد بن الفقيه ابي يعزى العرائشي عاملا للسلطان ابي الفداء بهذه المدينة (7) ، ثم في اثناء القرن الثاني عشر هـ يتصل عالم من فاس (8) بالجد الثالث للمترجم السيد اليمني كأحد طلبة مكناس ، التي لمع بها - أخيرا - اسم عمر المترجم : ابي العباس احمد بن الحاج عبد القادر العرائشي (9) آتي الذكر قريبا في عداد اشياخه ، وهكذا يتبين أن نسبة قبيل المترجم ليست للعرائش المدينة المعروفة شمال المغرب ، وانما هي للموضع المشار له بمقربة من مدينة مكناس .

مولده ومتعلمه الاولي

ولد في حدود عام 1280 هـ \ 1863 - 1864 م ثم حفظ القرآن وتعلم بعض المبادئ الدينية على معلمه الاول :

1 ابي العلاء ادريس بن محمد بن عبد الهادي الوالي الادريسي السجلماسي ثم المكناسي ، المتوفى عام 1335 هـ \ 1916 - 1917 م . وقد كان كتابه يقع في حي « تيربارين » ، في نفس مسجد هذا الحي الذي وقع تجديده اثناء العهد اليوسفي .

اساتذته في العلوم

وضع المترجم فهرسة سيرد ذكرها ضمن لائحة مؤلفاته ، وقد اورد فيها أسماء شيوخه في القرآن والعلوم ، والم بتراجمهم مع مقروءاته عليهم ، وسنقتبس منها في موضوع اساتذة المترجم ، الذي تبتدىء دراسته للعلوم من عام 1295 هـ او قبلها ، وقد كان عمده في هذه المرحلة هم الاعلام الذين سيرد ذكرهم حسب ترتيب وفياتهم :

2 - الطاهر بن الحاج الهادي بن العنابة المشهور ببوحدو المكناسي المتوفى عام 1305 هـ \ 1888 م ، قرا عليه لامية الافعال لابن مالك مرتين ، والسلم للاخضري ، وبعض الخلاصة لابن مالك ، والعروض والقوافي ، وطرفا من اول جمع الجوامع للسبكي الى الكناية .

(7) مقدمة الديوان الاسماعيلي الانف الذكر .

(8) هو محمد التاودي ابن سودة المري ، الذي ذكر هذا اواخر فهرسته اثناء ترجمة الصالح السيد احسن بن مبارك السوسي دفين حي حمام الحرة من مكناس ، « مخطوطة خاصة » .

(9) ترجمته في فهرسة المترجم ، مع « اتحاف اعلام الناس » ج 1 ، ص 455 - 456 .

3 - عم المترجم صنو والده للاب : ابو العباس احمد بن الحاج عبد القادر العرائشي المكناسي ، المتوفى عام 1318 هـ \ 1901 م ، قرا عليه الربع الاول من الخلاصة ، وكشف الاسرار عن علم حروف الفبار ، للقصادي : من اوله الى فصل حل الاعداد الى ايمتها .

4 - محمد المفضل بن الهادي بن احمد بن المجذوب ابن عزوز المكناسي ، المتوفى عام 1319 هـ \ 1901 م ، اخذ عنه المرشد المعين لابن عاشر من اوله الى آخره ، ومرة اخرى الى النصف ، والشمائل الحمدي للترمذي ، والنصف الاول من الخلاصة ، وطرفا كبيرا من الجامع الصحيح للبخاري ، وتدرج عليه في الفتوى .

5 - المفضل بن الحاج المكي بن احمد السوسي الاصل ، المكناسي الدار ، الفاسي الوفاة والاقبار ، عام 1320 هـ \ 1902 م ، قرا عليه الرسالة القيروانية ، والموطأ ، والشفا ، وطرفا وافرا من الجامع الصحيح للبخاري ، وبعض المختصر الخليلي ، وشيئا من علم العروض ، والقصيدة الهزمية للبوصيري .

6 - ابو العباس احمد بن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، قاضي مكناس ، المتوفى بفاس عام 1321 هـ \ 1903 م ، سمع عليه صحيح البخاري بقراءة غيره ضمن جماعة ، سوى مجلسين لم يحضرهما لعذر وقرنا دون حضوره ، واخذ عنه شيئا من المختصر الخليلي من باب الشركة ، وقصيدي البردة والهزمية .

7 - محمد السعدي بن الحاج محمد المتوني الحسني المكناسي ، المتوفى عام 1334 هـ \ 1916 م ، اخذ عنه مطالب الربع المجيب ، وشرح له الرقوم المرسومة على رخامة الوقت بسطح مستودع المسجد الاعظم ، وغير ذلك ، وصار يستنيبه في توقيت هذا المسجد الى ان استقل به بعد .

8 - محمد بن عبد السلام بن الطيب بن الرازي بن حم الطاهري الحسني المكناسي قاضيا ، المتوفى عام 1339 هـ \ 1921 م ، قرا عليه المقدمة الاجرومية مرتين ، والخلاصة ، والمرشد المعين ، ثم المختصر الخليلي وتحفة ابن عاصم الا قليلا في الاخيرين ،

محمد بن الحسين العرائشي

شيخ الجماعة بمكناس

لأستاذ محمد المنوفي

اسمه ونسبه - مولده ومتعلمه الاولي -
اساتذته في العلوم - مسموعات واجازات - مكانته
العلمية - اشتغاله بالتدريس - الاخلاص عنه -
اشتغالات اخرى للمترجم - اخلاقه وغيرته -
مؤلفاته - وفاته ومدفنه وتايينه .

اسمه ونسبه

ارض « تلاجدوت » بأمر الولي المذكور ، حسبما
برسوم ذلك - التي بأيديهم - القديمة .

وقد كان المولى عبد الله بن حمد (4) انتقل الى
سكنى مدينة مكناس حوالي اوائل القرن التاسع
للهجرة ، وبهذا يكون قبيل المترجم وفد على مكناس
في التاريخ المذكور ، وحسب الفقرة الانفة الذكر فقد
استوطنوا - اولاً - بالعرائش من ارض تلاجدوت ،
وهذه - حسب الحوالة الاحمدية (5) - تقع بحارة
« ورزيفة » اسفل المشهد المنسوب سيدي عبد
العزيز (6) شمال المدينة على نحو 3 ك. م. ثم
انتقلوا للسكنى بداخل مكناس في تاريخ غير مضبوط،
غير انه من المؤكد انهم في العصر الاسماعيلى - كانوا
قد استوطنوها ، حيث كان جد المترجم عبد الوهاب

هو ابو عبد الله محمد بن الحسين العرائشي ،
يرقى نسبه الى قاضي مكناس اثناء العهد الاسماعيلى:
أبي محمد عبد الوهاب بن الحاج محمد المدعو حم
العرائشي (1) ويتسلسل نسب المترجم اليه - حسب
ابن زيدان (2) - هكذا : محمد بن الحسين بن الحاج
عبد القادر بن غلال بن اليماني بن علي بن القاضي عبد
الوهاب المذكور ، وقد جاء ذكر فريق المترجم في طالعة
« الديوان الاسماعيلى » الموضوع في بعض بيوتات
مكناس (3) حسب الفقرة التالية :

العرائشيون من الذين وفدوا مع الولي الصالح
سيدي عبد الله بن حمد ، واستوطنوا بالعرائش من

- (1) ترجمة في « اتحاف اعلام الناس » لابن زيدان ج 5 ص 398 - 399 ، مع اضافة معلومات اخرى عنه
في افتتاحية الحوالة الاحمدية بمكناس ، خ. ع. « فيلم » رقم 3 - لوحة 2 ، و ترجمة والده هي
الواردة في نفس المصدر الاول ج 4 ص 43 - 44 .
- (2) في « اعلام الحاضر والباد . بقطع اوداج من زعم ان الادب في ترك مديح صفوة العباد » ، السفر
الاول ، مخطوطة المؤلف بالكتابة الزيدانية تحت رقم 3174 ، بمناسبة تقديم قصيدة للمترجم ، مع
اضافة يسيرة من فهرسة المترجم التي سيرد ذكرها بعد .
- (3) حسب النص الوارد في « المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاى اسماعيل بن الشريف » لابن
زيدان ، خ. ع. ج 595 ، ص 237 - 243 ، ومع الرجوع الى مخطوطة اخرى من نفس المصدر .
- (4) ترجمته ومراجعتها في « اتحاف اعلام الناس » ج 4 ، ص 498 - 501 .
- (5) « الفيلم » السابق - الذكر - لوحة 246 .
- (6) لم اقف على ترجمته .

وسيكون هذا الشيخ آخر شيوخ المترجم الذين اخذ عنهم دراية او رواية ، مع الاشارة الى ان فهرسته لا تزال تحتفظ بأسانيد اخرى حديثة وصوفية ، تطول الترجمة بإيرادها .

مكانته العلمية

كان معدودا من كبار علماء مكناس ، ماهرا في النحو والتصريف ، عارفا بالفقه المالكي على العموم ، متضلعا في فقه العبادات ، مشاركا في علوم الحديث والتجويد والاصلين والبيان والمنطق والعروض والقوافي ، ملما بالحساب والتوقيت ، ملجأ للطلاب في تدريس مختلف العلوم ، مرجعا للعامة في امور دينهم ، وكان في اول امره يعاني قرض الشعر على قلة (11) ، كما كان يتعاطى الافتاء في بعض الاحيان ، واشتغل اخريات عمره - اكثر - بوضع مؤلفات في مواضيع متنوعة .

حلاه شيخ الجماعة الامام ابو العباس احمد ابن الخياط في اجازته له بـ « الفقيه العلامة ، المحقق الدراكة الفهامة ، المشارك المدرس النفاة ... ذي التأليف العديدة ، والتحريرات المفيدة (12) ... » ، وعقد له العلامة الاديب الشهير ، ابو العباس احمد سكيرج : ترجمة مقتضبة في بعض رحلاته (13) عام 1329 هـ ، وقد جاء فيها :

« ولصاحب هذه الترجمة ذهن وقاد ، وقريحة تامة ، وله الباع الطويل في علم النحو . والبيان . والفقه ، والعروض ، الا انه قليل النظم » .

1925 م ، كتب له بالاجازة العامة ، وبعث له بها من فاس في فهرسته الصفري ، ثم زاره - بعد هذا - بداره قرب مدرسة الشراطين من نفس المدينة ، حيث سمع منه الاجازة مشافهة .

23 - محمد بن جعفر الكتاني الحسني ، المتوفى عام 1345 هـ \ 1927 م ، سمع منه - عام 1323 هـ - حديث الرحمة المسلسل بالاولية ، من طريق شيخه الحاج محمد بن علي الحبشي ثم المصري ، عن محمد بن محمد - مرتين - بن ابراهيم التاملي العثماني ثم السلوي ، عن محمد صالح الرضوي البخاري بأسانيد ، وروى عن ابن جعفر - ايضا بالاجازة - صحيح البخاري ، عن شيخه ابي العباس احمد بن احمد بناني المدعو كلا ، عن محمد بن احمد السنوسي ، عن محمد التاودي ابن سودة بأسانيد .

24 - محمد بن احمد بن ادريس بن الشريف العلوي الاسماعيلي الحسني ، الزرهوني ثم المكناسي قاضيا ، المتوفى بها عام 1367 هـ \ 1947 م ، سمع منه الاوائل العجلونية بمنزله من الزاوية الادريسية ، في عشية الجمعة رابع جمادى الآخرة عام 1342 هـ ، واستندها له من طريق الشيخين : عبد الكبير بن محمد ، ومحمد جعفر : الكتانيين الحسنيين بسنديهما ، كما اجازه بالموجود من فهرسته ، وبفهرسة الفلاني ، وبغيرهما ، اجازة عامة بتاريخ ليلة السبت خامس جمادى الثانية عام 1342 هـ (10) ، ثم قرأ عليه سورة البقرة بتفسير الجلالين وحاشية الصاوي ، في ليالي رمضان بالروض الزيداني من مكناس ، واستفاد منه فوائد نفيسة جلية .

10 () ورد نص هذه الاجازة في فهرسة المترجم ، وتحتفظ المكتبة الملكية بالرباط بأصل الاجازة المكتوب بخط المجيز على ظهر الاوائل العجلونية رقم 1196 ، ويوجد بنفس المكتبة اجازة اخرى صادرة للمترجم وبخط المجيز على ظهر فهرسة ابن غازي رقم 1203 ، مع اجازة ابي العباس ابن الخياط له في فهرسته الصفري رقم 1205 .

11 () ورد شعر المترجم في المديح النبوي عند ابن زيدان في اعلام الحاضر والباد : السفر والمخطوطة السالفي الذكر عند التعليق رقم 2 ، مع ذيل خاتمة « الشمائل الترميدية » لاستاذ الشيخ الفضل ابن عزوز ، في قصيدة بمناسبة ختم هذا الكتاب ، حسب مخطوطة خ. ع. د. 515 ، وعند ابي العباس احمد سكيرج في رحلته : « الرحلة الزيدانية » خ. ع. « فيلم » رقم 1030 ، ثم الرحلة الثانية : « غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود » خ. ع. « فيلم » رقم 1029 - لوحة 107 ، وشعره - على العموم - نازل .

12 () فهرسة المترجم .

13 () « غاية المقصود ... » الصورة الانفة الذكر - لوحة 107 .

مع السلم للاخضري ، وشيء من مقدمات جمع الجوامع للسبكي .

9 - قاسم بن عبد القادر الحسنائي النشواني ثم المكناسي ، المتوفى عام 1342 هـ \ 1924 م ، اخذ عنه بعض مطالب الربع الحبيب ، وعرفه ببعض النجوم التي تتوقف عليها هذه المطالب .

* * *

اما بقية اساتذة المترجم فهم حسب وفياتهم ايضا:

10 - ادريس بن شيخ جماعة القراء بمكناس السيد اليزيد اللنجري ثم المكناسي المتوفى عام 1295 هـ \ 1878 م ، قرأ عليه المقدمة الاجرومية مرتين .

11 - محمد بن المجذوب ابن عزوز المكناسي ، عم الشيخ الفضل ابن عزوز سابق الذكر ، والمتوفى عام 1297 هـ \ 1880 م ، قرأ عليه اول المقدمة الاجرومية .

12 - ابو الصفاء المختار بن الحبيب الاجراوي المكناسي ، المتوفى عام 1300 هـ \ 1883 م ، اخذ عنه المرشد المعين من اوله الى آخره .

13 - محمد بن محمد بن الجيلاني بن المعطي السقاط المكناسي ، المتوفى عام 1301 هـ \ 1884 م ، قرأ عليه ابعاضا من الخلاصة من آخرها ، ومن جمع الجوامع للسبكي ، ومن الشمائل الترمذية .

14 - عبد السلام بن الحاج محمد ابن عمر الصنهاجي المكناسي الدار ، المتوفى عام 1320 هـ \ 1903 م ، اخذ عنه شيئا يسيرا من الخلاصة والمختصر الخليلي .

15 - محمد بن عبد السلام كنون دعي كنون - بالتفسير - الفاسي ، المتوفى عام 1326 هـ \ 1908 م ، سمع عليه الشمائل الترمذية بالزاوية التجانية ، حين زار مكناس لحضور المجالس السلطانية في صحيح البخاري في رجب وتاليه ، وقد ختمها قبل رمضان .

16 - الحاج المعطي بن محمد بن الهادي ابن عبود المكناسي ، المتوفى عام 1330 هـ \ 1912 م ، قرأ عليه بعض الخلاصة .

17 - الحاج المختار بن باشا فاس السيد عبد الله بن احمد السوسي ثم البخاري ، المكناسي الدار ،

المتوفى عام 1335 هـ \ 1917 م ، حضر عنده اياما عديدة في المختصر الخليلي .

* * *

هؤلاء سبعة عشر استاذًا من شيوخ المترجم بمكناس ، ولم يدرس بفاس ، واتما قام برحلات قصيرة لهذه المدينة حضر خلالها دروس بعض كبار علماء القرويين ، وهم :

18 - ابو عبد الله محمد بن المدني كنون الفاسي ، المتوفى عام 1302 هـ \ 1885 م ، حضر بعض مجالسه في التفسير بضريح سيدي قاسم ابن رحمون ، حيث وجده يقرأ في سورة المجادلة الى أن ختمها ، ثم صادفه في رحلة اخرى يقرأ بالقرويين جامع الشيخ خليل .

19 - محمد بن التهامي الوزاني ثم الفاسي ، المتوفى عام 1311 هـ \ 1894 م ، حضر بعض مجالسه في المختصر الخليلي عند باب الحوالة .

20 - محمد التهامي كنون اخ المذكور انفا ، والمتوفى عام 1331 هـ \ 1913 م ، حضر بعض مجالسه في جامع الصحيح لمسلم .

21 - محمد بن قاسم القادري الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1331 هـ \ 1913 م ، حضر مجلسه في جمع الجوامع لابن السبكي عند قول المتن: تأخير البيان عن وقت الفعل غير واقع وان جاز الى آخر المسألة .

مسموعات واجازات

للمترجم سماع واجازات من بعض الاشياخ الفاربة وهم :

— ابو العباس ابن سودة المري سابق الذكر ، سمع عليه الجامع الصحيح للبخاري على ما تقدم ، وهذا يرويه من طريق الفاربة : عن شيخه بدر الدين الحمومي ، عن محمد التاودي ابن سودة بأسانيده ، كما يرويه عن مصطفى الكبابي الجزائري ، عن علي ابن عبد القادر المعروف بابن الامين ، عن علي الصعدي المصري بأسانيده .

22 - ابو العباس احمد بن محمد ابن الخياط ، الحسني الزكاري الفاسي ، المتوفى عام 1343 هـ \

7 - الحسن بن محمد بن الحسين النونسي
العدل الحيسوبي الفلكي ، المتوفى عام 1375 هـ \
1955 م ، وهو من أوائل الاخذين عنه .

8 - ابو الصفاء المختار بن شيخ الجماعة
المفضل بن الحاج المكي السوسي ، العدل المدرس
المفتي ، المتوفى عام 1378 هـ \ 1958 م .

9 - ابو فارس عبد العزيز بن محمد الامغاري
الحيسوبي الفلكي ، المتوفى عام 1380 هـ \ 1960 م .

اشتغالات أخرى للمترجم

رغب المترجم عن التوظيف ، ولهذا ابتعد - الا
قليلا - عن مباشرة خطة العدالة وهو يتولاها منذ عام
1314 هـ ، وعمل نائبا عن قاضي احواز مكناس ، ثم
انزوى عن ذلك ، وكانت الوظائف التي اختارها لنفسه
- على ضالة مرتبتها - هي التدريس ضمن علماء
الطبقة الاولى ، وتوقيت الجامع الاعظم ، مع خطابة
جامع قصبة هدراش ، وامامة مسجد الورزيفي ، وفي
أحد الاعوام كان أحد نائبي مكناس في المجلس الحيسي
الاعلى ، المنعقد عام 1335 هـ \ 1917 م (15) .

وكان له ولوع خاص بالنساخت ، يخصص لها
وقتا بين اشغاله ، وقد كتب منتسختات عديدة لشيخه
قاضي مكناس ابي العباس ابن سودة مار الذكر ، كما
نسخ برسم المكتبة الزيدانية بمكناس مؤلفات لا تزال
تزخر بها هذه الخزنة في مجلدات قائمة بنفسها ، او
ضمن الجاميع ، وكتب لنفسه الشيء الكثير ، وقليل
كان يكتب لبعض الافراد والمكتبات الاخرى ، ويأتي في
طليعة منتسختاته : « الفجر الساطع ، على الصحيح
الجامع » لمحمد الفضيل الشبيهي سالف الذكر ، في
سنة اسفار ، حيث كتب منه نسختين من خط مؤلفه
احدهما للمكتبة الزيدانية ، والثانية لنفسه ، فاحيا
بعمله هذا اثرا من أهم وأندر ما كتبه المغاربة على صحيح
البخاري ، وقد ساهم مساهمة فعالة في جمع عدد من
مواد تاريخ مكناس ، وشارك في وضع فهرس المكتبة
الزيدانية .

اخلاقه وغيروته

كان المترجم داعيا الى اتباع السنة بقوله وفعله،
محافظا على العبادات ، قواما بالليل ، لا يفتاب احدا ،

(15) نشرة هذا المجلس .

مثلا بارزا في التواضع ، ميلا الى القناعة والزهد .

هذا الى اهتمام بتعليم الناشئين ، وقد وضع
لهذه الغاية في قواعد الاسلام الخمس ، كتيباً صغيراً
سماه « درة الولدان ... » ، ثم طبعه واخذ يوزعه
بنفسه - مجاناً - على معلمي الكتاتيب القرآنية ، وعلى
النشء الصغير ، الذين اعتكف - اخريات عمره - على
اقرانه لهم ظهر يومي الاربعاء والخميس ، ثم صنف
لنفسه الفايق شرحاً مبسطاً على المقدمة الاجرومية،
وضحه بالجدول ، واقرأه بنفسه حتى ختمه .

وكان عدو التفرنج والتشبه المذموم بالاجنبي ،
والف - في هذا الصدد - رسالة « التحذير والتنفير
من الافعال التي تؤدي الى التكفير » .

يحض - كثيرا - على الاهتمام بعلم التجويد
ومعرفة احكامه ، وله في هذا الموضوع شرح على
الدرر اللوامع ، وسيرد ذكر هذا - مع المؤلفات الثلاث
الانفة الذكر - ضمن لائحة مؤلفات المترجم .

وله مواقف معروفة ضد بعض المبتدعة ، يندد
بهم في مجالسه ، ويذهب الى موطن بدعتهم ليفير
عليهم بلسانه ، صارخا فيهم بأن ما هم عليه منكر ،
رائده في هذا : النصيحة للاسلام والمسلمين .

مؤلفاته

لم يضع المترجم اكثر مؤلفاته الا في اخريات
عمره ، وسأذكر ما عرفت منها على ترتيب حروف
المعجم ، مع وصف وجيز لما قرأته من آثاره :

1 - « اتحاف الطالب القانع ، بفهم معننى
النظم المسمى بالدرر اللوامع » ، شرح فيه أرجوزة
« الدرر اللوامع ، في مقرا الامام نافع » ، لابي الحسن
علي بن محمد بن علي بن بري .

2 - « التحذير والتنفير ، من الافعال التي
تؤدي الى التكفير » ، فرغ من تأليفه في 11 محرم ،
عام 1351 هـ ، ويقع في 21 ص من الحجم المتوسط ،
حسب مخطوط المكتبة الزيدانية ، الواقع ضمن
مجموع يحمل رقم 3818 ، بخط المؤلف نفسه .

3 - « تعليق على أرجوزة الوزير محمد بن
ادريس العمروي في صلحاء مكناس » ، منه نسخة

ووصفه المؤرخ ابن زبدان (14) عند تقديم قصيدة له بـ « العلامة ، الملازم للتدريس والافادة ، الفقيه ، المفتي ، الخطيب البليغ » .

اشتغاله بالتدريس

تبتديء هذه المرحلة من حياة المترجم خلال العشرة الثانية بعد ثلاثمائة والف ، في حياة اكثر اشياخه ، وبأذن من بعضهم : مثل المفضلين ابن عزوز والسوسي ، وبهذا استمر في التدريس مدة تناهز أربعين عاما ، عكف فيها على الاقراء والافادة دون فتور ، وقد اقرا في هذه الفترة معظم الكتب الدراسية في الفنون التي كانت متداولة آنذاك ، وكان منها مما حضرته عليه او ادركته يقرئه دون حضور :

« الموطا » بالجامع العلمي : بين العشائين ، وصحيح البخاري في ليالي رمضان بغريفة الوقت من الجامع الاعظم ، ادركت منه من كتاب الدعوات الى اول كتاب الفتن ، ثم توفى - رحمه الله - قريبا من ذلك ، والمختصر الخليلي ، وتحفة ابن عاصم ، وجمع الجوامع للسبكي ، والخلاصة لابن مالك ، زيادة على التون الصغيرة : امثال المقدمة الاجرومية ، والمرشد المعين ، والجمل للمجرادي ، ولامية الافعال ، والكافي في علمي العروض والقوافي ، ونظم الاستعارات للشيخ الطيب ابن كيران : وكشف الاسرار للقلصادي ، وكتيب المترجم درة الولدان آتية الذكر ، هذا مع العلم بأن ما ادركت من حياته الدراسية سوى مدة لا تبلغ الثلاثة اعشوام .

وكانت طريقته في تدريس الكتب ذات الحواشي ان يتتبع المتن المقرؤ بشرحه وحاشيته ، يملئ ذلك من الكتاب ، ويوضحه توضيحا شافيا ومفيدا ، مطرزا ذلك بافادات متنوعة ، وملاحظات في بعض الاحيان ، وكان يقرئ الخلاصة بشرح المكودي ، ويتتبع تعاليق كتبها على هامش نسخته المطبوعة بمصر ، وطوقها بها تطويقا يكاد يعم اكثر الصفحات . كما كان يقرأ بعض التون الصغيرة باملائه ودن احتياج الى مطالعة سابقة ، وقد اقرا - مرة - المقدمة الاجرومية بشرحه - عليها - آتي الذكر ، ولما بلغ في قراءة فرائض المختصر الخليلي الى قسم العمل ، صار يوضح ذلك بتقييده عليه آتي الذكر ، وكان في تدريسه لصحيح البخاري يتتبع تعليق « الفجر الساطع على الصحيح

الجامع » للامام ابي عبد الله محمد الفضيل بن الفاطمي الشيبهبي الحسني ، وهو تعليق بديع ونادر .

وحسبما ادركته فقد كان اكثر تدريسه بالجامع الاعظم ، وموضع جلوسه في الغالب كان بين بابسي العدول قبالة الصحن ، وكان يقرئ - قليلا - بغريفة الوقت من نفس الجامع ، وبالمسجد العلمي ، والزاوية الكتانية ، واقرا قديما بجامع الزرقاء ، وجامع الورزيفسي .

الاخلاق عنه

كان من اثر عكوف المترجم على نشر العلم وملازمته الاقامة بمكناس ، ان تخرج عليه اجيال من العلماء والطلاب طبقة بعد طبقة ، وفوجا بعد فوج ، وباستثناء اقرائه من العلماء ، فقد صار في آخر عمره لا يوجد من ينتمي للعلم بمكناس الا وله عليه مشيخة ، ونحاول هنا ان نثبت تسعة اسماء تمثل طبقات من الاخذين عنه من اعلام مكناس الراحلين ، وسيرد ذكرهم على ترتيب وفياتهم :

1 - ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الفضيل العلوي الاسماعيلي ، العدل المدرس المفتي ، المتوفى عام 1352 هـ \ 1934 م .

2 - عبد الله بن الجيلاني العلمي دعي جمعان . العدل الموثق المدرس ، المتوفى عام 1361 هـ \ 1942 م

3 - ابو زيد عبد الرحمن دعي الكبير بن محمد ابن عبد الرحمن ابن زيدان العلوي الاسماعيلي ، مؤرخ مكناس الشهير ، المتوفى عام 1365 هـ \ 1946 م .

4 - محمد بن سعيد بن عبد السلام بن احمد الدكالي الاصل ، المكناسي الدار ، الفاسي القرار ، الرباطي الوفاة والمدفن ، المفتي المدرس الشهير بالقرويين وغيرها ، المتوفى عام 1368 هـ \ 1949 م .

5 - محمد بن ادريس بن محمد بن الحسين ابن السلطان محمد بن عبد الله ، العلوي الاسماعيلي ، قاضي الدار البيضاء وغيرها ، المتوفى عام 1370 هـ \ 1951 م .

6 - محمد - فتحا - بن المبارك بن علي الهلالي ، المدرس المفتي الطائر الصيت ، المتوفى عام 1372 هـ \ 1953 م .

ذلكم الجهد الذي كان المثل الاعلى علما وعملا ،
ذلك الركن المتين الذي ترك المنابر تبكي وتنحب ،
اسفا وحزنا على زواج وعظه التي كان لها الموقع
العظيم في القلوب ، ذلك الفقيه العرائشي الذي كانت
تمثل الاخلاق الحميدة في شخصه المفقود ، والذي
كانت ذاته الطاهرة مرآة ترتسم فيها الصور المعنوية ،
ارتساما ابلغ من الصور المحسوسة ضياء وبريقا
ولمعانا .

فيأيها الفقيد : قد غادرتنا فظن الناس انهم
فقدوا شخصك فحسب ، كلا ورب الكعبة ، انهم
فقدوا حياتهم الحقيقية ، لانك كنت حاملا على كاهلك
ما يكفل لهم سعادة الدارين ، فها هي الروح التي كنت
تغذيها بعلومك ومعارفك ، أصبحت معذبة تعسة ،
تختار الغناء على البقاء ، وها هو النشء الصغير -الذي
كنت ترصع فكرته الصافية بدرر الفضائل والفواضل
ليتربى عليها ، ويصبح من الرجال الذين فهموا معنى
الحياة - ينوح ويبكي بكاء تخر له الجبال الرواسخ ،
وها هو المسجد الاعظم الذي كان يبتهج بنورك الساطع ،
لا يرى فيه اليوم الا الظلام الحالك ، وها هي الارحاء
المكناسية ينادي فيها غراب الجهل بالمصاب والكوارث .

اللهم انك تعلم ان المففور له كان نعمة من نعمك ،
كنا نقبس منها ما نهتدي به في ظلماتنا ، فأدركنا
بعنايتك ، التي جعلنا في مدارجه من السالكين ، وامن
عليه بما كان يظنه في جنبالك الكريم ، انك سميع
مجيب .

وهذه قصيدة الاستاذ العرائشي :

وهدت جسوما من رجال اعزة
بنعى بدور واخترام اجلة
ورن لها الاسلام في كل وجهة
واوقدت في الاحشاء نار كتابة
يفتت اكبادا ويفري بشدة
ابا كان مرماه الرقي لعلية
وحزما واخلاقا ولين عريكة
تلين قلوبا اقصى من صم صخرة
راى منكرا يوتى بصدق نصيحة
وبدد شمل الجهل من كل فكرة

الرباط : محمد المنوني

جبالا وسما وارضاً ، فتمعت الجارحة التي تحبس
الدموع في محاجرها حقبة من الزمان ، ولا تريقها الا في
هذا المصاب العظيم ، والخطب المؤلم الجسيم ، مصاب
قسم على الاكباد فازعجها من مراكزها ومواطنها ، وصار
يعبث بها عبث الريح بالورقة الملقاة على ظهر البسيطة ،
مصاب احدث في الطبيعة فتورا ، وفي الجو ظلاما ، وفي
الفكر المكناسي اضطرابا وقلقا ، فصاب ذلك الرجل
الذي كانت تفترف من بحرهِ الصبيان والشبان
والكهول والشيوخ .



شيخ الجماعة بمكناس الفقيه العلامة النعم
السيد محمد الحسين العرائشي غفر الله له

« سهام المنايا صوبت نحو معشر
ففي كل يوم يفجع الدهر اهله
خطوبه قد عمت وعم مصابها
فجعلتنا في شيخ البلاد وركنها
فرزء ، قد عم البسيطة واغتدى
الا يا بني الشعب العزيز دفنتم
دفنتم آدابا وعلما وسؤددا
دفنتم من كانت زواجر وعظه
دفنتم شهما كان يصدع كلما
فكم رقى افكارا وادب فتية

وفاته ومدفنه وتايينه

توفي - طيب الله ثراه - بدار سكناه من مكناس، الواقعة بحي « التوتة » رقم 7 ، وكانت وفاته عند الساعة التاسعة وثلاثين دقيقة بالتوقيت المحلي ، بعد عشاء ليلة الأحد 10 شوال ، عام 1351 هـ \ 5 فبراير سنة 1933 م ، وشيعت جنازته زوال يوم الأحد المذكور ، في موكب طويل وخاشع ، سار فيه السكان على اختلاف طبقاتهم وحيثياتهم ، مما قل نظيره في مثل هذه المناسبة ، وعند المشهد العلمي تقدم للصلاة عليه امام المسجد ، نقيب الاشراف الادارية ، الفقيه المرحوم محمد بن المختار الادريسي الشبيهي ، ثم اقيم بالزاوية الكتبية بحي سدراتة ، ملاصقا للمحراب عن يمين المستقبل .

وقد ترك موته اسفا عميقا عند مختلف الاوساط، واتبعه الناس ذكرا حسنا ، وتسابق عدد من طلابه الى تايينه بالنثر والشعر ، وكان في طليعتهم نقيب الاشراف العلويين المؤرخ ابن زيدان ، الذي رثاه بقصيدة دالية نشرت بكاملها في جريدة « السعادة (17) » ، في 37 بيتا من بحر الكامل ، ومطلعها :

رزء عظيم فتت الاكبدا
ولطود صبر العالمين ابادا

كما رثاه العالم المدرس محمد بن عبد القادر العرائشي العلمي بقصيدة تائية من بحر الطويل في 18 بيتا ، وابنه الاستاذ الجليل رشيد بن عبد الله المنوني بكلمة نثرية يقول فيها :

« ايها العين الجارية ، ما هذه الدموع التي تسكينها ؟ وما هذه العبرات التي تتساقط امامي سقوط وبل الزرقاء على الخضراء ؟ فهل كنت تبخلين علي حينما كنت ادعوك لدمعة واحدة تخفف عني وطأة الحزن والكمد ؟ ام كنت من الفقراء المعوزين الذين لا يجدون شيئا يشد خلتهم ؟ لا لا ، لم يكن هذا ولا ذاك .

عفوا عفوا ايها العين الحزينة ، البئيسة الشفوقة الحنونة ، لقد اخذت زمام قلبي وترويت قلبي ، واستحضرت نوايب الماضي ومصائبه ، فالقيتها في احدى كفتي ميزان الفكر ، والقيت بالمصاب الحاضر في الاخرى ، فكانت النسبة بينهما كنسبة من جعل في الاولى مثقال حبة من خردل ، وفي الثانية

- مبتورة بنحو الربع الاخير - بالمكتبة الزيدانية تحت رقم 2806 ، وبنفس الخط ، في 19 ص من الحجم الصغير ، ويلاحظ انه خال من اسم المترجم الذي ترجع نسبته من اسلوب الكتابة ونفسها ، والموجود من هذا التعليق مفيد - جدا - في تعيين مدافن عدد من اعلام مكناس وصلحاتها .

4 - تقييد على ثلاثيات صحيح البخاري ؟

5 - « تقييد في مسالتين : الاولى : بطلان صلاة الجمعة في غريفة الوقت ، الثانية : سقوط وجوب الجمعة على المسافر دون مسافة القصر » ، يقع في 11 ص من حجم صغير ، حسب النسخة التي كتبها من اصل المترجم في حياته ، وهي مذيلة بتقريظ نثري بقلم المؤرخ الشهير ابي زيد ابن زيدان .

6 - « درة الودان (16) في معرفة ما يجب على الاعيان » ، كتيب وجيز في شرح قواعد الاسلام الخمس ، طبع بالمطبعة الجديدة بطالعة فاس ، عام 1347 هـ ، في 14 ص من الحجم الصغير .

7 - « مجموعة فتاوي » ، جمع فيها الى فتاويه : ما عثر عليه من فتاوي شيخه : الفضل ابن عزوز ومحمد بن احمد العلوي ، حسب ذكره لي مشافهة دون ان اقف عليها .

8 - « عنوان السعادة والاسعاد ، لطالب الرواية بالاسناد » : اسم فهرسة اشياخ واسانيد المترجم ، التي فرغ من تقييدها عشية الأحد 14 شعبان ، عام 1350 هـ ، تقع في 83 ص ، من الحجم المتوسط ، حسب مخطوطة خاصة .

9 - « فتح الحي القيوم على مقدمة ابن آجروم » ، شرح فيه هذه المقدمة بأسلوب سهل ، ووضحه بالجداول تقريبا للمبتدي ، منه نسخة بخط مؤلفه بالمكتبة الزيدانية تحت رقم 3128 ، وهي مبتورة الطرفين ، مع تلاشي والتصاق لبعض اوراقها .

10 - « شرح قسم العمل من فرائض المختصر الخليلي » ، شرح فيه من قول المتن : « وقابل بين اثنين فاخذ المثليين ... » . ووضح ذلك بجداول للنقط الواردة في هذا الموضوع ، طبع بالمطبعة السلوكية بمكناس ، دون ذكر تاريخ الطبع ، في 59 ص ، من الحجم الصغير .

16 - جمع ولد ، وهو من لم يبلغ حد التكليف .

17 - السنة 29 ، عدد 3949 ، بتاريخ الخميس 12 قعدة عام 1351 هـ \ 9 مارس سنة 1933 م .

المجذوب ، وقد جعل منه « حلافتيا » (حسب التعبير العامي المغربي) في ساحة جامع الفناء بمراكش .

كانت رواية عبد الرحمن المجذوب هذه عبارة عن مشاهد متتابعة ، تسود فيها الحركات البهلوانية ، « والنقر على البندير » وشخصت فيها بعض اطوار حياة الشيخ كما تخيلها المؤلف او استنتجها من مطالعته ، ولم تكن ، في حقيقة الامر ، سوى جملة من الوقائع والاحداث نسجت نسجا لتكون فرصا مواتية لتجلية ما اشتهر به البطل وهو - عبد الرحمن المجذوب - من سعة خبرة بالطبائع البشرية ، وكذا ما عرف به من صبر وتجلد امام المحن والنوائب ، وكل ذلك بواسطة ما يؤثر عنه من « رباعيات » .

من الحق ان اقول ان مشاهد تلك الرواية كانت جد مؤثرة ، وانها حظيت ، على وجه العموم ، بالاستحسان والرضى من لدن الاوساط الشعبية ، اذ اضفى عليها السيد الطيب الصديقي ، بصفته مؤلفا ومخرجا وممثلا ، الكثير من « الحلل الاصطناعية » التي من شأنها ان تثير المخيلة وتيسر استجابة النفوس .

ولكن لابد من القول كذلك بان السيد الطيب الصديقي ، القى الاضواء على جوانب فلكلورية واسطورية من حياة سيدي عبد الرحمن المجذوب ، وابرز الوانا مما كان يعتريه من « غمرات الحال » في اجواء من « الشطحات المنفمة » و « النقرات الموقعة » بيد انه اخفى ، وراء ظلال كثيفة ، الكثير من جوانب حياته العلمية ، اي تلك الفترات الطويلة من عمره التي كان يرجع فيها الى « وجوده وحسه » ويوفي كل ذي قسط قسطه وينبسط الى العمل والجد في ميادين الرزق الحلال .

ان رباعيات سيد عبد الرحمن المجذوب كانت ، كما قلت ، متداولة في الاوساط الشعبية ، بالحواضر والبوادي ، واكثر كانت لان « الادبيات » المذاعة على امواج الاثير غيرت الاتجاهات الذوقية ، وان اساليب الحياة الحديثة غيرت فنونا من الاداب السلوكية ، والانماط المعاشية ، والمقاييس التقديرية ، بحيث اصبحت الرباعيات لا تسمع الا في النادر القليل ، واصبح من اللازم على من يريد ان يكون لنفسه فكرة عنها وعن الظروف والملابسات التي اوجت بها ان يرجع الى ما دون في هذا الموضوع .

فلنبدا بتوضيح الاجواء الزمنية والمكانية التي عاش فيها المجذوب .

هو ابو زيد عبد الرحمن ابن ابي السرور عياد ابن يعقوب بن سلامة بن حسان الصنهاجي (صنهاجة أزموور) الفرجي الدكالي .

ولد بتيط ، ساحل بلدة أزموور ، في رمضان سنة 909 هـ - 1503 م ، وعاش حقبة بمكناس مع والده (دفين الربوة فوق القنطرة المعروفة بالمهدومة بين فاس ومكناسة الزيتون) وقضى مدة بفاس ثم قصد بلاد الهبط واستقر بالقصر الكبير ، « ولبي داعي ربه بمرشاقه من بلاد الهبط ، ليلة الجمعة ، وليلة عيد الاضحى سنة 976 هـ (1569 م) ... حملت جنازته ، باذنه على فرسه الذي كان يركبه ، ودفن خارج باب عيسى (في 18 ذي الحجة) وقد صار ضريحه اليوم خارج المشهد الاسماعلي » (عن الاتحاف) .

فهو اذن عاش في القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) .

تمت خلال ذلك القرن ، او قبله بقليل ، اكتشافات غيرت وجهة التاريخ السياسي والاقتصادي ، منها اكتشاف البرتغال لطريق الهند ونزولهم بكوا في فبراير 1488 م . (لم يستردها الهند الا سنة 1961) ومنها اكتشاف الاسبان لامريكا سنة 1492 م . وفي اثناء ذلك القرن او قبله بقليل كذلك ، وقعت حوادث كان لها بالغ الاثر في الشرق والغرب ، بالنسبة للحياة الاجتماعية والروحية ، واعني بها استيلاء الاتراك العثمانيين على القسطنطينية قاعدة الامبراطورية البيزنطية سنة 1453 ، واستيلاء الاسبان على غرناطة ، آخر مملكة اسلامية بالاندلس ، سنة 1492 ، واجبارهم سنة 1501 للمسلمين على الانقياد للتعميد والتمسيح او النزوح عن البلاد ، وآخر الامر اقضاء المسلمين عن بلنسية سنة 1526 ، ثم طرد البقية من المسلمين عن الاندلس سنة 1609 .

قال المؤرخ الفرنسي (أندري جوليان) : « ان البرتغاليين قد قاموا باكتشافاتهم (بعد الحروب الطليبية) بدافع انتقامي من النفوذ الاسلامي ، وبدافع استعماري اقتصادي لايجاد المستعمرات وجعلها مراكز للمواصلات ، لضرب التجارة العربية » .

وفيما يخص المغرب ، فان صاحب الاستقصاء تكلم عما وقع في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) فقال : « واعلم انه كان في صدر هذه المائة العاشرة أمور عظام :

« منها ظهور الفرنج بالديار المغربية » .

الشيخ عبد الرحمن المجدوب

عصره وآثاره 976/909 هـ
1569/1503 م

لأستاذ عبد الفادر الخلافي

هذا وسمعت فيما بعد كثيرا من الكهول والعجائز، سواء في البوادي أو في الحواضر، يضربون الامثال، في مواقف الارشاد والتحذير، بأقوال ينسبونها لسيدي عبد الرحمن المجدوب، فثبت في ذهني ان « المجدوب » كان « درويشا » من رجال الله واهل السياحة في الارض وانه كان يضطر في بعض الاحيان الى مداراة الجهال، فيسير سيرة بطل المقامات الهمدانية، ابي الفتح الاسكندري، القائل :

هذا الزمان مشوم كما تراه ملوم
الحق فيه مليح والعقل عيب ولوم
والمال طيف ولكن حول اللثام يحوم

ثم لما زرت قبر « المجدوب »، داخل المشهد الاسماعيلى بمكناس، ورأيت عدد التبركين بضريحه فهمت انه كان للرجل شأن عظيم، وان كان يقال : « كم من قبة تزار وصاحبها في النار ! » كما فهمت ان ابناء الشعب ما زالوا ينظرون بعين الاحترام، ويترحمون على صاحب « الرباعيات » الحكيمة التي ما فتئ يتردد صداها في مختلف نواحي المغرب، بل بأقطار الشمال الافريقي اجمعها، يرويها الخلف عن السلف، مع ما يلحق، طبعا، « المرويات » من انتحال وتفسير .

توالت الاعوام على هذه الانطباعات الى ان شاهدت في الشهور الاخيرة، على شاشة التلفزة، رواية الفها السيد الطيب الصديقي حول حياة الشيخ عبد الرحمن

سمعت اسم عبد الرحمن المجدوب، لأول مرة، بقرية جرسيف، منذ حوالي الخمس والاربعين سنة، ايام كنت تلميذا بقسم تكوين المعلمين، الذي احدث عام 1921، بثانوية مولاي يوسف الرباطية؛ كنت اذذاك اقطع، وجماعة من الاتراب الوجديين، على الاقل مرتين في السنة، المسافة التي بين الرباط ووجدة في القطار ذي « السكة الضيقة » ؛ وبما ان ذلك القطار كان لا يسافر الا نهارا ويسير ببطء مزعج، وانه كان يقطع المسافة التي بين العاصمة الادارية وعاصمة شرق المغرب، في ظرف خمسة ايام، فكنا لا نصل الى وجدة الا بعد ان نبني بدار بلعمري، ثم بفاس، ثم بسيدي عبد الله، ثم بجرسيف .

كانت جرسيف اذذاك قرية صغيرة، ذات منازل ودیعة، تحيط بها ثكنات عسكرية، مستقفة بالقصدير، وقابعة عند ملتقى نهر ملوية برديفه اماللو، وسط سهول عارية، صهرت الشمس اراضيها وجردت الريح احجارها .

هناك سمعت من ينسب ما كانت عليه القرية وما حولها من جفاف وقحط، لسيدي عبد الرحمن المجدوب، وذلك لانه دعا عليها، اذ الزمه اهلها يوم مر بها ان يرقص لهم ؛ فرقص على نقر بندير، ولم يلبث ان بدا يقول :

انا لاه ييا الاهي وهما لاهيين بالتلاهي
تخلي جرسيف يا الاهي

الفاسي الأخذ عن الشيخ عبد الرحمن المجذوب ،
والزاوية الدلاية المتصل سندها بالشيخ الجزولي عن
طريق محمد بن عبد الله امغار الذي كان يعيش بتيط
تفطر (عين الفطر) حيث ولد بها المجذوب .

فالزوايا كانت كثيرة اذذاك وآهلة بالشيخوخ
والمريدين ، المنقطعين لعبادة الله وذكره ، وللتفقه في
الدين .

واما الربط فانها كانت عديدة بسواحل البحر
المحيط ، ولا سيما الجنوبية منها ، وآهلة بالمرابطين
المستعدين لمحاربة القراصنة ولحماية الثغور ؛ وقد
كثرت بوجه خاص في القرن العاشر ، اي لما بدأت همم
الامراء الوطاسيين تضعف وتخمد نتيجة تطاحن
الاخوان وابناء الاعمام حول كراسي الامارة ، مع ما
كان لهم من قتال العدو بثغور بلاد الهبط .

ومن جهة أخرى فان المرابطين من اهل درعة هم
الذين استقدموا الاشراف السعديين من الحجاز الى
المغرب ، وأزروهم لما قاموا لمحاربة الاعداء الكفار
المستولين على ضواحي سوس وحاحة وعبدية ودكالة،
ولتطهير تلك البقاع من رجسهم ؛ وهم الذين ساندوهم
ضد بني وطاس . وكانوا من حملة الويتهم عندما
استولوا على فاس ، وعندما أخذوا يعملون على مقاربة
النفوذ التركي بالاراضي المغربية .

ومهما يكن من امر فانه لا ينبغي ان ننظر الى رجال
الصوفية ، والى رجال الزوايا والربط الذين عاصروا
السعديين ، نظرة استنكار ، فانهم كانوا يقومون
بدورهم ، الذي هو الحض على الجهاد والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ؛ وكان للكثير منهم في الجهاد والغزو
مواقف مشهورة ومشاهد مشكورة ، وكان السلاطين
والامراء يقدرون البارزين منهم حق قدرهم ، وان كانوا
في بعض الاحيان يقلبون لهم ظهر المجن ، خوفا منهم على
ملكهم .

فابو عبد الله القائم ، المؤسس الحقيقي للدولة
السعدية ، لما توفي بأفقال من بلاد حاجة سنة 925
هجرية ، دفن هناك بازاء ضريح الشيخ أبي عبد الله
محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه .

وابنه ابو العباس الاعرج لما استولى على مدينة
مراكش نقل اليها جثة الشيخ الجزولي (في حدود سنة
930 هجرية) وجثة ابيه القائم ، ودفنهما في قبعة
واحدة برياض العروس .

ولما حاصر ابو العباس الوطاسي ابا العباس
الاعرج بمراكش ، وضيق به ، ذهب اهل مراكش الى
الشيخ الغزواني ليستغيثوا به ؛ ويقال ان هذا الشيخ
هو الذي قال ، عندما غادر فاسا فارا من محمد الشيخ
الوطاسي :

« يا سلطنة فاس الى مراكش ! » .

هذا وان الكثير من المترجمين لرجال التصوف
يرون ان بركة هذا الوالي هي التي اعانت الاشراف
السعديين على تشتيت الجيوش الوطاسيين في واقعة
ابي عقبة بتادلة ، ويسرت لهم الظهور عليهم ؛ وقد
حضر تلك الواقعة ، بجانب الوطاسيين ، ابو عبد الله
الاحمر سلطان الاندلس المخلوع ، وأبلى بلاء حسنا
حتى قتل .

وكان ابو عبد الله الشيخ اخو ابي العباس الاعرج
ممن الحقوا بعض الاضرار برجال الزوايا وبالعلماء ،
فقتل منهم الفقيه الجليل ابا محمد عبد الواحد بن
احمد الونشوشي ، والفقيه الصالح قاضي الجماعة
ابا محمد عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق ،
وخطيب مكناسة الزيتون ابا علي حرزوز ؛ فقتل هو
شر قتلة جزاء وفاقا لما احدثه من جرائم وجرائم .

هذا وقد عرف ، في القرن العاشر ، عدد من
الفقهاء والعلماء كانوا ينظرون الى الاصفياء من رجال
الصوفية بنظر كبر واحترام ، ولا يتأخرون عن
التشديد بالزائفين عن طريق الرشاد ، وبالمشعوذين
المفسدين في الارض ، معاول الهدم والتخريب ؛ فانه لا
يخلو زمان من دجالين دأبهم استغلال سذاجة العامة
واستثمار مروءة الخاصة ، وديدنهم ابرام جائسل
الفش والفدر ونصب شبائك البغي والفساد ، غير
مبالين بوازع الدين ولا مراعين الا ولا ذمة .

هذه هي بعض مظاهر العصر الذي عاش فيه
الشيخ عبد الرحمن المجذوب ، وبعض خصائص اهله
فلننتقل الان الى الكلام عن حياة الشيخ نفسه ،
وعن مآثره .

ان قرية تيط الفطر (عين الفطر) التي ولد فيها
ابو زيد عبد الرحمن المجذوب ، كانت عبارة عن رباط
لشرفاء صنعاجيين يكونون ببني امغار ، وهم شرفاء
من سلالة المولى ادريس ، اسسوا رباط تيط وشاركوا
في محاربة البرتغاليين وكان ذلك على واجهتين ،
آسفي - وازمور .

« ومنها ظهور دولة الاتراك ، آل عثمان ملوك التركمان ، بالديار الشرقية » .

« ومنها ظهور الاولياء واهل الصلاح من الملامية، وارباب الاحوال والجذب ، في بلاد الشرق والغرب ؛ لكنه انفتح به للمتسورين على النسبة واهل الدعوى ، باب متسع الخرق متمسر الرتق ، فاختلط المرعي بالهمل ، وادعى الخصوصية من لا ناقة به فيها ولا جمل ، وصعب على جل الناس التمييز ، حتى بين البهرج والابرز » .

في ذلك العصر اشتد اذن النزاع بين الهلال والصليب ، واصبح المغرب ، نظرا لموقعه الجغرافي ، موزعا بين مطامع الاتراك في حدوده الشرقية ، ومطامع الاسبان والبرتغاليين في حدوده الشمالية والغربية .

ففيما بين سنة 1415 م (تاريخ احتلال سبتة) وبين سنة 1576 م (تاريخ واقعة وادي المخازن) كانت ثغور المغرب وسواحل مسرحة لمعارك عنيفة حيث اذذاك اشتد تكالب البرتغاليين والاسبان على احتلال المراسي المغربية انتقاما للمسيحية من المسلمين ولكي يجعلوا منها ملاجئ لاساطيلهم من الزوابع البحرية والغارات التركية ومراكز لتموينها ، او منافذ اقتصادية لاستغلال خيرات البلاد ، من قموح واصواف واكسية وحنابل وخيول وجلود وريش النعام الخ ... وترويج بضائعهم ، كالتوابل التي كانوا يستردونها من الهند ، والخمور الخ ...

وتجدد الاشارة هنا الى ما كان يتسم به البرتغاليون من حرص على اقتناء الخيول ليحملوها الى غينيا وافريقيا الاستوائية ، حيث كانوا يستبدلون بها الرقيق من السود ، فيبيعونهم بأمريكا ؛ وهكذا كانوا هم رواد هذه التجارة النكراء ، المفضية الى ضرب من الافناء الجماعي .

وجه الاسبان هجوماتهم على المراسي التي على ساحل البحر المتوسط وذلك لمقاومة الاتراك ومضايقتهم في القطرين التونسي والجزائري ، واتجهت الاساطيل البرتغالية نحو المراسي التي على البغاز وعلى المحيط الاطلسي ، فاحتل الاولون مليلية وسبتة وحجر باديس والقصر الصغير (لا القصر الكبير كما ورد في بعض المقالات) ؛ واستولى الآخرون على طنجة ، واصيلا ، والمهدية ، وآفغا ، وازمور ، والجديدة « البريجة » ، وآسفي ، وفتي (اكادير) الخ ... ولا بد من ان نذكر هنا ان البرتغال لم يتزلوا بالعرائش ، كما ورد في كتاب الاستقصاء ، بل الاسبان هم الذين استولوا على

العرائش من سنة 1610 الى سنة 1689 ميلادية ، ومحمد الشيخ الثاني ابن احمد المنصور الذهبي هو الذي سلمها لهم بعد ان امر بافراقها من المسلمين ، فمكثوا فيها الى ان حررها الولي اسماعيل بن الشريف . وكان محمد الشيخ استفتى علماء فاس في ذلك الموضوع ، فاستنكت جماعة منهم من مساعدته ، واضطر بعضهم الى مغادرة فاس استبراء لدينهم ومحافضة على نقاء ذمتهم ، ومنهم الامام ابو عبد الله محمد الجنان ، والامام ابو العباس احمد المقرئ ، والشيخ ابو الحسن الزياتي ، والشيخ الحافظ ابو العباس احمد بن ابي الحسن علي الفاسي الذي التجأ الى القصر الكبير حيث لبي داعي ربه .

فالعصر الذي عاش فيه الشيخ ابو زيد عبد الرحمن المجذوب كان ، اذن عصر فتن واضطرابات ، عصر اراجيف ومخاوبف ؛ تنوعت فيه المكاييد والدسائس ، للحصول على الجاه والمال ، او للتشبث بالامارة والنفوذ؛ وتجلت فيه الوان من الفدر والخذلان، وسقطت حرمة من يتسمنون العرش، وطاسيين كانوا او سعديين سيما وان منهم من اراقوا دماء علماء ابرياء، ومنهم من زجوا باخوانهم في غياهب السجون ، ومنهم من حالقوا الشياطين من البرتغاليين او الاسبان ، لصد غارات الاتراك . الا انه من الواجب ان نقول ان المقاربة، بصفة عامة ، وان اهل الثغور ، بصفة خاصة ، ولاسيما اولئك الذين مارسوا الحروب بالاندلس ، ابلوا بلاء حسنا في صد العدو ، وظهر منهم افذاذ تحلوا بالشهامة والفروسية والفتوة في ساحات الوغى ، امثال مولاي ابراهيم بن مولاي علي بن راشد مؤسس مدينة شفشاون ، واخته عائشة الست الحرة ، التي زوجت بالبطل الاندلسي المنظري مجدد بناء تطوان ، ثم تزوجها السلطان مولاي احمد الوطاسي (948 هـ - 1541 م) فتولت الحكم بتطوان . لقد كان لها مراكب بحرية تغير على مراكب الاسبان ، وكانت تتجر في الاسرى الاسبان ، الشيء الذي كان يدفع بها الى مساندة البحارة الاتراك والتشدد مع حاكم سبتة الاسباني .

هذا واما فيما يخص ظهور الاولياء واهل الصلاح، فاننا نرى من الحق ان نقول ان اغلبية الطرق الصوفية ظهرت او ترعرعت في المائة العاشرة ، وبالاخص الطريقة الجزولية المنبثقة عن الطريقة الشاذلية ، والتي تعتبر بمثابة الام للكثير من الطرق التي تفرعت عنها ؛ في ذلك القرن اسست زوايا ورباطات كثيرة في المغرب العربي ، وحتى في الشرق الاوسط ؛ منها الزاوية التي اسسها بفاس الشيخ ابو المحاسن يوسف

« اظهارا لحقيقته الباطنية ، واكراما من الله واعلاما بقوته فيه » .

والجذب ، عند الصوفية ، « تفضل من الله على عبده بالولاية بدون ان يتحمل الولي مجاهدة السلوك »

هذا وتجدر الاشارة هنا الى ان حالة الجذب لم تكن تعترى الشيخ عبد الرحمن باستمرار ، بل كانت هناك فترات طويلة يتماسك فيها ، ويرجع الى وجوده ، ويتصل بالناس عن طريق المعاش .

لما تمت تربية المجذوب وصلح لانتفاع الخلق به « اشار عليه الشيخ عمر بن عبد العزيز الخطاب بالانتقال الى بلاد الهبط ، فنزل بقبيلة مصمودة ، قرب القصر الكبير او قصر كتامة ، الذي كان اذذاك ثغر من اهم الثغور ترابط فيه طوائف من المجاهدين ، ويلتقي برحابه جماعات من العرب والبربر والعلاج الواردين من مختلف انحاء المغرب ، ومنهم الصامدون لمقاومة الكفار وتطهير المراسي من حملة الصليبان ، معدين لذلك ما يستطيعون من قوة ومن رباط الخيل ؛ ومنهم المتطوعون لايواء من تزعمهم الاعداء عن اراضيهم ، والعاملون على تخفيف ما يصيبهم من نوائب ونكبات ، ومنهم المتصدون للاستحواذ على الفنائم بأبخس الاثمان ، والضاربون في الارض لترويج البضائع والفلل او لبث الاراجيف ونشر الاكاذيب .

فالقصر الكبير ، او قصر كتامة ، كان منذ اوائل العصور الاسلامية « مهبط » المجاهدين المنحدرين من الجبال نحو البحر ، ليعبروا من مرسى القصر الصغير ، قصر مصمودة ، الرابض على البحر المتوسط بأسفل جبال انجرة قبالة مرسى الجزيرة الخضراء بالعدوة الاندلسية ؛ وهذا الذي كان سببا ، فيما يبدو ، في اطلاق اسم بلاد « الهبط » على السهول التي تمتد بين القصر الكبير وطنجة .

ان الاقامة في مدينة القصر الكبير لم تكن ، من دون شك ، تدعو الى الاطمئنان وراحة البال نظرا لقربها من منازل الاعداء ولتعرضها لهجماتهم ، ونظرا لاختلاف مشارب ومذاهب من يقصدونها ، ونظرا آخر الامر ، لاشتداد الحرارة بها صيفا ولتهاطل الامطار عليها شتاء ، حتى قال فيها الشاعر الهجاء عبد الرحمن بن القاسم الشفشاوني المعروف بالخطيب والمتوفى سنة 990 هجرية :

ارحل عن القصر واسمع قول ذي ثقة
ان المقام به ضرب من الحمق

ان لم تمت فيه اوان الحر محترقا
لم تنج فيه اوان البرد من غرق!

فالشيخ عبد الرحمن المجذوب لم يذهب اذن الى بلاد الهبط طلبا للعزلة والانعطاع الى اللقي خلوة ، قصدها ليأمر بالمعروف ولينهي عن المنكر غير متخوف من تكاليف الحياة ولا من تبعات مخالطة الناس والسعي في تقويم اودهم . وكل منا يعرف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بالامر الهين اليسير !

ورد في كتاب « مرآة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن » لابي حامد الشيخ العربي بن الشيخ ابي المحاسن يوسف الفاسي الفهري ، وفي كتاب « متع الاسماع في ذكر الجزولي والتابع وما لهما من الاتباع » لابي عيسى محمد المهدي بن احمد الفاسي الفهري ، ان الشيخ عبد الرحمن المجذوب اهتم في مدينة القصر الكبير بالشيخ ابي المحاسن ، وهو في اوان البلوغ ما زال في المكتب ، « فكان يريه بالحال ويرقيه في مدارج الكمال وكان يمتحنه كثيرا ، ويلقي عليه مشاق لا يقف لها الا من ايده الله تعالى ... فعلا شأنه واشرقت عليه انوار المعارف فتحقق بمقامات الواصلين ومنازل المقربين »

وكانت مدة صحبة ابي المحاسن له تزيد على عشرين سنة . وقد ولد في القصر الكبير سنة 938 هـ (1530 ميلادية) وتوفى سنة 1013 هـ (1604 م) بالحضرة الادريسية بعد ان شارك في واقعة وادي المخازن في (986 هجرية ، 1578 ميلادية) وكان لسان حاله يقول :

خلق الله للحروب رجالا
ورجالا لقصة من تريد

ويستخلص من هذا كله ان الشيخ عبد الرحمن المجذوب عاش بالقصر الكبير ونواحيه اكثر من عشرين سنة وانه نزله حوالي سنة 1545 ميلادية بعد ان كان قد بلغ اشده بمكناس . ويستخلص كذلك انه كان يعد المريدين اعدادا روحيا ، مستنيرا بنور التوحيد ، مترسما للشريعة ، ومتتبعا للسنة . والواقع انه لا زال بالقصر الكبير ، ساحة المرس ، زاوية تنسب لعبد الرحمن المجذوب ، وتسمى ايضا بزاوية القنطرة نسبة لسيد علي بن قاسم القنطري ، احد اتباع عبد الرحمن المجذوب .

دخلت تيط في حكم البرتغاليين بعد ان هدم السلطان الوطاسي اسوارها خوفا من ان تصبح قاعدة لهجومهم على اراضي البلاد الداخلية ، وبعد ان نقل سكانها الى ناحية فاس (1514 م) .

عادر المجدوب مسقط راسه مع والده وسنه اذذاك حوالي العشرة اعوام وانه لمن الثابت ان اباه مات في ناحية مكناسة الزيتون . سكن واهله مدينة مكناس حيث اتخذ منزلا ياوي اليه ويستقبل به زواره . وهناك عرف شيوخا لا يحصون كثرة ، منهم ابو الحسن علي بن احمد الصنهاجي الفاسي المدعو بالدوار ، المتوفى سنة 941 هجرية (1540 م) والشيخ ابو الروائن . والشيخ سعيد بن ابي بكر المشتراي المتوفى سنة 964 هـ - (1556 م) والشيخ احمد الشبيبه جد شرفاء مكناسة ، المتوفى سنة 943 هـ (1536 م) ، والشيخ القطب عمر بن عبد العزيز الخطاب ، صاحب جبل زرهون المتوفى سنة 937 هـ - (1530 م) .

فاذا ما قارنا تاريخ وفاة هؤلاء الشيوخ بتاريخ ولادة عبد الرحمن المجدوب امكنا ان نقدر ان هذا الاخير كان ناهز العشرين من عمره عندما تافت نفسه لمصاحبة الصالحين من علماء مكناس وفقهائها للاستفادة من شمائلهم الكريمة ، والاقتراس مما تشرق به نفوسهم من انوار ربانية .

طلب عبد الرحمن المجدوب ، اول الامر ، العلم بفاس حيث عاش بين الطلاب ، ثم اتصل بالصالحين في مكناس وفي فاس ، وكانت هاتان المدينتان ، في ذلك العصر - مركزين من اهم المراكز السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بالمغرب الاقصى .

كان اهل مكناس « ايام بني مرين في خير وثرورة » وقد قال في شأنها الوزير لسان الدين بن الخطيب : « مكناسة مدينة اصيلة ... فضلها الله تعالى ورعاها ، واخرج منها ماءها ومرعاها ... اعتدل فيها الزمان ، وانسدل الامان ... ودنا من الحضرة جوارها ، فكثرت قصاها من الوزراء وزوارها ؛ وبها المدارس والفقهاء ، ولقصبها الابهة والمفاصير والابهاء » .

« حييت من بلد خصيب ارضه

مثوى امان او مناخ اصون

وضعت اليك من الله عناية

تكسوك ثوبى امنة وسكون

واما فاس ، فقد قال عنها المجدوب نفسه :

الطبخ والرمخ في فاس والعلم والدين فيها
لا عيب يقال في فاس مكمولة من كل جهه

واليكم بعض ما وصفها به ابن الوزان الفاسي الذي نشأ في آخر عهد الدولة الوطاسية ، قال :

« فاس من اكبر المدن ، تحيط بها اسوار عالية جميلة ... ودور هذه المدينة مبنية بالآجر والحجر المتقن ، واكثر مرافقها منسقة مفروشة بالزليج ... وتوجد عدة دور لها صهاريج ... ومن عادة الاهالي ان يشيدوا في اعلى دورهم بروجاً مرتفعة فيها غرف منسقة ، يصعد اليها النساء لترويح النفس اذا اعيتهن اعمال المنزل ...

« ومن اعلى هذه البروج يمكنك ان تشرف على منظر المدينة كله ، هذا المنظر الذي يشتمل على سبعمائة مسجد وجامع ... ومن بين هذه المساجد يوجد نحو الخمسين جامعاً ضخمة البناء عظيمة الزخرفة ، تحمل سقوفها أعمدة الرخام ... وكل جامع له صهريج من رخام او خصة لم ار مثلاً بايطاليا ... ومن هذه المعابد مسجد جامع اعظم يسمى بالقرويين ، ودائرته نحو الميل ونصف ، له ثلاثة عشر باباً ... وتوجد في هذا الجامع في كل ليلة تسعمائة مصباح ... وحول حيطان المسجد كراسي منصوبة ... يجلس عليها العلماء والمدرسون ليعلموا العامة امر دينهم ودنياهم ... وفي المدينة مدرستان عظيمتان بلغتا النهاية في رونق البناء وزخرفة الزليج ورقعة النقوش ... وقبل هذا كان الطلبة يقيمون في هذه المدارس سبعة اعوام سكنى ، واكلاً وكسوة ؛ ولكن ليس لهم الا السكنى ، حيث ان الحروب اتت على مداخل المدارس ، ولم يبق منها الا شيء قليل ، يصرف على الطلبة ... »

قضى الشيخ المجدوب مدة بمكناس مواظباً على مجالسة الصالحين ومرافقتهم حتى اشرق باطنه بنور التوحيد ، وصفا من شوائب الكدر . « وكان عمدته في التربية وسلوك الطريق الشيخ القطب سيدي عمر ابن عبد العزيز الخطاب ، ووقعت له معه حكاية ظهر فيها على سائر اصحابه ممن كان ينسب الى الجذب فقال لهم سيدي عمر : « لا يبقى مجذوب الا المجدوب » وامرهم بتفطية رؤوسهم ، وغلبت عليه التسمية بالمجدوب وجرى ذلك على السنة الخلف ، واختص به دون غيره من المجدوبين .

السلام الاسمر (881 - 985 هجرية) 1475 - 1573 ميلادية .

ان هذا الشيخ كان من مواليد مدينة فاس ، وكانت امه (سليمة) تنتسب الى الشيخ عبد السلام ابن مشيش . فانه انتقل من بلاد المغرب الى طرابلس ، وكان يعتريه الجذب ، فيحمل الدف ، وينشد عليه الاناشيد الصوفية باللغة الدارجة ، وطريقته بين الشاذلية وطريقة الشيخ احمد بن عروس . ومن شعره الملحون .

انا الفوث القطب السلطان ولي مشهور ظاهر
اولاني الاله الفرد الرحمن على كل باد وحاضر
شمسي تبدت وضوت الاركان والرب عاطي وقادر

والشيخ احمد بن عبد الله بن عروس الهواري (توفي سنة 868 هجرية 1463 ميلادية) المشار اليه اعلاه . ولد بالقطر التونسي ، وتجول بالجزائر وبالمغرب ، فوصل الى فاس ومراكش ، ودخل مدينة سبتة وهي في يد النصارى ، ثم رجع الى تونس فمات بها .

كان بتونس ملازما للصلاة في جامع الزيتونة ، ويسكن الفندق ، ويؤثر عنه انه كان يتكلم ، حين يعتريه الجذب ، بكلام موزون ، ولكن بلفظ العوام ، ومن اقواله :

يا عين قم اسهر الليل سهر الليالي تجارا
من لا يحرق يأس الكيل ولا تمثالو غرارا
ينظر الى عرمة الفير ولالو عليها جسارا

وينسب اليه « الرباعي » التالي :

الدينا شبتها دلاعا
تدرب ما بين الدلاعا

ماذا غرت من طماعا
حتى رمتهم في بير ماله قاع

ذكرنا هذا « الرباعي » لاننا وجدناه منسوباً للشيخ عبد الرحمن المجذوب ، وبالتالي لتتخلص الى الكلام عن ديوان « الرباعيات » المنسوبة للمجذوب .

فالكونت دو كاستري كان ، على ما يظهر ، اول من اعتنى بدراسة رباعيات المجذوب وترجمها الى الفرنسية ، وقد ذكر نحو 150 رباعي ، واشفع الكثير منها بامثال في نفس المواضيع ، مستقاة من التراث

الادبي اليوناني او العبري او من الانجيل ، فالف من ذلك كتابا طبع بالجزائر سنة 1896 ميلادية ، تحت عنوان : « Les Gnômes de Sidi Mejdoub »

واهتم ايضا ، برباعيات المجذوب ، السيد نور الدين عبد القادر ، الذي كان استاذاً بمدرسة الجزائر الثانوية ومعيدا بكلية الاداب ، فجمع 127 رباعيا ، شرحها بالعربية ونشرها في كتاب عنوانه : « القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب » طبع بالجزائر ، منذ ما يزيد على ثلاثين سنة .

واكثر الرباعيات الواردة في هذا الكتاب مأخوذة من كتاب دو كاستري ، ومن كتاب الاستاذ الجامعي الشيخ محمد بن ابي شنب (توفي بالجزائر سنة 1929) الذي يحتوي على مجموعة من الامثال الجزائرية والمغربية (طبع في ثلاثة اجزاء بباريس فيما بين 1905 و 1907) .

وظهر ، سنة 1966 بدار لاروز الباريسية باللغة الفرنسية Les quatrains du Majdoub le sarcastique اي « رباعيات المجذوب الساخر » يشتمل على عدد وافر من الحكم والامثال المنسوبة للشيخ عبد الرحمن جمعا السيد بخاري خليفة ، وشرحها السيد ج . سيلسرميلي (J. Scelles-Millie) بعد ان رتبها ترتيبا يتيح له لقاء بعض الاضواء ، على اطوار حياة المجذوب ، ودراسة الظروف والاحداث التي لابستها . ولؤلؤي هذا الكتاب فضل لا يستهان به ، لانهما كانا يستوفيان جميع الرباعيات المتداولة في المغرب والجزائر وتونس ، سواء منها المطبوع او المسموع ؛ ولكن يؤخذ عليهما عدم التدقيق في الترجمة ، وعدم التحري في انتقاء الرباعيات ، والتمييز بين الاصيل والمنحول ، وكذا بعض التجاوز في استنباط معانيها ، واستخلاص مغازيها .

ان الاقوال المنسوبة للشيخ عبد الرحمن المجذوب كثيرة ومتنوعة ، ولكن لا يلبث المتعمق في مفاهيمها ان يدرك ان المنحول منها غير قليل . وليس من المستغرب ان يكون الامر كذلك ، لانه كلما اشتهر شخص في ميدان من ميادين المحاسن او المساويء ، الا وترى الناس يضحون ذلك الرصيد الذي كان سبب شهرته ، فينسبون اليه ، عن حسن نية او عن سوء مقصد ، اعمالا واقوالا ومقامات وحالات ذات صلة بالميدان الذي ظهر فيه وكان من البرزين وهكذا تنسج حول بعض الشخصيات الفذة حلل من الاساطير قد تكون ممتعة ، ولكن من العسير ان تكون مقنعة .

اليه ، مع ما هو عليه من العلم ونباهة الذكر ، واقتداء الناس به ... وشوشوا بذلك الى ان آل الامر الى الترافع الى حضرة (فاس) حيث العلماء والسلاطان ... فوقع اجتماع الفريقين بمقصورة خطيب القرويين الشيخ ابي عبد الله بن جلال ، مفتي فاس وعميد علمائها وشيخ الجماعة بها ... فقال للمنكرين: « لو اهتمهم رشدكم ما تعرضتم لذلك ؛ وحسبكم الاقتداء بمن علمتم علمه وعدالته ؛ وانما اوتيتهم من الجهل المركب ، وقد كان سيدي الحلوي بتلمسان تصدر منه امور اشد من الامور التي انكرتم ، والناس يعترفون بولايته ، ولم يفعلوا كما فعلتم . انصرفوا واغتنموا السلامة ولا تعودوا لمثله فتعرضوا لوعيد من اذى وليا ، ووافقه على ما قال كل الحاضرين » .

يبدو هنا ان السيد عبد الرحمن كان من الملامية او الملامية ، وهم « قوم يظهرون للناس قبائح ما هم فيه ، ويكتمون عنهم محاسنهم ، فالخلق (يلومونهم) على ظواهرهم ، وهم (يلومون) انفسهم على ما يعرفون من بواطن انفسهم اكرمهم الله بكشف الاسرار والاطلاع على انواع الغيبات » .

« هذا ومن المأثور عنه انه كان يتكلم ، في حال غيبته ، بكلام موزون ملحون ... يشتمل على ذكر الله ، والثناء عليه ، وتمجيد رسوله صلى الله عليه وسلم ، والاشارات العرفانية ، والحقائق الدوقية ، والدلالة على الله ، وعلى امر الله ، والنية والصدق والمحبة ، والكلام على النفس وعبوبها ، والروح وحالها ، وشروط الشيخ والصحة وآدابها الخ ... الا ان الناس كل ما راوه من الكلام على وزن كلامه نسيوه اليه فخلطوا فيه كثيرا » . (عن المتع)

اتضح لنا هنا ان عبد الرحمن كان يتكلم بهذا النوع من الكلام الملحون في حال غيبته ، وقد سميت اقواله « بالرباعيات » لان كل « رباعي » يشتمل ، في غالب الاحيان ، على اربعة اشطر ، اي على بيتين من قافية واحدة ، ويعبر عن حكمة ذات طلة باحد المواضع المشار اليها اعلاه ، ولقد قال :

كسبت في الدهر معزة وجبت كلام رباعي
ماذا من اعطاه ربي ويقول اعطاني دراعي

ولم يكن عبد الرحمن المجذوب اول من عبر عن خوالج نفسه بهذه الطريقة ، غير انه ليس لدينا ما يثبت انه كان يصحبها بالايقاع على دف او بندير او بنغمات الناي ، مثل ما يروي مثلا ، عن الشيخ عبد

فانه كان يوصي اصحابه بعدم الاقتداء به فيما يخرج فيه عما يعرفونه من ظاهر الشريعة ... وكان من شأنه ، اذا كان في غمرات الحال وقبضة الوارد ، فسمع آذان المؤذن للصلاة قال : « هذا بريد السلطان قد اتى ! » وقام الى الصلاة ، وكانما كان عليه ثوب فنزعه ؛ واذا حضر الوقت ولم يكن من مؤذن اذن هو . وكان يتسبب ، ويحترث ويتزوج - وولد - وكان يعطي كل ذي حق حقه ، ويوفي كل ذي قسط قسطه ؛ وكان متواضعا متأديبا خصوصا مع اهل الله واهل جانب الله ، مراعييا لحقوق اهل البيت النبوي واهل الله ، ساعيا في مصالح عباد الله ، مواظبا على خدمتهم باطعام جائعهم ، واغاثة ملهوفهم ، وكفالة ضعيفهم ، مواسيا لهم بما له في الشدة والرخاء ، راغيا في ادخال السرور عليهم ، بالفا في ذلك كله المجهود » (عن كتاب ممتع الاسماع) .

وقد ورد في كتاب الاتحاف ، انه « كان جامعاً بين الجذب والسلوك ، سمح الاخلاق ، كريم الشماثل ، كثير الايثار والبذل في حالتي الشدة والرخاء ، حتى انه ربما لقيه المحتاج فلا يجد ما يواسيه به فيقسم كساءه الذي عليه نصفين ويعطيه النصف ، وربما تزوج امرأة فقيرة غير مرموقة ولا منظور اليها ، لا يحمله على التزوج بها غير كفالتها وضمها الى عياله لشدة الوقت ... فهو شيخ امام عارف كامل ، شأنه القيام على الوظائف الدينية والرسوم الشرعية » .

« وكان له زوجات واولاد وزاوية يطعم فيها الطعام للواردين عليها من الغرباء وابناء السبيل وغيرهم ، تقام فيها الصلوات الخمس ... واذا اجتمع اصحابه للذكر على عادة الفقراء ذكروا جلوسا ؛ فاذا انزعج احدهم اسكتهم وفرق ذلك الجمع » .

لقد اصبح من المتأكد لدينا الان ان الشيخ عبد الرحمن المجذوب لم يتخذ الزاوية لينزل فيها عن الناس ، بل ليجعل منها مسجدا للصلاة والذكر ، ومقاما للوعظ والارشاد ، وماوى للغرباء وابناء السبيل ؛ كما اصبح عندنا من المتأكد ايضا انه كان ملازما لحدود السنة ، يعبد الله عبادة شرعية ، لا يستهويه « رقص ولا نغم » ، وانه كان يسعى في الحصول على قوته وقوت عياله ، ويترك ابواب الكسب الحلال .

ولكن ، عندما كان يعتريه الجذب ، كانت تصدر منه امور توحش الخلق فيتنافرون عنه ، وينكرون عليه بسببها . « وكان بالقصر الكبير قوم تقموا على الشيخ ابي المحاسن صحبتته ، ورجوعه في الطريق

من عند النبي جيت رقاص
مولاي ادريس يعطي البشارة
مضمون فاس من كل باس
ولو يدوروا به جناس النصارى

وخلاصة القول : ان الشيخ عبد الرحمن
المجذوب كان ذا بصيرة نافذة مميزة ، يهدف الى
اصلاح المجتمع الذي كان يعيش فيه ، ولذا نرى ان
الكثير من اقواله وارشاداته السلوكية ، خاصة
بالشؤون الدنيوية من صدق وكنمان وصبر الخ ..
او تعبر عن اشارات عرفانية يمجدها فيها الله ورسوله
الكريم .

وبما انه لم يذكر ، حسب ما يبدو ، هذا النوع
الاخير من الرباعيات الا في كتاب « تمتع الاسماع »
وهو قليل التداول ، فلا بأس ان نختتم هذا البحث
بايراد بعضها .

طلع النهار على قلبي
حتى نظرت بعيني
انت دليلى يا ربى
وانت رسولى منى فى

طلع النهار على الاقمار
ولا باقى الا ربى
الناس زارت محمد
وانا ساكن فى قلبي

اذا ذكرت يا الامجد
نصيب راحة فى نفسى
لولا حبيبى محمد
ما كان عرش ولا كرسي

الحب منك ما هو لى
وانت الحبيب الى نهوى
ايا حبيبى محمد
رايت جيك فيه دوى

مجدوب محبوب مرعوب
ساكن فى ارض العلالى
الى اقصى ربنا كان
فى الراس ما يمتحى لى

الرباط : عبد القادر الخلافي

وهذا خلاف المعتاد من اهل مصر ، وانما يتكلمون
بينهم بشراب البن الذي يسمونه القهوة ، ونحن لا
نعرفها وليست عندنا بطعام ولا دواء ولا شهوة ...
» فاذا لم تكن القهوة معروفة بالمغرب ، عهد العياشي
(1037 - 1090 هـ) فهي ، بطبيعة الحال ، لم تكن
معروفة به ، او على الاقل ، لم تكن شائعة ومتداولة فى
عهد المجذوب (909 - 976 هجرية) وقد يؤيد هذا
ما نبه اليه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله فى معجمه
التاريخي ، ان « طوماس لوجندر » ذكر فى رحلته
المنشورة فى مستندات « دو كاستر » السلسلة الاولى
السعديون الجزء الثالث صفحة 691 - 739) وجود
الشاي فى المغرب زيادة على القهوة عام 1665 ميلادية
(1076 هجرية) وكانا حديثي عهد بالدخول الى
اوربا .

نعم لا شك ان اكثر الرباعيات المعبرة عن الامتعاض
والتدمير ، مما كان يسود المغرب ، فى ذلك العهد ، من
فتن ومحن ، خليقة بأن تكون من اقوال المجذوب ، لانه
كان ذا قلب حي لا يستطيع ان يتغاضى عن ذلك .
ولا شك انه هو صاحب الاقوال التالية :

غوث يا ذيب سايس
وجاوبه يا ذيب وراما
الشريف يجري على الشريف
حتى يجي الي يحسن لكم بلا ما

رقت على جبل صارصار
ورميت عين يعين ويسارة
شفت الغرب خالي يصفر
مكناس هي حد العمارة

والظاهر ان الشيخ عبد الرحمن ، كان يساند
بني وطاس ، حيث ان الكثير من الرباعيات المنسوبة
اليه ، فى هذا الموضوع ، تدل على انه لم يكن راضيا
على السعديين ولا على اهل سوس . ومما يعزى اليه
هذه الاقوال :

مراكش مبدى الهمم
سلا والرباط هما فراشه
مكناس يجري بالدم
فاس يا من بفى معاشه

الخيال الدوك من القبلة
والحيح يقوم من سوس
الشبكة منصوبة فى ازبله
ما يفلتشي منها حتى الناموس

اننا نجد في الرباعيات المنسوبة للشيخ عبد الرحمن المجدوب اشارات الى اقامته بمدن او اقطار لم يثبت انه زارها ، ونجد ذكر اشياء لم تكن معروفة بالمغرب في عصره ، كما نجد الفاظا وتماييز عامية جزائرية او تونسية من الصعب ان تقتنع بانها كانت مفهومة في النواحي التي عاش فيها .

اننا نعرف مثلا ان الشيخ ابا الحسن علي بن عبد الله التششتري اللوشي (معاصر الامام الشاذلي 610 هجرية) شاعر الصوفية الكبير ، في الاندلس والمغرب ، وهو اول من استخدم الزجل في التصوف ، كان يتجول في شمال افريقيا ، وفي جميع اقطار الشرق الاوسط ، وكان قد دفعته عبقريته ان يتكلم لهجة اقرب الى الفصحى ، سواء في المغرب او في الشرق ، مع تضمينها خصائص عن لهجة القوم الذين كان يعيش بينهم ، فقلبت نزع اندلسية على اشعاره في المغرب ، وبدوية ابا ن مقامه في طرابلس ، وشرقية ومصرية احيانا اخرى ، خلال اقامته وجولانه بمصر والشام « وذلك ليؤثر في نفوس السامعين » . وهذا ما يجعلنا لا نشك في صحة الاشعار المشرقية المنسوبة له .

واما الشيخ عبد الرحمن المجدوب فلم يذكر احد من المترجمين له ما يؤكد انه غادر المغرب ، وان كان ورد في كتاب « تمتع الاسماع » انه كان يقف كل عام بعرفات ، وان وقوفه ذلك كان من باب الكرامات التي تفضل الله سبحانه وتعالى عليه بها ، اذ يحكى انه استشار شيخه سيدي سعيد بن ابي بكر المشرائي في المشي الى الحج فقال له : « يا سيدي عبد الرحمن مكة عشاق ، الذي تبغيه هي تزوره في داره » ، قال ذلك مقالا ومكنه منه حالا .

فالمعروف عنه بصفة ثابتة انه عاش بمكناس وبفاس وبلاد الهبط . وانه لم يمتحن بالعمى ، ولم يزر جنوب المغرب ولا شرقيه ولا مناطقه الشمالية المتاخمة للبحر الابيض . نعم انه من المحتمل ، كثير الاحتمال ، ان يكون سمع اخبارا شتى عن الاحداث السياسية التي تقع بمراكش ، وبنازة ، وبتملسان ، ووهران ، وتونس الخ . وذلك ، من جهة لانه كان يتصل بالصالحين المتجولين الذين لهم المام ببعض تفاصيل تلك الاحداث ، ومن جهة اخرى ، لانه كان يرى بالقصر الكبير او بنواحيه طوائف من اهل الريف واهل سوس ، واهل المناطق الصحراوية ، وجاليات اندلسية ، وجماعات من العلوج ، ومن الاسرى البرتغاليين والاسبان ، ولكن هل هذا الاحتمال يكفي لتعليل ما نسب له من رباعيات دعا فيها مثلا على هذه

البلدة او تلك ، او هجا فيها هذه الطائفة من سكان المغرب او تلك ، اننا نربا بشيخ افعمت نفسه بحب الله ، ان يسف ذلك الاسفاف .

لا شك ان الحزازات الناجمة عن التسابق على مناصب السلطة ومراتب الامارة وان التحزب لطائفة من الطوائف ، والتحيز لحاضرة من الحواضر ، هي التي كانت تدفع بالمتنافسين الى التراشق بالاهاجي ، والى تبادل الشتائم والمثالب ، بعد ان يصوغوا منها « رباعيات » ويشيعونها بين الناس ، منسوبة للمجدوب لاسبابها قوة التأثير وشدة الفاعلية .

ولا يستبعد ان يكون المجدوب اشار الى الاضطراب الذي كان ينتج عن ذلك التهريج حيث قال :

تخلطت ولا بات تصفى
ولمب خزها فوق ماهها
رياس على غير مرتبة
هما سبب خلاها

وعليه فانه يجب ان نتذرع بالحيطة واليقظة في قول كل ما نسب للمجدوب من رباعيات تشتمل على ذم ، او تشتمل على الفاظ غير متداولة بالمغرب مثل « حوست » (تجولت) وقليل (محقر) الخ . او ذكر فيها اشياء لم تكن معروفة بالمغرب مثل « القهوة » كمشروب او كمكان لشربها . نسب مثالا الى المجدوب انه قال :

طاقوا على الدين تركوه
وتعاونوا على شرب القهاوي
الشوب من فوق تقوه
والجبع من تحت خاوي
وقال :

حبيبي ان غضب ماله طب
بعد المحبة جفاني
نجيب القهوة ونسب
ونحدثه بالمعاني

وقد ذكر الشيخ ابو سالم عبد الله بن محمد بن ابي بكر العياشي (1037 - 1090 هـ) في رحلته المسماة « ماء الموائد » (الجزء الاول صفحة 132 طبعة فاس) بعض ما شاهده بمصر ، وما فعله بالقاهرة سنة 1072 هجرية فقال : « لما دخلنا لزيارة شيخنا الشيخ ابراهيم اليموني ، رضي الله عنه ، ومنزله قرب الجامع الازهر ، قدم لنا طعاما حسنا ، وكنا جماعة .

مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » ، - سورة البقرة ، آية 88 - أغلب النسخ يقف على الذين كفروا ، بناء على أن « كفروا به » جواب لما الثانية ، وحذف جواب الاولى للاستغناء عنه ، وهو رأي الزجاجي والافخش ، واختاره الزمخشري . وذهب المبرد الى أن جواب لما الاولى هو « كفروا » ، وكرر لما طول الكلام ، وقيل أن جواب لما الاولى محذوف ، دل عليه جواب لما الثانية . وعلى هذا فلا يحسن الوقف على الذين كفروا ، ولذا لم يوقف عليه في بعض النسخ .

وهذا الاختلاف قد يرجع الى تغيير وجهة نظر الهبطي في بعض الوقوف ، فاثبتت في رواية بعض التلاميذ ، ولم تثبت عند الآخرين ، وهذا ليس ببدع ، فكثير من العلماء وقع لهم مثل هذا ، فاختلفت نسخ مؤلفاتهم ما بين زيادة وتقص ؛ فالشافعي مثلاً روايته في القديم ، غيرها في الجديد ؛ وكذلك في فقه مالك ، نجد الفقهاء يقولون أن هذا القول مرجوع عنه ، لا تجوز الفتوى به .

هذا وقد احصى القراء المتأخرون وقف الهبطي ، وعدوا كلماته ، ورتبوا على حروف المعجم ، وسموا هذه الوقفيات ، بـ « الحطيات »

وقد طفت موضة « العدد » عند القراء في العصور المتأخرة ، فنجد في كل شيء ، في القراءات ، وفي الوقف والوصل ، والثبوت والحذف ، والهمز والوصل ، وهلم جرا .

وبعد فهذه نظرة عجلية عن وقف ابي عبد الله الهبطي ، الذي يدين له المقاربة بالفضل ، مدى اربعة قرون او تزيد ؛ وكم نود أن لو طبع هذا الوقف مع بعض شروحه ، التي تبين مغزاه ومراميه ؛ احياء لتراثنا القومي ، وخدمة لكتاب الله العزيز . وفقنا الله جميعاً الى ما فيه خير البلاد والعباد .

تطوان : سعيد اعراب

آخر السورة فيما يوقف عليه ، الا مع بيان أن ذلك باعتبار رواية من يبسمل بين السورتين ، ثم بيان أن ذلك ايضاً باعتبار أخذ من يقف على آخر السورة ممن يبسمل ؛ اما ذكره على الاطلاق لنافع ، فيوقع عوام الآخذين في جهل وخطا عظيمين ؛ ذلك أنهم يأخذون في اول التعليم والتلقي بضبط الواهم على حسب العادة ، ومن جملة الضبط وضع علامة الوقف التي هي (هـ) على الكلمة الموقوفة عليها ، - بمعنى اسكت - فيضعونها على اواخر السور ، كما في كلماتها الموقوفة ؛ ثم لا يقع تنبيه من اشيائهم على أن ورشا لا يقف على آخر السورة ، وانما حكمه عنده السكوت عليه ، او وصله بأول السورة بعده ؛ ويكتفون بالتلفظ لهم ، فيرى المبتدئون أن اشيائهم واقفون ، ويستمرون - اعتقاداً - أن ورشا يقف على آخر السورة ، ولم يفهموا أن الوقف عليه يوجب البسملة ، لابتداء السورة ، فيقرءون له ولا يبسملون ، ويعتقدون أنه واقف غير مبسمل ؛ وذلك خطأ من جهتين : من جهة الرواية ، ومن جهة الاداء ؛ لانهم يتركون البسملة التي تترتب على الوقف ، وربما يعتلون بذكر الهبطي اواخر السور في عداد الكلمات التي يوقف عليها ، جهلاً منهم بمراده . نبه على هذا العالم القرني ابن عبد السلام الفاسي ، وزاد يقول : « وكنت اسأل حفاظ السبعة منهم ، فأجدهم على هذا الاعتقاد الفاسد ، واذا نبهوا اقاموا على جهلهم ، تقليداً لاشيائهم ؛ قال وكنت آمر الآخذين عني بأن لا يضعوا علامة الوقف على اواخر السور ، لان الوهم انما اتاهم من قبل وضعها .. »

قلت وعمل القراء - الى اليوم - لا يزال على وضع علامة الوقف اواخر السور ؛ عملاً بالقول المأثور ، خطأ مشهور ، افضل من صواب مهجور . على أن وضع علامة (هـ) على الكلمات الموقوفة ، ليس من وضع الهبطي ، فالنسخ القديمة - التي بين ايدينا - مخردة من هذه العلامة ؛ وربما كانت من وضع بعض تلاميذه

ثم هناك اختلاف بين النسخ في بعض الوقوف ، فمثلاً قوله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله

ابن عبد الله الهبطي

واضع وقف القرآن بالمغرب

دكتور عبد اعراب

(3)

من القراء من يرى ان وقف الهبطي ، قد تواترت روايته ، واستفاضت شهرته ، وتلقاه الناس بالقبول ، جيلا بعد جيل ؛ فيجب الوقوف عنده ، ولا تجوز مخالفته ؛ ومنهم من يرى ان الوقف من اصله جائز ، واكثر وقف الهبطي لم تثبت روايته ، فيجوز الخروج عنه ؛ وقد خالفه عدد من العلماء ؛ فمنهم من زاد عليه ، ومنهم من نقص منه . على ان الهبطي نفسه ، ترك كثيرا مما وسعه الداني بالوقف التام او الكافي .

وابن عبد السلام الفاسي ممن شايح هذا الرأي ، قال : « .. فما يعتقده كثير من قراء زماننا ، من ان كل كلمة قيدت عن الهبطي ، وردت بها الرواية ، جهل منهم بمعنى الرواية ؛ لانهم حيث قرأوا على شيوخهم ، وادوا على ذلك ، اعتقدوا ان تلك الحال التي ادوا عليها ، هي الرواية في كل ما ادوا عليه ؛ ومن جملة ذلك ، الوقف على الكلمات التي قيدت عن الهبطي ؛ ثم تمادى بهم الحال ، حتى خطاوا من ترك الوقف على كل كلمة مما قيد عنه ، او زاد على ذلك ، وجعلوا انه لا تتعين متابعة الهبطي في شيء ، من ذلك .

وهذا الخلاف مبني على خلاف آخر ، وهو هل الوقف مروي بالنوع او بالشخص ، والمختار انه مروي بالنوع والصلاحية ، لا بالشخص والتعيين . وما مر من انه لا تتعين متابعة الهبطي فيما قيد عنه من وقف ، انما يمكن حمله على القارئ المتفقه ، والعالم المتبصر ؛ اما جهلة القراء ، وعامة الناس ؛ فينبغي لهم الوقوف عندما قيد عن الهبطي ، كما يلح الى ذلك

صاحب القول الوجيز ، في قمع الرازي على كتاب الله العزيز ، اذ يقول : واذا كان الامر في الوقف والسكت هكذا ، فالواجب بالوجوب الادائي على التالي ، ان ينف على اماكن الوقف الذي يتلو عليه ، كالوقف المنسوب للهبطي في زماننا - وقفا يتنفس فيه ويستريح ؛ قال : فاما قراء زماننا ، - سامحهم الله - فلا يعاون بشيء من هذا ؛ ولكنهم اذا مروا بمواضع الوقف عند الهبطي ، اسكنوها ، واستمروا الى ان يرهقهم النفس ويضطربهم ، فيقفوا في مواضع الاضطراب .. واقتبحهم في ذلك اهل صناعة الارداق ؛ لانهم يعتقدون ان الحافظ هو الذي يفعل ذلك ؛ وزاد يقول : فالوقوف التي يوقف عليها كلها تراعى فيها معان ، لا يبتئنها على الاعراب الكفيل بالمعاني ، بل وضعها باعتبار اعرابها لم يضعها بالتشهي ، وان نوقش في واثادات الى معان ونكت في التفسير ؛ وان نوقش في بعضها ، لانه بشر ليس معصوما .. »

ومما نوقش فيه الهبطي ، وقفه على اواخر السورة مع ان الذي ذكره العلماء في كتب الخلاف كالشاطبية والتيسير ، ان ورشا يسكت ، او يصله بأول السورة بعده ؛ فذكر الهبطي الوقف عليه ، اما باعتبار انه محل وقف وتمام ، ولا اثم من آخر السورة ، وعليه فتتبع البسلة حسبما هو منصوص ، واما باعتبار رواية قالون ، او انه كان يقرأ لنافع بروايته معا بالبسلة ، فعلى ما به الاخذ عن ورش من السكت والوصل ، على التخيير بينهما - يجب أن لا يذكر

الحكم « الى ملطان ، مشفوعا برسالة في التصوف كتبها بنفسه على نسق كتاب ابن العربي المذكور . وقد كان لابن العربي اثر بعيد في الفكر الهندي ، ممثلا في نظام الصوفية السهروردية ، ثم في نظام الصوفية الصشتية ، خصوصا فيما يرجع لنقطتين اساسيتين من نظريته الصوفية . وتتلخص الاولى في عرضه حول بنية الطبقات الصوفية التي تتضمن في وسطها قطبا يماثل المحور المقدس الذي تقوم حوله ثورة الكون ، وهذه نظرية قد دعمت في الهند موقف نظام الصوفية الصشتية ، بتعزيد حق السلطة الروحية التي يجب ان تمنح لرئيس النظام . وهي الى ذلك تعكس في المجتمع الهندي الاسلامي اثر الصراع الذي احتدم في العصر الوسيط ببلاد النصرانية بين البابا والامبراطور . اما الثانية ، فلها جذور في اعماق الفكر الهندي ، وتجلى في التفسير الديالكتيكي الذي اعطاه ابن العربي للوحدة الانطولوجية مع ما ينطوي عليه هذا الراي الصوفي من عناصر دخيلة على الاسلام . وقد خصها المتصوفة المسلمون في الهند بتعاليق زافية في محاولتهم للتوفيق بينها وبين المبادئ الجوهرية في الوثوقية الاسلامية (Dogme musulman) فيما ندد بها كبير المفكرين الصوفيين الهنود الشيخ احمد السرهندي ، والذي لا مرء فيه ان الوحدة الانطولوجية عند ابي العربي تشبه في كثير من معطياتها الوحدة المطلقة التي نادى المتصوف الهندي الشانكراشريا . ومن المحتمل ان تكون نظريات « ابن العربي في التصوف قد تأثرت ، بصورة غير مباشرة ، عبر آسيا الوسطى بتعاليم الهندية الاولى حتى ان الروح الهندية اعجبت بها ايما اعجاب ، بيد ان صلة الفكر الهندي بنظريات ابن العربي كانت تعرض المعطيات الدينية والسياسية بالهند ، في نظر رجال السنة الاسلامية ، لمخاطر الابتداع والتلفيق . وقد عمل الشيخ احمد السرهندي على وضع حد لشيوع هذه الظاهرة في بداية القرن السابع عشر ، فوضع نظرية الوحدة الظاهرية ، في حدود النظام الصوفي النقشباندي الذي ينتمي اليه . وقد اعتمدها سواد الناس في الهند الاسلامية آنذاك . والجدير بالذكر ان هذه النظرية قد كان لها من الصدى ما جعل الشاعر الفيلسوف اقبال يصف في القرن العشرين « الفتوحات المكية » لابن العربي بانها لا تعدو ان تكون بدعة واقوالا غامضة .

الاثار التاريخية الاولى التي سطرها المؤرخون المسلمون في الهند غموضا كبيرا في معلوماتهم التاريخية عن الاندلس ، على ما تتسم به هذه الكتابات من طابع الاحاطة والشمول . لقد كانوا يطلقون على الاندلس والمغرب والجزائر لفظ « المغرب » الشهير . فهناك شخصيات « مغربية » ظهرت على فترات متقطعة ببلاد الهند الاسلامية : بعضها كان يرتادها سائحا وبعضها كان يقد عليها للمغامرة . هذا الى جانب البعثات الدبلوماسية التي نختص منها بالذكر مهمة الامام شمس الدين المغربي الذي اوفده احد امراء اوربا الوسطى سفيرا له ببلاط السلطان ناصر الدين محمود (1246 - 1266) في دهلي . اما ابرز الرحالة المغاربة على الاطلاق فهو ابن بطوطة . لقد خلف الرحالة الشهير وصفا ضافيا عن الحياة وعن الاوضاع في الهند كما هو الشأن بالنسبة لغيرها من الاقطار التي زارها حيث تولى مناصب هامة - في خدمة محمد ابن تغلق (1325 - 1351) - بما في ذلك منصب سفير في البلاط الصيني . وأشار في رحلته ايضا الى ان ملوك الهند اكرموا وفادة عدد آخر من « المغاربة » . بيد ان الامر لا يعدو ان يكون اتصالا شخصيا . واذا كان محمد بن تغلق اول الملوك المسلمين بالهند الذين ابدوا عن ميل اصيل الى تحقيق الوحدة الاسلامية ، فاقر السلطة الروحية للخليفة العباسي المنفي بالقاهرة ، وتبادل البعثات الدبلوماسية مع مصر وفارس فانه لم يفكر في ان يوجه سفيرا له الى البلاط العربي بالاندلس .

واللاحظ ان الهند الاسلامية في العصر الوسيط قد تأثرت كثيرا للتحدي الصارخ الذي كان يجسمه وجود المفلو الوثنيين وناصرت حركات المقاومة او الاسترجاع التي كان يقودها الاهالي آنذاك ، فيما جهلت او تجاهلت مأساة الاسلام باسبانيا وتحدي النصرانية في اوربا تمهيدا لاعلان الحروب الصليبية .

بيد ان الغرب الاسلامي اثر بصورة حاسمة في الفكر الهندي والحياة الدينية والصوفية بالهند الاسلامية في العصر الوسيط . ولعل من الاصول ان نقول انه تأثير للفكر الصوفي الذي تكشف عنه كتابات المتصوف محيي الدين بن العربي (المراسي) فقد دخلت مؤلفاته الهند في اواسط القرن الثالث عشر على يد الشاعر المتصوف فخر الدين العراقي الذي اقام طويلا في دار الضيافة السهروردية بمطمان والتقى بعد ذلك في كونيا بصدر الدين ، تلميذ ابن العربي وشارح مؤلفاته . وقد اصدر العراقي «نصوص

روابط مينة بين دولة الإسلام في الأندلس والمهند الإسلامية الحديثة

دراسة مهداة لروح المستشرق الكبير ليفي بروفنسال
للأستاذ عزيز أحمد - لندن
تعريب: عبد الرحمن بن عبد الله

ان من مظاهر ضعف الثقافة عندنا - كما يرى بعض رجال الفكر في بلادنا - اهمال عنصر اساسي هو الترجمة . فالمعاصر يدعو الى الاخذ بهذه الصناعة كما نأخذ بها كل الامم الحية اذ انها تفتي اللغة وتغسل مستجدات العصر وتربط القاريء المغربي بأفاق العالم المتحضر . والترجمة تلعب دورا هاما في اطلاع المثقفين على ما كتب بالغات الاجنبية لا عن الغرب فحسب ولكن بالنسبة للعرب والمسلمين عموما .

والدراسة التي تولينا تعريبها اسفله تسلط بعض الاضواء على جوانب غامضة من تاريخ الاسلام وتعرض للوشائج الروحية والفكرية التي جمعت بين المسلمين في العصر الوسيط مهما نات الديار وشط الزار . ولقد كان لهذه الصلات من الازر البعيد في نفوسهم ما جعلهم يعملون على دعم كيانهم الروحي والديني في القرن العشرين صونا للمكاسب التي حققتها دولة الاسلام في عهود الامجاد الفائرة . - العرب -

- 1 -

العالم الاسلامي (او دار السلام) من اقصاه الى اقصاه . لقد كان من العسير على الاقليمين المسلمين المتباعدين ان يوتقا علاقاتهما الفكرية والسياسية لبعده المسافة بينهما وكثرة المخاطر التي كانت تتهدد الرحالة في ذلك الحين . واهم من ذلك ان الاندلس قد انفصلت عن العالم الاسلامي على عهد العباسيين ، فيما بقيت دولة السند موالية ، الى حين ، للسلطة المركزية في بغداد حتى انها غدت جزءا من الامارات التي تشعبت عنها بعد ضعف الخلافة وتفكك الوحدة الاسلامية .

وجدير بالاشارة ان فتح شمال الهند قد تم على يد الانراك سنة 1000 م ممن اثمرت فيهم الثقافة الفارسية الى حد بعيد ، هذا الى ان الصلة القائمة بين الهند من جهة وافريقيا الشمالية والاندلس من جهة اخرى كادت ان تصبح مستحيلة بعد ان تعرض العالم الاسلامي في عقر داره لغزو المغول الوثنيين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . فليس غريبا ان نلاحظ في

تشير كتب التاريخ الى ان غزو السند قد واكب في تاريخ الفتوحات الاسلامية ، تأسيس دولة عربية في اسبانيا . كانت الامبراطورية العربية على عهد المتأخرين من خلفاء بني امية تمتد الى السند ، وتحدها في الشمال بلاد الاندلس . وقد انتقلت علوم الهند وكتاباتهما فيما بعد ، عن طريق بغداد ، الى بلاد الاندلس حيث عكف بعض العلماء من اضراب احمد المجريطي (المتوفى سنة 1007 م) وابن السمع (المتوفى سنة 1035 م) على كتابة شروح ضافية لكتاب السدهانتا الذي غدا بعد ذلك موضع جدل وتقاش بين كثير من علماء الاندلس كعبد الله بن احمد السرقسطي وابن سعد الاندلسي ، بيد ان الصلات بين الاندلس ودولة الاسلام بالهند في العصر الوسيط كانت ضئيلة ، ولعل الفضل راجع في التاريخ لها ، رغم ذلك ، الى آثار الرحالة العرب من امثال ابن حوقل الذي زار

على منازلهم أسماء المدن الإسبانية محتفظين بشكلها العربي كما وردت في أبيات القصيدة الانفة الذكر .

وسارت القصة التاريخية الاردية على نهج القصيدة الاردية ونسجت على منوالها في قالب اندلسي فقد كتب عبد الحليم شرار ، من المعاصرين للشاعر حالي - ولكنه اصغر منه سنا - عدة قصص تاريخية اقتفى فيها اثر الكاتب والتر سكوت Walter Scott من حيث الفن والمنهج ، وتناول فيها مختلف المراحل في التاريخ الاسلامي ، كما ألف في سنة 1890 مسرحية تاريخية سماها « شهيد الوفاء » وتعالج هذه المسرحية انهيار المجتمع الاسلامي في غرناطة مما ادى الى سقوطها في قبضة فرديناند وايرابيل ، وقد اتبع شرار سنة 1896 بقصة في الحوار التاريخي سماها « فلورا فلوريندا » وتناول القصة موضوع التوسر الذي كان يسود بين المسلمين والمسيحيين في اسبانيا . والقصة من حيث هي تقتصر الى كثير من الحياة والاضواء ، ولعل المسوغ الوحيد لقراءتها في الهند الاسلامية كامن في لونها الرومانطقي والحوار التاريخي الذي تحتضنه . وهناك قصة تاريخية اخرى « لشرار » كتبها عن اسبانيا ايضا وسماها « الفاتح المفتوح » وتدور أحداثها حول الصراع الذي دارت رحاه بين عبد الرحمن الغافقي وشارل مرييل . وما استسغه ذلك من انهزام للعرب بأرض الغال مما اوقف الزحف الاسلامي في اوربا . والقصة زاخرة بصور البطولات . ولها من التماسك وعمق النظرة ما يعوز غيرها من الكتابات السابقة التي أصدرها شرار عن اسبانيا . وقد نشر شرار ، علاوة على القصص ، حكايات شعبية في الدوريات التي كان يصدرها للتعريف بالاحداث والشخص التي تملأ تاريخ الاسلام بما فيه تاريخ الاندلس . والى جانب القصص الهندية التي تجري أحداثها على مسرح التاريخ الاندلسي ، فقد تقبل الشعب عن طيب خاطر ، ترجمات الكتب التي الفت بلغات اجنبية في نفس الموضوع . وهكذا نقل الى الاردية سنة 1906 كتاب المؤرخ اللبناني جرجي زيدان الذي يقص تاريخ الفتح العربي للاندلس دراسة الاسلام بعد اكتشافه في الاندلس كانت قوة خلاقة خلقت اثرا بارزا في عبقرية الشاعر الكبير والمفكر الهندي المسلم محمد اقبال (الذي وافته المنية سنة 1938) . وقد تبدت هذه القوة رموزا تشع في نتاج الشاعر الموهوب . فطارق اول ضابط عربي وطئت قدماء ارض اسبانيا ، عندما يامر باحراق اسطوله في جبل طارق ، يعد رمزا للعزيمة الصادقة التي لا تنال

ما بين 1891 - 1984 . اما في سنة 1901 فقد تمت ترجمة كتاب ميكان Meakin . المسمى « الامبراطورية المغربية » . وظهرت في سنة 1904 ترجمات ذاتية لابن باجة وابي حيان الغرناطي . وقد صدرت في نفس الوقت ، على شكل مذكرات سفر ، زحمة من الآثار الشعبية في المجلات حول تاريخ الاندلس وثقافتها . واعتبارا للقيمة الانسانية والدور الطلائعي الذي لعبه الاسلام بالاندلس بالنسبة للحضارة الاوربية فقد اوضحت موضوعا حماسيا للدود عن الكيان الاسلامي ، خاصة في كتابات عامر علي وسيراج علي . اما علماء الدين الذين ينتمون الى مدرسة ديوباند ، فقد عالجوا الموضوع من زاوية مختلفة . ويظهر من مؤلفاتهم ان اسهام الاسلام بالاندلس يحتل مكانه في التوزيع الذي يخضع له الفكر العربي والثقافة العربية عموما . وعلى هذا النهج سار المؤرخ الاردي الكبير شبلي نعماني في كتابة مؤلفاته التي تعالج الدين والادب والثقافة ، واليه يرجع الفضل في التعريف بالجهود التي اسهم بها الكتاب المغاربة ، ممن تناولوا المواضيع الدينية ، فيما خلفه من مؤلفات لا تقع تحت حصر ، وقد قام المثقفون ايضا بنشر عدد هائل من الدراسات الاصلية في كثير من المجلات كالمعارف ، وفي بعض الكتب كالجغرافيا التاريخية للاندلس ، لعناية الله . ولم تهن عزائم المثقفين في دراسة الاسلام بالاندلس الى ان استقلت الهند والباكستان سنة 1947 . وتدل الوثائق التي كتبت سنة 1941 على ان اهتمام المسلمين في الهند بميراثهم المفقود في شبه الجزيرة الابيرية كان يتزايد باستمرار . وقد شهدت السنوات الاخيرة ظهور كثير من الكتب في الموضوع سواء ما كان منها موضوعا او منقولا .

- 4 -

في اعتقاد العامة من مسلمي الهند ان المؤلفات الادبية الاردية تشكل صلة وصل بينهم وبين الاندلس . فلقد كتب الشاعر المجدد الطاف حسين حالي سنة 1879 قصيدته الشهيرة « مسدس » حيث يرثي مأساة الاسلام ويعبر عن امله في نهضة له يسترجع فيها ما فات من امجاده . والقصيدة تتضمن ثلاثة مقاطع مؤثرة يعرض فيها الشاعر لمآثر الاسلام باسبانيا مؤكدا عروبتها الاصلية سواء من حيث الشكل او المضمون ، وكذا سمو معالمها التي لا تبلى جديتها على مر الايام . وقد شاعت هذه القصيدة في الاوساط الشعبية بصورة اصبح معها السكان في الهند يطلقون

التطور اعطى ثماره في أقل من عشر سنوات . لقد كانت نظرة المسلم في الهند الى تاريخ الرابطة الاسلامية تصور له تاريخ الاسلام ذاته عملية فريدة انتظمت العالم الاسلامي قاطبة في آن واحد ، ونتيجة لذلك ، فانه كان يطالب في كثير من الاعتزاز بالمكاسب التي حققها المسلمون في الاندلس بوصفها جزءا لا يتبعض من ميراثه الثقافي . وبالرغم من احتكاك علماء الهند بالمستشرقين القريبين الذين كانوا ينظرون الى التاريخ على ضوء التقسيم الجغرافي ، فان هؤلاء يقرون بأن « النزوع الى الملكية » عند المسلم الهندي لم يمس بشيء . بيد أن بعض الضباط الانجليز بالهند في القرن التاسع عشر تفهموا هذا الاتجاه التاريخي في الفكر الاسلامي وعملوا على تعضيده . ونضرب لذلك مثل السير شاراز تريفيان الذي اهدى بعد سنة 1860 بقليل جائزة لاحسن دراسة مقارنة حول اثر الادب الاغريقي على العرب على عهد العباسيين والامويين الاندلسيين وما استتبعه من تأثير للادب العربي على الاوربيين ، كما اشار النائب الملكي البريطاني اللورد ليتون ، عند تدشينه للمعهد الاسلامي الانجليزي الشرقي الى ان ابرز المكاسب وأبقاها اثرا عند الاجناس العربية ما حققته في ميادين العلم والادب والفن ... لقد امدوا جزءا هاما من هذه القارة بهندسة معمارية كانت موضع الإعجاب والاندعاش في هذا القرن ، في حين كانت المجتمعات المسيحية في اوربا لا زالت تتعثر في دياجير الجهالة والبربرية الرعناء ... لقد انشأوا في كل ربوع شبه الجزيرة الابيرية كثيرا من مدارس الطب والرياضيات والفلسفة . وكان تعليمها يفوق مستواه واقع العلوم المعاصرة اذذاك في اوربا . وانه لمن المؤكد ان سكان اسبانيا والبرتغال مدينون بالشيء الكثير من امكانيات التغذية ذاتها لاعمال المهندسين الزراعيين العرب في العصر الوسيط .

لقد كان ذلك بمثابة اعتراف رسمي يصدر عن الاوساط الرسمية آنذاك بخصوص الموقف والاتجاه الذين اتخذهما العلماء المسلمون بالهند في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فليس من الغريب أن ينقطع المثقفون في الهند الاسلامي ، في بادئ الامر ، الى دراسة آثار ابن رشد في نهاية القرن التاسع عشر ، مع ما كان لها من بعيد الاثر على تقديم الفكر الاوربي ، فأصدر عماد الملك بلگرامي حوالي سنة 1870 دراسة عن ابن رشد ، اعقبته دراسة علمية للفيلسوف المغربي محمد يونس من « الفيرانجي ماهال » وظهرت كذلك اول ترجمة اردية لفصوص الحكم لابن العربي

هناك مظهر آخر لفكر « ابن العربي » لا صلة له بمنهجه الصوفي ، وتقصد به التعريف الذي اصطنعه لنظريته الجوهرية في الرابطة الاسلامية التي لم يكن لها اي تأثير على الهند الاسلامية في العصور الوسطى . على اننا لا نستبعد أن تكون هذه النظرية نواة للنظرية الحديثة في الرابطة الاسلامية كما وصفها رائد هذه الحركة في القرن التاسع عشر السيد جمال الدين الافساني .

فقد نظم ابن العربي في القرن الثالث عشر السياسة المناهضة للحروب الصليبية في البلاط الاسلامي بالاناضول وسوريا ، وأشار على المسلمين بأن يتعدوا عن المناطق التي اغار عليها المسيحيون ، وقد كان بدون شك ، برسم الاتجاه الذي اختطه جمال الدين الافغاني فيما بعد عندما نظم في القرن التاسع عشر قواعد الرابطة الاسلامية .

انها ، على وجه التحديد ، النظرية السياسية للرابطة الاسلامية في الهند الاسلامية المعاصرة كما نلاحظها في كتابات المفكر الديني المسلم الشيخ ولي الله الذي عاش في القرن الثامن عشر حيث وصف المجتمع الاسلامي الوحدوي « الجماعة » ، وكما تطلعننا في آثار المفكرين السياسيين في القرن العشرين من امثال اقبال وابي الكلام آزاد . واذا كانت نظرية ابن العربي لم ترد في كتابات المتأخرين ، بوصفها مرجعا مباشرا للرابطة الاسلامية ، فانه لا يخامرنا شك في ان ولي الله قد تأثر بها كثيرا حتى انه حاول التوفيق بين نظرية ابن العربي ونظرية الشيخ احمد السرهندي بخصوص الوحدة الانطولوجية .

كان لقاء المفكرين المسلمين بالهند مع تراث الاسلام باسبانيا لقاء في بالغ الاهمية شهدته القرن التاسع عشر ، يوم اكتب النخبة المثقفة الحديدية التي تلقت تعليمها غربيا على قراءة المؤلفات التي كتبها المستشرقون الاوربيون ، في اعقاب الثورة الهندية ، سنة 1857 . واذا كانت هذه النخبة قد فتحت على المراجع العربية الاولى في الفلسفة والتاريخ والادب مما وصل اليها عن طريق الغرب ، فان العلماء المسلمين الذين تلقوا تعليمهم كلاسيكيا تقليديا كانوا اوفر حظا واشد اهتماما بهذه الاصول . ومن نافلة القول أن هذا

المركة التي خاضها المسلمون في الهند لاثبات الذات ، صرفوا عناية بالغة للتأكيد على النزعة الانسانية التي كانت السمة الغالبة على الثقافة الاسبانية العربية مشيرين الى الاشواط التي قطعتها الاندلس في التقدم الاجتماعي حتى انها اشركت النساء العربيات في المهن الجليلة كالطب مثلا .

هناك ايضا اتجاه سياسي نفسي آخر دفع بالمسلمين في الهند الى اعتماد المثل الذي خلفته بالاندلس ، ومرد ذلك يعزى الى ان المسلمين في الهند قد انتابهم ، وهم على ابواب تأسيس نظام ديمقراطي في البلاد ، شعور عارم بالخوف على مستقبلهم الاقتصادي والسياسي لانهم يشكلون اقلية ضئيلة وسط الاغلبية الساحقة من الهنود الذين لا يدينون بدينهم . واذا كانوا قد حكموا شبه الجزيرة الهندية مدة سبعة قرون او يزيد ، كما فعل الاندلسيون من قبل ، فهل ينتظرهم نفس المصير ؟ بيد انهم لم يفتنوا لوجه

الشبه القائمة بينهم وبين المسلمين في اسبانيا الا بعد ذلك بكثير ونما هذا الشعور لدى المسلمين بطيئا ولكنه مد جذوره الى الاعماق . والواقع ان الخوف الذي كانوا يستشعرونه من الانصار في بوتقة الاغلبية الهندية مع ما يستتبعه من انسحاب من المسرح الثقافي قد هيمن على الفكر السياسي والديني في الهند الاسلامية منذ ارساء قواعد الحكم الاسلامي بدهلي في بداية القرن الثاني عشر . بيد ان استيلاء الهنود ، وعددهم كثير ، على دواليب الحكم في القرن العشرين قد عمق وعي المسلمين بالشبه الموجود بينهم وبين اخوانهم الاندلسيين واسهم في تعزيز حركة الانفصال الاسلامية في الهند الحديثة لتأسيس دولة باكستانية مستقلة .

عزيز احمد : لندن

تعريب : عبد الرحمن بن عبد الله : الرباط



منها وفرة جيوش العدو ، وعبد الرحمن الداخل ، حين يغرس أول شجرة من أشجار النخيل في أرض الأندلس ، يمثل حياة العرب الفاتحين وهي تمتد جذورها في تراب الأسبان . ولعل أبرز هذه الرموز وأجملها مسجد قرطبة الذي زاره اقبال مستلهما في سنة 1932 ، فآلمه قصيدة جياشة من أحسن ما خطته يده . وإذا كان « حالي » أول من ابتدع عبادة الأندلس قبل اقبال بنصف قرن ، فلقد بلغت الذروة في قصيدة هذا الأخير التي عنوانها بمسجد قرطبة . ويستهل اقبال قصيدته بسلسلة من الصور المجردة حيث يمنح الزمان صفات الخلق والاختبار والإقصاء والتحطيم . وفي رايه ان حظوظ البقاء من نصيب النشاط الخلاق الذي يمارسه « رجل الإيمان » لان هذا الأخير يستلهم نشاطه من الحب الخلاق ، والحب الخلاق يتجلى في إبداع الفن كما نرى ذلك جليا في مسجد قرطبة . لقد أشار اقبال الى الخصائص الفنية التي تطبع بناء المسجد وأكد على عروبتها الأصلية وانتمائها الى الاسلام . وهو ينحني في اجلال وخشوع امام الآثار الباقية مما أبدعته العبقرية الخلاقة بالأندلس في ميادين الثقافة ، ويحيي مظاهر الحياة وطريقتها عند الأسبان في العصر الحديث . وقد تم نقل هذه القصيدة وكثير غيرها مؤخرا الى اللغة الأسبانية .

كل القصائد الأردنية التي تناولت الأندلس تفيض بهذه الانفعالات الجياشة حتى ليصح القول بأن زيارة الأندلس بالنسبة للمسلم الهندي أو الباكستاني تعتبر حجا ثقافيا . وإذا كانت القصيدة الأردنية قد أضحت تخدم أغراضا أخرى ، تحت تأثير التيارات الأوروبية الحديثة ، فإن القصة الأردنية التاريخية لم تحد قط عن المناخ المغربي الأندلسي . ومن الأمثلة على ذلك قصة « يوسف بن تاشفين » التي كتبها نسيم حجازي سنة 1952 بالباكستان .

- 5 -

وراء الإعجاب الذي يكنه المسلمون في الهند لمظلة المسلمين الأندلسيين في ميدان الثقافة والتاريخ تكمن مجموعة من الاتجاهات السياسية والنفسية . وهذه الاتجاهات في الواقع ليست إلا رد فعل المسلمين يوم انحسر نفوذ الاسلام بسرعة في القرن التاسع عشر تجاه التقدم الموصول الذي أبانت عنه الامبراطوريات الغربية وحضارتها . لقد استجابت

النخبة المسلمة المثقفة في الهند بالتعبير عن كبرياتها ممثلا في تقطين أساسيتين ، حيث تمخضت الصلات بين الاسلام والغرب عن تفوق عسكري وتأثير ثقافي : اسبانيا في العصر الوسيط والامبراطورية العثمانية .

هذا الفخر بالمراث المشترك الذي يتقاسمه المسلمون الذين يدينون بالولاء للسدة العثمانية كان يحفزهم لاعتماد الاتجاه التركي ، خاصة حين بلغ الذروة مع ظهور حركة الخلافة حوالي سنة 1920 بيد أن الحضارة الغربية كانت تحداهم بما تبنته من نزعات تحريرية متسامحة . فاصبح من العسير على المثال الذي كانت تضربه تركيا في القرن التاسع عشر ان يكون جوابا نفسيا شافيا . وبديهي ان النزعة الانسانية التي تتسم بها الحضارة الأندلسية والتي أقر النزهاء من المستشرقين الغربيين بسموها وتفوقها على المجتمعات الغربية آنذاك بما لها من ايادي بيضاء في خلق القيم الفكرية والانسانية كانت تخفف بلا مرأى من وطأة الحرمان الذي يستشعره المسلمون الهنود في القرن التاسع عشر . والمسلمون في هذه البقاع يذكرون بمزيد الفخر الصلات التي كانت تشد بين الأندلس وأوروبا المسيحية ، على خلاف المعاملات التي كانت قائمة بين أوروبا والعالم الاسلامي في القرن التاسع عشر . لقد حمل المجتمع الاسلامي مشعل المعرفة وقدمه للمجتمع المسيحي الذي كان يتخبط في دياجير الجهالة والامية . والمسلمون في الهند لا يفوتهم ، وهم يكتبون عن الفردوس المفقود ، ان يبرزوا هذا هذا الوضع المثالي وان يثيروا الى ما عهد في العرب من نبل وتسامح وما امكنهم ان يحققوه بفضل ذلك من منجزات فنية في غاية الإبداع وما لعبوه من دور طلائعي في صيانة الفكر الاغريقي وتنميته وتقديمه الى الغرب سائفا مكينا ، وما تركوه من منشآت بلغت قمة الاتقان والجمال ، كما يعقدون مقارنات بين الاخلاق والمكاسب العربية وما دونه التاريخ عن حركة الاسترجاع التي حشد لها المسيحيون كل امكانياتهم من تعصب وتزمت ومغالة في العنف مما أدى الى الاجهاز على مظاهر الحضارة الاسلامية في اسبانيا . ولم تسلم النخبة المسلمة في الهند وهي تتلقى على يد الانجليز قيم الحضارة الغربية ، من انتقادات المستشرقين ومجادلات المبشرين . هذا الى وقوف الغربيين موقف المتفوق على صعيد الجنس والثقافة . فكانوا يتعززون بالذكريات الجميلة التي يحتفظون بها عن دولة الاسلام بالأندلس فلقد كانت مركز اشعاع في أوروبا طوال القرون الحالكة التي مرت بها . . وفي

ومبراته فروض مودات ، وحقوقه مقدمة حبرات ، وسيوفه هندية وعطاياه هندية ، ولا زال تفخر منه في النصر على اعداء الله عدات ، وتصرخ دينه منه جنود منجذات . معظم قدره ، ملتزم بره ، الطنب في حمده وشكره ، فلان (السلطان يوسف الاول ابن الاحمر) .

سلام كريم ، بر عميم ، (45 : 1) يخص مقامكم الاعلى ، ومثابكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله مطرز صحائف الاعمال بالوسائل البرة ، ومروض رياض الامال بسحاب النعم الثرة ، الذي وضع عدله في الدنيا والاخرة قسطاس الجزاء فلا يضيق مثقال الذرة ، معود هذه الجزيرة ، من اوليائه الكرام السيرة ، لمن يتعاهدها بالامداد والارفاد ، في القديم والحديث من الامال المرة بعد المرة ، ويعامله فيها برعى المصلحة ودرء المضرة ، فتغورها بتبسم عن الثغور المفترة ، وتجبل عليها راح الانباء السارة راح المسرة . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله مؤمل الانفس الفائدة وملجأ الاكف المضطرة ، الذي بالتواصل في ذاته نستجلي سعادة الحال والمال رائقة الفرة ، ونتقبل وجوه العنابة الالهية متالقة الاسرة . والرضا عن آله واصحابه واولي السجيا الكريمة والفضائل العيمة والنفوس الحرة . والدعاء لمقامكم الاسمى بالسعادة الدائمة المستمرة ، والنصر الذي تمضي نصله في عدو الله ايدي القدرة ، ولا زال عز ملككم يمهّد سبل الجهاد والرباط والحج والعمرة ، وبوضح خطبه في خط الدفاع عن الدين اشكال النصر ، ويقتضي لغريم الاسلام دين ما وعد الله من الكسرة - فانا كتبناه اليكم - كتب الله لكم من حظوظ السعد اوفرها ، واقطعكم من جوانب الصنع ائتمها وانضرها ، وتولى (45 : ب) صنائعكم الجميلة فشكرها - من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والثناء عليكم يستغرق اوقات الزمان آصالها وبكرها ، وفضائلكم هي الشمس ضل من انكرها .

والى هذا - وصل الله علاكم ، ونشر بالنصر على اعداء الله لواءكم - فاننا نعرف جناب اخوتكم السلطانية - بعد تقرير الشكر وتمهيد البر - بورود الهدية الغريبة السافرة عن يمين النقيبة ، وفضل الضريبة ، هدية الجمال - اللابة اثواب الجمال والقلاص ، التي اصبحت - بحمل ازواد اهل الجهاد - ذات اختصاص ؛ فلقد طلع منها على هذه البلاد المباركة ركب ، له في العتاقة والاصالة مجال رحب ، من كل نجيب نجيب ، مائل في المراءى العجيب . وكوما - الى الانساب العربية - ذات انتماء ، كأنها اهلة حلك ، او قسى من دائرة فلك . سفائن بر ، وخزائن قانع ومعتز . وكيف لا يسبح لها باليمن طير ، ويكون لها في مجال السعادة سير ، والله عز وجل يقول : « لكم فيها خير » (1) .

اذكرت اهل هذه البلاد ايام المعج والشج (2) وصيرت طريق الجهاد كطريق الحج . ترغو فتجيبها الصواهل (3) وتعرض عن الماء فتشتاق اليها المناهل . ووصل مؤديها فلان ، وهو الخبير بجزياتها ، والحافظ لمعاني آياتها ، ومن انس بجوارها ، وطرب بجراتها سمعه ، واتسع لمعرفة احوالها ذرعه ، وكان امله ان يقدم بها على حضرتنا ابلاغاً في المبر (4) . (46 : 1) الا اننا راينا ان نغفيها من السفر ترفيها ، ونرفع عنها من توغر الطريق ما نتوقع ان يؤثر فيها ، ونتركها بفحص ملقا - حرسها الله - في مسرح يخبسها عشبه - ويروبوها شربه ، الى ان نشاهدها بالعيان ، ونعطي حروفها من الخطابة عليها ما يقتضيه علم البيان .

ونحن نقابل مقاصدكم الفاضلة بالثناء والاستحسان ، ونشكر ما لآخوتكم الفاضلة من المزايا البرة والسجيا الحسان . والله تعالى يطل لكم سعدا وثيق البنيان ، ويعلي بمظاهرتكم ايانا شعار الايمان . وهو سبحانه يطل سعدكم ، ويحرس مجدكم والسلام .

(1) اقتباساً من قوله تعالى : « والبدن جعلناها لكم من شعائركم الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا واطعموا القانع والمعتز ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » سورة الحج ، آية 157 .

(2) المعج والعجيج ، وكلاهما بمعنى ، وهو رفع الصوت بالصباح ، والشج : القطع . ويقصد : ايام الفتح الاول وما كان فيه من شق الطرق بمثل هذه الابل ، وربما اراد اي غزو سبق للمسلمين في هذه البقعة ضد جيرانهم النصارى .

(3) الخيل .

(4) محو .

العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)

للووزير لسان الدين ابن الخطيب
تحقيق د. محمد كمال شبانة

(3)

تقديم

في هذا العدد تقدم الى الباحثين والمهتمين بتاريخ المغرب والاندلس مجموعة من الوثائق الاندلسية التي نوالي نشرها على صفحات « دعوة الحق » الفراء، من كتاب « كناسة الدكار ، بعد انتقال السكان » لمؤلفه المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب ، مخطوط الاسكوريال (الفزبري 1672) .

وهذه الوثائق الاربعة تشكل في مجموعها كناسة العلاقات التي كانت تربط يومئذ بين مملكتي بن الاحمر وبني مرين في هذه الفترة ، والتي تميزت بالمودة والصفاء ، ولا ادل على ذلك من ان الشأن بينهما لم يكن قاصرا على المعونات العسكرية والمادة ، وخاصة تلك التي كانت تتوالى من بني مرين على مسلمي الاندلس ، وانما كانت هناك سفارات بين الملكيتين تبودلت فيها الهدايا ، فتوثقت العلاقات ، وزادت الاواصر ارتباطا ، وهذا ما يلخصه الباحث من خلال هذه الرسائل التي تقدمها اليوم ، والتي اشتملت في نفس الوقت - عموما - على الامام باخبار الاندلسيين ، ومدى موقف نصاري الشمال منهم في كافة الشؤون .

هذا وقد اجتهدنا - جهد الطاقة - في تاريخ ما لم يرد من هذه الرسائل غير مؤرخ ، استنادا الى بعض المواقف التي تشير الى حادث معين او واقعة خاصة ، غير ان بعضها تعذر تاريخه لكون الرسالة قد استغرقت التنويه بالعلاقات بين الدولتين والاشارة

1) ذكرت بالريحانة في 1 . ولم ترد مؤرخة ، ويحتمل تاريخها خلال عام 1352 م

بالهدية التي صحبها السفراء ، وعلى اي حال فالمفطوع به ان المكاتبات هذه كانت بين السلطان يوسف الاول ابن اسماعيل بن نصر ابن الاحمر ، وبين معاصره بالمغرب السلطان ابي فارس بن ابي الحسن المريني .
وفيما يلي تقدم هذه الوثائق ، التي هي حتام ما ورد منها في كتاب ابن الخطيب « كناسة الدكان » وبهذا ينتهي تحقيقه ، وسدي - بهذه المناسبة عميق الشكر والتقدير الى مجلتنا (دعوة الحق) التي افسحت صدرها لهذا التراث العزيز من تاريخ امجادنا العرب ، خدمة للثقافة ، ونشجعا للباحثين . وفق الله القائمين بالامر في المجلة الى السداد ، وجزاهاهم خيرا .

الوثيقة الاولى

وكتب اليه حواما (1) عن جمال مختارة كثيرة العدد ، بعث بها اليه هدية ، رحمهما الله :

« المقام من مواهبه الابل الهادرة ، والبدن المسارعة الى داعي الله المبادرة . فمناقبه المناقب الفاخرة ، ومكارمه في ضمنها الدنيا والاخرة . مقام محل اخينا الذي ان وهب احتفل ، وان اعتمد في الله كفى وكفل ، فجلاله في حلل المكارم قد رفل ، وشهاب سعده من بعد الشروق ما اقل ، السلطان الكذ (ابي عنان فارس) ، ابن السلطان الكذ (ابي الحسن علي) ، ابن السلطان الكذ (ابي سعيد المريني) . ابقاه الله

«المقام الذي يهب الجياد عربا ، ويرسلها اسرابا ،
ويصل للامداد اسبابا ، ويكدح للعزم شهابا . مقام
محل اخينا الذي تؤمل منه ظهيرا مدافعا ، ونصيرا
لاعلام الملة رافعا ، ونستوكف من غمام عزماته السامية
القتام ريا نافعا ، السلطان الكذا (ابي عنان) (40 : ب)
ابن السلطان الكذا (ابي الحسن) ، بن السلطان الكذا
(ابي سعيد) ، بن السلطان الكذا (ابي يوسف) ، بن
عبد الحق . ابقاه الله وهباته جزيلة ، ومقاصده في
الاسلام جميلة ، ومظاهرته لا تخيل فيه للدين مخيلة .
معظم مقداره الكبير ، المنشى على فضله الشهير
ومجده الاثير ، الامير عبد الله يوسف ، بن امير
المسلمين ابي الوليد اسماعيل ، بن فرج ، بن نصر .
سلام كريم ، طيب برعميم ، يجعله البدر تاجا فوق
جبينه ، ويحمل منه الفجر الصادق لواء يمينه ،
يخص المقام الاعلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله فاتح ابواب السعادة لمن
تمسك بطاعته ، وموضح اسباب نجاح الارادة لمن
افرده بمقام رغبته وضراعتة ، جاعل التواصل في ذاته
علاجاً يتكفل بصلاح الاحوال في حينه وساعته .
والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ضامن حسن
المال ، وعقبى الظفر بالآمال لمن تعلق بسنته وجماعته ،
وعقد بجاهه المكين اكف طاعته . صاحب الحوض
المورود ، واللواء المعقود . المجير بوسيلته المنقذ
بشفاعته . والرضا عن آله واصحابه واحبابه واحزابه ،
الذين انفوا لدينه الحق من اهماله او اضاعته ، وكلفوا
بأظهاره واعلائه واشهاره واذاعته . والدعاء لمقام
اخوتكم السلطانية بالسعد الذي يخدمه خطى الكتائب
بسنانه وخط الكتب ببراعته ، والصنع (41 : ا) الذي
يقوم الوجود لابنائهِ المبشرة بحق اشاعته ، ويعمل فيه
البيان جهد استطاعته . فانا كتبناه اليكم - كتب الله
لكم سعدا تسطر في نصر الاسلام جملة ، ونصرا يدنو
به للدين الحنيف املة ، وعزا تبدو به سروره وجذله
- من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وودكم - في ذات
الله - لاجبة سبله ، واخوتكم - لمحض هذا التشيع -
ضافية حلله .

والى هذا - وصل الله قبلك سوابغ الآلاء ،
وحرس ما لاخوتكم الفارسية من العلاء - فمن العلوم

عادة وشرعا ، والذائع الذي ليس نكرا ولا بدعا ، ان
الهدية وان كانت سماؤها رذاذا ، وحسناتها افذاذا ،
تستخلص ضمائر المودات ، وتزكي نقود الازمنة
المعتقدات . فكيف اذا كانت جياها عتاقا ، وجردا
تستبق الصريخ استباقا ، ومذاكي ملا الشمس منها
احداقا ، واتلع (1) العجب لها اعنقا . واننا وردت
علينا هديتكم التي عنيت بدالة الحسن عن خطاب
يلتمس لها اذنا ، وكتاب يزيدنا حسنا . من كل جواد
يردماء الشبيبة رى جواد ، ويقضم حب كل فؤاد .
تود الالهة ان تكون لها سروجاً ، وخضراء السماء ان
تصير لمرحها مروجاً . وترتاح الى الجهاد في سبيل الله
اعطافها ، وتكلف بسورة الانفعال اعرافها . فيالها من
كتيبة اغنت عن الكتاب ، وطليلة انس من الاعتبار بعد
العتاب ، (41 : ب) كان خضرها غمسي في ماء الشباب ،
وحمرها استرفد صبغ الانامل المطرفة بالعتاب . فبرز
الى مشاهدتها النظار ، وسارت بوفادتها الاخبار ،
وسر المسلمون له وسىء به الكفار . وكيف لا تنتظم
بها للبشرى عقود ، وتحسب اكف الامل بيسر منقود ،
وقد اخبر الصادق - عليه السلام - ان الخير في
نواصيها معقود (2) . ولما مثلت لدينا تلك الجياد ،
والروض الذي صدق فيه الارتياح ، وأن ان يهتز فوق
ادواحه الاسل المباد ، وعينا لها في الحين المواقع التي
رجحتها الاجتهاد ، واقتضاها الارتباط في سبيل الله
والاستعداد . قابلنا الهدية بالثناء والاستحسان ،
وقلنا لا ينكر الوابل على الفمام الهتان ، والفضل على
مثابة من مثابات العدل والاحسان . الذي تروق فوق
اعطاف الاسلام منه الخبر ، بما صرف الله اليه عزمكم
من تحديد ما درس ، واحيا ما انفع سلفا واغترس ،
من الاساطيل السابحة ، والتجارة الرابحة ، والاعمال
الباقية الصالحة . وان الانشاء قد استدعى اليه
الخلق ، والعزم تبليغ منه الصباح الطلق ، وشيم منه
البرق وذهب الفرق . فلا تسألوا عن موقع هذه الانباء
من سديق بعدها فضلا من الله ومنا ، وعدو يسىء بها
ظنا . فلكل منها شرب معلوم (3) ، وحظ مقسوم ،
جعل الله قصدا نجحه محتوم ، وعوضه (42 : ا)
بمناصحة الله والمسلمين مختوم . وحضر بين يدينا مؤدي
الهدية السنية خديمكم فلان ، والقى - من مقاصدكم

(1) اتلع : مد عنقه تيبها وفخرا وتطاولا ، واسم الفاعل منه بوزن محسن ، وهو الرافع رأسه للنهوض .
كذا في اللسان .

(2) الحدث : « الخيل معقود في نواصيها الخير » .

(3) اقتباسا من قوله تعالى : « قال هذه ناقة لها شرب ، ولكم شرب يوم معلوم » ، سورة الشعراء ، آية 154 .

الوثيقة الثانية

ومما كتب به عن المذكور (اي الحجاج) الى
المذكور (ابي عنان) - قدس الله ارواحهما - صحة
براة على سبيل المهاداة ، ما نصه (1) :

المقام الذي لا يفغل عن بره واجب مفترض ، ولا
يقدم على الشيع فيه غرض ، مقام محل اخينا الذي له
القدر السامي والرفد الهامي ، والعزم السعيد المرام
البعيد المرامي ، السلطان الكذا (ابي عنان فارس) ،
ابن السلطان الكذا (ابي الحسن علي الميني) . ابقاه
الله كريم الخلال رفيع الجلال ، مبلغا من فضله أقصى
الامال . معظم قدره ، وملتزم بره ، القائم بواجب
حمده وشكره ، العارف بأصالة حسبه وكريم نجده ،
فلان (السلطان يوسف الاول ابن الاحمر) .

اما بعد حمد الله على آلائه الوافية ومننه الكافية،
والطافه الظاهرة والخافية . والصلاة على سيدنا
ومولانا محمد ذى المعجزات البادية ، والآيات الهادية .
والرضا عن آله واصحابه اولى المكارم الباقية ،
والاعمال الصاعدة الراقية . والدعاء لمقامكم الاسمى
بالعناية الضافية ، واتصال النعم الصافية ، ودوام
اليسر والعافية ، فانا كسبناه (39 : ب) اليكم - كتب
الله لكم من الخيرات اوفرها نصيبا ، واثبت لكم
(في عزه) (2) السداد سهما مصيبا ، وخول ملككم
الاسمى في اعداء الله صنعا عجيبا ، وهيا له من لدنه
نصرا عزيزا وفتحاً قريبا - من حمراء غرناطة ، حرسها
الله ، وعندنا من التعظيم لجلالكما ما لا يزال متصل
الدوام على توالي الايام ، ومن التشيع لمقامكم آيات
ثابته الاحكام ، والامال واضحات الاعلام .

والى هذا - ايد الله امركم واعز بتأييده نصركم -
فاننا بمقتضى الود الذي رسخت قواعده ، ووضحت
شواهده ، وتساوى غائبه وشاهده - لا نزال نسأل عن
احوال مقامكم الرفيعة - مصاعده ، ونلتمس ما نستفتح
به ودمك الذي اتضحت في الفضل مقاصده ، وكنا
تعرفنا فيما سلف من الايام أن للملكم اهتماما بجوارح
الصيد من الطير ، عملا على شاكلة الملوك الكبار ، في
تنويه الملك الرفيع المقدار ، والاستزادة من آلائه

والاستكثار ، وجعل المباح موضوعا للملاذه حسبما
يحققه الاعتبار ، فصرفنا وجه النظر الى ما يوفد من
ذلك على بابكم ، ويتحف به على جنابكم ، ووجهنا الى
ما نأى من البلاد الرومية في هذا الفرض المرسوم ،
وكلفنا ذلك من يقوم من خدمتنا فيه بالمحدود المرسوم،
واختيرت لنا منها جملة كافية ، وعدة بهذا القصد
وافية ، من الجرافين (40 : 1) والبزاة وغير ذلك .
ولما اقتحمه جالبها من هول البحار ، وما عارضها من
اختلاف الطعام - وغوائل الاسعار ، هلك معظمها قبل
وصوله وبعدة ، ولم يخلص منها ، الا من استشعر
منها قوة زائدة وشدة ، وتأخرت منه لكي يخطو
بخدمتكم المدة ، وهي ما يصلكم على يدي بازيارنا (3)
الخدم فلان . ومجدكم يلقي ذلك بالقبول الذي يليق
بفضله ، والاعضاء الذي لا ينكر على محله . فيعلم الله
ما عندنا من البر الموصل لذلك الجلال ، والثناء على
ما له من كريم الخلال ، والعمل على ما يوافق اغراضه
في كل الاحوال . ولنا تشوف الى احوال مقامكم الذي
في تسني عافيته منتهى الامال ، فان بفضل اطلاقنا على
ما يسر من ذاك بمقتضى الافضال ، فذلك مما نعهده
من غرر الاعمال ، ونحسبه من عيون ما له من الاجمال .
والله تعالى يصل له اسباب السعادة الضافية الاذبال،
والعافية الكفيلة بتمهيد الحال (4) . والسلام .

الوثيقة الثالثة

رسالة صادرة من ابي الحجاج يوسف الاول ،
الى ابي عنان فارس الميني . جوابا على رسالة من
هذا الاخير ، كان قد بعث بها الى بلاط غرناطة صحة
خيول عديدة مجهزة ، على سبيل الهدية ، وينتظر أبو
الحجاج هذه الفرصة فيطلع صديقه ابا عنان على
الشؤون والعلاقات السياسية مع قشتالة . وقد
وردت الرسالة غير مؤرخة ، بيد أن تاريخها يحتمل
ان يكون عام 1352 م .

ومن ذلك مراجعة عن هدية جليلة ، تشتمل على
خيل عديدة مجهزة ، ولم يوصل من اداها مخاطبة
بما نصه (5) :

- (1) هذه الرسالة ذكرت في الريحانة . ويحتمل تاريخها خلال عام 1352 م .
- (2) في الاصل « في نقرة » فلعلها كما اثبتناها .
- (3) البازيار : مربى البزاة .
- (4) في نسخ الريحانة الثلاث « المال » بدل « الحال » وكلاهما مناسب .
- (5) ثبتت الرسالة أيضا في نسخ الريحانة الثلاث ، كما وردت - في كل ذلك - غير مؤرخة .

والعز الذي يفض من الشرك ناظرا ويرغم منه أنفا ،
والمجد الذي لا يفادر كتابه من المفاخر التي ترد الاول
للاخر حرفا ، والعزم الذي يفيد جوارح الاسلام قوة
لا تعرف بعضها ضعفا - فانا كتبناه اليكم - كتب الله
لكم نصرا خافقا علمه ، وسعدا يتبارى في ميدان
الاستقلال - بحسب وظائف الاعمال - سيفه وقلعه ،
وصنعا تجلى به عن افق الدين الحنيف ظلمة ، ويشفي
بعلاجه الناجع ألمه ، وشكر - عن هذه البلاد - جودكم
الذي وكفت ديمه ، وأبقى عليها وجودكم الذي زلفت
شيمه - من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والتشيع
فيكم لا يعرف النسخ محكمه ، ولا يقبل الالتباس
معلمه .

والى هذا - شكر الله عن الاسلام صنائع مقامكم ،
وعرفه عوارف العز في غرر أيامكم - فانا وصلنا
كتابكم الكريم الوفادة ، العظيم الافادة ، مصحبا
بالهدية التي صحبها الكمال ، وصدقت في احتفائها
واحتفالها الآمال ، واشتملت على نكايتي العدو وهما
الخيال والمال . فكانه كان لواء نصر خفق أمام كتيبة ،
ونسيم زهر عقب (59 : 1) عن روضة عجيبة . ويا لها
من هدية اتخذ الناس يومها عيدا ، وموسما سعيدا ،
وعزم رآه العدو قريبا وكان يحسبه بعيدا (1) . نتيجة
الهمة التي تقف الهمم دون مداها ، وتستقرى الفيوث
مساقت نداها ، والشيم التي ترى العواذل في الجود
من عداها ، فلو خير المجد لما تعداها . وقفنا من
مضمناه على لجة جود للسان فيها سبح طويل ،
ومحجة فضل للأقلام فيها نص وذميل ، من كل طرف
وسم بالصباح منه جبين ، ناش في الحلية وهو في
خصام الحرب مبين (2) ، من أشب للشهب فارغ ،
ولا حراز الفايات مسارع ، حاسر في شكل دارع ،
كانما خلعت عليه البزاة البيض صدورها ، وقلدته
الكواكب شذورها . واشقر عسجدي اللباس شعلة
من شعلة الباس ، كان أذنه ورد في الآس ، وغرته
الجباية الطافية في الكأس ، وأحمر وردى لاديم حائز
في حلبة الحسن مزبة التقديم ، كأنما صيغ من
العندم (3) ، أو صيغ بالرحيق المقدم . يحسده الاسد

الورد في لونه ، وتدعى الريح انها مادة كونه ، وكمت (4)
ما في خلفه من امت ، كأنه قطعة من الفسق ، خالطت
دهمتها حمرة الشفق ، وقرطاس كأنه درة ، سمع
استحسان الفرر فجاء وكله غرة ، افق الفجر وسرجة
هلاله ، وخالص الدر وسدفة جلاله (59 : ب) وادهم
زنجي البزة ، مرتد الباس والعزة . كأن العيون النجل
نفضت عليه سوادها ، والفصون اللد علمته انشاءها
وانقيادها . وكل صامت ناطق متصف بزينة معشوق ،
ولون غاسق مريئي المنتمى والضرب ، عدة في السلم
والحرب ، قامت قيامة العدو لطلوع شمس من الغرب .
أشبه شمس العالم في استدارة قرصه وانتقال شخصه ،
واعتدال طبعه وعموم نفعه . تعشو عيون الاماني الى
ضوء ناره ، وتدور فراش المطامع حول انواره ،
وتحوم محل الآمال على نواره . وكمل صقيل الفرند ،
منسوب الى الهند ، يخطب من الكلام بمقتضى به ،
ويضحك في الروع عند غضبه . ومن الآلات كل ماثلة
في المرأى الجميل ، مفض همزها للتسهيل . فمن
اللسان الشكر أن يوفي حقا ، أو يهتدي في هذه البيداء
طرقا . انما نكل الشكر لمن سمحتم بذلك المدد في
سبيله ، واملتم فيه موهبة قبوله . فما هي - في
- التحقيق - الا كتاب للعدو جهزتموها ، ومواعيد
نصر انجزتموها ، ومناقب أسلاف جددتموها
واحزرتموها .

وحضر لدينا رسولكم فلان ، فالتقى من القول
الذي صدقه ، واللفظ الذي شرحه المجد والفضل ،
ما أوثق اسباب الآمال ووصلها ، واحزرها وحصلها ،
وقرر قواعد الاعتقاد وأصلها . (60 : 1) وقد رايتكم
بالاستقرار الصريح والنظر الصحيح ، ما أثمر اعتناؤكم
بهذا القطر المتمسك بأسبابكم ، المعتمد على جنابكم ،
من صلة نصركم ، واعزاز أمركم ، واتساق سعدكم ،
واسعاف مقصودكم . فاشكروا الله الذي أجرى
الخير على يديكم ، والهمكم لما يحفظ نعمه الجزيلة
لديكم ، ويضفي ستر عصمته عليكم . وكتبنا اليكم هذا
الكتاب ، فلولا أن حمرة مثله معتادة - حسبما اقتضاه

- 1) اقتباسا من قوله تعالى : « انهم يرونه بعيدا ، ونراه قريبا » ، سورة المعارج ، آية 6 ، 7 .
- 2) اقتباسا من قوله تعالى : « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » . سورة الزخرف آية 18
- 3) العندم : دم الاخوين ، كذا في انسان .
- 4) ج الكميث وهو الخيل بين الاسود والاحمر ، قال ابو عبيد : ويفرق بين الكميث والاشقر بالعرف والذنب ، فان كانا أحمرين فهو أشقر ، وان كانا أسودين فهو الكميث ، وهو تصغير اكمث على غير قيس ، والاسم : الكميثة .

الجميلة ، وأغراضكم الاصلية ، ومواعيدكم الكفيلة – ما أغرينا لسان الشكر بأقسامه ، وأقبلنا مرآة البر مشرق قسامه ، وحملناه من تبريز مثله ما يفي – ان شاء الله – باتمامه .

وان تشوقتم الى اخبار النصارى فلم يزد – بعد ما تقدم به اعلامكم – الا ان طاغيتهم رأى ان يعاجل من اخوته من له ببلاد المسلمين اتصال ، وفي الاستبصار بهم مصال ، وليكون منه لما سوى ذلك ممن يستدرك أمره بعد الوقت اغفال ، فطوى المراحل ونازل أخاه « المبشر » ، صاحب قنطرة السيوف بمدينة شقورة (1)، وأقام عليها ثمانية أيام ، بين قتال لم يجد مع منعة المدينة معنى ، ومرام صلح ابي الله ان يتسنى . واتصل به عياث من خلف وراء ظهره في أرضه ، وهلاك بعضه ، والحمد لله ببعضه . فارتحل عن منزله الذي نزله ، وكر ادراجه ولم يبلغ أمه .

هذا ما عندنا في شأنه ، وما يتزايد نعرفكم به مكانه . ونحن على ما يجب لاختكم من التعظيم والاجلال ، والثناء بما لكم من الشيم الكريمة والخلال ، وهو سبحانه يبلغ الجميع من مرضاته غاية الآمال ، فهو ولي الاجابة وملجأ السؤال ، والسلام الكريم يخضعكم ورحمة الله .

الوثيقة الرابعة

رسالة من السلطان يوسف الاول ، الى ابي عنان فارس . يشكره فيها على هديته التي كان قد بعث بها من المغرب ، صحبة سفارة خاصة في هذا الشأن ، ذات رسالة حول هذا الموضوع . وقد وردت الرسالة غير مؤرخة ، ولكن يحتمل تاريخها في اواخر عهد ابي الحجاج سلطان غرناطة .

وكتب في مراجعة هدية حافلة ، تشتمل على خيل وعدة من مهندات ومهاميز ومال عين ، بما نصه (2) .

« المقام الذي من سجاياه الشيم العلى ، ومن عطاياه الجرد العتاق تختال في الحلى ، وتحاسين عقبان

الحق وغزلان الفلا ، والاموال التي جلى روض الجود من ازهار صفرائها للوجود أبهى مجتلى . مقام محل أخينا الذي قسم زمانه بين رفد مقسوم ، ووعد بالصدق موسوم ، وفضل في صحف المجد مرسوم ، السلطان الكذا (أبو عنان) ، بن السلطان الكذا (ابي الحسن) ، ابن السلطان الكذا (ابي سعيد) ، بن السلطان الكذا (ابي يوسف يعقوب) ، بن عبد الحق . أبواه الله عالي الهمم ، متوالي الجود والكرم ، تجمع يمينها من سيفها المروهب ، وسبيلها الموهوب بين الري والصرم ، وتأمين النفوس – في ظل عدله الممدود ، وفضله المقصود – من حمام الحرم . ولا زال ثناؤه في الخافقين كنصرة خافق العلم ، واخبار (58 : 1) عزه الماثور ، ومجده المشهور ، متجري اللسان والقلم ، وانوار سعده ماحية للظلم ، وعزما سيوفه ترتقب في (3) . . .) السلم . معظم اخوته الرفيعة ، المثني على ماله من كرم الصنيعة ، المستند – من التشيع اليه والاعتداد به – الى المعازل المنيعة ، فلان (السلطان أبو الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر) .

سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاسمى ، ورحمة الله وبركاته . اما بعد حمد الله الذي جعل الشكر على المكارم وقفا ، ونهج منه بأرائها سبيلا لا تلتبس ولا تخفى ، وعقد بينه وبين المزيد سببا وحلفا ، وجعل المودة في ذاته مما يقرب اليه زلفى . مريح تجارة من قصد وجهه بعمله ، ومبلغه من القبول أقصى أمله ، حتى ترى الشيء ضعفا والواحد ألفا ، وناصر هذه الجزيرة من اوليائه الكرام السيرة بمن يوسعها فضلا (و . . . 4) ، ويذني ثمار الآمال تتمتع بها اجتناء وقطفا . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذي مد من الرحمة على الامة سجفا ، وملا قلوبها تعاطفا وتعارفا ولطفا ، القائل : من ايقن بالخلف جاد بالعطية ، ووعد من عامل الله بربح المقاصد السنية ، وعدا لا يجد فيه خلفا . والرضا عن آله واصحابه الذين كانوا من بعده للاسلام كهفا ، وعلى اهله في الهواجر ظلا ملتفا ، (58 : ب) غيوث الندى كلما شاموا سماحا ، وليوث العدا كلما شهدوا زحفا . والدعاء لمقام اخوتكم الاسمى بالنصر الذي يكف من عدوان الكفر كفا ،

1) بلدة موقعها شمال شرق ابد ، وشمال غرب جبال شقورة ، وقد كانت زمن العرب من اعمال ولاية جيان ، وتسمى اليوم بالاسبانية (Segura de Sierra) مراجع : الإحاطة ج 1 ص 179 « عنان » .

2) ثبتت الرسالة في نسختي الريحانة 1 ، ج .

3) طمس في الكناسة ، وفي الريحانتين « وعزما سيوفه ترتقب في القضا اثر السلم » .

4) طمس ، وفي الريحانتين « وعطفا » .

الزمتا للمدفعات

بين المغرب والبلدان الاسكندنافية

في القرن الثامن عشر

للبرت و عبد الحميد

في سنة 1763 م ، ابرم المغرب - باسم السلطان المولى محمد بن عبد الله - معاهدة سلم وصداقة مع مملكة السويد (ادولف فريديك) . وقد صيغت هذه المعاهدة في ثلاثة وعشرين بندا تناول معظمها حرية التجارة بين البلدين . تم الحق بها اتفاق آخر التزمت السويد بموجبه ان تقدم للمغرب ، كل سنة ، مقادير معلومة من غيار السفن والذخيرة والسلاح . وهناك معاهدة اخرى ابرمت في فاس عام 1803 م وقعها باسم البلدين : القائد الحاج عبد الرحمن العياشي . وقنصل السويد (ويجيك) . وقد عدلت في ايام المولى سليمان بان يؤدي السويد مقدار 20 000 بياستر كل سنة عوضا عن المعدات التي اتفق عليها في المعاهدة الاصلية .

وفي سنة 1767 م ، اقام السلطان المولى محمد ابن عبد الله معاهدة سلم وتجارة مع ملك الدانمارك (كريستيان السابع) . وقد ورد فيها ان مملكة الدانمارك تلتزم بان تدفع الى السلطان كل سنة جملة من المدافع والذخائر الحربية وبعض المواد الاولية لصناعة الذخيرة . . وغيار السفن . وقد جعل الخيار لحكومة الدانمارك بين ان يكون الدفع في شكل سلع وتقود ، او في شكل تقود فحسب ، وقدرها 25 000 بياستر . وتضمن الاتفاق انه فيما لو حدث ظروف طارئة حالت دون الاداء خلال سنة ما ، فان سلطان المغرب يحتفظ بحقه في اقتضاء تلك الواجبات خلال السنة التالية : كنوع من الاداء المؤجل . ولا بد ان نشير الى ان السويد والدانمارك لم تكونا وحدهما ملتزمتين

ترتبط هذه الازمة بالوضعية ، القانونية ، والسياسية ، التي كانت عليها البحار يومذاك . فالى رمن جد متأخر ، بقي التنظيم القانوني للبحار ضيقا ، محدود المدى بين البلدان المتجاورة . غير ان اتساع النشاط البحري - في الحرب والتجارة - عمل على ظهور فكرة قانون موحد يتعدى نطاق الاقاليم المتجاورة وذلك اما عن طريق اتفاقية دولية عامة ، او بتعديل الانظمة الاقليمية ، حتى تتسع لمصالح جميع الدول . لقد نشأ عن هذا التبدل اكثر من نزاع . وتدخل ازمة المدفوعات الاسكندنافية للمغرب في هذا الاطار .

لم يكن بد من ان يتأثر المغرب بوضعية البحار دوليا ، وذلك باعتباره بلدا يطل على المتوسط والاطلنطي . واذا كانت البحرية المغربية قد عرفت عصورا زاهرة خلال القرن الثاني والثالث عشر ، فان الفتور الذي اعتراها بعد لم يبلغ بها درجة الانقطاع . هكذا بقيت تمارس نشاطا محدودا حسبما يتوفر لاهلها من نزوع الى المغامرة ومحبة في الكسب ، خصوصا بعد ما اتضح من اهمية مجالها في ربط الاطلنطي بالبحر المتوسط .

انه ليدو غريبا - والحالة كما وصفنا - ان ينطبع المغرب في اذهان الاوربيين بخطورة بحرية يضطرون معها الى اداء « اناوة » ضمانا لسلامة مرور سفنهم . ولعل هذا الامر يتضح قلبا اذا لاحظنا ان البحرية التركية ، في باقي شواطئ الشمال الافريقي القت على البحرية المغربية كثيرا من الظلال . . . وجعلت الاوربيين ينظرون اليها بشيء من المبالفة .

عرف وعادة (1) - لقلنا خجل من تقصيره فعلته حمرة الخجل ، لما ضاق عن مراده ذرع الروى والمرتجل ، لكن على اغضاء ذلك المقام المعتمد ؛ فهو الذي بعد منه - في الفضل - الامل . والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام » .

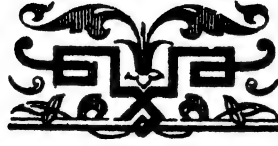
« الى هنا انتهى ما ألفى من المبيضات التي كتب (ت) بها عن السلطان ابي الحجاج رحمه الله ، ما عدا الثابت في السفر المسمى بالسلطانيات » (2) .

حقيقه : الدكتور محمد كمال شبانه

جامعة القاهرة في 15 مايو 1968 م

* * *

- 1 (يستفاد من هذه الاشارة ان الرسائل السلطانية كانت تكتب باللون الاحمر ، وغالبا ما كان المداد لذلك من الزعفران والورس .
- 2 (يظن على الظن انها عبارة الناسخ .



الثامن بلمس من عدالة السلطان وحكمته ان يستجيب الى هذه الرغبة . وانه اذ يفعل ذلك سيتمكن شعب الدانمارك من الوقوف على قدم المساواة مع بقية الشعوب في هذه المسألة .

لم تصرح الرسالة بأن الامر يتعلق بظلم تحملته الدانمارك عند توقيع معاهدة 1767 ، انما ورد فيها ان المعاهدة كانت مفيدة فيما مضى . وذلك هو الواقع فان القرصنة كانت شيئا معمولاً به يومذاك . وذات الوضعية التي كانت لها في المتوسط مثلا كانت لها في البحار الشمالية الاسكندنافية . وبالنظر الى منطق ما قبل تسبع البلدان بالاعراف البحرية يعتبر دفع الاموال الى سلطان المغرب - مقابل الحماية - حلا لا بأس به . كذلك يبدو . من اعتذار القنصل بضعف الدانمارك اثر انفصال الترويج عنه ، انه لم يطلب رفع الاتاوه كحل وحيد .. وهو لذلك ترك الباب مفتوحا لما قد يظهر من حلول أخرى .

اما ملتمس القنصل الفرنسي (نيون) فكان اميل الى اللهجة الشديدة : « ان عصرنا مشرق بحكمة السلم . وجميع الدول تجاهد لتوطيد علاقاتها الودية على اساس القانون والعدالة الدوليين . وبالنظر الى هذه الروح يبدو من الصعب على الامة الدانماركية اداء النفود الى المغرب ... » وهي لهجة تفهم سرها على ضوء احلال الفرنسيين للجزائر وما تلاه من حوادث على الحدود ... هذا مع العلم بأن الحكومة الفرنسية اوصت فنصلها « بالآلا يعمل على ان تكون فرنسا طرفا في النزاع » . اما ملتمس القنصل البريطاني فاكثر اعتدالا ..

في 21 ابريل تلقى كريستنسن - بواسطة محمد ابن ادريس - جواب المولى عبد الرحمن . وهو جواب سلبي كان مثار دهشة . وقد علق عليه محمد بن ادريس بأن السلطان . اذا كان لا يريد الغاء اتفاقية 1767 . فان السبب هو انها اساس العلاقة السلمية التقليدية بين البلدين : ان الغاء المدفوعات لا يعني سوى الغاء تلك العلاقة ... ! وليس من المعقول ان نلتمس علاقة أخرى غير الود .

اضحى جواب السلطان متار نشاط المثلث الدبلوماسية . وكالعادة قال القنصل الفرنسي للسيد ابن ادريس . ان بلاده « لن تتهاون في مبادئ العدالة وقواعد القانون الدولي . واسمحوا لي - يقول للوزير - ان امل بأن يكون نفس الشيء بالنسبة الى المغرب » وعقب القنصل البريطاني بأنه تلقى تمنيات حكومته

بقيام تفاهم بين الطرفين . أما الدانمارك فلم يؤسه جواب السلطان ، بل عاد يشرح القضية ويبرز مختلف جوانبها ذاكرا انه في الوقت الذي ابرمت فيه المعاهدة كان الاسطول الدانماركي يشمل 600 قطعة ، بينما الان لا يعدو الستين .

مهما كانت الدبلوماسية التي اختطها السلطان في هذه المسألة ، فلا شك انه لم يكن يرحب اطلاقا بوجود الفرنسيين ضمن القائمين بالمساعي . لذا نجد السيد ابن ادريس يكتب الى القنصل الفرنسي بالآلا يعمل « على خرق معاهدة تمه طرفين .. وتؤسس العلاقة الموجودة بينهما » . والجدير بالذكر ان الدبلوماسية السويدية باسم الملك (اوسكار الاول) تأخرت عن تقديم طلبها المباشر طيلة اربعة اشهر . ولم يختلف جواب المغرب عن ذي قبل .

جبل طارق : اما بريطانيا التي قبلت مبدا رسو هذه السفينة في المنطقة ، فقد اوصت ، حاكم الجبل وقنصلها في طنجة بالتزام الحياد . وبعد ذلك بقليل جاءت ثلاث سفن حربية سويدية . وبدا ان القضية تأخذ انجاسا حرجا .

لم يلبث ممثلا البلدان الاسكندنافية ان ابلغا السيد ابن ادريس بأن حكومتهما لم تعودا على استعداد لاداء المقادير المتفق عليها في المستقبل . ولكنهما تودان من جلالة السلطان ابرام اتفاق جديد او تجديد الاتفاق السابق (1767) مع الغاء ما تضمنه من اداءات مالية . وزاد ان الحكومتين غير مستعدين لاداء ما بقي عليهما من السنوات الماضية . وعلى عكس ذلك هما على استعداد لاداء المقادير التي تؤديها الدول الاخرى ... التي لها مع المغرب اتفاقات في الموضوع (العبور البحري)

جانب التصلب في هذا الموقف هو ان القنصلين اثارا ، ولاول مرة ، مسألة الديون التي ترتبت في ذمة السويد والدانمارك عن ثلاث سنوات مضت . ويظهر ان المولى عبد الرحمن كان يتمسك بعدم التساهل في مضمون اتفاقية 1767 ضمانا لبقاء « بعض » فوائدها او على الاقل ضمانا للديون التي ترتبت عنها . خصوصا وهو يرى الموقف يتخرج من اكثر من جانب ، وخاصة من ناحية فرنسا . وقد عبر كريستنسن عن ذلك فيما كتبه الي ارنهوف من انه « اذا لم تنجح مساعيها واضطرتنا الى الاختيار بين الاداء وبين الحرب فاننا سنجد في وضعية الحرب تجاه بعض الدول خير ما يساعدنا على النجاح ! » ، ان قنصل الدانمارك لا يشير بذلك الى فرنسا فحسب - وقد كانت بواخرها تقبل

بالنفوذ الفرنسي والبريطاني باعتبار وجودهما في كل من الجزائر وجبل طارق .

أما شارل الرابع عشر ، ملك السويد والنرويج ، فرأى أن المشروع يكون أكثر توفيقا إذا بئنه مجموع الدول الخمس الكبرى يومذاك (فرنسا ، إنجلترا ، بروسيا ، النمسا ، روسيا) . وقد تبين من المساعي والاتصالات أن الدول الأحيرة الثلاث تعطف على القضية ، غير أنه يكون عمليا أن توضع القضية في طوق الفرنسيين والانجليز . وكان من رأي (ميتريخ) أن تبني إنجلترا المسألة بنصيب أوفر ، نظرا للحالة التي توجد عليها العلاقات الفرنسية المغربية الناجمة عن احتلال الجزائر وما تلاه من حوادث في المنطقة الشرقية ... هكذا قام قنصل الدانمارك في طنجة (كارستنسن) وقنصل السويد (أرنهوف) بالمبادرة الأولى ، يعززهما تدخل القنصل الانجليزي (دراموندهاي - وبعده ابنه جون هاي) وسفير بريطانيا في مدريد (بولوير) وحاكم جبل طارق . بينما كانت مساعي الفرنسيين على يد القنصل (فرنسوا دونيون) . وكان وسيط المخزن في هذا الحوار هو الباشا (بوسلهام بن علي) نائب السلطان في طنجة ، والسيد محمد بن إدريس الذي كان يقوم بما يسمى اليوم وزارة خارجية ، كما شارك في المحادثات ، على نحو أقل اتساعا ، ناظر مغربي هو مصطفى الدكالي ، الذي كان - بحكم أسفاره - مطلعا على أحوال فرنسا وبريطانيا .

غداة وصول كريستنسن إلى طنجة . التحق بالسيد بوسلهام في العرائش . وقدم له ثلاث رسائل باسم البلدان الاسكندنافية وفرنسا وبريطانيا . وقد جاء في الرسالة الأولى ، أن القنصل يلتمس - وقد اعتمده ملك الدانمارك - من سلطان المغرب الفداء المدفوعات التي تضمنتها معاهدة 1767 ، لأن التعهد الذي وقع بشأنها لم يعد مطابقا لمنافع جميع الأطراف فإذا كان قد أتى وقت رضي فيه الدانمارك بالتحمل بتلك المدفوعات فإن ظروفه آنذاك لم توجب تعامضا في المصالح أو اضرارا بأحد الطرفين . أما الآن (سنة 1844) فإن الأمور تغيرت ولم يعد يستفيد من تلك المعاهدة إلا المغرب . أن ظروف الملاحه قد تغيرت . والفوائد التي كان ينتظر الدانمارك اجتناءها - سواء من حيث الإبحار أو التجارة - لم تعد متوفرة . وزادت الرسالة في تعليقاتها أن مملكة الدانمارك فقدت نصف أراضيها باستقلال النرويج ، وهذا مما يزيد في عجزها عن أداء تلك المقادير . وأن كريستيان

بأداء مقادير مالية أو سلعية إلى المغرب . ذلك أن البندقية كانت بدورها تؤدي مقدار 1 800 بياستر . وهامبورج 5 000 بياستر ، وبريم 2 000 بياستر .

لقد قيل أن هذه المقادير كانت تتوجب من غير مقابل . والحق أن هذا مجال نظر ، ذلك أن سبب أدائها - وهو وضعية البحار - ظلت حتى ذلك الوقت مسألة سياسية أكثر منها قانونية . أجل ، ظلت مسألة ترتبط بالمصالح الخاصة لكل دولة ، وتحل على أساس المؤتمرات . وقد ظل المغرب في غيبة عنها لا يحكم التحرج الذي عرفته بعض ادواره الدبلوماسية فحسب ، بل أيضا لأن الدبلوماسية الأوربية لم تكن قد تخلصت من طابعها المسيحي . فلا غرابة أن يأخذ سلاطين المغرب في معالجة هذه القضية بالطريقة التقليدية وبالتششب بالاتفاقيات والأوضاع القديمة . مهما تعارضت مع النظريات التي استجدها أصحاب المصلحة فيها . ومن جهة أخرى فإن هذا الواقع كانت له مزاياه وفوائده بالنسبة إلى من اتفقوا عليه مع سلاطين المغرب ، إذ عمل على تسهيل الملاحه وتأمينها ، لا في شواطئ المغرب فحسب ، بل كذلك عبر الشواطئ التي كان لأصحابها علاقة حسنة بالمغرب ، ونعني الأتراك في باقي الشمال الأفريقي .

حوالي منتصف القرن التاسع عشر أخذ بعض هاتيك الدول في الاعتراض ضد أداء المدفوعات المذكورة ، وذلك بتأثير النظريات القانونية في حربة البحار واحتجاج التجار وشركات الملاحه ؛ لقد قيل أن الأمر يتعلق بتكليف لا مبرر له على التجارة . وقيل أن الأمر يتعلق بخرق قواعد القانون الدولي ، كما تدعت تلك الدول بمبدأ المساواة في وجوب معاملتها نفس معاملة الدول التي لا تدفع شيئا .

والواقع أن حلول فرنسا في الجزائر (1830 م) كان ذا أثر حاسم بالنسبة إلى مسألة المدفوعات هذه . لقد بدل هذا الحدث من أفكار الأوربيين عن أحوال المغرب . ووجدوا أنهم يبالغون في تقدير قوته . وأذن فليصرفوا على أنهم لن يدفعوا شيئا بعد اليوم !

خلال عام 1843 قرر ملك الدانمارك كريستيان الثامن ، دعوة المخزن إلى التفاوض حول مسألة المدفوعات الواردة في اتفاقية 1776 . وحتى يتسع نطاق هذا المشروع أوصاه مستشاروه أن ينجز مساعيه باشتراك مع ملك السويد والنرويج . بل ذهب كريستيان أبعد من ذلك حين أراد أن يستعين

نكبة فلسطين

في الشعر المفري الحديث للأستاذ حسن الوركي

(3)

ويكون ، ويستنهضون النفوس والهمم ويدعون الى
لم الشعب ، وجمع الكلمة للاجهاز على العدو المغتصب ؛
وهكذا امتلات صحفنا ومجلاتنا بزد ضخم و « دسم »
من الانتاج الشعري ، اذا لاحظ الناقد المتذوق على
بعض عدم توفره على النضج الفني والوشاح الجذاب
فانه لن يجد سبيلا الى ان ينفي عنه صدق العاطفة
ونبل الشعور .

هذا شاعر الوطنية الرائد علال الفاسي يهتف
بان الهزيمة يجب الا تفت في عضدنا طالما ان ايماننا
بحقنا قوي ، وعميق :

لا النكبة العظمى ولا ماجرت
بمبيدة امل الحياة الحرة

عهد علينا ان نصون كياننا
ونرد عنا عار تلك النكبة

ولئن بدا العادون في حلفائهم
اقوى فاقوى من عراهم همتي

لا خير ان سلخوا بلادى حلبة
ما دام ايماني بها وبأمتي

وهو في بيت من قصيدته يعجب من وعد بلفور :
ما وعد بلفور بمعط عصبة

مجلوبة حقها لم يشبت

لقد تمكنت الصهيونية الفاسبة ، الحاقدة من
تحقيق حلمها ؛ غير ان اطماعها لم تقف عند حد ، فهي
ما فتئت « تتغنى » بحلمها الكبير ولا « تذخر » من
خستها ودناءتها ما يسهم في تحقيقه ؛ وليس هذا الحلم
الكبير للصهيونية غير اقامة وطن اليهود
القومي على رقعة الارض التي تمتد من ضفاف النيل
وتنتهي عند مياه الفرات ، ولا يستحي متزعمو
الصهيونية من التصريح بأن « حدود اسرائيل ليست
طبيعية ويجب تعديلها (1) » ...

انتهت مأساة فلسطين سنة 1948 بعقد هدنة
بين حكومات البلاد العربية التي تجاور ارض الوطن
السليب وبين اليهود في غضون سنة 1949 . ومع
ذلك لم تنقطع على توالي السنوات اعمالهم الفادرة ،
العدوانية ضد الاراضي والسكان العرب المجاورين .
وكان آخر اعمالها الاجرامية ، الهمجية ضد الوطن
العربي من اجل توسيع حدود اسرائيل او استعادة
ارض « اسرائيل التي يحتلها العرب » كما يزعمون ،
ذلك العدوان الفادر الذي شنته عصابة الشر والاثم
بالتعاون مع الامبريالية الغربية على الدول العربية
صبيحة يوم 5 يونيو الماضي ، « ولست استهدف ،
اللحظة ، الافاضة في الحديث عن هذا العدوان وعمما
خلف من آثار ، فكلنا عشنا المأساة بكل دفقة
من دمنا ، بكل رعشة من وجداننا ، بكل نبضة من
وجيب قلوبنا ، وانما اريد ان اقول : اثار هذه المأساة
مشاعر شعرائنا وايقظت وجداناتهم ، فوقفوا يندبون

(1) انظر ، محمد فيصل عبد المنعم « فلسطين قلب العروبة » سلسلة .. « اقرا » رقم 295 - دار
المعارف بمصر .

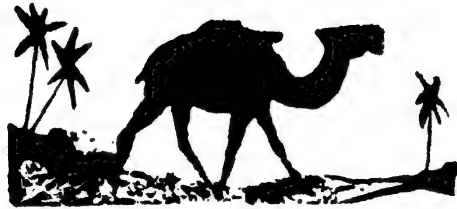
بعض شواطئ المغرب - بل كذلك الى توتر العلاقات مع اسبانيا اثر مقتل قنصلها في الجزيرة .

ثم تحركت الدبلوماسية الانجليزية ، بأن تدخل (بولوير) سفير بريطانيا في مدريد . فقد انتقل الى جبل طارق فطنجة حيث اقام اتصالا مباشرا مع السيد بوسلهام ومصطفى الدكالي ذاكرا ان الحل الذي عرضه القنصلان عملي . . ملوفا الى ان السويد والدانمارك صاحبا قوة بحرية لا يسهل الاحتكاك بها . ولا شك ان السيد بوسلهام قد ادرك ان الانجليز ليسوا اقل تورطا في التلويح بالعنف ، خصوصا وانهم « استضافوا » البواخر الاسكندنافية في قاعدتهم بجبل طارق . ثم ازداد نشاط الاسكندنافيين ، والانجليز عندما راوا الازمة المغربية الفرنسية في طريقها الى الحل دون ان يستفيدوا منها شيئا ذا بال ، فاتصل القنصل الدانمركي والسويدي بقنصل فرنسا في طنجة وافتا

نظره الى ان يأخذ قضيتهما بعين الاعتبار . كما ان وزير خارجية السويد تحدث الى السفير الفرنسي في ستوكهولم في موضوع « الحكومة الفرنسية التي بحكم مركزها تستطيع ان تتحدث لفائدة المسيحية » . وهو يقصد بذلك مفاوضاتها مع المغرب فيما كان له فرنسا من مشاكل .

والواقع ان فرنسا حاولت ان تجعل هذه القضية ضمن ما ستفاوض فيه مع المغرب . لكن دراموندهاي - قنصل بريطانيا في طنجة - طلع بمشروع الاتفاق الذي ستحل المشكلة على اساسه . ومضمونه ان يؤدي الاسكندنافيون ما ترتب بدمتهم عن السنوات الفارطة مع اموال اخرى في شكل هدايا . ونقل السيد ابن ادريس ذلك الى السلطان ، فوافق عليه . ووقع اتفاق بذلك في خامس ابريل عام 1845 .

فاس : عبد الحق حموش



أو سألت الفذر عن منبعمه

قال : اصداري عنهم وورودي !

ويختم قصيدته مهيبا بالعرب الى وحدة الصف،
فوجدتهم قوة جبارة تحقق كل قوة :

وحدوا الصف ففني وحدتكم

قوة تصهر دنيا من حديد

ان يكن يوما علينا فلنا

غدنا الحافل بالنصر المجيد (1)

وهذا الشاعر عبد القادر السحيمي يحدثنا في
قصيدة له عن « اورفيوس » الحزين الذي لم يعد
يفني أناشيد الحب والتحنان بافتنان ؛ لان الاطفال
الايثام في فلسطين يحرقون بقتال النابالم :

ما عاد اورفيوس يفني باقتنان

ما عاد احبائي ، كما كان

في سالف الازمان :

أناشيد الحب والتحنان

كانت اجمل من ان تنسى كالاخلام

كانت تجتذب الولدان

والطيور المفردة في الوديان

لكنه ما عاد احبائي ، كما كان

اورفيوس يفني بافتنان

لان الاطفال الايثام

يحرقون اليوم بالنابالم

في فلسطين ، يا للاثام !

ثم ينهي السحيمي قصيدته :

فيوما والى الأباد

سنمحي احلام ارض الميعاد

ولو طال ليالي شهبازد

ويثيه يهودا في الفيافي والانجاد

عمل المذلة ، وثوب الحداد

سنضرمها حرب جهاد

لا تبقي ولا تذر غير الرماد

بالنيران والاحقاد

وزمجرة الاساد

ويوما غريب الأجال

سيعلم الغدره

سيعلم الاندال

والاعور « ديان »

اي مصير ، وآية احزان

واي الرجال الشجعان

يثأرون للشرف المهان (2)

وهذا الشاعر عبد الرحمن الدكالي يتحدث عن
الخلاف بين الحكومات العربية والاسلامية وبين
نتائج الخطيرة :

داء الخلف واي داء مثله

قد هدنا بقطيعة وبمعاد

هاذي النتائج ما نرى في مصر ، في

ارض الشام واردن الامجاد

القدس بيت الله ، اول قبلة

قد دنست بعصابة الاوغاد

تلك المحارب والمنابر ضمخت

بدماء من رغبوا في الاستشهاد

ثم يبين للمسلمين في شرق وغرب ان دين محمد

ابن عبد الله صلوات الله عليه يدعوهم للجهاد في سبيل

نصرته :

يا امة الاسلام في شرق البـ

بلاد وغربها يا امة الاساد

دين الرسول « محمد » يدعوكم

لتسارعوا للبلد ، للانجاد

هبوا لنصرة دينكم فعدوكم

اضحى لهذا الدين بالمرصاد

ثم يقول :

قولوا لصهيون اللعينة اننا

سنكون بعد غد على ميعاد

ان تتركوا صهيون فوق ترابكم

فلتلبس الذل ثوب حداد

الروضة الفيحاء حيث « محمد »

والبيت في البلد الحرام ينادي

من لم يقل : ليك اني مسلم

للروض ، للبيت العتيق جهادي

(1) جريدة « العلم » ع 6268 - 21 يوليو 1967 .

(2) جريدة « العلم » ع 6268 - 21 يوليو 1967 .

ثم يتساءل في سخرية :

هل كان يملك أرضنا بلفور حتى

يستبيح مقايضات الصفقة ! ؟

ويبين ، بعد هذا ، انه لا يؤمن بهذا الوعد ولكنه يؤمن بوعد الله - جل شأنه - لبني اسرائيل باللعنة ، والله لا يخلف وعده :

آمنت بالوعد الالهى انه

اعطت لاسرائيل وعد اللعنة

وفي ختام قصيدته يوجه الخطاب لابناء الاسلام والعروبة ، يبصرهم بأن لا حياة تلذ لهم وتطيب ما دامت مقدساتهم ترسف في قيود المذلة ، ثم يدعوهم الى الجهاد زيادا عن المسجد الاقصى ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم والقبلة الاولى :

ايه بني الاسلام في ارجائه

وبني العروبة والنفوس البررة

هاذي فلسطين تنادي نصركم
والقدس تشدكم عهد العلة

والمسجد الاقصى ومسرى احمد

والقبلة الاولى وصنو الكعبة

بيد الصهاينة الذين تحالفوا

ان يرجعوه لهيكل الوثنية

ومساجد الجبهات من ابطالنا

اضحت مواطىء نعلهم - يا حسرتي!

انى تطيب حياتكم في قومكم

والقدس ترسف في قيود الذلة

لا تذهلكم الوقعة انها

مثل الخيال او السراب بقيعة

قوموا انسفوا ديان في آماله

ولتنصروا الديان رب العزة (1)

وهذا الشاعر محمد المهدي العلوي يدعو المسلمين والعرب الى الجهاد ويستحثهم على التضحية :

الخي انتفض للثار واحم المجدا

واملء حى الوادي زئيرا مرعدا

الخي انتفض ليثا فعار ان يدا

س المسجد الاقصى باقدام العدا

ثم يقول :

او ما فلسطين كثفرة نحرنا

تبت يدا من راثها تبت يدا

فرض علينا مسلمين ويعربا

ان ترتوي بدمائنا او تفتدى

هل من سبيل للشهادة مثخنا

في ظلها ولائها متوسدا

تحلو المنية في ثراها كوثرنا

للمومنين كما اطمأنوا سجدا

طوبى لهم تلك المضاجع ازلفت

في عيين مجاورين محمدا (2)

اما شاعرنا محمد الحلوي فقد وقف يدعو الى

المقاومة وخوض الحرب بثبات وصمود وعدم الاستسلام للدمع والجزع :

كفكف الدمع ولا تجزع لما حل

وخضها بثبات وصمود

جولة كانت وما اكثر جولاتك

يا نائر في هذا الوجود

ثم يمضي موضحا ان الامة العربية لا تستسلم

ولا تدعن للخنوع ، ولا تخشى اليهود الجبناء ، وكيف يعقل ان تخشى الاسود اذوبا وقرودا !! ؟ !

هل درت صهيون انا عرب

لا يخافون نفايات اليهود ؟

كيف تخشى الاسد في آجامها

صولة الاذوب او زحف القرود ؟

هل نسوا ماضيها فاستاسدوا

ام نسوا ماضيهم تحت القيود ؟

ثم يكشف عن لؤم اليهود وغدرهم ، فيقول :

لو تجلى اللؤم في صورته

لتروه لم يكن غير يهودي ؟

(1) جريدة « العلم » ع 6303 - 25 غشت 1967 .

(2) جريدة « العلم » ع 6289 - 11 غشت 1967 .

دولة الاشرار ، ولعل في طبيعة تلك الاسباب الاستعمار الذي كان يكتنم انفاسنا ويحاول ، مجدا ان يقطع اواصر الاخوة والدم التي تربطنا باخواننا في الشرق ، ومن ثم كان الزاد الشعري الذي اوحت به الفحول الاولى من مأساة فلسطين ضئيلا لا تعثر عليه الا بشدة الانفس ، مدفونا في طيات صحف ومجلات كانت تصدر عهدئذ .

ب - اما الزاد الشعري الذي قدمه شعراؤنا بعد نكسة 5 يونيه الماضي فقد بلغ من التضخم درجة عظيمة ، يدلك عليها ان الشعر استعمل حتى في الدعاوة لمقاطعة اليهود .

ج - وتضخم الكم يجرنا الى البحث عن قيمة الكيف ، وفي رأيي اننا لا نكون مغالين اذا قلنا : ان جل ما اذاعه شعراؤنا عن المأساة كانت تطفئ عليه السمة المنبرية ويذهب بشغف اللبس الذاتي او عمق الصخب النفسي من ثناياه شيء غير قليل من « الفن » العنثري وتقريرية الموروث الحماسي و « الهتافية » الخطابية ، ولم ينجم من الوقوع في ذلك الا نماذج قليلة جدا ، جدا ، لا يخطئها العد ، تعمقت المأساة ، وعكستها بصور حية ترفدها فحولة شعرية ، تحملنا على الاعجاب بها ؛ غير ان هذا الرأي ليس من شأنه ان يذهب بنا بعيدا فننكر على الشعر الذي قاله شعراؤنا في النكبة صدق العاطفة التي املته ونبل الشعور الذي صاغه .

د - وانصافا للحق يجب ان نقول بان موقف الشعر المغربي من نكبة فلسطين لم يكن موقفا سلبيا ، بمعنى ان ما قيل من شعر لم يكن ديمعة وحرقة وآهة تؤلف فيما بينها رثاء جزينا لهذا الوطن المنكوب ؛ بل كان موقفا ايجابيا ، بمعنى ان ما قيل من شعر كان ثورة على الاستعمار الذي مكن لخليط من سقاطة الشعوب في ارض فلسطين ، وكان دعوة الى المقاومة ونداء بالوقوف في وجه السرطان الصهيوني وتذكيرا للشعب الفلسطيني خاصة والعربي عامة بمجاده في ماض غابر ، وبطولاته في عهد سالف .

- 10 -

واننا نبارك هذه الروح في شعرائنا ، ونكبر فيهم هذا التعاطف الاخوي مع اشقائنا عرب فلسطين ، وندعوهم الى مواصلة الحديث عن النكبة وتصوير ابعادها وآفاقها بفن رفيع ، ليس يثير في النفس العربية خورا وضعفا واستكانة بل يفجر فيها شلالات جارفة من قوة وعزم واصرار على استرجاع الوطن السليب ، وليس ببعيد - بحول الله - ذلك اليوم الذي يتحد فيه الصف وتخلص النية فننقض على الاشرار البغاة ، ونظهر ارضنا من دناءتهم وخستهم .

تطوان : حسن الوراكلي



فبراءة الاسلام منه براءة

تبقى على الاحقاب والاباد (1)

ونتهي هذا العرض بالانصات الى شاعرنا الطبال
وهو يعني لنا « يافا » غناء مؤثرا ، يبلغ من نفوسنا
اعز مبلغ :

يافا ، جزيرة كل احلامي ، شرع الشوق يحجر
في عيوني ، في دمي شلال انغمي ، وصورة كل اطيافي ،
وصوت الحب يدوي في فمي .

ويمضي الشاعر معترفا بأنه ان هجر ربيع العمر ،
فلأنه حزين ، ولقد فاض هذا الحزن في عينيه دمعا ،
وغار في صوته جرحا ، وهو حزين ، فلا يفتر ثغره عن
ضحك ، ولا تسيل حنجرته بشدو ؛ وانما هو كذلك
لان شذاذ الطريق تاسدوا وهم البفات ، واكتسحوا
ارضه :

من كل فح كالجراد المسخ . جاءوا كالظلام الى بلاد الانجم
فغزوه ، قرصان السلام ، زعافف التاريخ ، سود المعصم
ثم يرسم الشاعر لوحة لوحشية قرصان السلام ،
وهمجيتهم يوم دخلوا « يافا » ف :

مسخوا الدروب المؤنات فجلبلت فيها حوافر
كل مخ اقزم
رفعوا المشائق في الطريق لكل من رفعوا البنود
وصاولوا كل اجدم

نسفوا بيوت الله ، يا ويح الدين تدينوا ابدا
بدين الدرهم

لا نفحة الانساب ، لا خلق النبوة في سوائهم ولا
في الاهيم

حرقوا المزارع والكروم وما ارتنوا فالحقد لا
يروى بغير الماتم

فاستنسروا في كل دار يذبحون ويعبثون بكل
قدس المحرم .

... وهكذا باتت « يافا » الهادئة ، الجميلة ،
مانما ومناحة ، واذا باهلها يتشردون ،، يهيمون على
وجوههم مرغمين ، تفرق اقدامهم المتبعة في الرمال ،
وتتعلق انظارهم ، بلهاء ، بالافاق البعيدة ، فلا ديارهم

تتقرب الليل ليعودوا اليها ، ولا الشط الجميل
يدعوهم الى بساطه الاخضر ، و :

لا الفجر ينتظر المآذن أن تهلل فالمآذن دراسات
المعالم

لا الدرب في يافا يحن الى الصباح فأين اطفال
الصباح الابكم ؟

اين الصباح الحلو ، اين قياثر الاشواق تحكي
خاطرات البرعم ؟

داستهم الاقدام ، تاهوا في القفار يرددون : الى
متى في الميتم ؟ .

ثم يصور الشاعر عزم المشردين على العودة ،
واصرارهم على الاوبة ولو تطايرت اشلاؤهم وانثرت
شطايا :

يافا الحزينة اننا في النار نمشي لن نعود الى
خيام النوم

نمشي اليك ، الى الديار ولو شطايا . ان صوتك
فوق صوت المرجم

فلتنشر اشلاؤنا ولتلتهب آفاقنا نارا كنار جهنم
لكننا نوقف الزحف الكبير فاننا قبر التتار
الظلم (2) .

- 9 -

لعلنا استطعنا ان نلمس من خلال هذا الغرض
الشعري اثر نكبة فلسطين في شعرنا المغربي الحديث ،
وكيف انه واكب مراحل هذه النكبة القاتمة منذ بدايتها ،
راصدا تطوراتها ، وعاكسا آثارها ، ومبيننا خطورتها ،
ومحذرا من عواقبها ، وموقظا للنفوس الهاجعة ،
وداعيا الى توحيد الصف ، وجمع الشمل لطرد اليهود
السفلة من الارض الحبيبة .

على اننا نود قبل ان نختم هذا الحديث ان نشير
الى ملاحظات :

1 - لاسباب عدة لم يكن اثر النكبة انفلسطينية
قويا وواضحا في شعرنا انطلاقا من وعد بلفور الى قيام

- (1) دعوة الحق ، ع 8 - السنة العاشرة - ربيع الاول 1387 هـ - 1967 م .
- (2) دعوة الحق ، ع 8 - السنة العاشرة - ربيع الاول 1387 هـ - 1967 م .

صب اطلال هواه
على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه
ولا يرد سلامه
ان لم تنيلي اريحتي
فاليأس يشني زمامه
فاجابته حفصة منتقدة اياه :
يا مديحي في الهوى الحـ
من والغرام الامامة
اتى قريضك لكن
لم ارض منه نظامه
ضللت كل ظلال
ولم تفدك الزعامه
ما زلت تصحب قد كنـ
ت في السباق السلامة
حتى عثرت واخجلـ
ت بافتضاح السامه
بالله في كل وقت
ييدي السحاب انسجامه
والزهر في كل حين
يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذري
كففت تحرب الملامه

ثم ارسلت هذه الايات مع رسول ابي جعفر بن
سعيد بعد ان سبته هو وصاحبه ، ولما وصل الى ابي
جعفر سأل ما وراءك يا عصام ، فقال له ما يدل على
عدم موافقة الشاعر على الاجتماع معه ، وبعد ذلك
سلم له الايات ، وعرف من خلالها انها ستاتي اليه
عكس ما قاله رسوله ، وان الموعد سيكون بجنته
المسماة « بالكمامة » .

وما ان مرت فترة ليست بالقصيرة حتى وصلت
حفصة الى « الكمامة » فهم بتوبيخها ولكنها انشدته
بصوت رخيم حلو :

دعى عد الذنوب اذا التقينا
تعالني لا نعد ولا تعدي

وفيما هما فيه من حديث يجري في رفق تتخلله
كلمات الحب ، وعبارات الهيام اذ برقعة يرسلها لابي
جعفر الشاعر الكتندي مكتوب فيها :

ابا جعفر يا ابن الكرام الاماجد
خلوت بمن تهوى رغما لحاسد
فهل لك في خل قنوع مهذب
كتوم عليم باختفاء المراسد

بيت اذا يخلو المحب بحبه
ممتع لذات بخمس ولانسد

وقرا ابو جعفر الايات على حبيبته حفصة فلم
تملك الا ان قالت :

– لعنه الله قد سمعنا بالوارش (1) على الطعام
والواغل (2) على الشراب ولم نسمع اسما لمن يعلم
باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما .

ثم قال لها ابو جعفر والابتسامه تتلألا على محياه:
بالله عليك سميه لنكتب له بذلك .

فقالت :

– انني اسميه الحائل لانه يريد ان يحول بيني
وبينك .

وبعد برهة كتب على ظهر الرقعة اياتا اولها :

يا من اذا ما اتاني
جعلته نصب عيني
تراك ترض جلوسا
بين الحبيب وبينني

وكتب ايضا :

سماك من اهواه حائل
ان كنت بعد العتب واصل
مع ان لونك مزعج
لو كنت تحبس بالسلاسل

واسرع الرسول قاصدا الكتندي ليبلغه الايات،
ولكنه وجده قد وقع في حفرة نجسة ، وعندما قراها
طلب من الرسول ان يخبرهما خبره ، ولما علم
الحبيبان ما حدث استولت عليهما نوبة من الضحك
فكتب كل واحد منهما بيتا على سبيل التناوب
يسخران منه اشد السخرية .

- (1) الوارش من مادة ورش على القوم دخل عليهم وهم يأكلون من غير ان يستدعي .
- (2) الواغل من مادة وغل على القوم ، دخل عليهم . فشرب معهم من غير ان يستدعي .

أدب النسيوي

في الإندلس

لأستاذ محمد المنتصر اليسوي

(14)

الذي دفع أبا جعفر وهو في حالة نفسية من الفيرة
القائلة الى ان يطن فيه ويحترقه بلونه الاسود ، في
حين ان عبد المؤمن كان ابيض ذا جسم عمم تعلوه حمرة
شديد سواد الشعر وضيء الوجه ، كما يقول
المراكشي (4) .

ولا جرم وحفصة دوما في اتصال مباشر او غير
مباشر مع صاحبها أبي جعفر ان تتمخض اعمالها
الشعرية عن لقاءاتهما العذبة ، وظروف الحياة التي
كانت تجمع بينهما احيانا .

فها هو أبو جعفر يطلب منها ان تجود عليه باجتماع
معه فسوفته شهرين ، وعند ذاك ارسل اليها اياتا
يبثها فيها لواعجه وحرقاته يقول :

يا من اجانب ذكر اسـ

مه وجبي علامه

ما ان اري الوعد يقضى
والعمر اخشى انصرامه

اليوم ارجوك لا ان

يكون لي في القيامه

لو قد بصرت بحالسي

والليل ارحى ظلامه

انوح شوقا ووجدا

اذ تستريح الحمامه

وكما كان لولادة في عصرها شاعر اكتوى بنار
حبها ، كان لحفصة شاعر تعلق بها، وساجلها وساجلته،
وان اختلفت ظروف الشاعرتين ، واتفقت في بعض منها

اما صاحبها فهو الشاعر أبو جعفر احمد الذي
كان وزيرا لعثمان بن عبد المؤمن امير غرناطة ، احب
شاعرتنا حفصة ، وبادلته هي بعض هذا الحب ، ولكن
هذه المرة لم يكن المنافس للحب وزيرا كالوزير ابن
عبدوس ، وانما كان امير غرناطة وسيدها عثمان
السالف الذكر .

ولقد ادت هذه المنافسة على الرغم من انها لم
تكن ظاهرة واضحة ولا قوية شديدة الى ان امر الامير
بضرب عنقه ، وذلك انه بلغه قول أبي جعفر لعشيته
حفصة : « ما تحبين في ذلك الاسود ، وانا اقدر ان
اشترى لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه » .

فأسر الامير عثمان هذه القولة الجارحة في نفسه
الى ان حانت الفرصة عندما لحق اخو أبي جعفر عبد
الرحمن بالثائر مردنيش في شرق الاندلس .

وفي معجم الادباء (1) يزعم ياقوت ان الذي
تولع بحفصة ليس هو الامير عثمان وانما هو ابوه عبد
المؤمن امير المؤمنين ؛ بيد ان هذا ليس من الواقع في
شيء ؛ وآية ذلك ان المصادر الاندلسية كالنفح (2)
والمغرب (3) تنسب هذا التعلق لابنه عثمان ؛ الامر

(1) ج 10 ص 220 (2) ج 2 ص - 430 المطبعة الازهرية (3) ج 2 ص 138 و ص 164 بتحقيق
الدكتور شوقي طيف (4) ص 197 بتحقيق الاستاذين : سعيد العريان ومحمد العربي العلمي .

واستجابة لنداء قلبه فانها لم تكن لتهمل امير غرناطة عثمان بن عبد المؤمن ، ولسنا ندري بالضبط نوع علاقتهما بهذا الامير الا انه كان يهواها ، واستمع اليها اذ تكتب الى عثمان تستأذن عليه في يوم عيد :

يا ذا العلا وابسن الخليفة
سفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى
منه بما تهوى القضا
وافاك من تهواه في
طوع الاجابة والرضا

هذه هي حفصة بنت الحاج الركونية شاعرة القرن السادس الهجري في الاندلس ، امتازت برقة اللفظ ، وجودة التعبير تعلن به عن واقع حب عميق الفور ، ولهات ساخن يعكس ظلال المشاعر المعبرة عن البوح الانساني .

وتفيض نفس الشاعرة ، وتختفي من الحياة فنختفي معها الكلمة الموحية المهمة ، وذلك سنة 586 بمدينة مراكش .

خاتمة المطاف :

من هذا التطواف تسنى لنا ان نتبين دور المرأة العربية الاندلسية التي قفزت الى ميدان الحياة بروح يحدوها الجد ، وياخذ بزمامها الاقدام ، فشاركست مشاركة في النشاط الادبي ، مدركة خطورة الوظيفة التي حملت اعباءها على عاتقها ؛ لذلك راحت تعبر عن شعورها الدافئ اصدق تعبير ، وتصور ما في نفسها من الاحاسيس الطيبة والخبيثة معا : الطيبة تنداح فيما ابدعته من لوحات حافلة بهتافات القلوب المحرورة ، والخبيثة في حديثها عن الذات في ظهور انحطاطها عن القيم العليا الوضيئة .

فبانطلاقة الادب النسوي في الاندلس تأكد ان المرأة الاندلسية تمكنت من فرض شخصيتها ككائن له ما بعده يسهم بنهضة في معترك الحياة ، لا توقفه

حواجز ما دامت الغاية ايجاد عمليات الخلق الفني المتצועة بنكهة الانوثة العطرة .

ونجم عن ذلك تفتح اكمات تزف الى الشعر روعته ، وتنقل الانسان الى آفاق رحبة تلتقي في عرصاتها معانة التجربة ، مما جعلنا نتيقن ان المرأة الاندلسية الشاعرة كادت تشارف - او شارفت - ربوة وادي عبقر حيث عرائس الشعر تروح وتغدو لتحرك دافن النبوغ ، ولتطلع شهى الثمر .

ومن يرجع الى تلك الضمانات المفوفة التي قدمناها بين يدي القارئ يجد هذا القول حقا لا مبالغة فيه ، وكما كنت اتحرق شوقا الى العثور على اكبر عدد ممكن من النصوص الشعرية كما تكون لنا شمعة هادية تنير لنا السبيل واداة ربضة ذلولا تكشف لنا عن حقائق لا تزال غامضة علينا ، ولكن بدون جدوى .

ولا مشاحة ان القارئ الكريم قد تتبع حلقات البحث التي استهلتها بمقدمة ابرزت فيها الاسهام النسوي في شتى الاغراض الشعرية ، وانه وان طالت المقدمة بعض الشيء - كما لاحظ الاخوان - فانما يرجع ذلك الى اظهار تفوق المرأة العربية عموما في التماسك الحضاري ، وانه خليقة بأن تخوض المعترك الادبي على نقى ما تزعمه جماعة من الناس .

وبعد هذا حاولنا تقسيم البحث الى العصور السياسية التي شهدتها شبه الجزيرة اليبيرية من عصر الامارة الى عصر الموحدين بله عصر المرابطين ، كما المعنا الى ذلك قبلا . كما حاولنا ادارة الحديث عن كل عصر ومعطياته الثقافية والعلمية لعرض شاعراته المثلثات له .

ولعل القارئ الكريم بعد اطلاعه على هذا البحث - الذي لا ابرئه مما يكون قد اعتوره من قصور - قد وضحت في ذهنه صورة عن الادب النسوي في الاندلس ومعالجه في عصور مختلفة .

تطوان : محمد المنتصر الرسوني

ولم يكن هذا هو اللقاء الاول والاخير لحفصة بحبيبها ابي جعفر ، لا ، فقد تعددت اللقاءات في اماكن مختلفة ، وكثرت المواعد في بساطين متنوعة ، فها هي حفصة تقضي معه سويمات قرنفليات في بستان « جوزمؤمل » وفي ذلك يقول ابو جعفر في مستهل ابيات له بعثها اليها بعد الافتراق :

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم
عشية وارانا بجوزمؤمل
فكتبت هي اليه تقول :

لمرك ما سر الرياض بوصلنا
ولكنه ابدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا
ولا غرد القمرى الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذي انت اهله
فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق ابدى نجومه
لامر سوى كيما تكون لنا رصد

وليلة كان ابو جعفر في مجلس مع ثلة من الاصدقاء يتحدثون احاديث مختلفة اذا بطرقات على الباب فخفت جاريته لتنظر من بالباب فوجدت امرأة فقالت لها :

— ما تريدين ؟

فاجبتها :

— سلم لسيدك هذه الرقعة

ثم سلمت لسيدها الرقعة ، واذا به يجد مكتوبا عليها ابياتا علم من ثناياها انها لحفصة ، وكيف يخفى عليه شعرها وقد احتك به احتكاكا . وعرف نكهته ، وصياغة اسلوبه ، وطريقة تكوينه التعبيري ، واعاد قراءة الابيات بصوت هامس خافت :

زائر قد اتى بجيد الفزال

مطلع تحت جناحه للهلل

بلحاظ من سحر بابل صيفت

ورضاب يفوق بنت الدوالي

يفضح الورد ما حوى منه خد

وكذا الثغر فاضح للالسي

ما ترى في دخوله بعد اذن

او تراه لعارض في انفصال

ولها في حبيبها الذي نزع عنها وهو طي الحشا
رغم البعاد :

سلام يفتح عن زهره الـ
سكمام وينطق ورق الفصون
على نازح قد ثوى في الحشا
وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبو البعد ينسيكم
فذلك والله ما لا يكون

وتقول وقد ذكرها البارق الخفاق بمن تهوى :

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن
اطل بأجابي يذكر وهنا
لعمري لقد اهدى لقلبي خفقة
وامطرني منهل عارضه الجفنا

ودوام الحال — كما يقولون — من الحال ؛ لذلك
تمكر جو الحب بين الحبيبين عندما تنهى الخبر الى
حفصة بان عشيقها ابا جعفر يحب فتاة سوداء ، وانه
قضى معها اياما بظاهر غرناطة ، فقالت ساخرة به
وبمعشوقته الجديدة :

يا اطرف الناس قبل حال
او قمه نحوه القدر
عشقت حناء مثل ليل
بدائع الحسن قد ستر
لا يظهر البشر في دجاها
كلا ولا يبصر الخفسر
بالله قل لي واننت ادرى
بكل من هام في الصور
من الذي هام في جنان
لا نور فيها ولا زهر

وتمر ايام النحس وساعات النكد لتحمل مكانها
اوقات الانبساط والانشراح ، فها هي تبعث اليه قولها:

سار شعري لك عني زائدا
فأعر سمع المعالي شنفه
وكذا الروض اذ لم يستطع
زورة ارسل عنه عرفه
فيجيبها ابو جعفر :
قد اتانا منك شعر مثلما
اطلع الافق لنا انجمه
وفم فاه به قد اقممت
شفتي بالله ان تلثمه

وشاعرتنا حفصة رغم ما كانت تخص صاحبها
ابا جعفر بالعناية ، ويلقى هو بين احضانها دفء الحب،

الفلاحية والحيوانية ، وذكروا من بين غلاتها التفاح والخوخ ، كما انهم ذكروا انها كانت من اكثر المناطق ازدهاما بالسكان .

فلقد اشار البكري الى ان « اجلي » عاصمة سوس توجد بجوار نهر عظيم ، والى ان بهذا الاقليم غلات من جملتها قصب السكر الذي يصدر الى جميع انحاء المغرب ، ويقول ان نهر سوس يخترق شريطا متتابعا من الجنان ، وان السكان لم يريدوا اقامة طواحينهم على جوانب النهر ، وحجتهم في ذلك ان كيف يرغمون ماء حلوا كماء نهر سوس على ادارة الطواحين . وعن كثرة الغلات الموجودة بهذه الناحية يقول بان الانسان يمكنه ان يشتري حملا من التمر بشمن اقل من الثمن الذي يكلف نقله من الحقل الى السوق ، وقصب السكر في هذه الناحية يشكل الانتاج الاكثر وفرة ، اذ يبيع درهم يستطيع الانسان الحصول على كمية يعجز الرجل القوي عن زحزحتها من الارض ، كما يشير الى وجود صناعة السكر بهذه الناحية ، والى ان القنطار كان يباع بمثقالين او اقل من ذلك .

واشار الادريسي بدوره الى ان قصب السكر يوجد بسوس ، وخاصة بناحية تارودانت وفي سبتة وتبتمل ، فقال عن بلاد سوس : « وبلاد سوس قرى كثيرة ، وعمارها متصلة بعضها ببعض ، وبها من الفواكه الجيلة احناس مختلفة ، وانواع كثيرة كالجوز والتين والعنب والمشمش والرمان والخوخ والتفاح وقصب السكر الذي ليس على قرار الارض مثله طولا وعرضا وحلاوة وكثرة ماء ، يعمل ببلاد السوس من السكر المنسوب اليها ما يعم اكثر الارض ، وهو يساوي السكر السليمانى والطبرزد ، بل يشف على جميع انواع السكر في الطيب والصفاء » . وعن جبل درن يقول الادريسي : « ... ان اهل هذا الجبل لا يبيعونه بينهم (اي قصب السكر) ولا يشترونه لكثرتهم » .

كما يشير صاحب الاستبصار الى ان تارودانت وهي قرية كبيرة ، هي اغنى بلاد الله بقصب السكر وان معاصرها اكثر عددا ، ويحمل السكر منها الى باقي بلاد المغرب .

بعد هذه الوقفة على اقليم سوس ، وبعد التعريف به ، يمكننا ان نعين المناطق التي عرفت زراعة قصب السكر فنقسمها الى ثلاث مجموعات :

(1) مجموعة الشمال بما فيها طنجة وسبتة وسلا .

(2) مجموعة الحوز بما فيها شيشاوة والصوربة وحوض نهر القصب ووادي نفيس وزاوية سيدي شيكر .

(3) مجموعة سوس حسب المعنى الذي سبقت الاشارة اليه .

ومن المعلوم ان زراعة قصب السكر هذه لس تكون لها اية فائدة ما دام لم يتم تصنيعها والصناعة تحتاج الى قوة محرك ، فمن اين حصل الفينيون في هذا العصر على القوة المحركة لانجاز هذا العمل الهام ؟

لقد اعتمدوا في ذلك على القوة المائية ، فالمعامل التي اكتشفت آثارها تحتوي كلها على سواقي تجلب فيها المياه من مناطق بعيدة او قريبة . وبهنا هنا نلاحظ ان المغرب قد تخطى مرحلة استخدام القوة البشرية او الحيوانية لادارة هذه المعامل فاعتمد على قوى الطبيعة ، وانجز الصناع من اجل ذلك مشاريع هائلة . ولا يخفى ان بعض معامل السكر كانت في ملك بعض الاشخاص وخاصة اليهود ، وقد كان بناؤها يكلف اموالا طائلة . فقد ورد في احدي الوثائق ان محمد الشيخ بعد ان تم له فتح فاس ، امر بانشاء سبعة معامل للسكر في تارودانت كانت تكلفه كل عام 7 500 مثقال ، وكان يكلفه انتاج السكر الذي كان يصنع في كل منها 15 000 مثقال . اذا اخذنا بعين الاعتبار الاموال الطائلة التي كان يتطلبها بناء معامل السكر ، وكثرة اليد العاملة ، وما ينتج عن ذلك من ازدهار في الصناعة وفي الحركة التجارية ، امكنا ان نقول بان المغرب كان على ابواب تغيير جوهره وجذري في ميدانه الاقتصادي لولا ما وقع في داخل هذه البلاد العزيزة ، وفي خارجها من احداث خطيرة جعلت التاريخ يكون في غير صالحها .

ان المياه التي تحرك عجلات هذه المصانع في حاجة الى ان تجلب من مصادرها ، والى ان ينظم استغلالها حتى تاتي بالنتائج المرجوة سواء في ميدان الري او في ميدان الصناعة . فقصب السكر يحتاج الى ما يقرب من 1 500 مم من الماء ، ونحن نعرف ان ناحية الجنوب لا تتوفر على تساقطات تعادل هذه الكمية فتضمن الانتاج ، ولا نستطيع ان نزع من المناخ قد تغير هذا المغير الكبير ، وان الامطار كانت تضمن الانتاج .

السكر في المغرب القديم

للاستاذ محمد أحمد الرغاي

وابن خلدون وغيرهم ، كلهم اشاروا الى ان هذه الزراعة كانت مزدهرة في المغرب ازدهارا كبيرا ، وتكاد تنعدم هذه الاشارات فيما كتب عن المغرب قبل مجيء الاسلام وكذلك بعد سنة 1615 مما جعلنا نعتقد ان عمر هذا الازدهار ابتدا بالمغرب مع الفتح الاسلامي ، وان قصب السكر جاء به العرب مثلما جاءوا بغيره من الزراعات مثل شجر البرتقال . وهكذا يكون قصب السكر قد عاش في المغرب مدة تعادل ثمانية قرون اي في سنة 895 م الى سنة 1615 م .

اما الاماكن التي عرفت هذه الزراعة بالمغرب فهي جنوب المغرب خاصة . وقد نستغرب اذا اطلعنا على ان هذه الزراعة كانت ايضا بجبل تنمل مهد الموحدين ، وبجوار مدينة سلا وكذلك حول مدينة سبتة .

والقدماء يطلقون على الجنوب المغربي اقليم سوس ، وهم يقصدون بهذه التسمية المنطقة الواقعة بين نهري شيشاوة ووادي درعة ، فهو يضم المنطقة الجبلية الاطلسية المجاورة للبحر ، ووادي سوس ، والاطلس الصغير الى وادي درعة .

وقد كانت هذه المنطقة من اخصب مناطق المغرب ان لم تقل اخصبها على الاطلاق ، فلم يطنب الرحالة المغاربة ، ولا المؤرخون في وصف منطقة ما من المغرب اطنابهم في وصف هذه المنطقة ، فقد عددوا خيراتها

يعرف مغرب اليوم حملة واسعة في ميدان التصنيع خاصة في ميدان الصناعات المعتمدة على المواد الفلاحية ، وفي تليعتها السكر .

وصناعة السكر ليست بدعا في حياة المغرب ، وانما كان لها في الماضي، مثلما قد يكون لها في المستقبل، اثر واضح في اقتصاد بلادنا ، بل وفي سياستها الداخلية وكذلك في علاقاتها مع بعض الدول .

الا ان السكر في المغرب القديم لم يحظ مع كامل الاسف بالدراسات التي يستحقها ، ولم تحفظ لنا كتب التاريخ المغربية الا اشارات مقتضبة عن هذه المادة الحيوية . (1)

ولعل من المفيد ان نستعرض في هذه العجالة بعض جوانب الموضوع فنعرف اين كان يزرع قصب السكر ، واين كان يتم صنعه ، ثم علاقة السكر بسياسة الدولة آنذاك .

لقد عرف المغرب زراعة قصب السكر منذ القديم ، ورافق ذكر هذه الزراعة مختلف اطواره التاريخية منذ الفتح الاسلامي الى انحطاط الدولة السعيدية .

فال مؤرخون الاولون الذين تحدثوا عن المغرب من شكل ابي حنيفة الدينوري ، وابن حوقل ، والبكري ،

(1) نشر الاستاذ (بول بيرتي) بحثا في كتاب سماه معامل السكر المغربية القديمة وشبكته المائبة)

عبد الملك مرسوما بتاريخ 6-7-1577 يقضي بأن تمن السكر هذا لن يكون اقل من السنة الفارطة ، وانه يلزم استعمال موازين معترف بها من طرف الدولة لوزن هذه المادة .

(5) المواد التي كان المغرب يستبدل بها مادة السكر هي مواد لم تكن تمتلكها الا الدولة . فالمغرب كان يتجر مع كل من بريطانيا واطاليا وفرنسا ، فكان الانجليز يزودونه بدلا من السكر بأنواع الثوب الرفيع ، وكان يستخدم منه كساء للقواد والحراس .

فقد جاءت سفن (توماس ويندهام) محملة بالثياب في سنة 1552 م ، وكان الثوب المحبب من قبل الشرفاء هو المسمى (برناطة) اما في ايطاليا فقد كانت تجلب مواد الرفاهية وعلى رأسها الرخام الذي كان يستبدل وزنا بوزن ، واما الفرنسيون فقد كانوا يجلبون انواعا اخرى من الثياب يستغلها الجيش في صنع الخيام .

غير ان الفائدة العظمى التي كان السعديون يجنونها في تجارة السكر هي حصولهم على الاسلحة من الانجليز والفرنسيين الذين كانوا يبيعونها الى المغاربة ضاربين عرض الحائط بالحصار المسيحي المضروب على الدول الاسلامية . فقد كتب احد سفراء البرتغال في انجلترا في سنة 1522 يقول ان الامة الانجليزية والفرنسية حققتا منذ عشرين سنة فوائد هامة من تسليمها للشريف - مخالفيين القوانين الالهية والانسانية - كمية هائلة من الاسلحة .

وفي مذكورة لفرانيسكو جيرا الذي سفير البرتغال في لندن بتاريخ 3-5-1577 ، اشار الى ان شحنة من العدد الحربية قد ارسلت الى الشريف من طرف عملاء انجلترا . وانه ستعرض لهم بالسكر وملح البارود .

(6) جاء في احدى الوثائق ان اليهود المشرفين على سبر مصانع السكر زودوا الملك بمقادير هامة من الاموال في حربه ضد البرتغال .

كل هذا يدل دلالة واضحة على ان الدولة كانت تمسك بيدها زمام الامر فيما يتعلق بزراعة هذه المادة وصناعتها وتجارتها . وان السبب في ذلك راجع بالدرجة الاولى الى القيمة الاقتصادية التي كانت لهذه المادة . فلقد كان ثمن السكر غاليا جدا ، وكان استهلاكه مقصورا على الطبقات الغنية . كما كان يستعمل كوسيلة في وسائل علاج امراض الصدر .

فقد كانت تجارة جد مربحة ، وكان من اهم موارد الثروة والغنى ، ولم تكن تنافسه كبضاعة تصدر الى الخارج اية مادة اخرى . نعم لقد كان للاجراء الذي اتخذه السعديون بتحريم تصدير الذهب وملح البارود الى الخارج سببا مباشرا في افساح المجال للسكر بان يحتل المرتبة الاولى بين المواد المصدرة .

ولكن هل كانت الدولة تعين موظفين عنها للاشراف على هذه المرافق ، ام انها كانت تتبع في ذلك نظاما آخر ؟ .

الغالب على الظن انها كانت تتبع نظام الامتيازات فقد كانت تمنح حق استغلال هذه المنشآت لمن يستطيع ضمان دفع مبالغ هامة من الاموال . فقد كانت الاراضي والمصانع والمياه كلها ملكا للدولة وكانت بازاء ذلك تحصى تجارة السكر وصناعته بقوانينها ، وتوفر الامن والاستقرار للمستغلين ، ثم انها تراقب الائتمان وتعتد الصفقات بكيفية مباشرة مع الزبناء . وكان اليهود يحتلون المرتبة الاولى من بين هؤلاء المستفيدين من هذه المشاريع ياتي بعدهم الاوربيون من انجليز وفرنسيين . ولا يرد ذكر للمغاربة المسلمين في هذا الميدان .

اما النقل فبالرغم من ان المغرب كان يتوفر على اسطول قوي يجب عرض البحار فلم يرد ذكر لسفن مغربية تكفلت بنقل السكر المغربي الى الخارج ، وانما كان يتولى ذلك البحارة الانجليز والفرنسيون ثم الهنديون بعد ذلك .

لقد اهتم السعديون بالسكر لانهم جنوا منه ارباحا طائلة واستعملوه مادة للمساومة ، ولكن هذا الازدهار خبا نوره فجأة .

نعم لقد كانت هنالك في سماء هذا الازدهار نذر تهدد بانفجار منذ وقت بعيد ، فقد خرب محمد المتوكل بعض معامل الجنوب اثناء عيشه في السوس ، ولكن المغرب لحسن حظه نهض من هذه الكبوة ، واستطاع التغلب على هذه الازمة بفضل همة عبد الملك واخيه المنصور . ولكن تولى الازمات فيما بعد اجهز على هذا النشاط وقضى عليه القضاء النهائي . فقد جاء الطاعون الى هذه المعامل فهجرها اصحابها ، ومات المنصور فانتشرت الفتنة ، واصيبت معامل السكر وحقوقه من جراء ذلك بضرر بالغ . ولكن دهشتنا من انقراض هذه المادة من الارض المغربية على هذه الصورة تبعثنا على التساؤل عن الاسباب الخفية والخطيرة

ولقد اظهرت البحوث ان الماء كان يجلب من الانهر ، فاذا كانت هذه الانهار غزيرة المياه كنهر سوس وتانسيفت اقتصر على جلب الماء منها وحدها، وان كانت معرضة للجفاف او تقل بها المياه ، اضيفت اليها مياه العيون القريبة .

وساذكر بعض الانهار التي كانت تستغل مياهها في هذا الميدان :

(1) مياه نهر القصبه قرب الصويرة وكانت تضاف اليه مياه العيون .

(2) مياه نهر تنسيفت التي تفذي الساقية الهروشية التي تحرك معامل سيدي شيكر .

(3) مياه نهر شيشاوة ، وكانت تضاف اليه مياه العيون .

(4) مياه نهر سوس .

والسواقي تقطع مسافات قد تطول احيانا وتصل الى بضعة كيلومترات ، وهي في طريقها تحتاج الى ان تحتفظ ببعض الانحدار حتى يتم جريان الماء فيها فاذا ما اعترضها منحدر حملت على اقواس متينة حتى يستطيع الماء اجتياز المنخفض .

وكيفما كان الامر ، يجب ان تصل المياه الى المعمل وهي تتوفر على علو مناسب حتى يتم الحصول على مسقط ملائم لتحريك عجلة المعصرة .

وقد وجد ان المياه تنزل من علو سبعة امتار بتصريف يتراوح بين 100 و 250 لترا في الثانية ، ويكون اتصال الماء الساقط بالعجلة بعد انحدار قدره 5 ، 4 م او 5 م . ويتم ايصال الماء الى العجلة عن طريق انبوب متين ، والعجلة يصل قطرها الى خمسة امتار ، وتتصل بمعصرة رئيسية ثم بمعصرتين ثانويتين . ولعل هذه المعاصر مصنوعة من الحجر الصلد كما جرت العادة قبل ذلك في عصر الزيتون . فالرومان كانوا يستعملون معاصر من الحجر لعصر الزيتون . وبعد ان يؤدي الماء مهمة تحريك العجلة يتجه عن طريق ساقية غالبا ما تكون مسقوفة الى المعمل حيث يستغل في الزراعة . وهكذا تنتهي كل ساقية الى المعمل اولا ثم تتوجه بعد ذلك الى حقول القصب ، وبهذه الطريقة يؤدي الماء وظيفتين ، ويستغل اتم استفلال .

وقد وجد في بعض المعامل ان قاعة العصر تتكون من ثلاث معاصر تتصل بها قنوات توصل السائل الى

حيث يعالج . وتتراوح مساحة هذه القاعات بين 2 300 م و 2 400 م وهي قاعات كبيرة كما تدل عليه هذه المساحة . ويحفظ عصير القصب موقتا في مخازن ريشما يتهدى المكان له في قاعة الافران .

وقاعة الافران هذه تحتوي على عدة افران يبلغ عددها ستة في بعض المعامل المكتشفة ، يقوم كل واحد منها بوظيفة خاصة يمكن ان نلخصها في انها تهدف الى تخليص السكر من الشوائب العالقة به ، وجعله صالحا للاستعمال . وآخر عملية يشهدها السكر بعد ذلك هي وضع الخلاصة في قوالب ذات احجام كبيرة نسبيا .

وبمكننا ان نتساءل . هل كان هذا النوع من النشاط الاقتصادي حراما انه كان محكرا من طرف الدولة ، ام انها كانت تقتصر على التدخل والتوجيه من بعيد ؟

الواقع ان كل القرائن تدل على ان السعديين ما كانوا يولون هذه المادة هذا الاهتمام الكبير لولا ما كانوا يجنونه في فوائد جمة بكيفية مباشرة ، كما ان هذه المشاريع الضخمة لا يستطيع القراء القيام بها نظرا لما تكلفه من مصاريف ونفقات .

(1) فاول دليل يقابلنا لتأييد هذا الرأي هو تسمية السواقي باسماء مخزنية ، من جملة ذلك الساقية المخزنية ، والساقية المهديّة ..

(2) ما سبق ان ذكرناه من اعطاء محمد الشيخ امره ببناء سبعة معامل للسكر في تارودانت كلف كل واحد منها الدولة ما قدره 7500 مقال ، وقد بحث « بيرتي » عن مقابل لهذه القيمة بالفرنك فوجدها تساوي : 60 000 000 فرنك .

(3) حرص محمد الشيخ في حربه للبرتغال على الحصول على ميناء اكادير وآسفي واحتفاؤه بهذا الفتح العظيم ، وبناءه لحصن اكادير لضمان سلامة المصالح الاقتصادية . نعم لا ينكر احد انه كان هناك حافز ديني يحدو السعديين في هذا الفتح ، ولكن ينبغي الا ننكر ايضا وجود المصالح الاقتصادية التي رافقتهم .

(4) لقد كانت تجارة السكر خاضعة لمراقبة صارمة من طرف السعديين ، فقد كان هنالك ثلاثة انواع خاصة بالتصدير ، وكان السكر يصدر الى ملكة انجلترا في صناديق يسع كل منها 300 رطل ، كما كانت الدولة تحدد ثمنا للسكر . فقد اصدر السلطان

قصّة العسكارة

عناوين

للأستاذ محمد أحمد شماعو

في وجوهنا ، وبيالغ فيمنع اختلاط ولده الوحيد بنا . لكن
مما كان يشفي صدورنا ويبعث على ابتهاجنا أن
الصوص كانوا يترددون بين الحين والحين على منزله
فيضحي واقفا بين ممثلي السلطة ، أثناء بحثهم ، وهو
يرتجف من الخوف ، تعلوه صفرة ، ويهزه تائر بالغ .
لقد اكتشف أن البلاء يأتيه من (الخربة) المجاورة
للمنزل والتي كانت مخصصة لتربية الدواجن ، وربط
اكباش العيد ، وحفظ الاشياء الزائدة على احتياجات
المنزل ... من هذه الخربة كانوا يتسورون عليه المنزل
ويعيثون فيه سرقة ونها ، وبذلك يقلقون راحة هذا
المتجبر علينا . وارتأى الوجيه بعد مشاورات أن يكتري
الخربة لمنا عباس ، فانضاف الى حيننا عنصر جديد ،
تري كيف يكون ؟

ان حيناً في الواقع حافل بالحركة ، تبدئ فيه
منذ الصباح الباكر ، فيتردد أولا (القرابون) يحملون
قربهم العامرة بالماء على ظهورهم ، منبهين سكان
البيوت الى بضاعتهم بدق أجراس نحاسية رنانة ، ويمر
في نفس الوقت (حامل الازيل) ناقرأ بعصاه على
الابواب . وقلما تبقى بعد دقائق الاجراس ونقرات العصي
اية امرأة نائمة في فراشها ، ولا يبقى سوى الغلمان
من امثالنا الذين يودون البقاء في الفراش متدفئين
متلذذين بهداعبات النوم ومستسلمين لاغرات الشيطان
عليه لعنة الله بالعناد . وعند الضحى يمر (الطراح)
— رمز الولد الفاشل في الحياة عند امهاتنا وجداتنا —
مروره الاول مناديا بنغمته يجتهد في أن تكون جميلة ،

كان سكان درينا من طبقات مختلفة ، ولكنها
متقاربة في مستوى معيشتها . فارباب الاسر اغلبهم
يحترفون حرفا يدوية متنوعة : تستر ولا تغني ، مما
جعل درينا على العموم ينطبع بطابع الرضى والقناعة ،
مع تدبير امور المستقبل بشيء من الحزم الممزوج
بالتخوف . وكان بعض الآباء والامهات يشعرون بعقاة
اصولهم الحضرية فيحرصون حرصا شديدا على أن
يكونوا حضريين عن جدارة . في البستهم واطعمتهم
واشربتهم ، وفي أسلوب حديثهم لما يتكلمون ويضربون
الامثال . ولما يعلقون على مجريات الكلام سخريّة
وتنكيته .. اما حفلات العقيقة والختان وعقد القران
والاعراس . ومناسبات اعياد الفطر والاضحى
وعاشوراء والمولد فتلك كلها فرص كانوا يستغلونها
لاظهار شيء من البذخ والترفيه . ولو تطلب منهم ذلك
ديونا وتقيرا على النفوس فيما بعد .

مسألة الاصل الحضري او الاصل البدوي لم تكن
تهنا نحن الصغار . فهؤلاء اصدقائي : عبد الوهاب
الدادسي . والطاهر الغرياي ، وميلود بن بوزكري ،
ومولاي المكي الادريسي وانا .. كلنا نعيش في وئام
ومودة في درينا السعيد ، وتعتبر ام كل واحد منا بمثابة
ام للآخرين ، وكذلك اخوانه واخواته ، أما الآباء فهم
وحدهم الذين كانوا يتحفظون في هذا المجال ، ولولا هم
لصار سكان الدرب أسرة واحدة .

صرامة الآباء وجهامتهم كان يمثلها على الخصوص
(السيد الحاج عبد الرحيم) لكم كان ينتهرنا ، ويزمجر

بلاد اخرى تتعدد فيها الامكانيات ويتصرفون فيها بكل حرية .

(3) قد يضاف الى هذين السببين سبب ثالث يرجع الى ان قصب السكر كان يحتل احسن الاراضي واوفرها ماء ، ويتمتع بامكانيات السقي الوفيرة ، وبذلك يحرم السكان من غرس المزروعات التي يعتمدون عليها في عيشهم وعيش دوابهم ، مع العلم ان الفوائد التي تجنى من هذه الزراعة كانت تذهب الى اليهود والاجانب والى الدولة مباشرة دون ان يستفيد منها افراد الشعب . كما ان زراعة القصب تستنزف الارض وتذهب بخصوبتها ، وتتطلب عملا بشريا جبارا . وكان اعتماد السعديين في ازدهار هذا النشاط الاقتصادي على الاجانب والعبيد مما جعل الاهالي ينظرون الى هذه النبتة نظرة كراهية واشمئزاز . ولذلك فان ازدهار هذه الصناعة كان مرهونا بقوة السلطة المركزية وبمقدار حمايتها .

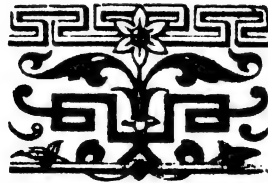
الرابط : محمد احمد الرغاي

لهذا التحول . وسأورد فيما يلي اهم هذه الاسباب واجلاها وهي :

(1) اسباب سياسية ، وتتمثل في فقدان المغرب لشخص احمد المنصور الذهبي ، الشخصية القوية الذي فرض هيئته وسلطانه على الجميع . وتنازع الاخوة فيما بينهم على السلطة بعد موته فانعدم الامن والاستقرار ، وهما الدعامتان الاساسيتان لكل نشاط اقتصادي وازدهار تجاري .

واخل الصناع والتجار بالقوانين التي كانت تحمي هذه الصناعة في الخارج ، فاختلف الجيد بالرديء ، وانعدمت الثقة في البضاعة المغربية .

(2) اسباب اقتصادية ، وتتجلى في اكتشاف العالم الجديد ، واقبال الاوربيين على موارده الفلاحية المعدنية ، واعتمادهم على نظام الرق ، وقيام تجارة مزدهرة في هذا الميدان ، فتحول الزبناء عن بلادنا الى



بجعل النسيج ، وهناك سنحت لنا الفرصة نحن
الغلمان الذين لم يبق معنا عباس على علاقته
الودية لنبحث بوسائلنا الشيطانية عسى أن نكتشف
السر .. وفعلنا اكتشافنا . لقد تزوج معنا عباس !

استمررنا في التطلع الى الداخل ، من خلال
الشقوق ، بفضل شديد ، فاذا بزوجة معنا عباس تطل
من باب الحجرة متهيبة متوحشة ، ثم تنفر وتعود الى
الاختفاء بالبيت . لكن القطة التي كانت سلوتها
ومؤنسها كانت تفر منها الى الخارج فتوقعها في
الحيرة : هل تلازم البيت أم تتبعها ؟ وأخيرا وبعد تردد
طويل قررت ان تتبعها ، وهكذا رأينا زوجة (معنا
عباس) الصغيرة !

لقد كانت هذه الزوجة في مثل قامتي أنا ابن
العشر سنين ، ولكنها نحيفة جدا بدرجة أن معنا عباسا
يمكن أن يشد على محزمها بسبائتيه وأبهاميه بسهولة ،
وهي بيضاء ناصعة البياض ، شقراء الشعر ،
مستديرة الوجه ، واسعة الفم ، حمراء الأنف ، مودة
الخدن ، دقيقة العنق بارزة الحنجرة ، ضيقة
الاكتاف طويلة الذراعين ، يشف جلدها عن عظام
أصابعها وكفها ، أما الساعدان والذراعان فيسترهما
اللباس الفضفاض الذي ارتدته من يوم عرسها على
ما يظهر .. وتسمرت عيوننا على عينيها العجيبتين ،
تينك العينين الزرقاوين المستديرتين المشحونتين بالبقطة
والذكاء كعيني قردة ، نعم كعيني قردة تماما !

وسمعت المرأة الصغيرة بهمسنا من وراء
شقوق الباب وبضحكاتنا المكتومة فاجفلت اجفالا كبيرا
ثم توارت عن أعيننا لمدة أيام ... ولكن يظهر أنها ملت
من البقاء داخل البيت، ولذلك فضلت الخروج لتتجول
في الحديقة المهجورة دائسة على الأعشاب الجافة
والأغصان الميتة — (شيربيلها الجديد باحة عن
زهرة أو ريحانة من الرياحين في انحاء هذه الحديقة
المهملة ، التي لم تمسها يدا العم عباس منذ رجع من
سفرته متزوجا !

ووصل بالعروس طوافها حول المكان الى
الاقتراب من الباب ، وهنا كنا نتشاكل عنها بالحديث
متجاهلين ، وتضع هي أذننا على الباب وتروح تتصنت
الى كلامنا — الذي نجتهد في أن يكون لطيفا — وإلى
حكاياتنا التي نسردها بكيفية تبعث على الضحك العميق،
ثم نخفق الضحكات في أفواهنا خفقا شديدا لنستمع الى
ضحكتها الرقيقة الجميلة . ثم نعمن في أبقائها بقرينا
بتصوير ما يوجد في الحي من نساء ورجال وبذكر

شيئا من رياحيته وورده ، وإذا ما أبطأ (الطراح عن
حمل خبز الى الفرن فان معنا يقوم بذلك عن طيب
خاطر وبرقة متناهية متجاوزا عن تهرينا وكسلنا ...

لكن تهر الايام سريعة مع هؤلاء الناس الطيبين ،
فالسنة معهم بحسبان شهر ، والشهر كالاسبوع ،
والاسبوع كالיום ، واليوم ما هو الا عبارة عن لحظات
... وأسفاه !

لقد حزم العم عباس بعض أمتعته ، وخرج
مسافرا الى حيث لا ندري ، كل ما قال لنا هو أن نعمتي
بقطته (ياسمينه) وأن نرمي لها قطعا من الخبز
واللحم ان تيسر ، وأن نصب شيئا من الماء في حفرة
حفرها !

حقا لقد أصبحنا في غربة في درينا ، رغم أن القرب
والزبال والطراح واليهودي كما زالوا يؤدون دورهم
اليومي ، الاول بجرسه والثاني بعصاه والأخيران
بندائهما الملح .. خشبتنا كانت أن يعود غلمان (الطالعة)
ولكنهم لم يفعلوا ، ومن أين لهم أن يعرفوا أن حامينا
العزيز غائب عن الحي ..؟ أطل الله غفلتهم !

كنا نلعب ونهرح ، ثم نعود فنذكر معنا عباسا
وشخصيته المهمة ، الطيبة — في نفس الوقت —
بيننا ، كنا ننتظر طلعة قامته النحيفة المديدة التي
تملأنا بالاعجاب ، ووجهه الشاحب الصارم الخفيف
اللحية ، وأيضا تلك الكف العريضة القوية التي لا
تفتر عن حفر الأرض ، وعن استنباتها ، وعن سقيها
بمات الدلاء دون كلل أو تهاون .

وبأحاسيس مؤلة لاحظنا واحدا بعد آخر أن نباتات
(معنا عباس) أخذت في الذبول ، وأن الزهور والرياحين
غدت باهتة الألوان مشوهة الأشكال ، حتى أقطار
الخريف لم تبتكر بالنزول لتتخذ هذا الروض المحتضر..
وماذا في استطاعتنا أن نعمل ؟

(معنا عباس) كان قد رجع من سفره .. وبقي
منعزلا عنا ؟ ذاعت هذه الاشاعة بيننا فكان من
الضروري أن نتأكد منها .. وفعلنا وجدنا أن العم عباسا
قد عاد من سفره ، وأنه أصبح لا يخرج الا بالليل
بينما يقضي النهار بطوله داخل مسكنه ؟ ما السبب ؟
ما السبب يا ترى ؟ هل هو غاضب علينا ؟ أم هو
مريض ؟ أم تراه جاء بحزمة من الجرائد والمجلات من
بلاد البعيدة فهو ما زال منكبا على تصفحها ومطالعتها؟

يظهر أن هذا الاحتجاب الطويل لم يفد معنا
عباسا بشيء فاضطر الى الخروج من أجل كسب قوته

ازهار لطيفة الاشكال ساحرة الالوان ، وامست نفوح
كل عشية هبات من عبير تلك الازهار .

ومن شدة حرص عمناباس على جنينته كنت لا
تلاحظ اي اثر للالزبال أو الحصى أو الفضلات ، ذلك
لانه يتتبعها تتبعاً لا تهاون فيه ، ومتى تجمع له شيء
رماه في حفرة عميقة يغطيها بعد الاستعمال ، انه بذلك
يعيئ السماد الجيد لما يستقبل من الايام .. ولم تقهره
مشكلة السقي رغم انه يتحمل من اجلها مجهوداً منهكاً ،
ما أشد تحمله وصبره ! ان حمل الماء من (السقاية)
البعيدة عن المسكن بنحو اربعمئة خطوة من خطواته
الواسعة لشيء منهك حقاً ، خصوصاً وان اليد اليمنى
تكون مثقلة بسطل ضخّم واليد اليسرى محملة بما
يشبه الابريق الكبير من معدن الزنك ..

سامحنا الله !

لقد كان عمناباس ياتمننا على مسكنه خلال
تردده على السقاية ، فلربما كان المفتاح الحديدي
الثقيل الذي لا يدور في القفل الصديء الا بصعوبة
يتطلب منه مجهوداً آخر ولذلك استعان بنا لنحرس له
المسكن فترة تغيبه ، ولكن الفضول دفعنا الى معرفة
ما في الداخل فكنا ننسلل واحداً واحداً الى المسكن
لنرى الحديقة اللطيفة عن قرب ، ولنتمتع بالبصر
بازهارها الخلابة ...

دخلت بدوري ، وسرت متفسحاً بين الاحواض
المزدهرة ، واستظللت لحظات تحت السقيفة الوارفة
الظل ، ثم انسللت بعد ذلك الى الحجرة التي يقطنها
عمي عباس ، وهي حقا حجرة لطيفة نظيفة نظافة تامة ،
على اليمين منها لحاف بسيط فوقه مخدة وغطاء صوفي
متين ، للحاف والغطاء لا يكفي الا لشخص واحد ،
واحد فقط . وعلى مقربة من الفراش كانت اعداد
مبعثرة من مجلة (اللطائف المصورة) واعداد من
جريدة (المغرب) . ان عمي عباسا قارئ فهو لا يعيش
وحده وانما مع الاخبار والصور .. مددت يدي لآتمن
بعض الصور اما عناوين الجرائد فكانت عندي طلاس
يصعب حلها . وعجلت الخروج وانا التي نظرت على
الصينية والفلاي النحاسيين اللامعين ، وعلى المجر
الطيني الذي يستعمله الرجل بعناية فلكانه لم يمس
مطلقاً . خرجت وقطة العم عباس متمددة في الشمس لا
يعنيها من الامر شيء ...

صار وجود عمناباس بيننا امراً عادياً ، فنحن
نحبيه بأدب ، وهو من جهته ييش في وجوهنا ، وينهانا
اذا ما لاحظ منا مخالفة ، ويمنحنا بين الحين والحين

مطالباً باخراج (وصلات) الخبز ليحملها الى الفرن .
كما يمر اليهودي منادياً على حذاء بال ، أو قنينات
فارغة ليشتريها من النساء باثمان بخسة للغاية !

يا للحظ السعيد ، لقد وجدنا (عمناباس)
شخصية لطيفة ، بها حباناً به من البشاشة والودة ،
وبها ارباباً من جوانب الحياة الجميلة ، وبها شملنا به
من الحماية والرعاية !

اية حماية واية رعاية ؟

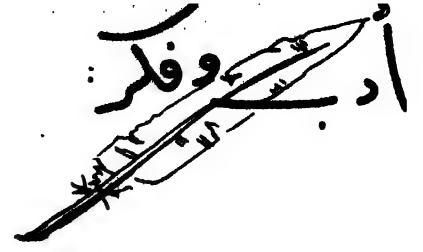
الم اذكر لكم ؟ .. لقد كان غلمان الحي المجاور
وهو حي (الطالعة) يهاجمونا ، يصيحون في وجوهنا
بالصفير والزعيق ، ثم يشرعون في رمي الاحجار ،
احجار مدمية من مختلف الاحجام ، كنا ندافع ونراوغ
لكن بعد ان تشج منا الرؤوس وتدمى الجباه فنقلب
الى اهلينا جرحى متألين ، فيضطرون الى تكميد
جروحنا بالنار ، وبرماد الخرق المحروقة ، وبالزيت
الحامية .. كان هذا قبل ان يحل بنا عمناباس ،
فلما حل وقف في وجوههم ذات مساء منذراً متوعداً ،
وتحايل على متزعمهم فقبض عليه بشدة وعنف حتى
ابكاه ، وكان كل ذلك كافياً لتوبتهم وكف اذيتهم عنا .
قبلة حارة على كفك يا عم عباس !

عرفنا ان ساكن حينا الجديد يشتغل بالحياسة ،
ولكنه يشتغل حسب مزاجه ، فهو يستيقظ باكراً ويذهب
الى عمله الموجود بحومة (باب سبتة) ثم يعود عند
الزوال ، ولا يرجع بعد ذلك الى العمل ، لانه يخصص
نصف النهار الاخير للاشتغال في مسكنه ..

كنا نتتبع اعمال عمناباس من خلال شقوق الباب
كان اول عمل قام به ان نظف الحجرة الوحيدة وجيرها ،
فغدت كحامة بيضاء وسط تلك الارض القاحلة ،
والارض القاحلة نفسها عمد اليها فنقاها من الحشائش
والاعشاب الجافة ، حتى اذا تكونت لديه كومة عظيمة
او قد فيها النار ، وما تخلف من الرماد ذراه في انحاء
الحديقة ، وراح يقلب الارض يوماً بعد يوم ، وقسمها
احواضاً متناسقة ، ويكمل الذوق والعناية والدقة
شرع يبذر ويغرس ويسقي دون كلل ولا ملل .. وحول
البيت الابيض صنع سوراً من القصب المتعامد (الماموني) .

وبقينا نتابع اعمال عمناباس من خلال شقوق
الباب !

يا للروعة ، انه ما مضت اسابيع معدودة حتى
نبئت في انحاء المسكن نباتات متعددة ، واطلت من بينها



تأملات فلسفية على نتائج العلم

المشكلة الأخلاقية لعمليات ابدال القلب وإعادة الحياة

للأستاذ مبارك ربيع

الاكلينيكي . وعلاقة الروح بالجسد . ومركز الحياة الانفعالية والعقلية في الانسان . وتحديد الشخصية وابعاد الشخص الحقيقية .. الخ . هذه بعض المشاكل التي يثيرها اتجاه العلم نحو ابدال الاعضاء البشرية ، وكل واحدة منها تجر وراءها نتائج غاية في الخطورة والاهمية . وقد كتب كثير من المفكرين في هذا الموضوع .

بيد ان كتابة Jean Rostand لها اهميتها خاصة وانه حاول ان يتتبع النتائج الاخلاقية لهذه العمليات في بداية انتشارها بالاضافة الى مكانته العلمية كمعضو في الاكاديمية الفرنسية ، وقد نشر مقاله هذا في نهاية سنة 1967 (1) . ونبه في اول مقاله الى « ان عدة مئات من الخلائق توجد في العالم ، وهي لا تستطيع ان تحيا ، تحمل في هياكلها كليات من كائن غريب عنها . » والواقع ان عمليات ابدال الكلية كثرت ، واصبحت بفضل تقدم البيولوجيا عمليات عادية . وقد اهتم العلماء بهذه الاعداد من الناس التي تحمل أعضاء غير اصيلة ، وبدأوا في وضع اسماء خاصة بها ، تميزها عن سائر الناس العاديين ، اسماء مركبة تركيبا علميا كتلك التي توضع للعقاقير الجديدة ، او الكائنات الغريبة . لكن العملية التي هزت العالم هي عملية ابدال القلب . ويعلق جان روستان على العملية التي قام الدكتور « برنار » بقوله : « بالتأكيد ، فان المرحلة لا تزال بعيدة عن ان تتم ، اذ لا نستطيع ان نؤكد بان

بدانا نعتاد الحديث عن عمليات القلب ، بعد ان زالت الدهشة الاولى والاستغراب . واذا كانت هذه العمليات ، من الوجهة العلمية الخالصة يجب الا تميز عن غيرها من عمليات ابدال الاعضاء الاخر ، فانها من الناحية الانسانية تستدعي وقفات ، وتثير تأملات . حقا ان عملية ابدال القلب لم تصبح حقيقة علمية متداولة ، لان نسبة النجاح فيها ضئيلة جدا ، وبعض الجراحين يردون ذلك النجاح الى مجرد الصدفة ، وذلك لانهم يرون ان البشرية ممثلة في علمائها ، لا تزال بعيدة عن ان تحيط بأسرار الجسم الحي ، ومن هنا تنجم بعض الصعوبات في ميدان جراحة القلب اهمها على الاطلاق ، وحسب ما اعلنه العلماء : تلك الخاصة التي يتميز بها الجسم الحي وهي رخصة لكل ما هو غريب عنه ، ولو تم التغلب على هذه الصعوبة لتيسرت عملية ابدال القلب ، لان جراحة القلب ضاربة في التقدم بالنسبة الى غيرها من العمليات الجراحية المعقدة .

ولكننا قد نتجاهل هذه الصعوبات البيولوجية التي من شأن الاطباء والعلماء وحدهم ان يتحدثوا عنها . وننتقل الى مجال التأمل النظري . وهنا نلمس مشاكل سيكولوجية واجتماعية واخلاقية تنجم عن عمليات ابدال القلب وعمليات ابدال الاعضاء عموما . ومن هذه المشاكل : التعريف الطبي والقانوني للموت

(1) «Les Nouvelles Littéraires», du 21 décembre 1967.

أخبارهم وأسرارهم ، وأيضا بتقديم عرض عن أسواق المدينة وحوانيتها ومتاجرها الكبرى التي يباع فيها كل ما تشتهي النفس وتلذذ به الأعين .. لقد كانت أحاديثنا الوصفية تلهب خيالها وتولد فيه ثورة .. وبهذا الفت الاخت عشرينا ومتابعة أحاديثنا ، حتى أنها بمجرد خروج عمنا عباس في الصباح كانت تبادر وتأخذ جلد الخروف الصوفي ، وتحمل مكانها خلف الباب ، منتظرة متشوقة في صمت ، صمت غريب من صبية مثلها ، مع أننا نحن قرناءها لا نكاد نكف عن الكلام !

واصطنعنا حيلة لنشركها في الحديث ذلك أننا كنا نطرح أحاجي معروفة ومتداولة ثم نظهر وكأننا نجهل الحل ونروح في صمت عميق مصطنع الى أن ياتيننا الجواب من وراء الباب ممتعا ، من الذ ما يكون الامتع ، وهناك نهتز من الفرح مصنفين مشيدين بذكاء ابنة (الجبل) اختنا زوجة عمنا عباس ، ويظهر أن التنويه عمل عمله في نفس الفتاة ، فراححت تحكي لنا بصوتها الهامس حكايات الجبل ، وكان يعجبنا في هذه الحكايات غموضها ، وغرابة لهجة حكايتها ، والصراحة الخطيرة في بعض مواقفها .. ألا ما أجرا الجليليات !

وذاث ضحى ونحن منسجمون مع حكاية رفيفتنا ، لا يهمننا من يمر بنا من زبالين أو طراحين أو يهود اذا بنا نفاجأ بعمنا عباس واقفا عند رؤوسنا ، يخرج كل واحد من حلمه اللذيذ بركة قاسية موجهة ، وما كنا ذلك بل اتبعنا بعبارات من السب المقذع ، وهددنا فوق ذلك

أنه سيسلط علينا صناديد (حي الطالعة المعتدين . وما مرت فترة حتى سمعنا — ويا للهول — العروس الصغيرة تصيح وتستغيث من ضربات زوجها العتي . لقد ظل الحي وأمسي في حالة من الكآبة المريرة . وبات كل واحد منا يفكر في العلاقة التي سنصير عليها مع العم علال ! أننا في الواقع كنا نرتعب — قلوبنا — وأجسادنا — من تصور عمنا علال وقد صار عدوا لدودا لنا !

وأصبح الصباح في اليوم التالي وإذا الخبر المفاجيء يشيع بيننا . ان العم عباس قد ارتحل ، ارتحل الى جهة مجهولة ، وترك باب الخربة مفتوحا على مصراعيه . وقبل أن يستيقظ جارنا الوجيه الكسلان تسلبنا الى الخربة رحنا نتجول في المسكن المهجور آسفين تكاد الحشرات تذيب قلوبنا الصغيرة ، ربما على عمنا عباس حامي الحي ، وربما على زوجته الصغيرة الطيبة التي أسرت قلوبنا الفتية بأنسها ولطفها . رينا كن في عوننا وأسعدنا من بعدنا ، والهمنا يا رينا نحن صبرك الجميل وسلوانك ..

شيء من السلوان وجدناه في حزم الجرائد والمجلات التي تركها عمنا عباس من ورائه . تركنا الجرائد وأخذنا المجلات نتصفح الصور بامعان شديد ، مغالبين في نفس الوقت زغراتنا العميقة المتصاعدة .

الرباط — محمد أحمد اشماعو



العلاقة بين الروح والبدن بمناسبة عمليات ابدال القلب او مشكلة التنفس والجسم . لقد ذهب الفلاسفة مذاهب شتى بهذا الصدد ، بل نقطة تفرقهم هي هذه بالذات .

فما علاقة الجسم بالنفس ؟ وهل هما قابلان للاتصال ام غير منفصلين ؟ الواقع ان نجاح عمليات ابدال الاعضاء عامة تجعلنا نميل الى الاعتقاد بان الكائن البشري كائن روحي وان « الاعضاء انما تكون بدنيا جزءا منا ولكنها ليست نحن انفسنا » . ان هذا الراي يميل الكثير من الناس الى اعتناقه ، ومنهم كبار رجال القانون ، الذين تمسهم المشكلة مباشرة عند تطبيق النصوص التشريعية ، وعند صياغتها ، فلا مندوحة لهم عن اعتبار الاعضاء البدنية مجرد « اشياء » ، تنضاف الى الشخصية من خارج ، تماما بالمشكل الذي تنضاف به الينا الاشياء التي نستعملها في لبسنا من حذاء ونظارة او معطف ... والواقع ان هذه الروحانية الحديثة وحتى في صدور رجال القانون ، تشكل بنفس الثوب التقليدي للنزعات الروحانية الفلسفية الاصلية . والتعريفات التي تحاول تقديمها للشخص باعتبارها كائنا روحيا لا تخلو من الغموض المألوف في النزعات المتأزقية . وقد اورد جان روسطان تعريف « الشخص » كما يراه انصار هذا الاتجاه فاذا هو : « ليس روحا ، او نفسا ، او كيانا متأزقيا ؛ بل هو حقيقة مادية ، جعلت من مادة تقصر عن معرفتها » .

ان كل المشكلة التي تضعها الروحانية هي في تصور مادة من هذا النوع الذي لا ندركه . فكيف نحكم بان ما لا نعرفه هو مادة . وما مفهوم المادة اذن ؟

هكذا نجد اننا قطعنا شوطا يصل بنا الى القرن الاخر ، حيث نواجه النظرية المعارضة للروحانيين والتي يلخصها جان روسطان بموقفه هو بالذات بقوله :

« اتراني بحاجة الى ان اقول بان الامر بالنسبة لي ، انا الذي لست رجل قانون ولا فيلسوفا ثنائيا ، بكل بساطة هو ان بدننا - بكليته وقلبه ودماغه الخ - هو الذي يكون شخصنا الحقيقي ؟ » وحسب هذه الوجهة من النظر فان الشخص يصبح قابلا للتجزئة . وللقانون بعد ذلك ان يسوي المشاكل بالنظر الى الحقيقة البيولوجية . ويؤكد جان روسطان موقفه في نهاية مقاله وكأنه يجهز على آخر محاولة روحانية بقوله : « ان البيولوجيا وهي تتعمق في الواقع الجسد

المشخص من جديد وبدون توقف ، ما تنفك تعيق اولئك الذين يريدون ان ينقذوا التجريدات المتولدة عن عقلنا » .

بالطبع ليس هناك ما يلزم الزاما نهائيا احسد الطرفين بموقف الاخر . فالمسألة مسألة اقتناع بل مسألة اطمئنان شخصي قد يعجز العلم عن حلها الى الابد ، ما دام منهج الروح ليس هو منهج المادة . لكنها تستمر مشاكل مباشرة في حياة الانسان المعاصر الذي هو موضوع عمليات ابدال القلب او الدماغ ، وعليه ان يتخذوا موقفا منها . لانه مهدد بالاقبال عليها والمشاركة فيها كل يوم .

على ان عمليات ابدال القلب ليست وحدها التي تثير هذه المشاكل ، بل هناك في الميدان البيولوجي والفزيولوجي دائما ما يثيرها . واعني بذلك جهود العلماء في علم جديد يهتم ببعث الاجساد والانتصار على الموت . افليست عمليات ابدال الاعضاء تهدف الى الاحتفاظ بالحياة اطول مدة ممكنة ؟

اذن فلنتأمل بعض ما كتب حول هذه الجهود ، ولناخذ المثال في هذه المرة من عالم آخر ، من الاتحاد السوفييتي .

* * *

« علم اعادة الحياة » وما يترتب عليه من مشاكل :

لا جدال في ان العلم في خدمة الانسان ، وانه الطريق الوحيد لتحقيق سيادة الانسان على الطبيعة ، كما اراد ديكارت ، ولا جدال ايضا في ان العلم ، يواجه مشاكل مستعصية ، في ميادين الفلك والطب والاختراع ... الا ان التطور والتقدم المتلازمين ، في الوسائل التي يستخدمها العلم ، تبعث على الاعتقاد بان كثيرا من تلك المشاكل ستجد حلها الاخير عن طريق العلم . ولكن هل ثمة مجالات يمكن ان تبقى خارج سلطة العلم ؟ اي انها « بطبيعتها » غير قابلة للسيطرة العلمية ؟ ولناخذ مشكلة الموت كمثال . فما زالت هذه الظاهرة ، بغض النظر عن الرؤية الوجدانية لدى الافراد ، مبعث تساؤل حق . وهنا نود ان نلقي نظرة على احدث ما يقوله العلم بهذا الصدد . ونشير الى ان فرعا من الدراسات الفزيولوجية ، اصبح قائما بذاته ، تحت اسم « La réanimation » يهتم بالحالات التي يموت عليها الانسان ، والطرق التي يمكن بها انقاذه من الموت . ونشاهد ذلك حولنا ، على

الشخص الذي يحمل القلب البديل ، سيقبل العضو الجديد بصفة نهائية . « وهذه احدى المشكلات الاساسية التي تتردد في الاوساط العلمية . وهي لا تزال بعيدة عن أن تؤدي بنا الى المشاكل الاخلاقية ، فهي علمية صرفة . ونلاحظ بصدد هذا . ان المدة اللازمة لتعطي صورة نهائية عن قبول العضو الجديد لم تقدر بعد . وهل تقدر بالشهور ام بالسنوات ام بالمعقود من السنين ؟ .

ان القلب في الكائن البشري عضو مقدس وقد اسهم الادب في اصفاء هذه الصفة على القلب بنصيب كبير . فالشعراء تغنوا بالقلوب ، وجعلوا الناس يتخيلون انهم - كشعراء - يصدرون في هذه القلوب . بل ان الدراسات السيكلوجية الكلاسيكية اعتمدت بدورها على دور القلب كمجمع للحياة الوجدانية « او ليس القلب مستودع الحساسية ، والانفعالية ؟ ! » .

من هذا الدور الذي نسب الى القلب تنهض احدى المشكلات الاساسية من مشاكل الشخصية البشرية ، « ليس لنا ان نفترض باننا عندما نبذل قلب شخص ، بقلب شخص آخر فان نفسانية الشخص تتغير او ان مزاجه يتغير على الاقل ، وطبعه ، ودرجة حركته ؟ » ان لهذا التساؤل ما يبرره . ذلك ان بعض الاعضاء في البدن ، تأكد ان ازالها تؤثر تأثيرا مباشرا في الشخصية البشرية في كل مقوماتها ، مثال ذلك الدماغ ، فهذا العضو لا يمكن الاستغناء عنه او ابداله دون المس بالشخص ككل . وهنا يورد جان رويستون كلمة لبول شوشار Paul Chauchard يقول فيها : « اذا استطعنا ان نفصل الدماغ عن البدن ، فمن المؤكد ان الشخصية تتبع الدماغ ولا تتبع البدن . ذلك ان الدماغ وهو العضو الذي يحصل به الاكتمال والتشخص ، يحفظ في بنيانه الذكريات التي هي اساس الانسا » .

بالطبع ان هذا الرأي الذي يورده جان رويستون على لسان شوشار يعتمد على نظرية مادية تربط الحياة النفسية بالحياة الفزيولوجية . وقد ازهرت هذه النظريات على يد تشريعات « بروكا » وتحليلات « ريبو » وذلك ، فيما يتعلق باتصال الذكريات وعملية التذكر كلها بالدماغ خاصة . وبالرغم من النقد العنيف الذي وجه الى هذه النظريات الفزيولوجية ، فان التقدم المادي الذي يخطو بالانسان خطوات متتابعة متلاحقة ، وتقدم التقنية ، لا يجعل للانسان منصرفا عن هذا الرأي . ومهما يكن فان الصعوبات التي تقف

في وجه عملية ابدال القلب ليست تقنية على الاطلاق . لان هذه المشكلات يمكن دائما التغلب عليها ، بل المشكلة الاساسية من الناحية العلمية هي مشكلة بيولوجية . اي مشكلة طبيعية ، ناجمة عن خصائص نسيج الكائن البشري ، ولكن اذا امكن في يوم من الايام ان يتغلب العلماء حتى على الصعوبات البيولوجية ، فان الصعوبات الاخلاقية تستمر موضوعة للبحث وتثير الكثير ، من الاسئلة .

ان الصعوبات الاخلاقية تبدأ من كون عملية ابدال القلب تمس طرفين : الشخص الذي ينزع قلبه . وهذا يجب ان يكون مات موتا اكلينيكا ، اي لم يبق له اي حظ في استرجاع حياته . والطرف الثاني هو الشخص الذي يركب له القلب الجديد . وهذا الموقف يتطلب كما يشهد ذلك جان رويستون اتخاذ قرارين في مستوى واحد من اليقين الذي لا يخامرهم اي شك « ونعلم الى اي حد يصعب اتخاذ مثل ذلك اليقين . في الميدان الطبي . فالموت الاكلينيكي « Mort clinique » يعتمد مفهومه طبييا على « الخمود الكهربائي » « Silence électrique » للدماغ . ولكن هل يستطيع العلماء ان يحددوا هذا الموت بدقة . دور خالصة من وسواس ؟ ! هذا السؤال بالضبط هو الذي يوجهه جان رويستون الى الجراح الدكتور برنار . « او لا يحتمل في كثير من الظروف ، ان وصف الموت الاكلينيكي يؤخذ بكثير من التسرع ؟ » هذا جوهر المشكلة الاخلاقية ، فالجراح سيتسرع غالبا لانجاز عملياته ، لان ظروف المريض المنتظر للقلب الجديد تدفعه ، كما يدفعه طموح العالم ودوافع اخرى ... فيقرر ان حالة الموت الاكلينيكي قد تم وتحقق . كما يتم له نزع القلب وهو في حالة النبض ! .

ان الاخلاقي لا بد ان يتخوف وان يتردد .. « هذا الاحتمال الذي قد يجعل انقاذ حياة فرد يقع على حساب آخر امام الاغراء المادي والمعنوي . والاخلاقي لا يزعم دائما ان العالم مدفوع باغراء فحسب ، بل انه ليأخذ بعين الاعتبار ان العالم قد يقاوم كل اغراء . لكن الصعوبات الاخلاقية لا تمحى . انها كامنة في هذه السلطة المطلقة التي تجعل العالم في برهة معينة يحكم بأن هذا المريض يعد في حكم الميت بينما لا تزال بقية من حياة في القلب . اليس في هذه السلطة ما يرعب الضمير ؟ .

وتظهر المشكلة الفلسفية الكبرى التي هي اهم مشاكل المتأفريقا قديما وحديثا ، عندما تثار قضية

« يعمل » الدم : فتفرغ البلازما من جسم الانسان ، بينما تطلق مادة دموية (erythrocytes) مفسولة بمحلول فزيولوجي ، في الدورة الدموية » .

وينتهي البرفسور نيكوفسكي ، الى ان الهدف صعب ، وهو يدعو الى تضافر الجهود ، واقتسام المسؤوليات بين الاطباء والجراحين والفزيولوجيين . . لتحقيق ذلك الهدف .

وبالرغم من ان الكلمة الاخيرة هي للمختصين وحدهم ، وان كل استباق لاستخلاص النتائج النهائية، في موضوع كهذا ، ينطوي على كثير من الغفلة ؛ لكن بما اننا اموات بطبيعتنا ، فان الموضوع يدعونا الى ان نحلل معطيات العلم ، في ضوء امكانياتنا الراهنة . وهنا نلاحظ ان عملية استفراغ الكائن من البلازما ، لاستخلاص العناصر السامة ، يجب ان تتم في الفترة الزمنية ، التي تفصل بين الموت الاكلينيكي والموت الفزيولوجي ، اي دقائق معدودات ، وهذا لا يقدر صعوبته الا المختصون . فلنفرض ان العملية نجحت وامكن انقاذ الشخص ، فهل يكتسب المناعة التامة ضد تعرضه لمثل تلك الحالة من جديد ؟ ليس هناك ما يثير بالايجاب . ومعنى ذلك ان جهود العلم في هذا الصدد تنحصر في الانتصار على الموت الاكلينيكي ، اذا تحقق هذا الانتصار ؛ وهذا يقارن بانتصاره في حالات

الاصابات البالغة الخطورة ، والتي ينجو منها المصاب باعاجيب العلم . وهنا نشير ، الى ما جاء في جواب لاحد الخبراء ، (في التجمع السنوي ، لجامعات دول البحر الابيض المتوسط يوليو 1966 والمتنقد بجامعة اكس - ان - بروفانس بفرنسا) عن سؤال يتعلق بنفس الموضوع : اي هل ثمة امل في انتصار العلم على الموت ؟ فكان الجواب :

ان انتصارات العلم ، في هذا المجال ، وحتى ما يمكن ان ينتظر من انتصارات مقبلة ، في ضوء المعطيات الحالية للعلم ، انما يتم في حالات الموت المفاجيء ، الناتج عن اصابات او صدمات تؤدي بالمرء في الحال . فتدخل العلم هنا ، اذا تم على احسن وجه ، قد يؤدي، الى الخروج من حالة الموت الى حالة الحياة . اما الموت فمعناه العميق ، كتلاش تدريجي للوظائف الحيوية ، فليس ما يدعو الى التفكير في الانتصار عليه، وهو يبدو كنهاية اصيلة للجسم الحي .

ما نظن صاحب هذا الراي متشائما ولكن في ضوء المعطيات الراهنة ربما كان الانسان اميل الى اعتبار عملية الموت الفزيولوجي اي الموت النهائي ، لآخر وظيفة يؤديها الكائن الحي ، كما يؤدي اية وظيفة حيوية اخرى .

الرباط : م . ربيع



مستوى مبسط ، في الطرق التي يقوم ، رجال الانقاذ ، في حالات الفرق او ضعقة التيار الكهربائي . وقد طلعت « اخبار موسكو » بتاريخ 28 يناير 1967 بمقال كتبه البرفسور فلاديمير نكوفسكي V. Negovski مدير المخبر الفزيولوجي المختص بهذا الموضوع ، والذي يدير هذا المخبر ، منذ تأسيسه منذ اكثر من عشرين سنة .

جاء في تقديم المقال « منذ خمسة وعشرين عاما ، نجح ثلة من العلماء الروس ينتسبون الى هذا المخبر ، في اعادة الحياة ، الى جندي جريح ، هو ف. تشيرباتوف ، الذي لا يزال على قيد الحياة . وتلا ذلك انقاذ العديد ، بفضل الطرق التي توصل اليها المخبر الذي يديره البرفسور نكوفسكي منذ تأسيسه » ويلاحظ هذا العالم ، أن كثيرا من المفاهيم التي كانت تتعلق بالموت ، قد طرا عليها تغير اساسي . فلم يعد توقف القلب ، ولا لفظ آخر نفس ، يعني الموت النهائي بالضرورة . وقد اصبحت كثير من المؤسسات اليوم ، تهتم بطرق اعادة الحياة (La réanimation) وتقول الاحصائيات ، أن

المصالح المختصة بذلك قد تلقت في السنوات الاربع الاخيرة ، حوالي ثلاثة آلاف مصاب ، امكن انقاذ اكثر من 40 ٪ منهم . والواقع أن النظر في طرق استرجاع الحياة ، هو اقدم مما ذكر في بداية هذا الحديث ، وربما يرجع بالضبط الى سنة 1901 عندما نشر عالم فزيولوجي ، هو بخميتيف P. Bakhmetiev كتابا بعنوان : « ما يجب عمله للحياة الى القرن الحادي والعشرين » وقد اهتم هذا العالم بدراسة حالات ، عجيبة ، تثير الدهشة ، وهي حالات l'anabiose التي تستعاد فيها الحياة ، بالرغم من تحقق بعض الظواهر ، التي توقف الوظائف الحيوية كانهخفاض الحرارة مثلا ، على نحو يبدو وكان الموت قد تحقق بالفعل . وقد أجرى العالم المذكور بعض التجارب على الخفافيش ، تتخلص في تخفيض درجات الحرارة ، الى مستويات ، لا تحملها تلك الكائنات في المادة وحيث يفرض أن العمليات الحيوية ، قد توقفت نتيجة انخفاض الحرارة ؛ ثم بعد ذلك ، عاد العالم الى تسخينها تدريجيا الى المستوى العادي ، لاستعادة حياتها . فهل يمكن في ضوء المعطيات الحالية للعلم ، أن يعمم ذلك ، ويطبق على الإنسان خاصة ؟ ، أن النجاح الذي أحرزته تجارب من هذا النوع ، في مستوى الحيوان ، لا تزال أبعد ما تكون عن النجاح في مستوى الإنسان ، ففي تجارب كتخفيض الحرارة ، الى الحد

الذي تتوقف معه الوظائف الحيوية ، لا يزال من المتعذر اخراج الكائن البشري من حالة التجمد الكلي الى حالة الكائن الحي . فعجز الطب المعاصر هو في اعادة تشكيل الوظائف الحيوية بعد توقفها النهائي . الا ان هذا ليس بكاف مطلقا لاغلاق باب الامل ، وما زال باستطاعة الطب الحالي ، بناء على التجارب ، أن يقول : « ... القلب قد توقف ، وانقطع التنفس ، ولم يعد المرء حيا ؛ الا انه لم يمت بعد » .

الامل اذن ، قائم في هذا الفارق ، بين توقف العمليات الحيوية الكبرى كنبض القلب ، والتنفس ، وهو ما يعبر عنه بالموت الاكلينيكي ، وبين الموت الفزيولوجي ، الذي يعني توقف جميع الوظائف الحيوية ؛ وهو الموت النهائي ، الذي يعقب الموت الاكلينيكي بدقائق خمس او ست . فمن مصلحة الطب اذن أن يطول الفارق الزمني بين الموتين ، حتى تتاح له فرصة التدخل ، قصد تمديدها ، وربما توصل الى انقاذ الانسان . ويقول البرفسور نكوفسكي بأن هذا الفارق الزمني ، بين الموت الاكلينيكي ، والموت الفزيولوجي ، قد امكن تمديده الى ثلاثين دقيقة بالنسبة للقرود ، والى ساعة او ساعتين أحيانا بالنسبة للكلاب . لكن اهم مشكل يواجه القائمين بهذه التجارب ، هو الاحتفاظ بحيوية الكائن المتعضي ، بعد انتشاره من برائن الموت : « وقد اظهرت التجارب أن احياء المتعضي ، اسهل بكثير من الاحتفاظ له ، بجميع وظائفه الحيوية » . فاستعادة الحياة في مثل هذه الاحوال ، انما هو بارقة امل ، تشرق فيها الحياة ، بفضل الطرق الخاصة المتبعة ، لمدة دقائق ، ثم تخبو لصعوبة الاحتفاظ بها ، نظرا الى أن الحياة ، ولو تعدت هذه الدقائق ، انما تستمر في اغلب الاحيان ، تحت تلك الطرق ذاتها ، وليست تلك بالحياة التي يسعى وراءها العلم . اما حالات معروفة ، كتلك التي تنجم عن صعق التيار الكهربائي لشخص او بعض ارتجاجات في العروق الدموية بالقلب ، فإن آلة خاصة ، تتدخل لاعادة تنظيم العمليات الحيوية .

يبقى سؤال هام : ما الذي يحدث في حالة الموت الاكلينيكي ، وكيف يتم الانتقال منه الى الموت الفزيولوجي ؟ او لنقل في أي شيء تتركز جهود العلم ، للخروج بالمرء من حالة الموت الاكلينيكي ، الى استعادة الحياة ؟ ، يقول البرفسور نكوفسكي : « أن العلماء توصلوا الى أن عناصر سامة تتجمع في البلازما الدموية وتمنع اعادة الحياة ، ولاستخلاص هذه العناصر

رائعة من الرقص الكلاسيكي ، كما عزف جوق المعهد مقطوعات نالت الإعجاب .

* أقام سفير المغرب في تونس حفلة سلم خلالها السيد السفير لوفد عن مدينة القيروان ثلاثة أعمدة من حجر المرمر التي أهداها جلالة الملك لمسجد عقبة ابن نافع اثناء زيارة جلالتة لهذه المدينة .

* نظمت في جميع الاقاليم المغربية حفلات تخلد ذكرى عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك المعظم .

* وفد على المغرب مجموعة من الشباب الكندي في زيارة دراسية وسياحية نظمتها وزارة الشبيبة والرياضة ، وتدخل هذه الزيارة في نطاق تبادل وفود الشباب بين المغرب والاقطار الصديقة .

* منحت جامعة مدريد الدكتور طه حسين درجة الدكتوراه الفخرية تقديرا للدور الكبير الذي لعبه في النهضة الادبية العربية الحديثة .

* اقام نادي القصة ورابطة القلم الجديد بتونس حفلة تكريم على شرف الاديب الليبي القاص عبد الله القويري بمناسبة صدور مجموعته القصصية «الزيت والتمر» ، كما اقيمت حفلة تكريم للاستاذ محمد العروسي المطوي بمناسبة صدور قصته الجديدة «التوت المر» .

* صدرت لحسن نصر من تونس مجموعة قصصية باسم «ليالي المطر» ، وهي الحلقة الاولى من السلسلة القصصية التي شرعت في اصدارها الدار التونسية للنشر باشراف «نادي القصة» .

* صدر عن الدار التونسية للنشر العدد السابع من مجلة «قصص» التي تصدر عن كل ثلاثة اشهر .

* صدر في تونس عن مطبعة «المنار» كتاب «جيش التوشيح» للسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776 هـ . وهو اوسع مجموعة من الموشحات الاندلسية عرفت حتى اليوم تضم 165 موشحا جلها غير معروف سابقا . وقد حققه وقدم له وترجم لوشاحيه البحانة العراقي هلال ناجي . واعد اصلا من اصله الشيخ محمد ماضور الاندلسي .

* سيبدأ العمل في انشاء المدينة الجامعية اللبية في اوائل هذا الشهر .

* يجري الدكتور سهيل ادريس ، رئيس تحرير مجلة «الآداب» اللبنانية اتصلا مع الكتاب اللبنانيين لانشاء «اتحاد الكتاب اللبنانيين» .

* يصدر في هذه الايام عن دار «الآداب» بيروت كتاب «تشریح جنة الاستعمار» للكاتب الفرنسي دوشير ، الذي قام بترجمته ادوار خراط .

* وسيصدر كذلك عن نفس الدار كتاب «ريجنس دوبري» بعنوان : «دفاعا عن الثورة» ، قام بترجمته الى العربية الاستاذ نزيه الحكيم .

* نعت لبنان الشاعر المعروف الاستاذ بولس غانم عن 85 سنة .

* اصدرت الباحثة مهي المقدم كتابا عن المشكلات الاجتماعية وتفكك الاسرة وانحراف الاحداث . والكتاب صدر عن مركز تدريب العاملين مع الاطفال في بيروت .

* اصدر الاستاذ باسيل دقاق من لبنان كتابا بعنوان : «الباب الذهبي» يشتمل على انطباعاته عن الرحلات التي قام بها الى عدد من بلدان آسيا .

* «الحية في حياتنا وتراثنا» عنوان الكتاب الذي صدر للاستاذ عبد القادر عياش ، عضو لجنة الفنون الشعبية بسوريا .

* دعت ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي في سوريا الى مسابقة بين الكتاب المسرحيين في جميع الاقطار العربية لانتقاء مسرحيات جديدة لصالح المسرح العسكري .

* اصدر الشاعر السوري الياس طعمة مجموعة شعرية بعنوان : «رؤيا في الطريق» .

* صدر في بغداد كتاب «تاريخ واسط» وهو من تأليف اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببخشل المتوفى سنة 292 هـ . وقد قام بتحقيقه الاستاذ كوركيس عواد ، كما اصدر نفس المحقق كتاب

أنباء ثقافية

المغربية . وقد جاء هذا العدد حافلا بالموضوعات والأبحاث حول صحرائنا وتاريخها .

* أصدرت وزارة الشبيبة والرياضة كتابا بعنوان : « من تراث المغرب » يتضمن مجموعة من المحاضرات التي أقيمت خلال الموسم الثقافي في جميع أنحاء المغرب .

* بمناسبة مرور 35 سنة على تأسيس ثانوية « النهضة » بسلا ، أقامت الثانوية مهرجانا حافلا ، تخليدا لهذه الذكرى .

* أقام الشاعر الفنان كمال الزبيدي معرضا للوحاته نقاعة فندق « افقرت » بشاطئ الضخيرات . كان له صدى طيب في نفوس الزائرين .

* عين صاحب الجلالة الملك المعظم ، ثلاثة وزراء للتعليم : الأستاذ حدود الشكر للتعليم الابتدائي ، والأستاذ قاسم الزهيري للتعليم الثانوي ، والأستاذ عبد اللطيف الفيلالي للتعليم العالي .

* نظمت وزارة الشبيبة والرياضة رحلة الى فرنسا ابتداء من 4 يوليو الى فاتح غشت من هذه السنة للراغبين من الشباب في القيام بهذه الرحلة .

* ترأست صاحبة السمو الاميرة للا امينة حفلة توزيع الجوائز على تلامذة مؤسسة الاميرة للا امينة بالدار البيضاء .

* أقامت مديرية المعهد الوطني للموسيقى ، والرقص ، والفنون الجميلة ، مهرجانا فنيا بمسرح محمد الخامس بالرباط ، بمناسبة انتهاء السنة الدراسية . وفي هذا الحفل قدم تلاميذ المعهد نماذج

* تصدر قريبا عن مطبعة الرسالة بالرباط ، مجموعة قصصية للاستاذ الحاج احمد بناني .

* زار المغرب في الايام الاخيرة وفد يتكون من ثلاثين طالبا من المدرسة الوطنية للفلاحة بتولوز . وتدخل هذه الزيارة في نطاق التبادل الدولي بين الشباب . وقد اعرب الوفد عن اعجابه بعمارة المدن ، وبالاخص مدينة فاس .

* دشن الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس معرض مدارس محمد الخامس بالرباط . وقد حضر حفلة الافتتاح عدد كبير من رجال الفكر والادب الى جانب طلاب المدرسة واساتذتها .

* يعكف السيد هاشم المهدي الشريف من ليبيا على تحرير رسالة جامعة من مجلة « البحث العلمي » الذي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط .

* أقامت جمعية الشباب الفلاحي بالمغرب مهرجانا كبيرا بفندق هيتلون برعاية سمو الامير مولاي عبد الله .

* زار المغرب مؤخرا الصحفي المصري الاستاذ رضا ممدوح مدير ورئيس تحرير جريدة « الجمهورية » القاهرة . وقد قام خلال زيارته للمغرب بجولات في كبريات المدن المغربية .

* كما زار المغرب وفد من الصحفيات الليبيات يضم السيدة خديجة الجاهمي ، والسيدة فاطمة اكرازة ، والانسة سعاد فتح الله .

* صدر العدد الخامس عشر من مجلة « الوحدة » التي تصدرها وزارة شؤون موريطانيا والصحراء

* أصدرت السيدة شرقية الراوي كتاب « الأوديسة العربية » يشتمل على منتخبات شعرية للشاعر المرحوم عدنان الراوي .

* الاستاذ عبد الرحمن علي عضو رابطة الادب الحديث في القاهرة ، صدر له كتاب عن « شوقي وإمارة الشعر » .

وقد سبق للمؤلف ان أصدر أربعة كتب عن الشاعر المرحوم « الكاظمي » .

* « نداء القمم » أول ديوان شعر يصدره د. يوسف خليف استاذ الادب العربي في آداب جامعة القاهرة . الديوان في 300 صفحة تتضمن مقدمة عن اتجاهات شعرنا المعاصر مع موقف الديوان من هذه الاتجاهات .

* كتاب جديد للفريق عبد الرحمن أمين عن سيد الشهداء الامام الحسين رضى الله عنه باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، سيقدم للسياح والزائرين لمسجد الامام الحسن .

* ابهر عميد الادب العربي د. طه حسين الى إيطاليا في رحلته السنوية (4 اشهر) تصحبه قرينته .

* صدرت الطبعة الثالثة مزيده ومنقحة ومعدلة من كتاب (الففران) لابي العلاء المعري للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) .

* سيصدر قريباً من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق المطبوعات التالية :

1 - تراجم الاعيان من ابناء الزمان للبوريني (المجلد الثاني) تحقيق الدكتور صلاح المنجد .

2 - ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب الزبيدي تحقيق الدكتور صلاح المنجد .

3 - غريب الحديث لابن قتيبة (الجزء الاول) تحقيق الانسة ملك هنانو .

4 - التلخيص في معرفة أسماء الاشياء لابي هلال العسكري تحقيق الدكتور عزة حسن .

5 - التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الاصفهانى تحقيق الدكتور اسعد طلس (صدر) .

6 - الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي تحقيق المرحوم عز الدين التنوخي .

7 - خريدة القصر وجريدة العصر للمصايد الاصفهانى (قسم بلاد المعجم) و (ملحق شعراء الشام) تحقيق الدكتور شكري فيصل .

* ترجم فؤاد كامل رواية « الامل » للكاتب الفرنسي اندريه مالرو . وهي عن الحرب الاهلية في اسبانيا . وقد ترجم فؤاد كامل قبل ذلك لنفس المؤلف رواية « قدر الانسان » . والترجمة دقيقة أمينة .

* حافظ ابراهيم ، شاعر النيل تقرر اعادة طبع ديوانه في مشروع المكتبة العربية الذي يشرف عليه ، المجلس الاعلى للفنون والاداب .

* المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب قرر ان يصدر كتاباً دورياً كل شهرين عن الشعر والقصة ، سيخصص جزء كبير من الكتاب لانتاج الناشئين .

* معهد البحوث والدراسات العربية ، قرر اصدار مجلة وسوف يكون من الموضوعات الهامة في عددها الاول ، البحث الذي لقاها محمد خلف الله احمد مدير المعهد في المؤتمر الدولي السابع والثلاثين للمستشرقين في امريكا في اغسطس الماضي ، والبحث عن دور الفصحى ومستقبلها في حياة العالم العربي .

* يصدر قريباً للاستاذ خالد محمد خالد كتاب بعنوان : (الحسين ومعركة كربلا) .

* تصدر قريباً للاستاذ محمد عبد الله عنان دراسة وافية عن الوزير لسان الدين ابن الخطيب . وقد ناقش فيها جميع آثاره المخطوطة والمطبوعة .

* جاء من تونس انه سيقام في كل مركز ولاية (لواء) مهرجان لعلم من اعلام الفكر التونسي . وخصصت دار الثقافة في العاصمة تونس الاسبوع الاخير من الشهر الماضي للاديب والناقد ابي الحسن ابن رشيق ، فعرضت مؤلفاته مع المؤلفات التي تحدثت عنه . وختم الاسبوع الاستاذ عثمان الكماك مدير دار الكتب الوطنية بمحاضرة عن ابن رشيق فتحدثت عن مولده ثم عن ادبه ثم عن نقده واخيراً تحدثت عن مؤلفاته الذي لم يكن كتاب (العمدة) هو مؤلفه الوحيد بل له تأليف عدة هي (1) قراصة الذهب ، (2) نموذج الزمان في شعر القيروان ، (3) الروضة الموشية في شعراء المهديّة ، (4) قراصة الذهب في نقد اشعار العرب ،

« رسالة في الاحجار الكريمة » وهو من تأليف ابا فنيوس المتوفى سنة 402 ميلادية .

* « المملكة العربية السعودية وتطورها الاقتصادي » عنوان الكتاب الذي صدر للاستاذ الفيصلي عبد الرحمن السوري في المملكة العربية السعودية .

* اكتشفت دائرة الآثار الاردنية عن مقبرة نبطية بالقرب من ذات الراس جنوبي الكرك ، وهي تضم 7 قبور منحوتة في الصخر على عمق 5 امتار من سطح الاردن ، وظهرت بداخلها كتابة نبطية نقشت على حجر وقطعة نقد ذهبية باسم الامبراطور طيباريوس وقوادير فخارية واسرجة .

وتعود هذه المقبرة الى القرن الاول للميلاد .

* « صور من البطولة » عنوان الكتاب الذي صدر للاديب الاردني سليمان موسى ، استعرض فيه بعض الابطال المسلمين .

* فازت الشاعرة نازك الملائكة في المباراة التي نظمتها وزارة الثقافة والاعلام بالعراق لاختيار نشيد وطني في موضوع كفاح الامة العربية .

* منع مجلس الطباعة والنشر في جنوب افريقيا كتاب « القوة السوداء » الذي افهه الزنجي الامريكي ستوكلي كارمايكل ، ودعا فيه الى نضال السود ضد البيض في جميع انحاء العالم .

* اكتشف علماء الآثار كنزا من الذهب والحجارة الكريمة بمدينة بايترا بالمكسيك ، يعود الى الف سنة مضت وتقدر قيمة هذا الكنز بملايين من الجنيهات الاسترلينية .

* اصدر الشاعر اللبناني الكبير بولس سلامة كتابا بعنوان « من شرفتي » يعد رائعة من روائع الادب العربي الحديث .

* اصدرت وزارة الثقافة والارشاد في العراق ضمن سلسلة الكتب الحديثة كتابها الثاني والعشرين بعنوان « مع الكتب وعليها » وهو من تأليف الاستاذ عبد الوهاب الامين .

* « مسجد جامع البصرة الكبير » عنوان لكتاب صدر للشيخ عبد القادر باش اعيان العباسي .

* « بيت الذكريات » رواية جديدة صدرت حديثا للاستاذ حازم مراد .

* اقيم في طنطا احتفال كبير ، تخليدا لذكرى مرور ثلاثين سنة ، على وفاة الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعي . بعثت لجنة الاحتفال الى مجلس الفنون والاداب بالقاهرة طالب باعادة طبع ونشر كتب الرافعي . وقد اقامت اللجنة المذكورة تمثالا نصفيًا للرافعي في مدخل دار الكتب بالمدينة ، واطلق اسمه على احد شوارعها الكبرى واحدى مدارسها الثانوية.

* احدثت وفاة الاديب المصري الكبير احمد حسن الزيات حزنا عميقا في جميع الاوساط الثقافية في البلدان العربية ، وغير العربية . رحم الله الفقيد الكبير ، فقد كان رائدا من رواد الادب الذي قامت على يدها النهضة الفكرية العربية الحديثة . والاستاذ المرحوم احمد حسن الزيات توفي عن 83 عاما ، قضى الجزء الاكبر منها في خدمة الادب العربي بمؤلفاته الى 15 في النقد والادب وعن طريق مجلة « الرسالة » التي ظلت تصدر 20 عاما . وقد كرمته الدولة فاهدته عام 1962 جائزتها التقديرية في الادب مع ميدالية ذهبية . وكان عضوا في المجلس الاعلى للفنون وفي المجمع اللغوي.

* مؤلفات الاديب الكبير احمد حسن الزيات يعاد طبعها الان . فقد نشر « عالم الكتب » طبعة جديدة من هذه الكتب منها . دفاع عن البلاغة ، مع مقدمة للدكتورة نعمات فؤاد . . و « الام فرتس » للشاعر الالماني جيته مترجمة عن الفرنسية . وكان الزيات قد ترجمها منذ 48 سنة . . و « رفايل » للشاعر الفرنسي لامرتين ، وهي مترجمة من 32 سنة !

* اصدرت دار « عالم الكتب » بالقاهرة ، طبعة جديدة لبعض كتب المرحوم احمد حسن الزيات .

* ازيح الستار في مدخل الجامعة الامريكية بالقاهرة عن لوحة تذكارية تحمل اسم الدكتور امير بقطر عميد جماعة التربية المصرية الذي توفي منذ عامين . وقد عمل الفقيد اربعين سنة في الجامعة المذكورة ، وانشأ مجلة « التربية » ، وهو العربي الوحيد الذي منحته جامعة كولومبيا وسامها الذهبي الممنوح الى عشرة اشخاص فقط في العالم منذ افتتاحها من 150 سنة .

* صدر للدكتور محمد فاضل الجمالي كتاب بعنوان : (آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية) طبع الدار التونسية في 210 ص ، وبه ملحقان أحدهما عن مستقبل التربية والتعليم في العراق ، والاخر عن صلاح اللغة العربية للتدريس الجامعي .

* صدر عن مكتبة الانجلو في القاهرة كتاب جديد بعنوان : (صفحات من حياتهم) تأليف الاستاذ محمد نصر ، يتناول فيه بالدراسة احمد شوقي ، احمد كمال زكي ، امين يوسف غراب ، انيس منصور ، توفيق الحكيم ، ثروت اباظة ، حاذية صدقي ، الشيخ حسن مأمون ، حسين مؤنس ، طه حسين ، عائكة الخزرجي ، عباس العقاد ، غادة السمان ، محمود تيمور ، مراد كامل ، نازك الملائكة ، نجيب محفوظ ، وغيرهم من الادبيات والادباء ، والكاتب يكشف الستار لأول مرة عن حقيقة علاقة العقاد بالفتاة التي انتحرت يوم وفاته .

* « الطبيعة في الشعر العربي الحديث » عنوان الرسالة التي سيناقشها بكلية دار العلوم الدكتور عبد القادر القط وعمر الدستوقي واحمد هيكل . . وقد أعد الرسالة الأستاذ محمد صادق الكاشف خريج الكلية .

* صدرت الطبعة الثانية من الجزء الاول من « تاريخ الطبري » ومن تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .

* كتاب جديد للدكتور مصطفى الشكعة في دراسة الادب العربي شعرا ونثرا وخطابة بعنوان « الادب - موكب الحضارة الاسلامية » في 870 صفحة . . وقد حرص الدكتور الشكعة على ان يلتقط خطا حضاريا بارزا في الحضارة الاسلامية ، وسار به وراءه في كل مجالات الادب العربي ، واستطاع ان يمس الكثير من جوانبه بوضوح وبساطة .

* « القيم الاسلامية للفكر الاسلامي والثقافة العربية » هو اسم الكتاب الجديد الذي يقوم انور الجندي في القاهرة باعداده في موسوعته الجديدة « معالم الفكر المعاصر » باعتبارها استكمالا لموسوعة « معالم الادب العربي المعاصر » . ويصدر في موسوعة الفكر خلال الشهر الجاري « الاسلام وحركة التاريخ » .

* حصل الدكتور محمد محمود حجازي على الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى من كلية اصول الدين بجامعة الازهر ، وكان موضوع الرسالة عن « الوحدة الموضوعية في القراءن الكريم » وللدكتور حجازي مؤلف من ثلاثين جزءا عن التفسير الواضح لقراءن بطريقة سهلة تفيد الشباب المثقف ثقافة مدنية .

* محاولة في تفسير العداوة . . اسم الكتاب الذي ظهر في السوق من تأليف الدكتور سيد عويس ، وهو يتضمن دراسة عامة للسلوك الانساني وتفسير بالعداوة تفسيراً علمياً يهدف الى العلاج وتنمية الشعور بالمحبة .

* صدر المجلد الثاني من كتاب (الحجة على اهل المدينة) للامام محمد بن الحسن الشيباني تحقيق مهدي حسن الكيلاني باشراف ابو الوفاء الافغاني (حيدر آباد - الدكن سنة 968) وثمنه ثلاثة دنانير .

* ذكر الاستاذ صالح جودت المحرر بمجلة (المصور) ان دار الشاعر الكبير احمد شوقي المروفة بـ (كرمة ابن هاني) القائمة على شاطئ النيل بالجيزة ستؤجر او تباع قريبا ، وهو يستصرخ ضمائر المسؤولين بعدم الاقدام على التفريط في هذه الدار التي آوت اعظم شاعر في تاريخ الادب العربي الحديث بل تحويلها الى متحف .

* كما ذكر الاستاذ صالح جودت ان دار الشاعر اللبناني الكبير بشارة الخوري قد هدمتها الحكومة اللبنانية فاضطر للسكنى في شقة متواضعة في الطابق الرابع في حي (الدورة) . . .

* افتتح في اكرا مؤخرا مؤتمر حول تنمية الكتاب في افريقيا ، وشارك في هذا المؤتمر الذي عقد تحت اشراف منظمة اليونسكو اربعون خبيرا افريقيا وملاحظون عن عدد كبير من الدول من بينها المغرب والعراق والولايات المتحدة ودول اوربية اخرى .

وعقبت وكالة الانباء الغانية على اشغال هذا المؤتمر فلاحظت ان هذه اول مرة يعقد فيها مؤتمر من هذا النوع لدراسة مسائل مختلفة تتعلق بميدان الكتاب ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتأليف الكتب عن افريقيا .

(5) المساواة في السرقات الشعرية ، (6) ميزان العمل في التاريخ ، (7) رفع الاشكال ودفع المحال .

* طلب اتحاد الجاليات الاسرائيلية في سويسرا من محكمة لوزان ان تقضي بمصادرة كتاب في 700 صفحة صدر في سويسرا بعنوان : « الماضي والحاضر والمسألة اليهودية » من تأليف الدكتور جيمس البرت ماتيز الذي اثبت ببراهين دامغة ان الاسرائيليين عنصريون شأنهم في ذلك شأن النازيين .

* الممثل عبد الوارث عسر ، يكتب الان مذكراته الفنية خلال 50 عاما قضاها مشتغلا بالفن .

* استعداد الممثل الكبير حسن فايق صحته بعد ان عاش 3 سنوات بعيدا عن الاضواء على اثر اصابته بشلل نصفي .. سيشارك لأول مرة في مسرحية « 30 يوما في السجن » التي يقدمها مسرح الريحاني خلال موسم الصيف .

* انتخب المجمع العلمي المصري الدكتور حسين فوزي رئيسا بعد استقالة الدكتور كامل حسين . كما انتخب الدكاترة : محمد رضا مدور نائبا للرئيس ومحمود حافظ امينا عاما ومحمد مصطفى امينا للصندوق والاب جورج قناتوي امينا عاما مساعدا والاب هنري عيروط عضوا منتسبا وميشيل فرح عضوا مراسلا .

* يوم 10 مايو صادف مرور 31 عاما على وفاة الاديب مصطفى صادق الرافعي .. وقد احتفلت مدينة طنطا بأديبها الكبير في هذا اليوم . اما « اذاعة الشعب » فستمضي في تقليدها الجديد في الاحتفال بذكرى الادباء الكبار ، كما فعلت في ذكرى العقاد .

* جمعية الادباء بالقاهرة ستصدر مجلة باسم (الكلمة الجديدة) .

* رات فرنسا ان تعيد عرض 80 فيلما من اشهر افلامها الطويلة على الجماهير العربية بعد ان تطبع عليها الترجمة العربية .

من بين الافلام التي ستعرضها فرنسا البؤساء « فيكتور هوجو » ، زواج فيجارو « بومارشيه » ،

اللاعب والابلة « ديستوفسكي » . كذلك الافلام التي انتجتها فرنسا عن الاحتلال الالمانى : الافلام الاستعراضية الفنية التي فازت بجوائز في مهرجانات عالمية .

* صدر في الاتحاد السوفيتي كتاب جديد عن المفكر المصري رفاعة الطهطاوي بقلم الكاتبة السوفياتية نريما كزاروفا المتخصصة في الدراسات الشرقية . قالت الكاتبة في تقديمها لشخصية رفاعة الطهطاوي : « ان الرجل الذي كرس جانبا كبيرا من حياته للدعوة المتقارب بين الشرق والغرب في جو يسوده الفهم المتبادل .. يستحق ان نخلد ذكره في اذهان مختلف الشعوب » .. والجدير بالذكر ان الكاتبة السوفياتية من جمهورية آسيا الوسطى السوفياتية ، وقد زارت الجمهورية العربية المتحدة في الفترة الاخيرة ، زارت ايضا قرية طهطا التي ولد فيها رفاعة الطهطاوي ، واجتمعت بأهله وبعدد كبير من الادباء والكتاب .

* جرى في قاعة الاجتماعات بجامعة بغداد احتفال بمنح شهادة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة من جامعة ماتين لوثر في - هالابنبرك - بالمانيا الديمقراطية للدكتور عبد العزيز الدوري رئيس جامعة بغداد ، حضره اعضاء مجلس جامعة بغداد وكبار موظفي الجامعة وعمداء الكتاب .

* قدم الدكتور شوقي ضيف بدعوة من جامعة بغداد ، والقي محاضرة في كلية الشريعة عن تطور الشعر العربي الحديث . وكان حضرته موضع احتفاء وتقدير جميع الاوساط الثقافية .

* سيتم قريبا تأسيس مؤسسة عامة للترجمة تخاف مؤسسة فرانكلين تتولى ترجمة مختلف جوانب التراث العالمي في مجالات الثقافة والفن والعلوم للقراء العراقيين .

* قررت وزارة الثقافة بالقاهرة شراء مكتبة عباس محمود العقاد وضمها الى دار الكتب بحيث تكون وحدة مستقلة كفرع من فروع الدار . وتضم المكتبة اكثر من 8 الاف كتاب في مختلف العلوم والفنون باللغتين العربية والانجليزية بالإضافة الى مجموعة نادرة من المراجع العلمية الهامة .

وهو كتاب المعاملات والحياة اليومية لليهود منذ انهدم عليهم الهيكل سنة 70 ميلادية حتى اليوم . وكتاب « التلمود » مليء بالتفاصيل والعبارات المتأبىة والقصص الشاذة . ولذلك سوف تختار لجنة متخصصة اهم ما جاء في التلمود واكثرها دلالة على الروح الشريرة المتعصبة الجريمة التي يتسم بها اليهود في العصور .

واكثر مشروعات « المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية » طموحا هو اصدر « موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الاسلامي » . وسوف تصدر هذه الموسوعة في 55 مجلدا . وقد صدر منها ثلاثة اجراء هذه الموسوعة مثل كل دوائر المعارف المتخصصة تضم كل ما يحتاج اليه الباحثون .. والموسوعة بهذا المضمون وبهذا الشكل قد جاءت على نسق دوائر المعارف العالمية ذات الموضوع الواحد .. وربما اختلفت عنها في شيء هام وهي انه في نهاية كل مجلد قد اضافت معجمها بأسماء الاعلام مع الشرح والتعليق ..

ولا شك ان هذا العمل العظيم الذي يقوم به صفوة من العلماء العرب يستحق التقدير ..

* « من عيون الشعر » كتاب صدر في العراق مؤلفه الاستاذ محمد ناجي القسطنطي

* اصدرت وزارة الاوقاف العراقية مجلة بعنوان « الرسالة الاسلامية » .

* « شعر المقاومة في فلسطين المحتلة » كتاب بالانجليزية صدر عن وزارة الثقافة والارشاد العراقية يتضمن ترجمة لقصائد عدد من الشعراء الفلسطينيين .

* انتهى الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني ، والدكتور مصطفى جواد من العراق ، من تحقيق كتاب « رسائل في اللغة » ويشتمل على ثلاث رسائل في اللغة ، الاولى « في تمام فصيح الكلام » لاحمد بن زكريا ابن فارس من علماء القرن الرابع . والثانية « الحدود في النحو » . والثالثة « منازل الحروف » وهما من تأليف علي بن عيسى الرماني من علماء القرن الرابع الهجري المتوفى سنة 376 .

* اصدر الاستاذ عبد الجبار داود البصري كتابه الرابع تحت عنوان « شيء من التراث »

* « مهاجر بريسبان » اسم مسرحية للشاعر اللبناني جورج شحادة ، ستعرض في القاهرة .

* سيصدر للشاعر السوداني احمد سيد الحردلو ديوانا عن دار الكتاب العربي في القاهرة .

* تشكلت لجنة ادبية مؤلفة من الادباء السودانيين وهم : الدكتور عبد الله الطيب ، والاستاذ محمد الامين حامد ، والاستاذ جبلى عبد الرحمان ، مهمتها اختيار الكتب الجديدة ونشرها باسم وزارة الثقافة والارشاد السوداني . وقد اختارت اللجنة من الان مجموعة قصص وخمسة دواوين تنشرها على التوالي بحيث يصدر كتاب : كل شهر .

* الشاعر السوداني مهدي المجدوب يصدر له في هذه الايام ديوان جديد هو باكورة انتاجه ، رغم انه شاعر ذائع الصيت .

* المؤلف اللغوي جورجى سليم ابى اسبر ، اصدر كتابا عنوانه « مجموعة الحروف العربية وظروفها » ، وهو دراسة هامة جدا ، لكل من يهتم باللغة وفقها .

* ستصدر في لندن في هذه الايام ترجمة انجليزية لرسالة حول « الرماية بالسهم » كتبت بالعربية قبل 500 سنة .

* « المرأة العراقية المعاصرة » اسم لكتاب صدر للاستاذ عبد الرحمان سليمان الدرنبدى .

* صدرت الطبعة الجديدة المزيده من الجزء السابع من كتاب « تاريخ الوزارات العراقية » وهو من تأليف الاستاذ عبد الرزاق الحسني .

* اصدر مكتب الشرق كتابا تحت عنوان : « ما هو البحث وكيف تكتبه » من تأليف الاستاذ ميخائيل مروكى .

* « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب » و « شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب » هذان الكتابان صدرا مؤخرا بتونس .

* « شعر خفاف بن ندمه السلمي » - الشاعر المخضرم ، جمع شعره وحققه الدكتور نوري حمودى القيسي . وصدر هذا الكتاب في العراق .

وقد صرح المدير العام المساعد لمنظمة اليونسكو الذي يشارك في هذا المؤتمر ان افريقيا تعاني ازمة في ميدان انتاج الكتب ، وأوضح ان انتاج الكتب في القارة الافريقية لا يتعدى حاليا 6 كتب في السنة لكل مليون شخص ، في حين تنتج اوربا 2918 كتابا لكل مليون شخص .

* نشرت جمهورية المانيا الديمقراطية اول ترجمة المانية للقرآن الكريم ، وتقوم بنشره « يونيفرسال بيبليوتيك » اقدم دار نشر صحيفة في العالم يعود تاريخها لمائة عام خلت . اما الطبعة الواسعة نسبيا والبالغة 20 الف نسخة فستؤمن توزيعا واسعا بسعر منخفض قدره حوالي 3 ماركات .

* « امرؤ القيس .. امير شعراء الجاهلية » احدث دراسة عن اقدم شاعر صدرت عن دار المعارف للدكتور الطاهر مكي مدرس الادب العربي بكلية دار العلوم . الكتاب يناقش اهم القضايا اللغوية والادبية في العصر الجاهلي .

* قررت نقابة المهندسين اعادة طبع خريطة الادريسي الشهيرة التي كان المجمع العلمي العراقي قد قام بطبعها قبل اكثر من عشر سنوات بتحقيق محمد بهجت الاثري والدكتور سوسة . والطبعة الجديدة ستكون بتحقيق الدكتور صالح احمد العلي والدكتور ابراهيم شوكت .

* سيصدر المجلد الثاني من كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الاصفهاني الكاتب (قسم شعراء المغرب) تحقيق محمد المزروقي ومحمد المروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى .

* ستصدر قريبا عن الدار التونسية للنشر المطبوعات التالية :

— الواضح في مشكل المتنبي للصاجي ، تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور .

— طبقات علماء افريقية وتونس ، لابي العرب ، تحقيق الدكتور علي الشابي والدكتور نعيم حسن اليافي .

— الفارسية في اخبار الدولة الحفصية لابن قتبقد تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي .

— « معجز احمد » لابي الطيب المتنبي تحقيق محمد الفاضل ابن عاشور ومحمد الحبيب ابن الخوجة

— الحلل السندسية للوزير السراج ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة .

— الادب الفارسي في العصر الفزنوي للدكتور علي الشابي .

— اضاء على الانار الاسلامية لمحمد الشابي .

— دور القيروان في المغرب الاسلامي لمحمد العزوسي المطوي .

— دراسة عن الادب التونسي لمحمد الحليوي .

— وثائق تونسية (النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

* استطاع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة ان ينشر في فترة وجيزة مئات الكتب الاسلامية القيمة وجعلها في متناول جميع الباحثين .

والكتب الكثيرة التي اصدرها المجلس كلها عن التاريخ الاسلامي والعلوم القراءانية والحديث وتحقيق الاحاديث واختيارها وشرحها والمذاهب الدينية والفرق الدينية ايضا ، بل ان المجلس قد نشر كتابا قيما هو كتاب الخطابة للفيلسوف اليوناني ارسطو .

ومما يدل على تنوع الكتب والمجلات التي يرتادها المجلس انه نشر كتابا مثل : « محمد .. وبنو اسرائيل » للدكتور مصطفى كمال وصفي .. وكتابا عن « اليهود والخرية » للواء عبد المنصف محمود .. غير هذين الكتابين ايضا عن العلاقة بين اليهود والتأمر على الاسلام والمسلمين ..

ومن الكتب الجليلة التي اصدرها المجلس اخيرا كتاب (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) في اكثر من 930 صفحة من الورق الكبير . وفي هذا الكتاب نجد اسهل التفسيرات لكلام الله ، وبذلك يصبح فهم القرآن الكريم في متناول المتخصص وغير المتخصص .

كما ان المجلس عكف على القيام بعمل ضخم شاق هو انتخاب 600 صفحة من كتاب « التلمود »

* « المرأة العربية والروح النضالية » كراسة من 32 صفحة صدر في بيروت لثريا ملحس . طبع منه 1500 نسخة ، وقدم ريعه الى الفدائيين واصدقاء القدس .

* اقامت الرابطة الادبية الشمالية في طرابلس حفلة تذكارية كبرى لفقيد الادب رثيف خوري برعاية محافظ الشمال الشيخ قاسم العماد ، وقد تكلم فيها : الشيخ قاسم العماد ، رياض طه ، الدكتور شكري فيصل ، بلند الحيدري ، يوسف يونس ، «ابو سلمى» عبد الكريم الكرمي ، يوسف السباعي ، المهندس حبيب غائب . وقد كان عريف الحفلة عبد الهادي شلق .

* صدرت في بيروت مجلة شهرية موسوعية باسم « بروق ورعود » صاحبها ايليا حجار ، ومديرها المسؤول محيي الدين الميداني .

* يصدر خلال هذا الشهر عن منشورات عويدات بيروت « معجم الادب المعاصر » تأليف بيار دي بواذيفر ترجمة بهيج شعبان . ويقع الكتاب في نحو 700 صفحة حجم كبير . ويجدر التنويه الى ان المؤلف قد كتب مقدمة للطبعة العربية . بموجب الاتفاق الذي عقد بين الناشر العربي والناشر الفرنسي .

* « خبانا الصواريخ في الهياكل » ديوان جديد لثريا ملحس صدر في بيروت . ويقع في 548 صفحة حجم كبير وهو يمثل عند الشاعرة المرحلة الثانية . وقد قدم اربعمئة نسخة من الكتاب الى الفدائيين ونمن النسخة عشر ليرات لبنانية .

* صدر في منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت : « ديوان الجواهري » الجزء الاول والثاني في مجلد واحد يقع في 645 صفحة مع تجليد فني أنيق . و « المصطلح في الادب العربي » تأليف الدكتور ناصر الحاني . و « دراسات في الشعر العربي الحديث » تأليف امطانيوس ميخائيل . ويقع في 300 صفحة . و « وجهان عاريان » قصة طويلة تأليف باسم سرحان ، ونقع في 270 صفحة .

* توفى الدكتور سيف الدين الكيلاني الاستاذ في جامعة الرباط . وكان قبل ذلك سفيرا للاردن في المغرب ، كما سبق وتولى المناصب الوزارية . وكان

مربيا فاضلا واديبا وشاعرا مجيدا . وقد نقل جثمانه الى عمان حيث وري التراب .

* وافقت الحكومة الاردنية على استضافة الادبية المصرية جادية صدقي لدى زيارتها القرية الاردن للاطلاع على اوضاع النازحين .

* القاضي والاديب الاردني الاعمع مصطفى درويش الدباغ توفى في القاهرة على اثر جراحة اجريت له .

* صرحت دائرة الآثار الاردنية انه تم اكتشاف قبر اثري في جبل التاج بعمان يرجع الى العصر البرونزي القديم 2500 - 1600 ق . م . كما عثر على قبر اثري آخر في بلدة سحاب على بعد 12 كم في الجنوب الشرقي من عمان ، وظهر فيه آثار لها اهميتها في تاريخ الحضارة في الاردن خلال المدة 1400 - 600 ق . م .

* افتتحت الاميرة منى الحسين معرضا للرسم الكلاسيكي في المعهد الفرنسي بعمان . ضم المعرض 46 لوحة زيتية تصور البيئة الاردنية من رسم الاخوين جان وجورج كابلنيان .

* يزور الولايات المتحدة الدكتور محمود السمرة وكيل كلية الاداب في الجامعة الاردنية لحضور مؤتمر « الدراسات الانسانية » الذي تقيمه جامعة هارفرد ، وسيلقي بحثا عنوانه « الحياة الفكرية المعاصرة في الشرق العربي » ولقد دعى 20 استاذا من اشهر جامعات العالم لحضور هذا المؤتمر .

* اصدر وزير المعارف السعودي الشيخ حسين آل الشيخ قرارا بافتتاح اربع مدارس متوسطة حديثة في كل من الرياض والمدينة المنورة والهفوف .

* صرح وزير العمل والشؤون الاجتماعية السعودي الشيخ عبد الرحمن ابا الخيل ان مجلس الوزراء وافق على ارسال 25 شخصا ممن يعملون بمركز التدريب المهني الى ألمانيا الغربية للتدريب على مهنة الطباعة بموجب منحة من حكومة ألمانيا الغربية .

* صدر حديثا الجزء الاول من كتاب « مسألة العروج في الكتابات الصوفية » . الف هذا الكتاب باللغة الانجليزية الدكتور قاسم السمرائي ، وصدر في العراق .

* انتهى المستشرق السوفييتي ينر غرياز نيقتس من تصوير نصوص كتب تاريخية قديمة ذات محتوى ديني تعود الى السبائين والحمرين كتبت فيما بين القرن الخامس الميلادي ، والقرن السادس ، تمهيدا لنشرها في الاتحاد السوفياتي .

* صدر بالعراق حديثا ديوان « الشاب الظريف » لشمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني الملقب بالشاب الظريف ، وقد قام بتحقيقه ، وتفسير الفاظه الاستاذ شاكر هادي شكر .

* اصدر الدكتور حسام محي الدين الالوسي كتابا مهما بعنوان « حوار بين الفلاسفة والمتكلمين » .

* احتفلت الصحافة اللبنانية بالذكرى السابعة لمبايعة الاخطل الصغير بشاردة الخوري بامارة الشعر . والاختل من مؤسسي الصحافة اللبنانية يوم كان صاحب جريدة « البرق » وهو ما يزال حتى اليوم عميد نقباء الصحافة اذ انه اكبر النقباء الاحياء سنا . وهو القائل :

انا في شمال الحب قلب خافق
وعلى يمين الحق طير شاد
غنيت للشرق الجريح وفي يدي
ما في سماء الشرق من امجاد
وقد توفي في الايام الاخيرة فرحة الله عليه .

* الدكتور فخر الدين قباوة في حلب ، يحقق كتاب « شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي » نقلا عن نسخة عليها سماع لابن السمين قراءته الكتاب على استاذة المؤلف . ويعارض الدكتور قباوة الكتاب بشرح ابن الانباري المطبوع وشرح ابن النحاس الذي لم ينشر بعد .

* احدثت محاضرة محمد سيرجية رئيس محكمة الاستئناف بحلب التي القاها في المركز الثقافي بحلب بعنوان « مقارنة بين القصد الاحتمالي والخطأ والفصل بينهما » ضجة بين رجال الادب والقانون . فهي اول عمل فكري شهدته النهضة يشتمل على التفسير القانوني في أسلوب ادبي رائع .

* الباحث والشاعر السوري الدكتور زكي المحاسني صدر له في القاهرة كتاب جديد عنوانه « عبد الوهاب عزام في حياته واثاره الادبية » .

* الدكتور محمود محمد الحبيب مساعد رئيس جامعة البصرة في العلاقات الثقافية ومدرس العلوم الاقتصادية في جامعة البصرة اصدر بحثا عنوانه « نظريات الاجور في الفكر الاقتصادي » ويقع في 52 صفحة .

* « الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية » عنوان رسالة الدكتوراه التي اعدّها الباحث العراقي صالح داود القزاز وجرت مناقشتها بكلية اداب جامعة عين شمس .

* صدرت في بغداد الكتب التالية : « الشاب الظريف » لشمس الدين محمد بن عفيف سليمان التلمساني الملقب بالشاب الظريف تحقيق وتفسير شاكر هادي شكر ويقع في 304 صفحات . « حوار بين الفلاسفة والمتكلمين » للدكتور حسام محي الدين الالوسي في 296 صفحة . « الامراض النفسية الشائعة » للدكتور معمر خالد الشابندر في 172 صفحة . « الحضر » دراسة لمدينة الحضر التاريخية لماجد عبد الله الشمس في 110 صفحات . « شعر خفاف بن ندبه السلمي » جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي في 204 صفحات . « صالح بن قدوس البصري » جمع وتحقيق عبد الله الخطيب في 210 صفحات . « تاريخ الوزارات العراقية » طبعة جديدة مزيّدة من الجزء السابع لعبد الرزاق الحسني في 328 صفحة . « المرأة العراقية المعاصرة » لعبد الرحمن سليمان الدربندي الجز الاول في 340 صفحة .

* يصدر قريبا ديوان الشاعر الكويتي المعروف عبد الله عبد العزيز الدرويش وعنوانه « طلائع الفجر » .

* « العهد المخضرم في سوريا ولبنان 1918 - 1922 » كتاب جديد للعلامة محمد جميل بيهم صدر عن دار الطليعة في بيروت . ويقع في 224 صفحة .

* التقى الدكتور وليد الخالدي محاضرة موضوعها « فلسطين 1968 » في نادي متخرجي المقاصد الاسلامية ببيروت .

* صدر بالقاهرة عن دار الفكر العربي « ديوان الماحي » لمحمد مصطفى الماحي وهو كتابان في مجلد واحد ضخم يقع في 764 صفحة حجم كبير . ويتضمن الكتاب الاول شعر الديوان وصداه في ميدان الادب ، ويتضمن الثاني صفحات من قصص الحياة في ضوء شعر الديوان .

* « الاسلام وحركة التاريخ » كتاب جديد لانور الجندي صدر بالقاهرة وتناول بالعرض تاريخ الاسلام منذ فجره الى اليوم وفق منهج جديد يختلف عن المنهج المدرسي التقليدي ويرسم تطور التاريخ الاسلامي من خلال الخمس مراحل : توسع ، انصار وبلورة ، غزو ومقاومة ، وحدة اسلامية عثمانية ، يقظة عربية .

* توفي بمصر فجأة محمد خليل قاسم اول كاتب روائي نوبي، مؤلف القصة المعروفة « الشمندورة » .

* المجمع اللغوي في القاهرة يقيم مسابقة موضوعها « الاسرة في الادب العربي » آخر موعد للاشتراك بها 31 مارس من العام المقبل . المسابقة مفتوحة امام جميع الدول العربية .

* توفي الدكتور حسنين عبد القادر استاذ الصحافة بكلية الاداب بجامعة القاهرة .

* « اثر التلفزيون في الاطفال وتلامذة مدارسنا الابتدائية » عنوان رسالة الماجستير التي قدمتها نادية

شكري المدرسة بكلية رمسيس ، وجرى مناقشتها في كلية بنات جامعة عين شمس .

* احييت جمعية الادباء في القاهرة الذكرى الثانية لوفاة الاديب محمد فريد ابو حديد ، وتحدث عنه في الحفل محمد عبد الحليم عبد الله وشكري عياد وفاروق خورشيد وصافيناز كاظم .

* توفي في القاهرة عبد العزيز وصفي وكيل وزارة الثقافة .

* نوقشت بكلية اداب جامعة عين شمس رسالة الماجستير المقدمة من الانسة عربية توفيق لازم وموضوعها « التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث » .

* توفي بالقاهرة الدكتور حسن ابراهيم حسن مدير جامعة اسبوط السابق .

* حصلت السيدة آمنة اللوه اخيرا على شهادة دكتوراة الدولة من جامعة مدريد المركزية من كلية الفلسفة والاداب - قسم التربية - بدرجة امتياز وذلك بعد مناقشة رسالتها حول المدرسة المغربية الاولى بشمال المغرب من خلال التاريخ والعصر الحاضر .

* قال عبد الله بغدادى عميد كلية الشريعة بمكة المكرمة انه تقرر احدث قسم للدراسات العليا بكلية الشريعة لتحضير الماجستير والدكتوراه اعتبارا من اول العام الدراسي المقبل . وقد انتهت اللجنة التي شكلت لهذا الغرض من وضع اللوائح والخطط والمناهج المتعلقة بهذا القسم .

* وصل الى الرياض خبير فى الاحصاءات التعليمية اوفدته منظمة اليونسكو لتقديم المشورة الفنية للقيام بجمع وتنظيم الاحصاءات التعليمية والعمل بالادارة المختصة فى وزارة المعارف . كما وصل خبير الامم المتحدة الاقليمي لشؤون التنمية الصناعية للقيام بمتابعة ودراسة مشروعات التنمية الصناعية . ووصل ايضا خبير منظمة اليونسكو فى حقل تعليم الصم والبكم لتقديم المسورة لتطوير الدراسة فى هذا الحقل .

* قررت اللجنة الوطنية لليونسكو فى السعودية وضع كتاب ثقافى عن المملكة يتيح للعالم الوقوف على امكانيات الدولة والتعريف بما يجري داخل البلاد من اداب وفنون وحضارات تليدة تمتد جذورها الى القديس .

* اتخذت وزارة المعارف السعودية الخطوات اللازمة لافتتاح المعهد المهني الملكي وذلك بعد ان هيات المباني والاجهزة بشكل علمي وتربوي هو الاول من نوعه فى منطقة الشرق الاوسط .

* صدر حديثا فى منشورات دار اليمامة بالرياض « بلاد العرب » تأليف الحسن بن عبد الله الاصفهانى تحقيق الشيخ حمد الجاسر والدكتور صالح العلي وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على نشر هذا الكتاب . كما صدر عن الدار « غزوات الجراكسة والأتراك فى جنوب الجزيرة » تأليف قطب الدين محمد بن احمد النهروالى المكي (917 - 998 هـ) تحقيق الشيخ حمد الجاسر . ويصدر قريبا عن دار اليمامة كتاب « المغامر المطابة من معالم طابة » لمجد الدين الفيروز ابادي (729 - 817 هـ) تحقيق الشيخ حمد الجاسر .

* صرح احمد الصالحين وزير الاعلام والثقافة فى ليبيا بان التلفزيون الليبي سيبدأ بارسال برامجه من محطتي طرابلس وبنغازي فى عيد الاستقلال فى 24 ديسمبر المقبل .

* صدر عن الدار التونسية للنشر فى تونس « التوت المر » وهي قصة طويلة لمحمد المروسي المطوي ، فازت بجائزة بلدية العاصمة عام 1963 وتقع القصة فى 216 صفحة .

* صدرت فى تونس الطبعة الثالثة من كتاب « مجمل تاريخ الادب التونسي من فجر الفتح العربي لافريقية الى العصر الحاضر » للعلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب .

* حضر الى الجزائر الدكتور علي شامي النشار استاذ الفلسفة بجامعة الاسكندرية لالقاء محاضرات فى تاريخ الفلسفة الاسلامية بكلية الاداب بالجامعة الجزائرية .

* كلفت جامعة الجزائر الدكتور جمال مرسى بدر مستشار وزارة العدل الجزائرية بتدريس مادة الشريعة الاسلامية لطلبة كلية الحقوق .

* قررت الجامعة الجزائرية انشاء قسم بكلية الحقوق يجري التدريس فيه باللغة العربية ابتداء من العام الجامعي المقبل .

* اصدرت « جمعية الفلسفة بالمغرب » مجلة جديدة بعنوان « دراسات فلسفية وادبية » .

* تصدر قريبا عن دار النهضة العربية بالقاهرة الطبعة الثانية من كتاب « النيابة فى التصرفات القانونية » للدكتور جمال مرسى بدر وهو دراسة مقارنة بين القوانين ذات الاصل الفرنسى والالمانى والانجليزى وبين الفقه الاسلامى فى موضوع عقد الوكالة وما يشابهه من نظم النيابة عن الغير فى التصرفات والعقود .

* صدر بالقاهرة لمصطفى عبد الواحد كتابان قام بتحقيقهما هما « الاكتفاء فى مغازي رسول الله » والثلاثة خلفاء « للكلاعي الاندلسي فى منشورات الخانجي و « قصص الانبياء » لابن كثير فى منشورات دار الكتب الحديثة . كما قررت لجنة النشر بالمجلس الاعلى للفنون نشر رسالته التي نال بها الماجستير وعنوانها « الدراسات الادبية للعاطفة فى تراثنا العربي »